سورة آل عمران

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ؛ قال الله تعالى: ((**بسم الله الرحمن الرحيم**)) ؛ البسملة تقدم لنا الكلام عليها مرارا وتكرارا ؛ وقلنا : إن الجار ومجرور متعلق بمحذوف ، وهذا المحذوف يقدر فعلا متأخرا مناسبا ، كذا ؟ يقدر متأخرا مناسبا ؛ فإذا قلت: بسم الله ؛ وأنت تريد أن تأكل ؛ كيف تقدر الفعل ؟ بسم الله آكل . طيب قلنا إنه يجب أن يقدر أن يكون متعلقا بمحذوف ؛ لماذا ؟ لماذا لا نقول إنه غير متعلق ؟ لأن الجار والمجرور لابد له من متعلق يتعلق به ، لابد للجار من التعلق بفعل أو معناه نحو مرتق ؛ لأن الجار والمجرور معمول، وبمنزلة المفعول به فلابد له من عامل . لماذا قدرناه فعلا متأخرا ؟ لفائدتين ؛ الفائدة الأولى: التبرك بتقديم اسم الله عز وجل ؛ والفائدة الثانية: الحصر؛ لأن تأخير العامل يفيد الحصر؛ كأنك تقول: لا آكل باسم أحد متبركا به ومستعينا إلا باسم الله عز وجل. لماذا قدرناه فعلا ؟ لأن الأصل في العمل الأفعال ؛ وهذه يعرفها أهل النحو؛ لأن الأصل في العمل الأفعال ولذلك لا تعمل الأسماء إلا بشروط، اسم الفاعل يعمل عمل الفعل بشروط ؛ المصدر يعمل عمل الفعل بشروط ؛ اسم المفعول يعمل عمل الفعل بشروط ؛ الفعل يعمل بشروط؟ لا ؛ لأنه هو الأصل في العمل؛ ولهذا نقدره فعلا؛ لماذا قدرناه خاصا ؟ لأنه أدل على المقصود، ممكن أن نقدر: بسم الله أبتدئ ؛ لكن تبتدئ أيش؟ ما تبدأ ؟ تبتدئ أكل، تبتدئ شرب، تبتدئ وضوء، تبتدئ عمل ، ماذا تبتدئ؟ وإذا قلت: بسم الله آكل وعينت الفعل صار أدل على المقصود ؛ ولهذا قال الرسول عليه الصلاة والسلام : (**من لم يذبح فليذبح بسم الله أو قال: على اسم الله**) فخص الفعل . إذا نقول : الجار والمجرور متعلق بالمحذوف كمل ؟ متأخر فعل مناسب للمقام . أما ((**الله**)) فهو علم على الله سبحانه وتعالى على الذات المقدسة لا يكون إلا له ، وهو أصل الأسماء؛ ولهذا تأتي الأسماء تابعة له: ((**بسم الله الرحمن الرحيم**)) ، تأتي تابعة له . ((**الرحمن**)) ذوا الرحمة الواسعة؛ ولهذا جاء على صفة على وزن فعلان الذي يدل على الامتلاء والسعة . ((**الرحيم**)) الموصل للرحمة من يشاء من عباده؛ ولهذا جاء على وزن الفعيل الدال على وقوع الفعل؛ فهنا رحمة هي صفته هذه دل عليها ((**الرحمن**)) ؛ ورحمة هي فعله أي إيصال الرحمة إلى المرحوم دل عليها ((**الرحيم**)) . ((**الرحمن الرحيم**)) اسمان من أسماء الله يدلان على الذات ، وعلى صفة الرحمة ، وعلى الأثر أو الحكم الدال عليه ذلك المعنى؛ إذا اجتمع في هذين الاسمين كل ما يجب أن يتعلق بالإيمان باسم الله ؛ لأن الإيمان بالاسم أن تؤمن بالاسم؛ ويش بعد ؟ والصفة والأثر الذي هو الحكم المترتب على هذا ؛ فنقول: الله رحمن ذوا رحمة يرحم، كلها موجودة في القرآن ؛ فالرحمن كما ترون ذوا الرحمة : ((**وربك الغني ذو الرحمة**)) يرحم : ((**يعذب من يشاء**

ويرحم من يشاء)) , ((**الرحمن**)) اسم دال على الرحمة وهي رحمة حقيقية دل عليها السمع والعقل ؛ ما أدري الكلام عربي وإلا غير عبي ؟ عربي ؛ دل عليها السمع و العقل ؛ ويش معنى السمع ؟ النصوص ، الكتاب والسنة ؛ العقل: النظر ، والاعتبار ؛ دلالة السمع على رحمة الله كثيرة ما تحصى ؛ دلالة النظر أن نقول كم في العالم من نعمة ؟ ويش الجواب ؟ لا تحصى ، ((**وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها**)) كذا ؟ نعم ، لا تحصى بأنواعها وأجناسها فضلا عن أفرادها ؛ هذه النعم ويش تدل عليه ؟ تدل على أن المنعم راحم ؛ ولو لا الرحمة ما حصلت النعمة؛ وكم في العالم من اندفاع نقمة أليس كذلك ؟ طيب لماذا؟ من آثار الرحمة، لو لا الرحمة ما اندفعت النقمة؛ ومن عجب أن قوما يدعون العقل، يقولون : إن الرحمة لا يدل عليه العقل ؛ بل العقل يدل على خلافها . أعوذ بالله . لأيش؟ قال: لأن الرحمة انعطاف، ولين، وخضوع، ورقة ؛ وهذا لا يليق بالله عزوجل . شف الشيطان . لا يليق ؛ صحيح لا يليق؟ نقول : الرحمة بهذا المعنى من هي رحمته ؟ رحمة المخلوق؛ لكن رحمة الخالق ليست كرحمة المخلوق ؛ ثم إننا نمنع أن تكون الرحمة كما زعمتم حتى في المخلوق ؛ يأتي ملك تام السلطان لا يخشى أحدا إلا الله ويرحم هذا الفقير ؛ هل نقول : رحمة هذه تنافي ما عنده من السلطان والعظمة اللائقة به؟ أبدا، ما تنافي ولا يقال: والله هذا ملك مهين يرحم الفقراء ويرحم الضعفاء ؛ لا، بل يعد هذا من كماله، يعد من كماله؛ ثم نقول لهم : العقل دل عليه ، نمنع قولكم : العقل لا يدل عليه ، نمنع قولكم : بأن العقل لا يدل عليه ، بل نقول: إن العقل دل عليه ؛ لو تسأل عامة السوق بعد أن نزل المطر في الليل وخرج الناس يمشون في المطر وهواء المطر ورطوبته تلقي عامته تقول ما شاء الله نزل المطر برحمته ، فيه بركة ، الحمد لله، رحمة الله واسعة ، رحمة الله واسعة؛ ويش عرف إن هذا المطر من أين؟ من الرحمة؛ لكن يقولون: إن الإرادة ثبتت بالعقل، إرادة الله ثبتت بالعقل، طيب بماذا ؟ قالوا: ثبتت بالتخصيص، إنه خص هذا يجعل هذه سماء، وهذه أرض، وهذه بقرة ، وهذه شاة، وهذه بعير، وهذا حمار إلى آخره، الذي خصص هذا من هذا هو؟ الإرادة ؛ إذا فيه إرادة لله دل عليها التخصيص ؛ اسأل طالب علم ما هو عامي قل له : كيف تستدل بالعقل على أرادة الله ؟ ويش يقول ؟ ما يستطيع، ربما يستطيع أن يقول: أستدل على إرادة الله هذا الكون هذا كله بإرادة الله؛ لكن ما يقول إن التخصيص هو الذي يدل على الإرادة ؛ كذا وإلا لا؟ ومع ذلك الرحمة ما دل عليها العقل عندهم والإرادة دل عليها العقل ؛ ونحن نقول : إن الإرادة والرحمة كلاهما ، أو كلتاهما دل عليها العقل ولا شك في هذا . البسملة ذكرنا فيما سبق أنها آية من القرآن لاشك ، مستقلة لا تابعة لا للتي قبلها ولا للتي بعدها ، مستقلة ؛ لكن يؤتى بها لابتداء السورة ؛ كل سورة تبتدأ بالبسملة إلا واحدة من السور وهي براءة فإنه لم يثبت عند الصحابة أن الرسول صلى الله عليه وسلم ابتدأها بالبسملة ؛ ولذلك جعلوا فاصلا بينها وبين الأنفال ولم يجعلوا بسملة ؛ لأنهم

ترددوا هل هي بقية الأنفال أو هي مستقلة ؛ فقالوا: نجعل الفاصل ولا نجعل البسملة إنما البسملة آية مستقلة تبتدأ بها كل السورة حتى الفاتحة وهي أول السور تبتدأ بها ؛ وهل هي من السورة ؟ قلنا : لا ؛ وعلى هذا فما يوجد في المصحف الآن المرقم في الفاتحة الخاصة فيها رقم واحد ، على أنها أول آية من الفاتحة هو قول مرجوح ، والراجح أنها ليست آية من الفاتحة ؛ وقد مر علينا بيان وجهان هذا القول .

السائل : شيخ ندعو الله أن ينصرنا على القوم الكافرين ؛ وما نستطيع نقاتلهم ولكن ندعو الله ولا نقاتلهم ؟
الشيخ : أي نعم هو يسأل يقول: نحن ندعو الله أن ينصرنا على القوم الكافرين ونحن ما عندنا سلاح نقاوم به ؟ نقول : النصرة على القوم الكافرين بأن يهيئ الله لنا الأسلحة نقاوم بها أو يدمر أسلحتهم، تدمير أسلحتهم نصر لنا أو لا ؟ نعم.

السائل : شيخ ! قال الله سبحانه وتعالى: ((**إنا نحن نزلنا القرآن وإنا له لحافظون**)) لكن خلاف العلماء في البسملة هل هذه من آية أو غير آية هل يعد ذلك تنقيصا لهذه الآية ؟

الشيخ : لا لا ؛ هل حذفت من المصحف؟ حفظت؛ لكن يقولون غير آية؟ لا لا؛ يقولون آية لكن بس هذه بالاتفاق هذه آية؛ لكن هل هذه من السور التي بعدها أو لا، الخلاف في العدد .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم ؛ ((**ألم الله لا إله إلا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس**)) لا، اصبر ((**من قبل**)) تبع للذي قبلها ((**وأنزل التوراة والإنجيل هدى للناس وأنزل الفرقان؛ إن الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام**)) أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ؛ تقدم الكلام على البسملة إعرابا ومعنى ومحلا ؛ وتقدم الكلام أيضا عل الحروف الهجائية التي ابتدأت بها السور؛ الحروف الهجائية التي ابتدأ الله بها بعض السور قيل: إنها رموز إلى أشياء وعينها بعض المفسرين؛ وقيل: إنها حروف لا ندري ما معناها فالله أعلم بما أراد بها؛ وقيل: بل هي حروف هجائية ليس لها معنى؛ وهذا القول هو الصحيح ؛ وذلك لأن هذا القرآن نزل باللسان العربي المبين ، واللسان العربي لا يعطي هذه الحروف الهجائية معنى وإذا كان لا يعطيها معنى فبمقتضى نزوله به أن لا يكون لها معنى ؛ لكن قال العلماء إن لها مغزا، أي هذه الحروف لها مغزا وهو: أن هذا القرآن الذي أعجز فصحاء البلاغة العرب العرباء إنما كان بالحروف التي هم يعرفونها، ويركبون كلامهم منها ومع ذلك أعجزهم ؛ يعني لو جاء بلسان غير عربي لقالوا نعجز عنه؛ لكن جاء باللسان العربي الذي يكونون كلامهم بالحروف التي كان بها

هذه القرآن ؛ قال ولهذا لا تكاد تجد سورة مبدوءة بهذه الحروف الهجائية إلا وبعدها ذكر القرآن ؛ وهذا كما قاله الزمخشري وشيخ الإسلام ابن تيمية وجماعة من أهل العلم . وقوله: ((**الله لا إله إلا هو الحي القيوم**)) هذه الجملة مكونة من مبتدأ وخبر؛ فالله مبتدأ ، وجملة ((**لا إله إلا الله**)) خبر مبتدأ ؛ لكن هذه الجملة جملة أيضا لكنها تسمى عند النحويين جملة صغرى ؛ لأن الخبر إذا وقع جملة فهو جملة صغرى ؛ والكبرى : مجموع المبتدأ والخبر . وقوله : ((**الحي القيوم**)) خبران آخران ((**الحي**)) خبر لـ ((**الله**)) الثاني ؛ و((**القيوم**)) خبر ثالث ؛ فقوله : ((**الله**)) علم على الذات المقدسة ، علم على الرب عز وجل ؛ وأصله الإله بمعنى المألوه ، وحذفت الهمزة تخفيفا كما حذفت الهمزة من خير وشر في مثل قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (**خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها**) أي أخيرها وأشرها؛ وكما حذفت الهمزة أيضا من: الناس، وأصلها: أناس ؛ ((**الله**)) علم على الذات المقدسة وهو أعلم المعارف على الإطلاق ، هو أعلم معارف على الإطلاق نعم ؟ ومعناه: المعبود حبا وتعظيما ؛ فهو فعال بمعنى مفعول وما أكثر ما يأتي فعال بمعنى مفعول كغراس بمعنى مغروس ، وبناء بمعنى مبني . وقوله: ((**لا إله إلا هو**)) أي لا معبود حق إلا هو ؛ فإله اسم لا النافية للجنس ، وخبرها محذوف تقديره : حق ؛ وهناك آلهة باطلة ولكنها آلهة وضعت عليها الأسماء بدون حق ؛ كما قال الله تعالى: ((**ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها**)) وقال تعالى : ((**أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ألكم الذكر وله الأنثى تلك إذا قسمة ضيزى إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآبائكم ما أنزل الله بها من سلطان**)) . طيب وبهذا التقدير للخبر في ((**لا إله إلا هو**)) يزول الإشكال وهو أنه كيف ينفى الإله في مثل هذه الجملة ويثبت في مثل قوله: ((**فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء**)) والجمع : أن تلك الآلهة أيش ؟ باطل ؛ وأما الإله في: ((**لا إله إلا هو**)) فهو إله حق ((**ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل**)) وقوله: ((**هو**)) هذا ضمير وليس اسما ، هذا ضمير وليس اسم ؛ بدليل قوله : ((**فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك**)) هذا علم أو ضمير ؟ علم ؛ وبدليل قوله: ((**وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون**)) وأنا هنا ضمير ؛ وعلى هذا نقول: أنا وهو في قوله : ((**لا إله إلا أنا**)) وقوله: ((**لا إله إلا هو**)) كلاهما ضمير رفع منفصل ؛ فكما أن الذاكر لا يقول: لا إله إلا أنا ؛ أو كما أن الذاكر لا يجعل " أنا " اسما لله فلا يجوز أن يجعل هو اسما لله ؛ وبهذا نعرف بطلان ذكر الصوفية الذي يذكرون الله بلفظ: هو هو، ويرون أن هذا الذكر أفضل الأذكار؛ وهو ذكر باطل . وقوله: ((**الحي**)) أل هنا للاستغراق أي كامل الحياة ؛ وحياة الله عز وجل كاملة في وجودها وكاملة في زمنها ؛ فهو حي لا أول له ، ولا نهاية له ؛ حياته لم تسبق بعدم ولا يلحقها زوال ؛ هي أيضا كاملة حال وجودها لا يدخلها

نقص بوجه من الوجوه ؛ فهو كامل في سمعه ، وعلمه ، وقدرته ، وجميع صفاته ؛ إذا رأينا الآدمي بل إذا رأينا غير الله عزوجل وجدنا أنه ناقص في حياته زمنا ووجودا ؛ فحياته مسبوقة بماذا ؟ بعدم ، ملحوقة بزوال وفناء؛ هي أيضا ناقصة بوجودها؛ هل هو كامل السمع ؟ الحي ليس كامل السمع ، ولا البصر، ولا العلم، ولا القدرة ؛ كل حي فهو ناقص ؛ إذا حياته ناقصة في الوجود والزمن؛ ففي الزمن مسبوقة بعدم وملحوقة بزوال؛ وفي الوجود ناقصة في جميع الصفات . وقوله: ((**القيوم**)) على وزن فيعول وهو مأخوذ من القيام ؛ ومعناه: القائم بنفسه ، القائم على غيره؛ القائم بنفسه فلا يحتاج إلى أحد ؛ والقائم على غيره فكل أحد محتاج إليه ؛ وفي الجمع بين الاسمين الكريمين: ((**الحي القيوم**)) في الجمع بينهما استغراق لجميع ما يوصف الله به لجميع الكمالات ؛ ففي ((**الحي**)) كمال الصفات ، وفي ((**القيوم**)) كمال الأفعال ؛ وفيهما جميعا كمال الذات ؛ ((**الحي**)) كمال الصفات ((**القيوم**)) كمال الأفعال، وباجتماعهما كمال الذات ؛ فهو كامل الصفات والأفعال والذات . ثم قال: ((**نزل عليك الكتاب**)) نستمر وإلا نأخذ الإعراب ؟ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ؛ بسم الله الرحمن الرحيم ؛ ((**ألم الله لا إله إلا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب بالحق وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان إن الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام ؛ إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء**)) أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ؛ سبق لنا تفسير قوله تعالى : ((**آلم الله لا إله إلا هو الحي القيوم**)) وبيننا أن القول الراجح في ((**ألم**)) وأخواتها .

الطالب : قال إن حروف المقطعات لا معنى لها ؟

الشيخ : لا ، هو ما قال لا معنى لها .

الطالب : قال تدل على مغزى جاء ليعجزكم لأنه مكون من هذه الحروف لذلك جاء بعد الحروف ذكر القرآن

الطالب : لا معنى لها بذاتها

الشيخ : ولكن لها مغز طيب . ما هو الدليل يا بندر على أنه ليس له معنى في ذاتها ؟

الطالب : الدليل أنها دائما يعقبها في القرآن ؛

الشيخ : الدليل على أنه ليس لها معنى ؟

الطالب : أي نعم أن القرآن بلسان عربي مبين وهذه الحروف بلسان عربي مبين ليس لها معنى ؛

الشيخ : صح، الدليل أن القرآن نزل بلسان العربي المبين وهذه الحروف ليس لها معنى في اللغة العربية في ذاتها ؛ إذا ليس لها معنى. طيب ما الدليل على أن لها مغز يا عبد الرحمن ؟

الطالب : إن حروف الحروف يعقبها ذكر القرآن ؛

الشيخ : ذكر القرآن والتحدث ؛

الطالب : ثاني شيء: يعني إنها بالحروف التي أنتم تعرفونها وتتحدثون بها القرآن الكريمة مركب منها ؛

الشيخ : كان منها أحسن من كلمة مركب

الطالب : كان منها

الشيخ : نعم طيب. قوله: ((**لا إله إلا هو**)) ما معناها ؟

الطالب : لا معبود بحق إلا الله سبحانه وتعالى ؛

الشيخ : لا معبود بحق، لا معبود حق إلا الله . طيب لماذا لا نقول: إن النفي مسلط على ما بعد إلا يعني لا إله إلا الله، ما يوجد إله إلا الله ؟

الطالب : لأنه يوجد آلهة لكن ما هم حق ؛

الشيخ : أحسنت ؛ نقول لا يمكن أن ننفي الألوهية مطلقا لأن غير الله قد يسمى إلها . يا فهد؟ ما هو الدليل على أطلاق الإله على غير الله ؟

الطالب : قوله تعالى: ((**واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا**))

الشيخ : وقوله : ((**ولا تجعل مع الله إلها آخر**)) ((**فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعونها من دون الله من شيء**)) . ((**الحي القيوم**)) ذكرنا أنهما يشتملان على اسم الله الأعظم فلماذا يا أحمد ؟

الطالب : لأن لها معنيان: معنى الزمني لم يسبقه العدم ؛

الشيخ : لا لا، عبد الله ؟

الطالب : لأنهما اسمان يتضمنان صفات الفعلية والذاتية ؛

الشيخ : صح، الكمال الذاتي والفعلي ؛ ففي ((**الحي**)) الكمال الذاتي، و ((**القيوم**)) كمال الفعلي ؛ لذلك كانا متضمنين لجميع الكمال ، الذاتي والفعلي . ((**الحي**)) صفها يا آدم ؟

الطالب : الحي الحياة الكاملة التي لا يموت ولا ؛

الشيخ : يعني ذو الحياة الكاملة التي لم تسبق عدم ولا يلحقها زوال .

الشيخ : ((**القيوم**)) ؟

الطالب : هو القائم بنفسه، والقائم على نفسه كذلك يعني على غيره ؛

الشيخ : القائم بنفسه والقائم على غيره طيب. الدليل على القيام بنفسه يا خالد ؟

الطالب : لأن الله سبحانه وتعالى غني لا يحتاج إلى أحد ؛

الشيخ : نعم ؛

الطالب : أما.

الشيخ : إذا وصف الغني مثل ((**وهو الغني الحميد**)) ((**فكفروا وتولوا واستغنى الله والله غني حميد**)) هذا يدل على قيامه بنفسه . قيامه على غيره ما هو الدليل ؟

الطالب : أن العباد كلهم فقراء إلى الله سبحانه وتعالى؛

الشيخ : ما هو الدليل؟ ما هو التعليل ؛

الطالب : ((**يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله**))

الشيخ : وغيرها آية صريحة في الموضوع ؟

الطالب : قوله تعالى: ((**أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت**))

الشيخ : صحيح ((**أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت**)) يعني كمن لا يقوم بنفسه .

الشيخ : تصريف القيوم في اللغة العربية ؟ تصريف القيوم في اللغة العربية كيف هو؟

الطالب : على وزن فيعول .

الشيخ : على وزن فيعول وماذا تدل عليه هذه الصيغة ؛

الطالب : هو على أنه سبحانه وتعالى؛

الشيخ : لا هذه صيغة؛ لأن أصلها قائم حولت إلى قيوم فحول فاعل إلى فيعول ؟

الطالب : يقوم بغيره ويقوم على الله سبحانه وتعالى ؛

الطالب : يدل على الكثرة والمبالغة؛

الشيخ : صح . قال الله تعالى : ((**نزل عليك الكتاب بالحق**)) ((**نزل**)) التنزيل يكون من أعلى إلى أسفل، ويكون بالتدريج شيئا فشيئا ؛ كما قال الله تعالى: ((**وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا**)) وقال تعالى : ((**وقال الذين كفروا لو لا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك**)) يعني نزلناه ليس جملة واحدة ؛ فقوله: ((**نزل**)) يفيد أن هذا القرآن من عند الله، وأنه نزل أيش؟ بالتدريج ليس مرة واحدة؛ وقوله: ((**عليك**)) الضمير يعود على الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ وقد بين الله تعالى في آية أخرى أنه نزل على قلب الرسول صلى الله عليه وسلم ليكون أدل على وعيه لهذا القرآن الذي نزل عليه . وقوله: ((**نزل عليك الكتاب**)) الكتاب وهو هذا القرآن ، وهو فعال بمعنى مفعول ؛ لأنه مكتوب ؛ فهو كتاب لأنه مكتوب في لوح المحفوظ كما قال تعالى: ((**إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون**)) لوح المحفوظ ؛ وهو كتاب في الصحف التي بأيدي الملائكة ((**فمن شاء ذكره في صحف مكرمة**)) وهو كتاب في الصحف التي بأيدينا فهو مكتوب بأيدينا ونقرأه من هذه الكتب . وقوله: ((**الكتاب بالحق**)) الباء هذه يجوز أن تكون من باب أنه متلبس بالحق ؛ أي مشتمل على الحق ؛ فهو نازل بحق لا بالباطل ؛ ويحتمل أن يكون عائدا التنزيل؛ يعني أنه نزل حق ليس بباطل ؛ قال تعالى: ((**وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون**)) بعد قوله: ((**وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين**)) فيكون بالحق يعني أنه نازل عليك نزولا حقا ليس بباطل فهو ما كتب عليه الصلاة والسلام بهذا القرآن ؛ ويحتمل أن يكون نازلا بأيش؟ بالحق يعني مشتملا عليه ومتلبسا به ؛ والمعنيان صحيحان لا يتنافيان ؛ والقاعدة: أن النص إذا دل على معنيين صحيحين لا يتنافيان حمل عليهما جميعا

. قوله: ((**مصدقا لما بين يديه**)) ((**مصدقا**)) حال من الكتاب ولا يصح أن نجعلها صفة؛ لماذا ؟ لأن ((**مصدقا**)) نكرة ، و((ا **لكتاب**)) معرفة ؛ والصفة يجب أن تتبع الموصوف في المعرفة والنكرة ؛ وقوله: ((**مصدقا لما بين يديه**)) للذي بين يديه يعني : من الكتب السابقة ؛ وتصديقه لما بين يديه له وجهان: الوجه الأول: أنها صدقها لأنها أخبرت به فوقع مصدقا له ؛ والثاني ((**مصدقا لما بين يديه**)) أي حاكما عليها بالصدق ؛ فهو مصدق لما سبق من الكتب للوجهين المذكورين؛ لأن الكتب أخبرت به فوقع ؛ وإذا وقع صار تصديقا لها ؛ ثانيا، الوجه الثاني: أنه حكم بأنها الصدق من عند الله عز وجل ؛ فيكون هذا تصديق لما بين يديه يشمل الوجهين جميعا ؛ فالقرآن شاهد بأن التوراة حق، والإنجيل حق، وأن زبور حق ، وأن صحف ابراهيم حق، وأن الله أنزل على كل رسول كتابا؛ كذلك مصدق للكتب التي أخبرت به؛ فإن الكتب السابقة أخبرت بهذا القرآن أنه سينزل ، ووصفت النبي صلى الله عليه وسلم الذي ينزل عليه بأوصافه التي كانوا يعرفونه بها كما يعرفون أبنائهم . وقوله: ((**لما بين يديه**)) أي لما سبقه ؛ لأن الذي بين يديك سابق عليك ، أليس كذلك ؟ نعم ؛ لأنه أمامك فهو متقدم عليك . ((**وأنزل التوراة الإنجيل**)) شف قال: ((**نزل عليك الكتاب**)) ((**وأنزل التوراة**)) اختلف التعبير، واختلاف التعبير يدل على اختلاف المعنى ؛ فما هو الخلاف في المعنى ؟ قال أهل العلم: إن التوراة الإنجيل نزلتا دفعة واحدة بدون تدريج بخلاف القرآن فإنه نزل بالتدريج ؛ وهذا من رحمة الله عزوجل على هذه الأمة ؛ لأنه إذا نزل بالتدريج صارت أحكامه أيضا بالتدريج ؛ لكن لو نزل دفعة واحدة لزم الأمة أن تعمل به جميعا بدون تدريج ؛ وهذا من الآصار التي كتبت على من سبقنا إذا نزلت عليهم الكتب مرة واحدة ألزموا بالعمل بها من حين أن تنزل فيما ألفوه وفيما لم يألفوه بخلاف القرآن الكريم . وقوله: ((**التوراة والإنجيل**)) التوراة هي كتاب الذي نزله الله على موسى ؛ والإنجيل هو الذي نزله الله على عيسى عليه الصلاة والسلام ؛ وهذان الاسمان قيل: إنهما غير عربيين ؛ وقيل: بل هما عربيان ؛ ولكن الذي يظهر أنهما ليسا بعربيين؛ ولكنه إذا نزل القرآن بشيء صار اللفظ الذي نزل به القرآن عربيا بماذا ؟ بالتعريف ، صار عربيا بالتعريف. قال : ((**من قبل**)) ، ((**وأنزل التوراة والإنجيل من قبل**)) فيها إشكال لغوي؛ لأن المعروف أن "من" حرف جر وحرف الجر يجر؛ تقول: جئت من البيت إلى المسجد؛ ولا يجوز أن تقول: جئت من البيت إلى المسجد ؛ ولا من البيت إلى المسجد؛ وإلا لا ؟ هنا قال: ((**من قبل**)) فلماذا لم يقل : ((**من قبل**)) ؟ نقول: لأن قبل وبعد وأخواتهما لها أحوال ؛ إن أضيفت لفظا فإنها تكون على حسب العوامل ؛ يعني تجر بحرف الجر ، وتنصب بأداة النصب ، وترفع بعامل الرفع ؛ وإذا أضيفت يعني تقديرا ، إذا أضيفت تقديرا صارت مبنية على الضم ؛ يعني إذا حذفت المضاف إليه ونوي معناه صارت مبينة على الضم ، مبنية بناء دائما على الضم، مثل هذه الآية: ((**من قبل**))

أصلها : من قبل هذا الكتاب ؛ لكن حذف المضاف إليه ونوي معناه فبنيت على الضم ؛ إذا حذف المضاف إليه ونوي لفظه فإنها تعرب بحسب العوامل لكن بدون تنوين ، تعرب بدون تنوين ؛ فتقول مثلا: ((**من قبل**)) بدون تنوين ؛ إذا حذف المضاف إليه ونوي أيش؟ لفظه ؛ كم هذه من حال ؟ ثلاث حالات ؛ إذا قطعت عن الإضافة لفظا ومعنا فإنها بحسب العوامل مع التنوين ، تكون بحسب العوامل مع التنوين ؛ فتقول: من قبل، ومن بعد ؛ ومنه قول الشاعر :

فصاغ لي الشراب وكنت قبلا أكاد أغص بماء الفرات

فقال: كنت قبلا ، نصبها بالتنوين ؛ لأنه نوى قدر على عن الإضافة لفظا ومعنى ؛ فالأقسام إذا يا عبد الله؟

الطالب : ثلاثة ،

الشيخ : زد واحد ؟ ثلاثة ؛ أربعة نعم ؛ أربعة أقسام ؛ الأول ؟

الطالب : الأول إذا أضيف لفظا ؛

الشيخ : الثاني؟

الطالب : الثاني: إذا حذف المضاف ونوي لفظه ؛

الشيخ : الثالث:

الطالب : إذا حذف المضاف ولا لفظه ولا معناه ؛ الرابع: إذا حذف المضاف ونوي معناه فقط ؛

الشيخ : صح كذا ؟ تعرب في كل الأحوال الأربعة إلا حالة واحدة وهي: إذا حذف المضاف إليه ونوي معناه . قال: ((**وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس**)) ((**هدى**)) هذه مفعول لأجله متعلقة بنزل وأنزل ؛ أي نزل عليك الكتاب هدى للناس؛ ((**وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس**)) ؛ فهي مفعول من أجله ؛ أي لأجل هداية الناس؛ والمراد بالهداية هنا هداية الدلالة التي يترتب عليها هداية التوفيق ؛ لكن الأصل في هذه الكتب أنها هداية الدلالة؛ ولهذا قال: ((**هدى للناس**)) عموما حتى الكفار تهديهم ، تهديهم وتدلهم ، تبين لهم الحق من الباطل؛ لكن قد يوفقون لقبول الحق والعمل به وقد لا يوفقون؛ والهدى ضد الضلال، واهتدى بمعنى صار على الطريق الصواب؛ وضل بمعنى انحرف وتاه وضاع ؛ ومنه سميت الضالة يعني البعير الضائع التائه . وقوله: ((**هدى للناس**)) الناس سبق لنا مرارا وتكرارا أن أصلها أناس حذفت همزتها للتخفيف لكثرة الاستعمال

؛ والمراد بالناس البشر وهم بنو آدم . وقوله: ((**وأنزل الفرقان**)) المراد بالفرقان هنا المعنى وليس المراد به القرآن؛ فالمراد أنزل ما يبين به الفرق بين الحق والباطل ؛ وإنما قلنا ذلك لأننا لو خصصناه بالقرآن لكان في ذلك تكرار مع قوله: ((**نزل عليك الكتاب**)) وكان فيه فصل لكون التوراة والإنجيل فرقانا مع أن التوراة والإنجيل فرقان لاشك أن فيها تفريقا بين الحق والباطل ؛ إذا أنزل الفرقان الذي تضمنته هذه الكتب الثلاثة وهي: القرآن ، والتوراة ، والإنجيل ؛ ففيها الهدى وفيها الفرقان ، فيها التفريق بين الحق والباطل ، وفيها التفريق بين أهل الحق وأهل الباطل جميعا ؛ ففيها تفريق بين العامل والمعمول ، بين الحق في ذاته يقول هذا حق وهذا باطل ؛ وبين أهل الحق وأهل الباطل ؛ طيب فيها تفريق بين النافع والضار؟ نعم فيها تفريق بين النافع والضار؛ فيها تفريق بين الأنفع والنافع ؟ نعم ؛ فيها تفريق بين الأضر والضار ؛ لأن كلمة الفرقان كلمة واسعة تشمل كلما به الفرق من جميع الوجوه

بين العامل والمعمول، بين الحق في ذاته ، يقول هذا حق وهذا باطل؛ وبين أهل الحق وأهل الباطل؛ طيب فيها تفريق بين النافع والضار؟ نعم ، فيها تفريق بين النافع والضار ؛ فيها تفريق بين الأنفع والنافع ؟ نعم ؛ فيها تفريق بين الأضر والضار؛ لأن كلمة الفرقان كلمة واسع تشمل كلما به الفرق، كلما به الفرق من جميع الوجوه . ولما ذكر الله سبحانه وتعالى منته على عباده بإنزال هذه الكتب العظيمة قال : ((**إن الذين كفروا بآيات الله**)) يعني بعد إنزال هذه الكتب الواضحة الهادية المفرقة انقسم الناس إلى قسمين : قسم آمن ، وقسم كفر؛ فذكر الله حكم الكافر وبذكر حكم الكافر يتبين حكم المؤمن قال : ((**إن الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد**)) هذه الجملة مكونة من مبتدأ وخبر وجملة كبرى وجملة صغرى؛ أو لا؟ مبتداء وخبر؛ جملة صغرى وجملة كبرى ؛ يلا يا شميل وين المبتدأ والخبر ؟ وفيها أيضا من مبتدأ وخبر منسوخ و مبتدأ وخبر غير منسوخ ، وجملة صغرى وجملة كبرى يلا ؟ أين الخبر المنسوخ ؟ خبر المنسوخ ؟ أي نعم ، المبتدأ والخبر المنسوخ ؟

الطالب : ((**بآيات الله**)) بآياتي ؟

الشيخ : لا ؛

الطالب : منسوخ يعني محذوف ؟

الشيخ : لا منسوخ يعني دخل عليه الناسخ و النواصب ثلاثة: إن ، وكان ، وظن ؛ نعم يا فيصل ؟ جملة ((**لهم عذاب شديد**)) جملة خبر إن ، إن ناسخة، منسوخة ،

الطالب : ((**إن الذين كفروا لهم عذاب شديد**)) ؛

الشيخ : ((**لهم عذاب شديد**)) هذه أيش؟ جملة منسوخة وإلا غير منسوخة ؟ يعني أجزائها ؟ أجزائها منسوخة وإلا غير منسوخة ؟

الطالب : غير منسوخة ؛

الشيخ : غير منسوخة طيب زين ، هذه الجملة الاسمية غير المنسوخة . طيب عبد الرحمن ؟وجملة ((**لهم عذاب شديد**)) هذه جملة منسوخة أحسنت طيب . أما الإعراب فنقول : إن حرف توكيد ونصب ؛

الطالب : لا يا شيخ ؛

الشيخ : خطأ ؟ لأيش ؟ نقول: إن حرف توكيد ينصب المبتدأ ويرفع الخبر ؛ ((**والذين**)) اسمها مبني على الفتح في محل النصب و ((**كفروا**)) فعل وفاعل لا محل له من الإعراب لأنه صلة الموصول ؛ و ((**بآيات الله**)) جار ومجرور ومضاف إليه؛ متعلق بأيش؟ بكفر؛ و((**لهم عذاب شديد**)) ((**لهم**)) خبر مقدم ؛ و((**عذاب**)) مبتدأ مؤخر ؛ و((**شديد**)) صفة له ؛ والجملة : في محل رفع خبر إن . يقول الله عز وجل: ((**إن الذين كفروا بآيات الله**)) ((**كفروا**)) يقال: إن أصل الكفر من الستر ؛ ويطلق على الجحد ؛ لأن الجاحد ساتر ؛ ف ((**كفروا بآيات الله**)) أي جحدوا بها وأنكروها ؛ وقلنا : إن الكفر من الستر لأن منه الكفرة ؛ تعرفون الكفرة ؟ الكفرة وعاء التلع ، تلع النخل ؛ أتعرفون تلع النخل ؟ فيه الخلاف يسمى كفرة ، وفي اللغة العامية يسمى كافور؛ تجدونه يستر التلع؛ فالكافر بحقيقة ساتر؛ أي جاحد للحق ، مخفي له .وقوله : ((**كفروا بآيات الله**)) آيات جمع آية وهي العلامات الدالة على الله عز وجل ، على وجوده ، وعلى كماله الذاتي ، وكاله الفعلي ؛ وهي أي الآيات نوعان : آيات كونية ومنها : السموات ، والأرض، والشمس، والقمر، والنجوم ، والجبال ، والشجر ، والدواب ، والإنسان ، واختلاف اللغات، واختلاف الألوان، والنوم ، واليقظة ، وأشياء كثيرة ؛ هذه آيات كونية ؛ آيات شرعية وهي: الوحي المنزل على الرسل . فإذا قيل: ما وجه ذلك؟ قلنا: أما الآيات الكونية فوجه كونها آية أنه لا يستطيع أحد أن يفعل مثل فعل الله عز وجل أبدا ، قال الله: ((**إن الذين تدعون من دون الله**)) كل الذين تدعون من دون الله ((**لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له**)) لا يخلقون ذبابا ؛ وهل يخلقون جملا ؟ لا من باب أولى ؛ فهم لا يخلقون ذبابا ، ولا جملا ، ولا بعوضا ، ولا غير ذلك ، لا يستطيعون أن يخلقوا هذا أبدا ؛ هل يستطيع أحد أن يذهب بالنهار إذا جاء ؟ لا ؛ هل يستطيع أحد أن يأتي بالليل إذا جاء النهار؟ أبدا، إلا الله عز وجل ؛ إذا فهذه الآيات الكونية من آيات الله عز وجل ؛ لأنه لا يستطيع أحد أن يأتي بمثلها ؛ الآيات الشرعية هي أيضا من آيات الله ؛ وجه ذلك: أنه لا يستطيع أحد بمثل شرع الله في هداية الخلق وإصلاحه أبدا ؛ لو اجتمع جميع مفكري العالم ليأتوا بدستور يصلح الخلق كما يصلحه ما جاء في الوحي ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا ، ((**قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا**)) ؛ لكن يا إخواني الآيات الكونية قد يعقلها كثير من الناس ؛ لأنها آيات محسوسة مشهودة ؛ حتى الكافر تقول له تستطيع تخلق الذباب ؟ يقول ما أستطيع ؛ أما الآيات الشرعية فليس كل أحد يدركها ، ليس كل أحد يدركها ؛ قال الله تعالى: ((**كلا إن كتاب الفجار لفي سجين وما أدراك ما سجين كتاب**

مرقوم ويل يومئذ للمكذبين الذين يكذبون بيوم الدين وما يكذب به إلا كل معتد أثيم إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين)) لا يتبين له أنها آيات . والعياذ بالله .؛ لماذا ؟ قال الله تعالى مكذبا لقوله : ((**كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون**)) فالإنسان إذا اجتمعت الذنوب على قلبه . نسأل الله أن يطهرنا وإياكم منها . إذا اجتمعت الذنوب على قلبه صار لا يرى الحق حقا ولا الباطل باطلا ، عمي . والعياذ بالله . يتلى عليه القرآن فيقول: هذه أساطير الأولين ليس كلام رب العالمين ؛ ولهذا نقول : الآيات الشرعية هي التي فيها الامتحان والابتلاء ؛ ومن ثم لم ينكر أحد الربوبية ، ربوبية الله، كل يقر بأن الله رب العالمين وأنه الذي خلق السموات والأرض ؛ لكن الآيات الشرعية أنكرت أو لا ؟ نعم ؛ قريش إذا سئلوا من خلق السموات والأرض قالوا: الله ؛ لكن قالوا في القرآن إنه كهانة، والشعر، والسحر ، وما أشبه ذلك ؛ المهم أن قوله: ((**إن الذين كفروا بآيات الله**)) يشمل الآيات الكونية والشرعية؛ وبيننا وجه كون كل منها آية . يقول: ((**لهم عذاب شديد**)) ((**العذاب**)) هنا بمعنى العقوبة ؛ و((**الشديد**)) القوي قوي؛ يعني العقوبة قوية . والعياذ بالله . ؛ وقد ذكر الله في القرآن وذكر نبي الله صلى الله عليه وسلم في السنة أصنافا وأنواعا من هذا العذاب تقشعر منه الجلود وتوجل منه القلوب ، قال الله تبارك وتعالى: ((**إنا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا يغاث بماء كالمهل يشوي الوجوه**)) ((**وإن يستغيثوا**)) ولا يستغيثون إلا لشدة الحر والظمأ ؛ إذا استغيثوا يؤتون بماء يشوي الوجوه ، أذا أقبلوا به إلى أفواههم ليشربوه شوا وجوههم . والعياذ بالله . قال الله تعالى: ((**بئس الشراب**)) هذا شرابهم ؛ وقال الله سبحانه وتعالى: ((**إن شجرة الذقوم طعام الأثيم كالمهل يغلي في البطون كغلي الحميم**)) شف هذا طعامهم ؛ لباسهم : ((**سرابيلهم من قطران**)) ؛ مقرهم وهوائهم : ((**يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب إن الله كان عزيزا حكيما**)) . والسنة مملوءة بذكر أصناف العقاب الذي يعاقب به هؤلاء فهو عذاب شديد ، لأهله الصراخ والعويل ، فهم يصطرخون فيها ((**ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل**)) فيقال لهم توبيخا: ((**أولم نؤمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم من نذير فذوقوا فما للظالمين من نصير**)) هذه يا إخواني حقائق ، حقائق نحن إن شاء الله تعالى في الإيمان بها كأنها مشاهدة عندنا بل أعظم ؛ ولهذا قال: ((**لهم عذاب شديد**)) . ((**والله عزيز ذو انتقام**)) ((**عزيز**)) من العزة وهي ثلاثة أصناف: عزة القدر، وعزة القهر، وعزة الامتناع ؛ عزة القدر بمعنى:أن الله ذو قدر شريف عظيم؛ كما قال النبي عليه الصلاة والسلام: (**السيد الله**)

هذه عزة القدر؛ عزة القهر: أنه قاهر لكل شيء لا يغلب بل هو الغالب، قال الله تعالى: ((**وهو القاهر فوق عباده**)) وقال الشاعر الجاهلي :

أين المفر والإله الطالب والأشرم المغلوب ليس الغالب

فالله سبحانه وتعالى غالب على كل شيء؛ عزة الامتناع: أي أنه عزوجل يمتنع أن يناله سوء أو نقص؛ ومن هذا المعنى قولهم: هذه أرض عزاز، أي صلبة قوية ما تؤثر فيها المعاوي ؛ ونحن نقول في لغتنا: عزا، يعني شديدة صلبة ؛ إذا فمعنى ((**عزيز**)) أي ذو العزة؛ والعزة كم قسما ؟ ثلاثة أقسام: عزة القدر، وعزة القهر، وعزة الامتناع ؛ ولهذا الذي يفسر العزيز بالغالب فقط نقول : إن تفسيره قاصر؛ بل هو يشمل المعاني الثلاثة . وقوله: ((**ذو انتقام**)) أي صاحب انتقام ؛ والانتقام أخذ المجرم بإجرامه ؛ تقول: انتقمت من زيد، يعني أخذت بحقي منه ؛ فأخذ المجرم بإجرامه يسمى إجراما ؛ كما قال الله تعالى: ((**إنا من المجرمين منتقمون**)) وهنا قال: ((**ذو انتقام**)) ولم يقل: ذو الانتقام؛ وفي الرحمة قال: ((**وربك الغفور ذو الرحمة**)) ولم يقل: ذو رحمة؛ وإن كان قال في آية أخرى: ((**وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم**)) ؛ لأن الانتقام ليس من أوصاف الله المطلقة، وليس من أسماء الله المنتقم ، ليس من أسماء الله المنتقم وليس من أوصاف الله المطلقة الانتقام ؛ بل المنتقم لا يوصف الله به إلا مقيدا؛ فيقال: المنتقم من المجرمين ؛ كما قال تعالى: ((**إنا من المجرمين منتقمون**)) أما ((**ذو انتقام**)) فهي لا تعطي الانتقام المطلق ؛ لأن الانتقام نكرة فلا تعطي المعنى على الإطلاق ؛ يعني له انتقام ، انتقام من من ؟ مقيد وإلا مطلق ؟ مقيد ، انتقام من المجرمين ؛ انتبه ! وبهذا نعرف أن الأسماء المسرودة في الحديث الذي رواه الترمذي لا تصح عن النبي صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه ذكر فيها من أسماء الله المنتقم وهذا لا يصح ؛ وحذف من أسماء الله ما ثبتت به الأحاديث ولم يذكر فيها مثل: الشافي ، والرب ؛ الرب أيضا حذف منها؛ فالمهم أن الله قال: ((**ذو انتقام**)) ولم يقل: ذو الانتقام ، ولم يصف نفسه بالمنتقم إلا مقيدا. نأخذ الآن الفوائد ؟

السائل : قوله: ((**ما بين يديه**)) ما يشمل ما يتقدم يعني الذي أمامه والذي خلفه ؟ يعني إذا أخبر القرآن بخبر ثم وقع هذا الخبر يكون القرآن مصدقا له ؟

الشيخ : بس المراد بما يديه من الكتاب كما قال تعالى سورة المائدة : ((**وأنزلنا عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب**)) ولا كتاب بعده ؛

السائل : لكن فيه أشياء وقعت ؟

الشيخ : أي صحيح لكن ما هو مصدق لما بين يديه لأنه كيف يصدق ما بين يديه ؟ يعني في المستقبل ؛ التصديق عن شيء ما تقع؛ لو قال : صادقا فيما بين يديه صح ، أن يخبر بصدق لما يستقبل ؛ فآية المائدة تقيد هذا وأيضا المعنى ما يستقيم .

السائل : شيخ أحسن الله إليكم ما الفرق بين الكفر والشرك ؟

الشيخ : الفرق بينهما : أن نقول كل شرك كفر وليس كل كفر شرك ؛ كل شرك كفر؟ نعم وليس كل كفر شرك نعم الذي يعبد الصنم مشرك وهو كافر أيضا؛ والذي يجحد ما يجب الإيمان به كافر وليس بمشرك .

السائل : شيخ ((**من قبل**)) ذكرنا الإعراب ولم يأت التفسير ؛

الشيخ : ولم يأت ؟

السائل : التفسير يعني ؛

الشيخ : القبل كل ما تقدم فهو قبل؛

السائل : ((**من قبل**))

الشيخ : من قبل هذا الكتاب ، بالنسبة للآية هذه من قبل هذا الكتاب .

السائل : بالنسبة الذي ذكرنا اسم موسى وعيسى أنها اسمان عجميان وإذا ذكرا في القرآن فهما عربيان ؛

الشيخ : معربان؛ معربان نعم؛ أيه توراة والإنجيل؛

السائل : طيب موسى وعيسى ؟

الشيخ : ذكرنا أن اسم موسى وعيسى اسمان أعجميان وإذا ذكرا في القرآن فهما معربان ؛ كل اسم أعجمي إذا ذكر في القرآن . يعني في الأصل فهو معرب وليس أصله عربيا ؛ لأنك لو تقول إنه عجمي حتى بعد نزول القرآن به ما صار القرآن بلسان عربي ؛ وهل يضر أن نقول : إن العرب لما عربوها نطقوا بها وأجروها على ألسنتهم صارت العربية بالتعريب ؟ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ((**إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء لا إله إلا هو العزيز الحكيم؛ هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب**)) أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . الظاهر أننا لم نناقش ولم نأخذ الفوائد . قال الله تبارك وتعالى : ((**نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل**)) لماذا قال في القرآن: ((**نزل**)) وفي التوراة والإنجيل: ((**أنزل**)) ؟

الطالب : لأن القرآن ما نزل جملة واحدة بل نزل بالتدريج ؛ نعم ؛ لذا قال في القرآن: ((**نزل**)) وقال في الإنجيل: ((**أنزل**)) لأن ؛ والتوراة ؛ لأن الإنجيل والتوراة نزلتا جملة واحدة ؛

الشيخ : أحسنت . قوله: ((**بالحق**)) محمد ؟ معنى بالحق ؟

الطالب : معنى بالحق أي نزله ؛ ما أدري ؛

الشيخ : شاكر؟

الطالب : إن الباء لها معنيين ، يحتمل وجهين: أولا: يحتمل الاشتمال أي أن النزول كان بالحق ولم يكن بالباطل؛

الشيخ : يعني أن ما جاء به فهو حق، صدق في الأخبار وعدل في الأحكام طيب ؛

الطالب : ووجه آخر: أن نفس النزول كان نزولا كان بالحق ؛

الشيخ : كان حقا ولم يكن كذبا كذا ؟ طيب صح ؟ يعني هو حق نازل من عند الله، وما جاء به مشتمل عليه فهو حق .قوله: ((**هدى للناس**)) ويش إعراب ((**هدى**)) ؟ أي لأجل هداية الناس . قوله: ((**وأنزل الفرقان**)) ما المراد بها عبد الله ؟

الطالب : ما يفرق به بين الحق والباطل ؛

الشيخ : لكن هل المراد به القرآن أو غيره؟

الطالب : جميع الكتب ؛

الشيخ : كل الكتب؛ إذا فالفرقان هنا وصف وليس شخصا عينا نعم . قوله: ((**إن الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد**)) ما مناسبتها لما قبلها ؟

الطالب : بعد ما ذكر الفرقان والفرقان يميز به الباطل والفرق بين الكفر والإيمان ثم فصل الذين كفروا والذين آمنوا ؛

الشيخ : يعني لما ذكر أن هذه الكتب هدى وفرقان ذكر انقسام الناس إلى كفر وإيمان فذكر حكم الكافرين . قوله: ((**والله عزيز ذو انتقام**)) عزيز يا غانم؟

الطالب : عزيز الغالب ؛ فقط؟ العزيز ذو العزة؛ طيب والعزة؟

الطالب : عزة القدر، وعزة القهر، وعزة الامتناع ؛

الشيخ : نعم . ما معنى عزة القدر يا خليل؟

الطالب : قدرة؟ أقول ما معنى القدر، عزة القدر؟

الطالب : ذو القدر؛

الشيخ : يعني ذو قدر عظيم، والقدر يعني الشرف والسؤدد وما أشبه ذلك. عزة القهر يا شيبة؟

الطالب : إنه سبحانه وتعالى هو القاهر فوق عباده؛

الشيخ : قاهر لا يغلب بل هو الغالب، نعم . ثالثة: عزة الامتناع، يوسف؟

الطالب : إنه يمتنع عليه كل وصف لا يليق بجلاله؛

الشيخ : أنه يمتنع عليه كل عيب ونقص . قوله: ((**ذو انتقام**)) معناها يا أحمد؟ خالد ؟

الطالب : صاحب انتقام ؛

الشيخ : أي صاحب انتقام؛ أي صاحب انتقام . هل هذا يدل على أن الانتقام لله وصف مطلق ؟

الطالب : لا، وإنما مقيد ؛

الشيخ : أنه ذو انتقام في محله؛ ولهذا جاءت نكرة قال: ((**ذو انتقام**)) انتقام من من؟ من المجرمين ؛ أحسنت. نرجع الآن إلى الفوائد ؟ من فوائد الآيات الكريمة السابقة أولا: إثبات ألوهية الله عز وجل ؛ لقوله: ((**الله**)) . والثاني: إنفراده بهذه الألوهية في قوله: ((**لا إله إلا هو**)) . ومن فوائد الآية : إثبات اسمين من أسماء الله: ((**الحي القيوم**)) وقد ورد أنهما اسم الله الأعظم لاشتمالهما على كمال الذات والصفات والأفعال ؛ كذا ؟ طيب . ومن فوائد الآية: إثبات حياته وقيوميته ؛ من أين تؤخذ يا فهد ؟ ((**الله لا إلا هو الحي القيوم**)) بس هذه الحي، القيوم ؛ ونحن قلنا إثبات حياته وقيوميته ؟ الحي معرف عامة ؛ كل اسم فإنه متضمن للصفة وقد يتضمن أمرا زائدا وهو الحكم الذي يسمى الأثر، أليس كذلك ؟ بلى ، طيب . من فوائد الآية الكريمة : أن كل شيء مفتقر إلى الله ، وأن الله غني عما سواه ؛ وجه ذلك: لأن كمال حياته يستلزم غناه عن كل أحد؛ وكمال قيوميته يستلزم افتقار كل شيء إليه وهو كذلك؛ قال الله تعالى: ((**ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره**)) وقال تعالى: ((**أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت**)) . أما الآية التي بعدها فمن فوائدها: إثبات علو الله؛ لقوله: ((**نزل**)) و ((**أنزل**)) والنزول لا يكون إلا من أعلى . ومن فوائدها : أن القرآن الكريم منزل؛ لقوله: ((**نزل عليك**)) . وهل كونه منزلا يستلزم أن لا يكون مخلوقا ؟ لا ، مجرد كونه منزلا لا يستلزم أن لا يكون مخلوقا؛ لأن الله قد ينزل **المخلوق** ((**ونزلنا من السماء ماء مباركا**)) والماء مخلوق، ((**أنزل من السماء ماء**)) والماء مخلوق؛ لكن بالنظر لكون القرآن كلاما يستلزم أن لا يكون مخلوقا؛ لأن الكلام صفة المتكلم؛ وصفة الخالق غير مخلوق ؛ إذا فيؤخذ أن القرآن مخلوق لكونه نزل من عند الله وهو؛ أن القرآن يؤخذ كون القرآن غير مخلوق أنه نزل من عند الله وهو كلام والكلام صفة المتكلم والصفة تابعة للموصوف . ومن فوائد الآية الكريمة: فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم وميزته؛ لقوله: ((**عليك**

الكتاب بالحق)) . ولكن قد يرد علينا أن الله سبحانه وتعالى قد يضيف الإنزال إلى الناس كما قال تعالى في سورة آل عمران: ((**قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على ابراهيم**)) في آيات للبقرة: ((**قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى ابراهيم**)) ؟ فالجواب أن نقول: هو أنزل إلى الرسول مباشرة وإلينا بواسطة ، بواسطة الرسول صلى الله عليه وسلم هو الذي بلغه إلينا؛ ومعلوم أن الأصل أشرف من الفرع . ومن فوائد الآية الكريمة: أن هذا الكتاب الذي أنزله الله على محمد صلى الله عليه وسلم مشتمل على الحق؛ لقوله: ((**بالحق**)) فقد جاء بالحق ونزل به، قال الله تعالى: ((**وبالحق أنزلناه وبالحق نزل**)) فما نوع الحق الذي نزل به القرآن ؟ نقول: ما في القرآن إما الأخبار وإما أحكام ؛ فالحق في الأحكام الصدق ؛ والحق في الأحكام العدل ، كما قال تعالى: ((**وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا**)) إذا نقول: القرآن كل ما فيه من الأخبار فهو صدق ؛ وكل ما فيه من الأحكام فهو عدل . هل يشمل ذلك أن هذه الأخبار وهذه الأحكام نافعة مصلحة للخلق ؟ الجواب: نعم ؛ قال الله تعالى: ((**نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن**)) وقال: ((**لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب**)) فكل ما فيه من الخبر فهو نافع ، وكل ما فيه من حكم فهو أيضا نافع متضمن بالمصالح ودفع المفاسد . ومن فوائد الآية الكريمة: أن القرآن نفسه حق؛ من أين يؤخذ؟ من قوله: ((**بالحق**)) يعني أنه نزل نزولا بحق ليس نزولا كذبا باطلا . ومن فوائد الآية الكريمة: فضيلة القرآن؛ لوصفه بالحق نزولا وتضمنا ، ولوصفه بالتصديق لما بين يديه؛ أنه مصدق لما بين يديه من كل الكتب ؛ لقوله: ((**مصدقا لما بين يديه**)) . ومن فوائد الآية الكريمة : أن هذا القرآن قد أخبرت عنه الكتب السابقة؛ من قوله: ((**مصدقا لما بين يديه**)) لأنه أحد الوجهين في كلمة ((**مصدق**)) . ومن فوائد الآية الكريمة: جواز التعبير بما يخالف الظاهر إذا دل عليه السياق؛ في قوله: ((**لما بين يديه**)) إذ قد يقول القائل: ليس للقرآن يد فكيف يصح أن يقول: ((**لما بين يديه**)) ؟ نقول: صحيح أن القرآن ليس له يد ونحن لا نقول: إن ((**لما بين يديه**)) أن القرآن له أيدي ، أو له يدان، وأنه صدق ما بين يديه؛ لكن نقول: إن الكلمة إذا دلت على معناها في سياقها وإن كان يخالف أصل الوضع؛ وقد سبق أن المراد ((**لما بين يديه**)) ما سبقه، ما سبقه من الكتب . ومن فوائد الآية الكريمة: أن التوراة النازلة على موسى ، والإنجيل النازل على عيسى عليهم الصلاة والسلام حق؛ لقوله: ((**وأنزل التوراة والإنجيل**)) . ومن فوئد الآية: الإشارة إلى أن التوراة والإنجيل قد نسخا بالقرآن . هل يمكن أن نقول إن ((**من قبل**)) تشير إلى أن هذين الكتابين قد مضى عهدهما وانقضى ؟ على كل حال في

المسألة ثقل، أو في الاستدلال بهذا على ما قلناه ثقل يعني أننا لا نجزم بذلك؛ لكن لنا دليل من غير هذه الآية وهو ما في سورة المائدة حيث قال الله: ((**مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليهم**)) . ومن فوائد الآية الكريمة: رحمة الله عزوجل بعباده، وعنايته بهم، حيث كان ينزل الكتب على رسله هدى للناس؛ ((**هدى للناس**)) أليس كذلك ؟ نعم . من فوائد الآية الكريمة: إثبات الحكمة لله تعالى في أحكامه الشرعية كما تثبت في أحكامه الكونية؛ لقوله: ((**هدى للناس**)) لأننا ذكرنا أن ((**هدى**)) هذه مفعول لأجله؛ أي من أجل ذلك؛ ففيها إثبات الحكمة لله؛ وهو كذلك؛ ومن أسماء الله تعالى: الحكيم؛ وهو ذو الحكمة، والحكمة هي إصابة الصواب ، وإن شئت فقل: وضع الشيء في موضعه ، وإن شئت فقل: إتقان الشيء وإحكامه ؛ والتعبيرات كلها تنصب إلى أن فعل الله عز وجل، أو إلى أن حكم الله الكوني و الشرعي كله مشتمل الحكمة . فإن قال قائل: إذا أثبتت لله الحكمة ووقع من أفعال الله أو من شرع الله ما لا نعلم له الحكمة ، أو ما نظن أن الحكمة في خلافه فما هو الجواب ؟ فالجواب: أننا إذا ظننا أن هذا ليس له حكمة فليس ذلك إلا لقصور فهمنا ، عجزنا عن إدراك الحكمة؛ وإذا ظننا أنه على خلاف الحكمة فما ذاك إلا لسوء فهمنا؛ فالذي يظن أنه ليس له حكمة قاصر الفهم، والذي يظن أنه على خلاف الحكمة سيئ الفهم؛ أما سليم الفهم هو الذي يعطيه الله تعالى فهما فستتبين له الحكمة؛ ومع ذلك لا يمكن أن ندرك كل وجوه الحكمة أبدا؛ لأن حكمة الله عزوجل لا تدرك غايتها؛ والإنسان بشر ناقص؛ وكم من أشياء أو كم من أحكام شرعية تظن أن حكمتها كذا وكذا ثم يتبين لك أن لها حكما أخرى؛ أو ربما يتبين لك أنه ليس هذه هي الحكمة بل الحكمة شيء آخر؛ إنما يجب عليك أن تؤمن بأنه ما من حكم لله كوني أو شرعي إلا وله حكمة ؛ فإن قلت: يلزم على قولك هذا أن تذهب مذهب المعتزلة في وجوب الصلاح أو وجوب الأصلح ؛ يعني إذا تعارض فعلان أحدهما أصلح من الآخر فهل يجب على الله أن يفعل الأصلح ؟ إن قلت:لا، منعت الحكمة؛ وإن قلت: نعم، ففيه إشكال؛ فيقال أولا: قد تظن أن هذا هو الأصلح وليس الأصلح؛ ولنضرب لهذا مثلا: نحن نظن أن الأصلح نزول الغيث ، وخصب الأرض ، أليس كذلك ؟ بلى ؛ فإذا امتنع المطر وأجدبت الأرض فقد يكون هذا هو المصلح أليس كذلك ؟ ونحن لم نفهم ؛ إذا لا يمكن أن نقول يجب على الله كذا لأن الأصلح ؛ إذا قد يكون لما قلنا أنه الأصلح هو الأفسد أليس هكذا ؟ بلى؛ طيب؛ ثانيا: إذا تحققنا أنه الأصلح فإن له يجب بمقتضى الحكمة لا بمقتضى العقل، فنحن لا نوجب على الله بعقولنا والعقل لا يوجب على الله شيئا؛ لأنه مخلوق ناقص فلا يوجب على الكامل الأزلي الأبدي شيئا ؛

فإذا وجب فعل الأصلح فإنما الذي أوجبه على نفسه من ؟ الله ، قال الله تعالى: ((**كتب ربكم على نفسه الرحمة**)) كتب عليه هو الذي أوجب؛ وقال: ((**إن علينا للهدى**)) فأوجب على نفسه أن يهدي الناس ويدلهم؛ كذا ؟ طيب ؛ إذا نحن نقول: إذا ثبت أن هذا هو الأصلح فقد وجب على الله بمقتضى حكمته وإيجابه نفسه لا بمقتضى عقولنا وإيجابنا عليه؛ وبهذا ننفك عن قول المعتزلة الذين يرون أن العقل هو الذي يوجب الشيء، أو الذي يمنع الشيء، أو الذي يقبح الشيء، أو الذي يحسن الشيء ؛ واضح ؟ طيب . من ذلك مثلا: البيان للخلق ، بيان الشرائع للخلق وما يجب عليهم نحو ربهم وما يجب عليه نحو عباد الله، هذا واجب على الله أو لا؟ نعم واجب على الله بمقتضى الحكمة ((**إن علينا للهدى**)) علينا وهذا تفيد أيش ؟ تفيد الوجوب . ومن فوائد الآية الكريمة: أن القرآن، أو أن هداية القرآن نوعان: عامة ، وخاصة ؛ فالعامة مثل هذه الآية: ((**هدى للناس**)) ؛ والخاصة مثل قوله: ((**هدى للمتقين**)) فما هو الفرق ؟ الفرق أن الهداية التي بمعنى الدلالة عامة؛ والهداية التي بمعنى التوفيق والاهتداء هذه خاصة، خاصة بالمتقين؛ فالهداية التي تتضمن الاهتداء هذه للمتقين؛ وأما التي تتضمن البيان والإيضاح فهذه للناس عامة؛ لقول الله تعالى: ((**رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل**)) . ومن فوائد الآية الكريمة: أن الكتب كلها فرقان تتضمن الفرق بين الحق والباطل، وبين الصدق والكاذب، وبين المؤمن والكافر، وبين الضار والنافع؛ كل ما يمكن أن يكون فيه الفرق فإن الكتب تفرقه . ومن فوائد الآية الكريمة: أنه يمتنع أن تجمع الكتب السماوية بين متفرقين؛ أو أن تفرق بين متماثلين أبدا؛ لأن الفرقان هو الذي يفرق بين شيئين مختلفين؛ أما شيئان لا يختلفان فلا تفريق بينهما . ومن هنا يمكن أن نأخذ يعني يتفرع على هذه الفائدة: إثبات القياس؛ لأن القياس: إلحاق فرع بأصل في حكم لعلة جامعة ؛ فهو جمع بين متماثلين ؛ وعدم الأخذ بالقياس تفريق بين متماثلين؛ والكتب السماوية كلها فرقان . ومن فوائد الآية الكريمة: أنه كلما اهتدى الإنسان للفروق كان أعظم اهتداء بالكتب المنزلة من الله ؛ كذا ؟ كلما اهتدوا للفروق كان أعظم اهتداء بالكتب المنزلة من السماء ؛ لأن الكتب كلها فرقان ؛ فمثلا: إذا كان الإنسان يفرق بين الشرك الأصغر والأكبر؛ وبين النفاق الاعتقادي والعملي ؛ وبين الكفر الأكبر والأصغر؛ وبين أشياء الحلة والحرام؛ كان أشد اهتداء بالكتب ممن؟ ممن لا يفرق؛ أليس كذلك ؟ نعم . رما يؤخذ من هذا أيضا: الإشارة إلى أنه ينبغي الاعتناء بمعرفة الفروق، بمعرفة الفروق بين الأشياء المتشابهة؛ وهذا شيء، أو هذا فن أخذ به بعض أهل العلم؛ ولاسيما في كتب الفقه

ويؤخذ من هذا أيضا : الإشارة إلى أنه ينبغي الاعتناء لمعرفة الفروق ، لمعرفة الفروق بين الأشياء المتشابهة؛ وهذا شيء، أو هذا فن أخذ به بعض أهل العلم؛ ولا سيما في كتب الفقه؛ مثلا يقول: أنا أذكر الفروق بين البيع والإجارة؛ بين الإجارة الجعالة ؛ بين الرهن والضمان ؛ بين الضمان والكفالة؛ بين الفرض والتطوع ؛ وهذه من فنون العلم الشريفة التي ينبغي لطالب العلم أن يعتني بها؛ كذلك في العقائد والتوحيد يفرق بين الشرك الأكبر والأصغر؛ رجل حلف بغير الله نقول هو مشرك ؛ ورجل عبد صنما نقول هو مشرك ؛ لكن بينهما فرق عظيم؛ العابد للصنم شركه أكبر، والحالف بغير الله شركه أصغر إلا أن ين إلى حلفه لغير الله جعله المحلوف عليه كالله تعالى في التعظيم فحينئذ يكون شركا أكبر لا من حيث القسم لكن من حيث أنه جعل رتبة المخلوق كرتبة الخالق . من فوائد الآية الكريمة: بيان عقوبة الكفار؛ وهو العذاب الشديد؛ وذكر عقوبة الكافر تستلزم التحذير من الكفر؛ فيكون في هذا فائدة متفرعة على الأول: التحذير من الكفر . ومن فوائد الآية الكريمة: الإشارة إلى أن الناس ينقسمون إلى قسمين: كافر له العذاب الشديد؛ ومؤمن له الثواب الجزيل؛ لأنه إذا ذكر عقوبة الضد فإن ضده يثبت له ضد تلك العقوبة؛ ولهذا لما قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (**وفي بضع أحدكم صدقة قالوا: يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته وله فيه أجر؟ قال: أرأيتم لو وضعها في الحرام أكان عليه وزر؟ فكذلك إذا وضع في الحلال كان له أجر**) وقد يكون هذا من جملة الفرقان ، من جملة الفرقان الذي يحصل حيث نفرق بين الكفار وبين المؤمنين؛ فكما اختلفوا وتفرقوا في أعمالهم فإنه يلزم أن يفترقوا في ثواب تلك الأعمال.

السائل : الأشياء التعبدية ؟

الشيخ : أي نعم هذا لقصور أفهامنا ؛ يعني مثلا كون الصلاة أربع ، وأربع ، وثلاث، وثنتين، لمن تكن ستا أو ثمانيا صحيح العقل ما له فيه مجال ، ولا يمكن ؛ لكن ما نقول إنه ليس فيه حكمة ؛ لابد فيه حكمة لكن غير معلومة لنا .

الشيخ : نادر الأشياء التي ما تبلغه عقول كل الناس نادر نعم .

السائل : مثلا الوضوء ومسح الرأس ما نعلم حكمة له ؟

الشيخ : لا ؛ نعلم له الحكمة ؛

السائل : كيف؟

الشيخ : له حكمة ظاهرة؛ لأن غسل الرأس يؤذي لو غسل الرجل رأسه وفيه شعر لاسيما في أيام الشتاء يتأذى كثيرا ؛ ثم لو غسل أيضا الرأس عال على كل شيء إذ يقطر الماء على كل بدنه وثيابه ؛

السائل : ما يستفيد يعني؟

الشيخ : المسح ؟

السائل : نعم المسح ؛

الشيخ : لا ؛ يستفيد تعبد لله ؛ أي صح تعبد ولكن؛ إذا هو تطهير وليس الغرض أيضا من الوضوء تطهير الحسي ؛ لأنك تغسل يديك مثلا بعد الطعام غسلا بالصابون ثم إذا أردت تتوضأ تغسلها ثلاثا مع إنك الآن غسلتها .

السائل : أنزل القرآن أحيانا بالتعبير مثلا أحيانا ((**أنزلنا إليك**)) وأحيانا ((**أنزلنا عليك**)) يعني أنزل ونزل؛ إليك وعليك هل فيهم فرق ؟

الشيخ : أي هو للتنوع مثلا ((**أنزلنا إليك الكتاب**)) أنزلنا باعتبار آخر النزول لنزول الجملة، أنزله كله يعني إن كان هذا آخر ما نزل فواضح إنه تم القرآن كله؛ إذا كان آخر ما هو نزل فباعتبار أنه سيكمل ؛ لأنه إذا كمل كله صار كأنه نازل جملة واحدة ؛ لأن جملة الآن كلها نزلت ؛ وأما إليك فهي تفيد الغاية يعني أن نهاية الإنزال إلى الرسول ؛ وأما عليك فهي تفيد العلو والاستقرار ؛ ولهذا قال: ((**نزل به الروح الأمين على قلبك**)) وهي أبلغ من إليك؛ لأنها إذا وصلت حتى استقرت في القلب صارت أبلغ .

السائل : المسلم الذي لا يمكن يعني ما وصل علمه إلى أن يفرق بين الحكمة من شريعة رب العالمين كلها فليس أهون أن يؤمن أن كل ما فعله رب العالمين هو بالحكمة ؟

الشيخ : هذا واجب نؤمن بأن كلما فعله يعني أو شرع فهو فيه حكمة لكن أحيانا نفهمها وأحيانا ما نفهمها؛ والمؤمن هو الذي سلم أحكام الشرعية سواء علم الحكمة أم لا ؛ أما الذي لا يؤمن إلا بعد أن علم الحكمة فهذا ما آمن إلا بعقله ، لم يؤمن بالشرع .

السائل : أحد حلف بغير الله وهذا بذلة لسانه ما قصده ؟

الشيخ : لا ليس عليه شيء ((**لا يؤاخذكم الله في اللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم وبما عقدتم الأيمان**)) ولكن يجب أن ينزه لسانه عن قول المحرم؛ أما يقول والنبي وقال له لا تحلف بالنبي فإنه شرك فيقول والنبي لا أحلف بغير الله؛ هذا ما يصح .

السائل : التوراة والإنجيل من كلام الله ؟

الشيخ : المعروف عند السلف أنها من كلام الله ؛ لكن ما أذكر حتى الآن وصفهما بأنهما من كتاب الله إنما وصفهما بأنهما منزلة وأنها كتب أما كلام الله بهذا ما فيه إلا القرآن ؟

الشيخ : نعم شاكر؟

السائل : شيخ بنسبة لبعض الشباب لا يؤمن إلا ما اختاره عقله ؟

الشيخ : أعوذ بالله هذا لا يجوز، هذا يخشى أن يكون كافرا إذا كان لا يؤمن إلا بما اختاره عقله فهو لم يؤمن بالشرع .

الشيخ : ما هو لازم أن يجد العين ؛ الله يقول: ((**ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا**)) والإنسان يجد ما أن يتعبد لله، لله ما هو لنفسه .

الشيخ : لا ما قلت السلف، قلت إن السلف قالوا إنها كلام الله ؛ الله اعلم لأن الله يقول: ((**وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء**)) وفي الحديث: (**إن الله كتب التوراة بيده**) فأنا أتوقف في هذا لكن السلف كلامهم واضح ؛ يقولون إن التوراة والإنجيل من كلام الله، والزبور ؛ لكن لاشك إنها منزلة من الله هذا يجب الإيمان به؛ يكفي هذا؟ يكفي نؤمن بأنها نازلة من الله .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . بسم الله الرحمن الرحيم. ((**إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء لا إله إلا هو العزيز الحكيم؛ هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب**)) أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم . قال الله تعالى: ((**إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء**)) وأظن أخذنا الفوائد؟ باقي؟ نعم . قال الله تعالى: ((**والله**

عزيز ذو انتقام)) سبق لنا أن العزة ثلاثة أقسام؛ فيستفاد من هذه الآية الكريمة: إثبات اسم من أسماء الله وهو العزيز بالمعاني الثلاثة السابقة . ومن فوائد الآية: أن الله تعالى موصوف بانتقام؛ لقوله: ((**ذو انتقام**)) ولكنه ليس على سبيل الإطلاق بل هو ينتقم ممن يستحق ذلك، وهم المجرمون؛ كما قال الله تعالى: ((**إنا من المجرمين منتقمون**)) ولهذا لم يرد من أسماء الله المنتقم على سبيل الإطلاق وإنما ورد مقيدا ((**إنا من المجرمين منتقمون**)) أو ورد صفة منكرة مثل: ((**ذو انتقام**)) أي صاحب انتقام وهذا لا يؤدي إلى ؛ أو لا يدل على الوصف مطلق أنه موصوف بالمنتقم؛ لأن الانتقام يكون مدحا في موضعه وأما في غير موضعه فلا يكون مدحا؛ فإذا كان الانتقام تقتضيه الحكمة صار ممدوحا وإلا فلا . ثم قال الله عزوجل: ((**إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء**)) هذه الجملة كما نرى خبرية مؤكدة بإن، وخبرها منفي؛ ((**لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء**)) ؛ والخفاء ضد الظهور؛ وفيها شيء نكرة في سياق النفي فتعم كل شيء؛ ((في الأرض ولا في السماء)) متعلقة بيخفى يعني ((**لا يخفى عليه شيء**)) لا في هذا ولا في هذا؛ والمراد بالأرض والسماء: الجنس فيشمل الأرضين والسموات جميعا؛ في هذه الآية الكريمة يخبر الله عزوجل بأنه لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء؛ وهي صفة سلبية المراد بها بيان كمال علمه؛ لأن الصفات المنفية لا يراد بها مجرد النفي كما مر علينا في العقيدة وإنما يراد بها كمال ضد ذلك المنفي؛ فإذا قال: ((**لا يخفى عليه شيء**)) لماذا؟ لكمال علمه لا يخفى عليه شيء؛ فالله عزوجل كامل **العلم** ((**لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء**)) والغرض من هذه الجملة تربية الإنسان نفسه في امتثال أمر الله واجتناب نهيه، وأنك لا تظن أن عملك يخفى على الله بل هو معلوم له فعليك أن تقوم بطاعته وتجتنب معصيته لا تقل أنا في بيتي، أنا في حجرة، أنا في غرفة لا يطلع علي أحد لأن الله مطلع عليك ((**إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء**)) . من فوائد الآية الكريمة: التحذير من مخالفة الله؛ وكيف ذلك؟ خوفا منه أن يعلم بك بمخالفتك إياه . ومن فوائد الآية الكريمة: الرد على القدرية الذين يقولون: إن الله لا يعلم الشيء الذي يفعله العبد إلا بعد وقوعه؛ وهؤلاء غلاتهم كما سبق . ومن فوائد الآية الكريمة: أن الله عالم بالكليات والجزئيات؛ مأخوذ من قوله: ((**شيء**)) النكرة في سياق النفي فيعم كل شيء . ومن فوائد الآية الكريمة: إثبات الأرض والسماء وهذا أمر معلوم لكن إذا قال قائل: وما سوى الأرض والسماء هل يخفى على الله؟ الجواب: لا؛ لكنه خص الأرض والسماء لأنه هو المشهود لنا؛ فنحن لا نشهد إلا الأرض والسماء وما عدا ذلك لا نعلمه إلا عن طريق الغيب فذكر الأرض والسماء . هل يمكن أن نقول : إن من فوائد الآية: أن صفات الله عزوجل إما منفية وإما مثبتة ؟ الجواب: نعم؛ وهذا قد سبق لنا تقسيمه في التوحيد، وقلنا: إن صفات الله عزوجل إما مثبتة وإما منفية؛ فالمثبتة يسمونها ثبوتية والمنفية يسمونها

سلبية ؛ وقلنا إن منفية متضمنة للثبوت لابد ولكنه ينفى نقص ذلك الثابت ولكمال **علمه** ((**لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء**)) . ثم قال الله عز وجل: ((**هو الذي يصوركم في الأرحام**)) وهذا من جملة معلوماته التي تخفى على كثير من الناس وهي معلومة له . ((**هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء**)) ((**يصوركم**)) أي يجعلكم على صورة معينة يختارها ويريدها؛ وقوله: ((**يصوركم في الأرحام**)) الأرحام جمع رحم وهو وعاء الجنين في بطن أمه؛ وقد بينه الله في آية ثانية أن الجنين في بطن أمه في ظلمات ثلاث؛ وهي ظلمة البطن، وظلمة الرحم، وظلمة المشيمة، مشيمة يعني الوعاء المائي الذي يكون فيه الجنين ويسمى عند العامة القمقم نعم . وقوله: ((**كيف يشاء**)) هذه حال من فاعل ((**يشاء**)) يعني أنه يصورنا على أي كيفية شاء؛ وأما قوله: ((**في الأرحام**)) فهي حال من الضمير من الكاف ((يصوركم)) يعني: حال كونكم في الأرحام؛ وقوله: ((**كيف يشاء**)) يعني لا خيار لنا في اختيار صورة معينة للجنين الذي في البطن . ثم قال: ((**لا إله إلا هو العزيز الحكيم**)) هذه الجملة الخبرية منفية مثبتة فيها الحصر الذي طريقه النفي والإثبات؛ والإله بمعنى المألوه ؛ وقوله: ((**إلا هو**)) الضمير هو بدل من الخبر المحذوف؛ أي: لا إله حق إلا هو؛ وليس اسما من أسماء الله كما تقوله الصوفية الذين يدعون أنه هو اسم من أسماء الله ويدعون به ويقولون: هو هو هو كما وهذا من شطحاتهم . ((**العزيز الحكيم**)) العزيز سبق لنا قريبا معناه وأنه ذو العزة الكاملة وأن عزة الله عزوجل ثلاثة أقسام: عزة القدر، والقهر، والامتناع. و((**الحكيم**)) فعيل بمعنى مفعل، وفعيل بمعنى فاعل؛ فعيل بمعنى فاعل، وفعيل بمعنى مفعل؛ أما فعيل بمعنى فاعل فهي كثير في اللغة العربية مثل قدير بمعنى قادر، سميع بمعنى سامع، وأما سميع بمعنى مسمع فهي واردة في اللغة العربية قال الشاعر:

أمن ريحانة الداع السميع يؤرقني وأصحابي هجوع

السميع بمعنى: المسمع الذي يسمعني؛ يؤرقني وأصحابي هجوع ؛ فتكون حكيم هنا بمعنى محكم وبمعنى حاكم؛ فالله عزوجل حاكم محكم لما حكم؛ الحاكم ينقسم حكمه إلى قسمين: حكم كوني، وحكم شرعي؛ فالحكم الكوني ما قضاه الله على عباده كونا وهذا يخذع له كل أحد من مؤمن وكافر وبر وفاجر ولا يستطيع أحد أن يتهرب منه أبدا؛ والحكم الشرعي ما قضاه الله على عباده شرعا؛ وهذا هو الذي اختلف فيه الناس فمنهم كافر ومنهم مؤمن خذع لهذا الحكم الشرعي وقام بما يجب عليه نحوه؛ ومنهم من استكبر عنه وكذب به ولم يرفع به رأسا واضح؟ ماذا قلنا؟ أولا الحكم؟ الحكم ذكرناه أنه قسمان نعم؟ الحاكم؛ لا لا لا يا أخي؛ نعم؟ آخر واحد؟ حكم شرعي ما قضاه الله على عباده؛ اصبر حكم شرعي والثاني؟ حكم كوني طيب؛ عرفت؟ يلا حكم الشرعي ما

هو؟ ما قضاه على عباده شرعا؛ والكوني؟ ما قضاه على عباده كونا؛ الحكم الكوني كل أحد يخذع له ولا يستطيع أحد أن يهرب منه؛ والشرعي؟ نعم ينقسم الناس فيه إلى قسمين: قسم قابل لهذا الحكم قائم به؛ وقسم غير قابل ولا قائم به واضح؟ نعم، طيب . قلنا: إنه من حاكم ومن محكم بمعنى متقن ؛ وهنا يكون بمعنى ذي الحكمة ؛ أي متقن لكل ما حكم به؛ فكل ما حكم الله به من حكم كوني أو شرعي فهو على أتم وجه وأتقنه وأحسنه ((**ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير**)) ((**أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون**)) هذا الحكم الكوني أو الكوني محكم، متقن ليس فيه خلل ولا نقص؛ ثم هو أيضا محكم في صفته وصورته التي هو عليها، متقن في غايته المرادة منه؛ فالحكمة قد تكون صورية أي على صورة معينة موافقة للحكمة؛ وقد تكون غائية أي الغاية منها والمصلحة والمنفعة ودفع المضار وما أشبه ذلك؛ المهم أن تكون الغاية محمودة؛ فالحكمة إذا في الحكم الكوني وفي الحكم الشرعي؛ وهي إما صورية بأن يكون الشيء على صورة مطابقة للحكمة؛ أو غائية بأن يكون الغرض منها والغاية منها غاية حميدة؛ واضح؟ كل هذا داخل في قولنا محكم . فمثلا إذا نظرنا إلى الشرع وإذا جميع المشروعات على صورة مطابقة للحكمة كالصلاة، والزكاة، والصيام، والحج؛ ثم الغرض منها أيضا موافقة للحكمة، الغرض منها إصلاح القلوب وإصلاح الأعمال، وإصلاح الفرد، و إصلاح المجتمع فكلها غاية حميدة؛ كل هذا داخل في قوله تعالى: ((**الحكيم**)) في هذه الآية عدة فوائد؛ أولا: بيان قدرة الله عزوجل حيث كان يصور المخلوقات في الأرحام؛ هو الذي يصوركم في الأرحام . ومن فوائد الآية أيضا: أن الصور يكون تصويرها بأمر الله بإذنه كيف يشاء، هذا أبيض، وهذا أسود، وهذا جميل، وهذا قبيح، وهذا طويل، وهذا قصير، وهذا غليظ، وهذا دقيق، وهكذا بل ممكن أن نقول: إنه يشمل وهذا ذكر وهذا أنثى لأن صورة الذكر تختلف عن صورة الأنثى . من فوائد الآية الكريمة: بيان رحمة الله عزوجل حيث يتولى شئون الجنين ويصوره لا يخرج غير مصور لو شاء الله لخرج الجنين غير مصور ثم صار يصور شيئا فشيئا كما ينموا عقله ولكن حكمة الله ورحمته أنه لا يخرج إلا على الصورة التي أرادها الله عز وجل . إذا قال قائل: ((**كيف يشاء**)) يستفاد منها: أن هذا التصوير لا يرجع إلى فعل العبد وإنما يرجع إلى مشيئة الله عزوجل وهو كذلك؛ لكن هذا لا ينافي أن تكون الصورة قريبة من صورة الأب، أو من صورة الأم، أو الجد، أو الجدة؛ يعني أن يكون هذا الجنين قد نزعه العرق من آبائه، وأمهاته، وأقاربه هذا لا يمنع؛ لأن الله عزوجل قد جعل لكل شيء سببا؛ ويدل لهذا قصة الرجل الذي جاء إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إن امرأتي غلاما أسود؛ وكان الرجل وزوجته أبيضين فكأنه يعرض بزوجته ويش الذي جاب الأسود ؟ فقال له النبي صلى الله عليه وسلم (**هل لك من إبل ؟ قال: فما ألوانها ؟ قال: حمر،**

قال: هل فيها من أورق . الأورق الفضي بين البياض والسواد . قال: أنى لها ذلك؟ قال: لعله نزعه عرق، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فابنك هذا لعله نزعه عرق) فاقتنع الرجل؛ لأن هذا قياس جلي واضح؛ المهم الشاهد قوله: (**لعله نزعه عرق**) فيستفاد من ذلك: أن هذه الكيفية التي يريد الله عز وجل في الأرحام لا يمنع أن يكون نزعها عرق من آبائه، أو أمهاته، أو أجداده، أو جداته . من فوائد الآية الكريمة: إثبات المشيئة؛ لقوله: ((**كيف يشاء**)) وقد ثبت لنا أن المشيئة إذا أطلقت فهي مقرونة بالحكمة فما من شيء يشاء الله إلا لحكمة . فإن قال قائل: هل في الآية دليل على أنه لا يجوز للإنسان أن يعمل عملية تجميل ؛ لقوله: ((**كيف يشاء**)) حيث جعل التصوير راجعا إلى مشيئته وحده نعم؟ قد وقد يعني قد يقال وقد لا يقال؛ قد لا يقال لأن الله أخبر في آيات كثيرة بأنه يبسط الرزق لمن يشاء، يقبض ويبسط، يقدر ويبسط؛ يعني يقدر بضيق؛ وهل نقول إنه ممنوع من أن يفعل الأسباب التي يكون بها بسط الرزق؟ لأن البسط راجع إلى مشيئة الله؟ لا، لا نقول؛ ولكن نقول: إن هنالك فرقا بين مسألة بسط الرزق وطلب البسط وبين هذه المسألة؛ لأن النصوص وردت بمنع التجميل فقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لعن النامصة والمتنمصة، والواشرة والمستوشرة ، والواشمة والمستوشمة ؛ وهذا يدل على أن الإنسان ممنوع من التجميل؛ التجميل الذي يكون دائما أما التجميل الطارئ كتجمل المرأة بالحناء وشبهه هذا لا بأس به؛ طيب إذا قال قائل: هل في الآية ما يدل رقع العيوب وإزالة العيوب لقوله كيف يشاء ؟ إذا خرج هذا الصبي له ستة أصابع في كل يد فهل يجوز أن نقطع الأصبع الزائد؟ الأخ عبد الله يقول: لا، من الذي صوره؟ الله؛ إذا كيف يشاء دع هذا لمشيئة الله؛ يقال: هذا ليس من باب التجميل قطع هذا ما هو من باب التجميل لكن من باب إزالة العيب، وإزالة العيب جاءت السنة بجوازها؛ فإن الرجل الذي أصيب أنفه وقطع أذن له الرسول عليه الصلاة والسلام أن يتخذ أنفا من ورق يعني من فضة فأنتنت فأذن له أن يتخذ أنفا من ذهب؛ لئلا يبقى أنفه مقطوعا فيه تشوه؛ فهذا يدل على أن إزالة العيب ليست كجلب الجمال، تجميل لا يجوز والعيب تجوز إزالته؛ لأنه خلاف الأصل؛ وبناء على ذلك نقول: يجوز قطع الأصبع الزائدة؛ ولكن بعض أهل العلم صرح بالتحريم وقال: إنه يحرم إلا أنهم عللوا ذلك لأنه يخشى على من قطعت أصبعه أن يموت بنزيف الدم، وهذه العلة في زمن الحاضر منتفي؛ وعلى هذا فيجوز قطع الأصبع الزائد . لو فرض أن هناك لحمة زائدة في الأذن، أو في الرأس، أو في الرقبة أتجوز إزالتها ؟ نعم تجوز كالأصبع . ومن فوائد الآية الكريمة: إثبات انفراد الله عز وجل بالألوهية ؛ لقوله: ((**لا إله إلا هو**)) . ومن فوائدها: إثبات اسمين الكريمين: العزيز، الحكيم؛ وما تضمناه من صفة؛ وقد مر علينا أن كل اسم من أسماء الله دال على الذات وعلى الوصف المشتق منه، كل اسم؛ فإن كان متعديا ففيه دلالة ثالثة وهي: الأثر المترتب على ذلك؛ فالسميع مثلا فيه إثبات للسمع وهو

السميع، والصفة وهي السمع، والأثر وهو أنه يسمع؛ وهكذا العليم؛ أما ما لا يتعدى للغير ففيه إثبات الاسم والصفة فقط مثل: الحي، العظيم، العلي هذا لا يتعدى للغير . ثم قال الله عز وجل: ((**هو الذي أنزل عليك الكتاب**)) هو الضمير يعود على ((**الله**)) وتأمل هنا ترابط الآيات بعضها من بعض لما ذكر الله عزوجل أنه هو المصور وأنه ابتداء الخلق ذكر بعده إنزال الكتاب الذي به الهداية مثل: ((**الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان**)) فأحيانا يبين الله النعمة الدينية قبل، وأحيانا يبين الله النعمة الدنيوية قبل؛ فالتصوير هنا بدأ الله به ثم ذكر إنزال القرآن؛ لكن ((**الرحمن علم القرآن**)) ذكر تعليم القرآن قبل خلق الإنسان . ثم قال: ((**هو الذي أنزل عليك الكتاب**)) والمراد به القرآن وسبق معنى كونه كتابا: أنه مكتوب في لوح المحفوظ، وفي الصحف التي بأيدي الملائكة، وفي الصحف التي بأيدينا . ثم قسم الله هذا الكتاب فقال: ((**منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر**)) يعني ومنه أخر ((**متشابهات**)) وهنا يتعين أن نقول: ومنه أخر ليتم التقسيم؛ قوله: ((**آيات محكمات**)) الآيات جمع آية وهي العلامة وكل آية في القرآن فهي آية على منزلها لما فيها من الإعجاز والتحدي؛ وقوله: ((**محكمات**)) أي متقنات في الدلالة والحكم والخبر؛ يعني أخبارها وأحكامها متقنة معلومة ما فيها إشكال ؛ ((**وأخر متشابهات**)) يعني أن أحكامها غير معلومة أو أخبارها غير معلومة فصار المحكم المتقن في الدلالة سواء كان خبرا أو حكما؛ المتشابه الذي دلالته غير واضح سواء كان خبرا أو حكما . ثم قال: ((**هن أم الكتاب**)) قدم وصف هذه المحكمات وبيان هذه ليتبادر إلى الذهن أول ما يتبادر أنه يرد المتشابهات إلى المحكمات لأنها أم؛ وأم الشيء مرجعه وأصله؛ قال الله تعالى: ((**يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب**)) أي المرجع وهو اللوح المحفوظ الذي ترجع الكتابات كلها إليه؛ ومنه سميت الفاتحة أم الكتاب لأن مرجع القرآن إليها ؛ فهذه المحكمات يجب أن ترد المتشابهات إليها، إلى هذه المحكمات . قال الله تعالى: ((**وأخر متشابهات**)) متشابهات في أيش؟ في الدلالة سواء كان حكما أو خبرا ؛ ولهذا نجد أن بعض الآيات لا تدل دلالة صريحة على الحكم الذي استدل بها عليه، وبعض الآيات خبرية أيضا لا تدل دلالة صريحة على الخبر الذي استدل بها عليه ؛ فماذا نعمل ؟ قال: ((**فأما الذين في قلوبهم زيغ** ...)) ينقسم الناس بالنسبة إلى هذه المتشابهات إلى قسمين: قسم يتبعون المتشابه ويعضونه أمام الناس، يعرضونه على الناس يقول: كيف كذا، كيف كذا ؛ وقسم آخر ((**يقولون آمنا به كل من عند ربنا**)) وإذا كان كل من عند ربنا فإنه لا يمكن أن يتناقض ولا يمكن أن يتخالط بل هو متحد متفق فيرد المتشابه منه إلى المحكم ويكون الجميع محكما . يقول الله عز وجل: ((**فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه**)) الزيغ بمعنى الميل ؛ ومنه قولهم: زاغت الشمس إذا مالت عن كبد السماء . ((**الذين في قلوبهم زيغ**)) أي ميل عن الحق ولا يريدون الحق،

يتبعون المتشابه فتجدهم . والعياذ بالله . يأخذون آية القرآن التي فيها اشتباه حتى يضربوا بعضها ببعض؛ وما أكثر هذا عند النصارى ؛ النصارى الآن يدخلون تشكيكات كثيرة على المسلمين في المتشابه ؛ مثلا يقولون: إن الله ثالث ثلاثة عندنا دليل ألستم تقرءون في القرآن: ((**إنا نحن نزلنا**)) ؟ ((**وإذ أخذنا من النبيين**)) صيغة الضمير صيغة جمع؛ إذا فالله تعالى أكثر من اثنين ثلاثة؛ وهكذا يؤتون بأشياء يموهون بها الناس لأن في قلوبهم زيغا؛ كذلك أيضا بعض الآيات ظاهرها التعارض مثل قوله تعالى: ((**يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثا**)) هنا قال: ((**لا يكتمون الله حديثا**)) وفي آية أخرى يقول: ((**ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين**)) فكتموا ولا لا؟ إلا كتموا قالوا : ((**والله ربنا ما كنا مشركين**)) كتموا، أنكروا أن يكونوا مشركين؛ كذلك أيضا يأتيك يقول: ((**يوم تبيض وجوه وتسود وجوه**)) وقال في آية أخرى: ((**ونحشر المجرمين يومئذ زرقا**)) ثم يأتيك ويقول: ((**ولا يؤذن لهم فيعتذرون**)) في آية أخرى: يعتذرون ؛ يقولونك إنه لو ردوا إلى الدنيا لصلحوا واستقامت أحوالهم فيعتذرون؛ المهم أن الذين في قلوبهم زيغ يأتون بهذه الآيات المتشابهة ليصدوا عن سبيل الله، ويشككوا الناس في كلام الله عزوجل يعني: وأما الذين ليس في قلوبهم زيغ وهم الراسخون في العلم الذين عندهم من العلم ما يتمكنون به ما يجمع بين الآيات المتشابهة وأن يعرفوا معناها؛ فهؤلاء لا يكون عندهم التشابه ؛ ((**يقولون آمنا به كل من عند ربنا**)) فلا يرون في القرآن شيئا متعارضا منا قضا . يقول إنه قوله: ((**يصوركم**)) هل يؤخذ منها أن الجنين في بطن أمه لو سقط قبل أن يصور فليس له حكم ؟ ما يؤخذ، ما هي واضحة .

الشيخ : ألم تقرأ قول الله تعالى: ((**إني أراني أعصر خمرا**)) ؟

الطالب : خمر ما هو بعصير يعصر العنب فيكون خمرا .

الشيخ : أي نعم الميل الذي عليه يجوز ،

السائل : إذا كان فيه ضرر

الشيخ : لاسيما إن كان منه ضرر؛ كذلك بنسبة الأسنان إذا كان اختلافها اختلافا مشوها فلا بأس بتعديله ؛ لكن إذا كان اختلافها اختلافا يسيرا لكن يريدون أن تكون كسن واحد فهذا لا يجوز هذا من جنس الوشم ، هذا الوشم .

الشيخ : التغيير المأمور به مأمور به ؛ فالختان مثلا تغيير لخلق الله فهو مأمور به ؛ إزالة الشارب تغيير لخلق الله وهو مأمور به .

الشيخ : نعم أن الشارع لا يمنع الإنسان من إزالة الشيء التي يعتبر عيبا عند الناس . قص الشارب الآن هي العمدة في هذه المسألة .

الشيخ : هذا الذي وضع الآن ما هو تكميل له ؟ نعم فجعل له تكميلا ، هذا إذا أزال يكون تكميلا له؛ لأن الناس الآن يعتبرون الذي فيه زيادة يعتبرونه عيبا؛ فهو مزيل لعيب .

السائل : هل يجوز أن يقول: بسم الله الرحيم الرحمن، بدلا من بسم الله الرحمن الرحيم ؟

الشيخ : قصده التلاوة بخلاف القرآن أو لا ؟ إذا كان قصده التلاوة فحرام ؛ لأن القرآن مركب في كلماته ، ومركب في آياته أيضا .

السائل : شيخ جزاك الله خير هناك من قال: ((**وأخر متشابهات**)) أنها في الأسماء والصفات ؟

الشيخ : سيأتي إن شاء الله هذا في الفوائد .

((هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب))

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. قال الله تعالى: ((**هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات**)) سبق لنا أن الله سبحانه وتعالى بين أنه قسم القرآن إلى قسمين: آيات محكمات أي واضحات المعنى لا يخفى معناهن على أحد؛ والثاني: آيات مشتبهات فيهن خفاء في الدلالة أو في التعارض بينهن وبين غيرهن ، أو غير ذلك من أسباب التشابه؛ وهذه الآيات المتشابهات ينقسم الناس فيها إلى قسمين: قسم في قلوبهم زيغ، أي ميل عن الحق؛ فهؤلاء اتبعوا المتشابه، وصاروا يأتون بالمتشابه يلبسون به على الناس وابتغاء الفتنة؛ وذلك ((**ابتغاء تأويله**)) أي طلب تأويله لما يريدون هم لا لما يريد الله عزوجل؛ وهذا كثير كل أهل البدع من الرافضة والخوارج والمتزلة والجهمية وغيرهم كلهم اتبعوا ما تشابه منه؛ كلهم اتبعوا ما تشابه منه لكن منهم مقل ومستكثر؛ فهؤلاء يتبعون المتشابه لهذين الغرضين، أو لأحدهما؛ ما هما؟ ابتغاء الفتنة أي سد الناس عن دين الله؛ لأن الفتنة بمعنى السد عن دين الله كما قال الله تعالى: ((**إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق**)) فتنوهم يعني سدوهم عن دين الله ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم . ((**وابتغاء تأويله**)) أي طلب تأويله لما يريدون هم، يفسرونه على مرادهم لا على مراد الله سبحانه وتعالى . وسبق لنا أن قوله: ((**وأخر**)) ليست معطوفة على قوله: ((**آيات**)) ((**منه آيات محكمات**)) لفساد المعنى ، وأن أخر مبتدأ خبره محذوف ؛ يعني: ومنه أخر متشابهات ؛ وذكرنا له نظيرا وهو قوله تعالى: ((**فمنهم شقي وسعيد**)) فإن سعيد هنا ليست معطوفة على شقي ؛ لأنها لو كانت معطوفة عليه لفسد التقسيم ؛ ولكن التقدير: منهم شقي ومنهم سعيد ؛ هذا أيضا: منه آيات محكمات ، ومنه أخر متشابهات . الاشتباه قلنا: إنه الاشتباه في المعنى، يكون المعنى غير واضح ، أو اشتباه في العارض يظن الظان أن القرآن يعارض بعضه بعضا وذكرنا من ذلك أمثلة فيما سبق ؛

الطالب : ما ذكرنا شيخ ؟

الشيخ : كيف ما ذكرنا ؟ ذكرنا أمثلة وأجبنا عنهن؛ قلنا: لا يمكن أبدا أن يكون في القرآن شيء من التعارض إطلاقا، لا يمكن؛ لأن الله يقول: ((**لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا**)) يعني ولما كان من عند الله لم يكن فيه اختلاف؛ فهو يصدق بعضه بعضا؛ ولكن التعارض الذي ما يفهمه من يفهمه من الناس يكون إما لقصور في العلم، أو قصور في الفهم هذا اثنين؛ أو تقصير في التدبر هذه ثلاثة؛ أو سوء ظن من حيث يظن أن القرآن يتعارض فإذا ظن هذا الظن لم يوفق للجمع

بين النصوص يحرم الخير؛ لأنه ظن ما لا يليق بالقرآن؛ فهذا هو أسباب ظن التعارض ممن يظن التعارض؛ أسباب أربعة؟ هي؟ قصور العلم، أو قصور الفهم، أو التقصير في التدبر، أو سوء القصد؛ فإذا وجد من هذه الأمور الأربعة حينئذ يحصل التشابه؛ أما من أعطاه الله علما وفهما وحسن قصد الرابع، وحسن الظن فإنه لا يحصل لديه تعارض في القرآن الكريم؛ لأن عنده كمال في العلم، وكمال في الفهم، ونشاط في التدبر، وحسن النية وقصد فهذا يوفق، يوفقه الله تعالى فيعرف كيف يجمع بين ما ظاهره التعارض، أو كيف يعرف هذا متشابه .

قال الله تعالى: ((**وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم**)) هذه الآية الكريمة اختلف السلف في الوقف عليها؛ فأكثر السلف وقف على قوله: ((**إلا الله**)) وجعل الوقف هنا لازما، يعني يجب أن تقف تقول: ((**وما يعلم تأويله إلا الله**)) ثم تبتدأ فتقول: ((**والراسخون في العلم يقولون آمنا به**)) وعلى هذا فيكون هنا في قوله: ((**والراسخون في العلم**)) للاستئناف ((**والراسخون**)) مبتداء؛ وجملة ((**يقولون**)) خبر مبتدأ ؛ وهذا الذي عليه أكثر ؛ يعني هذا المتشابه لا يعلم تأويله المراد به إلا الله عز وجل ؛ والراسخون في العلم الذين لم يعلموا لا يكلفون في ذلك الفتنة وإنما يقولون: ((**آمنا به كل من عند ربنا**)) وليس في كلام ربنا تناقض ولا تعارض فيسلمون الأمر إلى الله عز وجل؛ لأنه هو العالم بما أراد؛ فينقسم الناس إذا إلى قسمين: ((**الراسخون في العلم يقولون آمنا به**)) ((**والذين في قلوبهم زيغ يتبعون ما تشابه منه**)) .

ووصل بعض السلف ولم يقف، أي قرأ: ((**وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم**)) فتكون الواو للعطف ؛ ((**والراسخون**)) معطوفة على لفظ الجلالة أي: ما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم بخلاف الذين في قلوبهم زيغ وليس عندهم علم فهؤلاء لا يعلمون؛ والحقيقة أن ظاهر القراءتين أن ظاهرهما التعارض؛ لأن قراءة الأولى تقتضي أنه لا يعلم تأويل هذا المتشابه إلا الله؛ والقراءة الثانية تقتضي أن هذا المتشابه يعلم تأويله الله والراسخون في العلم؛ فيكون في ظاهر القولين التعارض؛ ولكن الصحيح أنه لا تعارض بينهما، وأن هذا الخلاف مبني على الاختلاف في معنى التأويل في قوله: ((**وما يعلم تأويله إلا الله**)) فإن كان المراد بالتأويل التفسير فقراءة الوصل أولى؛ لأن الراسخين في العلم يعلمون تفسير القرآن والمتشابه ولا يخفى عليهم برسوخهم في العلم وبلوغهم عمق العلم؛ لأن الراسخ في الشيء الثابت فيه المتمكن منه؛ فهم لتمكنهم وثبوت أقدامهم في العلم وتعمقهم فيه يعلمون ما يخفى على

غيرهم؛ فإذا جعلنا التأويل بمعنى التفسير فقراءة الوصل أولى؛ أما إذا جعلنا التأويل بمعنى العاقبة والغاية المجهولة فالوقف على: ((**إلا الله**)) أولى ؛ لأن عاقبة هذا المتشابه وما يعول إليه أمر مجهول لكل الخلق. فإذا قال القائل: الآن نطلب أمرين: الأمر الأول: التأويل يكون بمعنى التفسير؛ والأمر الثاني: أن التأويل يكون بمعنى العاقبة المجهولة التي لا يعلمها إلا الله؟ الجواب على ذلك نقول: نعم لابد من هذا وهو موجود في القرآن أولا: التأويل بمعنى التفسير مثل قول صاحبي السجن يوسف عليه الصلاة والسلام قال أحدهما: ((**إني أراني أعصر خمرا وقال الآخر إني أراني أحمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه نبئنا بتأويله**)) أي بتفسير هذه الرؤيا أيش معناه نعم؟ ففسرها له؛ ومن ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم لابن عباس: (**اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل**) أي تفسير الكلام ومعرفة معناه؛ وأما التأويل بمعنى العاقبة فمنه قوله تعالى: ((**هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله يقولون الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق**)) فقوله: ((**هل ينظرون إلا تأويله**)) يعني: عاقبته؛ ((**يوم يأتي تأويله**)) يعني: تأتي عاقبته التي وعدوا بها ((**يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق**)) ومنه قوله تعالى: ((**ذلك خير وأحسن تأويلا**)) يعني: أحسن عاقبة ومآلا ؛ فتبين بهذا أن كلمة تأويل صالحة للمعنيين جميعا التفسير والعاقبة؛ فإذا جعلنا بمعنى التفسير فلا ريب أن الراسخين في العلم يعلمون تفسير القرآن ولا يخفى عليهم شيء؛ ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن ينزل الله تعالى على عباده كتابا يسألهم عنه يوم القيمة وهم لا يعرفون معناه؛ أليس كذلك ؟ لا يمكن أبدا أن ينزل عليهم كتابا يسألهم عنه يوم القيمة وهم لا يعرفون معناها؛ صحيح أنه لا يعرفه البعض لكن الراسخين في العلم لابد أن يعلموه وإلا لبطلت الحجة؛ فلابد من معرفة هذا الكتاب المنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وأما إذا قلنا بأن التأويل ما آل إليه الأمر، وما كان عليه في نفس الواقع مما هو مجهول لنا فهنا يتعين الوقوف على قوله: ((**وما يعلم تأويله إلا الله**)) نعم . واعلم أن كثيرا من الناس الذين يتكلمون في العقائد فسروا المتشابه بآيات الصفات، قالوا: إن المتشابهات هن آيات الصفات؛ ولكن لاشك أن تفسير المتشابهات بآيات الصفات على الإطلاق ليس بسليم ولا بصحيح؛ لأن آيات الصفات معلومة مجهولة؛ معلومة مجهولة؛ فهي من حيث المعنى معلومة ولا يمكن أن يخاطبنا الله عز وجل ويحدثنا عن نفسه بأمر مجهول لا نستفيد منه وليس هو بالنسبة إلينا إلا كنسبة الحروف الهجائية التي ليس فيها معنى؛ هذا غير ممكن إطلاقا؛ نعم هي مجهولة من جهة أخرى وهي الحقيقة والكيفية التي هي عليها فهذا مجهول لنا لا نعلم كيفية الله ولا ندرك حقيقته، لا نعلم كيف وجه الله ولا ندرك حقيقته؛ لا ندرك حقيقة

علم الله عز وجل ولا ندرك كل صفاته لا ندرك حقائقها؛ لأن الله يقول: ((**ولا يحيطون به علما**)) فمن زعم أن آيات الصفات من المتشابه على سبيل الإطلاق فقد أخطأ؛ فالواجب أيش؟ الواجب التفصيل؛ فنقول: إن أردت بكونها من المتشابه تشابه الحقيقة التي هي عليها فأنت مصيب؛ وإن أردت بالمتشابه تشابه المعنى وأن معناها مجهول لنا فأنت مخطئ غاية الخطأ؛ وقد ذهب إلى هذا من ذهب من الناس وقال: إن آيات الصفات وأحاديثها مجهولة لا نعلمها لا يعلمها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا أبو بكر، ولا عمر، ولا عثمان، ولا علي، ولا ابن مسعود، ولا ابن عباس، ولا فقهاء الصحابة، ولا فقهاء التابعين، ولا أئمة الإسلام كلهم لا يدرون ما معناها؛ تقول لهم: ما معنى استوى على العرش؟ فيقول: الله أعلم ؛ تقول لهم: ما معنى: ((**بل يده مبسوطتان**)) ؟ يقول: الله أعلم ؛ ما معنى: ((**ويبقى وجه ربك**)) ؟ الله أعلم كل شيء الله أعلم؛ كل شيء يتعلق بصفات الله يقول: الله أعلم؛ والغريب أن هذا القوم في غاية ما يكون من السقوط؛ وإن كان بعض الناس يظن أنه مذهب أهل السنة، أو أنه مذهب السلف؛ حتى أدى بهم الأمر إلى هذه الكلمة الكاذبة؛ طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم؛ هذه الجملة والقضية من أكذب القضايا أن تكون طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم؛ لكن نقول: طريقة السلف أسلم وأعلم وأحكم؛ المهم أن من الناس من يظن أن مذهب السلف هو التفويض وعدم معرفة المعنى وعدم الكلام به حتى النبي عليه الصلاة والسلام على زعمهم يقول: (**يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر كلاهما يدخل الجنة**) لو سألته تقول: يا رسول الله ما معنى يضحك؟ قال:ما أدري؛ (**ينزل ربنا إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر**) لو سألته ويش معنى ينزل؟ قال: لا أدري؛ وأنا أعجب كيف يستقيم لسان شخص يدعي أن هذا مذهب سلف من الصحابة والتابعين وتابعيهم إلى يوم القيمة ؛ هذا بعيد من الصواب؛ إذا نقول: آيات الصفات من المتشابه في الحقيقة والكيفية التي عليها لأن الإنسان بشر لا يمكن يدرك هذه الصفات العظيمة؛ لكن في المعنى محكمة معلومة لا تخفى على أحد؛ كلنا يعرف ما معنى العلم، كلنا يعرف ما معنى الاستواء، كلنا يعرف ما معنى الوجه، ما معنى اليد؛ ولهذا قال الإمام مالك رحمه الله قوله المشهور الذي روي عن شيخه قال: " **الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة** " . أيه لكن إذا قلت: أفهمتم وقال بعضكم نعم وسكت الباقون معناه أنهم كلهم فاهمين؛ الواجب على من لا يفهم؛ لا، إذا قلت : أنا فهمت معناه انقطعت كلام ال ؛ فإذا قلت فهمت وأنت ما فهمت لازم تبين؛ أقول مثلا: نحن نعلم معنى العين أو لا؟ لكن حقيقة عين الله

وكيفيته معلوم ولا غير معلوم؟ غير معلوم ؛ مع أن عيننا معروفة مكونة من طبقات متعددة ومن عروق ومن كذا ومن كذا ومن كذا معروفة؛ لكن عين الله لا يمكن أن تقول بها هكذا، مجهولة لك؛ إذا هي حقيقتها غير معلومة ولكن معنى العين وهي التي يحصل بها النظر والرؤية أمر معلوم ؛ يد الله عز وجل هي معلومة أو لا؟ معلومة حقيقة ؛ هي معروف اليد معروفة والأصابع معروفة، والقبض باليد معروف، والأخذ باليد معروف أو لا؟ ولكن حقيقة هذه اليد وكيف هي ما تعرف ما نستطيع نتكلم فيها ؛ ومن ادعى العلم فيها فهو كافر، من ادعى العلم بهذا فهو كافر؛ هذا معنى الحقائق؛ فالحقائق شيء والمعاني شيء آخر؛ بأننا لو نقول إننا لا نعلم معاني آيات الصفات أنه سيفوتنا ثلاثون في المائة من معاني القرآن أو أكثر؛ لأن ما تجد آية إلا وفيها اسم من أسماء الله أو صفة من صفاته نعم؟ طيب . يقول: ((**وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم**)) من الراسخون في العلم ؟ الثابتون الذين وصلوا إلى عمق العلم؛ لأن الرسوخ في العلم الثبوت والاستقرار . ((**يقولون آمنا به**)) بالمحكم وبالمتشابه ، أما المحكم فظاهر أنهم يؤمنون به لأنهم عرفوا معناه واطمئنوا إليه؛ وأما المتشابه فإيمانهم به هو التسليم؛ ولهذا قال فيه: ((**كل من عند ربنا**)) ولا يمكن أبدا أن يكون فيه تعارض أو تناقض . طيب هنا قسم الله القرآن إلى قسمين ولكنه في موضع آخر جعله قسما واحدا؛ فقال الله: ((**نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم** ...)) وقال في آية أخرى: ((**آلمر تلك آيات الكتاب الحكيم**)) وقال: ((**كتاب أحكمت آياته ثم فصلت**)) ولم يترك تشابه؛ نقول: هذا أيضا من المتشابهات، أليس كذلك ؟ لأنه كيف يوصف القرآن بأوصاف ظاهرها تعارض؛ فنقول: الراسخون في العلم يعلمون أن لا تعارض؛ فيقولون: المتشابه الذي وصف به القرآن غير مقرون بالمحكم يراد به الكمال والجود والهداية ؛ نعم في الكمال والجود والهداية فهو متشابه؛ كل آياته متشابهة كلها كاملة بلاغة كلها كاملة في الخبر، كاملة في الأمر والنهي، فهو متشابه من حيث الكمال والجودة والأحكام والأخبار وغير ذلك؛ محكم إذا ذكرت محكم بدون ذكر المتشابه أنه متقن، متقن ليس فيه تناقض ولا تعارض، ولا في الخبر، ولا في الحكم؛ فإذا ذكر الأحكام والتشابه حمل الأحكام على معنى والتشابه على معنى آخر؛ يحمل الأحكام على أيش؟ على الوضوح إذا ذكر الأحكام والتشابه؛ إذا ذكر الأحكام وذكر التشابه صار كل واحد منهما قسيم للآخر؛ فإذا كان تشابه ويش قسيمه؟ الواضح، نعم الواضح البين . فـ ((**منه آيات محكمات**)) أي بينات واضحات؛ ((**وأخر متشابهات**)) قسيمتها ضدها؛ واضح الآن ؟ نعم، طيب . يقول الله عز وجل: ((**وما يذكر إلا أولوا الألباب**)) ما نافية؛ ((**يذكر**

)) أصلها: يتذكر لكن قلبت التاء ذالا وأدغمت في الذال الأخرى صارت ((**وما يذكر**)) أي: لا يتعظ وينتفع بالقرآن إلا أولوا الألباب؛ أي: إلا أصحاب العقول ؛ لأن الألباب جمع لب، واللب هو العقل؛ والمراد بالعقل هنا عقل الإدراك أو عقل التصرف أو الأمران؟ يشمل؛ لكن الأهم عقل التصرف؛ عقل إدراك الذي ضده الجنون؛ وعقل التصرف الذي ضده السفه؛ فالذي يتذكر بالقرآن هو الإنسان الذي أعطاه الله عقلا يدرك به الأشياء، وأعطاه الله تعالى رشدا يحسن به التصرف هذا هو الذي يتذكر؛ وأما من أعطاه الله تعالى عقلا يدرك به أشياء وهو العقل المضاد للجنون ولم يعطه عقلا يحسن به التصرف وهو العقل المضاد للسفه فهذا لا ينتفع بالقرآن؛ لا ينتفع إلا العاقل عقل إدراك وعقل تصرف . في هذه الآية الكريمة فوائد جليلة كثيرة أولا: أن هذا القرآن كلام الله؛ لقوله تعالى: ((**هو الذي أنزل عليك الكتاب**)) . فإن قال قائل: يرد عليك ((**وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد**)) ((**أنزل من السماء ماء**)) فهل تقول إن الحديد كلام الله، وإن الماء كلا الله؟ لا، لا؟ كلكم تقولون لا؟ طيب لماذا جعلتم أن هذا يدل أن القرآن كلام الله؟ نقول: لأن الكلام صفة لا تقوم بذاته، لا تقوم إلا بمتكلم، بخلاف الماء وبخلاف الحديد فإنه عين قائمة بنفسه فتكون المخلوقة وأما القرآن فليس بمخلوق؛ لأنه صفة الخالق عز وجل؛ والمخلوق شيء بائن عن الخالق، منفصل عنه؛ لكن الكلام صفة هي فعله فليس بمخلوقة. ومن فوائد الآية الكريمة: إثبات علو الله عزوجل؛ والإنزال لا يكون إلا من الأعلى إلى الأسفل؛ فإذا كان القرآن كلامه ونزل إذا الله فوق وهو كذلك؛ ومذهب أهل السنة والجماعة بل مذهب الرسل كلهم أن الله تعالى فوق كل شيء؛ ألم تروا إلى فرعون ((**قال يا هامان ابن لي سرحا لعلي أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى**)) وهذا يدل على أن موسى قال له إن الله فوق . والعلو لله عز وجل ثابت بالقرآن، والسنة، والإجماع، والعقل، والفطرة؛ خمسة أنواع من الأدلة: الكتاب، السنة، والإجماع، والعقل، والفطرة؛ أما الكتاب فأدلته أكثر من أن تحصى وهي أدلة متنوعة تارة بذرك العلو، وتارة بالفوقية، وتارة بنزول الأشياء منه، وتارة بصعود الأشياء إليه، وتارة بذكر في السماء؛ والسنة كذلك متواترة بذكر علو الله ومتنوعة: فتارة بقول الرسول عليه الصلاة والسلام، وتارة بفعله، وتارة بإقراره؛ أما قوله: فكان يقول في كل صلاة: سبحان ربي الأعلى؛ وأما فعله: فقد أشار إلى السماء غير مرة، يشير إلى السماء في الدعاء يرفع يديه إلى السماء، وأشار إلى السماء حين أشهد ربه على أمته أنهم أقروا لإبلاغه الرسالة، متى؟ في حجة الوداع في يوم عرفة في أكبر مجمع للمسلمين في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم؛ وأما إقراره: (**فسأل الجارية أين الله؟ قالت: في السماء قال أعتقها فإنها مؤمنة**) وأما

الإجماع فقد أجمع السلف من الصحابة والتابعين وأئمة الهدى بعدهم على أن الله تعالى فوق كل شيء، ولم ينقل عن واحد منهم أنه قال إن الله في كل مكان ولا أنه قال: إن الله لا يوصف بأنه فوق العالم ولا تحته ولا خارج العالم ولا داخله ولا متصل ولا منفصل أبدا ما أحد قال هذا؛ وأما العقل فإنا لو سألنا أي إنسان ما تقول في العلو أهو صفة كمال أو نقص؟ لقال: صفة كمال؛ والعقل يقول: كل صفة كمال فهي ثابت لله عز وجل فيثبت العلو لله بدلالة العقل من هذه الناحية أو لا؟ طيب؛ أما الفطرة فحدث ولا حرج؛ الإنسان الذي لم يتعلم ولا يدري عن كلام العلماء في هذا إذا سأل الله أين يرفع يديه؟ إلى السماء؛ ما رأينا أحدا لما أراد أن يدعوا وضع يديه على الأرض أبدا ولا روح يمين ولا يسار، يرفعها إلى السماء؛ ولهذا استدل أبو على الهمداني على أبي المعالي الجويني بهذا الدليل ال حتى إن الجويني لم يتمالك إلا أن صرخ وضرب على رأسه وقال: حيرني؛ لأن أبو المعالي الجويني رحمه الله كان يحدث الناس ويقول: كان الله ولا شيء صح ؟ صحيح هذا؟ كان الله ولا شيء صح؟ هو الأول الذي ليس قبله شيء؛ وهو الآن على ما كان عليه؛ شف كلمة هذه موهمة؛ ماذا يريد وهو الآن على ما كان عليه؟ يعني غير مستوي على العرش؛ لأن العرش لم يكن، وقد كان الله ولا شيء وهو الآن على ما كان عليه؛ إذا فلم يستوي على العرش؛ فقال له أبو على الهمداني قال له: يا أستاذ دعنا من ذكر العرش لأن استواء على العرش غير عقلي لا عقلي ولا فطري؛ دليله شملي؛ لأنه لو لا أن الله أخبرنا بأنه استوى على العرش ما علمنا ذلك ولا علمنا العرش كل ما نعلم؛ أخبرنا عن هذه الضرورة التي نجدها في نفوسنا ما قال عارف قط يا الله إلا وجد من قلبه ضرورة بطلب العلو، كل واحد يسأل الله يقول: يا الله وين روح قلبه؟ فصرخ ضرب على رأسه قال: حيرني؛ لأني لا أجد جوابا عن هذه الفطرة؛ فعلو الله . الحمد لله . قد دل عليه الكتاب، والسنة، والإجماع، والعقل، والفطرة؛ ولو لا قول من ا الشياطين ما كان يحلم الإنسان أو يفكر في أن الله تعالى في كل شيء، في كل مكان أبدا، ولا يخطر على باله، ولا يفكر أننا نسلب الله عنه كل صفة؛ فنقول: لا فوق العالم ولا تحته، ولا يمين العالم ولا شمال العالم، ولا داخل العالم ولا خارج العالم، ولا متصل بالعالم ولا منفصل عن عالم وين يروح؟ هذا عدم . أعوذ بالله . والغريب أن هؤلاء يرون أنهم نزهوا الله، وهم لو قيل لهم: صيفوا لنا العدم ما وجد أحسن من هذا الوصف . نسأل الله أن لا يزيغ قلوبنا . إذا العلو علو الله عزوجل ثابت بخمسة أدلة أنواع ما هي أفراد أفرادها لا تحصى لكن أنواعه خمسة: الكتاب، والسنة، والإجماع، والعقل، والفطرة.

السائل : شيخ ما هي المتشابه أوائل السور؟

الشيخ : ما تقولون في هذا يقول: ما هي متشابه في أوائل السور؟ كل أوائل السور من المتشابهة والسور التي هي بحروف الهجائية نقول هذا غير صحيح؛ لأننا نعلم أن هذه الحروف ليس لها معنى في ذاتها، علمنا هذا من القرآن قال: ((**نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين**)) واللسان العربي المبين لا يجعل لهذه الحروف معنى؛ إذا فلا معنى لها فهي واضحة. قال العلماء: معنى التأويل أي التفسير على غير مراد الله؛ يعني يريد ما نفسره على غير مراد الله سواء افتتن به الناس أو لم يفتتن؛ فيؤدي إلى الشكوك في أنفسهم هم أنفسهم أيضا يتشككون في هذا . أي هو المعلوم لابد أن يفهم، هو لا يمكن يفسر إلا على هذا المعنى يعني قصدي تأوله الذي لا يعلمه إلا الله؛ هم يقولون فيما لا يعلمه إلا الله: لا نقول فيه شيء يمسكون عنه؛ وإلا نعم لو فسروه بغير ما أراد الله كلا؛ إنما هم يتبعون المتشابه لأجل أن يقول للناس تفضل شف القرآن متناقض؛ أو يأتون بآيات غير واضحة المعنى ثم يفسرونها بما يريدون هم . هذا استثناء مفرغ ؛ لأن ((**الله**)) هي الفاعل مثل :لا إله إلا الله ؛ هذا استثناء مفرغ يعني لا أحد يعلم إلا الله عز وجل؛ الاستثناء المفرغ يكون المقصود به الحصر؛ أنت كأنك يعني أشكل عليك ((**من في السموات**)) حتى لو قلنا ((**من في السموات**)) فالله تعالى في السماء كما عن نفسه فيكون الله تعالى فوق كل شيء، هو مفرغ ما هو استثناء متصل؛ يعني ليس استثناء مستثنى منه متصل؛ ((**لا يعلم الغيب إلا الله**)) ((**قل لا يعلم من في السموات والأرض**)) لا ما هو استثناء مفرغ أنا قلت مفرغ خطأ هذا استثناء صحيح، استثناء من كلام تام منفي؛ يعني في كل معنى لا يعلم من في السموات ومن في الأرض الغيب إلا الله هذه بدل من من؛ والبدل كما قال النحويون هو التابع المقصود بالحكم؛ فإذا كان هو تابع المقصود للحكم صار معنى الآية: لا يعلم إلا الله الغيب. من من لكن لما كان بدلا حيث رفع الآن صار بدلا لما كان بدلا صار هو المقصود بالحكم فكأنه لا يعلم الغيب إلا الله هذا يكون تحليل هذا نعم .

السائل : قال تعالى: ((**والراسخون العلم**)) فهل يساوي علم الله بعلم أهل العلم ؟

الشيخ : لا لا، لا يساوي لكنهم يعلمون من التفسير ما لابد لهم منه؛ وإلا قبله يعلمون تفسير كل شي حتى العلماء الآن تجد بعضهم يستخرج من الآية آيتين، وبعضهم ثلاثة، وبعضهم أكثر؛ لكن الشيء الذي لابد منه من هذا المتشابه يعلمون؛ الشيء الذي لابد منه لابد يعلمون؛ لكن الحقائق ما يعلمونها.

للإيضاح ما فيه مانع؛ إذا كنا لا نعرف، إذا كنا نريد أن نبين معناها العلو ونشير إلى واحد نقول مثل شيء فوق شيء، مثل استواء الإنسان على البعير بمعنى بالمعنى فقط لا بالكيفية ما فيه شيء. .

وأن الكلام كلام الله وأوردنا على ذلك إشكالا وهو: أن الله قال: ((**أنزلنا الحديد**)) وقال: ((**أنزل من السماء ماء**)) وأجبنا عن ذلك أليس كذلك؟ طيب . ومن فوائد الآية الكريمة: أن هذا القرآن ينقسم إلى محكم ومتشابه؛ لقوله: ((**منه آيات محكمات وأخر متشابهات**)) وذكرنا أنه يشكل على هذا التقسيم أن الله ذكر في آية أخرى أن القرآن كله متشابه؛ وفي آية ثانية أنه كله محكم؛ وذكرنا الجمع كذا؟ طيب . ومن فوائد الآية الكريمة: وجوب الرجوع إلى المحكم إزاء المتشابه؛ لقوله: ((**هن أم الكتاب**)) يعني مرجعه ؛ وهذا أعني الرجوع إلى المحكم عند وجود المتشابه لا يختص بالقرآن بل حتى في السنة، إذا وجد أحاديث متشابهة وأحاديث واضح محكمة فالواجب رد المتشابه إلى المحكم ليكون الجميع محكما؛ سواء كان التشابه في مدلولات الألفاظ أو كان التشابه في ثبوت الخبر؛ وهذا الأخير يختص بالسنة؛ لأن القرآن ليس فيه اشتباه بالنسبة إلى ثبوته؛ أو كان الاشتباه بأقوال أهل العلم، بمعنى أن العلماء يكون أكثرهم على القول وهو مشتبه عليك بالنسبة للأدلة فإن الغالب أن الحق يكون مع من هو أوثق وأقرب إلى الكتاب والسنة إما بالعلم أو بالأمانة أو بالكثرة . ومن فوائد الآية الكريمة: حكمة الله عزوجل في جعل القرآن ينقسم إلى قسمين؛ وجه الحكمة: أن بهذا يحصل الابتلاء والامتحان؛ فالمؤمن لا يضل بهذا الانقسام؛ والذي في قلبه زيغ يضل؛ وهذا كما يمتحن الله العباد بالأوامر والنواهي يمتحنهم أيضا بالأدلة فيجعل هذا محكما وهذا متشابها ليتبين المؤمن من غير المؤمن؛ لو كان القرآن كله محكما لم يحصل الابتلاء، ولو كان كله متشابها لم يحصل البيان والله سبحانه وتعالى جعل القرآن بيانا؛ وجعله محكما متشابها للاختبار والامتحان؛ أفهمتم الآن؟ طيب . ومن فوائد الآية الكريمة: أن من علامة الزيغ أن يتبع الإنسان متشابها من القرآن سواء تبعه بالنسبة لتصوره فيما بنيه وبين نفسه وصار يورد على نفسه آيات متشابهات؛ أو كان ذلك بالنسبة لعرض القرآن على غيره؛ فيقول للناس مثلا: ما تقولون في كذا وكذا؟ ويأتي بالآيات المتشابهات بدون أن يحلها؛ ولهذا من الخطر العظيم أن تورد سواء للطلبة أو للعامة آيات متشابهة دون أن تبين حل إشكالها؛ لأنك إذا فعلت هذا أوقعتهم في الحيرة والشك وصرت كمن ألقى الإنسان في بحر لا يستطيع الخلاص منه ولم تخلصه؛ وهذا يقع من بعض المتحذلقين من طلبة العلم أنه يورد الآيات المتشابهات ثم يقف، يقف ولا يبين للناس وجه هذا التشابه فيوقع الناس في الحيرة وهو لا يشعر . من فوائد الآية الكريمة: أن هؤلاء الذين يتبعون المتشابه تارة يبتغون الفتنة وسد الناس عن دينهم ونزع الثقة من قلوبهم بالنسبة للقرآن؛ لقوله: ((**ابتغاء الفتنة**)) وتارة يريدون بذلك أي بعرض هذا المتشابه أن يحرفوهم إلى المعنى الذي يريدون؛ وذلك لأنهم لو أرادوا أن يحرفوا المحكم ما قبلوا أليس هكذا؟ ولكن يأتون بالمتشابه ليتمكنوا من تحريفه، من تحريفه على ما يريدون؛ لأنه إذا كان متشابها فإن المخاطب الذي يخاطبونه يكون قد اشتبه عليه الأمر فيقبل ما جاءوا به من التحريف؛ وبهذا يزول الإشكال الذي قد يعرض

الإنسان بقوله: ((**وابتغاء تأويله**)) لأن ابتغاء التأويل على وجه المراد أمر مطلوب وليس من شأن ذوي الزيغ بل هو من شأن ذوي الإيمان؛ لكن ذوي الزيغ يأتون بهذه المتشابه من أجل أن يحرفوه على ما يريدون لأنه ليس محكما واضحا حتى يعارضهم الناس؛ لكنه متشابه فيحصل بذلك ما يريدون من التحريف . وهنا سؤال وهو: أن كثيرا من المتكلمين قالوا: إن آيات الصفات من المتشابه؛ وقالوا: إن المتشابه لا يعلم تأويله إلا الله؛ فصارت النتيجة أن آيات الصفات لا يعرف معناها؛ ولهذا قالوا: إن قول الحق في آيات الصفات هو التفويض؛ انتبهوا للمعنى؛ فقولهم: إن الحق هو التفويض وأن لا تتكلم فيها بشيء ناتج عن هذين الأمرين: أولا: أن آيات الصفات من المتشابه؛ وثاني: أن المتشابه لا يعلم تأويله إلا الله؛ فتكون النتيجة أن لا نخوض في معاني آيات الصفات لأنها من المتشابه ولا يعلم تأويله إلا الله، وما لا يمكن الوصول إلى علمه لا يجوز الخوض فيه انتبه؛ ولكن نقول: إن هذا القول قول باطل؛ أولا نقول: ماذا تعنون بالمتشابه؟ أو ماذا تعنون بالتشابه في آيات الصفات؟ إن قالوا: نريد اشتباه المعنى وهو الذي يريدونه؛ قلنا: هذا خطأ؛ لماذا؟ لأن معاني آيات الصفات واضحة معلومة ولا فيها اشتباه، ليس فيها اشتباه إطلاقا؛ كما قال الإمام مالك رحمه الله: الاستواء غير مجهول، ما هو مجهول لأحد بل هو معلوم، معلوم لكل أحد؛ استوى على العرش يعني علا عليه ما فيه إشكال؛ وإن أرادوا بالتشابه اشتباه الحقيقة والكيفية فهم صادقون ولكنهم لا يريدون هذا؛ لأنهم لو قالوا: نحن نعلم معنى ونجهل الحقيقة والكيفية قلنا هذا مذهب صحيح؛ لكن يقولون نحن نجهل المعنى والكيفية والحقيقة ولهذا سموا أهل التفويض وأهل التجهيل؛ لأنهم يقولون: كل آيات الصفات وأحاديثها غير معلومة لأحد، وأن قراءتنا بمنزلة القراءة الأعجمي للخطاب العربي، أو بمنزلة القراءة العربي للخطاب العجمي، أو بمنزلة القراءة الحروف الهجائية: ألف، باء، ثاء، إلى آخرها؛ هذا نظرهم بالنسبة لأيش؟ لآيات الصفات وهو نظر بلاشك خاطئ؛ كيف نعلم معنى آيات الوضوء، والصلاة وما أشبهها؟ إما لا يعد شيئا بالنسبة لصفات الله ونجهل معاني آيات الصفات وهي أولى بالعلم من غيره ولا تمكن العبادة حقا إلا بمعرفة صفات الله عزوجل؛ فنقول: أنتم لو أردتم أنها لا تعرف الحقيقة التي عليها؛ قلنا: صدقتم؛ أما أن تقولوا: لا يعرف معناها، وأنها مجهولة فهذا خطأ؛ فصار الآن إذا قال قائل: هل آيات الصفات من المتشابه؟ نقول: لا يصح القول بالإطلاق لا نفيا ولا إثباتا؛ مع أنه يمر بكم في كتب أصول الفقه إذا أرادوا أن يمثلوا بالمتشابه قالوا: مثل آيات الصفات؛ وهذا خطأ، هذا خطأ؛ لأنه لابد من التفصيل؛ إذا أرادوا التشابه المعنوي فهذا خطأ بل هي من الآيات الواضحة المحكمة؛ وإن أرادوا اشتباه الحقيقة بأننا لا نعلم كيفية هذه الصفات ولا نحيط بها فهذا حق؛ لكنهم لا يريدون هذا إنما يريدون الأول . ومن فوائد الآية الكريمة: فضيلة الرسوخ في العلم؛ ويش معنى الرسوخ في العلم؟ الثبات فيه والتعمق فيه حتى نصل إلى جذوره؛ لقوله: ((**والراسخون في العلم يقولون آمنا به**)) .

ضد الرسوخ في العلم السطحية في العلم؛ وما أكثر السطحية اليوم فينا ؛ أكثر الناس اليوم علومهم سطحية؛ ولهذا تجدهم إذا ألفوا أو كتبوا يكثرون من النقول؛ لأن ما عندهم حصيلة، قال فلان وقال فلان وقال فلان للسبب أنه ليس عندهم حصيلة علمية، لا يستطيع الإنسان أن يعبر لأنه ما عنده علم فيجعل نفسه في حل من الكلام ويأتي وقال فلان يف لك وجه كامل أو أكثر من ذلك؛ وإذا رجعت إلى أهل العلم، أهل العلم حقا وجدت أنهم يتكلمون بالعلم من صدورهم بدون نقل؛ ولهذا تجد أحيانا عباراتهم ما تخالف عبارات العلماء الآخرين؛ ومن أجلى ما يكون وأوضح كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن قيم تجد أنهم يتكلمون عن علم الراسخ وأمثالهم كثير لكن القصد إن هذا من أوضح ما مر بي؛ إن الرسوخ في العلم يجعل الإنسان كأنه كأن العلم ينبع من قلب؛ أما السطحي هذا الذي يكون ظلا على الرأس فقط فهذا فائدة متعلمه قريبة . من فوائد الآية الكريمة أيضا: أنه ينبغي للإنسان أن يحرص على أن يكون راسخا في العلم لا جامعا كثيرا منه؛ لأن العبرة الرسوخ في العلم؛ فإن الإنسان إذا كان عنده رسوخ في العلم صار عنده ملكة يستطيع أن يقرب العلم بعضه من بعض ويقيس ما لم ينص عليه على ما نص عليه ويكون العلم لديه كالطبيعة الراسخة . ومن فوائد الآية الكريمة: أن الراسخين في العلم يعلمون أن الذي من عند الله لا يكون في تناقض؛ لقوله: ((**يقولون آمنا به كل من عند ربنا**)) . من فوائد الآية الكريمة: أن مقتضى الربوبية أن الله تعالى ينزل على عباده كتابا لا يكون فيه اختلاف ليوقعهم في الشك والاشتباه؛ لقوله: ((**كل من عند ربنا**)) وما كان من عند الرب المعتني بعباده بربوبيته فلن يكون فيه شيء يتناقض ويختلف . ومن فوائد الآية الكريمة: أنه لا يتذكر بهذا القرآن ولا بغيره إلا أصحاب العقول؛ لقوله: ((**وما يذكر إلا أولوا الألباب**)) . ومن فوائد الآية الكريمة: أنه كلما ازداد الإنسان عقلا ازداد تذكرا بكلام الله عزوجل؛ وكلما نقص تذكره بالقرآن دل على نقص عقله؛ لأنه إذا كان الله حصر التذكر بأولي الألباب فإنه يقتضي انتفاع هذا التذكر من ليس عنده لب . ومن فوائد الآية الكريمة: أن العقول غير الذكاء؛ أي أن العقل غير الذكاء؛ لأننا نجد كثيرا من الناس أذكياء ولكن لا يتذكرون بالقرآن؛ إذا هؤلاء لا نسميهم عقلاء؛ لكن الذي انتفى عنهم عقل هو عقل الإدراك أو التصرف؟ التصرف، عقل التصرف والرشد؛ أما عقل الإدراك فهم يدركون؛ ولهذا تقوم عليهم الحجة . ومن فوائد الآية الكريمة: أن من القرآن ما لا يعلم تأويله إلا الله على قراءة الوقف ((**وما يعلم تأويله إلا الله**)) . فإن قال قائل: ما الفائدة في تنزيل شيء لا يعلم تأويله ؟ قلنا الفائدة امتحان العباد بتأدبهم مع الله عزوجل؛ هل يحاولون أن يصلوا إلى شيء لا تدرك عقولهم أو يقفون على حدود ما تدركه عقولهم؛ لأن من الناس من يذهب ويتجرأ على محاولة إدراك ما لا يصل إليه العقل؛ ومن الناس من يتأدب فيتواصل إلى ما لا يبلغه العقل وقف . ومن فوائد الآية الكريمة: سعة علم الله عزوجل؛ لقوله: ((**وما يعلم تأويله إلا الله**)) على

قراءة وقف . ومن فوائدها أيضا: أن كلام الله عزوجل يختلف: منه محكم، ومنه متشابه، ومنه أمر، ومنه نهي، ومنه خبر، ومنه استخبار، إلى أنواع لا يحصيها إلا الله؛ خلافا لمن قال: إن كلام الله نوع واحد، وأن اختلاف الصيغ أو السور لا يدل على تنوعه واختلافه مثل الأشاعرة؛ لأن الأشاعرة يرون أن كلام الله هو المعنى القائم بالنفس وأنه شيء واحد إن عبر عنه بالعربية صار قرآنا، وإن عبر عنه بالعبرية صار توراة، وإن عبر عنه بالسريانية صار إنجيلا، وإن أتى بصيغة النهي صار نهيا وهكذا، أو إن عبر عنه بصيغة النهي صار نهيا، وإن عبر عنه بصيغة الأمر صار أمرا وإلا فهو شيء واحد؛ ولاشك أن هذا قول يبطله العقل والسمع . ثم قال الله عز وجل وهو مبتدأ درسنا الآن: ((**ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا**)) الظاهر أن هذا من جملة قول الراسخين في العلم ((**يقولون آمنا به كل من عند ربنا**)) ويقولون أيضا: ((**ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا**)) والدعاء يصدر غالبا بالرب لأن الدعاء يتطلب الإجابة؛ والإجابة من الأفعال والأفعال علاقتها بالربوبية أكثر من علاقتها بالألوهية؛ ولهذا غالب الأدعية يأتي مصدرا بالرب، ربنا؛ وقوله: ((**ربنا**)) هذه منصوبة بياء النداء المحذوفة؛ وأصل الكلام: يا ربنا ولكن حذف الياء تخفيفا وتيمنا بالبداءة باسم الله عز وجل . ((**ربنا لا تزغ قلوبنا**)) ((**لا تزغ**)) هذه جملة دعائية وإن كانت بصيغة النهي لأن النهي لا يمكن أن يرد من المخلوق للخالق؛ إذ أن النهي طلب الكف على وجه الاستعلاء ولا يمكن أن يطلب المخلوق من ربه أن يكف على وجه الاستعلاء أبدا؛ ومر علينا فيما سبق أنه إذا وجه الطلب من الأدنى إلى الأعلى سمي دعاء؛ فلهذا نقول: لا دعائية ولا نقول: لا ناهية؛ لأنه لا نهي من المخلوق للخالق؛ ((**لا تزغ قلوبنا**)) تزغ بمعنى تمل؛ ومنه زاغت الشمس أي مالت عن كبد السماء؛ وتزغ تمل؛ تملها عن أي شيء؟ يبين ذلك ما بعده: ((**لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا**)) أي لا تزغها عن الهداية بل إهدها هداية دلالة، وهداية التوفيق . وقوله: ((**لا تزغ قلوبنا**)) سلط الفعل على القلب؛ لأن القلب عليه مدار العمل؛ لقول النبي عليه الصلاة والسلام: (**ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب**) والقلب هو هذا الجزء المستقر في الصدر؛ لقول الله تعالى: ((**فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور**)) وبهذه القلوب يكون العقل؛ لقوله تعالى: ((**أفلم يسيروا فتكون لهم قلوب يعقلون بها**)) وبناء على هذه الأدلة يتبين أن العقل في القلب وليس في الدماغ . والعلماء اختلفوا قديما وحديثا هل العقل في الدماغ أو العقل في القلب؛ والذي دل عليه القرآن أنه في القلب؛ والقرآن كلام الخالق والخالق عز وجل أعلم بما خلق ؛ فالعقل بالقلب ؛ لكن عقل القلب هو عقل التصرف والتدبير ليس عقل الإدراك والتصور؛ فإن عقل الإدراك والتصور يكون في المخ؛ فالمخ يتصور ويعقل وهو بمنزلة سكرتير للقلب يشرح ما يريد رفعه إلى القلب ثم يرفعه إلى القلب ثم يصدر القلب الأوامر؛ والذي يبلغ الأوامر إلى

الرعية من؟ الدماغ هو الذي يبلغ الأوامر ولهذا تنشط العضلات بنشاط الدماغ فصارت المسألة سلسلة يتصور الذي يتصور ويدرك وفيه عقل إدراك هو الدماغ؛ وأما عقل التصرف والتدبير والرشاد والفساد فهو عقل القلب؛ فالدماغ يتصور ويدرك الأشياء وينظر فيها ثم يرفعها مكتوبة ليوقع عليها القلب؛ ترد على القلب والقلب يأمر وينهى لكن القلب لا يباشر هو بنفسه أعلى من أن يباشر مخاطبة هؤلاء الجنود؛ يرسل القضية إلى من؟ إلى الدماغ مرة ثانية؛ الدماغ يوجه الأوامر ويقول: الملك يأمركم بكذا وكذا فتمتثل الأوامر؛ ولهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام: (**ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله**) وحينئذ يزول الإشكال وتجتمع الأدلة الحسية والشرعية؛ فالعقل الإدراكي أين محله؟ والعقل التصرف الإرشادي الذي به الإرشاد والفساد هو القلب نعم . يقول الله عز وجل: ((**ربنا لا تزغ قلوبنا**)) فإذا استقامت القلوب ولم تمل استقامت الجوارح عقيدة وقولا وعملا . وقوله: ((**بعد إذ هديتنا**)) هذه الجملة لا يراد بها الافتخار وإنما يراد بها التوسل بالنعم السابقة إلى النعمة اللاحقة؛ فكأنهم يقولون: ربنا إنك مننت علينا بالهداية أولا فنسألك أن تمن علينا بثبوت هذه الهداية فلا تزغنا؛ فيكون في هذا الدعاء ثناء على الله عزوجل بماذا؟ بالهداية السابقة؛ هم لو قالوا: ((**ربنا لا تزغ قلوبنا**)) كفى؛ لكن قالوا: ((**بعد إذ هديتنا**)) ليتوسلوا بنعمه الله السابقة إلى نعمه اللاحقة وليثنوا على الله عزوجل بنعمه السابقة وأنه عز وجل أهل للفضل والإنعام . ((**بعد إذ هديتنا**)) هداية الدلالة وإلا توفيق؟ أو الاثنين؟ نعم الاثنين؛ فالمؤمنون هداهم الله هداية التوفيق، وهداية الدلالة؛ هداية الدلالة أن بين لهم الحق؛ وهداية التوفيق أن وفقهم لسلوك الحق ؛ فمن الناس من يحرم الهدايتين؛ ومن الناس من يحرم الهداية الثانية؛ ولا أظن أن أحدا يحرم الهداية الثالثة لا الهداية الثانية فقط؛ يعني لا أظن أن أحدا يعطى الهداية الأولى والهداية الثالثة؛ لأنه لا يمكن أن يتوفق إلا بعد، إلا بعد العلم؛ من الناس من يحرم هدايتين فلا يكون عنده هداية الدلالة ولا هداية التوفيق مثل: مثل النصارى، ضالون لم يعرفوا الحق ولم يعملوا به ؛ ومن الناس من يحرم هداية التوفيق مثل اليهود، فاليهود علموا لكن لم يعملوا؛ ومن الناس من يرزق هدايتين كالمؤمنين الذين أنعم الله عليهم؛ فهنا ((**هديتنا**)) هداية الدلالة وهداية أيش؟ التوفيق؛ فهم هدوا إلى الحق للدلالة عليه وهدوا إلى الحق بالتوفيق؛ هل تستطيعون أن تأتوا بدليل على هداية الدلالة فقط ؟ نعم عادل ؟ نعم ((**وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى**)) كذا؟ طيب؛ هداية التوفيق ؟ ((**إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء**)) يعني لا توفقه للهداية ولكن الله يهدي من يشاء؛ أما هداية الدلالة فلاشك أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد هدى الناس ودلهم ((**وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم**)) . ((**وهبنا من لدنك رحمة**)) هب بمعنى أعطى؛ والهبة هي العطاء بلا عوض وكمالها بلا منة؛ الإعطاء بلا عوض هبة وكمالها أن لا يصحبها منة ؛ والله

سبحانه وتعالى له المنة علينا كما قال الله تعالى : ((**بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان**)) والأمر هنا الصيغة هنا لأيش؟ للأمر أو للدعاء؟ للدعاء نعم؛ ((**وهب لنا**)) أي أعطنا ((**من لدنك**)) أي من عندك؛ وأضافوا هذه الهبة إلى الله لئلا يكون لأحد عليهم منة سواه؛ هذا من وجه؛ ولأنها إذا كانت من عند الله وهو أكرم الأكرمين صارت هبة عظيمة؛ لأن العطاء على قدر من؟ على قدر المعطي؛ ولهذا قالوا: ((**هب لنا من لدنك**)) أي هبة لا يمن بها علينا أحد سواك، وهبة عظيمة لأنها تأتي من عندك؛ ولهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام لأبي بكر حين سأله أن يعلمه دعاء يدعوا به في صلاته قال قل: (**اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني**) قال: ((**وهبنا من لدنك رحمة**)) رحمة الرحمة سبق لنا أيضا مرارا وتكرارا أن الرحمة صفة من صفات الله عزوجل؛ تطلق على نعمه؛ لأنها من آثار رحمته كما قال الله تعالى: ((**وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته**)) وقال الله للجنة: (**أنت رحمتي أرحم بك من أشاء**) ومنه قول الله تعالى: ((**وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون**)) فتطلق الرحمة على هذا وهذا؛ من أي النوعين في هذه الآية: ((**هب لنا من لدنك رحمة**)) ؟ الثانية التي هي النعم وهي من آثار رحمته؛ ((**هب لنا من لدنك رحمة**)) والرحمة يحصل بها المطلوب وينجوا بها الإنسان من المرهوب؛ فإن جمعت مع المغفرة صارت بالرحمة حصول المطلوب وبالمغفرة النجاة من المرهوب . ((**إنك أنت الوهاب**)) الجملة هنا استئنافية للتعليل والتوسل؛ يعني أننا إنما طلبنا منك الهبة هبة رحمة لأنك أنت الوهاب؛ وهي مكونة من إن واسمها وخبرها؛ واسمها الكاف وخبرها الوهاب؛ والضمير أنت يسمى ضمير فصل؛ وضمير الفصل له ثلاث فوائد من يعرفها؟ التوكيد؛ الفصل بين الخبر والصفة يعني اعداد عن الأول؛ والتوكيد؛ فهد؟ والحصر طيب هذه ثلاثة أشياء؛ يعني له ثلاث فوائد: أولا: الفصل بين الصفة والخبر؛ والثاني: التوكيد؛ والثالث: الحصر؛ ونضرب مثلا لهذه يتبين به الأمر؛ إذا قلت: زيد الفاضل؛ فإن كلمة الفاضل يحتمل أن تكون خبرا ويحتمل أن تكون صفة والخبر محذوف والتقدير: زيد الفاضل حاضر؛ فإذا قلت:زيد هو الفاضل؛ تعين أيش؟ أن تكون خبرا؛ كذلك إذا قلت: زيد الفاضل يحتمل أن يكون غيره فاضلا أيضا؛ فإذا قلت: زيد هو الفاضل. هذا حصر نصه بالحصر يعني ليس غيره فاضلا كما قال تعالى: ((**وإن جندنا لهم الغالبون**)) . الثالث: التوكيد فإنك إذا قلت: زيد الفاضل حكمت له بالفضل؛ لكنك إذا قلت هو الفاضل زدته توكيدا؛ هنا ((**إنك أنت الوهاب**)) تنطبق عليه هذا؛ فنقول: أنت ضمير فصل للتوكيد والحصر وتعين ما أن ما بعده خبر أيش؟ لا صفة.

وقوله: ((**إنك أنت الوهاب**)) الوهاب يعني كثيرة الهبة؛ ولا يصح أن تكون للنسبة؟ يصح، يصح أن تكون للنسبة ويصح أن تكون للمبالغة؛ ويمكن أن نقول إنها للأمرين جميعا؛ فهو الوهاب يعني كثير العطاء؛ وهذه صفة لازمة له؛ وهو كذلك كثير من يعطى يعني الذين يعطيهم الله كثيرون لا يحصون؛ قال النبي عليه الصلاة والسلام: (يد الله ملآ صحا الليل والنهار أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض فإنه لم يغظ ما في يمنيه) شف كيف؟ أي نعم لم ينقص؛ وقال الله في الحديث القدسي: (**يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا غمس في البحر**) وهل ينقص في البحر شيئا؟ لا؛ فالله عزوجل لا يحصي أحد هباته أبدا حتى بالنسبة لك أنت بنفسك لا تحصيه هبات الله لك ((**وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها**)) . في هذه الآية عدة فوائد: أولا: مشروعية الدعاء بهذه الصيغة لأنه دعاء الراسخين في العلم وأولي الألباب. ومن فوائد الآية الكريمة: مشروعية تصدير الدعاء باسم الرب ((**ربنا**)) . ومن فوائدها: أن الإنسان لا يملك قلبه؛ ولهذا تسأل الله أن لا يزيغ قلبك؛ فلا تغتر بنفسك أنك مؤمن؛ فكم من إنسان مؤمن زل . والعياذ بالله . ولكن اسأل الله دائما أن يثبتك وأن لا يزيغ قلبك؛ وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم: (**أن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن إن شاء أزاغها وإن شاء هداها**) يصرفها كيف يشاء . ومن فوائد الآية الكريمة: الدلالة على أن في صلاح القلب صلاح جميع الجسد؛ لأنهم قالوا: ((**ربنا لا تزغ قلوبنا**)) . ومن فوائد الآية الكريمة: أن للقلب حالين: حال استقامة؛ وحال الزيغ؛ والإنسان مضطر إلى أن يسأل الله سبحانه وتعالى أن لا يزيغ قلبه حتى يكون مستقيما . ومن فوائد الآية الكريمة: التوسل إلى الله تعالى بنعمه؛ لقولهم: ((**بعد إذ هديتنا**)) . ومنها: الثناء على هذه السادة حيث اعترفوا لله تعالى بالنعمة في قولهم: ((**بعد إذ هديتنا**)) وهذا داخل في قوله تعالى: ((**وأما بنعمة ربك فحدث**)) . ومن فوائد الآية الكريمة: أن التخلية تكون قبل التحلية؛ كلام هذا معروف؟ التخلية تكون قبل التحلية؛ يعني يفرغ الطريق من الشوائب والأذى ثم يطهر ؛ من أين يؤخذ ؟ ((**ربنا لا تزغ قلوبنا**)) ثم قال: ((**وهب لنا من لدنك رحمة**)) . ومن فوائد الآية الكريمة: أن الإنسان مضطر إلى ربه في الدفع والرفع، وإن شئت فقل: في الجلب والدفع؛ لأنهم سألوا أيش؟ أن لا يزيغ قلوبهم بعد إذ هداهم، وسألوا أن يهب لهم منه رحمة؛ فدعائهم أن لا يزيغ قلوبهم هذا دعاء بالدفع ولا بالرفع؟ انتبه؛ لا تزغ بعد إذ هديت؛ إذا رحمة ((**وهب لنا من لدنك رحمة**)) هذا بالدفع يعني: هب لنا من لدنك رحمة ندفع بها السوء ولا تزغ قلوبنا ترفع عنا الهداية بعد أن اهتدينا . ومن فوائد الآية الكريمة: أن العطاء يكون على قدر المعطي؛ لقوله: ((**وهب لنا من لدنك رحمة**)) طيب هل يمكن أن نجعل هذا من باب التوسل بحال المدعو؟ أو نقول إن هذا من باب التوسل بصفات الله عزوجل؟ هذا الثاني

أظهر لأنه مر علينا أن التوسل ينقسم إلى ستة أقسام . ومن فوائد الآية الكريمة: التوسل بأسماء الله؛ لقوله: ((**إنك أنت الوهاب**)) فإن من مقتضى كونه وهابا أن يهب لنا من لدنه رحمة. ومن فوائدها أيضا: أن الإنسان مفتقر إلى رحمة الله عزوجل؛ ولهذا سأل الله أن يهب له من لدنه رحمة. ثم قال الله تعالى: ((**ربنا إنك جامع الناس ليوم لاريب فيه إن الله لا يخلف الميعاد**)) هذا يقول فيه: ((ربنا إنك جامع الناس)) ونقول في إعراب ((**ربنا**)) كما قلنا في إعراب ما سبق؛ وقوله: ((**إنك جامع الناس ليوم لاريب فيه**)) ((**جامع**)) اسم فاعل؛ وهنا لم يعمل لأنه أضيف؛ ولو لا الإضافة لكان يقول: ربنا إنك جامع الناس؛ لكن بالإضافة لا يعمل إلا الجر؛ وقوله: ((**ليوم لاريب فيه**)) المعنى: أنهم يجمعهم لهذا الوقت؛ فاللام هنا للتوقيت؛ فهي كقوله: ((**أقم الصلاة لدلوك الشمس**)) أي وقت دلوكها ، أو كقوله: ((**إذا طلقتم الناس فطلقوهن لعدتهن**)) أي وقت عدتهن؛ فالله تعالى جامع الناس لهذا الوقت ((**ليوم لاريب فيه**)) أي لاشك؛ ولكن الريب أبلغ من الشك وإن كان معناهما متقاربا؛ لأن الريب فيه زيادة قلق واضطراب مع الشك؛ والشك خال من ذلك؛ ولهذا جاءت كلمة ريب الدالة لمفهومها اللفظي على أن هناك نوعا من القلق والاضطراب الحاصل بالشك؛ لأن من الشكوك ما لا يولد هما ولا غما ولا اضطرابا ولا يهتم به الإنسان؛ ومن الشكوك ما يهتم به الإنسان ويضطرب وقلع مثل هذه الأمور العظيمة الواردة في الأخبار باليوم الآخر فإن الإنسان لابد أن يطمئن اطمئنانا كاملا . وقوله: ((**لاريب فيه**)) إعرابها: أن لا نافية للجنس؛ وريب اسمها؛ وفيه جار ومجرور متعلق بمحذوف خبره . ((**إن الله لا يخلف الميعاد**)) الجملة تأكيد لما سبق من كونه تعالى جامع الناس ليوم لاريب فيه؛ في هذه الآية يقول الله عن هذه السادة: إنهم بعد أن يدعوا الله بما سبق يخبر هذا الخبر المعبر عن إيمانهم ويقينهم بأنهم يؤمنون بأن الله جامع الناس ليوم لاريب فيه ومن ثم دعوا الله بأن لا يزيغ قلوبهم وأن يهب لهم منه رحمة؛ لأنهم يؤمنون بأن هناك يوما يجمع الله فيه الناس ليجازيهم بأعمالهم؛ فيقول الله عزوجل مخبرا عن هؤلاء إنهم يقرون لهذا اليوم الآخر وأن الله تعالى سيجمع الناس أولهم وآخرهم كما قال تعالى: ((**قل إن الأولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم**)) وقال تعالى: ((**ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود**)) ما أكثر الناس الذين سبقونا، وما أكثر الناس الذين يلحقوا بنا والله أعلم ؛ ومع هذا كل هؤلاء الناس سوف ...

فيقول الله عزوجل مخبرا عن هؤلاء: إنهم يقرون بهذا اليوم الآخر، وأن الله تعالى سيجمع الناس أولهم وآخرهم كما قال تعالى: ((**قل إن الأولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم**)) وقال تعالى: ((**ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود**)) ما أكثر الناس الذين سبقونا ؛ وما أكثر الناس يلحقوا بنا والله أعلم؛ ومع هذا كل الناس سوف يجمعون في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر؛ يسمعهم الداعي لأنه لا يحول بينهم وبين صوته لا شجر ولا جدار ولا جبال ولا أودية ؛ وكذلك ينفذهم البصر لأنهم في أرض مبسوطة غير كروية فيكون البصر يرى أقصاهم مثل ما يرى أدناهم؛ وهذا ظاهر أنه إذا كانت الأرض كلها مبسوطة البسط الأديم كما أخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم فإن أقصاها سيكون مثل أقصاها؛ لكن على شكلها الحاضر كروية كلما بعد الشيء اختفى عنك منه جزء فيختفي أو ما يختفي عنك الجزء؟ الأسفل ثم لا يزال يختفي شيئا فشيئا حتى لا تراه؛ طيب فالله تعالى يجمع الناس كلهم في ذلك اليوم من أولهم إلى آخرهم . وهل يجمع غيرهم أيضا ؟ نعم يجمع الجن ؛ ويجمع غيرهم ؟ نعم ؛ ما هي ؟ الوحوش والبهائم ((**وإذا الوحوش حشرت وإذا العشار عطلت**)) وغيرهم ؟ نعم الملائكة؛ ((**يوم يقوم الروح والملائمة صفا لا يتكلمون**)) ((**وجاء ربك والملك صفا صفا**)) إذا هذا اليوم يوم عظيم، يوم عظيم كل عاقل سوف يأمن الله، سوف يسأله الله تعالى أن يقيه شر ذلك اليوم؛ ((**ليوم لاريب فيه**)) لاشك فيه، لا يرتاب فيه المؤمن؛ لماذا ؟ لأنه دل عليه السمع، ودل عليه العقل، ودلت عليه الفطرة؛ ونقول: دل عليه إجماع المسلمين؟ نعم دل عليه إجماع المسلمين، واليهود، والنصارى وكل متدين بدين؛ فلا أدلة تجتمع على هذا الاجتماع على مثل الإيمان باليوم الآخر؛ ولهذا قال: ((**لاريب فيه**)) ؛ دل عليه الكتاب أظن دلالة الكتاب واضح نعم؟ دل عليه الكتاب في عدة آيات لا تحصى، ودلت عليه السنة أيضا بأحاديث كثيرة لا تحصى، ودل عليه العقل؛ ليس دل على إمكانه بل دل على وجوبه وهذا هو المراد هنا؛ كيف دل على وجوبه ؟ ((**إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد**)) إن الذي فرض عليك القرآن وأوجبه عليك لابد أن يردك إلى معاد فلا يمكن أن يدعك سدى؛ إذ ما الفائدة في قرآن ينزل، ورسل ترسل، ودماء تراق للمخالفين والنتيجة؟ لا شيء؛ إذا لا فائدة فلابد من يوم يجازى فيه الناس على هذه الأعمال؛ فالعقل يدل على أنه لابد من أن نحشر إلى الله عزوجل، وأن نجازى بعمل، وأن لا يمكن أن تفرق السموات والأرض ويرسل الرسل وتنزل الكتب ويكون النتيجة والغاية أن نرمس في الأرض ولا نعود؛ لابد من عودة؛ ولهذا نقول إن العقل دل على أيش؟ على وجود اليوم الآخر ووقوعه وأنه لابد واقع ؛

الشيخ : ويش قلنا دل عليه أيضا ؟

الطالب : الفطرة ؛

الشيخ : فإن الإنسان بفطرته لو ترك وفطرته لعلم أن له ربا يجازيه وأن الجزاء يكون في الآخرة ويكون في الدنيا؛ ودل عليه الإجماع، إجماع المسلمين أمر متواصل معلوم بالضرورة من الدين بل هو إجماع اليهود والنصارى حتى اليهود والنصارى يؤمنون باليوم الآخر؛ ولهذا إلى يومنا هذا إذا مات منهم ميت يصلون عليه ويدعون به بالرحمة والمغفرة لأنهم يؤمنون بيوم الحساب؛ لكن على كل حال هم آمنوا وحرموا فائدة الإيمان فلم يؤمنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فكان إيمانهم بهذا اليوم حجة عليهم وليس حجة لهم . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ((**ربنا إنك جامع الناس ليوم لاريب فيه إنك لا تخلف الميعاد؛ إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا وأولئك هم وقود النار كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآياتنا فأخذهم الله بذنوبهم والله شديد العقاب؛ قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد**)) . أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم. قال الله تبارك وتعالى: ((**ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب**))

الشيخ : هذه الجملة ما تعلقها بما قبلها يا خالد ؟

الطالب : دعاء

الشيخ : من دعاء الراسخين يعني: ((**يقولون آمنا به**)) ويقولون: ((**ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا**)) .

الشيخ : ما معنى الزيغ يا محمد ؟

الطالب : الزيغ معناه: الميل،

الشيخ : ومنه ؟

الطالب : زاغت الشمس؛

الشيخ : أي عن كبد السماء.

الشيخ : قولهم: ((**بعد إذ هديتنا**)) ما مناسبتها بما قبلها ؟ مناسبتها بما قبلها؟ نعم ((**ربنا لا تزغ قلوبنا**))؟ ويش صلتها بما قبلها؟ يعني هل وجودها وعدمها سواء أو وجودها فيه فائدة؟

الشيخ : ما حضرت؟

الطالب : نسيت ؛

الشيخ : الله يهديك ؛

الطالب : نعم ؟ فيه فائدة وهي التوسل إلى الله بأنه هداهم؛

الشيخ : نعم التوسل إلى الله بهدايته إياهم أن لا يزيغ ؟ أن لا يزيغ قلوبهم بعد إذ هداهم، بعد الهداية، أحسنت هذا واحد؛ فائدة ثانية؟

الطالب : الثناء على الله بهدايته فهو من باب التحدث بنعم الله عز وجل .

الشيخ : ما فائدة قوله: ((**من لدنك**))

الطالب : أي رحمة عندما تكون من لدنه تكون عظيمة وتكون لا نريدها من غيرك؛

الطالب : يعني الإخلاص، وأن تكون هذه الرحمة عظيمة لأنها من عند الله ؛

الشيخ : هل ورد لها نظير من السنة؟

الشيخ : ما حضرت؟

الطالب : حضرت؛ والله مشكلة،

الطالب : نعم؟ تعليم الرسول لأبي بكر قال: علمني دعاء أدعوا به في صلاتي قال: قل: (**اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم**).

الشيخ : قوله: ((**الوهاب**)) يا عيد ممن أسماء الله فمجيئها على هذه الصيغة هل هو للمبالغة أو للنسبة؟ أو لهما جميعا؟

الطالب : لهما جميعا ،

الشيخ : اشرحه يا عيد؟

الطالب : ثانيا: مبالغة لكثرة من يهب له فإن الموهوب لهم لا يحصيهم إلا الله عز وجل .

الشيخ : قوله: ((**جامع الناس ليوم لاريب فيه**)) عبد المنان ما المراد بيوم القيمة ؟

الطالب : يوم القيمة ؛

الشيخ : وما معنى ((**لاريب فيه**)) ؟

الطالب : أي لاشك فيه ؛

الشيخ : إذا ريب مرادف للشك؛ هل فيهما فرق؟

الطالب : نعم ريب شك بقلق ،

الشيخ : والشك شك بدون قلق ؛ يعني يكون متردد لكن ما يكون معه قلق نفسي؛ لكن هذا لأن الأمر فيه هام يكون فيه قلق للمشك فيه لكن المؤمنين لا يشكون فيه لا يرتابون فيه .

ثم قال الله عز وجل: ((**إنك لا تخلف الميعاد**)) هذا درس الجديد ؟ ((**إنك لا تخلف الميعاد**)) هذه الجملة موقعها مما قبلها؛ نعم ((**إن الله لا يخلف الميعاد**)) نعم؛ هذه الجملة موقعها مما قبلها للتأكيد، تأكيد وقوع ذلك اليوم؛ وجه ذلك: أن الله وعد به وهو لا يخلف الميعاد؛ أي لا يخلف ما وعد به عزوجل من وقوع هذا اليوم؛ وهذه الجملة أيضا إذا تأملتها وجدتها أنها تخالف ما قبلها في السياق؛ لأن ما قبلها السياق فيه للمخاطب ((**ربنا إنك جامع الناس ليوم لاريب فيه**)) وأما فيها السياق فيها **للغائب** ((**إن الله لا يخلف الميعاد**)) ولم يقل ((**إنك لا تخلف الميعاد**)) فهل هذا من باب الالتفات؟ والكلام من متكلم واحد أو هذا من باب الاستئناف وهو من الله لا من قول الراسخين في العلم؟ على قولين للمفسرين؛ فمنهم من قال: إن قوله: ((**إن الله لا يخلف الميعاد**)) من كلام الله وليس فيه التفات على هذا التقدير؛ ومنهم من قال: إنه من كلام الراسخين في العلم؛ وعلى هذا التقدير يكون فيه التفات؛ ولكل منهما مرجح؛ فمن رجح الأول قال: إن الالتفات خروج بالكلام عن المألوف والأصل عدمه؛ وعليه فيكون الكلام من كلام الله؛ ومن قال: إنه لا التفات فيها وأن الكلام من كلام الله نعم ومن قال: إنه من كلام الراسخين وفيه التفات قال: لأن الأصل أن الكلام من متكلم واحد لاسيما وأن بعضه مرتبط ببعض ((**إنك جامع الناس**)) ((**إنك لا تخلف الميعاد**)) فهو مرتبط بعضه ببعض؛ وهذا القول عند التأمل أرجح؛ ويكون فائدة الالتفات أولا تنبيه المخاطب؛ لأنه إذا كان الكلام

على نسق واحد بقي الإنسان مسجما معه لا يتفطن وتمر به الأشياء وهو ماشي؛ فإذا اختلف أسلوب الكلام وتغير عليه الأسلوب فحينئذ ينتبه، ينتبه لأيش تغير ولماذا تغير؟ فيكون فيه فائدة التنبيه تنبيه المخاطب؛ أما من حيث المعنى فلأن مجيئه بصيغة الغائب أبلغ في التعظيم؛ كأن الرب عزوجل الذي هو الله كأنه ملك عظيم وهو ملك عظيم سبحانه وتعالى يتحدث عنه بصيغة الغائب تفخيما وتعظيما كما يقول الملك الذي يعظم نفسه للجنود: إن الملك يأمركم بكذا وكذا؛ أو يقول القائد: إن القائد يأمركم بكذا وكذا بدلا أن يقول: إني آمركم؛ وعلى كل تقدير فالصفة هنا من باب الصفات أيش؟ من باب الصفات السلبية أو الثبوتية ؟ السلبية؛ ((**إنك لا تخلف الميعاد**)) سلبية ؛ لأنها صفة نهي؛ وقد مر علينا أنه لا يوجد في صفات الله صفة سلبية محضة، وأن النفي الموجودة في صفة الله متضمن لثبوت كمال ضده، وأنه لكمال ضده لا يوجد هذا الشيء؛ فهنا ((**لا يخلف الميعاد**)) ضد عدم إخلاف الميعاد ما هو؟ إخلاف الميعاد، إخلاف الميعاد إما يكون لكذب الواعد وإما لعجزه؛ كل من وعدك فأخلفك فهو لأحد أمرين: إما لأنه كذوب يعد فيخلف؛ وإما لأنه عاجز، واضح؟ نعم؛ رجل قال: سآتيك غدا ولم يأت لماذا؟ يحتمل أنه كذوب فوعد وأخلف؛ وإما لأنه عاجز، هو صادق بأنه سيأتي لكن عجز جاءه ما نع يمنعه مرض أو غيره ولم يأت؛ إذا انتفاء إخلاف الله الميعاد لكمال صدقه، وكمال قدرته عزوجل فلكمال صدقه وكمال قدرته لا يخلف الميعاد؛ وهذه الجملة قلت لكم كالتأكيد لما سبق ((**ربنا إنك جامع الناس ليوم لاريب فيه**)) لأنك لا تخلف الميعاد ومن لا يخلف الميعاد فلابد أن ينجز ما وعد ويحققه . الفوائد: قال الله عز وجل: ((**ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا**)) في هذه الآية فوائد: ((**ربنا إنك جامع الناس ليوم لاريب فيه**)) في هذه الآية فوائد : منها: أن يوم القيمة آت لاريب فيه؛ لقوله: ((**ليوم لاريب فيه**)) . ومنها: تمام قدرة الله سبحانه وتعالى بجمع الناس كلهم في هذا اليوم؛ ومع هذا فإن هذا الجمع لا يحتاج إلى مدة ((**فإنما هي زجرة واحدة فإذا هم بالساهرة**)) . ومنها: حكمة الله عزوجل في جمع الناس لهذا اليوم؛ لأن هذا الجمع له ما بعده وهو جزاء كل عامل بما عمل كما قال تعالى: ((**يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله جنت تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير**)) إذا فهذا الجمع لحكمة وهو: جزاء العامل بعمله إن خيرا فخير وإن شرا فشر. ومن فوائد الآية الكريمة: أنه يجب علينا أن نؤمن إيمانا لاشك فيه بهذا اليوم؛ فإن شك أحد أو أنكر فليس بمؤمن فهو كافر؛ والناس في هذا المقام ثلاثة أقسام وإن شئت فقل: أربعة: مؤمن إيمانا لاريب فيه؛ وشاك؛ وكافر منكر؛ وكافر مجادل؛ يعني مع كونه منكرا يجادل ويخاصم؛ كفار قريش من أي الأنواع؟ من النوع الرابع، المنكر المجادل؛ ومن الناس من هو منكر لا يجادل

لكنه في نفسه منكر ما صدق؛ ومن الناس من هو متردد شاك؛ ومن الناس من هو مؤمن إيمانا يقينيا كأنه رأي العين في قلبه . ومن فوائد الآية الكريمة: انتفاء صفة خلف الوعد عن الله عز وجل؛ لقوله: ((**إن الله لا يخلف الميعاد**)) وانتفاء هذه الصفة يتضمن كماله في شيئين وهما: الصدق والقدرة؛ فلكمال صدق الله عزوجل ولكمال قدرته لا يخلف الميعاد بل لابد أن يقع ما وعد به . ثم قال عزوجل مبينا حال الكفار في ذلك اليوم فقال: ((**إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا وأولئك هم وقود النار**)) ((**إن الذين كفروا**)) أي كفروا بما يجب الإيمان به، فكفروا بالله، أو باليوم الآخر، أو بالملائكة، أو بالكتاب، أوبا النبيين، أو بالقدر؛ إذا كفروا بأي واحد من هذه الأشياء الستة فهم كفار، كفار لأن الإيمان لا يتبعض كما قال الله تعالى: ((**ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا**)) وقال الله تعالى: ((**أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيمة يردون إلى أشد العذاب**)) فالذين كفروا نقول بماذا؟ بما يجب الإيمان به وهي الأركان الستة التي بينها الرسول صلى الله عليه وسلم جوابا لجبريل حين سأله عن الإيمان فقال أيش؟ (**أن تؤمن بالله ، وملائكته، وكتبه، ورسله، وباليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره**) ؛ نعم هذه أذا كفر بواحد منها فهو كافر؛ الكفار لهم أموال ولهم أولاد وربما يؤتيهم الله من الأموال والأولاد أكثر مما يعطي المؤمنين فهل ينتفعون بهذا ؟ يقول الله عز وجل : ((**لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا**)) ((**تغني**)) لها معنيان: تمنع أو تدفع؛ فهؤلاء الأموال والأولاد لا يمنعون عن هؤلاء الكفار شيئا ولا يدفعون عنهم شيئا؛ فهم إن وقع بهم شيء من عذاب الله ما استطاع هؤلاء الأولاد أو هذه الأموال أن ترفعهم؛ وإن قضى الله عليهم بشيء لم يستطيعوا أن يمنعوه ويدفعوه؛ إذا ((**لن تغني**)) لم تمنع، ولم تدفع، ولم ترفع ((**أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا**)) ((**أولادهم**)) الذكور أو الإناث؟ يشمل لأن الولد إذا أطلق فهو شامل للذكر والأنثى؛ ما الدليل على أن الولد يشمل الذكر والأنثى؟ ((**يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين**)) . أموالهم وأولادهم من الله شيئا لا في الدنيا ولا في الآخرة؛ ولهذا تجد الواحد منهم عنده من الأموال العظيمة الكثيرة شيء كثير ولكن لو جاءه ملك الموت ما منعه، ما منعته هذه الأموال؛ عنده من الأولاد والحشم والخدم الشيء الكثير ولا تغني عنه شيئا . ((**وأولئك هم وقود النار**)) أعوذ بالله . ((**وأولئك هم وقود النار**)) نشوف الإعراب أولا لنفهم المعنى: أولاء مبتداء؛ وهم مبتدأ ثاني أو ضمير فصل؛ وقود خبر إما للمبتدأ الثاني وإما للمبتدأ الأول؛ فإن جعلت هم مبتدأ ثاني فوقود خبر للمبتدأ الثاني وإن جعلت هم ضمير هم ضمير فصل فوقود للمبتدأ الأول؛ والوقود بالفعل أي نعم والوقود بفتح الواو ما يوقد به كالطهور ما يتطهر به، والسحور ما يتسحر به، والفطور ما يفطر به بخلاف

الضم فطور، وسحور، وطهور، ووضوء فهي الأفعال يعني فرق بين وضوء و وضوء، وطهور وطهور، وسحور و سُحور؛ السحور يعني الفعل أكل السحور هذا يكون بضم السين؛ سحور ما يتسحر به؛ فإذا جاء الإنسان بالتمر في آخر الليل فماذا نسمي هذا التمر؟ سحور فإذا أكله سميناه سحورا؛ إذا جاء بماء يتوضأ به فهو وضوء، وإذا فعل وغسل وجهه ويديه ومسح رأسه وغسل رجليه نسميه وضوء وعلى هذا فقس. وهنا يقول: ((**وقود**)) يعني ما توقد به النار مثل الحطب، الحطب وقود النار؛ هؤلاء الكفار هم وقود النار؛ ولها وقود آخر وما هو؟ الحجارة كما قال الله تعالى ((**يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم و أهليكم نارا وقودها الناس والحجارة**)) فهؤلاء وقود النار؛ وإذا كانوا . والعياذ بالله . وقودها فإنها تتسعر بهم أو تسعر بهم وهي في نفس الوقت تحرقهم . نسأل الله العافية . قال: ((**وقود النار**)) والنار اسم من أسماء جهنم وهي الدار التي أعدها الله تعالى للمكذبين لرسلهم وحرها شديد، وفيها زمهرير برده شديد . والعياذ بالله . حرها قال النبي عليه الصلاة والسلام: (**إنها فضلت على ناركم هذه بتسعة وستين جزءا**) . أعوذ بالله . كم يكون مقدراها؟ سبعين، سبعين يعني بالإضافة إلى نار الدنيا تكون أشد منها فتكون مثلها سبعين مرة . ((**كدأب آل فرعون والذين من قبلهم**)) قوله: ((**كدأب**)) الكاف للتشبيه والجار والمجرور خبر لمبتدأ مقدم أي دأب هؤلاء كدأب آل فرعون؛ والدأب يطلق على الشأن، ويطلق على العادة؛ فمثل هذه الآية: ((**كدأب آل فرعون**)) يعني كشأنهم؛ وإذا قلت: فلان هذا دأبه أي هذه عادته. ((**كدأب آل فرعون**)) أي أتباعه؛ وفرعون اسم علم لكل من ملك مصر كافرا كل من ملك مصر كافرا يسمى فرعون؛ كما أن كل من ملك الروم يسمى قيصر؛ ومن ملك الفرس يسمى كسرى . ((**آل فرعون والذين من قبلهم**)) وقبل آل فرعون أمم؛ فقوم ابراهيم قبلهم؛ وقوم لوط قبلهم؛ وقوم نوح قبلهم؛ وقوم هود قبلهم؛ وقوم عاد قبلهم؛ يعني قبلهم أمم؛ ولهذا قال: ((**والذين من قبلهم**)) ما دأبهم بينه بقوله: ((**كذبوا بآياتنا**)) أي كذبوا بكل ما يدل علينا من الآيات الكونية والآيات الشرعية؛ وأكثر ما يكون أن يكذبوا بالآيات الشرعية لأن الآيات الكونية قل من يكذب بها فالآيات الكونية مخلوقات الله وقل من ينكر أن يكون الخالق هو الله؛ لكن الآيات الشرعية التي هي الوحي التي جاءت به الرسل هو الذي يقع فيه التكذيب؛ فآل فرعون كذبوا بآيات الله؛ ويش قال فرعون لموسى؟ قال له إنك لمجنون؛ ((**قال إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون**)) وقال: إنه ساحر، ووصفه بأوصاف بالغة وهدده ((**قال لئن اتخذت إلها غيري لأجعلنك من المسجونين**)) وكان يذبح أبناء بني إسرائيل ويستحيي نسائهم، ويقول لقومه: أنا ربكم الأعلى؛ ويقول: ((**أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين فلو لا ألقي عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين**)) ؛ وقد ذكر الله تعالى قصته في كتابه كثيرا من أجل اليهود الذين كانوا في المدينة، ومن أجل الأنصار الذين تلقوا من علوم

اليهود شيئا كثيرا . يقول: ((**والذين من قبلهم كذبوا بآياتنا فأخذهم الله بذنوبهم**)) ((**أخذهم**)) يعني: أهلكهم ؛ ((**بذنوبهم**)) أي بسبب ذنوبهم؛ والذنب هو المعصية ومعاصي هؤلاء كلها كفر . والعياذ بالله . ولهذا أخذ . وبماذا أخذ فرعون وقومه؟ أخذ بغرق فأهلك بما كان يفتخر به؛ كان يقول لقومه: ((**أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي**)) فأهلك بماذا ؟ بالماء الذي كان يجري جنسه من تحته، وكان مفخرة له أهلكه الله عزوجل بالماء والقصة معروفة فإن فرعون جمع جميع أهل المدائن من أجل الكيد لموسى فخرج موسى من مصر هو وقومه واتجهوا بأمر الله إلى جهة بحر القلزم وهو البحر الأحمر المعروف الذي يفرق بين قارة أفريقيا وآسيا من ناحية جدة فلما وصلوا إلى البحر قال أصحاب موسى: ((**إنا لمدركون**)) كيف ؟ لأن البحر أمامهم وفرعون وقومه وفرعون وقومه خلفهم فهم هالكون على كل حال، إن ذهبوا إلى البحر هلكوا بالبحر وإن بقوا هلكوا بفرعون وجنوده فقال موسى عليه الصلاة والسلام: ((**كلا**)) يعني لستم بمدركين؛ ثم علل ذلك بقوله: ((**إن معي ربي سيهدين**)) الله أكبر . شف الإيمان عند الشدائد كيف يكون؟ يرى أن البحر أمامه وفرعون وجنوده خلفه وأصحابه على ما عندهم من الإيمان قالوا: ((**إنا لمدركون**)) لكنه قال: ((**كلا إن معي ربي سيهدين**)) . الله أكبر . فأوحى الله إليه أن اضرب بعصاك البحر فضرب البحر بعصاه فانفلق بعد كم يوم؟ في الحال بلحظة؛ الدليل أنه بلحظة؟ لأنه قال: ((**فانفلق**)) ((**أن اضرب بعصاك البحر فانفلق**)) شف حذف الله حتى الفعل الذي حصل به الانفلاق نعم ؟ لأن هذا البحر لما أمر الله موسى أن يضربه تهيأ، تهيأ للانفلاق بمجرد هذه الضربة التي وقعت عليه انفلق؛ وكم كان؟ كان اثني عشر طريقا يبسا، يبس في الحال وصاروا يمشون عليها على أقدامهم، وكانت المياه ككتل الجبال؛ وذكر بعض المفسرين من خبر بني إسرائيل أن الله جعل في هذه الكتل نوافذ يرى بعضهم بعضا كل هذه يرى بعضهم بعضا ليطمئن بعضهم على بعض؛ لما تكامل موسى وقومه خارجين وإذا بفرعون قد دخل هو وقومه فأمر الرب عزوجل البحر فانطبق عليه في الحال فغرقوا عن آخرهم ولما أدرك فرعون الغرق قال: ((**آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين**)) لما رأى العذاب وعاين آمن أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل ولكن لم ينفعه ذلك كما قال الله تعالى في أمثاله: ((**فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا**)) ولهذا قيل لفرعون: ((**آلآن**)) يعني آلآن تؤمن أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل ؟ ((**وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين**)) يعني هذا الاستفهام للإنكار عليه ونفي انتفاعه بذلك الإيمان؛ ولكن قال الله تعالى: ((**فاليوم ننجيك ببدنك**)) لا لمصلحتك ولكن لتكون لمن خلفك آية؛ من الذي خلفه؟ بنو إسرائيل؛ لأن بني إسرائيل كان فرعون قد أرهبهم ولو لم يظهر لهم بدنه على سطح الماء لكانوا يشكون لعله ما دخل في قومه، لعله سلم؛

فأبقى الله جسده ((**فاليوم ننجيك ببدنك**)) فقط لا بروحك ؛ لماذا ؟ ((**لتكون لمن خلفك آية**)) حتى يعلموا أنك قد مت . طيب هل ترون أشد من هذا النكال . والعياذ بالله . بهذا الرجل الطاغية؟ أبدا، نكال بالغ جمع قومه وظهر مظهر العزة ليقضي على موسى وقومه فأخذه الله تعالى أخذ عزيز مقتدر ((**ولقد جاء آل فرعون النذر كذبوا بآيتنا كلها فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر**)) عز وجل ، أخذ عزيز غالب لا يغلب، مقتدر لا يعجز سبحانه وتعالى؛ وأهلكوا بهذا الماء الذي كان فرعون يفتخر به . ولهذا قال الله: ((**فأخذهم الله بذنوبهم**)) والباء هنا سببية من وجه وللعوض من وجه آخر؛ كيف ذلك؟ السببية يعني أنه بسبب ذنوبهم لأن الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون؛ ولم يأخذ الله أحدا إلا بذنب. وللعوض من جهة أخرى أنه لم يظلمهم بل جعل جزاءهم من جنس العلم ((**من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها**)) ، ((**والله شديد العقاب**)) ختم الآية بهذا الوصف مناسب جدا؛ لأن هؤلاء الذين أخذوا بذنوبهم أذوا بماذا؟ بالعقاب الشديد الذي لا أشد منه؛ ولا أظن أن أحدا إلى يومنا هذا يستطيع أن يهلك عدوه كما أهلك الله فرعون؛ هل يستطيع أكبر دولة في العالم الآن أن تبرح الماء بهذه السرعة حتى يدخل العدو ثم تطبق الماء عليهم؟ أبدا، لا يمكن؛ ولكن شديد العقاب عزوجل الرب عزوجل الذي ينزل عقابه بأعدائه لحكمة كان قادرا على ذلك وبلحظة ((**فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى**)) . ثم قال الله عزوجل: الفوائد بعدها؛ كل آية وفوائدها؟ نعم . يقول الله عز وجل: ((**إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم** ...)) يستفاد من هذه الآية الكريمة: أن الكفار لا ينتفعون بأموالهم ولا أولادهم؛ في هذه من الفوائد: إن الكفار لا تنفعهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا . ومن فوائدها: أن المؤمنين قد ينتفعون بأموالهم وأولادهم وهو كذلك؛ فالمؤمن يتصدق بماله فينتفع، ويدعوا له ولده في حياته وبعد موته فينتفع؛ أما الكافر فلا ينتفع ولو دعا له ولده أليس كذلك؟ طيب وهل يحل لولده أن يدعوا له؟ لا، إلا إذا كان حيا فيحل أن يدعوا له بالهداية، وأما أن يدعوا له بعد موته فلا يمكن أن يدعوا له . ومن فوائد الآية الكريمة: أن الكافر يملك؛ وجهه؟ قوله: ((**أموالهم**)) فأضاف المال إليه وهو دليل على أن الكافر يملك ماله . واختلف العلماء في المرتد الذي يكفر بعد إسلامه؛ هل يزول ملكه عما تحت يده أو لا؟ فمن العلماء من قال: إنه إذا ارتد إنسان زال ملكه عما تحت يده؛ وعلى هذا فلا يصح أن يتصرف فيه؛ ولكن القول الراجح: أنه لا يزول ملكه؛ إلا إذا مات على ردته فإن ملكه لا ينتقل إلى ورثته بل إلى بيت المال؛ ومن المعلوم أننا لو قلنا: بأن المرتد يزول ملكه لحصل إشكال عظيم في عصرنا هذا؛ ما هو؟ أن بعض الناس لا يصلي والذي لا يصلي مرتد؛ فإذا قلنا بزوال ملك المرتد لزم من ذلك أن كل تصرف يتصرف به في ماله من لا يصلي فهو تصرف غير صحيح؛ إن باعوا شيئا لم يصح، وإن اشتروا شيئا

لم يصح الشراء، وإن استأجروا شيئا لم يصح الاستئجار، وإن أجروا شيئا لم يصح التأجير؛ وهذا وإن قال به بعض العلماء لكن الراجح أن ملكه باق على ماله حتى يموت فإذا مات فإننا نصرف ماله إلى بيت المال ولا يرثه أحد من ورثته لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (**لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم**) . من فوائد الآية الكريمة: بيان قدرة الله عزوجل، وأنه لا ينفع مال ولا بنون من الله شيئا؛ لقوله: ((**لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا**)) ؛ طيب ومن غير الله؟ تغني ولا لا؟ لا، تغني، من غير الله تغني يمكن يدفع شيئا من ماله ويسلم من القتل أليس كذلك؟ ويمكن أن يكون عنده أولاد شجعان إذا أرده أحد بسوء دافعوا عنه؛ لكن من الله لا يغني عنه مال ولا ولد . ومن فوائد الآية: تشجيع قلوب المؤمنين على الكافرين؛ وجهه؟ أن أموالهم وأولادهم لا تغني من الله شيئا؛ فإذا انتصرنا بالله فإن ما عندهم من الأسلحة، والذخائر، والأموال، والأولاد لا يغنيهم من الله شيئا أليس كذلك؟ بلى هو كذلك؛ ولهذا لو شاء الله عزوجل أن يبطل جميع ما فعلوه لأبطله؛ وأظنكم لا تنسون ما يحصل من الزلازل التي تدمر كثيرا مما صنعوا؛ ولا تنسون أيضا أن ما صنعوه قد يفسد بأيديهم، قد يفسد بأيديهم فكم من انفجارات حصلت في مخازن القنابل الذرية والنووية وحصل بذلك شر كثير عليهم وعلى من حولهم؛ لو شاء الله سبحانه وتعالى لأعتم الجو فقط إعتاما بالضباط ولم يستطيعوا أن يفعلوا شيئا؛ لأن الله سبحانه وتعالى قدرته وقوته لا يقهرها شيء .

وحصل بذلك شر كثير عليهم وعلى من حولهم ؛ لو شاء الله سبحانه وتعالى لأعتم الجو فقط إعتاما بالضباط ولم يستطيعوا أن يفعلوا شيئا ؛ لأن الله سبحانه وتعالى قدرته وقوته لا يقهرها شيء ؛ ولهذا قال: ((**لا تغني عنهم من الله شيئا**)) . ومن فوائد الآية الكريمة: أن الكفار في النار؛ لقوله: ((**وأولئك هم وقود النار**)) ولكن هل نشهد لكل كافر أنه في النار؟ لا؛ نعم هل نشهد لكل كافر يعني بعينه أنه في النار؟ الجواب: لا ؛ لكن نشهد على سبيل العموم ونقول: كل كافر في النار ؛ كما نقول: كل مؤمن في الجنة لكن لا نشهد لواحد معين بالجنة ففرق بين العموم وبين الخصوص ؛ وفي الآية أيضا إثبات النار لقوله: ((**وقود النار**)) . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ((**كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآياتنا فأخذهم الله بذنوبهم والله شديد العقاب**)) ما قرأنا هذه؟ ((**قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد؛ قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يروهم مثليهم رأي العين والله يؤيد بنصره من يشاء إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار؛ زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب**)) .أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم. قال الله عزوجل: ((**إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا**))

الشيخ : قوله: ((**إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا** ...)) هل بالذين كفروا قوم معينون أم هو عام ؟

الطالب : عام ؛

الشيخ : وله أموال وأولاد فإن هؤلاء الأموال والأولاد لا ينفعهم .

الشيخ : هل نفي الإغناء هنا في الدنيا أو في الآخرة ؟

الطالب : في الآخرة ؛

الشيخ : وفي الدنيا؟

الطالب : يمكن أن يغني عنهم في الدنيا ؛

الشيخ : من الله؟ لا، ((**لن تغني عنهم ولا أولادهم من الله**)) ؟

الطالب : في الآخرة لن تغني عنهم ؛

الشيخ : وفي الدنيا ؟

الطالب : من الله؟

الشيخ : أي نعم ؛

الطالب : لا يغني عنهم ؛

الشيخ : اجزم ؟

الطالب : لا يغني عنهم مجزم ؛

الشيخ : لا في الدنيا ولا في الآخرة ؛ توافقون على هذا؟ نعم ؛ لن تغني عنهم من الله شيئا ؛ لقوله تعالى: ((**وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له**))

الشيخ : طيب قوله: ((**وأولئك هم وقود النار**)) وقود النار بمعنى ما يوقد به أي أنهم توقد بهم النار؛

الشيخ : وهل يشاركون في ذلك أحد ؟

الطالب : نعم ،

الشيخ : أي نعم ، نعم يشاركون ؛

الشيخ : هم هم الكفار نعم آدم ؟

الطالب : يشاركهم المنافقين؛ المنافقون الكفار؛

الشيخ : لا لا؛ يحي؟

الطالب : الحجارة

الشيخ : ((**وقود ها الناس والحجارة**)) .

الشيخ : قوله: ((**كدأب آل فرعون**)) هداية الله ويش معناها ؟

الطالب : يعني مثل قوم فرعون ؛

الشيخ : الدأب بمعنى؟

الطالب : مثل قوم ؛

الشيخ : يعني ((**كدأب آل فرعون**)) أي كمثل آل فرعون ؟

الطالب : كعادتهم يا شيخ ؛

الشيخ : كعادتهم وشأنهم ؛

الشيخ : طيب ويش هذه الجملة ، هذه الكلمة محلها من الإعراب ؟

الطالب : محلها من الإعراب ؟

الشيخ : نعم ؛

الطالب : يعني دأب مبتدأ آل فرعون خبر ؛

الشيخ : لا لا ؛ دأب مثل يعني ؛

الطالب : إعرابه هذا ؛

الشيخ : لا ليس أعرابه هذا ؛ طيب أنت ؟ ما تعرف الإعراب ؟

الطالب : كدأب جار ومجرور خبر مقدم ؛

الشيخ : خبر مقدم لأيش؟

الطالب : خبر مقدم لمبتدأ مقدر

الشيخ : خبر مقدم لمبتدأ مقدر؟ خبر مقدم مادام المبتدأ مقدر فهو بيدك حط قبله أو بعده ؟ إذا ؟ الآن تقول خبر لمبتدأ مقدر مؤخر كذا ؟ أغربت عن المؤخر ؟ إذا خبر لمبتدأ مؤخر والتقدير ؟

الطالب : تقدير: دأبهم ؛

الشيخ : دأبهم كدأب آل فرعون طيب .

الشيخ : ما المراد بآل فرعون هنا يا عبد المنان ؟

الطالب : فرعون نفسه وآل قومه الذين كفروا من قومه ؛

الشيخ : الذين اتبعوه لأيش ما نقول الذين اتبعوه ؟

الطالب : أو الذين اتبعوه ؛

الشيخ : الذين اتبعوه طيب يعني هو وأتباعه .

الشيخ : ((**الذين من قبلهم**)) مثل من يا غانم ؟

الطالب : مثل أصحاب نوح، وقوم عاد ،

الشيخ : وقوم ابراهيم ، وقوم لوط، وأصحاب مدين كثير.

الشيخ : جملة: ((**كذبوا بآياتنا**)) ((**كذبوا بآياتنا فأخذهم الله**)) ما محلها من الإعراب ؟

الطالب : جملة استئنافية لبيان هذا الداء ؟

الشيخ : طيب زين .

الشيخ : المراد بالآيات هنا بندر؟

الطالب : آياته الكونية

الشيخ : والشرعية؛ كيف الترتيب بالآيات الشرعية ؟

الطالب : كذبوا بما أتى به موسى؛

الشيخ : أو رسله لأنه يقول: ((**والذين من قبلهم**))

الطالب : نعم رسل جميعا وكذلك في الآيات الكونية ؛

الشيخ : في الآيات الكونية كذبوا بها إما بنسبتها إلى غير الله أو بأن الله له فيها مشارك أو معين .

الشيخ : طيب قال الله تعالى: ((**فأخذهم الله بذنوبهم**)) الباء الأخ ؟ الباء ويش معناها ؟ ما حضرت ؟ فيصل ؟

الطالب : الباء سببة

الشيخ : الباء هنا سببية أخذهم الله بسبب ذنوبهم ؛ وتصح معنى آخر فهد؟

الطالب : العوض

الشيخ : العوض يعني جزائهم من جنس عملهم وعوضا عنه والله شديد العقاب . نأخذ الفوائد الآن ؟

من فوائد الآية الكريمة هذه الآيات أولا الآية الأولى: أن الكافرين قد يرزقون بالأموال والأولاد؛ أخذتها؟ نعم؛ ويش بقي إذا ؟ من فوائد الآية الكريمة: ((**كدأب آل فرعون والذين من قبلهم**)) وهي الآية الثانية من فوائدها: أن الكفار المتأخرين كالكفار السابقين؛ لأن سنة الله تعالى بالخلق واحدة؛ لأنه عزوجل ليس بينه وبين الحلق نسب يراعيه ويحابي من يتصل به؛ فالناس عند الله تعالى سواء؛ أكرمهم عند الله أتقاهم؛ **لقوله**: ((**كدأب آل فرعون** ...)) . ومن فوائد الآية الكريمة: أن فرعون وآله قد عذبوا في الدنيا كما سيعذبون في الآخرة؛ لقوله: ((**فأخذهم الله بذنوبهم**)) . ومن فوائدها: الرد على من زعم أن فرعون أسلم فنفعه إسلامه؛ لأن الله تعالى ذكر ذلك على وجه المؤاخذة والمعاقبة؛ ولو كان تائبا توبة تنفعه ما ذكر ذنبه بدون ذكر توبته؛ لأن الله تعالى عدل لا يذكر أحدا بذنب تاب منه إلا أن يبين توبته؛ فآدم عليه الصلاة والسلام لما أكل من الشجرة وحصل له ما حصل وتاب إلى **الله** ((**فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه**)) ذكر الله تعالى معصيته وذكر أنه تاب وذكر أنه بعد التوبة كان خيرا منه قبله ((**ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى**)) . ومن فوائد الآية الكريمة: إثبات الآية لله وهي العلامات الدالة على الله عزوجل على وجوده وعلى ما تتضمنه هذه الآيات من صفاته؛ فمثلا نزول الرحمة نزول الغيب دليل على الرحمة، آية على رحمة الله على وجوده وعلى رحمته؛ نزول العقوبات دليل على وجود الله وعلى غضبه؛ وهكذا كل آية تدل على وجود الله سبحانه وتعالى وعلى ما تقتضيه تلك الآية من الصفات سواء كانت آية رحمة أو آية عذاب . ومن فوائد الآية الكريمة: أن الله لا يظلم الناس شيئا وإنما يؤاخذهم بالذنوب؛ ((**فأخذهم الله بذنوبهم**)) ؛ ونظير ذلك قوله تعالى: ((**وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفوا عن كثير**)) . ومن فوائد الآية الكريمة: الرد على الجبرية الذين لا ينسبون فعل العبد إليه؛ لقوله:

((**بذنوبهم**)) فأضاف الذنوب إليهم؛ والفعل لا ينسب إلا لمن قام به حقيقة؛ والجبرية يقولون: إن الفعل لا ينسب إلى الإنسان على وجه الحقيقة . ومن فوائد الآية الكريمة: إثبات صفة شدة العقاب لله؛ لقوله: ((**والله شديد العقاب**)) . ثم قال الله تعالى: ((**قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد**)) ((**قل**)) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم؛ واعلم أن الخطاب الموجه للنبي صلى الله عليه وسلم تارة يكون شاملا له وللأمة بالنص المقترن بذلك الخطاب؛ وتارة يكون خاصا به؛ وتارة يكون عامة له وللأمة لمقتضى كونه إماما للأمة يعني ليس بالخطاب ما يدل على العموم لكن باعتبار أنه إمام الأمة يكون الخطاب له وهو يشمل وحكمه يشمله ويشمل الأمة؛ مثال الأول الخطاب الموجه للنبي صلى الله عليه وسلم واقترن به ما يدل على أنه عام له وللأمة: قوله تعالى: ((**يا أيها النبي إذا طلقتما النساء فطلقوهن لعدتهن**)) فقال: ((**يا أيها النبي**)) ثم قال: ((**إذا طلقتم النساء**)) ولم يقل: إذا طلقت فدل هذا على أن هذا الخطاب موجه له ولأمته؛ ومثال العام الذي ليس فيه نص مقترن به أنه عام أكثر خطابات الموجه للرسول عليه الصلاة والسلام من هذا القسم؛ مثل هذه الآية: ((**قل للذين كفروا**)) هذا شامل له وللأمة حتى نحن نقول للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم؛ ومثال الثالث: قوله تعالى: ((**ألم نشرح لك صدرك**)) ((**ألم يجدك يتيما فآوى**)) هذا خاص للرسول عليه الصلاة والسلام . قال الله تعالى: ((**قل للذين**)) يعني قل يا محمد وأمته تقول ذلك أيضا للكفار على وجه الاقتداء به والتأسي به؛ قل لهم ((**ستغلبون وتحشرون**)) وفي قراءة: ((**سيغلبون ويحشرون**)) قراءة سبعية ؛ ((**ستغلبون**)) من الذي يغلبهم؟ الذي يغلبهم هم المؤمنون كما قال الله تعالى: ((**ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين**)) وقال الله تعالى: ((**كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز**)) ولكن من المؤمن الغالب؟ المؤمن الغالب هو الذي آمن حقا وقام بالعمل الصالح، ليس مجرد الإيمان هو القول باللسان ((**ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين**)) لابد من إيمان صادق يشهد له العمل فيكون صالحا؛ والله عزوجل يقول: ((**إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد**)) فالذين آمنوا إيمانا حقيقيا مصدقا بالعمل سوف يغلبون بلاشك ، سوف يغلبون الكفار . ولكن إذا قال قائل: ما تقول في الأمة الإسلامية اليوم؟ فإنها مغلوبة على أمرهم والكفار يستذلونها غاية الظلم ويحاربونهم من كل وجه بكل أنواع السلاح ؟ فجوابنا أن نقول: أقول في الأمة الإسلامية إنها يصدق على عامتها ما هو على كل فرد منها أنه ليس لهم من الإسلام إلا اسمه فقط ولا من القرآن إلا رسمه؛ ولذلك تجد واحدا منهم يعظم القرآن تعظيما متعديا لحدود الشرع؛ لكن تعظيم رسمي فقط، يقبل القرآن ويحبه ويضم على جبهته لكن ما يعمل بما فيه إلا نادرا، حتى إنه ربما يفعل ذلك وهو يشرك بالله يدعوا غير الله أين العمل بالقرآن؟ ما فيه عمل بالقرآن؛ وإذا نظرت نظرة فاحصة في

العالم الإسلامي اليوم وجدت أنه لا يمثل الإسلام حقيقة، وجدت في العبادة أنواع كثيرة من الشرك بالأموات وبالأحياء، وجدت أنواعا كثيرا من البدع العقدية والعملية، وجدت أنواعا كثيرة من نقض العهد والغدر والخيانة والكذب والغش فأين الإسلام؟ ليس هو إلا اسمه؛ ومن ثم لم نغلب الذين كفروا بل الذين كفروا هم الذين غلبونا في الواقع وهم الذين لهم السيطرة الآن السيطرة على العالم اقتصاديا وسياسيا وعسكريا نعم. إذا هذه الآية إذا قال قائل: كيف تصدق هذه الآية أو تصدق مقتضاها ما نشاهد اليوم؟ الجواب: أننا لم نصدق الله حتى يكون لنا النصر ((**ولو صدقوا الله لكان خيرا لهم**)) . ((**ستغلبون وتحشرون إلى جهنم**)) في الدنيا تغلبون، في الآخرة تحشرون إلى جهنم . والعياذ بالله . يجمعون إليها ويدخلونها ويخلدون فيها فيكون هؤلاء الكفار قد خسروا الدنيا والآخرة؛ خسروا الدنيا بالغلبة غلبوا والذل؛ وخسروا الآخرة بأنهم يحشرون إلى جهنم وهذا كقوله عزوجل: ((**إن الذين ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون**)) هذه الآية نظير هذه الآية . وقوله: ((**وبئس المهاد**)) هذا قدح للنار والعياذ بالله . وأنها بئس المهاد يعني بئس ما يتمهد به الإنسان كالذي يتمهد في فراشه ويلتحف بلحافه ((**لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل**)) والعياذ بالله . ((**يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون**)) ((**لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش**)) أي شيء يغشيهم ويغطيهم من العذاب؛ فهم . والعياذ بالله . حالهم حال لا يمكن أن يتصورها الإنسان لعظمها وشدتها وهم خالدون فيها أبدا. ((**قد كان لكم آية في فئتين التقتا**)) ((**قد كان**)) يحتمل أن تكون هذه من جملة مقول القول السابق يعني: ((**قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم**)) هذه الآية قد تكون من جملة مقول القول السابق في قوله: ((**قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد قد كان لكم**)) فتكون من جملة مقول القول يعني: قل لهم اعتبروا بمثل أضربه لكم ((**كان لكم آية**)) أي علامة على أنكم ستغلبون؛ لأن الآية في اللغة العلامة؛ آية على أنكم ستغلبون ((**في فئتين التقتا**)) يعني للقتال بينهما؛ والفئة بمعنى طائفة؛ وهل المراد بفئتين فئتان حقيقيتان واقعيتان ؟ أو هو على سبيل المثال؟ أكثر المفسرين على أنهما فئتان حقيقيتان في أمر واقع ؛ وقال بعض المفسرين: إن ذلك على ضرب المثل يعني ولنفرض أن هنالك فئتين على هذا الوجه فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة؛ وإذا قلنا إنهما فئتان في قضية واقعة فقد قال هؤلاء القائلون بهذا القول: إن المراد بهما فئة الكفار والمؤمنين في بدر؛ فهما فئتان: فئة تقاتل في سبيل الله وهم النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه؛ وفئة كافرة تقاتل في سبيل الطاغوت كما قال الله تعالى: ((**الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت**)) . الله أكبر . ((**فقاتلوا أولياء الشيطان**)) الخطاب لمن؟ للمؤمنين ((**فقاتلوا أولياء**

الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا)) سبحان الله لو أخذنا بهذه الآية ونحن مؤمنون حقيقة نقاتل في سبيل الله لكان هؤلاء بين أيدينا كالفراش؛ ولكن الأمر كما تعرفون . قوله: ((**آية في فئتين**)) أي طائفتين من الناس ((**التقتا**)) يعني لقي بعضهم **بعضا** ((**فئة تقاتل في سبيل الله**)) ((**فئة**)) مبتدأ، و((**تقاتل**)) خبره وجاز كون المبتدأ نكرة لأنه للتقسيم؛ وقد مر علينا أنه إذا كان هناك تقسيم جاز الابتداء بالنكرة؛ ومنه قول الشاعر:

فيوم علينا ويوم لنا ويوم مساو ويوم نسر

فبدأ بالنكرة من أجل التقسيم ؛ فهنا قال: ((**فئة تقاتل**)) فبدأ بالنكرة لأن المقام مقام التقسيم؛ ((**تقاتل في سبيل الله**)) في سبيل الله أي في طريقه . والقتال في سبيل الله يتضمن أمورا ؛ الأول: إخلاص النية لله؛ الثاني: أن يكون فيه موافقا أمر الله؛ الثالث: أن تتجنب فيه محارم الله؛ ولهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام: (**من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله**) الأول أن يكون مرادا بها وجه الله، وأن تكون كلمة الله هي العليا وهذا الإخلاص؛ لا يقصد الإنسان بقتاله السيطرة على العالم وأن يملك الأرض ويغنم الأموال ويصبي الذرية؛ إن قصد هذا فليس قتاله في سبيل الله؛ الثاني: أن يكون القتال في حدود شريعته بحيث لا يكون فيه عدوان على أحد؛ فإن كان فيه عدوان على أحد فإنه ليس في سبيل الله؛ ومثاله: أن يكون بيننا وبين المشركين عهد ثم ننقضه ونقاتل وهذا حرام، وليس هذا قتال في سبيل الله بل هو معصية لله عزوجل؛ لأن الله تعالى قال: ((**فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم**)) ونهى أن نقاتل في حال العهد وقال: ((**وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء**)) يعني حتى إذا عاهدت قوما من الكفار وخفت أن يخونوا لا يجوز أن تنقض الهد ولكن انبذ إليهم على سواء؛ يعني قل لهم لا عهد بيننا وبينكم على سواء حتى تكون على سواء يعني على علم بأن العهد قد نقض؛ أما أن تقاتل مع العهد فهذا في سبيل الله. الأمر الثالث: أن تجتنب فيه محارم الله ؛ فإن لم تجتنب فيه محارم الله فإنه وإن كان أصله في سبيل الله لكن لا تتحقق فيه الغلبة والنصر؛ بدليل ما وقع للمسلمين في غزوة أحد فإن المسلمين في غزوة أحد كان الأمر في أول النهار في أيديهم والغلبة لهم ولكنهم عصوا نعم؟ عصوا الرسول عليه الصلاة والسلام فخذلوا فكانت الدائرة للمشركين يقول الله عز وجل: ((**حتى فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون**)) يعني حصلت الهزيمة ، حصلت الهزيمة ((**منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم**)) . الله أكبر . الله عزوجل صرف المسلمين عنهم فلم يقاتلوهم ((**ليبتليكم ولقد عفا عنكم**)) شف بعد هذا الت والتوبيخ الذي يتعظ به من يأتي بعدهم قال بعده: ((**ولقد عفا عنكم**)) ونحن لو فعلنا كما فعلوا هل نحن ضامنون أن يعفوا الله عنا؟ لا؛ لكن الصحابة عفا

الله عنهم وصار ما فعلوه كأن لم يكن؛ المهم أن نقول: في سبيل الله لابد فيه من شروط؛ ماذا تقولون في قوم يقاتلون للقومية هذا في سبيل الله ؟ ليس في سبيل الله؛ ولهذا سئل النبي عليه الصلاة والسلام عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل ليرى مكانه أي ذلك في سبيل الله؟ قال: (**من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله**) يعني هذا كلها ليست في سبيل الله؛ الرجل يقاتل لشجاعة لأنه شجاع والشجاع يحب أن يقاتل؛ لأن الشجاعة من سجيته والإقدام من سجيته فيحب هذا؛ والثاني يقاتل حمية وحدبا على قومه؛ والثالث قاتل رياء وسمعة ليرى مكانه أي ذلك في سبيل الله قال: (**من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله**) . طيب ((**الأخرى كافرة**)) ولم يقل الله عزوجل: تقاتل في سبيل كذا؛ وهذا من باب اكتفاء بأحد الوصفين عن الآخر؛ الأولى قال: ((**فئة تقاتل**)) ولم يقل فئة مؤمنة تقاتل في سبيل الله؛ والثاني قال: ((**وأخرى كافرة**)) ولم يقل: تقاتل في سبيل الطاغوت؛ فحذف من الأول مقابل ما ذكر في الثاني؛ ويش حذف من الأول؟ مؤمنة التي تقابلها كافرة؛ وحذف من الثاني ضد ما ذكر في الأول فحذف في سبيل الطاغوت وقد ذكر في الأولى: في سبيل الله؛ وهذا من اعتبار بذكر أحد الوصفين على الآخر وهو من البلاغة الإيجازية؛ قال: ((**وأخرى كافرة**)) يعني تقاتل في سبيل الطاغوت . ((**يرونهم مثليهم رأي العين**)) وفي قراءة سبعية: ((**ترونهم مثليهم رأي العين**)) وهنا نشوف من الرائي هل هم المقاتلون في سبيل الله؟ أو الكفار؟ الواقع إن الضمير يصلح لهذا وهذا نعم؟ لكن ((**ترونهم مثليهم رأي العين**)) واضح أنها تعود إلى الكفار ترون المقاتلين الفئة التي تقاتل في سبيل الله مثلي الكفار لكن رؤيا فقط ما هي حقيقية ((**إذ يريكهم الله في منامك قليلا ولو أراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم في الأمر ولكن الله سلم إنه عليم بذات الصدور**)) ((**وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلا ويقللكم في أعينهم ليقضي الله أمرا كان مفعولا**)) ؛ طيب ((**يرونهم مثليهم رأي العين**)) يعني يشاهدونهم بأعينهم أنهم مثليهم سواء كانوا مؤمنين ولا كفار؛ فإن كانوا مؤمنين يروا أن الكفار مثليهم يرون الكفار مثليهم فواضح أن الفئة القليلة هي المؤمنة وإن كان الكفار يرونهم مثليهم رأي العين ففيها إشكال؛ لأنهم إذا كان الكفار يرون المؤمنين رأي العين مثليهم صارت الغلبة لمن؟ للأكثر ولا للأقل؟ صارت الغلبة للأكثر لكنهم قالوا: إن رؤيتهم إياهم مثليهم من باب إراءة الله إياهم كذلك وإن كانوا في الواقع دون ذلك؛ على كل حال الأقرب أن الرائي هم الطائفة المؤمنة وأن المثلين من؟ الطائفة الكافرة يعني ترى الطائفة المؤمنة الطائفة الكافرة مثليهم وتحقق أن هؤلاء الكفار يبلغون ضعفيهم؛ إذا كان المؤمنون المائة كما الكفار؟ يكون مائتين؛ فإذا قلنا: إن هذه الآية في قضية الواقعة وهي في يوم بدر صار عندنا إشكال كبير في قوله: ((**مثليهم**)) لماذا؟ لأن عدد المؤمنين في بدر ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا، وعدد الكفار ما بين تسع مائة إلى ألف وهل تسع مائة وألف تكون

مثلي ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا ؟ نعم تقريبا ثلاثة أمثال، ثلاثة أمثال أو أكثر ؛ فذهب بعض العلماء إلى أنهم يروهم مثليهم وإن كانوا في الحقيقة أكثر نعم؟ وذهب بعض العلماء إلى أن المراد بالمثل هنا الزائد وجعل معنى قوله: ((**يرونهم مثليهم**)) أي يرونهم أكثر منهم ؛ وهذا إذا قلنا: إن الآية في قضية الواقعة وهي غزوة بدر؛ أما إذا قلنا: إنها ضرب مثل ففيه إشكال ولا لا؟ لا إشكال فيه إذا قلنا إنه من باب ضرب المثل وأن المؤمنين إذا كانوا نصف الكفار فإنه يغلبونه وهذا هو المطابق لقول الله تعالى: ((**الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين**)) فهنا الفئة تغلب مثليها أليس كذلك؟ الفئة تغلب مثليها، المائة تغلب مائتين، والألف يغلب ألفين؛ طيب قال الله: ((**يرونهم مثليهم رأي العين**)) ((**رأي العين**)) هذه مصدر مؤكد لقوله: ((**ترونهم**)) أو ((**يرونهم**)) إذا جعلنا الرؤية بصرية ؛ وأما إذا جعلناها علمية أي يعلمونهم مثليهم رأي العين فهي أيضا من باب التوكيد المعنوي؛ يعني يعلمونهم علما يقينيا كما يرونهم بأعينهم . ((**والله يؤيد بنصره من يشاء**)) يؤيد يقوي؛ والباء هنا باء الوسيلة أي يؤيد بسبب نصره من يشاء؛ وقلت إن الباء للوسيلة كما يقال: ذبحت بالسكين؛ وضربت بالعصا؛ فالنصر إذا وسيلة التأييد فهو يقوي عزوجل بنصره من يشاء؛ طيب ((**من يشاء**)) ممن تقتضي الحكمة نصره أو ممن تقتضي الحكمة تأييده؛ ويجب أن نقيد كل آية جاءت بلفظ المشيئة أو جاءت معلقة بالمشيئة يجب أن نقرنها بالحكمة لقول الله تعالى: ((**وما تشاءون إلا أن يشاء الله إن الله كان عليما حكيما**)) . ((**إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار**)) ((**إن في ذلك**)) المشار إليه ما سبق من ذكر هذه القضية ؛ أي إن في ذلك المذكور لعبرة يعني لإعتبارا والاعتبار والعبور من شيء إلى شيء، مأخوذ من العبور من شيء إلى شيء؛ يعني كأن الإنسان يعبر بعقله من المذكور إلى المعقول ؛ فهنا ذكرت لنا القصة؛ نأخذ منها العبرة بماذا ؟ بأن الفئة قليلة تغلب الفئة كثيرة؛ فيكون فيها تحقيق لقوله تعالى: ((**قل للذين كفروا ستغلبون**)) فإذا افتخر الكفار بكثرتهم نقول لهم: إن كثرتكم لا تغني عنكم شيئا؛ فهذه فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة ومع ذلك صارت الغلبة لمن؟ للتي تقاتل في سبيل الله . ((**إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار**)) الأبصار جمع بصر كأسباب جمع سبب ؛ ولكن ما المراد بالأبصار هنا؟ هل هو بصر الرؤية الحسية أو بصر العقل أو يشمل؟ يشمل مادام أنهم يرونهم رأي العين فيكون فيه عبرة لأولي الأبصار للذين رأوا بأعينهم ؛ وكذلك هو عبرة لأولي الأبصار بالعقول ، بعقولهم ولو كانوا لم يروا ذلك رأي العين؛ لأنهم إذا سمعوا اعتبروا فكان في ذلك عبرة لهم . ثم قال الله عز وجل ؛ نأخذ الأسئلة ؟ نعم .

السائل : أليس المسلمين اليوم غثاء كغثاء السيل؟

الشيخ : أي نعم بلى يصدق على المسلمين اليوم أنهم غثاء كغثاء السيل لأن الأمم تداعوا عليهم كما تداعى على الأكلة على قصعته نعم.

السائل : شيخ ((**فئة تقاتل في سبيل الله**)) هذه الفئة وصفها ؟

الشيخ : هو يقول: إنه يجوز أن نجعل ((**فئة تقاتل في سبيل الله**)) خبر لمبتدأ محذوف والتقدير: إحداهما فئة تقاتل ؛ وهذا صحيح ، ما ذكره وجه من أوجه الإعراب الآية يعني أنه يجوز أن نجعل ((**فئة**)) خبر لمبتدأ محذوف تقديره: إحداهم؛ ولكن قد قرر أهل العلم قاعدة يا هداية الله وهو: أنه إذا أمكن أن يكون الكلام غير مقدر فهو أولى ؛ مر علينا هذا في أي شيء؟ في النحو وفي أصول الفقه أيضا ؛ إنه يحمل الكلام إذا أمكن على غير حذف؛ إذا قلت: قوم يبيعون وقوم يؤجرون ؛ صار التقسيم يقسم هؤلاء إلى هذا وهؤلاء إلى هذا .

السائل : شيخ نحن قسمنا الخطاب في قوله تعالى: ((**قل للذين كفروا**)) إلى ثلاثة أقسام ثم قلنا خطاب خاص للرسول صلى الله عليه وسلم ومثلنا قوله تعالى: ((**ألم نشرح لك صدرك**)) ألم نشرح لك صدرك هذه عامة لكل واحد إذا اهتدى انشرح صدره للإسلام ؟

الشيخ : لا لا لا لأن الإسلام هذا للتقرير ((**ووضعنا عنك وزرك**)) ((**ورفعنا لك ذكرك**)) هذا خاص بالرسول.

السائل : ما موقف المجاهد الذي يجاهد ومعه ويعصون الله تعالى إن معصية ؟

الشيخ : على كل حال هؤلاء لا يستحقون النصر، الذين يعصون الله عزوجل لا يستحقون النصر؛ لأن المعصية سبب للخذلان لكن قد ينصرون لظلم خصمهم ، أحيانا ينصر الظالم على الظالم من أجل إهانة الثاني كما قال تعالى: ((**وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون**)) فانتصار اليهود مثلا على أهل فلسطين من هذا النوع وإلا أهل فلسطين أحق بالنصر من اليهود إذا كانوا مسلمين ؛ وبالفعل المسلم أحق بالنصر من الكافر لكن قد يكون عند المسلم معاصي كثيرة توجب أن يذل من قبل الكافر.

نقول: إن هذا هو سر السجود، كمال التعبد لله والتواضع له ؛ ولهذا كان جزاء الساجد أن يكون أقرب ما يكون من ربه عزوجل لأنه تواضع لله ونزل فرفعه الله وصار أقرب ما فيه إلى ربهم ؛ وقد ورد في الحديث: (**أن الله حرم**

على النار أن تأكل أعضاء السجود) فيمن يدخل النار من أولي العصاة ؛ لأن عصاة المؤمنين إذا لم يتب الله عليهم ولم تكن لهم حسنات ترجح على سيئاتهم فإنه يعذبون في النار بقدر ذنوبهم؛ لكن أعضاء السجود محترمة لا تأكلها النار ولا تؤثر فيها ؛ ولهذا قال بعضهم:

يا رب أعضاء السجود أتقتها من فضلك الوافي وأنت الباقي

والعتق يسوي في الغنى يا ذا الغنى هم على الهام بعتق الباقي

توسل إلى الله أن يعتق جميع العتق بسراية العتق له إلى أن يعتق جميع البدن قال المؤلف رحمه الله ولو بحائل بين أعضاء سجوده ويجافي بين جنبيه يجافي الفاعل من ؟ المصلي السائل يجافي عضديه عن جنبيه أي يبعدهما

((**زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب**)) . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. قال الله عز وجل: ((**قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد**)) هذه الآية مصدرة بقل تدل على أن الله أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بإبلاغها إلى الكفار؛

الشيخ : فما الذين يفيده تصدير بعض الأحكام أو الأخبار بقل ؟ يعني كون الله يأمر نبيه أمرا خاصا بتبليغ هذا الشيء ما الذي يدل عليه ؟

الطالب : يدل على أهميته ،

الشيخ : على أهميته وأنه أمر أن يبلغه أمرا خاصا مع أن الرسول صلى الله أمر أن يبلغ القرآن كله لكن هذا يدل على أنه معتنى به مثل: ((**قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة**)) ((**قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم**)) والأمثلة على هذا كثيرة .

الشيخ : قوله: ((**ستغلبون**)) فيها قراءتان يا عبد الرحمن ؟

الطالب : ((**فسيغلبون**))

الشيخ : طيب .

الشيخ : قوله: ((**تحشرون إلى جهنم**)) ؛ ومعنى الحشر؟

الطالب : الجمع

الشيخ : طيب .

الشيخ : قوله: ((**قد كان لكم آية في فئتين**)) آية على أي شيء ؟ آية يعني علامة لكن على أي شيء؟ ما حضرت ؟ آية على أيش؟

الطالب : على أنهم سيغلبون

الشيخ : على أنهم سيغلبون ، على أن الكافر مغلوب .

الشيخ : ما المراد بالفئتين في قوله: ((**فئتين**)) ؟ ما عندنا مؤلف هذا قرآن ؛

الطالب :بدر

الشيخ : إنها إشارة إلى غزوة بدر وهذا هو الذي عليه الجمهور طيب ؛

الشيخ : وقال بعض العلماء؟

الطالب : مثال

الشيخ : مثال ، يعني معنى الآية تشمل أهل بدر وغيرهم .

الشيخ : إذا قلنا: إنهم أهل بدر، إنها إشارة إلى أهل بدر فكيف نجمع بين الواقع وبين قوله: ((**تروهم مثليهم رأي العين**)) ؟

الطالب : مثليهم يعني رؤية الكثرة

الشيخ : مطلق الزيادة ؛ ولا يدل ذلك على التثنية مثل: ((**ثم ارجع البصر كرتين**)) فيكون المراد بمثلين الزيادة بقطع النظر عن كونه مثلا ومثلا لأن المعروف أن المسلمين في بدر ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا وأن المشركين ما بين تسع مائة إلى ألف .

الشيخ : يا عمر فيه رأي آخر؟

الطالب : مثليهم يعني وإن كانوا أكثر منهم لكنهم يرون أنهم مثليه؛

الشيخ : ((**يرونهم مثليهم**)) يعني قللوا بأعينهم ؛

الشيخ : ويؤيد هذا ؟ ويش يؤيد ؟ من القرآن ((**وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلا ويقللكم في أعينهم ليقضي الله أمرا كان مفعولا**)) .

الشيخ : ولماذا خص اثنين مع أنه في آية الأنفال قال قليل فقط ؟

الطالب : يجب على المؤمن أن يصابر اثنين

الشيخ : أراهم الله مثليهم لأن المؤمن يجب أن يصابر الاثنين ، يجب على المؤمنين أن يصابروا مثليهم فأروا مثليهم هذان رأيان فيه رأي ثالث اطلعت عليه اليوم: أن المراد بمثلين أي: ضعفين؛ وعليه فيكون مطابقا للواقع لأن ضعف الشيء كثره مرتين فإذا كان ضعفين صار كثره ثلاث مرات، والمشركون ما بين تسعمائة إلى ألف والمسلمون ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا .

الشيخ : قوله: ((**يرونهم مثليهم رأي العين**)) يلا يا عيد الفاعل من ؟ من الفاعل يا عيد ((**يرونهم مثليهم**)) ؟

الطالب : المؤمنون ؛

الشيخ : والمفعول به ؟ ((**يرونهم**)) ؟

الطالب : يعود على الكافرين ؛

الشيخ : يعني يرى المؤمنون الكافرين .

الشيخ : الضمير في ((**مثليهم**)) يعود على من يا خالد؟

الطالب : ما حضرت ؛

الشيخ : طيب على المؤمنين يعني يرى المؤمنون الكافرين مثليهم أي مثلي؟

الطالب : مثلي مؤمنين،

الشيخ : مثلي المؤمنين.

الشيخ : فيها قراءة هداية الله ؟ في ((**يرونهم**)) فيه

الطالب : ((**ترونهم**))

الشيخ : طيب وعلى هذا يكون الخطاب في قوله: ((**ترونهم**)) عائد على المؤمنين . طيب أو عائد على الكفار بناء على مرجع لكم في ((**قد كان لكم**)) .

في قوله: ((**فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة**)) فيها ما يعرف بحذف أحد المتقابلين لدلالة الآخر عليه في مقابله ؟

الطالب : ((**فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة**))

الشيخ : ويش الهدف منها ؟

الطالب : مقابل؛

الشيخ : ويش المقابل؟ ويش التقدير؟

الطالب : فئة مؤمنون وأخرى كافرة ؛

الشيخ : أحمد ؟ التقدير: فئة مؤمنة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة تقاتل في سبيل الطاغوت ؛

الشيخ : في الكفار ذكر الكافرة قال: ((**وأخرى كافرة**)) لكن لم يذكر ما تقاتل فيه؛ وفي المؤمنين ذكر ما يقاتلون فيه ولم يذكر وصف الإيمان؛ فإذا قال قائل: ما هو الدليل على هذا التقسيم الذي ذكرتم ؟ نعم فيصل؟

الطالب : قوله تعالى: ((**الذين آمنوا** ...))

الشيخ : قوله تعالى: ((**والله يؤيد بنصره من يشاء**)) كلمة: ((**من يشاء**)) يا عيان هل المشيئة مطلقة ؟

الطالب : مقيدة ؛

الشيخ : مقيدة؟ بماذا ؟

الطالب : بالحكمة ،

الشيخ : بالحكمة كل نص علق على المشيئة فهو مقيد بالحكمة؛ ما دليلك ؟ ((**وما تشاءون إلا أن يشاء الله إن الله كان عليما حكيما**)) فهذا دليل على أن مشيئة الله تابعة لعلمه وحكمته .

الشيخ : وقوله: ((**لعبرة لأولي الأبصار**)) ما هي العبرة يا ؟

الطالب : العظة

الشيخ : وأصلها في اللغة ما يعبر من شيء إلى شيء؛ ومنه عند الناس عبارة يعني تعبر الماء من جهة إلى جهة؛ فالإنسان يعبر من هذه الحال إلى هذه الحال.

الشيخ : ومن الذي يعتبر؟

الطالب : أولي الأبصار؛

الشيخ : الأبصار بالعين أو الأبصار بالقلب ؟

الطالب : أبصار القلب؛

الشيخ : القلب ما دليلك ؟ ((**إن في ذلك لعبرة لمن يخشى**)) والذي يخشى هو القلب ((**فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور**))

قال الله عز وجل: ((**قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد**)) في هذه الآية: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد توجه إليه الأوامر؛ لقوله: ((**قل**)) فهو عبد لا يعبد ورسول لا يكذب . وفيها: أهمية هذا الأمر أو هذا الخبر الذي أمر الله نبيه أن يبلغه للكافرين . ومن فوائدها: تقوية المؤمنين حيث يقال لأعدائهم الكفار: ستغلبون في الدنيا وليس لكم عاقبة في الآخرة فإنكم ستحشرون إلى جهنم. ومن فوائدها أيضا: إرعاب الكفار وتحذيرهم؛ لقوله: ((**ستغلبون وتحشرون إلى جهنم**)) . ومن فوائد الآية أيضا: أن الله تعالى يجمع الكفار بين العقوبتين: عقوبة الدنيا وعقوبة الآخرة؛ أما عقوبة الدنيا ففي قوله: ((**ستغلبون**)) حتى وإن بذلوا أموالا كثيرة ((**إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم يكون عليه حسرة ثم يغلبون**)) وأما العقوبة الثانية فقوله: ((**وتحشرون إلى جهنم**)) ؛ أما المؤمن فإن الله إذا عاقبه في الدنيا لم يعاقبه في الآخرة، لن يجمع الله له بين العقوبتين ((**وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفوا عن كثير**)) . ومن فوائد الآية الكريمة: البشرى لنا نحن في هذا الزمن أن الكفار لو صدر لو صدقنا الله تعالى في الإيمان لكانوا مغلوبين؛ لأنه قال: ((**قل للذين كفروا ستغلبون**)) ومن الذي يغلب؟ ((**كتب الله لأغلبن ورسلي إن الله قوي عزيز**)) ((**إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا**)) فلو أننا

رجعنا إلى الإيمان حقا بالعقيدة، والقول، والعمل، والأخلاق، والآداب وجميع ما يتعلق بشريعة الإسلامية لكان الكفار أمامنا مغلوبين؛ ويشهد لهذا الواقع الذي حصل في سلف هذه الأمة حيث ملكوا مشارق الأرض ومغاربها . ومن فوائد الآية الكريمة: إثبات عذاب النار؛ لقوله: ((**وتحشرون إلى جهنم**)) وهذا أمر ثابت في الكتاب والسنة وإجماع المسلمين؛ ومن أنكر فقد كفر . ومن الفوائد الآية الكريمة: إنشاء الذنب بل غاية الذنب للنار؛ لقوله: ((**وبئس المهاد**)) أما قوله: ((**قد كان لكم آية في فئتين** ...)) فمن فوائدها: ضرب الأمثال بالأمور الواقعة؛ لأن ذلك أبلغ في التصديق والطمأنينة . ويتفرع على ذلك: أنه ينبغي للواعظ والداعية لله عز وجل أن يضرب المثل للمدعوين بالأمور الواقعة؛ لأن ذلك أبلغ؛ فمثلا: إذا أراد أن يدعوا إلى ترك المنكرات والقيام بالواجبات قال: انظر إلى البلد الفلاني حيث كان يسمى في الأول أو يسمى منذ عهد ليس ببعيد يسمى زهرة الشرق الأوسط وكل من أراد المتعة من الشرق الأوسط ومن أوروبا ومن غيرها يذهب إلى هذا البلد لأنه يجد غاية ما يكون من المتعة أصبح الآن أنهارا تجري من الدماء، جعل الله تعالى بأسهم بينهم حتى فروا من ديارهم فبدلا أن كانت مدينتهم تزيد على المليون أصبح الآن ليس فيها إلا مائتين ألف يعني ذهب أكثر من ثلاثة أرباع في البلد من الفتن والمحن؛ فإذا ضربت هذا المثل الواقع لمن تحذرهم أن يقعوا في الترف فيهلكوا صار في هذا عبرة؛ ولهذا ضرب الله هذا المثل بقوله: ((**قد كان لكم آية في فئتين التقتا**)) . من فوائد الآية الكريمة: أن الإنسان مهما بلغ من الصدق فإن عرضه الأشياء الواقعة تجعل كلامه حق اليقين؛ والمراتب قد سبق لنا أنها ثلاثة: علم اليقين، وعين اليقين، وحق اليقين؛ علم اليقين هو خبر الصادق؛ وعين اليقين ما تراه بعينك مشاهدا؛ وحق اليقين ما تدركه بحسك؛ فإذا قال لك القائل: هذه تفاحة، أو عندي تفاحة في جيبي تفاحة وهو رجل صادق فالذي أدركت أنه يوجد تفاحة أدركت بعلم اليقين؛ فإذا أخرجها ونظرت إليها فهذا عين اليقين؛ فإذا أكلتها فهو حق اليقين لأن هذا هو الواقع؛ إذا نقول: إنه ينبغي للإنسان مهما بلغ من ثقة الناس به أن يضرب الأمثال للناس حتى يقتنعوا بقوله؛ لأننا نحن لا نشك في أن أصدق الكلام كلام الله، وقد قال الله تعالى: ((**قل للذين كفروا ستغلبون**)) ثم ضرب مثلا واقعيا بأن الكفار غلبوا مع أنهم أكثر من المؤمنين . ومن فوائد الآية الكريمة: أن النصر ليس بكثرة العدد، ولا بقوة العدد؛ ولكنه من الله؛ لأن الله لما ضرب هذا المثل قال: ((**والله يؤيد بنصره من يشاء**)) ؛ ولكن إذا قيل: ما هي الوسيلة الحقيقية لنصر الله الذي به التأييد؟ فالجواب: ما ذكره الله عز وجل بقوله: ((**وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم**

وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا)) إلى الآن لم يأت سبب النصر قال: ((**يعبدونني لا يشركون بي شيئا**)) هذا واحد إخلاص العبادة لله عزوجل هذا من أسباب النصر؛ هناك أيضا أسباب أخرى ذكر الله في قوله: ((**وليصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر**)) . ومن فوائد الآية الكريمة: أن القتال لا يكون سببا للنصر إلا إذا كان في سبيل الله؛ في سبيل الله إخلاصا ويش بعد؟ واتباع الشرع موافقة الشرع؛ واجتناب المحارم . فإذا تمت هذه الأمور الثلاثة: الإخلاص؛ وأن يكون موافقا للشرع؛ وأن تتجنب فيه المحارم المعاصي فهذا هو الذي في سبيل الله . ومن فوائد الآية الكريمة: أنه لا إلفة بين المؤمنين والكافرين؛ لقوله: ((**فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة**)) فمن حاول أن يجمع بين المؤمنين والكافرين فقد حاول الجمع بين النار والماء وهذا شيء غير ممكن، لا يمكن لأولياء الله أن يكونوا متآلفين مع أعداء الله؛ ومن حاول أن يؤلف بين أولياء الله وأعداء الله فمعناه أنه سوف يقضي على ولاية الله؛ لقول الله تعالى: ((**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين**)) وكيف يمكن لشخص يقول إنه من أوليا الله وأنه مؤمن بالله أن يوالي أعداء الله الكافرين بالله هذا لا يمكن؛ ولهذا نجد أن الصراع بين أتباع الرسل وأعداء الرسل أن الصراع قائم دائم إما بالقول وإما بالفعل؛ إما بالقول: ((**إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيدهم وألسنتهم بالسوء**)) وإما بالصراع المسلح كما هو معروف . ومن فوائد الآية الكريمة: أن الله تعالى قد يري المجاهدين الأمر على الواقع، أو على خلاف الواقع لحكمة كما تشهد بذلك آية الأنفال: ((**وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلا ويقللكم في أعينهم**)) لأن الإنسان إذا رأى عدوه قليلا نشط، نشط على القتال؛ وإذا رآه كثيرا انخذل؛ فالله سبحانه وتعالى أرى المؤمنين الكفار قليلا وأرى الكافرين المؤمنين قليلا لأجل كل واحد على القتال . ومن فوائد الآية الكريمة: إثبات الفعل أو إثبات أفعال الله؛ لقوله: ((**والله يؤيد بنصره من يشاء**)) . ومن فوائدها أيضا: الرد على الجبرية في قوله: ((**تقاتل في سبيل الله**)) فأضاف الفعل إليها؛ والجبرية يقولون: إنه لا يضاف الفعل إلى الفاعل إلا على سبيل المجاز كما تقول: أكلت النار الحطب؛ وإلا فإن الإنسان لا يفعل باختياره بل يجبر على فعله . ومن فوائدها: إثبات المشيئة لله؛ لقوله: ((**من يشاء**)) . ومن فوائد الآية الكريمة: أنه لا يعتبر في الأمور إلا أولوا البصائر؛ لقوله: ((**إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار**)) . ومن فوائدها: أنك إذا وجدت من نفسك عدم اعتبار والتعاظم بما

يجري فاعلم أنك ضعيف البصيرة؛ لأن الله إذا أثبت العبرة لأولي الأبصار فإن انتفاء العبرة تدل على ضعف البصيرة أو عدمها بالكلية . ومن فوائد الآية: الثناء على أهل البصيرة؛ لأن السياق سياق مدح فيكون فيه ثناء على أهل البصيرة وقدح في عمي القلب . ثم قال الله عز وجل: ((**زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث**)) كم هذه ؟ ((**من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث**)) سبعة إلا أن تريد أن تجعل الذهب والفضة واحدة؛ الذهب والفضة اثنين؛ طيب ((**زين للناس**)) أي جعل هذا الشيء زينا في قلوبهم؛ ومن الذي زين؟ هل المزين الله عزوجل؟ أو المزين الشيطان؟ المزين هو الله ، المزين هو الله ؛ وقد أضاف الله التزيين إلى نفسه في عدة آيات ((**كذلك زينا لكل أمة علمهم**)) ((**إن الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم**)) ؛ وأضاف التزيين أيضا إلى الشيطان: ((**فزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل**)) لكن تزيين الشيطان إنما كان بالنسبة لأعمال هؤلاء يعني زين لهم الأعمال؛ أما الأشياء المخلوقة فالذي يزينها هو الله عز وجل؛ ((**زين للناس**)) أي زينها الله عز وجل في قلوبهم ابتلاء واختبارا؛ لأنه لو لا تزيين هذه الأشياء في قلوب الناس ما عرف المؤمن حقا؛ لو كان الإنسان لا يهتم بمثل هذه الأمور لم يكن له ما يصده عن دين الله؛ فإذا ألقي في قلبه حب هذه الشهوات فإن قوي الإيمان لا يقدمها على محبة الله عزوجل؛ ألم تروا إلى قول الرسول عليه الصلاة والسلام: (**رجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله**) هذا ممن يظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله؛ والمرأة ذات المنصب والجمال هي من أشد ما يتعلق بالإنسان في النساء؛ منصب وجمال ومع ذلك قال: إني أخاف الله، ودعته في موضع خال ليس فيه أحد؛ لأنه لو كان فيه أحد لقال: لقال عندنا أحد كيف تقولين كلام هذا؟ لكن قال: إني أخاف الله؛ الموضع الخالي كالموانع منتفي، وأسباب الفاحشة موجودة منتشرة ومع ذلك قال: إني أخاف الله؛ إذا هذا التزيين نقول: إنه ابتلاء واختبار من الله عز وجل . قال: ((**حب الشهوات من النساء**)) ولم يقل: حب النساء؛ الشهوات؛ يعني أن يتزوج الإنسان المرأة لمجرد الشهوة لا لأمر آخر؛ ولهذا هل يدخل في هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ ويقال إنه ممن زين له حب الشهوات ؟ لا؛ لأنه عليه الصلاة والسلام لم يتزوج امرأة بكرا؛ ولو كان يريد الشهوة لاختار الأبكار الجميلات ولا يمنعه مانع من ذلك؛ ولكنه قال: (**حبب إلي من دنياكم النساء والطيب**) لما في اختيار النساء من قبله عليه الصلاة والسلام من المصالح العظيمة كاتصاله بالناس وقبائل العرب وكذلك نشر العلم عن طريق النساء لاسيما

العلوم البيتية التي لا يطلع عليه إلا النساء إلى غير ذلك من المصالح؛ المهم أن الآية تقول: ((**حب الشهوات من النساء**)) ولم يقل: حب النساء ؛ لأن تزيين حب النساء إذا كان لغير مجرد الشهوة قد يحمد عليه الإنسان؛ لكن إذا كان لمجرد الشهوة فهذا من الفتنة؛ ولهذا قال: ((**حب الشهوات من النساء**)) . الثاني: ((**البنين**)) أيضا يحب البنين لا ليكون عونا له على طاعة الله ولكن ليفتخر به؛ وكانوا في الجاهلية يفتخرون بالبنين ويتشاءمون من البنات؛ إذا بشر أحدهم بالأنثى ماذا يكون حاله؟ ((**ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم**)) يختفي منهم مخافة المسبة ثم يفكر ويقدر ((أيمسكه على هو أم يدسه في التراب)) يعني أيمسك هذا المولود وهو الأنثى على هو وذل و هضم لحقها أم يدسه في التراب يدفنها حية في التراب؛ قال الله تعالى: ((**ألا ساء ما يحكمون**)) المهم أن البنين لاشك أن كثيرا من الناس زين لهم حب البنين شهوة، وليس شهوة للجنسية ولكن شهوة الفخر والشرف والأبهة أنا أولادي عشرة، أنا عندي عشرون من الولد، وما أشبه ذلك . ((**والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة**)) القناطير جمع قنطار وما المراد بالقنطار؟ قيل المراد به ألف مثقال ذهب فإذا صارت قناطير تكون آلاف؛ مقنطرة معتنى بها؛ وقيل: إن القنطار ما يملأ مسكة الثور، يعني جلد الثور من الذهب وهذا أكثر من ألف مثقال؟ أي نعم ؛ على كل حال ذكر الله تعالى هذه المبالغ من الذهب والفضة لأنه كلما كثر المال في الغالب افتتن الإنسان به، كلما كثر افتتن الإنسان به؛ فإذا كانت قناطير المقنطرة من الذهب صارت الفتنة بها أشد . ((**من الذهب والفضة**)) نص عليهما لأنها أغلى ما يكون من الأموال ؛ ولذلك تتعلق الرغبات لهذين الجوهرين: الذهب والفضة؛ حتى لو وجد جواهر نفيسة لا تجد تعلق القلوب بهذه الجواهر كتعلقها بالذهب والفضة؛ الآن يدلسون على الذهب ويدلسون على الفضة، يأتون بالأشياء مطلية باللون الأصفر أيش؟ تقليدا للذهب وإلا ما هي ذهب؛ لأنه يعلمون أن النفوس تندفع بقوة إلى الذهب ولها رغبة قوية للذهب والشاعر يقول:

رأيت الناس قد ذهبوا إلى من عنده ذهب

ورأيت الناس قد مالوا إلى من عنده مال

يقول: ((**من الذهب والفضة**)) الذهب هو المعدن المعروف ذو اللون الأصفر؛ واشتهر أخيرا عند الناس ما يسمونه بالذهب الأبيض ولكن ليس هذا هو الذهب وإن كان عندهم أنه بمنزلة الذهب في

الغلاء وتعلق النفوس به لكنه ليس هو الذهب المعني في هذه الآية . والفضة أيضا معدن معروف وجوهر مألوف لكنه أقل من الذهب .

السائل : شيخ! الرسول صلى الله عليه وسلم ما تزوج بكرا ؟

الشيخ : لا ما تزوج بكرا في الغالب ما أحد إلا عائشة فقط عائشة تزوجها وهي بكر.

السائل : قلنا إن المؤمنين لا يتخذ الكافرين أولياء لكن في حال الدعوة يعني دعوته كيف يقدم الإنسان ؟

الشيخ : اتخاذهم أولياء معناه أن يتولاهم عن صورة هذا معناه لا أن يتقرب إليهم لدعوتهم ؛ ألسنا نعطيهم من مال الزكاة ؟ نعطيهم المال لتألفوا على الإسلام فأنا ما أتقرب إليه لأني أحب أن أقرب إليه شخصيا، أتقرب إليه ليقرب إلى الإسلام؛ وهنا أشعر بنفسي أنني أنا وليه في الواقع ما هو هو الولي ؛ فمن اتخذ وليا من النصارى ، من الكفار عموما يتولاه ويناصره ويعاضده فهذا هو الذي يتخذه وليا.

السائل : هل نبدأهم بالسلام لنقربه ؟

الشيخ : لا ما نبدأهم بالسلام، السلام ما نبدأهم، نبدأهم بالتهنئة مثلا صباح الخير، كيف حالك؛ المصافحة هم مدوا أيديهم فصافحهم وإلا فلا.

((**زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب**)) أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. قال الله تعالى: ((**زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين** ...))

الشيخ : قوله: ((**زين**)) من المزين ياسر؟

الطالب : المزين الله سبحانه وتعالى.

الشيخ : لماذا زينها؟

الطالب : لتكون بشرى لعباد؛

الشيخ : بشرى؟

الطالب : لتكون امتحان العباد؛

الشيخ : نعم زين لامتحان العباد هل يقدمون هذه الشهوات أو ما يريد الله عز وجل.

الشيخ : قوله: ((**للناس**)) هل يشمل المؤمن الكافر؟

الطالب : يشمل؛

الشيخ : أي نعم يشمل المؤمن الكافر؛ يعني إذا قيل: الناس تكون للعموم ؛ إذا قيل: المؤمنون فهو خاص .

الشيخ : قوله: ((**حب الشهوات من النساء** ...)) لماذا لم يقل: حب النساء ؟

الطالب : لأن حب النساء بدون شهوة هو محمود وحب النساء للشهوة فقط هو فتنة ؛

الشيخ : نعم .

الشيخ : لماذا خص البنين دون البنات ؟

الطالب : لأن هذا هو موضع الافتخار عند العرب وما زال الناس الآن يرغبون الأبناء أكثر من البنات .

الشيخ : ((**القناطير المقنطرة**)) القناطير

الطالب : جمع قنطار ؛

الشيخ : وما هو القنطار؟

الطالب : الآلاف الكثيرة

الشيخ : الآلاف الكثيرة، القول الراجح أنها الآلاف الكثيرة من الدنانير نعم ؟ طيب .

الشيخ : ((**المقنطرة**)) فهد ويش معناها؟

الطالب : المعتنى بها ؛

الشيخ : نعم المعتنى بها التي يعتني بها أصحابها ويحفظونها ويعدونها بل ربما أحيانا يدفنونها خوفا عليها .

((**الخيل المسومة**)) قرأناها ؟ طيب

قال الله عز وجل: ((**من الذهب والفضة**)) الذهب والفضة هما المعدنان المعروفان اللذان تتعلق بهما رغبة الخلق جميعا، كل بني آدم تتعلق رغبتهم بالذهب والفضة أكثر مما تتعلق بغيرهما؛ ولهذا كان الذهب والفضة قيمة لجميع الأشياء؛ كل الأشياء تباع بماذا؟ بالذهب والفضة؛ يعني ما تجد مثلا غيرهما من الأموال يكون قيمة للأشياء تباع به الأشياء أبدا؛ بعت دراك بماذا بأي شيء؟ بالذهب والفضة، بعت سيارتك بالذهب والفضة، بعت كتابك بالذهب والفضة؛ كل شيء يكون عوضه الذهب والفضة، فهما محل رغبة الناس؛ ولهذا قال: ((**من الذهب والفضة**)) الذهب هو ذلك المعدن الأحمر والفضة هو المعدن الأبيض المعروف . ولكن هل إذا حول الذهب وصار أبيضا يثبت له الحكم الذهب الأحمر فيحرم على الرجال لبسه؟ أو يتغير الحكم بتغير الحال؟ نحن نسمع أن فيه ذهبا أبيض ولكن الذهب الأحمر هو الذي نص عليه فإذا حول إلى ذهب أبيض فإن كان مجرد اللون فعندي محل نظر هل يعتبر ذهبا ويكون نصابه في الزكاة نصاب الذهب، ويكون حراما على الرجال، ويحرم بيعه بالذهب الأحمر متفاضلا ؟ أو نقول: إنه انتقل وصار في الحكم الفضة؟ هذا يحتاج إلى أن نعرف ما رأي الكيميويين في هذا الشيء هل إنه ينتقل بما يضاف إليه من المادة التي تجعله أبيض أو لا ينتقل . وقوله: ((**من الذهب والفضة والخيل المسومة**)) الخيل في هذه الحيوانات المعروفة؛ وسمي خيلا لأن صاحبها غالبا يبتلى بالخيالات بأنها أفخر المراكب؛ فالراكب لها يكون في قلبه خيلاء؛ أو أنها هي تختال في مشيتها؛ ولهذا ترى الخيل عند مشيتها ليست كغيرها، تشعر بأن فيها ترفعا واختيالا؛ قال بعضهم: أو لأنها يخيل إليها أنه لا شيء يساميها وهذا لا ندري عنه اللهم إلا ما يظهر من أثر مثل اختيالها في مشيتها؛ على كل حال الخيل معروفة؛ وأصحابها لاشك أنهم يرون أنهم فوق الناس لأنها أفخر المراكب في ذلك الوقت وإلى الآن قال النبي عليه الصلاة والسلام: (**الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيمة**) . ومن المعلوم أن الآية هنا في سياق من أحب شهوة الخيل، يعني اتخذها شهوة؛ فهذا هو محل التزيين المذموم ؛ أما من اتخذها ليجاهد بها في سبيل الله فهذا خير، هذا لاشك أنها خير له؛ كما أن من أحب الذهب والفضة لا للشهوة وجمع المال ولكن لما يترتب على المال من المصالح فهذا محمود . الخيل قسمها الرسول عليه الصلاة والسلام إلى أقسام ثلاثة: فخر وخيلاء، أو ليناوئ بها المسلمين فهذا له وزر؛ ثانيا: اتخذها

ليجاهد عليها في سبيل الله فهذا له أجر؛ ثالثا: اتخذها للركون والتنمية والاستفادة من ورائها فهي له ستر، فلا إثم ولا أجر ولا وزر .

قسم النبي عليه الصلاة والسلام الخيل إلى أقسام ثلاثة: فخر وخيلاء، أو ليناوئ بها المسلمين فهذا له وزر؛ ثانيا: اتخذها ليجاهد عليها في سبيل الله فهذا له أجر؛ ثالثا: اتخذها للركوب والتنمية والاستفادة من ورائها فهي له ستر، لا أجر ولا وزر . وقوله: ((**المسومة**)) قيل: المسومة التي تسوم أي تطلق لفرعى كما قال تعالى: ((**ومنه شجر فيه تسيمون**)) وقيل: المسومة المعلمة التي تعلا لها أعلام للزينة والفخر مثل أن يجالا عليها ريش النعام أو أشياء أخرى تحسنه؛ عندنا الآن سيارات مسومة وإلا لا؟ يجعلون عليها زينة حتى إن بعض الناس يلبس السيارات الفقيرة لباس السيارة الغنية يحط عليها. . . .على كل حال تسويم المركبات مازال أمرا معلوما عند الناس إلى يومنا هذا؛ المسومة عند الناس أغلى من غيرها لأنها ما سومت إلا لأنها جيدة ومن أصل جيد فلهذا تسوم ويعتنى بها أكثر . ((**والأنعام والحرث**)) الأنعام جمع نعم كأسباب جمع سبب وهي الإبل والبقر والغنم؛ هذه الأنواع من الحيوانات هي محل رغبة الناس أيضا ؛ أكثر الناس يقتنون الإبل والبقر والغنم لا تجدونهم يقتنون الضباع أو ما أشبها من الحيوان وإنما يعتنون باقتناء هذه الأنواع الثلاثة: الإبل والبقر والغنم في البادية وفي الحاضرة لكنها في البادية أكثر؛ وأغلى هذه الأنواع هي الحمر من الإبل ولذلك يضرب به المثل في الغلاء والمحبة قال النبي عليه الصلاة والسلام لعلي بن أبي طالب وقد وجهه إلى خيبر قال: (**إنفذ على رسلك ثم ادعهم إلى الإسلام فو الله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم**) . ((**والحرث**)) يعني الزراعة حرث الأرض للزراعة؛ فهذه سبعة أشياء: النساء، والبنين، والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة، والخيل المسومة، والأنعام، والحرث؛ ولو فتشت عامة رغبات الناس في هذه الدنيا لوجدتها لا تخرج عن هذه الأشياء السبعة، لا تخرج عن هذه الأشياء السبعة في الغالب وإلا فيه أشياء محل رغبة عند الناس مثل: القصور المشيدة، القصور المشيدة أيضا بعض الناس يكون مغرما بها يحبها وينميها ويحب أن يكون منزله أو قصره فاخرا ليس له نظير؛ المهم أن هذه رغبات الناس . قال الله تعالى: ((**ذلك متاع الحياة الدنيا**)) ذلك ؛ لماذا قال ذلك بالمفرد المذكر مع أنها جماعة ؟ والجماعة للعقلاء يقال: هؤلاء، ويقال لغير العقلاء هذه ؟ الجواب الله أعلم أنه أعاد اسم الإشارة على مفرد مذكر على تقدير: ذلك المذكور، ذلك المذكور؛ فطوى ذكر هذه السبعة كلها وعبر وكنى عنها بمذكور وذلك لاحتقارها بالنسبة لنعيم الآخرة . وقوله: ((**ذلك متاع الحياة الدنيا**)) أي المتعة التي يتمتع الناس بها في الحياة الدنيا؛ وغايتها؟ الزواج، غايتها الزواج؛ فإما أن تزول عنها وإما أن تزول عنك؛ أما أن تخلد لك أو تخلد لها فذلك مستحيل لابد أن تفارقها أو أن تفارقك هي؛ وهذا أمر لا يحتاج إلا إقامة برهان؛ فهذه الأشياء لو اجتمعت كلها للمرء فما هي إلا متاع الحياة الدنيا يتمتع بها الإنسان ثم يفارقها أو تفارقه هي . وقوله: ((**الحياة الدنيا**)) فيه حياة لدنيا وحياة أخرى؛ ما هي الحياة الحقيقية؟ قال الله تعالى: ((**وإن الدار الآخرة لهي الحيوان**)) هي الحياة

الحقيقية نعم ؟ أما الدنيا فهي حياة بسيطة ليست بشيء قال النبي عليه الصلاة والسلام: (لموضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها) الله أكبر . موضع سوط يعني سوط حوالي متر في الجنة خير من الدنيا وما فيها؛ أي دنيا هي؟ الدنيا منذ خلقت إلى يوم القيمة بكل ما فيها من نعيم؛ وذلك لأن نعيم الدنيا في الحقيقة كأحلام، كأحلامنا؛ واعتبر الأمر بما مضى من عمر كل ما مضى من عمرك كأنه حلم أليس كذلك؟ ليس كأنه شيء واقع لأنه راح لا فرق بين ما فعلته في اليقظة بالأمس وما رأيته في منامك البارحة كلها راح؛ ولهذا سماها حياة الدنيا؛ والدنيا مؤنث أدنى ووصفت بهذا الوصف لدنو مرتبتها بالنسبة إلى الآخرة، لدنو مرتبتها بالنسبة للآخرة، فليس بشيء بالنسبة للآخرة كما سمعتم الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده؛ وكذلك سميت دنيا لأنها أدنى من الآخرة باعتبار الترتيب الزمني؛ ((**وللآخرة خير لك**)) من أين؟ ((**من الأولى**)) فهي أولى باعتبار الترتيب الزمني دنيا إذا قريبة للناس؛ ((**ذلك متاع الحياة الدنيا**)) إذا ما دمنا نعرف أن هذا متاع الحياة الدنيا فلننظر إلى هذه الأشياء لا نظرة الشهوة ولكن نظرة جد؛ إذا كان ذلك ينفعنا في الآخرة فالنظر إليه طيب ونافع ويكون من حسنة الدنيا والآخرة؛ أما إذا نظرنا إليه مجرد نظر الشهوة فإنه يخشى على المرء أن يغلب جانب الشهوة على جانب الحق؛ ولهذا أدنى الله مرتبة هذه الأشياء ووضعها حيث قال: ((**ذلك متاع الحياة الدنيا**)) . ثم قال: ((**والله عنده حسن المآب**)) يعني حسن المرجع× بماذا ؟ في الدار الآخرة ؛ لأن مرجع كل إنسان إلى الآخرة إما إلى جنة وإما إلى نار وليس ثمة دار أخرى ثالثة ؛ كل الناس الجن بل كل الجن والإنس مآلهم في الآخرة إلى الجنة أو إلى النار وليس ثمة دار أخرى ((**فالله عنده حسن المآب**)) يعني حسن المرجع. نأخذ الفوائد أظن؟ نعم . في هذه الآية عدة فوائد؛ أولا: حكمة الله عزوجل في ابتلاء الناس بتزيين حب الشهوات لهم في هذه الأمور السبعة؛ ووجه الحكمة: أنه لو لا هذه الشهوات التي تنازع الإنسان في اتجاهه إلى ربه لم يكن للاختبار في الدين فائدة؛ انتبه يعني لو كان الإنسان لم يغرس في قلبه أو في فطرته هذا الحب لم يكن في الابتلاء في الدين فائدة؛ السبب: لأن الانقياد إلى الدين إذا لم يكن له منازع يكون سهلا ميسرا؛ ولهذا من أول من يجيب إلى الرسل؟ الفقراء الذين حرموا من الدنيا؛ لأنه ليس عندهم شيء ينازعهم لا المال ولا رئاسة ولا غير ذلك؛ فهذا من حكمة الله أن زين في قلوب الناس حب الشهوات . ومن فوائد الآية الكريمة: أنه لا يذم من أحب هذه الأمور على غير هذا الوجه؛ وهي محبته شهوة؛ وذلك لأنه إذا زين له محبة هذه الأمور لا لأجل الشهوة لم يكن ذلك سببا لسده عن دين الله لأن أكثر ما يفتن الإنسان الشهوة إذا لم يكن هناك شبهة، فإن كان هناك شبهة واجتمع عليه شبهة وشهوة حصلت له الفتنتان . ويدل لذلك أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: (حبب إلي من دنياكم النساء والطيب) ويدل لذلك أيضا أن النبي صلى الله عليه وسلم رغب في والنكاح حث عليه، وأمر به الشباب؛

ومما يدل لذلك أيضا أن النبي صلى الله عليه وسلم حث على تزوج المرأة الولود، والولود كثيرة الولادة، وإذا كانت ولودا كثر نسلها ومن نسلها البنون؛ فالمهم أن محبة هذه الأشياء لا من أجل الشهوة أمر لا يذم عليه الإنسان . ومن فوائد الآية الكريمة: قوة التعبير للقرآن؛ وأنه أعلى أنواع الكلام في الكمال ؛ ولهذا قال: ((**حب الشهوات**)) ولم يقل حب النساء، أو حب البنين، أو حب القناطير المقنطرة بل قال حب الشهوات من هذه الأشياء ؛ فسلط الحب على أيش؟ على الشهوات لا على هذه الأشياء لأن هذه الأشياء حبها قد يكون محمودا كما عرفت . ومن فوائد الآية الكريمة: تقديم الأشد فالأشد؛ ولهذا قدم النساء؛ ففتنة شهوة النساء أعظم فتنة، أعظم فتنة ولهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام: (**ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء**) ولهذا بدأ بها فقال: ((**من النساء**)) . ومن فوائد الآية الكريمة: أن البنين قد يكونون فتنة؛ ويشهد لذلك قوله تعالى: ((**إنما أموالكم وأولادكم فتنة**)) والأولاد أعم من البنين . ومن فوائد الآية الكريمة أيضا: أن الذهب والفضة من أشد الأموال خطرا على الإنسان؛ ولهذا قدمهما على بقية الأموال؛ فقال: ((**والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث**)) لأنها أعظم من المال فتنة لاسيما الموصوفة بهذه الصفات أنها قناطير المقنطرة . ومن فوائد الآية الكريمة: أنه كلما كثر المال ازدادت الفتنة في شهوته؛ من أين نأخذه؟ لقوله: ((**القناطير المقنطرة من الذهب والفضة**)) ولهذا نجد بعض الفقراء يجود بكل ماله والغني لا يجود بكل ماله، بل بعض الأغنياء . نسأل الله العافية . يبتلون كلما كثر مالهم اشتد بخلهم ومنعهم . ومن فوائد الآية الكريمة: أن الخيل أعظم المركوبات فخرا ؛ ولهذا قال: ((**الخيل المسومة**)) ولاسيما إذا كانت مسومة أي معتنى بها أو مسومة مطلقة في المرعى معنى بها في رعيها فإنا تكون أعظم المركوبات فتنة . ومن فوائد الآية أيضا: أن فتنة الأنعام الإبل والبقر والغنم دون فتنة الخيل بناء على الترتيب وأن الترتيب في هذه الآية من الأعلى إلى الأدنى . ومن فوائد الآية الكريمة: أن من الناس من يفتن في الحرث، في الزراعة فيفتن بها ويزدرع على الوجه المشروع وغير المشروع وهو كذلك ولاسيما في زمننا هذا حيث الزراعة فصار الناس . والعياذ بالله . يذهبون فيها كل مساء ويرتكبون فيها المحرمات من الكذب على الدولة والخيانة نعم ؟ ومع ذلك لا يرون في هذا بأسا تجد الإنسان مثلا يبيع محصوره على شخص من الناس بدراهم نقدا ثم يعطيه اسمه من أجل أن يأخذ المشتري من الحكومة أو دولة ثمنا أكثر؛ يشتريه من المزارع مثلا بريال ونصف بكيلو ويبيعها على الدولة بريالين ويكذب فيأخذ اسم المزارع فيكون المزارع خائنا والآخر كاذبا وينتج من ذلك أكل المال بالباطل؛ وإذا سألوا هذا حرام قال: نحن محتاجين فلوس يقول يحتاج، إذا تحتاج فلوس تكذب وتتحيل ؟ اصبر وإلا بع عليه هذا ولا تعطيه اسمك، بع عليه المحصور ولا تعطيه اسمك إذا كانت الدولة تسمح لبيعه؛ لكن ابتلي الناس بهذا الشيء؛ ((**والحرث**)) .

ومن فوائد الآية الكريمة: أن هذه الأشياء كلها لا تعدوا أن تكون متاع الحياة الدنيا؛ لقوله: ((**ذلك متاع الحياة الدنيا**)) . ومن فوائدها: التزهيد في التعلق بهذه الأشياء؛ لقوله: ((**ذلك متاع الحياة الدنيا**)) وكل ما كان للدنيا فلا ينبغي للإنسان أن يتبعه نفسه؛ لأنه زائل؛ لا تتبع نفسك شيئا من الدنيا إلا شيئا تستعين به على طاعة الله حتى ينفعك وأنت سوف تنال منه ما يناله من أتبع نفسه ما متاع الحياة الدنيا للدنيا؛ يعني مثلا أن الرجل الذي يأكل العشاء من الناس من يأكله لأجل أن يحفظ بدنه أو أن يحفظ جسمه، يأكله امتثالا لأمر الله، يأكله استعانة به على طاعة الله، يأكله تمتعا بنعم الله فيؤجر على ذلك، ومن الناس من يأكله لمجرد الشهوة ليملأ بطنه فيحرم هذا الأجر، يحرم هذا الأجر لأنه نوى به مجرد الشهوة فقط . ومن فوائد الآية: تنقيص هذه الحياة؛ لقوله: ((**الحياة الدنيا**)) فو الله إنها ناقصة، إن دارا لا يدري الإنسان مدة الإقامة فيها، وإن دارا لا يكون صفها إلا منقصا بكدر، وإن دارا فيها شحناء والعداوة والبغضاء بين الناس، وغير ذلك من المناقصات إنها لدنيا؛ الإنسان منا في هذه الدنيا لا يضمن أن يبقى ولا واحدة أليس كذلك؟ إذا كيف نقول هذه حياة ؟ كيف نقول إن هذه حياة؟ إنها لحياة الدنيا والإنسان في الحقيقة من حكمة الله عزوجل أنه فتن بما فيها من هذه الأشياء التي ذكر الله عزوجل؛ ولكن العاقل ينظر إلى المآل وال . ومن فوائد الآية الكريمة: أن ما عند الله خير من هذه الدنيا؛ لقوله: ((**والله عنده حسن المآب**)) . ومنها: ما أشار إليه بعضهم في أن من تعلق بهذه الأشياء تعلق شهوة فإن عاقبته لا تكون حميدة؛ لأن الله لما ذكر التعلق على وجه الشهوة بهذه الأشياء قال: ((**والله عنده حسن المآب**)) فكأنه يقول: ولا حسن مآب لهذا المتعلق بهذه الأشياء؛ أي أن عاقبته ليست حميدة؛ هكذا ذكر بعضهم؛ ولكن في نفسي منها شيء والذي يظهر لي أن الآية ختمت بهذا ((**والله عنده حسن المآب**)) من أجل ترغيب الإنسان بما عند الله عزوجل وأن لا يتعلق بهذا المتاع الحياة الدنيا. ويدل لما ذكرت قوله: ((**قل أأنبئكم بخير من ذلك**)) الخطاب في ((**قل**)) للنبي صلى الله عليه وآله وسلم؛ وقد ذكرنا فيما سبق أن الله إذا صدر القول بقل كان في ذلك دليل على عناية الله به وأنه أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أمرا خاصا وأنه أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بإبلاغه على وجه الخصوص؛ وإلا فإن كل القرآن قد قيل للرسول صلى الله عليه وسلم ((**قل يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك**)) لكن أحيانا يذكر الله عزوجل شيئا يصدره بقل للدلالة على العناية به. ولننظر العناية بما يذكر جاءت من أكثر من وجه؛ أولا: لأن الله صدرها بقل؛ وثانيا: أنه صدرها بالاستفهام ((**أؤنبئكم بخير من ذلكم**)) يعني أأخبركم بخير من ذلكم ؟ يعني المشار إليه في الآية السابقة؛ والاستفهام يفيد تنبيه المخاطب، وحضور قلبه لما سيلقى إليه فهو كقوله تعالى: ((**يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم**)) ؛ ثم فيه أيضا في هذا الاستفهام معنى غير التنبيه وهو

التشويق ((**أؤنبئكم بخير من ذلكم**)) يعني بعد أن قص الله علينا متاع الحياة الدنيا أمر نبيه أن يقول للناس: ((**أؤنبئكم بخير من ذلكم**)) ليشوقهم إلى ذلك الخير . وقوله: ((**أؤنبئكم بخير من ذلكم**)) قال: ((**أؤنبئكم**)) ولم يقل: أأخبركم؛ لأن النبأ إنما يقال في أمور الهامة ((**عم يتساءلون عن النبأ العظيم**)) ولهذا قيل للنبي: نبي ولم يقل: مخبر؛ فهذا أمر هام يحتاج إلى الإنباء عنه؛ وقوله: ((**بخير من ذلكم**)) ولم يقل: من ذلك؛ لأن المخاطب جميع الناس؛ وهنا نقف لنتذكر ماذا يراعا باسم الإشارة المقرون بالكاف؟ ماذا يراعا في الاسم الإشارة المقرون بالكاف؟ اسم الإشارة المقرون بالكاف يتضمن مشارا إليه ومخاطبا؛ فاسم الإشارة يكون بحسب المشار إليه، والكاف تكون بحسب المخاطب . فأولا: كيف نقول إذا خاطبنا مفردا مذكرا وأشرنا إلى مفرد مذكر؟ نقول: ذلك؛ ذا اسم إشارة المفرد المذكر، والكاف للمخاطب المذكر . ماذا نقول إذا أشرنا إلى مثنى مذكر نخاطب مفردا مذكر؟ نقول: ذانك؛ قال الله تعالى: ((**فذانك برهانان من ربك**)) نقول: ذانك . ماذا نقول إذا خاطبنا مفردا مذكرا وأشرنا إلى مثنى مؤنث؟ نقول: تانك، تانك المرأتان قائمتان؛ ماذا نقول إذا أشرنا إلى مفردة مؤنثة وخاطبنا مفردا مذكرا؟ نقول: تلك، أو نقول تيك لاسيما مع هاء مثل هاتيك . ماذا نقول إذا أشرنا إلى جماعة ذكور أو إلى جماعة مطلقا نخاطب مفردا مذكرا؟ نقول: أولئك؛ الآن أعدتنا كم صورة؟ عدة صور والكاف لم تتغير لماذا؟ لأن المخاطب مفرد مذكر .

السائل : كيف نقول إذا كان المشار إليه مفردا مذكرا والمخاطب مثنى؟

الشيخ : نقول: ذلكما؛ قال الله تعالى: ((**ذلكما مما علمني ربي**)) .

السائل : إذا كان مفردا مؤنث والمخاطب مثنى؟ .

الشيخ : أنا أسألكم أحسن . عرفتم القاعدة الأولى؟ في الأمثلة السابقة ذكرنا إذا اختلف المشار إليه مع كون المخاطب واحدا مفردا مذكرا. طيب إذا كان المخاطب مثنى والمشار إليه مفرد مؤنث؟ تلكما صح .

السائل : كيف نقول إذا كان المخاطب مثنى والمشار إليه مثنى مؤنث؟ يحي ؟

الشيخ : تانكما .

السائل : كيف نقول إذا كان المخاطب جماعة نساء والمشار إليه مفرد مذكر؟

الشيخ : المشار إليه مفرد مذكر والمخاطب جماعة نساء؟ ذلكن؛ ((**قالت فذلكن الذي لمتنني فيه**)) . كذا؟ طيب؛ ظاهر المعنى ما نحتاج إننا نستمر لأنها مسألة تسوية تحتاج إلى تأني .

السائل : المشار اسم الإشارة يتبع أيش؟

الشيخ : المشار إليه؛

السائل : الكاف تتبع المخاطب كذا؟

الشيخ : تارة يكون كل منهما مفردا مذكرا، وتارة يكون كل منهما مفردا مؤنثا، وتارة يكون كل منهما جمعا للذكور، وتارة يكون كل منهما جمعا للإناث، وتارة تختلف الحال بين المشار إليه وبين المخاطب .

السائل : كاف المخاطب قلت لكم إنها بحسب من؟

الشيخ : المخاطب؛ فيها لغة: أن تكون للمذكر بالكاف المفتوحة أيا كان المذكر مثنى أو جمع أو مفرد؛ انتبه إذا كانت للمذكر فهي مفتوحة مبنية على الفتح؛ للمؤنث مبنية على الكسر ومفردة في الموضعين؛ يعني فيه لغة للغة العرب يبقون الكاف بصيغة المفرد دائما مفتوحة، في المذكر مكسورة للمؤنث؛ فيه لغة ثالثة: يبقون الكاف مفتوحة مفردة للمذكر والمؤنث والمثنى والجمع والمفرد؛ فيكون مثلا: ذلك سواء كان المخاطب هنا رجلا أو امرأة، أو رجلين أو امرأتين ، أو رجال أو نساء؛ وأظن هذه اللغة مناسب؟ نعم؟ لأنها أسهل؛ لا لهذه حقيقة ما لأننا نقول قاعدة عندنا: إذا اختلف النحويون أخذنا بالأسهل؛ أما إذا اختلفت اللغات أخذنا بالأفصح، إذا اختلفت اللغات خذ بالأفصح، وإذا اختلف النحويون خذ بالأسهل كذا؟ نعم؛ وإذا اختلف الفقهاء خذ بالأحوط تمام ؟ هذه ثلاث قواعد .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. بسم الله الرحمن الرحيم. ((**الم الله لا إله إلا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان إن الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام؛ إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء لا إله إلا هو العزيز الحكيم**))

الشيخ : ما تقولون في قوله تعالى: ((**الم الله لا إله إلا هو الحي القيوم**)) ؟

الطالب : ((**الم**)) نقول هذه حروف ابتدأ بها الله سبحانه وتعالى وأتى بها تحديا ؛

الشيخ : ابتدأ بها بعض السور؛ نعم .

الشيخ : وهل لها معنى أو لا؟ الطالب : قيل ليس لها معنى وعلمها عند الله؛ الشيخ : والقول الصحيح إن لها معنى؛ لا لا إذا قلت علمها عند الله ما تقدر ليس لها معنى ولا لها معنى؛ أي نعم الذي يفوض ما يثبت ولا ينفي؛ والقول الصحيح إن الله تعالى أتى بها تحديا ؛ السؤال هل لها معنى؟ ما نريد هل لها مغزا؟ هل لها معنى في حد ذاتها أم لا؟ القول الراجح أنه ليس لها معنى، لا معلوم ولا مجهول كذا ولا لا؟ نعم؛ طيب ما هو الدليل على أنه قول الراجح؟ لأنه لم يرد لا في الكتاب ولا في السنة معاني هذه الحروف؛ لا، نعم أحمد؟ هذه الحروف ليس لها معنى لأن القرآن نزل بلسان عربي مبين وهذه الحروف هكذا مضموم بعضها إلى بعض ليس لها معنى في اللغة العربية وحينئذ بمقتضى كون القرآن بلسان العربي نقول: ليس لها معنى .

الشيخ : أحمد إذا قلنا ليس لها معنى صارت عبثا ؟

الطالب : والله عزوجل منزه عن العبث؛

الشيخ : لها مغزى وهو تحدي العرب حيث كان هذا القرآن لم يأت بلسان جديد حتى يقولوا والله ما نعرف هذا اللسان، وإن ما أتى باللسان العربي الذي يتكون منه الحروف التي يتكون من الحروف المعروفة التي يعرفونها ومع ذلك عجزوا .

طيب يشهد لاعتبار هذا المغز ما الذي يشهد ويؤيد القول بهذا المعز؟ أنه في الغالب إذا ذكر هذا المقطع الهجائية يذكر بعدها القرآن مثل: ((**الم ذلك الكتاب**)) ((**الم الله لا إله إلا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب**)) أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ((**هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب؛ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب، ربنا إنك جامع الناس ليوم لاريب فيه إن الله لا يخلف الميعاد**)) طيب قوله عز وجل: ((**الكتاب**)) ما المراد به؟ القرآن؛ ولماذا سمي قرآنا؟ الأمر الأول: أنه مكتوب في اللوح المحفوظ؛ والأمر الثاني: أنه مكتوب في صحف الناس؛ والأمر الثالث: مكتوب في الصحف التي بأيدي الملائكة ((**فمن شاء ذكره في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بأيدي سفرة كرام بررة**)) . قوله عز

وجل: ((**منه آيات محكمات**)) ما المراد بالمحكمات؟ المحكمات هي المتقنات بأحكامها وبأقدارها؛ إذا القرآن بعضه ما أتقن؟ لا هذا الإتقان؛ ((**منه آيات محكمات**)) ما معنى محكمات بس حدد؟ أحسنت أي الظاهرة الواضحة لا اشتباه فيه تمام . ((**أخر متشابهات**)) ؟ عكسه؛ عكس؟ يعني فيها غموض لا يفهما إلا ذوي الألباب أو الراسخون في العلم. قوله تعالى: ((**وما يعلم تأويله إلا الله**)) فيها للسلف وجهان؛ الوجه الأول: الوقوف على: ((**إلا الله**)) ؛ والثاني: الوصل فما توجيه كل من القراءتين؟ لا ويش معنى التأويل على هذا الوقف؟ لا، العاقبة والحقيقة التي عليها هذا الشيء نعم؟ المتشابه لا يعلمه إلا الله، طيب . وعلى قراءة الوصل؟ يكون المعنى التأويل؟ ما معنى التأويل على هذه القراءة على قراءة الوصل ؟ التفسير، معناه التفسير؛ يعني هذا التفسير تفسير المتشابهات لا يعلمه إلا الله والراسخون في العلم؛ أما من كانت علومهم سطحية فهؤلاء لا يعرفون تأويل هذه المتشابه نعم؟ طيب، من الآيات المتشابهات آيات ظاهرها التعارض مثل يا أخ؟ مثل قوله تعالى: ((**الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها** ...)) لا؛ خالد ؟ آيات ظاهرها تعارض تكون مشتبهة عند بعض الناس فيظن أن في القرآن تناقضا فيتبع هذا المتشابه ويلبس به على الناس ولكن الراسخين في العلم يعلمون وجه هذه الآيات ولا يكون فيها تعارض؛ قوله تعالى: وفي سورة الرحمان قال: ((**فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان**)) ولكن الراسخون في العلم يعرفون وجه ذلك فيحملون كل آية على وجه لا يخالف الآية الأخرى طيب وفيه أيضا آيات كثيرة دقيقة فيه آيات كثيرة أشار إليها الشيخ محمد الشنقيطي رحمه الله في كتابه الذي سماه: "دفع إيهام الاضطراب عن آية الكتاب" وهو كتاب جيد نافع لطالب العلم . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ((**إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا وأولئك هم وقود النار كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآياتنا فأخذ الله بذنوبهم والله شديد العقاب؛ قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد**)) . قال الله عز وجل: ((**ستغلبون وتحشرون**)) هل فيها قراءة ثانية؟ ((**سيغلبون ويحشرون**)) قراءة بالياء ((**سيغلبون ويحشرون**)) . هنا ذكر الله سبحانه وتعالى حال هؤلاء الكفار في الدنيا وحالهم في الآخرة ما حالهم في الدنيا ؟ هم يغلبون في الدنيا ويحشرون إلى جهنم يوم القيمة؛ أحسنت إذا وهم في خسارة في الدنيا وفي الآخرة . هل في القرآن ما يشهد بهذه الآية في أن مآل الذين كفروا الغلبة في الدنيا والنار في الآخرة ؟ مثل هذه الآية تقريبا إن لم تكن مثلها، هي مثلها في المعنى لكن يختلف اللفظ شيء ((**إن الذين كفروا** ...)) أحسنت هذه الآية في سورة الأنفال كهذه الآية تماما ((**إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون**)) . لو أن الكافر

يفتخر بما عنده من القوة والمال والولد فبأي شيء يرد عليه المؤمن هذا الافتخار؟ نقول: هذه لن تغني عنكم من الله شيئا نعم؟ ولو شاء الله عزوجل لانتصر منكم ولكن يبلي الله عباده بعضهم ببعض واضح؟ ما تقولون ؟

ولو شاء الله لانتصر منكم ولكن يبلوا الله عباده بعضهم ببعض واضح؟ ما تقولون؟ أما أن ننظر إلى أموالهم وأولادهم نظرة ونقول لا يمكن أن نصل إلى ما وصلوا إليه ثم نصير أذنابا لهم ونتبعهم فهذا ليست حال المؤمن، المؤمن ينظر إلى هؤلاء وكأنهم ولكنه يسعى إلى ما يكون به النصر عليهم بالإيمان بالله، والعمل الصالح، وإعداد القوة وغير ذلك. طيب سمعنا يا هداية الله ؟ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ((**قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين والله يؤيد بنصره من يشاء إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار؛ زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب**)) قوله عز وجل: ((**يرونهم مثليهم رأي العين**)) فيها قراءتان؟ نعم ((**يرونهم**)) و((**ترونهم**)) . ما موقع قوله تعالى: ((**فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة**)) مما قبلها في المعنى؟ هذه فيها بيان؛ شف ((**فئتان التقتا**)) ما بين الله هذه الفئتين ثم بين فقال: ((**فئة**)) فمحلها مما قبل فمعنى أن فيها تفصيلا لما أجمل في قوله: ((**فئتين التقتا**)) . طيب , في قوله: ((**فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة**)) فيها حذف وهو أنه حذف من إحدى الجملتين ما ذكر في الأخرى ؟ وحذف وصفه المقابل بوصف ((**وأخرى كافرة**)) ؛ حذف ما يقابل ((**تقاتل في سبيل الله**)). . . وأخرى كافرة تقاتل في سبيل الطاغوت هذا ولا لا؟ وهذا من بلاغة القرآن أن يحذف أحد المتقابلين ما يذكر بالآخرة .

الشيخ : ما معنى قوله تعالى: ((**مثليهم رأي العين**)) ؟

الطالب : ضعفيهم ؛

الشيخ : هذا أحد الأقوال يعني: يرون ضعفيهم بناء على أن ذلك نزلت في غزوة بدر لأن المؤمنين كانوا ثلاثمائة وبضعة عشر والكافرين كانوا ما بين تسع مائة وألف. طيب فيه رأي آخر؟ يعني أن التسمية عبارة عن الكثرة لا للتقيد بضعفين .

الشيخ : هل لهذا شاهد ؟ عمر؟ ((**ثم ارجع البصر كرتين**)) قال العلماء معناه: كرة بعد كرة ولا يتقيد مثلين؛ ومنه قولهم في الإحرام: لبيك اللهم لبيك؛ المراد تلبية بعد تلبية لا تلبية .

الشيخ : ذهب بعض العلماء إلى أن هذا ليس نازلا في بدر ولكن ضرب مثل؛ وبناء على هذا القول لا يكون في ((**مثليهم**)) إشكال ويكون المعنى: أن الله أوجب على المؤمنين أن يس بمقابلة مثلين، بمقابلة مثلين من الكفار

فقال الله تعالى: ((**الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين**)) وهذا ي القول لا إشكال في الآية إطلاقا.

الشيخ : ذكرنا في قوله: ((**قل أؤنبئكم بخير من ذلك**)) لماذا صدرت الآية بالاستفهام؟ وإن شئت فقل ما المراد بالاستفهام هنا؟ عبد الله أو ما حضرت؟ ((**قل أؤنبئكم**)) الاستفهام ما المراد به؟

الطالب : للتشويق؛

الشيخ : ما مناسبة التشويق هنا؟

الشيخ : هل جاء في القرآن نحو هذا الاستفهام؟ أعني استفهام يراد به التشويق إلى نعيم الجنة ؟

الطالب((**يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم**)) .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ((**زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب**))

كم عدد هذه المزينات؟ سبعة؛ كذا؟ نعم، طيب.

هنا قال: ((**زين للناس حب الشهوات**)) من هذه الأشياء فهل هناك فرق أن يقال: حب الشهوات وبين أن يقال: زين للناس حب النساء ؟ بينهما فرق إن محبته هذه الأشياء محبة شهوة فهذا هو الذي يكون متاع الحياة الدنيا؛ وأما مطلق المحبة فقد يترتب عليه الثواب الآخرة ولا يكون من متاع الدنيا عرفت؟ نعم، طيب.

السائل : ما هو الدليل على الفرق، أو على هذا الفرق بين العبارتين ؟

الشيخ : صح ومحبة النبي عليه الصلاة والسلام ليست محبة شهوة ومتاع الدنيا لكن محبة، محبة خير .

السائل : في المال والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة ما هو الدليل على أن المال قد يكون خيرا مع محبة الإنسان نفسه ؟

الشيخ : نعم هذا صحيح لكن ما هو الدليل على أن محبة المال قد تكون خيرا؟ والثناء كثيرا كما قال الأخ على من أنفق في سبيل الله نعم؟ وكم حصل في المال من خير كثير للأمة الإسلامية في ماضيها وحاضرها.

السائل : الحرث أيضا ممكن أن يكون حب الحرث خيرا ؟

الشيخ : لا مجرد متاع الدنيا ؟

السائل : يمكن؟

الشيخ : طيب الدليل ؟ من القرآن ومن السنة وإن شئت فمن التعليل ؟ أن الحرث قد يكون خيرا للإنسان إذا قصد به الخير، أراد أن ينتفع الفقير، والمار، والطير، والو وغير ذلك فيكون له بذلك أجر ولا يكون مجرد متاع في الحياة الدنيا.

الشيخ : وحيث إنك سألت وليس هذا موضع السؤال سمعنا أول سؤال؟

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. بسم الله الرحمن الرحيم. ((**الم الله لا إله إلا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان إن الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام**)) .

الشيخ : طيب ما موضع العطف في قوله: ((**وأنزل الفرقان**)) مما قبله ؟ أو ما نوع العطف في قوله: ((**وأنزل الفرقان**)) مما قبله؟

الطالب : عطف بيان؛ عطف

الشيخ : بيان ما يأتي بحرف العطف ؛ نعم يحي ؟

الطالب : أي نعم لكن ما موضعه من حيث المعنى ؟

الشيخ : من حيث المعنى ما هو من حيث الإعراب ؟ هداية الله؟

الطالب : صفة؛

الشيخ : طيب صفة عامة أو لا؟

الطالب : صفة لله؛

الشيخ : لا ما هي صفة لله؛ لا إله إلا هو؛ لا لا ((**وأنزل الفرقان**)) وأنزل عطف على ..؛ أي صح فيكون من باب عطف العام على الخاص لأن الله ذكر التوراة والإنجيل ثم قال: ((**وأنزل الفرقان**)) وهذا الوصف يشمل كل الثلاثة واضح؟ نعم.

((**قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنت تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد؛ الذين يقولون ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار؛ الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار**)) أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. قال الله عز وجل: ((**زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الدنيا والله عنده حسن المآب**)) أظن تكلمنا على هذا؟ نعم، والفوائد كل شيء؟ طيب. قال الله تعالى: ((**قل أؤنبئكم بخير من ذلك**)) أولا في القراءات: فيها ((**أؤنبئكم**)) بتحقيق الهمزتين بدون مد؛ وفيها قراءة ثانية: ((**آؤنبئكم**)) أي بتحقيق الهمزتين بالمد . وقوله: ((**قل**)) سبق لنا سبق لها نظائر وذكرنا أن الآية المصدرة بقل تشير إلى الاهتمام بها والعناية بها لأن الله أمر نبيه أمرا خاصا أن يبينه للناس والأمر العام لكل القرآن . وقوله: ((**أؤنبئكم**)) الاستفهام هنا للتشويق لما ذكر متاع الحياة الدنيا السبعة الأنواع السابقة قال: ((**أؤنبئكم**)) يشوقنا إلى ما هو خير من ذلك ((**أؤنبئكم**)) أي أخبركم بخير من ذلك؛ والإنباء هو الخبر عن أمر هام ولا يكون النبأ غالبا إلا في أمور هامة كما في قوله تعالى: ((**عم يتساءلون عن النبأ العظيم**)) . قال: ((**بخير من ذلكم**)) المشار إليه ما سبق من متع الحياة الدنيا بأنواعها السبعة؛ ولكن قد يقال، قد يقول قائل: لماذا أشار إليه بلفظ المفرد المذكر؟ نقول: لأجل طي ذكره بشيء واحد؛ كأنه قال: بخير من ذلكم المذكور؛ حتى لا يشار إلى التفصيل فيه لأن الدنيا كلها، كلها في الواقع ينبغي أن يزهد فيها الإنسان ولا يهت بها شيئا ألم ترى إلى قوله صلى الله عليه وسلم: (فمن كانت هجرته إلى الله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه) ولم يذكر تحقيرا لها نعم . وقوله: ((**قل أؤنبئكم بخير من ذلكم**)) هذا كما قلت استفهام؛ الجواب: هو مضمون قول: ((**للذين اتقوا عند ربهم** ...)) هذا ((**للذين اتقوا عند ربهم جنت تجري**)) . وقوله: ((**للذين اتقوا**)) لا يخفى علينا جميعا إنه خبر مقدم و((**جنات**)) مبتدأ مؤخر؛ وتقديم الخبر يفيد الحصر؛ لأن من الفوائد المعروفة في البلاغة أن تقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر. ((**للذين اتقوا عند ربهم**)) اتقوا ماذا؟ اتقوا الله عز وجل؛ ((**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله**)) . وأحيانا يؤمر باتقاء اليوم يوم القيمة كما في قوله: ((**واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله**)) . وأحيانا نؤمر بتقوى

النار؛ ((**واتقوا النار التي أعدت للكافرين**)) ولكن المعاني وإن اتفقت في أصل الوقاية لكنها تختلف؛ لأن تقوى الله عزوجل تستلزم الخوف منه وتعظيمه؛ أما النار فإن تقواها تستلزم الخوف منها فقط لكنها ليست تقوى عبادة وإنابة وتعلق بها بل تقوى فرارا منه؛ وكذلك تقوى اليوم الذي نرجع فيه إلى الله وهو يوم القيمة . المهم أن قوله: ((**للذين اتقوا**)) ينبغي أن نحملها على أعلى أنواع التقوى وأفضلها وهي تقوى الله عزوجل؛ لا تقوى اليوم الآخر ولا تقوى النار؛ لأن تقوى الله يحمل على تقوى اليوم الآخر وعلى تقوى النار . فما هي تقوى الله؟ قال بعض العلماء في تقوى الله : أن تعمل في طاعة الله على نور من الله ترجوا ثواب الله وأن تترك ما نهى الله على نور من الله تخشى عقاب الله؛ وهذا يتضمن الإخلاص والعلم؛ العلم قوله: على نور من الله؛ والإخلاص: ترجوا ثواب الله وتخشى عقاب الله؛ يعني لا يحملك على هذا حب الدنيا، أو الجاه، أو الرئاسة، أو ما أشبه ذل. وقال بعض العلماء: إن تقوى الله: أن يخلي الإنسان جميع الذنوب صغيرها وكبيرها وعلى هذا قول الشاعر:

خل الذنوب صغيرها وكبيرها ذاك التقى واعمل كماش فوق أرض الشوك يحذر ما يرى

لا تحقرن صغيرة إن الجبال من الحصى

وقال بعض العلماء تقوى الله عزوجل : اتخاذ وقاية من عذابه بفعل أوامره واجتناب نواهيه؛ وهذا أجمع ما قيل في التقوى؛ إنها اتخاذ وقاية من عذاب الله بفعل أوامره واجتناب نواهيه؛ ثم اعلم أن التقوى أحيانا تقرن بالبر، وأحيانا تفرد؛ فإن قرنت بالبر صار معناها اجتناب المعاصي؛ والبر فعل الطاعات؛ وإن أفردت عنه صارت شاملة لفعل الأوامر واجتناب النواهي؛ ولهذا الاستعمال في الكلمات شواهد كثيرة، أو نظائر كثيرة على الأصح كالفقير والمسكين؛ الفقير والمسكين إن ذكرا جميعا صار لكل واحد منهما معنى؛ وإن أفرد أحدهما صارا بمعنى واحد؛ كذلك الإيمان والإسلام عند الإفراد يدخل أحدهما في الآخر وعند الجمع يكون لكل واحد منهما معنى غير الآخر . قوله: ((**للذين اتقوا**)) إذا اتقوا الله بفعل أوامره واجتناب نواهيه . ((**عند ربهم**)) العندية هنا تفيد فضلا عظيما لأنها هي القرب من الله عزوجل ((**عند ربهم**)) كما قال الله تعالى: ((**إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون**)) كما قال تعالى: ((**ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون**)) ثواب المتقين عند الله والعندية تفيد القرب ولا أقرب من شيء يكون سقفه عرش الله عزوجل كالفردوس الأعلى . أسأل الله أن يجعلني وإياكم من أهلها . هذه العندية تفيد القرب ((**إن المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر**)) . وقوله: ((**عند ربهم**)) الرب كما سبق هو الخالق المالك المدبر ؛ وسبق أيضا قريبا أن ربوبية الله سبحانه وتعالى تنقسم إلى عامة وخاصة؛

والربوبية هنا ((**عند ربهم**)) ربوبية خاصة؛ لأن الله تعالى وفقهم لما حرمه كثير من عباده . ((**عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار**)) جنات كثيرة متنوعة ذكر الله تعالى في سورة الرحمان أن أنواعها أربعة: فقال: ((**ولمن خاف مقام ربه جنتان**)) ثم قال: ((**ومن دونهما جنتان**)) وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن جنتين من ذهب وجنتين من فضة؛ وهذا باعتبار الجنس أما الأنواع فكثيرة لأن لكل أمة ما يختص بها من الثواب؛ ولكل فرد من الأمة ما يختص به من الثواب؛ ونحن نعرف الآن أن الفواكه في الدنيا اسمها واحد ولكن تختلف فالرمان مثلا يكون في هذا البستان يكون جيدا وفي البستان الثاني يكون رديئا؛ وكذلك بقية الفواكه؛ كذلك الجنة تختلف؛ حتى وإن اشتركت أن كلها رمان كلها فواكه وما أشبه ذلك تختلف من شخص لأخر كما قال الله تعالى: ((ولكل درجات مما عمل)) وأخبر النبي عليه الصلاة والسلام أن أهل الجنة يتراءون أصحاب الغرف العالية كما تتراءون الكوكب الدري الغابط في الأفق) فهي درجات عظيمة؛ فهنا قال: ((**جنات**)) بالجمع لتعدد أجناسها، وأنواعها، وأفرادها؛ والجنة في الأصل البستان الكثير الأشجار؛ ولكن الجنات التي وعد الله بها المتقين هي دار النعيم المقيم التي فيها: (**ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر**) . يقول: ((**جنات تجري من تحتها الأنهار**)) تجري من تحتها ليس من تحت أرضها بل فوق أرضها لكن من تحت أشجارها وقصورها، أنهار مطردة، وأنهار مختلفة الأنواع أربعة أنواع: ((**أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى**)) هذا الماء لم يخرج من الآبار ولم يذب من الجليد ؛ وهذا العسل لم يخرج من النحل؛ وهذا اللبن لم يخرج من بهيمة ولكن الذي خلق هذا في الدنيا من هذه الأشياء المعلومة قادر على أن يخلقه عزوجل في الآخرة ابتداء؛ لبن مخلوق نهر يجري؛ عسل كذلك؛ خمر لذة للشاربين كذلك؛ فهذه الأنواع الأربعة تجري من تحت هذه القصور الفخمة والأشجار اليانعة تبهت الناظرين، تسر القلب، لا يتصور الإنسان ما فيها من النعيم . يقول: ((**تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها**)) ((**خالدين فيها**)) هذا أيضا من كمال النعيم ؛ الخلد ((**لا يذوقون فيها الموتة**)) بل يقال لهم خلود ولا موت فيسرون؛ بل يقال لهم: (**إن لكم أن تنعموا فلا تبئسوا أبدا وأن تصحوا فلا تسقموا أبدا وأن تشبوا فلا تهرموا أبدا وأن تحيوا فلا تموتوا أبدا**) كل الآفات التي في الدنيا المن للنعيم كلها تنفى عنه ؛ ولهذا قال: ((**خالدين فيها**)) . ((**وأزواج مطهرة**)) معطوفة على ((**جنات**)) جنات وأزواج ؛ وعطفها عليها لاختلاف نوع التلذذ؛ فتلذذ الجنات تلذذ شهوة البطن؛ والتلذذ بالأزواج تلذذ آخر، من نوع آخر؛ ولهذا قال: ((**أزواج**)) من الحور العين ومن نساء الدنيا؛ والإنسان الذي له زوجة في الدنيا تبقى له زوجة في الآخرة؛ وإذا كان ذات زوجين فإنه تخير بينهما، وإذا لم يكن للإنسان زوجة في الدنيا فإن في الجنة من ليس لهن أزواج في الدنيا يزوج هذا من هذه، وهناك أيضا أزواج من نوع

آخر وهن الحور العين، والحور العين أيضا داخلة في قوله: ((**وأزواج مطهرة**)) وقوله تعالى: ((**مطهرة**)) من أي شيء؟ من كل رجس حسي أو معنوي، مطهرة من كل رجس حسي أو معنوي؛ فالحسي مثل البول والغائط والحيض والعرق الممتن والمخا وما أشبه ذلك؛ والمعنوي الغل والحقد والفجور وكراهة الزوج وما أشبه ذلك؛ المهم أن الله أطلق قال: ((**مطهرة**)) ولم يقل من كذا وكذا من أجل إفادة العموم؛ لأن من القواعد المعروفة أن حذف المعمول يؤذن بعموم العامل، قاعدة معروفة عندهم أن حذف المعمول يؤذن بعموم العامل؛ ولهذا أمثلة كثيرة مثلا: قوله تعالى للرسول صلى الله عليه وسلم: ((**ألم يجدك يتيما فآوى ووجدك ضالا فهدى ووجدك عائلا فأغنى**)) قال: ألم يجدك يتيما لم يقل: فآواك؛ ووجدك ضالا ولم يقل: فهداك مع أن الخطاب له؛ ووجدك عائلا ولم يقل: فأغناك بل حذف المفعول ليؤذن على عموم العام؛ فالرسول عليه الصلاة والسلام وجده ربه يتيما فآواه لكن ما آواه وحده آواه وآوى به حتى جعله فئة لكل مؤمن؛ ضالا فهداه أو هداه وهدى به؟ هداه وهدى به؛ عائلا فأغناه وأغنى به؛ من أين للعرب هذه الغنائم العظيمة التي ما فكروا أن يغنموه، كيف يغنم العرب رعاء الشاه والإبل أرض فارس والروم إلا بأيش؟ إلا بالنبي صلى الله عليه وسلم وبدينه . المهم أن هذه القاعدة معروفة مقررة وهو أن حذف المعمول يؤذن بعموم العام؛ طيب إذا ((**أزواج مطهرة**)) لم يذكر المعمول فيدل على أنها مطهرات من كل رجس حسي أو معنوي؛ وقوله: ((**أزواج مطهرة**)) لم يقل: مطهرات لماذا؟ لأن نعت الجمع يجوز أن يكون مجموعا وأن يكون مفردا إلا جمع المؤنث السالم فإنه يكون مجموعا؛ فتقول مثلا: مررت بنساء مؤمنة ونساء مؤمنات، وتقول: مررت بمسلمات صالحات ولا تقل: بمسلمات صالح؛و هنا أزواج جمع، جمع مؤنث سالم أو جمع تكسير؟ جمع تكسير فيجوز في وصفه الإفراد والجمع، يجوز أزواج مطهرات، وأزواج مطهرة؛ قال ابن مالك: والله يقضي بعباد وافرة؛ ولو قال وافرات لصح . ((**ورضوان من الله**)) . الله أكبر . هذا أعظم شيء ((**رضوان من الله**)) أن الله سبحانه وتعالى يحل عليهم رضاه فلا يسخط عليه بعده أبدا، ما يسخط عليهم؛ وهذا أعظم ما يكون كما قال الله سبحانه وتعالى لما أعدد نعيم أهل الجنة قال: ((**ورضوان من الله أكبر**)) أكبر من هذا كله لأنه إذا رضي عليك محبوبك الذي تسعى إلى الوصول إليه منذ عرفت ومنذ ميزت فإن هذا أعظم مقصود للإنسان أن ينال رضا الله عزوجل؛ وأعظم من ذلك النظر إلى وجه الله سبحانه وتعالى كما قال الله تعالى: ((**للذين أحسنوا الحسنى وزيادة**)) ولا ألذ وأمتع وأحسن لأهل الجنة من النظر إلى وجه الله سبحانه وتعالى؛ فأعلى الشيء النظر إلى وجه الله، الرضوان يليه، المتعة الجسدية في الجنة تلي هذا؛ ولهذا قال: ((**ورضوان من الله**)) فأفرده بالذكر لأنه نعيم قلب؛ وما سبقه نعيم أيش؟ نعيم بدن وجسد أما هذا فنعيم قلب؛ ولهذا يقول الله عزوجل: (**إني أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدا**) . قال: ((**ورضوان من الله والله**

بصير بالعباد)) سبحانه وتعالى . الله بصير بالعباد الذين يريدون الدنيا والذين يريدون الآخرة فهو بصير بهم؛ بصر نظر أو بصر علم؟ يشمل هذا وهذا، فهو بصير بالعباد بصر نظر لا يغيب عن نظره شيء ، بصير بهم بصر علم ((**لا يعذب عن مثقال ذرة في السماء ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر**)) . وقوله: ((**بالعباد**)) المراد به يا محمد أي أنواع العبادة؟ العام أو الخاص؟ العام إذا العبودية العامة؛ بصير بكل العباد مؤمنهم وكافرهم، برهم وفاجرهم، متقيهم وعاصيهم، كل العباد فالله تعالى بصير بهم، وهو سبحانه وتعالى بصير بمن يستحق أن يكون من المتقين ومن يستحق أن يكون من العاصين؛ فالمعصية لحكمته، والطاعة بفضله؛ المعصية بحكمته وعدله، والطاعة برحمته وفضله نعم. ثم قال عزوجل. فوائد؟ نعم. قال: ((**الذين يقولون ربنا إننا آمنا**)) هذه بيان ((**للذين اتقوا**)) لا للعباد؛ لأن العباد كلهم لا يتصفون بهذه الصفات؛ لكن المتقين منهم هم الذين يتصفون بهذه الصفات ((**الذين يقولون ربنا إننا آمنا**)) قوله: ((**يقولون**)) يريد بذلك القول باللسان والاعتقاد بالجنان؛ لأن الله تعالى إذا أطلق القول بالإيمان ولم يتعقب كان المراد به القول باللسان والعقد بالجنان؛ ودليل ذلك: قوله تعالى: ((**ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين**)) لما كان المراد بهذا القول القول باللسان فقط قال: ((**وما هم بمؤمنين**)) ؛ أما إذا أطلق الله قول الإنسان عاما فإنه يريد به الإيمان القول باللسان والعقد بالجنان؛ ولهذا قال عز وجل: ((**قولوا آمنا بالله**)) لا يريد منا أن نقول ذلك بألسنتنا فقط بل بألسنتنا وقلوبنا ((**قل آمنا بالله**)) لا يريد أن نقول ذلك باللسان فقط بل باللسان والجنان؛ إذا ((**الذين يقولون ربنا آمنا**)) بماذا ؟ بألسنتهم فقط؟ لا، بألسنتهم نطقا وبقلوبهم عقدا يعني اعتقادا . وقوله: ((**الذي يقولون ربنا**)) شف كيف توسلوا إلى الله بربوبيته للإخبار بحالهم في لإيمان به؛ كأنهم يقولون: ربنا آمنا ولكننا لم نصل إلى الإيمان إلا بربوبيتك لنا تلك الربوبية الخاصة المقتضية للعناية التامة يقولون: ((**ربنا إننا آمنا**)) انتبه، قال الذين يقولون آمنا استقام الكلام بلاشك لكن إذا قالوا: ((**ربنا إننا آمنا**)) فهذا كالإشعار بأنهم لم يصلوا إلى الإيمان إلا بمقتضى هذه الربوبية الخاصة المقتضية للعناية التامة . ((**الذين يقولون ربنا إننا آمنا**)) ((**إننا آمنا**)) الجملة هنا مؤكدة بكم مؤكد؟ واحد؟ وهو: إننا لأن نا ثانية ضمير ((**إننا آمنا**)) فيؤكدون إيمانا ((**إننا آمنا فاغفر لنا**)) آمنا بماذا؟ بكل ما يجب الإيمان به . وقد سأل جبريل النبي صلى الله عليه وسلم ما الإيمان؟ قال: **أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره)** وقال الله تعالى: ((**كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله**)) فالإيمان هنا يشمل الإيمان بكل ما يجب الإيمان به وهي ستة أنواع: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره . الإيمان ليس هو مجرد التصديق، ليس مجرد التصديق؛ لأن مجرد التصديق ليس بإيمان؛ ولهذا يقال: آمنا به؛ ويقال: آمنا له وبينهما فرق؛

ويقال: صدقه وبينهما فرق أيضا؛ فالإيمان لابد أن يكون مقرونا بقبول وإذعان يعني يصدق ثم يقبل ثم يذعن هذا إيمان؛ ولهذا قال: آمنت به؛ ولا يقال: آمنته .

الإيمان لابد أن يكون مقرونا بقبول وإذعان؛ يعني يصدق ثم يقبل ثم يذعن هذا الإيمان؛ ولهذا يقال: آمنت به؛ ولا يقال: آمنته؛ ولو كان الإيمان مرادفا للتصديق لصح أن يقال: آمنته كما يقال: صدقته نعم؟ إذا الإيمان يتضمن معنى زائدا على مجرد التصديق بل هو تصديق متضمن لقبول وإذعان؛ ولهذا كلنا يعلم حسب ما جاء في التاريخ أن أبا طالب مصدق لرسول الله صلى الله عليه وسلم مصدق له، ويرى أن ما أخبر به مثل الشمس حتى إنه ليقر بذلك في قصائده، يقول:

لقد علموا أن ابننا لا مكذب لدينا ولا يعنى بقول الأباطل

شف ليس مكذبا ولا يعنى بقول الأباطل؛ إذا يكون عنده مصدق؛ ويقول: ولقد علمت بأن دين محمد خير أديان البرية دينا لو لا الملائمة أو حذار مسبة لرأيتني سمحا بذاك مبينا ؛ إذا هو مصدق لكن لم يكن تصديقه متضمنا للقبول والإذعان، ما قبل ولا أذعن؛ فهل نقول إنه مؤمن؟ لا؛ إذا لابد بالإيمان من القبول والإذعان . ((**الذين يقولون ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا**)) الفاء هنا للسببية أي فسبب إيماننا فاغفر لنا؛ لأن الإيمان لاشك أنه وسيلة للمغفرة، وكلما قوي الإيمان قويت أسباب المغفرة حتى إنه أخلص الإنسان إيمانه صارت حسناته تذهب سيئاته ؛ ولهذا قال: ((**فاغفر لنا**)) أي بسبب الإيمان اغفر لنا؛ وهذا من باب التوسل بالطاعة لقبول الدعاء . وقوله: ((**فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا**)) نعم ((**فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار**)) نعم ((**اغفر**)) فعل دعاء وليس فعل أمر؛ لماذا؟ الأخ؟ ((**اغفر لنا**)) ما نقول هذا فعل أمر لأن الله ما يؤمر؛ العبد لا يأمر الله لكنه يدعوه؛ إذا كل فعل بصيغة الأمر وجه إلى الله فهو دعاء يسمى فعل دعاء ولا يسمى فعل أمر. والمغفرة مأخوذة من الغفر وهو الستر مع الوقاية ومنه المغفر الذي يلبسه المقاتل في رأسه ليستر الرأس ويقيه السهام؛ فليست المغفرة مجرد الستر بل هي ستر ووقاية؛ ولهذا نقول: مغفرة الذنوب سترها عن الناس والعفو عن عقوباتها؛ ويد ل لهذا: (أن الله سبحانه وتعالى يخلوا يوم القيمة بعبده المؤمن ويقرره بذنوبه يقول: عملت كذا وعملت كذا وعملت كذا حتى يقر فيقول الله عز وجل:(**قد سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم**) يعني لا أجازيك عليه ؛ والحمد لله رب العالمين أن الله عزوجل يستر الذنوب على عباده والله لو لا هذا لا فتضح كثير من الناس؛ يقال: إن بني إسرائيل كان واحد منهم إذا أذنب ذنبا أصبح وذنبه مكتوب على بابه . والعياذ بالله . فضيحة؛ أما هذه الأمة فستر عليها ولله الحمد . ولكن فتح عليها أبواب التوبة على كما يقولون ((**قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا**)) فالله عز وجل يمهل الإنسان يمهل له ويحلم عليه وإذا وفق اتعظ من نفسه بنفسه، هو نفسه يفكر ماذا عملت، ويش أنا فعلت

فيستحيي من الله عزوجل ويخشى أن يفضحه الله لأن الإنسان إذا تجرأ على ربه في السر فربما يفضحه بالعلانية إذا لم يتب ، إذا لم يتب إلى الله عز وجل ؛ فإن تاب تاب الله عليه وأبدل سيئاته حسنات . ((**فاغفر لنا ذنوبنا**)) الذنوب هي المعاصي ؛ وهي إما قبائح وإما دون ذلك وكلها تحتاج إلى مغفرة كلها يستغفر الإنسان منها ولا تظن أن الصغائر إذا كفرت بالحسنات لا تظن أنها كما لو كفرت بالتوبة ؛ لأن بينهما فرقا عظيما ؛ إذا كفرت بالتوبة أبدلت السيئات بالحسنات؛ إذا كفرت بالطاعات فإنها تمحى فقط لكنها ما تبدل بالحسنات لا؛ الله يقول: ((**إن الحسنات يذهبن السيئات**)) ويقول: ((**إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات**)) وفرق بين أمرين؛ فرق بين أن تذهب السيئة بالحسنة وبين أن تبدل السيئة حسنة؛ أليس كذلك؟ إذا لا تعتمد على تكفير الحسنات السيئات فتقول: إن سيئاتي مكفرة بحسناتي لا؛ ثم إننا في الحقيقة حسناتنا نرجو أن تبرئ ذممنا يعني لا تقوى على أن تكفر، لا تظن أن أي صلاة تكفر لا؛ قد تكون صلاة لا تبرئ بها الذمة إلا كما يقولون: بالدف نعم ؟ لأنها صلاة يفعلها الإنسان عادة ثم إذا دخل فيها بدأ يضارب بماله إن كان تاجرا، وبدأ يقلب دفاتره إن كان طالبا نعم ؟ وبدأ ينظر إلى قدومه ومنشاره إذا كان نجارا وهكذا؛ ولا تكثر الوساوس إلا إذا دخل في الصلاة وإذا سلم طارت الوساوس هذه وصار قلبه حاضرا للذكر الذي بعد الصلاة؛ أما الصلاة نفسها فهو يتجول في كل مكان ؛ وإذا سد بابا وإذا بالشيطان يفتح بابا بعيدا ما كان يطلع على باله أبدا، فإذا حاول سده وإذا بابا آخر مفتوح وهكذا من أجل أن يحول الشيطان بين الإنسان وبين ربه؛ لأن الشيطان يعلم أن هذه الصلة التي بين الله وبين العبد وهي صلته بالله في الصلاة لها شأن عظيم ودور كبير في إصلاح العبد قال الله عز وجل: ((**إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر**)) أتريدون أعظم من هذا؟ أن يكون في نفسك رادع ينهاك عن الفحشاء والمنكر هذا هو الذي يغيض الشيطان فيريد الشيطان أن يحول بينك وبين هذا بإلقاء الوساوس في صلاتك حتى تخرج من صلاتك بقلب يابس جاف كما دخلت كذلك في صلاتك؛ ولهذا أسأل الله أن يعينني وإياكم على إصلاح هذه العبادة العظيمة ؛ لأنها إذا صلحت صلحت العبادات كلها كل العبادات؛ ولكن إذا كانت جافة فمن أين تسقى شجرات العمل، لا تسقى إلا بماء نعم . إذا تاب توبة عامة يكفي ؛ أي نعم وإذا قال أيضا الاستغفار المعروف : اللهم إني أستغفرك بما لا أعلم ؛ هذا أيضا طيب . يكفر هذه ؟ يكفر نعم ؛ إذا كان إبراء المدين من حق الآدمي المبهم المجهول جائزا ويبرئ به فما بالك حق الله ؟ لكن هو ما يتذكر ؟ نعم ما يتذكر لكن في الصلاة يقول أستغفر الله من كل ذنب، يكفي .

السائل : الإنسان الذي . هل يكون في.. .((**إن عبادي ليس لك عليهم سلطان**)) ؟

الشيخ : لا؛ هذا السلطان نوعان: سلطان يضلهم به ولا يهتدون هذا لا يمكن أن يكون على عباد الله المخلصين؛ وسلطان يتسلط عليهم الشيطان لكن يمن الله عليهم بالتوبة فيمحوا ويهدم كلما بناه الشيطان؛ يكون سلطانه هذا حقيقة زيادة غم عليه؛ على الشيطان؟ على الشيطان ولهذا لا يرى الشيطان أحقر ولا أصغر من يوم عرفة لما يرى من تنزل الرحمة؛ الشيطان قد يتسلط على الإنسان لكن إذا استغفر وغفر له زاد غمه.

السائل : قوله: ((**وأزواج مطهرة**)) يعم نساء الدنيا أيضا؟

الشيخ : أي نعم حتى نساء الدنيا في الجنة مطهرات.

أي نعم كل من تاب إلى الله فإن الله يغفر ذنبه وهذه الآية نزلت في التائبين؛ نعم أما قوله: ((**إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء**)) فهذه نزلت في غير **التائبين** ((**إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء**)) هذه في غير التائبين؛ أما ((**قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم**)) فهذه للتائبين.

السائل : هل تقبل التوبة من ذنب دون ذنب آخر؟

الشيخ : هذه تحتاج إلى أن نسأل عن شروط التوبة تعرف منها شيء يا فهد؟

الطالب : نعم أن ي؛ أولا أن يخلص لله، الإخلاص لله، الندم، الإقلاع عن الذنب، العزم على أن لا يعود، أن يتحلل منه إن كان؛

الشيخ : لا لا لا هذه داخلة في قوله: الإقلاع؛ أن تكون في الوقت الذي تقبل فيه؛ خمسة شروط؛ إذا وجدت هذه الشروط صحت التوبة؛ وليس في هذه الشروط أن لا يكون مصرا على عمل على ذنب آخر؛ ولهذا صحيح أن التوبة تصح من ذنب مع الإقرار على غيره؛ لكن الذي فيه إشكال هل تصح التوبة من ذنب مع الإقرار على جنسه هذا هو محل نظر؛ أما إذا كان من غير جنس فلاشك أنها تقبل لأن هذا هو مقتضى العدل؛ لكن إنسان يتوب إلى الله عزوجل من نظر السناء المحرم ولكنه يقبل النساء هل نقول: إنه تقبل توبته من النظر ويعاقب على التقدير فقط؟ أو لا تصح؟ فيها خلاف الجنس واحد، الجنس واحد هذه محل اشتباه.

السائل : أليس التقبيل أعظم من النظر ؟

الشيخ : هو أعظم لكن إذا تاب من النظر هل يعاقب على النظر والتقبيل أو على التقبيل فقط؛ نقول هذه محل نظر وابن قيم رحمه الله في كتابه مدارج السالكين لما بحث هذا قال هذه المسألة لها غو بعيد يعني لأنه قد ينظر هل إن توبته هذه لصلاح القلب؟ فإذا كانت توبته صلاح القلب فلابد أن يتجنب التقبيل لأن يتوب من النظر كيف يقبل؛

السائل : أولا ينظر قبل التقبيل ؟

الشيخ : قد لا يتتبع الناس بالنظر لكن إذا حصلت امرأة قبلها . الله يهدينا وإياكم .

لكن ما هو ينظر لغيرها؛ هنا في ناس همهم النظر للنساء يتلذذ بالنظر لها ولا يقبلها؛ وفي إنسان همه أن يجد امرأة كاشفة لوجهها ليقبلها .

السائل : شيخ ما هي علامات قبول التوبة؟

الشيخ : علامات قبول التوبة أن الإنسان يجد راحة وطمأنينة وكراهة للذنب وإقبال إلى الله عزوجل.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ((**الذين يقولون ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار؛ الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار؛ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم**)) . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. قال الله تعالى: ((**قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار**)) إلى آخره .

الشيخ : المراد بالاستفهام هنا في قوله: ((**أؤنبئكم**)) حجاج ؟ ما المراد بالاستفهام ؟

الطالب : التشويق

الشيخ : نعم؛ هل له نظير؟ لأننا نريد مثال آخر تأتي بمثال آخر من القرآن ؟

الطالب : ((**هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم**))

الشيخ : أحسنت .

الشيخ : قوله: ((**للذين اتقوا عند ربهم**)) ما موضع الجملة مما قبلها في المعنى ؟

الطالب : بيان؛ الشيخ : بيان لأيش؟

الطالب : للخير الذي أخير من السابق ؛

الشيخ : أحسنت بيان لمن يستحق هذا الخير الذي هو أفضل مما سبق.

الشيخ : قوله: ((**عند ربهم**)) ماذا تفيده هذه العندية؟

الطالب : تعظيم هذا،

الشيخ : تعظيم أيش؟ تشريف كذا؟ لأن الذي عند الله ما فيه شك إنه مقرب إليه فيكون في ذلك شرف له.

الشيخ : المراد يا عمر بالربوبية هنا؟

الطالب : هذه ربوبية خاصة،

الشيخ : خاصة؛ إذا تنقسم الربوبية إلى قسمين؟

الطالب : ربوبية عامة تشمل جميع العباد؛

الشيخ : ربوبية خاصة خاص للمؤمنين وأخص للأنبياء والمرسلين؛ أحسنت.

الشيخ : هل لك أن تأتينا بمثال يجمع بين المعنيين؟ نعم، قوله تعالى حكاية عن فرعون وموسى: ((**قال فرعون وما رب العالمين قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم مؤمنين**)) هذه؟

الطالب : ربوبية عامة؛

الشيخ : نعم؛ الربوبية خاصة مثل هذه الآية.

الشيخ : نعم خالد ؟

الطالب : نعم يجمع الله قوله تعالى: ((**قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون**))

الشيخ : نعم تمام.

الشيخ : قوله تعالى: ((**تجري من تحتها الأنهار**)) **ما** معنى قوله: ((**من تحتها**)) ؟ تجري على سطحها وبين الأشجار؛ كيف على سطحها والله يقول: ((**من تحتها**)) ؟

الشيخ : شيبة ؟ تجري من تحت أشجارها وقصورها.

الشيخ : ما هذه الأنهار التي تجري ؟ ما أنواعها ؟ أنواعها أربعة؛ نعم؛ من ماء آسن، غير آسن؛ أتدري ما الآسن؟ غير متغير يعني؛ أتدري ما الآسن ؟ الآسن هو المتغير؛ إذا غير آسن طيب؛ وأنهار من لبن لذة للشاربين؛ لا، لم يتغير طعمه، والثالث ؟ وأنهار من خمرة لذة ، من خمر للذة للشاربين؛ وأنهار من عسل مصفى؛ أحسنت هذه أربعة.

الشيخ : ((**أزواج مطهرة**)) عبد المنان مطهرة من أيش؟

الطالب : من نجاسة ظاهرة ونجاسة باطنة؛

الشيخ : الرجس الحسي والمعنوي.

الشيخ : الحسي مثل أيش ؟ الحيض والعرق والبول والغائط . والمعنوي، الباطني مثل الحقد والبغض والحسد.

الشيخ : هل يشمل هذا أزواج الدنيا ؟

الطالب : نعم يشمل،

الشيخ : يشمل نعم؛ يعني الأزواج من أهل الدنيا تكون مطهرة يوم القيمة.

الشيخ : قوله: ((**رضوان**)) فيها قراءتان يا عبد الرحمن بن داود ؟

الطالب : بكسر الراء وضمها،

الشيخ : بكسر الراء وضمها ((**رضوان**)) و((**رضوان**)) طيب.

الشيخ : أيهما أعظم هذا النعيم المعدد أو الرضوان ؟

الطالب : الرضوان أفضل،

الشيخ : الرضوان أفضل لاشك؛ ما هو الدليل ؟ قول الرسول عليه الصلاة والسلام في الحديث:) ما في شيء من القرآن؟

الطالب : ((**رضي الله عنه ورضوا عنه**))

الشيخ : لا؛ ويش تقول ؟

الطالب : ((**ورضوان من الله أكبر**))

الشيخ : قوله تعالى: ((**ورضوان من الله أكبر**)) أحسنت.

الشيخ : ((**الذين يقولون ربنا إننا آمنا**)) فهد ((**يقولون**)) بالقلب أو باللسان ؟

الطالب : بالقلوب واللسان؛

الشيخ : طيب؛

الشيخ : هل يكفي اللسان ؟

الطالب : ما يكفي؛

الشيخ : الدليل ؟ دليل من القرآن ؟ من القرآن نعم؛ ((**يقولون ربنا آمنا**)) ؛

الشيخ : فيصل ؟ قوله تعالى: ((**ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين**)) طيب إذا ليس المراد بقولهم: ((**يقولون ربنا إننا آمنا**)) ليس المراد به القول باللسان إنما المراد القول باللسان والقلب .

الشيخ : ما فيها أوضح من هذه الآية ؟

الطالب : ما أدري ما نعرفها ؟

الشيخ : قوله: ((**يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم**)) ؟ أيه وهذا أيضا تفيد لكن هي أصرح يقول وما هم بمؤمنين .

الشيخ : قوله: ((**فاغفر لنا ذنوبنا**)) يا سالم ؟ ما هي المغفرة ؟

الطالب : الستر مع المغفرة؛

الشيخ : نسأل المغفرة ؟ لا يمكن المغفرة هي الستر مع المغفرة ، نسأل عن المغفرة ؛ عبد الوهاب ؟ ستر الذنب والتجاوز عنه ؛ يعن إذا ستر ووقاية .

الشيخ : ما الذي يدل على أن المغفرة تشمل على المعنيين جميعا الستر والوقاية ؟

الطالب : الله عز وجل ؛ من اللغة ؟

الشيخ : مغفرة ؛ عرفنا معناها ستر الذنب والوقاية منه بالتجاوز ؛ تأتي بالمغفر الذي؛ مأخوذ من المغفر الذي يغطي به المحارب رأسه. إذا إلى هنا وقفنا؛ الفوائد؟ طيب الفوائد من قوله: ((**قل أؤنبئكم**)) ؟ أي نعم؛ طيب ((**وقنا عذاب النار**)) ؟ طيب .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. قال الله تعالى: ((**وقنا عذاب النار**)) قنا القاف فعل دعاء، صح؟ القاف فعل دعاء؛ خطأ نقول ق،ق فعل دعاء، ما نقول القاف؛ طيب المال لزيد ماذا نقول؟ نقول ل حرف جار ولا لام حرف جار ؟ اللام حرف جار، ما الفرق بين لزيد وبين ق ؟ تلك حرف واحد وهنا حرفين ؛ ق حرف واحد؛ أيش لونه ؟ نقول: لأن اللام حرف، وق فعل ؛ ولهذا لو كتبت كاف حرف هجائي لقلت: قاف؛ إذا ق فعل أمر، زنته الصرفية ؟ عي كيف ؟ زنته الصرفية عي لأنه حذفت فائه ولامه إذ أن أصله من وقا من وقا واو قاف ألف كذا ؟ فإذا حذفت الفاء واللام أيش يبقى ؟ تبقى العين فيكون ق على وزن عي؛ مر شخصا من وعى ؟ عي؛ وزنها الصرفي ؟ عي، وزنها الصرفي عي؛ من وفى؟ في ، وزنها الصرفي عي؛ وشى ؟ شي؛ وقد ذكر الخضري على شرح ابن عقيل أظن حوالي عشرين فعلا من هذا النوع، يعني فعل أمر مما حذفت فاءه ولامه وصار على وزن عي . قوله تعالى: ((**وقنا عذاب النار**)) من الوقاية يعني قنا إياه؛ وهل المراد ((**قنا**)) عند استحقاقنا له؟ أو ((**قنا العذاب**)) حتى لا نعمل الذي يوصلنا إلى العذاب؟ أو الأمرين جميعا؟ الظاهر أن المراد الأمران جميعا، فيكون هؤلاء السادة قد دعوا بأن يقيهم الله تعالى عذاب أهل النار ودعوا بأن الله سبحانه وتعالى يقيهم النار إذا هم عملوا عمل أهلهم؛ ولكن كيف يقيهم عمل أهل النار إذا هم عملوا أهلها ؟ يقيهم ذلك بأمور متعددة . وقد ذكر العلماء أسباب مغفرة الذنب فبلغت نحو عشرة أسباب منها: أن يوفق الإنسان للتوبة؛ فإذا تاب الإنسان من الذنب وقاه الله تعالى عقاب ذلك الذنب ((**قل يا عبادي الذي أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا**)) ؛ ومنها: الأعمال الصالحة، والصدقة، ودعاء المؤمنين، وغير

ذلك؛ المهم أنهم ذكروها نحو عشرة أسباب كلها من أسباب وقاية عذاب النار . فيكون دعائهم وقاية من عذاب النار يشمل معنيين: المعنى الأول أن يقيهم أعمال أهل النار؛ الثاني: أن يقيهم العذاب بعد فعل موجب العذاب، بعد فعل الموجب بأن يسر لهم أسباب التوبة ومحو هذه الذنوب ولو بمشيئته عز وجل ((**إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء**)) . وقوله: ((**عذاب النار**)) هذا مجمل لكنه مفصل في آيات كثيرة قد بين الله سبحانه وتعالى عذاب أهل النار وأنه عذاب تتفطر منه الأكباد وتتفجر منه القلوب ((**إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد**)) . ثم وصف الله هؤلاء السادة بقوله: ((**الصابرين**)) وهذه نعت لقوله: ((**للذين اتقوا عند ربهم**)) ((**للذين يقولون ربنا إننا آمنا**)) ((**للصابرين**)) إلى آخره . والصابر اسم فاعل من الصبر وهو في الأصل حبس، والمراد به شرعا: حبس النفس عن محارم الله؛ وأنواعه ثلاثة: صبر على أقدار الله المؤلمة؛ وصبر عن معاصي الله؛ وصبر على طاعة الله عزوجل، ثلاثة أنواع: صبر على طاعة الله؛ وصبر عن معصية الله؛ وصبر على أقدار الله المؤلمة . أما الصبر على الطاعة فإن الإنسان يجد منه معاناة عظيمة، معانة عظيمة؛ لأنه عندما يهم بالطاعة تجد نفسه الأمارة بالسوء والشيطان يحاولان أن يصداه عن طاعة الله، وتجده في عراك مع نفس الأمارة بالسوء حتى إذا أعانه الله عزوجل على ذلك تغلب على هذين العدوين: الشيطان والنفس الأمارة بالسوء وفعل ما أمر الله به؛ في المعصية لاسيما مع وجود الأسباب المقتضية لها تجد الإنسان في عراك شديد مع نفسه لاسيما مع قوة الداعي لها وعدم المعارض؛ فإنه إذا قوي الداعي إلى المعصية وعدم المعارض لا ينجوا منها إلا من عصمه الله؛ ولهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام في جملة من يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله قال: (رجل دعته ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله) هذا الرجل صبر هذا الصبر العظيم عن محارم الله مع قوة الداعي وعدم المعارض؛ لم يقل هذا الرجل: والله ما بشهوة لا، الرجل فيه شهوة؛ لم تكن المرأة قبيحة لا تشتهى بل هي ذات جمال؛ لم تكن المرأة من السوقة الذين ليس فيه خير بل هي ذات منصب وشرف ودعته؛ لم يكن المكان فيه أحد يعارض الوصول إلى المقصود لأنه لم يقل حولنا أحد نخشى منه؛ لكن فيه شيء واحد وهو: الخوف من الله عزوجل وهذا صبر عن أيش؟ عن معصية الله، صبر عن معصية الله ولاشك إن في هذا مشقة عظيمة ؛ شاب، في مكان خالي، عنده شهوة، دعته امرأة ذات منصب وجمال هي دعته لنفسه؛ وكثير من الناس لا يملك نفسه إذا حدثته المرأة الشابة الجميلة فيكف وهي تدعوه؟ ومع ذلك يقول: إني أخاف الله؛ هذا صبر عظيم؛ ومنه صبر يوسف عليه الصلاة والسلام عندما دعته امرأة العزيز وهي سيدته، ولاشك أنها تجملت به، وأنها فعلت جميع أسباب المغريات، أو جميع المغريات لتصل إلى مقصودها؛ ولكنه عليه الصلاة والسلام رأى برهان ربه وإلا فالأمر قد تم ((**همت به وهم بها لو لا أن رأى برهان ربه**)) فعند آخر

اللحظة عصمه الله عزوجل؛ وهذا أشد ما يكون من العفة وأقوى ما يكون من العفة. ألم ترى إلى الرجل الإسرائيلي الذي كان يراود ابنة عمه عن نفسها وتأبى عليه فلما ألمت بها سنة جاءت إليه ومكنته من نفسها فلما جلس منها مجلس الرجل من امرأته في أشد ما يكون من التهيأ قالت له: اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحق؛ وما الذي حصل؟ قام منها وهي أحب الناس إليه، ما كرها، لم تزل نفسها تطلبها؛ لكن لما ذكرته بالله عزوجل اتقى الله ؛ فأقول: هذا من الصبر عن معصية الله . الثالث: الصبر على أقدار الله المؤلمة ؛ وهذا كثير، ومن ذلك أيوب عليه الصلاة والسلام فإنه صبر صبرا عظيما قال الله تعالى: ((**إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب**)) فقد صبر على ما ألم به من الضر صبرا عظيما؛ وهذا أيضا والصبر أيضا على أقدار الله المؤلمة المترتبة على طاعة الله أعظم أجرا، فصبر الرسل على أذية الناس من أجل الدعوة إلى الله؛ لأن هؤلاء صبروا على أقدار مؤذية المترتبة على أيش؟ على فعل اختياري منهم وهو طاعة الله بتبليغ رسالته؛ ونضر مثلا لصبر سيد الخلق عليه الصلاة والسلام، محمد عليه الصلاة والسلام حيث صبر صبرا عظيما لا يصبر عليه أحد مع الحلم والأناء والعفو والتسامح لما خرج إلى أهل الطائف يدعوهم إلى الله، يدعوهم إلى توحيد الله، يدعوهم إلى الجنة، ينقذهم من النار ماذا حصل؟ اصطفوا صفين، صفوا سفهائهم صفين وقالوا: اضربوا محمدا بالأحجار فجعلوا يضربونه بالأحجار حتى أدموا عقبه؛ فلم يفق إلا في عليه الصلاة والسلام فجاءه ملك الجبال في هذه الحال التي يمكنها أن ينتقم من أعدائه وقال له إن الله أرسلني إليك وأمرني أن أطبق عليهم الأخشبين إن شئت بإمكانه أن يقول: أطبقها عليهم؛ لأن الذي أرسله هو الذي يقول للشيء كن فيكون سبحانه وتعالى؛ لكنه قال: لا، أستأني بهم فلعل الله أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئا . الله أكبر . وأظهر الله من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئا، من نصر الله بهم الإسلام وفتح بهم مشارق الأرض ومغاربها؛ فانظر كيف كان عاقبة الصبر والحلم والأناء؛ وكان ذات يوم صلى الله عليه وسلم يصلي في آمن مكان على وجه الأرض ساجدا لله عزوجل فجاء سفهاء قومه فأرسلوا واحدا منهم إلى جذور بني فلان فجاء بسلاها فرثها دمها فوضعه على ظهر النبي صلى الله عليه وسلم وهو ساجد، ساجد لله في آمن مكان في المكان الذي يأمن فيه المشرك الكافر يأمن من شر قريش ومحمد صلى الله عليه وسلم لم يأمن من أذاهم حتى جاءت ابنته فاطمة صبية فأزالت الأذى عن ظهره ومع ذلك صبر وصابر ولم يخرج من مكة إلا بعد أن أذن له، هاجر قومه ولكنه هو أبى، لم يهاجر أذن له عليه الصلاة والسلام؛ فكان عبدا لله في الإقامة وعبدا لله في الهجرة عليه الصلاة والسلام؛ المهم أن الصبر درجة عظيمة يمتدح الله الصابرين ويبين أنه يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب، وهو درجة عالية لا تنال إلا بأمر يصبر عليه؛ لا تظن أن الصبر درجة بسيطة؛ لابد من شيء تصبر عليه؛ ولهذا على أهل العلم من المسئولية التي يجب أن يصبروا على أذى الناس فيها

ما ليس على غيرهم؛ كل من حمله الله علما فإن تحميله ذلك العلم عهد وميثاق بينه وبين ربه أن يبلغه إلى الناس وأن يدعوا به الناس قال الله تعالى: ((**وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه**)) بماذا أخذ؟ هل أحد منكم أنتم الآن أعطاكم الله الكتاب هل أحد منكم شعر بأن الله أخذ عليه العهد والميثاق؟ لا؛ لكن تعليم الله لكم هو عهد وميثاق، اختصكم الله للعلم من بين سائر الجهلاء هذا هو العهد والميثاق يعني ما هو المبايعة الحسية يشهدها الناس في المساجد أو في الفلواة لكنه نعمة ينعم الله بها على الإنسان فمتى أنعم الله بالعلم على إنسان فهذا هو العهد والميثاق الذي أخذه الله؛ ولو أن طلبة العلم الآن الموجودين بثوا شيئا من علمهم ليس كل علمهم لوجدت العلم منتشرا بين الناس كثيرا؛ ولكن أكثر الناس، أكثر طلبة العلم أو كثير من طلبة العلم نسخ الكتب أنفع للناس منهم لأن علمهم لا يتجاوز صدورهم بل إنهم قد يعنونون أحيانا بأفعالهم وأقوالهم عن جهلهم وكأنه لا علم عنده من التقصير في العبادة، والتقصير في المعاملة، وسوء الخلق، وعدم القيام بحقوق الناس، فتجد طالب العلم تجد معاملة الجاهل العامي خيرا منه فهل نقول إن هذا الرجل صبر ؟ لا ما صبر لأنه لو صبر، لأنه متى ين الصبر؟ أن يبث العلم حتى يؤذى فيه؛ ولو تأملتم الآن لرأيتم أكثر الناس علما وإمامة في الدين هم الذين اشتد أذاء الناس لهم، الإمام أحمد رحمه الله ماذا فعل به؟ يجر بالبغلة في الأسواق ويضرب بالسياق حتى يفيق، إمام أهل السنة، حتى يفيق ومع ذلك لم تثني هذه الأذية عزمه على أن يقول الحق؛ لم يطلب منه شيء كثير طلب منه أن يقول: القرآن مخلوق بس ومع ذلك أبى، قال: القرآن منزل غير مخلوق؛ كما قال السحرة: ((**لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا**)) الإمام أحمد قال لا أبالي ولأمت في الجهاد في نشر العقيدة السليمة؛ لو أن إمام أحمد رحمه الله قال ولو بالتأويل إن القرآن مخلوق لضل أمم، ضل أمم؛ لكنه كما قال بعض العلماء نصر الله به الإسلام يوم المحنة كما نصر الإسلام بأبي بكر يوم الردة. شيخ الإسلام ابن تيمية ما الذي حصل له؟ أوذي، حبس عدة مرات، مات في السجن، كان يكتب وهو في السجن ينشر العلم في السجن فمنع عنه الدواة والقرطاس فجعل يكتب العلم على جدران السجن .

كان يكتب وهو في السجن، ينشر العلم في السجن فمنعوا عنه الدواة والقرطاس فجعل يكتب العلم على جدران السجن يكتب ما يفتح الله عليه، وذكر عن نفسه أن الله فتح عليه علما عظيما لأنه انقطع إلى الله عزوجل، يأتي إليه أصحابه ويأخذون ما كتبه؛ ماذا فعله أعدائه؟ منعوا أصحابه عنه قال لا تأتون هذا الرجل تأخذون علمه ومع ذلك صبر وانقطع إلى تلاوة القرآن وكان معه أخوه يدارسه القرآن حتى ختم قوله تعالى: ((**إن المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر**)) ففاضت نفسه رحمه الله . الله أكبر . ختام، ختام حسن نسأل الله أن يلحقنا وإياكم وإياه بالصالحين؛ المهم أن الصبر درجة عالية وأنتم بما من الله عليكم من العلم . والحمد لله . وفضلكم به على كثير من عباده المؤمنين يجب عليكم أن تبثوا العلم وأن تصبروا على الأذى فيه؛ فلذلك نقول: الصبر ثلاثة أنواع: صبر على طاعة الله؛ وصبر عن محارم الله؛ وصبر على أقدار الله المؤلمة؛ فأي الأنواع أفضل ؟ أفضلها الصبر على طاعة الله؛ ثم الصبر عن معصية الله؛ ثم الصبر على أقدار الله؛ هذا من حيث الأصل لكن قد يعاني الإنسان من الصبر على الأقدار أكثر مما يعاني من الصبر على الأوامر فيؤجر من هذه الناحية من حيث المشقة؛ وقد يعاني من الصبر عن محارم الله أكثر مما يعاني من الصبر على طاعة الله فيكون من هذه الناحية أكثر أجرا بسبب المشقة عرفتم؟ لكن من حيث هي هي الأقسام من حيث هي هي أفضلها لاشك الصبر على طاعة الله؛ لأن الصبر على طاعة الله جامع بين أمرين: بين حمل النفس الباطنة على هذا العمل وبين حمل الجسد الظاهر على هذا العمل لأن الطاعة فعل والفعل يحتاج أولا عزما وثانيا فعلا، ففيه أمران؛ لكن الصبر عن المعصية فيه عمل باطن فقط وهو حبس النفس عن الفعل ما فيه تعب بدني لا فيه لا ركوع ولا سجود ولا قيام ولا قعود ولا بذل المال ولا شيء كف فقط ففيه معاناة باطنة فقط؛ ولهذا صار أقل درجة؛ الصبر على أقدار ما فيه لا هذا ولا هذا لأنه ليس باختياره، أصيب الإنسان بحادث فانكسرت رجله أو يده هل هو باختياره؟ هذا ليس باختياره؛ فهو إما أن يصبر صبر الكرام وإما أن يسلوا سلوا البهائم ما فيه؛ ولهذا صار أقل درجة من القسمين الأولين لأن القسمين الأولين من فعل الإنسان واختياره . ((**الصابرين والصادقين**)) الصدق هو المطابق للواقع المطابقة للواقع تسمى صدقا، فالصادق هو الذي يكون خبره مطابقا للواقع؛ والكاذب ؟ خلاف ذلك؛ الصدق يكون بالقول، ويكون بالفعل، ويكون مع الله، ويكون مع عباد الله؛ كم الأقسام؟ أربعة: يكون بالقول، ويكون بالفعل، ويكون مع الله، ويكون مع عباد الله؛ أما الصدق بالقول فهو مطابقة القول للواقع؛ فإذا قال لك جاء زيد وكان قد جاء فهو مطابق للواقع فيكون صدقا؛ والصدق من صفات المؤمنين والكذب من صفات المنافقين؛ وقد حث النبي عليه الصلاة والسلام على الصدق وقال: (**عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله**

صديقا) والصديقية ليست مرتبة دنية بل هي التي تلي مرتبة النبيين ولهذا كانت الصديقية في المرتبة الثانية ((**من الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين**)) ؛ طيب هذا صدق القول؛ صدق الفعل: أن يكون مطابقا للقلب هذا صدق الفعل أن يكون مطابقا للقلب؛ فرجل يظهر لك المودة وقلبه يبغضك هذا صادق؟ لا؛ رجل يظهر أنه مؤمن ويصلي ويتصدق ويحضر مجالس العلم لكن قلبه منطو على الكفر . والعياذ بالله . هذا صادق ؟ لا هذا كاذب كذبا فعليا؛ أظهر خلاف ما يبطن؛ المثالان الآن واحد مع العباد وواحد مع الله؛ فالمنافق كاذب مع الله والذي يظهرك التودد وهو يكرهك هذا كاذب مع الناس لم يصدق معك؛ طيب إذا الصادقون في قوله:ط ((**الصادقين**)) يشمل هذا وهذا الصدق في القول مع الله ومع عباد الله وقد أمر الله عزوجل بالصدق في قوله تعالى: ((**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين**)) والنبي صلى الله عليه وسلم حث عليه حثا عظيما يطلق عليه علماء النحو أيش؟ الإغراء وهو الطلب بحث وإزعاج قال: (عليكم بالصدق)؛ وعاقبة الصادقين لا تخفى عليكم ولو لم يكن منها إلا ذلك المثال الفذ فيما نعلم الذي جرى من كعب بن مالك رضي الله عنه وهلال بن أمية ومرارة بن ربيع حيث تخلفوا عن غزوة تبوك بدون عذر فلما جاء الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة راجعا جاء المنافقون السطحيون يعتذرون إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فيعذرهم لأنه صلوات الله وسلامه عليه لا يعلم الغيب ولا يأخذ الناس إلا بالظاهر يعذرهم ويستغفر لهم ويولوهم ويظنون أنهم كسبوا يظنون أنهم هم الأذكياء الذين جمعهم بين تهدئة النبي عليه الصلاة والسلام وتهدية الكفار فصاروا إخوانا للمسلمين في الظاهر وإخوانا للكافرين في الباطن ((**إذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم**)) ما قالوا: إنا كفرنا قالوا: ((**إنا معكم**)) يعني كفرهم زيادة يعني إنهم يكفرون ويعينون الكفار؛ طيب أم كعب بن مالك رضي الله عنه كان قد أوتي جدلا وخصوما وجيدا في ذلك لكنه أمام من ؟ ليس أمام بشر يستطيع أن ستخلص منه بحيلة؛ لكنه بين يدي علام الغيوب عزوجل الذي لو كذبه اليوم لفضحه غدا كما وقع في المنافقين قال الله عز وجل: ((**سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم إنهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون**)) أتريدون أشد من هذا الذم وأشد من هذا العقاب؟ ((إنهم رجس)) هذا الذم والتقبيح؛ العقاب : ((**ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون**)) لكنه رضي الله عنه قال لن أتخلص بحيلة اليوم وبعذر فيفضحني الله عزوجل غدا وأخبر النبي عليه الصلاة والسلام بالحق بالصدق فجاء التوبيخ من الله عزوجل امتحان هؤلاء الثالثة هجرهم النبي عليه الصلاة والسلام وأمر بهجرهم وبعد أن مضى أربعين ليلة أو أربعون ليلة أمرهم أن يعتزلوا النساء حتى قال كعب رضي الله عنه لما جاءه رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر باعتزال أهله قال: أأطلقها؟ قال: لا لكن اعتزلها؛ فهل قال: والله هذه زوجتي من أنام

عنده الليلة؟ أو قال: الحقي بأهلك ؟ الحقي بأهلك، قال: سمعا وطاعة؛ فصبروا هذا الصبر العظيم أولا على الصدق وثانيا على هذا الهجر الذي يقول كعب رضي الله عنه: كنت أسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فلا أدري أحرك شفتيه برد السلام أم لا؟ الله أكبر . النبي عليه الصلاة والسلام أحسن الناس خلقا وأعظم الناس بشاشا وأحسن الناس ردا يسلم عليه كعب ولا يدري هل رد السلام أم لا؛ ويسلم على أبي قتادة ابن عمه وهو أحب الناس إليه يسلم عليه ولا يرد عليه أبو قتادة مع أنك لو جئت اليوم في العصبية هل يترك ابن عمه لمثل هذه الأمور؟ أبدا والعلم عند الله ما يترك؛ لكن أبو قتادة رضي الله عنه يسلم عليه كعب ما يرد عليه السلام يقول: فقلت له أنشدك الله هل تعلم أني أحب الله ورسوله؟ فقال بعد أن سكت هنيهة قال: الله أعلم، ما أتى بالخطاب ما قال نعم ولا لا، قال: الله أعلم؛ والعلم عند الله أن أبا قتادة ما أراد بذلك جواب كعب إنما أراد الخبر أن الله سبحانه وتعالى أعلم من كل أحد؛ ولكن بعد هذا الصبر العظيم ويش النتيجة ؟ النتيجة نزول آيات تتلى في شأنهم إلى يوم القيمة لن ينسى ذكرهم أبدا، يمكن ينسى من هو أفضل منه من الصحابة ولكن هؤلاء لا ينسى ذكرهم شف الجزاء العظيم على هذا الصبر ((**وعلى الثلاثة الذين خلفوا**)) يعني وتاب على الثلاثة الذين خلفوا ((حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم)) ثم أمر المؤمنين بمثله بأن يكونوا مثلهم فقال: ((**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين**)) والمهم أن الصدق خلق عظيم عال رفيع لا يناله إلا من وفق حتى يكون في الدرجة الثانية ممن أنعم الله عليه (**لا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا**) أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ((**الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم؛ إن الدين عند الله الإسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب**)) أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. قال الله تعالى في وصف الذين اتقوا عند ربهم والذين ((**لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد**)) من أين ؟ ما كملنا الآية ؟ قال الله تعالى: ((**الصابرين**)) في بقية أوصافهم ((**الصابرين**)) وسبق الكلام على الصبر معناه لغة وشرعا وأنه ينقسم إلى ثلاثة أقسام: صبر على طاعة الله، وصبر عن معصية الله، وصبر على أقدار الله المؤلمة . ثم قال: ((**والقانتين**)) القانتين اسم فاعل من القنوت؛ نعم ((**والصادقين**)) وسبق الكلام أيضا على الصدق وبينا أنه صدق في المقال والفعال والعقيدة وبينا أنه صدق مع الله وصدق مع عباد الله. ثم قال: ((**والقانتين**)) هذا أيضا من صفاتهم القنوت والقنوت يطلق على عدة معاني وأنسبها لهذه الآية أن المراد

بالقنوت دوام الطاعة مع الخشوع والخضوع لله عزوجل بحيث يكون الإنسان مديما لطاعة الله مقبلا على الله سبحانه وتعالى في طاعته قال الله تعالى: ((**حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين**)) أي خاشعين؛ ولهذا لما نزلت هذه الآية أمروا بالسكوت ونهوا عن الكلام؛ فالقانت إذا المديم لطاعة الله مع خشوع القلب وحضوره والتزامه للإقبال على الله عز وجل . ((**والمنفقين**)) المنفقين من أنفق أي بذل النفقة؛ والنفقة هي إخراج المال وأطلق الله سبحانه وتعالى هنا الإنفاق ولكنه سبحانه وتعالى ذكر في آيات أخرى الميزان للإنفاق وذكر ما ينفق عليه أو ما ينفق له فقال تعالى: ((**والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما**)) وقال سبحانه وتعالى: ((**ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط**)) فهذا هو الميزان في الإنفاق أن لا يكون الإنسان مقترا ولا مسرفا؛ وإذا جعلنا هذا هو الميزان صار هذا الميزان يختلف باختلاف الأحوال الأزمان والبلدان؛ فقد يكون الإنفاق بالنسبة للشخص وليس الإسراف بالنسبة لآخر فإنفاق الفقير ليس كإنفاق الغني ولهذا قال الله تعالى: ((**لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله**)) وإنفاق المتوسط بينهما؛ كذلك أيضا يختلف باختلاف الزمان فقد يكون الزمان زمان رخاء عام في هذا المجتمع فيكون الإسراف في مجتمع دونه في الرخاء غير إسراف في حق هذا المجتمع؛ ويختلف كذلك باختلاف الأزمان ففي بعض الأحيان تكون الأموال كثيرة متوفرة فيكون الإنفاق الكثير فيها غير إسراف وأحيانا يكون الأمر بالعكس ؛ على كل حال أطلق الله هنا في الآية الإنفاق وذكر ميزانه في عدة آيات في سورة الفرقان: ((**والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما**)) أما ما الذي ينفق فيه أو ينفق له؟ قال الله سبحانه وتعالى: ((**يسئلونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل**)) فجهات الصرف كل جهة محتاجة أو يحتاج المسلمون إليها، إما أن تكون هي محتاجة وإما أن يكون المسلمون محتاجين إليها فالإنفاق في سبيل الله لحاجة من؟ لحاجة المسلمين إلى لجهاد في سبيل الله لأن في الجهاد في سبيل الله إعلاء كلمة الله عزوجل وحفظ شريعته؛ والإنفاق للفقير لحاجة من؟ لحاجة الفقير ليس لحاجة المسلمين بل هي لحاجة الفقير فأنت ترى دائما الإنفاق إما لدفع حاجة المحتاج وإما لدفع حاجة المسلمين عموما يعني في المصالح العامة؛ المهم أن هؤلاء منفقون، هؤلاء الذين هم من أهل الجنة منفقون لكن إنفاقهم منضبط بضوابط شرعية . ((**والمستغفرين بالأسحار**)) المستغفرين السائلين لمغفرة الله، والمغفرة هي: ستر الذنب والتجاوز عنه مأخوذة من الغفر وهو الستر بوقاية ومنه مغفر الذي يجعل على الرأس عند الحرب فإنه جامع بين الستر والوقاية . وقوله: ((**بالأسحار**)) الباء هنا للظرفية أي فيها والأسحار جمع سحر وهو آخر الليل؛ أي يسألون المغفرة في هذا الوقت من الزمن في آخر الليل؛ لماذا؟ أولا: لأنه وقت نزول الله عزوجل إلى السماء الدنيا؛

فإن الله تعالى ينزل إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: (**من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له**) ؛ والثاني أنه وقت فراغهم من التهجد والعمل والإنسان مطلوب منه إذا فرغ من العبادة أن يستغفر الله ولهذا يشرع لنا أن نستغفر الله تعالى ثلاثا بعد الصلاة وأمر الله سبحانه وتعالى أن نستغفر في الحج متى؟ ((**ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله إن الله غفور رحيم**)) كذلك أيضا في آخر الليل بعد التهجد يسأل الله المتهجد المغفرة وهذا أي سؤال المغفرة بعد الانتهاء من العبادة فيه كمال الذل لله عزوجل وأن الإنسان لا يعجب بعلمه بل يخشى من التقصير فيه فلهذا يستغفر عما يكون منه من نقصان وتقصير في هذه العبادة . ثم قال الله عز وجل: ((**شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم**)) ((**شهد الله**)) الشهادة قد تكون بالقول وقد تكون بالفعل؛ وشهادة الله تعالى لنفسه بانفراده بالألوهية كشهادته لرسوله صلى الله عليه وسلم بأنه أنزل عليه الكتاب؛ فهنا قال: ((**شهد الله أنه لا إله إلا هو**)) وقال الله تعالى: ((**لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون**)) وهنا قال: ((**شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة**)) فشهادته لنفسه بالوحدانية وشهادته لنبيه صلى الله عليه وسلم بالرسالة هو والملائكة؛ والشهادة كما قلت قولية كما في هذه الآية، وكما في آية النساء: ((**لكن الله يشهد بما أنزل إليك**)) وفعلية وهي الشهادة ما يظهرها الله تعالى من آياته فإنما يظهره من آياته شهادة له بالوحدانية، كل الكائنات تشهد لله عزوجل بالوحدانية إما بلسان المقال وإما بلسان الحال؛ كذلك تأييده النبي صلى الله عليه وسلم بالنصر وجعلنا العاقبة له شهادة له بأنه رسول الله حقا؛ فشهادة الله لنفسه بالوحدانية أقول إنها تكون بالقول وتكون بالفعل؛ في الآية الكريمة شهادة بالقول ولا بالفعل ؟ بالقول ((**شهد الله**)) يعني أخبر عن نسفه بأنه يشهد أنه لا إله إلا هو سبحانه وتعالى ؛ ((**لا إله إلا هو**)) مرت علينا هذه كثيرة ويجب على كل مسلم أن يعرف معناها وأن يعرف مقتضاها أيضا معناها: أنه لا معبود حق إلا الله، هذا معناها؛ كلما عبد من دون الله فهو باطل وإن سمي إلها فإن ألوهيته مجرد تسمية لكن هو لا يستحق الألوهية وإن كان هؤلاء عبدوه واتخذوه إلها لكن هو نفسه أي المعبود نفسه ليس بإله قال الله تعالى: ((**ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآبائكم ما أنزل الله بها من سلطان**)) وليست مسميات وكيف تكون مسميات مطابقا للواقع وهي آلهة باطلة هذا لا يمكن؛ إذا لا إله أي لا معبود حق إلا الله، وأما المعبود الباطل فهو موجود كما سمى الله تعالى الأصنام آلهة في قوله تعالى: ((**واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون**)) وقال: ((**فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله لما جاءهم أمر ربهم**)) وقال: ((**إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم**)) والآيات في هذا كثيرة، وقال: ((**فلا تجعل مع الله إلها آخر فتكون**

من المعذبين)) ((**ولا تجعل مع الله إلها آخر لا إله إلا هو كل شيء هالك إلا وجهه**)) كل هذه المعبودات تسمى آلهة لكن هل هذا الاسم مطابق للواقع؟ لا؛ فمعنى لا إله إلا الله أي لا معبود حق إلا الله عزوجل؛ ويلزم من كونه المعبود أن يكون هو الرب كما يلزم من كونه الرب أن يعبد وحده؛ فتوحيده بالألوهية متضمن لتوحيده بالربوبية؛ ولهذا بنى الله توحيد الألوهية على توحيد الربوبية في قوله: ((**يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم**)) . وقوله: ((**أنه لا إله إلا هو والملائكة**)) معطوف على اسم الجلالة على الله؛ يعني وشهدت الملائكة أنه لا إله إلا الله؛ والثالث: ((**وأولوا العلم**)) أصحاب العلم الذين رزقهم الله تعالى العلم يشهدون أيضا بأنه لا إله إلا الله؛ ولا أحد أشد يقينا وأقوى إيمانا من أهل العلم ولهذا هم كانوا أهل الخشية كما قال تعالى: ((**إنما يخشى الله من عباده العلماء**)) والمراد بأولوا العلم هنا ليس العلم الدنيوي أو علم طبائع الأشياء أو علم الأشياء أسرار الكون بل المراد بالعلم العلم بالله عزوجل أولوا العلم بالله الذين عرفوا الله عزوجل بآياته الكونية والشرعية هم الذين شهدوا له الوحدانية . ((**قائما بالقسط**)) قائما حال من الله يعني حال كونه قائما بالقسط أي بالعدل، بالعدل في أحكامه التكليفية والعدل في أحكامه القضائية والجزائية؛ فهو عدل في أحكامه التكليفية ليس في أحكام الله تعالى تكليفية جور، كلها عدل بل إنها مع كونها عدلا تتضمن الفضل والعفو والإحسان؛ ولهذا قال الله عز وجل: ((**لا يكلف الله نفسا إلا وسعها**)) وقال عز وجل: ((**أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون ولا نكلف نفسا إلا وسعها**)) هذا أمر زائد على العدل لأنه متضمن للعفو والتسامح؛ وكذلك في الجزاء عدل في جزاءه لا يظلم أحدا أبدا بل هو ذو فضل في جزاءه فإنه يجزي الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة؛ والسيئة بمثلها أو يعفوا إلا من كان كافرا ليس أهلا للعفو فلا يعفى عنه؛ إذا ((**قائما بالقسط**)) في أحكامه التكليفية وفي قضائه؛ كذلك هو قائم بالقسط للفصل بين عباده فإن الله سبحانه وتعالى يقضي للمظلوم من الظالم إما بإجابة دعوة المظلوم إن دعا على ظالمه في الدنيا كما قال النبي عليه الصلاة والسلام لمعاذ بن جبل وقد بعثه لليمن: (**إياك وكرائم أموالهم واتق دعوة الظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب**) وإما بمجازاة بالأخذ منه من حسناته يوم القيمة كما قال الرسول عليه الصلاة والسلام: (**من تعدون المفلس فيكم؟ قالوا: لا درهم عنده ولا متاع، أو قالوا ولا دينار قال: المفلس من يأتي يوم القيمة بحسنات أمثال الجبال فيأتي وقد ظلم هذا وضرب هذا وشتم هذا وأخذ مال هذا فيأخذ هذا من حسناته وهذا من حسناته وهذا من حسناته فإن بقي من حسنة شيء وإلا أخذ من سيئاتهم فطرح عليه و طرح في النار**) فلابد من العدل بين العباد؛ ولهذا قال العلماء رحمهم الله: إن الحقوق التي بين العباد من الديوان الذي لا يترك الله منه شيء؛ فلابد أن يقتص للمظلوم من الظالم . فإن قال قائل: أليس الناس يصابون من

نكبات من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات ؟ الجواب: بلا؛ فإن قالوا: ألا يكون هذا ظلما ؟ الجواب: كلا ليس هذا ظلم لأن هذا بما كسبت أيدي الناس ((**ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون**)) إذا فهذه المصائب فضل لأن المقصود بها تأديب الخلق وردعهم حتى يرجعوا إلى الله عزوجل فليس هذا من باب الظلم في شيء بل هو من باب الجزاء للعمل لغاية حميدة وهي رجوع الناس عن ظلمهم وقال الله تعالى: ((**ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى**)) مر علينا فرق بين القسط والإقساط؟ وقلنا إن قسط بمنى؟ لا، قسط بمعنى: جار، وأقسط بمعنى: عدل؛ وهنا قال: ((**قائما بالقسط**)) لأن القسط نفسه هو العدل لن قسط الفعل بمعنى جار وأقسط بمعنى عدل يعني أحل القسط كما قال تعالى: ((**ونضع الموازين القسط ليوم القيمة**)) . ((**لا إله إلا هو**)) هذا حكم بعد الشهادة فشهد الله لنفسه بأن لا إله إلا هو وحكم لنفسه أيضا بأن لا إله إلا هو؛ فاجتمع في كلامه عزوجل الشهادة والحكم فكان شاهدا لنفسه حاكما لها بالألوهية فهذه الجملة ((**لا إله إلا هو**)) حكم وتصديق لأن المعروف المحاكمات والمعارفات أن تؤدوا الشهادة أولا ثم يحكم؛ فالله تعالى شهد أولا وأخبر بمن شهد معه وثانيا حكم فقال: ((**لا إله إلا هو**)) . وسبق أن المتكلمين يفسرون هذه الجملة العظيمة بأن المراد بها أيش؟ القادر على الاختراع ففسروها بما يقر به المشركون ولم يكونوا موحدين؛ فالمشركون يقرون بأن الله هو القادر على كل شيء وأن الله هو الخالق، الرازق، المحيي، المميت، المدبر للأمر؛ ومع ذلك فهل هم موحدون؟ لا بل هم مشركون قاتلهم الرسول عليه الصلاة والسلام لأنه لم يحققوا معنى لا إله إلا الله؛ وتعجب أن يكون هؤلاء المشركون أفهم من هؤلاء المتكلمين بمعنى لا إله إلا الله، هؤلاء المتكلمون كثير من المتأخرين أيضا إذا قرأت كتبهم وجدت كلامه في الألوهية يدور على تحقيق الربوبية فقط وهذا نقص عظيم؛ الربوبية يقر بها المشركون ولم يجعلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم موحدين، ولم يجعل إقرارهم هذا مخرجا لهم من الكفر، ولا عاصما لأموالهم ودمائهم، ولا منجيا لهم من النار بل قاتلهم واستباح أموالهم ودمائهم وصبي نسائهم وذرياتهم وهم يقولون ربنا الله ،وإذا سئلوا من خلق السموات والأرض قالوا الله، إذا سئلوا من خلقهم؟ قالوا الله، وإذا سئلوا من يحيي ويميت قالوا الله، وإذا سئلوا من يدبر الأمر قالوا الله، ومع ذلك لم ينفعهم هذا الإيمان، ما يكفي الإقرار بأن الله خالق الكون ومدبره ومتصرف فيه لا يكفي في التوحيد أبدا؛ ومن مات على ذلك دون أن يؤمن بأنه لا معبود حق إلا الله فإنه لم يمت على التوحيد. وقوله: ((**العزيز الحكيم**)) ((**العزيز**)) أي ذو العزة ؛ والعزة تفسر بثلاثة معاني: عزة القدر، وعزة القهر، وعزة الامتناع؛ أما عزة القدر فمعناها أن الله تعالى ذو القدر العظيم والسيادة والشرف والعظمة إلى غير ذلك من معاني القدر والرفعة؛ والثاني: عزة الامتناع يعني أنه يمتنع أن يناله

السوء، ومن هذا قولهم في الأرض الشديد الصلبة أرض عزاز يعني قوية وصلبه لا ينالها شيء؛ والثالث: عزة القهر أي أنه غالب لكل شيء ومنه قوله تعالى: ((**فقال أكفلنيها وعزني بالخطاب**)) يعني غالبني ؛ هذه الأنواع الثلاثة كاملة لله عزوجل من جميع الوجوه فهو ذو القدر العظيم وهو ذو الامتناع الذي يمتنع عليه النقص بوجه من الوجوه وهو الغالب الذي لا يغلبه شيء؛ يقول الشاعر الجاهلي:

أين المفر والإله الطالب والأشرم المطلوب ليس الغالب

فالله عز وجل غالب لكل شيء؛ أما ((**الحكيم**)) فإنه مأخوذ من الحكم ومن الإحكام؛ فهو ذو الحكم وذو الإحكام؛ أما الحكم فإنه ينقسم إلى كوني وشرعي؛ والإحكام بمعنى الإتقان، والإتقان يستلزم الحكمة وهي وضع الأشياء في مواضعها؛ تنقسم أيضا الحكمة إلى قسمين: حكمة صورية بمعنى أن الشيء على هذه الصورة موافق للحكمة؛ وإن شئنا قلنا بدل الصورية لئلا يفهم منها معنى فاسد حكمة حالية وحكمة غائية؛ فالحكمة حالية: ما عليه الشيء في الحال؛ والحكمة الغائية: ما ينتهي إليه الشيء؛ كذلك أيضا تكون الحكمة في الأحكام الكونية وفي الأحكام الشرعية . وعلى هذا فإذا ضربت اثنين في اثنين بنسبة للحكمة بلغت أربعة: حكمة حالية في الحكم الكوني، حكمة حالية في الحكم الشرعي، حكمة غائية في الحكم الكوني، وحكمة غائية في الحكم الشرعي؛ كذا يا هداية الله؟ كم قلنا ؟ محمد ؟ الحكم الشرعي والحكم الكوني؛ هذا ثنتين ؛ الحكم الغائية والحكم الصورية؛ صح هذه أربعة فهمت؟ طيب. ((**الحكيم**)) إذا من الحكم والإحكام، والحكم ذكرنا أنه كوني وشرعي وبما أن هذا الأمر أو هذا التقسيم قد مر علينا لم يبق الآن إلا أن نتذكره فنأتي أو نطلب مثالا للحكم الكوني، آية فيها ذكر الحكم الكوني؟ أحمد ؟ لا، حكم؛ قوله تعالى: ((**فلن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبي أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين**)) نعم؛ طيب الشرعي ؟ ((**ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم**)) ما هو فيه ؟ في المهاجرات ؛ أي لما ذكر حكم المهاجرات وما يتعلق بهن قال: ((**ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم**)) . ذكرنا أن الحكم الشرعي فيه حكمة حالية وحكمة غائية نعم؟ حكمة غائية مثل الصلاة وحكمة حالية ؛ يعني كونها على هذه الصفة المعينة؛ والغائية ما يترتب عليها من آثار حميدة والثواب الجزيل كذا ؟ طيب .

في الأمور الكونية ياسر ؟ حكمة الحالية ؟ سمعتم ؟ ما سمعتم يقول: المطر نزوله على هذا الوجه قطرات لا تؤثر على الناس لا على مواشيهم ولا على بنائهم ومن علو من فوق لكي تشمل المرتفع في الأرض والنازل هذه حكمة أيش؟ حالية؛ حكمة غائية ما ينتج عن هذا المطر من المصالح العظيمة فهي حكمة غائية؛ فالحاصل أن الله

حكيم بهذه الوجوه يقول: ((**العزيز الحكيم**)) الجمع بينهما له فائدة إن شاء الله تذكر في الفوائد، نأخذ الفوائد كما يلح علينا الأخ . قال الله تعالى: ((**قل أؤنبئكم بخير من ذلكم** ...)) إلى آخره , من فوائد هذه الآية: أهمية هذا النبأ وذلك من وجهين هما: تصديره بقل؛ والثاني: إتيانه بصيغة الاستفهام الدالة على التشويق؛ أما الأول فقد قلنا: إن كل شيء يصدر الله بقل فهو أمر بتبليغه على وجه الخصوص وهذا يدل على العناية به وإلا فكل القرآن قد أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يقوله للأمة . ومن فوائد الآية الكريمة: أن النبي صلى الله عليه وسلم عبد يؤمر وينهى؛ لقول الله تعالى: ((**قل أؤنبئكم**)) وليس له الحق في الربوبية أبدا فهو لا يحيي ولا يميت ولا يرزق ولا يدفع الضر عن نفسه ولا عن غيره ولا يعلم الغيب

ومن فوائد الآية: أن النبي صلى الله عليه وسلم عبد يؤمر وينهى؛ لقول الله تعالى: ((قل أؤنبئكم)) وليس له حق في الربوبية أبدا فهو لا يحيي، ولا يميت، ولا يرزق، ولا يدفع الضر عن نفسه ولا عن غيره، ولا يعلم الغيب، يمتاز عن الناس بماذا؟ بالرسالة ((**قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي)) هذه الميزة ونعمت الميزة هذه؛ طيب وهو أيضا عليه الصلاة والسلام نفسه شخصيا هو عنده من الاستعداد لتحمل أباء الرسالة ما ليس عند غيره كما قال الله تعالى:** ((**الله أعلم حيث يجعل رسالته**)) . ومن فوائد الآية الكريمة: عناية الله سبحانه وتعالى بخلقه؛ فإنه لما ذكر ما زين لهم من الشهوات في الأمور السبعة يخشى أن ينصرف الناس إلى هذه الشهوات فمن عناية الله بهم أن أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن ينبئهم بما هو خير من ذلك . ومن فوائد الآية الكريمة: حسن أسلوب التعليم والدعوة وأنه ينبغي للإنسان في مقام الدعوة أن يأتي بالألفاظ التي توجب الانتباه؛ لأن الإنسان إذا قيل له: ألا أنبئك بكذا وكذا؟ سوف يتشوق وينتبه ما هذا الذي تريد أن تنبئني فيه بخلاف ما لو جاء الكلام مرسلا لم يكن له هذا الوقت . ومن فوائد الآية الكريمة: جواز المفاضلة بين شيئين بينهما فرق عظيم؛ لقوله: ((**بخير من ذلكم**)) ومعلوم أن كل ما ذكر من الشهوات السبع لا يساوي شيئا أبدا بالنسبة لثواب الآخر ة؛ قال النبي عليه الصلاة والسلام: (**لموضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها**) طيب وهل جاء مثل هذه الصيغة في القرآن تفاضل بين شيئين بينهما فرق عظيم ؟ ((**أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا**)) كذا؟ بل إن الله قال تنزلا مع الخصم أو موافقة الخصم في دعواه قال: ((**آلله خير أما يشركون**)) . ومن فوائد الآية الكريمة: أن هذا الخير الذي شوق الله العباد إليه ثابت للمتقين؛ لقوله: ((للذين اتقوا عند ربهم)) وسبق معنى التقوى . ومن فوائد الآية الكريمة: أن هذا الخير لهؤلاء المؤمنين في أكرم الجوار وهو جوار رب العالمين؛ لقوله: ((**عند ربهم جنات**)) فأقرب الناس إلى الله هم أصحاب الجنة ولهذا جعلهم الله عنده كما في قوله تعالى: ((**إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يستجدون**)) . ومن فوائد الآية الكريمة: عظم هذه الجنات لكونها عند الله في جواره سبحانه وتعالى . ومن فوائدها : أن جزاء هؤلاء المتقين هذه الدار العظيمة المشتملة على النعيم الذي لا نظير له؛ لقوله: ((**جنات تجري من تحتها الأنهار**)) والنهار سبق لنا أنواعها ؟ طيب . ومن فوائد الآية الكريمة: الحث على تقوى الله لأن ذكر ثواب المتقين يتضمن الحث على التقوى . ومن فوائد الآية الكريمة: عناية الله سبحانه وتعالى بهؤلاء القوم؛ لقوله: ((**عند ربهم**)) والربوبية هنا خاصة . ومن فوائد الآية الكريمة: أن هؤلاء السادة يتنعمون في ثواب الله بكل أنواع النعيم بالأكل والشرب والنكاح؛ الأكل والشرب في قوله: ((**جنات تجري من تحتها الأنهار**)) فمن الجنات يأكلون، ومن الأنهار يشربون؛ أما النكاح فقال: ((**وأزواج مطهرة**)) وهذه أصول لذائذ البدن ، الأكل والشرب والنكاح . ومن فوائد

الآية الكريمة: فضيلة الأزواج في الجنة بكونهن مطهرات ((**وأزواج مطهرة**)) وسبق لنا معنى التطهير أنه الحسي ومعنوي . ومن فوائد الآية الكريمة: أن تمام نعيم هؤلاء برضوان الله؛ لقوله: ((**ورضوان من الله**)) وقد بين الله تعالى في سورة التوبة أن هذا الرضوان أكبر النعيم فقال: ((**ورضوان امن الله أكبر**)) . ومن فوائد الآية: إثبات صفة الرضا لله؛ لقوله: ((**ورضوان من الله**)) والرضا من الصفات الذاتية أو الفعلية ؟ الفعلية لأنه يتعلق بمشيئته متى وجد سبب الرضا وجد الرضا؛ وكل صفة معلقة بسبب فإنها من الصفات الفعلية . ومن فوائد الآية الكريمة: إحاطة الله سبحانه وتعالى بالعباد علما ورؤية؛ لقوله: ((**والله بصير بالعباد**)) . ومن فوائد الآية الكريمة: بيان حكمة الله عزوجل حيث قسم الناس إلى قسمين: متقين، وعصاة ؛ من أين أخذنا ذلك؟ من قوله: ((**للذين اتقوا عند ربهم**)) بعد قوله: ((**زين للناس حب الشهوات**)) فدل هذا على أن الناس قسمان: قسم متقي وقسم غير متقي عاصي . ومن فوائدها: أن الله سبحانه وتعالى حكيم حيث جعل التقوى في أهله؛ لقوله: ((**والله بصير بالعباد**)) فمن بصره بعباده أن جعل هؤلاء متقين والآخرين عصاة وهؤلاء ثوابهم الجنة وأولئك ثوابهم النار؛ ولاشك أن هذا من حكمة الله سبحانه وتعالى فإن الله كما هو أعلم حيث يجعل رسالته فهو أعلم حيث يجعل ميراث رسالته، وميراث رسالته هو العلم، العلم المتضمن للدعوة والعباد نعم . ومن فوائد الآية الكريمة: أن كل الخلق عباد لله؛ نأخذ من أين يا حجاج؟ من قوله: ((**والله بصير بالعباد**)) ؛ وجه الدلالة ؟ إن الله بصير بعباده؛ وجه الدلالة أنه عام ؟ لأنه قال: ((**للعباد**)) ؛ مع قوله: ((**للذين اتقوا عند ربهم جنات**)) فدل هذا على أنه بصير بجميع العباد: المتقى وغير المتقي . ومن فوائدها: التحذير من مخالفة أمره؛ لأنه متى علم الإنسان أن الله بصير به فسوف يرتدع أو فسوف يردع نفسه عن مخالفة ربه؛ لأنه إذا خالف ربه فالله بصير به وسوف يجازيه بحسب مخالفته . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ((**شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم؛ إن الدين عند الله الإسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب؛ فقل حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم بإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد**)) أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. قال الله تعالى: ((**شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم**)) قال الله سبحانه وتعالى قبل ذلك : ((**الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار**)) وسبق الكلام على الصبر وأقسامه، وعلى الصدق وأقسامه، وعلى القنوت؛ فما هو القنوت؟ دوام العبادة مع الخشوع والخضوع طيب؛ ما هو الدليل على أن القنوت دوام العبادة ؟ ((والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما)) نعم؟ قوله: ((**حافظوا على**

الصلوات والصلاة والوسطى وقوموا لله قانتين)) نعم هذا دليل على أنه خشوع والخضوع؛ قوله تعالى: ((**أم من هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجوا رحمة ربه**)) نعم ((**أم من هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما**)) طيب وقوله: ((**المنفقين**)) هل هذه الآية أو هذا الوصف على إطلاقه ؟ المنفقين الذين يصرفون الأموال في سبيل الله بغير إسراف ولا تقتير؛ الدليل على هذا؟ على أن الإنفاق المحمود هو الذي يكون بلا إسراف ولا تقتير ؟ ((**والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما**)) وقد بين الله أيضا لما ذكر ميزان الإنفاق ذكر جهة الإنفاق عمر؟ قوله تعالى: ((**قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم**)) أحسنت، تمام .

الشيخ : قوله: ((**المستغفرين بالأسحار**)) ما معنى مستغفرين ؟

الطالب : طالبين المغفرة من الله .

الشيخ : ما معنى المغفرة ؟

الطالب : هي الستر عن الذنب ؛

الشيخ : ستر الذنب والتجاوز عنه.

الشيخ : يلا محمد أحمد؟ لماذا خص الاستغفار بالأسحار؟ أنه . هذا واحد؛ خالد ؟

الطالب : فإنه يكون بعد التهجد،

الشيخ : بعد التهجد فيكون فيه دفع للإعجاب بالنفس، وبيان أن الإنسان مفتقر إلى ربه لأنه لا يخلوا من تقصير ونقص؛

الشيخ : لذة النوم ؟ والله هذه أقول تعليل يمكن أن يقال أيضا يركعون ويسجدون.

الشيخ : قوله: ((**شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم**)) الملائكة معطوف يا محمد ؟

الطالب : على الله سبحانه وتعالى؛

الشيخ : كيف ؟

الطالب : يعني شهد الله أنه لا إله إلا هو وكذلك الملائكة يشهد أنه لا إله إلا الله؛ زين يعني والملائكة شهدت أنه لا إله إلا الله ؟

الشيخ : نعم طيب.

الشيخ : ((**أولوا العلم**)) معطوفة على أيش ؟

الطالب : كذلك وأولوا العلم ؛

الشيخ : على ؟ على الشهادة أيش اسمها على ((**شهد الله**)) على ((**شهد الله**)) كلها ؟

الشيخ : وأولوا العلم كذلك يشهدون معطوفة على لفظ الجلالة؛

الشيخ : على لفظ الجلالة فقط.

من المراد بأولوا العلم ؟ عارفين بالله بالعلم الشرعي؛ أصحاب العلم بالله، بالله بأسمائه وصفاته وأحكامه كذا؟ نعم، طيب.

الشيخ : لو قال قائل: ألا يراد بأولي العلم أصحاب العلم بطبائع بطبائع الأشياء والصنائع؟

الطالب : لا ليس المراد ؛

الشيخ : ليس هذا المراد؟ لا، قد يكون أشد الناس كفرا؛ المراد بالعلم العلم بالله عزوجل وأسمائه وصفاته وأحكامه .

الشيخ : قوله تعالى: ((**قائما بالقسط**)) عبد المنان ما إعرابها ؟

الطالب : حال،

الشيخ : حال من أين ؟ لفظ الجلالة؛ أين لفظ الجلالة هات ؟ ((**شهد الله أنه لا إله إلا هو**)) ؛ إذا شهد الله قائما بالقسط ؟ شهد الله أنه قائم بالقسط ؟ لفظ الجلالة فقط؛ ما يصلح لكن قل معنا شهد الله حال كونه قائما بالقسط، توافقون على هذا؟ شيبة ؟ قائما ضمير مستتر هو الله؛ أي نعم لكن الحال من أين؟ حال من

لفظ الجلالة هو الله؛ من الضمير في هو: أنه لا إله إلا هو حال كونه قائما بالقسط؛ يعني أن ألوهيته ليست جورا وظلما بل هي قيام بالقسط.

الشيخ : قوله: ((**لا إله إلا هو**)) ما موضع الجملة أو ما موقع الجملة مما قبلها في المعنى ؟ عبد الرحمن؟

الطالب : توكيد،

الشيخ : توافقون على هذا؟

الطالب : حكم،

الشيخ : حكم صح، فشهد الله لنفسه بأنه لا إله إلا هو ثم حكم لنفسه؛ وعلى هذا فالجملة تأسيسية ولا توكيدية ؟ تأسيسية، الصحيح أنها تأسيسية لا توكيدية لأن الحكم تسبقه الشهادة فهي دعوة وشهادة وحكم؛ فجملة ((**لا إله إلا هو**)) حكم من الله عزوجل بأنه وحده وأنه المتفرد بالألوهية .

الشيخ : أما ((**العزيز الحكيم**)) فقد تقدم الكلام مرارا وعرفنا أن العزة تنقسم إلى ثلاثة أقسام، وأن الحكمة مأخوذة من الحكم والإحكام، وأن الحكم كوني وشرعي، وأن الحكمة فيه ما إما حالية وإما غائية . أما قوله: ((**إن الدين عند الله الإسلام**)) , طيب قال الله عز وجل: ((**قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم**)) إلى آخره؛ أخذنا فوائدها، من قوله: ((**الذين يقولون ربنا إننا آمنا**)) ثم قال الله عز وجل: ((**الذين يقولون ربنا إننا آمنا**)) إلى آخره . من فوائد هذه الآية: أن صفات المتقين إعلانهم بالإيمان بالله؛ لقوله: ((**الذين يقولون**)) والقول هنا يكون باللسان ويكون بالقلب . ومنها: اعترافهم بالعبودية وأنهم مربوبون لله بقولهم: ((**ربنا**)) . ومن فوائدها أيضا: أن من صفات المتقين عدم الإعجاب بالنفس وأنهم يرون أنهم مقصرون؛ لطلبهم المغفرة من الله لقولهم: ((**فاغفر لنا ذنوبنا**)) . ومنها: أن التقوى لا تعصم العبد من الذنوب بل قد يكون له ذنوب لكن المتقي يبادر بالتوبة إلى الله عز وجل . ومنها: جواز التوسل بالإيمان؛ لقوله: ((**ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا**)) فإن الفاء هنا للسببية تدل على أن ما بعدها مسبب عما قبلها . ومن فوائد الآية الكريمة: أنه ينبغي للإنسان أن يسأل الله المغفرة والوقاية من النار؛ لقوله: ((**وقنا عذاب النار**)) فإن قال قائل: سؤال المغفرة يغني عن سؤال الوقاية من النار؛ لأن الإنسان إذا غفر له وقي من النار؟ فالجواب: أن الأمر كذلك وأن الإنسان إذا غفر له وقي من عذاب النار؛ لكن باب الدعاء ينبغي فيه البسط لسببين: السبب الأول أن يستحضر الإنسان

جميع ما يدعوا به في أنواعه؛ والثاني: أن الدعاء مخاطبة لله عزوجل، وكلما تبسط الإنسان مع الله بالمخاطبة كان ذلك أشوق وأحب إليه مما لو دعا على سبيل الاختصار؛ ثالثا: أنه كلما ازداد دعاء ازداد قربة إلى الله عزوجل؛ رابعا: أن كلما ازداد دعاء كان فيه إظهار لافتقار الإنسان إلى ربه؛ ولهذا نجد أنه جاءت في النصوص: (اللهم اغفر لي ذنبي كله دقه وجله علانيته وسره وأوله وآخره) وهذه يغني عنها قوله: اللهم اغفر لي ذنبي بل لو قيل يغني عنها: اللهم اغفر لي لكان صحيحا؛ لكن مقام الدعاء ينبغي فيه البسط؛ ولهذا قالوا: ((**فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار**)) . ومن فوائد الآية الكريمة: إثبات عذاب النار؛ لقوله: ((**وقنا عذاب النار**)) وعذاب النار إما دائم مستمر وهذا لأصحاب النار الذين هم أصحابها، وإما مؤقت وهذا لأصحاب المعاصي فإنهم يعذبون بحسب معاصيهم إذا لم يغفر الله لهم . ثم ذكر أوصافهم فقال: ((**الصابرين والصادقين** ...)) إلى آخره , ففي هذه الآية من الفوائد: فضيلة الصبر، وأنه من الصفات التي يثنى بها على الإنسان لأن السياق مدح وثناء . ومن فوائد الآية الكريمة أيضا: فضيلة الصدق لأن الله وصف به المتقين فقال: ((**والصادقين**)) . ومن فوائدها أيضا: فضائل فضيلة القنوت؛ لأن الله وصف بها المتقين؛ وفضيلة الإنفاق لأن الله وصف به المتقين؛ وفضيلة الاستغفار؛ وفضيلة الأسحار كذا؟ طيب . ومن فوائد الآية الكريمة: الحث على الاتصاف بهذه الصفات وهي: الصبر والصدق والقنوت والإنفاق والاستغفار بالأسحار . من أين أخذ الحث على هذه الصفات ؟ لأنها سيقت مساق المدح والثناء؛ والشيء يعلم طلبه إما بالأمر به، أو بالنهي عن تركه، أو بالثناء على فاعله، أو بترتيب الثواب عليه، أو ما أشبه ذلك؛ المهم أن علامات كون الشيء مأمورا به متعددة . طيب هل يؤخذ من الآية أن الصبر أفضل هذه الصفات؟ لأن الله بدأ به نعم؟ نعم قد يؤخذ؛ فيقال: في هذه الآية دليل أن الصبر أفضل هذه الصفات؛ وفي الحقيقة أن الإنسان إذا حقق الصبر حقق جميع هذه الصفات؛ لأن من أقسام الصبر الصبر على طاعة الله وعن معصيته . ومن فوائد الآية الكريمة: ذم الاتصاف بضد هذه الصفات؛ الجزع ويش بعد؟ الكذب، قلة الطاعة، الرابع: البخل والشح، والخامس: الاستكبار عن الاستغفار وأن الإنسان يرى نفسه أنه غير مذنب فإن هذه من البلية التي يبتلى بها كثير من الناس . أظن أننا نبهنا أن العطف هنا عطف صفات لا عطف ذوات أو لا؟ طيب الآن نبدأ نقول: إن العطف هنا عطف صفات وليس عطف ذوات؛ لأن الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار شيء واحد تعود إلى شيء واحد، وعطف الصفات جائز لأن فيه تغايرا إذ أن كل صفة تغاير الصفة الأخرى ألم تروا إلى قوله تعالى: ((**سبح اسم ربك الأعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى والذي أخرج المرعى**)) وهو واحد عز وجل لكن هذا من باب عطف الصفات . ومن فوائد قوله تعالى: ((**شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة**)) إل آخره : بيان فضيلة التوحيد حيث أخبر الله به عباده

بلفظ الشهادة . ومن فوائدها: فضيلة الملائكة حيث جعلهم الله تعالى في المرتبة الأولى للشهادة بهذا التوحيد . ومن فوائدها أيضا: فضيلة العلم وأهله؛ لقوله: ((**وأولوا العلم**)) . ومن فوائدها: الإشارة إلى ذم الجهل حيث إن الجاهل لا يشهد بأنه لا إله إلا الله؛ يعني ليس في قلبه ما يؤيد بذلك وإن كان يقول بلسانه؛ فشهادة العالم أن لا إله إلا الله ليس كشهادة عامة من جهة تقدير الله عزوجل حق قدره لأنه يقولها عن عاطفة وعن تعظيم لله لكن ليس كالعالي ((**قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون**)) . ومن فوائد الآية الكريمة: تأكيد الشيء الهام وإن كان المخبر به من أهل الصدق؛ من أين يؤخذ؟ من قوله: ((**شهد الله أنه لا إله إلا هو**)) مع أنه لو قال عزوجل: لا إله إلا الله كفى؛ لكن لما كان هذا الأمر هاما وعظيما صدره الله تعالى بالشهادة وبين أن هذه الشهادة ليست له وحده بل له وللملائكة ولأولوا العلم . ومن فوائد الآية الكريمة: وصف الله تعالى بتمام العدل؛ لقوله: ((**قائما بالسقط**)) أي بالعدل سواء ما يتعلق بفعله أو بالحكم بين عباده يعني سواء ما يتعلق بالحكم بينه وبين عباده أو بين عباده بعضهم مع بعض فالله سبحانه وتعالى لا يظلم أحدا، والله سبحانه وتعالى يقضي للناس بالعدل . ويتفرع على هذه المسألة فائدة عظيمة يخشاها بعض الناس وهي: أن بعض الظلمة يدعوا على المظلوم فهل يقبل دعائه؟ لا؛ لأن هذا خلاف العدل الذي اتصف الله به . بعض الناس أيضا يدعوا على القاضي الذي حكم بالحق، فهل يقبل منه؟ لا؛ لأن هذا عدوان؛ حدثني بعض القضاة أنه حكم على شخص فلما انتهى الحكم قام هذا الشخص وقال واستقبل القبلة ومد يديه إلى الله يدعوا على هذا القاضي نعم؟ فالقاضي يعني كأنه خائف من هذه الدعوة فقلت له لا تخف، لا تخف مهما دعا وأنت على حق فإن الله لن يقبل دعائه ولن يستجيب له؛ لأن الله يقول: ((أدع ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين)) فمن كان لا يحب المعتدين لا يمكن أن يجيبه، وهذا معتدي ما دمت تعلم أنك على حق وأنك حكمت بمقتضى الشرع فلا يهمنك دعاء الداعي . ومن فوائد الآية الكريمة: أن الله عز وجل لما أخبر بل لما شهد لنفسه بالألوهية أو بانفراده بالألوهية أكد ذلك بالحكم بها لنفسه فقال: ((**لا إله إلا هو**)) وهذا ليس توكيدا لما سبق أي ليس إعادة للشهادة بلفظ الخبر ولكنه حكم من الله . ومن فوائد الآية الكريمة: انفراد الله سبحانه وتعالى بالألوهية. فيتفرع على ذلك أن من أشرك مع الله أحدا في العبادة أي عبده كما يعبد الله فإنه مشرك وعمله مناف لهذا التوحيد . ومن فوائد الآية الكريمة: إثبات العزة والحكمة لله في قوله: ((**العزيز الحكيم**)) . ومن فوائدها: أن عزة الله ومنها الغلبة والقهر لغيره عزة مبنية على الحكمة وتنزيل الأشياء في منازلهم، وهذا مأخوذ من ضم الاسمين الكريمين بعضهما إلى بعض؛ عرفتم؟ لأن العزيز للمخلوق من المخلوقين قد تأخذه العزة بالاسم فلا يقول الحق ولا يهدي إليها أما الله عزوجل فإنه يقول الحق مع كمال عزته . ثم قال الله تعالى: ((**إن الدين عند الله الإسلام**)) هذا مبتدأ الدرس الليلة ؟

((**إن الدين عند الله الإسلام**)) ((**إن**)) فيها قراءتان: القراءة الأولى: فتح الهمزة؛ والثانية: كسر الهمزة؛ فعلى قراءة فتح الهمزة تكون عطف بينا لقوله: ((**أنه لا إله إلا هو**)) شهد أيضا أن الدين عند الله الإسلام، أو شهد أنه لا إله إلا هو أن الدين عند الله الإسلام؛ و((**الدين**)) يراد به العمل ويراد به الجزاء . هات يا حجاج يراد بالدين العمل ؟ لا هذا مثال يقال لكن ما في آية من القرآن تدل على ذلك ؟ قوله تعالى: ((**لكم دينكم ولي دين**)) صح ومثل لو كمل ((**وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة**)) ويكون الدين بمعنى الجزاء، الجزاء على العمل؛ ومثاله ؟ ((**مالك يوم الدين**)) والمراد به في هذه الآية: العمل؛ يعني إن الدين الذي هو عبادة الله والعمل له هو الإسلام . والإسلام مصدر أسلم يسلم وهو أي الإسلام التعبد لله تعالى بما شرع حال قيام الشريعة، التعبد لله بما شرع حال قيام الشريعة هذا معنى الإسلام في معنى العام، أما بالمعنى الخاص فالإسلام هو التعبد لله بشرع محمد صلى الله عليه وسلم . فإذا قال قائل: ما هو الدليل على هذا التقسيم ؟ أن الإسلام عام وخاص؟ قلنا: إن الدليل في القرآن كثير؛ فالله وصف ابراهيم بأنه كان حنيفا مسلما وقال عن ملكة سبأ: ((**وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين**)) وقال يعقوب لبنيه: ((**يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون**)) وقال عن التوراة: ((**يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار**)) والآية في هذا كثير أن الإسلام بالمعنى العام هو: التعبد لله بأيش؟ بما شرع حال قيام الشريعة، أما الإسلام بالمعنى الخاص: التعبد لله بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم؛ لو سألنا السائل: هل اليهود مسلمون ؟ قلنا: لا أخطأنا؛ وإن قلنا: نعم أخطأنا؛ فنقول: أما بالمعنى العام فهم مسلمون يعني أنه لما كانت شريعة التوراة قائمة وكانوا يتبعونها فهم مسلمون بلاشك؛ وأما بالمعنى الخاص الذي لا يراد سواه بعد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم فليسوا بمسلمين بل هم كفار بمحمد صلى الله عليه وسلم؛ وكذلك نقول في النصارى لو سألنا السائل: هل هم مسلمون؟ فالجواب: التفصيل إن أريد بالإسلام الإسلام العام فهم مسلمون متى؟ حال كون شريعتهم قائمة، وإذا أريد به المعنى الخاص وهو المراد عند الإطلاق بعد بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم ليسوا بمسلم؛ وهنا نقطة ننبه لها وهي: أن كثيرا من الكتاب اليوم إذا تكلموا عن اليهودية والنصرانية والإسلام قالوا: هذه هي الأديان السماوية فيظن السامع أن دين اليهود قائم وأن دين النصارى قائم كقيام دين الإسلام وهذا لا يصح؛ فإن هذه الأديان أديان سماوية لاشك لكنها حرفت، حرفت وبدلت وغيرت ونسخت ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم فليست دينا يرتضيه الله لها اليوم بل المتمسكون بها كفار لا يعدون من المسلمين فنبغي أن نتنبه لهذه النقطة التي يطلقها بعض الناس حتى يوهم العامة بأن اختلاف هذه الأديان كاختلاف المذاهب الإسلامية يعني كاختلاف مذهب الشافعي والأمام أحمد ومالك وأبي

حنيفة وهذا خطأ عظيم لأن من زعم أن دينا قائم بعد بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم فهو كافر فإن دينه نسخ جميع الأديان . يقول: ((**إن الدين عند الله الإسلام**)) ما معنى الإسلام هنا ؟ المعنى العام أو المعنى الخاص؟ الخاص لأنه بعد بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن هناك دين قائم؛ وعلى هذا فالمراد بالإسلام الشريعة التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم . فإذا قال قائل: هل المراد بالإسلام هنا ما علمه النبي صلى الله عليه وسلم جبريل؟ أو المراد به الدين كله بجميع شرائع الظاهرة والباطنة؟ الجواب: الثاني يعني المراد بالإسلام هنا ليس قسيم الإيمان بحديث جبريل بل المراد به ما يعم جميع شرائع الإسلام؛ فالصلاة من الإسلام والزكاة من الإسلام والتوكل على الله من الإسلام والخوف منه من الإسلام وهكذا جميع شرائع الدين من الإسلام . وقوله: ((**إن الدين عند الله الإسلام**)) يعني المرجع في كون هذا الشيء دينا أو غير دين هو الله عزوجل هل هذا دين عند الله فهو إسلام مقبول؟ هل إنه ليس بدين عند الله فليس بإسلام ولا مقبول؛ حتى لو زعم أهله أنهم مسلمون فإن زعمهم باطل ولا معول عليه . ((**إن الدين عند الله الإسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم**)) يعني إن الإسلام قد اتفقت عليه هذه الأمة لم تختلف فيه؛ لكن الأمم السابقة جرى منهم الاختلاف ومع ذلك لم يختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم وعلموا الحق لكنهم اختلفوا فيه بغيا وعدونا، كل واحد منهم يبغي على الآخر، كل واحد منهم يقول إن دينك باطل؛ فتفرقوا تمزقوا فهذا كما وجد في الأمم السابقة وجد في هذه الأمة، نجد بعض العلماء يخالف الآخرين ثم يجعل من هذا الخلاف خلاف قلب فتتنافر القلوب وتشتت فمن كان على ذلك ففيه شبه من من؟ من اليهود والنصارى. وقوله: ((**من بعد ما جاءهم العلم**)) العلم بماذا ؟ العلم بالشريعة، بعد أن عرفوا الشريعة وعلموها تنازعوا فيها. وقوله: ((**بغيا بينهم**)) يعني أن الحامل لهم على هذا الاختلاف هو البغي، أن بعضهم يبغي على بعض؛ ولهذا جرى بين اليهود وبين النصارى

أن ما يحملهم على هذا هو البغي أن بعضهم يبغي على بعض؛ ولهذا جرى بين اليهود وبين النصارى من الحروب ما هو معلوم، وذلك لقوة الخلاف بينهم يعني: أن الخلاف أدى إلى خلاف مسلح . ((**ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب**)) ((**ومن يكفر**)) الجملة هذه شرطية؛ فعل الشرط ((**يكفر**)) وجوابه جملة: ((**فإن الله سريع الحساب**)) وهنا نقول لسامي لماذا ارتبطت جملة الجواب بالفعل ؟ لماذا ارتبطت جملة جواب الشرط بالفعل ؟ فهد ؟ وين الجملة اسمية؛ ما هي إن حرف ؟ من يعرف؟ الجملة اسمية؟ ما يمكن أن نقول جملة حرفية؟ لأن أولها حرف؛ نقول لا يمكن، الجملة إما اسمية وإما فعلية ولا ثالث له؛ إلا عند بعض النحويين ما كان شبه جملة وهو الظرف وجار ومجرور؛ المهم أن قوله: ((ومن يكفر بآيات الله)) هذا فعل الشرط ((**فإن الله سريع الحساب**)) هذا جواب الشرط؛ وقد أنشدوا بيتا في الجمل التي هي تحتاج إلى ارتباط بالفاء إذا وقعت جوابا للشرط من يقرأها لنا: **اسمية وعربية وبجامد وبما ولن وبقد وبالتمييز** أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ((**إن الدين عند الله الإسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب، فإن حاجوك فقل أسلمت لله ومن اتبعن وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد**)) أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. قال الله تعالى: ((**إن الدين عند الله الإسلام**)) الدين ذكرنا أنه يطلق على معنيين المعنى الأول يا عبد الرحمن ؟ العمل؛ والثاني: الجزاء نعم الثاني الجزاء .

الشيخ : هات مثالا يا مهند لإطلاقه على العمل ؟

الطالب : قوله تعالى: ((**لكم دينكم ولي دين**))

الشيخ : ومثال الإطلاق على الجزاء هداية الله ؟

الطالب : قوله تعالى: ((**مالك يوم الدين**))

الشيخ : نعم ((**مالك يوم الدين**)) أي يوم الجزاء .

الشيخ : ((**الإسلام**)) معناه هنا ؟

الطالب : معناه ؛

الشيخ : لا هنا ((**إن الدين عند الله الإسلام**)) ؟

الطالب : الإسلام يعني العمل ؛

الشيخ : لا ؛ الاستسلام لله تعالى ظاهرا وباطنا، الاستسلام لله ظاهرا وباطنا؛ فالاستسلام لله باطنا الإيمان، وفي الظاهر الأقوال والأعمال الظاهرة؛ هذا هنا لكن إذا جاء الإيمان والإسلام فسر الإيمان بالاستسلام الباطن والإسلام باستسلام الظاهر.

الشيخ : طيب قوله: ((**الإسلام**)) ((**إن الدين عند الله الإسلام**)) هل المراد هنا الإسلام الخاص الذي بعث به الرسول عليه الصلاة والسلام أو الإسلام العام؟ شيبة ؟

الطالب : الإسلام الخاص الذي بعث به النبي محمد صلى الله عليه وسلم .

طيب هذا قول؛ في قول آخر يقول: ((**إن الدين عند الله الإسلام**)) هو في كل زمان بحسبه؛ فالدين عند الله في زمن موسى هو ما جاء به موسى؛ وفي زمن عيسى ما جاء به عيسى؛ وفي زمن ابراهيم ما جاء به ابراهيم فالإسلام هو الدين عند الله؛ بعد بعثة الرسول عليه الصلاة والسلام ليس هناك إسلام إلا ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم؛ لأن شريعته نسخت جميع الشرائع؛ وعلى هذا فمن استكبر عن دين الإسلام الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فليس بمسلم؛ فالمهم الآن نقول: ((**الدين عند الله الإسلام**)) وهو الاستسلام لله ظاهرا وباطنا في كل زمان بحسبه؛ فالإسلام في زمن موسى الشريعة له دين؛ وفي زمن عيسى الشريعة النصرانية؛ وفي زمن ابراهيم الشريعة الابراهيمية وهكذا؛ في زمن صالح الشريعة الصالحية وعلى هذا فقس؛ لكن الآن وبعد أن بعث محمد صلى الله عليه وسلم ونسخ دينه جميع الأديان فالإسلام ما تضمنته شريعة الرسول عليه الصلاة والسلام؛ ويدل لذلك على أن المراد بالإسلام هنا يعني يؤيد هذا القول قوله: ((**وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم**)) يعني فكان الدين عند أهل الكتاب هو الإسلام، والإسلام يقتضي توحيد الأمة المسلمة ولكن هل بقيت للأمم السابقة على ما يقتضيه إسلامها ؟ الجواب: لا بل اختلفوا اختلافا عظيما فكانوا في شقاق بعيد؛ وهل هذا الاختلاف يعذرون به ؟ والجواب: لا؛ لهذا قال: ((**وما اختلف الذين أوتوا الكتاب**)) أي أعطوه؛ والإيتاء هنا إيتاء شرعي وقد يكون الإيتاء كونيا؛ فإيتاء الله عزوجل المال والصحة والعافية هذا إيتاء كوني يستوي فيه الكافر والمؤمن والفاجر والبر؛ وإيتاء الله تعالى العلم هذا إيتاء شرعي يعني ينتفع به الإنسان في شريعة الله عز وجل . ثم يقول: ((**إلا من بعد ما جاءهم العلم**)) وقامت عليهم الحجة وبينت لهم المحجة ولكنهم اختلفوا وتنازعوا وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (**افترقت اليهود على**

إحدى وسبعين فرقة والنصارى على اثنتين وسبعين فرقة وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة) قاله النبي صلى الله عليه وسلم تحقيرا للأمة عن الاختلاف وليس تقريرا لها بل هو تحذير أن يصيبنا ما أصاب هؤلاء المختلفين؛ ولهذا لما اختلفنا الآن تفرقنا وتمزقنا وكان كل حزب منا فرحا بما لديه وانتشرت البدع والأهواء لا في الأمراء ولا في العلماء فالأمراء لم يجتمع حتى يكونوا خلافها والعلماء لم يجتمعوا حتى يكونوا إماما بل اختلفوا وصار بعضهم يضلل بعضا وربما يكفر بعضهم بعضا؛ طيب إذا ((**وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم**)) ولماذا اختلفوا ؟ هل هم اختلفوا يريدون الحق؟ لا بل ((**بغيا بينهم**)) بغي وعدوان كل واحد منهم يريد أن تكون كلمته هي العليا سواء كنت موافقة لكلمة الله أم مخالفة وهذا مع الأسف هو الحاصل في زمننا وفيما قبل زمنا من بعض العلماء يريد أن تكون كلمته هي العليا ثم يأخذ في سب من خالفه ـوالعياذ بالله . وإن كان يعلم مع قرارة نفسه أن الحق معه لكن لما سبق إلى الحق وأبرزه للناس حسده على ذلك ثم صار يبغي عليه والحقيقة أن ما بغيه على نفسه أن ما بغيه على نفسه ثم إن البغي على العلماء لإظهار الحق إذا أظهروه وبينوه ليس بغيا على العلماء بأشخاصهم وأعيانهم بل هو بغي على شريعة الله لاسيما إذا علم الباغي أن الحق مع المبغي عليه كما يوجد من بعض الناس إذا وجد أهل الحديث مثلا وهم مقلدا متعصبا صاروا يذمونهم ذما عظيما وربما يخرجونهم إلى الضلالة وإلى البدعة وإلى الكفر . والعياذ بالله . بغيا وهذا من أخطر ما يكون على الأمة الإسلامية؛ والواجب على الإنسان الذي يتقي ربه أن يفرح إذا أظهر الله الحق سواء على يديه أو على يد غيره؛ لكن لاشك إنه فرحه إذا أظهره الله على يديه سيكون أقوى وأشد من فرحه إذا أظهره الله على يد غيره لكن إذا أظهر الله الحق على يد غيره فلا يجوز أن يبغي عليه وأن يسعى في سبه وشتمه لأنه إذا فعل ذلك أشبه من ؟ اليهود والنصارى ولهذا قال: ((**بغيا بينهم**)) . ((**ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب**)) الجملة هنا شرطية وفعل الشرط ((**يكفر**)) وفي ((**إن الله**)) جواب الشرط وقرن بالفاء لأن الجواب جملة اسمية والمعروف أن الجواب إذا كان جملة اسمية فإنه يجب اقترانه بالفاء وقد لا يقترن لكنه نادر، قد لا يقترن لكنه نادر . يقول الله عز وجل: ((**من يكفر بآيات الله**)) والكفر بآيات الله يدون على أمرين: على الجحد والتكذيب، وعلى الاستكبار والعناد؛ الجهل والتكذيب فيقول: لا، فيقول للرسول مثلا لم ي الله ويكذب بالآيات ويجحدها؛ أو استكبار وعناد يعلم الحق ويقر به لكن يستكبر عنه ويعاند مثال الاستكبار والعناد: كفر إبليس؛ فإن إبليس يعلم أن ما حصل حق لكنه أبى واستكبر وكان من الكافرين؛ ومثال التكذيب أن يكذب بأن هذا رسول الله كما فعل المشركون مع النبي عليه الصلاة والسلام وكما فعل أعداء الرسل من قبل؛ والحقيقة أن كلا منهما ملازم للآخر فإن المكذب مستكبر والمستكبر وإن لم يكذب بلسانه فهو مكذب بعمله لأنه لم ينقد لأمر

الله . ((**من يكفر بآيات الله**)) الآيات نوعان: كونية وشرعية؛ فالكفر بالآيات الكونية أن ينكر أن الله عزوجل هو الذي خلقه، أو أن يعتقد بأن لله تعالى شريكا فيها، أو أن يعتقد بأن لله معينا فيها كل هذا كفر بالآيات الكونية، نفي أن يكون الله خلقها، اعتقاد أن لله شريكا، اعتقاد أن لله معينا كل هذا من الكفر بآيات الله، وقد قال الله تعالى: ((**قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير**)) نفى ثلاثة أشياء: ((**لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض**)) على سبيل الاستقلال؛ ((**وما لهم فيهما من شرك**)) على سبيل المشاركة؛ ((**وما له منهم من ظهير**)) معين؛ ثم قال في الرابع: ((**ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له**)) لكمال سلطانه لا أحد يشفع إلا من أذن له؛ فالحاصل أن الكفر في الآيات الكونية يتضمن ثلاثة أمور: نفي كون الله خلقه؛ اعتقاد أن له شريكا فيه؛ ثالث: اعتقاد أن الله له معينا في ذلك؛ أما الكفر في الآيات الشرعية فقد عرفتموه يدور على أمرين وهما أيش؟ الجحد والتكذيب ؛ والاستكبار والعناد . ثم قال: ((**فإن الله سريع الحساب**)) وهذه جملة خبرية يقصد بها التهديد أي سيحاسبه وهو سريع الحساب عزوجل؛ والسرعة في الزمن والتقدير أما في الزمن فإن الدنيا مهما طالت سريعة في الزوال أليس كذلك؟ ونحن إذا قسنا ما مر علينا بما يستقبل وجدنا أن كل الذي مر علينا وإن طالت السنين كأنه لا شيء، كأنه لا شيء؛ كم مر على الإنسان من سنة ومع ذلك كأنه خلق الآن سرعة عظيمة؛ كذلك أيضا سريع الحساب يوم القيمة؛ فإن الله تعالى يفرغ من الخلائق كلهم في مقدار نصف يوم ودليل ذلك قوله تعالى: ((**أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا**)) والقيلولة تكون في نصف النهار هذا سرعة الحساب ولكن قد يشكل على الإنسان كيف يحاسب الله الخلائق يوم القيمة وهو واحد وهم لا يحصيهم إلا الله ؟ والجواب على هذا الإشكال من رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سأله أبو رزين العقيل قال: يا رسول الله كيف يحاسبنا الله في يوم وهو واحد ونحن جميع؟ الجماعة كثير فقال: ألا أخبرك أو قال ألا أنبئك على شيء من آلاء الله؟ يعني تستدل به على إمكان ذلك قال: بلى، قال: هذا القمر قمر واحد والذي يشاهده كل من على وجه الأرض، كل من على وجه الأرض إذا لم يكن هناك حائل فإنه يشاهد مع أن القمر من أصغر مخلوقات الله، آية من آيات الله من أصغر آياته ومع ذلك يحيط بالعالم على مقابل له على سطح الأرض وهذا مثال تقريب وإلا فإن الأمر فيما يتعلق بالخالق أعظم وأجل لكن الرسول صلى الله عليه وسلم يضرب الأمثال من أجل التقريب للذهن لا التحديد؛ ألم تروا إنه قال: (إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر) نعم؟ ولاشك أن يقين الرؤية التي تحصل للإنسان بالنسبة إلى الله عزوجل أعظم بكثير من يقين الرؤية التي تحصل له لرؤية القمر أو برؤية الشمس؛ لكن رسول صلى الله عليه وسلم أراد بذلك التقريب ((**فإن الله سريع الحساب**)) الحساب

أن يحاسب الإنسان ويناقش لكن لكل صفة فالمؤمن لا يناقشه الله عزوجل لكنه سبحانه وتعالى يقرره بذنوبه ويقول عملت كذا وكذا في يوم كذا في يوم كذا فيقر ولا يمكن أن ينكر لو أنكر أحد من يشهد ؟ جوارحه، جوارحه التي هي جزء منه تشهد عليه ((**اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون**)) طيب لكن يقرر الله عزوجل عبده المؤمن بالذنوب ويقر ويقول: قد سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم؛ الحمد لله؛ وما أكثر الذنوب التي ستر الله علينا لو أحصينا ما ستر الله علينا من الذنوب ما استطعنا أن نعدها من منا يكمل صلاته على وجه مطلوب؟ إلا من شاء الله ما نستطيع ننفي نفيا قاطعا لكن إلا من شاء الله من منا لم يحصل المغيبة لأحد؟ أو عدوان أو نظرة محرمة أو غش ولو في الاختبار نعم؟ فالمهم أن الإنسان لا يخلوا من الذنوب ولكن مستورة ستر الله عزوجل برحمته وفضله ولو شاء لبينه لكن لا تغتر بهذا الكل ربما مع كثرة الذنوب يبين أمرك للناس. طيب حساب الكفار يحاسبون فيوقفون على أعمالهم ويخزون بها . والعياذ بالله . ويقال: ((**هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين**)) إذا الحساب يختلف أو لا؟ يختلف اعتبار الإيمان والكفر . ثم قال تعالى: ((**فإن حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن**)) ((**فإن حاجوك**)) الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وضمير الغائبة حاجوك الواو هل هي لليهود، أو للنصارى، أو للمشركين، أو للعامة ؟ ثلاثة أقوال: قيل: لليهود؛ وقيل: للنصارى لأن الآيات التي في أول سورة آل عمران كلها نزلت في النصارى؛ وقيل: للمشركين لأنه كانوا يحاجون الرسول عليه الصلاة والسلام؛ قالوا له: إنك يا محمد تزعم الذين يدعون أحدا غير الله يكون هو ومن يدعوه من نار ((**إنكم وما تعبدون حصب جهنم**)) إذا عيسى في النار لأنه يعبد من دون الله، هذا محاج فأنزل الله بعد الآية مباشرة: ((**إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها وهم في ما اشتهت أنفسهم خالدون**)) فالمهم أن الرسول عليه الصلاة والسلام يحاج يجادله المشركون ويجادله اليهود ويجادله النصارى ولكن يقول الله عزوجل إن حاجوك فقل لهم قولا تخلص به منهم ((**قل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن**)) وإذا أسلم الإنسان وجهه لله قبل كل ما يخبر الله به وامتثل كل ما يأمر به، وانتهى عن كل ما نهى عنه؛ لأنه مسلم وجهه لله والمراد بالوجه هنا ليس الوجه الجارحة التي في الرأس ولكن مرادها قصد كما قال الشاعر:

رب العباد إليه الوجه والعمل

تقصد لوجهك أي الوجه الذي هو وجه القلب تسلمه لله؛ وربما نقول: إنه يشمل هذا وهذا؛ لأن الإنسان يسلم وجهه لله فتجد يضع وجهه الذي هو أشرف أعضاءه يضعه على التراب ذلا لله واستسلاما له أليس كذلك؟ لو

أن أكبر ملوك الدنيا قال لك اسجد ولو على فراش لقلت لا سمعا ولا طاعة لا أسجد لك لكن الرب عزوجل يأمرك أن تسجد لك فتسجد على الأرض وعلى التراب ذا استسلام لله تعالى استسلام لوجه الله؛ طيب إذا قلت: ((**أسلمت وجهي لله ومن اتبعن**)) ما الذي يترتب على هذا؟ ولا تخلصوا منهم؟ الجواب: نعم؛ لأنه يترتب عليه تصديق خبر الله ويش بعد يا غانم؟ ويش يترتب عليه؟ والثاني: امتثال أمره واجتنابه نهيه؛ فأنا الآن هذه طريقتي ومن ذلك أمرت أن أبلغكم؟ فبلغت وليس على أكثر من ذلك ((**ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء**)) وبهذا نعرف وجه مطابقة الجواب لأيش؟ للشرط وإلا فإن الإنسان قد يتوقع جوابا غير هذا قد يتوقع أن يقال: فإن حاجوك فحاجهم، قد يتوقع هذا؛ لكن قال: إن حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتعبن وآمنت به وانقدت لأوامره ومن ذلك أنني أبلغكم وقد فعلت فإن اهتديتم فلأنفسكم وإن ظللتم فعليكم . وقوله: ((**لله ومن اتبعن**)) من هذه معطوفة على أيش؟ على ((**أسلمت**)) وعلى ت، ت هذه هذا ضمير في أسلمت؛ اختصارا طيب على الضمير في ((**أسلمت**)) ولا يجوز أن يكون معطوفا على لفظ الجلالة أليس كذلك؟ لأن الرسول لا يسلم لمن اتبعه إنما يسلم وجهه لله ومثل ذلك قوله تعالى: ((**يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين**)) فإن بعض المعربين قالوا إن من معطوفة على لفظ الجلالة يعني: حسبك الله وحسبك من اتبعك من المؤمنين؛ وهذا غلط لأن النبي صلى الله عليه وسلم حسبه الله وحده وحسب من اتبعه من المؤمنين كأن الذين قالوا إن من اتبعك من المؤمنين معطوف على لفظ الجلالة استندوا على قوله تعالى: ((**هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين**)) ولكن بينهما فرق عظيم لأيش؟ لأن أيدك أي أسند التأييد إلى من؟ إلى الله؛ وجعل النصر والمؤمنين وسيلة فالمؤيد هو الله فبينها وبين قوله: ((**حسبك الله ومن اتبعك**)) فرق ظاهر؛ على كل حال أن قوله: ((**ومن اتبعن**)) معطوفة على التاء في ((**أسلمت**)) أي على الضمير . وقوله: ((**وجهي لله**)) فيها قراءتان: قراءة: سكون الياء؛ وقراءة: فتح الياء؛ ((**وجهي لله**)) الثاني: ((**وجهي لله**)) أما الهاء فهي مكسورة؛ ويشكل على هذا: كيف تكون معطوفة على ما هو في محل الرفع وهو التاء ثم تكون مكسورة ؟ إذا الضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم باشتغال المحل بحركة المناسبة لأن الياء لا يمكن أن تطابق غير الكسرة، لا يمكن أن تطابق يكسر الشيء الذي قبلها من أجلها؛ فلهذا نقول: اشتغال المحل بحركة مناسبة وهي الكسرة . وقوله: ((**ومن اتبعن**)) اتبعن على أيش؟ على ما جئت به من العقيدة والقول والعمل؛ وعلامة المتبع للرسول عليه الصلاة والسلام حقا هو الذي إذا قيل له: قال رسول الله صار كقول من قال له: قال الله،ن وإذا قيل له: فعل رسول الله لم يعدل بفعله فعل أحد من الناس هذه حقيقة المتبع؛ أما من قال شيئا أو فعل شيئا أو اعتقد شيئا ثم حاول أن يصرف كلام الرسول عليه الصلاة والسلام إليه فهذا حقيقة ليس بمتبع لأيش؟ لأنه لم يذعن لما

جاء به الرسول إنما اتبع هواه ثم حاول أن يلوي أعناق النصوص إلى ما يوافق هواه وهذه مسألة خطيرة؛ ولهذا إذا قرأت في بعض الأحيان كتب العلماء في باب المناقشة تتعجب كيف يبنون الأدلة على عقائدهم على ما يعتقدون من الأحكام أو من العقائد القلبية فيحاولون أن يصرفوا هذه النصوص إلى ما يعتقدون وتستكبر هذا الأمر منهم وهم علماء أجلة وهذه المهنة لا يسلم منها إلا من عصمه الله نسأل الله أن يعصمني وإياكم منها . مهنة عظيمة أن تجعل الهدى تابعا لهوى والواجب أن تكون الهوى تابعا للهدى . ((**وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم**)) هذا مما يدل على أن الواو في ((**حاجوك**)) يشمل اليهود والنصارى والمشركين؛ يعني وقل هل أنتم تفعلون مثل فعلي ؟ ((**قل للذين أوتوا الكتاب**)) وهم اليهود والنصارى ((**والأميين**)) وهم العرب وسموا أميين نسبة للأم لأنهم كانوا جاهلين؛ ولهذا يقال: أهل الجاهلية إذ لم يأتهم رسولهم بعد إسماعيل عليه السلام فكانوا جاهلين؛ ومنهم من يتعلم ويأخذ العلم ويأخذ العلم للرسالات الإلهية عن النصارى مثل ورقة بن نوفل وإلا فعامتهم جهال . ((**قل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم**)) فيها قراءتان: ((**آأسلمتم**)) و ((**أأسلمتم**)) أي بتحقيق الهمزتين وإدخال ألف بينهما ((**أأسلمتم**)) والاستفهام هنا يراد به الأمر على قول لأهل العلم يعني: قل للذين أوتوا الكتاب والأميين أسلموا؛ فالاستفهام بمعنى الأمر؛ ومثله قوله تعالى: ((**قل إنما يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فهل أنتم مسلمون**)) ((**فهل أنتم مسلمون**)) يعني أيش؟ يعني فأسلموا؛ وقيل بل المراد بذلك: الندى على بداهتهم يعني إنه ينادي عليهم بالبراءة يعني أأسلمتم بعد هذا البيان وهذا الوضوح ؟ أم أنكم لم تفقهوا حتى الآن؛ وهذا المعنى أبلغ من المعنى الأول فيكون المراد بذلك النداء على بداهتهم وعلى التنديد بهم وأنهم لم يسلموا مع ظهور المعنى ووضوحه قال الله عزوجل: ((**فإن أسلموا فقد اهتدوا**)) إن أسلموا بالإخلاص لله والمتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقد اهتدوا؛ هداية التوفيق أو هداية الدلالة ؟ هداية التوفيق يعني فقد سلكوا طريق الهداية؛ لأن الهداية نوعان: هداية دلالة وهذه شاملة لكل أحد قال الله تعالى: ((**وإن من أمة إلا خلا فيها نذير**)) لابد أن يهدي الله سبحانه وتعالى كلهم؛ وهداية التوفيق وهذه خاصة بمن ودي للإسلام في كل زمان ومكان بحسبه؛ فمن اهتدى هداية التوفيق فهو محل المدح والثناء وأما الأول الذي اهتدى هداية الدلالة يعني معناه علم الحق فهذا إذا خالف الحق كان أشد ذما ممن لم يعلم الحق؛ فإن قلت لو فرض أن أحدا من الناس لم يعرف، لم يعلم بالشريعة مثل أصحاب الفطرة فما حكم هؤلاء؟ الجواب أن حكمهم ما هم عليه إذا كانوا على باطل فهم على باطل ولا يفهم بأنهم مسلمون لأنهم لم يسلموا ولكن في الآخرة أمرهم إلى الله عزوجل لا نعلم فقد يختبرهم الله تعالى بما شاء على الوجه الذي يريده فمن أطاعه دخل الجنة ومن عصى دخل النار.

الشيخ : لا، خلا فيها نذير ولكن بدلوا وغيروا عمرو بن لحي هو الذي بدل وغير.

السائل : ظاهر الآية : ((**فإن حاجوك**)) فيه حاجة مطلقا لأنه قال عند ما ؟

الشيخ : أي هذه حكاية حال قوم معينين وهم النصارى؛ المجادلة بأن يقولوا مثلا ما أنت برسول لو كنت رسولا لكنت ملكا وما أشبه ذلك؛ وقد ذكر لنا المحاجة الطويلة مع النبي عليه الصلاة والسلام في سورة الإسراء لو راجعتها نعم .

السائل : كيف يصح ترتيب سرعة الحساب على الكفر ؟

الشيخ : لأن الكفر لا سرعة الحساب . سوا ء كفروا أم لم يكفروا كذا؟ طيب ما الجواب ؟ نعم يا محمد ؟ هذا ذكر الله تعالى للتهديد؛ أحسنت ذكرنا هذا، هذا للتهديد.

السائل : ما هو المراد بالتهديد ؟

الشيخ : نعم هو المراد تهديد لهؤلاء مثل ما أقول لشخص أمرته بشيء قلت: شف إن خالفتني فإن ضربي شديد.

الشيخ : نعم هذه من الخطأ أنا أرى إن هذه . يجب أن أولا نعرف من هذا , هل هو شخص معروف بالبدع وبالشر وبالفساد فهذا وإن يستحق ، ورجل آخر نعرف أنه أخطأ لا , فهذا أول من يناقش معه حتى نصل إلى الغاية المقصودة للجميع بأن نعلم أن الرجل حسن النية ؟ وإذا كان الرجل حسن النية فسيرجع إلى الحق ولابد؛ أما أن يتخذ بعضنا بعضا وخصما فهذا لاشك أنه يبعد كل الجانبين الراد والمرود عليه لأن الناس سوف ينقسمون ما كل الناس يعلم الحق ولا كل الناس أيضا يثق بشخص واحد نعم .

الشيخ : يعني إذا نصحت الإنسان واهتدى ثم عاد إلى ضلاله فأعد لأن بعض الناس إذا لم يكن عنده من يساعد على الاستمرار بالاستقامة والالتزام ربما يحيد . والعياذ بالله . على كل حال إذا انقطعت فالأصل إذا أردت أنه قبل منه فالأصل أنه سيبقى على قبوله لكن إذا علمت أنه انحرف فهذا عليه.

الشيخ : نعم شيبة ؟ شيخ لما كان دين اسماعيل عليه السلام قائم كيف كان ؛ لا ما هو قائم أخلفوه غيروا فيه لما ظهر عمرو بن لحي الخزاعي نصب الأصنام للناس فصار الناس يتبعونه، وتعرف أن الإنسان إذا ضل في شيء صار هذا سببا لضلاله بشيء آخر نعم. كفر بها ضد أقر بها يعني ما ستر بكل حال بل تضمنت معنى زائدا على الستر فالشيء أصله من مادة ولكنه يضمن معنى مادة أخرى يكون أبلغ فإن مجرد الستر دون الكفر

بالشيء الكفر بالشيء يقتضي جهله والمدافعة عن عقيدته التي هي الكفر نعم؛ يعني ممكن أن نقول جحد به نعم . أما الحديث وارد عن الرسول صلى الله عليه وسلم فإنه لا يجوز في جزيرة العرب أن يجتمع فيها دينان أما غير جزيرة العرب فمازالت موجودة منذ عهد خلفاء الراشدين لكن جزيرة العرب لأنها أم للإسلام نهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يجتمع فيها دينان ولهذا يجب على جميع المسلمين العناية لبلدانهم وأن يح غاية ال على أن لا تقام شعائرهم في بلادهم ولكن لا يمنع بلاد الحق مما يباح لهم أن يفعلوا نعم.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. قال الله تعالى: ((**فإن حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن**)) تقدم الكلام على أول هذه الآية وقلنا إن المحاجة هي المناظرة والمجادلة لأن كل واحد منهما يدلي بحجته ليغلب صاحبه؛ والضمير يعود على الذين أوتوا الكتاب؛ لقوله: ((**وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم**)) وربما يعود عليهم أو على غيرهم إما بدلالة اللفظ أو بدلالة القياس المعنوي؛ وذكرنا أن الله أمره إذا حاجوه أن يبين أنه قد أسلم وجهه لله وأنه يقول بأمر الله ويدع بأمر الله هو ومن اتبعه، وأمر الله أن يقول بعد أن أقام الحجة للذين أوتوا الكتاب والأميين وهم العرب ((**أأسلمتم**)) وهذا الاستفهام ذكرنا أن فيه قولين لأهل العلم إما أنه بمعنى؟ الأخ ؟ البلاهة، ويش معنى البلاهة كيف البلاهة ؟ يسخر منه بعد هذا الوضوح والتنبيه هل أسلمتم أم أنتم ما أنتم عليه ؟ طيب أو ؟ أنه للأمر يعني أسلموا . ثم قال الله تعالى: ((**فإن أسلموا**)) هذا مبتدئ الدرس ((**فإن أسلموا فقد اهتدوا**)) إن أسلموا يعني استسلموا لله ظاهرا وباطنا أما باطنا فبالإيمان بما يجب الإيمان به وهي الأركان الستة التي بينها الرسول صلى الله عليه وسلم وظاهرا بعمل الجوارح وهو الإسلام المبني على خمسة أركان: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت ؛ ((**فإن أسلموا فقد اهتدوا**)) اهتدوا هداية التوفيق كما هدوا هداية الدلالة؛ فهداية الدلالة شاملة لجميع الخلق ما من أناس إلا وقد هداهم الله هداية الدلالة ((**وإن من أمة إلا خلا فيها نذير**)) لكن هداية التوفيق هي التي حرمها قوم ووفق لها قوم آخرون ((**فقد اهتدوا**)) أي هداية التوفيق بعد هداية الدلالة ((**وإن تولوا**)) يعني أعرضوا عن الإسلام فلم ينقادوا بظواهرهم ولا بواطنهم فقد أديت ما عليك؛ ولهذا قال: ((**فإنما عليك البلاغ**)) . ((**وإن تولوا فإنما عليك البلاغ**)) الجملة هذه جواب الشرط في قوله: ((**فإن تولوا**)) وهي تفيد الحصر يعني ما عليك نحوهم إلا أيش؟ إلا البلاغ وقد بلغ البلاغ المبين عليه الصلاة والسلام؛ أما الهداية فهي بيد الله سبحانه وتعالى ولو كان بيد النبي صلى الله عليه وسلم شيء من الهداية هداية التوفيق لكان أو من يحرص عليه أو من يهتدي على يديه عمه أبا طالب لكن ليس عليه هدى الناس إنما عليه البلاغ أي إبلاغ الرسالة إلى الأمة فإن اهتدوا فلهم وإن أساءوا فعليهم . ((**والله بصير بالعباد**)) بصير بهم أي عليم بأحوالهم، وعليم بأهليتهم من يصلح للهداية ومن لا يصلح؛ والبصر هنا بصر الرؤية وبصر العلم فالله تعالى بصير بالعباد بالرؤية لا يخفي عليه شيء منهم، وبصير بالعباد بالعلم لا يخفى عليه شيء من أحوالهم ((**والله بصير بالعباد**)) والعباد هنا يشمل جميع الخلق لأنه ما من شيء في السموات والأرض بل ما من أحد في السماء والأرض إلا آتي الرحمن عبدا ((**إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا**)) ولهذا قال: ((**والله بصير بالعباد**)) فإذا كان الله بصيرا بالعباد وأنت قد أديت ما عليك من البلاغ فمن الذي يحاسبهم؟ الله؛ كما قال تعالى: ((**إنما عليك**

البلاغ وعلينا الحساب)) في هذه الآية من الفوائد فوائد عديدة: أولا: أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان عرضة لمحاجة أعدائه. من قبل ؟ صحيح ؟ طيب إذا نبدأ من ((**إن الدين عند الله الإسلام**)) ((**إن الدين عند الله الإسلام**)) من فوائد هذه الآية الكريمة: أنه لا دين مقبول عند الله إلا الإسلام؛ لقوله: ((**إن الدين عند الله الإسلام**)) يعني الدين الذي يعتد به ويكون مقبولا هو الإسلام قال الله تعالى: ((**ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه**)) . ومن فوائد الآية الكريمة: أن كل دين يخالف الإسلام في أي زمان فليس بمقبول ولا مرضي عند الله. ومن المعلوم كما سبق أن الإسلام بعد بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم هو ما جاء به الرسول وعلى هذا فدين اليهودية ودين النصرانية دين باطل، دين باطل غير مقبول عند الله؛ وقد أخبر النبي عليه الصلاة والسلام أنه ما من يهودي ولا نصراني من هذه الأمة يعني أمة الدعوة يسمع به بالرسول صلى الله عليه وسلم ثم لا يتبع ما جاء به إلا كان من أهل النار، إلا كان من أهل النار أو من أصحاب النار . من فوائد الآية الكريمة: أن من ادعى أن دين اليهودية أو دين النصرانية أو غيرهما من الأديان مقبول عند الله الآن فهو كافر لماذا؟ لأنه مكذب للقرآن ((**إن الدين عند الله الإسلام**)) . ومن فوائدها: بيان ضلال أولئك القوم الذين إذا تكلموا عن الديانات قرنوا بين دين الإسلام واليهود والنصارى وقالوا هذه هي الأديان السماوية حتى إن الجاهل لا يظن أن اختلاف الأديان الثلاثة كاختلاف المذاهب الفقهية في الأمة الإسلامية وهذا ضلال عظيم ومصانعة ومداهنة لليهود والنصارى بل نقول إن الأديان السماوية اليهودية والنصرانية كانت أديانا مقبولة عند الله أما الآن فقد نسخ الله عزوجل وصار الدين السماوي المقبول الذي لا يمكن أن يشركه دين آخر هو ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم . ومن فوائد الآية الكريمة: أن اختلاف اليهود والنصارى كان عن علم بعد أن جاءهم العلم اختلفوا ولهذا قال: ((**وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم**)) . ومن فوائد الآية الكريمة: أن اختلاف هؤلاء ليس لقصد الحق بل لقصد البغي والعدوان بعضهم على بعض حتى يضلل بعضهم بعضا بل ويكفر بعضهم بعضا . ومن فوائد الآية الكريمة: الإشارة إلى التحذير مما وقع فيه هؤلاء الكفار الذين أوتوا الكتاب؛ وجه ذلك: قوله: ((**وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم**)) والبغي معلوم أنه محذر منه غير مرغوب فيه؛ فلهذا قول في هذه الآية التحذير من هذا الاختلاف الذي وقع لأهل الكتاب . ومن فوائدها: الإشارة إلى أنه يجب على الإنسان إذا خالفه غيره أن لا يتطاول عليه وأن لا يقصد بسوق الأدلة المؤيدة لقوله البغي عليه غيره والتطاول عليه بل يقصد أيش؟ بل يقصد إظهار الحق لينتفع هو وينفع غيره؛ أما أن يأتي بالأدلة من أجل أن يعلوا على أخيه ويكون قوله هو الأعلى فهذا خطأ عظيم بل الواجب أن يؤيد الإنسان الحق وإن خالفه غيره ويأتي الأدلة التي تؤيد الحق قاصدا بذلك أيش؟ إظهار الحق ونصره لا أن

يغلب ويبغي على غيره . ومن فوائد الآية الكريمة: التحذير من الكفر بآيات الله؛ لقوله: ((**ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب**)) . ومن فوائدها: أنه إذا كان التحذير من الكفر بآيات الله فعلى العكس من ذلك الإيمان بآيات الله؛ لأن القدح في الشيء مدح لضده. ومن فوائد الآية الكريمة: بيان قدرة الله عزوجل بكونه سريع الحساب . ومن فوائد الآية أيضا : أنه لابد أن يحاسب الإنسان على عمله ((**أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون**)) هذا الحس لاشك إنه ضلال مخالف لما تقتضيه الحكمة؛ ما الفائدة من أن تخلق هذه الخليقة العظيمة تنزل عليها الكتب وأرسل إليها الرسل وتؤمر وتنهى ثم في النهاية أن تؤول إلى التراب ما الفائدة ؟ لا فائدة؛ إذا لا بد من حساب . ومن فوائد الآية الكريمة: بيان أنه ينبغي للعاقل أن يحاسب نفسه قبل أن يحاسب كما قال أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رحمه الله: (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا) فكون الإنسان يحاسب نفسه ليصلح ما عساه فسد أولى من سكوته وإهماله وعدم حساب نفسه؛ لأن الذنوب تتراكم عليه ثم يهلك . هل يستفاد منها الرد على الجبرية ؟ نعم؛ وجه ذلك أن الله أسند ذلك الأفعال إلى فاعلها ((**وما اختلف الذين**)) ((**ومن يكفر بالله**)) ((**بغيا بينهم**)) وما أشبه ذلك كل هذا يفيد أن الإنسان إرادة وفعلا اختياريين خلافا للجبرية الذين قالوا: إن أفعال العباد تجبر عليه الإنسان . ثم قال الله تعالى: ((**فإن حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن**)) في هذه الآية دليل على أن النبي صلى الله عليه وسلم له من يحاجه من أعدائه وهو كذلك فإنهم حاجوه في أصل الدين وفي فروع الدين وسخروا منه وأوجدوا شبهات الكثيرة منذ بعث وإلى يومنا هذا والناس يثيرون الشبهات حول الدين الإسلامي ولكن يأبى الله إلا أن يتم نوره لأنهم يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره . ومن فوائد الآية الكريمة: أن هؤلاء الذين يحاجون الرسول عليه الصلاة والسلام لا يحتاجون إلى كبير عناء لأنهم يحاجون على أمر واضح؛ ولهذا أمره الله أن يسفههم وأن يقول: ((**أسلمت وجهي لله ومن اتبعن**)) فإن أسلمتم فهو لكم وإن لم تسلموا فعليكم . ويتفرع على ذلك: أن من علمت أنه إنما يحاجك لقصد نصر قوله ولو كان باطلا فلك أن تعرض عنه وتقول: هذا ما أدين الله به وهذا ما أستسلم له وتدعت لماذا؟ لأن هذا معان مكابر وليس أهلا لأن تدخل معه في محاجة أو خصومة لأنه لا يريد الحق لو كان يريد الحق ما حصلت محاجة . ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن أتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم يحذون حذوة في إسلامهم لله وتفويض الأمر إليه؛ لقوله: ((**أسلمت وجهي لله ومن اتبعن**)) . ومن فوائد الآية الكريمة: أن الوجه أشرف الأعضاء وهو الذي يكون به الانقياد وعدم الانقياد؛ لقوله: ((**أسلمت وجهي لله**)) فإن إسلام الوجه هو الذي يكون به الانقياد؛ ولهذا كان أذل ما يكون الإنسان لربه إذا كان ساجدا وأقرب ما يكون من ربه إذا كان ساجدا لأن هذا هو تمام الذل أن تضع أشرف أعضاءك على موقع الأقدام على

الأرض . ومن فوائد الآية الكريمة: أن النبي صلى الله عليه وسلم متبوع لا تابع ؛ لقوله: ((**ومن اتبعن**)) . ويتفرع على ذلك: أن الواجب على من تبين له الحق أن يأخذ به إذا كان يريد أن يكون من أتباع الرسول صلى الله عليه وسلم أما من يلوي أعناق النصوص إلى قوله فهذا ليس بمتبع حقيقة؛ لأن بعض الناس إذا قال قولا وجاء في نص القرآن أو السنة النبوي ما يخالف قوله حاول أن يلوي عنق النص ويحرف النص أن أجل أن يكون موافقا لقوله وهذا حرام لأنك أنت تابع ولست بمتبوع . ومن فوائد الآية الكريمة: أنه لا يمكن أن يكون قول أحد من أهل العلم حجة على الآخرين؛ لماذا؟ لأن الكل تابعون لا متبوعون ومن أراد أن يكون الناس أتباعا له لا للحق فقد جعل نفسه شريكا في الرسالة؛ والواجب أنك إذا دعوت إلى الحق أن لا تريد أن يتبعك الناس لأنك فلان ابن فلان بل أن يتبع الناس قولك لأنه هو قول الذي دل عليه الدليل . ومن فوائد الآية الكريمة: النداء بالسفه والبلاهة على من جادل وعارض دون أن يستسلم لله؛ لقوله: ((**فقل أأسلمتم**)) وإن جعلناها أمرا فالأمر واضح . ومن فوائد الآية الكريمة: بيان عظيم منة الله عزوجل على العرب ببعثة الرسول صلى الله عليه وسلم؛ وجه ذلك : أنه قال: ((**للذين أوتوا الكتاب والأميين**)) فرق بين الوصفين بين من أوتي الكتاب وبين الأمي الذي لا يقرأ ولا يكتب؛ فالذين أوتوا الكتاب أصحاب علم وأصحاب كتاب والأميون أصحاب جهل لكنهم ببعثة الرسول عليه الصلاة والسلام كانوا هم أهل الكتاب حقا؛ لأن هذا الكتاب الذي نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفه الله بأنه مصدق لما بين يديه من الكتاب ومهيمن عليه؛ فصار . والحمد لله . صار هؤلاء الأميون هم أهل الكتاب الحق؛ فيكون في هذا بيان عظيم منة الله عزوجل على العرب ببعثة الرسول صلى الله عليه وسلم حيث كانوا في الأول أميين جاهلين وفي الثاني أهل كتاب وذكاء ((**لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين**)) . ومن فوائد الآية الكريمة: وجوب الإسلام لله سواء قلنا إن الاستفهام لاستبلاه هؤلاء القوم والإنكار عليهم أو قلنا إنه للأمر فإن يدل على وجوب الإسلام والاستسلام لله عز وجل. ومن فوائد الآية الكريمة: أن أهل الهدى هم المسلمون؛ لقوله: ((**فإن أسلموا فقد اهتدوا**)) . ومن فوائدها أيضا: أن من لم يسلم فهو ضال؛ فإن كان قد علم الحق كان من الضالين المغضوب عليهم لأن كل من علم الحق ولم يتبع فهو مغضوب عليهم . يقول الله عز وجل: ((**فإن تولوا فإنما عليك البلاغ**)) في هذه الجملة التحذير تحذير من تولى بعد أن دعي فإن قوله: ((**والله بصير بالعباد**)) لاشك أنه يحذرهم من مخالفتهم لأن الرسول صلى الله عليه وسلم بلغ. ومن فوائد الآية الكريمة: أنه لا يجب على من بلغ إلا البلاغ أما الهداية فإلى الله؛ لقوله: ((**فإنما عليك البلاغ**)) . ومن فوائدها: وجوب البلاغ على رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لقوله: ((**فإنما عليك البلاغ**)) ومن

فوائدها أيضا وهي فرع عما قبلها: أن من آتاه الله علما بهذا الوحي فعليه البلاغ خلفا لمن؟ لرسول الله صلى الله عليه وسلم . ومن فوائد الآية الكريمة: الإشارة إلى أن الإنسان لا يسأل عن عمل غيره أن يقوم بما يجب عليه وأما غيره فأمره إلى الله؛ لقوله: ((**فإن تولوا فإنما عليك البلاغ**)) ولم يقل: فإنما عليك إثمهم ((**عليك البلاغ**)) وأنت سالم من إثمهم؛ وهذه الآية أحد الفائدة يتفرع عنها مسائل كثيرة منها ما أشار إليه النبي عليه الصلاة والسلام حين قال له جماعة قوم قالوا يا رسول الله إن قوما يأتوننا بلحم لا ندري أذكروا اسم الله عليه أم لا؟ فقال لهم: سموا أنتم وكلوا) إشارة إلى أنك إنما تطالب بفعلك أما فعل غيرك فلست منه في شيء ما قال تأكدوا هل سموا أم لا قال سموا أنتم؛ وهذه التسمية التي أمر بها الرسول صلى الله عليه وسلم أهي على فعل الذابحين أو فعل الآكلين ؟ آكلين، الآكلين ؟ طيب إذا كانت على فعل الذابحين كما قاله من قاله منكم فهذه تسمية على فعل سابق وهل فيها فائدة؟ ما فيها فائدة الفائدة أن تسمي على فعل لاحق وعلى هذا فقوله: سموا أي على الأكل؛ لأن الذبح توله غيركم وهو المسئول عنه أما أنتم فعليكم التسمية عند الأكل وهذا من نعمة الله لو كنا مأمورين أن نبحث عن فعل غيرنا لوقعنا في حرج لا نهاية له نعم؟ كان إذا قدم لنا إنسان لحم قال تعال من ذبحها؟ فلان؛ هل سمى أو لا؟ من أين اشترى هذه الشاة؟ هل غصبها أو سرقها قد تكون مسروقة نعم؟ إذا قال اشتراها من فلان؛ فلان من أين اشتراها؟ أو سرقها أو كيف ؟ لو أننا أمرنا بأن نبحث عن فعل غيرنا لكنا إذا تقدم الإمام قلنا تعال أنت متوضأ ولا لا؟ عليك جنابة ولا ما عليك جنابة ؟ نعم؟ في ثوبك نجاسة أو طاهر؟ هل هو مغصوب ولا حلال؟ مشكل لكن من نعمة الله أننا لا نسأل عن فعل غيرنا كل من فعل فعلا وهو أهل له فإننا لا نسأل عنه؛ والسؤال عنه من التنطع وتكليف النفس ما لم تكلف به؛ ولهذا قال: ((**فإن تولوا فإنما عليك البلاغ**)) فأنت تقوم بفعلك وهم يحاسبون على فعلهم؛ ولهذا قال: ((**والله بصير بالعباد**)) . من فوائد الآية الكريمة: إثبات اسم البصير لله عزوجل على أنه يحتمل أن يكون المراد بالبصير هنا الصفة لأنه قيدها قال: ((**بصير بالعباد**)) واسم الله غير مقيد مثل ((**والله سميع بصير**)) وما أشبهها . ومن فوائدها أيضا: عموم علم الله عز وجل؛ لقوله: ((**بصير بالعباد**)) أي بجميع أحوالهم . ومن فوائد الآية: التحذير من مخالفة الله؛ كيف؟ إذا كان الله بصيرا به فكل إنسان يخجل أو يستحيي أن يفعل ما نهاه الله عنه أو أن يترك ما أمره الله به لأنه يعلم أن الله بصير به وسوف يعاقبه . ثم قال الله تعالى: ((**إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم**)) في هذه الآية قراءتين في كلمتين أولا: ((**النبيين**)) فيها قراءة ((**النبيئين**)) ؛ ثانيا: ((**ويقتلون**)) فيها قراءة ((**ويقاتلون**)) ((**ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس**)) ((**ويقاتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس**)) طيب . قال تعالى: ((**إن الذين**

يكفرون بآيات الله)) ((**يكفرون بآيات الله**)) الكونية أو الشرعية؛ والآيات جمع آية وهي في اللغة العلامة؛ وهذه الآيات الكونية التي نشاهدها مما لا يستطيع البشر أن يخلقوا مثلها في آية على الله؛ آية تدل على أن الخالق واحد لا شريك له وعلى أنه لا يشبهه شيء؛ لأن الناس لو اجتمعوا كلهم على أن يخلقوا جبلا واحدا ما استطاعوا أو أن يخلقوا حيوانا واحدا ما استطاعوا ((**إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له**)) آيات الله الشرعية أيضا لا يمكن للبشر أن يأتوا بمثلها ((**قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله**)) فالآيات الشرعية العلامات الدالة على أن الذي أنزل هذه الآيات إله واحد وأنه كامل الحكمة؛ هؤلاء الذين يكفرون بهذه الآيات يقول الله عزوجل بعد أن ذكر معطوفات متعددة: ((**فبشرهم بعذاب أليم**)) ولكن كيف يكون الكفر؟ محمد كيف يكون الكفر بالله؟ نقول أولا الآيات الكونية ؟ الكفر بالآيات الكونية يجحد الله سبحانه وتعالى عما خلقه؛ أن يدعي أن الذي خلقها غير الله هذا واحد؛ أو أن له شريكا في خلقه؛ أو أن له معينا في خلقه طيب ثلاثة أشياء . الكفر بالآيات الشرعية ؟ الكفر بالجحود أو بالاستكبار نعم إما بجحودها وتكذيبها أو بالاستكبار والعناد؛ ومن تكذيبها أو الاستكبار عنها تحريف النصوص فإن تحريف النصوص نوع من الكفر بلاشك . يقول الله تعالى: ((**إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق**)) يقتلون النبيين الذي أرسلهم الله إليه بغير حق؛ والنبيون هنا يشمل الرسل ومن لم يرسل من النبيين وأكثر ما وجد هذه الصفة في اليهود لأن اليهود أعتا المخالفين للرسل وأشدهم غلظة . والعياذ بالله . فصار منهم من قتل الأنبياء بغير حق وعبد الطاغوت وهنا يقول: ((**النبيين بغير حق**)) هذه الصفة لا يراد بها إخراج ما خالفها وإنما يراد بها بيان الواقع والدلالة على أن هذا القتل كان عدوانا؛ فيراد بها شيئان: أولا بيان الواقع وأنهم يقتلونهم وهم غير محقين يعني لا يقتلونهم قصاصا مثلا؛ ثانيا: أن قتلهم كان بباطل بغير حق؛ وإلا فليس هناك قتل بالحق لأحد من النبيين . ((**ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس**)) وفي قراءة: ((**يقاتلون**)) من الذين يأمرون بالقسط من الناس ؟ الرسل وغير الرسل، أهل العلم يأمرون من الناس بالقسط، الخلفاء الراشدون يأمرون الناس بالقسط، النبيون يأمرون الناس بالقسط؛ وحينئذ فعطفه على النبيين من باب عطف العام على الخاص ولكنهم خص الأنبياء لأن قتلهم أعظم من قتل غيرهم فلا شيء فلا قتل أعظم جرما من قتل النبيين نعم بغير حق ((**ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس**)) ((**بالقسط**)) أي بالعدل؛ ((**من الناس**)) يشمل النبيين وغيرهم وقد مر علينا إذا عطف العام على الخاص أو الخاص على العام هل هذا يدل على إخراج الخاص من الحكم العام ؟ أو على التنصيص عليه لأهميته فيكون قد ذكر مرتين ؟ الثاني هو الأقرب يكون ذكر مرتين مرة بطريق العموم ومرة بطريق الخصوص ولكن خصص من بين سائر الأفراد أو أعيد الحكم عليه من بين سائر الأفراد

للاعتناء به والاهتمام به . ((**فبشرهم بعذاب أليم**)) الخطاب إما للرسول صلى الله عليه وسلم أو لكل من يتعتا خطبه و((**بشرهم**)) أخبرهم ((**بعذاب أليم**)) والعذاب العقوبة و ((**أليم**)) بمعنى المؤلم؛ وهذه البشارة هل هي على سبيل التهكم بهؤلاء؟ أو هو من باب التشبيه البشارة بما يسوء بالبشارة بما يسر بجامع أن كل واحد منهما تتأثر على البشرة وتتغير؟ يحتمل الواقع يحتمل هذا وهذا؛ ولكن إذا قلنا إنه من باب التهكم استفيد بذلك زيادة الألم على هؤلاء المبشرين كقوله تعالى: ((**خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم ذق**)) يعني قولوا له ذق ((**إنك أنت العزيز الكريم**)) فإن هذه الكلمة أو الجملة لاشك أنها تبلغ في قلبه كل مبلغ لأنه سيتذكر أين العزة وأين الكرم، أين العزة التي بها أغلب والكرم الذي به أجود؟ فيكون أشد وقعا وأشد تحسرا أنه فاته هذا الوصف التي كان في الدنيا يرى نفسه من أهله .

السائل : اليهود كم قتلوا الأنبياء بغير حق ؟

الشيخ : لا ما أعرف؛ لاشك أنهم قتلوا الأنبياء بغير حق لكن كونه ثلاث وأربعين أو أربعمائة أو أكثر وأقل الله أعلم.

السائل : لو دولة من الدول استوردت اللحوم ؛ أيش؟ استورد اللحوم من دولة ملحدة ما تؤمن بالله سبحانه وتعالى شيوعية . . .؟

الشيخ : أولا أن الدول الشيوعية قد يكون فيها مسلمون ألم تعلم الضجة التي حصلت في غوسلافيا ؟ فيه مسلمون كثيرون ؛ وقد قيل إن أكثر من يتولى المسالك هم مسلمون لأنهم فقراء في ذلك المكان فربما يكون الذابح مسلما؛ لكن مع هذا أهل العلم يقولون: إذا وجدت مذكاة في بلد أكثر أهله ممن تحل ذبيحته فهو حلال اعتبارا بالأكثر والأغلب وتيسيرا على الأمة فينظر إذا قيل أكثر المسالك في بلد الشيوعية أكثرها يتولاها مسلمون صار الوارد منه حلالا وإذا قال أكثره غير المسلمين حتى لو فرض أنه بلد يهود أو نصارى وقد علم أن أكثر من يتولى الذبح غير اليهودي والنصراني فإنها لا تحل ذبيحتهم .

السائل : اللحم الذي يأتي من الخارج هم لم يسموا عليه لأنهم لا يعرفون التسمية أصلا ؟

الشيخ : ما علمت لأن الله قال: ((**لا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه**)) ولم يقل: مما لم تعلموا؛ قال: ((**مما لم يذكر**)) يعني الذي تيقنا أنه لم يذكر اسم الله عليه.

السائل : هذا الشيء متيقن يا شيخ لأني أنا أعرف هم ما يسمون؟ إذا كان شيء متيقن لا تأكل لكن ما دمت لم تيقنت فلك الأكل.

الشيخ : إذا كان تيقنا فلا نأكل ؟ معلوم إذا تيقنا لا يجوز الأكل.

قوله تعالى: ((**إن الذين يكفرون**)) هذا معطوف كل موصوف ((**فبشرهم بعذاب أليم**)) هذا خبر الفاء للجزاء وين؟ فهمتم سؤاله ؟ هذا الرجل فهم فهما جيدا وأنتم ولدتم في البلد هنا في العرب وما فهمتم ذلك يقول: الفاء الواقع في خبر المبتدأ ويش الذي جاب هنا ما في أداة شرط ؟ يقول العلماء: إن اسم الموصول يشبه اسم الشرط في العموم ((**إن الذين يكفرون**)) فهو كقوله: إن من يكفر بآيات الله؛ يعني متضمن لمعنى الشرط؛ أي نعم اسم موصول متضمن لمعنى الشرط؛ ويقول إنك تقول الذي يأتيني فله درهم فهو بمعنى قولك: من يأتيني فله درهم معلوم ؟.

السائل : شيخ يقول الله تعالى: ((**فإن حاجوك فقل أسلمت وجهي لله**)) إذا قيل المقصود من الوجه الذات أي أسلمت ذاتي كله لله سبحانه وتعالى؟

الشيخ : نعم؛ فما يكون قوله: ((**أقرب من**)) هم من أسلم وجهه فقد أسلم نفسه، من أسلم وجهه فقد أسلم نفسه .

السائل : شيخ اختلاف العلماء في بعض النص فبعض العلماء يعطي فهم يختلف عن عالم آخر؟

الشيخ : ما أدري إذا كان يمكن الجمع بين القولين فهم من باب التنوع فمثلا قال بعض العلماء في قوله تعالى: ((**والليل إذا عسعس**)) أي أدبر؛ وقال آخرون ((**والليل إذا عسعس**)) أي أقبل؛ ولا تضاد في هذا فهو اختلاف تنوع فإذا كان القولان لا يمكن الجمع بينهما مثل: ((**والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء**)) منهم من قال: المراد بالقرء الحيض ومنهم من قال المراد بالقرء الطهر هذا ما يمكن الجمع بينهما فهذا اختلاف تضاد. وكذلك قال الأحناف يدخل وقت العصر إذا صار ظل كل شيء مثليه وقال غيرهم: يخرج وقت العصر إذا كان ظل كل شيء مثليه ما يمكن الجمع هذا اختلاف تضاد هذا الضاد نعم.

الشيخ : نعم المحاجة إذا ظهر عناده فقل ؛ أما مادام أنهم غير معادين لكنهم يتطلبون الحق فجادلهم حتى يتبين الحق ولكن إذا تبين عنادهم الآن فإننا نقول إما أن نضرب أعناقهم أن تعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون هذا الواجب على المسلمين إذا قبلوا أما إذا المقتل فهذا شيء .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ((**أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين؛ ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون؛ ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودات وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون؛ فكيف إذا جمعناهم ليوم لاريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون؛ قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير؛ تولج الليل في النهار و تولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب**)) . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. قال الله تعالى: ((**فإن حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن**)) هذا مبتدا البحث للمناقشة؛ من أين؟ أي نعم المناقشة طيب. قال الله تعالى: ((**فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد**)) أين جواب الشرط في قوله: ((**فإن أسلموا فقد اهتدوا**)) لماذا اقترن بالفاء هداية الله ؟ لأن الماضي بقد الماضي إذا كان بقد وجب الفاء عليه؛ أحسنت تمام، فيه بيت مشهور في الجمل التي يجب ارتباطها بالفائدة وقعت جوابا للشرط .

الشيخ : ((**فإن أسلموا فقد اهتدوا**)) هداية الله لماذا اقترن بالفاء ؟

الطالب : لأن الماضي بقد الماضي إذا كان بقد وجبت الفاء عليه؛

الشيخ : أحسنت تمام ؛ فيه بيت مشهور في الجمل التي يجب ارتباطها بالفائدة وقت جوابا للشرط تحضر يا مهند ؟

اسمية طلبية وبجامد وبما وقد وبلن وبالتمييز هذه قد .

الشيخ : طيب يقول: ((**إن أسلموا فقد اهتدوا**)) ما المراد بالهداية هنا ؟

الطالب : هداية التوفيق ؛

الشيخ : طيب هل تستطيع أن تأتي لي بمثال فيه هداية الدلالة والتوفيق ؟ ((**وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى**)) هذه هداة أيش ؟

الطالب : هداية الدلالة .

يستفاد من هذه الآية: أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ليس عليه هداية الناس؛ لقوله تعالى: ((**وإن تولوا فإنما عليك البلاغ**)) . هل ينسحب هذا الحكم على من ورث النبي صلى الله عليه وسلم من أهل العلم ؟ نعم ؛ فيكون عليهم البلاغ دون هداية التوفيق نعم . استدل بعض العلماء بهذه الآية على أنه على القاعدة المعروفة في أصول الفقه: لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة ؛ كيف ذلك يا عبد الله؟

الطالب : قوله: ((**عليك البلاغ**)) يفيد الحصر ؛

الشيخ : ما وجه دلالته على قولهم إنه لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة ؟

الطالب : عليك وعلى ظاهرة للوجوب والتبليغ واجب إذا ظهر هذا الأمر قوله: ((**عليك البلاغ**))

الشيخ : يعني لو لم يبين عند الحاجة لم يكن مبلغا لا أخل بهذا الواجب واضح؟ طيب . إذا سكت النبي صلى الله عليه وسلم عن شرط والحاجة تدعوا إلى بيانه لو كان شرطا فهل يمكن أن يستدل بذلك على أنه ليس بشرط

؟ يعني مسألة اشترطها بعض العلماء لصحة العبادة والنبي عليه الصلاة والسلام سكت عنها بحال تدعوا إلى بيانها لو كانت واجبة فهل يمكن أن نستدل بذلك على أنها ليست بشرط؟

الطالب : نعم ؛

الشيخ : من هذه الآية ؟

الطالب : نعم؛

الشيخ : من هذه الآية لأنها لو كانت شرطا لبلغه النبي صلى الله عليه وسلم . قوله: ((**والله بصير بالعباد**)) يا غانم هل المراد بصر الرؤية أو بصر العلم ؟

الطالب : بصر العلم ؛

الشيخ : لماذا قيدتها في هذه الآية ببصر العلم ؟ قوله: ((**بصير بالعباد**)) يعلم ما يعمل العباد؛ ولا يمكن أن يكون بصيرا بأعمالهم يراها ؟ السياق يدل على العلم؛ ما وجه السياق ؟ قال: ((**الله بصير بالعباد**)) إذا يشمل بصر الرؤية وبصر العلم .

الشيخ : هل هناك دليل على أن الله يبصر بصر الرؤية ؟

الطالب : قول النبي صلى الله عليه وسلم: (**حجابه من نور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه**)

الشيخ : فأثبت لله بصرا يرى به عز وجل .

الشيخ : ماذا تفيده هذه الجملة التي وقعت جوابا لقوله: ((**فإن تولوا**)) طلال ؟

الطالب : التهديد،

الشيخ : التهديد وأنه إذا كان بصيرا بهم فسوف يجازيهم على توليهم نعم؟.

الشيخ : قوله تعالى: ((**إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس**)) في ((**يقتلون**)) الثانية قراءتان نعم خليل ؟

الطالب : ((**يقاتلون**)) و ((**يقتلون**)) ؛

الشيخ : ((**يقتلون**)) **و** ((**يقاتلون**)) .

الشيخ : هل يمكن العمل بالقراءتين وهل بينهما منافاة ؟

الطالب : ليس بينهما منافاة؛

الشيخ : لأنه يقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس يقتلون من لا يقاتلهم ويقاتلون من يقاتلهم طيب .

الشيخ : في (((**لنبيين**)) قراءتان أيضا؟

الطالب : ((**النبيين**)) **و** ((**النبيئين**)) طيب.

الشيخ : أظن مر علينا أنه إذا جاءت قراءتان في آية فإن الأفضل أن يقرأ الإنسان بهذه مرة وبهذه مرة كما لو جاءت السنة بصفتين من صفات العبادة فالأفضل أن يفعل الإنسان هذا مرة وهذا مرة كذلك القراءتان؛ ولكن يجب أن يتأكد الإنسان من القراءة فإذا تأكد أن هذه القراءة سبعية فإن الأفضل أن يقرأ بهذه مرة وبهذه مرة لأن الكل سنة .

الشيخ : قوله: ((**ويقتلون النبيين بغير حق**)) يا محمد بن سلام هل هناك قتل النبيين بحق ؟

الطالب : لأنه جعل محط الدم قتل النبيين بغير حق فهل هنالك قتل للنبيين بغير حق ؟

الشيخ : قتلهم بالقصاص يعني ؟

الطالب : ما ندري ؛

الشيخ : طيب هل المقتول قصاصا يذم قاتله ؟ إذا آية سيقت مساق الذم ؟ شيخ ؟ نعم؛ هذه الآية لبيان الواقع؛ لبيان الواقع صحيح، هذه الآية لبيان الواقع والتنديد بهم، لبيان الواقع أنهم يقتلون الأنبياء بغير حق بل بالباطل والتنديد بهؤلاء حيث يقتلون هؤلاء السادة بغير حق نعم.

الشيخ : قال الله تعالى: ((**فبشرهم بعذاب أليم**)) كيف استعمل البشارة بالعذاب والبشارة ما تكون إلا بالخير ؟ وهل يذكر الثناء أو وصف بالطيب في مقام التهكم ؟ هل يمكن الشيء المحبوب في مقام التهكم هات مثال ؟

مثال لتقوية قولك ؟ نعم محمد ؟ مثاله في قوله تعالى: ((**ذق إنك أنت العزيز الكريم**)) طيب ؛ هذا وجه ؛ الوجه الثاني يا عيان ؟ الوجه الأول أنه على سبيل التهكم بهم والوجه الثاني ؟ غانم ؟ أنه استعملت البشارة في مقام الوعيد لأنها علامة الخبر هذا يظهر على بشرته فتتغير كما تتغير البشرة بما يسر .

ثم قال الله عز وجل: ((**أولئك الذين حبطت أعمالهم**)) هذا مبتدأ الدرس الليلة ((**أولئك الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين**)) ((**أولئك**)) المشار إليه هؤلاء الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذي يأمرون بالقسط من الناس وهم أهل الخير الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر؛ هؤلاء الذين قامت بهم هذه الصفات هم الذين حبطت أعمالهم؛ حبوط الشيء يعني ذهابه وزواله وعدم الاستفادة منه؛ فهؤلاء حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة؛ أما في الآخرة فظاهر لأنهم لن يستفيدوا من أعمالهم وإن كانت خيرا حتى الإنسان الكافر إذا عمل خيرا في الدنيا كالإحسان إلى الناس خصوصا أو عموما فإن ذلك لا ينفعه في الآخرة؛ لقوله تعالى: ((**وقدمنا إلى ما علموا من عمل فجعلناه هباء منثورا**)) ؛ لكن كيف حبطت أعمالهم في الدنيا ؟ حبطت أعمالهم في الدنيا لأنهم لما لم يستفيدوا منها صاروا كأنهم لم يعملوها فأعمالهم لم تنفعهم؛ وشاهد هذا قوله تعالى: ((**قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيمة ألا ذلك هو الخسران المبين**)) . قال: ((**وما لهم من ناصرين**)) هذه الجملة كما نعلم جميعا جملة منفية بما؛ وأسأل هنا هل ما هذه عاملة عمل ليس أو لا ؟ من يعرف؟ نعم ليست عاملة عمل ليس؛ لماذا؟ لأنه تقدم الخبر؛ وهل لديك شاهد من كلام أهل العلم على ما قلت ؟ من الألفية ؟ من الألفية نعم؛ يا هداية الله ؟ قاعدة نحوية نقول: لا لا أنا أريد من كلام ابن مالك لأن الأخ محمد؛ وعندي كلام ابن الحاجب؛ طيب نعم؛ قوله: ما بقي النفي وترتيب ذكر؛ طيب ولكن هنا إشكال وهو قوله: ((**من ناصرين**)) كيف نعربها ؟ يا فهد ؟ من زائد حرف جر زائد زائد كذا؟ أيش لون زائد زائد ؟ اشرح للإخوان؟ زائد إعرابا وزائد معنى؛ يعني زائد في الإعراب ويزيد في المعنى؛ و ((**ناصرين**)) اسم ما مرفوع؛ اسم ما وأنت قلت ما ومحمد يقول ما تعمل كيف نقول اسم ما ؟ ما عندك غير هذا؟ طيب ظهير؟ خبر؛ خبر لا ما هو صحيح؛ مبتدأ؛ نعم؛ ولهم خبر؛ أي لكن كمل إعراب ناصرين ؟ ناصرين اسم الفاعل مجرور لفظا ومرفوع معنا مبتدأ؛ مبتدأ طيب؛ اصبر كمل كمل. مبتدأ كيف ؟ يعني مرفوع لفظا صح ناصرين اسم الفاعل جمع المذكر السالم ورفعه بالواو مع خبر مضموم ونصبه وجره بالياء ما قبل مكسور مجرور لفظا ومرفوع محلا مبتدأ؛ طيب وما نافية؛ إذا علامة رفعه ؟ الواو المقدرة؛ وما نافية ولهم ظرف يعلق بالمحذوف؛ جار ومجرور متعلق بالمحذوف والخبر؛ المهم الآن فهمنا من كلامه أن الواو مقدرة في محل الياء منع من

ظهورها اشتغال المحل بحركة حذف الجر بالزائد؛ يعني هؤلاء الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة ليس لهم أحد ينصرهم؛ وأكد سبحانه وتعالى النفي هنا أكده بمن الزائدة؛ يعني ما لهم أحد ينصرهم لا على سبيل الاجتماع ولا على سبيل الانفراد؛ لأن من الزائدة إذا دخلت تجعل النفي نصا في العموم كلا نافية للجنس . ثم قال الله تعالى: ((**ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون**)) ((**ألم تر**)) الاستفهام هنا للتعجب؛ فإن هذه الحال يتعجب منها كل عاقل؛ و((**تر**)) يحتمل أن يكون رؤية عين ويحتمل أن يكون رؤية علم والثاني أولى لأنه أشمل ولأنه يتعلق بالحال والحال تعلم وليست ترى بالعين يعني ألم تعلم إلى هؤلاء . ((**الذين أوتوا نصيبا من الكتاب**)) يعني أوتوا نصيبا من العلم والذي آتاهم النصيب هو الله عزوجل وحذفه للعلم به لأن الله تعالى هو الذي يعطي العلم قال الله تعالى: ((**يعطي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا**)) وقال تعالى: ((**وعلمناه من لدنا علما**)) فالذي يؤتي النصيب من العلم هو الله عز وجل . وقوله: ((**نصيبا من الكتاب**)) يفيد التقليل أو التكثير؟ يحتمل أن يكون المراد أوتوا نصيبا كبيرا من الكتاب بحيث يكون حاملا لهم على الاهتداء ولكنهم والعياذ بالله . استكبروا؛ ويحتمل أنه ليس عندهم إلا علم قليل وأنه لو فرض أن عندهم علما كثيرا فإن هذا العلم لم ينفعهم فصاروا كالذي أوتي نصيبا قليلا من العلم . وقوله: ((**يدعون إلى كتاب الله**)) هذا محل التعجب يعني أنهم مع ما عندهم من العلم يدعون إلى كتاب الله؛ والداعي لهم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن دعى بدعوته إلى يوم القيمة؛ هؤلاء يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم؛ إسناد الحكم هنا يحتمل أن يكون إلى الله عزوجل ليحكم الله بينهم بكتابه؛ ويحتمل أن يكون إلى الكتاب وأسند الحكم إليه لأن الحكم صار به ويضاف الشيء إلى سببه كثيرا؛ على كل حال سواء قلنا إن الضمير **في** ((**يحكم**)) يعود إلى الله أو قلنا إنه يعود إلى الكتاب هؤلاء يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ولكنهم لا يقبلون هذا؛ ولهذا قال: ((**ثم يتولى فريق منهم معرضون**)) يتولى فريق منهم لا كلهم لأن بعضهم قد هدي بعض هؤلاء الذين أوتوا نصيبا من الكتاب قد هداهم الله وهم كثير لكن تولى فريق منهم ومع توليهم فإنهم معرضون . والعياذ بالله . ليس عندهم إقبال لا في الظاهر ولا في الباطن بل هم متولون معرضون وإنما قال: ((**وهم معرضون**)) وهي جملة حالية من طريق إنما قال ذلك لأن الإنسان قد يتولى لسبب طارئ لكن في قلبه شيء من الإقبال؛ أما هؤلاء فإنهم متولون وهم قد امتلئوا إعراضا عن كتاب الله ليحكم بينهم؛ وهنا يقول: ((**يتولى فريق منهم وهم معرضون**)) كيف صحت الحال من النكرة فريق؟ الحال هو ما يبين هيئة الفاعل؛ أي نعم؛ فاعل نكرة واو معرفة؛ لا لا؛ هو يبين هيئة الفاعل؛ أي لكن الفاعل لابد أن يكون معرفة أو نكرة فيها سبب؛ لأنها موصوفة؛ لأنها موصوفة ((**فريق منهم**)) وإذا وصفت النكرة تخصصت فصارت شبيهة

بالمعرفة . ((**ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودات**)) ((**ذلك**)) المشار إليه التولي والإعراض بأنهم خدعوا أنفسهم وقالوا لن تمسنا النار أي لن تصيبنا إلا أياما معدودات، أياما قلائل لأن كل معدود فهو قليل ودليل ذلك قوله تعالى: ((**وما نؤخره إلى لأجل معدود**)) وقال: ((**قل متاع الدنيا قليل**)) فكل شيء معدود فهو قليل لأن شيئا يمضي واحد اثنين ثلاث ة أربعة لابد أن ينتهي؛ هؤلاء يقولون: ((**لن تمسنا النار إلا أياما معدودات**)) ثم من يخلفهم بعده؟ من يخلفهم فيها؟ يدعون أن الذي يخلفهم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهؤلاء هم اليهود زعما منهم ودعوى مردودة قالوا: إنهم يدخلون النار ولكنهم لا يمكثون فيها إلا أياما معدودة ثم يخلفهم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فيها أبد الآبدين وكذبوا في ذلك؛ فهم ستمسهم النار ويبقون فيها أبد الآبدين لكن غروا أنفسهم وخدعوا عوامهم بهذا القول المفترى ((**بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودات وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون**)) غرهم الغرور والخداع بمعنى واحد متقارب يعني هؤلاء خدعوا أو هم خدعوا في دينهم حيث ظنوا أنهم على حق وبعضهم عاند الحق عالما به مفتريا كذابا غرهم في دينهم ما كانوا يفترون أي الذي كانوا يفترونه؛ ومنه قولهم: ((**لن تمسنا النار إلا أياما معدودات**)) . نأخذ الفوائد في المستقبل أو الآن ؟ نعم. ((**فكيف إذا جمعناهم ليوم لاريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون**)) أي فكيف تكون حالهم كيف تكون حالهم في هذا الوقت إذا جمعناهم ليوم لاريب فيه؛ والاستفهام للعظيم يعني ما أعظم ما تكون حالهم في تلك اليوم وما أشد حسرتهم إذا جمعناهم ليوم لاريب فيه أي جمعناهم لهذا اليوم أي فيه؛ واللام تأتي دائما بمعنى في ويسمونها لام التوقيت ومنه قوله تعالى: ((**يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن**)) أي في قبل عدتهم أي في استقبال عدتهم؛ فاليوم لاريب فيه أي جمعوا لهذا اليوم أي فيه وهو يوم القيمة . وقوله: ((**لاريب فيه**)) إما أنه خبر بمعنى النهي المعنى: لا ترتابوا فيه؛ أو أنه خبر على حقيقته والمعنى أن الله عزوجل يخبر عن هذا اليوم بأنه لاريب فيه أي لاريب في وقوعه؛ وهذا اليوم قد دل عليه الكتاب والسنة والعقل، أما الكتاب فما أكثر الآيات التي فيها إثبات اليوم الآخر، وما أكثر الأمثال التي يضربها الله عزوجل لإثبات هذا اليوم ببعث الخلائق، وأما في السنة فكثير أيضا إثبات هذا اليوم، وأما في العقل فلأن العقل يدل بالضرورة على أن هذه الخليقة لابد أن يكون لها معاد تحاسب عليه على ما أمرت به لأنه ليس من المعقول أن ينشئ الله خليقة يأمرها وينهاها ويبعث إليه الرسل وينزل عليها الكتب ويستباح دماء من لم ينقد لهذه الكتب ويتبع هؤلاء الرسل ثم تكون النتيجة أن تموت هذه البشرية ولا تبعث تكون ترابا؛ لو وقع هذا الفعل من أي أحد لقيل هذا سفه من أسفه السفه؛ لو أن الإنسان صنع ثوبا وخاطه وأتقنه ومن أحسن ما يكون ثم في النهاية أحرقه لعد الناس كلهم هذا سفها فكيف بهذه الخليقة التي خلقها الله عزوجل وأنزل عليها الكتب وأرسل

إليها الرسل وأباح دماء وأموال من لم ينقد بهذه الكتب ويتبع هؤلاء الرسل ثم تكون النتيجة أن تتلف هذه الخليقة بدون أي معاقبة وبدون أي حساب؛ فالكتاب والسنة والإجماع والعقل كلها دلت على ثبوت هذا اليوم الذي قال الله فيه: ((**فكيف إذا جمعناهم ليوم لاريب فيه**)) . ((**ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون**)) وفيت يعني أعطيت ومنه قولهم: وفاه حقه أي أعطاه حقه وافيا؛ وقوله: ((**كل نفس**)) من البشر؟ أو من غيرهم؟ من البشر والجن يعني من المكلفين الذين أمروا ونهوا هم الذين يوفون أجورهم أما من لم يتوجه إليه أمر ولا نهي فإنه يجمعون يوم القيمة ولكن ليس لهم أعمال يجازون عليه فلا يشملهم قوله: ((**ووفيت كل نفس ما كسبت**)) كيف تكون حال هؤلاء الذين تولوا وهم معرضون؟ تكون أسوأ حال . والعياذ بالله . لأنهم ينظرون إلى الناس وقد جوزوا بالثواب العظيم وإلى أنفسهم وقد جوزوا بالعذاب المهين فتكون أعمالهم حسرات عليهم . والعياذ بالله . يوم القيمة ولا يستفيدون لا من دنياهم ولا من أخراهم . وقوله: ((**كل نفس ما كسبت**)) يعني من خير أو شر بدليل العموم في كلمة: ما؛ ولكن كيف توفى؟ أم الخير فيوفى العامل الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، وأما في الشر فيوفى السيئة بمثلها إن لم يعفوا الله عنه، قد يعفوا الله عنه وقد يكون له أعمال صالحة تكفر هذه السيئات؛ فجزاء الله عزوجل وتوفيته للأعمال دائر بين الفضل والعدل، بين الفضل في أهل الخير، والعدل في أهل السوء؛ أما القسم الثالث وهو الجور والظلم فهذا ممتنع ولهذا قال: ((**وهم لا يظلمون**)) لا يظلمون فلا ينقص من حسناته ولا يزاد في سيئاته؛ ونحن نعلم أن من أوفى غيره حقه فلا يخلوا من ثلاث حالات؛ إما أن يوفيه بالفضل أو بالعدل أو بالجور إلا الله عزوجل فإن وفائه دائر بين العدل والفضل، وأما الجور والظلم فهذا ممتنع كقوله تعالى: ((**ولا يظلم ربك أحدا**)) ((**ما ربك بظلام للعبيد**)) ((**ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما**)) وفي الحديث القدسي أن الله تعالى قال: (**يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا**). والآن نرجع إلى فوائد الآية التي ذكرناها. قال الله تعالى: ((**إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق**. . .)) إلى آخره. في هذه الآية من الفوائد: أنه ينبغي أن يعلن لهؤلاء الكفار بما أمر الله تعالى أن يبشرهم به ((**بشرهم بعذاب أليم**)) والنبي عليه الصلاة والسلام لاشك أنه كلما كانت الحكمة في تبشيرهم بالعذاب الأليم بشرهم؛ وهكذا من ورث النبي صلى الله عليه وسلم في العلم والدعوة ينبغي أن يبشر كل كافر بآيات الله بالعذاب الأليم؛ لكن يجب أن يكون هذا تابعا لحكمة قد لا يكون من الحكمة إذا دعوت رجلا إلى الإسلام أن تقول تعال أنت كافر؟ فإذا قال: نعم، قلت: ابشر بالعذاب الأليم وأسلم؛ يصلح هذا؟ ما يستقيم لكن لكل مقام مقال؛ إذا دعوته وعاند واستكبر حينئذ يناسب أن تقول إن بقيت على ما أنت عليه فأبشر بالعذاب الأليم؛ أو يأتيك رجل يمدح لك هؤلاء الكفار

ويقول فيهم وفيهم وفيهم تقول يا أخي بشرهم بعذاب أليم ماذا ينفعهم هذا يوم القيمة؟. ومن فوائد الآية الكريمة: وجوب الإيمان بآيات الله؛ لأن الله تعالى توعد هؤلاء الكافرين بها بالعذاب الأليم . والإيمان بالآيات الكونية له معنى وبالآيات الشرعية له معنى؛ فالإيمان بالآيات الشرعية قلنا إنه هو: تصديق الأخبار والعمل بالأحكام وأن لا يتعرض بتحريفها، ثلاثة أشياء؛ وبالكونية أن لا يعتقد أن لله فيها مشاركا أو معينا أو مستقلا بملك . ومن فوائد الآية الكريمة: تحريم قتل النبيين وأنه بغير حق مهما كان؛ لقوله تعالى: ((**ويقتلون النبيين بغير حق**)) مع أن قتل النبيين بغير حق من جملة الكفر لكن نص عليه لشدة شناعته والعياذ بالله . ومن فوائد الآية الكريمة: تحريم أو شناعة كل من يقتل أو قاتل من يأمر بالقسط من الناس؛ منهم من يأمر بالقسط من الناس ؟ قلنا: إنهم علما وأمراء؛ فالعلماء يبينون الشرع والأمراء ينفذون الشرع فإذا قتلهم قاتل دخل في هذه الآية إذا كانوا يأمرون بالقسط . ومن فوائد الآية الكريمة: ثبوت العذاب على هؤلاء المتصفين بهذه الصفات؛ لقوله: ((**فبشرهم بعذاب أليم**)) . ومن فوائدها: أن العذب الذي يبشرون به ليس عذابا هينا يتحمل ولكنه عذاب مؤلم . ومن فوائد الآية التي بعدها: أن هؤلاء الذين كفروا بآيات الله وقتلوا أنبياءه وقتلوا آمرين بالقسط من الناس هؤلاء حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة فلا يستفيدون منها أما في الآخرة فظاهر وأما في الدنيا فلأنهم ينتفع بها فكأنها لم تكن . ومن فوائد الآية الكريمة: أن الكفر محبط للأعمال؛ لقوله: ((**أولئك الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة**)) ويدل لذلك أيضا قوله تعالى: ((**ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون**)) . ومن فوائد الآية الكريمة: أن هؤلاء الكفار ليس لهم ناصر ((**وما لهم من ناصرين**)) ولكن هل المراد ليس لهم ناصر في الدنيا والآخرة؟ أو في الآخرة؟ في الآخرة؛ أما في الدنيا فقد ينصرهم من كان على شاكلتهم ولكن هم ومن نصرهم مآلهم إلى الذل والخذلان؛ لأن الله تعالى يقول: ((**كتب الله لأغلبن ورسلي إن الله قوي عزيز**)) . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ((**قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك ممن تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير**)) قال الله تعالى: ((**إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون الناس بالقسط فبشرهم بعذاب أليم؛ أولئك الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين**)) أظن من هنا ((**أعمالهم في الدنيا والآخرة**)) أما في الدنيا فحبوط أعمالهم ظاهر لأنهم لا ينتفعون بأعمالهم في الآخرة؛ ولكن في الدنيا كيف يكون حبوط أعمالهم ؟ كيف ؟ يعني هم يقتلون النبيين وهم في آخر . . ؛ يعني في النهاية تحبط أعمالهم أي عزتهم وكبريائهم هذا وجه جيد؛ فيه أيضا

؟ لم تنع لهم أعمالهم الصالحة نعم فإذا لم تنفع صارت حابطة وإن انتفعوا بها في الدنيا لكن لما لم تكن نافعة لهم في الآخرة صارت ضائعة كما قال تعالى: ((**قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيمة**)) .

الشيخ : قوله تعالى: ((**ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون**)) الخطاب لمن في قوله: ((**ألم تر**)) الأخ نعم؟ للنبي صلى الله عليه وسلم ما في وجها آخر ؟

الطالب : كل من يتأتى له خطابه ؛

الشيخ : كل من يتأتى خطابه يعني كل من يصح أن يخاطب يخاطبه الله بقوله: ((**ألم تر**)) وهذا القول أعم من القول الأول.

الشيخ : من المراد بهم ؟

الطالب : اليهود والنصارى؛

الشيخ : طيب ((**نصيبا**)) هنا نكرة هل هو للتقليل أو للتكثير؟ ((**نصيبا**)) تدل على التقليل وقد ترد يعني وقد ترد دالة على ال قليلا؛ أيهما المراد هنا ؟

الطالب : المراد التقليل ؛

الشيخ : يعني أنهم أوتوا شيئا من العلم، شيئا قليلا نعم.

طيب ويش وجه المناسبة؟ إذا قلت المراد التقليل قد يقولون والله ما عندنا إلا علم قليل ولا ندري عن كتاب الله هل هو حق أو ليس بحق ؟ مناسبة أيش ما فهمت السؤال؛ أقول الآن إذا قلت المراد التقليل فكيف يكون العتاب عليهم وهم ليس عندهم إلا علم قليل لا يعرفون به الحق من الباطل؟ مراد أنهم أوتوا نصيبا يعني شيئا قليلا من العلم ما يكفيهم في أمر دينهم ودنياهم؛ طيب هؤلاء إذا دعوا إلى الله يقول والله ما نعرف به الحق حتى نلام عن التولي عنه؟ نقول يحتمل ((**نصيبا**)) شيئا كثيرا من العلم ولكنه مستكبرون إذا دعوا إلى كتاب الله فيحتمل أن يكون ((**نصيبا**)) شيئا قليلا؛ طيب إذا كل معنى له وجه؛ إن قلنا قليلا فوجه اللوم عليهم أنهم لم يؤتوا إلا علما قليلا كان الواجب عليهم أن يأخذوا بالعلم الذي دعوا إليه حتى يزدادوا علما؛ وأما إذا قلنا كثيرا فالوجه: أنه كيف يعلمون الحق لأنهم إذا أوتوا علما أو نصيبا كثيرا من الكتاب فمن جملتها أنهم يعرفون محمد صلى الله عليه وسلم فكيف يؤتون العلم الكثير الذي به تقوم الحجة ثم يستكبرون عنه؟ إذا فالآية صالحة

للوجهين جميعا . قوله: ((**يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم**)) الفاعل ((**ليحكم**)) من ؟ فاعل ليحكم هو اسم الجلالة والكتاب وكلاهما؛ يعني يجوز أن يكون عائدا إلى الله وعائدا إلى الكتاب كذا؟ نعم، لأن الكتاب يحكم وكذلك الله عزوجل يحكم بين عباده.

الشيخ : لماذا يتولون وهم معرضون، ما هو السبب الذي حملهم على ذلك ؟ خليل ؟

الطالب : استكبار؛

الشيخ : لا؛ قوله تعالى: ((**لن تمسنا النار إلا أياما معدودات**)) نعم هذا الذي دعاهم إلى ذلك؛ الغرور وأن أنفسهم غرتهم فقالوا: لن تمسنا النار إلا أياما معدودة ثم بعد ذلك تخلفوننا أنتم يا محمد وأصحابه فيها؛ ولهذا قال الله: ((**وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون**)) .

الشيخ : ما المراد بالاستفهام في قوله: ((**فكيف إذا جمعناهم ليوم لاريب فيه**)) ؟

الطالب : تعظيم هذا اليوم،

الشيخ : كيف حول هذا اليوم وجمعناهم، أو كيف حالهم هذا اليوم إذا جمعوا؛ فيتضمن تعظيم هذا اليوم وتهديد هؤلاء ؟ نعم؛ إذا لتعظيم ذلك اليوم ولتهديد هؤلاء القوم .

الشيخ : ما المراد بهذا اليوم ؟

الطالب : يوم القيمة ؛

الشيخ : قال الله: ((**لاريب فيه**)) ؟ أي لاشك فيه؛ لماذا لاشك فيه وهو أمر غائب ؟ لأن المخبر عنه حق إن الله هو الذي أخبر عنه؛ الكتاب والسنة والعقل يدل عليه؛ لأن كلا من الكتاب والسنة والعقل دل على هذا اليوم والناس يبعثون .

نريد ما محمد بن سلامة دليلا من القرآن على ثبوت هذا اليوم غير الآية التي معنا ؟ قوله تعالى: ((**قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيمة**)) طيب هذا ممكن ما فيه آية تدل على أن الناس يجمعون في ذلك اليوم عشان توفق للمعنى ؟ ((**زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم**)) نعم ما في دليل على نفس الجمع ؟ قوله تعالى: ((**يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن**)) زين صح أي نعم، وفي سورة هود : ((**ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود**)) طيب .

الشيخ : يقول الله عز وجل: ((**ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون**)) ((**و وفيت كل نفس**)) ما معناها شيبة ؟

الطالب : نعم معناها أعطيت كل نفس حقا ،

الشيخ : وافيا أحسنت .

الشيخ : جملة: ((**وهم لا يظلمون**)) محلها من الإعراب ؟

الطالب : خبر؛

الشيخ : لا ؛

الطالب : حال؛

الشيخ : حال من أين؟

الطالب : من ((**كل نفس**)) ؟

الشيخ : من كل الدنيا من الفعل والفاعل و ؟ ما عندنا فاعل عندنا نائب فاعل لأن وفي فعل ماضي مبني على المجهول؛ أيه نائب الفاعل وهو قوله: ((**كل نفس**)) طيب .

ما معنى نفي الظلم أو ما المراد به ؟ نفي الظلم عدم الجور ، نفي الظلم هو المراد بها عدم الجور؛ لأن التوفية ثلاثة أقسام؛ لا لا نحن نريد نفي الظلم، الظلم إما يكون بنقص شيء من الحسنات أو زيادة سيئات؛ أما كيف التوفية هي التي أنت تريد التوفية لها ثلاثة أقسام: عدل، وفضل، وجور؛ فالجور منتفي، والعدل والفضل ثابت. نأخذ الفوائد ؟ طيب . ثم قال الله عز وجل: ((**ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب**)) إلى آخره . يستفاد من هذه الآية فوائد؛ أولا: أنه ليس كل من أعطي علما يوفق للعلم به؛ لقوله: ((**يدعون إلى كتاب الله ثم يتولى**)) . ومن فوائد الآية الكريمة: التعجب من هؤلاء وما أعظم التعجب أن يعطيهم الله العلم ثم بعد ذلك لا يقبلون على كتاب الله عز وجل . ومن فوائدها: أن هؤلاء قد قامت عليهم الحجة بكونهم دعوا وهذا هو محط الذم، هذا محط الذم؛ أما لو لم يدعون ولم يعلموا بالحق فإنهم لا يذمون على ذلك إذا لم يفرطوا بطلب الحق . ومن فوائد الآية الكريمة: أن الواجب التحاكم إلى كتاب الله؛ لقوله: ((**يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم**)) . ومن فوائدها: أنه لا حكم إلا لله بما جاء في كتابه؛ فلا أحد من الحكام يستطيع أن يشرع أحكاما مخالفة لأحكام الله بل من شرع مخالفة لأحكام الله وألزم العباد بها فهو كافر بالله عزوجل، كافر اللهم إلا أن يعذر بتأويل سائق فهذا قد يخرجه من الكفر؛ لكن فعله من حيث هو فعل يؤدي إلى كفره . ومن فوائد الآية الكريمة: أن الحكم في كتاب الله يكون في كل شيء كالعبادات والمعاملات والأخلاق والأعمال كل شيء؛ لأنه لم يخصص ((**بل ليحكم بينهم**)) في كل شيء . ويتفرع على هذه الفائدة: الرد على من قال: إن الشرع إنما جاء لتنظيم العبادات فقط أما المعاملات فهي للخلق واستدلوا لذلك بأن النبي صلى الله عليه وسلم قدم المدينة ورأى الناس يعبرون النخل . معنى يعبرونها: يلقحونها . فقال عليه الصلاة والسلام: ما أرى ذلك يغني شيئا هذا أو معناه فتركوا التعبير ففسدت التمر؛ لأن النخل إذا لم يعبر فسدت؛ فلما فسدت الثمار جاءوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم يخبرونه فقال: (**أنتم أعلم بأمور دنياكم**) قالوا: فوكل علم أمور الدنيا إليهم بل جعلهم أعلم منه بهذا؛ وعلى هذا فأمور الدنيا لا يتدخل فيها الشرع؛ ولكن هذا فهم خاطئ، فهم خاطئ باطل؛ وذلك لأن أمور الدنيا إما أحكام شرعية كالتحليل والتحريم فهذه مرجعها إلى الشرع، وإما أمور فنية تدرك بالتجارب والتعلم فهذه مرجعها إلى أهل الخبرة؛ فكم من عالم عنده علم غزير واسع في أمور الشرع لا يستطيع أن يصنع بابا ولا إبرة ويأتي رجل جاهل من أجهل ويستطيع أن يصنع بابا من أحسن الأبواب وإبرة من أحصل الإبر أليس كذلك؟ بلى؛ ومسألة الصحابة رضي الله عنهم في التعبير مسألة حكمية أو مسألة فنية ؟ فنية بلاشك تدرك بالتجارب والنبي عليه الصلاة والسلام كما نعلم ولد بمكة ومكة ليست ذات نخل ولا يعلم عن هذا شيئا فصار أهل المدينة الذين مارسوا التجارب في هذه الأمور صاروا أعلم منه بذلك؛ أما مسألة الشرعية فلاشك أن الله ورسوله أعلم؛ المهم أن الحكم لمن ؟ لله ولا يجوز

أن يكون الحكم لأي شيء سوى الله . فإن قال قائل: ألستم ترجعون إلى العرف في أمور كثيرة ؟ بلى؛ لكن من الذي رجعنا إلى العرف؟ الشرع؛ إتيان العرف ((**عاشروهن بالمعروف**)) ((**أمسكوهن بالمعروف أو فارقوهن بالمعروف**)) فالشرع هو الذي أمرنا أن نرجع إلى العرف؛ وإذا أمرنا أن نرجع إلى العرف رجعنا إليه وحكمناه؛ ولهذا إذا تنازع الزوجان في قدر النفقة لا نذهب إلى الكتاب الفلاني أو الكتاب الفلاني البخاري أو مسلم أو أبو داود أو ما أشبه ذلك لا نرجع إلى هذا؛ نرجع إلى من ؟ إلى أهل الخبرة في العرف في كل زمان ومكان بحسبه؛ إذا الحكم فيما رد إلى العرف لمن؟ للشرع ، الحكم للشرع هو الذي أمرنا أن نرجع إلى العرف فأهل العرف حكموه . ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن هؤلاء الذين دعوا إلى كتاب الله ممن أوتوا نصيبا من الكتاب لم يتولوا جميعا بل تولى فريق منهم؛ والأمر كذلك فإن كثيرا من اليهود والنصارى أسلموا وحسن إسلامهم وكان لهم قدم صدق في الإسلام . ومن فوائد الآية الكريمة: ذم من يتولى بإعراض؛ لقوله: ((**ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون**)) ؛ لأن التولي كما ذكرنا في التفسير قد يكون عن إعراض وقد يكون عن غير إعراض؛ والتولي مذموم كله لكن إذا كان عن إعراض وعدم مبالاة كان أشد . ثم قال الله عز وجل: ((**لن تمسنا النار إلا أياما معدودات**)) من فوائد هذه الآية الكريمة: بطلان الأماني، وأن النفس قد تمني الإنسان ما لا يكون؛ لأن هؤلاء منتهم أنفسهم حيث قالوا: ((**لن تمسنا النار إلا أياما معدودات**)) . ومن فوائدها: تحذير الإنسان أن يتكل الأماني؛ لأن هذا من صنع اليهود والنصارى؛ وكثير من العامة الآن يقعون في المعاصي ويمنون أنفسهم المغفرة؛ إذا وقع في المعصية قال يا أخي اتق الله لا تعص الله قال: الله غفور رحيم؛ صحيح؟ صحيح إن الله غفور رحيم؛ لكن الله قال: ((**نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم**)) وقال: ((**اعلموا أن الله شديد العقاب وأن الله غفور رحيم**)) فلما أمر نبيه أن ينبئ بدأ بالمغفرة، ولما أخبر عن نفسه بدأ بالعقوبة؛ لأن المقام مقام سلطان وعلو قال: ((**اعلموا أن الله شديد العقاب وأن الله غفور رحيم**)) ؛ إذا ماذا نقول لهذا الذي قال: الله غفور رحيم ؟ نقول: والله شديد العقاب أيضا نعم؟؛ يتمنى بعض العاصين الأماني ويقول: ((**إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء**)) فهو يريد أن يزني ويسرق ويشرب الخمر ويعمل كل شيء دون الشرك ثم يقول: إن الله يقول: ((**ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء**)) وهذا خطأ خبر من الله عزوجل وهو أصدق القائلين ؟ فماذا نقول ؟ نقول: اقرأ الآية لا تكن أعمى أو أعور ما تنظر إلى بعين؛ يغفر ما دون ذلك مطلقا لمن يشاء ومن لا يشاء لا يغفر له فهل أنت تجزم بأنك ممن شاء الله أن يغفر له ؟ أبدا، ما تجزم، لا تجزم لا بهذا ولا بهذا إذا فأنت على خطأ أنت على خطأ على أن الذي يستخف بمعصية ويلبس على نفسه وعلى الناس قد يكون ممن لا يشاء الله أن يغفر له . نعوذ بالله . لأن هذا مستهزئ مستهين؛ إذا الذين يتمنون على الله الأماني

مع استمرارهم على المعاصي يشبهون من ؟ اليهود والنصارى؛ ولهذا جاء في الحديث: (**الكيس من دان نفسه . أي حاسبها. وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني**) . ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن هؤلاء يؤمنون بالبعث ولكن لم ينفعهم الإيمان؛ من أين يؤخذ؟ من قولهم: ((**لن تمسنا النار إلا أياما معدودات**)) ؛ ويتفرع على هذا: أنه لا يكفي في الإيمان أن يؤمن الإنسان بوجود الله وباليوم الآخر دون أن يستلزم هذا الإيمان قبولا وإذعانا مجرد التصديق لا يعتبر إيمانا لابد من القبول والإذعان؛ ودليل هذا نصوص كثيرة منها: أن أبا طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقر بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم حق، ويقول:

لقد علموا أن ابننا لا مكذب لدينا ولا يعنى بقول الأباطل

ويقول: ولقد علمت أن دين محمد من خير أديان البرية دينا ؛ ومع ذلك لم ينفعه هذا الإقرار؛ لأنه لم يسحبه قبول وإذعان وختم له في الآخر . والعياذ بالله . بأنه قال على ملة عبد المطلب؛ ولكن نظرا لما حصل منه من دفاع عن الإسلام أذن الله عزوجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم أن يشفع له فشفع فكان في ضحضاح من نار وعليه نعلان يغلي منهما دماغه أبد الآبدين . والعياذ بالله . أبد الآبدين وهذا أهون أهل النار عذابا . أجارني الله وإياكم منها . ولم نعلم أن كافرا نفعت فيه الشفاعة على الإطلاق بمعنى أنه سلم من العذاب أبدا ولم نعلم أن كافرا خفف عنه العذاب بالشفاعة إلا أبا طالب؛ إذا نقول: إن الإيمان باليوم الآخر وبأن هنالك نارا لا يكفي في الإيمان بل لابد من القبول والإذعان . ومن فوائد الآية الكريمة: أن الإنسان قد يغره ما هو عليه من الدين، قد يغره ما هو عليه من الدين؛ لقوله: ((**وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون**)) فيغتر بأنه يصلي، ويزكي، ويصوم، ويحج؛ ثم يقول في نفسه: لن أعذب ، وهذا قصور في النظر؛ لأنه ليس الشأن أن تصلي أو تزكي أو تصوم أو تحج الشأن كل الشأن أن يقبل منك هذا العمل، الشأن كل الشأن أن يقبل منك هذا العمل؛ كم من عامل ليس له من عمله إلا التعب لوجود مبطل سابق أو لاحق؛ سابق كفوات الإخلاص مثلا؛ لا حق كالإعجاب للعمل والادلال به على الله عزوجل، وأن يرى الإنسان لنفسه حقا على الرب وهذا قد يبطل العمل؛ فعملك محفوف بأخطار سابقة وأخطار لاحقة؛ ولهذا لا تغتر بما أنت عليه من الدين بل اسأل ربك دائما التوفيق والقبول؛ التوفيق سابق، والقبول لاحق حتى الإنسان ربما يريد الخير ويحب الخير ولكن يبتلى بالبدعة؛ كم من أناس يحبون الخير وعندهم ومحبة لله ورسوله ولكن يبتلون بالجهل فيبتدعون في دين الله ما ليس منه؛ ويكون عملهم هذا حابطا أو مقبولا؟ حابطا؛ لأن من شرط قبول العمل أن يكون موافقا لما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام؛

لقول النبي عليه الصلاة والسلام: (**من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد**). وقال الله عز وجل: ((**فكيف إذا جمعناهم ليوم لاريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون**)) . في هذه الآية دليل على عظم ذلك اليوم؛ لقوله: ((**فكيف إذا جمعناهم**)) ((**ووفيت كل نفس**)) . وفيها دليل أيضا: على النداء بالنعي على هؤلاء الذين ليس لهم في ذلك اليوم إلا الخيبة والخسران؛ ولهذا قال: كيف تكون الحال في ذلك اليوم؟ والجواب: أن حالهم أخيب حال، أخيب حال هي حالهم . والعياذ بالله ؛ لأنهم ليس عندهم شيء خسروا دينهم ودنياهم . ومن فوائد الآية الكريمة: إثبات اليوم الآخر؛ لقوله: ((**ليوم لاريب فيه**)) . ومن فوائدها: أن من كفر اليوم الآخر أو شك فيه فهو كافر؛ لأنه مكذب لقوله تعالى: ((**لاريب فيه**)) فالله أخبر بأن هذا اليوم لاريب فيه أمر واقع ولابد لابد أن تجتمع مع أمك وأبيك وأختك وأخيك في ذلك اليوم؛ لكن تجتمع بهم وأنت تفر منهم ((**يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه**)) حتى يستقر الناس في منازلهم فإذا استر الناس في منازلهم واجتمع بهم في الجنة فهذه غاية المنى ((**والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء**)) الصغار الذي ماتوا وهم لم يكن لهم ذرية يلحقون بآبائهم ليجتمعوا إليهم؛ لكن هل يلحق الأعلى ينزل الأدنى وإلا بالعكس؟ بالعكس يعني يرفع الأدنى إلى الأعلى؛ أما من كان له ذرية من الأولاد فهو مستقل بنفسه في منزلته لأن هذا له ذرية؛ على كل حال في قوله: ((**فكيف إذا جمعناهم ليوم لاريب فيه**)) دليل على أن من شك في هذا اليوم أو أنكره فهو كافر لتكذيبه لله عز وجل . ومن فوائد الآية الكريمة: أن يوم التوفية الكاملة هو يوم القيمة؛ لقوله: ((**ووفيت كل نفس ما كسبت**)) وإنما قلت التوفية الكاملة لأن الإنسان قد يوفى شيئا من عمله في الدنيا أليس كذلك؟ بلى قد يوفى في الدنيا لكن يوفى في الآخرة أيضا توفى النفوس ما عملت؛ قد يوفى في الدنيا وماذا يوفى؟ قال الله تعالى: ((**ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب**)) مخرجا من كل ضيق وسعة في الرزق ويرزقه من حيث ما يحتسب هذا في الدنيا وهذا جزاء؛ وهناك جزاء آخر أعظم وأنفع وهو الهدى، الهدى قال الله تعالى: ((**والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم**)) الهدى والعمل الصالح هذا أفضل من المال، أفضل من المال؛ لأن الهدى إذا زاد الله الهدى انشرح صدره واستنار قلبه واطمئن؛ ثم صارت التقوى عنده أسهل من كل شيء وصارت الأعمال الصالحة رياض قلبه وسرور نفسه؛ ولهذا قال رسول الله صلوات الله وسلامه عليه: (**جعلت قرة عيني في الصلاة**) والمؤمن كل الأعمال الصالحة قرة عينه لأنه يشعر في كل عمل صالح يشعر بأمرين عظيمين؛ الأمر الأول: أنه يتعبد لله بالعمل الصالح فيزداد ذلا لربه ومحبة له وإنابة إليه؛ والأمر الثاني: أنه بذلك متبع لرسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فهو يشعر حين فعل العبادة أن إمامه محمد صلى الله عليه وسلم فيزداد محبة لرسول الله

صلى الله عليه وسلم وتعظيما لقوله بل وتعظيما لهديه وسنته؛ وهذا أعظم كسب أعظم كسب أن يحصل لك هذا الأمر في العبادة والتقوى . ومن فوائد هذه الآية الكريمة: انتفاء الظلم عن الله عزوجل؛ لان قوله: ووفيت وهم لا يظلمون؛ فاعلها معروف؛ من الموفي ؟ الله ؛ والذي لا يظلم الله ولكن انتفاء الظلم عن الله سبحانه وتعالى هل هو من الصفات الثبوتية أو من الصفات المنفية التي يسمونها بالسلبية ؟ الثاني إلا أننا نقول لا يظلم أي ليس في جزائه أدنى ظلم فيكون نفي الظلم لكمال العدل؛ انتبه لأن الظلم قد يكون كاملا وقد يكون ناقصا؛ يعني قد يكون كاملا بحيث لا يعطى شيئا من جزاء عمله؛ وقد يكون ظلما ناقصا يعطى بعض الشيء؛ فإذا نفى الله عن نفسه ظلم صار ذلك مستلزما لكمال عدله؛ وكذلك ((ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب)) اللغوب يعني تعب والإعياء؛ فالله عزوجل خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ولم يمسه لغوب أي تعب وإعياء؛ لماذا؟ لكمال قوته وقدرته عزوجل؛ الإنسان يعمل العمل لكن يتعب، أما الرب عزوجل لكمال قدرته وقوته خلق السموات والأرض وما بينهما في أيام يسيرة ستة أيام وما مسه من لغوب؛ طيب إذا نأخذ من هذا قاعدة مفيدة في باب الصفات وهي: أن كل صفة نفاها الله عن نفسه فإنما يراد بها ثبوت كمال الضد؛ فضد الظلم العدل، إذا انتفى الظلم فهو لكمال العدل؛ ضد القدرة والقوة: التعب؛ فإذا انتفى التعب؟ ثبت كمال القدرة والقوة وعلى هذا فقس.

السائل : شيخ قوله: ((**فكيف إذا جمعناهم ليوم لاريب فيه**)) وقوله: ((**لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيمة يفصل بينكم**)) كيف ؟

الشيخ : يوم القيمة يفصل بينكم يعني يحكم بينكم ثم يكون الفصل؛ فالناس يجتمعون في المحشر جميعا أولا ثم ينفصلون ففريق في الجنة وفريق في السعير .

السائل : قوله: ((**لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم**)) لكن دل حديث على أن الولد ينفع لأبيه مثل حافظ القرآن ينفع ؟

الشيخ : هذا يخاطب به الكفار؛ يخاطب المؤمنين يعني معناه لا تحابوا الكفار لا تتخذهم أولياء فإن ذلك لا ينفعهم .

السائل : يقول بعض العلماء: إنهم بنو قولهم هذا على أنهم عبدوا العجل أربعين ليلة وقالوا إن الله يعذبنا بقدر معصيتنا بقدر العبادة للعجل فقط، أربعين يوم ثم أنتم تخلفوننا.

صار هذا خاص باليهود ؟

الشيخ : أي نعم هم الذين يقولون هكذا ((**لن تمسنا النار إلا أياما معدودات**))

السائل : شيخ قلنا إذا عمل الإنسان عملا بدعيا حبط عمله بهذا العمل ؛ لا يقبل منه؛ لكن إذا صار الجاهل ما ؟

الشيخ : أي ما يقبل منه على أنه عمل يعني يثاب على نيته التقرب إلى الله أما هذا العمل لا (**من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد**) (**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**) لكن يثاب على نيته الخير فقط ومع ذلك إذا أقيمت عليه البينة بأنه مبتدع لا يثاب ولا على نيته .

السائل : قوله: ((**ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس**)) فما حكمهم يا شيخ ؟

الشيخ : الحكم دون هذا؛ نعم ؟ أقول دون ذلك؛ طيب هل هم مقاتلون يا شيخ ؟ نعم؟ مقاتلون ؟ من الذي يقاتل ؟ الذين يقتلون ؟ لا لا ما يقاتلون؛ نعم؟ لا؛ لأنهم كفار يا شيخ؟ لا ما هم كفار؛ هم ((**يقتلون الذين يأمرون القسط من الناس**)) ؟ هذه من صفات الكفار لكن قد يفعل هذا من ليس كافر؛ أي نعم أن الله عزوجل أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يبشرهم بالعذاب هذا فيه إعلان من الله عزوجل أن النبي صلى الله عليه وسلم يعلن؟ أيش تقول؟ ((**إن الذين يكفرون بآيات الله**)) أول ما هو الكفر، كفر؛ ومن جملة أعمالهم القتل؛ فالذين يقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس أخذوا من أعمال هؤلاء الكفار القتل لكن لا يلزم من هذا أن يكونوا كفارا لأن قتل النفس لا يستلزم الكفر كما قال تعالى: ((**فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان**)) هذا أخ في الإسلام يا شيخ؟ نعم؟ هذا أخ في الإسلام وهذا يقتل الذي يأمر بالقسط هذا ما هو عدو له ؟ نعم نعم على كل حال هو لا يكفر اللهم إلا أن يكون فعله هذا كراهة للحق فهذا شيء ثاني.

السائل : الذي يعلن بالمعاصي ؟ كيف ؟ يجهر بالمعاصي ؟ ويش معنى يجهر ؟ يعني الفعل الذي يفعلونه ؟

الشيخ : نحن ذكرنا في أثناء التفسير أن الله أمر نبيه أن يبشرهم بعذاب أليم فيحتمل أن هذا حكم لهم ويحتمل أن الله أمره بأن يقول ذلك وذكرنا أن هذا ينظر فيه المصلحة.

السائل : شيخ الغالب إن الذين يقتلون الذي يأمرون بالقسط من الناس أن هؤلاء لا يقتلون لأشخاصهم فقط وإنما لهذا المنهج الذي هم يسيرون عليه؛ نعم صحيح؛ فهم كفروا ؟

الشيخ : لكن ما نكفرهم إلا إذا علمنا؛ لأنهم قد يقتلونهم لسبب آخر؛ هل كل من يؤمر بالقسط من الناس نيته صالحة ؟ فيها الآن أناس يأمرون بالقسط من الناس ليصلوا إلى الحكم وإذا وصلوا إلى الحكم صاروا أخبث من الذين قالوا فيهم؛ ولهذا مسائل هذه دقيقة ما هي هينة نعم .

السائل : شيخ سؤال بنسبة لإقامة الحجة هل يكفي إقامتها هل يكفي أن تبين للناس أو لازم أن ؟

الشيخ : أرأيت لو جيء إليك برجل من العجم وقلت يا هذا الكافر اتق الله وأسلم؛ ويش هذا ؟ هل بلغت الحجة؟ وأيضا نحن نسميها حجة ولا حجة إلا بعد معرفته.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ((**قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك ممن تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتزل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير؛ تولج الليل في النهار و تولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب**)) . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. قال الله تعالى: ((**قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء** ...)) الخطاب لا يخفى أنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومناسبة هذه الآية لما قبلها أن الذين أوتوا نصيبا من الكتاب إذا دعوا إلى كتاب الله ليحكم بينهم تولوا يريدون أن تكون السيادة لهم لا لغيرهم؛ فأمر النبي عليه الصلاة والسلام أن يدعوا الله هذا الدعاء المتضمن لهذه الصفات العظيمة التي مقتضاها قدرة الله سبحانه وتعالى على أن ينقل الرسالة التي يتبعها الملك من بني إسرائيل إلى العرب بمحمد صلى الله عليه وسلم فهذا وجه ارتباط هاتين الآيتين بما قبلهما أي أن هؤلاء الذين تولوا وأعرضوا إذا دعوا إلى كتاب الله ليحكم بينهم لاشك أنهم يريدون أن تبقى السيادة لهم وأن يمنعوها غيرهم فأمر الله نبيه أن يبتهل إلى الله بهذا الدعاء المتضمن قدرة الله على نقل النبوة التي يتبعها الملك من بني إسرائيل إلى العرب فقال: ((**قل اللهم مالك الملك**)) وقد سبق الكلام على هذه الجملة ((**اللهم**)) وبينا أنها منادى حذفت منه ياء النداء وعوض عنها الميم؛ ولهذا لا يجمع بينهما ولا يجمع بينهما إلا في حال الشذوذ كما قال بن

مالك: وشذ اللهم في قريظه؛ أي في النظم . وقوله: ((**اللهم مالك الملك**)) أي يا الله؛ وقوله: ((**مالك الملك**)) مالك اسم فاعل و((**الملك**)) يحتمل أن يكون بمعنى المملوك أي مالك المملوكات كلها ويحتمل أن يكون المراد بها تدبير أي مالك تدبير الخلائق كلها؛ والأمران ثابتان لله عزوجل؛ فهو مالك المملوكات كلها بأعيانها؛ وهو مالك التصرف فيها لا يشركه فيها أحد هو الذي يدبر الأمر ويملك المأمور . وقوله: ((**مالك الملك**)) قيل إنه بدل من الله ولكنه نصب لأنه مضاف والبدل يكون على نية إعادة العامل وأنك لو سلطت الياء التي هي ياء العامل في ((**اللهم**)) لو سلطتها على ((**مالك الملك**)) لوجب النصب لأن المنادى إذا أضيف يجب فيه النصب؛ وسواء قلت إنها بدل أو إنها منادى حذف منها حرف النداء فإن المعنى لا يختلف قال: ((**مالك الملك**)) ثم فسر فقال: ((**تؤتي الملك من تشاء**)) والأصح أن ((**تؤتي**)) هذه جملة استئنافية لبيان كيف يكون ملك الله عزوجل لهذا المملوك فقال: ((**تؤتي الملك من تشاء**)) وقال: ((**تؤتي**)) أي تعطي ولم يقل تملك؛ لأن ما يكون للبعد من الملك إنما هو من إعطاء الله تعالى إياه وتسليطه عليه؛ ولهذا لا يتصرف المالك من المخلوقين بما ملك إلا على حسب أيش ؟ إلا على حسب الشريعة التي شرعها الله عزوجل؛ لان الإتيان من الله فالتصرف في هذا المؤتى إلى الله عزوجل لا إلى الإنسان؛ فالإنسان لا يملك أن يتصرف تصرفا مطلقا فيما ملكه الله . وقوله: ((**تؤتي الملك من تشاء**)) هي الجملة الفعل تؤتي من أفعال التي تنصب مفعولين ليس أصلهما المبتدأ والخبر ومفعولها الأول الملك، ومفعولها الثاني من . وقوله: ((**تؤتي الملك من تشاء**)) نحن نعلم أن من سنة الله عزوجل أن كل شيء له سبب إما شرعي وإما كوني لأن ها مقتضى حكمة الله سبحانه وتعالى وإذا كان كذلك فإن إتيان الله الملك لمن يشاء مقيد بسبب فلابد أن يكون له سبب؛ فالملك قد يكون مستقلا عن الرسالة وقد يكون تابعا للرسالة؛ فإذا كان مبنيا على الشريعة صار تابعا للرسالة وإذا كان غير مبني على الشريعة كان مستقلا قال الله تعالى: ((**ألم تر إلى الذي حاج ابراهيم في ربه أن آتاه الله الملك**)) وهذا الملك تابع للرسالة ولا لا؟ مستقلة؛ لا هذا مستقل ما متبع للرسالة لأنه كافر هذا الذي يحاج ابراهيم في ربه؛ وأما قول النبي عليه الصلاة والسلام: (إن الله سوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وأن ملك أمتي سيبلغ ما حوالي منها أو ما زواري منها) فالمراد بالملك هنا ملك النبوة يعني الملك التابع للنبوة؛ فهنا يقول: ((**تؤتي الملك من تشاء**)) يشمل الملك المستقل الذي قد يكون مبنيا على الكفر والملك التابع للرسالة وهو المبني على الشريعة . قال: ((**تؤتي الملك من تشاء**)) ثم إن: ((**من تشاء**)) ككثير من الآيات الكريمة المقيدة للحكم بالمشيئة أو المعلقة للحكم بالمشيئة تقيد كلها بما تقتضي الحكمة . ((**وتنزع الملك ممن تشاء**)) قوله: ((**تنزع الملك**)) يحتمل الوجهين؛ الوجه الأول: نزع بعد ثبوت؛ والوجه الثاني: نزع بمعنى المنع؛ فعلى الأول يكون فيه

إشارة إلى أن الله تعالى يملك من يشاء من خلقه ثم ينزع عنه الملك؛ وكم من ملك ملك ثم زال ملكه إما بالغلبة له أو بموته أو بغير ذلك؛ ويحتمل أن تكون بمعنى المنع أي تملك من شئت ولا تملك من شئت؛ وكلا المعنيين صحيح؛ فالله تعالى قد يملك الإنسان الملك وقد ينزع الملك منه بعد ثبوته له وكلاهما صحيح؛ إذا الملك بيد الله تؤتيه من تشاء فهذا يملكه وهذا لا يملكه وهذا يملكه ثم ينزع الملك منه وهذا يملكه ويستمر الملك له حتى يتوفاه الله. ((**وتنزع الملك ممن تشاء**)) ولكن يكون هذا بالحكمة أيضا؛ فقد يكون هذا الملك الذي ينزع منه الملك غير صالح للملك لكونه من أصحاب الفساد في الأرض فيسلط عليه من ينزع الملك منه؛ وقد يكون هذا الملك ضعيفا هو لا يريد الفساد لكنه ضعيف لا يقيم الإصلاح فيسلط عليه من ينزع الملك منه؛ وهذا كثير في التاريخ لو تدبرتموه؛ والله سبحانه وتعالى لا يفعل شيئا إلا لحكمة. ((**وتعز من تشاء وتذل من تشاء**)) والإعزاز هنا يعني التقوية؛ أي تجعله عزيزا قويا غالبا على غيره؛ وكذلك تذل من تشاء؛ وهل هذا ملازم للملك أي تعز من تشاء من الملوك أو تذل من تشاء أو هو عام؟ عام، هو عام؛ قد يعز الله الإنسان بدينه وعلمه وإيمانه وإن لم يكن ملكا؛ وقد يعزه بملكه؛ وكذلك في الذل قد يذله بالمعصية وبالغلبة؛ بالمعصية هذا في مقابل عز بالإيمان وبالغلبة في مقابل عز بالملك؛ المهم أن الإعزاز والإذلال لا يستلزمان الملك ولا يستلزمهما الملك؛ فمن الذي يعزه الله؟ يعز الله من ذكره بقوله: ((**ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين**)) فالعزة لله لكن لا دخل. .؛ لكن الذي يعزهم الله هم الرسل وأتباعه كما قال الله تعالى: ((**كتب الله لأغلبن إنا ورسلي إن الله قوي عزيز**)) فمن أسباب العزة الإيمان سواء كان الإنسان ملكا أم غير ملك؛ ومن أسباب العزة الاستعداد والحذر والحزم والقوة والنشاط كل هذه من أسباب العزة لكن هذه الأسباب المادية الحسية والإيمان سبب معنوي؛ على أن الإيمان قد يكون من ثمرته ونتيجته أن يكون الإنسان قويا حازما ينظر إلى الأمور بمنظار الحكمة فتحصل له بذلك العزة . قال: ((**وتعز من تشاء وتذل من تشاء**)) يذل الله من يشاء ممن آتاه الله الملك وممن لم يؤته حتى الملك ربما يكون ملكا ولكنه ذليل ضعيف خائف كل شيء يخاف منه ولا يكون عنده حزم وقوة ونشاط ؛ وقد يذل الله سبحانه وتعالى الإنسان في ملكه وقد يذل الله من لم يكن ملكا؛ ومن أسباب الذل أن يعجب الإنسان بنفسه وأن يتعرض لما لا يمكنه دفعه؛ فهذان شيئان: إعجابه بالنفس قد يخذله ويذله؛ كذلك تعرضه لما لا يمكنه دفعه قد يكون سببا لذله أيضا وخذلانه؛ وكلا الأمرين يقع فيهما كثير من الناس؛ فكثير من الناس يتكلم أو يفعل غير ملتفت إلى الاستعانة بالله عزوجل فيخذل؛ وكثير من الناس يتعرض للأمور التي لا يمكنها دفعها تكون أمورا كبيرة فوق مستواه ثم يخذل ويذل؛ ولهذا جاء في الأثر: (لا ينبغي لأحدكم أن يذل نفسه فقالوا كيف يذل نفسه؟ قال: يتكلم بما لا يمكن أن يدفعه أو كلمة هذا معناها؛ فالإنسان ينبغي له أن لا يعارض نفسه للذل بسبب

فالإنسان لا يعرض نفسه للذل بسبب معقول أو بمعنوي أو بغير ذلك؛ فالأول: أن يكون معجبا بنفسه يقول القول أو يفعل الفعل غير ملتفت لماذا؟ للاستعانة بالله؛ والثاني: يتعرض نفسه لأمور لا يمكنه دفعها أمور أكبر من مستواه؛ ولنفرض واحد يريد يتكلم بالفقه وهو لا يعرف الفقه فيخذل ويذل، يتكلم في النحو وهو لا يعرف النحو، يتكلم في الأصول وهو لا يعرف الأصول فيظهر ذله أمام الناس؛ ولهذا ينبغي للإنسان أن يتحرى في قوله حتى لا يقع في شبكة الذل. ((**وتذل من تشاء بيدك الخير**)) الخير بيد الله عزوجل؛ والخير كل ما فيه مصلحة ومنفعة للعبد فهو خير سواء كان ذلك في أمور الدنيا أو في أمور الآخرة؛ فالرزق والصحة والعلم هذه أيش؟ هذه الخير والعمل الصالح أيضا خير؛ فكل ما ينتفع الإنسان في دينه ودنياه فهو خير؛ وهذا كله بيد الله كما قال تعالى: ((**وما بكم من نعمة فمن الله**)) وهنا ذكر أن الخير بيده ولم يذكر الشر مع أن الخير من الله والشر من الله؛ فقال بعض المفسرين: إن هذا من باب حذف المقابل المعلوم كقوله: ((**وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر**)) وزعموا أن تقدير الآية: بيده الخير والشر؛ ولكن هذا وهم باطل هذا وهم باطل وليس المقام مقام حذف وقصر أو اختصار؛ المقام مقام الثناء والثناء ينبغي فيه البسط ينبغي فيه البسط والتوسع في الكلام فالحذف غير مناسب لفظا وهو باطل معنى؛ لأن الله لا يضاف إليه شر ولا يجوز أن نقول بيده شر؛ لأنه ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (**والشر ليس إليك**) فلا ينسب إلى الله الشر قولا ولا فعلا فالله يقول الحق وهو يهدي السبيل ويفعل الخير ولا يفعل الشر؛ وإذا وجد شر في المفعولات فهو شر من وجه خير من وجه آخر؛ لكن إيجاز الله لهذه الأشياء الشريرة ليس شرا بل هو خير، خير محض؛ ففعل الله ليس فيه شر إطلاقا؛ والشر إنما هو في أيش؟ في المفعولات لا في الأفعال؛ أما الخير فهو في المفعولات والأفعال؛ ولهذا ينسب إلى الله لأنه قال: ((**بيدك الخير**)) لكن الشر ليس إلى الله؛ ولنضرب لهذا مثلا بالسباع والهوام فالسباع فيها شر والهوام اللاصعة واللادغة فيها شر بلاشك ؛ الشياطين كلها شر؛ لكن إيجاد الله لهذه الأشياء خير، خير ولا بد منه الحكمة توجبه؛ لأنه لا يمكن أن تعرف تمام خلق الله إلا بخلق أشياء المضادة؛ ثم في خلق هذه الأشياء من إصلاح العبد ورجوعه إلى ربه واستعاذته به من هذه الأمور الشريرة خير كثير؛ ثم إن الخير لا يعرف إلا بضده لا يمكن يعرف الخير إلا عرف ضده حتى يعرف قدر الخير؛ ثم إن الخليقة لابد لها من امتحان، لابد لها من امتحان؛ فلو كانت في خير دائما لزال هذا الامتحان لأنها دائما في خير؛ فإذا وجد شر فحينئذ يعرف أو حينئذ يتبين الامتحان؛ لو كان الإنسان دائما في الصحة ودائما في غنى ودائما في العقل ودائما في السعة ما حصل في هذا امتحان ولا عرف قدر النعمة ولا شكر عليها؛ لكن إذا أصيب بمرض عرف قدر الصحة؛ بفقر عرف قدر الغناء؛ بخوف عرف قدر الأمن وهكذا؛ فوجود هذه الأشياء فيه فوائد عظيمة فيكون إيجادها خيرا وليس بشر؛ لكن هي نفسها فيها شر؛ كذلك وجود الأشياء

المدمرة كالزلازل والعواسف والفيضانات وما أشبهها هي شر في نفسها لكن فيها خير عظيم فيكون إيجادها خيرا وليس بشر؛ إذا فيجب أن نبقي الآية على ظاهرها بدون تقدير وهو قوله: ((**بيدك الخير**)) ولا شر ينسب إلى الله؛ أما المفعولات فلاشك فيها خيرا وشرا . ((**إنك على كل شيء قدير**)) إنك على كل شيء قدير ومن قدرتك تغيير هذه الأشياء العظيمة: إيتاء الملك، نزعه، الإعزاز، والإذلال كل هذه أمور عظيمة لا يقوم بها إلا قادر سبحانه وتعالى؛ وقوله: ((**إنك على كل شيء قدير**)) الآية عامة فهو قدير على كل شيء على ما شاءه وما لم يشأه، قدير على ما شاءه وعلى ما لم يشأه؛ فما لا يشاءه قدير على إيجاده وما شاءه قدير على إيجاده إذا كان مقيدا بوقت على إعدامهم إن كان موجودا؛ المهم أن الله قدير على كل شيء، على إيجاد المعدوم وعلى إعدام الموجود سواء أراده أم لم يرده؛ وبهذا نعرف أن تقييد بعض الناس القدرة بالمشيئة خطأ، الذين يقولون: إنه على ما يشاء قدير هذا خطأ؛ لأن الله قادر على ما يشاء وما لا يشاء؛ ولكن ما شاءه لا يمكن أن يعجز عنه؛ وبهذا التقدير الأخير . أن ما شاءه لا يمكن أن يعجز عنه . يتبين الجواب عن قوله تعالى: ((**وهو على جمعهم إذا يشاء على قدير**)) وذلك أن المشيئة هنا ليست عائدة على القدرة ولكنها عائدة على الجمع يعني إذا أراد جمعهم وشاء جمعهم فهو قدير عليه لا يعجز عنه. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ((**تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب؛ لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير؛ قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله ويعلم ما في السموات وما في الأرض والله على كل شيء قدير**)) أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. قال الله تعالى: ((**قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير**)) في هذه الآية من الفوائد أولا: تعليم الله عزوجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يفوض الأمر إليه في قوله: ((**قل اللهم مالك الملك**)) والخطاب الموجه للرسول صلى الله عليه وسلم موجه لأمته إما عن طريق التأسي، وإما لأنه إمام والخطاب للإمام خطاب له ولم تبعه إلا إذا دل الدليل على أنه خاص به فيكون خاصا به . ومن فوائد الآية الكريمة: بيان تمام ملك الله سبحانه وتعالى وسلطانه؛ لقوله: ((**قل اللهم مالك الملك**)) كل ملك فالله مالكه؛ وسبق لنا أن المراد بالملك إما المملوك أو جنس الملك . ومن فوائد الآية الكريمة: أن الله سبحانه وتعالى يؤتي الملك من يشاء؛ لقوله: ((**تؤتي الملك**)) . ومن فوائدها أيضا : أن ملك المخلوقين ليس ملكا استقلاليا بل هو بإعطاء؛ لقوله: ((**تؤتي الملك**)) والملك الذي بإعطاء لاشك أنه ناقص عم ملك المؤتي؛ وقد جاء في الحديث الصحيح: (**اليد العليا خير من اليد السفلى**) . ومن فوائد الآية

الكريمة: إثبات المشيئة لله في قوله: ((**من تشاء**)) وكل أمر قرن الله بالمشيئة فإنه مبني على الحكمة متى اقتضته شاءه الله؛ ودليل ذلك قوله تعالى: ((**وما تشاءون إلا أن يشاء الله إن الله كان عليما حكيما**)) . ومن فوائد الآية الكريمة: تمام ملك الله وسلطانه أيضا في كونه يحرم الملك من يشاء وينزعه بعد ثبوته ممن يشاء؛ لقوله: ((**وتنزع الملك ممن تشاء**)) . ومن فوائد الآية الكريمة: بيان أيضا تمام ملك الله وسلطانه بكون العزة من عنده ((**تعز من تشاء**)) ولكن سبق لنا في التفسير أن للعزة أيش؟ لا أن للعزة أسبابا منها الإيمان؛ لقوله: ((**ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين**)) . ومن فوائدها أيضا: أن الله سبحانه وتعالى تام الملك والسلطان لكونه يذل من يشاء ولو بلغ ما بلغ من العزة البشرية فإن يد الله فوقه مهما بلغ الإنسان من العز فالله قادر على إذلاله ولذلك أمثلة كثيرة منها قصة فرعون فإن فرعون طغى وبغى وقال أنا ربكم الأعلى وافتخر بما عنده من الأنهار فأهلكه الله بمثل ما افتخر به بالماء غرق؛ عاد استكبروا في الأرض وقالوا: من أشد منا قوة؟ فأهلكهم الله تعالى بالريح وهي من ألطف الأشياء؛ لكنها من أشد الأشياء مع لطافته؛ فالله عز وجل يذل من يشاء . ويتفرع على هذه الفائدة: أننا متى علمنا أن الإعزاز والإذلال بيد الله فإننا لا نطلب العزة إلا به عزوجل؛ ولهذا نقول: من ابتغى العزة من غير الله فهو ذليل؛ فالعزة لا تطلب إلا من الله. وكذلك أيضا يتفرع على هذا: أنه ينبغي للإنسان أن يستعيذ بالله دائما من الذل الحسي والمعنوي؛ لأن الله تعالى هو الذي بيده الإذلال من شاء أذله ومن شاء أعزه. ومن فوائد الآية الكريمة: أن الله سبحانه وتعالى بيده الخير . ويتفرع على هذه الفائدة: أنه إذا كان الخير بيده فلا يطلب الخير إلا منه؛ لأنه لا أحد بيده الخير إلا الله سبحانه وتعالى؛ فهو الذي يطلب منه الخير. ومن فوائدها: أن الشر لا يضاف إلى الله وإن كان عزوجل هو الذي خلق كل شيء لكن الشر لا يضاف إلى الله؛ لماذا؟ لأن أفعاله كلها خير؛ والشر في المفعولات؛ ثم هذا الشر في المفعولات قد يكون خيرا حتى في المفعولات نفسها قد يكون خيرا؛ فكم من مرض صار سببا لصحة الجسم؛ وكم من آفاة في الزروع وغيرها صارت أسبابا لنمو الاقتصادي من جهة أخرى مثلا؛ فالمهم أن الشر لا يضاف إلى الله عزوجل لأن فعله كله خير سبحانه وتعالى. ومن فوائد الآية الكريمة: عموم قدرة الله؛ لقوله: ((**إنك على كل شيء قدير**)) وهذا يشمل ما كان من أفعاله وما كان من أفعال الخلق؛ فيكون في ذلك رد على القدرية الذي يقولون إن الله لا يخلق أعمال العباد ولا يريدها، وأن الإنسان مستقل بعمله وإرادته؛ فنقول هل هذا بقدرة الله أو لا؟ إن قالوا بغير قدرة الله فد كذبوا عموم قوله تعالى: ((**إنك على كل شيء قدير**)) وإن قالوا بقدرة الله قلنا يلزم أن يكون مرادا ومخلوقا لله؛ لأنه مادام الأمر بقدرته فلابد أن يكون مخلوقا له ومرادا له . ومن فوائدها: الرد على كلمة وقعت من بعض المفسرين ومنهم الجلال السيوطي في قوله تعالى: ((**لله ملك السموات والأرض وما فيهن وهو على كل شيء قدير**)) حيث قال: خص العقل

ذاته فليس عليها بقادر؛ فإن هذه الكلمة كلمة باطلة؛ هو أراد معنى والله أعلم لكن تعبير بهذا خطأ؛ نقول إن الله تعالى قادر على كل شيء يتعلق بفعله أو بفعل عباده كل شيء يفعله الله فهو بقدرته سبحانه وتعالى كل شيء يفعل في العباد فهو أيضا بقدرته ؛ وهذا الاستثناء أو هذا التخصيص غير صحيح بل العقل يشهد لله بكمال أو بعموم القدرة وأنه على كل شيء قدير. ومن فوائد الآية الكريمة: الاستغناء بالثناء عن الدعاء؛ لأنك إذا تأملت الآية هذه لم تجد فيها دعاء أي طلبا لكن الثناء مما يتوسل به إلى الله؛ وقد مر علينا أن الدعاء تارة يكون بذكر حال الداعي وتارة يكون بالثناء وتارة يكون بهما وتارة يكون بالطلب وحده وكل ذلك جاءت به السنة؛ هنا الثناء يتضمن ما تدل عليه هذه الجمل؛ فإذا قلت: أنت الذي تعز وأنت الذي تذل فمعنى هذا أو فمقتضى هذا أنك تسأل الله أن يعزك ولا يذلك؛ ولهذا قال الشاعر:

إذا أثنى عليك المرء يوما كفاه من تعرضه الثناء

أي ثناءه عليك يكفي عن تعرضه وسؤاله .

ثم قال الله تعالى: ((**تولج الليل في النهار**)) أي تدخل الليل في النهار وتدخل النهار في الليل؛ بمعنى أن الليل يدخل على النهار فيزيد الليل وينقص النهار؛ ((**تولج النهار في الليل**)) بالعكس يدخل النهار على الليل فيطول النهار ويقصر الليل؛ وهذا الفعل من الأفعال التي لا يقدر عليها إلا الله وحده هو الذي يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل؛ ومع فإن هذا الإيلاج إيلاج بحكمة بتدرج، بتدرج يأتي قليلا قليلا حتى ينتهي ثم يعود؛ ما ظنكم لو أن الليل قفز من أطول الليل إلى أقصره ؟ لا ختل نظام العالم وفسد العالم وفسدت مواقيته ولكن الله عزوجل يجعله بالتدريج ليعلم الناس أوقاتهم وينبني أيضا على هذا الإدراج ينبني على ذلك تغير الفصول؛ فإنه إذا طال النهار طال زمن الوجود الشمس على سطح الأرض احتر الجو؛ وأيضا يكون شعاء الشمس عمودينا فيكون أشد تأثيرا في الحرارة مما إذا كان غير عمودي؛ والعكس بالعكس للشتاء؛ فيترتب على هذا الإيلاج زمن الفصول ومن رحمة الله عزوجل أن هذا الزمن الفصلي لا يأتي أيضا دفعة واحدة؛ ما ظنك لو انتقل الناس من أحر يوم في السنة إلى أبرد اليوم؟ ضر عظيم؛ أو بالعكس ؟ لكن رب الرحيم الحكيم يأتي هذا الشيء بتدرج؛ فمن الذي يستطيع أن يزيد في الليل ساعة أو في النهار ساعة؟ لا أحد يستطيع لو اجتمعت الأمة كلها كل الخلائق على أن يزيدوا ساعة في الليل أو ساعة في النهار ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا . وقوله: ((**وتخرج الحي من الميت**)) الميت في الموضعين فيها قراءتان: ((**الميت**)) و((**الميت**)) يعني بالتشديد والتخفيف؛ ((**تخرج الحي من الميت**)) هل المراد من ((**الحي**)) حياة حسية أو معنوية أوهما؟ الثالث هو المراد؛ وذلك لأن اللفظ

صالح للمعنيين وإذا صلح اللفظ للمعنيين بدون تنافي بينهما فالواجب حمله عليهما؛ ((**الحي**)) حياة حسية أمثلتها كثيرة؛ فالإنسان مخلوق من نطفة وهي ميتة، ميتة بالمعنى اللغوي فصار حيا من جماد؛ ولهذا قال الله تعالى: ((**كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا ثم فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم**)) كنتم أعصاب أمهاتكم أمواتا ليس فيكم أرواح ثم نفخ في الإنسان الروح فصار حيا؛ إذا ((**يخرج الحي من الميت**)) أي يجعل الميت حيا؛ كما قال تعالى: ((**ثم أنشأناه خلقا آخر**)) أو يخرج حيا ناميا متحركا من شيء لا ينموا فهو ميت كإخراج الفرخ من البيضة؛ فإن البيضة ميتة يخرج منها فرخ حي؛ طيب هذا الموت الحسي والحياة الحسية؛ والمعنوي: ((يخرج الحي من الميت)) أي المؤمن من الكافر؛ لأن المؤمن حي حياة قلبية والكافر ميت ((**يخرج الحي**)) العالم ((**من الميت**)) الجاهل كما قال تعالى: ((**أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها**)) الأول هو العالم والثاني جاهل؛ هذا حياة الحسية والمعنوية . قال: ((**وتخرج الميت من الحي**)) الميت من الحي بالنسبة للحياة الحسية مثل البيضة من أين؟ من الدجاجة ميت من حي؛ وغير ؟ الميت من الحي ؟ وربما يتناول الميت إذا سقط من الحي يعني مرأة إذا أجهرت جنينا ميتا خرج مع أن هذا الجنين لا يتحرك لكن يخرج بقدرة الله يسوقه الله عزوجل حتى يخرج.؛ نعم؟ الحب من الشجر، الحب لا ينموا والشجر ينموا وهذه حياة خاصة حياة نباتية. المعنوي : يخرج المؤمن من الكافر، يخرج الكافر من المؤمن، ويخرج الجاهل من العالم كذا؟ نعم . قال: ((**وترزق من تشاء بغير حساب**)) ((**ترزق**)) تعطي ؛ ((**من تشاء بغير حساب**)) أي بغير عوض؛ لأن المحاسبة إنما تكون مع المعاوضة؛ فإن من لا يريد العوض لا يحاسبه لكن من يريد العوض هو الذي يحاسب حتى يعلم هل ما أخذه مقابل لما أعطاه أم لا؛ وأما من لا يحتاج إلى عوض أو من لا يأخذ عوضا فلا يحاسب؛ إذا ترزق من تشاء بغير عوض؛ لكن نفى الحساب الذي مقتضاه الذي لا يكون إلا بالمعاوضة أو من لازمه المعاوضة فالله سبحانه وتعالى يعطي بلا عوض؛ وما أكثر النعم التي أنعم الله به علينا ولكن لا يحاسبنا يعطينا منه سبحانه وتعالى تفضلا وكرما؛ وإن أمرنا بالشكر فشكرناه فهذا عطاء ثاني؛ فشكر الإنسان ربه على نعمته هو من نعمته أيضا هو من نعمته؛ ولهذا قال الشاعر:

إذا كان شكري نعمة الله نعمة على له في مثلها يجب الشكر

فكيف بلوغ الشكر إلا بفضله وإن طالت الأيام واتصل العمر

البيتان معناها واضح يعني أن الله إذا وفقك لشكر نعمته فهذه نعمة تحتاج إلى شكر فإذا شكرتها يحتاج الشكر إلى شكر آخر وإذا شكرت الثالث يحتاج إلى رابع وهكذا ؛ ولهذا قال: فيكف بلوغ الشكر إلا بفضله وإن طالت

الأيام واتصلت العمر أي نعم؛ إذا يقول: ((**ترزق من تشاء بغير حساب**)) أي تعطي من تشاء بغير حساب؛ واعلم أن رزق الله عزوجل نوعان: رزق به قوام البدن، ورزق به قوام القلب والروح؛ أما الأول فيشمل المؤمن والكافر والبر والفاجر والمطيع والفاسد وحتى البهائم؛ ما هو؟ الرزق الذي به قوام البدن هذا شامل لكل أحد حتى الكافر مرزوق؛ وهل يدخل فيه الحرام ؟ نعم يدخل فيه الحرام حتى الذي لا يأكل ولا يشرب إلا حراما فهو برزق من الله رزق؛ لكنه رزق يقوم به البدن؛ والثاني ما يقوم به القلب والروح وهذا خاص بأهل الإيمان والعلم؛ هؤلاء رزقهم الله عزوجل ما تقوم به قلوبهم وأرواحهم؛ العلم لأن العلم بمنزلة الماء للشجرة، العلم للقلب بمنزلة الماء للشجرة لا يمكن أن تنموا بدونه؛ الإيمان كذلك، لا يمكن أن يقوم القلب ويصلح قلب إلا بالإيمان، وكلما ازداد القلب إيمانا بالله ازداد صلاحا؛ إذا الرزق نوعان ؟ عام وخاص؛ فالعام ما به قوام البدن، والخاص ما به قوام القلب والروح؛ إذا كل من رزقه الله ما به قوام القلب والروح فقد رزقه ما به قوام البدن، وليس كل من رزق ما به قوام البدن يكون قد رزق ما به قوام القلب والروح . قال: ((**وترزق من تشاء بغير حساب**)) كلمة: ((**من تشاء**)) نقول فيه ما سبق أي ما اقتضت حكمتك أن ترزقه؛ وأسباب الرزق كثيرة: إما حركة من الإنسان أو إمداد من الله؛ والحركة أيضا لا تنفع إلا بإمداد من الله؛ لكن أحيانا يرزق الإنسان بدون كسب بدون عمل مثل أن يموت له قريب فيرث منه، أو يخرج إلى البر ويحطتب وإن كان هذا نوع من العمل، وأحيانا يكون لابد من ممارسة عمل وتجارة وكل هذا من أسباب الرزق؛ بل من أسباب الرزق تقوى الله وليس معنى التقوى أن تعكف في المسجد وتتعبد، التقوى أعم من ذلك؛ الساعي على الأرملة والمساكين الذي يذهب ويطلب لهم الرزق ويقوم عليه يقول الرسول عليه الصلاة والسلام: (**الساعي على الأرملة والمجاهدين كالمجاهد في سبيل الله**) إذا هذا دين أو غير دين؟ السعي على الأرملة والمساكين يذهب في أرض الله يطلب لهؤلاء الأرامل والمساكين وكل من لا يكتسب فهو مسكين حتى ولو كان من أولادك حتى ولو أنت غني وهذا الولد لا يكتسب فهو مسكين؛ فأنت إذا سعيت عليه كالمجاهد في سبيل الله قال وأحسبه قال كالصائم لا يفطر وكالقائم لا يفتر؛ فليس تقوى الله بأن يلزم الإنسان المساجد، تقوى الله أن يقوم بطاعة الله من أي جنس كانت حتى طلب الرزق لمن تجب عليك معونته يعتبر من تقوى الله عزوجل. نأخذ الفوائد: من فوائد الآية: تمام قدرة الله عزوجل وسلطانه في كونه يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل . ومن فوائدها: إثبات حكمة الله؛ لأن هذا الإيلاج له حكمة عظيمة لا تقوم مصالح الخلق إلا بها؛ لأنه يترتب على هذا الإيلاج كما قلنا اختلاف فصول السنة التي يترتب على اختلافها نمو الأجساد والنبات؛ من النبات ما يكون شتويا ومن النبات ما يكون صيفيا . ومن فوائد هذا أيضا: أن الإنسان يعرف به ضعفه وافتقاره إلى ربه؛ إن جاء البرد صار يتطلب ما يطفئه، وإن جاء الحر صار يتطلب ما

يبرده فهو محتاج إلى ربه في الحالين؛ ففي هذا وهذه من فوائد الحر والبرد. ومن فوائدها أيضا ويتفرع على ذلك: أن هناك أشياء مؤذية وهي ما يعبر عنه الطب الجراثيم لا يقتلها إلا شدة البرد؛ وأخرى لا يقتلها إلا شدة الحر وهذا شيء مشاهد؛ هذا أيضا من حكمة الله عزوجل المترتبة على إيلاج الليل في النهار وإيلاج النهار في الليل. ومن فوائد ذلك أي إيلاج الليل في النهار وإيلاج النهار في الليل : أن هذا الإيلاج يدل على كمال القدرة كما أسلفنا أولا إذ أنه لا أحد يستطيع أن يزيد ساعة من الليل في النهار أو من العكس؛ ولكن الله عزوجل هو الذي يقدر على هذا . ومن فوائد هذه الآية: تمام قدرة الله بسلطانه بإخراج الحي من الميت وإخراج الميت من الحي؛ ووجه ذلك ظاهر؛ فإن القادر على إخراج الشيء من ضده دليل على أن قدرته تامة وسلطانه نافذ سبحانه وتعالى . ومن فوائد الآية: أن الرزق بيد الله؛ لقوله: ((**ترزق من تشاء**)) ؛ ويترتب على هذا أنه ينبغي للعاقل فضلا عن المؤمن أن لا يطلب الرزق من أيدي الناس وإنما يطلبه من الله عزوجل؛ ولهذا جاءت النصوص بفضيلة العفة أن يستعف الإنسان عما في أيدي الناس، ولا يسأل؛ وكان من جملة ما بايع الصحابة رضي الله عنهم عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يسألوا الناس شيئا فكان سوط أحدهم يسقط من على بعيره وينزل إلى الأرض ليأخذه ولا يقول ناولني إياه؛ لأنهم بايعوا على أن لا يسألوا الناس شيئا؛ وهذا لاشك يجعل الإنسان يلجأ إلى من؟ إلى الله سبحانه وتعالى يلجأ إلى الله؛ ولكن لا بأس أن يسأل الإنسان ما يباح له سؤاله إنما تمام العفة أن لا يسأل الناس شيئا بل يجعل الأمر موكولا إلى الله سبحانه وتعالى . ومن فوائد الآية الكريمة: أن عطاء الله بلا عوض؛ لقوله: ((**بغير حساب**)) فالله تعالى لا يبيع عليك ثمر الذي تأكل أو الثوب الذي تلبس أو البيت الذي تسكن لا بل هو يرزق ويعطي بغير حساب؛ كل ما بنعم النعمة فمن الله . ومن فوائد الآية الكريمة: إثبات المشيئة لله عزوجل؛ في قوله: ((**من تشاء**)) وقد مر علينا في التوحيد أن لله مشيئة وإرادة وأن المشيئة ليس فيها انقسام وأن الإرادة تنقسم إلى كونية وشرعية؛ أما المشيئة فهي كونية يشاء سبحانه وتعالى كل شيء. ثم قال الله عز وجل: ((**لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين**)) ((**لا يخذ**)) لا ناهية؛ ودليل كونها ناهية: أن الفعل بعدها مجزوم؛ أليس كذلك؟ بلى؛ ولكن لماذا كسر الفعل ؟ كسر لالتقاء الساكنين لأجل أن ينتقل اللسان من هذا المكسور إلى الساكن بسهولة؛ ولهذا صار أنسب ما يكون في التقاء الساكنين الكسر، أنسب ما يكون الكسر ((**لا يتخذ**)) لأن الكسر فيه انخفاض من أجل أن يترقع اللسان من المكسور إلى الساكن . يقول الله عز وجل: ((**لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء**)) أي لا يجعلوهم أولياء فيتخذوهم؛ وكلمة اتخذ تدل على اصطناع الشيء والركون إليه والتجاء إليه مثل قولك: اتخذت هذا صاحبا أي جعلته واصطنعت واخترت؛ فالمعنى: لا يختار المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين . وقوله: ((**المؤمنون الكافرين**)) كيف صار الكافرين مع أنها

بعد اسم مرفوع ؟ ما هي نعت؟ لا تصح أن تكون نعتا ؟ لا ما تصح يختلف المعنى اختلافا عظيما؛ ((**الكافرين**)) مفعول اتخذ الأول؛ و ((**أولياء**)) مفعول ثاني نعم . وقوله: ((**المؤمنون الكافرين أولياء**)) ((**أولياء**)) هل يتخذونهم أولياء من أعلى؟ أو أولياء من أسفل؟ أوكلاهما؟ كلاهما، يشمل هذا وهذا، أي لا ينصروهم ولا ينتصروا بهم؛ فلا يتولون الكفار ولا يجعلون الولاية للكفار عليهم؛ النهي من الأمرين؛ اللهم إلا كما سيأتي إن شاء الله تعالى فيما استثني؛ لكن إذا كان الأمر فيه سعة والمؤمنون في قوة فإنهم لا يجوز لهم أن يتخذوا من الكافر من ينصرهم؛ لأن الكفار مهما كانوا ((**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدروهم أكبر**)) فليس لنا حق أن نستعين بالكفار إلا إذا دعت الحاجة فلنا أن ننتصر بهم بأخذ السلاح وما أشبه ذلك بل هو بالعهد معهم أيضا؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم استعار من صفوان بن أمية دروعا فقال له أغصبا يا محمد ؟ قال بل عارية مؤداة فدل هذا على جواز الاستعانة بالمشرك بالسلاح؛ ونحن مثلا إذا أخذنا السلاح ما لنا وله؟ نحن الذين نستعمل السلاح ونتدرب عليه؛ كذلك حالف النبي صلى الله عليه وسلم خزاعة كما في صلح الحديبية حالفهم؛ لكن كان الناس في ذلك الوقت ليسوا على قوة فيجوز أيضا أن يحالف المسلمون الكفار إذا دعت الحاجة إلى ذلك؛ لأنه قد يكون هذا من مصلحة المسلمين فإن المسلمين إذا كانوا ضعفاء تسلط عليهم كفار آخرون فإذا حال كفار أقوياء انتصروا بهم فصار في ذلك مصلحة؛ وأصل النهي عن ولاية الكفار هو من أجل أن لا يذل الإسلام بين أيديهم فإذا كان في مثل هذه الأمور مصلحة للمسلمين وقوة صار ذلك جائزا؛ هذا بالنسبة للانتصار بهم

بالنسبة للانتصار بهم ونحن ذكرنا أن قوله : ((**أولياء**)) يشمل الوجهين ؛ أما بالنسبة للانتصار لهم فهذا لا يجوز أبدا؛ لا يجوز أن ننصر كافرا على مؤمن بأي حال من الأحوال ؛ ولكن هل يجوز أن ننصر كافرا على كافر إذا اقتضت المصلحة ذلك ؟ نقول: إن المؤمنين فرحوا حين غلبت الروم على الفرس وهم كفار على كفار كما قال تعالى: ((**ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء**)) فإذا كان هناك عدو مشترك لنا ولهذه الطائفة من الكفار ونحن نعلم أننا إن لم ننصر الكفار على هذا الكافر غلبه استعصى لنا فحينئذ يكون عونه للحاجة جائزا لأننا نعينه لا لذاته لأنه كافر ولكن لمصلحة المسلمين ؛ وهذا كله يعود على المصلحة ؛ أما لو رأينا كافرا يطلب العون على مسلم فهذا لا يجوز بأي حال من الأحوال ؛ ولهذا قال: ((**لا يتخذ المؤمنين الكافرين أولياء من دون المؤمنين**)) يعني من سوى المؤمنين يعادون المؤمنين ويوالون الكفار فهذا لا يمكن ؛ ولهذا جاءت الآية: ((**لا يتخذ المؤمنون**)) ولم يقل : لا تتخذ ؛ لأن الله فرق بين قوله: ((**لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين**)) وبين قوله، وبين ما : إذا اتخذ المؤمنون الكافرين أولياء لا من دون المؤمنين فوجه الخاطب إلى المؤمنين مباشرة؛ في الثانية دون الأولى ((**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء**)) ((**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء**)) فخاطبهم خطابا مباشرا لكن هنا قال: ((**لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين**)) نعم؟ ففرق بينهما؛ هكذا قال بعض العلماء وقال: إن الله لم يخاطب المؤمنين خطابا مباشرا لأن هذا أمر مشين، والأمر المشين تكون المخاطبة المباشرة فيه صدمة عظيمة؛ ولهذا قال الله تعالى للرسول: ((**عبس وتولى أن جاءه الأعمى**)) ولم يقل: عبست؛ وهذا القول أو ما يتكلم به الإنسان يظنه جيدا لكن المشكل يشكل على هذا قوله تعالى: ((**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا**)) فهنا واجههم بالخطاب مباشرة مع أنه قال: ((**من دون المؤمنين**)) وعلى هذا فيكون التوجيه الذي ذكره بعض المعاصرين فيه نظر؛ ونقول: إن الله عبر بصيغة الغائب هنا: ((**لا يتخذ المؤمنون**)) عن الخطاب لبلاغة يعلمها الله عزوجل قد نعلمها وقد لا نعلمها ؛ ((**لا يتخذ المؤمنين الكافرين أولياء من دون المؤمنين**)) ما جاوبت الأسئلة ؟

السائل : شيخ أحسن الله إليكم سؤالكم في الناس يعني ؛

الشيخ : سؤالك ، احذف الميم هنا يا خالد ، احذف الميم جزاك الله خير .

السائل : أحسن الله إليكم سؤال الكتب النافعة من بعض الإخوان ؟

الشيخ : أما إذا كان سؤال الكتب للاستعارة ، الاستعارة كذا ؟

السائل : نعم ،

الشيخ : الاستعارة وإلا تملك ؟ لا، الاستعارة جائز ما فيها إشكال ؛

السائل : لكن أخذها صورها مثلا أو قرأها وردها ؟

الشيخ : الظاهر إن التصوير من جنس الاستعارة وأخذها وأقرها وردها هذه استعارة؛ لكن سؤالها تملكا هذا هو المذموم أما الاستعارة فما زال المسلمون يستعيرون ؛ الرسول صلى الله عليه وسلم استعار من صفوان بن أمية ذروعا.

السائل : لكن لو كان مثلا عنده نسخ متعددة وأنا ما عندي وفي السوق نفس الشيء موجود لأشتري ؟

الشيخ : اشتري ؛ نعم؟ اشتري منه ؛ وإن كان ؛

الشيخ : قال أعاريني إياها ؛ يعني إعارة ؟ أيه الإعارة ما فيها شك ؛

السائل : يعني ما نبخه اليوم أو يومين بل كتاب ضخم يحتاج يخل عندي أستفيد ... ؟

الشيخ : ما أشف ؛

السائل : لكن النبي ما قال يا شيخ: (**استعن بالله واحرص على ما ينفعك**) ؟

الشيخ : أيش ؟

الشيخ : أقول ؛ نعم ومما ينفعك أن لا تسأل الناس شيئا ؛ لكن ما ينفعني ما في هذا الكتاب.

السائل : شيخ الآن في ناس من المسلمين يأخذون جنسية للدول الكافرة هل يجوز ؟

الشيخ : لا لا ما يجوز؛ يعني اتخاذ جنسية كافرة حرام لأن مقتضى هذه الجنسية أيش؟ أن توالي من والوه وتعادي من عادوه ، وأن تناصرهم على كل شيء حتى على المسلمين وهذا حرام ما يجوز.

السائل : قوله تعالى: ((**يخرج الحي من الميت**)) قلنا يخرج العالم من الجاهل وقوله: ((**أو من كان ميتا فأحييناه**)) ؟

الشيخ : لا لا لا معنى ذلك : إنه يكون رجل عالم أولاد الجهال .

السائل : ولكن على المعنى الأول كان ميتا ؟

الشيخ : على المعنى الأول كان ميت ؟ هذا ما ترد هذا ما ترد وربما تكون؛ لا ما ترد هذا .

السائل : شيخ قوله تعالى: ((**تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل**)) هل هنا الآية يعني ما يكون فيها من الفوائد أن مصلحة النبات والثمار أنه ما بعض الثمر ما يصلح إلا في الشتاء والعكس أيضا ؟

الشيخ : نحن ما قلناها ؟ قلنا هذه فائدة موجودة؛ ذكرناها .

السائل : شيخ نحن إذا استنصرنا بالكفار ؛

الشيخ : إذا أيش ؟

السائل : إذا استنصرنا الكفار هل يجوز الاستنصار بالكفار أو لا ؟

الشيخ : بلى يجوز ؛

السائل : طيب إذا الكفار يستنصر بنا نعرف أن الإسلام . قتل السنة والشيعة فهم يستنصر بنا منا . على الشيعة يجوز ؟

الشيخ : هذا إذا كان الشيعة على وجه يكفرون به فيجوز، إذا كان على وجه لا يكفر ما يجوز ؛ لأن المسلم مهما كان من المعاصي لا يجوز أن تعين الكفرة .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ((**لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير؛ قل إن تخفوا ما في صدروكم أو تبدوه يعلمه الله ويعلم ما في السموات وما في الأرض والله على كل شيء قدير؛ يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا ويحذركم الله نفسه**

والله رءوف بالعباد)) . أظن أخذنا الفوائد بالأمس ؟ ((**تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل**)) طيب . قال الله تعالى: ((**تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب**))

ما المراد بالولاية هنا ؟

قلنا إنه لا ينتصر بهم ولا لهم ؛ أما تحريم الانتصار لهم فالأمر ظاهر ؛ لكن تحريم الانتصار بهم يشكل عليه أن الرسول صلى الله عليه وسلم حالف الخزاعة وهم كفار نعم ؟

الطالب : إذا اقتضت المصلحة فيجوز ؛

الشيخ : نعم نقول هذا إذا اقتضت المصلحة أو الضرورة الانتصار بهم فهذا لا بأس به ؛ طيب نكمل هذا البحث لأنه مهم ؛

لو قال القائل: إذا كان الانتصار بهم ليس لمصلحة الإسلام ولكن هؤلاء أعداء لمن أراد الاعتداء على المسلمين؟ فناصروا المسلمين لأن هذا عدو مشترك؛ لأنهم لم يناصر المسلمين لله ولا لإقامة دين الله لكن لأن العدو مشترك فهل يجوز أن ننتصر بهم في هذه الحال ؟

الطالب : نعم يجوز لكن ليس لأجل الموافقة. ؛

الشيخ : نقول نعم هم إذا ناصرونا نعم ؟ سواء كان ذلك لله أو ليس لله قطعا أو كان من أجل أن عدونا وعدهم واحد مشترك ؛ واضح ؟ ولكن مع ذلك لا يجوز أن نجعل هذا الانتصار بهم على حساب ديننا ؛ يعني أن نداهنهم ونمكنهم من أفعالهم القبيحة في بلادنا بلاد الإسلام لا ؛ لأن هذه مداهنة والمداهنة في دين الله حرام لا يجوز . يقول الله عز وجل: ((**لا يتخذ المؤمنين الكافرين أولياء من دون المؤمنين**)) وهذا هو الواقع، الواقع أن الإنسان المؤمن لا يمكن أن يتولى الكافر دون المؤمن؛ وسيأتي إن شاء الله في الفوائد أن الذين يفعلون ذلك من المنافقين؛ ((**الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا**)) . ثم قال: ((**ومن يفعل ذلك**)) المشار إليه الاتخاذ وعادت الإشارة هنا على المفهوم من الفعل؛ لأن الفعل يدل على حدث وفاعل، على الحدث وفاعله؛ على الحدث هنا هو الاتخاذ؛ والفاعل هو المؤمن؛ فهنا نقول عاد الضمير إلى الاتخاذ المفهوم من أيش؟ من ((**ليتخذ**)) مثل قوله تعالى: ((**اعدلوا هو أقرب للتقوى**)) فهو

عاد على العدل المفهوم من كلمة ((**ومن** ((**اعدلوا**)) **يفعل ذلك**)) أي يتخذهم أولياء من دون المؤمنين ((**فليس من الله في شيء**)) يعني فالله بريء منه؛ لأن الله تعالى لا يرضى أن يتولى أحد من المؤمنين أحدا من الكافرين؛ لأن الكافر عدو لله بل هو عدو لك أيضا ((**لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء**)) مهما كان فإن الكافر لا يمكن أن يضمر لك المحبة أو الولاية أبدا، ولا يمكن أن يناصرك إلا لمصلحته هو؛ لأنه عدوا والعدو لا يمكن أن يريد منفعة عدوه؛ ولهذا قال: ((**فليس من الله في شيء**)) أي فالله منه بريء . والعياذ بالله . ثم قال: ((**إلا أن تتقوا منهم تقاة**)) وإلا هنا لاشك أنها حرف استثناء ولكنها هل هذا الاستثناء متصل أو منقطع؟ الصواب أنه منقطع بل يتعين لأنه في حالة التقاة لا نتخذهم أولياء لكن نوافقهم في الظاهر ونخالفهم في الباطن؛ وأيضا شف ((**إلا أن تتقوا**)) معناه أن هؤلاء الكفار لهم سيطرة وقوة وقدرة نخشاهم فنتقي منهم أي نتخذ وقاية من بطشهم وتنكيلهم بنا لكن في الظاهر دون الباطن؛ إذا انتبه فهذا لا يجوز إلا في حال الخوف على النفس؛ لضعف المسلمين وقوة الكفار؛ ثانيا: لابد أن تكون هذه الموالاة باللسان فقط، بالظاهر؛ أما في الباطن فيجب أن نضمر لهم العداوة والبغضاء وعدم الولاية . وقوله: ((**إلا أن تتقوا منهم تقاة**)) في هذا الالتفات من الغيبة إلا الحضور، والخطاب للحضور؛ لأنه لو لا الالتفات لقال: إلا أن يتقوا منهم تقاة ؛

الشيخ : والالتفات سبق لنا أن له فوائد؛ من يذكرها ؟

الطالب : الفائدة العامة والفائدة الخاصة ؛

الشيخ : الفائدة العامة التنبيه، تنبيه للمخاطب ؛ وذلك أن الخطاب إذا كان على نسق واحد استمر الإنسان يسير فيه دون أن ينتبه ؛ فإذا اختلف انتبه ؛ وهذا موجود أعني الانتباه عند التغير موجود في كل سير سواء سير الذهني أو السير الحسي؛ لو كنت تمشي ثم وجدت حفرة في الطريق انتبهت، أو وجدت ارتفاع في الطريق عتبة انتبهت أليس كذلك؟ كذلك في الكلام لو كنت على نسق واحد وأنت خطيب كانت خطبتك تأتي بالنوم لكن إذا كانت الخطبة فيها أمر ونهي واستفهام وعرض وتحذير صار في ذلك تنبيه، تنبيه للمخاطب؛ وكذلك أيضا في القرآن أحيانا يأتي الله عزوجل عن سياق أول إلى سياق آخر جديد من أجل التنبيه؛ أما الفائدة الثانية فتتقيد بحسب القرار. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ((**لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير؛ قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله ويعلم ما في السموات وما في الأرض والله على كل شيء قدير؛ يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا**

ويحذركم الله نفسه والله رءوف بالعباد)) . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. قال الله تعالى: ((**لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين**))

الشيخ : لا هنا هل هي نافية أو ناهية ؟

الطالب : نافية ،

الشيخ : نافية ؟ ما الدليل ؟

الطالب : دليل الجزم ؛

الشيخ : قلبت الجزم بالسكون ؛ خطأ ؛

الطالب : التقاء الساكنين ؛

الشيخ : خطأ ؛

الطالب : جازم لالتقاء الساكنين ؛

الشيخ : خطأ ؛

الطالب : حرك بالكسر ؛

الشيخ : حرك بالكسر التقاء الساكنين ؛ إذا قلنا حرك بالكسر معناها أن هذه الكسرة ما هي كسرة إعراب ، ما هي بدل عن السكون ؛ لكن حرك لفظا فقط لسهولة الانتقال من المتحرك إلى الساكن لأن الانتقال من الساكن إلى الساكن هذا ؛

الطالب : وأبدلت معناه . .؟

الشيخ : لا لا لأن الإبدال معناه حلت محلها حقيقة وحكما وهذا حكمه السكون لكنه حرك فقط.

الشيخ : قوله تعالى: ((**أولياء من دون المؤمنين**)) ما الذي نصب أولياء ؟ عبد الرحمن بن داود ؟

الطالب : مفعول ثاني للتقوى

الشيخ : نعم طيب .

الشيخ : قوله تعالى: ((**من دون المؤمنين**)) ((**من دون**)) بمعنى ؟

الطالب : من سوى المؤمنين .

الشيخ : وأظن ما كملنا الآن ؟

الشيخ : قوله تعالى: ((**ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء**)) معناها مهند ؟ معنى الجملة ((**ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء**)) ؟

الشيخ : ما الذي أوجب الإتيان بالفاء في قوله: ((**فليس**)) ؟ خالد ؟

الطالب : إتيان الفاء لجواب الشرط ؛

الشيخ : وإتيان الفاء لجواب الشرط لازم ؟

الشيخ : يعني يجوز جاز حذف الفاء ؟ فهد ؟

الطالب : ما هي جملة اسمية ؛

الشيخ : نعم يا عادل ؟

الطالب : يعني مبدوء بفعل جامد وإذا ؛ هل لديك شاهد أو كلام مسموع في ذلك ؟

الطالب : اسمية طلبية وبجامد وبما وبقد وبلن وبالتنفيذ

الشيخ : طيب هذه من أي الأنواع السبعة ؟

الطالب : جامد ،

الشيخ : جامد ليس جامد.

الشيخ : قال الله تعالى: ((**إلا أن تتقوا منهم تقاة**)) ما معنى قوله: ((**تتقوا تقاة**)) يا سالم ؟

الطالب : إلا أن تقولوا شيئا تتقوا به شرهم

الشيخ : الاستثناء هنا منقطع أو متصل ؟

الطالب : منقطع ،

الشيخ : منقطع نعم صح؛ يعني لكن اتقيتم منهم تقاة كالمكره على الكفر فيكفر وقلبه مطمئن بالإيمان فهذا ليس بشيء لا يضره .

قال الله عز وجل: ((**إلا أن تتقوا منهم تقاة**)) يقال: تقاة ويقال: تقية ؛ وأما تقية فهي من اللحن الشائع قولهم تقية هذا من اللحن الشائع لأننا لو قلنا تقية لوجب إلى أن تحول إلى تقاة بمقتضى القاعدة تقية المعروفة ؛ وعلى هذا فنقول: إن الصواب تقاة أو تقية . قال الله تعالى: ((**ويحذركم الله نفسه**)) ((**يحذركم**)) فيها فعل ومفعول به ولفظ الجلالة الله فاعل و((**نفسه**)) مفعول ثاني ((**يحذركم الله نفسه**)) أي يخوفكم من نفسه عزوجل ويحذركم من عقابه إذا اتخذتموهم أولياء إلا في الحال التي تكون ولاتهم تقاة وليس عن قصد واختيار . ((**يحذركم الله نفسه وإلى الله المصير**)) أي المرجع والجملة كما تشاهدون جملة اسمية قدم فيها الخبر لفائدة الحصر يعني إلى الله لا إلى غيره المصير المرجع؛ وأي مرجع هذا؟ هل المراد المرجع في الآخرة؟ أو المرجع في جميع الأمور ؟ الجواب: المرجع في جميع الأمور كما قال الله تعالى: ((**وإلى الله ترجع الأمور**)) فإلى الله المصير يعني بعد الانتقال من الدنيا ؛ وإلى الله المصير المرجع في كل الأحوال وفي كل الأمور . في هذه الآية من الفوائد أولا: تحريم اتخاذ الكافر أولياء؛ لقوله: ((**لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين**)) . ومن فوائدها: أن مقتضى الإيمان الحقيقي أن يتخذ الإنسان الكافرين أعداء ؛لقوله: ((**لا يتخذ المؤمنون**)) فعلق هذا الحكم بالمؤمنين وهو دليل على أن مقتضى إيمانهم أن لا يتخذهم أولياء بل أن يتخذهم عدوا أعداء؛ لأن هؤلاء الكفار شيعة الشيطان وأولياءه وقد قال الله عز وجل: ((**إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعوا حزبه ليكون من أصحاب السعير**)) . ومن فوائدها: أن اتخاذ الكافرين أولياء منافي إما للإيمان أصلا وإما للإيمان كمالا؛ يعني أنه ينافي أصل الإيمان أو كمال الإيمان؛ لماذا؟ لأن الحكم إذا علق بوصف فإنه يتبع ذلك الوصف قوة وضعفا ؛ فكلما كمل الإيمان كملت المعاداة وانتفت الموالاة؛ وإذا وجدت الموالاة ضعف الإيمان وإذا ضعف الإيمان أيضا وجدت الموالاة . ومن فوائد الآية الكريمة: إشارة إلى أنه يجب أن يتخذ المؤمن أولياء من المؤمنين؛ لقوله هنا : ((**من دون المؤمنين**)) وهذا لاشك هو مقتضى الإيمان قال الله تعالى: ((**والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر**)) فالواجب على المؤمن أن يتخذ له أولياء من المؤمنين . ومن فوائد الآية الكريمة: أن اتخاذ الكافرين أولياء من كبائر الذنوب؛ وجه الدلالة: أن الله تبرأ منهم

وتعليق الحكم أو تعليق البراءة بحكم من الأحكام يدل على أنه من كبائر الذنوب؛ والكبائر جمع كبيرة وأحسن ما قيل في تعريفها: ما رتبت عليه عقوبة خاصة؛ وذلك لأن المحرمات نوعان: إما منهي عنها أو مذكورة بلفظ التحريم ولكن ليس على فاعلها عقوبة خاصة فهذه من الصغائر؛ وإما أن يرتب على فعلها عقوبة خاصة وحينئذ تكون من الكبائر؛ ولكن كما أن الصغائر تختلف حتى يصل بعضها إلى قريب الكبائر كذلك الكبائر تختلف؛ ليس قطيعة الرحم بين العم وابن أخيه كعقوق الوالدين مع أن كلا منهما من كبائر الذنوب ؛ والمهم أن الكبائر تختلف وكذلك الصغائر . ومن فوائد الآية الكريمة: أن الله سبحانه وتعالى ولي المؤمنين؛ ووجه؟ أن الذي يتخذ الكافرين أولياء ويدع المؤمنين يتبرأ الله منه؛ لأنه ليس في المؤمنين في شيء فلم يكن الله منه في شيء؛ وهذا له شاهد من القرآن مثل قوله تعالى: ((**إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا**)) ومثل قوله: ((**والله ولي المؤمنين**)) مثل قوله: ((**الله ولي الذين آمنوا**)) والآيات في هذا المعنى كثيرة أن الله ولي المؤمنين فيوالي من ولوه ومن والاهم ويعادي من عاداهم؛ وقد صح في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه أن الله سبحانه وتعالى قال: (**من عادا لي وليا فقد آذنته بالحرب**) . ومن فوائد الآية الكريمة: سهولة الإسلام ويسره حيث رفع الحرج عن الأمة؛ وذلك بما أباح من اتخاذ التقاة عند الضرورة إليهم؛ لقوله: ((**إلا أن تتقوا منهم تقاة**)) . ومن فوائد الآية: أنه لا تجوز المداهنة لأعداء الله وإظهار الرضا بما هم عليه؛ لقوله: ((**إلا أن تتقوا منهم تقاة**)) ومعلوم أن التقاة لا تجوز إلا عند الضرورة ومع ذلك ينوي بها الإنسان أيش؟ أنها وقاية مما يخاف منهم لا رضا بما فعلوا أو اطمئنانا إليه . ومن فوائد الآية الكريمة: أن الله عزوجل مع كمال رحمته وشمولها ومحبته للتوبة في مقام الوعيد يذكر من الآيات أو من الكلمات الكلمات الشديدة القوية ؛ لقوله: ((**ويحذركم الله نفسه**)) لأن المقام مقام يقتضي الشدة في ذلك فإنه من أعظم الأشياء أن يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين؛ ولهذا قال: ((**ويحذركم الله نفسه**)) . ومن فوائد الآية الكريمة: إطلاق النفس على الذات؛ لأن المراد نفسه أي ذاته ((**يحذركم الله نفسه**)) أي ذاته؛ والتعبير بالنفس أولى بالتعبير من الذات وإن كان التعبير بالذات هو المشهور عند العلماء؛ لكن التعبير بالذات عن النفس ليس من اللغة العربية الفصحة كما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية وإنما هو متلقى من اصطلاح عرفي؛ وأصله أن ذات تستعمل مضافا فيقال: ذات جمال، ذات دين، ذات مال، وما أشبه ذلك؛ فيعبرون الذات عن العين المتصفة بصفاته؛ ثم صلبوها من الإضافة وعبروا بكلمة ذات مجردة عن الإضافة هذا هو الأصل في استعمال كلمة ذات وإلا فإنها ليست عربية محضة . ومن فوائد الآية الكريمة: وجوب رد الأشياء إلى الله عز وجل؛ لقوله: ((**وإلى الله المصير**)) . ومن فوائدها أيضا: تكرار التحذير، وأنه إذا كان المقام يقتضي ذلك كان تكراره من أعلى أنواع البلاغة؛ لأن قوله: ((**ويحذركم الله نفسه**)) هذا تحذير ((**وإلى**

الله المصير)) هذا أيضا تحذير؛ فإنه تهديد ووعيد لمن خالف ما حذر الله منه . ثم قال الله تعالى: ((**قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله**)) ((**قل**)) الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم ؛ ولكن لا بأس أن يقوله من يحتاج إليه وإن كان غير الرسول صلى الله عليه وسلم . ((**تخفوا ما في صدوركم**)) والذي في الصدور هو ما تكنه القلوب وجعله في الصدور لأن القلوب في الصدور كما قال الله تعالى: ((**فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور**)) وقوله: ((**إن تخفوا ما في صدوركم**)) من أي شيء ؟ من كل شيء من الخير أو من الشر أو العداوة أو الولاية أو غير ذلك كل ما يخفي الإنسان في صدره أو يبديه لمن؟ للناس؛ قال: ((**أو تبدوه يعلمه الله**)) ((**يعلمه**)) للجزم جوابا للشرط قوله: ((**إن تخفوا**)) يعلمه الله عزوجل؛ وهو سبحانه وتعالى عالم به قبل أن تخلق الصدور وما فيها؛ ولكن يعلمه أيضا بعد أن يقع في الصدور علم وقوع؛ وأما علمه السابق فهو علم بما سيكون؛ وأما بعد وقوقع الشيء فهو علم بالشيء بعد كونه ؛ فلله سبحانه وتعالى فيما يكون بالنسبة للعلم اعتباران: الاعتبار الأول باعتبار ما سيكون؛ والثاني باعتبار ما كان؛ وبهذا التقدير يزول الإشكال الذي يرد على النفس ويورده كثير من الناس في مثل قوله: ((**ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين**)) فيقول: أليس الله عزوجل قد علم المجاهدين والصابرين من غيرهم في الأزل ؟ الجواب: بلى؛ لكن علمه في الأزل علم بما سيكون، وعلمه بعد كون الشيء علم به كائنا وفرق بين الأمرين هذا من وجه ومن وجه آخر : أن علمه الأزلية لا يترتب عليه عقاب ولا ثواب؛ وعلمه بالشيء بعد كونه هو الذي يترتب عليه الثواب والعقاب؛ فيكون معنى ((**حتى نعلم**)) أي علما يترتب عليه الثواب والعقاب وإلا فالله عالم من قبل أن يبتلينا . قال: ((**يعلمه الله ويعلم ما في السموات وما في الأرض**)) يعلم بالرفع على الاستئناف؛ والتقدير: وهو يعلم؛ ولا يجوز في مثل هذا الجزم عطفا على: ((يعلمه الله)) بخلاف قوله تعالى: ((**وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر**)) فإنه يجوز ((فيغفر لمن يشاء)) ويجوز ((**فيغفر**)) ثلاثة أوجه؛ لكن في هذه الآية لا يجوز سوى الرفع؛ لماذا؟ لأننا لو جعلناه بالجزم صار علم الله بما في السموات وبما في الأرض مقيدا بقوله: ((**قل إن تخفوا ما في صدروكم أو تبدوه**)) لأن المعطوف على جواب الشرط له حكم جواب الشرط، وجواب الشرط معلق بماذا؟ بفعل الشرط؛ وعلى هذا فيتعين في قوله: ((**ويعلمه**)) الاستئناف والرفع ولا يجوز الجزم؛ ((**ويعلم ما في السموات وما في الأرض**)) ما من صيغ الموصول أو من الأسماء الموصولة ؛ وكل اسم موصول فإنه يفيد العموم سواء كان من صيغ الجمع كالذين واللائي، أو من صيغ المفرد كالذي والتي، أو من الصيغ المشتركة كما ومن؛ وعليه فجميع الأسماء الموصولة بأصنافها الثلاثة كلها تفيد العموم؛ ألم تروا إلى قول الله تعالى: ((**والذي جاء بالصدق وصدق به**)) وين الخبر ؟ ((**أولئك هم المتقون**)) فجعل الخبر جمعا مع أن

المبتداء مفرد؛ لأنه مفرد لكنه عام؛ طيب هنا ((**ما في السموات وما في الأرض**)) أقول إنه إنما اسم موصول تفيد العموم فكل ما في السموات فهو معلوم لله عزوجل، وكل ما في الأرض فهو معلوم لله عزوجل بعلمه الأزلي القديم قال الله : ((**إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء**)) وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم: (**أن الله كتب مقادير كل شيء قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة**) ولا يكتب إلا ما كان معلوما عنده عز وجل . ((**والله على كل شيء قدير**)) ختم الآية ببيان عموم قدرته إشارة إلى أن الله تعالى قد وسع كل شيء علما وقدرة وأنه قادر على الانتقام منكم فيما إذا أخفيتم ما لا يرضيه ولكنه لحكمته قد يؤخر الانتقام . قوله: ((**والله على كل شيء قدير**)) الصيغة عامة كما تشاهدون على كل شيء قدير سواء كان ذلك من أفعاله أو من أفعال العباد فهو قادر على كل شيء؛ وسواء شاء ذلك الشيء أم لم يشأه فهو قادر على كل شيء شاءه أم لم يشأه؛ وكل شيء شاءه فهو قادر عليه؛ فلدينا الآن عمومان : العموم الأول في القدرة فنقول هو قادر على كل شيء سواء شاءه أم لم يشأ؛ والعموم الثاني: المشيئة فكل ما شاء الله فهو قادر عليه كما جاء في الحديث القدسي: (**إني على ما أشاء قادر**). طيب في هذه الآية من الفوائد؛ أولا: وجوب إبلاغ الناس بعلم الله تعالى بما في صدورهم؛ لقوله: ((**قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله**)) . ومن فوائدها أيضا: عموم علم الله عزوجل؛ لما أخفاه الإنسان وما أبداه . ومن فوائد الآية: أن العقل في القلب، والتدبير في القلب، والإرادة في القلب؛ لأنه قال: ((**إن تخفوا ما في صدروكم أو تبدوه**)) وهذه المسألة اختلف فيها أهل الكلام هل العقل في القلب أو في الدماغ ؟ ولكن من تأمل الآيات القرآنية وجد أن العقل في القلب بل من تأمل الآيات القرآنية والأحاديث النبوية؛ قال الله تعالى: ((**أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها**)) ((**فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور**)) وهذه الآية نص صريح على أن العقل في القلب ، ونص صريح على أنه ليس المراد بالعقل القوة المعنوية التي في المخ وإنما المراد بالقلب أيش ؟ القلب الحقيقي

وليس المراد بالعقل القوة الحقيقية التي في المخ وإنما المراد بالقلب أيش؟ القلب الحقيقي قطعة اللحم الذي في الصدر؛ ولهذا قال: ((**التي في الصدور**)) والكلام هن كلام من؟ كلام الخالق عزوجل، والخالق أعلم بما خلق؛ ولكن الدماغ لاشك له تأثيرا؛ لأن الدماغ يتصور الشيء ويرتبه ويجهزه ثم يرسله إلى القلب وينتظر الأوامر ثم يصدر القلب الأوامر إلى أين؟ إلى المخ ما هو إلى العقل العقل هو في القلب يرسله إلى المخ المخ خادم أمين مطيع على الطول يوجه الأوامر إلى الجنود، الجوارح؛ ولا تستغرب هذا الأمر كيف تقول هل لحظة هذه يكون فيه الأمر إصدار وإيراد؟ نقول: الله عزوجل على كل شيء قدير، فالمخ يتصور ويصلح الأشياء ثم يرسل إلى القلب ويقول الأمر، القلب يأمر وإلا ينهى ثم هذا المخ ينفذ على الطول ما يؤخر؛ ولهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام: (**ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب**) وإما ما اشتهر عند الأطباء الآن أن القلب فقط يصفي الدم ويرسل، يستقبل الدم الفاسد وينظفه ويرسله إلى العروق والشرائيين فهذا ليس بصحيح؛ لأننا نقول لهم أأنتم أعلم أم الله؟ لاشك أن الله أعلم لأنه الخالق؛ لكننا نوافقكم على أن للدماغ تأثيرا ولكن وجه التأثير فيه أنه بإذن الله قابل لكل ما يأمره به القلب أي نعم .

السائل : السؤال: الذين يجلبون الخدم من الكفار هل يعتبر هذا موالاة لهم أم لا ؟

الشيخ : الظاهر ينظر في هذا ، إذا كان ذلك المقصود الاستخدام والاستذلال فهو استذلال لهم؛ وإذا كان المراد بذلك نفعهم أي ينفعهم فهذا لاشك أنه موالاة؛ لأنه يعتبر ناصرا لهم فإن هذه الدراهم التي تخرج من جيوبنا لهؤلاء الكفار تؤخذ عليهم الضرائب عليها لدولهم الكافرة فتنتفع الدول بها وبالتالي تستعين بها على غضب المسلمين فالمسألة في الحقيقة خطيرة لكن أكثر المسلمين اليوم لا ينظرون إلى هذه المسائل هذه النظرة الفا يريدون أن يمشوا دنياهم فقط؛ لكن أنهم لو فكروا في هذا الأمر وين تروح الدراهم هذه؛ ثم إنك لا تأتي بكافر إلا حرمت مسلما بدلا من الكافر هات مسلما وليكن المسلم أقل إنتاجا من الكافر ؛ لكنه ينفعه وأنفع لعائلة ورائه مسلمة تتلهل إلى أن تجد لقمة عيش؛ ولكن نسأل الله أن يهدي إخواننا إلى أن نرى في هذه الأمور.

قوله تعالى: ((**قل إن تخفوا ما في صدروكم أو تبدوه يعلمه الله**)) الشيء يكون في الصدر . . ؟ لا ما يدل على هذا إلا ما عزم عليه الإنسان؛ لكن مجرد الهم لا.

السائل : قوله: ((**يحذركم الله نفسه**)) ؟

الشيخ : أنا إذا قلت: أنا أحذرك نفسي كل يعرف أنه ليس المعنى . الواحد على الثاني . أن يكفه ؛ معنى: يحذركم ما في نفسه من العقاب؛ لكن هذا أبلغ يعني إضافة التحذير إلى النفس أبلغ من إضافته إلى الفعل؛ فإذا قلنا عقاب نفسه الإضافة إلى التحذير ؛ وإذا قلنا نفسه صار أشد نعم.

السائل : قد يكون كفرا وقد يكون دون ذلك ؟

الشيخ : يمكن أن يتولهم في أمر من الأمور الدنيوية ما هو دينه ولا على دينهم وكفرهم فلا يكون هذا كفر ما يكون كفر، وإن اعتبرناه ولاية فإنه لا يخرجه من الإسلام؛ لكن الموالاة المناصرة والمعاونة سواء عاونهم على المؤمنين وسبق لنا أنهم إذا عاونوهم على الكفار فلا بأس .

السائل : هل يجوز أن نكون موظفين ؟

الشيخ : لا ما يجوز الموظفين؛ لا هذا مجرد إحسان والله قال: ((**لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم**)).

السائل : يعني يقول هل إذا لبست لبسة اليهود أو النصارى أو غيرهم من الكفار هل هذا موالاة ؟

الشيخ : هذا لاشك فيه تشبه هذا متفق عليه؛ لكن إذا قصد بذلك إعزازهم ورفع شأنهم فهو موالاة لأنه قد يتشبه بهم من أجل أن يعزهم ويظهر لباسهم الخاص بهم وزيهم فيكون هذا موالاة.

الشيخ : الإنسان الفاهم يفهم الجواب من كلامه؛ أقول الذي ينتقل هو الجسد وليس الوجه وإنما القلب وليس؛ لا ما هو يقصد المحاسبة؛ يقول أفكار الإنسان ما تتغير .

السائل : شيخ ؟ إذا قلنا الذي يرسل هو الدماغ ويصوره القلب ثم القلب يأمر بالتنفيذ ؛ على مقتضى؟ الشيخ : على مقتضى الدليل .

الشيخ : فهمت يا أحمد ؟ هذا الرجل دماغه ما تغير وتصوراته ما تغير؛ والقلب يرسل ويأمر حسب ما يصل إليه من التصورات؛ فإذا كان هذا الرجل مستقيما صالحا صار إلى قلبه، إلى القلب الذي نقل إليه الشيء الصالح أمر

به؛ وإلا هذا يكون .ما هو مشكلة أبدا، ما هو مشكلة لأن هذا القلب له وله أشياء خلق الله عزوجل على صفة ما يصنعونها، أو هم يصنعون على صفة ما خلقه الله.

الشيخ : أي نعم هذه تكلمنا عليها إن هذا لبيان أقبح الموالاة وإلا ففيه آية أخرى تدل على تحريم اتخاذهم الأولياء مطلقا.

الشيخ : الشيطان لاشك إنه يجث القلب يختبره؛ لأنه يجري من ابن آدم مجرى الدم؛ ثم إذا رأى أن القلب قوي يعني وعجز عنه، عجز عنه؛ مثل ما كان الشيطان يهرب من عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما سلك فجا إلا سلك الشيطان فجا آخر؛ وإن وجد في القلب لين وتهاون زادها من اللين والتهاون؛ وإن وجد فيه القوة حاول أن يزيده في الغلو والإفراط .

الشيخ : الله أعلم؛ لكنه لاشك أنه يختبر القلوب.

الشيخ : لكن قد ذكر الله خيره.

((**يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء يود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله رءوف بالعباد قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين**)) أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. قال الله عز وجل: ((**يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا**)) وأظن أننا لم نستوعب الفوائد ؟ من أين؟ ((**قل إن تخفوا**)) ؟ قال الله عز وجل: ((**قل إن تخفوا ما في صدروكم أو تبدوه يعلمه الله**)) في هذه الآية أيضا رد على الجبرية الذين يقولون إن الإنسان مجبر على عمله وليست له فيه إرادة؛ ووجه الرج عليهم: أن الله أضاف الفعل إلى الإنسان؛ فقال: ((**إن تخفوا**)) ((**أو تبدوه**)) . ومن فوائد الآية الكريمة: أن الله محيط بكل شيء علما حتى ما بين جوانب الإنسان؛ لقوله: ((**إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله**)) فلا يخفى عليه شيء مما في نفس الإنسان؛ بل زد على ذلك أنه يعلم ما لم يحدث به نفسه بأنه سيحدث به نفسه في الوقت والمكان المعين؛ واضح؟ نعم . ومن فوائد الآية الكريمة: التحذير من أن يسر الإنسان في نفسه ما لا يرضي الله؛ لأن الله إنما أخبرنا بذلك تحذيرا لنا من أن نخفي في صدورنا ما لا يرضى. ومن فوائد الآية الكريمة: عموم علم الله؛ لقوله: ((**ويعلم ما في السموات وما في الأرض**)) والآيات في العلم متنوعة، تارة تكون مجملة وتارة تكون مفصلة، وتارة تكون فيما يتعلق بفعل الإنسان وتارة تكون فيما يتعلق بفعل الله عزوجل؛

لأن صفة العلم متى آمن بها الإنسان أوجب له ذلك أمرين: الأمر الأول: الهروب من معصية الله؛ فلا يجده أي فلا يجده الله عزوجل حيث نهاه؛ والثاني: الرابح في طاعة الله؛ فلا يفقده حيث أمره؛ لأنه يعلم أن الله سبحانه وتعالى، يؤمن بأن الله سبحانه وتعالى يعلمه . ومن فوائد الآية الكريمة: إثبات السموات، وأنها جمع؛ وقد صرح الله في كتابه أنها سبع؛ فقال: ((**قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم**)) وأما الأرض فإنها تأتي مفردة ولم تأت في القرآن مجموعة؛ ولكن جاءت في السنة مجموعة؛ وفي القرآن إشارة إلى أنها سبع في قوله تعالى: ((**الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن**)) فإن المثلية هنا بالكيفية متعذرة؛ وإذا تعذرت المثلية في الكيفية لزم أن تكون المثلية في العدد كما تقول: سبحان الله عدد خلقه والحمد لله مثل ذلك؛ يعني عدد خلقه . ومن فوائد الآية الكريمة: إثبات قدرة الله عز وجل؛ لقوله: ((**والله على كل شيء قدير**)) وعموم هذه القدرة؛ لقوله: ((**على كل شيء**)) . ومن فوائدها: إرشاد الإنسان إلى أن يتعلق بربه؛ لأنك متى علمت أن الله على كل شيء قدير فإنه لن يمنعك مانع من أن تلتجئ إلى الله سبحانه وتعالى بسؤال ما تريد؛ لا تستبعد شيئا؛ ولهذا قال الله تعالى منبها على هذا الأمر: ((**عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة**)) ومعلوم أن العداوة بين المؤمنين والكافرين أمر ثابت، وأن الإنسان قد يستبعد أن يجعل الله في قلبه مودة لهذا الكافر بإيمانه؛ فقال الله تعالى: ((**عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم**)) ((**قدير**)) بالنسبة لتقليب القلوب عز وجل؛ ((**غفور**)) بأن ييسر هؤلاء الكفار إلى الإسلام فيغفر لهم؛ وقع هذا وإلا ما وقع؟ وقع، وقع فإنه أسلم عام الفتح وقبل عام الفتح أمة من الكفار وصارت العداوة في قلوب المؤمنين لهم صارت مودة نعم؛ المهم أنك متى علمت قدرة الله عزوجل فإن ذلك يوجب لك التعلق بربك سبحانه وتعالى وأن لا تستبعد شيئا تسأله إياه. ثم قال الله عز وجل: ((**يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا**)) هذا بداية درس اليوم؟ قوله: ((**يوم**)) ظرف زمان؛ والقاعدة المعروفة عند أهل النحو أن الظرف والجار والمجرور لابد له من متعلق؛ لأن الظرف والجار والمجرور شبه مفعول به، أو شبه خبر إذا وقع خبرا، أو شبه صلة إذا وقع صلة؛ المهم أنه لا يستقل بنفسه لابد له من عامل؛ كما قال ناظم الجمل:

لابد للجار من التعلق بفعل أو معناه نحو مرتقي

واستثن كل زائد له عمل كالباء ومن والكاف أيضا ولعل

فكل حرف أصلي من حروف الجر لابد له من متعلق.

قوله: ((**يوم تجد**)) إذا فيه ظرف زمان ولا بد لها من متعلق؛ فأين متعلقها ؟ المتعلق محذوف، تقديره: اذكر يوم تجد؛ أذكر بالناس وذكرهم بهذا اليوم العظيم . ((**تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا**)) ((**كل نفس**)) والمراد بالكلية هنا كلية النفوس المكلفة وهم الإنس والجن؛ فإن هؤلاء مكلفون بعبادة الله؛ لقول الله تعالى: ((**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**)) أما البهائم فإنها لا تجد ما عملت؛ لكن يوفى لها الظلم إن ظلمت كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم: (**بأنه يقتص للشاة الجلحاء من الشاة القرناء يوم القيمة**) وأما هي فهي غير مكلفة ما تؤمر ولا تنهى؛ ((**يوم تجد كل نفس**)) إذا ((**كل نفس**)) مقيد بماذا ؟ مكلفة، كل نفس تؤمر وتنهى . ((**ما عملت من خير محضرا**)) ما هنا اسم موصول مفعول الأول ((**محضرا**)) مفعول الثاني؛ ((**من خير**)) جار ومجرور بيان لماء في قوله: ((**ما عملت**)) وجملة ((**عملت**)) صلة الموصول وعائد الموصول محذوف، والتقدير: ما عملته من خير محضرا؛ وقوله: ((**ما عملت**)) يشمل كل ما عمل قل أو كثر قال الله تعالى: ((**فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره**)) كل ما عمل . وقوله: ((**محضرا**)) من الذي يحضره؟ الذي يحضره هو الله عزوجل إما بقوله وإما بملائكته يحضره الملائكة أو هو جل وعلا يأمر فيحضر؛ وقوله: ((**محضرا**)) قد يتبادر للذهن أن هذا العمل يكون جسما، يكون جسما فيحضر كما يحضر الدراهم لمن يستوفيها؛ وإذا كان هذا مراد الله عزوجل فليس بغريب بأن تجعل الأعمال وهي أمر معنوي تجعل أجساما وهو ظاهر القرآن الكريم بأن الأعمال توزن والوزن لا تكون إلا لجسم كثيف؛ فتوزن الأعمال توضع في كفة الحسنات والسيئات؛ وليس هذا بغريب على قدرة الله سبحانه وتعالى؛ فها هو الموت وصف وهو زوال الحياة يمثل يوم القيمة بكبش ويوقف بين الجنة والنار ويقال يا أهل الجنة ويا أهل النار فيطلعون فيقال لهم تعرفون هذا؟ فيقولون نعم هذا الموت فيذبح ويقال: يا أهل الجنة خلود ولا موت ويا أهل النار خلود ولا موت؛ وحينئذ يزداد أهل الجنة سرورا إلى سرورهم وأهل النار حزنا إلى حزنهم . والعياذ بالله . وقوله: ((**وما عملت من سوء تود**)) الواو هذه يحتمل أن يكون استئنافية؛ فتكون ما مبتداء؛ ويحتمل أن تكون عاطفة؛ فتكون ماء معطوفة على ما الأولى يعني ما عملت من خير محضرا وتجد ما عملت من سوء محضرا كذلك؛ فعلى الأول تكون ما مبتداء وتود ((**لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا**)) خبره؛ وعلى الثاني تكون ماء معطوفة على ما تجد في الأولى ويكون في الكلام حذف وتقديره: وما عملت من سوء محضرا تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا؛ ولكن المعنى الأول أظهر؛ لأن الأصل عدم الحد؛ والاستئناف كثير وارد في اللغة العربية وهو أيضا أبلغ؛ لأن ما عملت من سوء قد يحضر وقد يقرر به الإنسان ولا يحضر والكلام هنا عام، كلام عام يشمل المؤمنين والكافرين؛ والمؤمن في حسابه لا يحضر له عمله السيئ وإنما يقرر بذنوبه فيقرر ويقال: عملت كذا عملت كذا عملت كذا فيقول نعم ؛ **فيقول الله له قد سترتها عليك في**

الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم) أما الكفار فيحضر عملهم يحضر قال الله تعالى: ((**ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا**)) لأن سيئات الكفار ما تمحى، تحضر ويحاسبون عليها ؛ وبهذا يتبين أن إعراب الواو استئنافية وما مبتداء أظهر من أن تكون عاطفة وما معطوفة على ما سبق؛ **إذا** ((**ما عملت من سوء**)) لا تفرح به ((**تود لو أن بينها وبيه أمدا بعيدا**)) يعني زمنا طويلا أو مكانا بعيدا؛ تود أنها لم تعمل ولم تذكر به ولم يحضر لها إن كانت ممن يحضر لها عمل السيئ؛ والود خالص المحبة؛ إذا تحب محبة شديدا من كل قلبها لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا؛ طيب ((**لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا**)) لو هذه كيف نعربها؟ نعم؟ هل نقول إنها حرف مصدر ل حرف امتناع لو قلنا إنها مصدر أو نقول إنها زائدة؛ لأن لو إذا وقعت بعد ود تكون مصدرية كما في قوله تعالى: ((**ودوا لو تدهن فيدهنون**)) نعم؟ يعني ودوا أن تدهنوا؛ ((**ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم**)) أي أن يردوهم؛ لكن هنا فيه إشكال وهي أن أن الذي بعدها مصدرية؛ ولكن يمكن الانفكاك عن هذا الإيراد بأن يقال لو داخلة على فعل محذوف، تقديره: لو ثبت أن بينها وبينه أمدا بعيدا أو لو حصل تود لو حصل أن بينه وبينها أمدا بعيدا وحينئذ تكون مصدرية ويكون الفعل محذوفا، الفعل الذي يتصل به محذوفا والتقدير: لو حصل أن بينها وبينه أمدا بعيدا؛ وإلا نقول زائدة، والتقدير: تود أن بينها وبينه أمدا بعيدا؛ و حذف لو غير القرآن وقلت لو تود أن بينها استقام الكلام؛ إذا لنا في إعرابها توجيهان؛ توجيه الأول: أن تكون زائدة للتأكيد، أو للتوكيد؛ والثاني: أن تكون مصدرية والفعل محذوف تقديره: لو حصل أن بينها وبينه أمدا بعيدا . وقوله: ((**أن بينها وبينه أمدا**)) أمدا بالنصب قال إنه اسم، اسم أن مؤخر؛ قال الله تعالى: ((**ويحذركم الله نفسه**)) كرر ذلك لأن المقام يقتضيه، يقتضي التحذير؛ فاحذر الله عزوجل، احذر الله أن يصيبك بعقابه إذا عصيته وخالفت أمره؛ والأول ((يحذركم الله نفسه)) في العمل؛ والثاني في الجزاء؛ الأول في العمل في موالاة الكفار؛ الثاني في الجزاء؛ لأنه ذكره بعد أن ذكر الجزاء الذي يكون يوم القيمة . ثم قال: ((**والله رءوف بالعباد**)) فيها قراءتان؛ قراءة الأولى: ((**رءوف**)) والقراءة الثانية: ((**رءوف**)) بدون واو ((**رءوف رحيم**)) ((**والرءوف**)) فعول من الرأفة وهي أشد الرحمة، أشد الرحمة، وأرق الرحمة؛ لأن الرأفة فيها شيء من الرق واللين أكثر من ما في الرحمة؛ وقوله: ((**بالعباد**)) جمع عبد؛ والمراد بهم الخلق؛ فهو من العبودية العامة . استشكل بعض العلماء إتيان قوله: ((**والله رءوف بالعباد**)) بعد قوله: ((**ويحذركم الله نفسه**)) وقال: كان مقتضى الحال أن يقال: ويحذركم الله نفسه والله شديد العقاب؛ لأن مقام التحذير يقتضي الوعيد؛ فأجيب عن ذلك بأن من رأفته عزوجل بالعباد أن حذرهم نفسه؛ وأخبرهم بأن الأمر عظيم؛ لأن إخبار الإنسان بحقيقة الحال لاشك أنه من الرأفة به، من الرأفة به؛ وإلا

فليس من المناسب أن يهدد الإنسان بالتحذير ثم يقال و لك رأفة ورحمة؛ ولكن قالوا إن الرأفة بالعباد عائدة إلى إخبار العباد بحقيقة الأمر وتحذيرهم من مغبتهم؛ وهذا لاشك أنه وجه حسن وطيب.

الشيخ : لا لا لا أنه قلنا إن المراد ما هو الرأفة من التحذير، الرأفة بالإخبار؛ لأن الإنسان لو وكلوا ما عندهم ضلوا.

الشيخ : لا لا لأنها تتأثر بالعوامل؛ فيقال إلى أمد بعيد، إلى أمد قريب؛ ويقال أمده أمد طويل نعم.

الشيخ : يمكن، يمكن؛ ولهذا قلنا فيها وجهين؛ ولكن الأقرب أن تكون استئنافية.

((**وما عملت من سوء**)) ؟ أي نعم كل شيء قال ربنا عز وجل: ((**يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا**)) . من فوائد هذه الآية: التحذير والتذكير في هذا اليوم، لهذا اليوم العظيم الذي يجد فيه الإنسان ما عمل من خير أو سوء . ومن فوائد الآية الكريمة: وجوب، أو على الأقل استحباب تذكر الإنسان لهذا اليوم؛ لأن قوله: ((**اذكر**)) يشمل ذكر الخبري والذكر الفكري؛ يعني التدبر في القلب . ومن فوائد الآية الكريمة: ثبوت الجزاء لكل الناس؛ وهل هذا على عمومه؟ أو يستثنى منه من لا يكلف؟ يحتمل؛ إن نظرنا إلى عموم اللفظ قلنا إنه شامل وغير المكلف يكتب له ولا يكتب عليه؛ فيكون ما عمل من خير محضرا وما عمل من سوء فهو مرفوع عنه؛ ويحتمل أن يراد بها النفوس التي يلحقها الجزاء عقوبة وكرامة وهي الأنفس المكلف؛ ولاشك أنه ليس على عمومه فيما يتعلق بالبهائم؛ فإن البهائم لا تدخل في هذا نعم . ومن فوائد الآية الكريمة: كمال قدرة الله عزوجل لإحضار ما عمله الإنسان من قليل وكثير؛ ومن أين يؤخذ أنه من قليل وكثير؟ من ما الموصولة التي تفيد العموم . ومن فوائدها: كمال رقابته عزوجل، وأنه لا يفوته شيء، كل ما يعمله الإنسان سوف يجد؛ فأنت ونفسك ! انظر ماذا تقدم لهذا اليوم من خير أو من ضده . ومن فوائد الآية الكريمة: إثبات اليوم الآخر الذي هو يوم الجزاء، وهو معلوم. ومن فوائد الآية الكريمة: أن الشر يسوء صاحبه؛ من أين يؤخذ ؟ لأن قوله: ((**وما عملت من سوء**)) عديل لقوله: ((**من خير**)) وكان مقتضى المعادلة أن يقول: وما عملت من شر؛ لأنه قال: ((**من خير**)) ضده الشر؛ لكنه عبر بالشر بعاقبتهم بالسوء؛ لأن الشر يسوء فاعله ((**من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها**)) . ومن فوائد الآية الكريمة: إثبات الشعور في ذلك اليوم؛ لقوله: ((**تود**)) لأن المودة خالص المحبة؛ وهي عن الشعور بالشيء . ومن فوائد الآية الكريمة: كراهة الناس، أو كراهة المسيء لما علمه في ذلك اليوم، وأنه يحب أن يكون بينها وبينه ما بين المشرق والمغرب؛ لقوله: ((**تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا**)) وهكذا يود الإنسان أن

يكون بينه وبين عمله السيئ الأمد البعيد، وبينه وبين قرين السوء الأمد البعيد، قال الله تعالى: ((**ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون حتى إذا جاءنا قال يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين**)) في الدنيا هم أصدقاء لكنهم في الآخرة أعداء نعم. ومن فوائد الآية الكريمة: رحمة الله بعباده بتحذيرهم نفسه لئلا يقعوا في عقوبته ونقمته؛ لقوله: ((**ويحذركم الله نفسه**)) . ومن فوائد الآية الكريمة: أنه ينبغي استعمال الأسلوب المناسب للحال؛ فالله عزوجل قال في هذه الآية: ((**ويحذركم الله نفسه**)) وفي آيات كثيرة يتحبب إلى عباده عزوجل ويتودد إليهم؛ لأن هذا المقام الذي نحن فيه مقام أيش ؟ تحذير وتهديد ومقام التحذير والتهديد ينبغي أن يؤتى فيه بالأساليب المناسبة؛ ولهذا يقال: إن غاية البلاغة صيغة الكلام مطابقا لمقتضى الحال، هذه غاية البلاغة أن يصاغ الكلام مطابقا لمقتضى الحال؛ لأنه لو صيغها غير مطابق لعد عيا، لو جاء صدوق لك وقال إن فلان قدم والله إنه قدم، والله إنه قدم، والله الذي لا إله إلا هو إنه قدم ويش تقول إنه بلاغة وإلا غير بلاغة ؟ غير بلاغة؛ أنت تقول أوقف أنا ما حلفتك إلى الآن ما قلت لك إنك كاذب حتى تحلف؛ فالإتيان بالكلام مطابقا لمقتضى الحال لاشك أنه غاية البلاغة كما في هذه الآية . ومن فوائد الآية الكريمة: إثبات الرأفة لله عزوجل؛ بل إثبات الاسم والصفة؛ لقوله: ((**رءوف**)) والرأفة أشد الرحمة وأرقها، أشد الرحمة وأرقها؛ وتأمل قوله تعالى عن نفسه: ((**والله رءوف بالعباد**)) وقوله عن نبيه: ((**بالمؤمنين رءوف رحيم**)) فإن رأفة الله عامة؛ أما رأفة النبي صلى الله عليه وسلم فهي خاصة بالمؤمنين؛ الكفار والمنافقون لا يرأف بهم ((**يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير**)) هذه وصية الله لنبيه في الكفار والمنافقين؛ وفي جلب الزاني قال الله تعالى: ((**ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله**)) لكن الرب رءوف بعباده يسعهم حلمه ورحمته وعافيته ورزقه . ومن فوائد الآية الكريمة: أنه ينبغي للإنسان أن يعرف قدر نفسه بالنسبة إلى ربه؛ فما نسبة إلى ربه؟ أنه عبد، وأن الرب رب؛ وأن العبد يجب أن يكون من قابل لأمر أيش؟ لأمر الرب وأن يكون دليلا له، شرعا كما أنه دليل له قدرا ، كل الناس أدلة لله قدرا ما يستطيعون أن يخالفوا قدره؛ اكبر واحد في الدنيا وأشدهم عتوا يمرض ويموت؛ وهذا خضوع لأيش ؟ للربوبية القدرية؛ لكن من ليس بمؤمن ليس بخاضع لربوبية الشرعية نعم ((**والله رءوف بالعباد**)) . ثم قال الله تعالى: ((**قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني**)) هذه الآية يسميها بعض السلف آية المهنة، يعني آية الاختبار والامتحان؛ وذلك أن قوما ادعوا أنهم يحبون الله؛ فأمر الله نبيه أن يتحداهم بهذا الميزان وهو إن كانوا صادقين فليتبعوا الرسول صلى الله عليه وسلم سواء كانوا من اليهود أو من النصارى أو من المنافقين؛ المهم أي واحد يدعي أن يحب الله فهذا الميزان ((**وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحبائه**)) إذا كانوا صادقين فليتبعوا الرسول؛ أما مجرد

الدعوى فكل يدعي وصلا لليلى وليلى لا تقر لهم بذاك؛ كل يدعي أنه يحب الله لأن الدعوى سهلة؛ لكن الكلام على البينة، البينة على المدعي إذا كانوا يحبون الله حقا فليتبعوا النبي صلى الله عليه وسلم لينالوا ما هو أعظم دعواهم وهو محبة الله لهم؛ ولهذا قال: ((**قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله**)) فالشأن ليس أن تحب الشأن أن تحب هذه ثمرة؛ أما أن تحب ولا تحب فهذا عدى؛ أنظروا إلى بريرة ومغيث بريرة تبغض مغيث والمغيث يحبها؛ عذب بحبها وإلا لا؟ نعم عذب لما أعتقت خيرها النبي صلى الله عليه وسلم قال: اختاري نفسك؛ قالت: والله ما أريده، ما أريد الرجل ؛ لكن أعتقت فطلبت الخيارة لنفسها والشرر يمكنها من ذلك؛ فكان زوجها يبكي ورائها في السوق المدينة يطلب أن لا تختار؛ فجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال: اشفع لي يا رسول الله عندها؛ فكلمها النبي صلى الله عليه وسلم قال: ارجع إلى مغيث؛ قالت يا رسول الله إن كنت تأمرني فسمعا وطاعة . لله ردها . وإن كنت تشير إلى فلا حاجة لي

وإن كنت تشير علي فلا حاجة لي فيه؛ قال: بل أشير؛ قالت: لا حاجة لي فيه) يعني لم تقبل ولا شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم؛ ولم ترحم على الرجل الذي يمشي ورائها يبكي في الأسواق نعم؟ إذا الشأن أن يكون الإنسان محبا؟ أو أن يكون محبوبا؟ أن يكون محبوبا ؛ ولهذا قال الله عز و جل: ((**فاتبعوني يحببكم الله**)) ولم يقل: فاتبعوني تصدقوا في دعواكم المحبة؛ قال: ((**فاتبعوني يحببكم الله**)) طيب نقول: ((**قل إن كنتم تحبون الله**)) الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم؛ وقد مر علينا غير مرة أن النبي صلى الله عليه وسلم إذا وجه إليه ((**قل**)) في القرآن فهو دليل على العناية بهذا القول الذي أمر أن يقوله؛ لأن هذا أمر بالتبليغ الخاص لهذا القول؛ أما القرآن كله فقد أمر أن يقوله كله؛ لكن بعض الأشياء يخص ويقال قل مثل: ((**قل للمؤمنين يغضون من أبصارهم**)) ((**وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن**)) ((**قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا**)) وما أشبه ذلك؛ هذا أمر بتبليغ هذا الشيء الخاص بعينه؛ فيكون في ذلك توكيد ودليل على العناية به؛ وهذا لاشك أنه يجب العناية بها؛ يجيء إنسان ويقول والله أنا أحب الله، أنا حبيب الله؛ فيغر العامة فيقال: الحمد لله ننظر؛ كما يدعي الآن في الوقت الحاضر أناس أنهم أولياء لله؛ ولكن الذي يزعم أنه من أولياء الله نمتحنه، نقول له تمنى الموت؟ لا هذا لليهود ((**قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت**)) لكن نمتحنه بما دون ذلك ننظر هل هو مؤمن تقي فهو أيش؟ صادق؛ هل هو عاص فاسق دجال يريد أن يشرك به مع الله في المحبة والطاعة فهو عدو وليس بولي؛ لأن الله قال في الميزان في الأولياء: ((**ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولاهم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون**)) . طيب ((**إن كنتم تحبون الله**)) لاشك أن الخطاب هنا ((**إن كنتم**)) غير معلوم بالشخص، المخاطب غير معلوم بالشخص؛ لكنه معلوم بالمعنى؛ يستفاد المعنى مما بعد ((**إن كنتم تحبون الله**)) أي قل لمن ادعى أنه يحب الله أيش؟ ((**إن كنتم تحبون الله فاتبعوني**)) قال: ((**إن كنتم تحبون الله فاتبعوني**)) الجملة هنا شرطية؛ وفعل الشرط ((**كنتم**)) وجوابه: ((**فاتبعوني**)) وجاءت الفاء للجواب لأن الجملة وإذا كانت الجملة للجواب طلبية وجب اقترانها بالفاء . ((**فاتبعوني يحببكم الله**)) اتبعوني على ماذا؟ على ما أنا عليه من الشريعة عقيدة وقولا وفعلا وتركا؛ كم من الأشياء؟ كملها؟ شريعة، وعقيدة، وقولا، وفعلا، وتركا؛ كم هذه؟ أربعة ؛ فمن اتبع الرسول صلى الله عليه وسلم في هذه الأربعة صدق في اتباعه، ومن خالف فهو غير صادق . عقدية بحيث تكون عقيدته على ما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه؛ لا تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، ولا شك، ولا ترديد؛ إيمان كامل خال من جميع الشوائب , قولا لا يزيد ولا ينقص عما جاءت به الشريعة من الأقوال . وفعلا كذلك لا يزيد ولا ينقص. وتركا بحيث يترك ما لم يعمله الرسول عليه الصلاة والسلام؛ كل ما لم يتعبد به الرسول يجب أن

لا يتعبد به؛ فإن تعبد به ولو أنه يقول إنه يحب الرسول فإن دعواه كاذب؛ ؟إذا تعبد بشيء ترك الرسول تعبد لله به لم يتعبد به لله وقال والله أنا أحب الرسول، أتعبد بالله بهذا الشيء محبة للرسول صلى الله عليه وسلم؛ قلنا دعواك كاذب؛ لو كنت تحبه حقا لاتبعته حقا؛ في العقيدة والقول والفعل والترك؛ أما أن تحدث في دينه ما ليس منه فأين محبتك له؟ نحن نجد في بني آدم إذا أحب شخصا غير الرسول تجد يترسم خطاه، يعجب به فيترسم خطاه وينظر ماذا يفعل ويفعل حتى وإن كان الشيء سيئا يكون في عين الحبيب حسنا كما قيل:

وعين الرضا عن كل عيب قليلة كما أن عين السخط تبدي المساوي

وهذا شيء مجرب؛ الحاصل أن الله قال للرسول صلى الله عليه وسلم: ((**قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله**)) ((**يحببكم**)) هذه فك إدغامها ولذلك ظهر السكون فيها ؛ وفي غير القرآن لو قيل: يحبكم الله لكان صحيحا؛ لأن الإدغام هنا يجوز وفك الإدغام يجوز أيضا . ((**ويغفر لكم ذنوبكم**)) الله اكبر ((**يحببكم الله**)) هذه الثمرة والنتيجة التي يسعى إليها كل إنسان أن يكون محبوبا لدي الله سبحانه وتعالى؛ الثاني: ((**ويغفر لكم ذنوبكم**)) شف . الله اكبر . فائدتان عظيمتان؛ محبة الله لك، ومغفرة ذنوبك؛ ((يغفر لكم ذنوبكم)) أي كل ما عملتم من الذنوب يغفر لكم؛ ولكن هل نقول إنه يغفر؟ وإن لم يستغفر الإنسان منه؛ لأن حسنة الاتباع تمحوا هذا الذنب ومحبة الله للإنسان توجب عدم عقوبته؛ أو نقول ((**يغفر لكم ذنوبكم**)) لأن ييسر لكم أسباب المغفرة إن لم يغفر لكم بدون السبب؟ الله أعلم؛ يحتمل أنه أنه سبحانه وتعالى أراد أنه يغفر الذنوب بسبب هذا الاتباع والمحبة أو أنه وإن فعل الإنسان ما فعل؟ فإنه ييسر له أسباب المغفرة بأن يعود من معصية الله إلى طاعته، الله أعلم؛ لكن على كل حال الوعد منهم محقق وهو مغفرة الذنوب إما بسبب من العبد أو لمجرد فضل الله . وقوله: ((**ذنوبكم**)) الذنب هو المعصية؛ وهو كما ترون جمع مضاف لمعرفة، والجمع المضاف إلى معرفة تفيد ؟ تفيد العموم . ((**والله غفور رحيم**)) الجملة هنا اسمية اشتملت على ثلاثة أسماء من أسماء الله: الله، والغفور، والرحيم ؛ أما معنى الله فقد سبق لنا مرارا وتكررا بأنه المألوه أي المعبود حبا وتعظيما؛ وأن الأصل الإله فحذفت الهمزة تخفيفا لكسرة الاستعمال كما حذفت من الناس ومن الشر والخير؛ وأما الغفور فالغفور هنا يحتمل أن تكون صيغة المبالغة ويحتمل أن تكون صفة المشبهة؛ والمعنيان لا يتنافيان؛ فتكون صفة مشبهة وصيغة مبالغة؛ صفة مشبهة لأن الله لم يزل ولا يزال غفورا؛ وصيغة مبالغة لكثرة من يفغر له، وكثرة ما يغفره من الذنوب؛ والمغفرة ستر الذنب والتجاوز عنه؛ وليست مجرد الستر لوجهين: لغوي وسمعي؛ أما اللغوي فلأن المغفرة مأخوذة من المغفر الذي يستر به المقاتل رأسه ويتقي به السهام ؛ والمغفر جامع للستر والوقاية . وأما السمعي فلما ورد في

كيفية محاسبة الله لعبده المؤمن أنه يخلوا به ويقرره بذنوبه فيقول: (**قد سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم**) واضح يا جماعة ؟ وأما رحيم فهو ذو الرحمة وهو صالح أيضا ليكون صفة مشبهة أو صيغة مبالغة ؛ والرحمة صفة تقتضي العطف والإحسان على المرحوم . والجمع بينهما، بين الغفور والرحيم لفائدة عظيمة وهي الجمع بين الوقاية والعناية؛ بين الوقاية بالمغفرة يقيك الله سبحانه وتعالى شر الذنوب؛ والعناية بماذا؟ بالرحمة يعتني الله بك فييسرك لليسرى ويجنبك العسرى؛ فالجمع بينهما لهذه الفائدة العظيمة جمع بين أيش؟ الوقاية والعناية؛ فالمغفرة فيها الوقاية من الذنوب، والرحمة فيها العناية للعبد حتى ييسره الله اليسرى ويجنبه العسرى . من فوائد هذه الآية الكريمة: أن الله أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يتحدى هؤلاء المدعين لمحبته بهذا الميزان القسط وهو إتباعهم للرسول عليه الصلاة والسلام . ومن فوائدها: جواز مخاطبة المدعي بالتحدي؛ لأن هذا هو الحق؛ لا تستحي من شخص يدعي ما لم يتصف به لأنه لو كان يعرف نفسه ما اتصف أو ما ادعى اتصافه بشيء لم يتصف به؛ فهو الذي أذل نفسه في الحقيقة فلا تخش منه تحده ليقيم البرهان والدليل على دعواه . ومن فوائد الآية الكريمة: أنها مصداق لقول النبي صلى الله عليه وسلم : (البينة للمدعي) وهذه وإن كانت في دعوى الناس بعضهم مع بعض لكنها حقيقة قاعدة عامة؛ كل إنسان مدعي لابد أن يقيم دعوى بينة عن دعواهم . ومن فوائد الآية الكريمة: أن محبة الله تعالى غاية لكل الناس حتى غير المؤمن يقول أنا أحب الله، كذا؟ ؛ لقوله: ((**إن كنتم تحبون الله فاتبعوني**)) . ومن فوائد الآية الكريمة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رسول الله حقا؛ وجه ذلك: أن الله جعل اتباعه سببا لمحبة الله للعبد . ومن فوائد الآية الكريمة: أنه كلما قوي اتباع الإنسان للرسول صلى الله عليه وسلم كان أقوى برهانا على صدق محبته لله؛ فهذه من علامة محبة الإنسان من ربه؛ فإذا رأيت الإنسان شديد الإتباع لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلم أنه شديد المحبة لله ؛ كل إنسان يتبع الرسول ماذا يريد ؟ يريد الوصول إلى الله عز وجل؛ ولا شيء يراد الوصول إليه إلا هو محبوب للإنسان؛ الذي تكرهه لا تسعى للوصول إليه؛ تسعى في أيش؟ في الهرب منه والبعد منه . ومن فوائد الآية الكريمة: أن اتباع النبي صلى الله عليه وسلم سبب لمحبة الله للعبد؛ لقوله: ((**فاتبعوني يحببكم الله**)) . ومن فوائد الآية الكريمة: أنه ينبغي للإنسان أن يجيب غيره بما هو أكثر من سؤاله إذا كان محتاجا إليه، إذا دعت إليه الحاجة؛ لأنه لم يقل: فاتبعوني تحبون الله، أو تحب الله؛ بل قال: ((**يحببكم الله**)) ولا أحد يحبه الله إلا وهو يحب الله؛ لأنك إذا أحببت الله عملت فأحبك الله؛ فلهذا أتى بالثمرة المهمة وهي محبة الله للعبد . ومن فوائد الآية الكريمة: إثبات المحبة بين العبد والرب من الجانبين؛ لأنه قال: ((**تحبون الله**)) فأثبت أن الإنسان يحب الله ((**فاتبعوني يحببكم الله**)) أثبت أن الله يحب الإنسان؛ وهي محبة حقيقية، محبة حقيقة خلافا لمن أولها قال: ((**تحبون الله**)) تحبون ثوابه؛ ((**يحببكم الله**))

يثبكم الله، يثبكم؛ فإن هذا تحريف؛ وسبب هذا التحريف القاعدة الباطلة بالسمع والعقل وهي تحكيم العقل فيما يثبت وينفى عن الله عز وجل؛ فإن قوما ادعوا العقلية قالوا نحن الذين نحكم على الله بما يجب له أو يجوز أو يمتنع؛ وليس ما أخبر الله هو الذي يحكم بيننا . أعوذ بالله . هذا لازم قولهم وإن كانوا لا يصرحون بهذا لكن هذا لازم قولهم؛ ؟إذا قيل قال الله عن نفسه إنه يحب؛ قال: لا، الله ما يحب؛ لكن يثيب؛ ي عن نفسه إنه يحب؛ قال: لا من يحب الله ؟ الذي يحب هو الثواب؛ ((**فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه**)) أيش يحبهم ؟ يثيبهم ((**يحبونه**)) يحبون ثوابه . سبحان الله . والله إن الإنسان يجد طعما لا شيء يشبهه في محبة الله . الله اكبر . ومحبة الله ما هي محبة الثواب؛ إذا وقع في قلبك محبة الله نسيت كل شيء حتى الجنة وحتى كل شيء تحب الله نفسه عز وجل تحبه حتى أنك ترى أن كل شيء يضمحل ويكون عبدا لله أمامك؛ فالمحبة محبة حقيقة لله محبة؛ ولهذا جاء في الحديث وإن كان فيه ما فيه (**أحبوا الله لما يغذوكم به من النعم**) كل النعم من أين؟ من الله ((**وما بكم من نعمة فمن الله**)) وأكبر نعمة على الإنسان والله هي أن يهديه للإسلام ((**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي**)) الإنسان الذي هداه الله للإسلام ليس أحد مثله في النعمة إلا من أنعم عليه بها؛ فأنت في الحقيقة تحب الله نسفه لذاته ولما أنعم عليكم به من النعم؛ وليست محبة الله كمحبة الزوجة كمحبة الطعام كمحبة الشراب كمحبة اللباس كمحبة السكن كمحبة السيارة لا، محبة لا يشبهها شيء؛ وجرب تجد؛ خل قلبك صافيا يوما من الدهر وصل وكن متصلا بالله في صلاتك تجد شيئا ما يختل ببال، وتجد شيئا يبقى أثره مدة طويلة وأنت تتذكر تلك اللحظة التي كنت فيها متصلا بربك عز وجل؛ فالحاصل أننا نقول: لا أحد ينكر محبة الله نفسه إلا من حرمها؛ والله لو نعتقد إنا نحب ثواب الله دون الله ما حرصنا كل الحرص على الأعمال الصالحة مع أننا مقصرون ما عملنا شيئا لكن نقول يعني أن الإنسان يعمل عمل الصالح لله؛ ولا يعني ذلك أننا لا نلاحظ الثواب لا، نلاحظ الثواب لسنا صوفية يقولون: من عمل للثواب فهو للتراب؛ نقول نحن نحب الله ونحب ثوابه؛ لكن الأصل ما هو؟ محبة الله؛ ولهذا قال الله تعالى: ((**للذين أحسنوا الحسنى وزيادة**)) ما هي الحسنى؟ الجنة، كلها بما فيها من النعيم ((**وزيادة**)) النظر لوجه الله؛ فجعل النظر لوجه الله زائدا عملا زائدا عن النعيم؛ لأن الإنسان . اللهم اجعلني وإياكم ممن ينظر إليه . إذا نظر إلى ربه فهذا أكمل ما يجد من النعيم واللذة ؛ فلهذا نقول: إن محبة الله محبة لله عز وجل حقيقة ولا مانع . يقولون: إن المحبة لا تكون إلا بين متلائمين، ولا ملائمة بين الخالق والمخلوق؛ ويش نقول لهم؟ دعوى باطلة يبطلها الواقع؛ ألستم تحبون منازلكم وثيابكم ومركوباتكم ؟ إنسان عنده بعير صلف شديد لا يحجزه اللجام وبعير سهل للانقياد سليس المشي هملاج أيهما أحب إليك ؟ الثاني؛ وإلا الأول؟ الثاني يحبه يقول روح جب بعير؟ جاب له البعير الصلف قال لا رح رده هات الثاني؛ لأيش؟

لأن الثاني أحب إليه؛ من قال إن المحبة لا تكون إلا بين المتلائمين ما ؛ محبة ثابتة ثم على فرض أن هذا يكون بين المخلوقات فليس هذا بين الخالق والمخلوق؛ الخالق والمخلوق أثبت الله وهو أعلم أنه يحب ويحب؛ إذا في هذه الآية رد على من ينكر أيش؟ محبة الله؛ المحبة بين الإنسان وبين الرب . والناس في هذا ثلاثة أقسام؛ قسم قال: لا محبة بين العبد والرب، من الجانبين ؛ وقسم قال: لا بل تثبت المحبة بين الرب والعبد من الجانبين؛ والثالث قال: إن الله يحب ولا يحب؛ والقرآن والسنة يرد على طائفتين ويؤيد الطائفة؛ من نفى المحبة بين الطرفين فقوله باطل؛ ومن تناقض فأثبتها من جانب دون الرب فقد تناقض أيضا، فقد تناقض؛ الأول قوله باطل ومطرد قوله مطرد؛ لكنه باطل؛ والثاني قوله متناقض وهو باطل؛ ومن أثبتها بين العبد والرب فهذا هو الذي على الحق؛ لأن الله أثبت ذلك . ومن فوائد الآية الكريمة؛ انتهى الوقت ؟ طيب

السائل : شيخ ؟ إذا حقق الإنسان الأمور الأربعة التي يكون فيها متبعا الرسول صلى الله عليه وسلم هل يتناقض هل يمنع محبة الله لأنه عاص بصغيرة ؟

الشيخ : لا قد لا يمنع لكن ينقص بلا شك .

بسم الله الرحمن الرحيم. ومن فوائد الآية الكريمة: الثمرة الجليلة لإتباع الرسول صلى الله عليه وسلم؛ وذلك بمحبة الله . ومن فوائد الآية أيضا: أنه ينبغي للإنسان إذا عمل عمل أن يشعر نفسه أو أن يستشعر أنه متبع بذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لأن هذه نية مهمة؛ فينوي الإنسان عند فعل العبادة نيتين؛ النية الأولى: الإخلاص لله عز وجل، وأنه لم يفعل ذلك إلا طاعة لله و وابتغاء لمرضاته؛ والثانية: أن يشعر بأنه متبع لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يتقن العمل؛ لأنه إذا أخلص لله وأخلص لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالإتباع أكمل عبادته أكثر وأكثر . ومن فوائد الآية الكريمة: أن الجزاء من جنس العمل؛ لقوله: ((**فاتبعوني يحببكم الله**)) حيث جعلها برهانا على صدق دعوى المحبة وجعل الجزاء من جنسه أن الله يحب العبد . ومن فوائد الآية الكريمة: أن إتباع الرسول صلى الله عليه وسلم سبب لمغفرة الذنب؛ لقوله: ((**ويغفر لكم ذنوبكم**)) وهذا ظاهر أن إتباع الرسول صلوات الله وسلامه عليه من أسباب المغفرة؛ قال الله تعالى: ((**إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم**)) وقال الله تعالى: ((**إن الحسنات يذهبن السيئات**)) . ومن فوائد الآية الكريمة: كمال إحسان الله سبحانه وتعالى بجزائه على العمل أكثر منه؛ لأن الذي يتبع الرسول يحصل له محبة الله ومغفرة الذنوب؛ ويتبين لك هذا الفضل بأن الذي من عليك بالعمل أولا هو الله؛ ثم من عليك ثانيا بالجزاء عليه جزاء أكثر؛ ولهذا ما أعظم شكر الله تعالى للعبد حيث يقول: ((**هل جزاء الإحسان إلا الإحسان**)) مع أن إحسان

العبد إنما كان بإحسان الله إليه، أليس كذلك؟ بلى؛ فالله تعالى يحسن إليك بالعمل أولا وثانيا؛ أولا بالتوفيق له وثانيا بالجزاء عليه ((**إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا**)) شف الفضل العظيم ؛ كأن الأمر منا ((**وكان سعيكم مشكورا**)) مع أن التوفيق من الله سبحانه وتعالى . ومن فوائد الآية الكريمة: إثبات هذين الاسمين وما تضمناه من صفة؛ قوله: ((**والله غفور رحيم**)) ففيهما إثبات الاسمية لله في هذين الاسمين؛ والثاني الصفة التي تضمناها؛ ومعلوم أن كل اسم من أسماء الله يدل على معناه الخاص به؛ لكن اجتماع الاسمين يدل على معنى ثالث وهو الجمع بين مغفرة المعائب، والرحمة بالعناية بالفضائل؛ لأن المغفرة مقابل الذنوب، والرحمة مقابل العناية بالإنسان، أن الله تعالى يرحم الإنسان؛ فيحصل من اجتماع هذين الاسمين صفة ثالثة وهي جمع الرب سبحانه وتعالى بين الإحسان والعناية وبين الوقاية من الذنوب وآثارها بالمغفرة . ثم قال الله تعالى: ((**قل أطيعوا الله والرسول**)) فائدة ؟ ما هي ؟ لا ما يمكن، هذا ما يمكن ؛ لأنه قد جاء للفاضل ما يجعله مفضولا ؛ وهذه قاعدة معروفة بين أهل العلم؛ والتأليف بين المسلمين أمر مطلوب شرعا؛ وقد نص الإمام أحمد رحمه الله أنه إذا كان في ترك السنة تأليف بالعباد فإن التأليف يجب أن يراعى أكثر؛ كما قال إذا أم قوما لا يرون القنوت في الوتر فلا يقنت؛ وقال إذا ائتم بشخص يقنت في الفجر فليتابعه وليؤمن على دعائه؛ بل ترك النبي عليه الصلاة والسلام بناء الكعبة على قواعد إبراهيم خوفا من الفتنة؛ وهذه القاعدة ينبغي لطالب العلم أن ينتبهوا لها وهو قد يعرض للمفضول ما يجعله أفضل من الفاضل؛ وإذا تأملت الشريعة على حسب القواعد العامة وجدت أن كل ما يوجب التنافر بين المسلمين والعداوة بينهم يكون منهيا عنه؛ البيع على بيع مسلم والغش وما أشبه ذلك كل هذا لأنه يوجب التنافر والعداوة بين المسلمين؛ والإنسان يمكنه أن يوفق بين السنة وبين التأليف يفعل السنة في ذات نفسه في مكان لا ينفر منه الناس ثم يدعوا الناس إليها قبل القول قبل كل شيء ويبينها للناس أولا؛ فإذا اطمئن الناس عليها سهل تطبيقها عليه وعليهم؛ فأهم الشيء إقناع هؤلاء الذين لا يفهمون؛ فإذا اطمئنوا عميت معهم السنة على وجه ليس فيه تنفير؛ المهم على كل حال المراعاة المصالح في الشريعة الإسلامية أمر معلوم، ودفع المفاسد أمر معلوم . ((**قل أطيعوا الله والرسول**)) الخطاب في قوله: ((**قل**)) للرسول صلى الله عليه وسلم؛ و((**أطيعوا الله**)) الطاعة ما هي؟ الطاعة هي عبارة عن انقياد والموافقة سواء كانت في الفعل أو في ترك ؛ فإن كانت أمرا فالطاعة فعل المأمور به، وإن كانت نهيا فالطاعة اجتناب المنهي عنه هذه الطاعة ؛ وقوله: ((**أطيعوا الله والرسول**)) أتى بالواو الدالة على التشريك؛ لأن طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم فيما يأمر بالشريعة من طاعة الله، طاعته فيما يأمر به من شريعة من طاعة الله؛ وأما فيما لا يأمر به من الشريعة فلاشك أنه أعظم الناس حقا علينا؛ ولكن قد يشير الشيء ولا يلزم أو قد يشفع الشيء ولا يلزم طاعته في الشفاعة كما مر علينا في قصة بريرة

حيث قالت: (**يا رسول الله إن كنت تأمرني فسمعا وطاعة وإن كنت تشير علي فلا حاجة لي فيه**) ؛ أما طاعة الرسول فيما يأمر به من شرع الله فإنها كطاعة الله سواء؛ فإذا أمر عليه الصلاة والسلام بشيء فإن طاعته طاعة لله سبحانه وتعالى؛ ولهذا جاءت الواو ((**أطيعوا الله والرسول**)) وأنظر إلى الأمر الشرعي حتى في الإتيان ((**ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله**)) ولم يقل: ثم رسوله؛ لأن هذا إتيان شرعي لا قدري؛ في الأمور القدرية ما يمكن أن يشرك الرسول مع الله بالواو؛ في الأمور الشرعية يشرك لأن النبي صلى الله عليه وسلم لا يشرع إلا بشرع الله؛ ولهذا قال: ((**أطيعوا الله والرسول**)) . وقوله: ((**الرسول**)) أل فيها للعهد وليست للاستغراق؛ فمن المعهود ؟ كيف؟ النبي محمد صلى الله عليه وسلم، المعهود رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد بن عبد الله؛ وهذا العهد ذهني ليس حضوريا ولا ذكريا؛ لأن العهود ثلاثة: عهد ذكري، وذهني، وحضوري؛ فإذا قلت: أكرم هذا الرجل، هذا حضوري؛ وإذا قلت: رأيت رجلا فدعوت الرجل، هذا ذكري؛ وإذا قلت: جاء القاضي، ذهني هذا ذهني نعم . يقول: ((**أطيعوا الله والرسول**)) والرسول من؟ الرسول عند عامة العلماء من أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه ؛ والنبي من أوحي إليه بشرع يتعبد به ولكن لم يكلف بتبليغه ؛ فآدم نبي لأنه أوحي إليه بشرع لكنه ليس برسول؛ لأنه لم يلزم بتبليغه؛ لكن ذريته في ذالك الوقت كانوا يتبعونه؛ لأنهم قلة ولم يكثروا فيحصل النزاع بينهم؛ ولم تفتنهم الدنيا؛ فكانوا يتبعون أباهم فيما يتعبد به من شريعة الله؛ فلما كثر الناس واختلفوا بعث الله النبيين كما قال الله تعالى: ((**كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين**)) فصار الرسول أخص من النبي؛ وعليه فنقول كل رسول نبي وليس كل نبي رسولا؛ لكن الأنبياء الذين ذكروا في القرآن بلفظ النبوة هم أنبياء ورسل بقوله تعالى: ((**ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك**)) فأفادت الآية الكريمة أن كل من قصه الله علينا في القرآن فهو رسول وإن كان لم يرد ذكره إلا بلفظ النبوة . يقول: ((**قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا**)) يعني أعرضوا عن الطاعة ولم يمتثلوا لها ولم ينقادوا ((**فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين**)) إن تولوا عن طاعة الله فإن هذا كفر، كفر منه؛ ولكنه قد يكون مخرجا من الإسلام وقد لا يكون مخرجا؛ كيف ؟ إن كان كفرا مطلقا بكل ما أمروا به فهو كفر مخرج من الإسلام؛ وإن كان كفرا مقيدا ببعض الأوامر فهو كفر دون كفر لا يخرج من الإسلام ؛ والميزان في ذلك النصوص، الميزان في ذلك النصوص؛ فما دلت النصوص على أنه كفر كانت تولي به كفرا مخرجا عن الملة؛ وما دلت النصوص على أنه معصية فهو كفر لا يخرج من الملة؛ وفي قوله: ((**فإن الله لا يحب الكافرين**)) بماذا نفسر المحبة هنا؟ فسرها بعضهم بأن المعنى لا يثيبهم؛ ولكن هذا تحريف؛ والصواب أنه لا يحبهم وهو إذا لا يحبهم لن يثيبهم؛ فهذا انتفاء محبة الله عنهم . وقوله: ((**الكافرين**)) هو إظهار في محل الإضمار؛ ومقتضى السياق أن يقال: فإن تولوا فإن

الله لا يحبهم؛ ولكنه أظهر في موضع الإضمار لفائدتين؛ إحداهما لفظية والثانية معنوية؛ والمعنوية تتضمن ثلاث فوائد؛ الفائدة اللفظية مراعاة الفواصل، فواصل الآيات؛ لو قال: فإن تولوا فإن الله لا يحبهم، لم تتناسب هذه الفاصلة مع الفواصل التي قبلها وبعدها؛ ومراعاة الفواصل من البلاغة؛ ألم تروا إلى قوله تعالى في سورة طه: ((**قالوا آمنا برب هارون وموسى**)) مع أنه في الآية الأخرى يقدم موسى وموسى أفضل من هارون لاشك وأحق بالتقديم ؛ لكن قدم هارون على موسى في هذه الآية، آية طه من أجل مراعاة الفواصل؛ ولاشك أن القرآن في قمة البلاغة ؛ فمراعاة الفواصل من البلاغة . أما الفائدة المعنوية فنقول: إن قوله: ((**لا يحب الكافرين**)) إظهار في موضع الإضمار له ثلاث فوائد معنوية ؛ الفائدة الأولى: التسجيل على هؤلاء بالكفر، يعني الحكم عليهم بأنهم كفار؛ ولو قال: فإنهم لا يحبهم لم تحصل هذه الفائدة أنهم كفار؛ الفائدة الثانية: التعميم، تعميم بحيث تكون محبة الله منتفية عن كل كافر، منتفية عن كل كافر، وإلا لا؟ ولو قال: لا يحبهم لاختص نفي المحبة بهؤلاء فقط؛ الفائدة الثالثة: التعليل، وذلك لأن الحكم إذا علق بالوصف دل على علية ذلك الوصف فيه،

الشيخ : ما أدري الكلام عربي وإلا ؟ عربي؟

الطالب : واضح ,

الشيخ : طيب ((**إن الله لا يحب الكافرين**)) لماذا ؟ لكفرهم ؛ فتعليق الحكم بالوصف يدل على علية ذلك الوصف في الحكم، يعني أن سببه ذلك الحكم ؛ فإذا قلت: أكرم المجتهد ؛ لماذا ؟ لاجتهاده ؛ إذا علق الإكرام بوصف وهو الاجتهاد؛ فدل ذلك على أن الاجتهاد هو العلة ؛ فصار الإظهار في موضع الإضمار له ثلاث فوائد معنوية وفائدة لفظية ؛ لكن الفائدة لفظية قد لا تثبت أو لا تحصل في كل موضع ؛ لكن في هذا الموضع حصلت

الشيخ : الفائدة اللفظية هنا يا بندر ؟

الطالب : مراعاة الفواصل؛ طيب

الشيخ : المعنوية ؟

الطالب : يعني الحكم عليهم بالكفر

الشيخ : طيب؛ التعميم، والتعليل؛

الشيخ : واضح يا جماعة؟

الطالب : نعم ؛

السائل : تعبد بهذا ؟

الشيخ : لا لأنها لو قال: لا يحبهم تعبدنا بتلاوته، معناه إذا كل آية في القرآن تحتاج أن تقول إنها ناقصة ؟ ما يصح هذا .

طيب إذا نقول: في هذه الآية فوائد؛ أولا: عناية الله سبحانه وتعالى بطاعته وطاعة رسوله ؛ الشيخ : وجهه يا شاكر؟ الطالب : ((**قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا**))

الشيخ : لا؛

الطالب : نعم يا شيخ إنه قرن بالواو .

الشيخ : نعم يا أخ؟

الطالب : أولا: تصدير الآية بقل؛

الشيخ : نعم ؛

الطالب : ثانيا: جعلها بعد ((**قل**))؛

الشيخ : لأنه مر علينا أنه إذا صدرت ((**قل**)) في الآية كان ذلك أمرا خاصا بإبلاغها مع أن القرآن كله الرسول أمر بأن يقوله ؛ ثاني مناسبة أنها ذكرت بالمحبة بعد آية المحبة إشارة إلى أن طاعة الله والرسول سبب لذلك.

ومن فوائد الآية الكريمة: وجوب طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ لقوله: ((**والرسول**)) وهذا مكرر في آيات متعددة . ومن فوائدها: الرد على من قال إن السنة لا يعمل بها إلا ما وافق القرآن؛ وجهه ؟ أن الله قال: ((**أطيعوا الله والرسول**)) ومن المعلوم لو قلنا إن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يطاع إلا فيما أمر الله به

ومن فوائد الآية الكريمة: الرد على من قال إن السنة لا يعمل بها إلا ما وافق القرآن؛ وجهه؟ أن الله قال: ((**أطيعوا الله والرسول**)) ومعلوم لو قلنا إن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يطاع إلا فيما أمر الله به لم يكن للأمر بطاعته فائدة؛ لأن كل من أمر بما أمر الله به فهو مطاع، مطاع لا لأمره ولكن لأمر الله؛ فطاعة الرسول بأمره طاعة مستقلة؛ على أننا نقول إن الذي يقول إنه لا يعمل بالسنة إلا ما وافق القرآن متناقض؛ وجهه؟ أن قوله: إلا ما وافق القرآن يحكم عليه؛ لأنه ليس في السنة ما يخالف القرآن؛ لأن القرآن أمر بالعمل بالسنة؛ فالعمل بها موافقة للقرآن وليس بمخالفة نعم؟ فهذا تناقض . سمعت أن بعض الناس أنكر على من استدل بقوله تعالى: ((**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**)) وقال: إن هذا في قسم الفيء ؛ وهذا صحيح أنها الآية في قسم الفيء ؛ ولكن إذا كان يجب علينا أن نقبل ما قسمه الرسول عليه الصلاة والسلام في الفيء وأن ننتهي عما نهى عنه؛ فما بالك بالأمور الشرعية؟ أليس قبولنا بما جاء به شرعا أولى من قبولنا بما قسمه مالا؟ ما فيه شك؛ يعني لو سلمنا جدلا وحقيقة إنها في الفيء لكنها تشير إلى أنه إذا قبلنا قسمته في الأموال فيجب علينا أن نقبل ما حكم به في شرع الله . ومن فوائد الآية الكريمة: إثبات رسالة النبي صلى الله عليه وسلم؛ لقوله: ((**أطيعوا الله والرسول**)) . ومن فوائد الآية الكريمة: وجوب الطاعة ؛ لقوله: ((**فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين**)) واعلم أن ترك امتثال الطاعة إن كان سببه كراهة ما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام فهذا كفر مخرج عن الملة كما قال تعالى: ((**ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم**)) وإن كان تكاسل وكراهة لهذا العمل لنفسه لا لأن الرسول جاء به فهذا لا يخرج من الملة؛ وهذه مسألة يجب التفطن لها والتنبه؛ لأن بعض الناس إذا رأى أن شخصا لتطبقه السنة قال: هذا كره ما أنزل الله فهو كافر؛ وهذا غلط عظيم؛ والكفر ليس نقدا سهلا تعطيه من شئت وتمنع من شئت؛ الكفر أمره صعب جدا لا يجوز أن نكفر إلا من تيقنا أنه صدق عليه أنه كافر؛ ولهذا ربما يكره الإنسان هذا العمل من شخص ولا يكرهه من شخص آخر؛ إذا هو لا يكره العمل لأنه سنة؛ لكن قد يكره هذا الرجل نفسه؛ لأنه عمل به وهذا شيء كثير مشاهد؛ لو أن أحدا من الناس الموثوقين عند العامة فعل هذا الفعل لوجدتهم يتحدثون أرى هذه سنة ما كنت أدري أنها سنة فيأخذون بها؛ أو على الأقل لا ينكرونه؛ لكن لو فعله واحد غير موثوق ويش تجده؟ ينتقدونه، ينتقدونه ويكرهونه وهذا صلع مسكين هذا نعم؟ ويرمون بكل دا ؛ فالمهم إن هذه مسائل يجب إخواننا أن نفرق بين من كره العمل لأنه شرع الله فهذا لاشك في كفره ((**ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم**)) وعلامة ذلك أنه لو جاء من غير شرع الله لقبله؛ فهذا كافر؛ وأما من كره العمل لأنه عمل فهذا لا يصل إلى حد الكفر ولكن ينظر في أمره؛ ونزلوا هذه المسائل بارك الله فيكم على كثير ممن يتصرع فيه بعض الناس فيحكم على فاعله بالكفر؛ وما علم أم من دعى رجلا

بالكفر أو قال: يا عدو الله وليس كذلك فإنه يرجع عليه) والذي قال هذا رسول الله عليه الصلاة والسلام؛ فمعنى يرجع عليه أنه سيكفر هذا الرجل، يكفر؛ لأنه قال: (**إلا حار عليه**)؛ ولم يقل: إلا أوشك أن يحور عليه؛ قال: (**إلا حار عليه**) يعني أنك ستكفر اليوم أو غدا إلا أن يمن الله عليك بالتوبة؛ كل هذا من أجل حماية أديان الناس؛ فإذا كان الشرع يحمي أعراض الناس بأن من قذف شخصا وجب عليه الحد ثمانين جلدة فأديان الناس حماها أيضا؛ بماذا؟ بأنك إذا كفرت شخصا أو قلت: يا عدو الله رجع عليك؛ حتى لو قلت: يا عدو الله فيما يفسقه رجع عليك وبليت بالفسق . والعياذ بالله . فالمهم يا إخواني إنه يجب أن لا نتصرع في هذه الأمور وأن نعلم أن الأمر عظيم، عظيم لا يتصور الإنسان عظمه؛ لكن الحمد لله يسع ما دل عليه شرع الله عزوجل؛ من كفره الله ورسوله فكفره؛ لكن تتيقن لابد أن تتيقن أن هذا الرجل بعينه محكوم عليه بالكفر؛ وإذا كنا لا نشهد للمؤمن بعينه بالجنة وإن كان داخلا في عموم المؤمنين؛ فلا نشهد للرجل بالكفر وإن كان داخلا في عموم الكافرين؛ يعني إذا جاء نص يقول: من فعل هذا فهو كافر؛ فلا نطبق هذا الحكم على كل من فعله بعينه؛ كما أنه جاءت النصوص بأن المؤمنين يدخلون الجنة هل نحكم بدخول الجنة على كل مؤمن بعينه؟ لا، ما نشهد بالجنة بعينه إلا من شهد له الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ فكذالك أحكام الكفر كأحكام الإيمان تماما؛ واعلم أنك إذا حكمت عليه بالكفر فقد أبحت ماله، أبحت دمه وماله وحرمته الجنة وأوجبت له النار وأوجبت فسخ نكاح زوجاته منه وأن لا يرث أحدا من أقاربه وأن لا يصلى عليه وأن لا يدفن مع المسلمين؛ ما هي أحكام الكفر ما هي هينة حتى تكون على ألسنة كل أحد أي نعم .

الشيخ : على كل حال مثل ما قلت لكم من كره لأنه شرع الله فهذا كافر؛ أي نعم صحيح يرونه عادي هذه إذا يكره الشخص نفسه، يكره الشخص نفسه ؛ ولهذا الآن هذه الذين ذكرت زد ثالثا: إذا فعلها من يثق الناس به علما ودينا ما كرهوه؛ فإذا صار يكره الشخص نفسه؛ وذلك الفاسق الذي رفع ثوبه ما يكرهه ولا يحبه لأن هذا يقول سبحان الله ربما إن الله هداهم ، أي نعم .

السائل : وفي أناس آخرون مسلمين ولم يفعلوا السنة بما جاء من النبي صلى الله عليه وسلم وهم يفعلونها من أجل الناس من اجل تطبيق السنة الصحيحة ؟

الشيخ : أنا أعطيتهم قاعدة طبقوها على كل الناس؛ من كره الرجل لكراهة السنة، من كره العمل لأنه سنة وشرع فهو كافر؛ ومن كرهه من هذا الشخص نفسه فهو لكراهة الشخص؛ وكما قلت لكم وزادنا الأخ غانم قسما ثالثا نعم .

السائل : مراعاة الفواصل إذا قال قائل: إن الله سبحانه وتعالى قادر أن يجعل الآيات كلها على واحد ((**رب هارون وموسى**)) يستطيع أن يجعل الله كل الآيات على ؟

الشيخ : لسنا نحكم على الله يا أخي؛ الله هو الذي يحكم علينا ؛ لكن مراعاة الفواصل ؟ أيه هذا شيء معروف، والعلماء ذكروا هذا وهو صحيح أن مراعاة الفواصل؛ أحيانا لفظة يعني غريبة في اللغة العربية لأجل هذا ((**والليل إذا عسعس والصبح إذا تنفس**)) وأشياء كثيرة من هذا؛ لأن هذا مقتضى البلاغة .

السائل : شيخ ؟ جزاكم الله خير عثمان رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ أحسنت ؛ هل يؤخذ منه دليل ؟

الشيخ : ما لعن معينا ؛ ولو فرض أنه لعن معينا فالمراد الجنس كقول الرسول عليه الصلاة والسلام: أفطر الحاجم لما مر برجلين يحتجمان في البقيع قال: (**أفطر الحاجم والمحجوم**) قال: شيخ الإسلام ليس يريد أن هذين أفطرا؛ لأنهما جاهلان؛ لكن المراد أفطر الجنس، يعني أفطر جنس هذا العامل، أي نعم .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ((**إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم إذ قالت امرأة عمران رب إني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل مني إنك أنت السميع العليم فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وإني سميتها مريم وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم**)) أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. قال الله تعالى: ((**إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين**)) أولا أظن أننا كملنا الفوائد السابقة لم يبق شيء؛ قال الله: ((**إن الله اصطفى آدم ونوحا**)) هذه الجملة كما نشاهد جملة مؤكدة بإن لأن المقام يقتضي ذلك؛ إذ أن المقصود بيان أن الله تعالى يصطفي من الناس من شاء ((**الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس**)) يعني ومن الناس رسلا ؛ فيقول الله تعالى: ((**إن الله اصطفى آدم**)) وآدم هو أبو البشر خلقه الله تعالى خلقا مستقلا وليس متطورا من جنس آخر أو نوع آخر قبله كما يقوله أهل الإلحاد؛ ومن ادعى ذلك فقد كفر الله؛ لأن الله أخبر في كتابه في عدة مواضع أن الله خلق آدم من تراب ((**من صلصال**

كالفخار)) من طين؛ خلقه بيده ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته؛ فمن زعم غير ذلك فهو كافر؛ مصدق لغير الله مكذب لله . والعياذ بالله . مع العلم بأنه لن يأتي أحد بكلام عن آدم وابتداء خلقه وكيفية خلقه غير مستند في ذلك إلى الوحي فإن قوله غير مقبول؛ لماذا؟ لأنه لم يشاهده، قال الله تعالى: ((**ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم**)) وقال الله تعالى: ((**ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله**)) فمن ادعى علم شيء مما سبق فهو كاذب إلا ببرهان؛ وآدم كما نعلم بيننا وبينه أزمنة طويلة جدا؛ فلا يمكن أن نقبل قولا فيه إلا عن طريق الوحي الصحيح . وسمي آدم قيل: لأدمته يعني لأن لونه ليس الأبيض الباحق ولا الأسود الحالك لكنه بين ذلك؛ وخلقه الله عزوجل على صورته أي على صورة الله عزوجل تكريما له؛ ولا يلزم من كونه على صورة الله أن يكون مماثلا له؛ لأن الله تعالى يقول: ((**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**)) فعلينا أن نؤمن بالنصوص كلها، نؤمن بأنه خلق على صورته ونؤمن بأنه ليس مثله؛ فإن قلت: كيف يكون على صورته وليس مثله؟ فالجواب: يمكن هذا، يمكن هذا في المخلوق فما بالك بالخالق؟ لقد أخبر النبي عليه الصلاة والسلام: (**أن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر**) ومن المعلوم أنه لا يلزم التماثل، يعني ليست صورتهم كصورة البدر تماما؛ بل من حيث الجملة والبهاء والنور؛ كالبدر نعم كالقمر ليلة البدر؛ ثم إن القرآن والسنة لا يكذب بعضهما بعضا؛ وإذا كان الجمع ممكنا بين المخلوقات بعضها مع بعض أي أن الشيء يكون على صورة الشيء بدون مماثلة فإمكان ذلك بين الخالق والمخلوق من باب أولى إذ أن الله ليس كمثله شيء؛ وقوله: ؛ خلق الله على صورته وأسجد له ملائكته إكراما له، قال الله تعالى: ((**فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين**)) فأمرهم أن يسجدوا فأمر الملائكة أن تسجد له إكراما له؛ وآدم عليه الصلاة والسلام أوحي إليه كما في القرآن الكريم؛ ولاشك أنه أوحي إليه أيضا من ناحية العقلية؛ وذلك لأنه لا يستقل بعبادة الله، أي لا يمكن أن يعرف كيف يعبد الله إلا بوحي من الله؛ وهو مخلوق للعبادة ((وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)) فدل السمع والعقل على أنه موحى إليه؛ ولكن هل كان رسولا ؟ لا ليس برسول لدلالة الكتاب والسنة؛ أما في الكتاب ففي قوله: ((**إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده**)) فجعل النبيين من بعد نوح؛ وقال تعالى: ((ولقد أرسلنا نوحا وابراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب)) وفي الحديث الصحيح حديث الشفاعة الطويل أن الناس سيأتون إلى نوح ويقولون له: (**أنت أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض**) وعليه فآدم نبي أوحي إليه بشرع وتعبد لله به وبقي الناس على هذا الشر لأنهم قلة ولم يحصل منهم اختلاف فلما اختلفوا ((**فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه**)) . وقول: ((**آدم ونوحا**)) نوح ذكره الله عزوجل بعد

ذكر آدم؛ لأنه الأب الثاني للبشرية؛ فإن نوحا لما كذبه قومه إلا القليل أهلكهم الله تعالى بالغرق فكان فجعل الله ذريته هم الباقين كما في سورة الصافات: ((**وجعلنا ذريته هم الباقين**)) فصار الأب الثاني للبشرية؛ وهو أول رسول أرسله الله إلى أهل الأرض ولبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما يدعوهم إلى الله وما آمن معه إلا قليل، ألف سنة وما آمن معه إلا قليل؛ ونحن إذا دعونا عشرة أنفا وتلكئوا قليلا ثم استجاب واحد من عشرة قلنا ما قبلت دعوتنا واستحسرنا عن الدعوة إلى الله وأئسنا؛ وهذا رسول بقي ألف سنة إلا في قوم وما آمن معه إلا قليل ومع ذلك قال الله تعالى في كتابه: ((**لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب**)) . ((**وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين**)) آل ابراهيم لاشك أنه يدخل فيهم ابراهيم بالأولى؛ لكن نص على آله لكثرة الرسل فيهم ولا سيما أن فيهم أفضل الرسل محمدا صلى الله عليه وآله وسلم؛ فإن محمدا صلى الله عليه وسلم من آل إبراهيم؛ طيب ((**وآل عمران**)) اختلفوا في المراد بهم؛ فقيل: آل عمران أبي موسى؛ لأن موسى أفضل أنبياء بني إسرائيل؛ وقيل: آل عمران أبي مريم ((**ومريم ابنت عمران**)) فذكر آل عمران لأن فيهم آخر الرسل قبل محمد صلى الله عليه وسلم وهو عيسى بن مريم الذي ينتمي إليه النصارى؛ وخصها بذلك، خص آل عمران بذلك لأن المقام يقتضيه أيضا فإن هذه السورة نزل أولها في وفد نجران وهم من النصارى؛ وسواء كان هذا أو ذلك فإنه يدل على أن الله اصطفى هذه القبيلة قبيلة ابراهيم فهو مصطفى من مصط ؛ اصطفى آدم هذا الاصطفاء الأول؛ ونوحا هذا الاصطفاء الثاني، وآل ابراهيم هذا ثالث، وآل عمران الرابع؛ فكان هؤلاء السادة من البشر هم الذين اصطفاهم؛ ومعنى الاصطفاء أن الله اختارهم وفضلهم على كثيرة ممن خلق تفضيلا كما قال تعالى: ((**ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا**)) ما هو على كل ما خلقنا، ((**على كثير ممن خلقنا تفضيلا**)) طيب قلت الاصطفاء بمعنى الاختيار لأن أصله مأخوذ من الصفوة، وصفوة الشيء خياره ؛ ((**واصطفى**)) أي أخذ صفوته . وقوله: ((**على العالمين**)) أي عالمين ؟ هل هم كل العالم؟ أو العالمين من جنس الحيوان؟ نعم؟ الأول هو الأصل أن المراد بالعالمين من سوى الله؛ لقوله تعالى: ((**الحمد لله رب العالمين**)) وسيأتي إن شاء الله في الفوائد ما ينبني على هذا الخلاف . وقوله: ((**ذرية بعضها من بعض**)) ((**ذرية**)) بالنصب بدل من ((**آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران**))

السائل : ما نأخذ الفوائد يا شيخ ؟

الشيخ : طيب نأخذ الفوائد .

ذرية يعني هؤلاء الأربعة الأصناف ذرية بعضها من بعض؛ والذرية مأخوذة من ذرأ بمعنى خلق كقوله تعالى: ((**يذرأكم فيه**)) أي يخلقكم؛ وقيل: من وذر بمعنى ترك؛ فعلى الأول تكون ذرية شاملة للأصول والفروع، تكون ذرية شاملة للأصول والفروع؛ لأن الأصول مخلوقون والفروع كذلك مخلوقون؛ أما إذا جعلناها من وذر بمعنى ترك فهي للفروع فقط وهذا هو المعروف عند عامة الناس؛ أن الذرية هم الفروع يعني من نشئوا عن الإنسان وتركهم بعده؛ هل في القرآن ما يدل على أن الذرية تطلق على الأصول ؟ نعم أيش ؟ ((**الذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم**)) ؟ لا لا، ذرية من حملنا مع آدم ؟ **لا** ((**ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدا شكورا**)) نعم؟ قوله تعالى: ((**وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون**)) نعم هذه؟ ((**وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون وخلقنا لهم من مثله**)) فإن الذين حملوا في الفلك من الذرية هم الذين آمنوا مع نوح وهم سابقون . وقوله: ((**بعضها من بعض**)) في جنس الخلقة؟ أو ((**بعضها من بعض**)) في العمل والآداب والأخلاق ؟ الظاهر الشمول؛ لأن الآدميين كلهم من جنس واحد؛ ما فيه آدمي كان بالأول قرد كما يقوله إخوان القردة، ومن أقروا على أنفسهم بأنهم قردة؛ الآدمي أصله آدمي خلق الله أباه بيده ابتداء؛ لكن هؤلاء أبوا إلا أن يجعلوا أنفسهم من القرود؛ ف((**بعضها من بعض**)) في الخلقة؛ من آدم إلى يومنا هذا لم تتغير الخلقة إلا في قوة الجسم وضخامة الجسم؛ لأن آدم خلق طوله في السماء ستون ذراعا وعرضه أيضا على ما في حديث كثيرة سبعة أذرع؛ وهذا الخلق نقص نقص حتى وصل إلى هذه الأمة وانتهى؛ لأن هذه الأمة هي آخر الأمة؛ ولا يرد على ذلك أنه في بعض المناطق يكون الجنس البشري ضخما وفي بعض المناطق يكون دون ذلك؛ لأن هذا من تغير المناخ والوراثة؛ لكن الأصل أننا نعتبر في آخر مرحلة لبني آدم لأننا نحن آخر الأمم؛ كذلك ((**بعضها من بعض**)) في الآداب، والأخلاق، والديانات إلا من كان منهم ظالما خارجا عن هذا الأصل؛ فإنه يكون خارجا بما خرج به . ((**بعضها من بعض والله سميع عليم**)) ختمها بالسمع والعلم إشارة إلى أن كلما يقوله هؤلاء المصطفون أو يفعلونه فإنه معلوم عند الله؛ فهو يسمع ما يقولون ويعلم ما يفعلون؛ بل ويعلم ما لا يفعلون مما يكون في قلوبهم؛ بل ويعلم ما سيفعلونه وإن لم يكن في قلوبهم؛ لأن الله تعالى يعلم ما كان وما يكون لو كان كيف يكون . في هاتين الآيتين فوائد؛ في الأولى بيان: أن الله اصطفى هؤلاء، هؤلاء المخلوقات على بقية المخلوقات . ومن فوائدها أيضا: أن لله أن يختار من خلقه ما شاء؛ كما قال تعالى: ((**وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون**)) . ومن فوائدها: أن التفاضل كما يكون في الأعمال يكون في الأعيان، كما يكون في الأعمال وفي الأوصاف يكون كذلك في الأشخاص؛ ولهذا نقول: إن جنس العرب أفضل من غيره من الأجناس؛ لكن هذا الجنس الفاضل إذا اجتمع معه التقوى صار له الفضل المطلق وإن تخلفت التقوى صار معدنه

طيب وعمله خبيث فيزداد خبثا لكونه لكون منشأه أو أصله طيبا ثم ارتد بنفسه إلى الخبث؛ لأن من كان منشأه طيبا ثم نزل بنفسه إلى مستوى الأدنى صار أكثر لوما ممن لم يكن كذلك؛ أليس هكذا ؟ ولذلك لو زنت الحرة لجلدت مائة جلدة إن كانت غير محصنة ورجمت إن كانت محصنة؛ ولو زنت الأمة لم ترجم ولو كانت متزوجة ولم تجلد مئة جلدة، تجلد خمسين جلدة؛ لأن هناك فرقا بين إنسان أصله كريم وشريف ثم يضع نفسه موضع الو ؛ وبين شخص كان في الأصل على خلاف ذلك؛ ويدل لهذا أي لأن الناس يختلفون في أجناسهم يدل لهذا أن الله قال في كتابه: ((**الله يعلم حيث يجعل رسالته**)) وقد جعلها الله تعالى في العرب في محمد صلى الله عليه وسلم؛ فإذا كان محمد أطيب الخلق وأشرفه لزم أن يكون جنس العرب أيش؟ أطيب الأجناس وأفضلها وأشرفها وهو كذلك؛ وقد ثبت عن النبي عليه الصلاة السلام أنه قال: (**خياركم في الإسلام خياركم في الجاهلية إذا فقهوا**) . فإن قال قائل: ما الجواب عن قوله تعالى: ((**يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم**)) ؟ فالجواب: أن نقول إن الجواب عن هذه الآية الكريمة: أن الله تعالى أراد أن يمحوا ما كان أهل الجاهلية يعتدون من الفخر بالأنساب حيث يقول أنا من قبيلة الفلانية أنا من قبيلة الفلانية؛ فبين الله أن هذه الشعوب والقبائل من أجل التعارف لا التفاخر؛ وأن فخركم لا يقربكم إلى الله؛ الذي يقربكم إلى الله هو التقوى ((**إن أكرمكم عند الله أتقاكم**)) وهذا لا ينافي أن يكون جنس العرب أفضل من غيرهم كما حققه شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب "اقتضاء صراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم" وأدلته ما سمعتم . ومن فوائد الآية الكريمة: ما ذكره بعض أهل العلم من أن الصالحين من البشر أفضل من الملائكة، أفضل من الملائكة قال: لقوله: ((**العالمين**)) والملائكة عالم؛ فيكون المصطفون من هؤلاء أفضل من الملائكة؛ واستدلوا بأدلة أخرى كأمر الله للملائكة بالسجود لآدم وغير ذلك؛ وعندي أن البحث في هذه المسألة من فضول العلم؛ لأنه أي فائدة لنا إذا قلنا إن فلانا أفضل من جبريل أو جبريل أفضل من فلان؟ أو إن الصالحين من بني آدم أفضل من الملائكة أو الملائكة أفضل من الصالحين؛ نحن نعلم أن الملائكة مقربون عند الله؛ ((**يسبحون الليل والنهار لا يفترون**)) وأنهم كرام ((**وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين**)) ((**كلا إنها تذكرة فمن شاء ذكره في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بأيدي سفرة كرام بررة**)) أما أنه أفضل من بني آدم من صالحين من بني آدم أو الصالحون من بني آدم أفضل منهم فهذا شيء لم يكلف به؛ ولذلك ما جاءت السنة بالتمييز بين هؤلاء وهؤلاء أو بالتفضيل؛ أعط لهؤلاء فضلهم ولهؤلاء فضلهم ولو كان هذا من الأمور التي لابد من اعتقادها ولا يتم الإيمان إلا بها لكان الله ورسوله يبينه ؛ ولكن إذا ابتلينا بمن يقول بين أيهما أفضل؟ فنقول : العلماء في ذلك اختلفوا ؛ وجمع شيخ الإسلام رحمه الله بين هذين القولين؛ فقال: إن الملائكة أفضل باعتبار

البداية ؛ وصالح البشر أفضل باعتبار النهاية ؛ كيف هذا ؟ قال: نعم لأن النور أفضل من طين والملائكة خلقوا من النور من مادة مشيعة مضيئة محبوبة بخلاف الطين؛ وأما في النهاية فإن الجنة تكون للصالحين من بني آدم ومن الجن على القول الراجح؛ وقد ذكر الله عزوجل أن الملائكة يدخلون على أهل الجنة من كل باب سلام عليكم بما صبرتم يهنئونهم ويبشرونهم؛ ومع ذلك فإني أرى أن الإمساك عن هذا أولى؛ وأن نعرف فضل الملائكة ونعرف فضل الرسل الذين اصطفاهم الله من بني آدم ؛ وأما أيهما أفضل فهذا أمر لم نكلف به .

السائل : شيخ إن الله تعالى خلق الملائكة ... هل هذا له أصل ؟

الشيخ : أبدا ما له أصل، ما له أصل ؛ أي نعم صحيح بعض الناس يقول هكذا؛ ولكنه يقول من قال إن الملائكة لا شهوة لهم؟ إن أردت بالشهوة النكاح فهذا لا يكون للملائكة لأن الملائكة صمد ولا يتزوجون ولا يأكلون ولا يشربون ؛ وإن أردت بالشهوة ما يريد الإرادة فلهم إرادة بلاشك ، هم يريدون الخير ويسبحون الله ويمتثلون أمره .

الشيخ : لا أبدا هذا تصنيف من بعض الناس، تصنيف جاز لهم هذا التقسيم أي نعم ؛ أما الحيوان أيضا عقل الحيوان ؟ عقلها بحسبها ، لها عقل بحسبها ، تعرف الذي يضرها والذي ينفعها ، تتقي من الشمس ومن البرد، تطلب الماء، تطلب الأكل، لها عقل لكن بحسبها؛ لو قال لها عقل كعقل بني آدم إذا جاءت تقول روح وراءك نعم؟ صحيح ؛ لكن الله ما جعل علقها كعقل بني آدم ، جعل عقلها يناسبها .

السائل : شيخ العلاقة لهذه الآية مع التي قبلها ؟

الشيخ : صلة بابتداء الكلام ؛ ما نعرف العلاقة بين كل آية وأخرى .

السائل : جزاك الله خير؛ بالنسبة لنظرية التطور في بعض الحيوانات هل هي صحيحة ؟

الشيخ : لا ؛

السائل : طيب الدليل ؟

الشيخ : الدليل الواقع ، ما عندنا غير الواقع؛ الذي يشف هذه دجاجة وهذه بعير وهذه وهذا بقرة وهذا حمار؛

السائل : إذا التطور هذه خاطئة ؟

الشيخ : خاطئة نعم ؛ من قاله ؟ ويش أصل الدجاجة ؟ طير، طيرا صغير ثم كبر يمكن بعد عشر سنين تصنعها ؟

السائل : من هم الآل يا شيخ ؟ الآل ؟

الشيخ : الآل هم من ينتمي إلى الشخص وقد يطلق الآل على الأتباع، الأتباع مثل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد أي أتباعه على القول الراجح نعم .

السائل : شيخ أبو الجن يطلق على من؟

الشيخ : نعم ؟

السائل : أبو الجن ؟

الشيخ : أبو الجن الشيطان، أبو الجن هو الشيطان قال الله تعالى: ((**أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو**)) .

السائل : يقال إن الشيطان أخذهم الملائكة من الأرض ورفعوه إلى السماء ؟

الشيخ : لا لا لا هذه إسرائيلية؛ أصلا الشيطان خلق من النار؛ والملائكة خلقوا من النور؛ خلق من النار إن الله على كل شيء قدير مثل ما خلق البشر من الطين خلق الشيطان من النار .

السائل : الجن منهم مسلمون . فكيف . . .؟

الشيخ : أليس من بني آدم من هو من أولاد شياطين الإنس ؟ ((**وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن**)) الجن فيهم الشياطين وإن كان أصلهم من التراب ؛ على كل شيء قدير نعم .

السائل : ما ذكر من نسل النبي صلى الله عليه وسلم إلى آدم ؟

الشيخ : المؤرخون يذكرون هذا لكن روي عن ابن عباس رضي الله عنه وعن أبيه أنه إذا وصل إلى عدنان قال: كذب النسابون؛ يعني أننا لا نعرف إلا إلى عدنان وما عدا ذلك الله أعلم به .

السائل : شيخ أقوى القولين في آل عمران هل هو أبو موسى أو أبو مريم ؟

الشيخ : نعم والله كل له وجه، كل قول له وجه كما ذكرناه .

السائل : شيخ ؟ هل الأنعام نزلت من السماء ؟ الأنعام ؟

الشيخ : أي نعم ؛ ما في القرآن أنها نزلت من السماء ((**أنزل من الأنعام ثمانية أزواج**)) بس؛ ما ندري ما قيده الله ؛ قال الله تعالى: ((**يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا**)) طيب أين اللباس؟ من الأشجار مصنوع من الأشجار من الأرض.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ((**إذ قالت امرأة عمران ربي إني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل مني إنك أنت السميع العليم فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وإني سميها مريم وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا كلما دخل عليه زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنا لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب**)) أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. قال الله تعالى: ((**ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم**)) في هذه الآية بيان أن البشر جنس واحد بعضهم من بعض؛ لقوله: ((**ذريتا بعضها من بعض**)) ومن فوائدها: الرد على من زعم أن البشر متطور

ومن فوائدها: الرد على من قال: إن الإنسان متطور من جنس لآخر، من قردة للآدميين للبشر؛ وجدير بأن نسمي هذا القائل قردا؛ لأنه رضي لنفسه أن يكون أصله قردا؛ أما نحن فنقول: إن أصلنا آدم عليه الصلاة والسلام الذي خلقه الله بيده من تراب، وأنه جنس مستقل بنفسه لا متطور . ومن فوائد هذه الآية الكريمة: إثبات اسمين من أسماء الله وهما: السميع والعليم؛ فالسميع يتعلق بالأصوات؛ والعليم يتعلق بكل شيء، بالأصوات، والأحوال، والأعيان، بكل شيء؛ وقد مر علينا أن أسماء الله سبحانه وتعالى تتضمن أو يتضمن الإيمان بها ثلاثة أشياء إن كانت متعدية وشيئين إن كانت لازمة؛ إن كانت متعدية يتضمن الإيمان بها ثلاثة أشياء؛ أولا إثباتها اسما من أسماء الله، يعني أن تثبت أنها اسم من أسماء الله، لا تنكرها؛ الثاني؛ إثبات ما تضمنته من صفة، أو استلزمته، ما تضمنته أو استلزمته؛ والثالث: إثبات الحكم الناتج عن هذه الصفة؛ كم هذه يا سامي؟ ثالث؛ ما هي؟ إثبات اسم الله؛ إثبات هذا الاسم على أنه اسم من أسماء الله؛ وإثبات الحكم؛ لا؛ إثبات الصفة المستلزمة أو؛ إثبات ما تضمنه أو استلزمه من الصفة؛ إثبات الحكم؛ طيب نحن قلنا الكلام المتعدي . طيب نقول: ما تضمنه أو استلزمه هل هناك فرق بين التضمن والاستلزام ؟ نعم، التضمن جزء مما دل عليه الاسم بلفظه هذا التضمن، جزء مما دل عليه بلفظه؛ فمثلا اسم الخالق يتضمن الدلالة على ذات الله عزوجل، والدلالة على صفة الخلق هذا تضمن، ويتضمن العلم والقدرة على وجه الالتزام؛ لأنه لا خلق إلا بعلم وقدرة؛ فالمهم أنه لا يتم لك الاسم إلا بإثبات هذه الأشياء الثلاثة؛ أولا إثبات اسم من أسماء الله؛ والثاني: إثبات ما تضمنه أو استلزمه من صفة؛ والثالث: الحكم المترتب؛ فمثلا الاسم الخالق؛ والصفة المتضمنة الخلق؛ والمستلزمة العلم والقدرة؛ والأثر أو الحكم أنه يخلق؛ فهو خالق بخلق؛ الرحمان اسم؛ تضمنه للرحمة صفة؛ يرحم حكم أو أثر؛ أما إذا كان لازما فإنه لا يتم الإيمان به إلا بإثبات اسم من أسماء الله، وإثبات ما تضمنه من صفة؛ فالحي مثلا لا يتعدى لغير الله نثبته اسما من أسماء الله، ونثبت ما تضمنه من الصفة وهي الحياة؛ هذه هي القاعدة في إثبات أسماء الله وصفاته؛ إذا طبقنا هذه القاعدة على اسمين الموجودين معنا؛ فالسميع يتضمن الإيمان به على أنه اسم من أسماء الله؛ والإيمان بالصفة التي تدل عليها وهي السمع؛ والأثر أو الحكم أنه يسمع؛ وكذلك نقول في عليم . ثم قال الله تعالى: ((**إذ قالت امرأة عمران**)) يعني اذكر إذ قالت؛ وهذا التركيب موجود في القرآن كثيرا، موجود في القرآن كثيرا؛ وإنما حذف العامل لدلالة السياق عليه؛ وتلك قاعدة مشهورة عند النحويين أشار إليها ابن مالك فقال:

وحذف ما يعلم جائز كما تقول زيد بعد من عندكما

فهنا العامل المحذوف معلوم بالسياق؛ اذكر إذ قالت، يعني اذكر هذه الحال التي صدر فيها هذا القول من امرأة عمران ((**إذ قالت امرأة عمران**)) من امرأة عمران؟ هي أم مريم يعني جدة عيسى بن مريم؛ ((**إذ قالت امرأة عمران رب إني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل مني**)) ((**رب**)) منادى حذفت منه ياء النداء وأصله يا رب؛ ولكن تحذف ياء النداء في مثل هذا التركيب اختصارا لكثرة استعماله؛ وحذف منه ضمير المتكلم الياء وأصلها: ربي إني، حذفت تخفيفا ؛ وقولها: (**رب إني نذرت لك ما في بطني محررا**)) ((**نذرت**)) بمعنى التزمت أن يكون ما في بطني محررا من خدمته وتقيده بها ليكون خادما للمسجد، المسجد الأقصى؛ وكان من عادتهم أن يفعلوا ذلك أي أن الإنسان منهم ينذر ولده ليكون قائما بخدمة المسجد الأقصى تعظيما له؛ فتقول: ((**رب إني نذرت لك ما في بطني محررا**)) وقولها: ((**ما في بطني**)) اسم موصول يفيد العموم؛ فيشمل ما لو وضعت واحدا أو اثنين، وذكرا أو أنثى . فإذا قال قائل: كيف تقول إنه يشمل ما لو وضعت اثنين وهي تقول: ((**إني نذرت لك ما في بطني محررا**)) ومحررا واحد ؟ ولم تقل: محررين ؟ فالجواب: أن الأسماء الموصولة المشتركة أي التي تصلح للمفرد وغيره يجوز فيها مراعاة لفظها بالإفراد، ومراعاة لفظها بالإفراد إن كان مرادا بها مفرد والتثنية إن كان مرادا بها المثنى، والجمع إن كان المراد بها الجمع مذكرا كان أو مؤنثا؛ وعليه فلا يمنع أن يكون قولها: ((**محررا**)) أن يكون شاملا لما تضعه ولو كان أكثر من واحد؛ لأنه أفرد باعتبار أيش؟ باعتبار اللفظ؛ وكذلك من الشرطية يجوز فيها مراعاة اللفظ ومراعاة المعنى؛ ألم تروا إلى قول الله تعالى: ((**ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيئاته**)) باعتبار أيش؟ الإفراد هنا باعتبار اللفظ ((**ويدخله جنات تجري من تحتها الأنهار**)) ذكره باعتبار اللفظ ((**خالدين فيها أبدا**)) باعتبار المعنى؛ ((**قد أحسن الله له رزقا**)) باعتبار اللفظ؛ تقول: ((**إني نذرت لك ما في بطني**)) عام يشمل كل ما في بطنها من ذكور أو إناث، واحد أو متعدد؛ ((**محررا**)) من أيش؟ من قيد خدمتي إلى خدمة المسجد الأقصى ؛ ((**فتقبل مني**)) يعني تقبل مني هذا التقرب إليك بنذر هذا الحمل الذي نذرته ليقوم بخدمة بيتك ؛ ((**إنك أنت السميع العليم**)) هذه الجملة استئنافية للتعليل يعني أني سألتك أن تتقبل مني لأنك السميع العليم؛ السميع تشمل هنا سمع الإدراك وسمع الإجابة؛ يعني أنك تسمع دعائي وتستجيبه؛ وقد مر علينا أن السميع من أسماء الله يتضمن السمع الإدراك وسمع الإجابة؛ وأن السميع تأتي بمعنى استجابة كما في قول المصلى: (سمع الله لمن حمده) أس استجاب؛ فهنا ((**سميع الدعاء**)) أيهما أنسب الإدراك أو الإجابة ؟ يشمل الأمرين، يشمل الأمرين؛ لكن فائدة الداعي بماذا؟ بالاستجابة؛ وقولها: ((**إنك أنت السميع العليم**)) يعني السامع لدعائي المستجيب له؛ ((**العليم**)) بما يكون صالحا، وبكل شيء؛ لكن ذكر العلم هنا لأن الإنسان قد يسأل الشيء وليس من صالحه حصوله فيسند الأمر إلى علم الله عزوجل؛

ومن المعلوم أن الداعي إذا دعى فإنه يحصل له واحد من أمور ثلاثة؛ إما أن يستجيب الله له الدعاء؛ وإما أن يدخر له ذلك يوم القيمة، فيعطيه مثل ما دعا به؛ وإما أن يصرف عنه من السوء ما أعظم؛ هذا بالإضافة إلى أن الدعاء نفسه عبادة يثاب عليه الإنسان؛ ((**إنك أنت السميع العليم**)) فلما وضعتها ؟ ((**فلما وضعتها**)) ولم يقل: مراعاة لأيش؟ مراعاة للمعنى؛ لأنها وضعت أنثى؛ فلما وضعتها وكان قد نذرته محررا بناء على أنه ذكر؛ لما وضعتها اعتذرت إلى ربها ((**قالت رب إني وضعتها أنثى**)) وهذا اعتذار منها إلى الله أنها وضعتها أنثى والأنثى ليس من العادة أن تخدم المسجد فكأنها تعتذر من الله عز وجل من هذا النذر ؛ قال: ((**والله أعلم بما وضعت**)) وفي قراءة: ((**والله أعلم بما وضعت**)) قراءة سبعية ؛ ونفسرها على الوجهين؛ أما قولها: ((**رب إني وضعتها أنثى**)) فقد علمتم أن الغرض من هذه الجملة أيش؟ الاعتذار لا إخبار الله بما وضعت لأنه عالم عزوجل؛ هو الذي خلقها وهو الذي وضعت بإذنه وأمره؛ فالأمر لا يخفى عليه؛ لكن ذكرتها اعتذارا؛ وعلى هذا فنقول على قراءة: ((**والله أعلم بما وضعت**)) تكون الجملة من باب ا؛ نعم ((**والله أعلم بما وضعت**)) تكون الجملة من باب الاحتراس حتى لا يظن بها أنها تعتقد أن الله لم يعلم فقالت: ((**رب إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت**)) فلست أخبر الله بأمر يخفى عنه؛ بل أنني أؤمن بأنه عالم بما وضعت هذا على قراءة ضم التاء؛ أما على قراءة السكون ((**والله أعلم بما وضعت**)) فالكلام من الله؛ وفيه دفاع عن هذه المرأة بأن الله تعالى يعلم أنها لم تقل: ((**إني وضعتها أنثى**)) إخبارا منها لله؛ لأنه سبحانه وتعالى زكاها بقوله: ((**والله أعلم بما وضعت**)) هذا من وجه؛ من وجه آخر ليبين عزوجل أن قولها: ((**رب إني وضعتها أنثى**)) لا يعني أن الله لا يعلم بما وضعت بل هو عالم وإن قالت: ((**رب إني وضعتها أنثى**)) ((**والله أعلم بما وضعت**)) وأعلم اسم تفضيل يدل على أن المفضل زائد على المفضل عليه في هذا الوصف؛ كما لو قلت: فلان أكرم من فلان معناه أن هذا المفضل وهو فلان زائد في الكرم على المفضل عليه؛ فأعلم هنا يعني أعلم من كل أحد بما وضعت؛ ففيه إثبات العلم لله عزوجل مع الزيادة؛ وبهذا التقرير نعلم ضعف قول من قال: إن اسم التفضيل هنا بمعنى اسم الفاعل، وأن معنى قوله: ((**والله أعلم بما وضعت**)) أي والله عالم بما وضعت؛ فإن هذا القول لاشك قصور، قصور في تفسير كلام الله؛ لأن إثبات العلم بلا تفضيل أنقص من إثبات العلم مع التفضيل، أليس كذلك؟ لأنك إذا قلت: فلان عالم لا يمنع أن يكون غيره مساويا له في العلم؛ لكن إذا قلت: فلان أعلم من فلان صار فاضلا غيره بالعلم وغيره مفضول؛ ولا أعلم سبحان الله كيف يفر بعض العلماء من إثبات المفاضلة بين الله سبحانه وتعالى وبين خلقه مع أن المفاضلة لا تدل على أي نقص؛ بل اللفظ الذي يقتضي المشاركة هو الذي قد يحتمل النقص والمماثلة؛ لكن اللفظ الدال على المفاضلة ليس فيه نقص بوجه من الوجوه؛ فالله أعلم من

كل أحد سواء كان هذا العلم مقيدا أو مطلقا . وقوله: ((**والله أعلم بما وضعت**)) فيه بحث وهو أن ما اسم موصول، واسم الموصول يحتاج إلى عائد فأين العائد ؟ ((**والله أعلم بما وضعت**)) أو ((**بما وضعت**))؛ طيب السؤال مرة ثانية: إلى أين ذهبت في ؟ يعني العائد محذوف، ضمير مفعول به محذوف، ما وضعته أو بما وضعته على القراءتين . قال الله تعالى: ((**وليس الذكر كالأنثى**)) ليس الذكر كالأنثى؛ هل هذا من كلامها أو من كلام الله؟ أما على قراءة: ((**والله أعلم بما وضعت**)) فالظاهر أنه من كلام الله أن كونه من كلام الله أرجح؛ لأن قوله: ((**والله أعلم بما وضعت**)) من كلام الله؛ وأما على قراءة: ((**والله أعلم بما وضعت**)) فإن كونه من كلامها أرجح لئلا تتشتت الجمل ولنقرأ الآية: ((**رب إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وإني سميتها مريم**)) تكون الآن متسقة متناسقة؛ لكن إذا جعلنا ((**والله أعلم بما وضعت**)) من كلام الله صار قوله: ((**وليس الذكر كالأنثى**)) متسقا مع قوله: ((**والله أعلم بما وضعت**)) ومن ثم اختلف العلماء هل هذه الجملة من كلام الله أو من كلام مريم؛ ونحن نقول: الاحتمال موجود، يعني احتمال الأمرين موجود بك ل حال؛ لكن على قراءة: **بما وضعت**)) يترجح أنه من كلام من؟ مريم؛ وعلى قراءة: ((**مما وضعت**)) يترجح أنه من كلام الله؛ على كل حال في هذه الجملة بيان أن الذكر لا يماثل الأنثى وكأن الإنسان يحدث نفسه ويقول: إن مقتضى الحال أن تكون العبارة: وليس الأنثى كالذكر؛ لأن العادة أن الأدنى هو الذي يشبه بالأعلى؛ فهنا: ليس الأنثى كالذكر، أقرب إلى بادئ الرأي من: ((**وليس الذكر كالأنثى**)) ولهذا ادعى بعض العلماء أن في التشبيه قلبا، أن في التشبيه قلبا؛ والتشبيه المقلوب أسلوب من أساليب اللغة العربية، أسلوب من أساليب اللغة العربية ولاسيما عند الشعراء في العصور الوسطى حتى إن بعضهن يبالغ في التشبيه المقلوب حتى يقول:

وبدا الصباح كأن غرته وجه الخليفة حين يمتدح

الصباح الذي يملأ الأفق ويضيء الدنيا كأن غرته، بياضه وجه الخليفة إذا امتدح؛ ويش الخليفة ؟ الواجب؛ طيب هذه من المبالغة الكريهة في الواقع؛ المهم أن بعضهم قال: إنه على تشبيه المقلوب؛ وبعضهم قال: إنه تشبيه على أصله ووضعه؛ فليس الذكر كالأنثى؛ وشرف الذكر على الأنثى يعرف من أدلة أخرى ومن قرائن أخرى؛ ولكن ليس الذكر في خدمته لبيت المقدس كالأنثى؛ أرفع وإلا أدنى ؟ أرفع؛ وسيأتي إن شاء الله بقية البحث في الدرس القادم .

السائل : هل مريم أخت موسى بن عمران ؟

الشيخ : بينهما أزمنة متطاولة ؛ وقد أورد هذا على الرسول صلى الله عليه وسلم؛ كيف في عمران، مريم ابنت عمران وهارون؛ لا في قوله: ((**أخت هارون**)) طيب اصبر اصبر؛ في قوله: ((**أخت هارون**)) فقال: إنما كانوا يسمون بأنبياء . امرأة مريم بنت عمران؛ لا يمكن أن تكون أختا لموسى بن عمران؛ لأن الرسول يقول: هارون ((**يا أخت هارون**)) إنهم كانوا يسمون بأسمائهم يعني وبينهم أزمنة كثيرة ؛ و موسى بن عمران ؛ أخت هارون غير أخت موسى ، غير أخت موسى .

السائل : شيخ ما هو سبب نذر امرأة عمران ما في بطنها ؟

الشيخ : أبدا ، رغبة منهم في خدمة المسجد .

السائل : هل تفضيل بني إسرائيل على العالمين مطلق ؟

الشيخ : أيه نحن استشكلنا هذا ؟ أحيانا العام يخصصه القرينة الحال أو قرينة المقال؛ يعني قد تكون قرينة حالية أو لفظية؛ كان لفظية فهو قرينة مقال، وإن كانت حالية فهي قرينة الحال؛ الله ذكر أنه فضل بني إسرائيل على العالمين ومعلوم أن أمة محمد أفضل منهم، قال الله تعالى في بني إسرائيل: ((**ولقد اخترناهم على علم على العالمين**)) فالمراد على عالمي زمانهم .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ((**فلما وضعتها قالت إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وإني سميتها مريم وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين**)) . ((**وليس الذكر كالأنثى**)) يعني ليس مساويا للأنثى وإذا انتفت مساواة الذكر للأنثى انتفت مساواة الأنثى للذكر؛ لأن التساوي يكون بين الشيئين؛ فإذا انتفت المساواة في أحدهما لزم أن تكون منتفية في الآخر؛ فلا سواء بين الذكر والأنثى؛ بل لكل واحد منهما ميزاته وخصائصه؛ الأنثى تفوق الرجل في شيء والرجل يفوق الأنثى في شيء؛ لكن الغالب أن الصالح لخدمة المساجد هو الرجل لأنه أقوى وأذكى وأعقل وأدون في العمل؛ الأنثى إذا حاضت مثلا ما تستطيع أن تخدم المسجد لأنها تخرج منه ما

تجلس؛ هذا إن كانت شريعتهم كشريعتنا؛ وأيضا الأنثى لا تتحمل من الأعمال ما هو مشق؛ بل هي أضعف من الرجل وإن كان قد يكون عندها من الجلد و الصبر أكثر من مما عند الرجل في معاناة الأشخاص لا في معاناة المصائب؛ فإن المرأة في معاناة المصائب أدنى بكثير من الرجل كما هو معروف؛ قال: ((**وليس الذكر كالأنثى وإني سميتها مريم**)) تقولها من؟ تقول أمها ((**إني سميتها مريم**)) وهذا الاسم إما أن يكون مشهورا عندهم أو أنها اختارت بأمر يريده الله عزوجل؛ على كل حال لا أستطيع أن أعلل لماذا اختارت هذا الاسم؛ لأن هذه قضية عين والله أعلم ما هو السبب أنها اختارت هذا الاسم؛ قالت: ((**وإني أعيذها بك**)) أعيذ أي أستجير بك لها؛ لأن الاستعارة معناها الاستجارة، الاستعارة الاستجارة من أمر مكروه؛ ولهذا نستعيذ بالله من الشيطان الرجيم، ونستعيذ بالله من عذاب جهنم وعذاب القبر، وفتنة المحيا والممات وفتنة المسيح الدجال؛ قالوا أي أهل اللغة: العياذ من المكروه واللياذ في رجاء المحبوب، اللياذ في رجاء المحبوب وأنشدوا على ذلك قول الشاعر:

يا من ألوذ به فيما أؤمله ومن ألوذ به مما أحاذره

لا يجبر الناس أنت كاسره ولا يهيضون عظما أنت جابره

هو يخاطب ملكا من الملوك وهذا الوصف لا يليق إلا بالله عزوجل؛ لكن الشعراء يتبعهم الغاوون؛ إذا ((**أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم**)) يعني أستجير بك لا من الشيطان الرجيم؛ والشيطان اهو أبو الجن كما قال الله تعالى: ((**أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو**)) وهنا نقول: شيطان من شطن أو من شاط ؟ قولان؛ فمنهم من قال: إنه من شطن أي بعد؛ ومنهم من قال: من الشاط أي غضب؛ بأن طبيعة الشيطان الغضب والسرعة وعدم التأني وهو أيضا قد بعد من رحمة الله؛ ولكن الظاهر أنه من شطن وأن النون أصلية ولذلك لا يمنع من الصرف؛ وقوله: ((**الشيطان الرجيم**)) ((**الرجيم**)) بمعنى المرجوم، وأصل الرجم القذف بالحجارة؛ ومنه رجم الزاني؛ وعلى هذا فيكون في الكلام استعارة أي أننا استعرنا الرجم بالحجارة الدال على إبعاد المرجوم للمبعد المطرود؛ فالرجيم هنا فعيل بمعنى مفعول أي مطرود مبعد عن رحمة الله عزوجل؛ ومن العلماء من قال: إن الرجم يأتي بمعنى الطرد حقيقة لا استعارة؛ وعلى كل حال فإذا اتضح المعنى فسواء كان الرجم استعارة أو كان أصليا حقيقة؛ ((**من الشيطان الرجيم**)) وإنما استعاذت لها من الشيطان الرجيم لأن الشيطان الرجيم مبعد عن رحمة الله؛ والمبعد عن رحمة يريد أن يبعد كل إنسان عن الرحمة لاسيما بنو آدم؛ لأن بني آدم أعداء للشيطان؛ قال الله تعالى: ((**إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعوا حزبه ليكونوا من أصحاب السعير**)) فهو عدو والعدو لا يريد من عدوه إلا ما فيه هلاكه؛ ولهذا استعاذت بربه عزوجل لهذه الأنثى من الشيطان

الرجيم لئلا يغويها ويذلها؛ قال الله تعالى: ((**ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا**))؛ يقول: ((**وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم**)) لم يكن لها ذرية إلا واحدة؛ من؟ عيسى بن مريم؛ وهل لعيسى ذرية ؟ الله أعلم قد يكون له ذرية وقد لا يكون؛ لكن مهما كان هي قالت: ((**وذريتها**)) بناء على أي شيء؟ بناء على الأصل والغالب؛ الأصل والغالب أن الأنثى تتزوج ويكون لها ذرية؛ ولكن الله سبحانه وتعالى أراد بهذه المرأة شيئا آخر . قال الله تعالى: ((**فتقبلها ربها بقبول حسن**)) ((**تقبل**)) قال أهل اللغة بمعنى قبل؛ ولهذا قال قبول ولم يقل تقبل؛ ((**فتقبلها بقبول**)) ولم يقل: بتقبل؛ والمصدر الموافق لتقبلها تقبل؛ أما قبول فهو في هذا الموضع اسم مصدر وليس بمصدر كقوله: ((**والله أنبتكم من الأرض نباتا**)) ولم يقل: إنباتا؛ لكن هل تقبل وقبل بمعنى واحد؟ أو أن في تقبل شدة العناية ومبالغة ؟ قولان، وما أكثر القولين؛ قول: إن تقبل بمعنى قبل كتعجب بمعنى عجب وتبرأ بمعنى برئ؛ تقول تبرأ من فلان بمعنى برئ منه؛ وقول الثاني: أن تقبل أبلغ من قبل، أبلغ وعللوا ذلك بعلة الغالبية وهي أن الغالب أن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى؛ كيف زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى؟ يعني إذا جعلت البيت طابقين صار أكثر من الطابق الواحد ؟ نعم هو صحيح، الطابق الواحد يفصح مائة نفر مثلا؛ الطابقين؟ مائتين؛ لكن هم لا يريدون هذا، يريدون أن زيادة بنية الكلمة تدل على زيادة معناها؛ وهذا كما مر علينا كثيرا ليس مطرا بل هذا هو الغالب وقد يكون الأمر بالعكس؛ كنمل ونملة وشجر وشجرة وبقر وبقرة؛ أيهن أكثر؟ الزائدة وإلا ناقص ؟ الناقص أكثر؛ طيب ((**تقبلها ربها**)) رب بمعنى الخالق المالك المدبر، هذا رب بنسبة لله عزوجل، إذا أضيفت الربوبية إلى الله عزوجل فهذا معناه أنه الخالق فلا خالق غيره، المالك فلا مالك غيره، المدبر فلا مدبر غيره؛ وهذا النفي باعتبار الإطلاق؛ فلا خالق على سبيل الإطلاق إلا الله؛ وإذا أضيف الخلق إلى غيره فإنما هو باعتبار التغيير والتصيير لا باعتبار الأصل؛ فخلق الباب من خشبة ليس أصليا؛ بل هو تغيير وتصيير صير الخشبة بابا فخلقه؛ لكن أصل هذه الخشبة من خلقها؟ الله عزوجل ولا يستطيع أحد من الخلق أن يخلق خشبة واحدة ولا غصن شجرة؛ والمالك على الإطلاق وإضافة الملك إلى الله إضافة جزئية وإلا فقد قال الله تعالى: ((**إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم**)) فأضاف الله الملك إلى الإنسان؛ وقال تعالى: ((**أو ما ملكتم مفاتحه**)) فأضافه الله أيضا إلى الإنسان؛ لكن هذا مقيد غاية التقييد؛ طيب المدبر كذلك؛ التدبير على الإطلاق هو لله عزوجل؛ أما الإنسان فإنه وإن أضيف إلى التدبير فهو تدبير خاص محصور؛ على كل حال الرب المضاف إلى الله أيش معناه ؟ الخالق المالك المدبر . ربوبية الله نوعان: عامة وخاصة؛ ((**رب السموات والأرض وما فيهن**)) هذه عامة؛ خاصة ((**رب موسى وهارون**)) وهنا ((**ربها**)) من العامة وإلا خاصة ؟ الخاصة؛ واعلم أن كل خاص من الربوبية والمعية والسمع والبصر وما أشبه ذلك ممن قال

من العلماء إنه ينقسم إلى عام وخاص أن الخاص يتضمن العام ولا عكس؛ أنتم معنا ؟ الخاص يتضمن العام ولا عكس؛ فكل من كان ربه على وجه الخصوص فهو ربه على وجه العموم، وكل من كان الله معه على وجه الخصوص فهو معه على وجه العموم، وكل من سمع الله على وجه الخصوص فقد سمعه على وجه العموم وهلم جرا؛ وهنا أضاف الربوبية إلى مريم لأنه عزوجل تقبلها هذا القبول حسن ((**بقبول حسن**)) والقبول من الله حسن أنه سبحانه وتعالى يسرها لليسر وسهل أمرها وجعلها من خيرة نساء العالمين حتى ألحقها بالرجال في صلاحها فقال: ((**فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين**)) وتأمل أن الله قال: ((**من القانتين**)) ولم يقل: من القانتات؛ لأنه كما جاء في الحديث كمل من الرجال كثير ولم يكن من النساء إلا عدد قليل لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة؛ طيب إذا نقول: إن هذا القبول هو ما حصل لها من الرفعة عند الله عزوجل وتيسير الأمور والذكرى الحسنة وغير ذلك مما أفاض الله عليها من نعمه . ((**وأنبتها نباتا حسنا**)) هذا ((**أنبتها نباتا حسنا**)) قد يعود إلى المعنى وقد يعود إلى الحس؛ قد يعود إلى المعنى فيكون ((**أنتبها نباتا حسنا**)) يعني في كمال الآداب والعفة الحشمة وغير ذلك؛ وقد يكون ((**أنبتها نباتا حسنا**)) باعتبار الجسم يعني بمعنى أنه نماها تنمية جيدة لم يتعثر فيها جسمها حتى إن بعضهم ولعلها من الإسرائيليات قال: (إنها تنموا في العام ما ينموا غيرها في عامين) فالله أعلم . إنما يكفي من ذلك أنها نباتا حسنا، لو لم يكن من ذلك إلا أنه سلمها من الأمراض المؤلمة المتعبة لكان هذا كافيا؛ المهم أن الله سبحانه وتعالى تقبلها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا معنويا وحسيا . ((**وكفلها زكريا**)) هذا أيضا من التيسير، أن الله يسر لها من يكفلها من الرسل؛ ولاشك أن الإنسان إذا كان عند كافل مستقيم صالح كان هذا من أسباب أيش؟ صلاحه واستقامته؛ وإذا كان عند فاسق كان بالعكس؛ ولهذا قال العلماء: لا يترك المحضون، الطفل المحضون بيد شخص لا يصونه ولا يحسنه؛ قوله: ((**بوكفلها زكريا**)) هذه القراءة المعروفة التي في المصحف؛ وتكون ((**كفل**)) ناصبة لمفعولين؛ أحدهما: هاء، والثاني: زكريا؛ وهذا الفعل من أخوات كان وإلا من أخوات كسا ؟ كسا؛ ما الذي أعلم أنها من أخوات كسا ؟ طيب ولكن هذا ليس أصلهما المبتداء والخبر؛ فإذا وجدت فعلا ناصبا مفعولين لا يصح أن يكون مبتدأ وخبرا فاعلم أنه من باب كسا؛ وهنا لو قلت: هي زكريا، يستقيم المعنى وإلا لا؟ لا يستقيم ؛ وفيه قراءة: ((**كفلها زكرياء**)) والفرق بينهما: أن القراءة الأولى بألف مقصورة والثانية بألف ممدودة ؛ فيها قراءة ثالثة: ((**وكفلها زكريا**)) ((**كفلها**)) على أن زكريا فاعل ؛ في قراءة رابعة: ((**وكلفها زكرياء**)) على انه فاعل أيضا ؛ لكن الفرق بين هذه والتي قبلها أيش ؟ القصر والمد ؛ فصار الزكريا الآن تمد وتقصر ؛ وكفل تخفف وتشدد ؛ والإعراب على حسب الوضع .

الشيخ : طيب ((**كفلها زكريا**)) وهنا سؤال هل زكريا منصرف أو غير منصرف ؟

الطالب : غير منصرف

الشيخ : أيه ممنوع من الصرف ، لماذا ؟

الطالب : العلمية والعجمة .

الشيخ : طيب ما رأيكم لو وجدت العجمة بدون عليمة ؟ ينصرف ؟

الطالب : نعم ؛

الشيخ : عجمة بدون علمية ينصرف ؟

الطالب : نعم ينصرف ؛

الشيخ : تكون كلمة أعجمية لكن ما هي علم ؟

الطالب : ينصرف

الشيخ : لأنه لابد من علتين العلمية والعجمة ؛ ولهذا قال علي لشريح : قالون ؛ فنون

قالون فنون، ومعنى قالون: جيد في لغة الرومية ؛ طيب إذا نقول: زكريا علم أعجمي فهو ممنوع من الصرف . ما معنى ((**كفلها**)) أي صار كافلا لها ؛ ((**وكفلها**)) أي جعل كفيلها زكريا . ((**كلما دخل عليها زكريا**)) **أو** ((**زكرياء**)) قراءتان؛ ((**كلما دخل عليها زكرياء المحراب**))، ((**كلما دخل عليها زكريا المحراب**)) **المحراب** ((**وجد عندها رزقا**)) كلما دخل المحراب عليها؛ والمحراب مفعال من الحرب وهو مكان العبادة وليس المحراب هو طاق القبلة كما هو عند الناس؛ ورأيت في بعض المساجد مكتوب على طاق القبلة على الكوس ((**كلما دخل عليها زكريا المحراب**)) فيجعلون الإمام مريم وهم لا يشعرون؛ ويخطئون أيضا في اللفظ؛ لأن المحراب قلت: مكان العبادة سواء كان طاقا وسواء كان مكوسا أو مربعا أو حجرا حتى الحجرة التي يتعبد فيها الإنسان محراب؛ ولهذا قال الله تعالى في قصة داود: ((**إذ تسوروا المحراب**)) المحراب مكان الذي يتعبد فيه؛ قالوا: فهو مفعال من الحرب؛ وسمي الحرب لأن المتعبد فيه يحارب من؟ الشيطان فلذلك سمي محرابا؛ طيب ((**كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا**)) وهي امرأة منقطعة للعبادة دائما في محرابها ويجد عندها رزقا، والرزق هنا ما يقوم به البدن، يعني رزقا تأكله ليقوم بدنها وتحفظ حياتها؛ هذا الرزق ما هو؟ قال بعض المفسرين وهو من الإسرائيليات: يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء . وسبحان الله . ما هذه؛ إذا وجد عندها فاكهة الصيف في الصيف أو فاكهة الشتاء في الشتاء وهي امرأة متعبدة منقطعة للعبادة فهو آية؛ لأيش نجب البرتقال وقت الصيف والعنب وقت الشتاء ما هو لازم؛ فلذلك نقول: كلمة رزق ما يقوم به البدن وليكن فاكهة أو طعاما أو تمرا أو أي شيء آخر؛ المهم أنه يجد عندها رزقا تتقوت به وهذا من الآيات؛ كيف امرأة متعبدة منقطعة للعبادة يوجد عندها رزق؛ ((**قال يا مريم أنى لك هذا**)) أي من أين لك هذا؟ ؛ وخاطبها بقوله: ((**يا مريم**)) إشارة إلى أنها في حال لا تقتضي أن يكون عندها ذلك؛ لأنها امرأة لا تكتسب، امرأة منقطعة للعبادة و المنقطعة للعباد ولو كان ذكرا قد لا يتيسر له الرزق؛ ولهذا ناداها بالاسم قال: ((**يا مريم**)) يعني انتبهي أيتها الأنثى كيف يأتيك هذا الرزق؛ ((**أنى لك هذا**)) ؛ فكان جوابها جوابا عجيبا: ((**قالت هو من عند الله**)) من عند الله؛ وكلمة ((**من عند الله**)) لا يلزم أن يكون الله تعالى ينزلها من السماء إليها؛ بل قد يكون ذلك بتسخير الله لها، بتسخير الله لها من يأتي له بذلك الرزق؛ ولا يلزم من ذلك أن يكون ينزل من السماء أو يأتي به جبرائيل، قال الله تعالى: ((**ما عندكم ينفد وما عند الله باق**)) فيمكن أن هذا الرزق يأتيها على حسب الطبيعة لكن أيضا تسخير الله لها من يأتيه بها لاشك أنه من معونة الله وكرامة الله لها .

السائل : شيخ ؟ زكريا هل هو من محارم مريم عليها السلام ؟

الشيخ : ما هو بالظاهر، الظاهر أنه ما هو من محارمها لكنه زوج أختها ؛ لا، ما أعرف شريعتهم ؛ يحي هو ابن زكريا وعيسى رآهما النبي صلى الله عليه وسلم في المعراج وقال: هما ابنا الخال .

السائل : شيخ ؟

الشيخ : نعم ؛ هل يجوز للمرأة أن تخدم المسجد كما في حديث المرأة السوداء ؟

الشيخ : أولا الحديث الذي أشرت إليه اختلف فيه الرواة؛ فبعضهم قال: إنه رجل؛ وبعضهم قال: إنها امرأة ؛ ومعلوم أن خدمة المرأة للمسجد متهيئة أكثر في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ لأن لرجل الرجال مشتغلون بتحصيل الرزق؛ ولو أن أحدا من الرجال خدم المسجد لكان أقوى من امرأة؛ لكن كما قلت لكم في أثناء الدرس اليوم: المرأة قد تكون أصقل من رجل من وجه آخر لأن عندها من الجلد أكثر مما عند الرجل، الرجل القوي يريد كل شيء يتم بسرعة والمرأة ربما تعطي المهلة أكثر .

الشيخ : هل المحاريب التي في المساجد هل كانت في عهد الرسول أم هي بدعة ؟

الشيخ : ويش المحراب؟

السائل : الذي عندنا داخل المسجد ؛

الشيخ : أي نعم يقصد هذا ؛

السائل : كانت أولا في البيوت ؟

الشيخ : لا لا أولا كانت في المساجد وليس أيضا من عهد قديم، في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ما في محاريب، فيه منبر ما فيه محاريب .

السائل : شيخ أحسن الله إليك؛ بعضهم الآن يا شيخ ؟

الشيخ : ما هو صحيح ؛ لأن بعض الناس لا يفهمون معنى البدعة من السنة ؛ لأنهم ما يفرقون بين الوسيلة وبين ما قصد بعينه ؛ فالمسلمون الذين أقروها من مئات السنين علماء أجلاء أبعد عن البدعة من هؤلاء عرفوا أنهم لم يتخذوها ليتعبدوا لله باتخاذها؛ لكن ليدلوا المسلمين على اتجاه القبلة؛ لو أن

عاميا دخل ولا في المسجد محراب وين يتجه ؟ وأنا رأيت بعيني أول ما جاءت الفرش في الرياض، الفراش الذي فرشها كان فيها بالأول صورة المحاريب؛ أما تذكرون؟؛ فيها صورة محاريب؛ فرشها الفراش وجاء وجه المحراب خلف القبلة بالعكس؛ فدخل الرجل وشاف المحراب ما راح قبلة المسجد كبر وخلى يصلي ورائه؛ إذا فيها فائدة؛ فهي مقصودة لغيرها لا لذاتها؛ المسلمون لا يقولون فعلناها إتباعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم؛ أو فعلناها تقربا إلى الله؛ يقولون: فعلناها ليستدل بها الجاهل على القبلة . ((**هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك بحي مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين قال رب أنى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر قال كذلك الله يفعل ما يشاء قال رب اجعل لي آية قال آيتك أن لا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا واذكر ربك كثيرا بالعشي والإبكار**)) . ((**إن الله يرزق من يشاء بغير حساب**)) الرزق بمعنى العطاء، والعطاء ينقسم إلى قسمين: عطاء كوني؛ وعطاء شرعي؛ فالعطاء الكوني ما يرزق الله به سائر الحيوان؛ الإنسان والحيوان الحلال والحرام؛ هذا عطاء الكوني؛ لا يختص به المؤمنين ولا بالطيب من الرزق؛ والثاني: العطاء الشرعي وهو ما يعطاه المؤمن من الرزق الحلال، وهو الرزق الخاص الذي ليس فيه ؛ ويشمل أيضا للعطاء الشرعي ما ثبت إعطاءه بمقتضى الشرع؛ كإعطاء الفقراء من الزكاة مثلا وإعطاء الغانمين من الغنيمة؛ فهذا إيتاء شرعي؛ دليله قوله تعالى: ((**ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم وما آتاكم الرسول فخذوه**)) إيتاء هنا هذا الإيتاء شرعي وإلا كوني؟ شرعي؛ وقوله تعالى: ((**ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنا إلى الله راغبون إنما الصدقات للفقراء** . . .)) هذا أيضا إيتاء شرعي؛ إذا الرزق إما كوني وإما شرعي؛ فما كان للانتفاع في الدنيا أو ما كان به قوام الجسد فهو كوني؛ وما كان به قوام الروح والقلب أو كان بإذن من الشرع فهو شرعي . العلم والإيمان هذا شرعي وإلا كوني ؟ شرعي ؛ هذا شرعي؛ لأنه به قوام الروح والقلب . وقوله: ((**من يشاء**)) هذه لاشك أنها عائدة إلى مشيئة الله، الرزق لا يكون إلا بمشيئة الله؛ ولكن أتحسبون أن المشيئة مطلقة مجردة ؟ لا؛ بل هي مربوطة بالحكمة، يعطي لمن يشاء لحكمة ويمنع من يشاء لحكمة؛ والدليل على أن كلما أثبت الله به المشيئة فهو مقرون بالحكمة قوله تعالى: ((**وما تشاءون إلا أن يشاء الله إن الله كان عليما حكيما**)) فلا يشاء إلا ما اقتضت حكمته مشيئته؛ طيب وقوله: ((**يرزق من يشاء**)) قلنا: إنه

لابد أن يكون مقرونا بالحكمة نعم نذكرها في الفوائد إن شاء الله . ((**بغير حساب**)) أي بغير مكافئة، يطعم ولا يطعم، يرزق ولا يرزق ((**ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون إن الله هو الرزاق**)) بخلاف غيره فإنه قد يعطي ليعطى، أليس كذلك ؟ أما الله عزوجل فإنه يعطي لا ليعطى؛ بل يرزق بغير حساب أي بلا مكافئة، لا يطلب من أحد مكافئة؛ وأما الحساب على ما أعطاه الله من الرزق مما اكتسبه وأين أنفقه وما أشبه ذلك فإن هذا سوف يكون، قال الله تعالى: ((**ثم لتسألن يومئذ عن النعيم**)) فصار المراد بالحساب هنا أيش؟ المكافئة؛ يعني لا يحاسب خلقا ليكافئوه ولكن يحاسبهم لينظر أو ليعلم عزوجل ماذا أنفقوا مما أعطاهم . في هذه الآيات فوائد وأظننا نبدأ من قوله: ((**إذ قالت امرأة عمران**)) وإلا لا؟ نعم. من فوائد هذه الآيات أولا: تعظيم هذه القصة؛ لأن الله أمر رسوله أن يبينها للناس؛ إذ أن التقدير: أذكر إذ قالت امرأة عمران . من فوائدها أيضا: جواز النذر في الأمر المجهول؛ لقولها: ((**رب إني نذرت لك ما في بطني محررا**)) . فهل يعني ينبني على ذلك أن يقول قائل: لله علي نذر أن أتصدق بما في بطن هذه الشاة ؟ أو هذه البعير وينفذ النذر . ومن فوائد الآية: جواز تصدق المرأة بدون إذن زوجها؛ وجهه ؟ أنها نذرت التحرر أو تحريرها الولد بدون إذن الزوج . فإن قال قائل: ما دليلكم على أنه بدون إذن زوجها؟ أفلا يمكن أن تكون استأذنت ؟ فالجواب: بلا؛ لكنه لم يذكر . فإن قال قائل: عدم الذكر ليس ذكرا للعدم. فرق بين أن أسكت عن شيء وبين أن أنفي الشيء؛ نفي الشيء ذكر لعدمه؛ لكن السكوت عنه ليس ذكرا للعدم، ليس ذكرا للعدم؛ قلنا: نقول هذا ليس في كل مكان بل نقول هذا فيما إذا كان هناك نصوص عامة ثم ادعى أحد إخراجها أو تقييدها أو ما أشبه ذلك هذا هو الذي نقول له عدم الذكر ليس ذكرا للعدم؛ وأما إذا جاءت قصة مرسلة ولم يذكر فيها قيود الأصل أيش؟ الأصل عدم القيد؛ وقد جاءت الشريعة الإسلامية مؤيدة لهذا أي أن المرأة تتصرف في مالها حرة، تتصرف في مالها حرة؛ دليله: أن الرسول صلى الله عليه وسلم لما خطب النساء يوم العيد وقال: (**يا معشر النساء تصدقن**) فجعلن يلقين من الخواتم والخروس في ثوب بلال؛ فهل قال النبي صلى الله عليه وسلم استأذن أزواجكن؛ وله قلن: سنستأذن؟ لا؛ خذ أيضا من القرآن ((**وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا**)) طبن من؟ النساء؛ كلوه هنيئا مريئا؛ إذا المرأة حرة تتصرف وليس لزوجها أن يمنعها من أي تصرف شاءت؛ اللهم إلا في مسألة واحدة قد يقال إنه يمنعها من التصرف مثل أن يشتري لها حليا وثياب زينة تتجمل بهن له؛ فهنا ربما نقول إن له أن يمنعها من التصرف في هذا الثياب وهذا الحلي من بيع أو هبة لأن ذلك يضر

بمقصوده، أليس كذلك ؟ بلى؛ فهو إذا باعت هذا الحلي وهذا الثياب الجميل وخرجت على زوجها شيء من الحلي وعليها ثياب رديئة خلقة وسخة فهو بين أمرين: إما أن يعاشرها متكرها لها وإما أن لا يرضى في هذه الحال ثم تقول يله أعطني فيشتري لها؛ وإذا اشترى لها جاءت امرأة ثانية تشكوا إليها الحال قالت: خذي؛ تخرج عليه في اليوم الثاني ما عليها شيء؛ يتسلسل الأمر؛ ففي هذه الحال إن للزوج أن يمنعها من التصرف فيما أعطاها؛ لأن ذلك مضر به إما ماليا وإما متعة . من فوائد الآية الكريمة: أن الولد يخدم والده من أم أو أب؛ توافقون على هذا؟ كيف ؟ لأن الله قال: ((**نذرته محررا**)) يعني محررا عن الخدمة بحيث لا أستخدمه ولا أستغل حياته . من فوائد الآية الكريمة: طرد الإعجاب بالنفس؛ وذلك بأن الإنسان إذا عمل عملا لا يدل به على الله يقول: أنا عملت أنا عملت؛ بل يعمل ويشعر أنه مفتقر إلى الله عزوجل في قبول ذلك العمل؛ ولهذا قالت: ((**فتقبل مني**)) وقال إبراهيم وإسماعيل وهما يرفعان القواعد من البيت: ((**ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم**)) والإنسان إذا علم أنه مفتقر إلى الله عزوجل في العمل وفي قبول العمل زال عنه الإعجاب؛ وإذا زال عنه الإعجاب صار حريا بأن الله تعالى يقبل منه ويثيبه . ومن فوائد الآية الكريمة: إثبات اسمين من أسماء الله وهما: السميع والعليم؛ وقد سبق لنا الكلام على السميع وما يدل عليه من الصفة وأنه يكون بمعنى قبول ال بمعنى استجابة الدعاء؛ وبمعنى إدراك المسموع؛ وأما العليم فسبقت أيضا؛ العليم هو إدراك الشيء على ما هو عليه؛ فمن لم يدرك فليس بعالم؛ ومن أدركه على خلاف ما هو عليه فليس بعالم؛ والأول جاهل بسيط والثاني جاهل مركب؛ وأيهما أحسن حالا؟ البسيط ؟ البسيط أحسن حالا من المركب؛ لأن المركب يجهل ويجهل أنه يجهل فيبقى كأنه عالم وهو جاهل؛ لكن البسيط يقول أنا ما أعرف جاهل؛ ونضرب لهذا مثلا: سأل رجل آخر فقال: أخبرني متى كانت غزوة بدر؟ فقال: على الخبير سقطت ((**ولا ينبئك مثل خبير**)) غزوة بدر كانت في السادسة من الهجرة في شهر ذي القعدة؛ ويش تقولون لهذا؟ هذا جاهل مركب؛ طيب هو يقول: على الخبير سقطت ولا ينبئك مثل خبير؟ نقول هذا أيضا من جهله؛ على كل حال هذا جاهل مركب؛ والثاني سألناه فقال: لا أدري؛ هذا جاهل بسيط؛ الأول إذا قلنا له إنها في الثانية في رمضان قبل؛ الثاني، الثاني إذا قلنا له في سنة الثانية في رمضان قبل؛ لأنه ليس ما يعارض به؛ لكن هذا الأول يعارض يقول: أبدا، أنا متأكد وأنا خبير بالموضوع؛ طيب ويذكر أن رجلا يقال له توما ويلقب نفسه بالحكيم ؛ قال فيه الشاعر على لسان حماره الحمار الذي يركبه :

قال حمار الحكيم دوما لو أنصف الدهر كنت أركب

لأني جاهل بسيط وصاحبي جاهل مركب

الحمار يقول لو أنصف الدهر؛ على كل حال الحمار ما هو طيب الكلام من هذا؛ يقول: لو أنصف الدهر أنا الذي أركب لأنني جاهل بسيط وصاحبي جاهل مركب؛ ومن جهل توما ما أشار إليه الشاعر بقوله:

ومن رام العلوم بغير شيخ يضل عن الصراط المستقيم

وتلتبس عليه العلوم حتى يكون أضل من توما الحكيم

تصدق بالبنات على رجال يريد بذاك جنات النعيم

هذا علم وإلا جهل ؟ جهل؛ البنات ما يتصدق بهن؛ البنات يتزوجن بشروط معلومة ومهر ((**وأحل لكم ما وراء ذلك**)) ويش بعدها ؟ ((**أن تبتغوا من أموالكم**)) لابد من مهر؛ طيب على كل حال العلم ذكرنا أنه إدراك الشيء على ما هو عليه؛ علم الله عزوجل واسع شامل، واسع شامل كامل؛ لم يسبق بجهل ولا يلحقه بنسيان؛ قال الله تعالى على لسان موسى: ((**في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى**))؛ ((**لا يضل**)) يعني لا يجهل؛ ((**ولا ينسى**)) يعني ما علم؛ بل هو عالم بما يكون لو كان كيف يكون، وعالم بما كان لا ينساه، وشامل لكل شيء، واقرأ إن شئت قوله تعالى: ((**وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمه**)) أي ورقة؛ ولهذا جاءت من المؤكدة ((**ما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين**)) هذا العموم العظيم والسعة والشمول يدل على كمال الله عز وجل . طيب ما ثمرة إيمانا بعلم الله وسمعه ؟ ثمرة إيماننا بذلك عظيمة إذا آمنا به حق الإيمان؛ أما الأول فإننا إذا آمنا بأنه هو السميع بالمعنيين: الاستجابة والإدراك حضرنا أن نسمعه ما لا يرضاه؛ لأنه يسمع؛ فنحضر أن نسمعه ما لا يرضاه؛ وإذا علمنا أنه سميع بمعنى مستجيب ألححنا عليه في الدعاء؛ ومن كرمه جل وعلا أنه يحب الملحين في الدعاء؛ بل يأمر ((**أدعوني أستجب لكم**)) وينزل آخر الليل يقول: (من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفره) اللهم وفقنا .؛ فالحاصل أن هذا من ثمرات الإيمان

بالسميع . ((**العليم**)) إذا آمنت به حق الإيمان خفت من أن يسمع لك قولا أو يرى لك فعلا أو يعلم منك ما ليس بقول ولا فعل كحديث النفس، تخشى من هذا كله؛ لأن الله يعلمه ((**ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد**)). يقول الله عز وجل: ((**فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت**)) . من فوائد هذه الآية الكريمة: أن الأم تتكلف الحمل كما يشعر به كلمة: ((**وضعتها**)) أنها حاملة لها وهو كذلك لاشك أنها تتكلف بالحمل؛ وإذا قردنا أن هذا الطفل الذي في بطنها سيبقى تسعة شهور وهي حاملة له في بطنها في أرق ما يكون في البدن قائمة وقاعدة ومستيقظة ونائمة؛ فماذا نتصور من التعب؛ ولهذا قال الله تعالى: ((**حملته أمنه كرها ووضعته كرها**)) ((**حملته أمه وهنا على وهن**))؛ ثم مع ذلك هل هو مجمد هذا الطفل ببطن؟ لا، غير مجمد؛ يتحرك وهي تحس به؛ ولو لا لطف الله بعباده ما استطاعت أن تحمل هذا ولكن الله عز وجل يعينها . فيتفرع على هذه الفائدة فائدة أخرى وهي عظم حق الأم على ولدها؛ لأن من أحسن إليك وأتعبته كان أحق الناس ببرك؛ ولهذا جعلها النبي صلى الله عليه وسلم أحق الناس بحسن الصحبة . ومن فوائد الآية الكريمة: اعتذار الإنسان عند ربه إذا وقع الأمر خلاف ما أراد؛ لقوله: ((**رب إني وضعتها أنثى**)) فإن هذا شبه اعتذار لقولها: ((**إني نذرت لك ما في بطني محررا**)) والأنثى لا تخدم المساجد عندهم فلهذا اعتذرت . ومن فوائدها: التوسل إلى الله تعالى بربوبيته؛ من أين يؤخذ؟ ((**رب**)) ((**رب إني وضعتها أنثى**)) . ومن فوائد الآية الكريمة: أنه من تمام البلاغة الاحتراز أو بالسين إن شئت الاحتراس عن كل موهم لأمر خطأ، الإنسان ينبغي أن يحترس عن كل موهم لأمر خطأ سواء كان في المقال أو في الفعال؛ من أين يؤخذ ؟ من قوله: ((**والله أعلم بما وضعت**))؛ على القراءتين؛ على قراءة الضم واضح ((**والله أعلم بما وضعت**))؛ قلنا إن الإنسان يعتذر سواء وقع منه ما يكون في المقال أو في الفعال؛ في المقال كما رأيتم؛ في الفعال مثل: قول النبي صلى الله عليه وسلم لما خرج بصفية رضي الله عنها يقلبها حين جاءت إليه وهو معتكف وتحدثت معه فقامت وخرجت بالليل فخرج بها عليه الصلاة والسلام وإذا برجلين من الأنصار يمران فأسرعا فقال لهما عليه الصلاة والسلام: على رسلكما إنها صفية بنت حيي فقالا: سبحان الله، يعني ما عندنا إشكال في الموضوع حتى تعتذر؛ فقال: (إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم وإني خفت أن يقذف في قلوبكما شرا أو قال . شيئا) هذا صحيح لاشك أن أبعد الناس عن سوء الظن هو الرسول الله صلى الله عليه وسلم لاسيما من أصحابه لا يمكن أن يظنوا به سوء

الظن ومع ذلك خاف عليهم خاف أن الشيطان يلقي في قلوبهما شرا أو شيئا؛ وهذا ينبغي للإنسان أيضا أن يدرأ الغيبة عن نفسه ما استطاع، لا يقول أنا ما أبالي بالناس، حسبنا الله ونعم الوكيل هذا طيب لكن افعل الأسباب، افعل الأسباب التي تدرأ عنك الشر حتى لا يظن الناس بك سوءا . ومن فوائد الآية الكريمة: إثبات التفضيل في أوصاف الله؛ لقوله: ((**أعلم بما وضعت**)) خلافا لمن منع ذلك؛ وفسر أعلم بعالم؛ لأنه في الواقع فر من شيء ووقع في شر منه؛ إذا قال: عالم؛ فإنه لم يمنع الاشتراك، لا يمنع الاشتراك؛ لأنه عالم وغيره عالم؛ فإذا قال: أعلم، منع الاشتراك؛ لأيش؟ لأن اسم التفضيل يقتضي أن يكون المفضل في القمة لا يساويه أحد؛ أليس كذلك؟ طيب إذا أعلم أولى من العالم؛ بل نقول: إن الله قال: ((**ولله المثل الأعلى**)) عني الوصف الأكمل ((**لله المثل الأعلى**)) هل تقول: لله المثل العلي ؟ ما يستطيع ((**الأعلى**))؛ هم يقولون: إذا قلت: أعلم؛ فإن المقارنة بين الشيئين: العالي والنازل تجعل العالي نازلا؛ لقول الشاعر:

ألم تر أن السيف ينقص قدره إذا قيل إن السيف أمضى من العصا

فنقول: هناك فرق بين اسم التفضيل بين شيئين يشتركان في الوصف أو في أصل الوصف؛ وبين اسم التفضيل في شيئين لا يشتركان؛ فالعصا ما فيه مضى؛ ولهذا أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن ما قتل به من الصيد فهو وقيض حرام؛ لأنه لا ينذر الدم ولا فيه مضى، والسيف فيه مضى؛ أنت لو جئت إلى إنسان زمن وإنسان شاب جلد سريع العدو؛ وقلت: فلان أسرع في عدوه من فلان من الزمن؛ ينقص وإلا ما ينقص ؟ ينقص؛ لأن الزمن ما عنده العدو؛ الزمن معناه المشلول الذي ما يقدر يتحرك، ما يسمونه الناس محرو أو مقصم كلمة المعنى هذا؛ على كل حال الصواب بلاشك أنه يجوز التفضيل في أوصفا الله ((**أعلم بما وضعت**)) .

السائل : بعض الناس ...

الشيخ : سمعتم سؤاله ؟ يقول: في ناس يخلوا بالمرأة وإذا قيل: هذا ما يجوز؛ قال: قلبي نضيف ؟الرسول صلى الله عليه وسلم قال: (**لا يخلون رجل بامرأة إلا مع ذي محرم**) وقال: (**ما خلا رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما**) والشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم؛ وهذا شيء مشاهد محسوس حتى لو

كان من الناس الملتزمين الطيبين إذا خلا مع المرأة فلابد أن يوقع الشيطان في قلبه شيء ولو كان نظيفا؛ إذا قال قلبي نظيف قلنا له: توسخ بهذه الخلوة.

السائل : أنه إذا نذر العبد بمجهول ثم لم يوجد شيء فهل عليه بدل ؟

الشيخ : لا ما يلزمه، لا يلزمه؛ يؤخذ من آية هذه ؟ أي نعم لأن هذا

الشيخ : سمعتم السؤال ؟ يقول: الفوائد التي استفدناها من قصة مريم يمكن أن نبطلها بربع كلمة فنقول: هذا خاص؟ ما هو صحيح يا أحمد؛ الله يقول: ((**لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب**)) عبرة في كل شيء فيما يفعلونه من الشرائع والمعاملات وفيما يحصل عليهم من عقوبات الله عزوجل، في كل شيء؛ وإذا أيش الفائدة من القصة .

السائل : بعض الدعاة يدخلون في الأماكن المعاصي بنية الدعوة إلى الله فهل هذا مشروع ؟

الشيخ : هم دخلوا يدعونهم وينهونهم عن المنكر؛ لأنه مشكل أن ينهونهم عن منكر بدون الدخول عليهم؛ لكن لو دخلوا مثلا أماكن اللهو ولا رئي منهم مشاهدة الإنكار، ما رئي منهم الإنكار يمكن يتهمون؛ أما ناس دخلوا على قوم يشربون الخمر وقال: يا عباد الله اتقوا الله هذا حرام ما يجوز؛ ما فيه شيء؛ نعم أحسنت إذا خيف من هذه المفسدة لا يدخل، يكتبون لهم الرسائل وإلا يدخلون في حال ليسوا موجودين ويقول لصاحب المكان احذر هذا الشيء .

السائل : شيخ ؟ كيف تتصدق الزوجة بولدها وهو ليس ملكا لها بل هو لزوجها ؟

الشيخ : نعم؛ ويش تقولون يا جماعة ؟ ما هو من حقها أن يخدمها ؟ لكن زوجها كذلك من حقه أن يخدمه؛ نعم نعم لا بأس من حقه أن يخدمه لكن هي حررته من خدمتها هي، يعني فيما يتعلق بخدمتها حررته؛ أما ما لا تملك ما تقدر عليه.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ((**هنالك دعا زكريا قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين قال رب أنى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر قال كذلك الله يفعل ما يشاء قال رب اجعل لي آية قال آيتك أن لا تكلم الناس ثلاثة أيام**

إلا رمزا واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والإبكار)). قال الله عز وجل: ((**فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى** ...)) في هذا دليل على استعمال الاحتراس في الكلام؛ أي أن الإنسان إذا أتى بكلام موهم وجب عليه أن يذكر احتراسا يرفع فيه هذا الوهم؛ لقوله: ((**والله أعلم بما وضعت**)) على كلتا القراءتين؛ وكما يكون الاحتراس بالقول يكون الاحتراس بالفعل أيضا؛ مثل أن يظهر الإنسان فعلا مباحا حلالا فيخشى أن يتوهم الناس أنه فعل محرم فيأتي بما يدل على أنه فعل مباح؛ كما صنع النبي صلى الله عليه وسلم حين مر به رجلان وهو يقلب صفيه إلا بيتها فقال: (**على رسلكما إنها صفية**) . ومن فوائد الآية الكريمة: إثبات كمال علم الله وأنه فوق كل علم؛ لقوله: ((**أعلم**)) فإن اسم التفضيل يدل على التصافي مفضل في أكمل الصفة التي فوضل بها . ومن فوائد الآية الكريمة: أنه لا يستوي الذكور والإناث ((**وليس الذكر كالأنثى**)) لا في الطبيعة ولا في الأخلاق ولا في المعاملة؛ بل ولا في الأحكام في بعض الأحيان؛ الذكر ليس كالأنثى؛ وإذا كان الذكر ليس كالأنثى فالأنثى أيضا ليست كالذكر. ومن فوائد الآية الكريمة: تسمية المولود حين يولد

ومن فوائد الآية الكريمة: تسمية المولود حين يولد؛ لقوله: ((**وإني سميتها مريم**)) وهذا هو السنة أن يسمى الإنسان حين يولد إلا إذا لم يتهيأ الاسم فإنه يسمى في اليوم السابع ؛ وبهذا تجتمع الأدلة ؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم لما ولد إبراهيم قال: (**ولد لي الليلة ولد وسميته إبراهيم**) ففي حديث العقيقة قال: (**تذبح يوم السابع ويحلق ويسمى**) فيكون الجمع بين هذا وهذا: أن من كان مهيئا للاسم من قبل الولادة فالأفضل أن يسميه حال الولادة ومن لم يهيئ فالأفضل أن يؤجله إلى اليوم السابع . ومن فوائد الآية الكريمة: أن التسمية تعود للأم؛ لأيش؟ لما قالت: ((**وإني سميتها مريم**)) ؟ فيه احتمال لكن أرب الشيء أن يقال: إن في هذا دليل على جواز تصرف الفضول . أي أن الإنسان يتصرف في حق غيره فينفذ إذا وقف عليه الغير، أليس كذلك ؟ بلى؛ أنتم عرفتم تصرف . مثلا رجل باع ساعة رجل بدون إذن فأجازه صاحب الساعة ووافق على البيع نقول هذا البيع صحيح؛ لأنه أجازه؛ فهنا يحتمل أن الاتفاق كان جاريا بين الأم والأب في التسمية؛ أو أن الأم رأت أن الأب لا يعارض فسمت وإلا فالأصل أن التسمية تكون للأب؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (**ولد لي ولد وسميته إبراهيم**) ولكن الأفضل أن لا يتنازع الأبوان في تسمية الولد وأن يكون الاتفاق بينهما؛ أحيانا تصر الأم أن تسمي ولدها بفلان أو ابنتها بفلانة؛ وأحيانا يصر الأب على العكس بذلك؛ والذي ينبغي أن لا يكون هذا موضع نزاع بينهما وأن يتفقا على الاسم؛ فإذا اختلفا يرجع إلى أفضل الأسماء؛ لو قالت الأم: أنا أريد أن يسمى ابني على اسم جدي واسم جده ناصر؛ وقال الأب أنا أحب أن يسمى بعبد الله؛ فالحق للأب وأيضا جانبه أرجح لأن (أحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن) ولكن عند النزاع وعدم المرجح من حيث التسمية لاشك أن الحق للأب . ومن فوائد الآية الكريمة: مشروعية إعاذة الإنسان أبنائه بالله عز وجل من الشيطان الرجيم ومن شر الخلق؛ لقولها: ((**وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم**)) . ومن فوائد الآية الكريمة أيضا: جواز الدعاء للمعدوم؛ من أين يؤخذ؟ من قوله: ((**ذريته**)) لأن الذرية لم تأت بعد؛ فهي امرأة صغيرة طفلة؛ لكن يجوز أن يقال: أصلح الله وذريتك، غفر الله لك ولذريتك، وما أشبه ذلك . هل يقال: إن في هذه الآية كرامة لامرأة عمران ؟ نعم؛ كيف ؟ من قوله: ((**وذريتها**)) فإنها توقعت أن يكون لها ذرية؛ فصار لها ذرية، توقعت أن يكون لها ذرية فصار لها ذرية وهو عيسى عليه الصلاة والسلام؛ وإذا فقد يقال: كيف تقول: ((**ذريتها**)) ؟ هل هي على علم بأن هذه الطفلة ستبقى وستكون لها أولاد؟ ليست على علم بلاشك؛ لكن كونها تقول هكذا جازمة بذلك فيأتي الأمر فيقع على حسب ما توقعت هذا نوع من الكرامة . ومن فوائد الآية الكريمة: أن الشيطان عدو لبني آدم، حيث يطلب الإنسان من الله عز وجل أن يعيذه منه . ومن فوائد الآية الكريمة: بيان قدرة الله عز وجل على كل شيء، ومن ذلك الإجارة من الشيطان؛ وإلا لكان الاستعاذة به من الشيطان عبثا .

ثم قال الله عز وجل: ((**فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا** ...)) من فوائد هذه الآية الكريمة: أن الله عز وجل سميع قريب مجيب؛ لأنها دعت فسمعها الله، ولأنها دعت فأجابها الله، وفي القرآن الكريم: ((**وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع أذا دعان**)) .، ومن فوائد الآية الكريمة: الرد على الملاحدة الذين ينكرون وجود الرب؛ وجهه ؟ ويش لون ملاحدة وين الملاحدة ؟ لكن من ذكر الدر على الملاحدة ؟ أنا ؟ الرد على الملاحدة؛ لقوله: ((**إن ربي سميع الدعاء**))؛ أنا قلت هكذا؟ أنا قلت فيه الرد على الملاحدة في قوله: ((**إن ربي سميع الدعاء**)) ؟ قلت: فيه رد على الملاحدة الذين ينكرون وجود الله؛ طيب من أين يؤخذ هذا؟ من قوله: ((**إنك سميع الدعاء**)) ما ، هذا سبق؛ ما قلت من أين؛ لكن من أين؟ الآن أقول؛ نأخذ من قوله: ((**إنك سميع الدعاء**)) ما ذكر فيه ما قال: ((**سميع الدعاء**)) فيه: ((**إنك أنت السميع العليم**))؛ سبق هذا في درس مضى وأخذنا فوائدها؛ أي نعم نأخذ من قوله: ((**إنك أنت السميع العليم**)) ؛ لا إله إلا الله ! نعم؟ من قوله: ((**فتقبلها ربها بقبول حسن**)) لأنها لما دعت قال: ((**فتقبلها**)) والفاء هذه عاطفة تدل على السببية وعرف الترتيب والفورية . ومن فوائد الآية الكريمة: أن الله عز وجل من على هذه الطفلة بشيئين: بالقبول الحسن؛ والنبات الحسن؛ فصار في ذلك تنمية لأخلاقها ولجسمها وبدنها . ومن فوائد الآية الكريمة: أن تطور الإنسان في حياته بأمر الله؛ لقوله: ((**أنبتها**)) وما الغذاء والعناية بالطفل إلا السبب والله تعالى هو المسبب وهو المكون للإنسان والمنتج له. ومن فوائد الآية الكريمة: أن الله عز وجل قد ييسر للإنسان من يكفله من أهل الخير فيكون ذلك من أسباب إعادته من الشيطان الرجيم؛ لقوله: ((**وكفلها زكريا**)) . ومن فوائدها أيضا: إثبات الحضانة للطفل؛ الدليل ؟ قوله: ((**وكفلها زكريا**)) . هل يؤخذ من ذلك أن الكفالة تكون للأب دون الأم؟ الجواب: ليس بظاهر؛ لأنه قد يراد بالكفالة هنا كفالة التأديب والتربية وإيجاد النفقة دون القيام عليه بالحضن؛ ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لأم الطفل: (**أنت أحق به ما لم تنكحي**) . ومن فوائد الآية الكريمة: أن هذه الطفلة صارت من العابدات، من العابدات القانتات؛ لقوله: ((**كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا**)) . ومن فوائد الآية الكريمة : أن الله عز وجل قد ييسر للإنسان من الرزق ما لا يكون فيه حسبانه؛ لقوله: ((**قال يا مريم أنى لك هذا**)) . ومن فوائد الآية الكريمة: أن كل ضعف لطفا؛ فهذه المرأة الضعيفة التي من الله عليها بالاشتغال بالعبادة يهيئ الله لها من يأتيها بالرزق . ومن فوائد الآية الكريمة: أن الأشياء تضاف إلى الله وإن كان لها سبب؛ لقوله: ((**هو من عند الله**)) وإضافة ا لأشياء إلى أسبابها ليست إلا مجرد إضافة مسبب إلى سببه لا إلى موجده وإلا فإن الموجد هو الله عز وجل . ومن فوائد الآية الكريمة: أن الأنبياء لا يعلمون الغيب؛ لقوله: ((**يا مريم أنى لك هذا**)) .

ومن فوائدها: إثبات أن الله عز وجل يرزق بغير مكافئة ولا انتظار لمكافئة؛ لقوله: ((**إن الله يرزق من يشاء بغير حساب**)) ثم قال الله عز وجل: ((**هنالك دعا زكريا ربه**)) وهذا مبتدى الدرس؛ ((**هنالك**)) هذه اسم إشارة إلى المكان؛ واللام يقولون إنها للبعد؛ والكاف حرف خطاب؛ يعني في ذلك الزمن نعم والإشارة هنا يحتمل أن تكون للزمن أي في ذلك الزمان؛ أو في المكان الذي هو محراب مريم؛ ((**هنالك**)) أي في ذلك المكان وفي ذلك الزمان . ((**دعا زكريا ربه**)) و((**زكريا**)) فيها قراءتان: المد والقصر، ((**زكرياء ربه**)) هذا مد، ((**زكريا ربه**)) هذا القصر . ((**قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة**)) ((**هب لي**)) أعطني؛ والهبة هي التبرع بالشيء بلا عوض؛ لكن قال العلماء: إنه هناك هبة وهدية وصدقة؛ كم؟ ثلاثة أشياء؛ فالصدقة ما أريد به ثواب الآخرة؛ والهدية ما أريد به التودد والتقرب بين المهدي والمهدى إليه؛ والهبة ما قصد به مجرد انتفاع الموهوب له؛ وهنا ((**قال رب هب لي**)) أي أعطني عطاء بلا . ((**من لدنك ذرية طيبة**)) ((**من لدنك**)) من عندك؛ وأضافه إلى عندية الله عز وجل ليكون أبلغ وأعظم لأن هدية الكريم أكرم . وقوله: ((**ذرية**)) بمعنى مذروئة أي مخلوقة؛ وقوله: ((**طيبة**)) أي طيبة في أقوالها وأفعالها وكذلك في أجسامها؛ فهو متناول لطيب الحسي وطيب المعنوي؛ ((**إنك سميع الدعاء**)) أي مجيبه؛ والدعاء هو سؤال الإنسان ربه حاجته إما بجلب منفعة وإما بدفع مضرة . قال: ((**فنادته الملائكة**)) وفي قراءة: ((**فناداه الملائكة**)) فأما على قراءة الجمع ((**فنادته الملائكة**)) فالتأنيث في الفعل ظاهر؛ لأن ((**الملائكة**)) جمع وكل جمع يجوز تأنيث فعله، كل جمع إلا جمع المذكر السالم فإنه لا يؤنث إلا نادرا جدا؛ فمثال تأنيث في الجمع ولو للمذكر قوله تعالى: ((**تلك الرسل فضلنا بعضهم**)) فالرسل هنا مؤنث؛ ما الدليل ؟ الإشارة بالتأنيث، بصيغة التأنيث؛ وقال تعالى: ((**قالت الأعراب آمنا**)) قالت الأعراب ولم يقل: قال الأعراب؛ لأنه جمع؛ وأما جمع المؤنث السالم يجب تأنيثه وجمع المذكر السالم يجب تذكيره؛ ولهذا قال ابن مالك رحمه الله:

والتاء مع جمع سوى السالم من مذكر كالتاء مع إحدى اللبن

المعنى أن التاء مع الجمع كالتاء مع أحدى اللبن؛ ما هي إحدى اللبن ؟ لبنة، فلبنة مؤنث لكن تأنيثها مجازيها فيجوز في فعلها التذكير والتأنيث؛ تقول انكسرت اللبنة وانكسر اللبنة؛ وظاهر كلامه حتى جمع المؤنث السالم يجب تأنيثه؛ والصحيح أنه يجب تأنيث المؤنث السالم؛ فالسالم من مذكر والمؤنث حسب ما؛ المذكر للتذكير والمؤنث للتأنيث وما عدا ذلك من الجموع يجوز فيه التذكير والتأنيث؛ فهنا ((**نادته الملائكة**)) ليس في تأنيث الفعل إشكال؛ لماذا؟ لأنه جمع، لأن الفاعل جمع؛ لكن على قراءة: ((**فناداه الملائكة**))؛ ((**فناداه الملائكة**))

هل فيه إشكال ؟ نقول لا إشكال فيه أيضا، لا إشكال فيه؛ لماذا؟ لأن الملائكة جمع تكسير والجمع التكسير يجوز فيه التذكير والتأنيث؛ تقول: قام الرجال وقامت الرجال؛ ويمكن أن يراد بالملائكة ظاهر وهو جبريل ناداه؛ وعبر عنه بالجمع باعتبار الجنس لأنه واحد منه . ((**نادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب**)) جملة ((**هو قائم**)) في محل نصب على الحال، الحال من الضمير الهاء في قوله: ((**نادته**))؛ وقوله: ((**قائما يصلي في المحراب**)) المحراب هو مكان الصلاة أو مكان العبادة؛ وسمي بذلك لأنه مكان حرب للشياطين؛ فإن العبادة حرب للشياطين؛ وليس المراد بالمحراب طاق القبلة كما يظنه بعض الناس فيفسر الآية به؛ فيقول: إن هذه المحاريب موجودة من قديم الزمان ألا تسمع إلى قوله تعالى: ((**كلما دخل عليها زكريا المحراب**)) وإلى قوله تعالى: ((**فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب**)) ولكن هذا ليس بصحيح . ((**أن الله يبشرك**)) ((**أن**)) قراءة بالفتح وقراءة بالكسر؛ فأما على قراءة الكسر ((**إن الله**)) فلأن النداء قول، ومقول القول إذا صدر بإن يجب فيه كسر إن كقوله تعالى: ((**إني عبد الله**)) ولا يجوز أن تقول: قال أني عبد الله؛ كذا؟ طيب؛ وأما على قراءة الفتح فهي على تقدير حرف الجر ((**فنادته الملائكة بأن الله يبشرك**)) أي ببشرى، بشرى الله تعالى بهذا النبي يحيى؛ وأيضا بقوله: ((**يبشرك**)) قراءتان ((**يبشر ك**)) ((**يبشرك**)) كلاهما سبعيتان؛ فصار في هذه الآية في ثلاث كلمات منها كل كلمة فيها قراءتان: ((**فنادته**))، ((**فناداه**))؛ ((**أن الله يبشرك**))، ((**إن الله يبشرك**))؛ ((**إن الله يبشرك**))، ((**إن الله يبشرك**)) نعم؛ والبشارة الإخبار بما يسر؛ وسميت بذلك لتأثر البشرة بالخبر؛ لأن الإنسان إذا بشر بما يسره يفرح ويظهر ذلك على وجهه؛ ألم تر إلى وجه النبي صلى الله عليه وسلم حين دخل مجزز المدلجي على أسامة بن زيد وزيد بن الحارثة وعليهما كساء لم يبد منهما إلا أقدامهما فنظر إلى أقدامهما وقال: إن هذه الأقدام بعضها من بعض فدخل النبي صلى الله عليه وسلم على عائشة تبرق أسارير وجهه، تأثر؛ لماذا؟ بالخبر السار . طيب إذا قال قائل: إن قلتم هكذا فاجعلوا الإخبار بما يسوء بشرى؛ لأن البشرة تتأثر بذلك؛ الرجل إذا أخبرته بما يسوءه إلتفأ وجهه وتغير فسمها بشرى ؟ فما الجواب؟ نقول هذا قد يطلق عليه، أي الخبر بما يسوء قد يطلق عليه بشارة، ومنه قوله تعالى: ((**فبشرهم بعذاب أليم**)) ((**بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما**)) لأن هذا يؤثر في البشرة .

السائل : مريم يعني أن أباها مات قبل أن تولد ؟

الشيخ : والله ما هو بعيد والله وأيضا كفلها أيضا زكريا أي نعم فهذا جيد إن والدها كان غير موجود نعم حتى يؤخذ منه فحينئذ يزول الإشكال .

السائل : كم كانت عمرها ؟ عمرها متى ؟

الشيخ : والله لابد يمكن المؤرخون يذكرون ذلك ولكن الظاهر أنها كبيرة شابة ؛ لأنها حملته فانتبذت به مكانا قصيا؛ الله أعلم لكنها لاشك أنها كبيرة نشيطة لا وصلت إلى حد الكبر ولا إلى الصغر التي لا تستطيع الحمل .

الشيخ : نعم يا خالد ؟

السائل : أحسن الله إليكم إذا تهيأ للولد الاسم بعد ولادته بيوم أو يومين فهل يسمى في الحال أو يترك حتى يوم السابع ؟

الشيخ : لا الأحسن أن يؤجل نعم .

السائل : شيخ جزاك الله خيرا ؛ بنسبة للقراءات هل يجوز خلط قراءتين في آن واحد ، في وقت واحد يعني ؟

الشيخ : إن كان هذا على سبيل التعليم فلاشك أنه جائز ، على سبيل التعليم ؛ وإن كان على سبيل القراءة فمن العلماء من أجاز ذلك ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية ؛ ومنهم من لم يجز وقال: إذا قرأت على قراءة واحدة من القراء فاستمر عليه ؛ لكن الذي يظهر إن القرآن شيء واحد وأنه يجوز أن تقرأه بقراءة واحد والحرف الثاني بقراءة آخر ؛

السائل : ما في بأس

الشيخ : أي ما فيه بأس ؛ لا قصدك

السائل : يعني بما أنك تردد الكلمة مرتين ؟

الشيخ : لا لا؛ يقرأ؛ مثلا تقرأ ((**إن الله يبشرك**)) ((**وأن الله يبشرك**)) كذا؟

السائل : لا لا، مثلا يقرأ آية على رواية حفص مثلا والآية الثانية يقرأ على قراءة ثانية ؛

الشيخ : في نفس الوقت أو التي تليها الآية الثانية ؟

السائل : الآية التي تليها؛

الشيخ : ما ، لا بأس هذا الذي فيها الخلاف، هذا هو الذي فيها خلاف.

السائل : كيف ذلك ؟ بس هل فيها نزاع، ما نعرف هل فيها نزاع أو لا؛ ما نقدر نقول فيه نزاع لأنه ما ذكر في القصة؛ والظاهر أنه كما قال أخ غانم أن أباه قد توفي ، أبو مريم الظاهر أنه توفي ولعله توفي قبل أن تولد بدليل أن مريم تصرفت فيها وسمتها ؛

السائل : هل فيها تأييد ؟

الشيخ : تأيد لأيش ؟ لا ما فيه تأييد ما فيه نزاع ، من نازع زكريا ؟ أصلا أب ما هو موجود وأمها موجودة وهي عند أمها .

((**فنادته الملائكة وهو يصلي في المحراب أن الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين قال رب أنى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر قال كذلك الله يفعل ما يشاء قال رب اجعل لي آية قال آيتك أن لا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والإبكار**)) قال الله تعالى: ((**يبشرك بيحيى**)) هذا المبشر به؛ وعندنا بشارة كما أسلفنا ومبشر و مبشر به ومبشر، كم هذه؟ أربعة كلها تضمنها قوله تعالى: ((**يبشرك بيحيى**)) ويحيى قيل أنه من الحيات وأن الله سماه بذلك إشارة إلى أنه سيحيي ويبقى؛ على هذا فهو ممنوع من الصر للعلمية ووزن الفعل، والعلمية ووزن الفعل علتان توجبان المنع من الصرف؛ وقيل: بل هو اسم أعجمي، والأسماء الأعجمية ليست بمشتقة لأنها غير عربية؛ وعلى هذا فالمانع له من الصرف العلمية والعجمة؛ لأن العلمية والعجمة علتان مانعتان من الصرف؛ وموانع الصرف نذكرها الآن تسعة مجموعة في البيت : جمع وعدل؛ البيت الأول من حفظه مشهور ومعروف:

اجمع وزن عادلا أنث بمعرفة ركب وزد عجمة فالوصف

هذه تسعة ثلاثة منها لا تحتاج إلا إلى علة واحدة؛ وثلاث منها تحتاج إلى علتين إحداهما العلمية مع علة الأخرى؛ وثلاثة تحتاج إلى عليتين إحداهما العلمية أو الوصفية مع علة أخرى؛ فهذه العلل التسعة تنقسم إلى ثلاثة أقسام: قسم يكفي فيها علة واحدة؛ وقسم علة ثاني إحداهما العملية؛ وقسم علتان إحداهما العلمية أو وصفية؛ الذي معنا يحيى)) فيها العلمية والعجمة وهذا لا تأتي بها الوصفة، العجمة ما تأتي فيها الوصفية؛ العلمية ووزن الفعل تأتي فيها الوصفية وإلا لا؟ تأتي؛ لأن الوصفية ووزن الفعل علتان مانعتان من الصرف؛ والعلمية ووزن الفعل علتان مانعتان من الصرف . ((**يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا**)) ((**مصدقا**)) حال من ((**يحيى**)) ((**بكلمة من الله**)) هو عيسى بن مريم؛ يعني مصدقا بعيسى؛ لأن عيسى كلمة من الله أو كلمة الله؛ وسمي

بذلك لأنه كان بكلمة الله، لم يكن من أب كما يكون البشر بل كان بكلمة الله عز وجل، قال الله تعالى: ((**إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه**)) أي آدم ((**من تراب ثم قال له كن فيكون**))؛ ولهذا سمي عيسى بالكلمة، بكلمة الله؛ لأنه كان بكلمته وليس هو كلمة الله؛ لماذا؟ لأن كلمة الله وصف لله عز وجل؛ فالكلام وصف للموصوف؛ ولا يمكن أن يكون وصف الله عينا بائنة منه؛ بل هو يعني يتعين أن يكون معنى كونه كلمة أنه كان أيش؟ بكلمة الله . ((**مصدقا بكلمة من الله**)) وقوله: ((**من الله**)) بيان لابتداء الأمر وليست للتبعيض؛ بل كلمة ليست هنا بعضا من الله؛ بل منشأها منه؛ فمن للابتداء لأن منشأ الكلمة من الله؛ لأنه هو الذي تكلم؛ ((**وسيدا**)) معطوفة على ((**مصدقا**)) فتكون منصوبة على أيش؟ على الحال، تكون منصوبة على الحال؛ ((**سيدا**)) من السيد ؟ السيد من ساد غيره، من ساد غيره وشرف عليه بالعلم والدين والخلق والمعاملة ؛ وقولنا: خلق يشمل كل خلق يسود به الإنسان غيره من الجود والشجاعة والإيثار وغير ذلك؛ المهم أن السيد من ساد غيره في الكمالات يعني فضل عليه وزاد عليه؛ فيكون جامعا لصفات الكمال، الكمال الممكنة في المخلوق؛ وكذلك أيضا قال في وصفه: ((**وحصورا**)) معطوفة على ((**مصدقا**)) فهي منصوبة على الحال؛ ((**حصورا**)) فعول بمعنى فاعل، أي حاصرا نفسه عن أراذل الأخلاق؛ فيكون هذا المبشر به موصوفا بصفات الكمال الدال عليها قوله: ((**سيدا**)) مبرئا من النقص وسوء الأخلاق الدال عليه ((**حصورا**)) الدال عليه ((**حصورا**))؛ فيكون له جمع النفي وأيش ؟ والإثبات؛ وذلك لأن الإنسان لا يكمل إلا بوجود صفات الكمال وانتفاء صفات النقص؛ ولاحظوا أيها الإخوة صفات الكمال والنقص هنا لا يعني صفات المطلق وكمال المطلق؛ هذا لا يكون إلا لمن؟ لله؛ لكنه أمر نسبي؛ قد يكون الإنسان عنده كمال في الصفات لكن عنده سوء من جهة أخرى هذا ناقص؛ وقد يكون عنده سوء ونقص في الكمال فيكون أنقص؛ وقد يكون عنده كمال في الأخلاق نعم كمال في الكمال وتنزه عن نقص وهو هو أيش؟ الكمال كما وصف به يحيى عليه والسلام . وأما من قال من المفسرين: إن الحصور الممنوع عن إتيان النساء يعني ما يقدر على النساء؛ فإن في هذا نظرا، نظرا واضحا؛ لأن عدم قدرة الإنسان على النساء ليس كمالا؛ إذ أن ذلك ليس منه بتخلق ولكنه عيب وإلا لا؟ عيب؛ نعم فيها قول آخر: أنه لا يأتي من النساء من لا تحل له؛ فيكون وصفا له بماذا؟ بكمال العفة هذا يمدح عليه الإنسان، هذا يمدح؛ لكن ما قلنا أشمل من هذا القول، أشمل؛ ومعلوم أنه إذا وجد قول أشمل فهو مقدم على المعنى الأقل؛ لأن الأقل داخل في الأشمل ولا عكس؛ المهم الحصور هو الذي منع نفسه عن مساوي الأخلاق وأراذله؛ فيكون في الآية وصف له بكمال الأخلاق وانتفاء المساوي؛ وهذا غاية الكمال . طيب ((**وحصورا ونبيا من الصالحين**)) هذه معطوفة أيضا على ((**مصدقا**)) فهو مصدق ونبي؛ ولا يلزم من تصديقه بعيسى أن يكون تابعا له؛ فها هو

محمد صلى الله عليه وسلم مصدق لجميع الأنبياء؛ وهو تابع لهم ؟ لا؛ هم يتبعونه ولا يتبعون؛ ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: (**لو كان أخي موسى حيا ما وسعه إلا اتباعي**) ولهذا صار إماما لهم ليلة المعراج؛ ولهذا إذا نزل عيسى في آخر الزمان يحكم بشريعة النبي عليه الصلاة والسلام؛ المهم أن تصديقه لعيسى بن مريم لا ينافي أن يكون نبيا؛ فهو نبي مصدق بالأنبياء؛ وهذا قال: ((**ونبيا من الصالحين**)) ((**من الصالحين**)) أي من جملتهم؛ وإنما قلنا ذلك لأن النبوة وصف أعلى من الصلاح؛ لكن هو في جملة الصالحين؛ النبوة صلاح زيادة؛ والدليل على ذلك قوله تعالى: ((**ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين**)) فالصالحون في المرتبة الرابعة، كل من قبلهم داخل فيها وإلا لا؟ فكل نبي صالح ولا عكس؛ كل صديق صالح ولا عكس؛ كل شهيد صالح ولا عكس كذا؟ ؛ كل صالح صالح ؟ صحيح كل صالح فهو صالح؛ ولا عكس أيش يعني؟ والعكس ما هو ؟ يعني كل فاسد فاسد وإلا أيش ؟ أي نعم طيب على كل حال قوله: ((**من الصالحين**)) أي من جملتهم؛ لأن النبي أخذ بوصف النبوة والصلاح؛ فهو من جملتهم ((**قال رب أنى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر**)) قال لما بشره الله عز وجل: ((**أنى يكون لي غلام وقد بلغني**)) يعني كيف؛ يقول ذلك ليس استبعادا ولا استنكارا ولكن تثبتا؛ وإلا فإنا نعلم أن زكريا عليه السلام قد آمن بما بشره الله به ولا يمكن أن يستبعدها ولكنه قال ذلك من أجل أيش؟ التثبت؛ والإنسان بشر ناقص في الإدراك والعلم يحتاج إلى شيء يثبت له الأمور؛ إبراهيم عليه السلام لاشك أنه يؤمن إيمانا كاملا لاشك معه بأن الله يحيي الموتى ومع ذلك قال: قلبي) ((**رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي**)) لأنه ليس الخبر كالمعاينة؛ إذا أخبرك إنسان بخبر مهما بلغ في الصدق لن يكون خبره عندك بمثل المعاينة؛ فزكريا عليه السلام سأل الله ((**أنى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر**))؟ القصد أيش؟ التثبت وتثبيت هذا الأمر لا استبعادا لقدرة الله عز وجل ولا شكا في خبره عز وجل؛ بل هو مؤمن بذلك ومؤمن بقدر الله عز وجل وأنه إذا أراد شيئا قال له كن فيكون لاسيما وأنه كان قد رأى عند مريم الرزق فقال: ((**أنى لك هذا قالت هو من عند الله**)) . ((**أنى يكون لي غلام**)) قال: ((**غلام**)) مع أنه لم يولد بعد؛ لكن هذا باعتبار ما سيكون؛ والتعبير بما سيكون أمر سائغ في اللغة وارد في القرآن ((**قال أحدهما إني أراني أعصر خمرا**)) يعني أعصر عنبا يكون خمرا؛ لأن الخمر ما هو يعصر، الذي يعصر هو العنب وعصير وهي تتحول إلى خمر فتبر عن الشيء بما يؤول إليه؛ طيب **هنا** ((**أنى يكون لي غلام**)) كيف يكون غلام وهو ما بعد ولد؟ نقول: باعتبار ما سيكون . ثم قال: ((**وقد بلغني الكبر**)) الواو هذه يسميها العلماء: واو الحال؛ يعني أنها تدل

على أن الجملة التي بعدها في موضع نصب على الحال؛ يعني والحال أنه قد بلغني الكبر؛ حال من أين؟ من الياء في قوله:

ثم قال: ((**وقد بلغني الكبر**)) الواو هذه يسمها العلماء: واو الحال؛ يعني أنها تدل على أن الجملة التي بعدها في موضع نصب على الحال؛ يعني والحال أنه قد بلغني الكبر؛ حال من أين ؟ من الياء في قوله ؛ لا يا أخ؛ هي حال من الياء في قوله: ((**أنى يكون لي غلام**)) فهي في موضع نصب على الحال من الياء في قوله: ((**بلغني الكبر**)) يعني وصل إلي الكبر؛ والحقيقة أنه قد يتراءى للإنسان أن في المعنى قلبا؛ هل الكبر بلغت أو أنت بلغت الكبر ؟ أو يجوز هذا وهذا؟ قال الله تعالى: ((**وقد بلغت من الكبر عتيا**)) فصار هو الذي بلغ الكبر؛ وهنا يقول: ((**قد بلغني الكبر**)) إذا فالتعبير صحيح في هذا وهذا؛ فأنت إذا بلغت الكبر فقد بلغك الكبر وإذا بلغك الكبر فقد بلغت؛ ((**وقد بلغني الكبر**)) يعني أصابني؛ وعادة أن الكبير إذا لم يولد له في حال في سن الشباب فإنه لن يرى الأولاد؛ لأن الإنجاب والإخصاد إنما يكون في حال الشباب؛ وكلما تقدمت السن بالإنسان من رجل أو امرأة قل إنجابه فيقول كيف لما كنت شابا لا يأتيني ولد والآن يأتيني ولد؟ أيضا المرأة ((**امرأته عاقر**)) عاقر يعني لا تحمل، وعاقر لفظه مذكر لكن معناه هنا مؤنث؛ ويطلق على الذكر والأنثى يقال ذكر عاقر وامرأة عاقر؛ وهو الذي لا يولد له؛ فالآن كل من الزوجين يعني ليسا بصدد الولادة ولكن الله على كل شيء قدير؛ ((**إذا أراد شيئا فإنما يقول له كن فيكون**)) ولهذا قال: ((**قال كذلك الله يفعل ما يشاء**)) ((**كذلك الله**)) كذلك يجوز عندي فيها وجهان: الوجه الأول: أنها خبر لمبتدأ محذوف؛ والتقدير: الأمر كذلك؛ يعني أنك بلغت الكبر وامرأتك عاقر ولكن الله يفعل ما يشاء؛ والوجه الثاني: أن تكون في موضع نصب على المفعولية المطلقة إي مثل ذلك الفعل يفعله الله؛ لأنه يفعل ما يشاء؛ وكلا الوجهين صحيح؛ فإنه سيكون له ولد ولو كان بلغه الكبر ولو كانت امرأته عاقرا؛ لماذا؟ لأن الله يفعل ما يشاء؛ فكل ما شاءه الله فعله؛ لأنه عزوجل لا يمنعه مانع كما نقول نحن في دبر كل صلاة: اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت) فالله عزوجل يفعل ما يشاء؛ لأن له الملك المطلق في خلقه فلا أحد يمنعه ولا أحد يسأله لم فعلت ((**لا يسأل عما يفعل وهم يسألون**)) ((**كذلك الله يفعل ما يشاء**))؛ فلما أيقن بأن الله تعالى سيهب له الولد، سيهب له الولد نعم . قال: ((**قال رب اجعل لي آية**)) ((**قال رب اجعل لي آية**)) أي صير لي علامة تدل على هذا الولد، يعني كأنه يقول متى تكون هذه العلامة؛ رب اجعل لي آية تدل على حصول هذا الولد، وأن الولد بدأ ينشأ؛ لماذا؟ ليزداد أيش؟ طمأنينة، ليزداد طمأنينة فيما بشره الله به؛ اجعل لي آية أتسدل بها على أن الولد بدأ ينشأ؛ أو ((**اجعل لي آية**)) أزداد بها طمأنينة على ما بشرتني به؛ والآية في اللغة العلامة وآيات الله عزوجل كونية وشرعية؛ والأنبياء عليهم الصلاة والسلام أيدوا بالآيات الدالة على صدقهم، الآيات الكونية والآيات الشرعية؛ وكثير من الناس يسمي آيات الأنبياء معجزات، وهذه التسمية وإن اشتهرت على الألسن لكن فيها قصورا؛ والتعبير الصحيح

السليم أن نسمها آيات كما سماها الله، نسمي ما يحصل من خوارق العادات على أيدي الأنبياء نسميها آيات؛ ولهذا لا تجد آية في القرآن سمى الله هذه الخوارق معجزات أبدا؛ بل كان يسميها آيات علامات على الصدق؛ أما المعجزات فهي قاصرة لأنها لو أخذناها على ظاهرها لشملت ما يأتي به السحرة؛ أو ما تأتي به الجن؛ لأن ما يأتي به السحرة والجن معجز وإلا لا؟ لكن هل هو آية؟ لا؛ لهذا كان ما التعبير الذي في القرآن خيرا من التعبير الذي عبر به بعض العلماء بتسمية خوارق العادات التي يجريها الله على أيدي الأنبياء معجزات . ((**قال آيتك**)) يعني آية التي تدلك؛ فأضافها إلى زكريا مع أنه ليس هو الذي أوجدها لكن لأنها علامة له ((**أن لا تكلم الناس ثلاثة أيام**)) أنا أحب أن أفهم إعراب آية: ((**آيتك أن لا تكلم**)) نعم؟ نعم واحد اثنين ثلاثة أربعة خمسة ستة نعم أنت يا إمداد ؟ ((**آيتك**)) مبتدءا؛ نعم؛ ((**أن**)) مصدر؛ . . . أن في محل رفع وإلا مصدر؟ خبر؛ خبر وإلا في محل الرفع ؟ خبر لأنها مفرد والذي يقال في محل الجملة طيب؛ قدر ؟ آيتك يعني علامة التي أعطيك إياها ((**أن لا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا**)) ((**أن لا تلكم الناس**)) يعني لا تخاطبهم؛ ((**إلا رمزا**)) ((**ثلاثة أيام**)) طيب ثلاثة أيام بلياليها ؟ نعم بدليل قوله تعالى في سورة مريم: ((**لا تكلم الناس ثلاث ليال سويا**))؛ آيتك أن تكلم الناس بلياليها؛ قال: ((**إلا رمزا**)) إلا هذه أداة استثناء ولكن أحب أن أفهم هل هذا الاستثناء متصل أو منقطع ؟ محمد ؟ منقطع ؟ الرمز ليس كلاما ؟ كلام وإلا غير كلام؟ غير كلام؛ طيب نعم؟ متصل، هذان قولان؛ هذا قول مفصل؛ والواقع أن المفسرين اختلفوا هل الاستثناء متصل فتكون الإشارة من الكلام؛ لأن الكلام ما يعبر عما في النفس من قول أو إشارة أو كتابة؛ وبعض المفسرين يقول: إن الاستثناء منقطع؛ لأن الرمز ليس بكلام؛ ولذلك لو رمز الإنسان في الصلاة لم تبطل صلاته؛ ولو كان كلاما لبطلت؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (**إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس**) فمن نظر إلى المعنى قال: إن الرمز كلام؛ لأنه ينبئ عما في النفس؛ وقد يعتبره الشارع، شارع يعتبره الإشارة، أليس النبي عليه الصلاة والسلام قتل اليهودي بإشارة الأنصارية التي قالت، الجارية الأنصارية التي قالت حينما قالوا من قتلك فلان وفلان وفلان فأشارت نعم فاعتبر الإشارة؛ ولاشك أن الإشارة تعبر عن ما في النفس؛ لكنها ليست القول الذي هو الصوت لاشك فيه هذا؛ فمن لحظ المعنى قال: الاستثناء متصل ومن لحظ اللفظ وأن الكلام هو الصوت قال: الاستثناء منقطع؛ لكن على القولين المعنى واحد؛ لم يستطيع أن ينطق بلسانه مع الناس، مع الناس ولكن يشير إليهم إشارة؛ ووجه كون هذا آية: أنه عجز عن النطق مع أنه سليم وأنه عجز عن النطق مع الناس لا مع الله وهذا شيء غريب؛ يعني إنسان يتكلم يقول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله الله أكبر؛ إنسان ساوي لم يأته الآفة ولا علة في لسانه ولا يستطيع أن يكلم الناس هذه آية؛ عجز في مقام القدرة وقدرة في مقام العجز؛ عجز عن كلام الناس في

مقام القدرة على الكلام؛ وقدرة على الكلام مع الله بالتسبيح وغيره وعجز على الكلام مع الناس؛ فهذا من آية الله عزوجل ليره أن الله سبحانه وتعالى قادر على كل شيء؛ الكلام الذي أنا وغيري يعلم أنه أخف حركة في البدن وإلا لا؟ يستطيع الواحد يتكلم من إلى أن صار . . .المعنى يتكلم كم ساعة؛ إلى . . . لكن يتكلم كثيرا ولا يتعب؛ لكن المشي يتعب والبطش يتعب؛ أما هذا الكلام اليسير الذي كل يستطيعه يمتنع من هذا الرجل ما يقدر يكلم الناس إلا رمزا؛ وأما مع الله فقال: ((**واذكر ربك كثيرا**)) نعم؟ ما انتهى الوقت نعم؟ أيهم ؟ ما هي؟ إن أحببت أن يكون الراجح الاستثناء منقطع فهو منقطع ؛ وإن أحب من قال إنه متصل على الأيام فهو متصل؛ وإن أحب تفصيل من فصل كعبد المنان فلنفصل؛ المسألة ما يترتب عليها شيء يا محمد ؛ والله فيه احتمال .

الشيخ : نعم يا محمد ؟

السائل : في قوله تعالى: ((**قال رب أنى يكون لي غلام**)) ما هو نوع الاستفهام ؟

الشيخ : لا إله إلا الله ! هذا لو كان الاستفهام على سبيل الإبعاد؛ وما استفهم ما استبعد الواقع، مستفهم للتثبت؛ أنا الآن لو قلت أعطيك مثلا عشرين ريال وأنت ترى أني صادق قلت: تعطيني عشرين ريال؟ ويش قصدك في هذا؟ التثبت، ما قصدك استبعاد ولا الشك .

((**وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين ذلك من أنباء الغيب نوحي إليك ما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين**)) . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. قال الله تعالى: ((**واذكر ربك كثيرا**)) أمره الله تعالى بأن يذكر ربه كثيرا؛ لأن بذكر الله تطمئن القلوب ويزداد الإيمان ويستنير القلب؛ فلهذا أمره الله أن يذكر ربه كثيرا؛ وفائدة الذكر كثيرا هنا أو الأمر بالذكر كثيرا؛ لأن الله لما أخبره بأنه سيمنعه من مكالمة الناس بشره بأنه لم يمتنع من ذكر الله الذي هو أجل وأشرف من مخاطبة الناس وكلاهم؛ فقال: ((**واذكر ربك كثيرا**)) لأنه ربما يقع في قلبه لما قال الله له: ((**أن لا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا**)) ربما يقع في قلبه أن يمنع من الكلام فأراد الله تعالى أن يسري عنه وأن يذهب عنه ما يقع في قلبه وقال له: ((**اذكر ربك كثيرا**)) وهنا لم يقل له: وإنك ستذكر ربك؛ بل

قال: ((**واذكر ربك**)) فأمره بذكر الله ليكون ذكره لله تعالى في حال امتناع مكالمة الناس عبادة خاصة مأمورا بها؛ لما منع من مخاطبة الناس صار متفرغا فأمر بأن يشغل هذا الفراغ بماذا؟ بذكر الله عزوجل؛ وهذا أحسن له وأفيد له مما لو قال الله له: وإنك ستذكر ربك كثيرا؛ ووجهه كما قلت لكم أنه إذا أمر به صار فارغا وإن كان الذكر من أصله طاعة لكن هذا يكون طاعة خاصة في هذه الحال التي يمتنع فيها من مكالمة الناس . وقوله: ((**اذكر ربك كثيرا**)) هل ((**كثيرا**)) صفة لزمن محذوف؟ أي زمانا كثيرا؛ أو لمصدر محذوف أي ذكرا كثيرا ؟ الثاني كما قال الله تعالى: ((**يا أيها الناس اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا**)) وهنا قال: ((**وسبح بالعشي والإبكار**)) العشي آخر النهار والإبكار آخر النهار؛ وهذان الوقتان قد أمر الله بذكره فيهما فقال: ((**وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب**)) وقال تعالى: ((**وسبح بالعشي والإبكار**)) هنا؛ بالعشي والإشراق)) والآيات في هذا كثيرة لأن في الإشراق مستقبل النهار وفي العشي مستدبر النهار؛ فيكون الإنسان شاغلا وقته أوله وآخره بماذا؟ بذكر الله؛ من أين يبتدئ العشي ؟ العشي يبتدئ من زوال الشمس بدليل حديث أبي هريرة رضي الله عنه: (**صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إحدى صلاتي العشي**) وهي أما الظهر وإما العصر؛ وقيل: العشي ما بعد صلاة العصر إلى منتصف الليل؛ ولكن الأول أصح؛ نعم المساء يطلق من صلاة العصر إلى منتصف الليل؛ وأما العشي فهو آخر النهار ؛ وقوله تعالى: ((**الإبكار**)) الإبكار ليست جمعا لبكر؛ لأن جمع بكر أبكار كسبب وأسباب؛ لكنها مصدر أو اسم لهذا الوقت المعين الذي هو أول النهار؛ وقوله: ((**يسبح بالعشي والإبكار**)) يشمل تنزيه الله عزوجل عن كل ما لا يليق به؛ وقد مر علينا أن تسبيح الله يكون عن أمور ثلاثة: عن صفة عين؛ وعن نقص في كمال؛ وعن مماثلة المخلوقين؛ انتبهوا المشابهة هذه يخرجوها من. .؛ قولوا مماثلة لأن هذا هو اللفظ الذي جاء به القرآن فيسبح الله عن هذه الأمور الثلاثة، ما هي؟ النقص، والنقص في الكمال، ومماثلة المخلوقين؛ فالنقص كقوله تعالى: ((**وتوكل على الحي الذي لا يموت**)) والنقص في الكمال مثل قوله: ((**لا تأخذه سنة ولا نوم**)) ((**ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب**))؛ ومماثلة المخلوقين مثل قوله: ((**ليس كمثله شي** ة؟ طيب؛ ((**وسبح بالعشي والإبكار**)) الباء في قوله: ((**بالعشي**)) يحتمل أن يكون لاستيعاب يعني في كل الوقت، وأن تكون للظرفية أي في العشي؛ فإن جعلناها للظرفية لم يلزم أن نستوعب الوقت بالتسبيح؛ لقوله تعالى: ((**إنكم لتمرون عليهم مسبحين وبالليل**)) هم يمرون عليهم كل ليل يتر عليهم؟ لا، يمرون في آخره في أوله في وسطه؛ وإذا كانت للاستيعاب فالمعنى أن الله أمره أن يستوعبه هذين الوقتين كلهما؛ بماذا؟ بالتسبيح . طيب نرجع الآن إلى الفوائد، من أين؟ طيب قال الله تعالى: ((**هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية** ...)) يؤخذ من

هذه الآية الكريمة: أن جميع الخلق مفتقرون إلى الله حتى الأنبياء لا يستغنون عن دعاء الله؛ لقوله: ((**دعا زكريا ربه**)) . ومن فوائد الآية الكريمة: إثبات القياس؛ من أين؟ لأنه لما رأى أن الله يرزق هذه المرأة بدون سبب معلوم علم أن الذي يسوق لها الرزق وهي امرأة منقطعة التكسب بمحرابها قادر على أن يرزقه ولدا؛ فيكون انتقال من الشيء إلى نظيره؛ وهذا هو نفس القياس، صح؟ إذا هو استدل أو أخذ من هذه القصة عبرة وهو أن يسأل الله أمرا وإن كان مستبعدا . ومن فوائد الآية الكريمة: أن الصيغة التي يتوسل بها بالدعاء هي اسم الرب ؛ لقوله: ((**ربه**)) ولم يقل: الله؛ ولهذا تجودن أكثر الأدعية مصدرة بالرب ؛ لأن إجابة الداعي من مقتضى الربوبية، وإلا لا؟ لأنها فعل، وكل الأفعال من مقتضى الربوبية؛ فلهذا يتوسل الداعي دائما إلى الله بالرب، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (**يمد يديه إلى السماء يقول يا رب يا رب**) . ومن فوائد الآية الكريمة: أن زكريا عليه الصلاة السلام بلغ سنا بعيدا دون أن يأتيه ولد؛ من أين يؤخذ؟ من قوله: ((**وقد بلغني الكبر**)) . جاء السؤال فنوقف ؟ طيب لكن صحيح إن الفوائد ينبغي أن ما يكون فيها سؤال، لماذا؟ لأن الواحد إذا صار يعني يتفقد الفوائد ويستنبطها إذا جاءت أسئلة منعته وحالت بينه وبين الاستنباطات ؛ على كل حال يلا هات سؤال يا ؟

السائل : إذا جعلناها لل صار بينهما الفرق ؛

الشيخ : إن جعلناها للاستيعاب لم يكن هناك فرق؛ لا الاستيعاب يعني كل الوقت وليس المعنى دون غيره؛ لكن هذين الأختين مخصوصان للتسمية وإلا غيرها . وهذا أهم الشيء .

السائل : هي تكون مخصوصة وإلا ؟

الشيخ : لا ليس مانع ولهذا أكثر ما تكون التسبيحات والتهليلات في أول النهار وآخره.

السائل : أي حديث النفس يعني ؟

الشيخ : حديث النفس يدخل في هذا ؛ لكنه من الفعل ؛ لأنه حدث نفسه نعم .

السائل : هل يجوز أن نقول: سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ونقول: ومولاي . . ؟

الشيخ : أن سيدنا محمد والله محمد سيدنا لكن هل الصحابة كانوا يقولون كذا؟

السائل : يعني أنه ولد من الصالحين ؟

الشيخ : ما هو بالظاهر؛ هذه من بيان لحال .

الشيخ : نعم يحيى ؟

الشيخ : إذا كان الرجل أهلا للسيادة لا حرج ؛ يعني مثلا لو قال يجيء واحد فاسق وفاجر نقول له سيدي ما يجوز ؛ لكن أهل للسيادة لا بأس .

الشيخ : إذا كان لا عدوان في ذلك فلا بأس ، إذا ما فيه عدوان لا بأس، أما مثلا يجيء يدعوا الله يقول: اللهم اجعلني نبيا رسولا ؛ ما يصح ؛

الشيخ : طيب كلامنا مع الأخ نقول سيدنا محمد هل معنى ذلك إنه يحرم إن الإنسان يقول: قال سيدنا محمد ؟
الطالب : لا يحرم ؟

الشيخ : ولأننا نحن ينبغي أن نتأدب كأدب الصحابة كأدب الصحابة، إذا ساقوا الحديث عن الرسول ما هم يقولون: قال سيدنا؛ قال رسول الله، قال نبي الله نعم .

الشيخ : إذا صدق الوصف فلا بأس ؛ لو قال العتيق لمن أعتق يا مولاي صح .

((**وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين ذلك من أنباء الغيب نوحي إليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين**)) . قال الله تعالى: ((**هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء**)) أخذنا منها أربعة فوائد ؟ الأولى: أن جميع الخلق مفتقرون إلى الله حتى الأنبياء لا يستغنون عن دعاء الله؛ لقوله: ((**دعا زكريا ربه**)) . الثانية: إثبات القياس؛ من أين؟ لأنه لما رأى أن الله يرزق هذه المرأة بدون سبب معلوم علم أن الذي يسوق لها الرزق وهي امرأة منقطعة التكسب بمحرابها قادر على أن يرزقه ولدا؛ فيكون انتقال من الشيء إلى نظيره؛ وهذا هو نفس القياس، صح؟ إذا هو استدل أو أخذ من هذه القصة عبرة وهو أن يسأل الله أمرا وإن كان مستبعدا . والثالثة: أن الصيغة التي يتوسل بها بالدعاء هي اسم الرب؛ لقوله: ((**ربه**)) ولم يقل: الله؛ ولهذا تجودن أكثر الأدعية مصدرة بالرب؛ لأن إجابة الداعي من مقتضى الربوبية، وإلا لا؟ لأنها

فعل، وكل الأفعال من مقتضى الربوبية؛ فلهذا يتوسل الداعي دائما إلى الله بالرب، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (**يمد يديه إلى السماء يقول يا رب يا رب**) . والرابعة ؟ الرابعة: أن زكريا عليه الصلاة السلام بلغ سنا بعيدا دون أن يأتيه ولد؛ من أين يؤخذ؟ من قوله: ((**وقد بلغني الكبر**)). نعم . من فوائد الآية ما يستفاد من قوله: ((**هب لي من لدنك**)) حيث أضاف الهبة إلى الله عز وجل وهبة الكريم تكون كبيرة؛ ونظير هذا قول الرسول صلى الله عليه وسلم فيما علمه أبو بكر في الدعاء الذي يدعوا به في صلاته قال: (**فاغفر لي مغفرة من عند وارحمني**) وكما أشرنا إليه أن الشيء من الكريم يكون عظيما . ومن فوائد الآية الكريمة: أنه لا ينبغي للإنسان أن يسأل مطلق الذرية؛ لأن الذرية قد يكونون نكدا وفتنة وإنما يسأل الذرية طيبة . ومن فوائد الآية الكريمة التي تشير إليها إشارة أنه ينبغي للإنسان أن يفعل الأسباب التي تكون بها ذريته طيبة ومنها الدعاء، دعاء الله وهو من أكبر الأسباب؛ وقد ذكر الله سبحانه وتعالى عن الرجل يبلغ الأشد أنه يقول: ((**أصلح لي في ذريتي إني تبت إليك وإني من المسلمين**)) ولاشك أن صلاح الذرية أمر مطلوب؛ لأن الذرية الصالحة تنفعك في الحياة والممات؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (**إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة إلا من صدقة أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعوا له**) . من فوائد الآية الكريمة: التوسل إلى الله تعالى بالتوسل بأسمائه المناسبة للحاجة؛ لقوله: ((**إنك سميع الدعاء**)) أي مجيبه؛ وهكذا ينبغي أن تكون الأسماء التي يتوسل بها الإنسان في دعائه مناسبة للمدعو به؛ الداعي بالمغفرة يتوسل باسمه الغفور؛ وبالرحمة وبالرزق باسم الرزاق وهكذا؛ ويدل لهذا أيضا قوله تعالى: ((**ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها**)) فإن قوله: ((**أدعوه بها**)) يتناول دعاء المسألة ودعاء العبادة؛ معلوم يا محمد يشمل دعاء المسألة أن تجعلها وسيلة لدعائك، ودعاء العبادة أن تتعبد لله بمقتضاه؛ فإذا علمت أن الله سبحانه وتعالى غفور فتعرض لمغفرته وإذا علمت أنه رحيم كذلك وهكذا؛ فقوله عز وجل: ((**أدعوه بها**)) يتناول هذا وهذا . ومن فوائد الآية الكريمة: إثبات سمع الله وكرم الله وقدرة الله ؛

الشيخ : من أين يؤخذ يا عبد الملك ؟ نعم يا أحمد ؟ إثبات القدرة ؟

الطالب : القدرة على الإجابة

الشيخ : نعم الثالث ؟ إثبات الكرم لله لكونه عز وجل يجب من دعاه فإن قال قائل: أحيانا يدعوا المرء ولا يستجيب الله دعائه ؟ وهنا زكريا عليه السلام يقول: ((**إنك سميع الدعاء**)) وقال إبراهيم عليه السلام: ((**إن ربي لسميع الدعاء**)) فما الجواب ؟ الجواب أن يقال: إن عدم إجابة الله الدعاء إما أن تكون لوجود مانع، وإما أن تكون لمصلحة الداعي، إما أن تكون لوجود مانع أو لمصلحة الداعي؛ أو لفوات شرط؛ فأما إذا تمت

الشروط وانتفت الموانع ولم تقتض المصلحة خلاف ما دعا به الداعي فإن الله تعالى يستجيب الدعاء قطعا؛ لأن الله تعالى يقول: ((**وقال ربكم ادعوني استجب لكم**))؛ فإذا دعا الإنسان ربه وقلبه لا ؛ يقول: اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليه من قول وعمل؛ لكنه في زمن الاختبار قلبه يتجول بين صفحات الكتاب، هذا غافل وإلا حاضر؟ غافل؟ نعم؛ لا يستجيب من دعاء من قلب غافل؛ كيف تسأل الله سبحانه وتعالى وهو يعلم ما في نفسك وتناجيه يا رب أعطني كذا وأنت قلبك مشغول في شيء آخر؟ هذا والله سوء الأدب مع الله؛ هذا تتخلى إجابة الدعوة لعدم وجود الشرط ما حضر قلبه؛ قد يكون ذلك لوجود مانع ومنها . أي من الموانع . أن يكون الإنسان آكلا للحرام . والعياذ بالله . فإن أكل الحرام من أكبر موانع إجابة الدعاء؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين**) فقال: ((**يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا**)) وقال تعالى: ((**يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقنكم واشكروا لله**)) (**ثم ذكر النبي الله صلى الله عليه وسلم الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب**) أربعة أسباب من أسباب إجابة الدعاء (**ومطعمه حرام ومشربه حرام وغذي بحرام فأنى يستجاب لذلك**) أعوذ بالله . استبعد أن الله يجيب هذا الداعي؛ فهنا تخلفت إجابة الدعاء لماذا؟ لوجود مانع . وقد تكون لمصلحة الداعي، يدخر الله له عنده ما هو أعظم مما سأل؛ أو يعلم سبحانه وتعالى أنه لو أجابه لحصل عليه مضرة في دينه؛ مثل أن تكون إجابته سببا لفتنته عن دينه؛ فبرحمة الله وحكمته لا يستجيب له هذا الدعاء، لمصلحة من؟ لمصلحة هذا الداعي؛ ولهذا ينبغي للإنسان أن لا يضجر إذا دعا الله فلم يستجب له وأن لا يسأل ويستحسر فيقول: دعوت ثم دعوت فلم يستجب لي؛ فإنه إذا قال ذلك لم يستجب له؛ فزال الإشكال الآن ؟ زال الإشكال الذي قد يرد على قوله: ((**إنك سميع الدعاء**)) . وبقي إشكال آخر وهو أن يقال: لا فائدة من الدعاء؛ لأن المدعو به إن كان قد كتب لك فسوف يأتيك بلا دعاء، وإن لم يكتب لك فلن يأتيك ولو دعوت؛ هكذا يقول بعض الناس فبماذا نجيب ؟ نجيب أولا: أن هذا قول باطل؛ لأنه يقتضي تسب الرسل والأنبياء والصالحين؛ بل يقتضي أن الله عزوجل يأمر بما لا فائدة فيه؛ فإن الله قال: ((**وقال ربكم ادعوه**)) فكيف يأمر عز وجل بأمر لا فائدة منه، هذا مستحيل؛ فهذا قول باطل من أصل؛ ثم نقول: الشيء يكتب لك لكن بسبب؛ فإذا كان الله قد كتب لك ذرية طيبة بسبب دعائك فإنه إذا انتفى الدعاء انتفت الذرية الطيبة؛ لأن الله قدره قدرها أي ذرية طيبة مقرونة بالدعاء؛ وهل يقول عاقل: أنا لا أتزوج إن كان الله قد أراد لي ولدا جاء بلا نكاح، وإن لم يريد لي ولدا ولو تزوجت؛ هل يقول هذا عاقل ؟ لا ما يقول، يقول إن الله قدر لك الولد بالنكاح، تزوج يأتيك الولد

يقول: إن كان الله قد أراد لي ولدا جاء بلا نكاح، وإن لم يرد لي ولدا لم يأت ولو تزوجت؛ هل يقول هذا عاقل؟ لا ما يقوله؛ نقول: إن الله قدر لك الولد بالنكاح تزوج يأتيك الولد وهكذا الدعاء؛ إذا فالدعاء لاشك أنه من أقوى الأسباب لحصول المطلوب وزوال المكروه وهذا أمر معلوم؛ ويكون الله تعالى قد قدر هذا الشيء الذي هو حصول مطلوبك أو زوال مكروهك قد قدره مقرونا بهذا السبب، بالدعاء؛ فيكون الدعاء مقدرا والمدعو به مقدرا من عند الله عز وجل؛ لكن أنت لا تدري أنت عليك فعل السبب، عليك فعل السبب الذي تعلمه وهو الدعاء وما وراء ذلك فليس إليك؛ وهكذا جميع المقدورات كلها يرد عليها هذا الإيراد ولكن الإيجاب بهذا الجواب بأن الله قدر هذه الأشياء مقرونة بأسبابها . ثم إننا نقول: إن الدعاء نفسه عبادة، نفس الدعاء عبادة؛ إذا رفعت يديك إلى ربك يا رب هذا ذل وخضوع لله عز وجل وهو من أجل العبادات؛ فالدعاء نفسه عبادة سواء أجب أم لم تجب؛ فلماذا لا تكثر من الدعاء؟ كذا يا إمداد ؟ ويش قلت: الدعاء عبادة والإنسان يدع الله تعالى ولو لم؛ ويكثر من الدعاء طيب . ثم قال الله عز وجل: ((**فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب**)) من فوائد هذه الآية الكريمة: إثبات الملائكة؛ وقد سبق عن قريب شيء من الكلام عليه؛ وأنهم عالم غيبي مخلوقون من نور خلقهم الله عز وجل لما أعدهم له فقاموا به على حسب ما أراد خالقهم عز وجل؛ كان ((يسبحون الليل والنهار لا يفترون)) وأخبر النبي عليه الصلاة والسلام بقوله: (**أطت السماء وحق لها أن تئط**) الئتيط ما يسمع من سرير الرحل على البعير المحمل حملا ثقيلا؛ لكن أظنكم ما عرفتم هذا أكثركم نعم؟ معروف ؟ الحمد لله طيب (**ما من موضع أربع أصابع إلا وفيه ملك قائم لله أو راكع أو ساجد**)؛ ففي هذه الآية: ((**نادته الملائكة**)) إثبات الملائكة .ما حكم إنكار الملائكة ؟ حكمه الكفر؛ لأنه تكذيب للقرآن . طيب لو قال قائل: أنا أكفرهم وأقول فيه ملائكة لكن الملائكة هي قوى الخير والشياطين قوى الشر؛ فأجعلهم معاني لا ذوات؛ نقول: وهذا أيضا إنكار لهم؛ لأن الله قال: ((**جاعل الملائكة رسلا أولي أجنحة**)) كيف تكون قوة ؟ ولأجله: ((**مثنى وثلاث ورباع**)) . ومن فوائد الآية الكريمة: أن الملائكة تتكلم بصوت مسموع؛ لقوله: ((**فنادته الملائكة**)) . ومن فوائدها: جواز تكليم المصلي؛ لقوله: ((**فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب**))؛ وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يكلم بعضهم بعضا في الصلاة؛ لكن المكلم هو يصلي لا يخاطب الآخر؛ لكن يفهم ما يقول ويجيبه بالإشارة؛ لكن هل هذا على إطلاقه بالنسبة لجواز الكلام مع المصلين ؟ الجواب: هذا الأفضل تركه إلا لحاجة؛ وذلك لأنك إذا كلمت وهو يصلي فإنك تشوش عليه؛ وربما ينسى ويخاطب كما يقع هذا كثيرا . من فوائد الآية الكريمة: مشروعية تبشير الإنسان بما يسره؛ لقوله تعالى: ((**إن الله يبشرك بيحيى**)) وهذا أمر مشروع في نوعه وجنسه؛ ففي النوع سبق أن الله تعالى أخبر عن الملائكة أنها بشرت إبراهيم بإسماعيل

وبإسحاق؛ إسماعيل قال الله فيه: ((**فبشرناه بغلام حليم**))؛ وإسحاق ((**فبشرناه بغلام عليم**))؛ وهل من البشارة ما ثبت في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**ولد لي الليلة ولد وسميته إبراهيم**) أو هذا من باب التحدث بنعمة الله ؟ هذا هو الأصل، الثاني أنه من باب التحدث بنعمة الله هو الأصل . ومن فوائد الآية الكريمة: البشارة بالجنس أن الإنسان يبشر بأي خير كان، بأي شيء كان؛ جاءت به السنة من مفهوم قوله صلى الله عليه وسلم: (**لا يتناج اثنان دون الثالث حتى يختلطوا بالناس من أجل أن ذلك يحزنه**) فإن هذا يدل على إدخال السرور على المسلم وهو كذلك سواء كان بالإشارة أو بغيرها. ثم قال الله: ((**إن الله يبشرك بيحيى مصدقا بملكته** ...)) يستفاد منها أيضا: جواز تقديم التسمية على اليوم السابع؛ وهو كذلك أنه يجوز أن يسمي الإنسان مولوده من ذكر أو أنثى قبل اليوم السابع؛ وهذا إذا كان الاسم مهيئا أما إذا كان غير مهيأ فإنه ينبغي أن يؤخر إلى اليوم السابع . ومن فوائد الآية الكريمة: الثناء على من صدق المرسلين؛ لقوله: ((**مصدقا بكلمة من الله**)) فإن الله تعالى قال ذلك على سبيل الثناء على يحيى؛ ولاشك أن من صدق من قامت البينات على صدقه فإنه محمود حتى في الأمور الدنيوية؛ إذا صدقت من قامت البينة على صدقه فهذا لاشك أنه خير؛ وأما إذا صدقت من لم تقم البينة على صدقه فهذا استعجاب؛ وأما إذا صدقت من قامت البينة على كذبه فهذا خبال؛ خبال أن تصدق من قامت البينة على كذبه؛ فالأحوال ثلاث: من قامت البينة على كذبه فتصديقه خبال وسفه في العقل وضلالة في الدين؛ ومن قامت البينة على صدقه فتصديقه كمال يحمد الإنسان عليه؛ ومن لم تقم البينة على صدقه ولا كذبه فتصديقه استعجال؛ لأيش؟ لأن مثل هذا الخبر ينبغي أن يتأن الإنسان فيه؛ ولهذا قال الله تعالى: ((**يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا**)) لم يقل عز وجل: ردوه ولا اقلبوه؛ نتبين حتى ننثق لأنه قد يكون صادقا . من فوائد الآية الكريمة: أن يحيى عليه الصلاة والسلام سيكون سيدا؛ وذلك لأنه أحد الأنبياء والأنبياء هم سادة الخلق وأفضل الخلق . ومن فوائدها أيضا: أن يحيى عليه الصلاة السلام مع توافر صفات الكمال في حقه بالسيادة فإنه بالإضافة إلى ذلك كان ممنوعا من سوء الأخلاق؛ لقوله: ((**وحصورا**))؛ فإن أصح وأعم ما قيل فيها أنه ممنوع عن مساوي الأخلاق . ومن فوائدها أيضا: أن يحيى من الأنبياء؛ لقوله: ((**نبيا**)) وكل من وصف في القرآن بالنبوة فإنه رسول؛ قال الله تعالى: ((**إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم** ...)) وقال تعالى: ((**ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك**)) وما قصهم علينا يقصهم بلفظ النبوة في الأكثر؛ فيكون كل من ذكر في القرآن بوصف النبوة فهو رسول . ومن فوائد الآية الكريمة: أن الأنبياء من الصالحين؛ بل هم في أعلى مراتب الصلاح؛ فإن مراتب الصلاح أربعة: النبوة والصديقية والشهادة والصلاح؛ هذا إذا ذكرت جميعا صارت مراتب، وإن لم تذكر جميعا صار

الصلاح عاما؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (**إذا قلتم ذلك عباد الله الصالحين فقد سلمتم على كل عبد صالح في السماء والأرض**). ((**قال أنى يكون لي غلام** ...)) من فوائد هذه الآية الكريمة: أنه لا حرج على الإنسان في طلب ما تطمئن به نفسه؛ لأن زكريا عليه الصلاة والسلام ما شك في خبر الله؛ لكن أراد أن يتقدم إليه الفرح والاستبشار بقوة البراهين؛ لأن خبر الله لاشك أنه برهان لكن كل ازدادت البراهين ازدادت قوة اليقين؛ فهنا سأل ((**أنى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر**)) يعني تعجبا من قدرة الله عز وجل أن يكون له غلام وقد بلغه الكبر؛ لأن الغالب أن الإنسان إذا بلغ الكبر يقل إنجابه وربما عدم بالكلية؛ والعقر إلى النساء أقرب منه إلى الرجال؛ ولهذا تكون المرأة عاقرا قبل أن يكون الرجل عاقرا . ومن فوائد الآية الكريمة: نقول أن الإنسان يملك ولده ؟ اللام ؟ تأملوا؟ أو نقول أن اللام لا تتعين للملك ؟ ما تتعين، اللام لا تتعين للملك؛ قد تكون للاختصاص؛ لأن الإنسان لا يملك ولده كما يملك عبده؛ لو أراد أن يبيع ولده ما صح؛ وأما قول النبي صلى الله عليه وسلم: (**أنت ومالك لأبيك**) فالمراد بذلك المنافع؛ أو أن المراد بذلك المبالغة؛ لأن هذا الرجل لما جاء يشكوا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم أن أباه أخذ ماله قال له: (**أنت ومالك لأبيك**) فيكون هذا إما من باب المبالغة أو أن منافعك لأبيك كما أن مالك لأبيك . ومن فوائد الآية الكريمة: جواز وصف الإنسان بما يكره إذا كان المراد مجرد البيان لا القدح والعين؛ لقوله: ((**وامرأتي عاقر**))؛ لأنك لو وصفت المرأة بأنها عاقر لكرهت وإلا صرت؟ كرهت معلوم؛ لو تقول لها أنت لك أربعين سنة ربت ؛ كيف تقول أنت عاقر؛ لكن إذا كان المراد بيان الأمر على وجهه دون العيب والقدح فإن هذا لا بأس به؛ ودليل ذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: (**أما أبو جهم فلا يضع العصا عن عاتقه**) لكن هذا من باب المشورة ولكن لم يقصد الرسول صلى الله عليه وسلم أن يعيب الرجل بل قصد أن يبين حاله ليكون الإنسان معه على بصيرة . ومن فوائد الآية الكريمة: إثبات فعل الله؛ لقوله: ((**كذلك الله يفعل ما يشاء**)) . ومذهب أهل السنة والجماعة إثبات أفعال الله الاختيارية المتعلقة به والمتعدية إلى غيره؛ أفعال الله الاختيارية يعني التي تقع باختياره ولا شيء يقع من أفعال الله إلا باختياره؛ لكن منها شيء متعلق به مثل: الاستواء والنزول والضحك والفرح وأشياء متعلقة في غيره مثل: الخلق؛ فأن الخلق يتعدى إلى الغير؛ فأهل السنة الجماعة يثبتون النوعين: الفعل الخاصة به عز وجل التي لا يتعداه إلى غيره؛ والفعل الذي يتعداه إلى غيره؛ يقولون بلا شك أن الرب الذي يفعل ما يشاء أكبر من الرب الذي لا يستطيع الفعل؛ غالب الأشاعرة إن لم كل الأشاعرة والمعتزلة ومن ضهاهم يقولون إن الله ليس له أفعال اختيارية؛ لا يستوي ولا ينزل ولا يجيء ولا يضحك ولا يفرح ولا يحب ولا يكره إلى آخر ما يقولون في نفي الأفعال الاختيارية؛ علتهم أوهى من أي علة كانت؛ العلة قالوا: لأن الحوادث لا تقوم إلا بحادث والله عز وجل أزلي أبدي؛ فيقال لهم أولا:

من قال لكم هذا إن الحوادث لا تكون إلا بحادث من قال لكم هذا؟ عندهم لذلك وحي؟ أو مجرد قياس عقلي فاسد ذكرتموه؟ الحقيقة أن هذا قياس عقلي فاسد؛ فإن الحوادث لا يلزم أن لا تقوم إلا بحادث؛ لأن من المعلوم أن المحدث سابق على الحدث وإذا كان الحادث سابق على الحدث لم يلزم أن يكون المحدث حادثا؛ أنت الآن تأكل غداء اليوم والغداء اليوم بنسبة لك حادث متى؟ وقت حدوثه وأنت موجود من قبل؛ فالرب عز وجل يفعل أفعال هذه في وقت فعلها وهو لم يزل موجودا؛ لكن على زعمكم أنتم وعلى مذهبكم الباطل يلزم أن يكون الله سبحانه وتعالى لم يفعل أي فعل، معطلا عن الأفعال؛ وهذا عيب وإلا كمال ؟ عيب؛ لأن من يفعل أكمل ممن لا يفعل باتفاق الناس وليس يعتني لله عز وجل بإثبات الفعل في حقه أي نقص بأي وجه من الوجوه؛ والآيات كثيرة بإثبات فعل الله ((**كذلك الله يفعل ما يشاء**))، ((**فعال لما يريد**))، ((**ويفعل الله ما يشاء**)) والنصوص في هذا كثيرة ولله الحمد وأهل السنة والجماعة يؤمنون به . ومن فوائد الآية الكريمة: إطلاق الجمع على الواحد؛ أو ما يصلح ؟ قوله: ((**قال كذلك الله يفعل ما يشاء**)) من القائل؟ الله ؟ إن كان هو الله فهذه الفائدة لاغية؛ وإن كانت الملائكة فهذه الآية تدل على أن القائل واحد وأن قوله: ((**فنادته الملائكة**)) يعني واحدا منهم؛ وقد سبق في التفسير الخلاف في ذلك . ومن فوائد الآية الكريمة: إثبات المشيئة لله عز وجل؛ لقوله: ((ما يشاء)) ولكن كل شيء قيده الله بالمشيئة فهو ؟ كل شيء قيده الله بالمشيئة فهو مقرون بالحكمة؛ ما دليلك على هذا؟ قوله تعالى: ((**وما تشاءون إلا أن يشاء الله إن الله كان عليما حكيما**)) نعم فقال: ((**إلا أن يشاء الله إن الله كان عليما حكيما**)) فدل على أنه لا يشاء ما إلا ما تقتضيه الحكمة نعم وهو كذلك . إذا قال قائل: يشكل على هذا أن الله قد شاء الخير والشر، فما الحكمة من الشر؟ تأملوها إلى الدرس القادم إن شاء الله تعالى؛ لأن الغانم يشير بيده . نعم فيها فائدة: سرعة إجابة الله تعالى للدعاء؛ لقوله: ((**فنادته**)) فإن الفاء تدل على الترتيب التعقيب . وعن محمد الواصل فائدة أظن ما هي ؟ لقوله تعالى: ((**مصدقا بكلمة**)) جواز الإطلاق , من الواحد , لأن يحيى عليه السلام ليس مصدقا بكلمة الله وإنما ؟

الشيخ : ما هي الكلمة التي صدق بيحيى ؟ نعم؟ ما هي الكلمة التي صدق بها يحيى ؟ الكلمة التي صدق بها؟ نعم ؛

الطالب : صدقه في قصة عيسى ؛

الشيخ : ما هي قصة عيسى ؟ ما هي الكلمة التي في قصة عيسى ؟

ج الشيخ : مال ؟

الطالب : الكلمة هي قوله تعالى: ((**كن**))؛

الشيخ : صح؛ عرفت ؟ يقول: إن الكلمة في عيسى هي قوله تعالى: ((**كن**)) لكن إطلاق الكلمة على الكلام هو الأصل في اللغة العربية، هو الأصل في اللغة العربية أن الكلمة يراد بها الكلام؛ عرفتم يا جماعة ؟ ((**حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت كلا إنها كلمة**))

الشيخ : كم قال من كلمه ؟

الطالب : أربع كلمات،

الشيخ : أربع جمل أيضا ((**هو قائلها**)) وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (**أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل**) ألا كل شيء ما خلا الله باطل كلمة وإلا كلمات ؟ كلمات؛ فقول ابن مالك رحمه الله : وكلمة بها كلام قد يئم؛ يعني باصطلاح النحويين لا بمقتضى اللغة العربية، اللغة العربية لا تطلق الكلمة إلا على الكلام المفيد؛ لكن النحويون رحمهم الله أطلقوا الكلمة على القول المفرد، القول المفرد نعم.

شاكر ؟

السائل : جزاك الله خير؛ في بعضهم يقول: إن من يأكل الربا أنه لا يدعوا الله لأنه لا فائدة من دعائه؛ بأنه لن يجاب دعائه. . .؟

الشيخ : والله مشكل كبيرة، أقول هذا مشكل يعني مشكل حقيقة؛ لكن الرسول صلى الله عليه وسلم استعبد ولم يقل إنه مؤكد قال: (**أنى يستجاب لذلك**) يعني استبعد الإجابة ليس معناه أنه قطعا لا يجاب؛ ولكن الذي يأكل الربا نقول: هل تحب أن الله يغفر لك؟ سيقول نعم، يقول نعم لكن من أبداه والله ما يجيب ؟ نقول أترك الربا، أترك الربا مثل ما قال الفقهاء رحمهم الله في الرجل العاصي بسفره إذا اضطر إلى الميتة إما يأكلها أو يموت؟ قالوا يموت ولا يأكل منها؛ ولكن الله ما أحل الميتة للمضطر؟ أحل؛ هم يقولون لا يمكن ولا تحل له؛ أيش سوي يموت ؟ قالوا يموت؛ لكن هنا شيء قبل الموت يقدره وهو ؟ أن يتوب؛ نقول تب وكل، تب وكل نعم؟ إذا كنت قاطع التذكرة لتروح لبلد تفجر به الغي التذكرة وكل؛ يصلي الركعتين الرباعية وإلا ما يصلي ؟ ما يصلي ركعتين رباعية؛ فيه خلاف على كل حال؛ القائلين بينه أنه لا يجوز؛ قال ويش سوي يا جماعة مسافر ؟ نقول: تب وصل

ركعتين؛ كاد يهلك من العطش في رمضان وهو مسافر وقال هل أفطر ؟ ماذا نقول له؟ لا تفطر، قال يا جماعة أنا أموت من العطش؛ قال: مت؛ ويش الطريق؟ نقول: تب واشرب أي نعم.

السائل : ماذا يا شيخ يقال لهم تب بعدين يدع الله ؟

الشيخ : أي نعم يقول تب وادع الله.

السائل : شيخ أحسن الله إليك؛ بعض الناس إذا دخل المسجد والناس يتسنون في المسجد يسلم عليهم علما بأنه في ناس تخفى عليهم مسألة الإشارة وبعض الناس . على مكان فارغ هم أو ما فيه أحد سلم وقال: أنا أسلم على ؟

الشيخ : كلاهما لا أصل له؛ لكن السلام على المصلي لا بأس به أحيانا؛ لأن الصحابة كانوا يفعلون هذا مع النبي صلى الله عليه وسلم ولا ينهاهم؛

السائل : لكن الناس ما يعرفون ؟

الشيخ : على كل حال أحيانا لا يجعل دائم.

((**وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين ذلك من أنباء الغيب نوحي إليك ما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون**))

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. أظن بقي علينا فوائد من. . ؟ إثبات المشيئة لله في قوله: ((**إن الله يفعل ما يشاء**)) وبيننا أن المشيئة المطلقة مقيدة بالحكمة؛ لقوله تعالى: ((**وما تشاءون إلا أن يشاء الله إن الله كان عليما حكيما**)) ليست مجرد مشيئة لكنها مشيئة مقرونة بالحكمة . وذكرنا أنه يستفاد من عموم ((**ما يشاء**)) شمول الخير والشر؛ ولكن الشر لا يضاف إلى الله كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (**والشر ليس إليك**)؛ ولهذا جاء في الثناء على الله: (**بيدك الخير**) ولم يقل: والشر؛ لأن الشر لا ينسب إليه وإنما الشر في المفعولات البائنة منه؛ أما فعله نفسه يعني نفس الفعل فليس فيه شر؛ لأن الله لا يفعل شيئا فيه شر إلا لخير؛ فمثلا شر يشاءه الله عزوجل ومشيئته ليست شرا بل هي خير لوجوه متعددة؛ الأول: أنه لا يمكن أن يتبين الخير إلا إذا وجد الشر؛ إذ لا تتبين الأشياء إلا بضدها ولو كانت كل مفعولات الله خيرا ما عرف الشر ولا وجد الشر أصلا؛ فلا

يتبين الخير وخيريته إلا بوجود ما يقابله وهو الشر؛ هذه من الحكمة؛ ومن الحكم أيضا: ابتلاء الناس وامتحانهم فإن الطريق لو كان كله خيرا ما حصل في ذلك ابتلاء وامتحان؛ إنما يكون ابتلاء وامتحان إذا وجد طريقان أحدهما خير وقيل للناس اسلكوه، والثاني شر وقيل للناس لا تسلكوه؛ تبين بذلك الصادق من الكاذب؛ ولا يمكن الامتحان إلا بذلك؛ ومنها من الحكم في إيجاد الشر: أنه لا يستقيم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي فضلت به هذه الأمة إلا بوجود الشر حتى يؤمر بالخير الذي يقابله والشر الذي هو المفسدة؛ لو كانت كل الأمر خيرا ومعروفا لم يكن هناك أمر بالمعروف ونهي عن منكر لأن الإنسان لا سبيل له إلا هذا المعروف الخير فلا يمكن أن يؤمر بشيء لا سبيل له إلا هو . ومن الحكم أيضا: إقامة الجهاد في سبيل الله؛ فإنه لو لا الخير والشر ما قام الجهاد في سبيل الله؛ إذ أن الجهاد صراع بين أولياء الله القائمين بالخير وأعداء الله القائمين بالشر؛ ولو لا هذا ما حصل الجهاد في سبيل الله. ومن الحكم في ذلك بيان قدرة الله عز وجل في خلق الأشياء المتضادة؛ فإن خلق الأشياء المتضادة لاشك أنه فيه دليلا على قدرة الله سبحانه وتعالى؛ ولو لا هذه المتضادات خلقها وإيجادها لكانت القدرة لا يتبين كمالها أو لم يتبين كمال القدرة؛ لأن خلق الشيء مع ضده أبلغ في القدرة من خلق الشيء الذي لا ضد له. ومن حكم إيجاد الشر: أنه حافظ إلى لجوء الإنسان إلى ربه؛ حافظ إلى لجوء الإنسان إلى ربه؛ وكثيرا ما يحمل الناس على اللجوء إلى الله والأوراد والاحترازات وجود الشر؛ ولو لا وجود الشر ما لجأن الناس إلى الله؛ لأنهم في خير. ومنها أي من حكم إيجاد الشر: أن الإنسان يعرف به قدر نعمة الله عليه حيث يجد أناس كثيرين من أهل الشر والفساد وقد من الله عليه هو بالخير والصلاح والإصلاح؛ فيعرف بذلك قدر نعمة الله عليه فيشكر الله سبحانه وتعالى على هذه النعمة التي من بها عليه بمحبة الخير والسعي فيه؛ ثم يحمد الله مرة ثانية أن نجاه من الشر والفساد وأهله؛ والنجاة من الشر والفساد وأهله لاشك أنها نعمة عظيمة ((**فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين**)). من الحكمة في خلق الشر: إظهار ضعف الإنسان وعجزه أمام قوى الشر؛ فإن الإنسان تؤرقه عن منامه وتقض مضجعه بعوضة، بعوضة من أوهن المخلوقات تمنعه من النوم وإذا كان شابا ثقيل النوم منعته من لذة النوم، يمكن ينام لكن يتحكرص تقرص مع اليد مرة مع الرجل مرة مع الوجه فتحريمه من لذيذ النوم؛ وهي ما هي؟ شيء ضعيف بعوضة فيعرف الإنسان بذلك قدر نفسه وأنه ضعيف أمام قوة الشر حتى لا يتكبر ويتعاظم؛ ولهذا ذكر أن ملكا من ملوك الجبابرة كان يتحدث مع قومه ويسخر ويقول: ما الحكمة من خلق الذباب؟ الذباب يحمل الجراثيم ويحمل الأمراض وما أشبه ذلك فما الحكمة منها؟ فقال أحد الحاضرين: الحكمة منه أن يذل أو أن يلغم أنوف الجبابرة مثلك؛ لأن هذا الذباب المهين يقع على أنف هذا الرجل الجبار الذي لا يدخل البشر إليه إلا باستئذان وله

حاجب من وراء حاجب وهذا الذباب المهين يأتي ويقع على أنفه وربما يصيبه بعذرته أيضا؛ إذا جاءه وهو نائم وكان ثقيل النوم يمكن الذباب يكيف عليه؛ على كل حال هذا أيضا من حكمة الله سبحانه وتعالى في خلق الشر؛ وهناك حكم ربما يظهر للمتأمل منها شيء كثير؛ وبهذا نعرف كمال حكمة الله سبحانه وتعالى وربوبيته؛ ومن عرف الله ازداد في عبادته كما قيل: من كان بالله أعرف كان منه أخوف وله أطوع نعم؛ قال: ((**كذلك يفعل الله ما يشاء**)) ثم قال الله عز وجل: ((**قال رب اجعل لي آية قال آيتك أن لا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا**)). من فوائد هذه الآية: جواز البحث عما يزيد به الإيمان وإن كان الإيمان موجودا؛ بل نقول وجوب البحث عما يزيد به الإيمان؛ لأن الإنسان مطلوب منه أن يقوي إيمانه بكل وسيلة . ومن فوائد الآية الكريمة: تمام قدرة الله سبحانه وتعالى بخوارق العادات؛ فإن كون زكريا عليه الصلاة والسلام لا يكلم الناس إلا رمزا لكن في باب التسبيح ينطلق لسانه هذا من آيات الله؛ ولهذا قال: ((**آيتك أن لا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا**)) . ومن فوائد الآية الكريمة: أن الآية قد تكون على عكس ما طلب منه؛ فهي قد طلبت لتحقق وجود فيما بشر به؛ والآية كانت على العكس، كانت إعدام موجود وهو أيش؟ الكلام كان قادرا على الكلام فمنع من الكلام، كان في الأول كبير السن وامرأته عاقر فوجد له الولد؛ فالآية وما كانت آية له بينهما تضاد، هذا وجود وهذا عدم . ومن فوائد الآية الكريمة: أن الإشارة تقوم مقام العبارة؛ من أين تؤخذ يا أخ الذي ورائك أيش اسمك؟ يلا يا عبد الرحمن ؟ ما هي الفائدة التي قلنا؟ لا، انتبه يا أخي ؛ أن الإشارة تقوم مقام العبارة؛ لقوله: ((**أن لا تكلم الناس إلا رمزا**)) وهذه الفائدة مبنية على أيش؟ فائدة مستقلة؛ أيه لكن مبنية على أي شيء بنسبة لتفسير الآية ؟ مبنية على قوله: ((**لا تكلم الناس ثلاث ليال**)) لا؛ ((**ثلاثة أيام إلا رمزا**)) نعم يا أحمد ؟ نعم مبنية على أن الاستثناء متصل؛ فتكون الإشارة من الكلام . وفائدة أخرى: أن الإشارة تقوم مقام العبارة عند العجز عن التعبير ؛ من أين تؤخذ؟ من أين تؤخذ قبل وبعدين نشوف وجهه ؟ ((**ثلاثة أيام إلا رمزا**))؛ وجه المأخذ ؟ فلا يكون كلاما لكنه يكون مقامه عند العجز عنه؛ طيب وكلا الأمرين حق؛ فالإشارة تقوم مقام العبارة في الإفهام ولاسيما عند العجز؛ وذكرنا في التفسير أمثلة لمفارقة الإشارة للكلام، وأمثلة لموافقة الإشارة للكلام؛ أتستحضرون الآن ؟ مثال يا بندر لمفارقة الإشارة للكلام ؟

الشيخ : مفارقة الإشارة للكلام ؟

الشيخ : نعم يعني أنها ليست كلاما ؛

الشيخ : نعم كما لو أشارة في الصلاة فإن الإشارة لا تبطل الصلاة والكلام يبطلها طيب؛

الشيخ : مثال يا مقبل ؟ مثال أيش؟ مثال لقيام الإشارة مقام الكلام ؟

لما عرضوا بقذفها أشارت إليه؛ وغيرها ؟ المرأة التي قتلها اليهود فأشارت إلى اليهودي؛ما أشارت لليهودي، أشارت حين ذكرت اسمه نعم. بعضهم، بعضهم قال هذا؛ وحينما أشار الرسول صلى الله عليه وسلم نعم . طيب إذا نقول: الآية على وجهين تدل على أن الإشارة تقوم مقام العبارة مطلقا أو عند الحاجة إليها. ومن فوائد الآية الكريمة: أن الإنسان ينبغي له إذا انقطع عن الناس أن يشغل وقته بذكر الله؛ من قوله لما منع من الكلام مع الناس وصار لا يكلمهم إلا رمزا ومعلوم أن الإنسان الذي لا يكلم الناس إلا رمزا سوف لا يكون حريصا على مكالمتهم لئلا يتعب ويتعب؛ أمره الله قال: ((**سبح**)) ((**واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والإبكار**)) . ومن فوائدها: فضيلة التسبيح والذكر في ((**بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين**))

ومن فوائد الآية الكريمة: فضيلة التسبيح والذكر في هذين الوقتين: العشي آخر النهار، والإبكار أول النهار؛ ومنه قوله تعالى: ((**وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب**)) . ومن فوائد الآية الكريمة: أن الذكر ينبغي أن يكون مقرونا بالتسبيح إلا ما ورد النص بإفراد أحدهما عن الآخر؛ لأنه قال: ((**اذكر ربك وسبح**))؛ ولكن الذكر قال: ((**كثيرا**)) والتسبيح قال: ((**بالعشي والإبكار**)) فهل نقول: إن الذكر لا يتقيد بالعشي والإبكار ؟ أو نقول: إنه متقيد لكن يكثر منه؟ يحتمل هذا وهذا؛ لكن الآيات الأخرى تدل على أن الإنسان مأمور بأن يذكر الله كثيرا؛ قال الله تعالى: ((**يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا**))، وقال الله تعالى في وصف أهل الصلاح: ((**والذاكرين الله كثيرا والذاكرات**))؛ وعلى هذا فيكون الذكر أكثر من التسبيح؛ لكن القرن بينهما أيضا فيه فائدة وهو أنه يجمع بين الثناء على الله وتنزيهه من النقائص . ثم قال الله تعالى: ((**وإذ قالت الملائكة**)) مبتدأ درسنا اليوم ؟ هذا مبتدأ اليوم ؟ نعم . ((**وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين**)) الواو حرف عطف ؛ و((**إذ**)) نقول فيها مثل ما قلنا فيما سبق في قوله: ((**إذ قالت امرأة عمران**)) نقول فيها مثل ما قلنا في : ((**إذ قالت امرأة عمران**)) يعني أنها منصوبة بفعل محذوف تقديره: أذكر؛ وتضمن الجملة لهذا يدل على العناية بها وأنه ينبغي إشهارها وإظهارها حتى تتبين وتتضح للناس؛ وإنما ذكر الله قصة زكريا ومريم هنا وعيسى فيما بعد في أول هذه السورة لأنها نزلت في وفد نجران الذين قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم وهم من النصارى فأرد الله أن يبين للنبي صلى الله عليه وسلم قصة المسيح ومن حوله كاملة حتى يتبين لهم الأمر تماما؛ فإذا احتاج إلى محاجة النصارى وإذا علم قريب منها مما عندهم . ((**وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك**)) الملائكة المراد بهم الجنس إذ ليس المراد كل الملائكة بل واحد منهم؛ وهو في الغالب جبريل ((**يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك**)) وندائها باسم العلم نوع من التكريم إذ لم يقل: يا هذه باسم الإشارة بل أتى باسمها العلم تكريما لها؛ ((**إن الله اصطفاك**)) أي اختارك؛ وذلك لأن اصطفى أصلها اصتفى بالتاء؛ لكن لعلة تصريفية قلب التاء طاء؛ وهي مأخوذة من الصفوة يعني جعلك من صفوة الخلق؛ واصطفائه إياها سبحانه وتعالى من عدة وجوه ؛ الوجه الأول: أنه تقبلها بقبول حسن حين قالت أمها: ((**إني نذرت لك ما في بطني محررا**)) مع أن المعروف عندهم أنه لا يخدم المساجد إلا الرجال لكن هي قبلت . ومنها، أنه اصطفائه لها أنه أنبتها نباتا حسنا؛ قد سبق الكلام على معنى الكلمتين وأنهما تتضمنان التربيتين الروحية والجسدية . ومن اصطفائه لها أيضا : أن الله اختار أن تكون عند نبي من الأنبياء حتى تتربى ببيت نبوة؛ وقوله: ((**طهرك**)) طهرك من أي شيء؟ هل هو من الأرجاس الحسية ؟ أو من الأرجاس المعنوية ؟ الظاهر الثاني؛ وأنها بالنسبة للأرجاس الحسبة كالبول والغائط والحيض كغيرها من

النساء؛ لكنه طهرها من الأرجاس المعنوية فبرأه الله تعالى مما رماها به اليهود؛ وكذلك طهرها من سفاسف الأخلاق حتى كانت دائما في عبادة الله تعالى كما سيتبين إن شاء الله . ثم قال: ((**واصطفاك على نساء العالمين**)) الواو حرف عطف؛ ((**واصطفاك على نساء العالمين**)) أي ميزك من بينهن؛ فالاصطفاء الأول اصطفاء عام وهذا اصطفاء خاص بالنساء، اصطفاها الله تعالى من بين سائر النساء حيث جعلها من نساء الكمل؛ وقد أخبر النبي عليه الصلاة والسلام أن مريم خير نساء البشر؛ هي وخديجة بنت خويلد وآسية امرأة فرعون؛ وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام؛ فهي من نساء الكمل رضي الله عنها؛ ولهذا قال: ((**اصطفاك على نساء العالمين**)) وهل المراد نساء العالمين في زمنها؛ لأن النساء اللاتي في زمن النبي عليه الصلاة والسلام لاشك أنهن في أمة هي خير الأمم؛ أو المراد العموم ؟ فيه قولان للعلماء؛ منهم من قال: إنه خاص بنساء زمانهم كما ذكر الله عن بني إسرائيل أنه فضلهم على العالمين ومع ذلك هذه الأمة أفضل منهم ((**يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين**)) ومن المعلوم أنهم ليسوا أفضل من هذه الأمة ؛ لقوله تعالى: ((**كنتم خير أمة أخرجت للناس**)) . ثم قال

السائل : قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (**فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام**) هل هو عام بعد أن ذكر مريم وخديجة وآسيا ؟.

الشيخ : والله بعض العلماء أخذ من هذا أنها أفضل من ثلاثة التي ذكرها؛ لأنه قال: (**فضل عائشة**) بعد أن ذكر فضل هؤلاء الثلاث؛ وبعضهم قال: إن المراد على النساء سواهن والله أعلم بمراد رسوله.

الشيخ : هي ما ذكرت معهن، ما ذكرت معهن ؛

السائل : يعني فيه احتمال أن الرسول صلى الله عليه وسلم أفردها لتكون أفضل منهن أكمل منهن؛ وفيه احتمال أنها أفضل من النساء اللاتي سواها وهي الثلاث والله أعلم بمراد رسوله ما عندنا علم في هذا؛ نعم يا عبد الله ؟

الشيخ : على النساء العالمين مطلقة حتى نساء هذه الأمة هي أفضل منهن وإن شاركتهن في الفضيلة لكن هي أفضل منهن .

السائل : ما هو سبب الجمع بين الوصفين في قوله: ((**اصطفاك وطهرك**)) . . ؟

الشيخ : الاصطفى الاختيار ونص على التطهير لدفع ما قاله اليهود في أنها كانت بغية .

الشيخ : قول الأخ عليه السلام؛ قول الأخ حينما سأل عليها السلام ؛ من من ؟

السائل : يعني مريم ؛

الشيخ : عليها السلام؟ ما فيها مانع، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، ما فيها مانع أبدا؛ لكن أحسن أن يقال رضي الله عنها أحسن لئلا يتوهم واهم إنها نبية .

السائل : ما هو سبب عدم ذكر اسم مؤمن آل فرعون وهنا ذكر اسم مريم ؟

الشيخ : لأن هذا خطاب خاص وأن هذا تحدث عن شخص غائب.

السائل : شيخ فيه فضيلة لو ذكر اسمه ؛ أيهم ؟ مؤمن آل فرعون ؟

الشيخ : لا لأن الله يذكر القصص أحيانا لعبرة فقط حتى لا يكون الإنسان معتن بالأدلة على الأشخاص فالعبرة بالمعاني وما سيقت القصة من أجله؛ أما كونه فلان وفلان ما يهمه؛ حتى لو علمت إن الرجل هذا اسمه فلان تستفيد فائدة كثيرة ؟ أحسن عليه يكفي إنه قال: ((**رجل مؤمن من آل فرعون**)) إنه من آل فرعون يكفي، إنه آمن وهو من آل فرعون؛ أما هذا الخطاب يعني أنا لو قلتك: يا رجل أو قلت: يا عبد الرحمن؛ أيهما أبلغ لك ؟ أو قلت يا هذا ؟ الخطاب غير كالتحدث عن شخص؛ الخطاب ليس كالتحدث عن شخص، الخطاب إذا ذكر الإنسان باسمه العلم صار هذا على تفخيم والتكريم.

السائل : يقول: في بعض الأحيان يقول: ((**اذكر اسم ربك**)) وأحيانا يقول: ((**اذكر ربك**)) فما هو يعني كيف نقول ؟

الشيخ : الجواب: أن المعنى واحد؛ وأن المراد بأذكر اسم ربك يعني اذكر ربك باسمك؛ وأما من قال: إن الاسم زائد فهذا قول ضعيف، وأن اذكر اسم ربك يعني اذكر ربك؛ هذا قول لا صحة له؛ ولكن معنى اذكر ربك به؛ لأن هذا هو الذي يتم به الذكر.

الشيخ : في الدنيا والآخرة؛ لا هذه سيدة نساء أهل الجنة، سيدة نساء أهل الجنة؛ لكن هن خير؛

السائل : كيف ؟

الشيخ : زكريا عليه السلام ؟

السائل : وجه ذلك ؟

الشيخ : زكريا وبعيدين ؟

((**وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك ما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين**)) أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. قال الله تعالى: ((**إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين**)) . ذكرنا أن الاصطفى بمعنى الاختيار وهو مأخوذ من الصفوة، وصفوة كل شيء خلاصته؛ و((**طهرك**)) ظاهرا وباطنا من العيوب الظاهرة ومن العيوب الباطنة ومن الأخلاق السافلة؛ فهي مطهرة ظاهرا وباطنا؛ ونص الله تعالى على ذلك دفعا لقول اليهود قاتلهم الله ولعنهم إنها كانت بغيا وإن عيسى عليه الصلاة والسلام كان ولد الزنا . وقوله: ((**واصطفاك على نساء العالمين**)) قلنا: إن المراد بذلك نساء عالمي زمانهم؛ على أنها هي وخديجة بنت خويلد وآسيا بنت عمران هؤلاء الثلاث كملن من النساء؛ وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام . وقوله: ((**على نساء العالمين**)) العالمين هم كل من سوى الله في الأصل كما قال تعالى: ((**الحمد لله رب العالمين**)) فالرب والمربوب لا يوجد سواهما؛ وعليه فالعالم كل من سوى الله، هذا في الأصل؛ وسمي عالما لأنه علم على خالقه عز وجل؛ فإن ما في هذه المخلوقات من الآيات الدالة على كمال الله سبحانه وتعالى وعلى كل ما تتضمنه هذه المخلوقات علم واضح على ما تتضمنه هذه المخلوقات من الصفات الكاملة. ((**يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين**)) هذا من خطاب الملائكة أيضا تقول لها: ((**يا مريم اقنتي لربك**)) والقنوت هو دوام الطاعة؛ واللام في قوله: ((**لربك**)) للاختصاص أي قنوتا خالصا لله، أي طاعة خالصة له؛ لأن من شرط الطاعة أن تكون خالصة لله سبحانه وتعالى؛ وقوله: ((**لربك**)) الربوبية هنا ربوبية خاصة؛ وقد مر علينا أن الربوبية تنقسم إلى ربوبية عامة وربوبية خاصة؛ فالعامة هي الشاملة لكل أحد؛ والخاصة تختص بمن خصها الله به؛ لكنها تفيد تربية أكثر ائتناء واختصاصا من الربوبية العامة وقوله: ((**واسجدي**)) الواو حرف عطف؛ ((**واسجدي**)) يعني السجود المعروف؛ وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أن هذه الأمة أمرت أن تسجد على سبعة أعظم؛ وعطف السجود على القنوت من باب العطف العام على الخاص أو الخاص على العام؟ الخاص على العام؛ وذكر الخاص بعد العام يدل على فضله ومزيته؛

ولاشك أن السجود من أفضل أنواع الطاعة؛ ولهذا أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد . وقوله: ((**اركعي مع الراكعين**)) الركوع معروف وهو انحناء، انحناء الظهر؛ وقوله: ((**مع الراكعين**)) أي في جملتهم؛ وليس المراد أنها تصلي مع الجماعة؛ لأن المرأة لا تخاطب بالصلاة مع الجماعة؛ لكن كوني في جملة الراكعين الذين يركعون لله عز وجل؛ وفي قوله: ((**مع الراكعين**)) ولم يقل: مع الراكعات مع أنها امرأة لأن الكمل من الرجال أكثر من الكمل من النساء؛ ولهذا لم يكمل من النساء إلا ثلاثة؛ وقوله: ((**اسجدي واركعي**)) قدم السجود على الركوع لأن هيئة السجود أفضل وأبلغ في الخضوع؛ فقدمها على الركوع؛ أما من حيث الترتيب الفعلي بالنسبة للصلاة فإن الركوع قبل السجود. ثم قال الله عز وجل: ((**ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك**)) ((**ذلك**)) المشار إليه كل ما سبق من قصة زكريا وقصة مريم؛ وقوله: ((**من أبناء الغيب**)) أي من أخبار الغيب، أي من أخبار الشيء الغائب الذي لا يعلم؛ لكن من الذي لا يعلمه؟ ليس المراد من وقع في زمنه؛ لأن من وقع في زمنه فهم يعلمونه؛ لكن المراد لا يعلمها النبي صلى الله عليه وسلم ولا قومه كما قال تعالى في سورة هود: ((**تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت ولا قومك تعلمها أنت من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين**)) إذا هي غيب نسبي وإلا حقيقي ؟ نسبي، غيب نسبي بالنسبة لم تكن في زمنه، أما من كانت في زمنه فهي مشاهدة؛ ولكن الرسول عليه الصلاة والسلام وقومه كانوا أميين لا يعلمون شيئا عن الأمم السابقين فأوحى الله إلى نبيه صلى الله عليه وسلم ما أوحى من أخبار السابقين التي ما كان يعلمها لا هو ولا قومه وهو دليل على أنه رسول الله حقا وأن الوحي يأتيه من الله . وقوله: ((**ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك**)) الوحي في اللغة الإعلام بسرعة وخفاء؛ فإذا أعملك إنسان بسرعة على وجه خفي يسمى في اللغة وحيا؛ ولكنه في الشرع: إخبار الله سبحانه وتعالى لنبي من أنبياءه بما يشاء من شرعه، هذا الوحي، إخبار الله سبحانه وتعالى لنبي من أنبيائه بما يشاء من شرعه؛ ثم إن كلفه بتبليغه كان رسولا وإلا كان نبيا؛

الشيخ : الأخ عرفنا ما هو الوحي شرعا ؟

الطالب : الوحي ما أمر. . ؛

الشيخ : هذا شرعا ،

الشيخ : صار الوحي شرعا من أوحي إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه هذا الوحي شرعا؛ أعتقد أنك ما كنت معنا ؟ كنت أتأمل؛ لا لا، لا تأملها، تأملها في غير وقت الدرس، وقت الدرس تأمل ما يقول المدرس؛ ما تابعت لها ولهذا أخطأت في تعريف الوحي.

الشيخ : طيب إذا الوحي ؟ ما يوحى الله سبحانه وتعالى الشرع نبيا من الأنبياء؛ فإن أمر بالتبليغ كان رسولا، وإن لم يؤمر فهو نبي؛ أيش الوحي ؟

الطالب : ما يوحي الله سبحانه وتعالى إلى نبي من الأنبياء بالشرع ؛

الشيخ : لا؛خالد ؟

الطالب : إخبار الله عز وجل لنبي من الأنبياء ما شاء من شرعه؛

الشيخ : نعم هذا الوحي إخبار الله سبحانه وتعالى لنبي من أنبيائه بما يشاء من شرعه ثم إن أمر بتبليغه كان رسولا وإلا فهو نبي.

الشيخ : طيب اسم الأخ هذا ؟ مفرج ؟ مطير وإلا؟ الدوسري طيب

الطالب : ((**ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك**))

الشيخ : أي نخبرك به على الوصف الذي ذكرنا وهو إخبار الله سبحانه وتعالى لنبي من أنبياءه بما شاء من شرعه هذا الوحي.

وقوله: ((**وما كنت لديهم**)) أي ما كنت عندهم، يعني عند زكريا وقومه . ((**إن يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم**)) ((**إذ**)) أي حين؛ وهي متعلقة بقوله: ((**كنت**)) يعني ما كنت في ذلك الوقت عندهم ((**إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم**)) ((**أقلامهم**)) اختلف العلماء في تفسيره؛ فقيل: إنها على ظاهرها أنهم ألقوا أقلامهم التي يكتبون بها؛ وقيل: إنها إن المراد بها سهامهم التي تكون في النسل يرمون بها وسميت قلما لأنها تشبهه في الاستطالة ودقة الرأس؛ والسهم عندهم بمنزلة الرصاصة عندنا في الوقت الحاضر؛ على كل حال أيها ظاهر القرآن؟ ظاهر القرآن أن المراد بالأقلام الأقلام الحقيقة التي يكتب بها؛ ولا نعدل عنها إلا بدليل؛ هذه هي القاعدة الشرعية في تفسير القرآن؛ بل هو تفسير الحديث النبوي؛ بل هو في كلام الغير حتى كلام الناس يجب أن نعمل بظاهره إلا بدليل؛ ولكن ((**إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم**)) كيف ألقوا هذه الأقلام ؟ المعروف أنهم

ألقوها في النهر، في الماء الذي يمشي؛ فمن حبس منها فهو فصاحبه الذي يكفل مريم، وما جرى فهو الذي لا يكفله؛ ولكن القرآن ليس فيه بيان ذلك، يعني ليس فيه أنهم وضعوا هذه الأقلام في النهر إنما ألقوا أقلامهم على وجه، الله أعلم بكيفيته؛ لكنهم ألقوها من باب الاقتراع، من باب الاقتراع يعني قرعة أيهم يكفل مريم؛ فخرجت القرعة لمن؟ لزكريا كما قال تعالى في أول القصة: ((**وكفلها زكريا**)) . ((**وما كنت لديهم إذ يختصمون**)) يعني وما كنت عندهم أيضا في حال اختصامهم أيهم يكفل مريم؛ هذا الاختصام هل هو قبل إلقاء الأقلام أو بعده؟ نعم قبله، الظاهر أنه قبله؛ لكن أخرت الذكر لمناسبة الآيات، رؤوس الآيات ((**إذ يختصمون**)) هذا هو الذي يظهر؛ على أنه قد يقال: إن الله سبحانه وتعالى ذكر النتيجة قبل المقدمة أو قبل السبب لأنها هي الغاية؛ فإن إلقاء الأقلام والإستهام هو غاية أيش؟ غاية الاختصام؛ فاختصموا أيهم يكفلها فقالوا: لنسهم بإلقاء الأقلام ؛ وقوله: ((**وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم**)) هذا كالدليل لقوله: ((**ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك**)) يعني فأنت ما قلت لأنك شاهد؛ ولكن قلت لأنها أوحيت إليك . وأيضا فيه إشارة إلى أن هذا الذي أنبئ به كأن ما يراه بعينه، كأنما يراه بعينه كأنه حاضر؛ وهو كذلك بل كما قلنا فيما سبق إن إخبار الله عز وجل أشد ثبوتا وحقيقة مما يرى في العين. ثم قال الله تعالى: ((**إذ قالت الملائكة يا مريم**)) يعني اذكر إذ قالت الملائكة يا مريم؛ وهل المراد جنس الملائكة أو الملائكة كلهم؟ الظاهر الأول أن المراد الجنس؛ لأن القائل واحد والمشهور أنه جبريل. ((**قال إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم** ...)) قوله: ((**يبشرك**)) ((**إن الله يبشرك**)) سبق أن معنى البشارة في الأصل: الإخبار بما يسر، وأنها قد تطلق على الإخبار بما يسوء بجامع أن كلا مما يسر وما يسوء يغير البشرة ويؤثر فيها . ((**إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه**)) ((**يبشرك بكلمة منه**)) قوله: ((**بكلمة**)) تحتمل وجهين؛ الوجه الأول: أن الكلمة هي المبشر به كما تقول: بشرته بولد؛ فتكون الكلمة هي المبشر به؛ والوجه الثاني: أن المراد بالكلمة هنا الصيغة التي حصلت بها البشارة أي يبشرك بشارة عن طريق النطق بها، عن طريق النطق كما تقول: بشرته بالقول لا بالكتابة؛ فأنت مثلا تبشر الإنسان إما بواسطة النطق أو بواسطة الكتابة وإما بواسطة الإشارة؛ فقوله: ((**يبشرك بكلمة**)) أي أن الوسيلة التي حصلت هي البشارة هي الكلمة؛ يعني أن الله تعالى قال كلمة فيها البشرى بالمسيح عيسى بن مريم؛ فالوجهان محتملان؛ الوجه الأول ما هو؟ المراد بالكلمة عيسى يعني المبشر به كما تقول: بشرته بأيش؟ بولد؛ أو أن المراد بالكلمة الصيغة التي حصلت بها البشارة أي أن البشارة حصلت من الله بالقول كما تقول: بشرته بالنطق، بشرته بالكتابة، بشرته بالإشارة؛ فأما على الاحتمال الثاني فلا إشكال، لا إشكال أن تقع البشارة بالنطق؛ لكن على الوجه الاحتمال الأول أن الكلمة هي المبشر به؛ فكيف يكون المبشر به كلمة مع أنه إنسان؟

أجاب العلماء عن ذلك بأنه أطلق عليه الكلمة لأنه كان بالكلمة، كان بالكلمة لا بالوسائل الحسية المعلومة؛ لأن الولد في العادة يأتي بواسطة النكاح؛ لكن هذا لم يأت بالنكاح أتى بالكلمة ((**إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون**))؛ فلهذا صح أن يطلق عليه الكلمة . وفي هذه الآية إشكال وهو إشكال آخر: إذا قلنا إن الكلمة، إن قوله: ((**بكلمة**)) تعني المبشر به وهو قوله: ((**منه**)) ((**بكلمة منه**)) فإن من لها معاني؛ منها: التبعيض كما قال ابن مالك رحمه الله في الخلاصة:

بعض وبين وابتدع في الأمكنة بمن وقد تأتي لبدء الأزمنة

الشاهد قوله: بعد؛ فإن من تفيد التبعيض؛ فهل معنى ذلك أن عيسى بعض من الله كما قال ذلك النصارى ؟ الجواب: لا؛ الجواب ليس بعضا من الله؛ لأن الله واحد أحد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد؛ ولا يتبع أحد هذه الآية ويدعي التبعيضية أو يدعي البعضية إلا من في قلبه زيغ ((**فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه**)) والنصراني كما اتبع المتشابه في هذه الآية اتبع المتشابه في قوله: ((**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**)) قالوا هذا كلام الله يقول: ((**إنا**)) إنا تفيد الجمع؛ فاتبع المتشابه انتصارا لرأيه الفاسد؛ ولا يخفى على كل ذي لب أن المراد بقوله: ((**إنا نحن نزلنا الذكر**)) وما أشبهها التعظيم لا التعدد؛ كذلك هنا ((**بكلمة منه**)) لا يقتضي أن يكون عيسى بعضا من الله عز وجل؛ لأنه إذ ادعيت أنه بعض من الله فلتدعي أنه كلمة الله؛ ومعلوم أنه لا أحد يدعي أن عيسى كلمة، عيسى بشر له روح يأكل ويشرب؛ وهذه الكلمة كذلك ؟ لا؛ فأنت إذا ادعيت أنه من الله فادعي أن عيسى كلمة؛ ومعلوم أن عيسى ليس بكلمة؛ إذا فيتعين أن تكون "من" إما ابتدائية وإما للبيانية يعني بكلمة صادرة من الله عز وجل بأن قال: كن فكان؛ نظير هذه الآية قوله تعالى: ((**وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه**)) هل يدعي أحد أن ما في السموات وما في الأرض بعض من الله؟ لا، لا يدعي حتى النصراني ما يدعي ذلك؛ ولكن هنا من إما للابتداء يعني ابتداء التسخير من الله أو للبيان، بيان من المسخر، أو من أين جاء هذا التسخير . قال: ((**بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم**)) اسم مبتداء و((**المسيح**)) خبر؛ و((**عيسى**)) خبر ثاني؛ و((**بن مريم**)) خبر ثالث؛ وإنما قلنا ذلك لأنك لو أفردت كل واحدة عن الآخر لاستقام الكلام؛ لو قلت: اسمه ابن مريم صح؟ اسمه عيسى صح؛ اسمه المسيح صح؛ وعلى هذا فكل واحد منها خبر؛ وقيل: بل الثلاثة خبر واحد؛ كقولك: البرتقال حلو حامض؛ هنا لا يصح أن تقول: حلو خبر وحامض خبر؛ لأنك لو أفردت أحدهما الآخر فسد المعنى؛ لو قلت: البرتقال حلو ما صح؛ لو قلت: البرتقال حامض، ما صح؛ ما أدى المعنى الذي يؤديه قوله: حلو حامض؛ لأن حلو حامض

يعني جامع بينهما يعني مز كذا؟ فلهذا نقول في قول القائل: البرتقال حامض، حلو حامض جميعها خبر؛ لكن في الآية التي معنا ((**اسمه المسيح عيسى بن مريم**)) لا يستقيم هذا المعنى فيها؛ وبناء على ذلك نقول: إن كل واحد منها خبر مثل قوله تعالى: ((**وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد فعال لما يريد**)) خمسة أخبار، واضح يا جماعة ؟ طيب هذه الأخبار الثلاثة جمعت أنواع العلم التي أشار إليها ابن مالك في قوله:

واسما أتى وكنية ولقبا وأخر عن ذا إن سواه صحبا

معلوم ؟ أين الاسم ؟ عيسى؛ اللقب ؟ المسيح؛ الكنية ؟ ابن مريم؛ وإذا كان هذه الكلمة الثلاث قد جمعت أنواع العلم الثلاثة: الاسم، واللقب، والكنية، يبقى عندنا إشكال في قول ابن مالك: وأخر عن ذا . يعني اللقب . إن سواء صحبا؛ فإنه في الآية الكريمة قدم اللقب فيبقى إشكال؛ فهل نأخذ قول ابن مالك ونقول: القرآن شاذ ؟ حاشا حاشا؛ نقول ابن مالك وألفيته شاذة ولا يشذ القرآن؛ إذا كيف نجمع بين هذا الكلام من هذا العالم النحو بين الآية ؟ من المعروف أن علماء النحو رحمهم الله لا تضيق عليهم أبدا؛ ولهذا يقولون في ضرب الأمثال: حجة النحو؛ أو يقولون حجج النحاة كبيوت اليرابيع، واضح ؟ حجج النحاة كبيوت اليرابيع أيش معنى هذا؟ اليرابيع جمع يربوع وعندنا باللغة العامية جرابيع طيب اليربوع من ذكائه يتخذ جحرا في الأرض له باب وإذا بلغ منتهاه خرج الأرض متعليا إلى فوق فإذا بقي قشرة رقيقة وقف من أجل إذا دخل عليه أحد من باب الجحر خرج من هذه النطاقة كما يقولون نطقة؛ أقول النحويون رحمهم الله لا تضيق عليهم؛ قالوا الجواب عن الآية: وأن اللقب إذا اشتهر به الإنسان حتى صار كالعلم أو كالاسم جاز أن يقدم، جاز أن يقدم؛ ولهذا نجد في كلام العلماء الإمام أحمد بن حنبل: الإمام أحمد بن حنبل المسيح عيسى بن مريم، على أوزان المسيح عيسى بن مريم؛ الإمام محمد بن إدريس الشافعي؛ فيقدم الإمام مع أنه لقب لماذا؟ للاشتهار ؛ إذا لا إشكال الآن . قال: ((**اسمه المسيح**)) واختار الله له اسم المسيح؛ لأنه كان لا يسمح ذا عاهة إلا برأ، أو لكثرة مسحه الأرض وسيره فيها؛ أو من المسحة وهي الجمال؛ والمعنى الأول أشهر يعني أنه لا يمسح ذا عاهة إلا برأ فهو يبرئ الأكمه والأبرص ويحي الموتى ويخرجهم من قبورهم؛ وهذه أمور لا تتم لكل أحد بل لا تتم لأحد أبدا إلا بإذن الله عز وجل . ((**عيسى بن مريم**)) ((**ابن مريم**)) ولم ينسبه إلى ذكر لأنه لا أب له؛ وأظن ذلك واضحا إنه لا ينسبه إلى أب لأنه لا أب له؛ لكن لماذا نسبه إلى أمه ؟ إشارة إلى أن لا يقول قائل: إنه ينسب إلى كافله زكريا يعني لئلا يقول قائل: مادام هذا الطفل ليس له أب فلينسب إلى كافله حتى يعرف به فبدت الملائكة وبينت أن هذا الرجل ينسب إلى أمه ((**عيسى بن مريم**)) . ((**وجيها في الدنيا والآخرة**)) قوله: ((**وجيها**)) هذه منصوبة على الحال؛ من

أين ؟ حال من أين؟ من عيسى ؟ أو المسيح ؟ المسيح؛ حال كونه وجيها في الدنيا؛ والوجيه ذو الجاه وهو الشرف والمكانة والسيادة؛ وقد كان كذلك عليه الصلاة والسلام؛ أما وجاهته في الدنيا؛ فلأنه كان أحد الرسل الكرام؛ بل هو من أولي العزم؛ وأعظم الناس جاها في الدنيا والآخرة كما قال الله تبارك وتعالى عن موسى: ((**وكان عند الله وجيها**)) وأما وجاهته في الآخرة فكما قلنا أيضا لأنه من أولي العزم من الرسل الذين هم في أعلى درجات الجنة ولهم في الآخرة مقامات لا تكون لغيرهم .

والمكانة والسيادة وقد كان كذلك عليه الصلاة والسلام؛ أما وجاهته في الدنيا فقد كان أحد الرسل الكرام؛ بل هو من أولي العزم؛ وأعظم الناس جاها في الدنيا والآخرة كما قال الله تبارك وتعالى عن موسى: ((**وكان عند الله وجيها**)) وأما وجاهته في الآخرة فكما قلنا أيضا لأنه من أولي العزم من الرسل الذين هم في أعلى درجات الجنة ولهم في الآخرة مقامات لا تكون لغيرهم؛ وقوله: ((**ومن المقربين**)) هذا وصف ثالث أنه من المقربين إلى من؟ إلى الله عز وجل، من المقربين إلى الله في الدنيا وإلا في الآخرة ؟ في الدنيا والآخرة؛ لأن المقرب يكون مقربا في الدنيا ويكون كذلك مقربا في الآخرة؛ فعيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام كان وجيها في الدنيا والآخرة وكان من المقربين إلى الله؛ وهل هذا الوصف حاصل لغيره من الأنبياء؟ الجواب: نعم؛ أولوا العزم من الرسل لاشك لهم وجاهة في الدنيا والآخرة وأنهم مقربون إلى الله .

السائل : شيخ في قوله تعالى: ((**يبشرك بكلمة منه اسمه**)) هل يمكن أن تكون حرف جر زائدة ؟

الشيخ : أيهم ؟ زائدة ؟ أيهم زائدة ؟

السائل : حرف الجر والضمير كلها ؟

الشيخ : كيف يكون التقدير ؟ كلمة اسمه المسيح؛

الشيخ : معناه زادت الهاء ضمير؛ اسمه هذه مضافة إليه؛

الشيخ : يعني بأيش؟ ما يصلح ما يستقيم؛ أولا أن من لا تزاد إلا في النكرة؛ ولا تزاد إلا بد نفي أو شبهه؛ وثانيا أنها لا تزاد مع الضمير أبدا؛ وثالثا أنه لا محظور فيه.

السائل : أمر الله أن نذكرها للناس؛ يعني كان من قبل ؟

الشيخ : لا ما يعلمها إلا بوحي الله؛ نفس خطاب ؟ أيه نعم ؛ وما كان عنده علم سابق ؟ لا ما كان عنده علم سابق؛

السائل : هل يصلح أن نقول ؟

الشيخ : أي يصلح لو قلتك: اذكر للناس كذا وكذا، كنت ما تدري عنها بالأول؛ بمعنى بلغ نعم.

السائل : أولوا العزم من الأنبياء لهم عند الله منازل في الجنة فهل يصل المؤمن إلى منازل أولي العزم في الجنة ؟

الشيخ : أيه يصلون؛ لكن ليسوا يصلون على سبيل السكنى؛ يعني زيارة ؟ نعم ما فيه شك؛ يعني المؤمنون . اللهم اجعلنا الجميع منهم . يزورون حتى الله عز وجل . الله اكبر . .

الشيخ : نعم محمد ؟

السائل : شيخ أحسن الله إليك؛ في قوله سبحانه وتعالى: ((**إذ يلقون أقلامهم**)) ألا نقول أنها أسهم ؟

الشيخ : لا، نحن نقول مادام أن الله قال: أقلام، والأقلام في اللغة العربية معروفة ((**ن والقلم وما يسطرون**)) معروف لماذا نعرض عن الظاهر؛ يمكن العرب أنهم يجعلونه سهام لأنهم أميون لا يكتبون ولا يقرءون؛ وهنا فيما سبق يقول أقلام؛ وبعضهم أبدوا مناسبة في مسألة الأقلام لأنهم يكتبون بها الكتب المنزلة .

السائل : المسيح بمعنى فاعل أو بمعنى مفعول ؟

الشيخ : لا، بمعنى فاعل إلا على قول من يقول المراد بذلك المسح من الجمال فهذا يكون بمعنى مفعول.

السائل : شيخ بارك الله فيكم !ما الفرق بين التسبيح والذكر ؟ أيش ؟ قوله تعالى: ((**واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والإبكار**)) ما الفرق بين التسبيح والذكر ؟

الشيخ : نعم تسبيح تنزيه الله عما لا يليق به؛ والذكر الثناء عليه بما يستحق .

السائل : نسبة عيسى إلى أمه هل فيه رد على النصارى الذين يجعلونه إلها ؟

الشيخ : لا، لأنه ذكرنا لماذا هم بادروا بأن ينسب إلى أمه ابن مريم لأن لا ينسب إلى غيره؛ لكن كونه ابنا لاشك أنه رد على النصارى سواء نسب إليها أو إلى غيرها؛ لكن كونهم يبادرون بهذا بأن ينسب إلى أمه لئلا يقول القائل: ننسبه للرجل لأن هذا عادة بالنسبة وأقرب من ينسب إليه زكريا.

السائل : أولوا العزم ما المراد بأولوا العزم ؟

الشيخ : أولوا العزم يعني الحزم في الأمور والصبر عليها وملاحاة الناس مثل ما نقول إن فلان صاحب عزيمة يعني قوي مصمم على تنفيذ ما يريد.

أي نعم هذا هو المشهور أن قوله تعالى: ((**فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل**)) أن من للتبعيض وأن أولوا العزم هم خمسة المذكورون في آيتين من القرآن؛ وبعضهم جعل من بيانية؛ فعلى هذا يكون جميع الرسل من أولي العزم؛ لكن المشهور الأول. ذكرت في آيتين من القرآن ما هما يا يوسف ؟ إحداهن: ((**شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ**)) نعم هذه واحدة؛ وفي الأحزاب ؟ في الأحزاب قوله تعالى: ((**وإذ أخذنا من النبيين مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقاً غَلِيظاً**)) نعم. تمثل جبريل إلى مريم بشرا هل هو سبب قول اليهود أنها بغي ؟ أيهما ثاني وإلا أولى ؟ أي يعني جبريل . ((**فتمثل لها بشرا سويا**)) يقولون هذا ؛ طيب صحيح نحن نقول هذا إن جبريل عليه السلام تمثل لها بشرا سويا يمتحنها؛ رجل فهمت؛ ولهذا قالت: ((**إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا**)) ويش قال لها؟ ((**إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا**)) الآيات متواصلة؛ ما هو بس جاء بشر وحملت؛ بين له رسول الله. الإشكال يقولون إن هذا بشر . قد يقولون إنها حملت من هذا البشر ؟ هم قالوا هذا ولهذا هم قالوا من أول ما جاءتهم ((**يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سواء وما كانت أمك بغيا**)) ويش معنى هذا؟ هذا تعريض بأنها زانية؛ يقولون كيف جئت بالزنا وأبوك ما كان امرأ سوء وما كانت أمك بغيا؛ لو كان هذه وراثة ما استغربنا، لو كان أبوك امرأ سوء أو كانت أمك بغيا زانية . والعياذ بالله . قلنا هذه مثل أبائها؛ هذا تعريض؛ لكن ويش الذي حصل؟ أشارت إليه انظر الآية فدافع عن نفسه .

السائل : شيخ فيه إشكال .؟

الشيخ : ما فيه إشكال يا أخي ما فيه إشكال، هذا الرجل هذا جبريل عليه الصلاة والسلام أرسله الله تعالى لامتحانه؛ ولهذا لجأت إلى الله ((**إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا قال إنما أنا رسول ربك**)) ما فيه إشكال .

السائل : شيخ أنت قلت: ثلاثة أقوال في اسم المسيح فإنه إذا مسح ؟

((**وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين قالت رب أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ورسولا إلى نبي إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص وأحي الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين**)) أعوذ بالله من الشيطان الرجيم؛ قال الله تعالى: ((**إذ قالت الملائكة يام ريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين**)) وهذا قرأناها. قال: ((**ويكلم الناس في المهد**)) الواو حرف عطف و معطوفة على ما سبق؛ ((**يكلم الناس في المهد**)) أي في حال الصغر، وأصل المهد أو المهاد الفراش يوضع للإنسان فيطأه ويستريح عليه؛ وقوله: ((**في المهد**)) أي في الفراش وهو صغير؛ وهذا من آيات الله عز وجل؛ لأن العادة التي أجرى الله سبحانه وتعالى البشر عليها أن لا يتكلم أحد إلا في سن معين؛ وفي المهد لم يتكلم إلا ثلاثة؛ منهم المسيح عيسى بن مريم؛ وتكلم بكلام من أبلغ الكلام لما جاءت به قومها تحمله ((**قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا**)) فقال حين سمعهم: ((**قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا أين ما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم يبعث حيا**)) كلام من أفصح الكلام وأعظمه وهو في المهد؛ وهذا من آيات الله عزوجل الدالة على قدرته؛ ولهذا كانت آيات عيسى كلها تدور حول هذا الأمر، حول خوارق العادات في الأمور الكونية؛ فهو نفسه آية خلق بلا أب، وكلم الناس في المهد وهذا من الآيات، يصنع من الطين طيرا فينفخ فيكون طيرا، يبرئ الأكمه والأبرص ولا أحد يبرئهما من الأطباء، يحيي الموتى ويخرجهم من القبور؛ قال أهل العلم: لأنه بعث في زمن ترقى فيه الطب ترقيا عظيما فجاء بآيات من جنس الأعمال التي يعملونها ليكون ذلك أبلغ في الإعجاز كما جاء موسى عليه الصلاة والسلام بالعصا واليد التي تبطل سحر السحرة وكان السحر في وقته قد زاد وانتشر؛ وكما أتى محمد صلى الله عليه وسلم بكلام أبلغ الكلام وأفصحه لانتشار الفصاحة في زمنه وعهده حتى يعجز هؤلاء البلغاء ويتبين أنه ليس من كلام البشر . قال: ((**يكلم الناس في المهد وكهلا**)) ويكلمهم وهو كهل من الحادي والثلاثين إلى أربعين، يكلمهم في هذه الحال؛ في هذه الحال ليس غريبا أن يكلم الناس؛ ولكنه أتى بها لفائدة وهي أن كلامه في المهد ككلامه وهو كهل يعني ليس ككلام الصبي الذي يتكلم في

المهد يا بابا يا ماما وما أشبه ذلك؛ بل كلام فصيح من أبلغ الكلام كما يتكلم به وهو أيش؟ وهو كهل. ((**ومن الصالحين**)) من الصالحين أيضا يعني ((**وهو من الصالحين**)) وسبق لنا أن الصالح من صلحت سريرته وعلانيته يعني ظاهره وباطنه؛ ظاهره بالإخلاص لله والطهارة من كل شرك ونفاق وشك وأحقاد وبغضاء للمؤمنين وما أشبه ذلك؛ ظاهره بأيش؟ بالمتابة للرسول صلى الله عليه وسلم وعدم الابتداء؛ فهو عليه الصلاة والسلام من الصالحين الذين صلحت ظواهرهم وبواطنهم وإن شئت فقل سرائرهم وعلانيتهم . ((**قالت رب أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر**)) ((**قالت رب أنى يكون**)) هي الآن تخاطب الله والذي كان يخاطبها الملائكة أو جبريل؛ لكنها لما قالوا: ((**إن الله يبشرك**)) وعلمت أنها من الله وجهت الخطاب إليه سبحانه وتعالى؛ فقالت: ((**رب أنى يكون لي ولد**)) وتأمل هذا الاستعطاف منها حيث قالت: ((**رب**)) ومعلوم أن كلمة ((**ب**)) هنا مضافة إلى ياء المتكلم التي حذفت للتخفيف وأصلها ((**ربي أنى يكون لي ولد**)) وقولها: ((**أنى يكون لي ولد**)) هذا استفهام يعني من أين يكون لي ولد ولم يمسسني بشر؟ وهذا الاستفهام ليس على سبيل الشك وليس على سبيل الاستبعاد ولكنه على سبيل الاستثبات وزيادة الطمأنينة كقول إبراهيم: ((**رب أرني كيف تحي الموتى**)) وإلا ما عنده شك . وقوله: ((**ولم يمسسني بشر**)) الجملة حالية يعني والحال أنه لم يمسسني بشر؛ أي لم يجامعني؛ لأن المس يطلق على الجماع يعني يكنى به أن يجمع؛ كما قال تعالى: ((**لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن**)) أي تجامعوهن؛ ((**ولم يمسسني بشر**)) يعني لا بنكاح ولا بغير نكاح؛ فمن أين يكون ولد ؟ ((**قال كذلك**)) قال من؟ الله عز وجل؛ لأنها نادت الله ((**رب أنى يكون لي ولد**)) ((**قال كذلك**)) يعني الأمر كذلك؛ فالجار والمجرور خبر لمبتدأ محذوف، تقديره: الأمر؛ وعلى هذا فيحسن الوقوف هنا، أي يحسن أن تقف؛ فتقول: ((**كذلك**)) ثم تبتدئ فتقول: ((**الله يخلق ما يشاء**)) وهذا التركيب له نظائر في القرآن مثل قوله: ((**كذلك وزوجناهم بحور عين**)) وإنما تأتي هذه الصيغة للتقدير والتثبيت يعني الأمر مثل ما وقع تماما؛ وقوله: ((**الله يخلق ما يشاء**)) سبحانه وتعالى؛ ((**الله**)) مبتدأ؛ و((**يخلق**)) الجملة خبر، يعني أن الله سبحانه وتعالى يخلق ما يشاء سواء كان على وفق العادة أو على خلاف العادة؛ فعيسى عليه الصلاة والسلام جاء على خلاف العادة؛ لكن مثله ((**مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب**)) أي خلق آدم من تراب ((**ثم قال له كن فيكون والله على كل شيء قدير**)) وقد ذكر أهل العلم أن البشر منهم من خلق بلا أم ولا أب ومنهم من خلق من أم بلا أب ومنهم من خلق من أب بلا أم وأكثر الخلق من أم وأب؛ فالذي خلق من غير أم ولا أب آدم؛ ومن أب بلا أم حواء امرأة آدم؛ ومن أم بلا أب عيسى؛ وسائر الناس من أم وأب. ((**الله**

يخلق ما يشاء)) أي الذي يشاء كما وكيفا وعلى سبب معلوم وعلى سبب غير معلوم؛ فالله سبحانه وتعالى لا معقب لحكمه يخلق ما يشاء؛ قلنا بالكمية والكيفية والسبب معلوم والسبب غير معلوم والنوعية أيضا، النوعية ما أكثر أنواع الخلق لا يحصيها الإنسان فضلا عن أفرادها؛ وما أكثر الخلق لو أردت أن تحصى الخلائق ما استطعت؛ والله تعالى قد أحصاهم ورزقهم وأمدهم وأعد كل مخلوق لما خلق له؛ قال فرعون: ((**فمن ربكما يا موسى قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى**)) كل شيء أعطاه الخلق مناسب له ثم هداه، هداه لما خلق له. انظر أحيانا تفتش الكتاب، تفتش الكتاب المراجعة تجد فيه حيوان لا يدركه البصر إلا بكلاف، إلا بكلفة؛ حيوان داخل هذا الكتاب لا يدركه البصر إلا بكلفة؛ من خلقه ؟ الله؛ من أعده الرزق؟ الله؛ ومن أمده برزقه المناسب له ؟ هو الله عزوجل؛ فما بالك بالخلق الكثير الذي أكبر من هذا بكثير؛ فالمهم أن الله تعالى يخلق ما يشاء كما وكيفا ونوعا وبسبب معتاد وبسبب غير معتاد؛ لا حرج على الله عزوجل يخلق ما يشاء ويفعل ما يشاء؛ قال: ((**كذلك الله يفعل ما يشاء**)). ((**إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون**)) ((**إذا قضى**)) قضى أي قضاء كونيا؛ لأن القضاء له معنيان: كوني وشرعي؛ فمن أمثلة الشرعي قوله تعالى: ((**وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه**)) هذا قضاء شرعي؛ ومن أمثلة الكوني هذه الآية وقوله تعالى: ((**وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا**)) قضينا شرعا وإلا كونا؟ كونا؛ ما يصح شرعا؟ لأن الله لا يقضي بفساد أبدا؛ فهو لا يحب الفساد لكنه قضاء كوني؛ ما الفرق بين القضاءين الكوني والشرعي؟ الفرق بينهما أن القضاء الشرعي متعلق بما يحبه الله من فعل المأمور أو ترك المحظور؛ ثانيا: القضاء الشرعي قد يقع وقد لا يقع، قد يقع من المقضي عليه وقد لا يقع؛ القضاء الكوني يتعلق فيما أحبه الله وما لا يحبه الله؛ القضاء الكوني لا بد أن يقع من المقضي عليه؛ فصار الفرق أربعة أوجه؟ أول شيء وجهين وعندنا ما نذكر ضده تكون أربعة طيب. قوله تعالى: ((**فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض**)) هذا كوني وإلا شرعي؟ كوني؛ قوله تعالى: ((**وغيض الماء وقضي الأمر**)) كوني؟ طيب؛ ((**والله يقضي بالحق**)) شرعي أو شامل ؟ شامل حتى الكوني الذي يقضيه الله وإن كان شرا لكن في المفعولات أما في نفس القضاء فهو حق. طيب يقول الله عز وجل: ((**إذا قضى أمرا**)) أمرا مفرد جمعه أمور وإلا أوامر؟ أمور والمراد بالأمر هنا شأنا أي شأن من الشئون ؟ ((**فإنما يقول له كن فيكون**)) ما يحتاج إلى عمل ولا إلى آلات ولا إلى أي سبب، كل خلائق مسلمة له عز وجل ((**وله أسلم من في السموات والأرض**)) تنتظر الأوامر إذا صدر الأمر من الله عز وجل كان المأمور الأمر الكوني يقول: ((**كن**)) فقط ((**فيكون**))؛ قال الله تعالى عن البعث، بعث الخلائق كلها: ((**فإنما هي زجرة واحدة فإذا هم بالساهرة**))؛ وبين الله تعالى في سورة القمر كيف هذا الأمر هل يكرر ؟ هل

يتأخر المأمور؟ فقال: ((**وما أمرنا إلا واحدة**)) ما فيه التكرار واحدة؛ يتأخر المأمور؟ أيش ؟ ((**كلمح بالبصر**)) يعني لو شاء ربنا عزوجل لأمر هذه الأرض أن تزول ومن فيها بلحظة ((**كن فيكون**)) هذه القدرة التامة العظمية التي لا تنسب قدرة الخلق إليها ((**إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون**)) الفاء هذه تفيد الترتيب، وإن شئت فقل إنها تفيد السببية؛ فإن قلت إنها تفيد السببية فاقرأها بالنصب؛ وإن قلت إنها تفيد الترتيب فاقرأها بالرفع؛ وكلتا القراءتين سبعية صحيحة؛ ((**أن يقول له كن فيكون**)) ((**أن يقول له كن فيكون**))؛ فعلى قراءة الرفع تكون استئنافية والفاء عاطفة تفيد الترتيب والتعقيب كن فهو يكون في الحال، وعلى قراءة النصب تكون الفاء للسببية فكأن الكون مسبب عن القول؛ ومعلوم أن المسبب يأتي مقارنا للسبب؛ على قراءة النصب ((**كن**)) سبب ((**فيكون**)) مسبب؛ ومن المعلوم أن المسبب يأتي عقب السبب فورا لأنه سببه والسبب مقارن للمسبب؛ وعلى هذا فتكون كل من القراءتين مفيدة لمعنى، لمعنى غير المعنى الثاني لكنهما متلازمان، المعنيان متلازمان؛ ((**كن فيكون**)) طيب ((**كن**)) ما ذكر الله سبحانه وتعالى أي شيء يكون عليه بس يقول: ((**كن**)) فيقع الشيء على مراد الله أو لابد أن يقول: ((**كن**)) ويبين ماذا يكون؟ طيب الأول، الثاني، طيب لما خلق الله القلم قال له: اكتب؛ كتب وإلا ما كتب ؟ لا ما كتب؛ (**قال رب ماذا أكتب؟ قال اكتب ما هو كائن إلى يوم القيمة**) فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيمة . الله أكبر . فظاهر والله أعلم أن الشيء إذا قال الله له: كن، فلا بد أن يعين ماذا يكون بدليل حديث القلم؛ ولكنه إذا عين ما يكون فلابد أن يكون الشيء على ما عين؛ فالقلم ما يعلم الغيب، القلم ما يعلم الغيب؛ لكن لما قاله الرب عزوجل: اكتب إلى ما هو كائن إلى يوم القيمة كتب إلى ما هو كائن إلى يوم القيمة؛ لأن الله أعلمه، أعلمه فكتب؛ طيب إذا كن كذا؛ وهذه لابد منها بيان مجمل الأمر لابد منه؛ فهذا هو الظاهر وإذا كان الله عز وجل إذا أمره فقال كن كان على مراد الله فليس هذا بغريب على قدرة الله إذا؛ أن الله تعالى يجعل هذا الشيء يخضع لأمر الله الذي أراده عز وجل وإن كان لم يطلعه عليه؛ لكن الذي يترجح عندي بناء على حديث القلم أن الله عز وجل يأمره أن يكون ويبين ماذا يكون عليه؛ طيب ((**كن فيكون**)) ((**ويعلمه الكتاب والحكمة**)) ((**يعلمه**)) الضمير يعود على عيسى؛ والفاعل الله عز وجل ((**يعلمه الكتاب**)) لأن عيسى عليه السلام كغيره من البشر يعني لا يعلم إلا ما علمه الله، قال الله تعالى: ((**عالم الغيب فلا يظهر على غيبه إلا من ارتضى من رسول**)). ((**يعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل**)) الكتاب المراد المكتوب؛ وهل المراد أنه يعلمه الكتابة يعني يحسن الخط ؟ أو المراد يعلمه الكتب السابقة ؟ الثاني، كلاهما لا يتنافيان؛ فعلمه الكتابة فكتب وعلمه الكتب السابقة وعلمه التوراة والإنجيل؛ والتوراة من باب عطف الخاص على العام لشرفها؛ وأما الإنجيل فهو لم ينزل على أحد قبل

عيسى؛ وقوله: ((**الحكمة**)) الشريعة لأن الشريعة من الله وكل ما كان من الله فهو متضمن للحكمة؛ قال الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم: ((**وأنزلنا عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما**))؛ فالحكمة هي الشرع، الحكمة هي الشرع؛ وهو موافق لمن فسر ذلك بالسنة؛ لأن سنة النبي صلى الله عليه وسلم هي شرعه، هي شرعه الذي جاء به من الله؛ فعلمه الله عز وجل الحكمة؛ وأل في الحكمة هنا للعهد الذهني يعني شرع الذي شرعه الله لعيسى؛ ليس كلها حكمة لأن الحكمة التي شرعت لها؛ ((**والتوراة والإنجيل**)) التوراة الكتاب الذي أنزله الله على موسى؛ والإنجيل كتاب الذي أنزله الله على عيسى؛ التوراة كتبها الله تعالى كتابة ((**وكتبنا له في الألواح من كل شيء**)) ولهذا قال أهل العلم من علماء السلف: إن الله تعالى غرس جنة عدن بيده وخلق آدم بيده وكتب التوراة بيده سبحانه وتعالى، فالتوراة مكتوبة من الله نعم كتبها بيده سبحانه وتعالى ونزلت ألواح على موسى وفيها ما تقتضيه المصلحة والحاجة والضرورة في ذك الوقت؛ وأما الإنجيل فهو كتاب الله الذي أنزله الله تعالى على عيسى؛ وهو بالنسبة للتوراة كالمكل لها كما قال تعالى فيما يأتي بالآيات: ((**ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم**)) فهو كالمتمم للتوراة؛ لأنه في الحقيقة نزل على بني إسرائيل الذين أنزلت عليهم التوراة؛ ومن المعلوم أن حال بني إسرائيل تغيرت من وقت موسى إلى عيسى؛ فكان في الإنجيل أشياء فيها تعديل أو زيادة؛ المهم أنه متمم للتوراة . ثم قال: ((**ورسولا إلى بني إسرائيل**)) ((**ورسولا**)) الواو حرف عطف؛ ((**ورسولا**)) معطوفة بجملتها على ما سبق أي ويرسله رسولا إلى بني إسرائيل. والرسول هو الذي أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه فإن لم يؤمر بتبليغ فهو نبي؛ هذا هو المشهور عند عامة العلماء رحمهم الله. وقيل: إن النبي لم يوحى إليه بشرع وإنما كان مؤيدا لشريعة من قبله؛ يعني يوحى إليه بتأييد الشريعة التي قبله؛ فكانت الأنبياء فيما سبق كالعلماء في هذه الأمة؛ وهذا وإن كان له وجه كما قال تعالى: ((**إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا**)) فقال: ((**يحكم بها**)) أي بالتوراة ((**النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء**))؛ لكن هذا القول يعكر عليه قضية آدم؛ فإن آدم نبي ومع ذلك لم يكن مجددا لشريعة سابقة إذ لم تنزل شريعة على البشر قبل آدم عليه السلام؛ ولهذا يترجح تعريف الجمهور في النبي والرسول؛ وإذا قلنا النبي من أوحي إليه بالشرع فلا يمنع أن يكون هذا الشرع الذي أوحي إلى النبي هو شرع من قبله يوحى إليه تأكيدا وتثبيتا. قال: ((**ورسولا إلى بني إسرائيل**)) بني إسرائيل هذه بني اسم قبيلة وإلا اسم أشخاص معينين؟ اسم قبيلة كما يقال: بنو تميم؛ والعلماء رحمهم الله تعالى يفرقون بين ابن وبني إذا كان اسما لقبيلة واسما لشخص معين؛ فإذا قالوا، وذكروا ذلك في باب الوقف وفرعوا عليه مسائل؛ إذا قلت: هذا وقف على نبي فلان، وهم قبيلة كبني تميم مثلا؛ فهل يعم الجميع ؟

وهل يشمل الذكور والإناث؟ قالوا نعم يعم الجميع ويشمل الذكور والإناث؛ ولكن لا يجب التعميم، التعميم لا يجب؛ فلي أن أوزع هذا الوقف على ثلاثة من بني تميم فقط؛ ولي أن أعطي ثلاث نساء فقط؛ لأنه لا يختص بالرجال بل يشمل الذكور والإناث؛ ولأنه لا يستلزم التعميم؛ أما لو قلت: هذا وقف على بني فلان واحد من الناس؛ فإنه يجب تعميمهم دون الإناث، تعميم من؟ الذكور دون الإناث؛ لأن البن غير البنت؛ ولأن بني فلان المعين محصورون يمكن حصره فيجب تعميمهم والتساوي بينهم وإخراج النساء منهم؛ فبنو إسرائيل من أي الصنفين ؟ من الأول من القبيلة؛ وإسرائيل هو يعقوب ابن إسحاق ابن إبراهيم؛ وهم بني عم لبني إسماعيل، بنو عم لنبي إسماعيل؛ ولهذا لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم في بني عمهم بني اسماعيل غارت اليهود من ذلك وأنكروه؛ وكانوا بالأول يستفتحون على الذين كفروا، يقولون سيبعث نبي ونتبعه ونكتسحكم ونغلبكم ظنا منهم أنه سيكون من بني إسرائيل وليس ظنا حقيقيا بل هو وهم لأنهم يعرفون النبي صلى الله عليه وسلم كما يعرفون أبنائهم ويعلمون أنه سيبعث في مكة؛ لكن توهموا ذلك، أوهمتهم أنفسهم الكاذبة؛ فلما بعث ببني اسماعيل أنكروه وكذبوه.طيب إسرائيل ويش معناها ؟ في السريانية قالوا إن معناها أو في العبرية: عبد الله، معناها عبد الله؛ الآن تسمى الدولة اليهودية إسرائيل . ((**وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين قالت رب أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ورسولا إلى نبي إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين ومصدقا لما بين يدي من التوراة ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون إن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم**)) ((**الله يخلق ما يشاء**)) عبر هنا بالخلق وفي قصة زكريا بالفعل ((**يفعل**)) وهنا قال: ((**يخلق**)) فهل هناك نكتة ؟ أو أنه اختلاف تعبير وهو من باب التفنن في التعبير كما يقولون ؟اختلاف التعبير طيب .

السائل : هنا في نكتة بسيطة ؛ وهي ؟

الشيخ : هذا قريب منه، الظاهر اختلاف لفظ؛ نعم ؟ أو نسيت ؟ قل لا أذكر أننا ذكرنا؛

السائل : شيخ ! قد يكون قصة طويلة أن الله عز وجل عندما أخبره بالفعل . . . ؟ اختلاف تعبير ؟

الشيخ : هو على كل حال يقولون :

ما ذكرتم هو قريب مما قاله العلماء وهو صحيح: أن عيسى عليه الصلاة والسلام خلق من غير ما جرت العادة به، خلق على وجه لم تجري العادة بمثله إطلاقا؛ فناسب التعبير بالخلق الدال على الإبداع؛ ولهذا يقال: خلق الله السموات؛ ولا يقال: فعل الله السموات مع أن الخلق فعله؛ لكن الخلق فيه نوع من الإبداع فلذلك قال: خلق . الوجه الثاني: الرد على شبه النصارى الذين يقولون إن عيسى هو الله، هو الله ثالث ثلاثة؛ فيكون فيه التصريح بأنه مخلوق، ويكون هذا قطعا لدابر قولهم؛ ففيه إذا نكتة كونية ونكتة شرعية؛ يعني حكمة كونية وشرعية؛ وأظن أنني لم أذكرها ؟ طيب . قوله: ((**ورسولا**)) هذا مبتدأ الدرس ؟ طيب

الشيخ : ((**رسولا**)) ما الذي نصبها يا عبد الرحمن ؟

الطالب : حال ؟ رسول

الشيخ : حال وهو غير مشتق ؟ معطوف على أيش؟

الطالب : ما يصح؛

الشيخ : فيه مصدقا ؟ يعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ورسولا؛

الشيخ : يعني ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ويعلمه رسولا؟ اصبروا خله يناقش ؛ يعني ما واحد يقول تخرصا هكذا؛ أجب يستقيم المعنى ؟ ما يستقيم؛ إذا ؟

الشيخ : والله المستعان، ما يصلح؛ رسول .التقدير: ويرسله رسولا؛ صح ويرسله رسولا نعم.

الشيخ : طيب بنو إسرائيل منهم يا جمال ؟

الطالب : بنو إسرائيل هم أبناء يعقوب عليه الصلاة والسلام؛ أبناء يعقوب اثني عشر؛

الشيخ : إذا إسرائيل هو يعقوب ابن اسحاق ابن ابراهيم كذا؟ نعم طيب.

((**أني قد جئتكم**)) هذا مبتدأ درس ؟ عجيب كل هذه أخذناها ؟ طيب ((**أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير**)) فيها قراءتان أخبرناكم بهما وإلا لا؟ طيب؛ فيها قراءة بكسر الهمزة وفتحها، وبفتح الياء مع فتح الهمزة، ثلاث قراءات: أنيَ ، أنِي ، إني؛ . قوله: ((**أبرئ الأكمه والأبرص**)) ما قرءناها طيب ((**فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله**)) ((**فيكون طيرا بإذن الله**)) يكون هذا الشيء طيرا؛ وقوله: ((**أخلقكم كهيئة الطير**)) أي

كمثله وصورته فينفخ فيه فيكون طيرا؛ وفي قراءة سبعية: ((**فيكون طائرا بإذن الله**)) والقراءتان لكل واحدة منهما معنى يكمل الأخرى؛ فقوله: ((**يكون طيرا**)) أي طيرا حيا بعد أن كان على صورة الطير وليس فيه الروح؛ يكون طائرا أي يطير تشاهدونه يطير بالفعل؛ فعندنا ثلاث مراتب: تصوير على هيئة الطير؛ ثاني: طير فيه روح، على قراءة: ((**فيكون طيرا**))؛ الثالث: طير يطير بالفعل، على قراءة: ((**طائرا بإذن الله**))؛ وعلى هذا فيكون يخلق شيئا على هيئة الطير فينفخ فيه الروح ثم يطير؛ وقوله: ((**بإذن الله**)) أي بإذنه الكوني والشرعي؛ لأن كونه يصور مضاهيا لخلق الله يحتاج إلى إذن شرعي؛ لأن الأصل أنه لا يجوز لأحد أن يصور على تصوير الله عز وجل، قال الله تعالى: (**ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي**)؛ لكن الله تعالى أذن لعيسى عليه الصلاة والسلام لحكمة؛ هذا على تفسير ((**بإذن الله**)) الإذن أيش؟ الشرعي؛ كذلك الإذن الكوني، يعني ((**بإذن الله**)) الإذن الكوني؛ لأن خلق هذا الطير حتى يطير يكون بإذن الله الكوني وإلا شرعي؟ الكوني، أي فيطير بإذن الله إذنا كونيا؛ فعيسى عليه الصلاة والسلام يخلق كهيئة الطير بإذن الله الشرعي؛ فيكون طيرا إذا نفخ فيه ويطير بإذن الله الكوني؛ وقوله: ((**بإذن الله**)) هذا من أجل تحقيق التوحيد حتى لا يظن ظان أنه يخلق استقلالا؛ لأنه لو هذا التقيد ((**بإذن الله**)) لتوهم النصراني وغير النصراني أن عيسى عليه الصلاة والسلام يخلق كما خلق الله آدم من طين على صورته ثم نفخ فيه الروح فصار بشرا؛ فيظن الظان أن عيسى يخلق كخلق الله؛ فلهذا كان يكون عليه الصلاة والسلام بإذن الله. ((**وأبرئ الأكمه والأبرص**)) ((**أبرئ**)) بمعنى أشفي؛ والبرء في الأصل من البراءة، والبراءة من الشيء السلامة منه؛ ومنه برئ من دينه أي سلم من غائلته، غائلة الدين وضيق الدين؛ فالبرء من المرض يعني السلامة والشفاء منه؛ وقوله: ((**الأكمه**)) الأكمه قيل: إنه الذي لا يبصر ليلا ويبصر نهارا؛ وقيل: هو الذي يبصر ليلا ولا يبصر نهارا؛ وقيل: هو الذي لا يبصر إلا بمشقة؛ وقيل: الذي ولد بلا عين؛ نعم؟ فإن كان الأكمه في اللغة العربية يحتمل هذه المعاني كلها فهو للمعاني كلها، وإن كان لا يحتمل إلا معنى واحدا فأقرب الأقوال في ذلك أن الأكمه من ولد بلا عين؛ لأن هذا أبلغ في القدرة؛ لأنه كلما كان أبلغ في القدرة كان أعظم في الآية؛ فنحن نقول: إن كانت اللغة العربية تطلق الأكمه على كل ما قيل فلتكن الآية شاملة؛ وإن لم تحتمل إلا معنى واحدا فأقربها أن الأكمه من ولد بلا عين؛ لأن هذا أبلغ في القدرة؛ والأبرص من به البرص، والبرص عيب يخرج في الإنسان من العيوب الجلدية وهو قد يؤثر على الصحة العامة في البدن وقد لا يؤثر؛ لكن البرص ليس له دواء؛ فلهذا قال: ((**أبرئ الأبرص بإذن الله**)). وقوله: ((**وأحيي الموتى بإذن الله**)) ((**أحيي الموتى**)) الذين ماتوا أحييهم بإذن الله؛ وليس المراد بالموتى هنا موتى معينين؛ بل هو للجنس؛ فأي واحد من الأموات يمكن أن يقع عليه هذا الأمر؛ أما قول من قال: إنه أحيا سام بن نوح أو أحيا فلانا أو أحيا فلانا فهذا

من الإسرائيليات؛ لكن الآية أنه يحيي الموتى؛ أي ميت يقف عليه وهو ميت يأمره فيحيى بإذن الله نعم. ((**وأحيي الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم**)) ((**أنبئكم**)) أخبركم بما تأكلونه اليوم وما تدخرونه للغد في بيوتكم من غير أن يأتي أحد يخبره بذلك؛ وهذا فيه شيء من علم الغيب، فيه شيء من علم الغيب؛ فأخبرهم أن من جملة آياته أنه يخبر الإنسان يقول: أكلت اليوم كذا وكذا، وادخرت لغد أو بعد غد كذا وكذا مع أنه لم يبعث أحدا يطلع على ما في بيته؛ وهذا لا يكون إلا بوحي من الله؛ إذا لم يكن هناك بشر يطلعه على ما في البيوت فإنه يكون من وحي الله؛ وقد يكون بواسطة الجن فإن الجن ربما تخدم الإنس فتذهب إلى الأمكنة البعيدة أو تتصور الجدران وتخبر بما في البيوت؛ لكن الجن الذي على هذا الوصف لا يجوز الاستمتاع به أو الاتصال به؛ لماذا ؟ لأن اطلاعه على أحوال الناس ظلم وعدوان؛ ولا يجوز لإنسان أن يستعين بظالم على ظلمه؛ ولهذا يمتنع هذا التقدير في حق من ؟ في حق عيسى عليه الصلاة والسلام؛ يعني لو قال قائل: إن الذين يستعينون بالجن ربما يطلعون على ما يؤكل و يدخر في البيوت ؟ قلنا لكن هذا لا يرد بالنسبة إلى عيسى؛ لأن الاستمتاع بالجن على هذا الوجه محرم لما فيه من العدوان والظلم وعيسى لا يمكن أن يفعل هذا؛ فتبين أنه يأتيه عن طريق الوحي؛ والحكمة من إخبارهم بهذا هو إطلاعهم على أنه عليه الصلاة والسلام يأتيه الوحي من الله في أمور خاصة، في الأمور الخاصة بما في البيوت؛ والثاني الله أعلم تحذيرهم من أن يأكلوا شيئا محرما عليهم؛ ولهذا سيأتي أنه قال لهم: ((**ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم**))؛ لأنهم إذا كانوا يعلمون أنه يعلم بما يأكلون وما يتدخرون في بيوتهم فسوف يتوقفون عن الشيء المحرم، وهم إذا توقفوا عن الشيء المحرم ربما ييسر الله لهم فيحله لهم . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . ((**ورسولا إلى نبي إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين ومصدقا لما بين يدي من التوراة ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون إن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم**)) أعوذ بالله من الشيطان الرجيم؛ ((**ورسولا إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص وأحي الموتى بإذن الله**)) وهذه قرأناها كلها ؟ قال الله تعالى: ((**ومصدقا لما بين يديه من التوراة**)). ((**إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين**)) ((**إني في ذلك**)) المشار إليه ما سبق من عدة أمور؛ قوله: ((**أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله**))، ((**وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله**))، ((**أنبئكم بما تأكلون وبما تدخرون في بيوتكم**)) هذه

ثلاث , آيات كلها آية تدل على صدق عيسى عليه الصلاة والسلام وأنه رسول الله حقا؛ لأن مثل هذا لا يستطيعه البشر؛ وآيات الأنبياء التي جاءت هي علامات على صدقهم لا يستطيع أن يأتي بمثلها البشر؛ لأن الآية لو أمكن أن يأتي البشر بمثلها لم تكن آية؛ إذ أن كل إنسان يستطيع أن يفعل مثل هذا؛ وقوله: ((**إن كنتم مؤمنين**)) يعني أنها آية بهذا القيد أي إن كنتم مؤمنين؛ فأما غير المؤمن فإنه لا ينتفع بالآيات، ولا تكون الآية آية له، قال الله تعالى: ((**وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون**)) لأن قلوبهم قاسية مطبوع عليها . والعياذ بالله . لا يصل إليها الخير ولا تلين من أجل العقوبات والنذر لأنها قاسية؛ فالمؤمن هو الذي ينتفع بالآيات؛ بل إن غير المؤمن يرى أن هذه الآيات العظيمة أساطير الأولين ((**إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين**)) وذلك بسبب ما كان على قلبه من ظلمات المعاصي . والعياذ بالله . لقوله: ((**كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون**)) . والإيمان سبق لنا معناه كثيرا بأنه تصديق المستلزم للقبول والإذعان وليس مجرد تصديق ودليل ذلك أنه لا يتعدى بما يتعدى به التصديق؛ فإنه لا يقال: آمنته ويقال: صدقته؛ بل إنه يتضمن الإقرار والاعتراف والانقياد والتسليم؛ ومن صدق ولم قيل ولم يذعن فليس بمؤمن؛ فأبو طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم كان مصدقا برسالته لكنه لم يقبل ولم يذعن؛ فلم يكن مؤمنا وإلا فإنه يصدق بما يقول بأشعاره وفي أحواله؛ لكنه . والعياذ بالله . ليس بمؤمن؛ إذا الإيمان معنى زائد على التصديق، معنى زائد على التصديق وليس هو مجرد التصديق. قال: ((**ومصدقا لما بين يدي من التوراة**)) هذه معطوفة على ما سبق يعني أنها تكون منصوبة على الحال يعني وجئتكم مصدقا لما بين يدي من التوراة وما بين يدي وما سبق؛ ويطلق ما بين اليدين على ما سيأتي؛ فما بين اليدين يطلق على ما مضى ويطلق على ما يستقبل؛ فإن قرن بالخلف فهو للمستقبل وإلا فإنه صالح للمستقبل والماضي؛ ففي قوله تعالى: ((**يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم**)) المراد المستقبل؛ لقوله: ((**وما خلفهم**)) وفي هذه الآية: ((**مصدقا لما بين يدي**)) أي لما سبقنا من التوراة؛ وتصديقه للتوراة له وجهان؛ الوجه الأول: أنه يقرر صدقها ويقول إنها كتاب حق؛ والوجه الثاني: أنه يصدق ما أخبرت به؛ فإذا كانت أخبرت به ثم بعث كان مصدقا لما فيها . وقوله: ((**من التوراة**)) هي الكتاب الذي أنزله الله على موسى صلى الله عليه وسلم؛ وهي أصل الكتب المنزلة على بني إسرائيل وأعظمه؛ بل هي أعظم الكتب فيما نعلم بعد القرآن . ((**ولأحل لكم**)) يعني وجئتكم أيضا ((**لأحل لكم بعض الذي حرم عليكم**)) قوله: ((**ولأحل لكم بعض الذي**)) ولم يقل: كل؛ والمحرم عليهم ذكر الله في قوله: ((**وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم**)) وقال تعالى: ((**فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم**))؛ فلما حرمت عليهم هذه الطيبات بظلمهم

وطغيانهم وبعث الله عيسى صلى الله عليه وسلم أحل لهم بعض ما حرم عليهم؛ ولم يذكر في القرآن بيان هذا البعض فيكون باقيا على إطلاقه ولو كان لنا مصلحة في تعيين ذلك لبينه الله . وقوله: ((**بعض الذي حرم عليكم**)) الفعل هنا مبني للمجهول ولكن فاعله معلوم؛ من هو؟ الله عزوجل، كما قال تعالى: ((**وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر**)) . ((**وجئتكم بآية من ربكم**)) كرر هذا مرة بعد أن قوله: ((**إن في ذلك لآية لكم**)) فإما أن يقال: إن الآية التي ذكرت هنا ((**وجئتكم بآية**)) تقتصر على تصديقه لما بين يديه من التوراة وعلى إحلاله بعض الذي حرم عليهم؛ وحينئذ لا يكون في الآية تكرار؛ وإما أن يقال: إن قوله: ((**جئتكم بآية**)) يشمل كل ما جاء به من الآيات ويكون هذا من باب التأكيد وإقامة الحجة عليهم؛ فكرر مجيئه بالآيات احتجاجا عليهم بما كذبوا . قال: ((**فاتقوا الله و أطيعون**)) ((**اتقوا الله**)) يعني اتخذوا وقاية من عذابه؛ لأن التقوى مأخوذة من أي شيء؟ من الوقاية؛ فبماذا تكون الوقاية من عذابه ؟ تكون بفعل أوامره واجتناب نواهيه؛ وهذا هو المعنى الشامل للتقوى عند الإطلاق؛ وإذا قرنت التقوى بالبر صارت المراد بها اجتناب المحارم مثل قوله تعالى: ((**وتعاونوا على البر والتقوى**)) وقد عرف أهل العلم التقوى بعدة تعريفات لكن يجمعها ما ذكرناه من أنها اتخاذ وقاية من عذاب الله بفعل أوامره واجتناب نواهيه؛ قال: ((**و أطيعون**)) أطيعون فيما أمرتكم به، وفيما نهيتكم عنه؛ وطاعته من التقوى بلاشك؛ لكن نص عليها لأنها تقوى خاصة فيما جاء به عيسى؛ لأن التقوى يؤمر بها كل إنسان؛ فإذا قال: ((**أطيعون**)) صارت تقوى خاصة في طاعة هذا الرسول الذي بعث إلى قومه؛ والطاعة قال العلماء في تفسيرها إنها موافقة الأمر، موافقة الأمر تجنبا للنهي وفعلا للمأمور؛ فمن تجنب النهي ناويا بذلك امتثال الأمر فهو مطيع؛ ومن فعل الأمر ناويا بذلك امتثال الأمر أيضا فهو مطيع؛ أما من ترك النهي أو بعبارة أصح المنهي عنه عجزا عنه فإن هذا ليس بمطيع؛ بل إذا سعى حتى عجز كان كمن فعله؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (**إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول كلاهما في النار قالوا: يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: لأنه كان حريصا على قتل صاحبه**) . ثم قال: ((**إن الله ربي وربكم فاعبدوه**)) لما أمرهم بتقوى الله ذكر ما هو كالسبب في ذلك؛ فقال: ((**إن الله ربي وربكم**)) والرب هو الخالق المالك المتصرف؛ وتوحيد الله في الربوبية: أن نؤمن بأنه لا خالق ولا مالك ولا مدبر إلا الله سبحانه وتعالى؛ وما يضاف من الخلق أو الملك أو التدبير لغير الله فإنه على وجه ناقص، ناقص من حيث الشمول ومن حيث التصرف؛ فمثلا: الخلق يضاف إلى غير الله وقد مر علينا قريبا أن عيسى قال: ((**أخلق لكم من الطين**))؛ وقال الله تعالى: ((**فتبارك الله أحسن الخالقين**)) وقال الله في الحديث القدسي: (**ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي**) وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (**أشد الناس عذابا يوم القيمة المصورون الذي يضاهئون بخلق**

الله) وقال عليه الصلاة والسلام: (**يقال لهم أحيوا ما خلقتم**) ولكن الخلق المضاف إلى غير الله عز وجل خلق ناقص ليس إيجادا حقيقة ؛ ولكنه تغيير لصورة فمثلا: الإنسان يخلق من الخشب بابا هل هو خلق الخشب؟ ومن الحديد سيارة هل هو خلق الحديد ؟ أبدا ولكن غيره وحوله من حال إلى حال فصار هذا خلقا؛ لكنه ليس هو الذي أوجد الحديد أو الخشب حتى يقال إنه خلقه بخلق الله؛ أيضا خلق الإنسان أو البشر عموما ليس عاما شاملا؛ لأن كل إنسان يخلق ما صنع فقط ؛ وما لم يصنعه فليس من خلقه؛ كذلك الملك ((**لله ملك السموات والأرض**)) ((**قل من بيده ملكوت السموات والأرض**)) والآيات في إثبات الملك لله وحده كثيرة؛ ومع ذلك أضاف الله إلى غيره الملك في قوله تعالى: ((**في أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم**)) وفي قوله تعالى: ((**أو ما ملكتم مفاتحه**))؛ فهل نقول: إن هذا الملك كملك الله؟ لا؛ لا من حيث الشمول ولا من حيث التصرف؛ أما من حيث الشمول فلأن كل إنسان لا يملك أكثر مما تحت يده؛ ولذلك لا تملك كتابي ولا أملك كتابك؛ أما ملك الله فهو عام شامل؛ وأما من حيث التصرف فملك غير الله قاصر؛ لأن الإنسان لا يملك التصرف المطلق كما يريد؛ وإنما يتصرف تقتضيه شريعة الله وحسب ما يأذن به الله؛ لو أراد الإنسان أن يمزق كتابه هل يملك ذلك؟ لا يملك ذلك، حرام عليه يأثم؛ ولو أراد أن يمزق كتاب غيره كان حراما من وجهين: من وجه الإفساد المال؛ ومن وجه العدوان على الغير؛ فالحاصل أن ملك الإنسان قاصر من ناحيتين هما ؟ لا ملك الإنسان قاصر؛ فهو قاصر بالتصرف فهو قاصر من حيث الشمول طيب . أما التدبير فكذلك الذي هو معنى الثالث للربوبية التدبير؛ فالتدبير أيضا يكون لغير الله لكنه تدبير ناقص من حيث الشمول ومن حيث التصرف أيضا؛ فالإنسان لا يدبر كل شيء، لا يدبر إما يملك تدبيره ومع ذلك تدبيره له تدبير ناقص على حسب ما يقتضيه به الشرع؛ لو أراد أن يدبر بعيره على وجه يشق عليه، يمشها مع الوحل، يمشيها على النار وما أشبه ذلك هل يجوز؟ لا يجوز فهو ناقص؛ لو أراد أن يرسل عليه شواظا من نار يملك؟ ما يملك؛ لكن الله عزوجل يملك، يملك هذا كله، أليس كذلك؟ ولا معارض له؛ المهم أن الربوبية هي إنفراد الله بالخلق والملك والتدبير؛ ولا يعني ذلك أن لا أحد يشاركه في خلق أو ملك أو تدبير؛ لكن على وجه لا يماثل ما يثبت للخالق من ذلك؛ فالإنسان قد يخلق يقال إنه خلق، ويقال إنه ملك، ويقال إنه دبر؛ لكنه كما سمعتم ناقص . قوله: ((**ربي وربكم**)) بدأ بنفسه ليكون أول مذعن لهذا الرب عز وجل؛ لأن الرب خالق مالك مدبر؛ فبدأ بنفسه ليكون هو أول من يذعن وينقاد لهذا الرب . قال: ((**فاعبدوه**)) الفاء هنا عاطفة وتفيد السببية أيضا أي بسبب كونه ربا اعبدوه؛ ولهذا نقول: إن الإقرار بتوحيد الربوبية يستلزم الإقرار بتوحيد الألوهية وأن من أقر بتوحيد الربوبية وأنكر توحيد الألوهية فقد تناقض؛ ولذلك سفه الله المشركين الذين كانوا يقرون بتوحيد الربوبية ثم يكرون توحيد الإلاهية فيقول: ((**أنى تؤفكون**))، ((**أنى**

تصرفون))، ((**أنى يصرفون**))، وما أشبه ذلك مما يدل على أنه من السفه أن يقر الإنسان أن الله هو الخالق المالك المدبر ثم يعبد غيره؛ فنقول مثلا للمشرك: ألست تؤمن بالله ؟ سيقول: بلى؛ أنه الخالق ؟ بلى؛ أنه المالك؟ بلى؛ أنه المدبر؟ بلى؛ أنه لا خالق معه ولا مالك ولا مدبر؟ بلى أؤمن بهذه كله؛ إذا كيف تجعل معه إلها تعبده؟ ومن كان غير الله فهو معبود أو عابد؟ عابد، عابد مربوب وعبد مربوب لله عز وجل؛ فكيف تجعله معبودا مع الله؟ ولهذا قال: ((**فاعبدوه**)) فالفاء إذا عاطفة تفيد السببية أي فسبب كونه ربي وربكم اعبدوه وحده. طيب ما هي العبادة ؟ العبادة مأخوذة من الذل، عبد بمعنى ذل؛ ومنه قولهم: طريق معبد أي مذلل لسالكيه؛ فأصلها الذل؛ لكنها بالنسبة لله عز وجل ذل مقرون بمحبة وتعظيم، ذل مقرون بمحبة وتعظيم؛ فكل من تعبد لله فإن تعبده هذا مقرون بهذين الأمرين: بالمحبة والتعظيم؛ فبالمحبة يكون الطلب، وبالتعظيم يكون الهرب؛ فالإنسان إذا أحب شيئا طلبه، وإذا أظلم شيئا هابه وهرب منه وخاف منه؛ ولهذا كانت العبادة مبنية على الرجاء والخوف؛ والعبادة أحيانا تطلق على هذا المعنى، العبادة تطلق على هذا المعنى الذي ذكرنا باعتبارها مصدرا،ما هو الذي ذكرنا؟ التذلل لله مع المحبة والتعظيم؛ وتطلق أحيانا على اسم المفعول؛ أو على الشيء المتعبد به؛ وحينئذ نقول: إنها اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال الظاهرة و الباطنة؛ فالصلاة مثلا عبادة، والزكاة عبادة، والصوم عبادة، والحج عبادة، وبر الوالدين عبادة، وصلة الأرحام عبادة، وهكذا؛ فأحيانا تطلق على الفعل وأحيانا تطلق على المفعول، على الفعل فنفسرها بماذا؟ بأنها التذلل لله عز وجل حبا وتعظيما؛ وباعتبار المعمول أو المفعول اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه مما أمر به ورسوله . قال: ((**فاعبدوه هذا صراط مستقيم**)) هذا المشار إليه إما أقرب مذكور أو كل ما سبق؛ من قوله: ((**فاتقوا الله و أطيعون**)) ((**إن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا**)) أي تقوى الله وطاعة رسوله وتحقيق العبادة له صراط مستقيم أي طريق ولا يسمى الطريق صراطا إلا إذا اجتمع فيه السعة والاعتدال، السعة والاعتدال؛ لأنه مأخوذ من الصراط وهو الابتلاع بسرعة؛ وإن شئت فقل: من الزرط وهو الابتلاع بسرعة، والطريق الواسع المستقيم يبتلع سالكيه بسرعة؛ لأن الضيق لا يمشي الناس فيه إلا رويدا رويدا ببطء، وغير المستقيم لا يوصل إلى الغاية إلا ببطء سواء كان انحرافه من يمين وشمال أو من حيث الصعود والنزول؛ فإنه إذا كان صاعدا نازلا أتعب السالك وإلا لا؟ فإذا قدرنا مثلا أن جبلا طوله خمسون مترا وعرضه خمسون مترا كم يكون ما بين عرضه وعرضه الآخر ؟ صعده الإنسان صعده؛ مائة؛ لا، مائة وخمسين، عرضه خمسون وطوله خمسون في السماء ارتفاعه يصير مائة وخمسين؛ الصعود خمسون والنزول خمسون والمسطح خمسون؛ فإذا كان الصراط مستقيما في الانحرافات يمينا وشمالا وكذلك في الصعود والنزول اختصر الطريق؛ وهكذا أيضا الصراط إذا قدرنا إن الغاية تصل إليه بالطريق المستقيم في ثلاثين متر؛ وهذا فيه تعريج كل تعريجة عشرة أمتار وفيه

عشر تعاريج كم تصل إلى الغاية بمتر؟ بمائة؛ فالحاصل أن الصراط لا يكون صراطا إلا إذا كان واسعا مستقيما وهو مأخوذ من الصرط أو الزرط، والزرط تعرفون معناه عنده في الأكل نعم؟ أعطيته اللقمة والفم على الطول أيش يقول؟ زرطه نعم؟ نعم . ((**مستقيم**)) يعني لا اعوجاج فيه؛ ووصفه بالاستقامة بعد أن قلنا إن الطريق هو الواسع المستقيم الذي ليس فيه اعوجاج من باب التوكيد، من باب التوكيد كما تقول: هو رجل الرجل؛ رجل الرجل كيف رجل الرجل ؟ ويش معنى رجل الرجل؟ يعني جامع لمعاني الرجولة؛ كذلك طريق مستقيم جامع لكل معنى الطريق؛ ((**هذا صراط مستقيم**)) قال الله تعالى: ((**يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين**)) في هذه الآية من الفوائد: تعظيم شأن مريم عليها الصلاة والسلام، حيث أمر الله نبيه أن يذكر قصتها لهذه الأمة؛ لأننا قلنا: ((**إذ قالت**)) مفعول لفعل محذوف تقديره: اذكر إذ قالت . ومن فوائدها: فضيلة مريم، حيث خاطبتها الملائكة؛ لقولها: ((**إن الله اصطفاك** ...)) ومن فوائدها على ما ذهب إليه بعض أهل العلم: أن مريم نبية؛ لأن الملائكة أوحت إليها وقالت: ((**إن الله اصطفاك** ...)) ولكن في هذا الاستدلال نظر؛ لأنه ليس بصريح بأنها نبئت ومجرد الخطاب الملائكة لها لا يثبت نبوتها؛ لأن النبوة إنما هي لمن أوحي إليه بشرع لا لمن أوحي إليه بثناء، أو بتهيئته لما سيكون؛ بل من أوحي إليه بشرع وهي لم يوحى إليها بشرع؛ فالأمر ليس بصريح؛ ولدينا آية تدل على أنه لا يبعث من النساء نبي قال الله تعالى: ((**وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم من أهل القرى**)) ((**إلا رجالا**)) وإلا تفيد الحصر فتدل على أنه لا يمكن أن تكون امرأة من النساء نبية؛ وكذلك أيضا قال النبي صلى الله عليه وسلم حين بلغه أن الفرس أمروا عليهم بنت كسرى قال: (**لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة**) وإذا كان القوم لا يفلحون مع الانتخاب فإنهم هم الذين انتخبوها وولوها فكيف يمكن أن يرسل الله تعالى امرأة ليفلح الناس على يدها؛ صحيح أن امرأة تكون عالمة تكون داعية كما هو الواقع أما أن تكون نبية يوحى إليها لتتولى السلطة كما يقولون تشريعية وتنفيذية فهذا بعيد؛ فالصواب أن مريم من الصالحات القانتات وليست من الأنبياء والرسل. من فوائد الآية الكريمة: أن الله تعالى يصطفي من الناس من يشاء؛ لقوله: ((**إن الله اصطفاك**)) أي اختارك اختيارا لم يشاركها فيه أحد؛ لأنها صارت خادمة لبيت المقدس مع أنه لا يخدمه عندهم إلا الرجال؛ فهذا نوع من الاصطفاء. من فوائد الآية الكريمة: براءة مريم مما ادعاه اليهود من كونها بغيا؛ لقوله: ((**وطهرك**))

ومن فوائد الآية الكريمة: براءة مريم مما ادعاه اليهود من كونها بغية؛ لقوله: ((**وطهرك**)) واليهود قبحهم الله اعتدوا على مريم وفي ابنها؛ فقالوا في مريم إنها بغي؛ وقالوا في ابنها إنه ولد الزنا وكذبوه وقتلوه إثما لا حقيقة؛ كيف إثما لا حقيقة ؟ لأنهم أمضوا هذا الأمر الذي يظنون أنهم قتلوا بعيسى وصلبوه وقالوا: إنا قتلنا عيسى بن مريم رسول الله؛ قال الله تعالى: ((**وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم**)) فكانوا قتلة إثما لا حقيقة لأن عيسى باق إلى الآن . ومن فوائد الآية الكريمة: أن مريم مفضلة ومصطفاة على نساء العالمين؛ ولكن هل هذا يتناول نساء العالمين إلى يوم القيمة ؟ أو نساء العالمين في زمنها ؟ يحتمل معنيين؛ إما أن المراد نساء العالمين في زمنها ويكون قول الرسول عليه الصلاة والسلام: (**كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسيا امرأة فرعون ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد**) يكون هذا مما أطلع الله عليه نبيه ولم تطلع الملائكة على هذا؛ والملائكة بلغت مريم ما بلغت به . ومن فوائد الآية الكريمة: تكرار أو جواز تكرار المناقب؛ لأن أوصاف الكمال كلما كررت ظهر من كمال الموصوف ما لم يكن معلوما من قبل؛ واضح؟ طيب . ننطلق من هذه الفائدة إلى فائدة تتعلق بصفات الله عز وجل وهي: أن أكثر ما وصف الله به نفسه الصفات الثبوتية التي يثبتها لنفسه؛ أما الصفات التي ينفيها عن نفسه فوصفه بها قليل بالنسبة لوصفه بصفات الإثبات؛ لأن صفات الإثبات كمالات وصفات النفي نقائص تنفى لا لذاتها ولكن لإثبات كمال ضدها مع أنها هي منفية أيضا حقيقة . ثم قال الله عز وجل: ((**يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين**)) . من فوائد الآية الكريمة: بيان أنه كل ما من الله على إنسان بشيء كانت مطالبته بالعبادة أكثر؛ لأن الملائكة لما قالت: ((**إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين**)) أمرتها بأيش؟ بالقنوت والسجود والركوع؛ فدل هذا على أنه ينبغي للإنسان كلما ازدادت عليه نعم الله أن يزداد على ذلك شكرا بالقنوت لله والركوع والسجود وسائر العبادات . ومن فوائد الآية الكريمة: فضيلة القنوت لله؛ ولكن ما هو القنوت؟ دوام الطاعة والخشوع والاشتغال بالطاعة عما سواء؛ ولهذا لما نزلت هذه الآية: ((**حفظوا على الصلوات والصلاة والوسطى وقوموا لله قانتين**)) أمروا بالسكوت ونهوا عن الكلام ليشتغلوا بالطاعة عما سواها؛ فالقنوت دوام الطاعة مع الاشتغال بها عن غيرها . ومن فوائد الآية الكريمة أيضا: فضيلة السجود والركوع؛ لقوله: ((**واسجدي واركعي مع الراكعين**)) مع أنه من القنوت لكن لفضيلتهما نص عليهما. ومن فوائد الآية الكريمة: جواز ترك الترتيب لمصلحة أو لمراعاة شيء آخر؛ وهو قوله: ((**اسجدي واركعي**)). ولا يقول قائل: لعل الصلاة في عهدهم يقدم فيها السجود وفي هذه الشريعة يقدم فيها الركوع ؟ نقول: الأصل خلاف ذلك؛ لكن نص على السجود بدأ به لأنه أبلغ في القنوت من الركوع كما ذكرناه في أثناء التفسير. ومن فوائد الآية الكريمة: أن العباد من الرجال من العباد من النساء؛ لقوله: ((**اركعي مع**

الراكعين)) ولم يقل: مع الراكعات؛ إشارة إلى أن الكمال في الرجال وكثرة العمل في الرجال أظهر منها في النساء؛ ولهذا كانت النساء أكثر أهل النار كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم.

السائل : ماذا جاء عن الصراط يوم القيمة. . ؟

الشيخ : إلا بل، هذا في الصراط الذي يوم القيمة؛

ل السائل : ماذا سمي الصراط ؟

الشيخ : نعم يسمى الصراط لأن السالكين فيه يمضون بسرعة بعضهم مثل لمح البصر وبعضهم مثل البرق ما في أحد يعود نعم؛ مع أنه ورد عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه دحى ومزلة ؛ وهذا يدل على أنه طريق واسع كالعادة ؛ والعلماء مر علينا في التوحيد أنهم مختلفون هل هو طريق عادي أو أنه كما جاء في صحيح مسلم أظن عن أبي سعيد بلغنا (**أنه أدق من الشعر وأحد من السيف**) .

الشيخ : ويش الأصل ؟ ما الأصل؟ أيه لكن ما هو الأصل في إضافة الفعل إلى الفاعل ؟ أن يكون فعله هو أو فعله غيره ؟ خل القاعدة عندنا الأصل في إضافة الفعل إلى الفاعل لأنه قائم به هذا هو الأصل؛ وذكرنا لكم أن العلماء قالوا: إن الله خلق آدم بيده وغرس جنة عدن بيده وكتب التوراة بيده نعم.

السائل : حديث: (**ما أنزل الله من داء إلا أنزل له دواء**) هل هذا عام ؟

الشيخ : هذا عام أريد به الخاص، ما يكون بدواء داء؛ وأيضا الرسول قال: (**علمه من علمه وجهله من جهله**) فهذا مما جهله الناس، يعني ربما عند الله يكون له دواء ما ندري عنه .

السائل : ما هو سبب اختلاف الضميرين في قوله تعالى: ((**أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه**)) وقوله: ((**فتنفع فيها فتكون طيرا**)) ؟

الشيخ : اختلاف الضميرين لأنه قال: ((**والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا**))؛

السائل : يعني قصدك الطيور ؟

الشيخ : أي نعم؛ أنا ظننت أنك تقصد مريم؛ الطيور نعم اقرأ في المائدة ؟

((**وإذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوتَى بِإِذْنِي**)) وهنا قال: ((**أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله**)) فإذا حاول الإنسان وجود فرق معنوي واتضح له فهو الفرق وإن لم يوجد فإنه يكون من باب اختلاف التعبير؛ يعني لأن هيئة صالحة للتذكر والتأنيث، كهيئة الطير يعني مثل هيئة الطير ، فتنفخ فيها أي في الهيئة؛ أو تنفخ في المثل؛ فعلى تقدير أنه ينفخ في المثل يكون فيه أو ينفخ في الهيئة فيكون فيها.

السائل : شيخ أحسن الله إليك ! قوله تعالى: ((**وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم**)) لم يذكر بعدها قوله: ((**بإذن الله**)) كما في باقي الآيات فما السبب ؟

الشيخ : لأن هذا علم صفة فيه وهذا شيء متعدي إلى غيره، هذا خلق وإبرام؛ لا هذا علم كل يعرف، الذي في البيت يعلم، الذي في بيت الإنسان يعلم ما أكله وما ادخره.

السائل : هل هناك تفاضل بين السجود والركوع ؟

الشيخ : أي نعم الركوع أفضل من وجه والسجود أفضل من وجه؛ من جهة أن الساجد أقرب ما يكون لله وقد وضع أعز ما فيه على الأرض يكو السجود أفضل .

((**فلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللّهِ آمَنَّا بِاللّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ربنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُول إِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ**)).

أعوذ بالله من الشطان الرجيم. قال الله عز وجل: ((**ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ورسولا إلى بني إسرائيل**)) لأن يرسله رسولا إلى بني إسرائيل ((**أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير** ...)) في هذه الآيات من الفوائد: أن عيسى بن مريم قد جاء بالبينة من الله؛ لأن كل رسول يرسله الله إلى البشر لابد أن يأتي بآية؛ يؤخذ من قوله: ((**قد جئتكم بآية من ربكم**)) . ومن فوائدها: الإشارة إلى قبول رسالته؛ لقوله: ((**من ربكم**)) يعني فإذا كان ربكم وجب أن تكونوا له عبيدا فتقبلوا ما جاءت به رسله . ومن فوائد الآية الكريمة أيضا: قدرة الله عزوجل، قدرة الله حيث يخلق عيسى بن مريم من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله في الحال؛ بينما الأمور العادية لا يكون طيرا إلا بعد مدة بعد أن يفكث على البيضة ويترأرأ فيأتيه . ومن فوائد الآية الكريمة: أن ما فعل بأمر الله فهو حلال مباح وإن كان نظيره بدون أمر حراما؛ لقوله: ((**أخلق لكم من الطين كهيئة الطير**)) فلو أن أحدا أراد أن يصنع تمثالا من الطين كهيئة الطير؛ لكن لما كان بأمر الله صار هذا حلالا؛ ولهذا نظائر: السجود لغير الله شرك، والسجود لغير الله بأمر الله طاعة؛ ولهذا سجد الملائكة لآدم فكانوا طائعين؛ واستكبر عن ذلك إبليس فكان من الكافرين؛ قتل النفس المحرمة ولاسيما ذوي الرحم من كبائر الذنوب؛ وإذا كان بأمر الله كان مما يقرب إلى الله؛ فإبراهيم عليه السلام أمر بذبح ابنه اسماعيل فامتثل وكان امتثاله لذلك طاعة لله عزوجل؛ هكذا خلق عيسى كهيئة الطير ينفخ فيها فيكون طيرا بإذن الله هذا أيضا من الأمور التي أبيحت بأمر الله عز وجل . ومن فوائد الآية الكريمة: إطلاق وصف الخلق على المخلوق، أي أن المخلوق يكون خالق؛ لقوله: ((**أخلق لكم**)) وهذا له نظائر: قال الله تعالى: ((**فتبارك الله أحسن الخالقين**)) وقال النبي عليه الصلاة والسلام في المصورين: (**يقال لهم أحيوا ما خلقتم**)؛ لكن خلق غير الخالق جل وعلى ليس خلقا حقيقة ولكنه تغيير أو تحويل؛ فالإنسان مثلا يخلق من الطين صورة؛ لكن من الذي خلق الطين؟ الله عز وجل؛ لا يمكن أن يخلق جميع الخلق شيئا على وجه الاستغلال وإنما خلقهم للأشياء تغير صور الأشياء أو تحويلها من شيء إلى شيء أو ما أشبه ذلك . ومن فوائد الآية الكريمة: هذه المعجزة العظيمة لعيسى بن مريم وهو أنه ينفخ في هذا التمثال حتى يكون طيرا وفي قراءة طائرا والفرق ليس هناك فرقا في الواقع؛ وذلك لأن الطير قد يطير وقد لا يطير ولكنه يصير طيرا يطير بإذن الله في الحال . ومن فوائد الآية الكريمة: أن من آيات عيسى عليه الصلاة السلام أنه يبرئ الأكمه والأبرص لكن لا استقلالا بل بإذن الله، بإذن الله وإلا لا أحد يشفي من المرض أي مرض كان إلا بإذن الله عزوجل حتى الأشياء التي جعلها الله تعالى بطبيعتها شفاء للأمراض لا تشي إلا بإذن الله؛ وكم من دواء كان مفيدا ونافعا لهذا المرض المعين ثم يستعمله المريض فلا ينتفعه به

.

ومن فوائد الآية الكريمة: الآية العظيمة وهي إحياء الموتى، وهذا من آيات الله؛ وفي الآية الثانية: ((**وإذ تخرج الموتى بإذن الله**)) ففيها ففي الآيتين إحياء الموتى وإن كانوا على ظهر الأرض، وإحياء الموتى في القبور وإخراجهم من القبور إحياء، يعني إذا ضممت هذه إلى هذه استفدت فائدتين: أنه يحيي الموتى وهم على ظهر الأرض؛ ويحييهم وهم في بطن الأرض فيخرجون ((**وإذ تخرج الموتى بإذن الله**)) . وفي هذه الآية الكريمة: إثبات الحكمة لله عز وجل؛ وجهه ؟ أن الله جعل لعيسى من الآيات ما يكون مناسبا لزمنه وعصره حيث أوتي من الآيات ما يعجز عنه من كانوا محل تعظيم للناس في ذلك الوقت وهم الأطباء؛ في عهد عيسى ترقى الطب ترقيا عظيما؛ ولكن مهما ترقى الطب لم يصلوا إلى ما وصل إليه عيسى لا يبرئون الأكمه ولا الأبرص ولا يحيين الموتى ولا يخرجونها من القبور؛ لكن عيسى يأتي بهذه الآيات بإذن الله عز وجل؛ قال أهل العلم: وفي عهد موسى ترقى السحر ترقيا عظيما فكانت آياته معجزة تقهر السحرة وذلك بالعصا واليد؛ ومحمد صلى الله عليه وسلم أتى وبعث في قوم يفخرون بالبلاغة والفصاحة ويرونها هي محل التقدير والاحترام؛ فكانت آياته أن جاء بكلام يعجز عن مثله البشر في بلاغته وفي معاني وأحكامه إلى آخر وجوه الإعجاز فيا لقرآن . ومن فوائد الآية الكريمة: إثبات الإذن لله؛ الإذن لا الأذن؛ الأذن هي الجارحة أو العضو الذي يكون في الإنسان لتلقي الأصوات؛ وأما الإذن فهو الإباحة والترخيص وما أشبه ذلك؛ أما الأذن فلا يجوز أن نثبتها لله ولا أن ننفيها عنه؛ لأن الصفات توقيفية؛ والله عز وجل لم يثبت له أذنا ولم ينفي عنه الأذن، أثبت لنفسه السمع والسمع ليس بشرط أن يكون من ذي أذن فها هي الأرض تسمع وتحدث أخبارها وليس لها آذان؛ المهم أن الإذن هنا غير الأذن؛ وإذن الله عزوجل ينقسم إلى قسمين: إذن شرعي؛ وإذن كوني؛ فما تعلق بالخلق فهو إذن كوني؛ وما تعلق بالشرع فهو إذن شرعي، هذا ضابط، الإذن الكوني ما تعلق بالخلق والشرعي ما تعلق بالشرع؛ ففي قوله: ((**أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله**)) الإذن هنا شرعي وليس كونيا لأنه كونيا قد أذن الله له فيه، قد أذن الله له فيه، شرع؛ لكن لم يأذن به شرعا؛ ((**من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه**)) كوني، كوني؛ وكذلك هنا ((**فيكون طيرا بإذن الله**)) . ومن فوائد الآية الكريمة: أن الرسل عليه الصلاة والسلام لا يملكون شيئا من الربوبية؛ من أين يؤخذ؟ من تقييد فعل عيسى بإذن الله . ومن فوائد الآية الكريمة: الرد على النصارى في زعمهم أن عيسى عليه الصلاة والسلام له حق في الربوبية وكذبوا في ذلك، كذبوا في هذا؛ فعيسى عبد، عبد الله ورسوله قال لقومه: ((**وإن الله ربي وربكم فاعبدوه**)) وقال الله تعالى عنه: ((**إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني إسرائيل**)) فهو عبد لا يملك من الربوبية شيئا أبدا؛ لأن الربوبية من حق الله الخاص الذي لا يشرك فيه أحد.

ومن فوائد الآية الكريمة: أن الله تعالى أطلع نبيه عيسى بن مريم على ما يأكل قومه وما يدخرون؛ مما يخفى على غيرهم؛ لقوله: ((**وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم**)) . ومن فوائدها أيضا: إثبات الحكمة لله سبحانه وتعالى في أن الله أطلع نبيه عيسى على ذلك حتى يخاف أن يخفوا شيئا لا يرضاه الله ورسوله؛ لأنه إذا كان ينبئهم بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم معناه أنه يطلع على أسرارهم البيتية؛ وهذا يلزمهم أن لا يبيتوا شيئا لا يرضاه . ومن فوائد الآية الكريمة: أنه ينبغي التكرار في المقام الهام؛ لقوله: ((**إن في ذلك لآية لقوم**)) مع أنه قال في الأول: ((**قد جئتكم بآية من ربكم**)) وذلك لأن الأمور الهامة ينبغي تكرارها أولا من أجل أن يتبين للمخاطب أهميتها عند من؟ أن يتبين للمخاطب أهميتهما عند المتكلم وأنه ذو عناية بها؛ والثاني من أجل أن ترسخ في الذهن؛ لأنه كلما تكرر شيء ازداد رسوخا . ومن فوائد الآية الكريمة: أن الإيمان يحمل صاحبه على قبول الآيات التي جاءت بها الرسل؛ لقوله: ((**إن كنتم مؤمنين**)) وكلما كان الإنسان أقوى إيمانا كان أقوى قبولا لما جاءت به الرسل من الآيات الكونية والآيات الشرعية . من فوائد الآية الكريمة: أنه يجوز تعليق الأحكام بالأوصاف، تعليق الأحكام بالأوصاف؛ لقوله: ((**لآية لكم إن كنتم مؤمنين**)) وهذا شيء كثير؛ قد الأحكام بالأوصاف إما بالأدوات الشرط المعروفة وإما بغير ذلك؛ المهم أن تعليق الأحكام بالأوصاف سواء عن طريق الشرط أو عن طريق الصفة المعروفة في النحو أو البدل أو غير ذلك جار في القرآن والسنة . ثم قال الله تعالى: ((**ومصدقا لما بين يدي من التوراة ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله و أطيعون**)) . من فوائد الآية الكريمة: أن عيسى بن مريم قد جاء بما يصدق به التوراة؛ لقوله: ((**ومصدقا لما بين يديه**)) وقد سبق لنا أن معنى مصدقا أو أن كلمة مصدقا ذات وجهين، حدثنا عنهما ؟ ما تذكر؟ أن مصدقا كلمة ذات وجهين نعم؟ كيف ((**لما بين يدي من التوراة**)) ؟ يعني شاهد لها بالصدق هذه واحدة؛ وأنها أخبرت بعيسى؛ يعني وقعت مطابقا لما أخبرت به كذا ؟ نعم؛ إذا ((**مصدقا لما بين يديه**)) كلمة ذات وجهين؛ الوجه الأول: أنه شاهد بصدق التوراة وأنها حق؛ والثاني: أنه مطابق لما أخبرت به وإذا جاء الشيء مطابقا لما أخبر به فهذا تصديق، شهادة بصدق . ومن فوائد الآية الكريمة: جواز النسخ في الشرائع؛ لقوله: ((**ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم**)) وهذا نسخ؛ والنسخ في الشرائع ثابت منذ نوح إلى محمد صلى الله عليه وسلم؛ وأنكرت اليهود وجود النسخ وقالت لا يمكن أن ينسخ الله الحكم؛ لأن هذا يستلزم نقصا في حق الله؛ وقالوا لهم: متى وصفتم الله بالكمال ؟ . أنقصكم الله وأذلكم . ألم تقولوا إن يد الله مغلولة ؟ ألم تقولوا إن الله فقير ؟ ألم تقولوا إن الله استراح حين خلق السموات والأرض تعب؟ كيف تقولون النسخ يستلزم النقص على الله ؟ يقولون لأنه يستلزم العلم بعد الجهل كأن الله إذا نسخ الحكم الأول تبين له أن الصواب في الحكم الثاني وهذا نقص؛

فنقول لهم: نحن نرد عليكم بشريعتكم قال الله تعالى: ((**كل الطعام كان حلا لنبي إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة**)) وقال: ((**فلظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم**)) وأنتم تعتقدون أن التوراة ناسخة للكتب السابقة المنزلة على بني إسرائيل؛ وأنه يجب على كل واحد من بني إسرائيل أن يؤمن بها ويتبعها وهل هذا إلا النسخ ؟ ثم إن النسخ في الحقيقة من مقتضى الحكمة لا منافي للحكمة؛ لأن الله عز وجل يشرع الأحكام مناسبة للواقع أو ملائمة لمن شرعت له؛ فقد يكون هذا الحكم ملائما لزمن غير ملائم لزمن آخر؛ أو ملائما لقوم غير ملائم للآخرين وكون الأحكام تتبع الحكم هذا هو الكمال وليس النقص. وهنا عيسى بن مريم قال: ((**ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم**)) . ومن فوائد الآية الكريمة: جواز نسبة الحكم إلى من بلغه؛ لأنه قال: ((**أحل لكم**)) وأصل التحريم والتحليل من عند الله عزوجل؛ لكن إضافته إلى من أظهره وأبانه لا بأس بها؛ ولهذا أضاف الله القرآن إلى نفسه وإلى جبريل وإلى محمد؛ أما إلى نفسه فقال: ((**وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله**))؛ وأما إلى **جبريل فقال**: ((**إنه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين**))؛ وأما إلى محمد فقال: ((**إنه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون**))؛ لكن الكلام يضاف حقيقة إلى من قاله مبتدئا وأما من قاله مبلغا مؤديا فإنما يضاف إليه لكونه أظهره وأبانه . ومن فوائد الآية لكريمة: تكرار الأمور الهامة لقوله في المرة الثالثة: ((**وجئتكم بآية من ربكم**)) . ومن فوائدها: أن الطاعة أمر مشترك بين الرسول وبين الله عزوجل؛ وأما التقوى فهي خاصة بالله؛ لقوله: ((**فاتقوا الله و أطيعون**)) وطاعة الله هي الأصل لكن طاعة الرسول طاعة المرسل الذي أرسله . ومن فوائد الآية الكريمة: أن التقوى واجبة في كل شريعة؛ لقوله هنا: ((**فاتقوا الله**)) ولكن المتقى قد يختلف باختلاف الشرائع؛ لقوله تعالى: ((**لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا**)) يعني الذي يتقى الله به قد يختلف باختلاف الشرائع . ثم قال الله تعالى: ((**إن الله ربي وربكم هذا صراط مستقيم**)) في هذه الآية الكريمة: إثبات الربوبية لله عز وجل لكل بشر؛ أيش ؟ أن الطاعة لله ورسوله والتقوى لله فقط ؛لأنه قال: ((**فاتقوا الله**)) ولم يقل: اتقوني؛ وقال في الطاعة: ((**و أطيعون**)) وطاعة الله معلومة وجوبها معلوم في آية أخرى . ((**إن الله ربي وربكم فاعبدوه**)) من فوائدها: عموم ربوبية الله للبشر؛ لقوله: ((**ربي وربكم**)) وربوبية الله ثابتة لكل السموات والأرض ومن فيهن ((**قل لمن الأرض ومن فيها**)) ((**قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم**)) فالربوبية ربوبية الله سبحانه وتعالى لكل شيء؛ لكن عيسى قال: ((**ربي وربكم**)) ليقيم عليهم الحجة؛ لأنه إذا كان ربهم سبحانه وتعالى . فإنه يشرع فيهم وعليهم ما يشاء ولا أحد يعقب حكمه . ومن فوائدها: أن عيسى مربوب وليس ربا؛ لقوله: ((**ربي وربكم**)) . ومن فوائدها: الرد على النصارى في دعواهم أن لله ثالث ثلاثة؛

وقد كفرهم الله بذلك، فقال: ((**لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة**)) كفرهم بهذا؛ وهم بلاشك كافرون مخلدون في نار جهنم أبد الآبدين .ومن فوائد الآية الكريمة: وجوب العبادة؛ لقوله: ((**فاعبدوه**)) . ومن فوائدها أيضا: أن الإقرار بالربوبية مستلزم للإقرار بالعبودية؛ يعني أن من أقر بربوبية الله لزمه أن يقر بعبوديته؛ ولهذا قال: ((**فاعبدوه**)) فأتى بالفاء الدال على السببية؛ أي فبسبب اختصاصه بالربوبية يجب أن تخصوه بالعبادة؛ ومن ثم نجد الله سبحانه وتعالى في كتابه يقيم الحجة على المشركين الذين يقرون بربوبيته لا بألوهيته يقولون إنه منفرد بالربوبية لكن بالألوهية لا يفردون؛ يتخذون معه يا عبد الله؟ آلهة ما هو إله واحد، الآلهة؛ كل قوم لهم رب يعبدون وهذا لاشك من السفه؛ إذا كنت تعلم وتعتقد بأن الله وحده هو الرب لزمك أن تعتقد بأن وحده الإله المعبود وأنه لا إله غيره . ومن فوائد الآية الكريمة: أن الصراط المستقيم عبادة الله؛ لقوله: ((**هذا صراط مستقيم**)) ولاشك أن عهد السبل وأقومها عبادة الله؛ وعبادة الله كما يعلم هي إتباع شرعه الموصل إليه سبحانه وتعالى . ثم قال الله تعالى: ((**فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله**)) وفي قراءة: ((**من أنصاريَ إلى الله**)) لأن ياء المتكلم يجوز فيها ثلاث لغات: الفتح بناء؛ والسكون بناء؛ والحذف تخفيفا؛ فتقول: هذا غلامي؛ هذا غلاميَ ؛ هذا غلام؛ لكن تبين أنه مضاف. يقول هنا: ((**فلما أحس عيسى منهم الكفر**)) ((**أحس**)) بمعنى أدرك بحاسبته؛ وتيقن أنهم كفروا؛ مع هذه الآيات الكريمة التي يشاهدونها لم يؤمنوا . والعياذ بالله .؛ لأن الله إذا ختم على القلب لا يؤمن صاحبه أبدا ((**ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم**)) قال في الآية التي قبلها: ((**صم بكم عمي فهم لا يرجعون**))؛ وقال عز وجل: ((**إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية**)) فهم مع هذه الآيات لم يؤمنوا؛ لما أحس منهم الكفر وأدركه وتبين له لجأ إلى الاختيار وانتخاب الأكفاء فقال: ((**من أنصاري إلى الله**)) من أنصاري، يعني إذا كان الإيمان تعذر منكم جميعا فمن الذي يكون ناصرا؛ وقوله: ((**من أنصاري إلى الله**)) إلى هنا للغاية ولم يقل: من أنصاري في الله ليكون النصر مبنيا للإخلاص؛ لأن إلى للغاية فيريد أن يكون نصرا موصلا إلى الله عز وجل؛ ((**قال من أنصاري إلى الله**)) ومن هذه مبتدأ و((**أنصاري**)) خبر؛ و((**إلى الله**)) متعلق بأنصار. قال: ((**قال الحواريون نحن أنصار الله)**)) الحواريون جمع حواري بتشديد الياء وهو من الحور وهو البياض؛ وسموا حواريين لسلامة قلوبهم من أثر المعاصي؛ لأن المعاصي . نسأل الله العافية . نكت سوداء تكون في القلب كلما عصى الله الإنسان نكت في قلبه نكتة سوداء؛ فإن تاب سقط وعاد إلى الاستنارة وإن لم يتب وأحدث معصية أخرى زادت نكتة أخرى وهكذا حتى يطبع على القلب؛ فالحواريون إذا الذين أخلصوا دينهم ولم

يتلطخوا بالمعاصي . ((**قال الحواريون نحن أنصار الله**)) ((**نحن أنصار الله**)) يعني لا غيرنا؛ ووجه قولنا لا غيرنا: أن الجملة هنا مكونة من مبتداء وخبر؛ فهي جملة اسمية طرفها معرفة

((**قال الحواريون نحن أنصار الله**)) ((**نحن أنصار الله**)) يعني لا غيرنا؛ ووجه قولنا لا غيرنا: أن الجملة هنا مكونة من مبتدأ وخبر؛ فهي جملة اسمية طرفها معرفة، والجملة اسمية التي يكون طرفها معرفة تفيد الحصر؛ لكن لاشك أن إفادة الحصر ضعيف ليس كإفادة إنما أو النفي والإثبات . ((**قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله**)) ((**آمنا**)) الإيمان في اللغة أخص من التصديق؛ لأنه تصديق بإقرار؛ ولهذا عدي بالباء؛ فيقال: أمنت به؛ ولا يمكن أن نجعله بمعنى التصديق وذلك لأن الشيء إذا كان مرادفا للشيء أي بمعناه تعدى بتعديته ولزم بلزومه؛ ومعلوم أن آمن تتعدى بما لا تتعدى به صدق؛ فيقال: صدق بالخبر ولا يقال صدق له؛ ويقال: صدق زيدا ولا يقال: آمن زيدا؛ بل آمن به وآمن له؛ فلما اختلف في المتعلق وجودا وعدما علم أنهما ليسا بمعنى واحد؛ مع أن كثيرا من الذين يعرفون الإيمان في اللغة يقولون: الإيمان في اللغة أيش؟ التصديق؛ وهذا فيه نظر؛ بل هو أخص من التصديق؛ أما الإيمان في الشرع فهو التصديق؛ وإن شئت فقل: الإقرار المستلزم للقبول والإذعان؛ تصديق أو الإقرار لأيش؟ للقبول والإذعان؛ لا يكفي التصديق فقط بل لابد من قبول ما جاء به الرسول والإذعان له؛ وأنتم تعلمون أن أبا طالب كان مصدقا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويعلن ذلك على الملأ بأنه مصدق له؛ فيقول في لاميته المشهورة:

لقد علموا أن ابننا لا مكذب لدينا ولا يعنى بقول الأباطل؛

شف لا مكذب لدينا وأنه لا يعنى بقول الأباطل ولا يهتم له؛ ويقول:

ولقد علمت بأن دين محمد من خير أديان البرية دينا

وهذا تصديق لكن لم يحصل القبول والإذعان . والعياذ بالله . ما اتبع الرسول عليه الصلاة والسلام ولا أذعن له بل كان آخر كلامه أن قال: إنه على ملة عبد المطلب، على الكفر؛ فشفع له النبي عليه الصلاة والسلام لأنه أبلاء بلاء حسنا في الدفاع عن الرسول صلى الله عليه وسلم لا لأنه عمه؛ لأنه لو كان العلة الحاملة لشفاعة الرسول لشفع لأبي لهب؛ لكن العلة الحاملة على الشفاعة هو أنه أبلى بلاء حسنا في الدفاع عن الرسول صلى الله عليه وسلم كما هو معروف؛ يقول عليه الصلاة والسلام: (**فكان في ضحضاح من نار وعليه نعلان يغلي منهما دماغه**) نسأل الله العافية اللهم أنجنا منا النار. قال: (ولو لا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار) الشاهد أن الرسل عليهم الصلاة والسلام إنما يدعون إلى أي شيء؟ إلى صراط الله ((**من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون**)) وأما الإيمان لا يكون إلا بالتصديق المستلزم للقبول ويش بعد؟

والإذعان؛ أما بدون قبول ولا إذعان فليس بإيمان شرعا . ((**قالوا آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون**)) أشهدوا نبيهم عليه الصلاة والسلام على إسلامهم مع أنه شهيد عليهم سواء استهدوا أم لم يستشهدوه كما قال الله تعالى: ((**لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا**)) فكل رسول فهو شهيد على أمته؛ بأن الله تعالى أرسله إليهم وأنه بلغهم رسالة؛ فقوله: ((**واشهد بأنا مسلمون**)) من باب التوكيد وإعلان الإسلام . ثم قالوا: ((**ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول**)) هذا أيضا من قولهم . رضي الله عنهم . ((**ربنا آمنا بما أنزلت**)) وهو الإنجيل الذي جاء به عيسى عليه الصلاة والسلام؛ ((**واتبعنا الرسول**)) أل هنا في الرسول للعهد الذهني وهو عيسى عليه الصلاة والسلام؛ لأنه لا رسول لهؤلاء القوم من بني إسرائيل إلا عيسى؛ فالذي عين أن المراد بالرسول عيسى هو العهد الذهني الذي كان معلوما عندهم؛ ويحتمل أن يراد بالرسول الجنس أي واتبعنا كل من كان رسولا من عندك؛ فيكون هذا إقرارا بأنهم آمنوا بجميع الرسل وذلك أنه يجب على كل أمة متأخرة أن تؤمن بجميع الرسل السابقة؛ فنحن مثلا آخر الأمم يجب علينا أن نؤمن بجميع الرسل ((**آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله**)) في أصل الإيمان وإن كنا نفرق بين الرسل من جهة الإتباع فإننا لا تنبع إلا محمدا صلى الله عليه وسلم وما أذن لنا فيه من شرع من سبق؛ أما الإيمان فيجب الإيمان بجميعهم.

الشيخ : لا في بعض المواقع، في النداء مت ، في غير النداء أحيانا تقع وأحيانا لا تقع.

الشيخ : ما تقولون في هذا؟ الإشكال يقول: كيف إن الله تعالى قال لعبد الله بن حرام رضي الله عنه: (**إني قضيت أنهم إليه لا يرجعون**) وهنا ذكر الله أنه أحيا الموتى لعيسى ؟

الشيخ : فالجواب ؟ لا مانع لله أن يخصص من يشاء؛ لكن يشكل على هذا أنه قال: (**إني قضيت أنهم إليهم لا يرجعون**) والقضاء والقدر ما يمكن . . ؟

السائل : شيخ يمكن يحيي ويموت ويرجع إليه ؟

الشيخ : يعني يعود حيا ويعود ميتا؛

السائل : ذلك شرع من قبلنا؛

الشيخ : لا، هذا قضاء الله عام.

الظاهر الله أعلم أن يقال: إن عبد الله بن حرام طلب الرجوع من أجل العمل وأما ما وقع آية لعيسى فليسوا يرجعون على أنهم يعملون؛ على أن مثلا فيها أيضا نظر من جهة لأن الله تعالى لما أخذت الصاعقة أصحاب موسى الذين كانوا معه دعا الله عز وجل فبعثهم من بعد موتهم وبقوا وعملوا، بقوا وعملوا؛ فيكون المراد إذا لم يكن هناك مثل أن تكون آية فهذا لا مانع؛ أما مثل عبد الله بن حرام فليس هناك سبب . قال الله عز وجل: ((**إن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله**)) عبر بـ((**أحس**)) دون قوله: علم؛ لماذا؟ أيش؟ أدرك وتيقن فصار الأمر عنده محسوسا . قوله: ((**قال الحواريون نحن أنصار الله**)) من الحواريون ؟ هم اصطفوا من قومه؛ من أين اشتقت هذه الكلمة ؟ لا، الحواري قوله: ((**الحواريون**))؟ جمال أيش؟ جمالها صفائها؟ طيب. في هذه الآية دليل على أن النصارى مسلمون ((**قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون**)) فماذا تقولون هل هذا الاستنباط صحيح؟ نقول: المسلمون بمعنى العام؛ وذلك أن كل إنسان متبع لرسول شرعه قائم فهو مسلم، كل إنسان متبع لرسول شرعه قائم فهو مسلم؛ عرفتم؟ فأما ما وجد ما ينسخه فمن بقي على الدين الأول فهو كافر إذا كان الرسول مرسلا إليه؛ واضح؟ وبناء على ذلك فإنه لا مسلم بعد بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم إلا من اتبعه فقط ومن سواه فهو كافر؛ وعلى فالنصارى كفار واليهود كفار من أهل النار؛ ومن قال: إنهم مسلمون بالمعنى الخاص الذي يدخلهم به الجنة اليوم فهو كافر؛ لأنه مكذب لقول الله تعالى: ((**ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه**))، ولقوله: ((**إن الدين عند الله الإسلام**)) . نأخذ فوائد الآية ؟ . من فوائد هذه الآيات: عتو بني إسرائيل، وأنهم مع هذه الآيات العظيمة التي جاء بها عيسى لم يؤمن منهم أحد؛ لقوله: ((**فلما أحس عيسى منهم الكفر**)) . ومن فوائدها أيضا: أنه إذا اشتبه الأمر فينبغي أن يداعي الداعية بالإخلاص فيقول من المخلص؟ أي أن ينتدب الصفوة من القوم؛ لقوله: ((**قال من أنصاري إلى الله**)) فهو لما رأى أن القوم تمردوا و الكفر وظهر انتدب من يرى أنه من صفوته . ومن فوائد الآية الكريمة: أن الرسل صلى الله عليهم وسلم دعوتهم إلى الله لا لأنفسهم؛ لقوله: ((**من أنصاري إلى الله**)) . ومن فوائد الآية الكريمة أيضا: أن الرسل محتاجون لمن ينصرهم؛ لقوله: ((**من أنصارى**)) وقال تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم: ((**هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين**)) . ومن فوائد الآية الكريمة: فضيلة الحواريين رضي الله عنهم، حيث أعلنوا أنهم أنصار الله مع كفر قومهم؛ لقوله: ((**قال الحواريون نحن أنصار الله**))؛ وهكذا ينبغي للإنسان أن يعلن إتباعه للرسول بين أئمة الكفر حتى لا يداهن في دين الله؛ لأن المداهنة في دين الله والتقية نفاق في الواقع، نفاق؛ بل يجب على الإنسان أن يكون صريحا في دين الله؛ وقد سبق لنا الفرق بين المداهنة والمداراة؛ المداهنة أن يقرهم على ما هم عليه من الباطل؛ والمداراة أن ينكر عليهم ولكن

يداريهم لئلا يمنعه من الحق . ((**فلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللّهِ آمَنَّا بِاللّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ربَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيمة ثم إلي مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ وأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الظالمين ذلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ**)). أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. سبق لنا الكلام على بعض الآيات التي قرأها ((**فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون**)) نعم ؟ الآية هذه فقط ؟ ((**ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين**)) الذي يقول هذا الحواريون، يقولون: ((**ربنا آمنا بما أنزلت**)) ولا يخفى الإعراب في هذه الآية؛ فإن قوله: ((**ربنا**)) منادى حذفت منه ياء النداء لسببين: سبب الأول كثرة الاستعمال هذا الاسم الكريم في الدعاء؛ والثاني: التبرك بالبداءة باسم الله عز وجل؛ لأن الرب من أسماء الله؛ وقوله: ((**بما أنزلت**)) فيها عائدة محذوف يعود على الموصوف، والتقدير: بما أنزلته؛ وقوله: ((**واتبعنا الرسول**)) أل هنا للعهد، الذكري أو الذهني ؟ طيب هم ما هو قالوا ((**ورسولا إلى بني إسرائيل**))؟ طيب إذا الذكري لأنه سبق؛ وقوله: ((**اكتبنا مع الشاهدين**)) مع هنا للمصاحبة، والمصاحبة لا تقتضي المخالطة أو الموافقة بالزمن؛ فقد تكون المصاحبة مع قوم سبقونا؛ لكن في النهاية يكونون معنا؛ هؤلاء الحواريون لما أعلنوا إسلامهم وأشهدوا على ذلك نبيهم توجهوا إلى الله عز وجل بالإقرار التام فقالوا: ((**ربنا آمنا بما أنزلت**)) والإيمان في اللغة التصديق المتضمن للقبول والإذعان وليس مجرد التصديق؛ بل يتضمن انقيادا وإذعانا؛ ولهذا لا يكون موافقا للتصديق في التعدي واللزوم فيقال: آمنت به وصدقت به ويقال: آمنت له وصدقت له؛ لكن لا يقال: آمنته كما يقال صدقته؛ فافترقت؛ يقول آمنا والمراد بالإيمان هنا كل ما جاء في القرآن؛ فالمراد به الإيمان في الحقيقة الشرعية لا في الحقيقة اللغوية؛ والإيمان في الحقيقة الشرعية: التصديق بما أوجب الله الإيمان به مع القبول والإذعان مع الانقياد التام؛ ولهذا لو أن أحدا قال: آمنت بالله لكن لم يذعن له ولم ينقد ما صار المؤمن شرعا . وقولهم: ((**بما أنزلت**)) ما هنا اسم الموصول تعم كلما ؛ والظاهر أنها تشمل الإنجيل الذي أنزل على عيسى وما قبله وهي التوراة التي أنزلت على موسى؛ بل أعم من ذلك تتناول كلما أخبرهم به نبيهم مما أنزل الله . وقولهم: ((**واتبعنا الرسول**)) هذا في الحقيقة هو ثمرة الإيمان، الإتباع؛ وكلما صار الإنسان أقوى إيمانا كان أشد إتباعا لمن آمن به؛ وكلما قل الإيمان قل الإتباع؛ ويصح أن نقول: كلما قل الإتباع

قل الإيمان ؟ أو نقول: كان علامة، علامة على نقص الإيمان؛ لأن الإيمان حقا لابد أن يطلب الإنسان الوصول إلى ما آمن به؛ وهذا يقتضي أن الجد كل الجد في العمل الذي يوصله. وقوله: ((**فاكتبنا مع الشاهدين**)) الشاهدين من؟ قال بعض العلماء: المراد بالشاهدين أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم؛ لأن الشهادة المطلقة ليست إلا لهم؛ لأنهم آخر الأمم فهم شهداء على جميع الرسل وعلى جميع الأمم؛ والشهداء الذين كانوا من قبلهم ليسوا شهداء إلا على من سبقهم فقط؛ لكن الشهادة المطلقة العامة لمن؟ لأمة محمد صلى الله عليه وسلم كما قال الله تعالى: ((**وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس**))؛ فقوله: ((**اكتبنا مع الشاهدين**)) يعني اكتبنا مع أمة محمد صلى الله عليه وسلم. فإن قال قائل: يرد على هذا التفسير أنهم سبقوا أمة محمد فكيف يطلبون أن يكتبوا معهم ؟ الجواب عن ذلك أن نقول: إن عيسى عليه الصلاة والسلام قد بشرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فقال: ((**يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدق لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد**)) فكان عندهم علم في هذه الأمة بواسطة البشارة التي ألقاها إليهم عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام . والقول الثاني: أن المراد بالشاهدين الذين شهدوا لرسلك بالحق؛ وهذا يتناول من؟ سبقوا، يتناول من سبقهم بلا شك، ويتناول أمة محمد إن كان ذلك بعد أن أخبرهم بذلك وبشرهم بهذا؛ وهذا القول الثاني أعم من القول الأول وأقل إشكالا منه؛ المهم أن القول الصحيح هو كل من شهد للرسل بالحق . طيب في هذه الآية من الفوائد، في الآية التي قبلها وهذه؛ في الآية الأولى أيضا: أن إشهاد الإنسان على نفسه بالإيمان أو بالإسلام أو ما أشبه ذلك لا يعد من الربا، لاسيما في مقام الإتباع؛ لأن في ذلك فائدة وهي تقوية المتبوع إذا قال: اشهد بأني مسلم أو مؤمن أو ممن اتبعك أو ما أشبه ذلك لاشك أن فيه فائدة وهي تقوية المتبوع؛ ولا يعد هذا من الرياء . من فوائد الآية الكريمة: أن الرسل لا يعلمون الغيب؛ لقولهم: ((**واشهد بأنا مسلمون**)) إذ لو كان عنده علم من ذلك ما احتاج إلى الإشهاد اللهم إلا على سبيل إقرارهم الظاهرية . وهل يؤخذ من الآية الكريمة جواز قول الإنسان أنا مؤمن لقولهم: ((**اشهد بأنا مسلمون**))؟ ربما يؤخذ جواز قول الإنسان أنا مؤمن؛ ولاشك أن هذا جائز؛ ولكن الذي وقع فيه الخلاف بين أهل العلم هل يجوز أن يستثني في الإيمان فيقول: أنا مؤمن إن شاء الله هل يجوز هذا؟ طيب في هذا خلاف بين العلماء منهم من قال: إنه لا يجوز، ومنهم من قال: إنه يجب، ومنهم من قال: إنه يجوز باعتبارين؛ أما الذين قالوا: إنه لا يجوز فقالوا: إن هذا الاستثناء يوحي بالشك، أنه شاك وإلا كيف يقول إن شاء الله؟ فمادام الإيمان قد وقر في قلبه لا يقل إن شاء الله؛ ثم قال مؤيدين لتعليلهم: أرأيت لو صلى شخص فقيل له: أصليت؟ قال: إن شاء الله؛ ذلك قريبا من اللهو؛ لو قيل له: لبثت ثوبك؟ قال: لبثت إن شاء الله وهو عليه؛ هذا لغو، لغو من القول؛ فإذا كان

جازم بإيمانه فلماذا يقول: إن شاء الله ؟ فالاستثناء على هذا حرام لأنه يؤذن بالشك وإن لم يكن فهو لغو من القول؛ والقول الثاني: أنه يجب أن يقول: إن شاء الله، يجب وجوبا؛ فلو قال: أنا مؤمن وسكت كان ذلك حراما عليه؛ وعللوا لذلك بأمرين؛ أحدهما: أن الإيمان النافع هو الذي يموت عليه ما مات عليه الإنسان؛ والإنسان هل يدري أو لا يدري؟ لا يدري، لا يدري ماذا يموت عليه . اللم ثبتنا على الحق إلى الممات . فهو لا يدري؛ كم من إنسان زاغ قلبه . والعياذ بالله . كما قال النبي عليه الصلاة والسلام: (**إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها**) وإذا كان الأمر كذلك وجب أن يقول: إن شاء الله وجوبا؛ هذا وجه، الوجه الثاني: يقول هذا ليس صحيح هذا الوجه ليس بصحيح ليس بعلة؛ لأن الإنسان إنما يتكلم عن حاضره، وحاضره يعلم أنه مؤمن أو لا؟ يعلم أنه مؤمن والمستقبل علمه عند الله؛ نعم لو قال: سأموت على الإيمان قلنا له: قل إن شاء الله؛ لكن المأخذ الصحيح أنه إذا قال: أنا مؤمن وجزم فإن في ذلك نوعا من تزكية النفس، في هذا من تزكية النفس؛ وقد قال الله تعالى: ((**فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى**))؛ ولهذا نقول له مقتضى جزمك بالإيمان أنك جازم بأنك من أهل الجنة؛ فشهدت لنفسك أنك من أهل الجنة ولا يشهد بالجنة لأحد بعينه إلا من شهد له الرسول صلى الله عليه وسلم؛ وحينئذ لابد أن تقول: إن شاء الله؛ ما هو من أجل أنك ما تدري ماذا تموت عليه ولكن من أجل أن لا نزكي نفسك فيلزم من تزكيتك إياها أن تشهد لها بالجنة وهذا ممنوع؛ وفصل بعض العلماء في هذه المسألة فقال: قد يكون الاستثناء حراما، وقد يكون واجبا، وقد يكون جائزا، اعتبارات؛ فإذا كان الإنسان يقول: أنا مؤمن إن شاء الله كان بمشيئة الله؛ فهذا جائز، فإذا قال: أنا ما قلت إن شاء الله شكا ولا تزكية ولكن قلت: إن شاء الله يعني أن إيماني واقع بمشيئة الله، أو قلتها تبركا؛ نقول: الاستثناء هنا جائز، إن شئت فقل إن شاء الله وإن شئت فلا تقل. الاستثناء في المشيئة في الأمر الواقع جائز، جائز شرعا قال الله تعالى: ((**لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله**)) فقال: إن شاء الله مع أنهم سيدخلونه؛ كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب: (**إنك آتيه ومطوف به**) في صلح الحديبية؛ تعرفون القصة ؟ القصة لما حصل ما حصل من الصلح بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وقريش ومن جملة بنود الصلح أن يرجع النبي عليه الصلاة والسلام ولا يكمل عمرته، جاءه عمر رضي الله عنه يراجع في هذا الأمر؛ فقال: ألست تحدثنا أنا نأتي البيت ونطوف به؟ قال: بلى؛ ولكن هل أنا قلت إنك تأتيه هذا العام ؟ قال: لا؛ قال: إنك آتيه ومطوف البيت . اللهم صل وسلم عليه . نعم مع أن الله قال: إن شاء الله؛ وفي زيارة المقابر ويقول: (**وإنا إن شاء الله بم لاحقون**) مع أن لحوقنا بهم مؤكد؛ لكن هذا من باب بيان أن لحوقنا بهم مقرون بأيش؟ بمشيئة الله .

طيب وإن كان الحامل على الاستثناء شك وجب أن يستثنى، أو حرم ؟ حرم أن يستثنى؛ إذا قال: إن شاء الله لأنه متردد فهذا حرام؛ لأن الشك في الإيمان منافي للإيمان إذ أن الإيمان لابد أن يكون جزما؛ ولكن احذروا أيها الإخوة أن يتلاعب الشيطان بكم في مسألة الوساوس، الوساوس التي كثر الشاكون فيها فيما من الله عليهم من الأثبات، لما أقبل الشباب الآن صار الشيطان يأتيهم بالوساوس، بالشكوك لأجل أن يخلخل إيمانه؛ لكن هذا والحمد لله كيد كائد لمن كاد به كما جاء في الحديث: (**الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة**) وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن هذا صريح الإيمان، هذا صريح الإيمان أن يخالصه الذي ليس فيه شبهة وإلا الشيطان يأتي من جملة ما يوسوس به ما أخبر به الرسول عليه الصلاة والسلام: (**لا يزال الناس يتساءلون من خلق كذا ومن خلق كذا حتى يقولون من خلق الله فإذا بلغوا ذلك فليستعذ بالله ولينتهي**) قل أعوذ بالله وانتهي اعرض امش بشغلك لا تلتفت إلى هذا؛ فالمهم أن الإنسان إذا قال: إن شاء الله كأنه إذا كان الحامل له على قول إنشاء الله شك كان الاستثناء حراما يحرم أن يقول إن شاء الله لوجوب اليقين . ثالثا: إذا كان الإنسان يخشى من تزكية نفسه إذا قال: إن شاء الله؛ أو يخشى أن يوكل إلى نفسه إن ظهر فيه الإعجاب؛ لأن الإنسان . أعوذ بالله . إذا أعجب بعمله وكل إلى نفسه ونزعت بركته؛ فإذا كان يخشى من ذلك كان الاستثناء واجبا؛ كيف ؟ كان الاستثناء حراما؟ واجبا، واجبا؛ طيب ألسنا قلنا قبل قليل: إذا كان الحامل ما هو على ذلك شك فهو حرام؟ هذا عكس، يكو الاستثناء واجبا، واجبا لأيش؟ لئلا يزكي نفسه أو يعجب بنفسه وأنه مؤمن كما يقول الشاعر:

أنا ابن جلا وطلعوا السنايا متى أضع العمامة تعرفوني

هذا القول الذي ذكرنا أو هذا التفسير الذي ذكرناه هو القول الصحيح؛ وإذا تأملت تعليلات القولين السابقين وجدت أن هذا القول أو هذا التفسير يجمع بين الأقوال؛ قال: ((**واشهد بأننا مسلمون**)) . ثم قال الله عز وجل: ((**ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين**)) . من فوائد هذه الآية: فضيلة الحواريين في لجوءهم إلى الله عز وجل، حيث قالوا: ((**ربنا آمنا بما أنزلت**)) فإنه بعد أن أشهدوا نبيهم لجئوا إلى ربهم عز وجل . ومن فوائد الآية: التوسل إلى الله تعالى بربوبيته؛ لأن الربوبية تدور على ثلاثة أشياء وهي: الخلق والملك والتدبير؛ وإجابة الدعاء داخل في هذه الثلاثة؛ فلذلك كان كثيرا ما يتوسل الدعاة، دعاة الله بالربوبية كما جاء في الحديث الصحيح: (**يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب**) . ومن فوائد الآية الكريمة: أنه يجب أن يكون الإيمان شاملا لكل ما أنزل الله؛ ((**ربنا آمنا بما أنزلت**)) . ومن فوائدها أيضا: حسن الاحتراز في قول الحواريين؛ ((**بما أنزلت**)) ولم يطلقوا الإيمان مثلا بالتوراة؛ لأن التوراة التي بيد اليهود محرفة مبدلة يبدون شيئا ويخفون أشياء

فلهذا قالوا: ((**بما أنزلت**))؛ ونحن نقول: آمنا بما أنزل الله من التوراة والإنجيل لا بالتوراة المحرفة التي بين أيدي اليهود ولا بالإنجيل المحرف الذي بأيدي النصارى . ومن فوائد الآية الكريمة: أن الإيمان لابد له من إتباع؛ لقوله: ((**واتبعنا الرسول**))؛ ولهذا يقرن الله عز وجل، يقرن الله بين الإيمان والعمل الصالح في آيات كثيرة لأن الإيمان المجرد لا ينفع؛ العمل الصالح بمنزلة سقي الشجرة إن لم تسقها ماتت؛ ولهذا ينبغي لنا عندما نتكلم على الإسلام أن لا نحاول أن نجعل الإسلام عقيدة فحسب؛ بل هو عقيدة وعمل، العقيدة لا تكفي؛ لأن العقيدة الآن كل يدعي أنه معتقد، اليهود والنصارى يقولون نحن نؤمن بالله واليوم الآخر، الآن يقولون نؤمن بالله وباليوم الآخر، نؤمن بأن هناك ربا مدبرا للخلق وأنه عز وجل خالق ونؤمن بالله؛ ولكن هذا ليس بإيمان وإن كان عندهم هذه العقيدة، هذه عقيدة فاسدة فلابد من قرن العقيدة بالعمل الصالح حتى لا يتكل الناس على ما عندهم من العقيدة ويقول ما حاجة إلى العمل؛ ولهذا قال: ((**آمنا**)) ويش بعد؟ ((**واتبعنا الرسول**)) ((**واتبعنا الرسول**)) لابد من هذا؛ وتأمل قوله: ((**آمنا**)) ((**واتبعنا الرسول**)) هل يؤخذ منها وجوب الإيمان بكل ما أنزل الله من كتاب وأما الإتباع فيكون للرسول الخاص ؟ نعم، يمكن هذا؟ لأنهم قالوا: ((**آمنا بما أنزلت**)) عام؛ ((**واتبعنا الرسول**)) خاص وهو كذلك؛ فالإيمان واجب بجميع ما أنزل الله ((**وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم**)) ولكن الإتباع خاص بالرسول الذي أرسل إليك؛ أما الرسول الذي لم يرسل إليك فلست مأمورا بإتباعه إلا إن دلت شريعتك على إتباعه . ومن فوائد الآية الكريمة: أنه إذا كان هناك وصفان وكان أحد الوصفين أخص من الآخر بالعمل أو بالحال التي أنت فيها فإن الأولى أن تأخذ بالأخص؛ لقوله: ((**الرسول**)) لأن الرسول مرسل إلينا ولم يقولوا: بالنبي، واتبعنا النبي، ((**واتبعنا الرسول**)) لأن الرسول مرسل إلينا مبعوث؛ لكن النبي لا يؤمر بالتبليغ على قول جمهور العلماء؛ وهنا الإتباع أيهما ألسق به الرسالة أو النبوة ؟ الرسالة، فلهذا اختاروا وصف الرسول. فإن قال قائل: في حديث البراء بن عازب في ذكر النوم لما قرأ النبي صلى الله عليه ذكر النوم الذي يكون آخر يكون الإنسان قال، من جملة ما قال: (**آمنت بكتابك الذي أنزلت وبنبيك الذي أرسلت**) فلما أعادها البراء قال: (**وبرسولك الذي أرسلت؛ فقال: قل وبنبيك الذي أرسلت**) ومعلوم أن المقام مقام الإتباع، المقام مقام إتباع فلماذا قال لما قال: ورسولك الذي أرسلت والرسالة تتضمن النبوة؟ قال: قل ونبيك ؟ فالجواب على هذا من وجهين؛ الوجه الأول: أن دلالة الرسالة على النبوة من باب دلالة الالتزام؛ ودلالة النبوة على النبوة من باب دلالة المطابقة، ودلالة المطابقة أقوى بلا شك؛ لأن دلالة التزام قد يمانع فيها الخصم، قد يقول هذا ليس بلازم؛ فلهذا اختار وصف النبوة مع أن الرسالة جاءت بعده (**الذي أرسلت**)

وجهين؛ الوجه الأول: أن دلالة الرسالة على النبوة من باب دلالة الالتزام؛ ودلالة النبوة على النبوة من باب دلالة المطابقة، ودلالة المطابقة أقوى بلاشك؛ لأن دلالة التزام قد يمانع فيها الخصم، قد يقول هذا ليس بلازم؛ فلهذا اختار وصف النبوة مع أن الرسالة جاءت بعده ((**الذي أرسلت**)) واضح يا جماعة وإلا غير واضح؟ واضح؛ لو قال: رسولك الذي أرسلت يدل على النبوة بأي طريق؟ بطريق الالتزام لأن كل رسول نبي؛ لكن إذا قال: بنبيك الذي أرسلت دل على النبوة بطريق المطابقة؛ لأنه صرح بلفظه؛ ومعلوم أن الدلالة بالمطابقة أقوى من الدلالة بالالتزام لجواز منع الملازمة . الوجه الثاني: أنه إذا قال: برسولك الذي أرسلت لم يكن وصفا مخصصا لمحمد صلى الله عليه وسلم؛ إذ قد يراد بذلك جبريل مثلا، جبريل رسول مرسل كما قال تعالى: ((**إنه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين**)) فجبريل مرسل فلو قال: برسولك الذي أرسلت لم يحدد أن هذا الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم؛ أما بنبيك الذي أرسلت تحدد الوصف بمن؟ بالرسول بمحمد صلى الله عليه وسلم لأن جبريل لا يسمى نبيا وإنما يسمى رسولا؛ وبهذا يزول الإشكال الذي أشرنا إليه وهو أنه ينبغي أن يذكر الوصف المطابق للحال التي عليه المتكلم لأن الحديث حديث براء اختير فيه النبوة على الرسالة من أجل هذين الوجهين . من فوائد الآية الكريمة: الحرص على صحبة الأخيار؛ من أين نأخذها؟ ((**اكتبنا مع الشاهدين**)) ولاشك أن صحبة الأخيار خير حتى إن الرسول صلى الله عليه وسلم مثلها بحامل المسك قال: (**مثل الجليس الصالح كحامل المسك إما أن يبيعك أو يحذيك . يعني يعطيك مجانا هبة . أو تجد منه رائحة طيبة**) كل هذا طيب؛ والجليس السوء كنافخ الكير؛ تعرفون نافخ الكير ؟ والله الظاهر ما تعرفون كلكم ؟ ولهذا يحسن أن تذهبوا إلى سوق الصناع في الرياض من أجل أن تشاهدوا الكير؛ لأني أظن ما عندنا هنا شيء؛ على كل حال الكير هو العبارة عن جلد مثل الغرب؛ كيف ؟ طيب الغرب يعني الذي يكون دلوا للبعير يرفع به الماء وهذا موجود قبل سنة سنتين وضعوه سواني أي نعم هذا الغرب؛ المهم أنه مثل الغرب فيه طرف مفتوح وفيه طرف متصل بأنبوب يتصل بمكان الضوء، مكان النار فيفتح كذا ثم يضمه ثم يدفعه؛ إذا دفعه يكون قد حمل هواء عن طريق هذا الأنبوب . هذا الأنبوب قلنا يأتي إلى محل النار . تلتهب النار، تلتهب بشدة؛ وغالبا يكون اثنين واحد هنا على يمين الرجل واحد على اليسار ويكون هكذا ويكون الضوء دائما تلتهب؛ نافخ الكير يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (**إما أن يخرق ثيابك وإما أن تجد منه رائحة كريهة**) يحرق ثيابك متى؟ إذا طار عليك شرر من هذا أو ن تجد رائحة كريهة؛ ولهذا ينبغي الإنسان أن يختار من الجلساء أصلحهم لأن الجليس الصالح كله خير وجليس السوء شر؛ فاختر الجلساء الصالحين؛ وإذا غبنت بأحد ثم جلست معهم مرة بعد أخرى وتبين أنهم لا يعينونك على طاعة ولا يمنعونك من معصية فلتمس خيرا منها؛ لأن الإنسان أحيانا يتصل بناس أصدقا، يتصل بناس أصدقاء

يقترب بهم مثلا؛ فإذا بهم لا يفيدونه بل يضرونه؛ ولهذا ينبغي أن تكون مجالس الإنسان آمرة بالبحث النافع بالأسئلة نعم في أيراد الأسئلة التي تفتح الذهن؛ لا أن يكون شغل الإنسان الشاغل أو في المجالس قال فلان وقال فلان وين راح فلان وين جاء فلان، فلان أخطأ في كذا وفلان أصاب في كذا، فلان عنده معرفة وفلان ما عنده معرفة، فلان طويل وفلان قصير نعم؟ فلان غني وفلان فقير؛ ما هو صحيح هذا، هذه إضاعة وقت وربما تكون فيه غيبة فتكون ضررا، (**وما من قوم يجلسون مجلسا لا يذكرون الله فيه إلا كان عليهم حسرة يوم القيمة**) لأنه فاتهم الخير .

السائل : قوله تعالى: ((**اكتبنا مع الشاهدين**)) قلنا كل من شاهد بالرسل بالحق فيدخل في هذا بعض الكفار الذين شاهدوا لبعض الأنبياء بالحق مثل أبو طالب ؟

الشيخ : لو كانوا شاهدوا له حقا لاتبع؛ أي لكن شاهد له بالحق ؟ ما شهد شهادة نافعة .

السائل : شيخ أحسن الله إليك؛ فرقنا بين الرسول والنبي، الرسول من يوحي إليه وأمر بالتبليغ والنبي من أوحي إليه ولم يؤمر بالتبليغ؛ قوله صلى الله عليه وسلم في صحيح مسلم: (**ما من نبي إلا كان عليه حقا أن يبين أمته خير ما بين له و** ...) فدل ذلك على أن النبي كذلك يبين لأمته ما يبين الرسول؛ أما يدل هذا الحديث بأنه لا فرق بين النبي والرسول ؟

الشيخ : لا؛ ما يدل؛ لأن هذا الحديث إن قلنا: إنه بين بأمر الله فهو رسول وإن قلنا: تطوعا من غير أن يلزم بذلك لكن لمحبة الخير بين فهو نبي؛ مع أن المراد بهذا الحديث الذي ذكرته النبي الذي هو الرسول؛ ولهذا يذكر الله كثيرا النبيين دون الرسل ويذكر الرسل دون النبيين ((**ولقد فضلنا بعض النبيين وعلى بعض**)) وفي آية أخرى: ((**تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض**)) .

السائل : دلالة النبي على النبوة مطابقة وإلا ؟

الشيخ : مطابقة ؛ بدون .

السائل : أحسن الله إليك ؛ قلنا في تفسير قوله تعالى: ((**حواريون**)) إنها من الحور وهو شديد البياض، فالحواريون قلوبهم بيضاء لم تدنس بالمعاصي لكن الآية التي ستأتي ((**ومكروا ومكر الله**))

الشيخ : أي نعم يأتينا بالذين مكروا هم غير الحواريين .

((**ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلى ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيمة ثم إلي مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون فأما الذين كفروا فأعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم والله لا يحب الظالمين ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم**)) . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. قال الله تعالى: ((**ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين**)) ((**مكروا**)) الضمير يعود على الذين كفروا بعيسى؛ والمكر هو أن يتوصل إلى الانتقام من خصمه بأسباب غير متوقع يعني بأسباب خفية، ينتقم من خصمه والمضاد له بأسباب خفية؛ ويشبهه الخداع، يشبهه الخداع؛ فإن الإنسان يتوصل إلى أن ينتقم من خصمه من حيث لا يشعر بأسباب خفية؛ وقوله: ((**ومكروا ومكر الله**)) يعني أن الله سبحانه وتعالى مكر بهم حينما مكروا بعيسى ((**والله خير الماكرين**)) يعني أقواهم في المكر وأشدهم وأعلمهم بالأسباب التي تحيط بأعدائه . فإذا قال قائل: ما الذي دلنا على أن الضمير في قوله: ((**مكروا**)) يعود على الذين كفروا بعيسى؟ فالجواب على هذا سهل؛ لأن قوله: ((**ومكروا ومكر الله**)) لا يصدر من قوم قالوا: ((**آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون**)) وقالوا: ((**ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول**)) لا يمكن هذا؛ بل لا يصدر إلا من قوم كفروا وهو قوله: ((**فلما أحس عيسى منهم الكفر**)) . فإن قيل: ما هذا المكر الذي مكروه ؟ فالجواب على هذا أنهم مكروا بعيسى حيث تمالئوا عن قتله فأنجاه الله منه؛ ومكر بهم فجعل شبهه في رجل إما منهم . من الذين جاءوا لقتله .؛ وإما من أصحاب عيسى، ألقى الله شبهه على واحد منهم فقتل؛ المهم أن هؤلاء تمالئوا على القتل وجاءوا إلى عيسى عليه الصلاة والسلام فدخلوا عليه لم يشعروه أنهم يريدون قتله لأن لا يستنجد بأحد أو يدافع عن نفسه وما أشبهه؛ ولكن الله عز وجل ألقى شبهه على واحد منهم؛ أو على واحد من أصحابه الحواريين؛ في هذا قولان لأخل العلم؛ منهم من قال: إن الله ألقى شبهه على واحد منهم وهو زعيمهم، جعل الله شبهه على واحد منهم وهو زعيمهم جعل الله شبه عيسى في هذا الرجل فلما أرادوا أن يقتلوه قال: أنا صاحبكم؛ قالوا: كذبت لست صاحبنا بل أنت عيسى فقتلوه وصلبوه؛ وهذا مكر أو غير مكر؟ مكر عظيم أعظم من مكرهم؛ لأن هذا الرجل الذي جاءه متزاعما هؤلاء القوم ليقتل عيسى صار هو القتيل؛ وهذا القول أقوى من حيث إن فيه مكرا بهؤلاء عظيما؛ أما القول الثاني فيقولون: إن عيسى عليه الصلاة والسلام بأنهم دخلوا عليه ليقتلوه قال لأحد أصحابه: من يقبل أن يلقي الله عليه شبهي فأضمن له الجنة؟ فانتدب واحد منهم لذلك وألقى الله شبهه عليه؛ وقيل: بل ألقى الله شبهه على جميع من كانوا مع عيسى حتى إن هؤلاء القوم لما دخلوا كان كل واحد يقول: أيكم عيسى، أيكم عيسى، أيكم عيسى؟ لم يعلموه؛ هذان قولان رئيسيان؛ القول

الأول: أن الشبه ألقي على من؟ على زعيم القوم الذين جاءوا ليقتلوه فقتل؛ والقول الثاني: أنه على رجل من أصحاب عيسى. ثم هل ألقي الشبه على الجميع فاشتبه على الذين دخلوا ؟ أو أنه ألقي على واحد منهم فيه أيضا قولان؛ والمسألة ليس فيها نص عن النبي المعصوم عليه الصلاة والسلام؛ فالله أعلم؛ لكن قوله تعالى: ((**وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم**)) قد يؤيد القول الأخير أنه صار كل واحد ممن مع عيسى يشبه عيسى فاشتبه عليهم من هو عيسى ؛ المهم هذا هو مكرهم أنهم جاءوا إلى عيسى عليه الصلاة السلام ليقتلوه على وجه لا يشعر بذلك؛ أما مكر الله بهم فهو أنه ألقى الشبه إما على واحد منهم أو من أتباع عيسى فقتلوه فظنوا أنهم قتلوا عيسى وصاروا يعلنون قتلنا عيسى وصلبوه؛ وهم ما قتلوه وما صلبوه. وفي قول الله عز وجل: ((**ومكروا ومكر الله**)) فيها من صفات الله إثبات المكر لله عزوجل؛ والبحث في هذا أولا: هل المكر على حقيقته؟ أو هو عبارة عن المجازاة على مكر فسمي المجازاة على المكر مكرا من باب المقابلة اللفظية لا المعنوية؛ فهو كقوله: ((**فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليهم**)) والمقتص لنفسه لا يسمى معتديا؛ لكنه يشبهه في اللفظ من باب المقابلة اللفظية لا المعنوية؛ أو أنه مكر حقيقي لأن صنيع الله بهم مكر، حيث كان القتيل منهم على أحد الأقوال؛ أو اشتبه عليهم الأمر على القول الثاني؛ والصحيح في هذا أن الله تعالى يوصف بما وصف به نفسه، ولسنا أعلم بالله من نفسه، هو أعلم بنفسه وأصدق قيلا وأحسن حديثا؛ ولكنه يجب أن ينزه عن كل نقص؛ فالمكر هل هو من صفات النقص على سبيل الإطلاق يعني ليس مدح إطلاقا؟ أو هو نقص في حال دون حال؟ الثاني هو الحقيقة أن المكر في مقام المكر مدح وصفة كمال؛ والمكر في غير موضعه صفة نقص؛ لأن المكر في غير موضعه خيانة، والخيانة صفة ذم؛ ولهذا لم يصف الله تعالى بها نفسه ولا في باب المقابلة ((**وإن يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل**)) بعدها؟ ((**فأمكن منهم**)) ولم يقل: فخانهم ؛ لأن الخيانة صفة ذم مطلقة بخلاف ((**ومكروا ومكر الله**)) فقابل الله مكرهم بمكر ولم يقابل خيانتهم بخيانة؛ إذا يكون نجب أن نصف الله بما وصفه به نفسه من المكر في الحال التي وصف الله نفسه فيها بالمكر، وذلك في مقابلة مكر أعدائه؛ فنقول: إن الله يمكر بمن يمكرون به وبرسله وبآياته؛ أما أن نصف الله بالمكر على الإطلاق فنقول: إن الله ماكر ونطلق فهذا لا يجوز؛ لماذا؟ لاحتمال النقص؛ لأن المكر كما قلنا ليس كمالا في كل حال ولا نقصا في كل حال؛ فإذا أطلق صار قابلا لأن يكون نقصا؛ فإذا قيد بالحال التي يكون فيها كمالا لم يحتمل أن يكون نقصا؛ إذا نقول: المكر يوصف الله به لا على سبيل الإطلاق لكن في الحال التي وصف الله نفسه فيها به؛ ولهذا جاء في الحديث: (**الحرب خدعة**) وكل يعرف أن الخدعة في الحرب كمال وإلا نقص؟ كمال؛ ويذكر عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه لما خرج إليه عمرو بن ود ليبارزه، تعرفون المبارزة؟ إذا التقى الصفان طلب المتقاتلون المبارزة من يبرز أنا من يبرز فلان؟

المبارزة سبب للفتح والنصر أو للهزيمة؛ لأنه إذا تبارز الرجلان وانتصر أحدهما قويت نفوس من؟ أصحابه وضعفت نفوس الآخرين؛ لما خرج عمرو بن ود لمبارزة علي بن أبي طالب رضي الله عنه صاح به وقال: ما خرجت لأبارز رجلين؛ فظن عمرو بن ود أنه قد تبعه أحد من قومه فالتفت لينظر هل لحقه أحد لما التفت ضربه علي بالسيف حتى طن رأسه نعم؟ هذه خدعة وإلا لا؟ محمودة وإلا غير محمودة؟ محمودة لأنه جاء ليقتله، هو جاء ليقتل علي فتخلص منه بهذه الخدعة؛ هذا يعد منقبة لعلي بن أبي طالب وصفة كمال؛ وحينئذ نقول: المكر في موضعه مدح وكمال . يقول: ((**والله خير الماكرين**)) هذه صفة ثابتة مطلقة يعني ما تحتاج قيد لأنها وصفت بكمال؛ ما هو الكمال؟ ((**خير**)) ((**والله خير الماكرين**)) يعني ما من أحد يمكر إلا ومكر الله فوقه خير منه . المكر من الصفات الذاتية أو الفعلية ؟ الفعلية؛ لأنها تتعلق بمشيئته، وكل صفة لها سبب فهي متعلقة بالمشيئة، كل صفة من صفات الله لها سبب فهي متعلقة بالمشيئة؛ لأن مقدر السبب هو الله فإذا قدر السبب فقد شاءه ويترتب عليه ما يترتب من الصفات. ((**ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك**)) يحتمل أن تكون إذ متعلقة بـ((**مكر الله**)) يعني ومكر الله إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك؛ ويحتمل أنها متعلقة بمحذوف تقديره: اذكر يا محمد منوها بفضل عيسى إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا. ((**إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك**)) قال بقول مسموع وإلا غير مسموع ؟ بقول مسموع سمعه عيسى، قال بقول مسموع لأنه يخاطب؛ ((**يا عيسى إني متوفيك**)). يقول: ((**إني متوفيك**)) فما معنى هذه الوفاة؟ فيها للعلماء ثلاثة أقوال: القول الأول: قابضك، إني قابضك؛ مأخوذة من قولهم: توفى الدائن دينه أي قبضه؛ وعيسى قد قبضه الله تعالى إليه في السماء ورفعه حتى ينزل في آخر الزمان. القول الثاني: ((**متوفيك**)) وفاة نوم يعني منيمك؛ لأن النائم متوفى؛ قال الله تعالى: ((**الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها**)) وقال: ((**وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه**)) . القول الثالث: أنها وفاة حقيقية توفاه الله وفاة حقيقية وسيحيه في آخر الزمان وينزل في آخرها. والصحيح أنها وفاة نوم وأن الله عز وجل لما أراد أن يرفعه إلى السماء أنامه ليسهل عليه الانتقال من الأرض إلى السماء؛ لأن الانتقال من الأرض إلى السماء ليس بهين لطول المسافة وبعدها ورؤية الأحوال فيما بين السماء والأرض وفي السموات أيضا؛ فأنامه الله ثم رفعه نائما حتى وصل إلى السماء؛ لكن هذا القول لا ينافي القول الأول الذي معناه قابضك؛ لأن نهايتهما واحدة؛ أما القول الثالث أنها وفاة موت فقول ضعيف، قول ضعيف يضعفه قوله تعالى: ((**وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته**)) قبل موته أي عيسى؛ وهذا يدل على أنه لم يمت؛ ولأن الله تعالى لم يبعث أحدا بعد الموت فيبقى كما في نزول عيسى عليه الصلاة والسلام في آخر الزمان؛ ولأنه أعني إطلاق الوفاة على

النوم كثير في القرآن يعني ليس بمعنى غريب حتى نقول لا يصح الحمل عليه؛ بل هو معنى له كثرة في القرآن. يقول: ((**إني متوفيك ورافعك إلي**)) ((**رافعك إلي**)) رافعك مضافة إلى الكاف كما أن ((**متوفيك**)) مضافة إلى الكاف فكيف تعربون الكاف فيهما ؟ لأنها في محل جر أو في محل النصب؟ محل النصب، محل الجر؛ أليس هو مفعول به؟ متوفى ومرفوع ؟ فهل هو في محل نصب وإلا في حل جر؟ في محل جر؛ هو في محل جر؛ لأن عمل الاسم فيه أقوى من عمل المعنى، يعني عمل الاسم الذي هو اللفظ أقوى من عمل المعنى؛ ومن المعلوم أن الاسم دائما يضاف إلى فاعله ويضاف إلى مفعوله. طيب قال: ((**ورافعك إلي**)) إلي إلى أي مكان؟ إلى السماء؛ لأن الرفع يكون من نازل؛ فمعنى رافعك إلي يعني في السماء؛ فرفعه الله سبحانه وتعالى إلى السماء إلى الله . ((**ومطهرك من الذين كفروا**)) مطهرك منهم، التطهير هنا تطهير معنوي لا تطهير حسي؛ وذلك لأن الذين كفروا ليسوا يلطخون عيسى بالقاذورات الحسية لكنهم يلطخونه بالقاذورات المعنوية، قالوا إنه كذاب، وأنه ابن الزنا . والعياذ بالله . وأنه أمه زانية، واتهموه بأشياء كثيرة فطهره الله تعالى منهم وذلك بما أنزل من براءته في عهده وفيما بعد عهده. وقوله: ((**ومطهرك من الذين كفروا**)) كفروا بمن؟ كفروا بعيسى لأن الحواريين آمنوا به كما سبق . ((**وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيمة**)) هذا أيضا من جملة ما قال الله له ((**جاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا**)) ((**جاعل**)) هنا مضافة إلى الفاعل وإلا إلى المفعول؟ إلى المفعول؛ ((**فوق**)) محلها النصب هي ظرف متعلق بمحذوف على أنه مفعول ثاني؛ لأن ((**جاعل**)) اسم فاعل من جعل، وجعل تنصب مفعولين؛ إذا ((**فوق**)) ظرف متعلق بمحذوف لمفول الثاني؛ ((**فوق الذين كفروا إلى يوم القيمة**)) ((**اتبعوك**)) اتبعوا شريعتك؛ ((**فوق الذين كفروا إلى يوم القيمة**)) فوق الكفار إلى يوم القيمة؛ هذه الآية يقبل بها النصارى ويقولون نحن لنا العلو إلى يوم القيمة ما هو إلى أن بعث محمد إلى يوم القيمة؛ فنقول: نعم صدق الله العظيم، إن الذين يتبعون عيسى لهم النصرة على الكافرين إلى يوم القيمة؛ ولكن من الذي يتبع عيسى ؟ هم الذين ردوا بشارته وكذبوا من بشر به؟ أبدا؛ أنتم لم تتبعوا عيسى، و والله لو خرج عيسى لكان يقاتلكم حتى ترجعوا إلى الإسلام؛ ولهذا في آخر الزمان لا يقبل إلا الإسلام، ما يقبل الجزية ويكسر الصليب ويقتل الخنزير، في آخر الزمان ما يقبل حتى الجزية التي كانت تقبل قبل نزوله ما تقبل من شدة كراهته لما عليه النصارى واليهود؛ الآن نحن نقر اليهود والنصارى بالجزية نقول ابقوا على دينكم؛ لكن أعطوا الجزية عن يد وأنتم صاغرون؛ لكن إذا نزل عيسى ما يقبل هذا يقول أسلم وإلا فالقتل لكراهته لما هم عليه لا يريد أن يقرهم ولا على هذا. المهم أن نقول إن الذين اتبعوا عيسى هم الذين آمنوا بمحمد عليه الصلاة والسلام بعد بعثة محمد، أما بعد بعثة محمد فنعم لاشك أن أتباع عيسى هم المسلمون وأنهم على الحق قبل أن يحرفوا ويبدلوا. طيب فإذا قال: كيف

تجيبون عن قوله: ((**إلى يوم القيمة**)) ؟ قلنا نعم آمنوا بمحمد ولكم النصرة إلى يوم القيمة . فإن قال قائل: أفلا يمكن أن يراد بالذين اتبعوك أي الذين انتسبوا إليه وتكون لهم الغلبة على الكافرين لا على المسلمين، على الكافرين لا على المسلمين يعني مثلا: النصارى يغلبون على اليهود، أن النصارى يغلبون الوطنيين وما أشبه ذلك؛ ويخرج من هذا من؟ المسلمون، ويكون الله تعالى قد وعد عيسى بأن يكون من انتسب إليه فوق الذين كفروا به ؟ فما الجواب ؟ الجواب: لا يمكن هذا، لا، ما يمكن هو بعيد متعذر؛ لأن هؤلاء ما اتبعوا عيسى؛ ألم تسمعوا أن الله يقول يوم القيمة :((**وإذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم**)) وهل النصارى يقولون بهذا؟ أبدا؛ إذا ما اتبعوه؛ فالآية وإن كان قد يترائا لبعض الناس أن يقول إن النصارى يغلبون غيرهم من الكفار لهذه الآية؛ فإننا نقول: لا؛ لأن الله يقول: ((**جاعل الذين اتبعوك**)) والنصارى الآن لم يتبعوه؛ ثم إن الآية يعني لو فسرت بهذا التفسير لكان الواقع يخالفها؛ فالأمة الصليبية لم تظهر على الأمة الشيوعية؛ بل هي خائفة منها فأين الفوقية؟ ما في فوقية؛ الآن كل دول أوروبا الغربية بأسطولها وحلفها الأطلسي عجزت أن تكون فوق الشيوعية وحلفها عجزت؛ كل واحد منهم الآن يخاف من الآخر؛ وقد يكون أتى في يوم من الأيام أوروبا تخاف من الشيوعية أكثر مما تخاف منها هذا اليوم؛ فالحاصل أن الآية لا يمكن أن تحمل على النصارى الموجودين اليوم بأي حال من الأحوال . ثم قال: ((**ثم إلي مرجعكم**)) ثم يعني بعد يوم القيمة إلي مرجعكم؛ ويوم القيمة هو اليوم الذي يقوم فيه الناس لرب العالمين ليجازوا على أعمالهم؛ وسمي يوم القيمة لثلاثة وجوه؛ الوجه الأول: أن الناس يقومون فيه لرب العالمين كما قال الله تعالى: ((**يوم يقوم الناس لرب العالمين**)) . والوجه الثاني: أنه يقوم فيه الأشهاد؛ فالرسل يشهدون على أممهم وهذه الأمة تشهد على الأمم السابقة، قال الله تعالى: ((**إننا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد**)). والوجه الثالث: أنه يقام فيه العدل، قال الله تعالى: ((**ونضع الموازين القسط ليوم القيمة فلا تظلم نفس شيئا**)) فهو يقام فيه العدل؛ ولهذا أقسم النبي صلى الله عليه وسلم وهو الصادق البار المصدوق عليه الصلاة والسلام قال: (**والله لتؤدين الحقوق إلى أهلها حتى إنه ليقتص للشاة الجلحاء من الشاة القرناء**) هذا عدل، أكبر العدل؛ فلهذا سمي يوم القيمة لوجوه ثلاثة؛ عدها علينا؟ ليقام فيه العدل؛ نعم والثاني؟ يقوم الناس؛ لأيش؟ يقوم الناس لله رب العالمين؛ الدليل ؟ قوله تعالى: ((**يوم يقوم الناس لرب العالمين**))؛ الثالث: يقوم فيه الأشهاد؛ الدليل ؟ قول الله عز وجل: ((**إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد**))؛ طيب دليل الأول يا عبد

الله ؟ دليل الأول الذي قال الأخ يقام فيه العدل ؟ ((**ونضع الموازين القسط ليوم القيمة فلا تظلم نفس شيئا**)) . ثم قال الله عز وجل: ((**ثم إلي مرجعكم**)) يعني ثم بعد هذا الغلبة في الدنيا أو المغالبة في الدنيا حتى يكون بعضكم فوق بعض بعد ذلك ((**إلي مرجعكم**)) أي مصيركم؛ وكل المصير إلى الله عزوجل في الدنيا والآخرة، قال الله عز وجل: ((**وأن إلى ربك المنتهى**)) ((**وما اختلفتم من شيء فحكمه إلى الله**))؛ الأمر إلى الله أولا و آخرا لكن ظهور هذا الرجوع لا يكون إلا يوم القيمة، يتبين فيه للناس جميعا أن الرجوع إلى الله سبحانه وتعالى يجازي كل نفس بما عملت؛ ولهذا قال: ((**ثم إلي مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون**)) الله أكبر ما أعدل هذا الحكم ((**فأحكم بينكم**)) بين من؟ بين الخلائق ((**فيما كانوا فيه يختلفون**))؛ وهل الناس يختلفون في شيء؟ نعم ((**فمنكم كافر ومنكم مؤمن**)) اختلاف عظيم؛ فيحكم الله عز وجل بين هؤلاء وبين هؤلاء، ويحكم كذلك بين الرسل وأتباعهم، وتقيم الرسل البينة على أنها بلغت الرسالة؛ وقد ينكر أتباع الرسل، ينكرون ذلك؛ لكن لا يتم لهم مقصودهم؛ فالحكم بين الناس يوم القيمة فيما اختلفوا فيه إلى الله؛ وقوله: ((**فأحكم بينكم**)) هذه فعل مضارع؛ فهل يشتق منها اسم من أسماء الله؟ القاعدة أن الفعل لا يشتق به؛ لكن قد وجود الاسم من دون الرجوع إلى هذا الفعل وهو الحكيم؛ فإن الحكيم مأخوذ من الحكم والحكمة؛ ومن أسماء الله الحكم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (**فإن الله هو الحكم وإليه الحكم**) وهذا من الحكم؛ فالله هو الحكم الذي يرجعون الناس إلى تحاكمهم؛ واعلم أن الحكم لله ينقسم إلى قسمين يأتي إن شاء الله في الشرح .

السائل : ما حكم التوسل إلى الله بقول: يا خير الماكرين ؟

الشيخ : يا خير الماكرين إذا كان المقر يقتضيه مثلا خائف أنت من مكر الإنسان لا بأس؛ لكن تقول: يا خير الماكرين اغفر لي ما يصلح؛ لأن الله يقول: ((**ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها**)) ما تدع الله باسم تريد أن يكون وسيلة لحصول مطلوبك إلا هو مناسب؛ أرأيت لو قال واحد: يا شديد العقاب اغفر لي، مناسب؟ لا؛ ويس الذي يناسب ؟ يا غفور؛ أو يقول: يا شديد العقاب عاقبني ما أحد يقول هكذا.

السائل : شيخ أحسن الله إليك! لو قال قائل في قوله تعالى: ((**وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيمة**)) لو قال قائل: بأنه أضيف عليه السلام إلى بني إسرائيل واليهود هم الذين كفروا به فالآن الواقع الحاضر أن النصارى هم فوق اليهود فما يمكن ؟

الشيخ : لا، بيننا ما يمكن هذا؛ لأن النصارى الآن ما اتبعوه والقرآن ما ينطق إلا بحقائق، ثم هل ترى الآن اليهود فوق النصارى أو النصارى فوق اليهود ؟ نسمع الآن إن اليهود عندهم زمام الأمور الاقتصادية والسياسة والثقافية؛ لكن بطريق غير مباشرة يا شيخ ؟ نعم بطريق غير مباشرة ؛ الذي يحكم فهم النصارى؛ أيه صحيح لكن النصارى ما ترى أنها فوق هؤلاء يعني بمعنى أنهم يخافونهم ويتوددون إليهم .

السائل : شيخ هل يمكن الآن أن اليهود والنصارى , وهم لا يسمحون ؟

الشيخ : لكن شف . بارك الله فيك . أنت هل تستطيع أن تمنعهم من هذا؟ لأنهم إذا قالوا نحن نقول بارك الله لكم فيه أنتم وتحشرون معهم في النار ؛

الشيخ : ما يقتربهم أحد أبدا لا تفكر واحد يريد يغتر بأن يقول إن الكافر أخ له لا نصراني ولا يهودي ولا غيره والله يقول: ((**إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم**)) .

الشيخ : نعم لكن شف . بارك الله فيك . هل تستطيع أن تمنعهم من هذا؟ لأنهم لو قالوا نحن إخوتهم نقول بارك الله لكم فيه أنتم إخوتهم وتحشرون معهم في النار؛

ما يقتربهم أحد أبدا لا تفكر واحد يريد يغتر بأن يقول إن الكافر أخ له لا نصراني ولا يهودي ولا غيره والله يقول: ((**إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم**)) .

الشيخ : لا لا، لا؛ أنا ما أظن إن إنسانا في قلبه إيمان يسميهم إخوانا والله عزوجل يقول: ((**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء**)) وين الأخوة ؟ نعم.

السائل : شيخ ؟ أين عيسى عليه السلام الآن و في أي سماء ؟

الشيخ : الله أعلم هل هو بصحبة جبريل أو غير ذلك الله أعلم؛ أو قال الله: كن فيكون؛ .

السائل : شيخ ؟ في قوله تعالى: ((**إني متوفيك ورافعك إلي**)) هل الرفع يكون يوم القيمة ؟

الشيخ : يوم القيمة فيها بعث ما هو بوفاة؛ يعني في المستقبل ؟ لا؛ لا يستقيم هذا لأن الرفع بعد الوفاة ((**متوفيك ورافعك**)) والوفاة التي أنت تريدها ما تكون إلا بعد الرفع .

السائل : شيخ هو يرفع بعد الوفاة ؟

الشيخ : نعم؟

السائل : متى ؟

الشيخ : يعني في آخر الزمان؟ لا لا؛ يدفن في الأرض .

السائل : قلنا أن الله سبحانه وتعالى كلمه بصوت مسموع لما لم نقل أنه كلمه بالوحي ؟

الشيخ : يأتينا في الفوائد إن شاء الله .

السائل : شيخ عفى الله عنك؛ نعرف أنه لا يجوز تعرض أسماء الله بشيء من تعطيل أو تشبيه أو تحريف والمكر صفة من صفات المخلوقين فكيف يعني فما الوجه بأن نصف الخالق به ؟

الشيخ : أي قلنا نحن قلنا مكر يليق به ما هو مثل مكري أنا أو مكر زيد أو عبيد؛ نقول مثل السمع والبصر وغيره من الصفات تثبت لله لكن على وجه لا يماثل المخلوق .

السائل : شيخ جزاك الله خير؛ الرسول صلى الله عليه وسلم عندما أسري به رأى عيسى وتكلمه أنه في حالة الرفع فقط ؟

الشيخ : كيف يعني ؟ لا ، رآه في السماء؛ لا

السائل : يعني قصدي أن الله سبحانه وتعالى قال: ((**رافعك إلي**)) يعني ((**متوفيك**)) قلنا التوفي هو النوم فيكون فقط في حالة الرفع ؟

الشيخ : في حالة الرفع نعم؛

السائل : إذا وسل السماء يعني استيقظ ؟

الشيخ : أي نعم هذا هو الظاهر .

السائل : شيخ أحسن الله إليكم؛ هل يجوز أن نقول للكفار أصدقاء ؟

الشيخ : والله إذا كان بس مجرد القول باللسان يعني صديق بمعنى أنه لم يظهر العداوة فقد يسامح فيه أما إذا ، لأن الكفار كما تعرف بعضهم يظهر العداوة ويبارز العداوة؛ وبعضهم بيننا وبينهم عهد؛ ولهذا خزاعة قبل أن تسلم يقال إنها عيبت النصر للرسول صلى الله عليه وسلم وهم كفار.

السائل : شيخ انتشر في الناس كلام صديق صديق. . ؟

الشيخ : لا الآن أصحبت كلمة صديق يخاطب بها كل من ليس بعربي ونحن رفيق مع أن رفيق من ألقاب الشيوعيين، رفيق فلان

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. قال الله تعالى: ((**ثم إلي مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون**)) ((**أحكم بينكم**)) الحكم لله عز وجل كونا وشرعا؛ فهو الحاكم كونا وهو الحاكم شرعا؛ أما الحكم الكوني فهو نافذ لكل أحد ولا يستطيع أحد أن يتخلص منه ولا أن يعانده؛ وأما الحكم الشرعي فإنه باختيار المحكوم عليه؛ ((**وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر**)) إذا حكما لله ينقسم إلى قسمين: كوني ؛

وشرعي؛ فالحكم الكوني ما يقدره الله على عباده ولا يمكن التخلف عنه ويتعلق فيما يحبه وما لا يحبه؛ فيحكم كونا بوقوع الطاعات؛ وهذا مما يحبه؛ ويحكم كونا لوقوع السيئات والمعاصي؛ وهذا لا يحبه؛ لكنه عزوجل يحكم به كونا لحكمة ومصالحة عظيمة؛ أما الحكم الشرعي فهو ما قضاه بين العباد شرعا وهو الذي جاءت به الرسل؛ وأصله أوامر ونواهي افعلوا كذا لا تفعلوا كذا؛ ولا يلزم من الحكم الشرعي وقوع المحكوم به بل قد يتخلف عنه كثير من الناس؛ وها هو الرسل يرسلهم الله عز وجل يتبعهم أناس قليلون وأناس كثيرون؛ بل قد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (رأيت النبي ومعه الرهط والنبي مع الرجل والرجلان والنبي وليس معه أحد) فيتخلف حكم الشرع؛ الحكم الجزائي بعض العلماء قال: إن هناك قسما ثالثا للحكم وهو الحكم الجزائي الذي يحكم الله فيه الجزاء على من عمل، إن خيرا فخير وشرا فشر؛ وعليه يتنزل قوله هنا: ((**فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون**)) أي أحكم بينكم حكما جزائيا؛ ويعقب هذا الحكم المآل، إما إلى الجنة وإما إلى النار؛ ((**فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون**)) . قال الله تعالى: ((**فأما الذين كفروا**)) الفاء هذه عاطفة على ما سبق عطف تفريع أي أنما بعدها فرع عما قبلها، يعني هذا الحكم يكون على هذا الوجه: ((**فأما الذين كفروا فأعذبهم**)) وأما هنا شرطية تفصيلية يعني أنها تفيد التفصيل كما في قوله: ((**فأما من أعطى واتقى**)) ((**وأما من بخل واستغنى**)) فهنا قال: ((**فأما الذين كفروا**)) ((**وأما الذين آمنوا**))؛ وقوله: ((**فأما الذين كفروا فأعذبهم**)) كفروا بمن ؟ أي كفروا بالله ورسله؛ والكفر في اللغة الستر ومنه سمي الكفرة الذي هو غطاء طلع النخل ويسمى في لغة العامية الكافور؛ فالذين كفروا ستروا ما أنعم الله به عليهم من نعمة العقل ونعمة المال والصحة وغير ذلك حيث لم تظهر عليهم آثار هذه الأشياء؛ فآثار العقل أن الإنسان يفعل ما ينفعه ويدع ما يضره هذه آثار العقل؛ ومنه سمي العقل حجرا لأنه يحجر صاحبه عما يضره؛ لكن الذين كفروا ستروا ما يقتضيه العقل من حسن التصرف وذلك بالإيمان بالله ورسله؛ فلذلك سموا كفارا أي ساترين لما أنعم الله عليهم من نعمة العقل الذي مقتضاها الإيمان بالله ورسله . قال: ((**فأعذبهم عذابا شديدا**)) ((**فأعذبهم**)) العذاب فعل ما به مشقة أو حصول ما به مشقة سواء كان عن ذنب أو غير ذنب كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (**إن السفر قطعة من العذاب**) وقال: (**إن الميت يعذب ببكاء أهله عليه**) يعني هذا عذاب مشقة؛ ومن عذاب المشقة عذاب العقوبة لأنه شاق على المعاقبة؛ وهنا الموارد بالعذاب هنا عذاب مشقة العقوبة ((**أعذبهم عذابا شديدا**)) الشديد يعني قوي العظيم ((**في الدنيا والآخرة**)) في الدنيا قال العلماء: إ'ن العذاب في الدنيا ما يحصل لقلوبهم من الضيق، والضنك، والقلق، والحسرة، وغير ذلك، وما يحصل لهم على أيدي المؤمنين من القتل، والأسر، والجزية، وغير ذلك؛ فعذابهم يكون بألمهم القلبي وألمهم البدني؛ ولهذا قال: ((**أعذبهم عذابا شديدا في الدنيا**)) أما عذابهم في الآخرة فظاهر

يعذبون في الآخرة بماذا؟ بالنار ، يعذبون في الآخرة بالنار وهم لا تتخطاهم العقوبتان أو إحداهما يعني إما أن يحصل لهم هذا وهذا وهو الغالب وإما أن يحصل لهم عذاب الآخرة لابد؛ ولكن ظاهر الآية الكريمة: ((**في الدنيا والآخرة**)) أنه يحصل لهم العذاب في الدارين؛ قال: ((**في الدنيا والآخرة**)) الدنيا هي هذه الحياة التي نحياها؛ ووصفت بذلك لوجهين؛ الوجه الأول لدنوها؛ لأنها سابقة على الآخرة فهي دانية؛ والوجه الثاني: لنزول مرتبتها كما يقال: دنيا وعليا؛ فالدنيا نازلة مرتبة على الآخرة مهما بلغ نعيمها، مهما بلغ نعيمها فإنها نازلة عن الآخرة؛ لأن نعيم الدنيا إذا حصل فهو مشوب بالكدر كما قال الشاعر:

فيوم علينا ويوم لنا ويوم نساء ويوم نسر

وقال الثاني:

لا طيب للعيش مادامت مناقصة لذاته باتكار الموت والهرم

فمهما نعم الإنسان في هذه الدنيا فنعيمها دان؛ ولهذا وصفت بالدنيا؛ أما نعيم الآخرة فقد قال الله تعالى: ((**فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون**)) وقال تعالى: ((**فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون**)) إذا الدنيا وصفت بذلك لوجهين؛ الأول ؟ لدنوها من الآخرة؛ نعم؛ الثاني: دنو مرتبتها ومنزلتها نعم . وأما قوله: ((**الآخرة**)) فوصفت بذلك لأنها متأخرة ، متأخرة زمنا لا مرتبة؛ فهي في المرتبة فوق الدنيا لكن زمنا متأخرة . قال: ((**وما لهم من ناصرين**)) يعني هذا العذاب الشديد الذي يوقعه الله فيهم لا يجدون من نصرهم منه أي من يدفع عنهم هذا العذاب لا أهل ولا مال ولا صديق ولا قريب ولا أحد من الناس ((**يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته وأخيه وفصيلته التي تؤيه ومن في الأرض جميعا ثم ينجيه كلا**))؛ وقوله: ((**وما لهم من ناصرين**)) ما هذه نافية؛ وهل هي حجازية؟ لا؛ لماذا يا علي جان ؟ ما معنى الترت ؟ يأتي اسمها أولا ثم خبرها؛ نعم وهنا ؟ هنا قدم خبرها على اسمها؛ لأن ((**لهم**)) خبر مقدم؛ طيب من حرف جر زائد إعرابا و((**ناصرين**)) مبتدأ مؤخر مرفوع بالياء وإلا بالواو؟ هو عندنا شيء يرفع بالياء يا جماعة ؟ ما يوجد في الدنيا كلها إلا لغة غير عربية ما ندري؛ مرفوع بالواو المقدر وجودها في محل الياء ومنع من ظهورها اشتغال المحل بالحرف المناسب أو الذي جلب من أجل الحرف الزائد؛ ولو لا من لكانت ناصرون، وما لهم ناصرون؛ ثم جاء بالقسيم الثاني قال: ((**وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات**)) الذين آمنوا وعملوا الصالحات آمنوا بقلوبهم وعملوا بجوارحهم؛ والرب يكرر هذا دائما في القرآن يجمع بين الإيمان

والعمل الصالح؛ لأنه لا إيمان بلا عمل ولا عمل بلا إيمان؛ بل لابد من الأمرين ((**آمنوا**))؛ طيب هنا حذف المؤمن به؛ فنقدره على أعم ما يكون ونقول: آمنوا بما يجب الإيمان به وذلك بالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره؛ ((**عملوا الصالحات**)) أي عملوا الأعمال الصالحات، والأعمال الصالحات هي التي تكون لله وفي الله؛ أي أنها خالصا لله وفي حدود شريعة الله؛ يعني خالصة صوابا كما قال فضيل بن عياض رحمه الله ، خالصا لله يعني صوابا يعني على السنة هذا هو العمل الصالح؛ فإن لم تكن خالصة فليس عملا صالحا؛ بل هي مردودة على صاحبها؛ لقوله تعالى: ((**فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا**)) وفي الحديث القدسي قال الله تعالى: (**أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه**) وأما الموافقة أو الصواب كما قال فضيل: فلقوله صلى الله عليه وسلم: (من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد) فلا يقبل عمل إلا بموافقة الشرع؛ ((**فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم**)) الفاء واقعة في جواب أما الشرطية؛ و((**يوفيهم**)) فيها قراءتان: ((**يوفيهم**)) و((**نوفيهم**))؛ فأما على قراءة: ((**فيوفيهم**)) ففيها الالتفات من ضمير المتكلم إلى ضمير الغائب صح؟ لأنه قال في الأول: ((فأعذبهم)) وهنا قال: ((**فيوفيهم**)) وهذا ضمير غائب؛ وأما على قراءة النون: ((**فنوفيهم**)) ففيها نوع من الالتفات من ضمير الإفراد إلى ضمير الجمع ((**فأعذبهم**)) وهنا قال: ((**فنوفيهم**)) . ويش عندكم ؟ جلالين؛ شف ويش يقول ؟ ((**فيوفيهم**)) بالياء والنون؛ شف الحاشية ؟ قال: بالياء والنون سبعيتان ؛ طيب على كل حال المصحف الذي عندي ما كتبت القراءة الثانية لكنها يحتاج أنها تكتب . قال: ((**فنوفيهم**)) و((**يوفيهم**)) على كل حال سواء ((**نوفيهم**)) أو ((**يوفيهم**)) ففيها شيء من الالتفات؛ وقد ذكرنا فيما سبق أن للالتفات فوائد، أو فائدة ؛ منها يا أخ ؟ تنبيه المخاطب؛ تنبيه المخاطب كيف ؟ لأن المخاطب الذي كان يقرأ في وتيرة واحدة ثم يتغير ؛ إذا كان الكلام على نسق واحد ثم تغير هذا النسق فيتنبه؛ ينتبه صحيح هذا؟ نعم؛ أي نعم؛ وطرق تنبيه المخاطب كثيرة منها إذا كنت تتكلم بلسانك بعض الكلمات مثلا ترفع صوتك أو تخفض صوتك أو ما أشبه ذلك هذا من التنبيه؛ كذلك الالتفات من ضمير إلى آخر هذا يوجب تنبه المخاطب . على الفائدة الثانية أنه إذا قال: ((**فيوفيهم أجورهم**)) ((**فيوفيهم أجورهم**)) صار فيه شيء من تعظيم الموفي، من تعظيم الموفي؛ لأن تعبير المتكلم عن نفسه بصيغة الغيبة قد يوحي بالتعظيم كما يقول: الملك يأمر بكذا وكذا يعني نفسه؛ هذا فيه شيء من التعظيم؛ فيه أيضا شيء من إكرام الذين عملوا الصالحات، إكرام الذين عملوا الصالحات فيوفيهم؛ كيف ذلك؟ لأن ذكر منة الله عليهم بصيغة التكلم أعظم من ذكر المنة بصيغة الغائب يعني أن فيه شيء من الإكرام، من الإكرام لهم وقد قال الله تعالى: ((**هل جزاء الإحسان إلا الإحسان**)) فجعل

كأنهم هم الذين أحسنوا مع أن المحسن هو الله، المحسن إليهم في العمل وفي ثواب العمل؛ وقال تعالى: ((**إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا**)) فمن أجل إكرام هؤلاء لم يخاطبهم الله بصريح المنة فيقول: فنوفيكم، أو فأوفيكم؛ بل قال: ((**فيوفيهم**)) إذا فائدتان: عظيم المتكلم نفسه؛ ثاني: إكرام المثاب؛ أما على قراءة النون فالتعظيم فيها واضح، تعظيم فيها واضح ((**فنوفيهم**))؛ لأن ضمير الجمع المضاف إلى الله عزوجل أو الذي يراد به الله عزوجل نعلم علم اليقين أنه لا يراد به الجمع الذي هو التعدي إنما يراد به التعظيم؛ فيه أيضا إكرام المثاب بالنون إكرام المثاب؛ لأنه إذا ظهر إكرامهم بصيغة التعظيم بإن الثواب الواقع من العظيم عظيم، يكون عظيما؛ وعلى هذا فيكون على القراءتين؛ فيها ثلاث فوائد، الالتفات على قراءتين فيها ثلاث فوائد؛ الأولى: تنبيه وهذا عام؛ ثاني: تعظيم الموفي؛ والثالث: إكرام الموفى .

قال: ((**فيوفيهم أجورهم**)) أجورهم لماذا نصبت ؟ وقد استوفى الفعل معموله ؛ يلا هداية الله ؟ ((**فيوفيهم أجورهم**)) أجورهم مفعول ثاني؛ يوفي تنصب مفعولين ؟ أصلهما المبتداء والخبر؟ نعم؟ هل أصلهما المبتداء والخبر؛ كل مفعولين في الأصل مبتداء والخبر؛ لا يا شيخ هذه قاعدة من أك القواعد هذه؛ لا لا ما هو مبتدأ والخبر؛ أيش؟ هم مفعول الأول وأجورهم مفعول الثاني؛ أيه لكن هل أصل المفعولين المبتداء والخبر أو لا؟ لا؛ إذا أبطلت القاعدة؛ إذا قلت: ظننت زيدا فاهما، هذا أصلها مبتداء والخبر يعني ظن وأخواتها تنصب مفعولين أصلهما المبتداء الخبر؛ طيب فيه كلمات أخرى تنصب مفعولين ليس أصلهما المبتداء والخبر يسمونه من باب كسا، من كسا وبعضهم يقول من باب كسا وأعطى؛ هذا من باب كسا وأعطى تنصب مفعولين ليس أصلهما المبتداء والخبر .

((**فيوفيهم أجورهم**)) أجورهم أي جزاء أعمالهم؛ اللهم لك الحمد انظر إلى هذه المنة كأن هؤلاء عمال يستحقون الأجر ولابد، حيث سمى الله جزائهم أجرا، والأجر من المستأجر حق يجب دفعه؛ ولكن هذا من فضل الله عزوجل وكرمه؛ لأن الذي أوجب الأجر على نفسه من؟ الله عزوجل، الله عزوجل هو الذي أوجب الأجر على نفسه لم يوجبه أحد عليه؛ لو شاء لأمرنا ونهانا ولزمنا أن نطيعه بدون عوض لأنه ربنا وخالقنا؛ وما نعمل فإنه لا يقابل ولا واحد بالملايين من نعمه؛ ولهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام: (**لن يدخل الجنة أحد بعمله قالوا ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته**) . صلى الله عليه وسلم .؛ فهذه الأجور التي هي جزاء الأعمال والتي سماها الله أجرا كالأجرة المفروضة على المستأجر لم يجوبها أحد على الله؛ بل هو الذي أوجب على نفسه هذا الأجر؛ قال ابن القيم رحمه الله:

ما للعباد عليه حق واجب هو أوجب الأجر العظيم الشأن

كلا ولا عمل لديه ضائع إن كان بالإخلاص والإحسان

إن عذبوا فبعدله أو نعموا فبفضله والفضل للمنان

فالحاصل أننا ليس لنا حق على الله واجب ((**كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فأنه غفور رحيم**)) اللهم لك الحمد . طيب ((**فيوفيهم أجورهم**)) أي جزاء أعمالهم؛ وسمي أجرا كأجر المستأجر الواجب عليه ولكن الذي أوجبه من؟ الله . قال: ((**والله لا يحب الظالمين**)) ختم الآية بهذا مناسب؛ لأنه لما بين أن هؤلاء آمنوا وعملوا الصالحات فيفون أجورهم بين أن هؤلاء قد قاموا بما يلزمهم وأنهم لم يظلموا أنفسهم ولذلك أثابهم الله عزوجل هذا الثواب العظيم؛ وأن الله سبحانه وتعالى لا يحب الظالمين؛ فلو ظلموا أنفسهم ما استحقوا هذا الثواب؛ كما قال تعالى: ((**إن الشرك لظلم عظيم**)) فلو أشركوا بالله لحبط عنهم ما كانوا يعملون، وبطل عملهم لكنهم أخلصوا لله؛ ولو ابتدعوا في دين الله ما قبل الله منهم؛ ولكنهم اتبعوا شريعة الله فانتفى عنهم في الإخلاص وفي العمل؛ فكانوا أهلا لإكرام الله عز وجل؛ أما الذين كفروا واستحقوا العذاب فإنهم ظلموا أنفسهم فحصلوا على مقت الله وعقابه والعياذ بالله وعدم محبته. ثم قال الله تعالى: ((**ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم**)) ذلك المشار إليه كل ما سبق من ذكر آل عمران ((**إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل عمران** . . . .)) فكل هذا مما تلاه الله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم؛ وقوله: ((**نتلوه عليك**)) أي نقرأه عليك متتاليا؛ يتلوا بعضه بعضا؛ ولكن بواسطة جبريل عليه الصلاة السلام كما قال الله تعالى: ((**وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين**)) . وقوله: ((**نتلوه عليك من الآيات**)) ((**من الآيات**)) هذه من قال بعضهم: إنها بيانية تبين المشار إليه في قوله: ((**ذلك**))؛ وقال بعضهم: إنها تبعيضية أي بعض الآيات؛ ولكن الصواب هو الأول وأن ما تلاه الله على رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم كله آيات؛ والآيات جمع آية وهي في اللغة علامة، العلامة على الشيء تسمى آية؛ كما قال الله تعالى: ((**أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل**)) وقال تعالى: ((**وآية لهم الليل نسلخ منه النهار**)) يعني علامة على قدرته، وما أشبه ذلك من الآيات؛ ولما أرسل النبي صلى الله عليه وسلم رجلا إلى عامله في خيبر أن يعطيه أوساقا من التمر قال: (**فإن طلب منك آية . أو قال: عمارة . فضع يدك على ترقوته**) على هذا؛ كأن النبي صلى الله عليه وسلم قد قال

للعامل إذا بعثت إليك مبعوثا فإن علامة صدقه أن يضع يده على ترقوته. قال: ((**من الآيات والذكر**)) الذكر والمراد بما تلاه الله من الآيات القرآن وكذلك الذكر، والذكر يطلق على معان منها الشرف كما قال تعالى: ((**وإنه لذكر لك ولقومك**)) أي شرف عظيم؛ ومنه قوله تعالى: ((**ورفعنا لك ذكرك**)) أي شرفك؛ ويطلق الذكر على ما يحصل به التدبر؛ فيسمى الكلام الجيد المشتمل على الموعظة يسمى ذكرا، قال الله تعالى: ((**فذكر إن نفعت الذكرى**)) أي تذكرة؛ ويطلق الذكر على ذكر الله عز وجل كما قال تعالى: ((**فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا**))؛ والمراد به في هذه الآية المعنيان الأوليان: الشرف، وما يحصل به التذكير؛ فإن هذا القرآن لاشك شرف لمن تمسك به وقام بحقه؛ فإنه يناله شرف الدنيا والآخرة، وسعادة الدنيا والآخرة؛ ولم يشعر في العرب ولم ينالوا السعادة والنصر والظهور إلا حين تمسكوا به؛ ولذلك لما تخلوا عنه زالوا عنهم وصف الشرف والظهور والنصر وصاروا إلى ما ترون؛ ولن يعود لهم مجدهم السابق مهما طنطنوا بالعروبة والقومية وما أشبه ذلك إلا إذا رجعوا إلى الإسلام؛ مهما بلغوا في الدعاية فيما يتعلق بالقومية والعروبة وما أشبه ذلك فإنها لن تنفعه، لن تزيدهم إلا دمارا ((**كالذين يعودون برجال من الجن فزادوهم رهقا**)) لن تزيدهم إلا ذلا إلا إذا رجعوا إلى دين الله الذي انتصروا به من قبل. هذا القرآن إذا ذكر من جهة التذكير، ذكر من جهة الشرف وذكر من جهة التذكير؛ لأن كل إنسان يقرأ القرآن بحضور القلب فلابد أن يتأثر به ((**إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد**)) لابد أن يتذكر به؛ فهو موعظة عظيمة حتى لغير المؤمنين؛ إذا سمعوه وهم يعرفون آياته أي معانيه فسوف يتعظون به، سوف يتعظون به؛ وما وقع لبعض العرب في ذلك أمر مشهور في التاريخ حتى إنه ذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قرأ عليهم: ((**فإن تولوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود**)) قالوا: أمسك أو هم أمسكوه ووضعوا أيديهم على فمه من شدة ما يعلمون من هذه المعاني العظيمة. وقوله: ((**الحكيم**)) الحكيم يعني ذا الحكمة؛ فالقرآن كله حكمة وهو فعيل بمعنى مفعل، وفعيل بمعنى فاعل؛ فهو فعيل بمعنى مفعل أي محكم متقن؛ وهو فعيل بمعنى فاعل أي حاكم؛ لأن القرآن بلا شك حاكم بين الناس؛ ((**إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله**))؛ لكن هل يأتي فعيل بمعنى مفعل ؟ هذه بمعنى مسلم؛ بمعنى مفعل ؟ كيف بمعنى مفعل نريد بمعنى محكم وهذا بمعنى محكم، هذا بمثل جريح بمعنى مجروح، قتيل بمعنى مقتول؛ يعني ترد على فعيل بمعنى مفعول ومفعل أي ترد لما لم يسمى فاعله؛ فالقرآن محكم والقرآن أيضا حاكم.

الشيخ : قوله: ((**وما لهم من ناصرين**)) قلنا: إن ما فيها ليست حجازية . . .الخبر شبه جملة فهل يصح أن تكون حجازية ؟

الشيخ : وإذا كان خبر شبه جملة يصح أن تكون حجازية ؟الطالب : نعم، أليس كذلك؟ الشيخ : لا، ليس كذلك ؛ من أين لك هذا الكلام ؟

الطالب : من القرآن لابد من ترتيب إلا إذا كان الخبر ظرف أو جار ومجرورمن قول ابن مالك في قوله:

وصف حرف جر وظرف كما أنت معنيا أجاز العلما

معناه مفعول الخبر ؛ ولهذا ما بي أنت ؛

الشيخ : أي أنت، ومعنيا هو الخبر؛ أما بي فهي مفعول الخبر يعني يجوز أن يتقدم معمول الخبر إذا كان ظرفا أو جار ومجرور؛ هذا كلام ابن مالك عرفت وإلا لا ؟ نعم .

م السائل : عنى الثالث للذكر يراد بهذه الآية أنه ذكر لله ؟

الشيخ : لا، بعيد هذا؛ القرآن ما هو ذكر لله سبحانه وتعالى؟ إلا لكن بس ذكر الله الذي نريد ذكر الله في القرآن ؛ ((**فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله**)).

السائل : يعني ما تصلح الآيات هذه أن تكون ذكرا ؟

الشيخ : لا ما يصلح؛ ولهذا ما قال مثلا لمن قرأ القرآن إنه ذكر الله إلا بمعنى عام لأن كل عبادة فهي ذكر لله؛ لكن الذكر الخاص هو: سبحانه والله الحمد لله ولا إله إلا الله أكبر، الذكر الخاص؛ وذكر القرآن بمعنى العام .

السائل : قول المشركين للرسول صلى الله عليه وسلم: أمسك لما أنذرهم بعذاب الدنيا، هل يخافون من عذاب الدنيا أكثر من عذاب الآخرة ؟

الشيخ : أي هم يخافون؛ لأنهم يعرفون أن الرسول صادق؛ لكن عندهم عناد . والعياذ بالله .؛

لكن ((**أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل وسمعه غشاوة فمن يهديه من بعد الله**)) .

السائل : شيخ ((**ذلك نتلوا عليك من الآيات والذكر الحكيم**)) الآيات علي أن تختص بما ذكرت لعيسى آل عمران ؟

الشيخ : نعم؛

السائل : الخطاب إذا كان للنبي صلى الله عليه وسلم هل تختص بما ذكر من عيسى نحن قلنا ؟

ما يمكن شيخ أن نقول: ذلك قصة وغيرها ؟

الشيخ : قصة هم على الشرع الذي عليه هم .

السائل : شيخ أخذنا من فوائد الالتفات إبعاد السعة والمرن من سامع وكذلك حلمها على التفكير في المعنى هذه يمكن أن نضيف إلى فوائد الالتفات ؟

الشيخ : ممكن التفكير قد يكون ضابط تنبيه؛ لكن ما يخالف هذه فائدتين، هذه فائدتين صحيحتين .

السائل : قوله تعالى: ((**وأما الذين كفرو فأعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والآخرة**)) هذا عذاب الدنيا يشمل عذاب الحسي والمعنوي وإلا ؟

الشيخ : الظاهر غير هذا ؛ الذي في القلب، الظاهر كالأثر الظاهر الذي في القلب نعم .

الشيخ : ربما، ربما يعني على بعد .

((**وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم والله لا يحب الظالمين ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلا تكن من الممترين**)) أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. أظن بقي علينا فوائد؟ نعم؛ من أين ؟ من قوله: ((**ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين**)) . قال الله عز وجل: ((**ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين**)) . يستفاد من هذه الآية الكريمة: أن أعداء الرسل يكيدون لهم ويمكرون لهم؛ لقوله: ((**ومكروا**)) . وننتقل من هذا إلى أن أعداء الرسل أيضا يمكرون لأتباع الرسل؛ لأن أعداء الرسل ليسوا يمكرون بالرسل من أجل أنهم فلان وفلان لكن من أجل دعوتهم، ودعوتهم إذا ورث العلماء من بعدهم فإن الذين يمكرون للرسل سيمكرون بأتباع الرسول وورثة الرسل . وينبني على هذه الفائدة: أنه يجب على أهل العلم أن يتحفظوا تحفظا كاملا من أعداء الرسل الذين يتربصون بهم الدوائر، وأن يتقوا شرهم بما استطاعوا لئلا يمكروا بهم؛ والمكر ووسائله وطرق كثيرة؛ لكن العاقل الذكي ينتبه؛ ولهذا قال الله عزوجل للرسول عليه الصلاة والسلام في المنافقين: ((**هم العدو فاحذرهم**)) فبين أنهم هم العدو حقيقة وأمر بالحذر منهم . ومن فوائد هذه الآية: وصف الله عز وجل بالمكر؛ لكنه لا يوصف به على الإطلاق؛ بل يقال: إن الله ماكر بمن يمكر به ليعود المكر صفة كمال؛ لأن المكر إذا ذكر مطلقا صار محتملا للنقص؛ فإذا ذكر مقيدا بأن قيل: إن الله ماكر بمن يمكر به وبأوليائه صار صفة كمال يدل على قوة الله عز وجل وإحاطة علمه وأن علمه أدق من علم هؤلاء الماكرين الذين يأتون بالأسباب الخفية والطرق المتوية ليوقعوا عباد الله الشطر؛ فيكون الله سبحانه وتعالى أقوى منهم في ذلك، أقوى منهم في هذا إذا مكروا مكر الله عز وجل؛ ولا يجوز أن يسمى الله الماكر مطلقا . طيب يسمى بالماكر؟ لا؛ يوصف بالماكر على الإطلاق ؟ لا؛ يوصف بالماكر مقيدا . وسبق لنا أنه وصف الله نفسه بالمكر والكيد والسخرية والخداع والاستهزاء ولم يصف نفسه بالخيانة أبدا؛ لأن الخيانة صفة ذم بكل حال؛ ((**وإن يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم**)) ولم يقل: فخانهم؛ لأن الخيانة خديعة في مقام الائتمان والخديعة في مقام الائتمان صفة ذم، صفة ذم ونقص . ومن فوائد الآية الكريمة: جواز المفاضلة بين الخالق والمخلوق في الوصف؛ كما قال: ((**والله خير الماكرين**)) وخير اسم تفضيل فيجوز أن يفاضل بين الخالق والمخلوق لأن هذا مطابق للواقع تماما؛ الله تعالى أكل من كل ذي كمال؛ أعرفت ؟ نعم . ومنه تتفرع قاعدة وهي: خطأ بعض أهل العلم رحمهم الله، حيث يفسرون اسم التفضيل المنصوب إلى الله باسم الفاعل؛ فيكون مثلا في قوله تعالى: ((**الله أعلم حيث يجعل رسالته**)) يقولون: الله عالم حيث يجعل رسالته؛ ولم يتفطنوا أنهم إذا قالوا: الله عالم لم يمنع مشاركة غيره في العلم مع المساواة؛ لكن إذا قالوا: الله أعلم أيش؟ امتنع مشاركة غيره له في العلم الذي هو أعلم به من غيره . نعم ((

والله خير الماكرين)) . ثم قال الله تعالى: ((**إذا قال الله يا عيسى إني متوفيك** ...)) في هذه الآية الكريمة: التنبيه على أنه ينبغي أن نذكر الناس بأحوال الأنبياء السابقين؛ وجه ذلك أننا قدرنا: ((**إذ قال الله**)) بأيش؟ أذكر إذ قال الله؛ فينبغي أن يذكر الإنسان الناس بأحوال الأنبياء السابقين لما فيه من محبتهم والثناء عليهم ومعرفة أحوالهم وإبقاء ذكراهم وغير ذلك من المصالح العظيمة . ومن فوائد هذه الآية الكريمة: إثبات القول لله وأنه بحروف وأصوات مسموعة؛ لقوله: ((**يا عيسى إني متوفيك**)) وهذا خطاب من يسمع، ثم هو كلمات من حروف وإلا من غير حروف؟ من حروف، من حروف؛ ولهذا كان مذهب أهل السنة والجماعة أن الله يتكلم كلاما مسموعا بحرف وصوت . ومن فوائد الآية الكريمة: الرد على من قال: إن كلام الله هو المعنى النفسي، المعنى القائم بنفسه؛ فإن هذا لا يسمى قولا وإن أطلق عليه القول فلابد أن يقيد كما في قوله: ((**ويقولون في أنفسهم لو لا يعذبنا الله بما نقول**)) فلما أراد القول لنفسك قيدها ((**يقولون بأنفسهم**)) أما إذا جاء القول غير مقيد فالمراد به ما يسمع ؛ فيه الرد على الأشاعرة الذين يقولون إن كلام الله هو الكلام النفسي القائم بنفسه، وأنه أزلي لا يحدث ولا يسبق بعضه بعضا؛ لأنه معنى، معنى القائم بالنفس؛ والحقيقة أن هذا القول مضمونه إنكار كلام الله؛ ولهذا قال بعض منصفيهم: ليس بيننا وبين المعتزلة فرق؛ لأننا نقول جميعا إن هذا القرآن الذي في المصحف مخلوق؛ لأن الأشاعرة يقولون إن الله تعالى لا يتكلم بما يسمع؛ لكن يخلق كلاما يعبر به عما في نفسه؛ وعلى هذا فالمسموع والمقروء والمكتوب مخلوق فيتفق المعتزلة و الأشاعرة؛ بل المعتزلة خير منهم من جهة النسبة؛ لأنهم يقولون هذا كلام الله؛ وأولئك يقولون هذا عبارة عن كلام الله، عبارة عن كلام الله وليس كلام الله؛ المهم أن هذه الآية وأمثالها فيها الرد على من؟ على الأشاعرة . ومن فوائد الآية الكريمة: فضيلة عيسى ومنقبته بخطاب الله إياه؛ فإن من خاطبه الله فذلك فخر له بلاشك؛ خصوصا وأنه قال له: ((**إني متوفيك ورافع إليك** ...)) . ومن فوائد الآية الكريمة: أن الله سبحانه وتعالى رفع عيسى بجسمه؛ لقوله: ((**ورافعك**)) والخطاب لعيسى المكون من بدن وروح؛ فيكون رفعه بجسمه ببدنه . ومن فوائدها: إثبات منقبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم أسري به إلى السموات السبع حتى اخترقها كلها وهو يقضان؛ وعيسى لم يرفع إلا وهو نائم؛ لأن قوله: ((**إني متوفيك**)) أي منيمك على أحد الأقوال وهو أقربها؛ ومعلوم أن ثبات قلب من يباشر الشيء وهو يقضان أقوى من ثبات من يباشره وهو نائم؛ واضح ؟ ولهذا تجد بعض الناس إذا سمع رعد الشديد والبرق الخاطف يغمض ويضع أصبعه في أذنيه حتى لا يسمع ويقول ليتني نمت قبل هذا؛ والإنسان الثابت الذي يقول: لن يصيبنا إلا ما كتبه الله لنا تجده ما يهمه؛ المهم أن الرسول صلى الله عليه وسلم أسري به يقظة بروحه وبدنه وعيسى عندما أراد الله أن يرفعه أنامه . ومن فوائد الآية الكريمة: منقبة لعيسى أخرى،

حيث قال: ((**ورافعك إلي**)) إلي فأضاف رفعه إلى نفسه عزوجل؛ وهذا لاشك أنه منقبة أن الله ضمه إليه ورفعه إليه ليكون أقرب إليه مما لو كان في الأرض . ومن فوائد الآية الكريمة: أن الله عز وجل منع الأذى عن عيسى الذي يمكن أن يلحقه بالكفار؛ ((**مطهرك من الذين كفروا**)) وذلك بالدفاع عنه؛ فإن الذين كفروا قالوا إنه ولد الزنا . قاتلهم الله؛ فطهر الله، طهره الله؛ لما قالوا ((**يا مريم لقد جئت شيئا فريا يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وكانت أمك بغيا**)) من أين جاءك الزنا، من أين جاءت بالزنا، لأن هذا تعريض يقولون ما كان أبوك امرأ سوء بل هو نظيف وأمك كذلك فمن أين جاءك الزنا؟؛ شف أعوذ بالله؛ لم تجاوبهم ((**أشارت إليه**))، اسألوا الطفل ؟ ((**قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا**)) فأجابهم قبل أن يسألوه ويش قال: ((**قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا** ...)) هذا تطهير عظيم له ولأمه رضي الله عنهما . ومن فوائد الآية الكريمة: أن كل من رمى عيسى بهذا السوء فهو كافر؛ لأنه لم يقل: مطهرك من الذين قدحوا فيك؛ بل قال: ((**من الذين كفروا**)) فيستفاد من هذا أولا كفر من هؤلاء وثانيا: أن كل من رماه بذلك فهو كافر . ومن فوائد الآية الكريمة: أن نصرة الأتباع نصرة للمتبوع؛ من أين ؟ ((**وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا**)) لو لا أنه يفرح بذلك ويسر ما بشره الله به؛ لكن من المعلوم أن كل إنسان يدل على هدى فينتصر أتباعه من المعلوم أنه سيفرح؛ لأنه كلما انتصر أتباعه قوي الهدى الذي قاد الناس إليه فعظم أجره؛ فإن من دل على هدى كان له مثل أجر فاعله . ومن فوائد الآية الكريمة: أن أتباع عيسى منصورون إلى يوم القيمة؛ لقوله: ((**فوق الذين كفروا إلى يوم القيمة**)) وسبق لنا من أتباعه ؟ بعد بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم هم أمة محمد ومن كفر بمحمد فإنه لم يتبع عيسى؛ وذكرنا وجها آخر أن النصارى سيكونون فوق غيرهم من مل الكفر؛ لكن الإسلام فوق الجميع؛ ولكن متى يكون الإسلام فوق الجميع ؟ إذا رجع المسلمون إلى الإسلام حقيقة؛ أما إذا لم يرجعوا إلى الإسلام حقيقة فيخشى أن يكون النصارى فوقهم؛ والواقع؟ الواقع الآن مع الأسف يشهد بهذا . ومن فوائد الآية الكريمة: إثبات يوم القيمة؛ لقوله: ((**إلى يوم القيمة**)) ويوم القيمة وهو يوم يبعث فيه الناس للجزاء إن خيرا فخير وشرا فشر؛ وسمي يوم القيمة يا محمد الفاضلي ؟ عبد الكريم ؟ لماذا سمي يوم القيمة ؟ يوم يقوم الناس لرب العالمين؛ هذا واحد، كمل ؟ نعم يا أخ ؟ يقوم فيه الأشهاد ؛ كمل ؟ يقام فيه العدل طيب . ومن فوائد الآية الكريمة: إطلاق الفوقية على الفوقية المعنوية؛ يعني معناه أنهم يكونون على سقف فوق رؤوسهم ؟ لا؛ حسيا ؛ فوقية معنوية صح؛ إذا إثبات الفوقية المعنوية كالفوقية الحسية. ومن فوائد الآية الكريمة: أن مرجع الخلائق إلى ربه عزوجل الذي ابتدأ خلقه ستكون النهاية إليه؛ لقوله: ((**ثم إلي مرجعكم**)) ولابد؛ ولهذا قال الله تعالى: ((**يا أيها الإنسان إنك كادح**)) الإنسان يخاطب كل إنسان ما هو بس لمؤمن كل إنسان ((**إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه**))

كادح إليه شف إلى للغاية، النهاية إلى الله ثم أكد هذه النهاية بقوله: ((فملاقيه)) يعني فاستعد لهذا اللقاء . ومن فوائد الآية الكريمة: إثبات حكم الله في الدنيا والآخرة؛ لقوله: ((**فأحكم بينكم**)) هذا في الآخرة؛ في الدنيا ((**وما اختلفتم من شيء فحكمه إلى الله**)) فالحكم كله راجع إلى الله عزوجل والله تعالى هو الحكم في الدنيا والآخرة . ومن فوائد الآية الكريمة: بشارة المؤمنين بأن خلافهم مع الكفار سوف يجري فيه الحكم على يد الواحد القهار فيحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون؛ وقد أخبرنا الله عزوجل أن الخاصم هم المؤمنون، الخاصم الغالب هم المؤمنون قال الله تعالى: ((**فالله يحكم بينكم يوم القيمة**)) ويش بعدها؟ ((**ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا**)) الحمد لله .؛ شف ((**سبيلا**)) نكرة في سياق أيش؟ آدم ويش تقول نكرة في سياق أيش؟ سياق النفي؛ النفي كلما جاءت نكرة فهي في سياق النفي ؟ أي نعم؛ خطأ، خطأ غير صحيح، ليس كذلك؛ المهم هذه نكرة في سياق النفي فتشمل كل سبيل أي سبيل لا قليل ولا كثير وهذه بشرى يعني أي خصم يقال له يعني أي خصم في الدنيا يقال له: أنت فائز على كل حال، يعني القاضي يقول للخصم: شف تخاصموا عندي وأنت الغالب؛ على حال هل جرت مثل هذه الخصومة ؟ أبدا؛ لكن خصومتنا مع الكافرين ـوالحمد لله ـ الحكم لنا فيه مقدم ((**فالله يحكم بينكم يوم القيمة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا**)) نعم . من فوائد الآية الكريمة: ثبوت علو الله بذاته؛ لقوله: ((**ورافعك إلي**))؛ لأن الرفع معروف أنه الصعود إلى الأعلى؛ فإذا قال إلي علم يقينا أن الله فوق ـ عز وجل ـ؛ وهو كذلك هو فوق كل شيء بذاته؛ ولا ينافي هذا ما ثبت من أنه عزوجل ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر؛ هو نازل وهو عالي؛ ولا ينافي هذا أيضا أنه مع الخلق كما قال عز وجل:((**وهو معكم أين ما كنتم**)) فهو مع الخلق وهو عال عليه كما قال شيخ الإسلام في الواسطية: علي في دنوه قريب في علوه؛ ولا ينافي هذا أيضا أنه يأتي يوم القيمة للفصل بين العباد فهو يأتي ولكنه فوق شيء؛ ولا ينافي هذا أنه يدعوا عشية يوم عرفة يباهي بأهل الموقف الملائكة . إذا قال قائل: كيف لا ينافي هذا ؟ أنا لا أتصور أن شيئا يكون عاليا نازلا أبدا ؟ قلنا: تبا لك أنت لا تتصور هذا بالنسبة لمن؟ للمخلوق؛ أما بالنسبة للخالق فكل ما أخبر الله عن نفسه فهو حق، حق لا يتناقض؛ وليس فيه لا يمكن أبدا؛ إذا قلت: لا يمكن معناه أنك لن تصدق أخبار الله ورسوله إلا إذا وافقت هواك وإلا فلا؛ ولهذا ضل من ضل من الناس في مثل هذه الأمور حيث قالوا هذا غير ممكن وهذا غير ممكن؛ وبنوا عقيدتهم على أهوائهم؛ إذا تريد تبني عقيدتك على هواك فما الفائدة من الرسل؟ لا فائدة من الرسل؛ إذا كان أنت تريد أن تبني العقيدة على ما تهوى أنت وإذا جاءت الرسل بكلام يخالف ما عندك ذهبت تحرفه إذا لا فائدة من الرسل؛ ولهذا أنصحكم دائما وأبدا وأكرر أن تقبلوا كل ما جاء في الكتاب والسنة من صفات الله عزوجل ومن صفات اليوم الآخر أيضا؛ لأن في

اليوم الآخر أشياء ما تكون في الدنيا . دنو الشمس من الناس قدر ميل يوم القيمة لو كان في الدنيا احترق الأرض ومن عليها؛ لكن في الآخرة شيء آخر؛ كون الناس في هذا نور وفي هذا ظلمة والموقف واحد في الدنيا لا يمكن، لو جئت بأدنى سراج لانتفع به من إلى جنبك، في الآخرة ممكن؛ في الدنيا في الآخرة ناس يعرقون على قدر أعمالهم منهم من يلجمهم العرق ومنهم من إلى كعبين والمقام واحد؛ في الدنيا يمكن وإلا ما يمكن ؟ ما يمكن؛ فأمور الآخرة أمور الغيب كلها لا يجوز لك أن تقيسها بما تشاهد في الدنيا لأن القياس هنا ممتنع فهو قياس مع الفارق، لاسيما في صفات الخالق عز وجل فإن الفارق فارق بعيد بين صفات الخالق وصفات المخلوق؛ ولذلك حذار أن تقيس بما أثبت الله لنفسه من صفات بما تعرفه من صفات المخلوقين فإنك ستضل . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ((**إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلا تكن من الممترين فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين إن هذا هو القصص الحق وما من إله إلا الله وإن الله لهو العزيز الحكيم**)) . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. أظن هذا ما وصلنا إليه ؟ فوائد، فوائد نعم؛ وقفنا على قوله: ((**ورافعك إلي ومطهرك** ...)) ومن فوائد الآية الكريمة: أن مرجع الخلائق إلى الله نهاية وحكما؛ فإن الناس يبعثون يوم القيمة إلى ربهم حكما يحكم بينهم . ومن فوائدها: إثبات الجزاء؛ لقوله تعالى: ((**فأحكم بينكم**)) وهذا حكم جزائي . ومن فوائدها: أن الخصومة تقع بين المؤمنين والكافرين في يوم القيمة؛ لقوله: ((**فأحكم بينكم**))؛ ويحتمل أن يقال: إن هذا حكم سبقت الخصومة فيه في الدنيا، حيث كان الكفار والمنافقون يختصمون؛ ولكن الأول أقرب ويؤيده قوله تعالى: ((**إنك ميت وإنهم ميتون ثم إنكم يوم القيمة عند ربكم تختصمون**)) . ومن فوائد الآية الكريمة: أن الاختلاف بين المسلمين والكفار اختلاف جوهري يحكم الله به بين هؤلاء وهؤلاء يوم القيمة؛ وأن الاختلاف بين المسلمين فيما ما مصدره الاجتهاد فإنه لا يحكم بينهم؛ لأن المجتهدين وإن اختلفوا في الحكم فإنهم لم يختلفوا في الحقيقة لأن كل واحد منهم يعذر الآخر ولا يرى أنه مخالف له وإن خالفه في القول والرأي لكنه لم يخالفه في المنهج والطريقة، كل واحد منهم يريد الحق ولكن اختلفوا في كيفية الوصول إليه , ومن فوائد الآية الكريمة: إثبات علم الله؛ لقوله: ((**فأحكم بينكم**)) إذ لا حكم إلا بعد علم؛ ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: (**إنما أقضي بنحو ما أسمع**) . ثم قال الله عز وجل: ((**فأعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم والله لا يحب الظالمين**)) . ومن فوائد هاتين الآيتين أولا: إثبات العذاب للكافرين؛ لقوله: ((**وأما الذين كفروا فأعذبهم عذابا شديدا**)) . ومن فوائدها: أن العذاب في الدنيا قد لا يكفي عن العذاب في الآخرة

بالنسبة للكفار؛ أو نقول: أن العذاب في الدنيا لا يغني عن العذاب في الآخرة بالنسبة للكفار؛ لقوله: ((**وأما الذين كفروا فأعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والآخرة**)) ولهذا يعذب الكفار في الدنيا فيهزمون ويؤسرون وتصبى ذريتهم ونسائهم وتغنم أموالهم وهذا عذاب أليم ومع ذلك لا ينجون من عذاب النار . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ((**إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلا تكن من الممترين فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين إن هذا هو القصص الحق وما من إله إلا الله وإن الله لهو العزيز الحكيم فإن تولوا فإن الله عليم بالمفسدين**)). أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. قال الله تعالى: ((**إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون**)) هذا مبتدأ الدرس ؟ فوائد . قال الله عز وجل: ((**فأما الذين كفروا فأعذبهم عذبا شديدا في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين**)) . يستفاد من هذه الآية الكريمة فوائد منها: إثبات الجزاء؛ لقوله: ((**وأما الذين كفروا فأعذبهم**)) . ومنها: أن الجزاء من جنس العمل؛ فكلما كان الجزاء أسوأ كان الجزاء أشد؛ ولهذا قال: ((**فأعذهم عذابا شديدا**)) . ومنها: أن العذاب عذاب الكافرين يكون في الدنيا ويكون في الآخرة؛ وأما عذاب الدنيا فهو فبالأسر والقتل والفيضانات وما أشبه ذلك، كما قال الله تعالى: ((**قاتلوهم يعذبكم الله بأيديكم**)) وهذا بماذا ؟ بالقتل والأسر؛ وأما العذاب الزلازل وشبهها فكقوله تعالى: ((**فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب أليم**))؛ هذا عذاب من الله عزوجل؛ والأول عذاب بأيدي المؤمنين . ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن الكفار لا ناصر لهم من عذاب الله لا أحد يمنعهم؛ لقوله: ((**وما لهم من ناصرين**))؛ أما في الآخرة فظاهر لأن الشفاعة لا تنفع فيهم؛ لقوله تعالى: ((**ولا يشفعون إلا لمن ارتضى**)) وأما في الدنيا فكذلك؛ لأن هؤلاء الكفار إذا عذبوا بأيدي المؤمنين فالمقاتلة منهم يقتلون والنساء والذرية يسبون والأموال والأراضي تغنم وهذا لا ناصر لهم فيه . فإن قال قائل: أليس الإمام يخير في الأسرى بين أمور أربعة ؟ بين القتل؛ والفداء بالمال، أو بنفس مؤمنة؛ والاسترقاق؛ والمن؛ بين أمور أربعة إما القتل؛ وإما الفداء بمال أو بأسير مسلم؛ أو الاسترقاق يجعله رقيقا يباع ويشترى؛ أو المن مجانا ؟ لا إشكال في الثلاثة الأولى؛ الإشكال في الأخير وهو المن وهذا ليس بعذاب؛ فالجواب عن ذلك أن نقول: إنه لا يجوز للإمام أن يختار واحدة من هذه الأربع إلا حيث يرى للمسلمين فيها مصلحة؛ فالتخيير هنا تخيير مصلحة وليس تخيير تشهي واختيار؛ وإذا كان للمسلمين مصلحة فلابد أن يكون هذا عذابا للكافرين؛ لأن كل شيء فيه مصلحة للمسلمين ففيه عذاب للكافرين؛ وعلى هذا فلا ناصر لهم لا في الدنيا ولا في الآخرة . ثم قال الله تعالى: ((**وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم**)) , يستفاد

من هذه الآية: بلاغة القرآن وحكمة القرآن؛ بلاغته في الإتيان بالمعاني متقابلة؛ لأن الإتيان بالمعاني المتقابلة توجب نشاط الإنسان، حيث ينتقل الذهن من معنى إلى ما يقابله؛ فيزداد نشاطا وشغفا؛ وأما من جهة الكمال البلاغة فلأن المعاني إذا تنوعت على وجوه التقابل ازداد اللفظ حسنا وهذا معروف عند علماء البلاغة باسم أيش؟ باسم علم البديع؛ وفيه أيضا تربية للنفس؛ لأن النفس إذا سمعت عقاب الكافرين خافت ووجلت وربما يستولي عليها اليأس؛ فإذا جاء ثواب المؤمنين طمأت ورجت فصار صيرها إلى الله تعالى بين الخوف والرجاء . ومن فوائد الآية الكريمة: أن وفاء الأجر مرتبط بين وصفين: الإيمان والعمل الصالح؛ فالإيمان وحده لا يكفي بل لابد من عمل صالح ينمي هذا الإيمان ويشهد بصحته أما مجرد العقيدة فإنها لا تكفي على أن العقيدة إذا كانت سليمة استلزمت العمل الصالح؛ لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (**ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب**) . ومن فوائد الآية الكريمة: أن العمل لا ينفع إلا إذا كان صالحا؛ والعمل الصالح من جمع وصفين: الإخلاص لله؛ والمتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم؛ أي ما كان صالحا صوابا كما قال فضيل بن عياض رحمه الله . ومن فوائد الآية الكريمة: منة الله سبحانه وتعالى على عباده، حيث جعل هذا الجزاء كالأجور اللازم وفائها؛ لقوله: ((**فيوفيهم أجورهم**))؛ شف والفرق بين التعبيرين؛ هناك قال: ((**فأعذبهم عذابا شديدا**)) وهنا قال: ((**فيوفيهم أجورهم**)) . ومن فوائد الآية الكريمة: إثبات المحبة لله؛ لقوله: ((**والله لا يحب الظالمين**)) . فإن قال قائل: كيف تستدلون على إثبات المحبة لنفي المحبة ؟ لأنه قال: ((**لا يحب الظالمين**)) ؟ فالجواب: أن نفي المحبة عن الظالمين دليل على ثبوتها لغيرهم؛ ولو كانت منتفية عن الجميع لم يكن لتخصيصها بالظالمين فائدة؛ ولهذا استدل الشافعي رحمه الله على ثبوت رؤية المؤمنين لله بقول الله تعالى عن فجار: ((**كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون**)) وقال في وجه الاستدلال: ما حجب أعدائه عن رؤيته في الغضب إلا لثبوت رؤية أوليائه له في الرضا؛ وهذا واضح . ومن فوائد الآية الكريمة: شؤم الظلم، شؤم الظلم على الإنسان وأنه سبب لانتفاء محبة الله له؛ وإذا انتفت محبة الله للعبد فقد هلك . ومن فوائدها: أن الظلم من كبائر الذنوب؛ لأنه رتب عليه وعيد وهو انتفاء محبة الله سبحانه وتعالى؛ ولكن الظاهر أن هذا ليس على سبيل الإطلاق؛ بل الظلم يكون كبيرة ويكون صغيرة لأن جميع المعاصي ظلم؛ من المعاصي ما هو كبير ومنه ما هو صغير. ومن فوائد الآية التي قبلها: التنوع في الأسلوب، وهو الانتقال من ضمير التكلم إلى ضمير الغيبة؛ ((**فأعذبهم**)) وهنا قال: ((**فيوفيهم**)) .

فهل هناك فرق من حيث المعنى ؟ الجواب: نعم فرق من حيث المعنى؛ أما اللفظ فظاهر ففيه التفات من ضمير التكلم إلى ضمير الغيبة؛ لكن نريد الفرق في المعنى؛ الفرق في المعنى أن العذاب عقوبة يستدعي سلطة وقهر وقرا وعزة؛ فكان الأنسب التعبير بماذا ؟ بأعذب الدالة على قوة السلطان؛ أما هذه فكأن الله سبحانه وتعالى للتودد مع هؤلاء وبيان فضلهم قال: ((**فيوفيهم أجورهم**)) ولم يسند الإيفاء إلى نفسهم ليعطيهم شيئا من الشكر على عملهم؛ لأن الفرق بين أن تخاطب الإنسان بالتعبير عن فعلك به بضمير التكلم أو أن تعبر بضمير الغيبة؛ لأن المواجهة أشد من الغيبة، وتأمل قوله تعالى: ((**عبس وتولى أن جاءه الأعمى وما يدريك**))؛ فقال: ((**عبس**)) ولم يقل: عبست؛ وقال: ((**وما يدريك**)) ولم يقل: وما أدراه، أو وما يدريه؛ فهذه والله أعلم الحكمة من أنه جاء التعبير بالعذاب بالفعل مسندا إلى ضمير المتكلم بخلافه في الجزاء؛ ويدل لهذا الاعتبار قوله تعالى في سورة الرحمن: ((**هل جزاء الإحسان إلا الإحسان**)) فجعل فعلهم إحسانا يشكرون عليه ويحسن إليهم مع أن الإحسان كله من الله؛ فإن التوفيق للعمل الصالح من إحسان الله إلى العبد؛ لكن هذا من كمال رحمة الله عز وجل وثوابه وجزائه؛ وقال تعالى في سورة الإنسان: ((**إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا**))؛ طيب سعيهم مشكورا من الذي وفقهم للسعي ؟ الله؛ ومع ذلك يقول: ((**وكان سعيكم مشكورا**)) فصار في تغيير الأسلوب في الآيتين صار فيه فائدتان: لفظية؛ ومعنوية؛ اللفظية هو الالتفات التي يوجب الانتباه؛ والثاني المعنوية هو: إظهار السلطة والعظمة والعزة في باب التعذيب؛ وإظهار الفضل والإحسان للعاملين في باب المثوبة .ثم قال تعالى: ((**ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم**)) . من فوائد هذه الآية الكريمة: أن الله عز وجل تكلم بالقرآن؛

ثم قال الله تعالى: ((**ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم**)) . من فوائد هذه الآية الكريمة: أن الله عز وجل تكلم بالقرآن فقال: ((**ذلك نتلوه عليك**)) إذا كانت التلاوة لله حقيقة ونقلها جبريل إلى الرسول صلى الله عليه وسلم؛ ويحتمل أن تكون التلاوة لجبريل لكن لما كان جبريل لله نسب فعله إلى الله؛ فهو كقوله تعالى: ((**لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه**)) ومعلوم أن الذي يقرأه جبريل . ومن فوائد الآية الكريمة: أن القرآن الكريمة آية بل آيات كما قال الله تعالى: ((**بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم**)) آيات عظيمة؛ فآياته كثيرة؛ كل آية فيها عدة آيات؛ ولكن لا يفهم هذه الآيات إلا من فتح الله قلبه بالإيمان و العلم واعتقاد أن هذا القرآن كلام الله وأن فيه آيات بينات؛ أما الذي تمر عليه مثل هذه الجملة من الآيات مر الكرام ولا يتحرك به قلبه ولا يتأمل هذه الآيات فإنه لن ينتفع بما في القرآن من الآيات؛ لابد أن تؤمن بأن فيه آيات وأن تحول استخراج هذه الآيات بالتدبر؛ والإنسان إذا تدبر القرآن وجد فيه آيات عظيمة لا يحصيها البشر . ومن فوائد الآية الكريمة: أن القرآن ذكر؛ لكن هل هو ذكر يتقرب إلى الله به؟ أو هو ذكر يتذكر به الإنسان؟ ذكرنا أن المعنى شامل لهذا وهذا؛ فهو ذكر يقرب إلى الله؛ لأنه مت تلاه فله بكل حرف عشر حسنات؛ وهو ذكر يتذكر به الإنسان، قال الله تعالى: ((**إن فيها لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد**))؛ قيل: وهو ذكر رفع الله به شأن الذين تمسكوا به كما قال الله تعالى: ((**وإنه لذكر لك ولقومك**)) وكقوله تعالى: ((**ورفعنا لك ذكرك**)) أي شأنك علوناه؛ وعلى هذا فيكون الذكر كم؟ ثلاثة معاني: ذكر يتقرب به إلى الله بتلاوته؛ وذكر يتذكر به الإنسان؛ وذكر يعني شرفا لمن تمسك به . ومن فوائد الآية الكريمة: وصف القرآن الكريمة بهذا الوصف العظيم وهي الحكمة ((**والذكر الحكيم**)) والحكيم هنا بمعنى الحاكم والمحكم؛ لأن القرآن حكم بين الناس ((**فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول**)) أي إلى كتابه؛ فهو حكم وهو أيضا محكم، محكم متق ليس فيه اختلاف ولا اضطراب ولا تناقض . ومن فوائد الآية: أنه لا يوجد حكم دل عليه القرآن إلا وهو في موضعه اللائق به؛ من أين يؤخذ؟ من ((**الحكيم**)) لأن الحكيم هو الذي يضع الشيء في مواضعه؛ فكل حكم حكم به القرآن فإنه في موضعه؛ لا يقول العقل ليته لم يحكم به أبدا سواء كان ثبوتيا أم سلبيا . ومن فوائد الآية الكريمة: فضيلة الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله: ((**نتلوه عليك**)) أخصه صلى الله عليه وسلم بالتلاوة عليه لأنه صلى الله عليه وسلم أشرف من يتلقى القرآن وأقوم الناس عملا به فكأنه هو المخصوص بالتلاوة عليه ((**نتلوه عليك**)) . ثم قال عز وجل: ((**إن مثل عيسى عند الله**)) ما في السماء ؟ طيب . قال الله تعالى: ((**إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم**)) لقد مر علينا أن هذه الآيات نزلت حين قدم وفد نجران إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا نصارى وكان قدومهم في تسع من الهجرة لأن تلك

السنة كثر فيها الوافدون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ ولهذا تسمى سنة الوفود؛ وهذا أحد الأسباب الذي منعت النبي صلى الله عليه وسلم أن يحج في العام التاسع مع أن مكة قد فتحت . ((**إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم**)) يعني شأنه، إن شأن عيسى عند الله كشأن آدم لا يختلف عنه؛ فكما أننا متفقون على أن آدم خلقه الله عزوجل من غير أب ولا وأم حتى النصارى يؤمنون بهذا؛ فما بال النصارى يقولون كيف خلق الله عيسى بلا أب ؟ ما هو إلا ابنه . نعوذ بالله . فقالوا إنه ابن الله جزء منه ولم يقولوا إن آدم ابن الله مع أنه لو كان أحد يدعي البنوة في أحد من البشر لكان الأحق بها آدم؛ البنوة، البنوة لله لكان الأحق آدم؛ لأنه ما له أم ولا أب؛ أما عيسى فله أم والأم أحد الوالدين؛ فإذا كنا نقول لا يمكن أن يوجد أحد بلا أب ولا أم، من أم بلا أب فلنقل لا أحد يوجد بدون أم ولا أب؛ فأنتم أيها النصارى أقررتم بأن آدم ليس ابنا لله فيلزمكم أن تقروا بأن عيسى ليس ابنا لله؛ لأن مثل عيسى كمثل آدم ((**خلقه من تراب**)) خلقه يعني ابتدأ خلقه من تراب؛ وضمير المفعول في خلقه يعود إلى آدم لأنه هو المخلوق من التراب؛ ((**خلقه**)) أي خلق آدم من تراب ((**ثم قال له كن فيكون**))؛ نحن قلنا: ابتدأ خلقه ثم قال: كن؛ والأمر هذا لتمام الخلق؛ وإنما قلنا ذلك لئلا يقول قائل: كيف تكون كلمة كن بعد الخلق؛ لأن الترتيب العقلي يقتضي أن تكون كلمة كن قبل الخلق كن فكان؛ فنقول: إن معنى ((**خلقه**)) يعني ابتدأ خلقه من تراب ثم قال له كن بشرا فكان بشرا؛ ((**ثم قال له كن فيكون**)) وهذا القول: كن؛ قول قدري أو شرعي؟ قول قدري، والقول القدري لا يتخلف عنه المقول؛ لأنه أمر حتمي بخلاف القول الشرعي فإن من الناس من يستكبر عنه، يقول الله: ((**أقيموا الصلاة**)) فيقول لا ما أقيم الصلاة؛ أما القول الكوني فإنه لا مرد له ((**كن فيكون**)) ولم يقل: فكان على حكاية الحال؛ يعني لما قال: ((**كن**)) فعلا شرعا بالكينونة حتى تمت . طيب في هذه الآية بيان إقامة الحجة بمثل ما يحتج الخصم به؛ لأنه أقام الحجة على النصارى بمثل ما احتجوا به؛ فقال: إذا قلتم إن عيسى ابن لله لأنه خلق بلا أب فقولوا إن آدم ابن الله وإلا فأنتم متناقضون . من فوائد الآية الكريمة: بيان قدرة الله سبحانه وتعالى حيث خلق آدم من غير أم ولا أب؛ وخلق عيسى من أم بلا أب؛ وهناك أيضا صنفان أن الله خلق بلا أم؛ وخلق بين أب وأم؛ من الذي خلق من أب بلا أم ؟ حواء؛ وسائر البشر من بين أم وأب . ومن فوائد الآية الكريمة: إثبات القياس؛ من أين يؤخذ؟ ((**كمثل آدم**)) وكل مثل مضروب في القرآن فإنه دليل على ثبوت القياس؛ لأنه إلحاق المورد بالمضرب؛ يعني أنك ألحقت الممثل بأيش؟ بالممثل به . ومن فوائد الآية الكريمة: إثبات القول للرب عز وجل؛ لقوله: ((**ثم قال له**)) . ومنها من فوائدها: أن قول الله بصوت مسموع وبحروف مرتبة؛ لقوله: ((**قال له كن**)) فسيسمع هذا القول؛ والحرف مرتب وإلا لا؟ بلى؛ الكاف قبل النون . ومن فوائد الآية: إثبات صفة الخلق لله؛ ((**خلقه**)) .

والخلق صفة ذاتية أو فعلية ؟ فعلية، من الصفات الفعلية؛ لكن قد مر علينا أن جنس الصفات الفعلية أيش؟ ذاتية ؛ لأن الله لم يزل ولا يزال فعالا . ثم قال الله عز وجل: ((**الحق من ربك فلا تكن من الممترين**)) ((**الحق من ربك**)) الحق خبر مبتدأ محذوف، والتقدير: ذلك الحق أي الخبر الذي يقص عليك هو الحق؛ وعلى هذا فتكون شبه الجملة وهي ((**من ربك**)) تكون في موضع نصب على الحال من ((**الحق**))؛ ويحتمل على بعد أن يكون ((**الحق**)) مبتدأ، و((**من ربك**)) خبره؛ وفائدة هذا التركيب على هذا الإعراب فائدته أنك لا تطلب الحق من غير الله؛ فكأنه يقول: مصدر الحق من الله فلا تطلبه من غيره ؛ ((**الحق**)) يوصف به الحكم ويوصف به الخبر؛ فإن وصف به الحكم صار معناه العدل؛ وإن وصف به الخبر صار معناه العدل؛ والصدق والعدل كلاهما ثابت؛ ولهذا وصفا بالحق؛ وأصل الحق من حق الشيء إذا ثبت كما قال الله تعالى: ((**وحقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون**)) ((**حقت**)) يعني ثبتت .

إذا في إعرابها وجهان يا عبد المنان ؟ ((**الحق من ربك**)) في إعرابها وجهان ؟

الطالب : أنه مبتدأ وخبر مبتدأه محذوف؛ خبر مقدم . مبتدأ وخبر محذوف ؟

الشيخ : خبر لمبتدأ محذوف صح نعم .

الشيخ : طيب ((**الحق من ربك**)) ((**من ربك**)) هنا أضاف الربوبية إلى النبي عليه الصلاة والسلام لتكون ربوبية خاصة؛ لأن الربوبية كما مر علينا كثيرا عامة وخاصة؛ فالعامة هي شاملة لجميع الخلق من مؤمن وكافر وبر وفاجر وآدمي وبهيم وحيوان وجماد؛ والخاصة هي التي تختص بالمؤمنين وتستلزم تربية أخص من التربية العامة ؛ ((**من ربك**)) ؛ ((**فلا تكن من الممترين**)) لا هذه ناهية ولهذا جزم الفعل بعدها؛ وهل مثلها الآية الأخرى ((**فلا تكونن**))؟ لكن فيها إشكال لأن آية الأخرى ما جزمت ((**فلا تكونن من الممترين**)) ؛

الشيخ : عليان؟ أيش؟

الطالب : الجزم

الشيخ : وين الجزم ؟

الطالب : حذف النون

الشيخ : وين حذف النون ؟ ((**فلا تكن**)) ؛ هذه ((**فلا تكن**)) هذه أيش ؟

الطالب : هذا سكون

الشيخ : سكون و ((**فلا تكونن**)) ؟

الطالب : النون محذوفة ؛

الشيخ : النون محذوفة ؟

الشيخ : يا جمال ؟

الطالب : نون ساكنة ثابتة لالتقاء الساكنين في ((**تكونن**)) ؟

الشيخ : خطأ ؛

الشيخ : أحمد ؟

الطالب : فعل مبني على الفتح

الشيخ : أحسنت الفعل هنا ما يهمه معرب حتى يجزم ؛ مبني على الفتح لاتصاله بأيش؟ بنون التوكيد ((**فلا تكونن**)) ولهذا بقي الفعل بجميع حروفه .

قوله: ((**فلا تكن من الممترين**)) أي فلا تكن من الشاكين؛ وقد أشكل هذا التعبير على كثير من الناس وقال: أفيشك الرسول صلى الله عليه وسلم ؟ أفيشك ؟ والجواب عن هذا أن نقول: هذه الآية أو هذا التعبير لا يدل على وقوع الشك من الرسول صلى الله عليه وسلم بل ولا على إمكانه؛ وإنما يراد به التعريض بالممترين، تعريض بالممترين وذمهم؛ فلو قلت لرجل صالح: لا تكن من الفاسقين؛ هل معنى ذلك أن الرجل فاسق؟ لا؛ ولكن معناه التعريض بالفاسقين وأنهم على خلق ينبغي أن يفر منهم كل عاقل؛ فكذلك ((**لا تكونن من الممترين**)) ليس معناها أن الرسول يمكن أن يكون منهم أو أنه منهم؛ لكن المعنى التعريض بالممترين الشاكين؛ ومنهم في هذه المسألة منهم النصارى؛ لأن النصارى يعتقدون بأن عيسى ابن الله فهم ممترون بخبر الله شاكون فيه وإلا فليس في التوراة ولا الإنجيل ولا القرآن ولا غيرها من الكتب المنزلة أن عيسى ابن الله؛ وليس فيها أيضا ما يفيد ظاهرا ولا احتمالا أن عيسى ابن الله ومع ذلك شكك هؤلاء النصارى وصاروا يبثون عقيدتهم الفاسدة بأن عيسى ابن الله؛

طيب إذا ((**لا تكونن من الممترين**)) ينهاه الله تعالى أن يكون من الممترين لا لأنه منهم ولا لأنه يمكن أن يكون منهم؛ ولكن تعريضا لهؤلاء الممترين، تعريضا لهم بالذم؛ ونظير ذلك كما قلت لكم: أن تقولوا لشخص مستقيم تقول: لا تكن من الفاسقين؛ سيقول لك: أنا فاسق ؟ الله يهديك؛ أقول: ما قلت أنك فاسق؛ لكنني أعرض بذم هؤلاء الفاسقين . وقال بعض أهل العلم حلا لهذا الإشكال المتوهم قال: إن الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والمراد أمته، الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والمراد أمته؛ لكن هذا القول ضعيف جدا؛ لأن الخطاب صريح بأنه للرسول صلى الله عليه وسلم؛ وكذلك المحادثة مع الرسول ((**الحق من ربك**)) كيف نقول المراد الحق من ربك فلا تكونوا يا أمة محمد من الممترين؛ هذا مؤدى هذا المعنى أو هو القول؛ وهو بعيد من الأسلوب القرآني ولكن المعنى الذي ذكرته هو الصواب، أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يمتري ولن يمتري ولكن هذا من باب التعريض؛ كأنه يقول: استمر على ما أنت عليه من اليقين وما أقبح حال هؤلاء الممترين .

السائل : هل قوله تعالى: ((**كمثل آدم**)) مطلقا ؟

الشيخ : لا لا؛ في الخلق بس، في الخلق؛ لأن النصارى اشتبه عليهم الأمر لما خلق بدون أب، اشتبه عليهم الأمر فقالوا هو ابن الله .

السائل : شيخ ! قوله تعالى: ((**الحق من ربك**)) الحق هل نقول أنه فاعل لفعل محذوف ؟

الشيخ : إذا قلنا إنه فعل محذوف ترتب عليه حذف ثلاثة أشياء؛ إذا قلنا إنه فاعل لفعل محذوف ترتب على هذا حذف ثلاثة أشياء ما هي؟ الفعل، والفاعل والمفعول؛ أو الفاعل موجود؟ ترتب حذف شيئين: الفعل والمفعول؛ وإذا قلنا إنه خبر لمبتدأ محذوف ترتب على ذلك حذف واحد؛ وأيضا واحد يحذف كثيرا وهو الاسم لأن حذف الاسم أكثر من حذف الفعل في الغالب .

السائل : شيخ أحسن الله إليكم؛ بعض الناس يشتبه عليه أخذ الجزية من النصارى فيتورع أن يقول هم في النار ؟

الشيخ : هذا لا ينبغي الاشتباه فيهم الآيات الكثيرة الصريحة ((**إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية**))؛ ويقول الله عز وجل في سورة الأعراف: ((**فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون**))؛ وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (**والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي واحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لا يتبع ما جئت به أو قال: لا يؤمن بما جئت به إلا كان من أصحاب النار**) ؛ إذلالا لهم ولعلهم إذا عاشوا بيننا

يرجعون إلى الحق لأن كتبهم تصرح بأن محمدا صلى الله عليه وسلم على الحق؛ مع أن القول الراجح أن الجزية تؤخذ منهم ومن غيرهم؛ تؤخذ من كل إنسان؛ لأن المقصود أن يكون الإسلام هو العالي . نعم فيه فرق بين الدعاء وبين الخبر ؛ لأن الدعاء كل إنسان عنده إيمان فهو خائف؛ من كان بالله أعرف كان منه أخوف؛ والإنسان يخشى؛ لكن خبر الله عن رسوله إنه جائز أن يكون من الممترين أو هو الآن من الممترين هذا بعيد .

السائل : شيخ ؟ الله خلق آدم من تراب وبقي هكذا لمدة طويلة ثم نفخ فيه الروح ؛ والله سبحانه وتعالى قادر على أن يقول للشيء كن فيكون فما الحكمة أو لماذا اختار هذه الكيفية أو ؟

الشيخ : أما مر علينا هذا؟ كل خلق الله ؛ يقول إن الله قادر أن يقول كن فيكون قبل أن يخلق من التراب ثم يكونه ؛ كل المخلوقات قادر أن يخلقها الله بكلمة كن؛ ومع ذلك ما فعل؛ لأن المخلوقات . تحتاج إلى حكمة وتدرج، وأشياء يحتاج بعضها إلى بعض؛ ولهذا ما خلق السموات والأرض بكن؛ خلقها في ستة أيام وهو قادر أن يخلقها بكلمة كن .

السائل : شيخ ؟ ما يتكلم الله تعالى به عند الخلق هل هو بالعربية ؟

الشيخ : يعني ما يتكلم الله به عند إرادة الخلق ما ندري هل هو باللغة عربية أو لا ؟

السائل : إذا كيف نستدل ؟

الشيخ : كلمة كن هذه حرفين اثنين واحد قبل الثاني هذا هو الترتيب .

السائل : شيخ ؟ في قوله: ((**الحق من ربك**)) .

الشيخ : أسمعتم كلام الأخ هداية ؟ سمعنا؛ يقول: إن الفاء رابطة لجواب شرط مقدر كذا؟ أي نعم؛ نقول: لا حاجة إلى هذا؛ لأنه ينبغي أن نفهم القاعدة لأننا لا نلجأ إلى التقدير إلا عند الضرورة إليه أما متى استقام الكلام بدون تقدير فهذا هو الواجب؛ لأنك إذا قلت إن الكلام لا يستقيم إلا بتقدير، إذا قلت إن الكلام فيه شيء مقدر معناه أن الكلام الآن ناقص؛ ولا يمكن أن نصف الكلام بالنقص إلا عند الضرورة؛ إذا رأينا أنه لا يستقيم إلا بالتقدير فنعم؛ أما هنا فيستقيم ونجعل الفاء هنا للتفريغ أي بسبب كونه من ربك لا تكن من الممترين .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ((**إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلا تكن من الممترين فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا**

وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين إن هذا لهو القصص الحق وما من إله إلا الله وإن الله لهو العزيز الحكيم فإن تولوا فإن الله عليم بالمفسدين)) . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. قال الله عز وجل: ((**فمن حاجك فيه**)) هذا مبتدأ درس الليلة ؟ الفوائد أخذت ؟ الفوائد ((**ذلك نتلوه عليك من الآيات**)) أخذنا فوائدها ؟ التي بعدها؛ والتي بعدها؟ إذا ((**الحق من ربك**))؟ **نعم**. قال الله عز وجل: ((**الحق من ربك فلا تكن من الممترين**)) . في هذه الآية من الفوائد: أن الله تعالى لا يصدر منه إلا الحق؛ ((**الحق من ربك**)) . ومن فوائدها: فضيلة رسول الله صلى الله عليه وسلم لإضافة الربوبية إليه؛ وذلك لأن الربوبية هذه خاصة، والربوبية خاصة تفيد معنى أخص من الربوبية العامة . ومن فوائدها: النهي عن الشك فيما أخبر الله به؛ لقوله: ((**فلا تكن من الممترين**)) . ومن فوائدها: أن الممترين كثيرون؛ لقوله: ((**من الممترين**))؛ وإن كان يحتمل أن يراد به الجنس فيصدق بواحد؛ لكن الظاهر الأول؛ ولاشك أن الممترين من بني آدم كثيرون؛ لأن ذرية بني آدم منهم تسع مائة وتسعة وتسعون من ألف كلهم من أهل النار . ومن فوائدها: جواز التعريض أو جواز المخاطبة بالتعريض؛ لأن قوله: ((**فلا تكن من الممترين**)) لا يعني أن الرسول يمكن أن يكون منهم بل هو تعريض بهؤلاء وأنهم ذووا خلق سيء فلا تكن منهم؛ وإن كان هو ليس منهم لا باعتبار الواقع ولا بالمستقبل . ثم قال الله تعالى: ((**فمن حاجك فيه**)) ((**حاجك**)) أي جادلك، وسميت المجادلة محاجة لأن كل واحد من المتجادلين يدلي بحجته من أجل أن يخصم الآخر ويحجه ومنه الحديث: (**تحاج آدم وموسى**) أي طلب كل واحد منهما أن يحج الآخر؛ وأيهما الذي حج ؟ آدم، آدم نعم؛ ((**حاجك**)) إذا جادلك؛ وسميت المجادلة محاجة لأن كل واحد من المتجادلين يدلي بحجة ليغلب الآخر . وقوله: ((**فمن حاجك**)) من هذه شرطية، وجواب الشرط: ((**فقل تعالوا**))؛ وقوله: ((**فمن حاجك فيه**)) الضمير يعود على عيسى؛ والمراد بالمحاجة في عيسى ليس في ذاته لأن عيسى معلوم أنه بشر؛ لكن في شأنه وقضيته؛ وقوله: ((**فمن حاجك فيه**)) من الذين يمكن أن يحاج النبي صلى الله عليه وسلم في عيسى؟ هم النصارى؛ وهذه الآية وما قبلها كلها نزلت في وفد نجران من النصارى . ((**فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم**)) يعني بعد أن علمت قضيته وشأنه وتيقنته؛ فالذي يحاجك فيه أدعه للمباهلة؛ وفي قوله: ((**من بعد ما جاءك**)) أتى بمن دالة على أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بالمباهلة بعد أن تروى من العلم؛ لأن ((**من بعد**)) تدل على أن هناك مهلة بين علم الذي جاءه وبين المحاجة التي وقعت بخلاف لو قال: فمن حاجك فيه بعد ما جاءك؛ فإنها تفيد البعدية لكن لا تفيد على التراخي والمباعدة؛ ومعلوم أن الإنسان كلما تمعنت النظر فيما علم ازداد به أيش؟ ازداد به علما ويقينا؛ وقوله: ((**من بعد ما جاءك من العلم**)) عن أي طريق؟ عن طريق الله عز وجل؛ فإن الله تعالى أوحى إلى نبيه

محمد صلى الله عليه وسلم في شأن عيسى ما لم يكن عند غيره ((**فقل تعالوا**)) قل تعالوا قلنا إن ((**قل**)) جواب الشرط؛ و((**تعالوا**)) فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل . وفيه إشكال لأن ((**تعالوا**)) جمع؛ و((**من حاجك**)) أيش؟ مفرد؛ فكيف صح أن يكون الجمع عائدا على المفرد ؟ الجواب: أن الأسماء الموصولة وأسماء الشرط المشتركة يعني التي تصلح للمفرد وغيره يجوز في العائد إليها أن يعود إليها باعتبار اللفظ وأن يعود إليها باعتبار المعنى؛ فإن عاد إليها باعتبار اللفظ صار مفردا وباعتبار المعنى صار جمعا؛ ولا فرق بين أن يكون هذا الجائز في كلام واحد أو في كلامين؛ فمثلا ((**ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار**)) ما الذي رؤي في ذلك ؟ ((**يدخله**)) ؛ ((**خالدين فيها أبدا**)) المعنى؛ ((**قد أحسن الله له**)) اللفظ؛ آية واحدة فيها اللفظ، ثم المعنى ثم اللفظ؛ كذا؟ ؛ لو رؤي اللفظ كل هذه الجمل لقيل: ((**ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا قد أحسن الله له رزقا**)) ؛ ولو رؤي المعنى لقيل: ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا قد أحسن الله لهم رزقا)) . وقوله: ((**تعالوا**)) هل هي اسم فعل الأمر ؟ أو فعل أمر ؟ نقول: هي فعل أمر لأن اسم فعل الأمر لا تدخله العلامات يعني ما تتصل به الضمائر، اسم فعل الأمر لا تتصل به الضمائر؛ قال الله تعالى: ((**والقائلين لإخوانهم هلم إلينا**)) ((**هلم إلينا**)) لماذا لم يقل: هلموا ؟ لأنه اسم فعل الأمر، واسم فعل الأمر لا تتصل به الضمائر؛ ولهذا تقول للجماعة: سه ؟ يعني اسكتوا ولا تقول سهوا ؟ ؛ فإن اقترنت به الضمائر صار فعل أمر؛ ولهذا نقول: ((**تعالوا**)) فعل أمر وإلا اسم فعل الأمر ؟ فعل الأمر؛ طيب ((**تعالوا**)) يعني أقبلوا؛ لكنها أقبلوا بتعال وارتفاع وكأن المنادي ينادي هذا ليرتفع إليه فيكلمه بما يريد . وقوله: ((**ندع أبنائنا**)) ندع كيف ندع وين الواو ؟ هذه محذوفة الواو على سبيل الجزم؛ لأنها جواب ؟ جواب الطلب، أي الأمر، جواب الطلب وهو الأمر؛ ومعلوم أن جوب الأمر إذا سقطت منه الفاء وجب الجزم فيه . ((**فقل تعالوا ندع أبنائنا وأبنائكم**)) كيف قال: ندع ولم يقل أدع؟ نعم لم يقل ذلك لأنهم إذا جاءوا معه صاروا جماعة . ((**ندع أبنائنا وأبنائكم ونسائنا ونسائكم وأنفسنا وأنفسكم**)) هذه الآية كما ترون بصيغة الجمع؛ ((**أبنائنا**)) والرسول واحد صلى الله عليه وسلم؛ ((**وأبنائكم**)) هم جماعة لا بأس ؛ ((**ونسائنا**)) الرسول واحد ولم يقل: ونسائي؛ ((**ونسائكم**)) جماعة واضح؛ ((**وأنفسنا وأنفسكم**)) الرسول واحد وإلا عدة أنفس ؟ واحد؛ فما المراد بهذا؟ اختلف المفسرون في ذلك؛ فقال بعض المفسرين: المراد بقوله: ((**ندع أبنائنا وأبنائكم**)) المراد بأبنائنا)) الحسن والحسين؛ ((**ونسائنا ونسائكم**)) المراد بـ((**نسائنا**)) فاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم؛ ((**وأنفسنا**)) المراد بـ((**الأنفس**)) علي بن أبي طالب؛ فيكون أربعة ؟ كذا ؟ ((**أبنائنا**)) حسن والحسين؛ ((

نسائنا)) فاطمة؛ ((**أنفسنا**)) علي بن أبي طالب؛ أما هؤلاء النفر الوفد فليس معهم نساء وليس معهم أولاد، كلهم رجال بالغون عاقلون؛ إما أربعة عشر أو اثنان المهم أنهم رجال ليس معهم أحد؛ فقال بعض أهل العلم: المراد ندع نحن المسلمين؛ ((**ندع أبنائنا**)) يعني أبناء المسلمين يعني ننتخب طائفة منا تأتي هي وأبنائها ونسائها وأنتم كذلك تنتخبون جماعة يأتون بأبنائهم ونسائهم وأنفسهم نجتمع ونبتهل؛ وهذا القول لاشك أنه موافق تماما لظاهر الآية؛ لأن الآية بصيغة الجمع والعادة جرت بأن التباهل وكذلك التفاخر وغيره يكون بين جماعات، بين جماعات يقول لك هاتوا ربعكم ونجيب بربعنا؛ وقد ذهب إلى هذا محمد رشيد في تفسيره؛ وهو لاشك تفسير مطابق لظاهر الآية تماما؛ لكن أكثر المفسرين يختارون القول الأول: أن المراد ((**بأبنائنا**)) الحسن والحسين؛ ((**ونسائنا**)) فاطمة؛ ((**وأنفسنا**)) على بن أبي طالب لحديث ورد في ذلك؛ والمسألة لا توافق ظاهر الآية يعني هذا القول لا يوافق ظاهر الآية؛ أولا: أن أبناء جمع ونا جمع وإذا قلنا: الحسن والحسين صارا اثنين ابنان لجمع وإلا لواحد؟ لواحد؛ أيضا النساء لم يكن في اللغة العربية أن المراد بالنساء البنات، المراد بالنساء في اللغة العربية أيش؟ الزوجات، المراد الزوجات؛ وأيضا أنفسنا كيف يعبر الرسول صلى الله عليه وسلم عن علي بن أبي طالب بنفسه ولا يعبر عن الحسن والحسين بنفسه؛ أيهما الأقرب؟ الحسن والحسين حتى إن الحسن سماه الرسول ابنه فقال: (**إن ابني هذا سيد**) ولهذا ظاهر الآية لا يطابق هذا التفسير؛ وقد زعم محمد رشيد رضا أن تفسيرها بالأربعة من تفسير الرافضة، من تفسير الرافضة وقال: إن الآية لا تنطبق عليها؛ لكن الحديث الوارد في ذلك يدل على أنه له أصلا؛ ولاشك أن آل البيت يدخل فيهم هؤلاء الأربعة لاشك في هذا؛ لكن انطباقها على الآية في النفس منه شيء . على كل حال المسألة انتهت لكن ما المراد بالأنفس والأبناء والنساء ؟ المراد أنهم يريدون أن يجمعوا جماعة معهم أبنائهم ونسائهم وأنفسهم؛ وهذا أعز ما يكون عند الإنسان في الدنيا، هذا أعز ما يكون، نفسه أبنائه زوجاته، يحضرون ويحضر الخصم أيضا نفسه وأبنائه ونسائه

أن المراد ((**بأبنائنا**)) الحسن والحسين ؛ ((**ونسائنا**)) فاطمة؛ ((**وأنفسنا**)) على بن أبي طالب لحديث ورد في ذلك؛ والمسألة لا توافق ظاهر الآية يعني هذا القول لا يوافق ظاهر الآية؛ أولا: أن "أبناء" جمع و "نا" جمع وإذا قلنا: الحسن والحسين صارا اثنين ابنان لجمع وإلا لواحد؟ لواحد؛ أيضا النساء لم يكن في اللغة العربية أن المراد بالنساء البنات، المراد بالنساء في اللغة العربية أيش؟ الزوجات، المراد الزوجات؛ وأيضا أنفسنا كيف يعبر الرسول صلى الله عليه وسلم عن علي بن أبي طالب بنفسه ولا يعبر عن الحسن والحسين بنفسه؛ أيهما الأقرب؟ الحسن والحسين حتى إن الحسن سماه الرسول ابنه فقال: (**إن ابني هذا سيد**) ولهذا ظاهر الآية لا يطابق هذا التفسير؛ وقد زعم محمد رشيد رضا أن تفسيرها بالأربعة من تفسير الرافضة، من تفسير الرافضة وقال: إن الآية لا تنطبق عليها؛ لكن الحديث الوارد في ذلك يدل على أنه له أصلا؛ ولاشك أن آل البيت يدخل فيهم هؤلاء الأربعة لاشك في هذا؛ لكن انطباقها على الآية في النفس منه شيء . على كل حال المسألة انتهت لكن ما المراد بالأنفس والأبناء والنساء ؟ المراد أنهم يريدون أن يجمعوا جماعة معهم أبنائهم ونسائهم وأنفسهم؛ وهذا أعز ما يكون عند الإنسان في الدنيا، هذا أعز ما يكون، نفسه أبنائه زوجاته، يحضرون ويحضر الخصم أيضا نفسه وأبنائه ونسائه؛ قال: ((**ثم نبتهل**)) نبتهل أي نتضرع ونبالغ في الدعاء؛ ثم فسر الابتهال بقوله: ((**فنجعل لعنة الله على الكاذبين**))؛ وهذا القول في أن ((**نبتهل**)) يعني نتضرع ونلح في الدعاء أصح من القول بأن معنى ((**نبتهل**)) نلتعن؛ لأننا إذا فسرنا ((**نبتهل**)) بنلتعن لم نكسب معنى جديدا عند قوله: ((**فنجعل لعنة الله على الكاذبين**)) تكون الثانية بالنسبة للأولى مكررة؛ وإذا قلنا ((**نبتهل**)) نتضرع بالدعاء ونلح استفدنا زيادة معنى وهو المبالغة في التضرع والإلحاح؛ ولهذا يقال: ابتهل إلى الله في الدعاء ولا يفهم المخاطب إلا أن المعنى تضر وألح في الدعاء الصالح ولا يمكن أن يكون المراد ((**نبتهل**)) الدعاء السيئ إلا إذا قرن بما يدل عليه؛ واضح يا جماعة ؟ تقول هذا الرجل ابتهل إلى الله في الدعاء يعني دعا بالصالح لكن ألح؛ فالصواب أن معنى ((**نبتهل**)) يعني نتضرع ونلح في الدعاء . ((**فنجعل لعنة الله على الكاذبين**)) نجعل معطوفة على ؟ ((**ندع**)) لأنه مر علينا قاعدة: أنه إذا تكررت المعطوفات فالعطف على الأول؛ لأن المعطوف فرع والمعطوف عليه هو الأصل والمعطوف عليه هو الأول؛ ((**فنجعل لعنة الله**)) ((**لعنة الله**)) أي طرده وإبعاده عن الرحمة ((**على الكاذبين**)) كاذبين منا أو منكم؛ وهذا العدل والإنصاف؛ لأن الله يعلم من الكاذب؛ فإذا جعلنا ((**لعنة الله على الكاذبين**)) فمن كان كاذبا فعليه اللعنة . لكن ما الشأن أو ما الحكمة في إحضار الأبناء والزوجات ؟ الحكمة في ذلك أنه إذا كانت العام فاللعنة تشمل الجميع اللعنة تشمل الجميع؛ ولهذا لما دعاهم الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المباهلة امتنعوا ، قالوا ننظر ثم تشاوروا فيما بينهم ورجعوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم من الغد وقالوا ما نلاعن ما

نلتهب؛ لأيش؟ لأنهم قالوا لو أننا التعنا ورجعنا إلى أهلينا ما وجدناهم فلا نلتعن؛ يعرفون أن النبي صلى الله عليه وسلم على حق وأنهم على باطل ؛ وقوله: ((**على الكاذبين**)) الكاذب القائل بغير الصدق، هذا الكاذب من قال بغير الصدق فهو الكاذب . في هذه الآية الكريمة إثبات أن ما جاء النبي صلى الله عليه وسلم حق؛ وجه ذلك أن الله أمر بأن يلتعن مع هؤلاء . ومن فوائد الآية الكريمة: أنه لا تجوز المباهلة إلا بعلم، بأن يكون عند الإنسان علم اليقيني؛ أما إذا كان شاكا فلا يجوز؛ فلابد أن يكون عنده علم؛ لقوله: ((**من بعد ما جاءك من العلم**)) . ومن فوائد الآية الكريمة: جواز طلب المباهلة عند عناد الخصم؛ لقوله: ((**فقل تعالوا ندع أبنائنا وأبنائكم** ...)) . ومن فوائد الآية الكريمة: أن من آداب الالتعان إحضار الأبناء والنساء؛ لأن ذلك أشد خوفا بالنسبة للمباهل، يخاف أن يعم الهلاك جميع هؤلاء . ومن فوائد الآية الكريمة أيضا: جواز الدعاء باللعنة على من خالف الحق؛ لكن بالوصف لا بالشخص؛ كيف قلنا بالوصف ؟ لأن الكاذبين وصف أما الشخص فلا يجوز الدعاء عليه باللعن ولو كان كافرا، الشخص لا يجوز أن تعلنه ولو كان كافرا؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم لعن أبا جهل وغيره من طغاة قريش نهاه الله عن ذلك، وقال: ((**ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون**)) . ومن فوائد الآية الكريمة: جواز المباهلة؛ لكن اشترط العلماء للمباهلة شرطين؛ الشرط الأول العلم ؛ والشرط الثاني أن تكون في أمر هام ؛ أما الأمور التي ليست بهامة فلا ينبغي للإنسان أن يعرض نفسه للخطر . هل يستفاد من الآية الكريمة جواز انغمار الشخص في العدو في باب المقاتلة ؟ كيف شيخ ؟ يعني ينغمر في العدو ويغرر بنفسه ؛ لأن هذا الإنسان الذي علم أن الحق معه وجاز أن يلتعن كأنما دخل في أمر يكون سببا لهلاكه ؛ فلما كان على الحق وأجزنا له أن يدخل في هذا الأمر الذي يخشى أن يكون كاذبا فتنطبق عليه اللعنة ؟ ربما يؤخذ لكنه آخذ بعيد .

الشيخ : نعم يا آدم ؟

السائل : هل نأخذ من الآية: ((**ندع نسائنا**)) ؟

الشيخ : نأخذ من الآية

الشيخ : يقول نأخذ من الآية أنه ينبغي للإنسان أن يعلم أهله، أبنائه ونسائه ؟

الشيخ : ما يؤخذ يا آدم ؛ أي نعم نجيبهم عند الالتعان .

السائل : شيخ ؟

الشيخ : أحمد

السائل : ما قاله صاحب القاموس أن اللعن هو؟

الشيخ : لا، الصواب الثاني فقط .

السائل : المباهلة بين المسلمين جائزة أو لا ؟

الشيخ : جائزة في الأمور المتيقنة ؛ ولهذا دعا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما إلى المباهلة في مسألة الفرائض المعروفة .

السائل : شيخ ؟ ذكرنا الملاعنين مثلا في آل مثلا صاحب ال من أهله ما هو أصحاب حقه؛

الشيخ : كيف ؟

السائل : يعني آل الخصم الذين من أهله هم أصحاب حق يعني هم يتابعون هذا صاحب الحق لو باهل اللعنة هل تعهم أم لا ؟

الشيخ : أصله إذا كانوا على حق وقالوا والله نحن ما نأتي بأهلنا أنت على حق، ما يجيئون ؛

السائل : يخشون من صاحبه؟

الشيخ : لا لا، لا يخشون، يقولون لا؛ ولهذا لما تشاور وفد نجران بعضهم مع بعض قالوا ما يمكن، بعضهم أرادوا لكن منعهم الآخرين .

السائل : في تعريف الكذب لو أضفنا كلمة حقيقة ؟

الشيخ : أيش؟

السائل : لو أضفنا كلمة حقيقة ؛

الشيخ : أيش لون يعني ؟

السائل : حتى تخرج التورية ؟

الشيخ : لا ما حاجة لأن التورية يطلق عليها كذب كما في حديث إبراهيم: (**كذب ثلاث كذبات**) نعم .

السائل : هل يجوز اللعن بشخص معين بعينه إذا علم أنه كافر ؟إ

الشيخ : يمكن إذا مات يجوز إذا مات على الكفر مع أنه قد يقال: إنه لا يجوز لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: (**لا تسبوا الأموات فإنه أفضوا إلى ما قدموا**) ؛

السائل : شيخ إذا ما يجوز ؟

الشيخ : والله الأحسن تركه ، أحسن تركه نعم .

السائل : شيخ أحسن الله إليكم؛ إذا كان شخص كافر وقلت عليه من الله ما يستحق فهل هذا يجوز ؟

الشيخ : اللهم اهده أخصر وأنفع .

السائل : طيب مات

الشيخ : مات يأخذ ما يستحق

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم؛ بسم الله الرحمن الرحيم ((**إن هذا لهو القصص الحق وما من إله إلا الله وإن الله لهو العزيز الحكيم فإن تولوا فإن الله عليم بالمفسدين قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله إلا الله ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون**)) . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم قال الله تعالى: ((**إن هذا لهو القصص الحق**)) ؛ قوله تعالى: ((**إن هذا لهو القصص الحق**)) هذه الجملة كما ترون مؤكدة؛ نعم ؟ فوائد؛ أيش الفوائد؟ آية مباهلة، آية مباهلة ما أخذنا الفوائد ؛ طيب آية المباهلة اقرأها علي ؟ إن الله أمره أن يلتعن مع هؤلاء ثاني: أنه ,

الطالب : الأولى: ثبات أن ما جاء النبي صلى الله عليه وسلم حق؛ وجه ذلك أن الله أمر بأن يلتعن مع هؤلاء . الثانية: أنه لا تجوز المباهلة إلا بعلم، بأن يكون عند الإنسان علم اليقيني؛ أما إذا كان شاكا فلا يجوز؛ فلابد أن يكون عنده علم؛ لقوله: ((**من بعد ما جاءك من العلم**)) . الثالثة: جواز طلب المباهلة عند عناد الخصم؛ لقوله: ((**فقل تعالوا ندع أبنائنا وأبنائكم** ...)) . الرابعة: أن من آداب الالتعان إحضار النساء والأولاد لأن ذلك أشد خوفا للنساء في المباهلة ؛

الشيخ : أيش؟

الطالب : لأن ذلك أشد خوفا ؛

الشيخ : أشد خوفا من أيش؟

الطالب : أشد خوفا بالنسبة للمباهلة ؛ نعم . الخامسة: جواز الدعاء باللعنة على من خالف الحق؛ لكن بالوصف لا بالشخص ؛ كيف قلنا بالوصف ؟ لأن الكاذبين وصف أما الشخص فلا يجوز الدعاء عليه باللعن ولو كان كافرا ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم لعن أبا جهل وغيره من طغاة قريش نهاه الله عن ذلك . السادسة: جواز المباهلة ؛ لكن اشترط العلماء لجواز المباهلة شرطين ؛ الشرط الأول: العلم ؛ والشرط الثاني: أن تكون في أمر هام ؛ أما الأمور التي ليست بهامة فلا ينبغي للإنسان أن يعرض نفسه للخطر . السابعة: هل يستفاد من الآية الكريمة جواز انغمار الشخص في العدو في باب المقاتلة ؟ يعني ينغمر في العدو ويغرر بنفسه؛ لأن هذا الإنسان الذي علم أن الحق معه وجاز أن يلتعن كأنما دخل في أمر يكون سببا لهلاكه ؛ فلما كان على الحق وأجزنا له أن يدخل في هذا الأمر الذي يخشى أن يكون كاذبا فتنطبق عليه اللعنة ؟ ربما يؤخذ لكنه مأخذه بعيد .

الشيخ : قال الله تعالى: ((**إن هذا لهو القصص الحق**)) هذه الجملة كما ترون مؤكدة بمؤكدين؛ المؤكد الأول: إن؛ لأن إن للتوكيد؛ والمؤكد الثاني: اللام؛ والمؤكد الثالث: هو؛ لأن هو ضمير الفصل، وضمير الفصل له ثلاث فوائد؛ الفائدة الأولى: الحصر؛ الثانية: التوكيد؛ الثالثة: الفرق بين الصفة والخبر؛ ويتضح ذلك بالمثال؛ فإذ قلت: زيد هو الفاضل؛ فهنا هو ضمير فصل؛ أفادت هذه الفوائد الثلاث؛ أفادت الحصر، حصر الفضل في زيد، زيد هو الفاضل؛ وأفادت التوكيد؛ لأن قولك: زيد فاضل دون قولك: زيد هو الفاضل، في توكيد أفضليته؛ الثالث: الفصل بين الصفة والخبر؛ بأنك لو قلت: زيد الفاضل لتشوف المخاطب إلى خبر؛ طيب زيد الفاضل ويش حاله؟ فإذا قلت: زيد هو الفاضل، علم أن كلمة فاضل أيش؟ هي الخبر . هنا لو كان في غير القرآن وقيل: هذا القصص الحق، استقام الكلام؛ ولكن يفوت في الكلام أيش؟ هذه المؤكدات الثلاثة . وقوله عز وجل: ((**إن هذا**)) المشار إليه ما ذكره الله تعالى في شأن عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام؛ وتعرفون أن الله سبحانه وتعالى تحدث عن عيسى بن مريم في هذه الآيات حديثا مسهبا طويلا عنه وعن أمه . وقوله: ((**لهو القصص الحق**)) القصص مصدر قص يقص قصا وقصصا؛ لكنه هنا يحتمل أن يكون مصدرا ويحتمل نعم أن يكون مصدرا بمعنى

الفعل ويحتمل أن يكون مصدرا بمعنى اسم المفعول أي إن هذا لهو المخصوص الحق، وسواء قلنا بهذا أو هذا فالمؤدى واحد؛ فإن هذا القصص الحق؛ و((**الحق**)) هنا صفة للقصص؛ والحق إن قيل في مقابلة الحكم فهو بمعنى العدل وإن قيل في مقابلة الخبر فهو بمعنى الصدق في قوله تعالى: ((**وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا**)) فإذا قيل لك: حكم القاضي على فلان لفلان بكذا، فقلت: هذا حكم حق؛ فالمعنى ؟ عدل؛ وإذا قيل لك: أخبرنا فلان بكذا؛ فقلت هذا حق أي صدق؛ فالحق إن كان في مقابلة الحكم فهو بمعنى العدل وإن كان في مقابلة الخبر فهو بمعنى الصدق؛ هنا هل هو بمعنى الخبر ؟ يعني هل هو في مقابل الخبر أو في مقابل الحكم ؟ خبر، لأن القصص خبر ((**نحن نقص عليك من أنباء**)) ما قد سبق؛ طيب ((**إن هذا لهو القصص الحق**)) أي الصدق الذي لا يخالف الواقع بل يطابقه تمام المطابقة؛ فما قاله النصارى في عيسى بن مريم مما خرج عن خبر الله عنه فهو كذلك باطل . ثم قال الله تعالى: ((**وما من إله إلا الله**)) هذه الجملة كما ترون أيضا فيها حصر وفيها توكيد؛ أما الحصر فطريقه النفي والإثبات؛ النفي في قوله: ما؛ والإثبات في قوله: إلا؛ وأما التوكيد ففي قوله: من إلى)) لأن من حرف جر زائد من حيث الإعراب؛ لكنه يزيد المعنى، هو زائد من حيث الإعراب لكنه يزيد المعنى؛ ماذا يزيد المعنى؟ يزيد المعنى توكيدا؛ ولهذا نقول إن حروف الزائدة في القرآن الكريمة هي زائدة زائدة؛ زائدة من حيث الإعراب، زائدة من حيث المعنى أي أنها تفيد معنى زائدة على ما لو لم تكن موجودة . وقوله: ((**إله إلا الله**)) إله بمعنى مألوه؛ و المألوه هو المعبود محبة وتعظيما؛ ولا يصدق هذا حقا إلا على الله عزوجل؛ وكلمة إله هنا على وزن فعال؛ ولكنها بمعنى مفعول؛ والكلمة هذه أعني الإله بمعنى المألوه أو فعال بمعنى المفعول كثيرة في اللغة العربية كالغراس والبناء والفراش وما أشبه ذلك؛ غراس بمعنى . الأخ أنت ؟ مغروس، وبناء بمعنى مبني، فراش بمعنى مفروش، إله بمعنى مألوه ؛ طيب فما معنى المألوه ؟ قلنا: هو المعبود محبة وتعظيما هذا مألوه . وقوله: ((**وما من إله إلا الله**)) إلا هذه أداة استثناء والجملة التي قبلها فيها شيء محذوف تقديره: وما من إله حق إلا الله؛ وعلى هذا فنعرب كلمة الله بدل من خبر محذوف الذي تقديره: ما من إله حق إلا الله؛ ((**إلا الله**)) يعني خالق السموات والأرض عزوجل؛ فعيسى ليس بإله وأمه ليست بإله؛ وجبريل ليس بإله وميكائيل ليس بإله ؛ ولا أحد يستحق هذا الوصف إلا خالق السموات والأرض عز وجل؛ ولهذا قال: ((**ما من إله إلا الله**)) . هذه الجملة مؤكدة وإلا غير مؤكدة ؟ مؤكدة ؛ بماذا ؟ بمن الزائدة؛ وفيها الحصر وطريقها النفي والإثبات؛ ((**وما من إله إلا الله**)) كلمة ((**الله**)) هي علم خاص بالرب عزوجل لا يسمى به غيره ولا يوصف به غيره؛ وهو في الأصل إله لكن لكثرة الاستعمال حذفوا الهمزة وقالوا: الله؛ كما حذفوا الهمزة في قولهم: الناس وأصله أناس؛ وكما حذفوا في كلمة: خير وشر؛ فلان خير من فلان أي أخير منه؛ لكن لكثرة الاستعمال حذوا الهمزة؛ وكذلك الشر ((**أولئك**

شر مكانا)) أصلها أشر؛ لكن حذفت الهمزة لكثرة الاستعمال؛ ((**وما من إله إلا الله**)) . ((**وإن الله لهو العزيز الحكيم**))

الشيخ : هذه الجملة أيضا كما ترون مؤكدة بمؤكدات هداية الله ؟

الطالب : إن، وللام، وضمير الفصل ؛

الشيخ : أحسنت؛ إن واللام يعني بمؤكدات ثلاثة: إن واللام وضمير الفصل؛ ((**وإن الله لهو العزيز الحكيم**)) ففيها توكيد بثلاث أدوات: إن، واللام والثالث: ضمير الفصل؛ كما قلنا آنفا إن ضمير الفصل تفيد الحصر فيكون: ((**لهو العزيز الحكيم**)) يعني لا غيره، ((**وإن الله لهو لا غيره العزيز الحكيم**)) العزيز من أسماء الله سبحانه وتعالى، وله العزة جميعا ((**قل لله العزة جميعا**)) . والعزة قال العلماء: إنها ذات ثلاث معاني: عزة بمعنى القدر؛ وعزة بمعنى القهر والغلبة ؛ والثالث: عزة بمعنى الامتناع . العزة بمعنى القدر يعني أنه عزوجل ذو قدر عظيم، ذو قدر عظيم لا يقدره إلا الله عز وجل؛ ومنه قول القائل: فلان عزيز علي يعني ذو قدر عندي له قدر عندي؛ فالله تعالى عزيز بمعنى ذو قدر رفيع عظيم ؛ هذه عزة أيش؟ القدر. وعزة القهر أي أنه عز وجل هو الغالب الذي لا يغلب؛ ومنه قوله تعالى: ((**فقال أكفلنيها وعزني في الخطاب**)) أي غلبني في الخطاب؛ فهذه عزة الغلبة؛ ويقول الشاعر الأول:

أين المفر والإله الطالب والأشرم المغلوب ليس الغالب

طيب الثالث: عزة الامتناع، عزة الامتناع أي أنه ممتنع أن يناله سوء؛ ومنه قولهم: أرض عزاز لقوتها وصلابتها . فعلى هذا تكون العزة لها ثلاثة معاني ؛

الشيخ : المعنى الأول يا آدم ؟

الطالب : عزة الامتناع؛

الشيخ : يعني ؟

الطالب : يعني ذو العزة؛

الشيخ : لا عزة الامتناع ما هي ذو .

الشيخ : عبد الله ؟

الطالب : الأول: عزة القدر؛

الشيخ : والثاني؟

الطالب : عزة القهر؛

الشيخ : والثالث ؟ عزة أيش؟ القدر والقهر ؟ القهر هو الغلبة

الطالب : نعم عزة امتناع .

الشيخ : طيب عزة القدر ؛ لا ويشمعناها ، قبله ؟

الطالب : نعم ذو قدر علي ورفيع؛

الشيخ : نعم ذو قدر عليم ورفيع ؛

الشيخ : ومنه قول القائل:

الطالب : فلان عزيز علي .

الشيخ : الثاني: عزة القهر ويش معناها ؟

الطالب : أي عزيز؛

الشيخ : طيب ويش معناها ؟

الطالب : أي الغلبة؛

الشيخ : أي الغالب ؛ ومنه قوله تعالى: ((**إن الله غالب**))

الطالب : فقال: ((**أكفلنيها وعزني في الخطاب**)) أي غلبني .

الشيخ : الثالث ؟

الطالب : امتناع أي أن الله يمتنع أن يناله السوء ؛

الشيخ : ومنه قولهم:

الطالب : أرض عزاز

الشيخ : أي أرض الصلبة التي لا تؤثر فيها المعاول .

الشيخ : ما قال المنافقون: ((**لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل**)) سلم الله لهم ذلك قال نعم يخرج الأعز الأذل لكن من هو الأعز ؟ قال: ((**ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون**)) . يقول الله عز وجل: ((**وإن الله لهو العزيز الحكيم**)) ((**الحكيم**)) تفسر أو مشتقة من الحكم والإحكام ، ((**الحكيم**)) مشتقة من الحكم والإحكام؛ وكل عزيز إذا اقترن في عزته الحكمة والحكم كملت عزته؛ وذلك لأن العزيز إذا غلب ولم يكن له الحكمة أداه غلبته إلى الطيش، تؤديه غلبته إلى الطيش وعدم ضبط النفس؛ فإذا اجتمعت العزة والحكمة كمل الموصوف بهما؛ أقول ((**الحكيم**)) من الحكم والإحكام؛ فهو سبحانه وتعالى حاكم ولا حاكم غيره وهو المحكم أي المتقن لما حكم به سواء كان الحكم كونيا أو شرعيا؛ والحكمة أو الإحكام الذي بمعنى الإتقان هو وضع الشيء في موضعه اللائق به بحيث لا يقال إن هذا غير لائق أو غير موافق؛ بل يكون موافقا به مطابقا لما تقتضيه المصلحة؛ إذا ((**الحكيم**)) مشتق من أين ؟ من الحكم والإحكام . طيب ثم نقول: الحكم نوعان: حكم كوني وحكم شرعي؛ فالحكم الكوني ما قضى به الله قدرا؛ والحكم الشرعي ما قضى به شرعا؛ انتبه الحكم الكوني ما قضى به قدرا والشرعي ما قضى به شرعا . والفرق بينهما ظاهر: الحكم الشرعي يتعلق فيما يحبه الله عزوجل فعلا أو تركا؛ فإن نهى عن شيء فهو يحب تركه، وإن أمر بشيء فهو يحب فعله؛ ويمكن أن يتخلف الحكم الذي حكم الله به، هذا الحكم الشرعي . الحكم الكوني يتعلق فيما يحبه وما لا يحب ولا يمكن أن يتخلف لابد أن يكون؛ ما أدري واضح وإلا لا؟ واضح؛ الفرق إذا الحكم الكوني لابد أن يقع والحكم الشرعي يمكن أن يقع ويمكن أن لا يقع؛ الثاني: أن الشرعي يتعلق بما يحبه والحكم الكوني يتعلق فيما يحبه وما لا يحبه . طيب يتضح هذا بمثال: فإذا قال الله تعالى: ((**لا تقربوا الزنا**)) هذا حكم شرعي، حكم شرعي؛ هل يمكن أن يقع من الوجه إليهم الخطاب أن لا يزنوا؟ أو قد يزنون وقد لا يزنون ؟ قد يزنون وقد لا يزنون؛ ولهذا نقول في قوله تعالى: ((**وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه**)) القضا هنا شرعا لأننا نرى كثيرا من الناس بل أكثر الناس لم يعبدوا الله؛ بل عبدوا غيره أو لم يعبدوا أحدا؛ فالقضا هنا شرعي؛ ثانيا: هل يقضي الله بما لا يحب

شرعا؟ لا، لا يقضي إلا بما يحب؛ إن كان ما يحبه تركا جاء بصيغة النهي؛ وإن كان ما يحبه فعلا جاء بصيغة الأمر ((**يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم**)) طاعة الله ورسوله محبوبة إلى الله؛ عدم إبطال الأعمال محبوب إلى الله؛ الأول أمر والثاني نهي؛ ((**اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا**)) نفس الشيء ((**اعبدوا**)) أمر ((**لا تشركوا**)) نهي؛ فالشرك محبوب إلى الله تركه؛ والعبادة محبوب إلى الله فعلها، عبادة الله . القضاء الكوني قلنا فيما يحبه الله وفيما لا يحبه؛ ولابد من وقوعه؛ قال الله تعالى: ((**وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا**)) هذا قضاء كوني وإلا شرعي؟ كوني؛ لا يمكن أن يكون شرعا؛ لأن الله لا يحب الفساد ولا يحب المفسدين؛ لكنه كوني؛ وقع وإلا ما وقع؟ وقع نعم ((**فإذا جاء وعد أولهما** . . .)) إلى آخر الآيات؛ وبعضهم يقول إن المرة الثانية لم تقع ، والله أعلم؛ على كل حال القضاء الكوني فيما يحب وما لا يحب ولابد من وقوع المقت ما يمكن أحد يتخلف عنه واضح ؟ طيب؛ قال الله تعالى: ((**فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض**)) كوني وإلا شرعي؟ كوني، هذا كوني. الحكم صار، الحكم يكون كونيا ويكون شرعيا؛ ما هو الكوني؟ ما قضاه الله تعالى قدرا؛ والشرعي ما قضاه شرعا وجاءت به الرسل . الحكم الكوني والشرعي كلاهما مقرون بالحكمة؛ لأن الله حاكم محكم؛ فلا يمكن أن يكون يحكمه إلا على وفق الحكمة؛ والحكمة إما في الصورة والهيئة وإما في الغاية؛ وكلاهما أيضا موجود في الشرع والقدر يعني شرعا وكونا؛ فالمخلوقات وجودها على هذا الوصف والهيئة التي هي عليه الآن موافق للحكمة، وإلا لا؟ موافق؛ يعني لو تفكر في الكليات والجزئيات، فكر في الإنسان كونه على هذا الوصف لاشك أنه موافق للحكمة، ثم فكر في أجزائه الصغيرة والكبيرة تجدها كلها موافقة للحكمة . والشرع نجدها أيضا موافقا للحكمة؛ إن نظرت إلى الصلاة وإذا في غاية الحكمة روضة من رياض العبادات، قيام، قعود، ركوع، سجود وقراءة ؛ تسبيح، تعظيم ودعاء روضة ((**فيها من كل زوج بهيج**)) وإن نظرت إلى الزكاة فكذلك؛ الصيام؛ الحج؛ كل العبادات تجد أنها مطابقة للحكمة في الهيئة التي هي عليها؛ ثم الغاية، الغاية من هذا الخلق أو من هذا الشرع لاشك أنه غاية حميدة يحمد الله عز وجل عليها ((**وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما إلا بالحق**)) فالغاية من خلق السموات والأرض غاية حميدة، والغاية من الشرع غاية حميدة لا صلاح للعباد إلا بالشرع الذي يشرعه الله له؛ حينئذ نقول: بناء على ذلك يتبين أن القول في ((**الحكيم**)) يتضمن أربع حالات: حكم كوني وحكمة صورية وغائية؛ حكم شرعي وحكمة صورية وغائية؛ الأقسام أربعة كلها مأخوذة من قوله: ((**و إن الله لهو العزيز الحكيم**)). ففي هذه الآية الكريمة من الفوائد: تأكيد أن ما أخبر الله به عن عيسى بن مريم هو الحق .

ويتفرع على هذه القاعدة: أن كل ما خاله مما تكلمت فيه النصارى في شأن عيسى فهو كذب باطل لا يوافق الواقع . ومن فوائد الآية الكريمة: أنه ينبغي أو أن من بلاغة الكلام أن يكون مطابقا للواقع، أو موافقا لمقتضى الحال، من بلاغة الكلام أن يكون موافقا لمقتضى الحال؛ وجه ذلك: أن هذه الجملة: ((**إن هذا لهو القصص الحق**)) أكدت بثلاثة مؤكدات؛ لأن المقام يقتضي هذا؛ إذ أن دعاية النصارى قوية لا يبطلها إلا كلام مؤكد إما باللفظ وإما بالحال، يعني إما بالمقال وإما بالحال؛ وهكذا ينبغي لكل إنسان يتكلم بكلام أن تقتضي الحال أن يكون مؤكدا فإن البلاغة أو مقتضى البلاغة أن يؤكده . ومن فوائد الآية الكريمة: أن القصص قد يكون حقا وقد يكون باطلا؛ القصص من حيث هو من قطع النظر عن القاص قد يكون حقا وقد يكون باطلا كذبا؛ من أين يؤخذ؟ من وصف القصص بالحق؛ لأن الأصل في الصفة أن تكون مخرجة لما عدى الموصوف، هذا الأصل؛ ولهذا لو جاءت صفة غير مخرجة لموصوف يسمونها صفة كاشفة لا مانعة، صفة كاشفة لا مانعة؛ إذا نقول: ((**القصص الحق**)) الأصل أن ((**الحق**)) صفة أيش؟ مانع وإلا كاشفة ؟ مانع؛ يعني تمنع ما سواه؛ وعلى هذا فتكون الأخبار فيها كذب وفيها صدق من حيث هي خبر؛ وإنما قيدنا ذلك بقولنا: من حيث هي خبر، يخرج بذلك خبر من؟ خبر الله ورسوله فإنه لا يحتمل الكذب بوجه من الوجوه . ومن فوائد الآية الكريمة: أنه لا إله في الوجود إلا الله؛ ولكن المراد لا إله حق؛ ويتعين أن يكون ذلك هو المراد؛ لماذا؟ لأن هناك آلهة موجودة تعبد من دون الله وتسمى آلهة وينكر حصر الآلهة بواحد؛ ترت قريش في مخاطبتها للنبي عليه الصلاة والسلام: ((**وقال الكافرون هذا ساحر كذاب أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب**)) . الله أكبر . العجاب أن تكون الآلهة إلها واحدا؟ أو أن تكون الآلهة متعددة ؟ الثاني، الثاني هذا العجاب؛ أما أن يكون الإله واحدا فهذا هو الصواب؛ لكن هم مكابرون؛ على كل حال لا يوجد في الكون إله حق؛ يجب أن نقيد هذا، إله حق سوى من؟ سوى الله عز وجل؛ أما الآلهة الباطلة فهي آلهة باطلة؛ وإن سميت آلهة فهي كما قال الله تعالى: ((**إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآبائكم ما أنزل الله بها من سلطان**)) . ومن فوائد الآية الكريمة: أن سلامة العقيدة فيها الراحة التامة؛ لأنك إذا سلمت عقيدتك وآمنت بأنه ما من إله إلا الله فإنك لن تتجه إلى من سوى الله؛ ولاشك أن هذا راحة؛ انحصار الهدف والمقصود من أكبر أسباب راحة الإنسان؛ إذا تعددت الأهداف والمقاصد تبلبل الإنسان؛ ولهذا يذكر عن عمر بن الخطاب أنه قال: (**من بورك له في شيء فليلزمه**)

ولهذا يذكر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (**من بورك له في شيء فليلزمه**)؛ أي شيء بارك لك فيه وتشوف إنك مطمئن فيه، سيارة، بيت، زوجة، صاحب، أي شيء فالزمه فإنه خير من أن تتلقى؛ بعض الناس يقول والله اليوم زاد المستقني وباكر والمنتهى بعده الإقناع وبعده المهذب وبعهد المدونة لمالك كل يوم له كتاب؛ هذا يروح عليه الوقت ما يضيع شيء، لماذا؟ لأن الهدف لم يتحد؛ هؤلاء المشركون أيضا يعبدون اللات إذا لم تنفع راح إلى العزى إذا لم تنفع المنات، إذا لم تنفع منا أحجار ثلاثة يجعلها للقدر وواحد الرابع يجعله إله يعبده؛ إذا لم ينفع عجن عبري من التمر وجعله إله؛ إذا لم ينفع راح إلى الشمس والقمر؛ على كل حال إذا كانت العقدية السلمية بأن لا يتجه الإنسان إلا إلى الله ولا يعبد إلا الله فإنه يجد الراحة التامة؛ ولهذا قال: ((**وما من إله إلا الله**)) وفي هذا رد على النصارى الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة؛ لأنه قال: ((**ما من إله إلا الله**)) والعجيب أن من سفه النصارى وضلالهم يقولون: الآلهة ثلاثة لكنها واحد؛ كيف ثلاثة واحد ؟ هل يمكن الثلاثة واحد ؟ إذا جعلت الثلاثة واحد صار ثلث، صاروا إله ثلث، وإله الثاني ثلث، وإله الثالث ثلث؛ أما أن يكون كل واحد مستقلا ثم تقول هم واحد هذا مكابرة للمعقول؛ إذا في الآية الكريمة ((**وما من إله إلا الله**)) رد على من؟ النصارى، على النصارى الذين يقولون إن المسيح عيسى بن مريم إله . وفي الآية الكريمة من الفوائد: إثبات العزة؛ بل تمام العزة لله؛ لقوله: ((**وهو العزيز**)) وأل هنا تفيد الاستغراق أي جميع أنواع العزة ثابتة لله سبحنه وتعالى . وفيها إثبات الحكمة لله في قوله: ((**الحكيم**)) وإثبات الحكم أيضا . فيتفرع على هذا أنه لا حاكم إلا الله، الحكومة السلطانية القدرية والحكومة الشرعية هي لله وحده؛ فمن سيطر على الخلق بالحكم السلطاني ولم يراقب الرب فقد شارك الله أو فقد جعل نفسه شريكا لله في هذا الحكم؛ ومن شرع للناس قوانين مخالفا لشرعه فقد جعل نفسه شريكا مع الله، واتخذ لنفسه منصبا لا يستحقه؛ لأن الذي يشرع ويحكم هو الله عز وجل ((**وإن الله لهو**)) لا سواء ((**العزيز الحكيم**)) . ويتفرع على هذا أيضا: أن واجبنا نحو أحكام الله الكونية والشرعية التسليم والرضاء والقناعة وأن لا نطلب سواه؛ لأن نعلم أنها مبنية على الحكمة؛ ولهذا كان السلف الصالح رضي الله عنهم إذا قضى الله؛ بل كل مؤمن ما هو السلف الصالح فقط . كل مؤمن إذا قضى الله ورسوله أمرا لم يكن لهم الخيرة من أمره؛ حتى إنهم يجيبون إذا سئل عن الحكمة يجيبون بقال الله وقال الرسول؛ عائشة لما سألتها المرأة: (**ما بال الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة ؟ فقالت: كان يصيبنا ذلك فنؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة**)؛ والمؤمن حقا العابد حقا هو الذي يقتنع بما لا يعرف حكمته كما يقتنع بما يعرف حكمته، هذا المؤمن حقا؛ أما لا يقتنع بحكم الله إلا إذا عرف حكمته فهو في الحقيقة ليس عبادا لله على وجه الكمال؛ بل عابد لهواه، إن تبين له الحكمة اقتنع وإن لم تتبين لم يقتنع؛ ولهذا نرى أن في إيجاب رمي

الجمرات وهي الحصا في مكان معين نرى أن فيها مع إقامة ذكر الله عز وجل الذي نص عليه الرسول صلى الله عليه وسلم أيش؟ تمام العبودية، تمام العبودية وكمالها؛ لأن كون الإنسان يحمل حصا يرميها في مكان معين تعبدا لله هذا من كمال العبودية؛ كون الإنسان مثلا يصلي أو يتجنب الزنا خوفا من الله ورجاء للثواب في الصلاة واضح الحكمة فيها؛ لكن كونه يرمي الحجرات الحصاة في مكان معين قد لا تتبع الحكمة لو لا أن الرسول أخبرنا بأنها لإقامة ذكر الله وفيها تمام العبودية؛ فالمهم أنك متى آمنت بأن الله له الحكمة في حكمه الكوني والشرعي ازددت القناعة والرضا بما حكم به؛ أما الحكم الكوني فسترضى أو سينفذ عليك رضيت أو ما رضيت ؛ لكن الشأن كل الشأن في الحكم الشرعي هو الذي باختيارك؛ أما الكوني فليس باختيارك سيكون عليك مهما كان الأمر .

السائل : قوله تعالى مخبرا عن اليهود بأنهم قالوا: ((**عزير ابن الله**)) هل فيه أنهم اتخذوا إلها ثالثا مثل النصارى ؟

الشيخ : لا ما هو بصريح هذا، ما هو بصريح بالألوهية ؛ لأن البنوة دون مرتبة الأبوة؛ لكن النصارى صرحوا بهذا؛ ولهذا يقول الله لعيسى بن مريم: ((**أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله**)) ؟

السائل : شيخ ما هو الفرق بين الهيئة والصورة ؟

الشيخ : الهيئة قد تكون في الأفعال والأقوال؛ والصورة قد تكون في الأجساد ؛

السائل : الشكل ؟

الشيخ : شكل الجسم نعم.

السائل : في قوله تعالى: ((**إن هذا لهو القصص الحق**)) هل هذا تأكيد ؟

الشيخ : لا ، هذا مستفاد من الأخذ ما يقال تأكيد؛ إذا قلت: هذا حق هل فيه توكيد ؟ الجملة نفسها ما فيها تأكيد؛ لكن الحق مفهوم من المعنى .

السائل : شيخ أحسن الله إليك؛ إذا قيل للنصارى: كيف تقولون إن الله ثالث ثلاثة هم يقولون نحن نؤمن بإله واحد فكيف نرد عليهم ؟

الشيخ : طيب تؤمن بما لا حقيقة له ؟ لكن هذا من ضلالك أن تؤمن بأن ثلاثة صاروا شيئا واحدا ، هذا من ضلالك ؛ هو لو قال إنه صفات قلنا نعم يمكن يتصف بألف صفة لكن هم يقولون ذوات أعيان عيسى وأمه والرب عز وجل؛ صاروا واحد؛ كيف صاروا واحدا ؟

السائل : هل من حرج أن نبحث حكمة الله تعالى في أفعاله ؟

الشيخ : على كل حال البحث في الحكمة لاسترشاد هذا لا بأس به، البحث عن الحكمة لاسترشاد لا بأس به؛ ولهذا لما أخبر النبي عليه الصلاة والسلام النساء بأنهم أكثر أهل النار قلن: بم يا رسول الله؟ علمهن ويش الحكمة قال: (**تكثرن اللعن وتكفرن العشير**) فالذي يسأل عن الحكمة للاطمئنان لاشك أنه لا بأس به ؛ لكن يسأل الحكمة يقول إن علمت بالحكمة وإلا فلا قبول هذا ما صار مؤمنا .

السائل : قلنا يا شيخ الحكم كوني والشرعي ؛ الحكم الكوني ما يحبه الله وما لا يحبه ، والشرعي ما يحبه ؛ ما يصير بما لا يحبه مثل ((**لا تقربوا الزنا**)) هذا شرعي فهل الله يحبه ؟

الشيخ : الحكم ما هو الآن ؟

السائل : ((**لا تقربوا الزنا**)) ؛

الشيخ : نهي؛

السائل : لكن الزنا مكروه ؛

الشيخ : أيه مكروه لكن قلنا المحبوب إلى الله إما فعل وإلا ترك، إن كان تركا فهو منهي عنه وإن كان فعلا فهو مأمور به ؛

السائل : يعني شرعي بس ما يحبه الله ؟

الشيخ : فيما يحب الله؛ لكن إن الله قد يحب الترك فينهانا وقد يحب الفعل فيأمرنا .

السائل : إذا كنا نصدق بالقرآن سواء أكد أو لم يؤكد فما هي الفائدة من توكيده ؟

الشيخ : ويش تقولون في هذا ؟ يقول أخ خالد إذا كنا نصدق بالقرآن سواء أكد أو ما أكد ويش الفائدة من التوكيد ؟ الرد على الفعل ؛ ما كل واحد يصدق بالقرآن؛ لكن قد يقول: إذا كان غير مصدق ما هو مصدق

سواء أكد أو ما أكد ، تقول هذا غير صحيح غير وارد . أولا: لأن الكلام القرآن جرى على أسلوب عربي؛ الثاني: أن الشيء المؤكد لابد أن تقتنع به النفوس أكثر حتى لو كان غير مؤمن لابد أن تقترن أكثر.

السائل : عندنا شيخ رجل اسمه عبد العزيز فبعض يسميه العزيز ؟ يعني صفة العزة للإنسان يعني ؟

الشيخ : المؤمنون لهم العزة والرسول له العزة ؛ والإنسان الذي يقول عزيز يسمي ابنه عزيز مثل الذي سمى ابنه حكيم في عهد الرسول الله صلى الله عليه وسلم ، الصحابة من اسمه حكيم، وحكيم قرينة عزيز يعني أن كلمة عزيز لا يقصد المسمي بها المعنى الذي اشتقت منه؛ وإنما يقصد منها مجرد العلم فقط؛ ولهذا نقول ليس فيها شيء نعم .

السائل : شيخ قلنا إن الحكم الشرعي والكوني كلاهما مقرون بالحكمة الصورية والحكمة الغائية فيما المراد بالصورية ؟

الشيخ : يعني كون الشيء على هذا الوجه موافق للحكمة يعني كون مثلا الإنسان يمشي على رجليه موافق للحكمة لكن لو يمشي على رأسه ؟ غير موافق للحكمة ؛

السائل : الغاية ؟

الشيخ : الغاية الله قال إن الله خلق الإنسان للعبادة .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ؛ بسم الله الرحمن الرحيم ((**إن هذا لهو القصص الحق وما من إله إلا الله وإن الله لهو العزيز الحكيم فإن تولوا فإن الله عليم بالمفسدين قل يا أيها الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك بالله ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون قل يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم والذين وما أنزل في التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون هاأنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون في ما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون**)) . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . قال الله تعالى: ((**فإن تولوا فإن الله عليم بالمفسدين**)) هذا مبتدا درس الليلة وقد أخذنا فوائد الآية السابقة . قال: ((**فإن تولوا**)) الضمير يعود على هؤلاء النصارى الذين طلب منهم النبي صلى الله عليه وسلم المباهلة فقال: ((**فقل تعالوا ندع أبنائنا وأبنائكم ونسائنا ونسائكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين**)) وسبق أنهم امتنعوا عن المباهلة لأنهم يعلمون

أنهم لو باهلوا لأخذهم العذاب؛ لأن الرسول صلى الله علي وسلم حق وهم على باطل . يقول الله عز وجل: ((**فإن تولوا**)) يعني عن المباهلة وعن إتباعك يا محمد فإنما هم مفسدون؛ ولهذا قال: ((**فإن الله عليم بالمفسدين**)) ولم يقل: عليم بهم؛ بل أظهر في موضع الإضمار؛ الإظهار في موضع الإضمار له فوائد؛ الفائدة الأولى: التسجيل أو انطباق الوصف في هذا المظهر على من يعود عليه؛ يعني أن هذا الوصف الذي جعل في موضع الضمير ينطبق على مرع الضمير فكأنه قال: فإن تولوا فإن الله عليم بهم؛ لكن وصفهم بالفساد . الفائدة الثانية: العموم؛ لأنه لوجاء الضمير هنا حسب السياق فإن الله عليم بهم، اختص العلم بمن؟ بهم هم ؛ فإذا قال: ((**بالمفسدين**)) صار عاما فيهم وفي غيرهم . الفائدة الثالثة: أن هذا الفعل الذي حصل من هؤلاء الذين جعل الإظهار في موضع الإضمار عنهم هو نوع من هذا الوصف الذي عبر به في موضع الضمير يعني أن فعلهم فساد وهو التولي والإعراض عن دين الله . ففي هذه الآية الكريمة: تهديد من تولى عن دين الله عز وجل؛ ووجه ذلك: قوله: ((**فإن الله عليم بالمفسدين**)) لأن المقصود من ذكر علمهم بهم تهديده؛ وأنه لا يخفى عليه حالهم وسيعاقبهم بما تقتضيه حالهم . ومن فوائد الآية الكريمة: أن التولي عن دين الله فساد، كما قال الله تعالى: ((**ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس**)) . وهل التولي نفسه فساد أو أنه سبب للفساد ؟ الجواب على هذا أن نقول: هو فساد وسبب للفساد؛ ووجه كونه فسادا أنه إذا تولي عن دين الله حل محله ما سواه؛ ومعلوم أن دين الله صلاح وما سواه فساد؛ ولهذا نجد القوانين المحكمة في عباد الله لا تصلح الخلق، لا يصلح الخلق منها إلا ما وافق الشرع؛ وأما ما خالف الشرع فإنه فساد مهما كان واضع القوانين في الذكاء والفهم لأحوال الناس فإنهم إذا وضعوا القوانين ما يخالف شرع الله فإنه فساد في كل حال؛ إذا نفس التولي فساد ثم هو أيضا سبب للفساد؛ لأن الج والقحط وضيق الرزق والفتن كلها سببها المعاصي قال الله تعالى: ((**ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون**)) وقال الله تعالى: ((**ولو أن أهل القرى آمنوا وتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون**)) وقال الله تعالى: ((**وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقه الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون**))؛ إذا فالتولي عن شريعة الله أيش؟ فساد وسبب للفساد . ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن كل من تولى عن دين الله فهو مفسد، كل من تولى عن دين الله فهو مفسد وإن زعم أنه مصلح؛ لقوله: ((**فإن الله عليم بالمفسدين**)) ولهذا قال كثير من المفسرين في قوله تعالى: ((**ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها**)) أي لا تفسدوها بالمعاصي؛ فكل عاص فهو مفسد شاء أم أبى؛ وكل مطيع لله فهو مصلح؛ لأن بضدها تتبين الأشياء؛ فإذا كان العاصي مفسدا فالطائع مصلح؛

لكن الطائع في الحقيقة قد يكون صالحا بنفسه غير مصلح لغيره وقد يكون صالحا لنفسه مصلحا لغيره؛ فإذا كان عابدا داعيا إلى الله صار صالحا مصلحا وإذا كان عابدا غير داعيا لله صار صالحا غير مصلح لكنه ليس على وجه التمام في الصلاح لأن من تمام الصلاح أن تدعوا إلى الله عز وجل . ثم قال الله تعالى: ((**قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم**)) الخطاب في قوله: ((**قل**)) للرسول صلى الله عليه وسلم؛ وقد مر بنا قاعدة: أن الله تعالى إذا صدر الشيء بقل الموجه للرسول صلى الله عليه وسلم فإنه يقتضي زيادة العناية به؛ لأنه أمر بأن يبلغ هذا الشيء لخصوصه؛ وإلا فجميع القرآن مأمور للنبي عليه الصلاة والسلام أن يقوله؛ ((**قل يا أهل الكتاب**)) أهل الكتاب يعني بهم اليهود والنصارى وعلى هذا فالمراد بالكتاب الجنس ليكون شاملا لأيش؟ ذكرت أن المراد بأهل الكتاب اليهود والنصارى؛ وقلت: على هذا يكون الكتاب الجنس ليكون شاملا؟ التوراة والإنجيل؛ فيا أهل الكتاب يعني يا أهل التوراة والإنجيل؛ وإنما خاطب هؤلاء بأهل الكتاب أو وصفهم بذلك لأنه لا يوجد كتب منزلة باقية آثارها إلا التوراة والإنجيل؛ ولهذا سموا أهل الكتاب وإلا فإنه ما من رسول إلا ومعه كتاب يدعوا به كما قال الله تعالى: ((**لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم**)) معهم يعني مع الرسل ((**الكتاب والميزان**)) لكن الكتب التي بقيت وأثرت وإن كان فيها شيء من التغيير هي التي عند اليهود والنصارى . ((**يا أهل الكتاب**)) من المراد بهم ؟ اليهود والنصارى . هنا لو قال لنا قائل: ((**أهل الكتاب**)) فسرها بمرادها وبلفظها ؟ نقول نفسرها بلفظها أي يا أصحاب الكتاب، يا من حملتم الكتاب؛ هذا يسمى تفسير لفظا؛ أما التفسير المراد يعني مراده اليهود والنصارى؛ فالتفسير اللفظي هو الذي يفسر الكلمة بقطع النظر عن المراد بها؛ والتفسير المراد الذي هو مقصود الكلام هم من يراد بالكلام . ((**تعالوا**)) يعني أقبلوا؛ وتعال فعل أمر وليس اسم فعل خلافا لمن زعم من النحويين أنها اسم فعل؛ والدليل على أنها فعل: لحقوق الفاعل بها يعني اتصال الضمير بها واسم الفعل لا يتصل به الضمير؛ تقول تعالوا للجماعة؛ تعاليا لمن؟ للمثنى؛ تعاليين لجماعة الإناث؛ تعالي للواحدة؛ فإذا هي فعل يعني أقبلوا؛ بخلاف هلم، هلم هذه اسم فعل؛ الدليل ؟ لأنها لا تتغير ولا يلحقها الضمير ((**والقائلين لإخوانهم هلم إلينا**)) ولم يقل: هلموا إلينا؛ ((**تعالوا**)) أقبلوا إلينا؛ إلى كلمة وفسرها بقوله: ((**ألا نعبد إلا الله**))؛ لكن وصف هذه الكلمة قبل أن يفسرها ((**سواء**)) سواء يعني عدل؛ لأن سواء هنا مصدر بمعنى اسم الفاعل أي مستوية ليس فيها حيل؛ مستوية بيننا وبينكم والمستوية بين الضد وضده يعني أنها عدل ليس فيها جنف من هؤلاء ولا من هؤلاء، سواء؛ إذا سواء مصدر أيش؟ بمعنى اسم الفاعل أي مستوية بيننا وبينكم أي يعني عدل لا فيها ميل لنا ولا ميل لكم؛ ((**بيننا وبينكم**)) المضير في بيننا يعود على المسلمين ((**وبينكم**)) الضمير على أهل الكتاب؛ ما هذه الكلمة ؟ ((**ألا نعبد إلا الله**)) هذه الكلمة سواء كل الرسل

متفقون على هذه الكلمة من نوح إلى محمد صلى الله عليه وسلم؛ ((**وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا**)) أحمد ؟ ((**وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا**)) كملها ؟ شرطتها ؟ أجب بالصدق ؟ هل شرطت أو لا؟ طيب ((**وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون**)) نعم؛ فإذا كانت الرسل عليه الصلاة والسلام متفقين على هذه الكلمة إذا فإذا دعوناكم إليها فهذا عدل ليس فيها حيز؛ ((**سواء بيننا وبينكم**)) هي ((**ألا نعبد إلا الله**)) وعلى هذا فيكون موضع قوله: ((**ألا نعبد إلا الله**)) الجر على أنها عطف بيان لأيش ؟ لكلمة، عطف بيان لكلمة؛ ويجوز أن تكون خبر مبتدأ محذوف أي هي ألا نعبد؛ هي ألا نعبد؛ طيب قوله: ((**ألا نعبد**)) نعبد أي نذل ونخضع لغيره الله عز وجل؛ لا نخضع ولا نذل الذل المطلق إلا لله وحده عز وجل؛ لأن العبادة يراد بها الذل والخضوع الكامل المطلق ويراد بها المتعبد به يعني تطلق على معنيين: تطلق على فعل العبد، وتطلق على مفعول العبد؛ انتبه ! العبادة تطلق على فعل العبد وعلى مفعول العبد؛ فإذا كانت على فعله فهي التذلل والخضوع، وإذا كانت على مفعوله فهي العبادات التي يقوم بها والتي فسرها شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه . وهنا ((**ألا نعبد**)) إما أن يقال بشمولها للمعنيين وإما المراد بها فعل العبد يعني ذل العبد وخضوعه؛ ((**إلا الله**)) وحده؛ واستفدنا الوحدانية هنا من أيش؟ من الحصر؛ لأن لا نافية وإلا مثبتة؛ وإذا جاء الكلام بهذه الصيغة نفي وإثبات صار دالا على الحصر. من يخالف في هذا ؟ يخالف النصارى ما يعبدون الله وحده؛ يعبدون من؟ عيسى وأمه؛ وكذلك اليهود قالوا عزير ابن الله . ((**ولا نشرك به شيئا**)) لا نشرك الإشراك معناه تسمية؛ وشيئا نكرة في سياق النفي فتعم كل شيء؛ وهذا تحقيق للتوحيد؛ انتبه ! تحقيق كيف كان تحقيقا ؟ لأن المراد بهذا النفي إثبات كمال الضد؛ فهنا المنفي الإشراك لإثبات كمال الضد وهو التوحيد أي أن نعبده عز وجل عبادة لا شرك فيها؛ وذلك أن العبادة قد يكون فيها شرك، قد يكون الإنسان عابدا لله لكن العبادة مخلوطة بالشرك؛ فإذا قلت: أعبد ربك ولا تشرك به، صارت عبادة خالية من الشرك؛ ولهذا نعتبر الجملة الثانية ((**ولا نشرك به شيئا**)) نعتبرها من حيث المعنى توكيدا للتوحيد في قوله: ((**ألا نعبد إلا الله**)) وقوله: ((**شيئا**)) يشمل أي شيء كان من بشر أو ملك أو جن أو جماد أي شيء؛ واستفدنا هذا العموم من أين؟ من أنها نكرة في سياق الشرط ؛ في سياق النفي والنكرة في سياق النفي للعموم . أضرب لكم مثلا يبين لكم هذا: إذا قلت لك: افعل شيئا، ففعلت شيئا من الأشياء وتركت أشياء هل هذا للعموم ؟ لا؛ افعل شيئا، شيئا ما هي للعموم؛ لأنها نكرة لكنها في سياق الإثبات؛ وإذا قلت: لا تفعل شيئا، صارت للعموم يعني أي شيء تفعله فأنت مخالف؛ ولهذا من قواعد الأصول عندهم أن النكرة في سياق الإثبات للإطلاق، والنكرة في سياق النفي للعموم ؛ كذا عبد الرحمن ابن داود ؟ النكرة في سياق الإثبات للإطلاق؛

والنكرة في سياق النفي للعموم؛ طيب النكرة في سياق الإثبات للإطلاق وفي سياق النفي للعموم . أنا ذكرت لك قبل قليل إذا قلت: افعل شيئا؛ ولندع افعل شيئا ونأتي بمثال أوضح لأن أخ عبد الرحمن يقول ما اتضت؛ أعتق رقبة، هذا لأيش ؟ للإطلاق ؟ يعني أي رقبة تكون أعتق يحصل المقصود؛ لا تعتق رقبة؛ هذا للعموم لو عتقت أي رقبة فأنت مخالف، وذاك لو أعتقت أي رقبة أجزأ فالفرق هو هذا؛ اشتري ثوبا فاشتريت ثوبا أي ثوب كان نظيف وسق جديد أحمر أسود أيا كان؛ لا تشتري ثوبا، هذا للعموم؛ أي ثوب تجيبها خطأ أنا قلت لك لا تشتري؛ فالنكرة في سياق النفي للعموم والنكرة في سياق الإثبات للإطلاق . قال: ((**ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله**)) والله هذا العدل؛ يعني لا تتخذونا نحن نحرم ونحلل ونفرض عليكم ما نحلل ونحرم؛ ولا تفرضوا علينا أنتم ما تحللون وتحرمون؛ لأن الذي يحلل ويحرم ويطاع قد اتخذ ربا كما جاء في الحديث في قوله تعالى: ((**اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله**)) قال عدي بن حاتم: يا رسول الله إنا لسنا نعبدهم؛ قال: أليس يحلون ما حرم الله فتحلونه ويحرمون ما أحل الله فتحرمونه؟ قال: نعم؛ قال: فتلك عبادتهم) والأمر ظاهر طاعة الغير في التحليل والتحريم شرك في الطاعة والتشريع؛ فهو يقول: ((**نعبد الله ولا نشرك به شيئا**)) هذه باعتبار العبادة؛ ((**لا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله**)) هذا باعتبار التشريع يعني ما نلزمكم بما نقول ولا تلزمونا بما تقولون؛ إذا من المرجع؟ ولهذا قال: ((**من دون الله**)) أما إذا كان بالله فأنتم تلزموننا ونحن نلزمكم؛ نحن لم نقل اجعلونا ربا نفرض عليكم ما نشاء أو نجعلكم ربا تفرضون علينا ما تشاءون من دون الله؛ لكن إذا كان هذا بإذن الله ووحيه وشرعه واجب عليكم؛ واضح يا جماعة ؟؛ إذا هذا تمام العدل في العبادة وفي التشريع؛ نحن لا نلزمكم ولا تلزمونا بشيء دون الله؛ ((**ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله**)) إذا هو تمام العدل والإنصاف في المحاجة والمناظرة أن تكون الكلمة سواء لا نجنف ولا يجنف علينا فإن تولوا أعرض ولم يأتوا لهذه الكلمة السواء فأعلنوها أنتم من أجل أن يبوءوا بالإثم؛ ولهذا قال: ((**فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون**)) يعني منقادون لله تمام الانقياد ولن نعبأ بكم؛ فصارت هذه الآية تدعوا اليهود والنصارى إلى أيش؟ إلى العبادة إلى التوحيد والإسلام وإلى العدل، إلى العدل، تفضلوا إيتوا احضروا تعالوا ((**كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله**)) هذا هو العدل؛ ((**فإن تولوا**)) فإنهم لا يريدون الخير، أعلنوها أنتم ((**فقولوا اشهدوا**)) شف التحدي ((**اشهدوا بأنا مسلمون**))؛ وإذا أشهدناهم بأننا مسلمون فهو إعلان بأنهم غير مسلمين، بأنهم غير مسلمين إذ لو كانوا مسلمين لانقادوا لهذه الكلمة السواء بيننا وبينهم ومعلوم أنهم لو انقادوا لهذه الكلمة لزمهم أن يؤمنوا بالرسول عليه الصلاة والسلام محمد؛ لأن الذي جاء بالعبادة الصحيحة هو محمد عليه الصلاة والسلام . في هذه الآية الكريمة: بيان أو أمر

الرسول عليه الصلاة والسلام أن يدعوا أهل الكتاب إلى هذه الكلمة السواء؛ لقوله: ((**قل يا أهل الكتاب**)) . وهنا سؤال: هل الرسول قال ذلك ؟ نعم قالها حتى كان يكتب بها إلى الملوك، لما كتب إلى كسرى ما كتب وغيره يكتب: ((**يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم**)) لكنه يقول: ((**قل يا أهل الكتاب**)) من كمال أدبه؛ إذا قال: ((**قل يا أهل الكتاب**)) فكأنه يقول إنما كتبت لكم هذه الآية بأمر من؟ بأمر الله؛ لكن لو قال: يا أهل الكتاب بدون قل لكان فيه احتمال أنه كتبها من عند نفسه؛ المهم أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال ذلك ودعاهم إلى هذه الكلمة؛ لكنهم أبوا امتنعوا؛ لأنهم مصرون معاندون إلا من هدى الله، هدى الله من النصارى أقواما ومن اليهود أقواما ومن المشركين أقواما . من فوائد هذه الآية الكريمة: التنزل مع الخصم لإلزامه بالحق؛ كيف ذلك ؟ لأنه قال: ((**سواء بيننا وبينكم**)) مع أن الحق مع من؟ ما فيه شك مع الرسول صلى الله عليه وسلم؛ لكن من أجل إلزاما الخصم وإقامة الحجة عليه أتنزل معه وقلت انزل كلمة عدل بيننا وبينكم . ومن فوائد الآية الكريمة: وجوب استعمال العدل في المناظرة حتى مع العدو؛ لأن الرسول أمر بأن يعلن هذا؛ وإذا كان هذا واجبا في مناظرة المسلمين مع الكفار فهو في مناظرة المسلمين بعضهم مع بعض أوجب و أوكد؛ ولهذا نقول: من الخطأ العظيم أن بعض الناس إذا رأى رأيا قال إنما سواه خطأ وخطأ غيره، هو قد يكون خطأ باعتبار اعتقاده ما ننكر عليه يعني إذا قال هذا القول خطأ باعتبار اعتقادي ما ننكر عليه؛ لأنه من المعلوم أنه إذا اختار ضده فهو عنده خطأ ولا ينكر عليه؛ لكن الإنكار أن يخطأ من قال به، أن يخطأ من قال به وهذا فرق دقيق، فرق بين أن أعتقد أن هذا القول خطأ ولا آخذ به وبين أن أخطأ من قال به؛ لأني إذا خطأته ادعيت العصمة لي والزلل له وهذا خطأ، هذا الخطأ؛ ولهذا يجب في المناظرة بين المسلمين كما يجب في المناظرة بين المسلمين والكفار أن تكون بالعدل؛ من المعلوم أن الميزان العدل في ذلك كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، كتاب الله وسنة رسوله؛ ولكن المشكل أنه ليس كل أحد يفهم الكتاب والسنة كما ينبغي يعني ومن الناس من يكون ظاهريا محضا لا ينظر إلى مقاصد الشريعة ومعانيها العظيمة التي يقصد بها إصلاح الخلق؛ فتجد مثلا يريد أن ينفذ شيئا من المسائل الذي لا تعتر ذات شأن كبير في الإسلام وإن فات بذلك مصلحة عظيمة كبيرة؛ منها مسائل الخلاف التي يظهر فيها النزاع والمباينة بين المسلمين؛ ولها أمثلة كثيرة ممكن تفهمونها؛ تجد مثلا بعض الناس يقول لابد أن ننفذ هذا الشيء وإن كانت السنة وإن كان يلزم على تنفيذه تفرق المسلمين وعداوتهم والبغضاء بينهم لا ينظر إلى أن الشرع في الحقيقة مبني على الإلفة، مبني على الإلفة وائتلاف القلوب؛ حرم البيع على بيع مسلم لأن ذلك يؤدي إلى العداوة والبغضاء؛ النجش؛ الخطبة على خطبة أخيه ، أشياء كثيرة إذا تأملتها وجدت أن هذا الشرع يرمي إلى أن يأتلف الناس وتتفق القلوب واتحاد الأهداف؛ وأن المسائل الجزئية إذا خيف

منها الفتنة تترك؛ والحمد لله هل عليك لوم إذا تركت الأدنى للأعلى؟ ليس عليك لوم بل لك المدح؛ اللوم أن تفعل الأدنى لتفرط في الأعلى هذا اللوم؛ ولهذا نعلم علم اليقين أن الصحابة أفقه منا بكثير وأقوم منا في أعمالهم وأنهم أشد من حبا لشريعة الإسلام ومع ذلك يتوافق بعضهم مع بعض في أمور لا يرونها لكن من أجل المصلحة واتفاق القلوب؛ ولا يخفى عليكم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم امتنع من هدم الكعبة وبنائه على قواعد إبراهيم مع أن هذا هو الذي يتمناه وهو الذي هم به خوفا من أيش؟ خوفا من الفتن، خوفا من الفتنة؛ لأن قريشا كانوا حديث عهد بالكفر؛ وكان عليه الصلاة والسلام يترك ما يحب لمصلحة الناس؛ كان يصوم في السفر ولما قيل إن الناس قد شق عليهم ماذا فعل؟ أفطر، أفطر بعد العصر ورفع الماء . وهو على بعيره . على فخذه وشربه والناس ينظرون؛ ما قال والله أنا صائم وما بقي إلا جزء بسيط أريد أكمل؛ والصحابة رضي الله عنهم في خلافة عثمان بقي رضي الله عنه سبع أو ثماني سنوات يقصر الصلاة في منى؛ كم بقي في الخلافة ؟ اثنتي عشرة سنة؛ بعد مضي أكثر خلافته رأى عليه الصلاة والسلام لسبب من الأسباب أن يتم الصلاة فأتم فبلغ ذلك من بلغ من الصحابة فأنكروا عليه قالوا كيف ؟ الرسول صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وأنت في أول خلافتك تقصر الصلاة والآن تتم؟ حتى إن ابن مسعود لما بلغه ذلك استرجع قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، كأنه أمر كبير ومع ذلك يصلون خلفه، يصلون أربعا مع اعتقادهم أنها خلاف السنة؛ لأيش؟ من أجل اتحاد الكلمة وعدم التفرق؛ ولما سئل ابن مسعود قيل: كيف تنكر فعل عثمان وتصلي خلفه أربعا؟ قال: الخلاف شر؛ هذا الفقه والله هذا الفقه، هذه الشريعة .

ومن الناس من يكون ظاهريا محضا لا ينظر إلى مقاصد الشريعة ومعانيها العظيمة التي يقصد بها إصلاح الخلق ؛ فتجد مثلا يريد أن ينفذ شيئا من المسائل الذي لا تعتر ذات شأن كبير في الإسلام وإن فات بذلك مصلحة عظيمة كبيرة؛ منها مسائل الخلاف التي يظهر فيها النزاع والمباينة بين المسلمين؛ ولها أمثلة كثيرة ممكن تفهمونها؛ تجد مثلا بعض الناس يقول لابد أن ننفذ هذا الشيء وإن كانت السنة وإن كان يلزم على تنفيذه تفرق المسلمين وعداوتهم والبغضاء بينهم لا ينظر إلى أن الشرع في الحقيقة مبني على الإلفة ، مبني على الإلفة وائتلاف القلوب؛ حرم البيع على بيع مسلم لأن ذلك يؤدي إلى العداوة والبغضاء ؛ النجش؛ الخطبة على خطبة أخيه ، أشياء كثيرة إذا تأملتها وجدت أن هذا الشرع يرمي إلى أن يأتلف الناس وتتفق القلوب واتحاد الأهداف ؛ وأن المسائل الجزئية إذا خيف منها الفتنة تترك؛ والحمد لله هل عليك لوم إذا تركت الأدنى للأعلى؟ ليس عليك لوم بل لك المدح؛ اللوم أن تفعل الأدنى لتفرط في الأعلى هذا اللوم؛ ولهذا نعلم علم اليقين أن الصحابة أفقه منا بكثير وأقوم منا في أعمالهم وأنهم أشد من حبا لشريعة الإسلام ومع ذلك يتوافق بعضهم مع بعض في أمور لا يرونها لكن من أجل المصلحة واتفاق القلوب؛ ولا يخفى عليكم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم امتنع من هدم الكعبة وبنائه على قواعد إبراهيم مع أن هذا هو الذي يتمناه وهو الذي هم به خوفا من أيش؟ خوفا من الفتن ، خوفا من الفتنة؛ لأن قريشا كانوا حديث عهد بالكفر؛ وكان عليه الصلاة والسلام يترك ما يحب لمصلحة الناس ؛ كان يصوم في السفر ولما قيل إن الناس قد شق عليهم ماذا فعل ؟ أفطر ، أفطر بعد العصر ورفع الماء . وهو على بعيره . على فخذه وشربه والناس ينظرون ؛ ما قال والله أنا صائم وما بقي إلا جزء بسيط أريد أكمل ؛ والصحابة رضي الله عنهم في خلافة عثمان بقي رضي الله عنه سبع أو ثماني سنوات يقصر الصلاة في منى؛ كم بقي في الخلافة ؟ اثنتي عشرة سنة ؛ بعد مضي أكثر خلافته رأى عليه الصلاة والسلام لسبب من الأسباب أن يتم الصلاة فأتم فبلغ ذلك من بلغ من الصحابة فأنكروا عليه قالوا كيف ؟ الرسول صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وأنت في أول خلافتك تقصر الصلاة والآن تتم ؟ حتى إن ابن مسعود لما بلغه ذلك استرجع قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، كأنه أمر كبير ومع ذلك يصلون خلفه، يصلون أربعا مع اعتقادهم أنها خلاف السنة؛ لأيش؟ من أجل اتحاد الكلمة وعدم التفرق؛ ولما سئل ابن مسعود قيل: كيف تنكر فعل عثمان وتصلي خلفه أربعا ؟ قال: الخلاف شر؛ هذا الفقه والله هذا الفقه ، هذه الشريعة ؛ أما أن يتفرق الناس ويتخاصمون ولا يعاملون بالعدل ويقال قولي هو الحق وقولك الحق وأنت مخطئ فهذا ليس من طريق الشرع هذا خلاف الشرع وإن زعم من تمسك به أنه على الشرع وأنه هو الذي بالحق وأنه هو المعصوم فإن دعواه هذه هي التي جعلته مخطئا؛ من ادعى العصمة فأول زلل زل به أيش؟ إدعاء العصمة وأنه على صواب وغيره على خطأ . طيب من فوائد الآية الكريمة: أن جميع الرسل متفقون

على هذه الكلمة ((**أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا**)) لأنها مادام كلمة سواء بيننا وبينهم معناه أنها عندهم كما هي عندنا ؛ وهذا هو الواقع أن جميع الرسل متفقون على هذه الكلمة ((**لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا**)) ؛ بل إن الله قال في كتابه العظيم: ((**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**)) هل خلقا الذي خلقوا من آدم إلى ومن قبل آدم في الجن ما خلقوا إلا لهذا الأمر العظيم ، لعبادة الله ؛ ما خلقوا ليتمتعوا بالدنيا لينالوا الشهوات ، لا؛ ولكن لعبادة الله ؛ ومع هذا إذا عبدوا الله صلحت دنياهم ؛ الغريب يعني ابن آدم نظره قاصر، الغريب أنه إذا صلح الدين صلحت الدنيا ؛ لكن لا يلزم من صلاح الدنيا صلاح الدين بل إنها ربما إذا ائتني بها أكثر من الدين فسد الدين كما قال الرسول عليه الصلاة والسلام: (**والله ما الفقر أخشى عليكم وإنما أخشى عليكم أن تفتح عليكم الدنيا فتنافسوها كما تنافسها من قبلكم فتهلككم كما أهلكتهم**) . من فوائد الآية الكريمة أيضا: أن الحكم لله بين الناس؛ وأنه ليس لأحد أن يشرع من دون الله ؛ لقوله: ((**ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله**)) . ومن فوائد الآية الكريمة: أن الحكم والعبادة مقترنان ، الحكم بين الناس والعبادة مقترنان ؛ لأن الله قرن بينهما ((**لا نعبد إلا الله**)) ((**ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله**)) لأنك أنت لن تعبد الله إلا بشريعته؛ إذا يلزم أن يكون المشرع من؟ الله المعبود؛ مادمت تعبد الله فلن تعبد الله إلا بشريعته ؛ وإذا فالمشرع هو المعبود الذي يعبد ؛ لأنه سن طريقا أو وضع طريقا قال اسلكوا هذا لتصلوا إلي ؛ إذا كل طريق يخالفه فلن يوصل إلى الله؛ وهذا وجه التلازم بين قوله: ((**ألا نعبد**)) و قوله: ((**ألا يتخذ**)) فإن من اتخذ ربا من دون الله يتبعه في التحليل والتحريم فإنه لم يعبد الله؛ لأن عبادة الله لا تكون إلا بموافقة الشرع . ومن فوائد الآية الكريمة: أن من دعى الناس إلى حل أو حرم لكن بإذن الله وشرعه فهو على حق ؛ تؤخذ من أين؟ من قوله: ((**من دون الله**)) ؛ انتبهوا ما قال: ((**لا يتخذ بعضنا بعضا أربابا**)) وبس ؛ قال: ((**من دون الله**))؛ فأما إذا دعوتك إلى حل أو تحريم لكن بإذن الله أقول هذا شرع الله فإنني لم أدعك أن تتخذني ربا ؛ وإنما بينت لك الطريق لتتخذ الرب من ؟ الله عز وجل .

السائل : ما حكم من إذا بين له الحق قال: علماءنا يفعلونه أأنت أعلم منهم ؟

الشيخ : هؤلاء فيهم شبه ممن قال الله فيهم: ((**إنا وجدنا آبائنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون**)) هذه خطيرة في الواقع ؛ لكن قد لا يلام عليه العامي لأنه لا يثق منك وهذا هذه النقطة أظن أننا بحثنا بها المرة وقلنا: إن المستهزئ بالشرع لا يمكن أن نطلق عليه الكفر ، أو المستهزئ بمن يحمل الشرع ما يمكن يطلق عليه الكفر؛ لأننا نجد العامة الآن إذا قال فلان من الناس هذا شرع الله قبلوه وقالوا هذا خلاص ، إذا رأوا هذا الرجل يعمل

بشيء على أنه عبادة تبعوه؛ لكن لو يصدر القول من غيره ما يقبلونه ما يثقون به ؛ بل إن بعض الناس من شدة عناده وبغضه للآخرين يقول مثلا لأولاده: إن عملتم بهذا فأنا أضربكم وأهجركم وأفعل و أفعل ؛ لكن لو قاله غير هذا الرجل أخذ به؛ هؤلاء العامة ربما يعذرون من بعض الوجوه إذا قال والله علماءنا ما قالوا هكذا ؛ لكن مثل هؤلاء ينبغي أن الإنسان يسيرهم ، يسيرهم ؛ لا طلبة العلم ما لهم حق، ولا هم طلبة العلم، طالب العلم الذي يريد الوصول إلى العلم وذاك مقلدا ما هم طلبة علم طالب العلم هو الذي يريد الوصول إلى العلم ؛ نقول تعال تفضل أنت الآن تحاج بهؤلاء العلماء عندك دليل على ما قالوه ؟ هات ونأتي بالدليل الذي عندنا، كلمة سواء مثل ما قال الله عز وجل هنا؛ هذا إذا كان طالب علم أما إذا كان عامي فالعامي جيبوا عليه شوي شوي مثل العبر النافرة، العبر النافرة .

السائل : ما حكم من أراد يرد على أحد العلماء فيما أخطأ فيه رد من خلال المجلات والجرائد وغيرها من وسائل الإعلام . . ؟

الشيخ : هذا من الغلط، والحقيقة أن هذا الفعل فيه مضرة من ثلاثة وجوه: الوجه الأول أنها مضرة على الكاتب؛ لأن الذين يثقون بالشخص الآخر يرون أن هذا مخطئ ويقل وزنه عندهم؛ وفيها أيضا إضعاف للثاني المردود عليه إضعاف له؛ ومعلوم أنه إذا ضعف منازل الأمة في الأمة ضاعت الأمة لأن العلماء هم القادة؛ فإذا ضعفت منازلهم عند العامة ضاعوا وصاروا كالإبل التي ليس لها راع أو كالأنعام التي ليس لها راعي ؛ فيها أيضا إضعاف للشرع ؛ لأن العالم الذي رد أو المردود عليه إذا قال قولا غير هذه المسألة شكه الناس قالوا لعل هذه من خطأ فلان أو لعل هذا من خطأ فلان؛ فصارت فيه مضرة من ثلاثة وجوه؛ والواجب على العلماء فيما بينهم إذا أحد من الناس أخطأ أن يتصلوا به فيناقشونه إن كان الصواب معنا يتبعه وإن كان معه يتعبه ؛ ثم لو فرض أنه أصر على ما هو عليه وله وجه لأن المسألة مسألة الاجتهاد فلا يرى أن يرد عليه أبدا ؛ لأن مسائل الاجتهاد الرد والأخذ والمناقشة فيها بين العامة لاشك أنه ضرر خصوصا في هذا الوقت الآن العلماء فيه أناس حسب ما سمعت فيه أناس الآن يدعون إلى التقليل من شأن العلماء والكلام فيهم في المجالس وفي كل شيء ؛ لأيش؟ لأنهم فقدوا الزعامة التي يريدونها ؛ فصاروا مثل الزعماء الآخرين الذين عرضوا دعوة النبي صلى الله عليه وسلم لما فقدوا زعامة التي يريدونها ليس لهم سبيل إلى ما يريدون إلا أن يضعفوا الجانب الآخر؛ وهذا على خطر عظيم جدا ؛ فأنا أرى أنه إذا وجد خطأ من أي عالم يكون والإنسان غير معصوم الإنسان يخطئ وربما لا يتبين له الخطأ إلا بالمناقشة أنه يتصل به ويبحث معه فإن تبين الحق وجب على من تبين له الحق أن يتبعه وإن لم يتبين صارت

المسألة فيها مسارا للاجتهاد كل العلماء مخلفين من عهد الصحابة إلى يومنا هذا؛ أما الأخذ والرد والاشتغال بالأخذ والرد هذا يضيع، يضيع أوقات كثيرة.

السائل : أحيانا يأتي السؤال على شكل: ما رأي الشرع أو ما حكم الشرع في نظركم والمفتي قد يجيب خطأ أو صواب لكن ينسب الخطأ إلى الشرع على حسب السؤال ؟

الشيخ : لا لا، هم إذا قالوا ما رأي الشرع ننهاهم عن هذا؛ أنا أحدهم الذين يتكلمون في هذا البرنامج أنهاهم عن هذا قلت لا تقولوا ما رأي الشرع؛ أنا لست معبرا عن الشرع ما أنا برسول معصوم عن الخطأ ؛ قل: ما رأيك؛ أو ما رأي الشرع في نظرك ؛ أنا أرى في الشرع أنه يدلي يقول كذا وأخطئ وأصيب ، وخطئي ليس على الشرع، خطئي مني أنا .

السائل : هل يؤخذ من الآية أن أفضل المناظرة لنرد دون الكتابة ؟

الشيخ : نشوف ما كملنا الآية؛ على كل حال المسألة المناظرة قد تكون كما قلت يعني وجها لوجه وقد تكون في المراسلة تختلف الأساليب ترجع إلى المصلحة .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم؛ بسم الله الرحمن الرحيم ((**إن هذا لهو القصص الحق وما من إله إلا الله وإن الله لهو العزيز الحكيم فإن تولوا فإن الله عليم بالمفسدين قل يا أيها الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك بالله ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون قل يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم والذين وما أنزل في التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون هاأنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون في ما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين**)) أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . أظن أننا أخذنا الفوائد المستنبطة من قوله تعالى: ((**قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء**)) ؟ **أخذنا منها سبع فوائد** ؟ **إلى قوله:** ((**لا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله**)) الأولى: أمر الرسول عليه الصلاة والسلام أن يدعوا أهل الكتاب إلى هذه الكلمة ؛ لقوله: ((**قل يا أهل الكتاب**)) . الثانية: التنزل مع الخصم لإلزامه بالحق ؛ كيف ذلك ؟لقوله: ((**سواء بيننا وبينكم**)) الثالثة: وجوب استعمال العدل في المناظرة حتى مع العدو.

الرابعة: أن جميع الرسل متفقون على هذه الكلمة . والخامسة: أن الحكم لله بين الناس وأنه ليس لأحد أن يشرع من دون الله ؟. السادسة: الحكم بين الناس والعبادة تقترنان؛ لقوله تعال((**ألا نعبد**)) : وقوله: ((**يتخذ بعضنا بعضا**)) . السابعة: أن من دعا الناس إلى حل أو حرم لكن بإذن الله وشرعه فهو على حق؛ تؤخذ من قوله: ((**من دون الله**)) . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . قال الله تعالى: ((**فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون**)) . من فوائد هذه الآية: أنه إذا تولى الخصم بعد إقامة الحجة عليه فإنه يعلن له بالبراءة منه والتزام الحق؛ لقوله: ((**اشهدوا بأنا مسلمون**)) . ومن فوائدها: أنه ينبغي للمسلم أن يعتز بدينه وأن يعلنه ويشهره خلافا للضعفاء الذين عندهم ضعف الشخصية وقلة الدين الذين يتسترون بدينهم مخافة أن يعيروا به حتى إن بعضهم كما قيل لي يخجل أن يصلي بين الناس ، يقول أخشى أن أنسب إلى الدين . والعياذ بالله . وهذا يدل على قلة الإيمان وعلى ضعف الشخصية وأن الإنسان ليس عنده رصيد يفتخر به ويعتز به . ومن فوائد الآية الكريمة أيضا: إشهاد الخصم على الحال التي يكون عليها خصمه؛ لقوله: ((**اشهدوا بأنا مسلمون**)) لما في ذلك من الغضاضة عليه وكسر جبروته وعدم انقياده للحق . ثم قال الله تعالى: ((**يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم**)) الظاهر أن هذه الآية منفصلة عما قبلها وأنها من كلام الله عز وجل؛ يقول: ((**يا أهل الكتاب**)) ويعني بهم اليهود والنصارى ؛ ووصفوا وحدهم بذلك لأنهم هم الذين بقيت كتبهم قائمة يهتدى بها إلى أن بعث النبي صلى الله عليه وسلم ؛ قوله: ((**لم تحاجون في إبراهيم**)) الاستفهام هنا للإنكار والتوبيخ ؛ وكلنا يعلم أن قوله: لم اسم استفهام مجرور باللام وما الاستفهامية إذا جرت بالحرف فإنها تحذف ألفها " لم " ما فيها ألف ؛ ((**عم يتساءلون**)) ما فيها ألف؛ علا م تفعل ، هذه أيضا ما فيها ألف وتغيرت على من أجلها لأن على تكتب ألفها ياء؛ لكنها إذا دخلت على ما استفهامية كتب ألفها أيش؟ ألفا علا م مثل علامة ؛ طيب . قوله: ((**لم تحاجون**)) أي تخاصمون؛ وسميت المخاصمة محاجة لأن كل واحد من المتخاصمين يدلي بحجته يريد أن يخصم صاحبه؛ وقوله: ((**لم تحاجون في إبراهيم**)) أي في شأنه، وفي حاله وفي دينه، وليس المراد في ذاته لأن إبراهيم عليه الصلاة والسلام بشر متفق عليه ولا محاجة فيه ؛ لكن محاجة في شأنه وحاله ((**لم تحاجون فيه**)) . ومن كيفية هذه المحاجة ؟ كيفية هذه المحاجة على قولين لأهل العلم ؛ القول الأول: إدعائهم أنهم على ملة إبراهيم؛ فهم كلهم يقولون نحن على ملة إبراهيم ؛ اليهود يقولون نحن على ملة إبراهيم والنصارى يقولون نحن على ملة إبراهيم ؛ الوجه الثاني وهو القول الثاني: يحاجون فيه لأن اليهود يقولون إن إبراهيم يهودي على دين اليهود، والنصارى يقولون إن إبراهيم نصراني على دين النصارى ؛ وهذا الوجه عكس الوجه الذي قبله ؛ لأن الوجه الذي قبله يدعون هم أنهم على دين إبراهيم؛ وهذه هذا الوجه يدعون إبراهيم على دينهم . وننظر الآن سياق الآية ما

الذي يؤيد من هذين الوجهين ؛ ((**لم تحاجون في إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده**)) كيف تحاجون فيه وتقولون إن إبراهيم على ديننا أو تقولون إننا نحن على دين إبراهيم ؟ كيف المحاجة ؟ وكيف يكون إبراهيم على دينكم والتوراة لم تنزل بعد أيها اليهود؟ وكيف يكون إبراهيم على دينكم والإنجيل لم ينزل بعد أيها النصارى ؟ أو تقول من إنكم على دينه وأنتم على الإنجيل والإنجيل ليس هو دين إبراهيم؛ أو على دين التوراة ليست هي دين إبراهيم؛ إبراهيم له شرعة خاصة ((**لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا**)) فيكف تحاجون في هذا؟ تدعون أن إبراهيم على التوراة أو على الإنجيل أو تدعون أنكم أيها المتمسكون بالتوراة أو أيها المتمسكون بالإنجيل على دين إبراهيم مع أن التوراة والإنجيل إلا من بعده ؛ وهذا عقل وإلا هوس ، هذا هوس وسخاء ؛ كيف يكون إبراهيم على دين كتاب لم ينزل بعد ؟ التوراة نزلت على موسى ؛ والإنجيل نزل على من؟ على عيسى وهم بعد إبراهيم بأزمنة كثيرة فكيف يكون إبراهيم على هذا ؟ ولهذا قال: ((**أفلا تعقلون**)) والهمزة للتوبيخ استفهام للتوبيخ يعني أفلا يكون لكم عقول تعقلون بها ما تقولون ؛ وهذا فيه غاية اللوم والتوبيخ ؛ ((**أفلا تعقلون**)) تأتي في القرآن كثيرا وقد مر علينا أن فيها لعلماء النحو قولين والشميمري يبينهما لنا ؟ ويش هي فيها قولين ((**أفلا تعقلون**)) في إعرابها ؟

الطالب : الهمزة للاستفهام ؛

الشيخ : قولان القول الأول ؟ لا يا أخي الإعراب ما هو معنى المعنى هو التوبيخ واضح ؛

الطالب : الهمزة للاستفهام ؛ فاء للتنبيه ؛

الشيخ : نسيت ؟ نسيت أو لم يمر عليك ؟

الطالب : لم يمر علي ؛

الشيخ : لم يمر عليك؟ طيب نعم يا وليد ؟

الطالب : ألهزة تقدمت على الفاء والأصل فألا تعقلون ؛

الشيخ : يعني هو الوجه الأول؛ اصبر هات وجه الأول قطعية ما فهمنا شيئا الآن ؟

الطالب : الوجه الأول: الهمزة للاستفهام وقدمت لأن الاستفهام له صدارة ؛

الشيخ : والفاء ؟

الطالب : الفاء عاطفة؛

الشيخ : على أيش؟

الطالب : على ما قبلها؛ على ما قبلها،

الشيخ : وأصله ؟ أصله على هذا الوجه على هذا القول ؟

الطالب : فألا تعقلون؛

الشيخ : طيب هذا وجه، القول الثاني ؟

الطالب : أن الهمزة زائدة وأنها معطوفة على فعل محذوف يعني أغفلتم فلا تعقلون ؛

الشيخ : يعني الهمزة زائدة ، هذا قول من ؟ قول وليد ؛ طيب هو حل النصف نعم يا يحيى ؟

الطالب : الجملة محذوفة؛

الشيخ : لكن هو قال الهمزة زائدة ؟

الطالب : لا ليست زائدة؛

الشيخ : أيش هي ؟

الطالب : هي استفهامية؛

الشيخ : استفهامية أي نعم؛ لكنها داخلة على جملة محذوفة التقدير ؟

الطالب : أغفلتم فلا تعقلون أو ؛

الشيخ : أغفلتم لا ما هو ضد العقل ؟

الطالب : الجنون؛

الشيخ : أي أو السفه .

((**أفلا تعقلون**)) إذا فيها وجهان؛ الوجه الأول: أن الهمزة للاستفهام والفاء للعطف لكنها قدمت الهمزة للاستفهام عليها لأن لها الصدارة؛ وعلى هذا فلا حاجة إلى تقدير لأن الجملة تكون معطوفة على الجملة التي قبلها ؛ والوجه الثاني: أن الفاء حرف عطف وأن المعطوف محذوف يقدر بما يناسب السياق ، والذي يناسب هنا أسفهتم مثلا لأن العقل ضد السفه ((**أفلا تعقلون**)) . وقوله: ((**أفلا تعقلون**)) المراد بالعقل هنا عقل الرشد وليس عقل الإدراك؛ لأن هؤلاء عندهم عقل إدراك؛ والفرق بينهما: أن عقل الإدراك مناط التكليف؛ وعقل الرشد مناط التصرف ؛ يعني بمعنى أن عقل الرشد يكون به حسن التصرف من العاقل ؛ وعقل الإدراك يكون به توجيه التكليف إلى العقل ؛ ولهذا يقال للرجل العاقل الذكي إذا أساء في تصرفه يقال: هذا مجنون؛ هذا غير عاقل مع أنه من حيث عقل الإدراك عاقل وإلا غير عاقل ؟ عاقل ؛ طيب الم هنا في حق هؤلاء أي العقلين ؟ يعني أفلا يكون لكم عقل ترشدون به ؟ . ثم قال الله عز وجل: ((**هاأنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم**)) أولا الإعراب في هذه الآية لأن فيها شيء من الإشكال ؛ ((**هاأنتم هؤلاء**)) ها للتنبيه، وأنت ضمير منفصل مبتدأ ؛ و((**هؤلاء**)) هاء للتنبيه وأولاء منادى ؛ والتقدير: هاأنتم يا هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم . ((**فلم تحاجون فيما لكم به علم**)) نقول فيها قولين: ((**فلم تحاجون**)) ما قلنا في قوله: ((**لم تحاجون**)) من حيث الإعراب؛ ((**هاأنتم هؤلاء**)) أولا التنبيه هنا حسن وذلك لأنه يخاطب قوما لزمهم بعدم العقل؛ والذي ليس عنده عقل ينبغي أن يصدر الخطاب له بما يقتضي تنبيهه؛ لأنه غافل، غافل تصرفه تصرف المجنون فاحتيج إلى أن ينبه فلذلك أتى بهاء التنبيه؛ ثم إن قوله: ((**هؤلاء**)) إشارة بعد وإلا قرب؟ بعد؛ ((**هؤلاء**)) إشارة قرب وإلا بعد ؟ لا لا، يحتاج إلى اشتباه يا جماعة؛ إذا كان للبعد يقر ن بالكاف وهنا لم يقرن بالكاف بل قال: ((**هؤلاء**)) عرفتم يا جماعة ؟ إذا كان اسم الإشارة . نرجع إلى اسم الإشارة الآن بالنحو . إذا كان اسم الإشارة للبعيد أتي بالكاف ؛ ولهذا قال ابن مالك :

بالكاف حرفا دون لام أو معه واللام إن قدمتها ممتنعة

بذا وذي وتا وتي أشر إلى دان المكان وبه الكاف صلا

في البعد ؛

الشاهد: وبه الكاف صلا في البعد ؛ معناه في القرب لا تصلح بالكاف ؛ وإذا كان اسم الإشارة للبعيد فلابد من الكاف ؛ وإذا كان أبعد ويؤتى باللام أيضا ؛ إذا المشار إليه قريب ((**هاأنتم هؤلاء**)) ومع قربهم أتى بها التنبيه للدلالة على بلادتهم وأنهم مع قربهم وقرب الإشارة إليهم علا بلادة عظيمة يحتاجون إلى التنبيه . ((**هاأنتم هؤلاء حاججتم فيها لكم به علم**)) يعني خاصمتم فيما لكم به علم وهو التوراة بالنسبة لليهود والإنجيل بالنسبة للنصارى؛ يعني أنكم إذا حاججتم في التوراة والإنجيل وكانت المحاجة في التوراة من اليهود وفي الإنجيل من النصارى فهذه محاجة فيما فيه علكم لكم ؛ لكن لم تحاجون فيما ليس لكم به علم وهو إبراهيم وما هو عليه من الدين؛ وقيل: المراد بقوله: ((**حاججتم فيما لكم به علم**)) في دين الإسلام يعني حاججتم فيه وخاصمتم تقولون ليس على دين إبراهيم، دين إبراهيم دين اليهود والنصارى وأنتم تعلمون أن الإسلام دين الله الحق؛ لأن اليهود والنصارى يعلمون أن دين محمد صلى الله عليه وسلم هو دين الحق؛ قال الله تعالى:((**الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبنائهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون**)) فصار المحاجة الآن في أيش؟ إما في الكتابين وإما في الإسلام ، في دين الإسلام وما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام ؛ ((**فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم**)) والمحاجة التي يراد بها إثبات الباطل وإبطال الحق مذمومة حتى وإن كانت عن العلم؛ بل عن علم أشد ذنبا ؛ فكيف تحاجون فيما ليس لكم به علم وهو إبراهيم عليه الصلاة والسلام . ((**والله يعلم وأنتم لا تعلمون**)) والله يعلم الأمر على ما هو عليه في شأن إبراهيم وفي شأن محمد صلى الله عليه وسلم وفيش شأن موسى وعيسى ؛ وأنتم لا تعلمون ما يعلمه الله تعالى من هذا وغيره ؛ ونفي العلم عنهم هنا ليس رفعا للإثم عنهم ولكنه إيذان بجهلهم وجهالتهم وأن تصرفهم كتصرف الجاهل ؛ فهو في الأول قال: ((**لا تعقلون**)) وفي الثاني قال: ((**لا تعلمون**)) فجمع بين السفه في الرأي والتدبير وبين الجهل في العلم والتصور؛ ولهذا قال: ((**والله يعلم وأنتم لا تعلمون**)). ثم ذكر الله عز وجل حال إبراهيم ذكرا صادرا عن علم لا عن جهل فقال: ((**ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا**)) يعني ليس على ملتكم أيها اليهود ولا على ملتكم أيها النصارى ؛ عرفتم ؟ هذا على قول من يقول: إن محاجتهم في إبراهيم أن اليهود يقولون هو منا والنصارى هو منا فنفى الله ذلك ((**ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا**)) وعلى القول الثاني يعني ما كان إبراهيم على ما أنتم عليه من التعصب والتمسك بدينكم وإن كان منسوخا بطل بدين الإسلام ولكن كان حنيفا مسلما ؛ فلو أن إبراهيم كان حيا لاتبع من ؟ محمدا صلى الله عليه وسلم ولم يكن كحالكم يبقى على ما هو عليه من دينه كما بقيتم أنتم ؛ فالآية الآن تحتمل الوجهين بناء على القولين السابقين أي ما كان إبراهيم يسير سير اليهود فيتعصب ولا يسير سير النصارى فيتعصب ؛ وليس المعنى على القول الثاني أي أنه ((**ما كان يهوديا**)) أي على دين

اليهود أو على دين النصارى بل ما كان على طريقتهم في التعصب لما هم عليه وإن تبين أن الحق في خلافه ؛ ((**و لكن كان حنيفا مسلما**)) عليه الصلاة والسلام ؛ ((**كان حنيفا**)) أي مائلا عن الشرك ؛ لأن الحنف في الأصل الميل ؛ فهو مائل عن الشرك مثبت للتوحيد ولهذا قال: ((**مسلما**)) فهو جامع عليه الصلاة والسلام بين البراءة من الشرك براءة كاملة وبين تحقيق الإسلام تحقيقا كاملا ؛ ولهذا قال: ((**مسلما**)) .

وهنا إشكال في الإعراب في قوله: ((**حنيفا مسلما**)) كيف نعربها ؟

الطالب : يعني هو كان حنيفا خبر كان ؛

الشيخ : ومسلما ؟

الطالب : خبر ثاني؛

الشيخ : ثاني ؟ يجوز تعدد الخبر؟

الشيخ : نعم عبد الرحمن؟

الطالب : معطوف على حرف عطف ، ليس . . .كان حنيفا وكان مسلما.

الطالب : حال يا شيخ ؟

الشيخ : حال من أين ؟

الطالب : صفة ؟

الشيخ : صفة لأيش ؟ ((**حنيفا مسلما**)) ((**مسلما**)) خبر ثاني، وتعدد الخبر جائز؛ ((**وكان الله غفورا رحيما**)) كثير في القرآن .

وقوله: ((**مسلما**)) يعني مسلما لله ظاهرا وباطنا ؛ فيشمل الإسلام الذي هو عمل الجوارح والإيمان الذي هو اعتقاد القلوب وأعمال القلوب ؛ وهذه قاعدة مهمة وهي أنه إذا أطلق الإسلام وأفرد شمل الإيمان وإذا أطلق الإيمان وأفرد شمل الإسلام؛ وإذا اقترنا صار الإسلام في الظاهر والإيمان في الباطن؛ وهذه هي قاعدة أهل السنة والجماعة وعليها يدل الكتاب والسنة؛ فقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم الإيمان لوفد عبد قيس (**بالإسلام**

بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة . .) ووصف الله الصلاة بالإيمان في قوله: ((**وما كان الله ليضيع إيمانكم**)) أي صلاتكم إلى بيت المقدس؛ وقال الله تعالى: ((**إن الدين عند الله الإسلام**)) وهو يشمل كل الدين بالإيمان وأفعال الجوارح؛ فـ((**مسلما**)) هنا مسلما لله ظاهرا وباطنا فيشمل الإيمان والإسلام . ((**وما كان من المشركين**)) هذا تأكيد لقوله: ((**حنيفا**)) يعني هذه الجملة وإن كانت معطوفة بالواو لكنها في المعنى مؤكدة لما سبق؛ يعني ما كان من الذين يشركون بالله لا شركا خفيا ولا شركا ظاهرا بل كان يحارب الشرك وصبر على الدعوة إلى التوحيد إلى أن ألقي في النار عليه الصلاة والسلام؛ ولكن كان جزائه على ذلك أن قيل للنار: ((**كوني بردا وسلاما على إبراهيم**)). ((**إن أولى الناس**)) هذا الحكم بين هؤلاء الخصوم؛ الخصوم ثلاثة: اليهود والنصارى والمسلمون؛ شف الحكم من الحكم العدل: ((**إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه**)) قدم هنا ما كان ينبغي أن يكون خبرا وجعله هو المبتدأ الذي هو ركن الجملة التي يسند إليها الخبر فقال: ((**إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه**)) ولم يقل: إن الذين اتبعوه أولى به؛ لأجل أن يحكم بأن الأولية لهؤلاء لا لغيرهم؛ ((**أولى الناس**)) من اليهود والنصارى والمشركين وأصحاب الأوثان وغيرهم من؟ ((**للذين اتبعوه**)) وهنا نسأل آدم عن اللام في قوله: ((**للذين**)) ويش إعرابها ؟ حرف جر؟ لا، حرف جر يكسر في مثل هذا؛ تأكيد، للتوكيد أي نعم للتوكيد وإنّ أيضا للتوكيد فتكون الجملة مؤكدة بمؤكدين: بإن واللام؛ قال: ((**للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا**)) للذين اتبعوه من بني إسرائيل ممن سبق النبي صلى الله عليه وسلم ولاشك أنه تبعه كثير من المؤمنين الذين آمنوا به في حياته والذين اتبعوا طريقته بعد مماته؛ ((**وهذا النبي**)) شف . الله أكبر . المشار إليه محمد صلى الله عليه وسلم وكفى به فخرا أن يشير إليه رب العالمين ((**هذا النبي**)) هذا شرف عظيم لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون الله يشير إليه بهذه الإشارة مفيدة للقرب؛ لم يكن وذلك النبي؛ بل قال: ((**وهذا النبي**)) إشارة إلى قربه؛ لأنه صلى الله عليه وسلم أقرب الناس منزلة إلى الله سبحانه وتعالى ((**وهذا النبي والذين آمنوا**)) فيها قراءة: ((**النبيئ**)) كذا؟ على هذه القراءة النبي مشتق من النبأ فهو فعيل بمعنى فاعل وبمعنى مفعول ؛ صح ؟ بمعنى فاعل لأنه مخبر وبمعنى فعيل لأنه مخبر؛ ولهذا قال ابن مسعود رضي الله عنه في وصف الرسول: (**وهو الصادق المصدوق**)؛ فهو فعيل بمعنى فاعل وفعيل بمعنى مفعل . ويبقى عندنا كيف يكون فعيل بمعنى مفعل ؟ فعيل أن قلت بمعنى فاعل ؟ بمعنى مفعول وفعيل بمعنى مفعل ؛ طيب فعيل بمعنى مفعول كثير مثل: جريح كثير حميد قتيل، كثير؛ لكن فعيل بمعنى مفعل كيف ذلك ؟

ولهذا قال ابن مسعود رضي الله عنه في وصف الرسول: (**وهو الصادق المصدوق**)؛ فهو فعيل بمعنى فاعل وفعيل بمعنى مفعل . ويبقى عندنا كيف يكون فعيل بمعنى مفعل ؟ فعيل أن قلت بمعنى فاعل ؟ بمعنى مفعول وفعيل بمعنى مفعل؛ طيب فعيل بمعنى مفعول كثير مثل: جريح كثير حميد قتيل، كثير؛ لكن فعيل بمعنى مفعل كيف ذلك ؟ نقول نعم هذا ورد هذا الآن الذي معنا دليل على هذا، المعلوم إلى أن الرسول منبئ للناس؛ أليس كذلك ؟ فهي جاءت في القرآن والقرآن حجة ؛ وإذا أردت أن نأتي بحجة من كلام العرب فاسمع إلى قول الشاعر:

أمن ريحانة الداع السميع يؤرقني وأصحابي هجور

أم الريحانة الداع السميع السميع بمعنى المسمع ؛ يؤرقني وأصحابي هجور؛ فهذه سميع بمعنى مسمع في لغة العرب؛ على أننا في الحقيقة لا نحتاج إلى استشهاد للقرآن لإثبات أن هذا لغة ؛ بل القرآن يستشهد به ولا يستشهد عليه؛ لكن من المعلوم أنه كلما زادت البينات ازداد الإنسان طمأنينة ؛

السائل : إذا على قراءة النبيء يجوز نقرأ بها ؟

الشيخ : نعم، يجوز؛ بل يستحب أن نقرأ بها ، يستحب أن نقرأ بها أحيانا ؛ على هذه القراءة: ((**من النبأ**)) أما على قراءة: ((**النبي**)) بدون الهمزة ففيها وجهان؛ الوجه الأول: أنه مسهلة من النبيء بالهمزة مسهلة يعني أن الهمزة جعلت ياء للتسهيل وهذا موجود في اللغة العربية ، أئمة يقال فيها في اللغة العربية أيمة تسهل الهمزة تجعل ياء؛ النبي نقول هذه أصلها النبيء لكن جعلت الهمزة ياء للتخفيف ؛ وعلى هذا الوجه يكون النبيء ، النبي من أين ؟ من النبأ؛ وقيل: إن الياء أصلية لا مسهلة النبي وعلى هذا فيكون مشتقا من النبوة وهي الشيء المرتفع يقال نبا ينبوا يعني ارتفع ؛ فيكون مشتق من النبوة وهي الارتفاع وذلك لارتفاع مرتبة النبي؛ لأن الرسل صلى الله عليه وسلم ومنهم خاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم أرفع الناس قدرا عند الله ولهذا بدأ الله بهم في صدر من أنعم عليهم ((**فأولئك أنعم الله عليهم من النبيين** ...)) . طيب لو قال قائل: اجعلوها من الأمرين: من النبأ ومن النبوة ؟ ماذا نقول له ؟ نقول يمكن؟ يمكن ، يمكن لأن القول الراجح أنه إذا احتمل اللفظ معنيين بدون تضاد حمل عليهما لأن ذلك وسع في المعنى؛ أما التضاد فإنه ينظر للراجح ويحمل عليه ؛ لكن مع إمكان الجمع يجب أن يحمل علي المعنيين جميعا . فإذا قال قائل: هذا استعمال للمشترك في معنيين ؛ تعرفون لفظ المشترك ؟ اللفظ المشترك ما اتحد لفظه وتعدد معناه كالعين ، العين تقال للباصرة عينك التي في وجهك ؛ وتقال للعين الجارية أيش هي؟ أي ؛ وتقال للعين ، الجاسوس ؛ لا الجاسوس ما هي الحقيقة ؛ وتقال للعين للذهب عين وورق ؛ ولهذا

يقال: عين مورودة وعين منقودة ، عين منقودة الذهب والمورودة الماء ؛ ونقول: عين مكحولة ؟ أي نعم يمكن العين المكحولة هي العين التي في الوجه ؛ يقول بعض العلماء إن المشترك لا يمكن أن يحمل على معنيين ؛ لأن كل معنى منهما يضاد الآخر؛ ولكن الصحيح الذي عليه أكثر أهل العلم أنه يجوز أن يحمل على معنيين بشرط أيش؟ عدم التعارض؛ فإن تعارضا وجب طلب المرجح .

السائل : شيخ أحسن الله إليك ! القول الثاني في قوله: ((**ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا**)) ما كان متعصبا كما ؟

الشيخ : أيه يعني ما كان على طريق اليهود والنصارى؛

السائل : كيف ما كان متعصبا ؟

الشيخ : يعني ما كان على طريقكم يعني إن كنتم صادقين أنكم على طريق إبراهيم أو أن إبراهيم على طريقكم فاتبعوا محمدا .

السائل : بس قولهم إنه متعصب ما فهمت ؟

الشيخ : يعني مثلا الآن الذي يأخذ بمذهب قول ما هو ينسب إليهم كذا وإلا لا ؟ إذا هؤلاء اليهود متعصبون بدينهم، والنصارى متعصبون بدينهم، إبراهيم ما نقول إنك يهودي متعصب أو نصراني متعصب، إبراهيم عليه الصلاة والسلام مسلم لله ما هو متعصب لليهودية ولا نصرانية؛

السائل : بس قلنا إنه لو كان أتى إلى وقت رسول الله صلى الله عليه وسلم لأسلم؛ فهو مسلم كيف يسلم ؟

الشيخ : هذا الذي جرى إقامة الحجة على هؤلاء اليهود والنصارى .

السائل : أسلم معنى ترك شريعته واتبع شريعة . محمد صلى الله عليه وسلم ؟

الشيخ : أي نعم يترك شريعته ويتبع محمد . صلى الله عليه وسلم . أي نعم .

السائل : قوله تعالى: ((**وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده**)) هل المراد : أي بزعمكم أنكم أنتم على دين إبراهيم وليس هو على دينكم ؟

الشيخ : أي نعم هو تحتمل، تحتمل حتى على ذلك .

السائل : إذا تغير الدين ما حدث إلا بعد موته ؟

الشيخ : أي وكذلك الذين يقولون نحن على طريقة إبراهيم وإبراهيم يقولون يتعصب ما يذهب عن دينه، هذا معنى قولهم على طريقتهم؛

السائل : كيف يتعصب إبراهيم مع أنهم ؟

الشيخ : نحن ما قلنا عبادتهم خاصة، يعني طريقتهم يعني على طريقتهم .

السائل : قوله تعالى: ((**هاأنتم حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم**)) كلمة ((**تحاجون**)) يعني معناها أنهم في كلا المسألتين عندهم علم ؟

الشيخ : لا، في قضية إبراهيم عليه السلام ما عندهم علم ؛ لأن الذي يقول عن إبراهيم إنه على طريق اليهود والنصارى أو على دين اليهود والنصارى ما عندهم علم بذلك ؛ فهو جاهل سواء بجهل مركب أو بجهل بسيط؛ لو علم حقيقة إبراهيم عليه الصلاة والسلام لعرف أنه كان حنيفا مسلما ؛

السائل : ما قالوا إنه كاذب ؟

الشيخ : ربما بعضهم إنه كاذب .

السائل : شيخ قلنا لو كان إبراهيم عليه الصلاة والسلام حيا لترك دينه واتبع دين محمد صلى الله عليه وسلم، أليس دين إبراهيم هو نفس دين محمد صلى الله عليه وسلم ؟

الشيخ : يختلف المنهاج، أصل الدين عندهم كلهم واحد التوحيد وأصول الدين كلها واحدة عند الأنبياء؛ لكن الله قال: ((**لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا**)) وبيناها في أثناء الدرس؛ لكن لعلك .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . نكمل الكلام على آخر الآية الكريمة: ((**وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين**)) . قوله: ((**وهذا النبي**)) معطوف على قوله: ((**للذين اتبعوه**)) فهو في محل رفع؛ بل هو مرفوع النبي بدل من اسم الإشارة، والاسم الإشارة كما نعلم مبني على السكون . قال: ((**والذين آمنوا**)) آمنوا بمن؟ آمنوا بهذا النبي؛ والإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم يتضمن الإيمان بكل شريعته؛ وهذا الإيمان أيضا يستلزم القبول وأيش؟ والإذعان؛ أن يقبل بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وأن يذعن له . ثم قال: ((**والله ولي**

المؤمنين)) ولي كل مؤمن هؤلاء وغيرهم كل مؤمن فالله سبحانه وتعالى وليهم، كما في قوله تعالى: ((**الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أوليائهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات**)) وهذه الولاية ولاية خاصة تقتضي أن ييسر المؤمن اليسرى ويجنب العسرى؛ وهناك ولاية عامة شاملة لكل أحد؛ فالله تعالى ولي كل أحد؛ ولهذا قال الله تعالى: ((**حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق**)) فجعل الله تعالى مولا لهؤلاء وهم كفار؛ لكن هذا بالولاية العامة؛ والولاية العامة هي ولاية التصرف، التصرف في الكون والتدبير؛ والولاية الخاصة ولاية العناية بالمولى عليه أن الله تعالى يعتني به وييسره اليسرى ويجنبه العسرى . في هذه الآيات الكريمة كثير من الفوائد؛ ((**يا أهل الكتاب لم تحاجون** ...)) هذا مبتدأ الفوائد ؛ ((**يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم** ...)) في هذه الآية من الفوائد أولا: توبيخ هؤلاء أعني أهل الكتاب بكونهم يحاجون ويجادلون في إبراهيم عليه الصلاة والسلام . ومن فوائدها أيضا: علو شأن إبراهيم ومنزلته بين جميع الطوائف: اليهود والنصارى والمسلمين. ومن فوائدها: بيان الاحتجاج بالعقل؛ لقوله: ((**لم تحاجون في إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده**)) فكيف تحاجون به مع أن التوراة والإنجيل لم تنزل إلا من بعده وهذا خلاف العقل . ويتفرع على هذه الفائدة: أنه لا ينبغي إهمال العقل في الاستدلال كما لا ينبغي الاعتماد عليه وترك النص؛ فالناس في الاستدلال بالعقل طرفان ووسط؛ طرف غالى فيه حتى قدمه على السمع وذلك بالنسبة للفقهاء في أصحاب الرأي والقياسيين الذين يعتمدون على الرأي وإن خالف النص؛ وفي باب النص باب العقائد جميع أهل البدع يعتمدون على العقل ويدعون السمع مع أن العقل الذي يعتمدون عليه ليس إلا شبهات وليس براهين ودلالات ما في هـ دلالات؛ لكن هم يظنون أن العقل يقتضي كذا فيثبتونه ويقتضي نفي كذا فينفونه ولا يرجعون في هذا إلى السمع؛ ومن ذلك من ؟ الأشاعرة، من ذلك الأشاعرة والمعتزلة وغيرهم كل من نفى صفة أثبتها الله لنفسه بحجة أو بشبهة عقلية على الأصح ما هي حجة شبهة عقلية فإنه داخل فيمن يغالي في الاستدلال بالعقل. ومن الناس، الطرف الثاني: من أنكر الاعتماد على العقل بالكلية وقال ليس للعقل دخل في إثبات أي حكم أو أي خبر فأنكروا القياس وذلك مثل أهل الظاهر أنكروا نهائيا وقالوا لا يمكن أن نرجع إلى العقل في شيء. ومن الناس من هم وسط ؛ رجعوا إلى العقل فيما لا يخالف الشرع؛ لأن العقل إذا لم يخالف الشرع فإن الله تعالى يحيل عليه في مسائل كثيرة؛ مثل: ((**أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون**)) ومثل هذه الآية: ((**وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعدها أفلا تعقلون**))؛ واستدلال الله تعالى على إحياء الموتى بإحياء الأرض بعد موتها دلالة، استدلال عقلي حسي، استدلال عقلي وحسي؛ فهو حسي لأنه مشاهد وهو

عقلي لأنه يستدل به على نظيره الذي لا يخالفه تماما؛ فالحاصل أن في هذه الآية اعتبار العقل دليلا ؛ ولكن كما قلت بشرط أن لا يخالف الشرع؛ فإن خالف الشرع فالأصح أن نقول إنه ليس بعقل؛ صح؟ الأصح أن نقول إنه ليس بعقل لأن من صحيح المنقول لا يعارض صريح المعقول أبدا؛ لكن إذا ظن أن العقل يخالف السمع فإما أن يكون لا مخالفة وإما أن يكون السمع غير ثابت وإما أن يكون العقل غير صحيح ملوث بالشبهات والشهوات؛ عرفتم يا جماعة ؟ طيب . ومن فوائد الآية الكريمة: إثبات أن التوراة والإنجيل منزل من عند الله؛ لقوله تعالى: ((**وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده**)) . فإن قال قائل: كيف تستدلون بهذه الآية على أن التوراة والإنجيل منزل من عند الله مع أن الفعل يا أخ ؟ مع أن الفعل هنا ((**وما أنزلت التوراة**)) يعني كيف يستقيم الاستدلال بهذه الآية على أن التوراة والإنجيل من عند الله نازل من عند الله مع أن الفعل ؟ كمل ؟ نعم يا أخي ؟ الفعل مبني للمجهول؛ كذا ؟ طيب ما الجواب على هذا ؟ من قوله: ((**من عنده**))؛ من أين علمت به ؟ لأن المخاطب هو قول الله عز وجل، المتكلم هو الله؛ النزل يجيء من العلو والعلو ما في إلا لله تبارك وتعالى ؛ نقول القرآن يفسر بعضه بعضا قال الله: ((**إنا أنزلنا التوراة والإنجيل فيها هدى ونور**)) ؛ القرآن يفسر بعضه بعضا هذا صحيح وفي هذه السورة نفسها في أولها: ((**وأنزل التوراة والإنجيل**)) في نفس السورة؛ إذا فالمنزل للتوراة والإنجيل هو الله؛ وحينئذ نقول: بني الفعل للمجهول للعلم بالمنزل وهو الله؛ فإذا قيل: من أين علمت أنه منزل؟ قلنا من السورة في أولها ((**وأنزل التوراة والإنجيل هدى للناس**))؛ وهذا نظير قوله تعالى: ((**وخلق الإنسان ضعيفا**)) من الخالق؟ الله؛ لكن حذف للعلم به؛ ولكن لما كان الضعف صفة نقص بني الفعل للمجهول كما بني للمجهول في قوله: ((**وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا**)) الشر ما أضافوه إلى الله مباشرة، قال: ((**أشر أريد**)) والرشد أضافوه إلى الله مباشرة ((**أم أراد بهم ربهم رشدا**)) . ومن فوائد الآية الكريمة: إثبات علو الله؛ لأن النزول إذا ثبت الآن أن الإنزال من عند الله؛ فالنزول لا يكون إلا من أعلى . هل يمكن أن نستفيد من هذه الآية: أن كلام الله متعلق بمشيئته ؟ نعم كيف ؟ أنه حدث ... التوراة بعد إبراهيم وهذا مشيئة الله؛ وهذا بمشيئة الله ولاشك أن التوراة منزلة من عند الله لكن الله كتب التوراة؛ ولهذا قال بعض أهل العلم: لا نستطيع أن نثبت بأن التوراة من كلام الله؛ لكن الله كتبها لاشك وهي نازلة من عنده؛ أما الإنجيل فهو كالقرآن ما فيها أن الله تعالى كتبه قال: أنزله؛ فهو كلام فيكون كلاما؛ أما التوراة فقال الله تعالى: ((**وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء**)) ومن فوائد الآية الكريمة: النداء على بني إسرائيل بالسفه؛ وأن تصرفاتهم كما هي مخالفة للمنقول فهي مخالفة للمعقول؛ ومن أراد أن يعرف سفاهة هؤلاء القوم فليرجع إلى كتاب "إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان" لابن القيم . رحمه الله؛ ذكر أشياء عجيبة من سفه الأمة الغضبية والأمة

الضالة، الأمة الغضبية هم اليهود والأمة الضالة هم النصارى؛ ذكر أشياء عجيبة؛ ولو لم يكن الله أن الله تعالى نعى عليهم عقولهم في هذه الآية وفي آية: ((**أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون**)) فاليهود أمة غضبية، جاهلية، في أبعد ما يكون عن الرشد . ومن فوائد الآية الكريمة: الإشارة بالعقل؛ وأن العقل لا يحمل صاحبه إلا على السداد والصواب؛ لقوله: ((**أفلا تعقلون**))؛ والمراد بالعقل هنا كما ذكرنا في التفسير عقل الرشد يعني عقل التصرف، عقل التصرف الذي به الرشد لا عقل الإدراك الذي هو مناط التكليف؛ لأن هؤلاء اليهود والنصارى عندهم عقل، العقل الذي هو عقل الإدراك الذي هو مناط التكليف هذا ثابت عند اليهود والنصارى ولو لا ذلك ما كلفوا. ثم قال: ((**هاأنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم**)) . من فوائد الآية الكريمة: التنزل مع الخصم، يعني فرضنا أنه قبلت منكم المحاجة فيما لكم به علم؛ لكن لا تقبل المحاجة فيما ليس لكم به علم . ومن فوائدها: ذم المحاجة بغير علم؛ لقوله: ((**فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم**))؛ وما أكثر هذا الواقع المؤسف المر في زمننا هذا، كثير من الناس اليوم يحاجون فيما ليس لهم به علم؛ بل بما تقتضيه عقولهم القاصرة؛ فيقول مثلا: لم صار كذا ولم صار كذا؛ لماذا كان هذا حراما وكان هذا حلالا؛ لماذا كان هذا واجبا وكان هذا غير واجب، وما أشبه ذلك؛ فيحاجون فيما ليس لهم به علم؛ وكثير من العامة الذين عندهم لسن والبيان من السحر كثير منهم يجادل طالب العلم في أمر لا يعلم هو؛ بل مجرد المجادلة . ومن فوائد هذه الآية الكريمة: إقرار الإنسان على المحاجة بالعلم؛ ولكن بشرط أن يكون القصد حسنا، بحيث يريد بالمجادلة أيش؟ الوصول إلى الحق، يكون المقصود الوصول إلى الحق فيثبت الحق ويبطل الباطل، واضح ؟ أما الذي يجادل ولو فيما ليس له به علم قصده إبطال الحق وإثبات الباطل فلاشك أنه مذموم؛ ((**والذين يحاجون من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد**)) . ومن فوائد الآية الكريمة: إثبات العلم لله عز وجل؛ لقوله تعالى: ((**والله يعلم وأنتم لا تعلمون**)) . ومن فوائدها أيضا: أن المحاجة فيما ليس له به علم ليس عنده علم ولو حاج؛ لقوله: ((**وأنتم لا تعلمون**)) بل ليس عنده عقل أيضا؛ لأن المحاجة فرع عن العلم فمن حاج بغير علم فلا عقل له كما أنه لا علم عنده . ومن فوائد الآية: إثبات علم الله في الحاضر؛ ((**يعلم**)) فعل مضارع والأصل في المضارع أنه موضوع للحاضر والمستقبل؛ وربما يتمحض للماضي وربما يتمحض للمستقبل؛ يتمحض للماضي إذا دخلت عليه لم؛ ويتمحض للمستقبل مع السين وسوف، يعني هذا على سبيل المثال؛ وإذا خلا فهو صالح للحاضر والمستقبل؛ فهنا يقول: ((**يعلم**)) يعني أن علمه عز وجل مستمر دائم وأنتم لا تعلمون . ثم قال الله تعالى: ((**ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما** ...)) من فوائد هذه الآية الكريمة: تبرئة إبراهيم من دين

اليهود والنصارى أو من طريق اليهود والنصارى؛ كذا؟ لأننا ذكرنا أن الآية لها معنيان هي قولان؛ فإبراهيم عليه السلام ليس يتدين بدين اليهود لأن دين اليهود من بعده؛ ولا دين النصارى لأن دين النصارى من بعده؛ كذلك أيضا إبراهيم عليه الصلاة والسلام ليس كالنصارى واليهود يتعصبون لما هم عليه بحق أو بباطل بل كان حنيفا مسلما منقاد لأمر الله، يأتمر بأمر الله وينتهي بنهي الله . ومن فوائد الآية الكريمة: أنه ينبغي لمن لم يتصف بوصف أن يبين براءته منه؛ ولو كان هذا الوصف في أصله محمودا؛ لكن إذا كان لم يتصف به فالواجب أن يبين؛ لأن الله تعالى نفى أن يكون إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا مع أن اليهودية والنصرانية بعد بعثة موسى بالنسبة لليهودية وبعد بعثة عيسى بالنسبة للنصرانية كانت حقا قبل أن تنسخ . ومن فوائد الآية الكريمة: الثناء على إبراهيم؛ لقوله: ((**ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين**))؛ وجه الثناء عليه أنه وصف بالتوحيد الخالص، توحيد الخالص الذي لا يشوبه أي نوع من الشرك؛ لقوله: ((**وما كان من المشركين**)) . ومن فوائد الآية الكريمة: الإشارة إلى ما اشتهر عند الناس من أن التخلية قبل التحلية؛ يعني البداءة بالنفي قبل الإثبات؛ لأن النفي تخلية والإثبات تحلية يعني إثبات؛ فهنا بدأ بالنفي وهو ((**ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا**)) ثم أثبت في قوله: ((**ولكن كان حنيفا مسلما**)) والظاهر أن هذا الترتيب موافق للطبيعة لأنك تخلي الشيء مما يشينه أولا ثم تضيف إليه ما يزينه؛ أنت عندما تريد أن تنظف ثوبا وسخا ماذا تصنع ؟ أزيل الوسخ أولا ثم أضيف ما يكون به الكمال؛ وفي الحديث، حديث الاستفتاح: (**اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب اللهم نقني من خطاياي كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس اللهم اغسلني من خطاياي**) فالمباعدة أن لا أمارس الذنوب والخطايا؛ والتنقية أن يزال هذا الأذى، والغسل أن يطهر وينظف، واضح ترتيب هذا؟ وأضرب مثلا يتبين به: إنسان معه أذى يريد أن يضعه على بساط الصلاح فأقول لا تضع هذه مباعدة، أليس كذلك؟ مباعدة ما يضعها؛ آخر جاء به فوضعه فقلت: انزعه، هذه تنقية؛ المرتبة لما نزعه قد يكون في مكانه أثر، أقول: اغسله . ومن فوائد الآية الكريمة: أنه لابد في التوحيد من شيئين: نفي وإثبات؛ النفي في قوله: ((**ولكن كان حنيفا**)) والإثبات في قوله: ((**مسلما**)) لأن الحنيف هو المائل عن الشرك وعن كل دين يخالف الإسلام؛ والإسلام هو الإثبات الاستسلام لله عز وجل؛ وأكد ذلك بقوله: ((**وما كان من المشركين**)) التوحيد لا يتم إلا بإثبات ونفي والعلة ظاهرة تعليل ظاهر جدا؛ لأن النفي، انتبهوا النفي تعطيل والإثبات بدون نفي لا يمنع المشاركة؛ والجمع بينهما إثبات مع نفي المشاركة؛ واضح يا جماعة ؟ طيب نضرب مثلا: إذا قلت: ليس هنا أحد قائم؛ هذا نفي، هل فيها إثبات وإلا ما فيه؟ طيب هل فيها أحد قائم الآن؟ ليس هنا أحد قائم، هذا تعطيل يعني صفة القيام الآن معطلة لم يتصف به أحد؛ واضح؟ ؛ إذا قلت: زيد قائم، هذا إثبات أن زيدا

قائم فأثبتت القيام الآن لواحد من الناس؛ لكن هل هذه العبارة تمنع أن يكون غير زيد قائما ؟ ما تمنع، قد يكون فيه واحد آخر غير زيد قائم؛ ولهذا إذا قلت أنا: زيد قائم، فقلت أنت: وعمرو قائم؛ هل يعتبر قولك ردا على كلامي أو إضافة إلى كلامي ؟ إضافة إلى كلامي. طيب فإذا قلت: لا قائم إلا زيد؛ هذا فيه نفي وإثبات؛ حينئذ حصل التوحيد صار المتفرد بالقيام من؟ هو زيد؛ فتبين أنه لا توحيد إلا بنفي وإثبات؛ ولهذا قال سبحانه وتعالى هنا عن وصف إبراهيم: ((**ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين**)) . ومن فوائد الآية الكريمة: أن الإسلام إذا أطلق دخل فيه الإيمان؛ أو إذا أفرد دخل فيه الإيمان؛ وجهه؟ أن الله وصف إبراهيم بالإسلام وهو كذلك؛ فالإسلام إذا أفرد دخل فيه الإيمان والإيمان إذا أفرد دخل فيه الإسلام؛ وإذا اقترنا افترقا صار الإسلام علانية والإيمان في القلب؛ واضح يا جماعة ؟ طيب؛ في حديث جبريل اجتمع فافترقا؛ ولهذا فسر النبي عليه الصلاة والسلام الإسلام بالشيء وفسر الإيمان بشيء آخر؛ طيب في قوله تعالى: ((**قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا**)) اجتمعا فافترقا فصار الإيمان الذي ادعوه غير الإسلام الذي أثبت الله لهم ((**ولكن قولوا أسلمنا**)) . في قوله تعالى: ((**فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين**)) اجتمع فافترق؛ الإخراج لم يكن إلا للمؤمنين؛ لكن البيت ؟ بيت مسلمين، البيت بيت مسلمين؛ كذا يا هداية الله ؟ كيف هذا؟ الذي أخرج من ؟ لوط وأهله إلا زوجته، إلا امرأته؛ فصار الذين أخرجوا هم المؤمنين الخلص؛ البيت يشتمل الذين آمنوا إيمانا خالصا وعلى امرأته التي هي خانت فهي مسلمة وليست مؤمنة؛ إذا البيت كله باعتبار الكل مسلم؛ ولهذا قال: ((**فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين**)) . وأما من زعم أن الإسلام هو الإيمان واستدل بالآية فقد أبعد النجاة للفرق بين تعبيرين ((**فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين**)) ولم يقل من المسلمين قال: ((**من المؤمنين**)) ((**فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين**)) . طيب إذا الإسلام الذي في الآية الكريمة ((**ولكن كان حنيفا مسلما**)) يشمل الإيمان وإلا لا ؟ يشمل ؛ لماذا؟ لأنه أفرد . ومن فوائد الآية الكريمة: الثناء على إبراهيم عليه الصلاة والسلام بأنه لم يكن فيه صفة من صفات المشركين؛ ولهذا قال: ((**لم يكن من المشركين**)) ولم يقل: لم يكن مشركا؛ فليس فيه صفة من صفات المشركين أبدا لا الشرك ولا غيره؛ وهكذا ينبغي لكل مؤمن أن لا يتصف بأي صفة من صفات المشركين . فمثلا: من صفات المشركين الشرك واضح؛ من صفات المشركين كراهتهم للتوحيد؛ وإلا لا؟ المشركون يكرهون التوحيد ؟ بلا شك؛ نعم وينكرونه، ويقولون: ((**أجعل الآلهة إلها واحدا**)) فمن كره التوحيد وإن لم يكن مشركا فإن فيه من صفات المشركين بل قد يكون كافرا. ثم قال الله عز وجل: ((**إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين**)) . في هذا دليل، في الآية دليل على أن الأوليات تختلف، أي الناس يتفاوتون

بالأولية والولاية؛ لقوله: ((**إن أولى الناس**)) و ((**أولى**)) اسم تفضيل، والتفضيل يدل على مفضل ومفضل عليه؛ ولاشك أن الولايات درجات، الولاية درجات؛ فأحق الناس بالولاية لإبراهيم من اتبعه؛ يعني القوم الذين اتبعوه في عهده؛ لأن القوم الذين اتبعوه في عهده اتبعوه في عصر الدين وفي فروع الدين يعني في جليل الدين وفي دقيقه تبعوه؛ ولهذا قدم الذين اتبعوه على النبي والذين آمنوا؛ لأن النبي والذين آمنوا لم يتبعوا إبراهيم في فروع الشريعة بل ((**لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا**)) لكن اتبعوه في أصل الدين والاستسلام لله عز وجل؛ وإلا لاشك أن النبي محمدا صلى الله عليه وسلم أفضل من الذين اتبعوا إبراهيم بلا شك بل أتباع الرسول أفضل من أتباع إبراهيم . ومن فوائد الآية الكريمة: شرف النبي صلى الله عليه وسلم ومن آمن معه؛ بكونهم أولى الناس بمن؟ بإبراهيم الذي تتنازعه الأمم، كل أمم تقول أنا أولى به . ومن فوائد الآية الكريمة: الرد على اليهود والنصارى، حيث ادعوا أنهم أولى الناس بإبراهيم فكذبهم الله . ومن فوائدها: تشريف النبي صلى الله عليه وسلم بالإشارة إليه من رب العالمين؛ في قوله: ((**وهذا النبي**)) . ومن فوائدها: إثبات نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم؛ وهذا أمر لاشك فيه؛ وكل من وصف بالنبوة في القرآن فهو رسول كل من وصف بالنبوة فهو رسول؛ قال الله تعالى: ((**إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده**)) ثم قال في هؤلاء النبيين: ((**رسلا مبشرين ومنذرين**))؛ إذا فكل من وصف بالنبوة في القرآن فهو رسول بدليل آية النساء: ((**رسلا مبشرين**)) . ومن فوائد الآية الكريمة: إثبات ولاية الله للمؤمنين في قوله: ((**والله ولي المؤمنين**)) وهذه الولاية كما قلنا آنفا ولاية خاصة تقتضي عناية تامة وكل من كان أكمل إيمانا فولاية الله له أكمل . طيب كل من كان أكمل إيمانا فولاية الله له أكمل، هذه فائدة من أين أخذناها ؟ من قاعدة معروفة عند أهل العلم وهي: الحكم المعلق بوصف يزداد قوة بقوة هذا الوصف فيه؛ هذه قاعدة مفيدة: كل حكم معلق بوصف فإن هذا الحكم يزداد قوة بأيش؟ بقوة الوصف الذي علق عليه الحكم؛ فإذا قلت مثلا: أنا أحب الصالحين؛ معناه كل ما كان أصلح فهو أحب إلي؛ لأن المحبة علقت بالصلاح؛ فكلما ازداد الصلاح ازداد المحبة؛ ((**والله ولي المؤمنين**)) علقت الولاء بالإيمان؛ فكل ما كان الإنسان أقوى إيمانا كانت ولاية الله له أتم وأخص . ويتفرع على هذه الفائدة: أنه ينبغي للإنسان أن يحقق إيمانه ويكمله بقدر استطاعته من أجل أن ينال ولاية الله؛ لأن كل إنسان في الحقيقة عاقل يسعى أن يكون الله له وليا؛ نقول : حقق الإيمان يكن الله لك وليا؛ وكلما ازداد تحقيقك للإيمان ازدادت ولاية الله لك؛ وإلا فكلنا يطلب ذلك ونسأل الله أن يجعلني وإياكم من أوليائه، كلنا يطلب هذا لكن بس حقق الإيمان، حقق الإيمان، من أحب في الله وأبغض في الله ووالى في الله وعادى في الله فإنما تنال ولاية الله بذلك، هذه من أسباب الولاية أن يكون حبك وبغضك وكراهتك وعداوتك وولايتك لله عز وجل لا للدنيا. ومن فوائد الآية الكريمة: إثبات

الأسباب؛ من أين يؤخذ ؟ من قوله: ((**والله ولي المؤمنين**)) ؟ وجهه ذلك ؟ أن الإيمان جعل الله سببا لولاية الله؛ ولاشك أن الأسباب ثابتة؛ والأسباب شرعية، وعقلية، وحسية؛ فالأسباب الشرعية ما جعلها الله تعالى سببا في القرآن، فمثلا الإيمان سبب لدخول الجنة هذا سبب شرعي وإلا لا؟ دخول الوقت سبب لوجوب الصلاة ؛ العسل سبب للشفاء

فإذا قلت مثلا: أنا أحب الصالحين؛ معناه كل ما كان أصلح فهو أحب إلي؛ لأن المحبة علقت بالصلاح؛ فكلما ازداد الصلاح أيش؟ ازداد المحبة؛ ((**والله ولي المؤمنين**)) علقت الولاء بالإيمان ؛ فكل ما كان الإنسان أقوى إيمانا كانت ولاية الله له أتم وأخص . ويتفرع على هذه الفائدة: أنه ينبغي للإنسان أن يحقق إيمانه ويكمله بقدر استطاعته من أجل أن ينال ولاية الله ؛ لأن كل إنسان في الحقيقة عاقل يسعى أن يكون الله له وليا ؛ نقول : حقق الإيمان يكن الله لك وليا ؛ وكلما ازداد تحقيقك للإيمان ازدادت ولاية الله لك ؛ وإلا فكلنا يطلب ذلك ونسأل الله أن يجعلني وإياكم من أوليائه ، كلنا يطلب هذا لكن بس حقق الإيمان ، حقق الإيمان ، من أحب في الله وأبغض في الله ووالى في الله وعادى في الله فإنما تنال ولاية الله بذلك، هذه من أسباب الولاية أن يكون حبك وبغضك وكراهتك وعداوتك وولايتك لله عز وجل لا للدنيا . ومن فوائد الآية الكريمة: إثبات الأسباب ؛ من أين يؤخذ ؟ من قوله: ((**والله ولي المؤمنين**)) ؟ وجهه ذلك ؟ أن الإيمان جعل الله سببا لولاية الله ؛ ولاشك أن الأسباب ثابتة؛ والأسباب شرعية، وعقلية، وحسية؛ فالأسباب الشرعية ما جعلها الله تعالى سببا في القرآن، فمثلا الإيمان سبب لدخول الجنة هذا سبب شرعي وإلا لا ؟ دخول الوقت سبب لوجوب الصلاة هذا سبب شرعي؛ العسل سبب للشفاء؛ هو قدري علمناه من طريق الشرع يعني من طريق الوحي ؛ كون الماء سببا لنبات الأرض المطر ؟ الحسي ؛ نعم هو أخبر الله به لكن نحن نشاهد ؛ لو فرض أنه ما في القرآن يدلنا على هذا شاهدنا بأنفسنا فهو سبب حسي؛ الأدوية الطبيعية التي تستخرج بالتجارب أسباب حسية ؛ أما الأسباب العقلية فكثير جدا، كل شيء يترتب على شيء عقلا فهو أيش؟ سبب عقلي ؛ والأسباب الشرعية والحسية والعقلية كلها مؤثرة بذاتها ؛ لا ؛ دقيقة ، بذاتها حيث أودع الله فيها التأثير ، حيث أودع الله فيها التأثير ؛ وإنما قلت ذلك لأن بعض الناس غالى في التنزيه فقال إن الأسباب لا تؤثر في ذاتها وإنما يكون التأثير عندها لا بها ، عندها لا بها؛ فقالوا مثلا إن الاحتراق بالنار ليس بالنار لكن حصل الاحتراق عند تماس الناس بما يقبل الاحتراق حصل الاحتراق أما النار ما هي تحرق؛ لو جعلت النار تحرق وتقلب الشيء مما كان عليه مع الأول لأثبتت مع الله خالقا وصرت مشركا؛ من الذي يقلب هذا العود إلى رماد ؟ الله سبحانه وتعالى؛ يقول ما يقلب هذا إلا الله؛ أنت لو قلت النار هي التي قلبت أشركت بالله ؛ إذا لا تقول: النار أحرقت ، احترق عندها . أخذت حجرا فرميت به كأس زجاج فانكسر قال لا تقل إن الحجر هو الذي كسره ؛ من يستطيع بأن يفصل بين هذه الإجزاء المتلاص إلا الله؛ فأنت إذا قلت إن الحجر هو الذي كسرها كنت مشركا؛ فإثبات تأثير الأسباب شرك؛ قال انكسر عندها لا بها، انكسر عندها عند الحجر لا بالحجر؛ سبحان الله حط حجرا ثقيل ثقيل جدا على الزجاج ينكسر وإلا لا؟ اضربوه حجر صغير ينكسر؛ إذا كيف تقول عندها ؟ لو كان عندها كان يحط حجر كبير انكسر

ولو ضربناه بحجر صغير ما ينكسر؛ لكن نقول: الأسباب مؤثرة؛ لكن الله أودع فيها هذا التأثير، الله هو الذي أودع فيها هذا التأثير؛ لو لا أودع الله فيها هذا التأثير ما أثرت؛ ولهذا لما ألقي إبراهيم في النار فقال الله لها: ((**كوني بردا وسلاما على إبراهيم**)) أثرت ؟ ما أثرت؛ إذا عرفنا الآن أن الأسباب جعل الله مؤثرة بذاتها ليست هي التي تخلق أو خلقت بذاتها ولكن الله أودع فيها هذه القوة التي يكون بها المسبب ؛ واضح يا جماعة ؟ وهذا هو المعقول، هذا هو المعقول؛ فنحن لا نغالي أيضا في إثبات الأسباب ونقول إن هذا يكون بدون الله ولا نغالي في التنزيه فنقول إن الأسباب لا تؤثر وإنما يحصل الأثر عندها لا بها كلا الأمرين خطأ ؛ والوسط في الغالب يكون هو الحق؛ لأنك تجد المتطرفين كل واحد أخذ بجانب من الحق وترك جانبا والوسط يأخذ بالجانبين فيكون وسطا.

السائل : كيف يزيد الإيمان بالله ؟

الشيخ : لكن هل إيمان الناس بالله وملائكته وكتبه ورسله متساوي ؟

الشيخ : لكن هل إيمانك مثل إيمان الثاني والثالث؟

السائل : لا؛

الشيخ : حتى إيمانك في يوم من الإيمان ليس كإيمانك في يوم آخر.

السائل : لكن كيف يزيد ؟

الشيخ : الإيمان بالله ؟ أحيانا يأتي الإنسان مثلا قوة إيمان كأنما يشاهد الأمر رأي العين وأحيانا مع الغفلة ما يكون هكذا؛

السائل : فنفس الشيء بنسبة الآن قال النبي صلى الله عليه وسلم ؟

الشيخ : طيب ((**أن تؤمن بالله وملائكته** ...)) إلى آخر الآية هل يتساوون الناس في الإيمان بهذه الأمور الستة ؟ لا يتساوون ؛ إذا كلما قوي إيمانك بهذه زاد ولاية الله لك ؛

نعم الحب في الله لأنك إيمانك بالله أحببت في الله .

الشيخ : نعم محمد ؟

السائل : يا شيخ؛ الأسباب إذا يذهب أحد المرضى إلى المشعوذين يقول إنه حصل الشفاء عنده لا به يعني بسببه؛ ما الفرق بين هذا وبين الأول ؟

الشيخ : لأن الله لم يجعل كلام المشعوذين سببا ؛ نقول لابد أن يشهد الشرع أو الحس أو العقل بأن هذا سبب؛ أما مجرد يجيء مشعوذة يتكلم عندنا ما نقبل؛ يعني لو أن واحدا قال أنا أدعوا هذا الولد ويستجاب لي، امرأة تقول ليست تحمل أبدا وراحت القبر لهذا الولد وتمرغت عليه وأخذت منه ترابا ووضعته في فرجها عند الجماع وأراد الله أن تحمل ؛ نقول حصل هذا بتراب هذا الولي ؟ لا، لأيش ؟ لأن هذا ليس سببا شرعيا ولا حسيا ولا عقليا؛ فلابد من أن يثبت كون هذا الشيء سببا ؛ ولهذا كانت التمائم شركا لأيش لأنها ليست سببا حسيا ولا شرعيا ولا عقليا .

الشيخ : نعم فهد ؟

السائل : الأنبياء اتفقوا في أصل التوحيد واختلفوا في فروع التوحيد، في فروع الدين فاستدل بعض الناس بخلافهم في فروع الدين بجواز تعدد الجماعات الإسلامية إذا لم تختلف أما إذا اختلفت ؟

الشيخ : نعم أنا أوافقهم على تعدد الجماعات الإسلامية إذا كان كل رئيس لهذه الجماعات إنه نبي ، نوافق على هذا؛ إذا كان يدعي أنه نبي نقول لا بأس؛ أما أن نبينا واحد وديننا واحد فلا يمكن أن نقر هذا المبدأ تعدد الجماعات الإسلامية أبدا ؛ هؤلاء نبي مستقل، فإذا كان يدعي هؤلاء رؤسائهم بأنهم أنبياء فعلى العين والرأس لكن ما يدعون هذا هم أبعد الناس عن هذه الدعوى .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. بسم الله الرحمن الرحيم. ((**ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون إلا أنفسهم وما يشعرون يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشعرون يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم قل إن الهدى هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم**)) . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. أظن أننا أخذنا فوائد ما سبق ؟ كذا ؟ . قال الله تعالى: ((**ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون إلا أنفسهم وما يشعرون**)) ((**ودت**)) أي أحبت؛ والود خالص المحبة؛ ومن أسماء الله تعالى الودود بمعنى الواد والودود؛ فهو

سبحانه وتعالى واد لأوليائه وأصفيائه وهو أيضا مودود من أوليائه وأصفيائه ؛ فالود إذا خالص المحبة يعني أحب هؤلاء أو هذه الطائفة بكل خالص المحبة . وقوله: ((**طائفة من أهل الكتاب**)) الطائفة بمعنى الجماعة؛ والمراد بأهل الكتاب هنا اليهود والنصارى؛ ولكن الأغلب هم اليهود لأنهم أكثر ممارسة للعرب من النصارى؛ فإن اليهود كانوا في المدينة قدموا من ال ومن الشام ينتظرون النبي الذي بشرت به التوراة؛ يعني قدموا من بلاد الشام لأنهم علموا أن مهاجر هذا النبي المدينة حسب ما في التوراة من البشارة به؛ فقالوا نذهب إلى هناك لنكون معه ((**وكانوا من قبل يستفتحون على الذي كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به**)) . ((**من أهل الكتاب**)) اليهود والنصارى؛ والغالب أنهم اليهود . ((**لو يضلونكم**)) لو هذه مصدرية بمعنى أن؛ والقاعدة في لو أنها إذا أتت بعد ما يفيد الود والمحبة تكون مصدرية ((ودوا لو تدهن فيدهنون)) أي ودوا أن تدهنوا؛ ((**ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم كفارا**)) أي ودوا أن يردوكم؛ فهي هنا مصدرية؛ وقد علم أنها تأتي شرطية حرف امتناع لامتناع مثل لو جاء زيد لأكرمتك؛ فهنا امتناعي إياك لامتناع مجيء زيد . يقول عز وجل: ((**لو يضلونكم**)) يعني ودوا أن يضلوكم؛ والإضلال بمعنى الإتاحة عن الحق؛ يعني ودوا أن يخرجوكم من الهدى إلى الضلال؛ وما نوع هذا الضلال الذي أرادوه بالمسلمين؟ يمكن أن يفسر بالآية الثانية التي في البقرة: ((**ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم**)) . يقول الله عز وجل: ((**وما يضلون إلا أنفسهم**)) يعني بمحاولتهم وودهم هذا لا يضلون إلا أنفسهم؛ وبماذا يضلون أنفسهم ؟ المعروف عند أكثر المفسرون المعنى وما يهلكون إلا أنفسهم وذلك لأنهم إذا تمنوا لكم الضلال أثموا على ذلك فصاروا هم كالضالين؛ وقيل: بل المعنى ((**وما يضلون أنفسهم**)) أنهم إذا اشتغلوا بمحاولة إضلالكم اشتغلوا عما فيه هداهم كما هو الواقع أن الإنسان إذا أراد أن يرد الحق وأن يضل غيره اشتغل بمحاولة إضلال غيره عن محاولة هداية نفسه؛ فيكون المعنى ((**ما يضلون إلا أنفسهم**)) لأنهم اشتغلوا بمحاولة إضلالهم إياكم عن طلب هدايتهم؛ لأن العادة أن الإنسان إذا اشتغل بمحاولة إضلال غيره تجده يطرق كل باب ويسلك كل طريق يحاول به إضلال الغير وينسى نفسه، ينسى نفسه وهذا واقع كثيرا حتى بين طلبة العلم أحيانا يريد الإنسان أن ينتصر لنفسه أو لقوله ولو كان خطأ فتجده يحاول أن يلتمس الأعذار والتحويلات والتصريفات وصرف النصوص عن ظاهرها من أجل أن توافق قوله وينسى أن يكون الواجب عليه إذا عورض أن يطلب الحق وأن يراجع نفسه لعل الصواب مع غيره كما يقع كثيرا عندما يختار الإنسان قولا أو يقول قولا ثم يراجع فيه يتبين له أن الصواب في خلاف ما كان يعتقد أولا ؛ إذا ((**وما يضلون أنفسهم**)) فيها رأيان؛ الرأي الأول: ما يضلون إلا أنفسهم بالإهلاك وكثرة العقاب حيث حالوا صد الناس عن دين الله؛ والثاني: ما يضلون إلا أنفسهم بانشغالهم بمحاولة إضلالكم عن

طلب هداية أنفسهم؛ قال بعض المفسرين: هذا أولى؛ وذلك لأن الوعيد عليهم بما يكون في الآخرة غير مجدي في هذا المقام لأنهم أصلا لا يؤمنون بمن أنذر بهذا، لا يؤمنون بمن أنذر بهذا حتى يقال إنهم لا يهلكون إلا أنفسهم؛ ولكن الواقع أن هذا غير وارد يعني بمعنى أن الله يتكلم عن أمر الواقع؛ فالآية محتملة للمعنيين؛ المعنى الأول المشهور عند أكثر المفسرين أنهم يضلون أنفسهم بماذا؟ بهلاكهم بما يكتسبون من الذنوب والآثام؛ والمعنى الثاني: يضلون أنفسهم بإضاعتها وانشغالهم بما يكون سببا لإضلالكم؛ ((**وما يضلون أنفسهم وما يشعرون**)) يعني ما يشعرون أنهم أضاعوا الوقت في محاولة إضلالكم ونسوا أنفسهم؛ لأن الإنسان في غمرة الغلبة أو حب الغلبة وسكرة حب الظهور ينسى ولا يشعر بالوقت إذا ضاع عليه؛ فهؤلاء لا يشعرون لأن الوقت ضاع عليهم بانشغالهم بطلب أو بمحاولة إضلالكم؛ والشعور هو المعنى النفس الذي يشعر به الإنسان في نفسه توبيخا وتنديما أحيانا أو عكس ذلك تفريحا وتفاؤلا . في هذه الآية الكريمة: بيان عداوة أهل الكتاب للمسلمين، حيث يودون لهم الإضلال؛ والطائفة من القوم الغالب أن مشربة بقية القوم مشربها؛ فإذا كانت هذه الطائفة تود هذا فغيرها كذلك . ومن فوائد الآية: التحذير من أهل الكتاب وأنهم يحاولون سد المسلمين عن دينهم كالمشركين؛ وكل من الطائفتين يودون من المسلمين الضلال؛ قال الله تعالى: ((**ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء**)) وقال تعالى عن مشركين قريش: ((**ودوا لو تكفرون**)) فكل المشركين وكل الملحدين وكل من ادعى أنه صاحب كتاب كلهم يودون من المسلمين أن يكفروا ويضلوا بعد هدايتهم وإيمانهم؛ وإذا كان كذلك فيجب علينا الحذر منهم واعتقاد أنهم أعداء وألداء يودون أن يقضوا علينا وعلى ديننا بين عشية وضحاها . ومن فوائد الآية الكريمة: أن المعتدي يجازى بمثل عدوانه ويبتلى بمثل ما ابتلى غيره به؛ لقوله: ((**وما يضلون إلا أنفسهم**)) . ومن فوائد الآية الكريمة: تعزية المسلمين بما يريد بهم هؤلاء من الإضلال فكأن الله قال: لا تخالفوا منهم فإن الإضلال إنما يعود عليهم؛ ولكن هذا في حق المؤمنين حقا الذين يؤمنون بدينهم تماما ويفخرون به ويعتزون به دون الذين يجعلون دينهم أقوالا باللسان أو حروفا بالأوراق وهم في الحقيقة يتبعون غيرهم ويعظمون غيرهم في نفوسهم فإن هؤلاء ربما يصابون برجس هؤلاء الكفار الذين يريدون إضلالهم . ومن فوائد الآية الكريمة: أن الإنسان قد يعمى عن الباطل مع ممارسته له؛ لقوله تعالى: ((**وما يضلون إلا أنفسهم وما يشعرون**)) . ومن فوائد الآية الكريمة : إحاطة علم الله عزوجل بما في قلوب الخلق؛ لقوله: ((**ودت طائفة**)) فإن الود محله القلب ولا يعلم ما في القلوب إلا الله عز وجل . ومن فوائد الآية الكريمة: أننا نرد على كل شخص يدعي أو يتوهم أن الكفار يريدون الخير بالمسلمين؛ لأننا نقول له: إنك لا تعلم ما في قلوبهم واسمع إلى علام الغيوب ماذا يقول: ((**ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم**)) فأنت لا تعلم، ولا تغتر بمصانعتهم ومخادعتهم ومكرهم . ثم قال الله عز وجل: ((**يا أهل**

الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون)) . خطاب من الله لأهل الكتاب على سبيل التوبيخ ((**يا أهل الكتاب**)) اليهود والنصارى وبالأخص اليهود؛ ((**لم تكفرون**)) م اسم استفهام حذت ألفهما لدخول حرف الجر عليها؛ والاستفهام للتوبيخ؛ ((**لم تكفرون بآيات الله**)) آيات الله جمع آية وهي العلامة الدالة على الله عز وجل؛ وكل آية من آيات الله تدل على صفة من صفاته؛ فالانتقام آية تدل على الغضب، وبسط الرزق إذا لم يكن الإنسان على معصية الله آية تدل على الرضا والرحمة؛ فالآيات تتنوع بحسب متعلقها؛ هؤلاء كفروا بآيات الله؛ طيب الآيات الشرعية ما جاءت به الرسل؛ فما الآيات التي كفر بها هؤلاء ؟ الآيات التي كفر بها هؤلاء الآيات التي نزلت على رسلهم وعلى محمد صلى الله عليه وسلم؛ فاليهود كفروا بآيات الله وهي التوراة؛ والنصارى كفروا بآيات الله وهي الإنجيل، كفروا بذلك؛ كيف كفروا بهما ؟ لأن الله سبحانه وتعالى يقول: ((**الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم**)) موجود بهذا الوصف؛ وقال الله تعالى: ((**الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبنائهم**)) ما قال: أولادهم أو بناتهم؛ لأن معرفة الإنسان لابنه أقوى لمعرفته لبنته لشدة تعلقه به فهو لا يجهل شيئا منه؛ فهم يعرفون الرسول صلى الله عليه وسلم كما يعرفون أبنائهم لأن نعته موجود عندهم في التوراة والإنجيل ولكنهم كفروا بآيات الله ((**فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به**)) إذا بآيات الله تشمل التوراة والإنجيل والقرآن كفروا بآيات الثلاثة كلها؛ ((**وأنتم تشهدون**))؛ لم يقل: وأنتم تعلمون لأن الشهادة أقوى؛ لأن الشهادة تقتضي أن يكون العالم كالمشاهد للشيء بحسه والمشاهد بحس أقوى من المشاهد بالذهن أو من العلم بالذهن؛ فهم يشهدون الآيات ويعلمونها ومع ذلك يكفرون بهذه الآيات . ((**يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل**)) وهم في كفرهم مخادعون؛ ((**يلبسون الحق بالباطل**)) ومعنى لبس الحق بالباطل خلط الحق بالباطل؛ فهم يأتون بالباطل ويموهونه بحق؛ ووجه ذلك أنهم لو جاءوا بالباطل صراحا ما قبل، أليس كذلك ؟ لكنهم يأتون به مخلوطا بحق من أجل أن يكون في ذلك تمويه على من لا يعرف الحقائق وهذا مكر وخداع لكل مبطل يموه الحق بالباطل . ومن ذلك أن يأتي بعبارة مجملة تحتمل حقا وباطلا لكن هو يريد بها الباطل ومن سمعها قد يحملها على إرادة الحق؛ هذا أيضا من لبس الحق بالباطل وسيأتي إن شاء الله في الفوائد. قال: ((**لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق**)) تكتمون الحق تخفونه . وهنا قد يقول قائل: كيف قال: ((**تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق**)) ؟ أليس فيها تناقض؟ الجواب: لا، ليس فيه تناقض؛ لأنهم يكتمون الحق الصريح ويأتون به مخلوطا مموها بالباطل؛ وليس قصدهم أيضا الحق إذا جاءوا

بالحق مخلوطا بالباطل؛ قصدهم أيش؟ الباطل؛ وهذا الحق الذي جاءوا به كالثوب الذي يخفي العيب تحت الثياب . ((**وتكتمون الحق وأنتم تعلمون**)) تعلمون أيش؟ تعلمون الحق؛ بل وتعلمون حالكم أنكم لابس الحق بالباطل؛ فهم يعلمون أمرين: يعلمون الحق الصريح ويعلمون أنهم قد خلطوا القح بالباطل؛ ولاسيما اليهود لأن اليهود عصوا الله وهم يعلمون أنهم عصوه، عصوا الله على بصيرة. في هاتين الآيتين من الفوائد: توبيخ أهل الكتاب على كفرهم بآيات الله، على كفرهم بآيات الله . ومن فوائد الآية الأولى: أن هذا التوبيخ واقع موقعهم؛ لأنهم كفروا بآيات الله وهم يشهدون . ومن فوائد الآية: الحكم الصريح الذي لا يقبل التأويل على أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم بالكفر؛ ((**لم تكفرون بآيات الله**)) ولا يوبخ إلا على أمر واقع؛ والكفر بالله كفر بالله؛ وبه نعلم أنهم وإن زعموا أنهم مؤمنون بالله فهم كافرون به، كافرون به كفرا صريحا خالصا . ومن فوائد الآية الكريمة: أن هؤلاء الكفار كفروا عن علم وشهادة؛ لقوله: ((**وأنتم تشهدون**)) . وفي الآية الثانية من الفوائد: أن هؤلاء الكفار من أهل الكتاب كانوا يخادعون ويمكرون؛ بماذا؟ بلبس الحق بالباطل؛ وما أكثر ما يموهون بالقرآن الكريم على بطلان ما ذهبوا إليهم مثل قوله تعالى: ((**إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن منهم وبالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون**)) فيقول: ((**إن الذين آمنوا**)) المسلمون؛ ((**والذين هادوا والنصارى**)) اليهود والنصارى؛ ((**والصابئين**)) الصابئة؛ من آمن منهم بالله واليوم الآخر فلهم أجرهم عند ربه؛ فجعلنا نحن وأنتم في صف واحد، المؤمن منا بالله واليوم الآخر له الأجر ولو كنا مخالفين لكم ما كان لنا أجر؛ ويقولون: عيسى بن مريم بشر برسول يأتي من بعده اسمه أحمد؛ ولم يأت بعد لأن الذي جاء اسمه محمد ((**وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل**)) ((**محمد رسول الله والذين معه**)) فنحن ننتظر أحمد؛ فهم يلبسون الحق بالباطل ويمكرون؛ ولكن من أعطاه الله علما وفهما تبين له أنهم ملبسون؛ وقد ألف علماء المسلمين ولله الحمد في بيان باطلهم ودحض حججهم ما هو كالشمس إضاءة ونورا يخفي ضوءه كل ساطع؛ الآية الأولى مثلا: قيد الله عزوجل من له الأجر من هؤلاء الأصناف بأيش؟ ((**من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا**)) فأنتم ما آمنتم بالله واليوم الآخر بنص هذه الآية: ((**لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون**)) كفار؛ أنتم مؤمنون لما كانت رسالة النبي قائمة، النبي الذي أرسل إليكم قائما؛ أما وقد نسخت فإذا بقيتم عليه فأنتم كفار . وأما قوله: ((**ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد**)) فلا مانع من تعدد الأسماء على مسمى واحد؛ وقد جاءكم أحمد؛ ولهذا قال الله تعالى في الآية نفسها: ((**فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين**)) إذا فأحمد جاءهم ولا نعلم أن نبيا جاء بعد عيسى إلا محمد صلى الله عليه وسلم ؛ فعلى هذا فيكون هذا التمويه لا يخفى على

الإنسان الذي يعطيه الله تعالى علما وبصيرة؛ وقد ألف شيخ الإسلام رحمه الله تعالى كتابا في جزأين سماه " الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح " والرد على النصارى من أئمة المسلمين كثير . ومن فوائد الآية الكريمة: أنه يجب الحذر من أهل الباطل إذا لبسوا الحق بالباطل، وأن لا نغتر بهم؛ لأنهم يأتون بزخرف القول غرورا؛ ومن هذا ما حصل للمبتدعة من هذه الأمة فإنك إذا سمعت كلامهم قلت لا أعدل بذلك شيء، هذا هو الحق، ولن أتجاوزه؛ ولكنه كما قيل:

حجج تهافت كالزجاج تخالها حقا وكل كاسر مكسور

حججهم كلها متهافتة ليس لها ما يقومها على قدميها فضلا عن أن يجعلها مهاجمة، هي لا تدافع عن نفسها فضلا أن تهاجم غيرها لكن مع ذلك يموهون؛ ومر علينا في كتاب العقيدة شيء كثير في هذا من تمويههم ودجلهم وزخرفهم للقول؛ فعلى الإنسان أن يحترز من هؤلاء الذين يلبسون الحق بالباطل . ومن فوائد الآية الكريمة: التوبيخ أو توبيخ من سلك هذا المسلك؛ ووجه ذلك أن تخصيص التوبيخ لأهل الكتاب ليس تخصيصا بالشخص والعين ولكنه بالجنس والنوع والوصف؛ فكل من كان على شاكلتهم فإنه يستحق هذا التوبيخ . ومن فوائد الآية الكريمة: وجوب بيان الحق لمن علمه؛ أو على من علمه، وجوب بيان الحق على من علمه؛ لقوله: ((**وتكتمون الحق وأنتم تعلمون**)) أما من لم يعلم فعذره ظاهر لكن من علم وجب عليه بيان الحق، ثم اعلم أن بيان الحق يجب عند السؤال عنه إما بلسان الحال وإما بلسان المقال؛ السؤال بلسان المقال أن يأتيك شخص ويقول ما حكم كذا وكذا؛ السؤال بلسان الحال أن يقع الناس في معصية يحتاجون إلى أن تبين لهم، لا تقل والله الناس لما لم يأتوا إلي فأنا من الملزوم؛ أنت ملزوم؛ لابد أن تبين، لا تكتم . ثم قال الله تعالى: ((**وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار** ...)) لما ذكر الله تعالى مكرهم بالقول ذكر مكرهم بالحيل الفعلية، القول: ((**أنهم يلبسون الحق**)) بأيش؟ ((**بالباطل**)) الحيل الفعلية هذه الحيلة الماكرة ((**قالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره**)) ((**آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا**)) يعني القرآن؛ **وإن** شئت فقل: الشريعة كلها؛ ((**آمنوا به وجه النهار**)) أي أوله؛ والدليل على أن المراد بوجه النهار أوله قوله: ((**واكفروا آخره**)) وهذا أحد الطرق الذي يعرف به معنى الكلمات في القرآن الكريم، أن يعلم معنى الكلمة بذكر مقابلها؛ كقوله تعالى: ((**فانفروا ثبات أو انفروا جميعا**))؛ لو قال لك قائل: ما معنى ((**ثبات**)) ؟ نشوف قسيمها ؛ ((**أو انفروا جميعا**)) إذا انفروا ثبات يعني وحدانا متفرقين . هنا وجه النهار لو قال قائل: ما الذي علمنا أن وجه النهار أوله؟ لماذا لا يكون وجه النهار

وسطه ؟ قلنا: دلنا على ذلك قوله وقفه آخره ؛ ((**لعلهم**)) الضمير يعود على ((**المؤمنين**))؛ ((**يرجعون**)) أي يرجعون عن دينهم؛ لأنكم أنتم أهل الكتاب فإذا آمنتم أول النهار ثم رجعتم قال الناس لو لا أنهم علموا أن هذا دين باطل لم يرجعوا؛ كيف المكر؛ ادخلوا معهم في أول النهار وصلوا كما يصلون واحضروا مجالس الذكر وإن وجد بكاء فابكوا كونوا معهم تماما وإذا كان في آخر النهار اكفروا قولوا كفرنا بهذا الدين؛ لأن الناس إذا فعلتم هكذا قالوا لو لا هذا الدين باطل ما كفر هؤلاء بعد إيمانهم؛ لأن الإنسان إذا آمن بالدين وكان الدين حقا ثبت عليه لم يرجع؛ والدليل على هذا: أن هرقل سأل أبا سفيان حين ما لاقاه في الشام سأله عن أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم قال : هل يرجع أحد منهم عن دينه بعد أن يدخل فيه ؟ قال: لا؛ قال: هكذا الإيمان إذا خالط بشاشة القلوب لم يرجع أو كلمة نحوها؛ المهم أن هؤلاء يموهون على الناس بفعلهم فإن الناس يقولون لو لا أن الناس علموا بطلانهم ما رجعوا عنه؛ لأن الإنسان بطبيعته لا يرجع عن أيش؟ عن دين الحق ((**لعلهم يرجعون**)) . ((**ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم**)) هذا من قول الطائفة يعني آمنوا ولا تؤمنوا ؛ ((**ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم**)) أي لا تظهروا ما أنتم عليه إلا لمن تبع دينكم؛ لأنكم لو أظهرتم للمسلمين أنكم آمنتم ثم رجعتم من أجل إفساد دينهم ما قبلوا منكم هذا ولا رجعوا؛ لكن إذا أخبرتم بهذا المكر والخديعة من تبع دينكم سلم لكم الأمر يعني كأنهم يقولون أخفوا هذه الطريقة إلا على من تبع دينكم، فمن تبع دينكم أخبروه لا مانع أما غيرهم فلا تخبروه؛ قال الله سبحانه وتعالى: ((**قل إن الهدى هدى الله**)) وهذه جملة معترضة لكنها في محل موافق تماما ؛ لأنه لما كان الغرض من هذا ا لعمل الماكر أن يضلوا الناس عن دينهم صار من المناسب تماما أن يفسد هذا المكر ببيان أن الهدى والتوفيق بيد من؟ بيد الله يعني قل لن ينفعكم هذا المكر والخداع فإن الهدى هدى الله حتى لو عملتم هذه الطريقة الماكرة الخادعة فإن ذلك لن يضر المسلمين شيئا لأن الهدى هدى الله؛ وبهذا عرفنا أن هذه الجملة المعترضة لها فائدة كبيرة في هذا المقام؛ لأيش؟ لأن هذا المكر مكر عظيم يخدع ولكن من علم أن الهداية بيد الله سبحانه وتعالى لم يهتم بهذا المكر وهذه الخديعة . ثم قال: ((**أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم**)) قوله: ((**أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم**)) هذه أشكلت على المفسرين والمعربين كثيرا؛ لكن لننظر في سياق الآية الكريمة ((**أن يؤتى أحد مثل ما أو تيتم**)) أظهر ما نقول فيها أنها متعلقة بقوله: ((**ولا تؤمنوا**)) يعني ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم بأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم؛ يعني لا تخبروا أحدا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم؛ لأنكم لو قلتم للناس إنكم ستعطون مثل ما أوتينا من الكتاب والفضائل وغيرها؛ لأن الله أعطى بني إسرائيل كتبا بل آتاهم توراة التي فيها هدى ونور وآتاهم فضائل، ذلل عليهم الغمام، وأنزل عليهم المن والسلوى، وقتل عدوهم اللدود حتى

شاهدوا، إلى آخره؛ يقول: لا تؤمنوا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم إلا لمن تبع دينكم لأنكم لو قلتم للناس إن هذه الأمة الإسلامية ستؤتى ميل ما أوتينا من الفضائل والشرائع لكان في ذلك حث على تمسكهم بدينهم

إنكم ستعطون مثل ما أوتينا من الكتاب والفضائل وغيرها ؛ لأن الله آتى بني إسرائيل كتبا بل آتاهم التوراة التي فيها هدى ونور وآتاهم فضائل، ذلل عليهم الغمام ، وأنزل عليهم المن والسلوى ، وقتل عدوهم اللدود حتى شاهدوا، إلى آخره؛ يقول: لا تؤمنوا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم إلا لمن تبع دينكم لأنكم لو قلتم للناس إن هذه الأمة الإسلامية ستؤتى ميل ما أوتينا من الفضائل والشرائع لكان في ذلك حث على تمسكهم بدينهم ؛ وقيل: المعنى ((**لا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم**)) أي لا تخبروا بهذا المكر والخداع أنكم تؤمنون أول النهار وتكفرون آخره من أجل أن يرجع المسلمون عن دينهم ((**لا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم**)) أي لا تخبروا أحدا إلا لمن تبع دينكم بأن يؤتى مثل ما أوتيتم من هذا المكر وهذا الخداع . ثم قال الله تعالى: ((**أو يحاجوكم عند ربكم**)) يعني ولا تؤمنوا أيضا أن يحاجوكم عند الله ؛ لأنكم لو آمنتم بذلك وأنكم يوم القيمة سيحاجكم هؤلاء عند الله ما قبل أحد منكم هذه الحيلة ؛ فصارت الآية: ((**أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم به عند ربكم**)) متعلقة بأيش ؟ بقوله: ((**ولا تؤمنوا**)) يعني لا تؤمنوا لأحد بل أخفوا عنهم أن يؤتى مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم ؛ طيب لماذا قالوا: ((**لا تؤمنوا إلا من تبع دينكم**)) ؟ لأن من تبع دينهم يعلمون أن الله سيظهر محمدا صلى الله عليه وسلم ويكون له من الشريعة والفضائل ما كان لهم أو أكثر ويؤمنون كذلك بأنهم سوف يحاجونهم عند الله كما قال الله: ((**ثم إنكم يوم القيمة عند ربكم تختصمون**)) وقال الله تعالى: ((**إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيمة**)) فأتم لا تخبرون الناس بهذا إلا لمن تبع دينكم ؛ طيب إذا هم يؤمنون بأنهم سوف يحاجهم المسلمون يوم القيمة عند الله؛ قال الله تعالى: ((**قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم**)) أنهم لما قالوا لا تؤمنوا لأحد أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم قال الله تعالى: ((**إن الفضل بيد الله**)) حتى لو حاولتم أن تخفوا ما يمن الله به من الفضائل على هذه الأمة فإن ذلك لن يمنع الأمر الواقع لأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء؛ وقد آتى الله هذه الأمة . ولله الحمد . من الفضائل ما يربوا بكثير على الفضائل التي أوتيها بنو إسرائيل ؛ ((**والله واسع عليم**)) واسع في كل صفاته، واسع في العلم واسع الرحمة واسع الحكمة واسع القدرة، في كل الصفات؛ عليم بمن يستحق الفضل سبحانه وتعالى فهو يعطي فضله من يشاء على علم وحكمة . ((**يختص برحمته من يشاء**)) ((**يختص**)) بمعنى يخص بالرحمة من يشاء ؛ ولكنه عز وجل يختص برحمته من هو أهل بالرحمة كما قال تعالى: ((**الله أعلم حيث يجعل رسالته**)) وقد مر علينا قاعدة أن كل فعل من أفعال الله قرن بالمشيئة فهو تابع للحكمة واستدللنا لذلك بقوله تعالى: ((**وما تشاءون إلا أن يشاء الله إن الله كان عليما حكيما**)) فهو سبحانه وتعالى عليم حكيم يؤتي فضله من يشاء ممن يستحق ذلك الفضل ؛ ((**يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل**

العظيم)) ذو الفضل أي صاحب الفضل العظيم يعني الواسع الكثير فلا فضل أعظم من فضل الله عز وجل؛ وانظر إلى ما أنعم الله بها إلى العباد من أو الدنيا وآخرها وكل ذلك لم ينقص من عند الله شيئا، قال الله تعالى في الحديث القدسي: (**لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي شيئا إلا كما ينقص المخيط إذا غمس في البحر**) اغمس المخيط في البحر وأخرجها هذا البلل الذي يحمل المخيط هل ينقص البحر شيئا ؟ أبدا ولا شيء؛ فهكذا كل فضل آتاه الله عز وجل؛ لو فرض أنه خارج عن ملكه وإلا هو في ملكه؛ لكن لو فرض أنه خارج عن ملكه فإنه لن ينقص في ملك الله شيئا إلا كما ينقص المخيط إذا غمس في البحر وهذا لا ينقص المخيط شيئا . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم . ((**ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائما ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون بلى من أوفى بعهده واتقى فإن الله يحب المتقين إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيمة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم**)) هذا مبتدأ الدرس ؟ بقيت فوائد ؛ فوائد أيش؟ قوله تعالى: ((**ودت طائفة** ...)) . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم قال الله تعالى: ((**ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون إلا أنفسهم وما يشعرون**)) . في هذه الآية من الفوائد: بيان عداوة أهل الكتاب على المؤمنين ؛ نعم ؟ بعد من قوله: ((**وقالت طائفة من أهل الكتاب** ...)) أخذناها ؛ ويش المكتوب الذي عندك ؟ ويش آخر ما كتب ؟ الطالب : أولا: بيان عداوة أهل الكتاب للمسلمين ؛ حيث يريدون الضلالة ؛ ثانيا: التحذير من أهل الكتاب وأنهم يحاولون سد المسلمين عن دينهم . ثالثا: أن المعتدي يجازى بمثل عدوانه ويبتلى بمثل ما ابتلى غيره به المشركين. لقوله: ((**وما يضلون إلا أنفسهم**)) رابعا: تعزية المسلمين بما يريد بهم هؤلاء من الإضلال . خامسا: أن الإنسان قد يعمى عن الباطل مع ممارسته له . سادسا: إحاطة علم الله عز وجل بما في قلوب الخلق؛ لقوله: ((**ودت طائفة**)) سابعا: أننا نرد على كل شخص يدعي أن الكفار يريدون الخير للمسلمين بهذه الآية ؛ أي لازم بهذه الآية . ثم ذكرنا ((**يا أهل الكتاب لا تلبسوا الحق بالباطل** .)) وذكرنا فوائدها أيضا ووقفنا ((**وقالت طائفة**)) . قال الله تعالى: ((**وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون**)) . في هذه الآية بيان كيد الكفار للمسلمين وذلك بسلوك طرق الحيل المتنوعة ؛ بأنهم قالوا: ((**آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار و اكفروا آخره لعلهم يرجعون**)) . ومن فوائدها أيضا: أن أهل الكتاب قد يكون فيهم منافقون؛ لقوله: ((**آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه**

النهار واكفروا آخره)) فإن المؤمن حقا لابد أن يستقر الإيمان في قلبه ولا يكفر ويرجع . ومن فوائد الآية الكريمة: أن المؤمن قد يخدع بمثل هذه الخديعة فيتظاهر عدوه بأنه موافق له ثم يتبرأ به في النهاية؛ لقوله: ((**آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلم يرجعون**)) فيريدون أن يرجع المسلمون عن دينهم من أجل أن هؤلاء رجعوا؛ وقد سبق في تفسيرها من يبين هذا تماما . ومن فوائد الآية الكريمة: تعصب أهل الكتاب لدينهم على ضلالهم؛ لقوله: ((**ولا تؤمن إلا لمن تبع دينكم**)) . ومن فوائدها أيضا: أن المسلم يرد كيد هؤلاء بإعلان أن الهدى هدى الله ؛ وأنهم مهما حاولوا أن يصدوننا عن ديننا وقد أراد الله هدايتنا فإن ذلك لا يضرنا . ويتفرع على هذه الفائدة: أنه ينبغي للعبد أن يعتمد على ربه في طلب الهدى وأن لا يعتمد على نفسه ؛ لأنه إذا اعتمد على نفسه خذل مهما كان من الذكاء والحيلة . ومن فوائد الآية الكريمة: أن هؤلاء الذين صنعوا هذه الخديعة بينوا وأظهروا أن الذي حملهم على ذلك هو الحسد ؛ لقولهم: ((**أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم**)) لأن اليهود من أبرز صفاتهم الحسد ((**أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله**)) ((**ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم**)) . ومن فوائد الآية الكريمة: أن أهل الكتاب يؤمنون بالبعث والحساب ؛ لقوله: ((**أو يحاجوكم عند ربكم**))؛ ولهذا اتفقت الأديان الثلاثة، اليهودية والنصرانية والدين الإسلامي على الإيمان بالبعث؛ لكن كل من آمن بالبعث آمن له؛ فاليهود والنصارى ماداموا على كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فإنهم لم يعملوا لهذا البعث ؛ إذ لو عملوا له لآمنوا بالرسول صلى الله عليه وسلم . ومن فوائد الآية الكريمة: إثبات أن العطاء عطاء الله عز وجل ، وأن الله إذا من على أحد بفضل فلن يستطيع أحد منعه ؛ لقوله: ((**إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء**)) . ومن فوائدها: إثبات اليد لله عز وجل؛ لقوله: ((**بيد الله**)) وهذه اليد يد حقيقية يقبضها الله عز وجل ويقبض بها ويأخذ بها كما قال الله تعالى: ((**وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات**)) وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم: (**أن الله تعالى يبسط يده في الليل ليتوب مسيء النهار وفي النهار ليتوب مسيء الليل**) وأخبر صلى الله عليه وسلم: (**أن الإنسان إذا تصدق بعدل تمر . أي بما يعادل تمرة . من كسب طيب ولا يقبل الله إلا الطيب فإن الله يأخذها بيمينه فيربيها كما يربي أحدكم فلوه**) الحديث ؛ أهل السنة والجماعة يؤمنون بأن ذلك حق على حقيقته ؛ لأن الله تعالى أخبر به عن نفسه وهو أعلم بنفسه وأعلم بغيره ؛ وأخبر به عن نفسه بكلام فصيح بين لا يحتمل الشك قال الله تعالى: ((**ومن أحسن من الله حديثا**)) وأخبر به عن نفسه بخبر هو أصدق الأخبار لقول الله تعالى: ((**ومن أصدق من الله قيلا**)) فخبر الله أصدق الأخبار؛ وأخبر به عن نفسه ليهتدي الناس به كما قال الله تعالى: ((**يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام**)) وقال تعالى: ((**يبين الله**

لكم أن تضلوا)) وقال تعالى: ((**يريد الله أن يبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم**))؛ فهذه أربعة أوصاف اتصف بها خبر الله تعالى عن نفسه ؛

الشيخ : الوصف الأول: لا الوصف الأول في كلامه ؛ لا نريد الوصف الأول أنا أريد أن أرتبها ؛ زيد ؟

أنه خبر صادق عن علم فإن الله عالم بنفسه وبغيره.

الشيخ : الثاني ؟

الطالب : أن كلام الله أحسن الحديث يعني بالفصاحة والبيان والوضوح .

الشيخ : أحمد الثالث ؟

الطالب : أن خبر الله عن نفسه أصدق خبر .

الشيخ : الرابع ؟ أن الله تعالى يريد بما أخبر به عن نفسه أن يهتدي الناس به لئلا يضلوا ؛ فإذا اجتمعت هذه الأوصاف الأربعة في كلام لم يبقى فيه أدنى شك ولا يمكن أن نقول إنه من المتشابه خلاف لمن زعم أن آيات الصفات من المتشابه؛ ولهذا قالوا إنها من المتشابه وإن فرضنا نحوها أن نمرها بدون أن نتعرض لمعناها؛ وهذا كما مر علينا كثيرا خطأ؛ بل نقرأ آية الصفات و نتعرض لمعناها ونسأل عن معناها؛ لكن لا نسأل عن الكيفية يعني نسأل ما معنى استوى نسأل ما فيه مانع ما معنى استوى على العرش لكن كيف استوى ما نقول ما نسأل ؛ هنا يد الله نسأل ما هذه اليد هل هي حسية أو معنوية ؟ الجواب: حسية يأخذ بها ويقبض عز وجل ؛ ولكن لا نسأل عن كيفيتها؛ ما نقول كيف هذه اليد هل كف الرحمن ككف الإنسان أو لا ؟ ما نقول هكذا . فإن قال قائل: إنه جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم: (**إن الله خلق آدم على وصورته**) وفي رواية (**على صورة الرحمن**) وهذا يقتضي أن تكون صفات الله كصفات المخلوق؛ فوجهه كوجه المخلوق ويده كيد المخلوق؛ وعينه كعين المخلوق؛ وساقه كساق المخلوق؛ وقدمه كقدم المخلوق؛ فما الجواب ؟ فالجواب: أن هذا ما يمكن أن يكون مرادا للحديث؛ لأنه لو كان هذا مراد الحديث لكان تكذيبا لقوله تعالى: ((**ليس كمثله شيء**)) وخبر الله ورسوله لا يتكاذب بل يصدق بعضه بعضا؛ فإذا كان كذلك فما معنى الحديث ؟ فالجواب أن نقول: لا يلزم من كون آدم على صورة الله المماثلة فقد يكون الشيء على صورة الشيء من حيث العموم لا من حيث التفصيل ويدل لهذا أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر بأن (**أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة**

البدر) وهل يلزم من ذلك أن يكونوا مثل القمر؟ أبدا لكن من حيث الإجمال على صورة القمر وإلا فليس للقمر أنف وليس له عين وليس له فم وأهل الجنة لهم آناف وأعين وأفواه؛ لكن من حيث العموم؛ وهذا وجه قوي جدا ويبقي النص على ظاهره؛ والوجه الثاني أن نقول: إن الله خلق آدم على صورة الرحمن أي الصورة التي اختارها عز وجل، على صورته على الصورة التي اختارها كما لو قلت: هذا الباب صنعة فلان يعني هو الذي صنعه؛ فالله هو الذي صور آدم؛ وإضافة صورة آدم إلى الله تقتضي التشريف، تشريف؛ ولذلك جاءت هذه الجملة في بعض الأحاديث تعليلا للنهي عن ضرب الوجه وتقبيح الوجه؛ لأن آدم خلق على صورة الرحمن؛ فإذا ضربت الوجه الذي خلقه الله تعالى واختار هذه الصورة له فإن ذلك الضرب قد يخدشه ويغيره؛ وإذا قبحت الوجه قلت ما أقبح هذا الوجه؛ فإن هذا أيضا قدح في الصورة التي خلق الله عز وجل واختارها لهذا الوجه؛ وعلى هذا فيكون إضافة الصورة إلى الله من باب إضافة المخلوق إلى خالقه كقوله: ناقة الله ، بيت الله، مساجد الله، بيوت الله، وما أشبه ذلك؛ وحينئذ تبقى النصوص ولله الحمد سليمة لا تتناقض ولا تتعارض؛ فاليد ثابتة لله على الوجه اللائق به من غير أيش؟ من غير مماثلة؛ نجزم ونعلم علم اليقين أنه لا مماثلة بين صفات الخالق وصفات المخلوق .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أنه ينبغي للإنسان أن يعلق الرجاء بالله، أن يعلق الرجاء بالله خوفا وطمعا؛ لقوله: ((**قل إن الفضل بيد الله**)) فإذا علمت أن الفضل بيد الله فمن أين، فممن تسأل الفضل ؟ من الله؛ وإذا علمت أن الفضل بيد الله فمن الذي تخاف أن يمنع الفضل عنك ؟ الله؛ إذا فينبغي بل يجب على المؤمن أن يعلق قلبه بالله تعالى رجاء وخوفا . ومن فوائد الآية الكريمة: إثبات قيام الأفعال الاختيارية بالله عز وجل؛ ويش كلام هذا معناه؟ ويش معنى هذا ؟ معنى هذا أن الله تعالى يوصف بصفات الأفعال المتعلقة بمشيئته؛ لقوله: ((**يؤتيه من يشاء**)) فالإتيان فعل علق بالمشيئة؛ إذا فنؤمن بأن الله تعالى له أفعال يفعلها يحدثها تتعلق بمشيئته؛ ففيه رد على المعطلة الذين قالوا إن الله تعالى لا يوصف بالصفات الفعلية الاختيارية؛ لأنه ما فيه صفة عندهم ما فيه صفة لله تتعلق بمشيئته، كل الصفات أزلية ليس فيه صفات تحدث بمشيئة الله؛ وهذه الآية ترد عليهم؛ لماذا يقولون إن الله ما يفعل؟ يقولون إن الله لا يستوي على العرش استواء فعليا؛ ولا ينزل إلى السماء الدنيا؛ ولا يأتي للفصل بين عباده؛ لماذا؟ قالوا لأن الحوادث لا تقوم إلا بالحادث والله عز وجل ليس بحادث والله عز وجل أبدي أزلي؛ فإذا أثبتت له الأفعال الاختيارية المتعلقة بالمشيئة أثبتت قيام فعل حادث به ولا يقوم الحادث إلا بحادث؛ فما هو الجواب عن هذا ؟ الجواب: أن هذه القضية أو هذا الحكم حكم عقلي معارض للنص لأنه يتضمن رد كل نص يدل على قيام الأفعال الاختيارية بالله؛ وما تضمن رد النصوص فهو باطل؛ لأن ما تضمن رد الحق فهو باطل؛ ثانيا أن نقول: هذه القضية أو القاعدة التي ذكرتم قاعدة باطلة ؛ فإن الأفعال تأتي بعد الفاعل ولا يلزم أن تكون

قديمة بقدمه ولا يلزم أن تكون حادثا بحدوثها؛ ولذلك نحن نأكل اليوم ونأكل بالأمس وما قبل أمس؛ هل يلزم إذا أكلنا اليوم أننا لم نوجد إلا اليوم ؟ يعني وجودنا تسبق أفعالنا، وجودنا يسبق أفعالنا؛ فكذلك أفعال الله الاختيارية وجود الله سابق عليها ولا يلزم أن نقول إذا أثبتنا الأفعال الحادثة فقد أثبتنا حدوث الفاعل أبدا؛ فهذه الملازمة العقلية ملازمة باطلة لذاتها وهي أيضا ملازمة باطلة لمصادمتها لأيش ؟ للنصوص . ومن فوائد الآية الكريمة: إثبات المشيئة لله ؛ لقوله: ((**من يشاء**))؛ ولا أحد ينكر إثبات المشيئة لله فيما يتعلق بفعله؛ أنه تابع لمشيئته ولا يكون إلا بمشيئته؛ لكن اختلفت الأمة في فعل العبد هل يكون بمشيئة الله أو لا يكون؛ فأهل السنة والجماعة قالوا: إنه يكون بمشيئة الله مع إثبات إرادة العبد؛ أنتم معنا ؟ نعم؛ فعل العبد بمشيئة الله مع إثبات إرادة العبد له؛ وذهب قدرية مجوس هذه الأمة إلى أن فعل العبد لا يقع بمشيئة الله وأن العبد حر يفعل ما يشاء ولا تعلق لإرادة الله ومشيئته بفعله؛ ولهذا سموا مجوس هذه الأمة لأنهم اعتقدوا أن العبد مستقل بما يحدثه؛ فجعلوا للحوادث خالقين: الله عز وجل بما يتعلق بفعل نفسه؛ والإنسان بما يتعلق بفعل نفسه أيضا؛ فالله خالق لأفعاله والإنسان خالق لأفعاله؛ ولا تعلق لمشيئة الله بفعل العبد . طائفة أخرى قابلتهم، قالت: أفعال العبد بمشيئة الله ولا إرادة للعبد فيها؛ عرفتم ؟ هؤلاء هم الجبرية؛ قالوا إن أفعال العبد بمشيئة الله ولا إرادة له فيها أبدا؛ إن قام فهو مجبر وإن جلس فهو مجبر وإن نزل من السطح على الدرج فهو مجبر، وإن تدحرج غسفا عنه فهو مجبر، وإن مات فهو مجبر، وإن شرب فهو مجبر، كله إجبار ما له اختيار؛ وهؤلاء أيضا خالفوا المنقول والمعقول والمنصوص؛ لو أن أحدا منهم وقف أمامنا وقال: الإنسان مجبر عن فعله فقام إنسان وضربه كفا قال والله هذا غصب علي؛ أنا مجبر على أن أضربك كفا؛ ويش يقول ؟ ما يرضى؛ إن قال أبدا لأيش تعدى علي يقول الآن أبطلت قاعدتي؛ ولهذا يذكر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رفع إليه سارق فأمر بقطع يده قال اقطعوا يده ((**والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما**)) فقال مهلا يا أمير المؤمنين والله ما سرقت إلا بقدر الله؛ يعني غصبا علي؛ فقال: ونحن لا نقطع يدك إلا بقدر الله ؛ فرد عليه بحجته مع أن أمير المؤمنين يقطع يد السارق بقدر الله وشرع الله والسارق يسرق بقدر الله لا بشرع الله لأن الله ينهاه عن السرقة؛ المهم أن إثبات المشيئة لله في الآيات الكثيرة وهي شاملة لفعله ولفعل المخلوقين . وهنا نقول: هل مشيئة الله مطلقة ؟ يعني يشاء ما تقتضيه الحكمة وما تقتضيه الحكمة عدمه ؟ أو مقيدة بالحكمة ؟ فالجواب مقيدة بالحكمة، كل ما مر بك آية فيها إثبات المشيئة فإنها مقيدة بحكمة؛ ودليل ذلك قوله تعالى: ((**وما تشاءون إلا أن يشاء الله إن الله كان عليما حكيما**)) فقوله: ((**إن الله كان عليما حكيما**)) يدل على أن مشيئة الله عز وجل مقرونة بالعلم والحكمة وهو كذلك؛ فلا يشاء الله سبحانه وتعالى شيئا إلا لحكمة ولكن الحكمة قد تبين لنا وقد أيش؟ وقد تخفى علينا؛ لأن عقولنا قاصرة؛ قد نظن مثلا

أن نزول المطر في هذا الوقت ضرر وليس بضرر؛ قد نظن أن حبس المطر عنا ضرر وليس بضرر؛ فنحن نؤمن بأنه ما من شيء الله سبحانه وتعالى إلا لحكمة؛ ولكن الحكمة قد تخفى علينا وقد تظهر لنا . ومن فوائد الآية الكريمة: إثبات اسمين من أسماء الله وهما واسع والثاني عليم؛ الواسع في أي شيء؟ في كل صفاته، كل صفاته سبحانه وتعالى واسعة ؛ رحمته وسعت كل شيء، وعلمه وسع كل شيء، وسلطانه شمل كل شيء، وقدرته على كل شيء، واسع بكل معناه؛ حتى إن الله قال: ((**فأين ما تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم**)) أي مكان تولي وجهك له فالله أمامك؛ إذا كنت في الصلاة فإن الله تعالى يناجيك وهو أمامك كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (**إذا قام أحدكم يصلي فإن الله قبل وجهه**) أي إنسان، الذين يستقبلون المشرق كالذين يقعون غربا عن مكة والذين يستقبلون المغرب كالذين يقعون شرعا عن مكة، والذين يستقبلون الجنوب كالذين يقعون عنها شمالا؛ والذين يستقبلون الشمال كالذين يقعون عنها جنوبا، كل هؤلاء أين ما تولوا فإن ثم وجه الله؛ لأن الله واسع، واسع عليم؛ ولكن لا تظن أنك أن الله سبحانه وتعالى في الأرض قبل وجهك وأنت تصلي؛ فإنه قبل وجهك وهو في السماء؛ لأن الله ليس كمثله شيء في جميع صفاته؛ فإذا كان للمخلوق وهو مخلوق يمكن في السماء وقبل وجهك فما بالك بالخالق؛ لو استقبلت الشمس حين شروقها لكانت أيش؟ قبل وجهك وأين هي؟ في السماء؛ وكذلك عند الغروب تكون قبل وجهك وهي في السماء؛ فالحاصل أن الله تعالى واسع بجميع صفاته وبكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى . ومن فوائد هذه الآية الكريمة: إثبات علم الله سبحانه وتعالى في قوله: ((**عليم**)) علم الله فما هو العلم؟ العلم إدراك الشيء على ما هو عليه؛ فمن لم يدرك الشيء فليس بعالم؛ ومن أدركه على خلاف ما هو عليه فليس بعالم؛ والأول جاهل بسيط والثاني جاهل مركب؛ فلو سألنا سائل: متى كانت غزوة بدر ؟ فقيل له: كانت في السنة الثالثة من الهجرة؛ فالقائل جاهل جهلا مركبا؛ ولو سألنا سائل فقال: متى كانت غزوة فتح ؟ فقال له: الله أعلم؛ فالقائل جاهل لكن جهله بسيط؛ أيهما أشد ؟ الأول أشد ؛ لأنه مشكل، جاهل وهو جاهل أنه جاهل؛ ولهذا قيل: إن الجهل المركب أشد قبحا من الجهل البسيط؛ فعالم لم ينتفع بعلمه أشد إثما من الجاهل؛ لأن العالم الذي لم ينتفع بعلمه علم والعياذ بالله لم يعمل بعلمه؛ ولو سألنا سائل: متى كانت غزوة الفتح ؟ فقيل له: في السنة الثانية من رمضان، لكان عالما؛ إذا الله تعالى عالم مدرك الأشياء على ما هو عليه وعلمه سبحانه وتعالى تام من كل وجه أزلا وأبدا؛ فلم يزل عالما يعلم ما سيكون وإذا علم وهو عالم عز وجل فلن ينسى كما قال موسى عليه الصلاة والسلام: ((**في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى**)) . هل يوصف الله تعالى بأنه عارف ؟ قال أهل العلم: لا يوصف الله بأنه عارف ؛ لماذا؟ لأن المعرفة انكشاف بعد لبس، انكشاف بعد خفاء أحسن أبين لكم، المعرفة انكشاف بعد خفاء؛ ولهذا إذا علمته الصبي تقول هل

عرفته؟ فيقول نعم يعني بعد أن كان خافيا عليه صار الآن معلوما له؛ فمن أجل أنها انكشاف بعد خفاء لم يصح إطلاقها على الله؛ لأن الله لم يزل ولا يزال عليم . ثانيا: أن المعرفة تطلق على العلم والظن؛ ولهذا إذا قلنا العلم معرفة الحق بدليله شمل قولنا معرفة الحق بدليله شمل العلم والظن؛ لأن المعلومات إما علمية وإما ظنية؛ لهذا لا يصح أن يطلق على الله بأنه عارف . فإن قال قائل: كيف تقولون هذا وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (**تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة**) يعرفك وهذا فعل ؟ فالجواب عن ذلك: أن هذه معرفة خاصة تستلزم العناية، العناية بالذي تعرف إلى الله من قبل؛ والدليل على أنها ليست معرفة العلم بل هي معرفة العناية، الدليل أنه قال: (**تعرف إلى الله**) مع أن الله يعرفك سواء قمت بعبادته أم لم تقم يعلمك عز وجل يعلمك سواء قمت بعبادته أم لم تقم؛ لكن إذا قمت بعبادته فقد تعرفت إليه؛ فإذا تعرفت إليه في الرخاء عرفك في الشدة . ثم قال الله عز وجل: ((**يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم**)) من فوائد هذه الآية الكريمة: أن الله عز وجل قد يرحم بعض العباد رحمة خاصة؛ لقوله: ((**يختص برحمته من يشاء**)) وقد بين الله في آيات أخرى: أن الله تعالى يرحم من يستحق أن يرحم وهو الذي تعرض لأسباب الرحمة مثل قوله تعالى: ((**يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام**)) وأن من كان على العكس لم يأت بما يقتضي الرحمة فإنه ليس هلا لها، قال الله تعالى: ((**ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها**)) لمن ؟ ((**للذين يتقون**))؛ وقال عز وجل: ((**فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الفاسقين**)) . ومن فوائد الآية لكريمة: أنه لا اعتراض على الله في كونه يختص برحمته زيدا ويمنع رحمته عن عمرو؛ لأن الأمر إليه وهو فضل إن شاء منعه وإن شاء أعطاه . ويتفرع على هذه الفائدة: أن من منعوا فضل الله لم يكونوا قد ظلموا شيئا؛ لأن فضل الله يؤتيه من يشاء ويختص برحمته من يشاء؛ أرأيت لو أمامك عشرة رجال فأعطيت واحدا عشرة وواحدا تسعة وواحدا ثمانية وواحدا سبعة وواحدا ستة وواحدا خمسة وواحدا أربعة وواحدا ثلاثة وواحدا اثنين وواحد واحدا؛ هل ظلمت من لم تعطه إلا درهما واحدا ؟ لا ما ظلمته لأن هذا فضلا منك؛ فلا يقال إنك ظلمت من أعطيته درهما واحدا لأنك أعطيت الأول عشرة دراهم . ولو استأجرت عشرة أجراء على عشرة دراهم كل يوم فقاموا بالعمل؛ فأعطيت واحدا واحدا عشرة دراهم لأنهم عملوا يوما كاملا والثاني كلهم عملوا على يوم كامل؛ أعطيت واحدا عشرة والثاني تسعة والثالثة ثمانية وهكذا تنقص؛ لعددت ظالما، لعددت ظالما؛ لأن هذا ليس من العدل أن يقوم الجميع بما استأجرتهم عليه ثم تعطي بعضهم وتحرم بعضا؛ والفرق بين هذه والتي قبلها: أن الأولى فضل وإحسان، مجرد فضل وإحسان؛ وهذه الثانية عدل والعدل يجب أن يعطى كل ذي حق حقه . ((**يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم**)) .

من فوائد الآية الكريمة: جواز وصف غير الله بالعظم؛ لقوله: ((**ذو الفضل العظيم**)) لأن الفضل هنا يحتمل أن يراد بها فضل الله الذي هو فضل الله أي عطائه؛ أو أن المراد بها المتفضل به وهو أيش؟ المعطى؛ فعلى الثاني لا إشكال في استنباط الفائدة التي ذكرناها، أن العظم يوصف به غير الله؛ وعلى الأول إذا قلنا إن الفضل هو نفس فعل الله فوصفه بالعظم لا إشكال فيه؛ لماذا؟ لأنه من صفة الله

((**يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم**)) . من فوائد الآية الكريمة: جواز وصف غير الله بالعظم ؛ لقوله: ((**ذو الفضل العظيم**)) لأن الفضل هنا يحتمل أن يراد بها فضل الله الذي هو فضل الله أي عطائه؛ أو أن المراد بها المتفضل به وهو أيش؟ المعطى؛ فعلى الثاني لا إشكال في استنباط الفائدة التي ذكرناها، أن العظم يوصف به غير الله؛ وعلى الأول إذا قلنا: إن الفضل هو نفس فعل الله فوصفه بالعظم لا إشكال فيه؛ لماذا؟ لأنه من صفة الله وصفات الله كذاته عظيمة . فإن قال قائل: مادام الاحتمالان قائمين فلا دلالة على أنه يوصف بالعظم من سوى الله ؛ ما دمنا نقول يحتمل أن يكون الفضل هنا صفة الله وصفة الله عظيمة كذات الله . فالجواب عن هذا أن يقال: إذا لم تقتنع بهذا فاقرأ قول الله تعالى: ((**ولها عرش عظيم**)) فوصف العرش بالعظم مع أن العرش مخلوق؛ فيصح أن نقول والله هذا الفعل عظيم يصح أن نقول هذا، هذا رجل عظيم، هذه سيارة عظيمة، هذا بيت عظيم، وما أشبه ذلك ولا يضر؛ كما أنه يصح أن نقول فلان عزيز، فلان قوي يصلح؟ نعم فلان قوي ولا حرج في ذلك؛ ولكن يجب أن نعلم أن ما نصفه به المخلوق من صفات الله لا يماثل بصفات الله ولا يدانيها أيضا؛ لأنها صفة كل موصوف تناسبه ؛ وصلنا أظن إلى حد ؟

الشيخ : نعم يا عليان ؟

السائل : المقارنة بين المنافين من المسلمين ومن أهل الكتاب ؛

الشيخ : كيف ؟

السائل : هل بين منافقي المسلمين والمنافقين من أهل الكتاب بينهما مقارنة بالفعل ؟

الشيخ : مسلمون ومنافقين ؟

السائل : المنافقون هل المنافقين الذين في عهد النبي صلى الله عليه وسلم هل هم يقارنون بالمنافقين من أهل الكتاب ؟

الشيخ : لا أبدا، في الآيات التي مرت بنا منافقون ما هم كل وقت، ينافقون خداعا في أول النهار ويكفرون في آخره .

السائل : شيخ ؟ حديث: (**تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة**) هل يوصف الله تعالى بالفعلية يعني بالعرف ؟

الشيخ : أي نعم إذا قلنا المراد بها العناية ما هو المعرفة العلمية لأن الله لم يزل عالما من قبل أن تكون في الشدة؛ لكن نقول المعرفة التي مقتضاها العناية يوصف به .

السائل : هل يصح أن يقال أن الذي لم يعمل بعلمه أن فيه صفة من صفات اليهود لأنهم كان ؟ كيف ؟

الشيخ : نعم ما فيه شك .

السائل : بعض الناس يقولون أن من صفات الله قديم؛

الشيخ : كيف ؟

السائل : يعني بعض الناس أو الفرق يعني يصفونه بأن الله قديم أو أزلي أو كذا ؟

الشيخ : هذه جاءت من المتكلمين ما فيها شك ما كنت معروفة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ولا الصحابة وإن كان ورد (**أعوذ بالله العظيم وجهه الكريم وسلطانه القديم**) وصفا للسلطان لا لله؛ لكن معناها حسب ما يريد بها صحيح لأن عندهم أن القديم هو الذي ليس له الأول يعني الذي لم يزل ولا يزال موجودا؛ ولا يريدون القديم الذي هو القديم في اللغة لأن القديم في اللغة يطلق على الشيء الحادث الذي سبق غيره؛ لقوله: ((**حتى عاد كالعرجون القديم**)) وقد مر علينا أن ما يخبر به عن الله إما أن يكون الله قد أخبر به ؛ أو لم يخبر به لكن لا ينافي كماله؛ أو أن يخبر به وينافي كماله ؛ فالأول معلوم الجواز ؛ والثالث: معلوم الامتناع ؛ والرابع جائز؛ فيجوز أن تخبر عن الله بما لا ينافي كماله ولكن لا يجوز أن تخبر عن الله بما ينافي كماله حتى إن بعض العلماء يقول لا يجوز لك أن تفصل في خلق الله فتقول مثلا: إن الله خلق الحمير والكلاب والأقذار وما أشبه ذلك ؛ لأن في هذا نوع من الاستخفاف ؛ لكن قل خلق كل شيء ، ثم لو أنكر إنسان قال إن الله لم يخلق الحمير قل لا بل خلق الحمير في مقابلة النفي ؛ على كل حال ما يقع خبرا عن الله إما أن يكون قد أخبر الله عن نفسه فأمره ظاهر؛ أو لم يخبر به ولكنه ينافي كماله فأمره ظاهر أيضا ؛ الأول واضح الجواز والثاني واضح الامتناع ؛ أو يكون مما لم يخبر الله به عن نفسه لكن لا ينافي كماله فهذا لا بأس به؛ ولهذا نقول إن الله مريد، متكلم ، صانع مع أنه لم يرد هذا المشتق من أسماء الله ولا أخبر الله به عن نفسه بهذا اللفظ .

السائل : هل من رحمة الله أن يصاب العبد بالمرض ؟

الشيخ : نرد إن هذا من رحمة الله ؛ أن يصاب ؟ نعم أن يصاب ((**ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون**)) فإن لم ينتفعوا انتفع غيرهم لأنك لا تعرف قدر نعمة الله عليك إلا إذا أصبت بضدها أو رأيت من أصيب بضدها .

مراجعة يلا سمعنا جزاك الله خيرا .

الشيخ : قوله تعالى: ((**الحواريون**)) ما معنى الحواريين ؟

الطالب : مشتق من الحور والحور هو البي ؛ قلوبهم سالم من ؛

الشيخ : صافية نقية ؛

الطالب : من الكفر والشرك؛

الشيخ : أحسنت؛ إذا سموا حواريين لصفاء قلوبهم .

الشيخ : قوله تعالى: ((**ومكروا ومكر الله**)) كيف يوصف الله بالمكر ؟

الطالب : لأن المكر إذا كان في مقابل الخصم يوصف الله تبارك وتعالى وهو صفة الكمال إذا كان ليس في مقابلة الغير هو صفة النقص يعني ما يوصف الله تبارك وتعالى إلا في مقابلة الخصم ؛

الشيخ : أحسنت وحينئذ يكون ؟

الطالب : يكون في مقابلة المكر المشركين ؛

الشيخ : يكون كمالا ؟ أي نعم كمالا؛ لأنه يدل على أنه أقوى من عدوه .

الشيخ : قوله: ((**لهو القصص**)) و((**لهو العزيز**)) فيها قراءتان ؟

الطالب : ((**لهو**)) بضم الهاء والسكون ؛ ((**لهو**)) و((**لهو**)) طيب .

الشيخ : قوله تعالى: ((**إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب**)) الضمير في ((**خلقه**)) المفعول يعود على ؟ ((**إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب**)) ؟

الطالب : أي آدم،

الشيخ : يعود على آدم .

الشيخ : ما الغرض هذه الآية ؟ الرد على من ؟

الطالب : الرد على النصارى

الشيخ : الرد على النصارى الذين قالوا إن عيسى ابن الله وقالوا كيف يأتي بدون أب فأبوه هو الله ؛ فقال الله تعالى: ((**إن مثل عيسى**)) يعني شأنه كشأن آدم ((**خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون**)) .

الشيخ : هذه الآية اختصت بالشيء فما هو الشيء الذي اختصت به فما هو الشيء الذي اختصت به ؟ ((**قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة**)) ؟ لها خصيصة يعني معينة ؟

أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ بها في الركعة الثانية من سنة صلاة الفجر ويقرأ في الركعة الأولى: ((**قولوا آمنا بالله**)) التي سبقت .

الشيخ : قوله تعالى: ((**إلى كلمة سواء بيننا وبينكم**)) ويش معناها ؟ ((**سواء بيننا وبينكم**)) ؟

الشيخ : المراد بالسواء يعني ؟ بندر ؟

الطالب : عدل ،

الشيخ : عدل طيب هذا واحد معنى آخر ؟

الطالب : السوية

الشيخ : السوية يعني بمعنى أنها كاملة إلى كلمة كاملة لاشتمالها على العدل

الشيخ : قوله: ((**ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله**)) كيف اتخاذ بعضهم بعضا أربابا من دون الله ؟

الطالب : يدعوا بعضهم بعضا

الشيخ : يعني هم يدعون بعضهم بعضا ؟ لكن هل كان حديث عدي بن حاتم أنهم يعبد بعضهم بعضا ؟ قال: لسنا نعبدهم؛ قال إنهم يدعوننا ؛ لا ما قال إنهم يدعوننا ؛

الطالب : يتبعونهم من تحليل الحرام وتحريم الحلال ؛

الشيخ : نعم يتبعون في تحليل الحرام وتحريم الحلال .

الشيخ : طيب أنتم أظن أخذتم جزء هذا من القرآن ؟ أنت ؟ أي نعم أدركت أوله وإلا لا؟ أين أدركت؟ من هذه الآيات ،

الطالب : من هذه الآيات

الشيخ : يلا سمعنا ؟

الطالب : من أين ؟

الشيخ : ((**يا أهل الكتاب لم تحاجون**)) سمعنا عن ظهر قلب ؟

الطالب : ما أحفظ ؛

الشيخ : ويش الفائدة ؟ نعم يا أحمد ؟

((**يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون هاأنتم هؤلاء فيما حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون**)) أحسنت .

الشيخ : قوله تعالى: ((**هاأنتم**)) فيها قراءتان ؛ أحمد ؟

الطالب : قراءتان: ((**هآأنتم**)) بالمد ؛ و ((**هاأنتم**)) بدون مد .

الشيخ : قوله: ((**لم تحاجون في إبراهيم**)) الاستفهام هنا ما المراد به ؟

الطالب : الإنكار؛

الشيخ : الإنكار ؟

الشيخ : يعني ؟ ما فيه معنى آخر ؟

الطالب : التوبيخ

الشيخ : التوبيخ والتعجب ، كيف الآية ويش معنى الآية؟ قصة ما هي ؟

الطالب : القصة إنهم دعوا إنهم على ملة إبراهيم فالله أنكر عليهم تعجبا عليهم كيف تقولون إنكم على ملة إبراهيم ؛

الشيخ : يعني ادعوا أن إبراهيم على ملة التوراة وعلى ملة إنجيل ؛ وأنهم متبعون له ؛ ما وجه الإنكار عليهم ؟

الطالب : لأن التوراة والإنجيل ما أنزلت إلا بعد إبراهيم ؛

الشيخ : نعم فكيف يكون ؟

الشيخ : فيكف يكون إبراهيم على ملة شيء لم ينزل إلا من بعده كذا ؟؛ طيب في معنى آخر نعم ؟

الطالب : أنهم هم على ملة إبراهيم ؛

الشيخ : نعم وأنهم أولى الناس به .

الشيخ : هل في قوله تعالى: ((**أفلا تعقلون**)) دليل على تحكيم العقل في الأمور الشرعية ؟

الطالب : المقصود من العقل هنا عقل الرشد؛

الشيخ : أي نعم عقل الرشد لا بأس لكن هل فيه دليل على الرجوع إلى عقل الرشد ؟

الطالب : الأمور الشرعية ؛

الشيخ : أو هنا التوبيخ منصب على فعلهم هم ؟ يعني كونهم يدعون أن إبراهيم تابع للتوراة أو أنهم على ملة إبراهيم وهم مخالفون له ؟

الطالب : ليس على الأمر الشرعي ؛

الشيخ : ليس على أمر شرعي طيب هل له نظير أنكر الله تعالى أو نعى الله على قومهم عقولهم لمخالفتهم لما يقتضيه العقل ؟ من يعرف ؟

قوله : ((**أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون**)) .

((**ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المتقين ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون إلا أنفسهم وما يشعرون**)) .

الشيخ : قوله تعالى: ((**ما كان إبراهيم يهوديا**)) هذا رد على من يا آدم ؟ ((**ما كان إبراهيم يهوديا**)) رد على من ؟

الطالب : على اليهود والنصارى ؛

الشيخ : على اليهود والنصارى كلهم ؟ ((**ما كان إبراهيم يهوديا**)) بس نقرأ لهذا ؟

الطالب : رد على اليهود ؛

الشيخ : على اليهود ((**ولا نصرانيا**)) ؟

الطالب : على النصارى؛ رد على النصارى ؛

الشيخ : لأن كل طائفة منهم تدعي أنه على ملته وأنه على ملتهم .

الشيخ : قوله تعالى: ((**إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي**)) كيف بدأ بالذين اتبعوه قبل ذكر النبي محمد صلى الله عليه وسلم ؟ والنبي أشرف منهم ؟ يلا يا آدم ؟

الطالب : هنا الإتباع والإتباع ما يجيء إلا أولا بتصديق كتاب الله ثم كلام النبي ؛

الشيخ : لا ؛

الطالب : لأنهم الأول في الخلق؛ أسبق زمنا ؟

الشيخ : أسبق زمنا؛ لأنهم أسبق زمنا هذا واحد وجه الثاني ؟

الطالب : لا عطفه ؟

الشيخ : أخر، مشكلة تأخبر ؛ لكن الأخ يقول لأن الذي اتبعوه أسبق زمنا ؛ شيء آخر ؟

الطالب : لأن عند الله هؤلاء اليهود والنصارى الذين يدعون أن إبراهيم من ملتهم وهم يتبعوه وليسوا منه في شيء بين الله لهم أن أولى الناس بإبراهيم الذين اتبعوه وهؤلاء لم يتبعوه وإنما يدعون إتباعه فقط بالاسم ؛

الشيخ : أيه لكن الرسول صلى الله عليه وسلم أشرف من الذين اتبعوه فلماذا قدمهم ؟ نعم ؟

الطالب : لأن الذين اتبعوه في شريعتهم ؛

الشيخ : نعم صحيح لأن الذين اتبعوه اتبعوه إتباعا كاملا وأما النبي صلى الله عليه وسلم فله منهاج يخالف منهاج إبراهيم فيما يتعلق بالمصالحة ((**لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا**)) فلما كان الذين اتبعوه آخذين بأصول شريعته وفروعها ودقيقها وجليلها قدمهم .

الشيخ : طيب يا آدم قوله: ((**للذين اتبعوه**)) اللام هذه ويش معناها ؟

الطالب : للتعليل؛

الشيخ : لا ما كل اللام للتعليل، ما كل بيضاء شحم ؛

الطالب : حرف جر؛

الشيخ : ما هي حرف جر حرف جر يجيء مكسور؛ نعم الأخ ؟

الطالب : التوكيد،

الشيخ : التوكيد ((**إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه**)) .

الشيخ : قوله تعالى: ((**والله ولي المؤمنين**)) وفي بعض الآيات: ((**ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق**)) فأثبت ولايته على الكفار فما الجمع يا آدم ؟

الطالب : إن الذين اتبعوا الرسول صلى الله عليه وسلم ؛

الشيخ : لكن الله هنا قال: ((**والله ولي المؤمنين**)) وفي بعض الآيات أثبت الله ولايته لغير المؤمنين فيما الجمع ؟

الطالب : لأن ولي للمؤمنين بإتباعهم للرسل ؛

الشيخ : لا؛ نعم يا سلام ؟

الطالب : ولاية خاصة ؛

الشيخ : المراد هنا ولاية خاصة، وولاية الله لغير المؤمنين بالولاية العامة ؛

الطالب : بمعنى المحبة ؟

الشيخ : نعم ؟

الطالب : بمعنى المحبة لله ؟

الشيخ : لا لا الولاية بمعنى التدبير والسلطة، تولي الأمور.

الشيخ : التحرير؟ أي نعم التحرير من اليهود والنصارى لأنهم يريدون منا أن يضلونا.

الشيخ : كيف قال: ((**وما يضلون إلا أنفسهم**)) ما وجه كونهم لا يضلون إلا أنفسهم ؟

الشيخ : قوله: ((**من الآيات والذكر الحكيم**)) لماذا سمي القرآن ذكرا ؟

الطالب : سمي الذكر لأن فيه ذكر الله ، وكذلك الذكر يطلق على ثلاثة معاني ؛

الشيخ : ثلاث جماعات ؟

الطالب : لا ثلاث معاني ((**ورفعنا لك ذكرك**)) وكذلك ((**واذكر ربك قياما وقعودا**)) وهذا ذكر لأن فيه ذكر الله تبارك وتعالى ؛ وكذلك التلقي الذكر يطلق على التلقي ؛

الشيخ : كف علينا يا شيخ ؟

الطالب : لأن فيه ذكر من قبلنا ومن بعدنا ؛

الشيخ : أيش؟

الطالب : لأن فيه ذكر من قبلنا ومن بعدنا من القرون ؛

الشيخ : طيب وغيره ؟

الطالب : الحديث كما قال النبي صلى الله عليه وسلم؛

الشيخ : طيب هات ؟

الطالب : لذكره في زبر الأول ؛

الشيخ : لا؛

الطالب : لأنهم تذكروه به ؟

الشيخ : صح لأنهم تذكروا به ؛

الطالب : ذكر معنى الشرع ؛ لقوله تعالى: ((**وإنه ذكر لك ولقومك**))

الشيخ : وأنه ذكر لمن اتبعه ((**وإن لذكر لك**)) أي شرع ((**ولقومك**)) .

الشيخ : يلا يا خالد ؟ الحكيم وصف للقرآن فهل هو من الحكم لأن القرآن حاكم بين الناس أو هو من الإحكام لأن القرآن محكم ؟

الطالب : من المعنيين جميعا ؛

الشيخ : من المعنيين جميعا ؟ القرآن محكم و حاكم .

الشيخ : هذا الوصف لكل القرآن ؟

الطالب : أي نعم لكل القرآن .

الشيخ : ألا يرد على هذا قوله تعالى: ((**منه آيات محكمات هن أم الكتاب وآخر متشابهات**)) ؟ فلم يجعل الله القرآن كله حكيما محكما ؟

الطالب : يعني تشابه نسبي ؟

الشيخ : توافقون على هذا ؟ وإذا رد المتشابه إلى الحكم صار الجميع محكما .

((**ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائما ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون بلى من أوفى بعهده واتقى فإن الله يحب المتقين إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيمة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم**)) أعوذ بالله من الشيطان الرجيم قال الله تعالى: ((**ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائما**)) لما ذكر الله سبحانه وتعالى خيانة أهل الكتاب في الأمور الدينية ولبسهم الحق بالباطل وعتوهم وعنادهم ونفاقهم وتغريرهم بالمؤمنين ذكر حالهم في الأمور الدنيوية في المال ؛ فقسمهم الله تعالى إلى قسمين ، فقال: ((**ومن أهل الكتاب**)) وهذا يشمل اليهود والنصارى ، وسموا أهل كتاب لأنهم هم الذين عندهم بقايا من الدين النازل على الأنبياء ؛ فاليهود عندهم بقايا من التوراة والنصارى عندهم بقايا من الإنجيل ؛ ((**من إن تأمنه**)) هنا يجب الإظهار ؛ لأن الهمزة همزة قطع ؛ فيقال: ((**من إن**)) خلافا لما يصدر من بعض الناس حتى من أئمة المساجد فيقول: ((**من إن تأمنه**)) هذا خطأ ؛ لأنه إذا قال: ((**من إن تأمنه**)) جعل الهمزة همزة وصل وهي همزة قطع لأنها إن الشرطية ((**من إن تأمنه**)) الخطاب في قوله: ((**إن تأمنه**)) يعود على المخاطب يعني من إن تأمنه أيها المخاطب ((**بقنطار**)) يعني على قنطار يؤده إليك؛ والقنطار يعبر عن المال الكثير من الذهب حده بعضهم بألف دينار وبعضهم بملأ مسك الثوب يعني جلد الثوب من الدنانير؛ وعلى كل حال يعني من إن تأمنه بدينار كثير من الذهب يؤده إليك أي يرده إليك من غير تغيير ولا نقص ؛ والأداء هو إبلاغ الشيء ومنه أداء الحديث ومنه أداء الأمانات أي إبلاغه إلى مستحقها ؛ فمعنى ((**يؤده إليك**)) أي يعطه إياك سالما من كل نقص ؛ وهذا أمين . وفي قوله: ((**يؤده إليك**)) قراءتان : قراءة بالكسر كسر الهاء ((**يؤده إليك**)) وقراءة أخرى بالسكون: ((**يؤده إليك**)) . ((**ومنهم**)) القسم الثاني الخائن الذي لا يؤتمن ((**من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك**)) ((**لا يؤده**)) نقول فيها كما قلنا في ((**يؤده**)) ((**لا يؤده إليك**)) أي ((**لا يؤده إليك**)) أو ((**لا يؤده إليك**)) ؛ ((**من إن تأمنه بدينار**)) والدينار هو الوحدة من النقد الذهبي وهو ما يسمى عندنا بالجنيه ؛ ((**إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك**)) أي لا يرده إليك سالما بل ينقصه ويكون فيه ((**إلا ما دمت عليه قائما**)) يعني إلا إذا بقيت قائم عليه مراقبا له ناظرا في أحواله فحينئذ تسلم من خيانته؛ أما إذا

غفلته أدنى غفلة فإنه سوف يخونك ؛ فقسم الله عز وجل أهل الكتاب الآن إلى قسمين ؛ قسم أمين إذا ائتمنته على المال الكثير لم ينقصه شيء ، وإن ائتمنته على المال القليل لم ينقص من باب أولى ؛ لأنه إذا لا ينقص المال الكثير شيئا مع أن المال الكثير إذا أخذ منه شيء قليل لا يتبين ؛ فائتمانه عند المال القليل من باب أولى ؛ والقسم الثاني من هو خائن لو ائتمنته على أقل القليل، على واحد من النقود فإنه لا يؤده إليك إلا إن كنت قائما عليه مراقبا له فحينئذ تسلم من شره وإلا فإنه يمكن أن ينقص الواحد من الدنانير؛ وإن ائتمنته على أقل من دينار ؟ فكذلك لا يؤدي؛ وعلى أكثر من باب أولى . في هذه الآية من حيث الإعراب ؛ أولا قوله: ((**من إن تأمنه بقنطار**)) من محلها من الإعراب ((**ومن أهل الكتاب من إن تأمنه**)) ؟ مبتدأ مؤخر؛ و((**من أهل الكتاب**)) خبر مقدم؛ وهو اسم موصول من ويحتاج إلى صلة فأين صلته ؟ صلته جملة شرطية ((**إن تأمنه بقنطار يؤده**)) يعني لا تتم الصلة إلا إذا جاء الشرط وجوابه؛ فإن شرطية و((**تأمنه**)) فعل الشرط؛ و((**يؤده**)) جواب الشرط؛ والجملة صلة الموصول؛ ونقول أيضا في الجملة الثانية ((**ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك**)) إلا أننا نقول في الجملة الثانية لا نافية ((**لا يؤده**)) ليست ناهية، نافية بالفاء ؛ و ((**يؤده**)) جواب الشرط . طيب جواب الشرط يحتاج إلى جزم وهنا ((**يؤده**)) الدال مكسورة غير مجزومة ؟ نقول فيه إن هذا الفعل آخره حرف علة والفعل الذي آخره حرف العلة يجزم بحذف حرف العلة؛ وأصل ((**يؤده**)) أصلها يؤديه؛ فحذفت الياء من أجل الجزم . وقوله: ((**إلا مادمت عليه قائما**)) ((**قائما**)) إعرابها ؟ الحال؛ لا إخواننا ؟ خبر دام؛ لأن دام من أخوات كان ترفع الاسم وتنصب الخبر فالتاء اسمها فالتاء اسمها وخبرها قائما . ثم قال الله عز وجل معللا خيانتهم للأمانة: ((**قال ذلك**)) أي ما ذكر من خيانتهم ((**بأنهم قالوا ليس عليك**)) الباء هنا للسببية أي عدم ائتمانهم بل عدم أمانتهم؛ ((**بأنهم قالوا**)) أي بسبب قولهم ((**ليس علينا في الأميين سبيل**)) ((**ليس علينا في الأميين**)) فالأميون هم العرب وسموا أميين نسبة إلى الأم والإنسان الأمي هو الذي لا يقرأ ولا يكتب قال الله تعالى: ((**ومنهم أميون لا يكتبون الكتاب إلا أماني**)) يعني لا يعلمونه إلا قراءة؛ أما الأمي في الأصل فهو الذي لا يقرأ ولا يكتب؛ ولهذا كان العرب لا يقرءون ولا يكتبون إلا بعد أن بعث الرسول صلى الله عليه وسلم فكانت لهم القراءة والكتابة؛ طيب فالأميين من؟ العرب وسموا أميين لأنهم لا يقرءون ولا يكتبون؛ وقال بعض المفسرين المراد بالأميين من سوى أهل الكتاب؛ فيكون المراد بالأمي من ليس له الكتاب؛ ويكون هؤلاء اليهود والنصارى يقولون كل الناس سوى أهل الكتاب ليس علينا فيهم سبيل، ليس علينا فيهم سبيل لنا أن نظلمهم، نأخذ أموالهم، نقتلهم، نسبي نسائهم؛ لأننا نحن المختارون عند الله؛ وغيرنا عبيد لنا والإنسان يفعل في عبيده ما شاء؛ ولهذا تقول اليهود إنهم شعب الله المختار؛ ولكن الله اختارهم على عالم زمانهم

ولكنهم لم يشكروا هذه النعمة . قالوا: ((**ليس علينا في الأميين سبيل**)) ((**في الأميين**)) في أموالهم ؟ أو في أموالهم ودمائهم وجميع شئونهم ؟ جميع شئونهم؛ من نظر إلى سياق الآية وأنها في سياق الائتمان على المال؛ قيد هذا بأنه ((**ليس علينا في الأميين سبيل**)) فيما يتعلق بأيش؟ بالمال؛ ومن نظر إلى العموم قال إنها تشمل أنهم يدعون أنه لا سبيل عليهم في الأميين في أموالهم ودمائهم؛ وهذا المعنى أعم؛ وإذا كان المعنى أعم واللفظ لا ينافيه فالاختيار أن تأخذ بالأعم؛ لأن الأعم يشمل الأخص ولا عكس؛ إذا ((**ليس علينا في الأميين سبيل**)) لا في أموالهم، ولا في دمائهم؛ وقوله: ((**سبيل**)) السبيل في الأصل الطريق، السبيل في الأصل الطريق؛ والمراد به هنا اللوم يعني ليس علينا سبيل في اللوم أو سبيل إلى اللوم؛ أي أننا لا نلام ولا نذم ولا نأثم فيما يتعلق بمن؟ في الأميين؛ هذا القول الذي يقولونه ليسوا ينسبونه لأنفسهم وأنهم هم الذين أباحوا لأنفسهم الاعتداء على الأميين وإنما يجعلون هذا شرعا من عند الله، يقولون إن الله أباح لنا ذلك ولم يجعل علينا سبيلا فيما يتعلق بالأميين؛ ولهذا قال الله عز وجل: ((**ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون**)) ((**يقولون على الله الكذب وهم يعلمون**)) أي أنهم يكذبون على الله ويفترون على الله ويدعون هذا شرعا من الله وهم يعلمون أن الله حرم عليهم أكل أموال الناس بالباطل ودماء الناس وأعراضهم يعلمون هذا لكنهم يكذبون على الله . الإعراب ((**ذلك بأنهم**)) قلنا: إن الباء للسببية؛ قوله: ((**ليس علينا في الأميين سبيل**)) سبيل مرفوعة على أنها اسم ليس؛ ((**ويقولون على الله الكذب**)) ((**الكذب**)) مفعول ((**يقولون**))؛ وقيل: إنه صفة لمصدر محذوف تقديره: القول الكذب، يقولون على الله القول الكذب؛ ((**على الله**)) جار ومجرور متعلق بيقولون؛ لكننا نقول إنه إذا كان متعلقا بيقولون فإن ((**يقولون**)) هنا مضمنة معنى يفترون، فيقولون أي يفترون على الله الكذب؛ ويمر علينا كثيرا في القرآن مثل هذا التعبير يفترون على الله الكذب؛ التضمين مر علينا أظن ولا أدري هل تذكرونها أم لا؟ أن التضمين مختلف فيه هل نضمن الفعل معنى يناسب المعمول ؟ أو أننا نجعل التضمين في الحرف مثلا؛ وسبق لنا القول الراجح أننا نضمن الفعل معنى يناسب الحرف؛ ومن أبرز الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ((**عينا يشرب بها عباد الله**))؛ من أبرز المثال على ذلك قوله تعالى: ((**عينا يشرب بها عباد الله**)) العين هل هو يشر ب بها وإلا يشرب بالكأس ؟ وإلا بالعين ؟ بالكأس؛ الإنسان إذا جلس على النهر يشرب ما هو النهر يشرب وإنما يشرب بالكأس من النهر أليس كذلك؟ طيب بعض العلماء قال: إن الباء في قوله: ((**يشرب بها عباد الله**)) بمعنى من، الباء بمعنى من أي يشرب منها؛ وعلى هذا القول تكون ((**يشرب**)) على ظاهرها من الشرب؛ وبعضهم قال: بل إن ((**يشرب**)) بمعنى يروى؛ وعلى هذا فالباء للسببية وليست بمعنى من، أي عينا يروى بها عباد الله؛ وهذا المعنى أصح؛ لأنه إذا ضمنت ((**يشرب**)) مع يروى فإنه لا ري إلا بعد الشرب، إلا بعد

الشرب؛ وعلى هذا يكون الفعل يروى دالا على معنى الشرب وزيادة؛ لكن إذا قلت ((**شرب**)) على ما هي على ظاهرها والباء بمعنى من لم نستفد هذه الفائدة وهي الري؛ إذا ((**يقولون على الله**)) نقول: ((على الله)) متعلق بأيش؟ بيقولون على أنها مضمنة معنى يفترون . وقوله: ((**وهم يعلمون**)) الجملة حال من الواو في قوله: ((**يقولون**)) يعني يقولون وهم يعلمون أنهم كاذبون؛ فيكون قولهم أشد من قول من يقول الكذب وهو لا يعلم أن كذب . ثم قال الله عز وجل: ((**بلى**)) بلى حرف إبطال في هذا المقام أو في هذا سياق؛ لما قالوا وهو ((**ليس علينا في الأميين سبيل**)) أي بلى عليهم سبيل؛ لأنهم إذا خانوا الأمانة فإن عليهم سبيل، كل من خانة أمانته فعليه سبيل هم أو غيرهم؛ فيكون قوله: ((**بلى**)) حرف جيء به لإبطال ما ادعوه في قولهم: ((**ليس علينا في الأميين سبيل**)) . ثم قال: ((**من أوفى بعهده واتقى**)) من الجملة هذه استئنافية ؛ ويأتي أعرابها في آخر الكلام على الآية؛ ((**من أوفى بعهد واتقى**)) أوفى بمعنى أتم فهي فعل ماضي وليست اسم تفضيل؛ ((**من أوفى**)) يعني أتم بعهده؛ أي بما عاهد غيره واتقى الله في هذا الإيفاء فإن الله يحب المتقين . قوله: ((**من أوفى بعهده**)) معناه قلنا بعهده أي بالعقد الذي عاقد عليه؛ وهل العقد عهد ؟ نعم العقد عهد؛ فإن المتعاقدين يعاهد كل واحد منهما الآخر على إتمام ما تم العقد عليه وإن لم يذكر العهد باللفظ؛ لكن هذا مقتضى العقد، مقتضى العقد أني إذا عاقدت معك أن أوفي لك بما تم العقد عليه؛ فيكون كل عقد أيش؟ عهدا . قال: ((**بلى من أوفى بعهده**)) أي بما عاهد عليه غيره من العقود وغيرها

لكن هذا مقتضى العقد ، مقتضى العقد أني إذا عاقدت معك أن أوفي لك بما تم العقد عليه ؛ فيكون كل عقد أيش ؟ عهدا . قال : ((**بلى من أوفى بعهد**)) أي بما عاهد عليه غيره من العقود وغيرها ومنها لأمانة ؛ إذا ائتمنتك على شيء فقد عاهدتك على حفظه . وقوله: ((**واتقى**)) اتقى من ؟ اتقى الله بوفائه بالعهد ؛ ومن اتقاء الله اتقاء الخيانة ، أن لا يقوم . والتقوى مأخوذة من الوقاية ؛ وهي اسم جامع لفعل ما أمر الله به واجتناب ما نهى عنه؛ هذا تقوى: اسم جامع لفعل ما أمر الله به واجتناب ما نهى عنه ؛ فإن ذكرت مع البر اختصت بالمناهي واختص البر بالأوامر كقوله : ((**تعاونوا على البر والتقوى**)) أي على فعل الأوامر واجتناب النواهي؛ أما إذا ذكرت تقوى وحدها فهي شاملة بفعل الأوامر واجتناب النواهي ؛ إذا التقوى اسم جامع لفعل ما أمر الله به واجتناب ما نهى عنه ؛ ولفظها يدل على هذا لأنها مأخوذة من الوقاية ولا وقاية من عذاب الله إلا بفعل أوامره واجتناب نواهيه هذه هي التقوى . وقال بعض العلماء: التقوى أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجوا ثواب الله؛ فجمع بين العلم والعمل والاحتساب ؛ أن تعمل بطاعة الله هذا أيش ؟ العمل ؛ على نور من الله العلم؛ ترجوا ثواب الله احتساب ؛ وأن تترك ما نهى الله على نور من الله تخشى عقاب الله ؛ أيضا جمع بين العلم والعمل والاحتساب ؛ وقال الآخرون في تعريف التقوى :

خل الذنوب صغيرها وكبيرها ذاك التقى واعمل كماش فوق أرض الشوك يحذر ما يرى

لا تحقرن صغيرة إن الجبال من الحصا

وهذا أيضا لا ينافي ما سبق؛ لكن اختلاف التعبير ، الاختلاف في التعبير . وقوله : ((**فإن الله يحب المتقين**)) هنا قال : ((**فإن الله يحب المتقين**)) ولم يقل : فإن الله يحبه ؛ ومثل هذا التعبير يسمى الإظهار في موضع الإضمار . والإظهار في موضع الإضمار له فوائد منها: تنبيه المخاطب ووجه ذلك أن الكلام إذا كان على نسق واحد لم يكن فيه ما يستدعي الانتباه أليس كذلك ؟ هذا يمشي ؛ المخاطب أو المتكلم ما يكون في كلامه ما يستدعي للانتباه فإذا تغير الأسلوب وجاء الاسم مظهرا في موضع الإضمار فإن الإنسان ينتبه لأيش ما قال: فإن الله يحبك ؟ ثانيا: أن في الإظهار في موضع الإضمار التعليل للحكم الذي جاء فيه الإظهار في موضع الإضمار ؛ وذلك أن قوله: فإن الله يحبه ليست في إظهار العلة كقوله: ((**فإن الله يحب المتقين**)) لأنه إذا قال : ((**فإن الله يحب المتقين**)) لماذا ؟ لتقواهم فأفاد العلة . ثالثا : أنها تفيد التعميم أي كل من يعمه هذا المظهر؛ واقرأ قول الله تعالى: ((**من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين**)) ولم يقل: فإن الله عدو له ؛ لأجل أن يشمل كل كافر سواء كان كفره بهذه العداوة أو بغيره ؛ فيكون في هذا تعميم الحكم ؛ ((

فإن الله يحب المتقين)) . نأخذ الفوائد من هذه الآيات . من هذه الآيات بيان: أن أهل الكتاب انقسموا في الأمانة إلى قسمين ؛

الطالب : بقي الإعراب ؛

الشيخ : نعم ؟ الإعراب ؛ نعم نعم الإعراب طيب ؛

((**بلى من أوفى بعهده**)) من هذه اسم شرط جازم ؛ و ((**أوفى**)) فعل الشرط؛ ((**واتقى**)) معطوف عليه؛ وجملة ((**فإن الله يحب المتقين**)) جواب الشرط . ولكن قد تقول: لماذا اقترن جواب الشرط بالفاء مع أن الشرط في قوله: ((**من إن تأمنه بدينار يؤده**)) و((**لا يؤده**)) ليس فيها فاء ؟ والجواب على ذلك أن نقول: إذا كان جواب الشرط لا يصلح أن يكون فعلا للشرط وجب اقترانه بالفاء ؛ عرفتم ؟ إذا كان جواب الشرط لا يصلح أن يكون فعلا للشرط وجب اقترانه بالفاء؛ قال ابن مالك:

واقرن بفاء حتما جوابا لوجعل شرطا لإن أو غيرها لم ينجعل

هذا الضابط؛ إذا كان جواب الشرط لا يصلح أن يكون فعلا للشرط وجب اقترانه بالفاء؛ وهذا هو الضابط وتفصيل هذا الضابط مذكور في البيت المشهور:

اسمية طلبية وبجامد وبما وقد وبلن وبالتنفيس

هذه سبعة مواضع ؛ فإذا جاء جواب الشرط أحد هذه السبعة وجب اقترانه بالفاء ؛ الجملة هنا ((**فإن الله يحب المتقين**)) طلبية ؟ اسمية صحيح ؛ لأن ((**الله يحب المتقين**)) مبتدأ خبر لكنه منصوب بإن ؛ فالجملة هنا اسمية . هذه الآيات من فوائدها أولا: بيان انقسام أهل الكتاب إلى قسمين؛ أمين؛ وخائن؛ كما انقسموا إلى قسمين: مؤمن وكافر؛ فمثلا عبد الله بن سلام رضي الله عنه كان من أحبار اليهود ومن الله عليه بالإسلام فأسلم؛ كذا؟ وكعب بن أشرف من أشراف اليهود ولكنه بقي على كفره فلم يؤمن؛ فهم كما انقسموا إلى كافر ومؤمن انقسموا أيضا إلى خائن وأمين؛ ولقد آمن النبي صلى الله عليه وسلم اليهود ومات ودرعه مرهونة عند يهودي وهذا يدل على أن من اليهود من هو أمين وإلا كيف الرسول صلى الله عليه وسلم يرهن درع وهو من آلات الحرب عند هذا الرجل اليهودي؛ لكنه كان أمينا . من فوائد الآية: أنه يجب الحذر من أهل الكتاب، اليهود والنصارى؛ لأنهم ماداموا ينقسمون إلى قسمين فإننا لا ندري حينما نعاملهم من أي القسمين هؤلاء؛ فيجب

علينا الحذر لاسيما إذا تبين لنا أنهم خونة أهل غدر وأنهم لا يسعون لمصالحنا أبدا كما هو الواقع، فإن الواقع في الوقت الحاضر فإن اليهود والنصارى لا يسعون أبدا لصالح المسلمين؛ بل يسعون للإغرار بالمسلمين والإفساد عليهم حتى إنهم إذا رأوا الدولة متجهة إلى الإسلام من دول المسلمين فإنه يحاولون إسقاطه والتضييق عليه من ناحية الاقتصادية والسياسية والعسكرية وهذا شيء يعرفه كل من تدبر وتأمل في الحوادث اليوم؛ إذا يجب علينا أن نحذر غاية الحذر من اليهود والنصارى وأن نعلم بأن اليهود والنصارى كل واحد منهم ولي للآخر كما قال الله تعالى: ((**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض**)) مهما طال الأمد فهم أولياء ضد عدو مشترك وهم المسلمون أي نعم . ومن فوائد هذه الآية الكريمة: جواز الاقتصار على المثال ليقاس عليه ما يشبهه؛ لأنه قال: قنطار ودينار؛ طيب ولو ائتمنته على سيارة أو على لعبة صبي مثلها ؟ نعم من أهل الكتاب من إن تأمنه بلعبة صبي لا يؤدها إليك إلا مادمت عليه قائما؛ ومنهم من إن تأمنه على السيارة هو يردها إليك سالما؛ لكن ذكر الله الدينار والقنطار على سبيل التمثيل . ومن فوائد هذه الآيات: إعجاب أهل الكتاب بأنفسهم واحتقارهم لغيرهم؛ لأنهم قالوا: ((**ليس علينا في الأميين سبيل**)) وهذا يدل على العجب بالنفس واحتقار الغير . ومن فوائدها: أن أهل الكتاب لا يقتصرون على الظلم العدوان ويجعلون ذلك انتقاء أنفسهم؛ بل يسبونه إلى شريعة الله؛ ودليل ذلك قوله تعالى: ((**ويقولون على الله الكذب**)) فهنا يقولون على الله الكذب في هذا وفي غيره . ومن فوائد هذه الآيات: أن من افترى الكذب على الله فيما يفتي به أو يحكم بين الناس ففيه شبه بمن؟ باليهود والنصارى؛ وقد وجد في هذه الأمة من يفتري الكذب على الله سواء في الحكم بين الناس أو في الفتوى التي ليست بحكم ولكنها إخبار عن الشرع . ومن فوائد الآية الكريمة: أن من افترى على الله الكذب وهو يعلم أشد إثما وعدوانا ممن لا يعلم؛ وإن كان كل منهم على خطأ لكن ليس المتعمد كغير المتعمد؛ ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: (**من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار**) . ومن فوائد ذلك الإشارة إلى أن الجهل المركب أقبح من الجهل البسيط؛ ما وجه ذلك ؟ لأن الذي يكذب وهو يعلم أقبح من الذي يكذب ولا يعلم؛ فالجاهل المركب الذي يتقدم بالشيء وهو يعلم أنه ليس عنده علم أقبح من الشخص الذي يرى أن هذا هو العلم . ومن فوائد الآيات: الثناء على الموفين بالعهد؛ لقوله: ((**بلى من أوفى بعهده واتقى فإن الله يحب المتقين**)) . ومن فوائدها: أن الوفاء بالعهد من أسباب محبة الله؛ لقوله: ((**فإن الله يحب المتقين**)) . ومن فوائدها أيضا: أن تقوى الله عموما سبب لمحبته . ومن فوائد الآيات: الرد على الأشاعرة وغيرهم من أهل التعطيل الذين أنكروا محبة الله، وقالوا إنه لا يجوز أن تثبت أن الله يحب ؛ إذا أثبتت أن الله يحب فقد وصفت الله بالنقص والعيب ؛ لأن هذا من خصائص المحدثات؛ ولأن المحبة لا تكون إلا بين شيئين متناسبين؛ فكيف تثبت أن الله

يحب ؟ أثبتها الله لنفسه قالوا ليس المراد بإثبات المحبة نفس المحبة ، المراد بذلك لازمها وهو الإثابة فمعنى ((**يحب المتقين**)) يعني يثيب المتقين ؛ أما أن يكون يحبهم فكلا وبلا ؛ العلة قالوا ؟ لا تكون المحبة إلا بشيئين متناسبين ولأن المحبة من صفات المحدثين فلا تليق لله عز وجل؛ ولكننا نقول هذا تحريف للكلمة عن مواضعها؛ لأن النصوص لا تكاد تحصر في إثبات محبة الله، وأنه يحب ويحب ؛ ((**فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه**)) والمحبة غير الثواب ؛ إذا أحب الله العبد أثابه؛ فالإثابة من لازم المحبة؛ وقولهم إنها لا تكون إلا بين المتناسبين هذا غير صحيح؛ فقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في أحد: (**جبل يحبنا ونحبه**) وأين المناسبة بين البشر والجبل ؟ وثبت بالواقع المحسوس أن بعض الحيوان يحب البشر؛ فالناقة تحب صاحبها وتأتي إليه من بين الناس وتبرك عنده ولو جاء أحد غير صاحبها لنفحته برجلها أو أبعدته بفمها لكن صاحبها تحن إليه وتجلس عنده وإذا سمع صوته وإن لم ترى حنت وكذلك بقية الحيوان شيء مشاهد وهذا محبة ؛ الآن الهرة تحب بعض أهل البيت دون بعض إذا جاء أحد أهل البيت الذين لا تحبهم هربت كشت عليه وإذا جاء الذي تحب وكنت منه وجعلت تتمسح به وهذا شيء مشاهد ؛ ما الذي تمسح بهذا وتهاديه وتجلب وده والثاني تهرب منه وتؤاتبه ؟ المحبة ما فيه شك هذا شيء مشاهد ؛ فدعواهم الآن بأن المحبة لا تكون إلا بشيئين يكذبوها السمع والواقع ؛ السمع لقول النبي صلى الله عليه وسلم في أحد: (**جبل يحبنا ونحبه**) والواقع ما يحتاج إلى إقامة البينة لأن كل واحد يعرف ؛ ((**بلى من أوفى بعهده واتقى فإن الله يحب المتقين**)) . ثم قال: ((**إن الذين يشترون**)) خرج الوقت ؟ طيب

السائل : قوله تعالى: ((**ومن أهل الكتاب**)) من هنا هل هي للتبعيض ؟

الشيخ : لا هذه للتبعيض بعض منهم نعم؛ وبعض الآخر ((**من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك**)) . فيها حقيقة فائدة في الآية وهو أنه ينبغي مراقبة الخائن وا لقيام عليه ؛ فإذا أعطيت مالك من ليس بأمين فإنه ليس من الحزم ولا من العزم أن تدعه؛ بل احترز منه؛ وإذا كان هذا في الائتمان على الأموال فالائتمان على الأعراض من باب أولى ؛ ولهذا حذر النبي صلى الله عليه وسلم من الدخول على النساء وقال: (**إياكم والدخول على النساء قالوا يا رسول الله أرأيت الهمو ؟ قال الهمو الموت**) فكل شيء تخشى منه تضييع الأمانة فاحرص على أن تكون مراقبا عليه وقائما عليه ؛ ولهذا قال: ((**إلا مادمت عليه قائما**)) .

السائل : الإنسان يأتي إليه بعض الدعوات دعوة رسومية ؛

الشيخ : أيش لون ؟

السائل : دعوات ليست منتشرة وليست قوية في احتجاج بالأمية نحن أمة أمية فهل هذه تزكية ؟

الشيخ : لا ما هي تزكية ، الأمية عيب ذكر ها الله تعالى في صفة القدح فقال: ((**ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني**)) وأشار إليها أيضا في قوله: ((**هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين**)) والضلال لا أحد يراه المدح ولكنها بالنسبة للرسول صلى الله عليه وسلم تزكية لأن كونه أميا ويأتي بهذا الكتاب العظيم يدل على أنه صادق ؛ لأن الأمي لا يمكن أن يأتي بمثل هذا الكتاب كما قال الله تعالى: ((**وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون**)) ونحن أمة أمية كما قال الرسول عليه الصلاة والسلام لكن بعد أن فتح الله علينا وآتانا العلم والحكمة صرنا أمة علمية لا أمة أمية .إذا قال قائل: هذا ينتقض عليك ؛ لأن الرسول قال: (**إنا أمة أمية**) في المدينة بعد أن نزل عليه الكتاب ؟ نقول نعم هو قاله باعتبار الهلال، باعتبار الهلال ؛ ونحن باعتبار هلال حتى بعد الفتوحات أمة أمية لا ندري عن حساب الأهلة ولا نعرفها أي نعم .

السائل : هل قوله تعالى: ((**ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني**)) في أهل الكتاب ؟

الشيخ : له وجه ؛ لأن قوله تعالى: ((**ومنهم أميون**)) يحكي عن أهل الكتاب ؛ لأنهم لا يعرفون القرآن الكتاب إلا أماني إلا قراءة ؛ وهذه فيها ذنب للذين يعتنون باللفظ القرآن ويغفلون عن المعاني ؛ بعض الناس يعتني بألفاظ القرآن وتجده يصل إلى حد الوسواس في إظهار بعض الحروف بناء على أنه يريد أن يظهره على حسب التجويد أو قواعد التجويد عنده ؛ لكنهم في المعنى لا يعرفون لا يعتنون به إطلاقا ؛ فهم أميون ؛ ولهذا أنكر شيخ الإسلام رحمه الله على مثل هؤلاء الذي يبالغون في إظهار الحروف وصفات الحروف وهم غافلون عن معاني القرآن . ((**إن الذين يشترون بعهد الله وإيمانهم ثمنا قليلا أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيمة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم وإن منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعملون ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم**

جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا بلى قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين)) . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم قال الله تعالى: ((**إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم**)) أظن ما سبق قد أخذنا فوائدها؛ ما انتهينا ؟ إلى ؟ . من فوائد الآيات السابقة وهي قوله تعالى: ((**ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا مادمت عليه قائما**)) . من فوائدها: أن هؤلاء الخونة من اليهود عندهم ما يلبسون به باطلهم في قولهم: ((**ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل**)) . ومن فوائدها: بيان ما كان عليه اليهود من إعجابهم بأنفسهم واحتقارهم لعباد الله . ومن فوائدها: أن هؤلاء اليهود يقولون على الله الكذب فيفترون وهم كاذبون؛ وهذا أسوأ ممن يقول الكذب وهو جاهل . ومن فوائدها: أن اليهود وغيرهم سواء؛ بأن كل من اعتدى على أحد فعليه السبيل؛ ولهذا قال الله عزوجل: ((**ويقولون على الله الكذب**)) وهو يدل على أن الأميين وغيرهم سواء في تحريم الاحتجاج عليهم . ومن فوائد الآيتين: أن هؤلاء اليهود عليهم السبيل في الأميين سواء اعتدوا على دمائهم أو أموالهم أو أعراضهم؛ لقوله تعالى: ((**بلى**)) أي عليهم سبيل في الأميين كما أن عليهم سبيلا فيما لو اعتدى بعضهم على بعض . ومن فوائدها: أن الوفاء، العهد والتقوى من أسباب محبة الله؛ لقوله: ((**بلى من أوفى بعهده واتقى فإن الله يحب المتقين**)) . ومن فوائدها: إثبات محبة الله؛ لقوله: ((**فإن الله يحب المتقين**)) . فإذا كان الله تعالى يحب المتقين فيتفرع على ذلك فائدة أخرى وهي: الحث على تقوى الله؛ لأن كل إنسان يحب أن يحبه الله عزوجل؛ فإذا أردت ذلك فما عليك إلا أن تقوم بتقوى الله . محبة الله سبحانه وتعالى متعلقة بالعامل، ومتعلقة بالعمل ، ومتعلقة بالزمن، ومتعلقة بالمكان ؛ متعلقة بالعامل كما في هذه الآية: ((**يحب المتقين**)) وكما في قوله تعالى: ((**إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا**)) وكما في قوله: ((**وأحسنوا إن الله يحب المحسنين**)) . ومتعلقة بالعمل: (**أحب الأعمال إلى الله الصلاة على وقتها**) الصلاة أحب الأعمال إلى الله الصلاة على وقتها. متعلقة بالزمن (**ما من أيام العمل الصالح فيهن أحب إلى الله من هذه الأيام العشرة**) وقد يقال إن هذا متعلق بالعمل لا بالزمن . متعلقة بالمكان: كمحبة الله سبحانه وتعالى لمكة كما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال فيها: (**إنك لأحب البقاء إلى الله**) . فمحبة الله إذا متعلقة بالعامل، والعمل ، والزمان، والمكان . ثم قال الله تعالى: ((**إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا**)) هذه الآية لها صلة بما قبلها وهي أن هذا العمل من جنس العمل السابق الذين يأكلون أموال الناس بالباطل فهذه الآية

فيها أيضا نوع من أكل أموال الناس بالباطل . قوله: ((**يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا**)) يقال: ((**يشترون**)) ويقال: ((**يشرون**)) ؛

الشيخ : فما الفرق بينهما يا بخاري ؟ الفرق بين يشترون ويشرون ؟

الطالب : في المعنى ؟

الشيخ : أي معنى ؛

الطالب : ما بينهما فرق

الشيخ : ما بينهما فرق؟ لا، بينهما فرق ؛ بندر ؟

الشيخ : يشرون أي يبيعون ؛ يشرون يعني يبيعون ؛ ويشترون ؟ يعني يشترون ؛ فالبائع يعني المعطي والمشتري آخذ ؛ الشاهد لهذا من القرآن قوله تعالى: ((**فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا في الآخرة**)) يعني يبيعون الحياة الدنيا في الآخرة؛ وقوله تعالى: ((**ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله**)) أي يبيع نفسه؛ وأما الاشتراء الذين بمعنى الأخذ ففي مثل هذه الآية: ((**إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا**)) يعني يأخذون ثمنا قليلا بعهد الله فينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويحلفون على الكذب بالأيمان من أجل الدنيا؛ وقوله: ((**بعهد الله**)) يحتمل أن يكون المراد بما عاهدوا الله عليه ويحتمل أن يكون المراد بما عاهدوا الخلق عليه؛ فأما على الأول أي بما عاهدوا الله عليه فهو ظاهر من الآية لأن الله أراد العهد إليه ؛ فمثاله أن يكتم العالم علمه من أجل عرض من الدنيا؛ فإن الله عهد إلى العلماء أن يبينوا العلم ((**وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيينه للناس ولا تكتمونه**)) . فإن قال قائل : كيف أخذ الله العهد على العلماء ونحن لم نعلم أن أحدا من العلماء أجرى صفقة عهد مع الله ؟ هل علمتم أن عالما من العلماء أجرى صفقة عهد مع الله ؟ لا ؛ لكن لما أعطى الله العلماء العلم كان إعطائهم إياه عهدا بأن يقوموا بنشره وإعلانه بين الخلق ؛ فإذا لم يقوموا بذلك فإنهم لم يفوا بعهد الله . القول الثاني: ((**يشترون بعهد الله**)) أي بعهدهم مع الناس وأضافه الله إلى نفسه بعهد الله لأنه أمر بالوفاء به؛ قال الله تعالى: ((**وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها**)) فسمى الله معاهدة الناس المؤمنين لغيرهم سماها أيش؟ عهدا له ((**وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم**)) مع أنهم ما عاهدوا الله وإنما عاهدوا الخلق؛ لكنه أضافه إلى نفسه لأنه أمره بالوفاء به فصح أن قال: ((**أوفوا**

بعهد الله)) إذا ((**إن الذين يشترون بعهد الله**)) يشمل المعنيين جميعا أي بما عاهدوا الله عليه ؛ أو بما عاهد الخلق عليه؛ فعلى الوجه الأول معنى ظاهر واضح ما فيه إشكال ؛ وعلى الثاني فيه شيء من الإشكال حيث سمي عهد المخلوقين عهدا لله ولكن الجواب عنه أنه قال أضافه الله لنفسه لأنه أمر بوفائه . وقوله: ((**وأيمانهم**)) يعني ويشترون أيضا بأيمانهم ثمنا قليلا ؛ والأيمان جمع يمين وهي الحلف بالله عزوجل؛ فيشترون باليمين ثمنا قليلا مثل أن يحلف على جهد حق واجب عليه ؛ أو يحلف على دعوى حق ليس له؛ مفهوم يا آدم ؟ يحلف على جهد حق واجب عليه؛ أو يحلف على دعوى حق ليس له وهو كاذب؛ وهذه هي اليمين الغموص التي قال عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**من حلف على يمين وهو فيها فاتر يقتطع بها مال امرئ مسلم لقي الله وهو عليه غضبان**) . أعوذ بالله . لقي الله وهو عليه غضبان؛ وقوله: هو فيها فاتر يعني كاذب؛ فهذا اشترى باليمين ثمنا قليلا؛ مثال اليمين في دعوى ما ليس له: أن يدعي على شخص أن في ذمته له مائة ريال فيقول الشخص ليس عندي شيء ؛ فيقول القاضي للمدعي هل عليك بينة ؟ فيقول المدعي لا ؛ فيقول القاضي للمنكر احلف؛ فيقول لا أحلف؛ حلفه هو وإذا حلف أنا أعطيك ؛ فيحلف المدعي بأن في ذمة فلان له مائة ريال وهو يكذب ؛ هذا حلف على أيش؟ على أي شيء ؟ على دعوى ما ليس له ؛ حلف بأن في ذمة فلان مائة ريال لي وحكم له ؛ هذا اشترى باليمين أيش ؟ ثمنا قليلا . الحلف على إنكار ما يجب عليه مثل يا أحمد ؟ أن يدعي على شخص بأن في ذمته له مائة درهم فينكر المدعى عليه وهو يعلم أن في ذمته مائة درهم لفلان ويحلف على أنه ليس في ذمته له شيء ؛ هذا حلف على أيش؟ على إنكار ما يجب عليه ؛ القاضي في مثل هذه الحال يبرئ المدعى عليه ؟ نعم يبرئ ويخلي سبيله لأنه حلف ؛ فكلا الرجلين اشترى بيمينه ثمنا قليلا ؛

الشيخ : ما هو الثمن القليل في المثال يا أخ ؟ الثمن القليل؟ أيه المثال الذي ذكرنا ما هو الثمن القليل فيه ؟

الشيخ : أين وصلت ؟

الشيخ : وين رحت ؟

الطالب : موجود ؛

الشيخ : والقلب ؟

الطالب : موجود ؛

الشيخ : في الصدر ؟

الشيخ : طيب يا أحمد أنت جاره ؟ نعم في المثالين الذين ذكرنا ؟

الطالب : الأول مائة ريال؛

الشيخ : والثاني ؟ عسى الله أن يسهل عليك وواحد يكملها ؛ واحد لا شيء عنده واحد عنده نصف ؛ من عنده الكل ؟ نعم .

الطالب : في المثال الأول مائة ريال وفي المثال الثاني مائة درهم ؛

الشيخ : أحسنت تمام ؛ المثال الأول مائة ريال والثاني مائة درهم واضح ؟ كل منهما اشترى بيمينه ثمنا قليلا .

الشيخ : لو قال قائل: أرأيتم لو اشتريت بهذا اليمين ثمنا كثيرا ، حلف على مليون ؟

الطالب : قليل، هو قليل ؛

الشيخ : إما أن نقول إنه قليل؛ لأن الله تعالى قال: ((**قل متاع الدنيا قليل**)) قل متاع الدنيا كلها قليل؛ وإما أن نقول : من اشترى بالقليل ثمنا قليلا فكذلك من اشترى بالكثير ؛ المهم أنه انتهك حرمة اليمين بشيء من الدنيا . قال: ((**أولئك لا خلاق لهم في الآخرة**)) أولئك المشار إليهم الذين اشتروا بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا؛ وقوله: ((**لا خلاق لهم في الآخرة**)) أي لا نصيب لهم في الآخرة كما قال تعالى: ((**وما لهم في الآخرة من خلاق**)) ((**فمنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق**)) أي نصيب ((**ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار أولئك لهم نصيب**)) قال: ((**أولئك لهم نصيب**)) في مقابل قوله: ((**لا خلاق**)) فدل هذا على أن الخلاق هو النصيب ؛ ((**لا خلاق لهم في الآخرة**)) يعني في الدار الآخرة وذلك يوم القيمة ؛ وسمي يوم القيمة دارا آخرة لأنه هو آخر مراحل البشر بل الخلق؛ فالإنسان له مراحل في هذه الدنيا، في بطن الأم، وفي الدنيا، وفي البرزخ، وفي الآخرة؛ كم دارا؟ أربعة دور؛ وفي الدار الأولى له حالان: حال الحياة وحال الموت؛ فهو قبل أن تنفق فيه الروح ميت؛ وبعد أن تنفخ فيه الروح حي؛ آخر مرحلة هي أيش؟ الآخرة إما إلى الجنة وإما إلى النار؛ ولهذا قال: ((**لا خلاق لهم في الآخرة**))؛ وفي الدنيا ؟ يمكن أن يكون لهم الخلاق، يمكن أن يكون لهم نصيب من هذا الذي اشتروه، هذا الثمن الذي اشتروه يكون لهم نصيب؛ أرأيت لو حلف على دعوى مليون ريال لجاءه أيش؟ مليون ريال؛ هذا نصيب في الدنيا؛ لكنه والله بئس النصيب ؛ لو ساوت الدنيا جناح بعوضة لم يسقي منها الرب ذا الكفران لكنها والله أحقر عنده

من ذا الجناح القاصر الطيران ؛ كل الدنيا ليست بشيء . ((**ولا يكلمهم الله**)) يعني وأولئك أيضا لا يكلمهم الله تكليم رضا ولكن قد يكلمهم تكليم إهانة؛ فإن الله يقول لأهل النار: ((**اخسئوا فيها ولا تكلمون**)) وهذا كلام من الله؛ لكنه كلام تقريني وتوبيخ و إهانة؛ والمنفي هو تكليم الرضا ((**لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم**)) يعني ولا ينظر إليهم نظر رحمة وعطف ورأفة؛ وذلك لأنهم ليسوا أهلا للرحمة قال الله تعالى: ((**ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها**)) لمن ؟ ((**للذين يتقون ويؤتون الزكاة**)) وأما غيرهم فليس لهم من رحمة الله نصيب في الآخرة؛ ((**ولا ينظر إليهم يوم القيمة**)) يوم القيمة هو يوم البعث وسمي يوم القيمة لأمور ثلاثة ؛ الأول ؟ لقيام الناس من قبورهم؛ والثاني ؟ يوم يقوم الأشهاد؛ والثالث ؟ يقام فيه العدل ((**وضع الموازين القسط ليوم القيمة فلا تظلم نفس شيئا**)) ؛ ((**ولا يزكيهم**)) يعني لا يطهرهم من آثار رجسهم التي تلوثوا بها في الدنيا؛ فآثامهم باقية لا تغفر . والعياذ بالله .؛ فلا زكاء عند الله لأنهم ليسوا أهلا للتزكية

((**لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم**)) يعني ولا ينظر إليهم نظر رحمة ، وعطف ، ورأفة ؛ وذلك لأنهم ليسوا أهلا للرحمة، قال الله تعالى: ((**ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها**)) لمن ؟ ((**للذين يتقون ويؤتون الزكاة**)) وأما غيرهم فليس لهم من رحمة الله نصيب في الآخرة ؛ ((**ولا ينظر إليهم يوم القيمة**)) يوم القيمة هو يوم البعث وسمي يوم القيمة لأمور ثلاثة :

الشيخ : الأول ؟

الطالب : لقيام الناس من قبورهم.

الشيخ : والثاني ؟

الطالب : يوم يقوم الأشهاد .

الشيخ : والثالث ؟

الطالب : يقام فيه العدل

الشيخ : ((**وضع الموازين القسط ليوم القيمة فلا تظلم نفس شيئا**)) ؛

((**ولا يزكيهم**)) يعني لا يطهرهم من آثار رجسهم التي تلوثوا بها في الدنيا؛ فآثامهم باقية لا تغفر . والعياذ بالله .؛ فلا زكاء عند الله لأنهم ليسوا أهلا للتزكية؛ ولهذا ينادى يوم القيمة على الظالمين: ((**هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين**)) يعني طرد وإبعادهم عن رحمته؛ ((**ولهم عذاب أليم**)) ((**لهم عذاب**)) العذاب معناه النكال والعقوبة؛ ((**أليم**)) بمعنى مؤلم؛ لأن فعيل في اللغة العربية تأتي على عدة أوجه، فتأتي بمعنى فاعل وتأتي بمعنى مفعول، وتأتي بمعنى مفعل؛ ثلاث؛ مثالها بمعنى فاعل ؟ سميع، بصير، رحيم كلها بمعنى فاعل؛ مثالها بمعنى المفعول: قتيل، جريح، ذبيح وما أشبهها ؛ مثالها بمعنى مفعل هنا هذه الآية: ((**أليم**)) بمعنى مؤلم؛ ومنه قو الشاعر:

أمن ريحانة الداعي السميع يؤرقني وأصحابي هجور

الشاهد قوله: السميع؛ ما هو ليس معناه الداعي الذي يسمع بل معناه الداعي الذي يسمع يعني الداعي المسمع يؤرقني يعني يطرد النوم عني وأصحابي هجور؛ طيب إذا ((**أليم**)) بمعنى مؤلم؛ هذا هو معنى الآية في

كلماتها ولنرجع الآن إلى الإعراب؛ الإعراب: لدينا جملة مؤكدة بإن ؛ وإن كما نعلم تنصب المبتدأ وترفع الخبر؛ فأين اسمها؟ اسمها الذين وهو اسم موصول ؛ خبرها جملة: ((**أولئك لا خلاق لهم في الآخرة**))؛ أولاء مبتدأ أين خبر أولاء ؟ جملة: ((**لا خلاق لهم في الآخرة**)) فصار لدينا الآن مبتدأ خبره جملة وخبر الخبر الذي هو خبره أيضا جملة صح ؟ طيب وقوله: ((**لا خلاق لهم**)) ما الذي نصب ((**خلاق**)) ؟ اسم لا، ولا هنا نافية للجنس؛ واسمها الذي بعدها إذا كان مفردا فإنه يبنى على ما ينصب به؛ خليكم معنا ! اسمها إذا كان مفردا فإنه يبنى على ما ينصب به؛ طيب لماذا لا نقول ينصب على الفتح ؟ لأنه قد يبنى على غير الفتح، قد يبنى على الياء، قد يبنى على الكسرة؛ ولهذا نقول: على ما ينصب به؛ فإذا قلت: لا رجلين في البيت؛ هذا مبني على أيش؟ على الياء، مبني على الياء؛ وإذا قلت: لا مسلمات في الدار؛ هذا مبني على أيش؟ على الكسرة ليس على الفتحة؛ وإذا قلت: لا مسلمين في البلد؛ على الياء؛ إذا فنحن نقول: على ما ينصب به أولى من أن نقول مبني على الفتح . طيب أنا قلت: إذا كان اسمها مفردا فكيف يصح قولي هذا مع أني مثلت بمسلمين ومسلمين ومسلمات ؟ يقول النحويون كالفقهاء لهم اصطلاحات في كل موضع بحسبه؛ المفرد في باب لا، ما ليس مضافا ولا شبيها بالمضاف؛ كذا ؟ يعني ولو كان مجموعا أو مثنى؛ وفي باب الإعراب ما ليس مجموعا ولا مثنى كما أن الغنى عند الفقهاء يختلف في الزكاة له تفسير وفي منع وفي إعطاء الزكاة له تفسير وهكذا . في القراءات في قوله: ((**ولا ينظر إليهم**)) فيها قراءة: ((**إليهم**)) ((**ولا ينظر إليهم**))؛ وعندي قاعدة في هذا مكتوبة عندي في المصحف ننظر إليها؛ يقول: هذه ضوابط في القراءات العامة في جميع القرآن؛ ضمير هو وهي الأولى بضم الهاء والثاني بكسره هو؛ ويقال: هي عند جمهور القراء مطلقا ؛ وسكن الهاء في هما الكسائي وقالوا وأبو عمرو بعد الواو والفاء واللام مثل: فهو، فهي، وهو، لهي، لهو الغنم، لهي الحيوان ؛ إذا ما شاء الله فصحة ((**وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون**)) يجوز قراءة سبعية ؛ ونقول على رأي الجمهور أيش؟ لهي بكسر الهاء ؛ وسكنها الكسائي والقانون أيضا في قوله تعالى: ((**ثم هو يوم القيمة من المحضرين**)) ((**ثم هو**)) ؛ ضمير عليهم، إليهم، لديهم مكسور الهاء وقرأه همزة بضم الهاء؛ عليهم، إليهم ، لديهم مكسور الهاء وإلا لا ؟ ((**غير المغضوب عليهم**))، ((**وما كنت لديهم**))، ((**ولا ينظر إليهم**))؛ يقول وقرأه همزة بضم الهاء ؛ ومنه قوله هنا: ((**ولا ينظر إليهم**))، ((**غير المغضوب عليهم**))، ((**وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون**)) . هذه من فوائدها: تهديد هؤلاء الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا ؛ وينصب هذا على العلماء الذين يكتمون ما أنزل الله مداهنة أو مراعاة أو من أجل مال ؛ فإنه اشتروا بعهد الله ثمنا قليلا ؛ لأن الله عهد العلماء أن يبينوا العلم ؛

الشيخ : وقد مر بنا أن العلماء ثلاثة أقسام وآدم يبينهم لنا ؟

الطالب : عالم الدنيا، عالم الأمة ؛ عالم الدين ،

الشيخ : عالم الدنيا ، وعالم الأمة نعم ؛ هذا من كيسك نعم ,

الطالب : عالم دولة ، وعالم أمة ، وعالم الملة ؛

الطالب : تمام هذا هو، عالم أمة ، وعالم دولة، وعالم ملة؛ طيب عالم الملة هذا لا يشتري بعهد الله ثمنا قليلا يبين ولا يبالي؛ وعالم الدولة يشتري بآيات الله ثمنا قليلا ليكون له جاه عند الدولة وربما ليعطى مالا؛ عالم الأمة هو الذي يراعي الأمة ينظر الأمة ماذا تشتهي الأمة؛ فيفتي به أو يقول به وما لا تشتهيه الأمة يسكت عنه؛ فإذا رأى الامة على شيء غير سائغ في الشرع سكت عنه؛ وإذا طلبوا منه شيئا غير سائغ في الشرع ولكنه يرى أنه يرضيهم وافقهم عليه . من فوائد الآية الكريمة: تحريم اليمين الغموس ؛ لقوله: ((**وأيمانهم**)) . ومن فوائدها: أن اليمين الغموس وعدم القيام بعهد الله من كبائر الذنوب ؛ كون ذلك من كبار الذنوب أمر زائد على كونه محرما ؛ لأن الكبيرة أعظم من مطلق التحريم ؛ وما وجه كونها كبيرة ؟ لأن فيها وعيدا ؛ وكل ذنب رتب عليها وعيد فهو من كبائر الذنوب . ومن فوائد الآية الكريمة: أن من وفى بعهد الله وحلف على صدق فإنه لا يحرم النصيب في الآخرة؛ ووجه: أنه إذا اشترى بآيات الله ثمنا قليلا أو بيمينه لا خلاق له في الآخرة فإن ضده له خلاق ؛ وهذا الطريق من الاستدلال أخذناه من قول الشافعي رحمه الله تعالى على قوله تعالى: ((**كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون**)) قال: في هذه الآية تدليل على رؤية المؤمنين لله ؛ كيف ذلك ؟ لأنه لما حجب هؤلاء في حال الغضب كان دليلا على رؤية الآخرين في حال الرضا . ومن فوائد الآية: إثبات الآخرة ؛ لقوله: ((**لا خلاق لهم في الآخرة**)) . ومن فوائدها: أنه ينبغي للإنسان أن يكون هدفه ومغزاه وما يريد الآخرة ، أن تكون الآخرة هي هدفه ومغزاه وما يريد ؛ ولهذا قال: ((**لا خلاق لهم في الآخرة**)) ولم يقل: في الدنيا؛ لأنه قد يكون لهم نصيب في الدنيا ولكن لا خير فيه . ومن فوائد الآية: إثبات الكلام لله؛ لقوله: ((**ولا يكلمهم الله**)) ووجه ذلك: أنه لو كان الله لا يتكلم لم يكن لنفي الكلام مع هؤلاء فائدة ؛ فلو لا أنه يكلم ما صار عدم تكليمه لهؤلاء عقوبة . ومن فوائدها: أن كلام الله من أفعاله الاختيارية التي يفعلها متى يشاء؛ لأن هذا الكلام الذي نفى الله عنهم نفاه في وقت معين؛ وهو أيش؟ يوم القيمة؛ فدل ذلك على أن الكلام من أفعال الله الاختيارية التي تكون بمشيئته سبحانه وتعالى . ومن فوائد الآية: أن من عقوبة هؤلاء مع حرمانهم من النصيب في الآخرة أن من عقوبتهم أن

الله لا يكلمهم؛ وهذا من أعظم العقوبات . والعياذ بالله .؛ ولهذا كان النظر إلى وجه الله من أفضل الثواب وأعظمه وأعلاه بل هو غاية الثواب والفضل . ومن فوائد الآية الكريمة: إثبات نظر الله؛ لقوله: ((**ولا ينظر إليه**)) . وفيه دليل على إثبات العين لله؛ توافقون على هذا ؟ لا، ينبغي أن لا توافقوا ؛ لأنه لا يلزم من النظر العين؛ كما قلنا إننا نثبت سمع الله ولا نثبت الأذن، لا نثبت الأذن وهذه المسألة يجب أن تت لها لأنه لا يلزم من الكلام وجود اللسان والشفتين ولا يلزم من السمع وجود الأذنين ولا يلزم من النظر العينين ؛ يوم القيمة تحدث الأرض أخبارها؛ فهل لها لسان وشفتان ؟ لا؛ يسبح الحصى بين يدي رسول الله عليه وسلم؛ فهل له شفتان ؟ لا؛ طيب هل تسمع الأرض وإلا ما تسمع؟ تسمع؛ لا، الآن تسمع لأنها تحدث أخبارها فلو لا أنها تسمع ما حدثت؛ ولما قال الله تعالى للسموات والأرض ((**ائتيا طوعا أو كرها**)) خطبه، سمعتا وإلا لا؟ سمعتا؛ ((**فقالتا أتينا طائعين**))؛ وهل لها أذن ؟ لا؛ ما لها أذن؛ هل تنظر وإلا ما تنظر ؟ تنظر؛ ((**يومئذ تحدث أخبارها**)) أي ما عمل عليها كما قال السلف، ما عمل عليها من خير وشر؛ والذي يعمل على الأرض إما قول يسمع وإما فعل ينظر؛ إذا فهي ترى ومع ذلك لا نقول لها عينان؛ فإذا لا يلزم من ثبوت نظر الله ثبوت العين ولكن العين ثابتة بنصوص أخرى؛ فإن لله تعالى عينين اثنتين لا تماثلان أعين الخلق؛ ودليل ذلك قوله تعالى: ((**ولتصنع على عيني**)) وقوله: ((**واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا**))، وقوله: ((**تجري بأعيننا**)) ؛ وقول النبي صلى الله عليه وسلم: (**إن ربكم ليس بأعور**) فكان إثبات العينين ليس من هذه الآية ولكن من أدلة أخرى .

السائل : شيخ أننا قلنا أن الله نفى أن يكلم هؤلاء في هذه الآية وفي آية أخرى قال: ((**اخسئوا فيها ولا تكلمون**)) وتكلم هنا كيف الجمع بينهما ؟

الشيخ : هل جمعنا بينهما يا جماعة ؟ جمعنا فيهما ؛ لكن الظاهر أنه أصاب كما أصاب عيسى ، اسأل عيسى الآن ويش تقول يا عيسى ؟ أيش الجمع بينهما ؟ قوله: ((**ولا يكلمهم الله**)) وفي آية أخرى قال: ((**اخسئوا فيها**)) فكلمهم ؟

الطالب : تكليمهم بمعنى تكليم الرضا ؛

الشيخ : وذاك تكليم غضب وتوبيخ ؛ ولهذا قال: ((**اخسئوا فيها**)) .

السائل : كيف الجمع بين كون أن لله عينين وما جاء بصيغة الجمع ((**بأعيننا**)) ؟

الشيخ : الحديث ، نعتري بالحديث عشان تزول الشبهة التي ذكرت ؛ الجمع من أجل التعظيم كقوله تعالى: ((**مما عملت أيدينا أنعاما**)) مع أن الله ليس له إلا يدان اثنتان .

السائل : هل يقال أن المراد بالعين عين الناظم ؟

الشيخ : والله ما أدري ، أنت إذا قلت لشخص نظرتك بعيني ؛ هل معناه أنك نظرت بعين ناظم؟ أو بعينك؟ ((**تجري بأعيننا**)) عين الله عز وجل .

السائل : يدخل في هذا الوعيد من باع سلعة بحلف كاذب ؟

الشيخ : أي نعم ماذا تقولون ؟ لو حلف أنه اشترى هذه السلعة بمائة وهو كاذب هل يدخل في هذا؟ نعم نعم يدخل؛ ولهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام في حديث أبي ذر الذي أخرج مسلم: (**ثلاثة لا يكلمهم الله إليهم يوم القيمة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم فأعادها ثلاثا قال منهم يا رسول الله خابوا وخسروا قال المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب**) هذا . والعياذ بالله . داخل فيه .

السائل : هل يجوز ائتمان الكفار على الأمانات ؟

الشيخ : والله منهم أمين ومنهم خائن ؛ لكن أعمال الدولة لا ينبغي أن يؤتمنوا فيها، قال الله تعالى: ((**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون**)) وله لما كتب أبو موسى إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال إن عندنا رجلا نصرانيا جيدا في الكتاب والحساب نريد أن نجعله على بيت المال؛ قال لا تجعله؛ كيف تأتمن من خونه الله؛ فكتب إليه مرة ثانية وقال يا أمير المؤمنين إن الرجل جيد نحن بحاجة إليه فرد عليه عمر: من عبد الله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب السلام عليكم، مات النصراني والسلام؛ بس مات نصراني؛ إذا مات تحييه عشان يكتب لك ؟ ما تحييه؛ قدر ؛ ولهذا ذكر شيخ الإسلام في عدة مواضع من كتبه أنه لا يجوز أن يؤتمن غير المسلمين على أسرار المسلمين وأن ذلك من الخيانة وأن ذلك خطر على الدولة الإسلامية ؛ وذكر أظن في مجلد العشرين أشياء عجيبة رحمه الله في خطر هؤلاء على الأمة الإسلامية إذا ولوا أشياء من أسرار الدولة وهو صادق لاشك في هذا ، لاشك إنهم أعداء مهما كان .

السائل : أحسن الله إليك شيخنا ؛ شيخ بعض الأشياء لا يعلمها إلا بعض الكفار فالمسلمون مضطرون إلى هؤلاء ؟

الشيخ : هذا ما تدخل في الموضوع ؛ لأن هذا أمور حسية معلومة ، ما تدخل ؛ ولهذا استأجر النبي صلى الله عليه وسلم رجلا مشركا يدله على الطريق في الهجرة .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم قال الله تعالى؛ آخر ما وقفنا في الفوائد ؟ قال الله تعالى: ((**إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيمة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم**)) . ذكرنا الفوائد لهذه الآية الكريمة ومنها: أن هؤلاء الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا لا ينظر الله إليهم يوم القيمة؛ والمراد به النظر الخاص؛ أما النظر العام فإن الله تعالى لا يحجب عن بصره شيء . ومن فوائد الآية الكريمة: إثبات يوم القيمة، وأنه حق؛ لقوله تعالى: ((**يوم القيمة**)) . ومن فوائدها: إثبات ما تضمنه هذا الوصف وهو أنه يقام فيه العدل؛ ويقوم فيه الناس من قبورهم لرب العالمين؛ ويقام فيه الأشهاد . ومن فوائد الآية الكريمة أيضا: أن هؤلاء المشترين بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا لا يزكيهم الله لا في الدنيا ولا في الآخرة؛ ولهذا جاءت الكلمة ((**ولا يزكيهم**)) بعد قوله: ((**يوم القيمة**))؛ فهؤلاء لا يزكيهم الله تعالى في الدنيا بل يظهر عوارهم ويفضحهم في الدنيا حتى يعرفهم العباد ويعرفوا سقوط عدالتهم وزوال زكائهم؛ كذلك لا يزكيهم الله يوم القيمة، لا يزكيهم الله يوم القيمة فلا يقبل منهم صرفا ولا عدلا . ومن فوائد الآية الكريمة: إثبات العذاب؛ لقوله: ((**ولهم عذاب أليم**)) والعذاب قد يكون في الدنيا وقد يكون في الآخرة؛ والكائن في الدنيا قد يكون بفعل الله وقد يكون بفعل عباد الله الذين هم حزبه؛ فمن أمثلة ما يكون من على يد عباد الله قوله تعالى: ((**قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم**)) وما حصل على الكفار في غزوة بدر وغيرهم؛ ومما يكون من فعل الله ما حصل يوم الأحزاب فإن الأحزاب تفرقوا عن المدينة لا بفعل الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه ولكن بما أرسل الله عليهم من الريح والجنود . ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن إشتراء الثمن القليل لعهد الله واليمين من كبائر الذنوب؛ فإن هذه اليمين هي اليمين الغموس التي تغمس صاحبها في الإثم ثم في النار . ثم قال الله تعالى: ((**وإن منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب**)) ((**وإن منهم**)) الضمير يعود على أهل الكتاب؛ لأن الآيات سياقها واحد وفي أول الآيات قال: ((**ومن أهل الكتاب من إن تأمنه**)) وهنا قال: ((**وإن منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب**)) أللي معناه العطف، عطف ومنه لي الحبل؛ فمعنى ((**يلوون ألسنتهم**)) أي يعطفونها؛ واللي هنا يشمل اللي اللفظي واللي المعنوي؛ واللي اللفظي تارة يأتون بالكلام من عندهم ويقرؤونه قراءة الكتاب

المنزل فيتوهم من الناس، فيتوهم من يسمعه من الناس أنه من الكتاب المنزل يعني يلحن الكلام كما يلحن القرآن؛ فيظنه السامع أنه من عند الله؛ هذا نوع والنوع الثاني: اللي من اللفظي التحريف تحريف الكلمة بلفظه كما حرف بعض المبتدعة قول الله تعالى: ((**وكلم الله موسى تكليما**)) إلى قوله: وكلم الله موسى تكليما؛ يريد بذلك أن يكون التكليم من موسى إلى الله؛ أما التحريف المعنوي فهو تحريف الكلام بغير ما أراده الله به فيقول معنى الآية كذا وكذا على خلاف ما أراد الله به؛ فصار اللي ثلاثة أقسام: لي باللفظ لكنه لا يتعلق بنفس الكلام المنزل إنما بكلام من عنده فيأتي به يتغنى به كما يتغنى بالكتاب المنزل فيظن السامع أنه من عند الله؛ والثاني من اللي: لي اللفظي يتعلق بتغيير هيئة الكتاب المنزل؛ وذلك ما يسمى بالتحريف اللفظي؛ والثالث: اللي المعنوي فيقول معنى الآية كذا وكذا؛ وهذا لاشك أنه لي باللسان ((**يلوون ألسنتهم بالكتاب**)) لأن الكتاب يريد كذا وهم يقولون المراد كذا . طيب من هؤلاء الطائفة ؟ نقول هؤلاء المحرفة الذين يحرفون الكلم عن مواضعه . ((**يلوون بألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب**)) اللام هذه يحتمل أن تكون للتعليل، ويحتمل أن تكون للعاقبة؛ والفرق بينهما أن لام التعليل تحمل على الشيء ولام عاطفة تكون غاية للشيء؛ فمثلا إذا قلت: حضرت لأقرأ؛ فاللام لام التعليل ؛ لأن الذي حملني على الحضور هو القراءة؛ وإذا قلت: اصطدت هذا الصيد ليكون عذابا لي؛ هذه عاقبة، ومنه قوله تعالى: ((**فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا**)) فإن آل فرعون لم يلتقطوه لهذا السبب أبدا ؛ ولو علموا أنه سيكون عدوا وحزنا لهم ما التقطوه؛ طيب هنا ((**لتحسبوه**)) هل المعنى أنهم يلوون ألسنتهم بالكتاب من أجل أن يضلوكم فتظنوا أنه من عند الله ؟ أو أنهم يلوون ألسنتهم بالكتاب من غير قصد فتظنونه من عند الله ؟ الظاهر الأول، أنهم يفعلون هذا ليوهموا الناس أنه من عند الله ((**لتحسبوه من الكتاب**)) أي لتظنوه من الكتاب المنزل وهو الكتاب الملوي الذي حصل فيه اللي والتبديل . قال الله تعالى: ((**وما هو من الكتاب**)) هذا إبطالي لما أرادوه من ليهم ألسنتهم بالكتاب؛ فيظن الظان أنه من الكتاب فقال الله: ((**وما هو من الكتاب**)) . أي الكتاب الذي أشير إليه هنا ؟ التوراة إذا كان هذا اللي واقعا من اليهود؛ والإنجيل إذا كان هذا اللي واقعا من النصارى؛ والكتاب كما تعلمون اسم جنس صالح لهذا وهذا . ((**ويقولون هو من عند الله**)) هو الضمير على ما لوو ألسنتهم بالكتاب ؛ ((**يقولون هو من عند الله**)) فأبطل الله تعالى هذا الدعوى بقوله: ((**وما هو من عند الله**)) ولهذا يحسن للقارئ أن يقف فيقول مثلا: ((**لتحسبوه من الكتاب**)) ثم يقول: ((**وما هو من الكتاب**)) ؛ ((**ويقولون هو من عند الله**)) ويقف ثم يقول: ((**وما هو من عند الله**)) . قال الله تعالى: ((**ويقولون على الله الكذب**)) أيضا هم يقولون على الله الكذب سواء بالتحريف اللفظي أو بالتحريف المعنوي ؛ وقوله: ((**يقولون على الله الكذب**)) سبق لنا نظيرها ؛ وقلنا: إن ((**يقولون**)) هنا

مضمنة معنى يفترون؛ ولهذا تعدت بعلى ؛ ((**ويقولون على الله الكذب**)) يقولون على الله الكذب في أحكامه وفي أفعاله وفي أسماءه وفي صفاته وفي كل ما يتعلق به سبحانه وتعالى؛ فهم مثلا قالوا ((**يد الله مغلولة**)) وكذبوا؛ وقالوا: ((**إن الله فقير**)) وكذبوا؛ وقالوا: إن الله تعب واستراح وكذبوا ، وكل ما وصفوا الله به مما لا يليق به فهم كاذبون فيه؛ وقوله: ((**وهم يعلمون**)) الجملة حالية ؛ حال من الواو في ((**يقولون**)) يعني يقولون الكذب وهم عالمون بأنه كذب فيكون هذا أشد إثما ممن قال الكذب وهو لا يعلم أنه كذب . الشيخ : في هذه الآية من الإعراب أولا: قوله: ((**وإن منهم لفريقا**)) هذه الجملة مؤكدة نعم ؟ مؤكدة بكم مؤكد ؟

الطالب : اللام

الشيخ : وغيرها ؟ وإن؛ طيب .

الشيخ : ((**لفريقا**)) ما الذي نصب فريقا ؟

الشيخ : اللام ؟ ما هي تنصب ؛ أظنك لست من أبناء سيبويه ؟ طيب يلا محمد ؟ الطالب : اسم إن مؤخرا ،

الشيخ : صح.

الشيخ : وقوله: ((**لتحسبوه**)) لماذا حذفت النون ؟

الطالب : لأن اللام الجار ؛

الشيخ : إذا لأنه منصوب ؛ منصوب ؟ حذفت النون لأنه منصوب ناصبه أن المقدرة بعد اللام .

الشيخ : من أي أنواع الأفعال هذا ؟

الطالب : من أفعال الذي ؛ فعل مضارع ؛

الشيخ : ((**لتحسبوه**)) ؛

الطالب : فعل مضارع ؛

الشيخ : أيه من أي أفعال ؟

الطالب : من باب الافتعال ؛

الطالب : من الأفعال الخمسة ؛

الشيخ : ولهذا حذفت النون .

الشيخ : فيها قراءتان: ((**لتحسبه**)) و((**لتحسبوه**)) .

الشيخ : قوله: ((**وما هو من الكتاب**)) هذه "ما" يا صالح ؟

الطالب : نافية ؛

الشيخ : ولهذا اسم خاص عند النحويين ما هو ؟

الطالب : ما نافية ؛

الشيخ : أي نعم ما حجازية ؛ طيب أين اسمها صالح ؟

الطالب : ضمير ؛

الشيخ : أين هو؟ مستتر ؟ لا يستتر الضمير إلا بفعل أو معناه ؛

الطالب : هو ؛

الشيخ : أين هو ؟

الطالب : ((**وما هو**))

الشيخ : طيب أحسنت .

الشيخ : قوله: ((**ويقولون هو من عند الله وما هو عند الله**)) جملة ((**هو من عند الله**)) محلها من الإعراب ؟

الطالب : في محل نصب مقول القول .

الشيخ : ((**الكذب**)) ((**ويقولون الكذب**)) يا فهد ؟ ويش محلها من الإعراب ؟

الطالب : منصوب ؛

الشيخ : على أنها ؟

الطالب : في محل نصب مقول قول ؛

الشيخ : مفعول ((**يقولون**)) ؟

الطالب : أي نعم ؛

الشيخ : طيب نعم .

ثم قال الله تعالى: ((**ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم النبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين** ...)) قوله: ((**ما كان لبشر**)) كلمة ((**ما كان**)) تستعمل في الشيء الممتنع، قال الله تعالى: ((**وما كان ربك نسيا**)) هذا شيء ممتنع النسيان عليه، ممتنع شرعا وممتنع قدرا؛ فقوله تعالى: ((**ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكمة والنبوة ثم يقول**)) هذا ممتنع شرعا وقدرا؛ ((**وما كان ربك نسيا**)) ممتنع قدرا؛ بل ممتنع وصفا لأنه لا يتصور أن يأتي به القدر، مستحيل أن يكون الله تعالى ناسيا أو نسيا؛ ((**وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم**)) ممتنع شرعا ولو شاء أن يعذبهم فيهم لعذبهم؛ لكنه ممتنع شرعا . طيب هنا ((**ما كان لبشر**)) قلنا إنه ممتنع شرعا وقدرا؛ وبشر البشر هو الإنسان من بني آدم، وسمي بشرا لظهور بشرته؛ فإن بشرة الإنسان ظاهرة بارزة ليس عليها شعار ولا صوف ولا وبر ولا ريش ولا بادية؛ وقيل: سمي بشرا لظهور أثر البشارة عليه فيما إذا أخبر بما يسره؛ ولا مانع من أن يكون سمي بشرا لهذا ولهذا؛ والحكمة من أن الله سبحانه وتعالى جعل الآدمي بارز البشرة ليعلم الآدمي أنه مفتقر إلى اللباس الحسي فينتقل من ذلك إلى العلم بأنه مفتقر إلى اللباس المعنوي وهو التقوى؛ وأنه بحاجة إلى أن يعمل الأسباب التي تستره معنى كما هو يعمل الأسباب التي تستره حسا؛ وهذا من حكمة الله عز وجل . يقول: ((**ما كان لبشر**)) أي لواحد من البشر أي إنسان ((**أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة**)) ((**أن يؤتيه الكتاب**)) أي يعطيه إياه إيتاء شرعيا؛ وكذلك إيتاء قدريا؛ ثم والحكم، الحكم يعني بما أوتي من الكتاب كما قال الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ((**وأن احكم بما أنزل الله**)) ((**والنبوة**)) يعني الإخبار بالوحي؛ وإنما قال: ((**والنبوة**)) مع قوله: ((**أن يؤتيه الله الكتاب**)) قال ذلك لأنه قد يطلق إيتاء الكتاب على من أرسل إليهم به، على من أرسل إليهم به لا من أرسل به، كما في قوله تعالى: ((**الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبنائهم**)) ((**الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به**))؛ فالذين أوتوا الكتاب هنا هل هم أنبياء ؟ كلام معلوم وإلا عجمي ؟ ((**الذين**

آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبنائهم)) هل هم أنبياء ؟ ليسوا أنبياء؛ إذا لا يلزم ممن أوتي الكتاب أن يكون نبيا؛ ولهذا قال: ((**والنبوة**)) لئلا يتوهم الواهم أن الذين أوتوا الكتاب هم الذين أرسل إليهم بالكتاب؛ والمراد بالذي أوتي لكتاب هنا الذي أرسل بالكتاب لا الذي أرسل إليهم به؛ بل الذي أرسل بالكتاب إلى غيره . وقوله: ((**النبوة**)) النبوة بتشديد الواو إما أنها من النبوة وهي الارتفاع وعلى هذا فتكون الواو أصلية؛ لأن رتبة النبي أعلى طبقات الخلق، قال الله تعالى: ((**ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا**))؛ وإما أن تكون الواو مسهلة وأصلها نبوءة فتكون مأخوذة من النبأ وهو الخبر؛ وذلك لأن الرسول منبأ ومنبئ؛ منبأ من قبل الله عزوجل؛ منبئ لمن أرسل إليهم يخبرهم ويبشرهم وينذرهم . طيب ((**ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم النبوة**)) لم ينته الكلام بعد؛ لكن الممتنع هو ((**ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله**)) هذا هو الممتنع وهو الذي

لمن أرسل إليه يخبرهم ويبشرهم وينذرهم . طيب ((**ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكمة والنبوة**)) لم ينته الكلام بعد؛ لكن الممتنع هو: ((**ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله**)) هذا هو الممتنع وهو الذي انصب عليه النفي أي ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب بالرسالة، والحكم بين الناس بهذا الكتاب، والنبوة وهي الرفعة، ثم بعد ذلك مع هذا يقول للناس كوني عبادا لي من دون الله؛ ((**كونوا عبادا لي من دون الله**)) أي كونوا متعبدين لي، اعبدوني من دون الله، اعبدوني بالطاعة، اسجدوا لي، اركعوا لي، انذروا لي، وما أشبه ذلك، هذا ما يمكن؛ لأن ما آتاه الله الكتاب والحكمة والنبوة إنما جاء لضد هذه الأشياء، ليمحق هذا الشيء لا ليدعوا الناس إليه . وقوله: ((**كونوا عبادا لي من دون الله**)) إذا قال قائل: هل المراد: اعبدوني ولا تعبدوا الله ؟ أو المراد: اعبدوني وإن عبدتم الله ؟ لأن المسألة إما أن يكون الإنسان عابدا لله وحده؛ أو عابدا لغيره؛ أو عابدا معه غيره؛ عرفتم ؟ أما العابد لله وحده فهذا مخلص؛ والعابد لغير الله دون الله هذا مشرك أو نقول مستكبر عن عبادة الله ومتعبد لغيره؛ والعابد لله ولغيره هذا مشرك؛ فنقول: من دعى الناس إلى عبادته وحده دون الله فهذا قد دعاهم إلى عبادتي دون الله واضح؛ ومن دعى الناس إلى عبادة نفسه ولم ينهاهم عن عبادة الله فإن حقيقة دعوته أنه دعى الناس ليعبدوه دون الله؛ كيف ذلك ؟ لأن الله غني عن عبادة هؤلاء؛ فإذا أشركوا بالله غيره تمحضت العبادة لمن ؟ لغير الله ، تمحضت لغير الله؛ لقول الله تعالى في الحديث القدسي: (**أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه**)؛ وبهذا يزول الإشكال في قوله: ((**كونوا عبادا لي من دون الله**)) فنقول: هل أحد قال للناس اعبدوني ولا تعبدوا الله ؟ أو هل إن المراد بالآية هذه هذا المعنى ؟ نقول: لا، لا يتعين؛ فالآية تشمل الوجهين جميعا؛ تشمل من دعى إلى عبادة نفسه وأن لا يعبد الله ومن دعى إلى عبادة نفسه وإن عبد معه الله؛ انتبهوا لأن الأول واضح أنه يقول اعبدوني ولا تعبدوا الله ؛ والثاني: من لازم الإشراك أن لا تكون العبادة لله؛ لأن الإنسان إذا أشرك مع الله أحدا فإن عبادته لله باطلة يعني سواء وجدت أم لم توجد؛ ويحتمل أن يكون المراد بدون هنا بمعنى سوى ((**عبادا لي من دون الله**)) أي من سوى الله؛ وليس المراد من الجمع؛ بل من سواه أي معه؛ فإن صح هذا التفسير فلا إشكال وإن لم يصح فقد علمتم الإشكال وجوابه . قال: ((**ولكن كونوا ربانيين**)) هذا الاستدراك استدراك واقع في مقابلة النفي الذي سدرت به الآية ((**ما كان لبشر أن يؤتيه الله**)) ثم يقول: ((**ولكن**)) إذا لابد أن يكون هناك حدا؛ وتقديره: ولكن يقول كونوا ربانيين؛ أن يقول للناس كونوا ربانيين، كونوا ربانيين كونا شرعيا أو قدريا؟ شرعيا؛ لأنه لا يملك أن يقول له كونوا كونا قدريا؛ لكن يملك أن يأمرهم شرعيا بأن يكونوا ربانيين ؛ ((**ربانيين**)) نسبة إلى الرب ونسبة إلى التربية؛ فالرباني هو من كان عبدا للرب عز وجل؛ والرباني هو الذي يربي الناس على شريعة الله بالعلم والدعوة والعبادة والمعاملة؛

إذا الرباني منسوب إلى التربية وإلى الربوبية؛ فباعتباره مضافا إلى الله ربوبية؛ وباعتباره مضافا إلى الإصلاح تربية؛ ((**ولكن كونوا ربانيين**)) أي مخلصين للرب متعبدين له؛ وكونوا ربانيين أي مربين للخلق على ما تقتضيه الشريعة . ((**بما كنتم تعلمون الكتاب**)) الباء هنا للسببية أي بسبب تعليمكم الكتاب؛ ((**بما كنتم تعلمون الكتاب**)) لأن الذي يعلم الكتاب مربي؛ ولهذا كل ما كثر الطلبة عند شخص كثرت تربيته للناس؛ لأن المفروض للمعلم أن لا يكون معلما للناس تعليما نظريا جدليا؛ لأن هذا يمكن أن يدركوه في الكتب؛ لكن ينبغي أن يعلمهم تعليما نظريا وتعليما تربويا؛ وهذا هو حد النبي عليه الصلاة والسلام أصحابه؛ إذا نظرتم إلى السيرة النبوية وجدتم كيف كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلم الناس تعليما مقرونا بالتربية مصحوبا بها؛ وإذا تأملتهم سيرة خلفاء الراشدين وجدتموها كذلك؛ انظروا مثلا إلى عمر بن الخطاب رفع عقوبة الخمر إلى ثمانين لردع الناس؛ ومنع المطلق ثلاثا من الرجوع إلى زوجته من أجل أن يردع الناس؛ فالحقيقة إن العالم ليس هو الذي يملأ أذهان الناس علما، أو المعلم ليس هو الذي يملأ أذهان الناس علما ولكن الذي يملأ أفكارهم أو أذهنهم علما وأخلاقهم تربية . ((**ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون**)) . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم قال الله تبارك وتعالى: ((**وإن منهم لفريقا منهم يلوون ألسنتهم بالكتاب**))

الشيخ : هذا مبتدأ فوائد ؟

الطالب : نعم

الشيخ : نبدأ المناقشة ؟ طيب

الشيخ : قوله تعالى: ((**وإن منهم لفريقا منهم يلوون ألسنتهم بالكتاب وما هو من الكتاب**)) الضمير في قوله: ((**منهم**))

الطالب : إلى ((**أهل الكتاب**))

الشيخ : ما الدليل ؟

الطالب : لأنهم هم الذين حرفوا الكتاب .

الشيخ : لكن ما في شيء من السياق ما يدل عليه ؟

الطالب : من بداية الآيات ((**ومن أهل الكتاب من إن تأمنه**)) ؟

الشيخ : نعم تمام .

الشيخ : ما الذي يصب ((**فريقا**)) يا عيسى ؟

الطالب : إن ؟

الشيخ : على أنها أيش ؟ إن ويش تعمل ؟

الطالب : تنصب الاسم ؛

الشيخ : إذا على أنها أيش؟

الطالب : مبتدأ ؛

الشيخ : كيف لو كان مبتدأ لكان مرفوعا ؛

الطالب : على أنها اسم إن مؤخرا.

الشيخ : قوله: ((**يلوون ألسنتهم بالكتاب**)) كيف هذا اللي ؟ أو ما هذا اللي ؟

الطالب : اللي على قسمين: اللي الحسي ؛ والمعنوي .

الشيخ : اللي المعنوي ما المراد به ؟

الطالب : تغيير المعنى

الشيخ : طيب وسمى الله تغيير المعنى ليا لأنه صرف للكلام عن ما يراد به .

الشيخ : طيب تغيير اللفظي ؟ يعني ليس له إلا وجه واحد ؟

الطالب : قد يكون بأنه يأتي بصوت مثل صوت القرآن يغني والكلام من عنده ويظن السامع أنه من كلام الله عز وجل ؛ أو ربما يغير اللفظ أو كلمة ويقول هذا من الكتاب ؛

الشيخ : إذا تارة يكون اللي أن يأتي بكلام من عنده وينسبه إلى الله وتارة يأتي اللي في نفس الكتاب لكن يحرف ألفاظه يبدل ويغير .

الشيخ : اللام في قوله: ((**لتحسبوه**)) ويش معناها ؟

الطالب : اللام للتعليل ؛

الشيخ : للتعليل ، وفي ((**لتحسبوه**)) قراءة ؟

الطالب : ((**لتحسبون**))

الشيخ : و((**لتحسبوه**)) يعني بكسر السين وأيش ؟ وفتح السين طيب .

الشيخ : قوله: ((**ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس**)) على أي شيء ينصب النهي ؟ الأخ ؟ هذا الذي التفت ؛

الطالب : أنا ؟

الشيخ : أي نعم ؛ على أي شيء ينصب النهي في قوله تعالى: ((**ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة**)) أو ما حضرت ؟

الشيخ : على الأول أو على الثاني أو عليهما جميعا ؟ يعني هل الممتنع أن يقول البشر للناس كونوا عبادا لي من دون الله ؟ أو الممتنع أن يؤتي الله الحكم والكتاب والنبوة ؟ أو يقول للينا كونوا عبادا لي مع إتيان الحكم والنبوة ؟

الطالب : الأخير ؛

الشيخ : إذا يكون النهي يكون على مجموع الحالين .

الشيخ : قوله: ((**ولكن كونوا ربانيين**)) محل الجماعة ((**ولكن كونوا ربانيين**)) ويش محلها من الإعراب ؟

((**كونوا ربانيين**)) بس هذه ويش محلها من الإعراب ؟

الطالب : في محل النصب مقول القول ؛

الشيخ : وين القول ؟

الطالب : ولكن يقولوا هنا محذوف ولكن يقولوا كن ربانيين ؛

الشيخ : ولكن يقول كونوا ربانيين ؛ طيب

الشيخ : من هو رباني ؟

الطالب : الرباني تارة يضاف إلى الله وتارة إلى المربي ؛ إذا أضيف إلى الله كان هذا الشخص ربانيا بطاعة الله تعالى وفي عبادته؛ وإذا أضيف إلى التربية فمعناه أي رب الناس بشريعة الله عز وجل ؛

الشيخ : يعني رباني إما من الربوبية أو من التربية ؛ فإن كان من الربوبية فمعناه كونوا عبادا لله مخلصين مطيعين له عاملين بشريعته ؛

الشيخ : طيب وإن كان من التربية ؟

الطالب : أي رب الناس بشريعة الله .

وقوله: ((**بما كنتم تعلمون الكتاب**)) هذا مبدأ الدرس اليوم ؟ قال: ((**بما كنتم تعلمون**)) الباء هذه للسببية وما مصدرية أي بكونكم ؛ ما مصدرية . فإذا قال قائل: ما هي علامة ماء مصدرية ؟ قلنا علامتها أن يحول ما بعدها إلى مصدر، تسبق هي وما بعدها مصدر فيكون ما بعدها مصدرا؛ فقوله: ((**بما كنتم**)) أي بقولكم تعملون ؛ وقوله: ((**تعلمون**)) فيها قراءتان: إحداهما ((**تعلمون**)) أي تعلمون غيركم من التعليم؛ وقراءة أخرى: ((**بما كنتم تعلمون**)) أي تعلمون أنتم بأنفسكم؛ وأيهما أعم ((**تعلمون**)) أو ((**تعلمون**)) ؟ ((**تعلمون**)) لأنه لن يعلم إلا من علم؛ ولكن مع ذلك نقول إن القراءتين كل واحدة منهما تدل على معنى لازم من الآخر؛ فيكون المعنى بما كنتم تعلمون وتعلمون؛ وقوله: ((**الكتاب**)) هذا مفعول، هذا مفعول على تشديد أي ((**تعلمون**))؛ لكنه مفعول واحد وحذف المفعول الثاني؛ أي بما كنتم تعلمون الناس الكتاب؛ وأما على قراءة ((**تعلمون**)) فالكتاب مفعول واحد فقط ولا تتعدى إلى مفعولين . وقوله: ((**تعلمون الكتاب**)) المراد

بالكتاب الجنس ليشمل التوراة والإنجيل والبعض منها والكل . ((**وبما كنتم تدرسون**)) أي وبما كنتم تقرءون أنتم، بما كنتم تعلمون وتدرسون تقرءونه؛ فيكون عندكم للكتاب علم لفظي وعلم معنوي؛ فالعلم اللفظي يكون بالدراسة والمعنوي يكون بالعلم والتعليم؛ وقوله: ((**بما كنتم تدرسون**)) نقول فيها كما قلنا فيما سبقها بأن الباء للسببية وما مصدرية . ثم قال: ((**ولا يأمركم**)) فيها قراءتان؛ قراءة: ((**ولا يأمركم**)) وقراءة: ((**ولا يأمركم**)) أما على قراءة النصب ((**ولا يأمركم**)) فهي معطوفة على قوله: ((**ثم يقول للناس**)) يعني ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يأمركم أن تتخذوا الملائكة؛ فيكون معطوفة على قوله: ((**ثم يقول للناس**))؛ وأما على قراءة التسكين فإن الفتحة تقدر عليها؛ لأن التسكين هنا ليس تسكين إعراب لكنه تسكين تخفيف، تخفيف اللفظ؛ لأن قول القائل: ولا يأمركم أخف من قوله: ولا يأمركم؛ توافقون على هذا؟ ولا يأمركم أخف من قوله: ولا يأمركم؛ فالتسكين هنا ليس تسكين إعراب ولكنه تسكين تخفيف؛ ولهذا نقول هو منصوب على القراءتين؛ لكنه منصوب على قراءة الفتح، بالفتح الأصل؛ ومنصوب على قراءة التسكين بفتحة مقدرة على آخره وسكن للتخفيف . ((**ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا**)) يعني وما كان لهم أن يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا كما أنه لا يقول لكم كونوا عبادا لي فإن هذا مستحيل غاية الاستحالة أن يمن الله على شخص بالكتاب والحكمة ثم يأمر الناس بعبادتي أو يقول اعبدوا الملائكة والنبيين اتخذوهم أربابا هذا شيء مستحيل . وقوله: ((**الملائكة**)) الملائكة جمع ملك وأصله مألك من الألوكة وهي الرسالة؛ فصار قلب على وجه الإعلال الصرفي إلى ملأك؛ فزحزحت الهمزة إلى مكان اللام وقدمت اللام إلى مكان الهمزة؛ وأصل الألوكة هي الرسالة؛ ولهذا قال الله تعالى: ((**جاعل الملائكة رسلا**)) مرة ثانية نقول: الملائكة جمع ملك وأصله من الألوكة وهي الرسالة؛ وعلى هذا فيكون أصلها مألك ثم نقلت الهمزة إلى محل اللام واللام إلى محل الهمزة فصار ملأك وملأك جمع ملائك والتاء للتأنيث اللفظي، ثم خففت أيضا ملأك بحذف الهمزة فصارت ملكا؛ الملائكة هم عالم غيبي خلقهم الله عز وجل من نور لا يأكلون ولا يشربون ولا يتناسلون وإنما هم عباد لله مكرمون ((**لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون**)) ولهم أعمال وأوصاف سبق لنا الكلام عليها بما يغني عن إعادته . قال: ((**والنبيين**)) فيها قراءة: ((**والنبيئين**)) على تحقيق الهمزة؛ ((**أربابا**)) جمع رب يعني أربابا تعبد من دون الله وتقصد من دون الله فإن هذا مستحيل أن يقع ممن آتاه الله الكتاب والحكم والنبوة . قال الله تعالى: ((**أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون**)) الاستفهام هنا للنفي يعني لايمكن أن يأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون؛ وفي قوله: ((**يأمركم**)) قولان: ((**يأمركم**)) تخفيفا؛ و((**يأمركم**)) على الأصل؛ وقوله: ((**بعد إذ أنتم مسلمون**)) يعني بعد أن تقرر إسلامكم وثبت فإنه لا يمكن أن يأمركم بالكفر .في هذه الآيات فوائد؛ نبدأ من قوله: ((

إن الذين يشترون بآيات الله)) ؟ كيف ؟ قال الله تعالى: ((**وإن منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب**)) من فوائد هذه الآية وما بعدها: أن فريقا من أهل الكتاب يحرفون الكتاب إما لفظا وإما معنا . ومن فوائد الآيات: سوء مقصد هؤلاء الذين يلوون ألسنتهم بالكتاب؛ ما هو المقصد ؟ لإغلال الناس ليحسبوه من الكتاب . ومن فوائدها: أن الله عزوجل يحب من عباده الهدى وأن يهتدوا؛ ولهذا قال: ((**وما هو من الكتاب**)) حتى لا يغتر الناس بهذا اللي الذي حصل على من هؤلاء . ومن فوائد هذه الآية: الحذر من الكفار، ومن زخارف القول التي تصدر منهم؛ لأنهم يلبسون الحق بالباطل ويريدون أن يضلوا الناس . ومن فوائد الآية أيضا: الحذر ممن اتصف بصفاتهم من هذه الأمة فصاروا يلوون ألسنتهم بالكتاب؛ وإنما قلنا ذلك لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: (**لتركبن سنن من كان قبلكم**) فإذا كان من أهل الكتاب يلوون ألسنتهم بالكتاب فسيوجد في هذه الأمة أيضا من يلوي لسانه بالكتاب . ومن فوائد هذه الآية الكريمة أيضا: أن أهل الكتاب منهم من يفتري الكذب على الله؛ ومن ذلك كذبهم في عقوبة الزاني المحصن فإن عقوبة الزاني المحصن عندهم يرجم حتى يموت؛ ولكن لما كثير الزنا في أشرافهم عدلوا عن هذا وقالوا كيف نقتل أشرافنا؛ إذا ماذا نعمل؟ قالوا نسود وجهه ونطوف به هو والمرأة التي زنا بها على حمار يكون دبر أحدهما إلى دبر الآخر وهما راكبان على الحمار ونطوف بهم في العشائر بين الناس ثم تنتهي القضية؛ فحرفوا وكتموا، حرفوا حيث ادعوا أن هذا هو حد الزنا للمحصن؛ وكتموا حيث قالوا ليس في التوراة الرجم؛ ولهذا لما أنكروا أن يكون في التوراة الرجم طلب النبي صلى الله عليه وسلم منهم أن يأتوا بالتوراة فأتوا بها فجعل القاري يقرأ ووضع يده على آية الرجم، وضع يده على آية الرجم لأيش؟ لأجل أن يخفيها؛ ولكن أمر أن يرفع يده فلما رفع يده وإذا بآية الرجم تلوح بينة واضحة؛ فأمر النبي صلى الله عليه وسلم برجمهما أي رجم الزاني والزانية ؛ فالحاصل أن من طريق أهل الكتاب أنهم يقولون على الله الكذب وهم يعلمون . ثم قال الله تعالى: ((**ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة** ...)) فمن فوائد هذه الآية: الرد على النصارى الذين زعموا أن عيسى عليه الصلاة والسلام له الحق ي أن يعبد من دون الله؛ ولهذا يقول الله له يوم القيمة: ((**أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله**)) فيقول: ((**سبحانك**)) يعني لا يمكن أن أقول هذا؛ والنصارى يدعون أن من دينهم التثليث أي أن الله ثالث ثلاثة . ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن من من الله عليه بالعلم النافع فإنه لا يمكن أن يدعوا الناس إلى عبادة نفسه فيقول كونوا عبادا لي من دون الله . ومن فوائد الآية الكريمة: أن من ألزم الناس أو أراد منهم أن يتبعوا قوله مهما كان فإنه قد أمرهم أن يتخذوه بل قد جعلهم عبادا له؛ لأن طاعة الشخص من العبادة كما قال الله تعالى: ((**اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباب من دون الله**)) فقال له عدي بن حاتم: يا رسول الله إنا لسنا نعبدهم؛ قال: (**أليس يحلون ما حرم الله فتحلونه**

ويحرمون ما أحل الله فتحرمونه ؟ قال: نعم؛ قال: فتلك عبادتهم) فقد لا يقول الإنسان للناس اعبدوا لي اركعوا لي واسجدوا لكن قد يقول التزموا بما يقول؛ وهذا نوع من العبادة . ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن من من الله عليه بالكتاب والحكمة والحكم والنبوة فإنه لا يأمر إلا بالخير؛ لقوله: ((**ولكن كونوا ربانيين**)) . ومن فوائد الآية الكريمة أيضا: الإشارة إلى أنه ينبغي للإنسان أن يكون معلما ربانيا؛ لقوله: ((**ولكن كونوا ربانيين**)) أما ما يحصل من بعض الناس وهو أن يكون معلما لا ربانيا فإن علمه قاصر، قاصر جدا؛ لأن فائدة العلم وثمرته هو العمل والتأدب بآداب العلم؛ فإذا كان هذا الرجل يملأ أدمغة الطلاب علما ولكن ليس هناك سلوك وأخلاق وأعمال وعبادة فإن تعلميه ناقص جدا؛ ولهذا قال: ((**ولكن كونوا ربانيين**)) . ومن فوائد الآية الكريمة: الرد على منكري الأسباب؛ لقوله: ((**بما كنتم تعلمون الكتاب**)) والباء للسببية؛ ولاشك أن الأسباب ثابتة؛ ولكنها ليست مستقلة بالإيجاد أو الإعدام بل هي مؤثرة بما أودع الله فيها من قوة التأثير؛ وبهذا ندفع شبهة من قالوا بنفي الأسباب محتجين بأن إثبات الأسباب يستلزم إثبات خالق مع الله؛ ونحن نقول لهم: إنا نثبت الأسباب لكنها أيش؟ لا تؤثر بنفسه بل بما أودع الله فيها من القوة؛ والدليل على هذا أن ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما ألقي في النار قال الله للنار: ((**كوني بردا وسلاما على إبراهيم**)) فكانت بردا وسلاما عليه ما تأثر به مع أنها محرقة؛ قال أهل العلم: ولو قال الله تعالى: كوني بردا ولم يقل: وسلاما لأهلكته البرد؛ لأنها تمتثل أمر الله عز وجل . ومن فوائد الآية الكريمة: أن المعلم للناس يصح أن نسميه ربانيا؛ لأنه قال: ((**ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب**))؛ ولهذا نجد في تراجم العلماء رحمهم الله نجد كثيرا ما يصفون العالم بأنه العالم الرباني . ومن فوائد الآية الكريمة في قوله: ((**ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين** ...)) إثبات الملائكة؛ والإيمان بهم أحد أركان الإيمان الستة؛ فلا يتم إيمان العبد حتى يؤمن بالملائكة . ومن فوائدها أيضا: أن هذا الذي من الله عليه بالكتاب والحكم والنبوة لا يمكن أن يأمر غيره باتخاذ الملائكة والنبيين أربابا كما أنه لا يدعوا الناس إلى عبادة نفسه . ومن فوائد الآية الكريمة: أن من أمر غيره أن يكون عبدا له فقد أمر بالكفر؛ ومن أمر أن تتخذ الملائكة والنبيون أربابا فقد أمر بالكفر؛ لقوله تعالى: ((**أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون**)) . ومن فوائدها: أن هذا الكفر مخرج من الملة؛ لقوله: ((**بعد إذ أنتم مسلمون**)) . ثم قال الله تعالى: ((**وإذ أخذ الله ميثاق النبيين**)) إذ مفعول لفعل محذوف تقديره: اذكر؛ ((**وإذ أخذ الله ميثاق النبيين**)) يعني اذكر يا محمد لمن أرسلناك إليهم اذكر هذا العهد والميثاق؛ ((**أخذ الله ميثاق النبيين**)) والميثاق هو العهد وسمي الميثاق عهدا لأن كلا من المتعاهدين يتوثق به مع الآخر؛ كالوثاق الحبل الذي يشد به الإنسان . وقوله: ((**ميثاق النبيين**)) يشمل الرشد؛ لأن كل رسول فهو نبي . وقوله: ((**لما آتيتكم من كتاب وحكمة**)) فيها ثلاث قراءات: ((**لم آتيتكم**)) ،

((**لما آتيتكم**))، ((**لم آتيناكم**))؛ وعلى كل القراءات ففيها التفات؛ من أين ؟ من الغيبة إلى الحضور؛ وقوله: ((**لما آتيتكم**)) في اللام قراءتان: الكسر والثاني الفتح؛ وقوله: ((**آتيتكم**)) يعني أعطيتكم؛ والإيتاء هنا يراد به ما آتاه الله النبيين من الأمور الشريعة؛ ولهذا قال: ((**من كتاب وحكمة**)) الكتاب معروف كالتوراة الإنجيل؛ والحكمة الحكم بين الناس وإصابة الصواب لأن الحكم بين الناس وإصابة الصواب من تنزيل الأشياء منازله وهذا هو الحكمة . ((**ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه**)) يعني ما آتيتكم من الكتاب والحكمة إذا جاءكم رسول مصدق لما معكم فإنه تؤمنون به وتنصرنه؛ وقوله: ((**مصدقا لما معكم**)) له معنيان؛ المعنى الأول: أنه يصدق ما سبق من الكتب، يصدق ما سبق من الكتب فيقول مثلا: إن التوراة حق والإنجيل حق وما أشبه ذلك؛ المعنى الثاني: أنه يقع مصداقا لما سبقه من الكتب؛ لأن الكتب أخبرت به فإذا جاء مطابقا لما أخبرت به صار أيش؟ صار مصدقا لها؛ فيكون على هذا الوجه يكون شهادة لهذا الكتاب بأنه حق؛ ويكون على الوجه الأول شهادة لأن الكتب السابقة حق؛ الفرق إذا بين المعنيين واضح ((**مصدقا لما معكم**)) قلنا: له معنيان؛ أحدهما أن النبي صلى الله عليه وسلم شهد بصدق ما سبقه من الكتب؛ والثاني: أن رسالته كانت أيش؟ مصداقا لما أخبرت به الكتب السابقة بأن الله تعالى يقول في النبي صلى الله عليه وسلم : ((**الذي يجدونه مكتوبا في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر**)) فإذا جاء على الوصف الذي جاءت به التوراة والإنجيل صار وقع مصداقا لها لأنها أخبرت بشيء فجاء هذا الشيء فيكون مصدقا؛ أرأيت لو أن أحدا من الناس قال: إن فلانا سيقدم اليوم بعد الظهر؛ فقدم؛ صار هذا الذي قدم مصدقا لما أخبر به؛ إذا لما قالت الرسل إن محمدا رسول الله يبعث على الوجه الذي ذكر الله يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فجاء مطابقا لما أخبرت به صار مصدقا لها . ((**مصدق لما معكم**)) أي للذي معكم؛ من أيش؟ من الكتب السابقة التي جاءوا بها؛ ((**لتؤمنن به**)) هذا محل الميثاق؛ يعني إذا جاءكم هذا الرسول المصدق لما معكم فإن ميثاقي عليكم لتؤمنن به ولتنصرنه؛ ((**لتؤمنن** به)) أي تؤمنن بأنه حق؛ وتنصرنه)) أي تعينونه على نشر رسالته وعلى قتال أعدائه؛ لأن النصر هنا يشمل النصر بالعلم وبالسلاح . ((**قال أأقررتم وأخذتم على ذالكم إصري قالوا أقررنا**)) لما أخبر أنه أخذ عليهم العهد والميثاق قررهم في هذا ((**قال أأقررتم وأخذتم على ذالكم إصري قالوا أقررنا**)) وقوله: ((**أأقررتم**)) أي اعترفتم والتزمتم بذلك؛ وقوله: ((**أخذتم على ذلكم إصري**)) أي أخذتم العهد الثقيل؛ لأن الإصر الذي جمعه الآصار بمعنى الأشياء الثقيلة؛ فإصري أي عهد الثقيل . ((**قالوا أقررنا**)) فيها قراءة عندنا ((**قال أأقررتم**)) فيها ((**آأقررتم**)) بمد الألف الأولى؛ ((**قالوا أقررنا قال فاشهدوا**)) ((**قالوا أقررنا**)) يعني اعترفنا والتزمنا بأن نؤمن به وننصره؛ ((**قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين**)) ((**اشهدوا**))

يعني ليشهد بعضكم على بعض، ولتشهدوا كلكم على الميثاق الذي بيني وبينكم ((**وأنا معكم من الشاهدين**)) وكفى بالله شهيدا؛ فاستشهدهم على أنفسهم وشهد عليهم عز وجل بما حصل . نرجع الآن إلى الإعراب؛ قلنا: ((**إذ أخذ الله**)) مفعول لفعل محذوف؛ تقديره: أذكر إذ أخذ الله؛ وقوله: ((**لما آتيتكم**)) فيها قراءتان: ((**لما**)) و((**لما**)) وعلى قراءة ((**لما**)) تكون اللام للتعليل؛ وما اسم موصول أي للذي آتيتكم من كتاب وحكمة، للذي آتيتكم من كتاب وحكمة لتؤمنن به؛ فيكون التعليل سابقا على المعلل؛ والتقدير على هذا: وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لتؤمنن بهذا الرسول لما آتيتكم من كتاب وحكمة؛ فاللام إذا للتعليل؛ وأما على قراءة فتح، فتح اللام فاللام هذه قيل: إنها لام الابتداء؛ وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب للذي آتيتكم يعني إياه من الكتاب والحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به أي بهذا الرسول؛ فتكون ما اسما موصلا كالأول

نرجع الآن إلى الإعراب ؛ قلنا: ((**إذ أخذ الله**)) مفعول لفعل محذوف ؛ تقديره: أذكر إذ أخذ الله؛ وقوله: ((**لما آتيتكم**)) فيها قراءتان: ((**لما**)) و((**لما**)) وعلى قراءة ((**لما**)) تكون اللام للتعليل؛ وما اسم موصول أي للذي آتيتكم من كتاب وحكمة، للذي آتيتكم من كتاب وحكمة لتؤمنن به؛ فيكون التعليل سابقا على المعلل؛ والتقدير على هذا: وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لتؤمنن بهذا الرسول لما آتيتكم من كتاب وحكمة؛ فاللام إذا للتعليل؛ وأما على قراءة فتح، فتح اللام فاللام هذه قيل: إنها لام الابتداء؛ وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب للذي آتيتكم يعني إياه من الكتاب والحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به أي بهذا الرسول؛ فتكون ما اسما موصلا كالأول؛ لكن اللام تكون للابتداء؛ وقيل: بل اللام جواب لميثاق؛ لأن ميثاق بمعنى عهد والعهد يعامل عمه معاملة القسم كما قال الله تعالى: ((**ولقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا**))، وقال الله: ((**إني معكم لئن أقمتم الصلاة** ...)) فالميثاق يجاب ما يجاب به القسم وعلى هذا فيكون قوله: ((**لما**)) اللام واقعة في جواب القسم لأن الميثاق بمعناه؛ ثم ((**لتؤمنن به**)) تكون أيضا موطئة لقسم آخر محذوف، التقدير: والله لتؤمنن به؛ والجملة يعني قوله: ((**لتؤمنن به**)) في محل رفع خبر ما في قوله: ((**لما آتيتكم من كتاب وحكمة**)) ؛ فيه أيضا مبحث ثالث من الإعراب: ((**لتؤمنن به**)) تؤمن فعل أيش؟ مضارع والعلماء يقولون إن الفعل المضارع إذا اتصل بنون التوكيد وجب بنائه على الفتح، كقوله تعالى: ((**كلا لينبذن**)) وإلا ((**لينبذن**)) ؟ ((**لينبذن**)) ؛ ((**لنسفعا بالناصية**)) ؛ ((**ليسجنن**)) أخرها نون ؛ ((**وليكونا من الصابرين**)) هنا لم يكن الفعل مبنيا على الفتح ((**لتؤمنن**)) ولم يقل: ((**لتؤمنن**)) فكيف الجواب على هذا الإشكال ؟ يقولون: إن النون هنا ليست مباشرة للفعل والفعل يبنى إذا باشر نون التوكيد أما مع عدم المباشرة فلا يكون مبنيا ؛ لأن أصلها: لتؤمنونن ، لتؤمنونن كذا ؟ كم عندنا من النون ؟ ثلاثة نونات ؛ قالوا يحذف إحداها لتوالى الأمثال ، ما يمكن تتوالى حروف في مثال واحد لابد نحذف ؛ طيب ويش تحذف ؟ قال أحذف نون الفعل ، نون الفعل أيهم ؟ الأولى لتؤمنونن ، نن أحذف نون الفعل ؛ لماذا تحذف نون الفعل لماذا لم تحذف نون التوكيد ؟ قال لأن نون التوكيد جيء بها لإفادة معنى ؛ ما هو إفادة معنى ؟ التوكيد ؛ ونون الرفع هذه جرى حذفها كثيرا ؛ تحذف متى؟ في حالتي النصب والجزم مر علينا في الأفعال الخمسة أنها تنصب بحذف النون وتجزم بحذف النون ؛ وربما تنصب لغير ناصب ولا جازم ولكن تخفيفا مثل قول صلى الله عليه وسلم: (**والله لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا**) قال: لا تدخلوا والأصل أن يقال: لا تدخلون ؛ إذا الذي حذف من قوله: لتؤمنونن ويش

الذي حذف ؟ نون الرفع ؛ حذف نون الرفع يبقى إنسان يسأل أين ذهبت الواو ؟ أين ذهبت الواو لتؤمنون ؟ نقول حذفت ؛ حذفت لماذا ؟ لأن ما بعدها ساكن ، ما بعدها ساكن؛ وإذا كان ما قبل الساكن حرف العين فإنه يحذف على حد قول ابن مالك:

إن ساكنان التقيا اكسر ما سبق وإن يكن لينا فحذفه استحق

أعيد البيت ؟

إن ساكنان التقيا اكسر ما سبق وإن يكن لينا فحذف استحق

حرف اللين معروف الواو والياء والألف ؛ يعني معناه يقول ابن مالك إذا التقى الساكنان وكان الأول صحيحا فاكسر الأول؛ وإن كان حرف اللين فاحذف حرف اللين ؛ إذا لتؤمنونن الواو حرف اللين احذفها؛ تأتي نون التوكيد فتباشر نون الفعل لتؤمنن واضح ؟ طيب إذا هذا هو التخريج قوله تعالى: ((**لتؤمنن به**)) ؛ طيب جملة ((**لتؤمنن به**)) واقعة بجواب قسم إما قسم مقدر وإما القسم السابق ؛ انتهى الكلام على الإعراب .

السائل : التقاء الساكنين على حذفه جائز وعلى غير حذفه غير جائز في مثل ضالين مثلا ؛ هنا كذلك التقاء الساكنين على حرف ؟

الشيخ : لكن بينهما فرق الضالين في فعل واحد لو حذفت الألف من الضالين تغير المعنى واختلت الكلمة لكن هذه الواو منفصلة عن الفعل واو ضمير هذا الفرق .

السائل : الواو عند النون التوكيد اسم الفعل مع أننا قررنا في الأول أن نون افعل حذفت؛ نون الرفع ؟ نون الرفع أي نعم؛ كيف ؟

الشيخ : ويش الإشكال ؟

السائل : إذا قررنا أنها حذفت ؟

الشيخ : لما حذفت صارت النون نون التوكيد المشددة أولها ساكن والواو ؟

الطالب : ساكنة ؛

الشيخ : ما الذي نعمل ؟

الطالب : نحذف الواو ؛

الشيخ : فصارت الآن النون نون الفعل لن تباشر نون التوكيد من حيث التقدير وإلا اللفظ باشر لكن تقديرا لم تباشر .

((**فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات طوعا وكرها وإليه يرجعون قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل إسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون**)) . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم قال الله تبارك وتعالى: ((**وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم** ...)) هذا أظن مبتدأ درس اليوم ؟ لا ما كملنا الآية أي نعم .

الشيخ : المراد بالميثاق ما هو يا بندر ؟

الطالب : ما حضرت ؛

الشيخ : طيب

الطالب : الميثاق العهد ؛

الشيخ : ما يكون بين اثنين من العقد ؛

الشيخ : مأخوذ من أين؟

الطالب : من وثق الشيء ؛

الشيخ : من الوثاق وهو الحبل يربط به الشيء .

الشيخ : قوله تعالى: ((**لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به**)) كيف إعراب هذه الآية على فتح اللام ؟

الطالب : على فتح اللام ثلاث توجيهات ؛ الأول: اللام تكون لام الابتداء وما كنا اسم موصول مبتدأ وخبرها جملة ((**لتؤمنن به**)) . وتوجيه آخر: أن اللام تكون ؛

الشيخ : لا خل فتح ؛

الطالب : قلنا لام وقع في محل جواب القسم لأن الميثاق بعده قسم ؛

الشيخ : نعم لأنه مضمنة مع القسم فتكون اللام موطئة للقسم وما اسم شرط جازم ؛ و((**لتؤمنن به**)) جواب القسم ؛ حقيقة ما كملنا إعرابها في موضعها ؛ على هذا تكون اللام موطئة للقسم وما شرطية و ((**آتيتكم**)) فعل الشرط ؛ وجواب الشرط محذوف ؛ و((**لتؤمنن به**)) جواب القسم على حد قول ابن مالك رحمه الله:

واحذف لدى اجتماع شرط وقسم جواب ما أخرت فهو ملتزم

وعلى هذا فيكون الجواب في قوله: ((**لتؤمنن به**)) جواب للقسم ؛ أما جواب الشرط وهو ما فإنه محذوف ؛ والجملة من الشرط وجزائه لا محل له من الإعراب جواب القسم الذي تضمنه الميثاق .

الشيخ : قوله تعالى: ((**ثم جاءكم رسول**)) نعم الأخ الذي وارء ؟ من المراد بالرسول هنا ؟

الطالب : محمد صلى الله عليه وسلم .

الشيخ : قوله : ((**مصدق لما معكم**)) أحمد ؟ نعم أنت ((**مصدق لما معكم**)) نعم ؟

الطالب : مصدق لما قبله وما بعده ؛

الشيخ : يعني

الطالب : أنه مصدق للرسل الذين سبقوه ؛

الشيخ : يعني أنه وقع تصديقا لما قالوه هذا واحد ؛

الشيخ : والثاني ؟

الطالب : أنه يصدق الكتب السابقة

الشيخ : أي يخبر بأنها صدق .

الشيخ : قوله: ((**إصري**)) ما المراد بإصري فهد ؟ ((**وأخذتم على ذلكم إصري**)) ؟

الطالب : إصر في اللغة الثقيلة أي الميثاق ؛

الشيخ : الميثاق وسمي إصرا لأن الوفاء به ثقيل والإنسان يتحمله .

الشيخ : ((**قال فاشهدوا**)) وقفنا على هذا أظن أو كملنا ؟

الطالب : كملنا الآية .

الشيخ : ((**قال فاشهدوا**)) نعم اشهدوا على من؟

الطالب : اشهدوا على أنفسهم ؛

الشيخ : وكذلك

الطالب : بعضهم على بعض؛

الشيخ : وكذلك شهد الله عليهم ؛ اشهدوا على أنفسكم وبعضكم على بعض .

الشيخ : قوله: ((**أنا معكم من الشاهدين**)) المعية هنا يا جمال ؟

الطالب : وقفنا هنا ؛

الشيخ : طيب

((**قال فاشهدوا**)) يعني يشهد بعضكم على بعض واشهد أيضا على أنفسكم كما قال الله تعالى: ((**وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا**)) فكذلك النبيون أشهد الله على أنفسهم أنهم سيؤمنون بمحمد صلى الله عليه وسلم لأن هذا الوصف لا ينطبق إلا عليه . وقال بعض العلماء: إن المراد بالرسول الرسول الذي يتلوا من قبلها لأن كل رسول يصدق من قبله؛ فعيسى مصدق لموسى، ومحمد مصدق لهما ولجميع الأنبياء؛ لكن الصحيح الأول أن المراد به محمد صلى الله عليه وسلم . وقوله: ((**وأنا معكم من الشاهدين**)) هذه مصاحبة

خاصة، هذه معية معية خاصة مصاحبة، مصاحبة في هذه الشهادة؛ لأنه قال: ((**وأنا معكم من الشاهدين**)) فإن معية الله عزوجل معية عامة شاملة لكل الخلق؛ ومعية خاصة مقيدة ببعض الخلق أو مخصصة ببعض الخلق؛ ففي قوله تعالى: ((**ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أين ما كانوا**)) هذه معية عامة؛ وقوله: ((**هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير**)) هذه أيضا معية عامة لجميع الخلق؛ وقوله تعالى: ((**اصبروا إن الله مع الصابرين**)) هذه خاصة، خاصة للصابرين؛ وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم: ((**إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا**)) هذه أيضا معية خاصة ، خاصة في الذات والمكان؛ المعية العامة مقتضاها العلم والإحاطة بالخلق قدرة وسلطانا وتدبيرا وغير ذلك، هذه من مقتضياتها لأن كل الخلق تحت قدرة الله وسلطانه وتدبيره؛ والمعية الخاصة مقتضاها التسديد والنصر والتأييد والتقوية وما أشبه ذلك من مقتضياتها والذي يهدد هذه المقتضيات هو السياق، الذي يهدد هذه المقتضيات هو السياق . فإذا قال قائل: هل معية الله تنافي علو الله ؟ فالجواب لا، لا تنافيه هو مع الخلق وإن كان فوق العرش؛ لأن الله لا يشبه شيء من مخلوقاته، أو لا يماثله شيء من مخلوقاته؛ ولهذا جمع الله بينهما في الآية التي ترويناها أخيرا ((**هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم**)) فجمع بين علوه وأيش؟ ومعيته ولا تناقض بينهما؛ وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (**إن الله ينزل إلى السماء الدنيا**) ومع ذلك نزوله حقيقي وهو على عرشه؛ فنزوله لا ينافي علوه؛ وإذا شئت أن نذكر مثلا يقرب لك هذا فانظر إلى القمر، انظر إلى القمر موضعه في السماء وهو مع الإنسان إن كنا في البلد فهو معنا إن كنا مسافرين فهو معنا مع أهل عنيزة وأهل الرياض وأهل مكة وأهل المدينة وكل من على سطح الأرض من جهة القمر؛ العرب يقولون: ما زلنا نسير والقمر معنا؛ ومع ذلك فإن كل الخلق يعرفون أن القمر في السماء؛ فإذا كان لا منافاة بين العلو وبين المعية التي هي المصاحبة في المخلوقات فما بالك بالخالق؛ ولهذا لا يجوز أن تظن أن كلام الله يناقض بعضه بعضا أبدا؛ كلام الله يصدق بعضه بعضا ((**ولو كان من عند الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا**)) لكن مقتضيات هذه المعية كما عرفتم تختلف؛ فمقتضاها للعموم ليس كمقتضاها للخصوص.

قال: ((**وأنا معكم من الشاهدين**)) ((**من الشاهدين**)) هذا الشاهد وصف اشترك فيه الخالق والمخلوق فقال: ((**من الشاهدين**)) وجعل نفسه عز وجل أحد الشهود؛ لكن هل هذه المشاركة في الشهادة تقتضي المماثلة ؟ لا؛ كما أن المشاركة في الحياة لا تقتضي المماثلة ((**يخرج الحي من الميت**)) فأثبت للمخلوق الحي؛ ((**الله لا إله إلا هو الحي القيوم**)) أثبت أن اسمه الحي؛ فاشتراك الخالق والمخلوق في الحياة لا يستلزم المماثلة؛ إذا فكون الله من الشاهدين لا يستلزم أن تكون شهادته كشهادة الخلق، شهادة الله شهادة ثابتة حق لا يسبقها خفاء ولا يلحقها نسيان؛ وشهادة المخلوق بالعكس مسبوقة بخفاء وملحوقة بنسيان ؛ فبينهما فرق . ((**فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون**)) ((**من تولى بعد ذلك**)) أي بعد ما ذكر هذا البيان والإيضاح وأن محمدا صلى الله عليه وسلم قد أخذ على جميع الأنبياء أن يؤمنوا به، وأن ينصروه؛ وما أخذ على المتبوع مأخوذ على التابع، يعني ما أخذ على الأنبياء مأخوذ على أتباعهم أيضا؛ فإذا كان واجبا على الأنبياء أن يؤمنوا به وينصروه كان واجبا على أتباعهم أن يؤمنوا به وينصروه؛ ولهذا لما رأى النبي صلى الله عليه وسلم مع عمر بن الخطاب شيئا من التوراة غضب وقال: (**ألم آت بها بيضاء نقية ؟ لو كان أخي موسى حيا ما وسعه إلا إتباعي**) كيف تأتي بالتوراة ؟ القرآن فيه غنى عن كل كتاب، كل ما في الدنيا من الكتب فالنافع منها موجود في القرآن لا حاجة إليها، ليست الحاجة إليها لاسيما وأنها الآن ليست الكتبة المنزلة من السماء بل فيها من التحريف والتبديل والإخفاء ما الله به عليم؛ إذا نقول ((**فمن تولى بعد ذلك**)) بعد أيش؟ بعد هذا البيان والإيضاح الذي بينه الله عز وجل وأن الله أخذ على جميع الأنبياء ميثاق النبيين كلهم أنهم إذا جاءهم رسول مصدق به ليؤمنن به ولينصرنه ؛ أفبعد ذلك يتولى المتولين؟ لا؛ ((**فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون**)) ((**فأولئك هم الفاسقون**)) هم ضمير فصل؛ الفاسقون الذين خرجوا عن مستوى العدل وعن مستوى الرجولة وعن مستوى الإيمان؛ خرجوا عن الطاعة، تولوا، أعرضوا؛ هؤلاء هم الفاسقون؛ والمراد بالفسق هنا فسق الكفر؛ لأن الفسق يطلق على فسق المعاصي وعلى فسق الكفر، فسق المعاصي وفسق الكفر؛ فمن الأول قوله تعالى: ((**يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا**)) هذا فسق المعصية؛ ومن الثاني قوله تعالى: ((**أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلا بما كانوا يعملون وأما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها**)) فهنا المراد بالفسق أيش؟ فسق الكفر لأنه جاء في مقابل الإيمان، جاء قسيما للإيمان وقسيم الشيء غير الشيء؛ فأما قوله تعالى: ((**ومن لم**

يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون)) فهل هو فسق كفر أو فسق معصية ؟ فسق معصية ؛ قيل: معصية؛ وقيل: كفر؛ وقيل: بالتفصيل . من جهة الآية في هذه الآية فيها شرط وجواب؛ الشيخ : الشرط يا حجاج ؟ الطالب : ((**من تولى**)) الشيخ : الجواب ؟ ((**فأولئك**)) ؛ الجواب هنا جملة اسمية ولهذا قرنت بالفاء ((**فأولئك**)) لأن الجملة إذا كانت لا تصلح أن تباشر أداة الشرط وجب أن تقترن بها الفاء؛ قال ابن مالك :

واقرن بفاء حتما جوابا لو جعل شرطا لإن أو غيرها لم ينجعل

هذه قاعدة ؛

اقرن بفاء حتما جوابا لو جعل شرطا لإن أو غيرها لم ينجعل

يعني لم يصر؛ هذا إجمال من ابن مالك فصل بقول القائل:

اسمية طلبية وبجامد وبما وقد وبلن وبالتنفيس

كم هذه ؟ سبعة ؛ حفظتها يا عبد الله ؟

الطالب : حفظتها ؟ ما هو كلها ؛

الشيخ : طيب اقرأ ما حفظت ؟

الشيخ : ناظم ؟ نظم هذا ؛

اسمية طلبية وبجامد وبما وقد وبلن وبالتنفيس

الشيخ : الذي ما يحفظ من قبل سمعني إياه حفظت يا أخي من قبل ؟ كمل ؟

الطالب : اسمية طلبية وبجامد وبما وبقد وبلن وبالتنفيس ؛

الشيخ : وبما وقد

الطالب : وبما وقد وبلن وبالتنفيس ؛

الشيخ : هذه سبعة أشياء إذا وقعت جوابا للشرط وجب اقتران الجواب بالفاء ؛ التي معنا الآن أي الجمل ؟ ((**أولئك هم الفاسقون**)) جملة اسمية، كذا؟ طيب؛ قال الله تعالى: ((**فأولئك هم الفاسقون**)) . ثم قال الله تعالى: ((**أفغير دين الله يبغون**)) ((**أفغير دين الله**)) الدين يطلق على الجزاء وعلى الشرع؛ يعني على العمل وجزائه؛ يعني أحيانا يطلق على العمل الذي هو شريعة الله؛ وأحيانا على الجزاء؛ فمن إطلاقه على الجزاء قول الله تبارك وتعالى: ((**إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم يصلونها يوم الدين وما هم عنها بغائبين وما أدراك ما يوم الدين ثم ما أدراك ما يوم الدين يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله**))؛ وقال تعالى في سورة الفاتحة: ((**مالك يوم الدين**)) الدين هنا بمعنى الجزاء . ومن إتيان الدين بمعنى العمل والشريعة قوله تعالى: ((**لكم دينكم ولي دين**)) وقوله تعالى: ((**ورضيت لكم الإسلام دينا**)) أي شريعة؛ وهنا ((**أفغير دين الله يبغون**)) دين الله يعني شريعته التي شرع لعباده؛ وأضافها الله لنفسه بيانا لأهميته وأنها الشريعة العادلة النافعة التي لا يقوم الخلق إلا بها؛ لأنها شريعة الله؛ فهي أكل الشرائع؛ وأضافها إلى نفسه أيضا لأنه الذي شرعها؛ أحيانا يضاف الدين إلى العامل مثل قوله تعالى: ((**لكم دينكم ولي دين**)) أصلها ولي ديني؛ فيضاف إلى العامل باعتبار أنه أخذ به وتمسك به؛ ويضاف إلى الله باعتبار أنه هو الذي شرعه ووضعه لعباده . وقوله: ((**يبغون**)) أي يطلبون؛ وهذا الاستفهام للإنكار والتوبيخ ينكر على من يبغي غير دين الله ويوبخهم؛ فيها قراءة: ((**تبغون**)) ((**أفغير دين الله يبغون**)) قراءة سبعية؛ وعلى هذا يحسن أن نقرأ أحيانا ((**أفغير دين الله تبغون**)) وأحيانا نقول: ((**أفغير دين الله يبغون**)) إلا إذا كنا بحضرة عوام؛ فلا نقرأ القراءتين وإنما نقرأ عندهم ما يعرفون؛ لأنك لو قرأت عند العامة في قراءتين لتسلطوا عليك من جهة ولانحط قدر القرآن في أعينهم من جهة أخرى؛ ولأجلبوا عليك بالخيل والرجل قالوا ما بقي عليك إلا أن تغير القرآن ولتحسبوا عليك ليلا ونهارا؛ فإذا لا تقرأ بغير ما يعرفون؛ أما فيما بينك وبين الله فاقرأ هذا أحيانا وهذا أحيانا بشرط أن تكون متيقنا لهذه القراءة؛ لأن هذا كلام الله لابد أن تتيقن . قال: ((**أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات**)) الواو هذه للحال يعني والحال أنه أسلم له من في السموات والأرض طوعا وكرها؛ أسلم إسلاما شرعيا أو إسلاما كونيا ؟ إسلاما كونيا ما هو إسلاما كونيا؛ لأن الإسلام الشرعي ما فيه إكراه؛ ولأن الإسلام الشرعي لا يعم من في السموات والأرض؛ يعم من في السماء صحيح؛ لكن من في الأرض لا؛ قوله: ((**وله أسلم**)) أي انقاد انقيادا كونيا؛ وإنما قال: ((**وله أسلم**)) بعد قوله: ((**أفغير دين الله يبغون**)) لإقامة الحجة على من لم يسلم لله شرعا ولم يتبع

دينه كأنما يقال: لقد أسلمت لله كونا فيجب أن تسلم له شرعا؛ لأن الرب الذي يدبر الخلق كما شاء شاءوا أو كرهوا هو الذي يجب أن نتمشى على شرعه؛ فيكون هذا كالدليل لما سبق . وقوله: ((**أسلم من في السموات والأرض**)) من أتى بمن الدالة على العاقل تغليبا لجانب العقلاء؛ لأننا لو قسنا من في السموات والأرض لكان الأكثر عقلاء؛ لأن السموات ما من موضع أربعة أصابع إلا وفيه ملك قائم لله أو راكع أو ساجد؛ والسماء واسعة جدا ما يعلم سعتها إلا الله ((**والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون**)) السماء الدنيا أوسع بكثير من الأرض؛ والسماء الثانية أوسع بكثير من الدنيا وهلم جرا كل سماء أوسع مما . وقوله: ((**والأرض**)) الأرض مفرد لكن المراد بها الجنس فيشمل الأراضي والأراضون السبع بظاهر القرآن وصريح السنة؛ ظاهر القرآن بقوله: ((**الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن**)) فإن المثلية هنا ليست بالكيفية؛ صح؟ وليست بالكمية يعني قصدي بالكمية بمعنى الثقل؛ السماء أعظم من الدنيا لكنها بالعدد مثلهن في العدد . ((**قال طوعا وكرها**)) صريح السنة يا شيخ ؟ طيب صريح السنة قوله صلى الله عليه وسلم: (**ومن اقتطع من الأرض شبرا يعني ظلما طوقه يوم القيمة بسبع أراضين**) وفي هذا الحديث دليل على أن السبع متطابقة يعني بعضها داخل بعض؛ لأنه يقول: (**طوقه يوم القيمة سبع أراضين**) وهو إنما غصبه من العلياء الظاهرة؛ فإذا تكون ثانية في جوفها والثالث في جوف الثانية وهلم جرا، تكون متطابقة؛ وبه نعرف أن من قال إن المراد بالسبع سبع القارات فقد أخطأ؛ لأنه لو كانت سبع القارات فما هي صلة الأرض الثانية والثالثة وما بعدها بالأرض التي حصل فيها ال . وقوله: ((**طوعا وكرها**)) طوعا يحتمل أن يكون مصدرا منصوبا على أنه صفة لمصدر محذوف؛ وتقديره: إسلاما طوعا، أسلم إسلاما طوعا؛ ويحتمل أنه مصدر منصوب على الحال مؤول باسم فاعل؛ حال من أين؟ من قوله: ((**من أسلم**)) تقدير وله أسلم من في السموات والأرض طائعين أو مكرهون، طائعين و مكرهين ؛ الطوع ما فعل بالاختيار؛ والإكراه ما فعل بغير الاختيار . قال: ((**وإليه يرجعون**)) وفي قراءة: ((**ترجعون**)) بناء على قراءة في ((**تبغون**)) يعني هؤلاء الذين هم مسلمون لله سوف يرجعون إلى الله سبحانه وتعالى وينبئهم بما عملوا ويحاسبهم على ما أرسل إليهم من الرسل . أما في الإعراب فنقول: ((**أفغير دين الله يبغون**)) فيه استفهام يليه حرف عطف؛ وقد ذكرنا في مثل هذا التركيب للعلماء قولين؛ القول الأول: أن الهمزة للاستفهام وحرف العطف الذي بعدها عطف لما بعده أي لما بعده عاطف لما بعده على مقدر بينه وبين الهمزة يعينه السياق؛ والقول الثاني: أن الهمزة للاستفهام والفاء حرف عطف على ما سبق لكنها أخرت لتكون

الصدارة للاستفهام؛ وتقدير الكلام على هذا الوجه: فأغير دين الله يبغون؛ وذكرنا فيما سبق أن هذا الوجه أحسن من الوجه الأول؛ لأيش؟ لأنه لا يحتاج إلى تقدير؛ ولأن الأول الذي يحتاج إلى تقدير قد يعييك في بعض الأحيان أن تجد شيئا تقدره يناسب المقام، مثلا: ((**أفلم يسيروا في الأرض**)) إذا قلنا إنها محذوف قال تقدر أغفلوا فلم يسيروا في الأرض؛ هنا ((**أفغير دين الله يبغون**)) أضلوا فغير دين الله يبغون لأن من بغى غير دين الله فهو أيش؟ فهو باغي . نرجع إلى الفوائد أو انتهى الوقت ؟ نعم قلنا هنا إرادة كونية ؛ إرادة كونية ؟ إسلام قصدي إنه كوني الواقع أن ليس كل من في الأرض أسلم ؟ كونا ؟ ما أسلم كونا؛ ما أسلموا كونا؛ من يستطيع أن يضاد الله في تقديره ؟ الآن يعرضون الله سبحانه وتعالى بل ينكرونه؛ لا، سبحان الله؛ لو يريد سبحانه وتعالى أن يمرض واحدا منهم قال والله إنا ما نقبل المرض؛ قضى عليه بالموت قال لا ما نقبل الموت وإلا يستسلم ويوافق ؟ يستسلم؛ طيب هذه؛ المقصود الإسلام هنا أول . . ؟ الإسلام لأنه قال: أسلمت بمعنى استسلمت . متى أخذ الله النبيين الميثاق في قوله تعالى: ((**وإذ أخذ الله ميثاق النبيين**)) ؟ أي نعم هذا إشكال ربما فاتنا في التفسير وربما يأتي في الفوائد؛ متى أخذ الله على النبيين الميثاق ؟ متى ؟ قال بعض العلماء: إنه أخذه عليهم كما أخذ على بني آدم عموما ((**وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم**)) بناء على صحة الحديث الذي فيه أن الله تعالى استخرج ذرية آدم من صلبه كأمثال الزرع وأنه أخذ عليهم العهد؛ وقيل: إن الله أخذ عليهم العهد الميثاق بما أعطاهم من الوحي يعني أوحى إليهم هذا الشيء؛ وإيحاء الله بشيء ميثاق مثل ما قلنا في قوله تعالى: ((**وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه**)) ؛ العلماء هل أن الإنسان منا يشعر بأنه واثق الله على شيء ؟ ويش الجواب ؟ مباشرة ؟ لا ، لكن لما أعطى الله الإنسان العلم فهذا هو الميثاق .

السائل : أيهما أفضل أن نقول: إن الله معنا بعلمه مستوي بذاته أم نقول: إن الله معنا مستوي على عرشه ؟

الشيخ : الأحسن أن تطلق أطلق ما أطلقه الله ولا تقييد؛ لكن إذا خاطبك عامي يفهم أن المراد بكونه معنا في الأرض قل بعلمه حتى يضيف المعنى لأنه فرق بين المخاطب؛ ولهذا ما جاءت بعلمه إلا بعد ما شاع مذهب الجهمية أن الله معنا بذاته في الأرض صار العلماء يكثرون منها وإن كان يذكر عن ابن

مسعود رضي الله عنه أو عن ابن عباس أنه قال؛ ابن مسعود قال: وهو عالم بهم، قال وهو معهم وهو عالم بهم .

السائل : ((**أفغير دين الله**)) الناس الذين غير الدين يبغون مقدم عليه من أجل الحصر ؟

الشيخ : أي نعم

ولهذا ما جاءت بعلمه إلا بعد ما شاع مذهب الجهمية أن الله معنا بذاته في الأرض صار العلماء يكثرون منها وإن كان يذكر عن ابن مسعود رضي الله عنه أو عن ابن عباس أنه قال ؛ ابن مسعود قال: وهو عالم بهم، قال وهو معهم وهو عالم بهم .

السائل : ((**أفغير دين الله**)) الناس الذين غير الدين يبغون مقدم عليه من أجل الحصر ؟

الشيخ : أي نعم ؛ لأن من بغي غير دين الله فلا ينفعه حتى لو تمسك بدين الله؛ شف واحد مثلا قال أنا أبغي غير دين الله في شيء وأبغي دين الله في شيء؛ هل ينفع دين الله في هذه الحال ؟ ما ينفع ؛ لأن من كفر ببعض الكتاب فقد كفر بكل الكتاب .

السائل : أحسن الله إليك؛ بالنسبة لمن يقرأ قراءات القرآن هل من اللغو أن يقرأ آية مثلا بقراءة وآية أخرى بقراءة مثل هنا ((**قل أفغير دين الله يبغون**)) أو الآية ألأخرى ((**إليه ترجه الأمور**)) يتغير المعنى ؟

الشيخ : العلماء اختلفوا في هذه المسألة ؛ قال مثلا لو اختلف القراء في آية فهل لك أن تقرأ في أولها بقراءة واحدة وفي آخرها بقراءة واحدة ؟ فمن العلماء من قال نعم يصح لأن الكل وارد؛ ولكن الراوي الذي رواها، القارئ الذي رواها هو الذي يبقى على ما روى؛ أما أنا فأنا فمنقول إلي وقد ثبت أن الرسول قرأ أول الآية على هذا الوجه وآخر الآية على هذا الوجه فلي أن أقرأها بالوجهين؛ وهذا اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية وهو الصحيح؛ وبعضهم قال: لا، إذا قرأت بقراءة واحدة لا تقرأ بقراءة الثانية في آخر الآية عرفت ؟ فمثلا في الآية التي معنا ((**أفغير دين الله تبغون وله أسلم من في السموات والأرض طوعا وكرها وإليه يرجعون**)) يصح؛ يكون بعده إليه يرجعون من في السماء والأرض، من في السموات والأرض؛ ((**أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والأرض طوعا وكرها وإليه ترجعون**)) ((**أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والأرض طوعا وكرها وإليه ترجعون**)) أيها المنزل عليهم القرآن ((**أفغير دين الله تبغون وله أسلم من في السموات والأرض طوعا وكرها وإليه ترجعون**)) أيها المخاطبون في جميعا .

السائل : شيخ أحسن الله إليك ؛ لو فرض في آية أخرى غير هذه الآية إحدى الكلمتين تخالف الأخرى وإذا قرأت بهذه القراءة ثم قرأت بقراءة الأخرى تختلف المعنى أدع القراءة بهذه حتى على قول شيخ الإسلام ؟

الشيخ : لا، لك أن تقرأ بهما جميعا ؛

السائل : ولو اختلف المعنى ؟

الشيخ : ولو اختلف المعنى لأن اختلاف المعنى يكون فيه زيادة معنى؛ تكون الآيتان على المعنيين بالنص أي نعم .

السائل : في قوله تعالى: ((**فمن تولى بعد ذلك**)) هل التولي يكون بالقلب فقط ؟

الشيخ : أبدا ، تولي بالجسم وبالقلب فبالقلب الإعراض وبالجسم المشي والترك . اللغة العربية تقول تولى فلان سواء كان في قلبه أو بجسمه نعم .

السائل : هل التولي بعد الرسل الذين أخذ الله عليهم الميثاق في قوله تعالى: ((**فمن تولى بعد ذلك**)) ؟

الشيخ : سبحان الله ؛ ما فهمت من تفسير هذا ؟ ويش فهمت ؟ أي فمن تولى من الناس بعد هذا البيان فهو فاسق ؛ ما هو بعد الرسل الذين أخذت عليهم الميثاق ؛ لما ذكر البيان هذا وأنه أخذ على الرسل ميثاق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم قال: من تولى بعد أن بينا من أن الرسل؛ ولهذا أشرت إلى ذلك بقولي: ما أخذ على المتبوع فهو مأخوذ على التابع ؛ لكن ممكن اليوم فيه بعض .

السائل : هل الأرضين طباق في الحديث: (**طوقه من سبع أرضين**) ؟

الشيخ : ذكرنا ويش لون ؟ (**من اقتطع شبرا أرضا ظلما طوقه يوم القيمة من سبع أراضين**) . مثلا أنت دخلت على أرض فأخذت منها شبرا تطوق يوم القيمة بسبع أراضين ؛ لأني أملك سطح الأرض التي أنت أخذت وأملك ما تحتها إلى الأرض السابع ؛ ولهذا كنت ظالما لي إلى الأرض السابع .

السائل : هل الأراضي السبع عليها سكان ؟

الشيخ : الله أعلم ما ندري هل عليها سكان أو لا .

الشرح ، الشرح أظن في آخر جملة منها التي ما أخذناها ((**وإليه يرجعون**)) ((**وإليه يرجعون**)) في هذه الآية الكريمة يقول الله عز وجل: ((**أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والأرض طوعا وكرها**)) يعني أسلم له من في السموات والأرض طوعا وكرها إسلاما كونيا قدريا من الاستسلام وليس إسلاما شرعيا لأن من في الأرض لم يسلموا كلهم إسلاما شرعيا لله عز وجل . وقوله: ((**وإليه ترجعون**)) يعني كما أنه له السلطان

الكامل في الدنيا فإنهم أيضا يرجعون إليه في الآخرة؛ وتقديم المتعلق يدل على التخصيص لأن المتعلق هو مفعول الفعل وتقديم المفعول يفيد الحصر يعني يرجعون إلى الله لا إلى غيره وسوف ينبئهم بما عملوا إذا رجعوا إليه .

يقول الله عز وجل: ((**وإذ أخذ الله ميثاق النبيين** ...)) من فوائد هذه الآية الكريمة: أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مربوبون متعبدون لله عز وجل كما أن غيرهم كذلك؛ وجهه من الآية: أن الله أخذ عليهم الميثاق بالتكليف؛ وهذا يدل على أنهم كغيرهم مربوبون متعبدون لله كما يتعبد غيرهم . ومن فوائد الآية الكريمة: إثبات أن الميثاق يكون بما آتاهم الله من الكتاب والحكمة بناء على القراءة الثانية: ((**لما آتيتكم من كتاب**))؛ أما القراءة الثانية التي في المصحف ((**لم**)) فإنه يستفاد منها فائدة وهي: أن الله سبحانه وتعالى آتاهم العهد أو أخذ منهم العهد والميثاق بما آتاهم الكتاب والحكمة يعني لكونهم أوتوا الكتاب والحكمة صاروا أهلا لهذا الميثاق العظيم؛ وأنه مهما أوتوا فلابد أن يؤمنوا بهذا الرسول . ومن فوائد الآية الكريمة: ما من الله به على النبيين من الكتاب والحكمة . ويتفرع على هذه الفائدة: أن من ورث هذا الكتاب والحكمة فإنه قد أخذ بحظ وافر مما أنعم به على النبيين؛ ولهذا جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم: (**أن العلماء ورثة الأنبياء**) فجيب عليهم إذا ورثهم الله علم الأنبياء أن يقوموا مقام الأنبياء في الدعوة إلى الله ونشر العلم والجهاد في سبيله ومن توانى منهم عن ذلك فقد قصر . ومن فوائد الآية الكريمة: فضيلة رسول الله صلى الله علي وسلم لكون الله أخذ على جميع الأنبياء الميثاق والعهد أن يؤمنوا به. فإن قال قائل: كلمة رسول نكرة فما الذي جعلك تجعلها للنبي صلى الله عليه وسلم ؟ والأصل في النكرة أنها اسم جنس شائع لا يختص به واحد دون آخر ؟ فالجواب على ذلك أو عن ذلك أن يقال: إن هذا الوصف الذي وصف الله به هذا الرسول ينطبق تماما على من؟ على النبي صلى الله عليه وسلم؛ ويدل لذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمر: (**لو كان أخي موسى حيا ما وسعه إلا إتباعي**) ويدل لذلك أيضا أن النبي صلى الله عليه وسلم لما جمع الله له الأنبياء ليلة المعراج صار هو إمامهم فصار هو المتبوع لا التابع عليه الصلاة والسلام . ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن رسالة النبي صلى الله عليه وسلم جامعة للتصديق بجميع رسالاته؛ لقوله: ((**مصدق لما معهم**)) ولهذا كانت هذه الأمة . ولله الحمد وأسأل الله أن يجعلني وإياكم منهم . كانت هي المصدقة تماما لجميع الرسل وهذه الميزة ليست لغيرها . من فوائد هذه الآية الكريمة: أنه يجب على الأنبياء أن يؤمنوا بهذا الرسول الذي يأتيهم مصدقا لما معهم وأن ينصروه؛ لقوله: ((**لتؤمنن به ولتنصرنه**)) وإذا كان هذا واجبا على الأنبياء كان واجبا على أممهم لأن ما وجب على الإمام وجب على تابعه؛ فيجب على جميع الأمم أن يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وأن ينصروه؛ ومن لم يكن كذلك فقد كفر

برسوله؛ لأن رسوله قد أعطى الله هذا الميثاق؛ ومعلوم أنهم إذا كانوا صادقين في إتباع رسولهم أن يتبعوا ما التزم به رسوله . ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أنه يجوز بل يشرع في الأمور الهامة أن يقرر من أخذ عليه العهد حتى يقر ويعترف زيادة على العقد الأول الذي جرى بينه وبين معاهده؛ لقوله: ((**أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري**)) وهذا يرد في الأمور العظيمة الهامة؛ ونظيره من بعض الوجوه أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قرر من اعترف بالزنا سأله أفعلت كذا أفعلت كذا حتى قال له: أنكتها ولم يكني قال نعم قال كما يغيب الريشة في البئر والمروذة في المكحلة ؟ قال نعم؛ كل هذا من أجل التثبيت . من فوائد هذه الآية الكريمة أيضا: إثبات كلام الله عز وجل، وأنه متعلق بمشيئته؛ لقوله: ((**قال أأقررتم قالوا أقررنا قال فاشهدوا**)) وكل هذا يدل على أن كلامه سبحانه وتعالى بصوت مسموع وأنه متعلق بمشيئته؛ فيكون فيه الرد على الأشاعرة الذين قالوا إن كلام الله هو المعنى القائم بنفسه وأنه لا يتعلق بمشيئته لأنه وصف لازم له لزوم العلم والحياة . ومن فوائد الآية الكريمة: جواز إشهاد الإنسان على نفسه إذا قلنا ((**قال فاشهدوا**)) إنها خطاب لكل إنسان على حدة؛ وأما إذا قلنا: اشهدوا بعضكم على بعض فليس في الآية دليل لذلك؛ لكن الإشهاد على النفس أمر جاءت به الشريعة ((**يا أيها الذين كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم**)) . ومن فوائد الآية الكريمة: تقوية هذا العهد بهذه التقريرات والاشهادات المختومة بقوله: ((**وأنا معكم من الشاهدين**)) وما أعظم شهادة الله عز وجل في أمر من الأمور؛ وهذا كله مما يزيد فضيلة لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يؤخذ مثل هذا العهد المؤكد بهذه المؤكدات من أجل الإيمان به . صلى الله عليه وسلم . ونصرته . ومن فوائد هذه الآيات الكريمة: أنه إذا كان واجبا على الأنبياء والأمم السابقين أن يؤمنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وينصروه كان إيماننا به ونصرته من باب أولى لأننا ننتسب إليه وننتمي إليه ونعتقده إمامنا صلوات الله وسلامه عليه فكان واجبا علينا أن ننصره؛ ومن المعلوم أن نصره في حياته هو الجهاد معه وأما نصره بعد وفاته فهو نصر سنته ونشرها وبيانها للناس والدفاع عنها والجهاد في نصرتها كل هذا واجب على الأمة الإسلامية؛ وبناء على ذلك يجب على الأمة الإسلامية أن ترفض كل وارد إليها من أعداء الله إذا كان مخالفا للسنة، كل شيء يرد علينا من الكفار من عقائد وأخلاق وأعمال ومعاملات وغيرها إذا كان مخالفا لسنة الرسول صلى الله عليه وسلم فإن أقل ما يقال في النصرة أن يرفض هذا الشيء وأن يضرب به وجه مورده وأن لا يكون له مكان بين الأمة الإسلامية؛ لأنه كيف يكون نصرة ونحن نستورد من أعداء هذه النصرة ما يخالف هذه النصرة؛ من ادعى ذلك فإنه كاذب فإن فعله مكذبه قوله؛ ولو كان قوله صادقا لكان أول ما يقوم به من نصرة شريعة الله أن يرفض كل ما خالف شريعة الله . ثم قال الله عز وجل: ((**فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون**)) ((**من تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون**)) يعني من أمم هؤلاء الأنبياء؛ ولا ترد هذه

الشرطية على الأنبياء لأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام شهدوا على أنفسهم وشهد الله معهم؛ لكن إنما ترد هذه الشرطية على من؟ على أتباعهم يعني فمن تولى من أتباع الأنبياء بعد ما ذكر هذا الميثاق العظيم فهو فاسق . ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن الفسق يطلق على الكفر؛ ومن شواهد ذلك ما ذكرناه في الدرس ((**أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنت المأوى نزلا بما كانوا يعملون وأما الذين فسقوا فمأواهم النار**)) . ومن فوائد الآية: أن من تولى قبل قيام الحجة عليه لم يحكم عليه بفسق؛ لقوله: ((**فمن تولى بعد ذلك**)) . ويتفرع على هذا فائدة مهمة وهي: أن الشرائع لا تلزم قبل العلم، الشرائع لا تلزم قبل العلم؛ وهذه المسألة عظيمة، مسألة عظيمة جدا اختلف فيها العلماء اختلافا طويلا عريضا جدا؛ لكن من تأمل نصوص الكتاب والسنة وتأمل أيضا ما لله من صفات عظيمة تبين له أن الشرائع لا تلزم قبل العلم؛ لأن الله كتب على نفسه أن رحمته سبقت غضبه؛ ولو قلنا وجب الشرائع قبل العلم لكان الغضب سابقا على الرحمة؛ لأننا نلزم الإنسان بشيء لم يعلمه؛ لكن ربما يكون من الإنسان تفريط في السؤال ما يسأل، لا يسأل فحينئذ قد يلزمه قبل أن يعلم من أجل تفريطه؛ أما لو لم يكن مفرطا كإنسان نشأ في بادية ولا يعلم شيئا عن الدين وليس عنده عالم ولا طرأ على باله فكان يصلي على جنابة بدون اغتسال وبقي على هذا عشر سنوات أو أكثر فجاء يسأل ماذا نقول له يا حسن ؟ نقول ليس عليك شيء لأنك لم تعلم بوجوب الغسل من الجنابة؛ لكن لو كان في البلد ويسمع ويستطيع أن يسأل فربما يلزمه بقضاء ما مضى؛ ومن ذلك ما يحدث لكثير من النساء التي تبلغ وهي صغيرة، تبلغ بالحيض وهي صغير ولكنها لا تصوم بناء على أنها صغيرة وأن الصوم لا يلزم إلا من تم لها خمس عشرة سنة؛ ثم تأتي تسأل فإذا علمنا من حالها أنها معذورة بالجهل فإننا لا نلزمها بقضاء ما فات من الصيام؛ لأنها معذورة؛ وهذا في الذين ينتسب للإسلام نعذره ونحكم بإسلامه ونصلي عليه إذا مات؛ أما من لا ينتسب للإسلام فهذا كافر، كافر في الدنيا وأما في الآخرة فعلمه عند الله؛ فقوم الذين لم تبلغهم الدعوة وهم كفار هؤلاء كفار في الدنيا لو ماتوا ما نصلي عليهم ولا ندعوا لهم لكن في الآخرة الصحيح أن أمرهم إلى الله وأن الله تعالى يمتحنهم بما يشاء من تكليف فمن أطاع منهم دخل الجنة ومن عصى دخل النار؛ أما من ينتسب للإسلام ولكنه على حال تكفره من ترك واجب أو فعل محرم وهو لم يبلغه الشرع فإن القول الراجح أنه لا يحكم بكفره لأنه معذور؛ ولهذا تجد نصوص الكتاب والسنة كلها أو غالبها مقيدا ببلاغ الرسالة بالعلم بالتبين وما أشبه ذلك؛ وهذا كما قلتم هو مقتضى صفة الله عز وجل وهي أن رحمته سبقت غضبه . والحمد لله رب العالمين .؛ ولهذا يقول: ((**فمن تولى بعد ذلك**)) وأما من قال: إن ((**بعد ذلك**)) إن هذا القيد من أجل عظم الشناعة عليهم وأن من تولى وإن لم يتبين له الأمر فهو فاسق لكن قيده بالبعدية من أجل عظم الشناعة عليهم فهذا

خلاف الأصل؛ لأن الأصل أن ما قيد بوصف فالوصف عائد له نفسه لا إلى شيء آخر؛ وهنا الذي قيد بالبعدية ما هو؟ التولي؛ فإذا تولى بعد أن جاءه العلم فهو فاسق . ثم قال له عز وجل: ((**أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والأرض طوعا وكرها وإليه يرجعون**)) . في هذه الآية الإنكار الشديد على من ابتغى غير دين الله . ومن فوائدها: أن من ابتغي غير دين الله ولو في التنظيم وما يسمى بالقانون فإنه مستحق لهذا التوبيخ العظيم؛ ويدل لذلك قوله تعالى في سورة المائدة وهي آخر ما نزل أو من آخر ما نزل: ((**أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون**)) وحكم الجاهلية ما هو؟ كل ما خالف حكم الشرع فهو حكم جاهلي؛ لأن حكم الشرع مبني على العلم فما سواه مبني على الجهل؛ وهذا في غاية ما يكون من التوبيخ والتقريع أن تبتغي حكما جاهلية وتدع حكم من؟ حكم العلي الكبير ((**ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون**))؛ وبه نعرف أن من ابتغي حكما بغير حكم الله فهو من أضل عباد الله وأسفه عباد الله وأخسر عباد الله وأنه لن تصلح أمور دينه ولا دنياه . والعياذ بالله . ومن فوائد الآية الكريمة: أن من شرط صحة العمل وقبوله أن يكون موافقا لشرع الله؛ وجهه؟ أن الله أنكر على من بغى دينا غير دين الله؛ ولهذا من شرط العبادة الإخلاص لله وموافقة شريعة الله . ومن فوائد الآية الكريمة: تشريف هذا الدين الذي شرعه الله؛ لأنه أضافه إلى نفسه، فقال: ((**أفغير دين الله يبغون**)) . ومن فوائد الآية الكريمة: إقامة الحجة على أنه لا يليق للإنسان أن يبغي دينا غير دين الله وهو مربوب مملوك لله؛ لقوله: ((**وله أسلم من في السموات والأرض طوعا وكرها**))؛ وقد مر علينا في التفسير أن هذه الجملة يحتمل أن تكون حالية ويحتمل أن تكون استئنافية . ومن فوائد الآية الكريمة: عموم ملك الله وسلطانه؛ من أين تؤخذ ؟ ((**وله أسلم من في السموات والأرض طوعا وكرها**)) وهذا تمام السلطان والملك أن كل من في السموات والأرض فهو مستسلم لله طائعا كان أم مكرها؛ ولذلك لا أحد يمكنه أن يشذ أو يقاوم قدر الله؛ لو جاء أأتى خلق الله يريد أن يقاوم ما أراد الله قدرا هل يمكنه ذلك ؟ أبدا؛ فرعون جبار، عنيد أغرق بما كان يفتخر به ((**قال يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون**))؛ بأي شيء أهلك ؟ بالماء، بالماء الذي كان يفتخر به؛ وعاد استكبروا في الأرض وقالوا من أشد منا قوة ؟ فأهلكوا بماذا ؟ بالريح، هواء، هواء سخره الله عليهم حتى دمرهم أصبحوا لا يرى إلا مساكنهم؛ هذا تمام القوة والقدرة؛ وضعفاء الإيمان اليوم إذا قيل لهم ارجعوا إلى دينكم تنصر على أعدائكم قال تنصر أعدائنا ويش الذي . .ما نعرف نزين الإبر كيف نقاوم أهل الصواريخ وأهل المدافع وأهل القنابل الموجهة؟ لم يعلموا أن الأمر بيد الله عز وجل وأنه سبحانه وتعالى إذا شاء طبق عليهم الأرض تطبيقا خسف بهم إلى السابعة بكلمة واحدة؛ لو صدقنا الله لصدقنا الله لكننا في الحقيقة ضيعنا أمر الله فلما نسينا لله نسينا الله عز

وجل تركنا؛ سمعت أنا قبل سنوات أن الله على واشنطن عاصمة أمريكا أرسل الله عليها صواعق، صواعق من هذا الغمام الذي مثل القطن، صواعق يعني دمرتها تقريبا حتى قطعت سلك الكهرب وسككة المكائن وصارت هذه العاصمة التي هي من أكبر عواصم الدنيا صارت دامسة وحصل سطو عظيم على الفنادق وعلى محل التجارة وصارت شيء نهب؛ وهذه الصواعق من أدنى الشيء؛ الزلزال يضرب الأرض وفي لحظة واحدة يدمر مئات المدن والقرى، مئات المدن والقرى؛ وبماذا حصل هذا الزلزال ؟ بكلمة واحدة وهي: كن؛ بس كن انقلب أعلى الأرض أسفلها وتغيرت معالم الأرض كلها؛ فنحن إذا صدقنا الله صدق الله؛ يذكر أن سعد بن أبي وقاص وهو يطارد الفرس من مدينة إلى مدينة حتى وصل إلى دجلة لما وصل دجلة انتقل الفرس إلى المدائن من وراء دجلة من الشرق وأغرقوا السفن وكسروا الجسور من أجل أن لا يعبر إليهم المسلمون؛ وقف سعد ليس معه إلا إبل وخيول وراجلة وقف ما يقدر يروح؛ فنادى سلمان الفارسي رضي الله عنه وقال له: يا سلمان أعطنا من يعني من تصميمك الحرب يعني هو الذي أشار على الرسول صلى الله عليه وسلم بالخندق؛ قال والله يا سعد ما فيه مدد الآن ما فيه حيلة إلا ما كان من تقوى الله؛ ولكن دعني أنظر في القوم الجند إن كانوا على تقوى من الله فإن الذي فلق البحر لموسى سيوصل لنا العبور على هذا البحر لأن هذه الأمة خير من أمة موسى . الله أكبر . شف الإيمان؛ فذهب سلمان ونظر في الجند في الليل يبيتون لربهم سجدا وقياما وفي النهار في شأن الحرب وما يصلح للحرب؛ فرجع إليه بعد ثلاث وقال هم والله هم على خير ما يرى؛ ولكن استعن بالله واعبد؛ فنادى سعد بن أبي وقاص في القوم وقال إنا عابرون إن شاء الله ولكن سأقف وسأقول بسم الله وأكبر الله ثلاثا فإذا كبرت الثالثة فاعبروا؛ ففعل فقال بسم الله ثم كبر ثلاثا ولما كبر ثالثا عبر الناس يمشون على الماء والنهر يقذف بزبده يمشي يسير؛ تعرفون نهر ما هو مثل البحر واقف، يمشي؛ يقول أهل التاريخ حتى إن الفرس إذا تعب أنشأ الله تعالى له ربوة من الأرض فوقف الفرس عليها يستريح حتى عبروا دجلة؛ فلما رآهم الفرس ضجوا وصاحوا وقالوا إنكم إنما تقاتلون جنا لا طاقة لكم بهؤلاء فروا ففروا وخرجوا من المدائن وانكسر . ولله الحمد . براية التوحيد والجهاد الذي أنشئ على التقوى لتكون كلمة الله هي العليا ليس لطلب الشهادة وليس من أجل القومية أو العصبية أو الوطن؛ ما على بالهم إلا أن تكون كلمة الله هي العليا يكون هذا القرآن هو القانون لأهل الأرض؛ أهل مدائن هربوا منها العاصمة عاصمة الفرس فجاء المسلمون وفتحوها وكسبوا من الأموال ما لا يعلمه إلا رب العباد مثل ما قال النبي عليه الصلاة والسلام: (**لتنفقن كنوزهما كنوز كسرى وقيصر في سبيل الله**) وأخذ التاج تاج كسرى وهو الذي يجلس تحته وهو فوق رأسه مرصع بالآلي والذهب وما شاء الله من حلي الدنيا؛ فأرادوا أن يقلوه لم يجدوا إلا جملين كبيرين يحملان من المدائن إلا المدينة؛ لأن في ذاك الوقت ما في السفن كبيرة ولا السيارات كبيرة فحملوه على جملين من

المدائن إلى المدينة فوضعوه بين يدي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وما أدراك ما عمر الذي عدل فعدلوا وأمن فأمنوا؛ قال: والله . وهو ينظر إليه . إن قوما أدوا هذا لأمناء؛ قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب نعم يا أمير المؤمنين أنهم أمناء لأنك كنت أمينا ولو أنك رتعت لرتعوا . الله أكبر .؛ فهذا تاج كسرى من المدائن يوزع في المسلمين في المدينة؛ هذا من الذي نصرهم حتى عبروا النهر بخيلهم ورجلهم ؟ إلا الله عز وجل؛ لماذا لا نؤمن بهذا ؟ والله إننا ضعفاء الإيمان لماذا لا نؤمن؟ أليس الرب عز وجل وهو أصدق القائلين وأقدر الفاعلين يقول: ((**ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور**)) تأكيدات لفظية ومعنوية في الآيتين من الله عز وجل فلو كان عندنا إيمان حقيقي لكنا أول من يأخذ بهذه الآية؛ نشوف بأي شيء ينصر الله لأن الله شرط ((**ولينصرن الله من ينصره**)) بأي شيء ننصر الله حتى نشوفه؛ الآن تأتي نكبات للمسلمين متنوعة، نكبات متنوعة ما رأينا أحدا إلا القليل النادر يقول يا جماعة ارجعوا إلى دينكم ألبن منكم؛ من الذي تكلم وقال إن الخطأ خطأنا الظلم ظلمنا فلنرجع إلى ربنا حتى لا يسلط علينا هؤلاء الظالمون؛ لأن الله يقول: ((**وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون**)) تأتي النكبات وكأنها حوادث مادية لا علاقة لها بالدين مع أننا مسلمون والمسلم هذه الحوادث ما تكون إلا بفعله؛ الكافر ربما يعطى في الدنيا ما يريد لأنه عجلت له طيباته في الحياة الدنيا ينعم في الدنيا أكثر مما ينعم المسلم لأجل إذا انتقل إلى الآخرة صار العذاب عليه أشد؛ لأنه انتقل من أين؟ من نعيم إلى عذاب، من نعيم إلى عذاب؛ فيفقد هذا الذي كان يدركه في الدنيا يكون أشد، يكون عليه أشد وأعظم؛ ولهذا وصيتي لكم في مثل هذه الظروف أن توعوا الناس تقول هذا الذي أصابنا ما هو أمر حدث مادي خلاف من أجل المال أو الاقتصاد أو الحدود أو الأرض وما أشبه ذلك؛ لا هو قدر إلهي سلط بعضنا على بعض لأننا أضعنا أمر الله ((**وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير**)) أما أن نبقى هكذا ولا كأن شيء جرى، ما كان شيء جرى؛ التاجر في كذبه وغشه؛ الموظف في خيانته وعدم القيام بعمله؛ كل إنسان هو فيه ما كأن شيئا جرى؛ فهذا لاشك أنه يدل على موت القلوب وقسوتها وأنها لا تتعظ وأن الأمور والحوادث يوشك أن تطول وتتغير إلى أسوأ لأن الله عز وجل يحدث مثل هذه الأمور لعلنا نحدث توبة كما قال الرسول عليه الصلاة والسلام في الكسوف: (**إن الله تعالى يحدثه لعل العباد يحدثون التوبة**) ولكن أين قلوب الواعية . نسأل الله أن يواعنا وإياكم .؛ الحاصل أن الله ينكر على هؤلاء الذين يبغون غير دين الله ويقول كيف تبغون غير دين الله والأمر كله لله ((**وله أسلم من في السموات والأرض طوعا وكرها**)) . من فوائد الآية الكريمة: إثبات السموات وأنها عدد؛ وقد جاءت الأدلة بأنها سبع وكذلك الأرض هي سبع لكن لم يفسح الله تعالى بها في القرآن

بل قال : ((**ومن الأرض مثلهن**)) وجاء يفسح بها في السنة . ومن فوائد الآية الكريمة: أن الرجوع إلى الله؛ لقوله: ((**وإليه يرجعون**)) يرجعون في الدنيا ويرجعون في الآخرة ؛ أما في الدنيا فإن المرجع إلى الله في الأحكام؛ الحكم لله، العبادة لله، الأمر لله، النهي لله؛ نرجع إليه شرعا لا إلى رأي فلان وفلان، ولا إلى قانون فلان وفلان ولا إلى نظام فلان وفلان وإنما نرجع إلى الله؛ كذلك نرجع إليه في الآخرة الرجوع إلى الله في الآخرة وسوف يحاسب كل إنسان على ما عمل، ((**فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره**)) . ومن فوائد الآية الكريمة: إثبات البقاء لله؛ لجميع الخلق . ثم قال الله تعالى في ابتداء درس اليوم: ((**قل آمنا بالله**)) قل الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم؛ ويجوز أن يكون المراد به كل من يتأتى خطابه كما قلنا في درس الصباح أنه إذا جاء الخطاب مفردا ولم يوجد دليل أو قرينة على أنه خاص بالرسول فإن الأولى أن نحمله على أيش؟ على أن يكون لكل من يتأتى خطابه؛ قل أيها الإنسان؛ أو قل أيها النبي؛ فإن كان أيها الإنسان فإن قوله: ((**آمنا بالله**)) جمع موزع على كل فرد؛ إن كان للرسول صلى الله عليه وسلم ((**قل آمنا**)) فهو يقوله لأنه إمام الأمة فيكون إيمانه إيمانا لأمته يعني أن أمته تتبعه في الإيمان ((**قل آمنا بالله**)) الإيمان هو الإقرار المستلزم للقبول والإذعان؛ انتبه الإيمان هو الإقرار أيش؟ المستلزم للقبول والإذعان ؛ فمن قال: آمنت بالله وأقر بالله عز وجل ولكن لم يقبل شريعته أو قبلها ولكن لم يذعن فليس بمؤمن . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . ((**قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ومن يبتغ غير الإسلام فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين**)) . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم قال الله تعالى: ((**قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط**)) الخطاب في هذه الآية للنبي صلى الله عليه وسلم والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم خطاب له وللأمة ما لم يكن دليل على أنه خاص به؛ والمتأمل ؛ الموجه للرسول صلى الله عليه وسلم يتبين له أنه على ثلاثة أقسام؛ قسم دل الدليل على أنه خاص به وقسم دل الدليل على أنه له وللأمة وقسم ليس فيه دليل؛ أما ما دل الدليل على أنه خاص به فهو له يختص به؛ مثل قوله تعالى: ((**إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا**)) ((**ألم نشرح لك صدرك**))؛ وأما ما دل الدليل على العموم فهو على العموم مثل قوله تعالى: ((**يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحسوا العدة** ...)) ؛ وما سوى ذلك فإنه يكون عاما له وللأمة؛ لكن وجه الخطاب إليه باعتباره الأمام لأمته عليه الصلاة والسلام والخطاب الموجه للإمام موجه له ولمن كان مؤتما به؛ ولهذا لو وجه الضابط أمرا إلى القائد لكان هذا الأمر للقائد ولمن كان تبعا له؛ فهنا يقول الله عز وجل: ((**قل آمنا بالله**)) فالخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والمراد هو

وأمته وبيان ذلك أي بيان أن هذا هو المراد قوله في سورة البقرة ((**قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا**)) فقال: ((**قولوا آمنا**)) والإيمان بالله يتضمن أمورا الأمر الأول: الإيمان بوجوده؛ والثاني: الإيمان بربوبيته؛ الثالث: الإيمان بألوهيته؛ والرابع: الإيمان بأسمائه وصفاته؛ لكن الثلاثة الأخيرة لابد من توحيده بذلك أي توحيده بالربوبية والألوهية والأسماء والصفات؛ أما الوجود فهو شامل له ولغيره وإن كان وجود الخالق يختلف عن وجود المخلوق؛ فمن لم يؤمن بوجود الله فهو ليس بمؤمن؛ ومن آمن بوجود الله ولم يؤمن بربوبيته على وجه عام شامل فهو لم يؤمن بالله؛ ومن آمن بالله وربوبيته ولكن لم يؤمن بألوهيته فليس بمؤمن؛ ومن آمن بذلك كله ولم يؤمن بأسمائه وصفاته فليس بمؤمن؛ لكن الأخير فيه تفصيل قد يخرج من الإيمان بالكلية وقد لا يخرج . ((**قل آمنا بالله وما أنزل علينا**)) وهو القرآن الكريمة والسنة النبوية كلاهما منزل؛ قال الله تعالى: ((**وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم**)) فيشمل يا بسام أيش يشمل ؟ آدم ؟ القرآن والسنة

((**قل آمنا بالله وما أنزل علينا**)) وهو القرآن الكريمة والسنة النبوية كلاهما منزل ؛ قال الله تعالى: ((**وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم**)) فيشمل يا بسام أيش يشمل ؟ آدم ؟ القرآن والسنة؛ القرآن والسنة ((**ما أنزل علينا**)) يشمل القرآن والسنة ودليل ذلك قوله تعالى: ((**وأنزلنا عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم**)) . ((**وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط**)) كم هؤلاء ؟ أنت ؟ خمسة ؛ ((**وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط**)) طيب ((**ما أنزل على إبراهيم**)) الخليل عليه الصلاة والسلام وهو أبو الأنبياء ؛ والذي نعرف مما أنزل إليه صحفه كما ذكر الله ذلك في موضعين في القرآن في سورة النجم وفي سورة الأعلى، فقال الله تعالى في سورة النجم: ((**أم لم ينبأ بما في صحف موسى وإبراهيم الذي وفى**)) وقال في سورة الأعلى: ((**إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى**)) هذا ما أنزل على إبراهيم؛ ((**إسماعيل**)) إسماعيل لم يصل إلينا كتابه الذي نزل إليه ولم نعرف إلا أنه أنزل إليه ولكن مع هذا يجب علينا أن نؤمن بما أنزل على اسماعيل؛ واسماعيل هو الولد الأول لإبراهيم وهو أبو العرب وهو الذي صبر ذلك الصبر العظيم حين قال له أبوه: ((**يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى**)) فقال هذا الابن الحليم قال: ((**يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين**)) ولله دره من ابن، ابن لم يبلغ لكنه بلغ مع أبيه السعي وهو أشد ما تكون النفس تعلقا به لأن الكبير من الأولاد قد زلت النفس عنه والصغير لم تتعلق به البعد هذا التعلق؛ الصغير من يتعلق به ؟ الأم؛ لكن هذا بلغ معه السعي في غاية ما يكون التعلق به ومع ذلك فإن ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام نفذ ما أمر الله به، قال الله تعالى: ((**وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا**)) لكن أرحم الراحمين سبحانه وتعالى نسخ هذا الأمر حين أسلما وتله للجبين؛ أسلما يعني ؟ استسلما وانقادا لأمر الله وتله على الجبين كابا له على الأرض لئلا يرى وجهه حين يذبحه؛ فلما قارب أن يذبحه جاء الفرج من الله عز وجل؛ وهكذا يكون الفرج كلم اشتد الكرب، قال النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**واعلم أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا**) ولن يغلب العسر يسرين كما قال الله تعالى: ((**فإن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا**)) ؛ الحاصل أننا نقول إن اسماعيل هو الولد الأكبر لمن؟ لإبراهيم وهو الذبيح بلاشك لأن الله لما ذكر قصة الذبح في سورة صافات قال: ((**وبشرناه بإسحاق**)) بعد هذا ((**وبشرناه بإسحاق**)) وأظن أننا أملينا عليكم حوالي عشرة أوجه تدل على أن اسماعيل هو الذبيح . ((**وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق**)) ذكره بعده للترتيب الزمني والظاهر والله أعلم والترتيب المنزلي وأن إسماعيل أفضل من إسحاق لأن إسماعيل أب لأشرف الخلق محمد صلى الله عليه وسلم؛ وإن كان إسحاق أب لأكثر الأنبياء فالأنبياء من ولد إسحاق أكثر من الأنبياء من ولد إسماعيل؛ لكن العبرة

بأيش ؟ بأفضلية؛ محمد صلى الله عليه وسلم أشرف الخلق من إسماعيل من ذرية إسماعيل؛ فالظاهر والعلم عند الله أنه أخره ذكرا لأن إسماعيل أفضل منه وأسبق، أفضل منه قدرا وأسبق زمنا؛ ومع ذلك فكل منهم في المرتبة الأولى من مراتب الخلق ((**ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا**)) أسأل الله أن يجعلني وإياكم من رفقائهم . قال عز وجل: ((**وإسماعيل وإسحاق ويعقوب**)) يعقوب ابن إسحاق وهو الملقب بإسرائيل والذين ينسب إليه بنو إسرائيل؛ وأخره عن اثنين لأنه متأخر عنهما زمنا؛ ((**ويعقوب والأسباط**)) الأسباط جمع سبط وأصل السبط في اللغة ابن البنت ولهذا يقال في الحسن والحسين رضي الله عنهما سبطا رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وابن الابن يسمى حفيدا ((**وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة**)) أي أبناء ابن؛ الأسباط هو ابن البنت ولكن ما المراد بهم ؟ قيل: المراد بهم أولاد يعقوب، وكان أولاد يعقوب اثني عشر ولدا ومنهم تفرعت قبائل بني إسرائيل، قال الله تعالى: ((**وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطا أمما**)) السبط في بني إسرائيل كالعشيرة أو الفخذ أو القبيلة في العرب؛ فقال بعض أهل العلم إن المراد بالأسباط أولاد يعقوب الاثنا عشر وأنهم أنبياء ؛ وقال آخرون بل الأسباط شعوب بني إسرائيل؛ وأن المراد وما أنزل على الأسباط أي على أنبياء الأسباط، فهي على أنبياء الأسباط أي الأنبياء الذين بعثوا في أسباط بني إسرائيل؛ فهذان قولان؛ القول الأول: أن المراد بالأسباط من؟ أولاد يعقوب وأنهم أنبياء؛ والثاني أن المراد بهم شعوب بني إسرائيل الذين فيهم الأنبياء؛ وعلى هذا فيكون في الآية على هذا المعنى يكون في الآية تقدير أي وما أنزل على أنبياء الأسباط، على أنبياء الأسباط؛ يؤيد القول الأول أنه لا يحتاج إلى تقدير؛ لأن الثاني يحتاج إلى تقدير، ويش تقدير الثاني ؟ أنبياء الأسباط ؛ وإذا دار الكلام بين أن يكون ذا تقدير أو خاليا منه حمل على الخالي منه لأنه الأصل، الأصل عدم التقدير؛ لكن يضعفه أن الأسباط هم أبناء البنات وهنا لا يتناسب مع الآية لأن أولاد يعقوب أحفاد لإسحاق، أو أحفاد لإبراهيم وليسوا أسباطا؛ والقرآن نزل باللغة العربية فيجب أن تحمل الكلمة في القرآن على المعنى اللغوي ما لم تكن حقيقة شرعية تمنع من حمله على المعنى اللغوي؛ فإذا وجدت حقيقة شرعية تمنع من حمله على المعنى اللغوي اتبعنا الحقيقة الشرعية كالصلاة مثلا في اللغة الدعاء، وفي الشرع؟ هي التعبد لله تعالى بذات الأقوال أو الأفعال المعلومة مبتدئة بالتكبير ومختتمة بالتسليم؛ يضعفه كذلك أنه لم يقم دليل على نبوة أولاد يعقوب إلا يوسف، يوسف من الأنبياء لاشك أما أولاده الآخرون الإحدى عشرة فإنه لم يقم دليل على كل واحد منهم بخصوصه أنه نبي؛ والنبوة وصف عظيم يحتاج إلى بينة ودليل وبرهان تدل على أن هذا الشخص متصف بها؛ ثم يضعفه أمر ثالث وهو فعل أبناء يعقوب بأخيهم يوسف وما حصل منهم من الكذب حيث جاءوا على قميصه بدم كذب، ((**وقالوا إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند**

متاعنا فأكله الذئب)) ثم اتهامهم **لأبيهم** ((**وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين**))؛ المهم أن هناك قرائن تدل على ضعف أن يكون المراد بالأسباط أولاد يعقوب؛ ويخرج منه يوسف لدلالة الكتاب والسنة على أنه نبي؛ إذا يترجح أيش؟ القول الثاني أن المراد بالأسباط الشعوب يعني وما أنزل على الأسباط بواسطة أنبيائهم لأن المنزل على أنبيائهم منزل عليهم ((**وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد**)) نقول نحن للكفار؛ إذا يكون هذا القول هو المعتمد أن المراد بالأسباط أي شعوب بني إسرائيل والمنزل عليهم يكون بواسطة أنبيائهم؛ وإن شئت فقل في الآية حذف دل عليه السياق ويكون التقدير: وما أنزل على أنبياء الأسباط . ((**وما أوتي موسى و عيسى**)) العدول عن التعبير بالإنزال بالإيتاء قد يتساءل السائل عنه أو قد يسأل السائل عنه لماذا قال: ((**وما أوتي موسى وعيسى والنبيون**)) ولم يقل: وما أنزل على موسى وعيسى والنبيين ؟ فقال بعضهم: لأن ما أوتيه موسى وعيسى نوعان: وحي ؛ وآيات كونية محسوسة بقي ذكرها إلى نزول القرآن الكريم؛ ومعلوم أن الوحي يسمى إيتاء قال الله تعالى: ((**وآتينا موسى الكتب وجعلناه هدى لبني إسرائيل**)) والآيات المؤيدة للرسالة هي أيضا إيتاء ما هي وحي إيتاء؛ فقوله: ((**ما أوتي موسى**)) يشمل ما نزل من الوحي وما حصل من الآيات؛ وذكر هذا لأن ذكر الآيات والعلم بها بقي إلى نزول القرآن الكريم؛ ما أوتي موسى وحي وآيات؛ أما الوحي فهي توراة التي هي أفضل كتاب بعد القرآن وأشمل كتاب وأعم كتاب وأهدى كتاب بعد القرآن ((**قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما اتبعه**)) فقرنها الله مع القرآن؛ هذه التوراة نزلت على موسى وهذا إيتاء الوحي؛ أما إيتاء الآيات فمن أعظم ما حصل له العصا واليد، العصا واليد؛ العصا حصل فيه ثلاث آيات عظيمة: ألقاه على سحر سحرة آل فرعون بالتهم جميع حبالهم وعصيهم التهمها التهاما وهي ثعبان والحبال والعصي قد ملأت الأرض ومع ذلك هذا الثعبان يأكلها ولا يدرى أين تذهب لأنها أكبر منه حجما؛ ولكن مع ذلك قدرة الله عزوجل فوق كل شيء؛ ولم يتماسك السحرة لما رأوا هذه الآية العظيمة حتى أيش؟ حتى خروا ساجدين، سجدوا ((**فألقي السحرة ساجدين**)) كلمة القي كأنهم جاءوا من غير عقل سجدوا كأنهم سجدوا من غير عقل لقوة ما وقع على قلوبهم من الآيات التي يعرفونها أنها ليست سحرا؛ والآية الثانية لهذا العصا أنه ضرب به البحر فانفلق صار اثني عشر طريقا بين كل طريق وآخر كتل من الماء كأنها جبال كل جبل كالطود العظيم وقد ذكر أهل العلم أن الله جعل لهذا الماء فرجا من أجل أن يطمئن الناس بعضهم إلى بعض يشاهد بعضهم بعضا من هذه الفرج فرج في الماء كأنه مسله هذا الماء ؛ وبلحظة ((**اضرب لهم طريقا في الماء يبسا**)) يعني لو اجتمعت نيران الدنيا كلها توبس عرض البحر في هذه اللحظة أو رياح الأرض كلها المخترعات ما تمكنت؛ لكن قدرة من يقول للشيء كن فيكون جعلت هذا أمرا أيش؟ أمرا ممكنا واقعا؛ الثالث من الآيات

العظيمة في هذا العصا أنهم إذا استسقوا يعني حصل عليهم نقص في الماء ضرب موسى الحجر بهذا العصا فتفجر اثني عشر عينا كل عين لسبط من أسباط بني إسرائيل حتى لا يقع النزاع بينهم والمزاحمة والمشاقة؛ هذه من الآيات التي أوتيها موسى صلى الله عليه وسلم. أما عيسى فأوتي أيضا وحيا وآيات؛ ما هو الوحي؟ الإنجيل، الإنجيل الذي كان متمما للتوراة، متمما للتوراة ومبنيا عليها؛ وآيات حسية منها أنه يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى ويخرجهم من القبور ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيرا يطير قال الله تعالى: ((**فأنفخ فيه فيكون طيرا**)) وفي قراءة: ((**طائرا**))؛ والفائدة من القراءتين أنه يكون طيرا ويطير؛ قد يكون الشيء على هيئة الطير ولكن ما يطير وقد يطير ولكن ليس بطير كالطائرة مثلا؛ لكن هذا يكون طيرا يطير، يخلق بإذن الله شيئا على صورة الطير؛ والتصوير هنا جائز وإلا غير جائز ؟ جائز؛ لأيش؟ لأنه بأمر الله؛ والأصل في الطاعة أمر الله، أمر الله الملائكة أن يسجدوا لآدم فسجدوا فكان سجودهم طاعة؛ وأمر الله ابراهيم أن يقتل ابنه فامتثل فكان امتثاله لهذا الأمر طاعة؛ المهم إن الطاعة طاعة الله إذا أمر بأي شيء فامتثال هذا الأمر طاعة وإن كان في أن آخر سوف يكون شركا مثلا أو كبيرة من كبائر الذنوب؛ ((**يبرئ الأكمة والأبرص**)) من هو الأكمه ؟ الذي خلق بلا عين ممسوح العين يبرئه يحيي الموتى يقف على الميت جثة فيحييه يقول له كلمة فيحيى، أبلغ من هذا يخرج الموتى من القبور يقف على القبر ويكلم صاحب القبر ويقوم صاحب القبر حيا يخرج من القبر؛ ما هي هذه آية من آيات الله ؟ من أعظم الآيات، هذه من أعظم الآيات الدالة على كمال قدرة الله وعلى إمكان البعث، إمكان البعث يوم القيمة يخرج الناس من قبورهم بزجرة واحدة ((**فإنما هي زجرة واحدة فإذا هم بالساهرة**)) هذه الزجرة يتريث المراد بها أو لا يتريث؟ يتريث المراد وإلا لا؟ ما بالكم ما فهمتم الكلام ؟ لا يتريث؛ ولهذا قال: ((**فإنما هي زجرة واحدة فإذا هم**)) والأخ هداية الله يعرف إن إذا فجائية تدل على مفاجئة في الحال، وقال الله تعالى في سورة القمر كلمة عامة في كل مأموراته :((**وما أمرنا إلا واحدة**)) أيش ؟ أحمد ؟ ((**وما أمرنا إلا واحدة**)) أيش ؟ ((**كلمح بالبصر**)) لمح البصر ما لها يعني يضرب بين المثل بالسرعة؛ واحدة فقط إذا أمر الله بالشيء أمرا واحدا كن فيكون كلمح البصر . سبحان الله .؛ إذا هذه الآيات التي أعطيها عيسى فيها دليل على إمكان البعث وإلا لا ؟ . ((**و النبيون من بعدهم**)) لما جاء الجمع والنبييون دون التخصيص جاء الإيتاء دون الإنزال من أجل أن يشمل الآيات التي قد يكون أعطيها بعض النبيين فجاءت والنبييون من ربهم عطفا على ((**موسى وعيسى**)) كما جاء ذلك في سورة البقرة : ((**وما أوتي النبيون من ربهم**)) ؛ والنبيون المراد بهم الرسل، المراد بالنبيين الرسل وكل من وصف بالنبوة في القرآن فإنه رسول وكل من ذكر في القرآن فهو رسول لقوله تعالى: ((**ولقد أرسلنا رسلا من قبلك** منهم **من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك**)) ؛ إذا فكل من قص

الله علينا فهو رسول وإن كان لم يوصف في القرآن إلا بالنبوة لكنه رسول بدليل هذه الآية . ((**آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم**)) لا نفرق نحن بين أحد منهم ؛ كل هؤلاء نؤمن بهم على سبيل السواء بدون تفريق؛ لكن يرد إشكال وهو أن الإيمان بهؤلاء هل هو إيمان مجمل أو مفصل ؟ الجواب: إيمان مجمل لكن كل ما صح أنهم أخبروا به وجب علينا الإيمان به، كل ما صح عنهم أنهم اخبروا به وجب علينا الإيمان به ولو تفصيل؛ هذا في الأخبار؛ لكن في الأحكام لا؛ الأحكام لا نتبع إلا ما حكمت به شريعة محمد صلى الله عليه وسلم، ما حكمت به الشريعة شريعة النبي صلى الله عليه وسلم فهو المكلف، فهو الذي كلفنا به ووجب علينا اتباعه كما قال الله تعالى: ((**قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا الذي له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون**)) فالإتباع لمحمد صلى الله عليه وسلم؛ أما الإيمان فهو عام لجميع الرسل بدون تفريق؛ فإذا صح عن موسى أنه أخبر بخبر يتعلق بالله أو بخبر يتعلق بيوم القيمة أو بالجنة أو بالنار وجب علينا أن نؤمن به؛ لكن متى ؟ إذا صح، إذا صح أما ما يروى من الإسرائيليات فقد يكون صحيحا وقد لا يكون . واعلم أن شريعتنا بالنسبة للأحكام أن شريعتنا في الأحكام بالنسبة لمن سبق ثلاثة أقسام؛ شريعتنا في الأحكام بالنسبة لمن سبق على ثلاثة أقسام؛ القسم الأول ما وردت شريعتنا بخلافهم فهذه لا نعمل بها لأن شريعتنا ناسخة لجميع الأديان فلا نعمل مثال ذلك القصاص، القصاص في النفس والأطراف كان في التوراة واجبا مفروضا ما فيه عفو لكن في الشريعة الإسلامية كان مخيرا فيه؛ فهل نتبع التوراة أو نتبع القرآن ؟ القرآن . القسم الثاني: وما ورد شرعنا بوفاقه فإننا نعمل به إتباعا لشريعتنا المصدقة لما سبق من الشرائع ولا نخالفه وهذا كثير مثل الطيبات أحل الله لنا ولغيرنا ولكن حرم على بني إسرائيل بعض الطيبات بسبب ظلمهم . القسم الثالث: ما لم يرد في شرعنا له وفاق ولا خلاف؛ فما الحكم فيه ؟ هذا محل نزاع بين أهل العلم وبحثه موجود في أصول الفقه؛ فمن العلماء من قال: إنه شرع لنا؛ ومنهم من قال: إنه ليس بشرع ؛ والصحيح أنه شرع لنا لدلالة شرعنا عليه قال الله تعالى: ((**أولئك الذين اهتداه فبهداهم اقتده**)) وقال تعالى: ((**شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك**)) وقال تعالى: ((**لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب**)) وكذلك النبي عليه الصلاة والسلام أحيانا كان يسند الحكم إلى أنه فعله أخي فلان من الأنبياء وما أشبه ذلك؛ والمعنى يقتضي ذلك أيضا لأنه لو لا أن لنا فائدة من قصص الأنبياء السابقين ومن الفوائد أن نعتبر ونعمل بما عملوا لم يكن لذكر هذه القصص شيء من الفائدة كثير؛ قوله: ((**لا**

نفرق بين أحد منهم)) في أيش ؟ في الإيمان بأنهم رسل صادقون فيما أخبروا به واجب إتباعهم فيما أمروا به أو نهوا عنه؛ لكن بالنسبة لنا لا يجب علينا متابعتهم في الأحكام على التفصيل الذي سمعتم .

الشيخ : قال: ((**ونحن له مسلمون**)) لمن ؟

الطالب : لله ،

الشيخ : الضمير يعود على الله ((**قل آمنا بالله**)) لأنه الأصل في سياق هذا الكلام ، كل الذي بعدها معطوف عليها، الذي بعدها كل معطوف عليها . فإن قال قائل: لماذا لا تجعل الضمير يعود على قوله: ((**أحد**)) ((**لا نفرق بين أحد منهم**)) لأنه أقرب مذكور ؟ أي ونحن لهذا العهد مسلمون ؟ قلنا: لا يستقيم الكلام؛ لأن أصل الكلام مداره على أول جملة فيه ((**آمنا بالله**)) فيكون مرجع الضمير في قوله: ((**ونحن له**)) الله عز وجل، يعني ونحن لله مسلمون أي مستسلمون ظاهر وباطنا بالقلب واللسان والجوارح؛ و الله المستسلم له لأن من لم يستسلم لله استسلم لغيره ولابد؛ انتبه لهذه القاعدة المفيدة : من لم يستسلم لله استسلم لغيره ولابد إما أن تستسلم لله وتنقاد لأمره وإلا فإنك سوف تستسلم لهواك وتنقاد لهواك، وهواك تابع لمن ؟ للشيطان فتكون مستسلما للشيطان؛ لأن كل إنسان لابد له من إرادة وهمة ما في أحد يخلوا من إرادة أبدا، كل له إرادة؛ فإما أن يكون مرادك مرضات الله عز وجل فتستسلم له أو مرضات نفسك فتستسلم لهواك والشيطان؛ وقوله: ((**ونحن له مسلمون**)) قدم المتعلق على المتعلق لإفادة الحصر يعني ونحن له لا لغيره مسلمون؛ ولهذا نقول: إن المؤمن إذا تعارض عنده أمر الله وأمر الخلق ماذا يقدم ؟ يقدم أمر الله مهما كان الآمر حتى أمك وأبوك لو أمرتك بخلاف أمر الله فقدم أمر الله؛ لو قالت لك أمك: يا ابني لا تخرج لصلاة الفجر لا تخرج المسجد بعيد ويخشى عليك من كلب، وإذا كانت ليلة ظلماء وفيها مطر يخشى عليك من الوحل والمطر يبل ثيابك ويكون فيه برد عليك اجلس؛ ولكن قد نقول لها لكلامها وجه لأن الوحل والمطر من أعذار المبيحة لترك صلاة الجماعة لكنها ظنت أن المسألة ما فيها عذر، قالت يا بني لا تذهب إلى المسجد ؟ هل تطاع ؟ لا ما تطاع؛ قال أبوه: يا بني لا تطلب العلم، لا تطلب العلم تذهب تطلب العلم ثم باكر تأتينا علينا مشددا علينا يخرج هذا من البيت يخرج هذا من البيت نعم؟ وهكذا خل ن نحن وإياك ونكون سلميين ولا تطلب العلم؛ فهل الإنسان يمتثل أمر أبيه في هذه الحال ؟ لا؛ ومن أحسن ما رأيت في هذا الموضوع لأن المسألة تشكل على طالب العلم وعلى غير طالب العلم هل يطيع أباه في مثل هذه الأمور أو لا؟ يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: إنه لا تجب طاعة الوالدين في أمر ينفعك ينفع الابن ولا يضرهما هذا جيد كلام جيد لو يكتب بماء الذهب، كل شيء ينفعك ولا يضر والديك فإنه لا تجب

طاعتهما فيه؛ فإذا طلبت العلم هل يضر والداك ؟ أبدا، ما يضره؛ ينفعك؟ ينفعك؛ ولا يرد على هذا مسألة الجهاد أن بر الولدين أفضل من الجهاد لأن الجهاد فيه تعريض للنفس بالقتل والقتل يقلق راحة الوالدين، يقلق الراحة؛ الأم ما تنام بالليل ولا بالنهار، بعض النساء ما تسكت؛ ولهذا يتحايل بعض الناس الذي يذهب الجهاد يقول أريد أسافر لمدة أيام وأرجع ثم يسافر وقد لا يرجع يخدع؛ فالمهم أنه يجاب عن مسألة الجهاد بهذا الجواب .

وقوله: ((**ونحن له مسلمون**)) قلنا مستسلمون، شرعا أو قدرا ؟ شرعا وقدرا لكن الاستسلام القدري لا مدح فيه؛ لأنه سيكون سواء قلته أم لم تقله، الاستسلام القدري يعني كون الإنسان لا يتمكن الخلاص من قدر الله هذا أمر سيكون ولا يمدح عليه المرء يعني لو أن واحد أصيب مصيبة قال والله هذا استسلم لأمر الله ولم يمنع هذه المصيبة ما شاء الله عليه صح ؟ لا ؛ لأيش ؟ لأن هذا أمر قهري فلا يحمد عليه الإنسان ، نعم يحمد على الصبر عليها لأن الصبر على المصائب استسلام شرعي أي نعم .

السائل : أوتي موسى وعيسى وحي وآيات معه، آيات حسية نعم آيات حسية ابراهيم ما أوتي من الآيات ؟

الشيخ : إلا؛ لكنها كانت تخلصا من شر هؤلاء ما هو لإثبات الرسالة للتخلص من منهم .

السائل : شيخ ؟ آية عيسى في إحياء الموتى هل تستثنى من أن الناس لا يبعثون إلا يوم القيامة لأن الأحاديث تدل على أن الناس لا يبعثون قبل يوم القيمة ؟

الشيخ : هذه آيات، نقول هذه آيات حتى في القرآن ((**ثم إنكم بعد ذلك لميتون ثم إنكم يوم القيمة تبعثون**)) ؛

السائل : قال يوم القيمة ليس في الدنيا وعيسى عليه الصلاة والسلام كان يحيي في الدنيا ؟

الشيخ : أنا أقول لك هذا مستثنى لأنه آية ؛ أنت قلت إن الأحاديث دلت على أنه ما يبعث إلا يوم القيمة، أقول حتى القرآن يدل على أن الناس لا يبعثون إلا يوم القيمة لكن هذه تعتبر آيات .

السائل : شيخ ما وجه التفاضل بين القرآن وبين التوراة والإنجيل مع أن كل الكتب منزل من الله ؟

الشيخ : التفاضل بين الوحي ليس باعتبار المتكلم به أو منزله فهو بهذا المعنى لا يتفاضل لأن المتكلم واحد؛ لكن يتفاضل باعتبار معناه وفائدته ومنفعته للخلق .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ((**ومن يبتغ غير الإسلام فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات والله لا يهدي القوم الظالمين**)) . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. أظننا لم نأخذ الفوائد في الآية الأولى ؟ من قوله: ((**قل آمنا**)) قال الله تعالى: ((**قل آمنا بالله وما أنزل إلينا** ...)) في هذه الآية: وجب الإقرار بالإيمان باللسان كما هو واجب بالقلب؛ لأن قوله: ((**قل**)) يعني باللسان المعبر عما في القلب . ومن فوائدها: أن الخطاب الموجه للرسول صلى الله عليه وسلم خطاب له وللأمة؛ لقوله: ((**قل آمنا**)) ولم يقل: قل آمنت؛ فهذا له وللأمة . ومنها: أن الإيمان هو أصل كل شيء مقدما على كل شيء؛ لقوله: ((**آمنا بالله**)) وجعل ما بعده معطوفا عليه . ومن فوائدها: أن وجوب الإيمان بما أنزل علينا؛ والإيمان بما أنزل علينا وهو القرآن يجب الإيمان به تصديقا بالخبر وامتثالا للأمر واجتنابا للنهي؛ لأنه شريعة ومنهاج لنا . ومن فوائدها: وجوب الإيمان بما أنزل على الرسل السابقين؛ لقوله: ((**وما أنزل على إبراهيم** ...)) ولكن الإيمان بما أنزل إليهم هو التصديق بما جاءت به هذه الكتب من الأخبار؛ أما الأحكام فإن ما خالف شرعنا ليس شرع لنا بالاتفاق؛ وما وافق شرعنا فهو شرع لنا بالاتفاق لثبوته بشرعنا؛ وما لا هذا ولا هذا ففيه خلاف بين العلماء والصحيح أنه شرع لنا . ومن فوائد هذه الآية: ثبوت نبوة إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب؛ لقوله: ((**وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب**)) . ومن فوائد هذه الآية: وجوب الإيمان بالأسباط؛ وقد سبق لنا أن القول الراجح أن المراد بهم ؟ شعوب بني إسرائيل أي ما أنزل عليهم بواسطة رسلهم . من فوائد الآية الكريمة: وجوب الإيمان بما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم من الآيات الكونية التي يسميها بعض العلماء المعجزات؛ من الآيات الشرعية التي هي الشريعة التي يمشي عليها هؤلاء فنؤمن بما أوتي؛ لكن العمل بالشرائع السابقة عرفتم حكمه. ومن فوائدها: ثبوت نبوة موسى وعيسى؛ لقوله: ((**وما أوتي موسى وعيسى**)) . ومن فوائد الآية الكريمة: أنه يجب علينا أن نؤمن بكل الأنبياء إجمالا لأنه خصص ثم عمم. ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن هذا الدين الإسلامي ليس فيها عصبية ولا يجوز أن يتخذ الإنسان منه عصبية؛ لقوله: ((**لا نفرق بين أحد منهم**)) بخلاف ما يسلكه بنو إسرائيل، حيث لا يؤمنون إلا بما جاء عن أنبيائهم فقط؛ أما هذا الدين الإسلام فلا ((**لا نفرق بين أحد منهم**)) كلهم عندنا رسل الله؛ لكن نفرق في العبادات لا نتعبد إلا بما أمرنا بالتعبد به . ويذكر أن شخصا حاج عالما من علماء المسلمين فقال له: لماذا تجيزون لأنفسكم أن تتزوجوا ببناتنا ولا تجيزون لنا أن نتزوج ببناتكم ؟ فقال له العالم: لأننا نؤمن برسولكم ولا تؤمنون برسولنا؛ فألقمه حجم . ومن فوائد هذه الآية الكريمة: وجوب الاستسلام لله عزوجل وحده؛ لقوله: ((**ونحن له مسلمون**)) وجه التخصيص فهد ؟ ويش وجه التخصيص ؟ أيش تخصيص وين التخصيص ؟ قدم المتعلق على

المتعلق، والمتعلق معمول للمتعلق وتقديم المعمول يفيد الحصر ؛ إذا في قوله: ((**ونحن له مسلمون**)) فائدتان: إخلاص الإسلام لله؛ ووجوب الإسلام له . من فوائد هذه الآية الكريمة: أن لا نستسلم لأحد استسلاما يخالف الاستسلام لله؛ وجه الدلالة ؟ أن هذا هو فائدة الاختصاص، أن لا نستسلم لأحد إلا لله؛ فإذا جاءنا أمر من مخلوق يخالف أمر الله فإننا لا نستسلم له؛ لأننا لو استسلمنا له لم نكن أخلصنا الاستسلام لله عزوجل واضح ؟ طيب . ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أنه ينبغي للإنسان أن يشعر في كل حياته العملية قولا كانت أو فعلا أو تركا أنه مستسلم لله حتى يستفيد من العمل؛ عندما أتوضأ أشعر أنني أنفذ قول الله تعالى: ((**يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم** ...)) هل أنت أيها المسلم تستشعر هذا ؟ الله أعلم لكنه يغيب عن كثير من الناس هذا الأمر؛ ما يشعر الإنسان حينما يتوضأ

عندما أتوضأ أشعر أنني أنفذ قول الله تعالى: ((**يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم** ...)) هل أنت أيها المسلم تستشعر هذا ؟ الله أعلم لكنه يغيب عن كثير من الناس هذا الأمر؛ ما يشعر الإنسان حينما يتوضأ يغسل وجهه ويديه ويمسح رأسه ويغسل رجليه أنه يمتثل أمر الله أبدا؛ ولذلك أنا أقول ينبغي أن تستشعر في هذه الحال أمرين: امتثال أمر الله؛ إتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني تشعر وأنت تغسل وجهك كأن الرسول صلى الله عليه وسلم أمامك يغسل وجهه لتكون متبعا له؛ وكذلك نقول في الصلاة والزكاة والصيام والحج وغيرهم؛ المهم أن نستشعر أو أن نشعر أنفسنا بأننا نفعل ذلك امتثالا لأمر الله وإتباعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نحقق شرطي العبادة في كل عمل . ثم قال الله تعالى: ((**ومن يبتغ غير الإسلام دينا**)) من شرطية وما أقربنا من من الشرطية؛ لكن ((**يبتغي**)) خرجت عما يظهر من الإعراب لأنها لم تجزم بالسكون، ((**يبتغ**)) أنا عندي مكسورة؛ مجزومة بأيش؟ بحذف حرف العلة بحذف الياء لأن أصلها يبتغي؛ وقوله: ((**من يبتغ غير الإسلام دينا**)) ((**غير**)) مفعول ((**يبتغ**)) و ((**دينا**)) يصح أن تكون مفعولا ثانيا أي من يطلبه دينا وأن تكون تمييزا لغير المبهمة؛ لأن غير مبهمة اسم مبهم؛ طيب على كل حال ((**يبتغ**)) بمعنى يطلب؛ وقوله: ((**غير الإسلام**)) المراد بالإسلام هنا الإسلام الخاص وهو الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم؛ وإن كان في الإسلام يطلق على الاستسلام لله في كل زمان ومكان كما تعرفون ما ذكر الله عن الأنبياء السابقين أنهم يطلقون الإسلام ((**قالت رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين**)) والآيات في هذا كثيرة أن الرسل وأتباعهم مسلمون لكن هذا الإسلام العام؛ أما بعد بعثة الرسول عليه الصلاة والسلام فكل ما يسمى إسلاما فهو ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فقط؛ إذا ((**غير الإسلام**)) أي أيش؟ غير شريعة محمد صلى الله عليه وسلم؛ لأننا نقول المراد بالإسلام هنا أيش؟ الإسلام الخاص الذي هو شريعة محمد صلى الله عليه وسلم . ((**دينا**)) أي عملا يدين به لله ويرجوا أن يدان به بالثواب من عند الله؛ لأن الدين يطلق على العمل وعلى الجزاء؛ ففي قوله تعالى: ((**لكم دينكم ولي دين**)) المراد به العمل؛ وفي قوله: ((**وما أدراك ما يوم الدين ثم ما أدراك ما يوم الدين**)) الجزاء؛ وفي قوله هنا: ((**ومن يبتغ غير الإسلام دينا**)) المراد به العمل ؛ لكن الدين لا يكون إلا في عمل يرجوا الإنسان ثوابه يعني يرجوا أن يدان به؛ ولهذا يقال: كما تدين تدان . وقوله: ((**فلن يقبل منه**)) الفاء نقول في إعرابها حسب ما مر علينا في الليلة الماضية أيش؟ رابطة للجواب، أليس كذلك ؟ بلى؛ وبما وقد وبلن وبالتنفيس؛ الفاء رابطة للجواب؛ ((**فلن يقبل منه**)) فلن يقبل أي ذلك الدين؛ وقوله: ((**فلن يقبل منه**)) لم يقل: فلن يقبل الله، قال: ((**فلن يقبل منه**)) ليعم الرفض والرد من الله عز وجل ومن الرسول ومن المسلمين؛ ولهذا لا يجوز للمسلمين أن يقروا أحدا على دين

خلاف شريعة الرسول صلى الله عليه وسلم، لا يجوز ذلك ((**فلن يقبل منه**)) ؛ وقوله: ((**فلن يقبل منه**)) المراد بالقبول هنا قبول التمام وإلا قبول الصحة ؟ الصحة، قبول الصحة ودليل ذلك قوله صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه الشيخان عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد**) مردود ؛ فمن دان بغير الإسلام سواء في الأصل أو في الفرع فإن دينه هذا مردود ومرفوض ((**فلن يقبل منه**)) . وهل يعطى ثوابا في الآخرة على عمله ؟ لا ؛ ولهذا قال: ((**وهو في الآخرة من الخاسرين**)) وهذه والله هي الخسارة العظيمة أن يعيش الإنسان في الدنيا ما شاء الله أن يعيش ثم لا يكتسب ما ينفعه في الآخرة، إذا قدم على ربه لم يجد شيئا، كما قال الله تعالى: ((**والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة**)) تعرفون السراب بالقيعة ؟ القيعة يعني الأرض المستوية الواسعة هذه الأرض إذا كان في شدة الحر يتراءى للإنسان من بعيد أن فيها ماء، كالسراب يسمى السراب فإذا جاء الإنسان ظمآن ووجد هذا السراب الذي كأنه ماء بحر فرح وأسرع إليه حتى إذا جاءه لم يجده شيئا فصارت خيبة الأمل بعد قوة الرجاء؛ وهذا أشد ما يكون حسرة على الإنسان أن تكون خيبة أمله عند قوة رجائه؛ لأن الإنسان لو لم يرجوا من الأصل ما هم؛ لكن المشكل كونه يرجوا ثم ينتكس هذا يكون أشد نسأل الله العافية؛ حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب؛ كل من لم يدن بالإسلام فإنه في الآخرة خاسر ((**وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا**)) ؛ وقوله: ((**وهو في الآخرة من الخاسرين**)) يشمل خسارة النفس وخسارة المال وخسارة الأهل؛ أما خسارة النفس فإنه لن يستفيد من عمله شيئا؛ وأما خسارة المال فإنه لو أنفق ماله كله في ما ينفع الخلق لم ينتفع به في الآخرة؛ يعني لو أصلح الطرق وبنا المساجد وبنا المدارس فإنه لا ينفع؛ وأظنكم لا تتوقعون أن يكون هذا من الكافر الصريح أن يبني المساجد والمدارس؛ لكن يكون من الكافر المرتد؛ فرجل مثلا لا يصلي لكنه صاحب خير يبني المساجد ويبني المدارس ويصلح الطرق ويطعم المساكين لكن لا يصلي؛ هل ينتفع بشيء من هذا العمل لأنه كافر، والكافر لن ينفعه عمله يوم القيمة أبدا ؛

السائل : شيخ بقيت خسارة المال ؟

الشيخ : طيب خسارة المال هو ما ذكرناها الآن أنه إذا أنفق لم ينتفع بشيء ؛ خسارة الأهل أيضا أنه لا ينتفع بهم في الدنيا، لو دعوا له لم ينتفع بذلك، لو دعوا له لم ينتفع بذلك؛ لأن الله يقول: ((**ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم**)) ولا ينتفعون بالدعاء؛ كذلك في الآخرة لا ينتفعون بأهليهم لأن كل واحد منفصل عن الآخر في نار جهنم بخلاف

المؤمنين فإن الله يقول: ((**والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء كل امرئ بما كسب رهين**)) لو كان لك ذرية تكون في الدرجة الخامسة وأنت في الدرجة السابعة ترقى الذرية من الخامسة إلى السابعة ولا تنقص أنت شيئا لا يقال: انزل درجة وهم يرقون درجة وتكونوا في أيها ؟ في السادسة؛ الذرية في الخامسة والآباء في السابعة ترقى الذرية من الخامسة إلى السابعة ولا تنزل الآباء من السابعة إلى السادسة؛ لأنه لو قال قائل: هذا ينزل درجة وهذا يرقي درجة هذا العدل ؟ لكن نقول إن الله يعامل بالفضل عز وجل؛ ولهذا قال: ((**وما ألتناهم**)) لأنه ربما يتوهم المتوهم أنه إذا رقيت الذرية نقص ثواب الآباء فقال: ((**وما ألتناهم من عملهم من شيء**)) لماذا ؟ ((**كل امرئ بما كسب رهين**)) ولو أنا نزلنا الآباء ما صار العامل رهينا ما كسب أي نعم .

السائل : إذا كان كافر مؤذي وآخر مسلم هل هما سواء ؟

الشيخ : هما ليسا سواء بنص القرآن، قال الله تعالى: ((**ألم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرحون المؤمنون بنصر الله**)) نصر الله للكافر على كافر ففرح المسلمون بنصر الروم على الفرس؛ لأن الروم أقل خطرا على المسلمين من الفرس؛ ولأن الروم من أهل الكتاب والفرس عبدة النار ليسوا أهل الكتاب فلذلك بين الله عز وجل بأن المؤمنين يفرحون بنصر الله الروم على الفرس ؛

السائل : هذا فرح المؤمنين لكن هم على ؟

الشيخ : يعني في الآخرة؟ لا أبدا ؛ لكن الآخرة الكفار دركات .

السائل : إذا كان الإسلام بعد بعثة محمد صلى الله عليه فهو إذا أطلق إسلام فهو دين الإسلام الذي هو دين محمد ؟ الشيخ : نعم ؛

السائل : لكن الله سبحانه وتعالى سمى إبراهيم مسلمين ((**هو سماكم المسلمين**)) فكيف الجمع ؟

السائل : من الذي سماه ؟

الشيخ : إبراهيم ؛

السائل : أو الله ؟

الشيخ : الله سبحانه وتعالى؛ إن كان الله ما فيه إشكال؛

السائل : لكن إبراهيم سماه الله مسلما ؟

الشيخ : أيه سماه لأن الله قال لأن إبراهيم وإسماعيل قالا ((**ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم**)) وهو إذا كان الأمر كذلك فهم مسلمون .

((**ومن يبتغ غير الإسلام فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات والله لا يهدي القوم الظالمين أولئك جزائهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين خالدين فيه لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم وأولئك هم الضالون إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملأ الأرض ذهبا ولو افتدى به أولئك لهم عذاب أليم وما لهم من ناصرين**)) . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم قال الله تعالى: ((**ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه**))

الشيخ : هذه الجملة جملة أيش ؟

الطالب : جملة شرطية ؛

الشيخ : أين فعل الشرط ؟ ((**ومن يبتغ**)) وجوابه ؟

الطالب : جملة: ((**فلن يقبل منه**)) .

الشيخ : لماذا اقترن بالفاء يا رشيد ؟

الطالب : لأن جواب الشرط لن؛ مصدر بلن وإذا صدر بلن وجب اقترانه بالفاء ؛

الشيخ : نعم .

الشيخ : قوله: ((**وهو في الآخرة من الخاسرين**)) الواو هنا ؟

الطالب : ما ذكرت هذا ؟

الشيخ : أي ويش هي عاطفة وإلا للمعية وإلا إستئنافية وإلا هذا مقصودي ؛ إستئنافية ؟ حالية ؟

الطالب : واو للحال ؛

الشيخ : لا ما يصح؛ يصح فلن يقبل منه والحال إنه في الآخرة من الخاسرين ؟ ما يستقيم ؛

الطالب : إستئنافية؛

الشيخ : إما إستئنافية وإلا عاطفة ((**فلن يقبل منه وهو في الآخرة**)) تكون معطوفة على جواب الشرط يعني ومن يبتغ غير الإسلام دينا فإنه يترتب على ذلك شيئان شيء الأول ؟ لا يقبل منه ؛ والثاني: لأنه خاسر في الآخرة لأنه يعمل العمل لا ينفعه؛ هذه آية واحدة أظن قرءناها ؟

الشيخ : الفوائد ويش وقفنا عليه ؟

الطالب : ((**ومن يبتغ غير الإسلام دينا**))

الشيخ : والذي قبلها مأخوذ ؟

الطالب : نعم .

قال الله تعالى: ((**كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم**)) كيف استفهام بمعنى الاستبعاد أي يبعد جدا إن لم يمتنع أن يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانه يعني ارتدوا بعد أن آمنوا وعرفوا الحق فإن هدايتهم بعيدة ؛ وذلك لأن من عرف الحق ثم ارتد عنه فهو أعظم جرما ممن لم يعرف الحق ولم يدخل فيه وبقي على كفره؛ ولهذا نقول: الكافر المرتد أعظم من الكافر الأصلي لا في الدنيا ولا في الآخرة؛ ففي الدنيا يترك الكافر الأصلي على دينه ولا يجبر على تركه؛ لكن المرتد لا يقر على ردته؛ بل يجبر على أن يعود إلى الإسلام أو يقتل لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (من بدل دينه فاقتلوه)؛ الله عز وجل يقول يبعد أن يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانه؛ أما من كانوا على الكفر أصلا فما أكثر الذين اهتدوا بعد أن كانوا على الكفر . ((**وشهدوا أن الرسول حق**)) ((**الرسول**)) هنا أل للعهد الذهني لأنه لم يسبق له الذكر لكنه معلوم ذهنا . وبالمناسبة نقول: إن أل العهدية تنقسم إلى ثلاثة أقسام: للعهد الذهني؛ والعهد الذكري؛ والعهد الحضوري، ثلاثة أقسام : فالعهد الذكري: أن تكون داخلة على ما سبق ذكره ؛ والعهد الحضوري أن تكون داخلة على شيء حاضر ؛ والعهد الذهني أن تكون داخلة على شيء معلوم في الذهن؛ فمثلا قوله تعالى: ((**وشهدوا أن الرسول حق**)) المراد به رسول الله محمد صلى الله عليه

وسلم؛ لأن قوله: ((**كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إسلامهم**)) معناه أنه يتوقع أن يهداهم وهذا لا يمكن بعد نزول القرآن إلا أن يكون الرسول محمدا صلى الله عليه وآله وسلم؛ وتقول مثلا وأنت في البلد: جاء القاضي؛ أي قاضي هو؟ قاضي البلد المعروف . العهد الذكري أن تدخل على ما سبق ذكره، على شيء قد سبق ذكره مثل قوله تعالى: ((**كما أرسلنا إلى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول**)) من المراد بالرسول ؟ الأول، الرسول الأول الذي أرسل إلى فرعون وهو موسى؛ وهنا العهد الذكري . العهد الحضوري أن تكون داخلة على شيء حاضر وهذه أكثر ما تكون في أل الواقعة بعد اسم الإشارة، الواقعة بعد اسم الإشارة للحضور، للعهد الحضوري؛ لأن الإشارة تدل على مشار إليه والمشار إليه يكون حاضرا فتقول مثلا: هذا اليوم شديد الحر، أي يوم؟ الحاضر يومنا هذا يوم الحاضر؛ وكقوله تعالى: ((**اليوم أكملت لكم دينكم**)) اليوم يعني اليوم الحاضر. أل هناك أل ثانية قسيمة للأل العهدية وهي أل الجنسية، أل الجنسية تكون لبيان الحقيقة، لبيان الحقيقة ولبيان استغراق الحقيقة؛ فإذا قلت: الرجال أكمل من النساء؛ هذه لبيان الحقيقة الجنس، جنس الرجال أفضل من جنس النساء؛ ولا يعني أن كل واحدا من الرجال أكمل من كل امرأة من النساء؛ ففي النساء من هي خير من كثير من الرجال واضح؟ طيب وتكون للعموم مثل قوله تعالى: ((**إن الإنسان لفي خسر**)) ((**إن الإنسان لفي خسر**)) يعني كل إنسان، إن كل إنسان لفي خسر؛ وهذه علامتها أن يحل محلها كل بتشديد اللام؛ هنا ((**وشهدوا أن الرسول حق**)) أي حق ثابت صادق فيما أخبر به عادل فيما حكم به صلى الله عليه وسلم . ((**وجاءهم البينات**)) جاءهم البينات يعني الآيات البينات التي تبين صدق ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم؛ والبينات مؤنث لكن لم يؤنث فعله لوجهين؛ الوجه الأول: أن تأنيثه غير حقيقي؛ والوجه الثاني: أنه فصل بينه وبين الفعل؛ وقد جاء في القرآن مؤنثة ((**جاءتهم البينات**)) لأنه يجوز هذا وهذا؛ ((**وجاءهم البينات**)) . ((**والله لا يهدي القوم الظالمين**)) الجملة إستئنافية وهي كالتعليم لما قبلها من حيث المعنى كأنه يقول إنما لا يهديهم الله لأنهم ظلمة؛ ((**والله لا يهدي القوم الظالمين**)) الظالمين الذين ظلموا أنفسهم حيث بانوا لهم الحق واتضحت وجهه ومع ذلك كفروا . ثم قال الله عز وجل: ((**أولئك جزائهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين**)) ؛ الآية الأولى لم نعربها؛ قوله: ((**كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم وشهدوا**)) **قوله:** ((**وشهدوا**)) معطوف على ((**كفروا**))؛ ولكن يحتمل معنى آخر وهو أن تكون للحال يعني وقد شهدوا أن الرسول حق، كفروا بعد إيمانهم وقد شهدوا أن الرسول حق؛ لأن عطفها على ((**كفروا**)) ((**كفروا بعد إيمانهم وشهدوا**)) الكفر لو كان فيه شهادة لا تنفع الشهادة فيه . ثم قال الله عز وجل: ((**أولئك جزائهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين**)) ((**أولئك**)) أي المشار إليهم هم الذين كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول

حق وجاءهم البينات ؛ وأتى بصيغة الإشارة على وجه البعد، على وجه البعد إشارة إلى انحطاط مرتبتهم؛ لأن الإشارة إلى القريب بصيغة البعد قد تكون إشارة إلى علو مرتبة وقد تكون إشارة إلى انحطاط المرتبة؛ وهنا إشارة إلى انحطاط مرتبتهم فهم لانحطاط مرتبتهم بعيدون يشار إليهم إشارة البعد . ((**جزائهم**)) أي مكافئتهم على عملهم ((**أن عليهم لعنة الله**)) عليهم هذه على تفيد أن اللعنة أتتهم على وجه الاستحقاق ومن أمر عال؛ لأنها لعنة ولعنة الله هي طرده وإبعاده عن رحمته أي أن الله سبحانه وتعالى طردهم وأبعدهم عن رحمة الله . ((**والملائكة**)) أي ولعنة الملائكة ؛ والملائكة جمع ملك وأصله مألك من الألوكة وهي الرسالة لكن صار فيه الإعلال بالقلب يعني بالقلب قلب المكان ما هو قلب الحرف وذلك بأن قدمت اللام وأخرت الهمزة فصار ملأك وجمع ملأك ملائكة ثم سهل وقيل ملك بدل ملأك؛ الملائكة هم جنس من المخلوقات عالم غيبي خلقهم الله تعالى من نور وجعلهم صمدا لا يأكلون ولا يشربون؛ فإذا لم يأكلوا ولم يشربوا فهم لا يبولون ولا يتغوطون؛ ولهذا وصفهم الله تعالى بأنهم مطهرون فقال: ((**إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون**)) . ((**والناس أجمعين**)) الناس هم بنو آدم وأصلها أناس فحذفت الهمزة تخفيفا لكثرة الاستعمال؛ وقوله: ((**أجمعين**)) توكيد، توكيد لما قبلها مباشرة أو لما قبلها وما قبل الذي ما قبلها ؟ للجميع، الملائكة أجمعين والناس أجمعين طيب . ((**خالدين فيها**)) خالدين فيها حال يعني خالدين في هذه اللعنة، ماكثين فيها إما على سبيل الأبد وإما على سبيل المكث الطويل؛ لأن الخلود كما قال أهل اللغة يستعمل في المكث الطويل ويستعمل في المكث الدائم؛ ولكن هنا هل يراد به المكث الطويل أو الدائم ؟ الدائم ، المراد به الدائم لأن هؤلاء كفرة والكفرة خالدون خلودا دائما في العذاب ؛ ((**لا يخفف عنهم العذاب**)) ((**لا يخفف**)) التخفيف ضد التشديد أي لا يمكن أن يهون عليهم العذاب يوما واحدا؛ ولهذا ، ((**قال الذين في النار لخزنة جهنم أدعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب**)) شف . أعوذ بالله . طلبوا دعاء الملائكة ليكونوا واسطة بينهم وبين الله، ثم مع ذلك لم يقولوا أدعوا ربنا، قالوا: ((**أدعوا ربكم**)) من شدة خجلهم وانكسارهم أمام الله، ثم قالوا: ((**يخفف عنا يوما من العذاب**)) ولم يطلبوا الإنقاذ من العذاب مطلقا ولم يطلبوا أن يخفف عنهم العذاب دائما؛ لأنهم عرف عارفون بأنهم مخطئون بل خاطئون؛ فلهذا طلبوا أن يخفف العذاب يوما واحدا؛ ولكن لن يكون ذلك؛ ولهذا قال: ((**لا يخفف عنهم العذاب**)) العذاب يعني العقوبة ((**ولا هم ينظرون**)) أي يمهلون ويؤخرون بل يبادرون بالعذاب؛ وتأملوا . بارك الله فيكم . قوله تعالى في أهل النار: ((**وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم**)) وقال في أهل الجنة: ((**وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها**)) ((**جاءوها وفتحت أبوابها**)) إذا فصار هناك فرق بين هؤلاء وهؤلاء؛ لأن

أهل النار . والعياذ بالله . يبادرون بفتحها فيقابلهم العذاب أول ما يقدمون عليها؛ أما أهل الجنة فإنهم إذا وصلوا إلى الجنة وقفوا على قنطرة بين الجنة وبين النار فيقتص لبعضهم من بعض اقتصاصا خاصا غير اقتصاص الأول الذي يكون في عرصات القيمة من أجل أن يزال ما في قلوبهم من الغل والحقد حتى يدخلوا الجنة وهم على أصفى ما يكونون من المادة ((**إخوانا على سرر متقابلين**))؛ ولهذا نقول في الواو هنا إنها عاطفة على جواب الشرط المحذوف حتى إذا جاءوها حصل كيت وكيت وفتحت أبوابها وليست زائدة كما قيل به ولا واو كما قيل به أيضا؛ بل هي واو عاطفة على الوجه المعتاد والمعطوف عليه محذوف؛ إذا ((**ولا هم ينظرون**)) يعني ولا هم يمهلون ويؤخر عنهم العذاب بل يبادرون به؛ بل إنهم يبادرون به قبل أن تقوم الساعة كما قال الله تعالى لآل فرعون: ((**النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب**)) بل إنهم يبادرون بالعذاب قبل أن يموتوا ((**ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق**)) ويوبخون قبل أن يموتوا ((**ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن تستكبرون**)) وتأمل قوله: ((**أخرجوا أنفسكم**)) إنهم والله لأشحاء في هذه الأنفس، أشحاء؛ لأن النفس إذا بشرت بالعذاب نكست واشمأزت ورجعت في الجسد فيقولون: ((**أخرجوا أنفسكم**)) أعطونا إياها؛ إلى أي شيء ؟ إلى العذاب ((**اليوم تجزون عذاب الهون**)) فما بالكم . والعياذ بالله . بهذه البشارة حسية القبيحة في حال خروجه من الدنيا ومفارقة الأهل والأموال والأوطان إنها لساعة حرجة . نعوذ بالله . ونسأل الله أن يحسن لنا ولكن الخاتمة .، حالة حرجة فهم لا يمهلون ولا ينظرون في العذاب من حين أ يأتيهم الأجل إلى أبد الآبدين . والعياذ بالله . نسأل الله لنا ولكم العافية . يقول: ((**إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم**)) اللهم لك الحمد، رحمة الله سبقت غضبه؛ هؤلاء الذين كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات وقامت عليهم الحجة من كل وجه؛ إذا تابوا إلى الله تاب الله عليهم ((**إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا**)) تابوا أي رجعوا إلى الله؛ فالتوبة الرجوع إلى الله من معصيته إلى طاعته؛ ومن الهرب عن إلى اللجوء إلى بابه؛ وللتوبة خمسة شروط أقرأها عليكم وأطالبكم بها : الشرط الأول: الإخلاص لله؛ بأن يقصد الإنسان بتوبته وجه الله بأن يتوب عليه ويتجاوز عنه لا أن يقصد بتوبته مراعاة الخلق أو شيئا من أمور الدنيا؛ لأن التائب قد يريد مراعاة الخلق ليعلم الناس أنه تاب ورجع فيمدحوه على ذلك؛ هذا لا تنفعه التوبة ولا تقبل منه؛ أو يقصد بتوبته شيئا من أمور الدنيا يسمع أن الله يقول: ((**ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا**)) وهو يريد زوجة قال لعلي أتقي الله حتى ييسر لي زوجة؛ هذه التقوى أو هذه التوبة ضعيفة جدا؛ ولهذا قال شيخ الإسلام محمد بن

عبد الوهاب رحمه الله في كتاب التوحيد: باب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا؛ هذه إرادة نازلة لكنها ليست بالأول، ليست كالأول، الأول يريد أن يتقرب إلى الناس بما يتقرب به إلى الله وهذا شيء عظيم أن يجعل ما لله للخلق؛ أما هذا لا ما أراد هذا الشيء، أراد أن يتقرب إلى الله من أجل ييسر له شيئا من أمور الدنيا؛ والآخرة هو في غفلة عنها؛ إذا هذا الذي أراد بالتوبة أحد الأمرين توبته مردودة عليه بالنسبة للأول الذي أرد الرياء؛ وضعيفة جدا بالنسبة للثاني، الإخلاص لله هذه . والثاني من شروط التوبة: الندم على ما فعل من الذنب؛ والندم أشكل على بعض الناس قال كيف يندم واحد ؟ إنسان ما يقدر أن يندم نفسه؛ ولكنه في الحقيقة لا إشكال فيه، لا إشكال فيه إطلاقا؛ لأن معنى الندم أن يشعر الإنسان بالحسرة على ما فعل لا أن يكون ما فعل، لا أن يكون الفعل وعدمه عنده سواء؛ يعني هو يشعر بأنه الآن تحسر كما يقول العامة تحسر كيف يفرغ من هذا الشيء . الثالث: أن يقلع عن المعصية، أن قلع عن المعصية في الحال؛ فإن كانت لله فإما أن ترك واجب أو فعل محرم؛ فإن كان فعل محرم أقلع عنه، فارقه حتى لو كانت شربة الخمرة في فمه وجب عليه أن يمجها ؛ وإن كانت للمخلوق فلابد أن يعطيه حقه أو يتحلله منه؛ إن كان ماليا أو بدنيا أو عرضا علم به صاحبه، بدنيا مثل الضرب، ماليا مثل أخذ المال أو جحد مال يجب عليه لشخص، عرضيا مثل الغيبة؛ هذه إن كان الذي جني عليه قد علم بالغيبة فلابد من استحلاله وإن لم يعلم فلا حاجة إلى إخباره ثم استحلاله لأنه ربما إذا علم لا يحل؛ ولكن بدل أن دنس سمعته في المجلس في مجلس من المجالس يمدحه بما فيه في نفس ذلك المجلس؛ لأن الحسنات يذهبن السيئات؛ هذه إذا كان حقا للمخلوق فلابد من أيش ؟ من استحلاله إن كان ماليا إن كان بدنيا أو ماليا أو عرضيا علم به؛ إذا كان لله قلنا إن كان فعل المحرم يقلع عنه فورا؛ وإن كان ترك واجب وجب عليه أن يتلافاه إن كان يمكن تلافيه وإن كان لا يمكن سقط . ما تقولون في رجل غصب أرضا وجعل فيها زرعا وفي أثناء وجوده فيها تاب إلى الله فماذا يصنع ؟ يردها عليه ؛ هو سيردها لكن الآن هو مستوي عليها الآن مشي من أثنائها إلى طرفها مشي في معصية وبقائه إن بقي فهو في معصية فماذا يفعل ؟ يخرج ؛ قال العلماء: إن خروجه هذا ليس بمعصية لأنه خروج للتخلص من المعصية والتخلص من الشيء لا يعطى حكم الشيء؛ ولهذا لو أن المحرم تلطخ بطيب وأراد أن يغسله لابد أن يباشره مباشرته للطيب عند غسله جائز وإلا حرام ؟ جائز لأنه يريد أن يتخلص منه؛ كذل الاستنجاء إذا أراد الإنسان أن يستنجي يباشر النجاسة بيده؛ وهذه المباشرة مباشرة النجاسة باليد جائزة لأنها من أجل التخلص من هذه النجاسة وإزالتها؛ فكذلك هذا الذي تاب من أرض مغصوبة وكان في وسط الأرض ومشى أقول هذا المشي طاعة لأنك إنما مشيت من أجل التخلص ؛ كم هذه من شرط ؟ ثلاثة .

والرابع: أن يعزم على أن لا يعود؛ فإن تاب وهو لم يعزم على عدم العود فإن توبته لا تصح كرجل من عادته أن يسهر في شرب الخمر في الباراة بارة الخمر . والعياذ بالله . وفي ليلة من الليالي صارت السماء ممطرة وجاء إلى البارة وإذا هي مغلقة فقال: تبت ؛ ولكن من نيته أنه إذا كانت صحوا وفتحت الباراة فسيحضر ويشرب الخمر؛ ما تقولون في هذا ؟ هذا ليس بتائب، هذا أقرب ما له أن تكون توبته سخرية؛ كرجل أراد أن يتوب من الغيبة وهو أيضا مع أصحابه الذين يأتون بعباد الله ويجعلونهم بينهم ويسلطون عليهم سكاكين كالة يمزقون بها لحومهم فقال أحدهم استغفر الله وأتوب إليك ((**ربنا إننا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين**)) يا فلان ويش تقول بفلان ؟ يريد يرسب؛ هل هذا توبته صحيحة ؟ لا؛ لأنه ما أقلع ولو أقلع حال قوله: أستغفر الله وأتوب إليه لكن ما عزم على أن لا يعود بدليل إنه من حين ما قال الكلام يلا هاتوا فلان؛ ماذا تقولون فيه؟ نقول هذا الرجل ما تاب توبة حقيقة ؛ نحن نقول العزم على أن لا يعود أو الشرط أن لا يعود ؟ العزم على أن لا يعود، العزم على أن لا يعود

والرابع: أن يعزم على أن لا يعود؛ فإن تاب وهو لم يعزم على عدم العود فإن توبته لا تصح كرجل من عادته أن يسهر في شرب الخمر في الباراة، بارة الخمر . والعياذ بالله . وفي ليلة من الليالي صارت السماء ممطرة وجاء إلى البارة وإذا هي مغلقة فقال: تبت ؛ ولكن من نيته أنه إذا كانت صحوا وفتحت الباراة فسيحضر ويشرب الخمر؛ ما تقولون في هذا ؟ هذا ليس بتائب، هذا أقرب ما له أن تكون توبته سخرية؛ كرجل أراد أن يتوب من الغيبة وهو أيضا مع أصحابه الذين يأتون بعباد الله ويجعلونهم بينهم ويسلطون عليهم سكاكين كالة يمزقون بها لحومهم فقال أحدهم استغفر الله وأتوب إليك ((**ربنا إننا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين**)) يا فلان ويش تقول بفلان ؟ يريد يرسب؛ هل هذا توبته صحيحة ؟ لا؛ لأنه ما أقلع ولو أقلع حال قوله: أستغفر الله وأتوب إليه لكن ما عزم على أن لا يعود بدليل إنه من حين ما قال الكلام يلا هاتوا فلان؛ ماذا تقولون فيه؟ نقول هذا الرجل ما تاب توبة حقيقة ؛ نحن نقول العزم على أن لا يعود ؟ أو الشرط أن لا يعود ؟ العزم على أن لا يعود، العزم على أن لا يعود يعني معناه لو أنه عزم أن لا يعود ولكن سولت له نفسه فيما بعد فعاد هل تبطل التوبة الأولى أو لا؟ لا تبطل التوبة الأولى؛ لكن يحتاج إلى توبة جديدة للعودة الأخيرة أما التوبة الأولى فقد تمت؛ ولهذا نقول الشرط العزم أن لا يعود لا أن لا يعود؛ واضح ؟ طيب . لو أنه عاد وتاب توبة نصوحا ثم عاد ؟ يتوب ثم عاد يتوب وقد أخبر النبي عليه الصلاة والسلام (**أن رجلا كان يذنب ذنبا فتاب منه ثم أذنب ذنبا فتاب منه ثم أذنب فتاب فقال الله تعالى: علم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به قد غفرت لعبدي فليعمل ما شاء**) لأن هذا الرجل كان مخلصا؛ ولكن هذا كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله لا ينطبق على كل تائب إنما أخبرنا الرسول عليه الصلاة والسلام عن رجل حصل منه هذا الشيء ولكن لا يحصل لكل تائب . الشرط الخامس: أن تكون التوبة في وقت القبول؛ فإن انقطع وقت القبول فلا توبة؛ وانقطاع وقت القبول نوعان: عام، وخاص؛ فالخاص حضور الأجل لكل إنسان بعينه؛ والعام طلوع الشمس من مغربها، طلوع الشمس من مغربها نعم فإذا حضر الأجل فإن التوبة لا تنفع؛ لقول الله تعالى: ((**وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن**)) وإذا كان هذا الشرط محققا دل هذا على أن التوبة واجبة على أيش؟ على الفور؛ لأن أحدا لا يعلم متى يأتيه الموت؛ فإذا كنت لا تعلم متى يأتيك الموت لزم من ذلك أن تبادر بالتوبة وأن يكون دائما على بالك أنك تائب إلى ربك راجع إليك حتى إذا قدر أن الأجل أتاك بغتة وإذا أنت على أتم الاستعداد . نسأل الله تعالى أن يقينا وإياكم من غفلة القلوب . القلوب غافلة ما تحسب لهذا الشيء حسابا والواجب أن الإنسان يحسب لهذا الشيء حسابا، يكون دائما على ذكر التوبة؛ ولهذا كان نبينا صلى الله عليه وسلم يستغفر الله أكثر من سبعين مرة ويتوب إليه أكثر من سبعين مرة؛ أما العام فهو طلوع الشمس من

مغربها؛ لأن الشمس هذه تدور بإذن الله منذ خلقها الله إلى أن يأذن الله بوقوفها؛ والعجيب أنها لا تتقدم ولا تتأخر، لا تتقدم ولا تتأخر؛ انظر إلى طلوعها مثلا اليوم، اليوم الثاني من برج السنبلة تطلع في الساعة كذا الدقيقة كذا؛ هذا يوم نفسه من مئات السنين السابقة وهي تطلع عليه، على هذا القدر الساعة والدقائق ما تختلف؛ لو أحصيتها منذ علم الناس التاريخ لوجدتها أنها لم تختلف تخرج في هذا اليوم من برج السنبلة في الساعة الفلانية والدقيقة الفلانية إلى يوم القيمة وهي إذا غربت كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى إذا غربت تسجد تحت العرش تعظيما لله عز وجل وتستأذن هل تخرج وإلا ترجع ؟ إما أن يؤذن لها وإما أن يقال ارجعي من حيث جئت؛ فترجع من حيث جاءت وتخرج من مغربها فإذا رآها الناس آمنوا كلهم، كلهم يؤمنون ؛ لأنهم حينئذ يعلمون أن لها ربا مدبرا؛ أما الآن فيظن أنها طبيعة ، طبيعة هذا العالم على هذا النظام؛ لكن إذا ختلت النظام رجعت الشمس من المغرب آمنوا كلهم ، المؤمن والكافر كلهم يؤمنون ؛ ولكن كما قال الله تعالى: ((**يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا**)) ما ينفعهم الإيمان ؛ لأن هؤلاء آمنوا كإيمانهم الذين نزل بهم العذاب والله تعالى يقول: ((**فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون**)) فالمهم أن شروط التوبة إذا خمسة ؛ وقد قال بعض العلماء إنها ثلاثة فأسقطوا الإخلاص وأسقطوا أن تكون في وقت القبول ؛ ولكن لابد من هذين الشرطين، لابد من الإخلاص وأن تكون في وقت القبول .

السائل : الشمس إذا طلعت من مغربها هل ترجع أو تستمر ؟

الشيخ : والله ما أعلم في هذا شيء ، لا أعلم في هذا شيئا هل هي ترجع دائما أو إذا خرجت على الناس ورآها كلهم ودارت أربعا وعشرين ساعة؛ لأنه لابد أن تدور أربعا وعشرين ساعة عشان تخرج على الناس كلهم يعني لابد أن تدور أربعا وعشرين ساعة فإذا وصلت منتهاها حينئذ نحن ما ندري الله أعلم هل تستمر وإلا ترجع .

السائل : قوله تعالى: ((**عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين خالدين فيها**)) كيف الخلود في اللعنة ؟

اللعنة لأن فيها أي في اللعنة ؛

الشيخ : لا لا ، معناه إن الناس يلعنون ما هو بلسان المقال هذا بلسان الحال .

السائل : شيخ أحسن الله إليك؛ سؤال إنسان يقع في معصية كبيرة وقد لا يعلم هذه المعصية معينة فكيف يتوب منها ؟

الشيخ : نعم ؟

السائل : قد لا يعرف هذه المعصية هل هي صغيرة أو كبيرة فلا يدري عن هذه المعصية فتوبته عن هذه المعاصي ؟

الشيخ : يعني كأنك تقول: هل تصح التوبة على وجه الإجمال هذا ؟

السائل : أي

الشيخ : نعم تصح ؛ لأن الإنسان قد لا يحيط بذنوبه؛ ولهذا قال: اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به مني .

السائل : قوله تعالى: ((**الرجال قوامون على النساء**)) هل المراد منها الجنس ؟

الشيخ : أي نعم ؛

السائل : طيب تصح الألف اللام على الجنس وإلا على كل فرد ؟

الشيخ : لا لا الجنس ؛

السائل : ما تصلح على كل فرد ؟

الشيخ : لا تصلح على كل فرد لأنه يوجد رجال سفهاء تقوم عليهم النساء ويوجد ما لهم عقول تقوم عليهم النساء.

السائل : ذكر الله لعنة الملائكة والناس ولم يذكر لعنة الجن مع أن الجن مكلفين ؟

الشيخ : الظاهر أنه والله أعلم ، والله أعلم إنه لما كان الجن غالبهم شياطين تضل الناس ذكر الذين أكمل منهم وهم الإنس والملائكة .

السائل : ذكر بعض المفسرين في قوله تعالى: ((**كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم**)) أن سبب نزولها أن رجلا ارتد بعد إسلامه ثم أسلم فأرسل قومه أن يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني ماذا يصنع هل إسلامه صحيح ؟ فأنزل الله تعالى قوله: ((**كيف يهدي الله قوما**)) ؟

الشيخ : فأنزل الله: ((**إلا الذين تابوا**)) هذا صحيح لكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

السائل : شيخ جاء في الحديث إن أول الآيات طلوع الشمس من مغربها ؛ لكن يسبقها الدجال فكيف ؟

الشيخ : ما يمنع أن يكون المراد به الآيات الكبيرة ، الآيات الكبار وإلا ما فيه شك إنه فيه آيات تكون قبل طلوع الشمس من مغربها .

السائل : في أل عمران قال الله عز وجل: ((**وما أوتي موسى وعيسى والنبيون**)) وفي البقرة ((**وما أوتي**)) كيف ؟

الشيخ : يعني أنه أعاد الفعل هناك ولم يعده هنا ؟

الشيخ : الظاهر الله أعلم ما أدري إن لم يكن اختلاف تعبير مثل ((**أنزل إلينا**)) و ((**أنزل علينا**)) والمعنى واحد؛ أو إنه لما قال هناك : ((**قولوا آمنا بالله**)) ووجه الخطاب مباشرة إلى الناس صار لابد أن يصرحوا بالإيمان بما أوتي النبيون . فالله أعلم .

السائل : شيخ هناك علامة على قبول التوبة ؟

الشيخ : علامة لأن الذنوب تؤثر على القلب الحي، القلب الحي تؤثر عليه الذنوب تجد إنه ينقبض ويضيق صدر الإنسان ؛ فإذا تاب انشرح صدره ، قال الله تعالى: ((**أفمن شرح صدره للإسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلل مبين**)) وكذلك أيضا من علاماتها إن الإنسان بدل أن يكون معه فطور عن الطاعة يجد معه نشاطا على الطاعة لأن الله تعالى قال: ((**وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى**)) فيزداد الإنسان نشاطا في الطاعة إذا قبل الله توبته . قد يدق واحد ويضربه ويضيق صدره؛ لكن إذا كان الإنسان عاديا وجد انقباضا فأنه من آثار الذنوب كما قال النبي عليه الصلاة والسلام: (**إنه ليران على قلبي وإني أستغفر الله أكثر من سبعين مرة**) .

السائل : شيخ قوله تعالى: ((**إلا الذين تابوا وأصلحوا**)) هذا مستثنى من ((**الذين كفروا**)) يعني من الذين ؟

الشيخ : مما سبق؛

السائل : من الذين كفروا ؟

الشيخ : نعم ((**كفروا بعد إيمانهم**))

السائل : وحال هذا النصب ؟

الشيخ : حال أيش؟

السائل : حال الاستثناء حال النصب ؟ محله ؟

الشيخ : أي نعم ؛ لأن قبله تام موجب .

الشيخ : طيب الذي ما ذكرنا الإعراب خله للدرس القادم إن شاء الله .

السائل : المرتد يستتاب ؟

الشيخ : نعم ؟

السائل : هل يستتاب المرتد وإن لم يتب ؟

الشيخ : الجواب الآيات الكثيرة أنه إذا تاب الإنسان ارتفع عنه نصوص في القرآن السنة إذا تاب عاد على ما هو عليه؛ لكن مسألة الاستتابة ؛ أي خصت السنة والقرآن؛ الاستتابة هي التي اختلف فيها العلماء هل هي واجبة أو يقتل بدون استتابة وإلا إذا تاب ما فيه إشكال؛ إن المحل يلزم أن نستتيبه أولا فإن تاب تركناه أو نقتله حسابه على الله , والصحيح أن الاستتابة راجعة إلى رأي الإمام .

السائل : رجل وجب عليه القصاص فتاب قبل أن يقتل فهل تصح منه ؟

الشيخ : ما تقولون ؟ يقول: رجل وجب عليه القصاص فلما أحضر السيف لقتله قال: أستغفر الله وأتوب إليه ؛ هل تقبل توبته أو لا ؟ أيه تقبل ؛ لا يمكن لذنوب أخرى ؛ لأنه يمكن أن لا يقتص منه ، أحيانا يوضع السيف

على رقبته ثم يقول أولياء المقتول عفونا ؛ إذا قالوا عفونا يجب يرفع السيف . ولو واحدا ؟ ولو واحدا ، ولو واحد من ألف.

السائل : ذكر أو أنثى ؟

الشيخ : ما تقرأ القرآن ؟ ((**فمن عفي له من أخيه شيء**)) وشيء نكرة في سياق الشرط فتعم .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ((**كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات والله لا يهدي القوم الظالمين أولئك جزائهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم وأولئك هم الضالون إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحد ملأ الأرض ذهبا ولو افتدى به أولئك لهم عذاب أليم وما لهم من ناصرين**)) .
أعوذ بالله من الشيطان الرجيم قال الله تبارك وتعالى: ((**كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات والله لا يهدي القوم الظالمين**)) .

الشيخ : هذا مبتدأ مناقشة ؟

الشيخ : طيب ما المراد بالاستفهام هنا ؟

الطالب : الإبعاد ؛

الشيخ : الاستبعاد يعني ، يبعد أن الله يهدي .

الشيخ : ذكر الله سبحانه وتعالى أن وجه الاستبعاد ثلاثة أمور ما هي يا أحمد ؟

الطالب : أنه كفروا بعد إيمانهم ؛

الشيخ : نعم ؛

الطالب : جاءهم الحق ثم كفروا ؛

الشيخ : نعم ؛

السائل : وجاءتهم البينات ؛

الشيخ : يعني فقامت عليهم الحجة من كل وجه ثم كفروا هؤلاء لا يهتدون .

الشيخ : قوله تعالى: ((**والله لا يهدي القوم الظالمين**)) المراد هنا هداية الإرشاد أو هداية التوفيق ؟

الطالب : هداية التوفيق ؛

الشيخ : التوفيق .

الشيخ : ما الدليل على أن الله يهدي الظالمين هداية إرشاد ؟

الطالب : لأنه إذا جاء الرسل ظهر لهم الحق ؛

الشيخ : أحسنت تمام لأنه إذا جاءهم الرسل فقد بينوا ؛ قال الله تعالى: ((**فأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى**)) .

الشيخ : قوله: ((**الظالمين**)) ما المراد بهم ؟ ((**لا يهدي القوم الظالمين**)) ؟

الطالب : المراد به الكافرين ؛

الشيخ : طيب ما الدليل ؟

الطالب : ((**الكافرون هم الظالمون**))

الشيخ : نعم ؛ وهذه الآية ((**كفروا بعد إيمانهم**)) كفروا بعد إيمانهم .

قوله: ((**جزاءهم أن عليهم لعنة الله**)) أين خبر المبتدأ في ((**جزائهم**)) ؟

الطالب : ((**أولئك**)) مبتدأ ((**جزائهم**)) مبتدأ ثاني ؛ ((**أن عليهم لعنة الله**)) خبر مبتدأ الثاني ؛ والجملة الثاني وخبره خبر مبتدأ الأول ؛

الشيخ : نعم تمام ((**جزاء**)) مبتدأ ؛ ((**أولاء**)) مبتدأ و((**جزاء**)) مبتدأ ثاني؛ و ((**أن عليهم لعنة الله**)) خبر مبتدأ ثاني؛ والجملة من المبتدأ الثاني وخبره خبر مبتدأ الأول .

الشيخ : الخبر هنا مفرد أو جملة ؟ فيصل الخبر هنا ((**أن عليهم لعنة الله**)) مفرد أو جملة ؟

الطالب : جملة .

الشيخ : و ((**الناس**)) ؟

الطالب : كذلك ؛

الشيخ : كيف كذلك ؟ يلعنونهم ؟ يلعنونهم يعني ؟ يعني يدعون عليهم باللعن ويمقتونهم ويبغضونهم ؛ وكذلك الملائكة .

الشيخ : قوله تعالى: ((**لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون**)) خالد ما معنى ((**ينظرون**)) ؟

الطالب : لا يمهلون

الشيخ : إذا ((**لا ينظرون**)) أي لا يمهلون .

الشيخ : والتخفيف هنا عام في كل وقت أم ماذا ؟ المهم سؤالي ((**لا يخفف عنهم العذاب**)) هل هذا النفي عام أو مخصوص بوقت دون وقت ؟

الطالب : عام ؛

الشيخ : الدليل ؟

الطالب : ((**وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب**))

الشيخ : ولم يحصل لهم ذلك .

الشيخ : قال الله تعالى: ((**إلا الذين تابوا**)) مبتدأ الدرس ؛ ((**إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا**)) أخذناها ؟

الطالب : بقيت الفوائد ؟

الشيخ : ((**ومن يبتغ**)) كلها ما أخذناها ؟ نعم نكمل الآية .

قال: ((**إلا الذين تابوا من بعد ذلك**)) إلا أداة استثناء؛ و ((**الذين**)) مستثنى ؛ والأصل في المستثنى أن يكون من جنس المستثنى منه؛ وإن خرج عن جنسه فهو على خلاف الأصل ولابد من دليل يدل على أنه ليس من الجنس؛ ويسمى المستثنى الذي من غير الجنس يسمى مستثنى منقطعا لكن الاستثنى هنا متصل قال: ((**إلا الذين تابوا**)) هذا مستثنى من قوله: ((**كفروا من بعدهم**)) إلى قوله: ((**إلا الذين تابوا من بعد ذلك**)) يعني إلا الذين تابوا من بعد الكفر بعد الإيمان يعني فإن الحكم يختلف فيه؛ والتوبة كما أسلفنا الرجوع من معصية الله إلى طاعته؛ ولها شروط خمسة ذكرناها وكتبناها ووعيناها ؛ قال: ((**من بعد ذلك**)) المشار إليه ما سبق من الكفر؛ وأتي بالإشارة للبعيد لانحطاط مرتبتهم؛ لأن البعد قد يكون من عال وقد يكون من نازل؛ فإن كان البعد من عال يعني أنه أشير إليهم إشارة البعيد لعلوه فهو ثناء وإن كان أشير إليه إشارة البعيد لدنوه وسفوله فهو قدح؛ قال: ((**من بعد ذلك وأصلحوا**)) يعني أصلحوا ما جرى أو ما كان فعلهم سببا في فساده يعني أصلحوا ما أفسدوه مباشرة أو تسببا؛ فمثلا إذا كانوا هؤلاء أئمة قادة لما كفروا كفر من يتعبهم فإن توبتهم لا تكفي حتى يصلحوا ما فسد على أيديهم وذلك بمحاولة إرجاع الذين كفروا تبعا لهم إلى الإيمان؛ إذا كان الإنسان كفر بكتابة ما يخالف الدين فلا يكفي أن يقول أستغفر الله وأتوب إليك ولن أعود إلى كتابة ما يخالف الدين حتى يصلح ما أفسد؛ بماذا ؟ بأن يكتب ردا على ما كتب أولا؛ لأن المفاسد المتعدية لابد فيها من إصلاح؛ ولهذا قال: ((**إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم**)) والجواب هنا قد يبدوا غير مطابق بما سبق؛ لأنه قد يتوقع السامع أن يكون الجواب فإن الله يتوب عليهم؛ ولكن الجواب كان ثناء على الله باسمين من أسمائه وهما الغفور الرحيم، قال: ((**فإن الله غفور رحيم**)) ولكن يؤخذ من هذين الاسمين أن هؤلاء الذين تابوا وأصلحوا يغفر الله لهم؛ لأن مقتضى هذين اسمين يعمهم فيغفر الله لهم ويرحمهم . الغفور؛ هو من يغفر الذنوب؛ ومغفرة الذنوب هو سترها والتجاوز عنها . والرحيم ؛ هو من يرحم العباد والرحمة صفة تقتضي الإحسان والإنعام؛ وفي الجمع بين الغفور والرحيم زيادة معنى على ما يتضمنه الاسمان وهو أن الله تعالى قد جمع بين المغفرة التي بها زوال المكروه وآثار الذنب؛ والرحمة التي بها حصول المطلوب وهو النعمة والإحسان؛ طيب إذا إذا تابوا وأصلحوا غفر الله لهم ؟ أجيبوا ؟ نعم، نعم غفر الله لهم ورحمهم . فهذه الآيات الكريمة نأخذ الآن فوائدها . يقول الله عز وجل: ((**ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين**)) . في هذه الآية فوائد؛

فمن فوائدها: بطلان كل عمل ليس على دين الإسلام ؛ فأي عمل يكون على غير دين الإسلام فهو باطل؛ لقوله: ((**فلن يقبل منه**)) . ومن فوائدها: أن جميع الأديان غير دين الإسلام غير مقبولة عند الله ولا نافعة للمتدين بها؛ لعموم قوله: ((**غير الإسلام**)) فيشمل دين المسيحية ودين اليهودية ودين البوذية ودين المجوسية وكل دين، كل دين فإن الله لا يقبله غير الإسلام . ومن فوائدها: الثناء على دين الإسلام، وأنه هو المقبول المحبوب إلى الله ؛ ويؤخذ هذا من المفهوم، مفهوم قوله: ((**ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه**)) مفهومه أن من ابتغى الإسلام دينا يقبل منه . ومن فوائد الآية الكريمة: أن هؤلاء الذين يدينون بدين الإسلام يتعبون أبدانهم، ويهلكون أموالهم، وربما يموتون جوعا وعطشا وحرا وبردا في الدعوة إلى غير دين الإسلام كالذين يسمونهم المبشرين وهم في الحقيقة منصرون مضللون هؤلاء ينفقون أموالا كثيرة ويتعبون تعبا عظيما ويتعرضون للهلاك، كل الأعمال هذه نتيجتها أيش؟ هباء ((**وهو في الآخرة من الخاسرين**)) قال الله تعالى: ((**وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا**)) لا يستفيدون منه إطلاقا لأنه على غير شريعة الله وقال الله تعالى: ((**إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليسدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون**)) لكن بماذا يغلبون ؟ ينزل شيء من السماء يبين غلبهم أو يغلبون إذا قام المسلمون بما يجب عليهم من نصرة دين الإسلام ؟ الثاني، الثاني؛ ولهذا نأسف أن النصارى لهم هذا النشاط في دعوتهم إلى الضلال والمسلمون نشاطهم لا يبلغ ولا عشرا من أعشاره مع أنهم على حق ولكن الحق لا بد أن ينتصر ولو بعد حين . وفي الآية أيضا من الفوائد: إثبات الآخرة؛ لقوله: ((**وهو في الآخرة من الخاسرين**)) . وفيها: أن الآخرة فيها خسارة وربح، نعم فيها خسارة وربح أعظم من خسارة الدنيا وربحها، قال الله تعالى: ((**ويوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن**)) ليس التغابن في الدنيا أن يكون عند الرجل قصور وسيارات ونساء وأولاد وحشم وخدم والآخر ليس له إلا ثوب يكسوا عورته هذا ليس بغبن حقيقة الغبن يوم القيمة، الغبن هو يوم القيمة حينما يحشر المتقون إلى الرحمن وفدا ويساق المجرمون إلى جهنم وردا؛ هذا الغبن العظيم، وهذه الخسارة العظيمة؛ ولهذا يجب أن نعلم أن الخسران المبين هو خسارة يوم القيمة ((**قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيمة ألا ذلك هو الخسران المبين**)) . ثم قال الله عز وجل: ((**كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم** ...)) . من فوائد هذه الآية: أن من ضل عن بصيرة فإنه يبعد عن الهدى . نعوذ بالله .؛ لقوله: ((**كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم** ...)) . ومن فوائدها أيضا: أن من فسق عن بصيرة فإنه يبعد أن يكون من العدول؛ فإذا قيل لشخص هذا حرام وهو مسلم وبين له الحق ثم عصى واستمر على فسقه فإنه يبعد أن يهدى . والعياذ بالله . ومن فوائد الآية الكريمة: أن الهداية والإضلال بيد الله؛ لقوله: ((**كيف يهدي الله**)) فنسب

الهداية إليه؛ وفي آية أخرى أن الله نسب الإضلال إليهم مثل: ((**ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء**)) ولكن يجب أن تعلموا وقد علمتم أن هداية الله وإضلاله لحكمة؛ فمن كان أهلا للهداية هداه الله ومن كان أهلا للضلال أضله الله، قال الله تعالى: ((**الله أعلم حيث يجعل رسالته**)) وقال تعالى: ((**فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم**)) والله عز وجل يعلم إذا علم من المرء أنه لا يريد الهداية أضله الله؛ وإذا علم أنه يريد الهداية وأنه حريص عليها يطلبها أين ما كانت ويسلك ما كان عليه الدليل فإن الله تعالى يهديه ويعينه ويوفقه ويفتح بصيرته حتى يرى الحق كأنما يتلقاه عن في رسول الله صلى الله عليه وسلم . ومن فوائد الآية الكريمة: أن الإنسان قد يستكبر ويعاني بعد أن تبين له الحق؛ لقوله: ((**كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءتهم البينات**)) . ومن فوائدها: أن الكفر بعد الإيمان أغلظ من الكفر الأصلي؛ لأن الله تعالى استبعد أن يهتدي هؤلاء؛ وأما الكافرون فإن الله سبحانه وتعالى ذكر في سورة الممتحنة أن الله تعالى قد يهديهم فقال الله: ((**عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة**)) وذلك بالإيمان ((**والله قدير والله غفور رحيم**)) . ومن فوائد هذه الآية: أن النبي صلى الله عليه وسلم حق؛ لأنه لام هؤلاء على الكفر بعد أن شهدوا بأن الرسول حق؛ ولاشك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حق من عند الله صادق فيما قال، وفيما أخبر به عن ربه . ومن فوائد هذه الآية: أن الله سبحانه وتعالى لم يدع الخلق هملا بل أقام لهم الحجج وأقام البينات حتى لا يكون للناس على الله حجة؛ لقوله: ((**وجاءهم البينات**)) . هذه البينات تنقسم إلى أقسام: شرعية؛ وعقلية؛ وحسية؛ أما السمعية فهو القرآن؛ وأما العقلية فهو أن كل عاقل يتدبر ما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام يعلم أنه حق؛ فإنه ما أمر بشيء فقال العقل ليته لم يأمر به، ولا نهى عن شيء فقال العقل ليته لم ينه عنه؛ وأما الحسية فظاهرة انتصاراته العظيمة في هذه المدة الوجيزة، وانتصار أصحابه حتى فتحوا مشارق الأرض ومغاربها مع أنهم كانوا أذلة مستضعفون في الأرض يخافون أن يتخطفهم الناس، هذا من أكبر الأدلة على أنه رسول الله حقا؛ إذا فالآيات: شرعية؛ وعقلية؛ وحسية . ومن فوائدها: أن من أضله الله فإن ما ذلك لظلم منه، أي من الذين أضله؛ لقوله: ((**والله لا يهدي القوم الظالمين**)) ؛ وأما من طلبوا الحق وتحروا وتشوقوا له فإنه جديرون بالهداية؛ كذا يا يوسف ؟ ويش قلت ؟ هم جديرون بالهداية ؛ من هم ؟ الذين كفروا؛ الذين كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات ؛ فهم جديرون بالهداية؛ هكذا قلنا يا جماعة ؟ على العكس تماما . قال الله تعالى: ((**أولئك جزائهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين**)) . في هذه الآية إثبات الجزاء وفيها أن الجزاء من جنس العمل؛ فإن هؤلاء لما ارتكبوا ثلاث جرائم أو ثلاثة أمور في كفرهم كان عليه لعنة الله والملائكة والناس، ثلاث بثلاث . ومن فوائدها: أن الملائكة ذو عقول يفهمون ويفعلون وليس كما قال بعضهم إنهم ليس لهم عقول، وما أغرب هذا

القول وما أبعده من الصواب؛ لأننا إذا قلنا إن الملائكة ليس لهم عقول فإننا نطعن في القرآن؛ لأن الوسيط الذي بين محمد صلى الله عليه وسلم وبين الله ملك فإذا قلنا لا عقل له كيف ؟ كيف إذا قلنا لا عقل له ؟ إذا نقول ما نأمن؛ لأن العاقل لا يمكن أن يحتمل قوله ولا نقبل ؛ من أين نأخذ أن لهم عقولا ؟ من إثبات أنهم تصدر منهم اللعنة . ومن فوائد هذه الآية: أن أمثال هؤلاء يلعنهم الناس جميعا؛ لقوله: ((**والناس أجمعين**))؛ لكن هذا فيه إشكالا وهو أنه يوجد من الناس من يزمر وراء الكافرين وصفق ورائهم ويفزع معهم فكيف قال: ((**والناس أجمعين**)) ؟ نقول: لأنهم إذا صفق معهم وزمر ورائهم فهو منهم؛ فيكون هو ملعونا من الناس أجمعين، الآخرين؛ لأن من أعان ضالا فهو ضال ومن أعان كافر فهو كافر، قال الله تعالى: ((**ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين**)). ثم قال الله تعالى: ((**خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون**)) . فيها إثبات أن هؤلاء الذين كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات خالدون في لعنة الله أي في الطرد والإبعاد عن رحمته وليس ثمة إلا النار، بعد الجنة ما فيه إلا النار وليس بعد الهدى إلا الضلال . ومن فوائدها: أنهم . والعياذ بالله . دائما في العذاب، في عذاب لا يخف عنهم أبدا ولا ينتظرون الفرج لا بالتخلص منه ولا بتخفيفه؛ لقوله: ((**لا يخفف**)) وهذه الجملة خبرية وخبر الله تعالى لا يخلف . ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن هؤلاء يبادرون بالعذاب؛ فهم يبادرون بالعذاب إما في الدنيا أو عند الموت وعند دخول النار؛ ففي الدنيا قال الله تعالى: ((**ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون**))؛ وقال الله تعالى: ((**ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا ولعلهم يرجعون**))؛ وعند الموت ((**تتوفاهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم**)) ؛ وفي يوم القيمة حدث ولا حرج . ثم قال الله تعالى: ((**إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم**)) . في هذه الآية من الفوائد: أن التوبة تجب ما قبلها؛ لقوله: ((**فإن الله غفور رحيم**)) . ومن فوائدها: أنه لابد من مع التوبة من الإصلاح؛ لقوله: ((**وأصلحوا**)) وهذا واجب في كل ما يتعدى جرمه إلى غيره أن يقوم بإصلاح ما ترتب على هذا الجرم . ومن فوائد هذه الآية الكريمة: إثبات اسمين من أسماء الله وهما: الغفور والرحيم؛ وإثبات ما تضمناه من الصفة وهي المغفرة الرحمة؛ ولهذا نقول: كل اسم من أسماء الله فإنه دال على ثلاثة أشياء، كل اسم من أسماء الله فإنه دال على ثلاثة أشياء: على ذات الله؛ وعلى الصفة؛ والثالث: على الأثر الذي يترتب على هذه الصفة؛ لكن هذا الثالث لا يطرد في كل اسم من أسماء الله؛ لأن الأسماء غير متعدية لا يدخل فيها إثبات الأثر؛ فالعلي مثلا فيها إثبات الاسم واصفة العظيم كذلك والكبير كذلك؛ لكن السميع فيها إثبات الاسم والصفة الأثر، الاسم

السميع، والصفة السمع، والأثر يسمع ؛ ومن هنا يعلم أن كل اسم فلابد أن يكون متضمنا لصفة؛ بدون استثناء ؟ بدون استثناء؛ وليس كل صفة مستلزمة لاسم؛ قد يوصف الله بالشيء

لكن هذا الثالث لا يطرد في كل اسم من أسماء الله؛ لأن الأسماء غير متعدية لا يدخل فيها إثبات الأثر؛ فالعلي مثلا فيها إثبات الاسم واصفة العظيم كذلك والكبير كذلك؛ لكن السميع فيها إثبات الاسم والصفة الأثر، الاسم السميع، والصفة السمع، والأثر يسمع ؛ ومن هنا يعلم أن كل اسم فلابد أن يكون متضمنا لصفة؛ بدون استثناء ؟ بدون استثناء؛ وليس كل صفة مستلزمة لاسم ؛ قد يوصف الله بالشيء ولا يسمى بما دلت عليه هذه الصفة؛ ولهذا نقول: الصفات أوسع من الأسماء، أوسع؛ لأن كل اسم متضمن لصفة ولا عكس . ثم قال الله تعالى: ((**إن الذين كفروا**)) نعم , ومن فوائد الآية: الثناء على المصلحين؛ ويستلزم الإصلاح أن يكون المصلح صالحا؛ أليس كذلك؟ هذا هو الأصل، أن كل مصلح فهو صالح؛ وقد يكون المصلح غير صالح فإن من الناس مثلا من ينهى عن المنكر وهو يفعله ويأمر بالمعروف وهو لا يفعله؛ لكن الغالب أن المصلح حقا يكون صالحا؛ لأنه لا يمكن أن يسعى الإصلاح لغيره وهو مضيع لإصلاح نفسه . ثم قال الله تعالى: ((**إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم وأولئك هم الضالون**)) , ((**إن الذين كفروا بعد إيمانهم**)) وهؤلاء المرتدون؛ لأنهم آمنوا أولا ثم كفروا ثانيا ؛ ((**ثم ازدادوا كفرا**)) لأنهم صاروا . والعياذ بالله . يترقون أو ينحدرون في دركات الكفر؛ ((**لن تقبل توبتهم**)) متى ؟ إذا تابوا قبل الموت عند حضور الأجل فإن توبتهم لن تقبل؛ لقول الله تعالى: ((**وليست التوبة للذين عملوا السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن**)) ؛ إذا يكون قوله: ((**ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم**)) متى؟ إذا حضرهم الموت ؛ أما إذا تابوا من قبل فقد سبق، سبق أنهم إذا تابوا وأصلحوا فإن الله غفور رحيم . ثم قال: ((**إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملأ الأرض ذهبا ولوا افتدى به**)) وهذه مرتبة الثالثة؛ كفروا وبقوا على الكفر إلى الموت؛ فهؤلاء قال: ((**لن يقبل من أحدهم ملأ الأرض ذهبا ولو افتدى به**)) ولم يقل: فلم تقبل توبتهم؛ لماذا؟ لأنهم لم يتوبوا، ماتوا على الكفر؛ فلم يبق أمامهم إلا الفداء أن يفتدوا أنفسهم بشيء؛ يقول: ((**لن يقبل من أحدهم ملأ الأرض ذهبا ولو افتدى به**)) يعني لو جاءوا بملأ الأرض ذهبا وطلبوا أن يكون فداء لهم فإن ذلك لن يقبل منهم؛ وحينئذ تكون هذه الآيات قسمت الكفار الذين ارتدوا إلى ثلاثة أقسام؛ قسم تاب وأصلح؛ فما حكمه ؟ تقبل توبتهم؛ وقسم تاب عند حضور الأجل فلا تقبل توبتهم؛ وقسم ثالث مات على الكفر فلن تقبل فديته ولا نقول فلا تقبل توبته لأنه لم يتب؛ وهذا كالذي في سورة النساء تماما حيث قال الله تعالى: ((**إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب**)) ((**من قريب**)) يعني قبل حضور الأجل ((**فأولئك يتوب الله عليه وكان الله عليما حكيما وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن**)) هذا القسم الثاني؛ ((**ولا الذين يموتون وهم كفار**)) هذا القسم الثالث؛ فتكون

هذه الآيات كالآيات التي في سورة النساء . ثم قال الله تعالى: ((**أولئك لهم عذاب أليم وما لهم من ناصرين**)) ((**أولئك**)) المشار إليه من مات على الكفر ومن لم تقبل توبته وهو من مات عند حضور الأجل؛ يقول الله عز وجل: ((**أولئك لهم عذاب أليم**)) ((**أليم**)) بمعنى مؤلم ؛ لأن أليما تأتي بمعنى الفاعل وتأتي بمعنى المفعل وتأتي بمعنى المفعول، فعيل تأتي بمعنى مفعول وبمعنى فاعل وبمعنى مفعل؛ صح ؟ طيب تأتي بمعنى فاعل مثل ؟ سميع يعني سامع ((**إن ربي لسميع الدعاء**)) ؛ وبمعنى مفعول مثل: جريح وكثير؛ وبمعنى مفعل مثل: أليم بمعنى مؤلم؛ ومنه قول الشاعر:

أمن ريحانة الداع السميع يؤرقني وأصحابي رجوع

قال: ((**وما لهم من ناصرين**)) يعني ما لهؤلاء أحد ينصرهم ويمنع العذاب عنهم أو يرفعه عنهم؛ لأنهم حق عليهم العذاب ولا يجدون لهم ناصرا . في هذه الآية من الإعراب قوله: ((**فلن يقبل من أحدهم ملأ الأرض ذهبا**)) ((**ذهبا**)) تمييز ، تمييز ؛ لأنها أتت بما بعد ما يفيد التقدير وهو قوله: ((**ملأ**)) وكل ما أتى بعد ما يفيد التقدير منصوبا فإنه يكون تمييزا؛ لأن ما يفيد التقدير مبهم والتمييز يبينه؛ ثانيا قوله: ((**ولو افتدى به**)) هل الواو زائدة ؟ يعني فلن يقبل من أحدهم ملأ الأرض ذهبا لو افتدى به ؟ أو إن الواو مؤسسة يعني غير زائدة ؟ نقول الأصل عدم الزيادة ولا موجب لقولنا إنها زائدة لأن الكلام مستقيم ولو كانت أصلية ؛ والتقدير: لو أن لهم؛ لن يقبل من أحدهم ملأ الأرض ذهبا إذا بذله من غير أن يصرح بأنه افتداء؛ وقوله: ((**ولو افتدى به**)) يعني ولو صرح بأنه افتداء ؛ والفرق بينهما أنه قد يعطي الأول تزلفا لا معاوضة وأما إذا أعطاه افتداء فهو أيش؟ معاوضة؛ هذا هو الفرق بينهما؛ إذا فلن يقبل من أحدهم ملأ الأرض سواء أعطاه من باب التودد والتحبب أو أعطاه على أنه فداء و معاوضة لن يقبل منه .

السائل : هل توبة الكافر إذا احتضر تنفعه ؟

الشيخ : لا تقبل، لا تقبل منه ؛ ولهذا لم يجزم النبي صلى الله عليه وسلم بسلامة عمه ، قال: كلمة أحاج لك بها عند الله ؛ والمحاجة قد يحصل بها المقصود وقد لا يحصل .

السائل : لو قال لاتقبل لأنه كافر أصلا ؟

الشيخ : لا، قد تقبل وقد لا تقبل؛ لأن الله تعالى يقول: ((**وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن**)) يشمل .

السائل : حديث الرسول صلى الله عليه وسلم عند البخاري اليهودي الذي أمره بشهادة ثم مات فأمر الصحابة أن يأخذه ليدفنه ؟

الشيخ : كيف لأنه أخاف؟ لأنه لم يتبين أنه حضره الأجل ؛

السائل : كان يحتضر؛

الشيخ : أيه لكن لم يتبين أنه كان يحضره الأجل ؛ أما إذا حضر فالآية تدل على أنه ما ينفع .

السائل : الكافر الأصلي والملي

الشيخ : لا فرق

السائل : هل يجوز لعن الإنسان المعين ؟

الشيخ : هل يجوز ؟

السائل : نعم ,

الشيخ : لا ، لعن المعين حرام ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم لما يعلن قوما من المشركين نهاه الله قال: ((**ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون**)) .

السائل : ما حكم من يقول إن أحكام الإسلام لا تصلح لهذا العصر ؟

الشيخ : لاشك أن الذي يقول هذا القول كافر مرتد يباح دمه وماله ؛ لأن هذا هو حكم الجاهلية الذي قال الله تعالى فيها: ((**أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون**)) فالذين يقول إن هناك حكما يساوي حكم الله في إصلاح الخلق أو أحسن من حكم الله فلاشك أنه كافر ؛ لأنه مكذب لقول الله تعالى: ((**ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون**)) .

السائل : هل العاصي في نفسه لابد أن يصلح بعد توبته لتقبل ؟

الشيخ : لا ما هو على كل حال ،

السائل : العاصي الذي يدعوا إلى معصيته معصيته خاصة ؛

الشيخ : لا من باب شروطها إذا كان متعديا فهو من شروط التوبة .

السائل : قوله تعالى: ((**ومن يبتغ غير الإسلام دينا**)) هل يدخل فيه عبادة غير مشروع بدعيا ؟ لأنه غير مقبولة ؟

الشيخ : بلى كيف ؟ تؤخذ من هذا ، نحن ذكرنا هذا؛ من يبتغ غير الإسلام أصلا أو فرعا .

((**لن تقبل توبتهم وأولئك هم الضالون**)) يستفاد من هذه الآية الكريمة: أن المرتد إذا بقي على ردته فإنه لا تقبل توبته عند الموت ؛ لقوله: ((**إن الذين كفروا بعد إيمانهم**)) وهذا لا يكون إلا بالردة . ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أنه كلما تمادى الإنسان في الكفر ولم يتب فإنه يزداد؛ لأن كل وقت يمر عليه يزداد وزرا إلى وزر كما أن المؤمن يزداد أيضا بزيادة الأيام إيمانا؛ لأن كل يوم يمر عليه وهو مؤمن فإنه يضيف إيمانا إلى إيمانه . ومن فوائد الآية الكريمة أيضا: أن من تاب قبل أن يحضر أجله فإن الله تعالى يتوب عليه كما في الآيات السابقة وهي قوله تعالى: ((**إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا**)) . ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن من استمر على كفره فهو ضال؛ وذلك لأنه اجتنب طريق الحق وكل من اجتنب طريق الحق فهو ضال ؛ لقول الله تعالى: ((**فماذا بعد الحق إلا الضلال**)) فالطرق إما حق وإما ضلالة؛ فمن لزم الشريعة فهو مع الحق ومن خالف الشريعة فهو في الضلالة . ثم قال الله تعالى: ((**إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملأ الأرض ذهبا ولو افتدى به**)) وهذا هو القسم الثالث من أقسام الكفار؛ لأن القسم الأول الذين تابوا قبل الموت؛ والثاني الذين تابوا عند الموت؛ والثالث الذين ماتوا على الكفر؛ فهنا يقول: ((**إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار**)) فيستفاد من هذه الآية الكريمة: أن من مات على الكفر فلن يقبل منه شيء يمنعه من عذاب الله؛ ولهذا قال: ((**لن يقبل من أحدهم ملأ الأرض ذهبا ولو افتدى به**)) . ومن فوائد هذه الآية: أن الأمر يسير على المؤمن لأنه يفتدي من عذاب الله بما هو أقل من ملأ الأرض ذهبا؛ فإذا آمن وقام بالعمل الصالح وأدى بما يجب عليه من حقوق المالية نجا من هذا العذاب مع أنه أقل بكثير من ملأ الأرض ذهبا . ومن فوائد هذه الآية: إثبات العذاب لهؤلاء الكفار؛ لقوله : ((**أولئك لهم عذاب أليم**)) . ومن فوائد هذه الآية: أن هذا العذاب عذاب شديد مؤلم؛ لقوله: ((**أليم**)) . ومن فوائدها: أن هذا الألم ألم بدني وألم نفسي؛ لأنهم مع العذاب الشديد العظيم على البدن يعذبن عذابا نفسيا وذلك بالتوبيخ والإهانة . ومن فوائد هذه الآية: أن هؤلاء الكفار الذين ماتوا على الكفر لن يجدوا أحدا ينصرهم حتى آلهتهم التي يعبدونها من دون الله تلقى في نار جهنم إهانة لها وإذلالا لها وإهانة لعابديها وإذلالا لهم؛ لأنهم إذا كانوا يتعلقون بهذه الآلهة وألقيت في النار صار هذا أشد عليهم حسرة .

ثم قال الله تعالى: ((**لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون**)) لن الذي عرفنا أنها تفيد النفي وتحول الفعل من الحال إلى الاستقبال وتعمل تغير الفعل ظاهر وهو النصب؛ فهي تغير الفعل شكلا ومعنى؛ أما شكلا فهي تنقله من الرفع إلى النصب وأما معنى فتنقله من الحال إلى الاستقبال؛ وأيضا وجه آخر في المعنى تنقله من الإثبات إلى النفي . يقول الله عز وجل : ((**لن تنالوا البر**)) أي لن تدركوه؛ والبر في الأصل هو الخير والعطاء ومنه بر الوالدين وذلك بالإحسان إليهما؛ فالبر في الأصل هو الخير والعطاء ويقرن أحيانا بالتقوى؛ فإذا قرن بالتقوى صار معناه فعل الطاعات واجتناب المحرمات؛ لأن الإنسان يتقيها ويحذرها ويبتعد عنها؛ إذا البر هو الخير الكثير والعطاء؛ فلن تنالوا ذلك ((**حتى تنفقوا مما تحبون**)) حتى هذه للغاية وهي من أدوات النصب فالقول بعدها منصوب؛ وقوله: ((**حتى تنفقوا مما**)) من يحتمل أن تكون لبيان الجنس ويحتمل أن تكون للتبعيض؛ والفرق بينهما أننا إذا جعلناها لبيان الجنس شمل المدح من تصدق بجميع ماله؛ وإذا جعلناها للتبعيض صار مختصا بمن تصدق ببعض ماله؛ ويمكن أن نقول إنها صالحة للأمرين فأحيانا التصدق ببعض المال أفضل من التصدق بكله وأحيانا يكون العكس . وقوله: ((**مما تحبون**)) أي من المال؛ لأن الله تعالى قال: ((**وتحبون المال حبا جما**)) ؛ ولكن كل ما كان المال أحب كان إنفاقه أقوى إيمانا وأدل على محبة الإنسان للخير؛ لأن الشيء الذي تكون الرغبة فيه قليلة يسهل على الإنسان أن ينفقه؛ لكن الشيء الذي تتعلق به النفس كثيرا هو الذي تشح النفس في إنفاقه؛ فإذا أنفقه الإنسان مع قوة تعلق نفسه به كان ذلك دليلا على أيش؟ على قوة إيمانه؛ لأنه لا يدفع القوي إلا بما هو أقوى منه؛ لما نزلت هذه الآية قام أبو طلحة رضي الله عنه فجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله إن الله تعالى أنزل: ((**لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون**)) وإن أحب مالي إلي بيرحة ؛ وكانت نخلا مستقبلة المسجد يعني قريبا من مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وكان فيها ماء عذب طيب يأتي إليه النبي صلى الله عليه وسلم ويشرب منه وهذا مما يزيده رغبة أن الرسول صلى الله عليه وسلم يأتي إليه ويشرب منه ويتظاهر به؛ قال وإني نعم قال فضعها يا رسول الله حيث أراك الله؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: بخ بخ ذاك مال رابح ذاك مال رابح؛ ثم قال: أرى أن تجعلها في الأقربين؛ فجعلها أبو طلحة في أقاربه في بني عمه وأقاربه؛ وكان ابن عمر رضي الله عنهما إذا أعجبه شيء يتصدق به يتأول قول تعالى: ((**لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون**)) أما نحن فإذا أعجبنا شيء من مالنا جعلناه في الصناديق واستعملنا رديء وخلينا الباقي يمكن يكون لورثتنا ما يكون لنا؛ ولكن هكذا الشح؛ أما الذين يريدون الآخرة فهم يرون أن مالهم هو الذي يقدمونه؛ ولهذا لما سأل النبي عليه الصلاة السلام قال لأصحابه سأل أصحابه ذات يوم قال أيكم ماله أحب إليه من مال وارثه قالوا يا رسول الله ما منا أحد إلا وماله أحب إليه من مال وارثه؛ قال فإن ماله ما قدم ومال وارثه

ما أخر؛ يعني معناه أنك إذا بخلت بالمال وأبقيته فإنك سوف تذهب عنه، سوف يورث من بعدك؛ لكن إذا تصدقت به وأمضيته تجده أمامك؛ ولهذا ينبغي للإنسان أن يتأول هذه الآية ولو مرة واحدة، لو مرة واحدة إذا أعجبه شيء من ماله أن يتصدق به لعله ينال هذا البر . وقوله تعالى: ((**وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم**)) يعني أي شيء تنفقونه مما تحبون وما لا تحبون من قليل أو كثير من نفائس الأموال أو صغائرها فإن الله به عليم ؛ وقوله: ((**من شيء**)) من هذه لبيان لما وهي نكرة؛ وما اسم شرط واسم الشرط يدل على العموم؛ وهي عموم مبين بعموم؛ العموم في ما الشرطية والذي بينها شيء وهي أيضا عامة لأنها نكرة في سياق الشرط؛ وقوله: ((**فإن الله به عليم**)) الفاء هذه فيه جواب الشرط رابطة ((**فإن الله به عليم**)) قوله: ((**به عليم**)) قدمت الجار والمجرور على متعلقه والمعروف أن تقديم المعمول يفيد الحصر؛ فهنا نقول إنه قدم المعمول لفائدتين: الفائدة الأولى: لفظية وهي مراعاة فواصل الآيات؛ والفائدة الثانية: معنوية وهي بيان الاعتناء بهذا المقدم حتى كأن الله تعالى حصر علمه به؛ فتقديم المعمول هنا يدل على العناية والاهتمام بهذا الشيء الذي قدمه الإنسان لنفسه وأن الله به عليم . فإن قال قائل: علمنا أن الله به عليم ولا ننكر ذلك لكن ما فائدتها ؟ فالجواب: أن الله تعالى لم يذكر هذا العلم إلا لما يترتب عليه من المجازاة؛ فإن الله إذا علمه لا يمكن أبدا أن يضيعه ((**فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره**)) والله تعالى عليم بكل شيء . في هذه الآية من الفوائد: الحث على الإنفاق مما يحبه الإنسان . ومنها أيضا: أن بالإنفاق مما يحب نيل البر الذي يطلبه كل إنسان . ومن فوائدها: إثبات الأسباب ؛ من أين تؤخذ ؟ أن الله أثبت للبر سببا وهو الإنفاق من ماله . ومن فوائد هذه الآية: أنه كلما أنفق الإنسان مما هو أحب إليه كان أكثر لبره؛ وذلك لأن من قواعد الأصول أن ما علق بوصف فإنه يزداد وينقص بحسب ذلك، بحسب ذلك الوصف . ومن فوائد هذه الآية: عموم علم الله عز وجل؛ لقوله : ((**وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم**)) . ومن فوائدها: إثبات الجزاء، وأن كل إنسان سيجازى بعمله إن خيرا فخير وإن شرا فشر؛ يؤخذ من قوله: ((**فإن الله به عليم**)) لأن المراد من إثبات العلم إثبات ما يترتب عليه وهو الجزاء . أما بنسبة للإعراب فإن قوله: ((**لن تنالوا البر حتى**)) حتى هذه للغاية؛ والغاية إذا لم يوجد المغيا فإنها لا تنادي؛ وعلى هذا فلا ينال البر إلا من أنفق مما يحب؛ وثانيا: ((**حتى تنفقوا**)) أين ذهبت النون ؟ لأن الفعل منصوب إما بأن مضمرة بعد حتى وإما بحتى على خلافها . وقوله: ((**حتى تنفقوا**)) هذه جملة شرطية؛ فعل الشرط فيها ((**تنفقوا**)) وجوابه جملة ((**فإن الله به عليم**)) وقرنت جملة الجزاء بالفاء لأنها جملة اسمية . ومن فوائد هذه الآية: جواز إنفاق المرء جميع ماله؛ بناء على أن من للجنس؛ وهذه المسألة اختلف فيها العلماء هل يثاب الإنسان إذا تصدق بجميع ماله ويمدح ؟ أو نقول: الأفضل ألا تتصدق بجميع المال لأن الرسول الله صلى الله عليه

وسلم قال: (**إنك أن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس**) فجعل إبقاء المال للورثة لئلا يتكففوا الناس خيرا من أن يحرموا من المال فيتكففوا الناس وإذا كان هذا بالنسبة للورثة فهو بالنسبة للنفس أولى؛ ولما نظر أبو لبابة أن يتصدق بجميع ماله قال له النبي صلى الله عليه وسلم: (**أمسك عليك بعض مالك**) فأمره أن يمسك بعض ماله وأن يتصدق بالثلث؛ من العلماء من قال: بل يمدح الإنسان إذا تصدق بجميع ماله لأن النبي صلى الله عليه وسلم لما حث على الصدقة ذات يوم جاء أبو بكر رضي الله عنه بجميع ماله وجاء عمر بشطر ماله، بنصفه؛ وأثنى النبي صلى الله عليه وسلم على أبي بكر قال له: (**ماذا تركت لأهلك ؟ قال: تركت لهم الله ورسوله**) والصحيح في هذه المسألة أن ذلك يختلف؛ فمن علم من نفسه أنه إذا تصدق بماله لم يخنع لأحد ولم يذل لأحد وكان عنده من قوة التوكل على الله ولعمل ما يغنيه عن السؤال فهنا يمدح على الصدقة بجميع ماله؛ وكذلك لو فرض أن المسألة تحتاج إلى الصدقة بجميع المال لكون الناس في ضرورة إلى ذلك كان الصدقة بجميع المال أفضل؛ وأما إذا كان الإنسان يخشى على نفسه أن يتصدق بماله ويتكفف الناس فلا يتصدق لأنه لا يمكن أن يفعل شيئا مستحبا ويدع شيئا واجبا لأن إعفاف نفسه وأهله واجب؛ فكونه يتصدق ثم يذهب يقول للناس أعطوني أعطوني لاشك أن هذا إذلال، إذلال النفسي ؛ فالصحيح أن المسألة تختلف باختلاف الأحوال واختلاف الأشخاص . الذي ينبغي أن لا يفعل، أن لا يفعل؛ لأن الله تعالى يقول: ((**يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقونه ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه**)) فالإنسان لا ينبغي له أن يعلق نفسه مما أخرجه لله .

السائل : شيخ ليس له أجر ؟

الشيخ : الأجر له لكن ينقص أجره بلا شك .

السائل : شيخ قد مر علينا أن المعبودات الباطلة تلقى في النار ؛

الشيخ : نعم الأصنام ؛

السائل : فكيف بمن عبد الأنبياء والصالحين ؟

الشيخ : لا لا، مثل عيسى بن مريم ؛ هذا ما هو من الأصنام؛ المعبودات قسمان: معبود يعبد الله هذا لا يعذب؛ ولهذا قال الله: ((**إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون**)) قال بعد ذلك: ((**إن الذين سبقت لهم**

منى الحسنى أولئك عنها مبعدون)) لأن الكفار اعترضوا قالوا إذا كانوا هم حصب جهنم إذا عيسى يكون في النار فأنزل الله هذه الآية: ((**إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون**)) ؛ لكن الأصنام التي هي الأصنام أحجار تلقى في النار .

السائل : شيخ كيف يجمع بين قوله تعالى: ((**وهم فيها لا يسمعون**)) وقوله تعالى: ((**إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقا**)) ؟

الشيخ : ((**سمعوا لها**)) أي نعم ؛ أنت تعرف أن الوقت طويل وإلا قصير ؟ الوقت ؟ نعم الذي في النار أهل النار يكون في النار في وقت قصير وإلا طويل ؟ طويل؛ تختلف الأحوال؛ فهم إذا ألقوا فيها يسمعون هذا الشهيق عندما تتلقاها يكون هذا أشد في الرعب والإزاعة . والعياذ بالله .؛ ثم إذا أدبغت عليهم ((**إنها عليهم مؤصدة في عمد ممدة**)) .

السائل : شيخ أحسن الله إليك؛ هل البر لا ينال إلا بما ذكر في الآية: ((**لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون**)) ؟

الشيخ : لا، هذا البر الكامل المطلق؛ أما مطلق البر فيحصل بأدنى شيء؛ ولهذا قال: ((**البر**)) بأل الدالة على الكمال .

السائل : هل من هذا يكون لديه كتاب ثمين فيه فائدة كبيرة يتصدق به ؟

الشيخ : لا لا؛ لأن هذا الكتاب قد لا يجد مثله وهو محتاج إليه حاجة دينية، ما يدخل فيها؛ لكن لو فرضنا عندك ساعة جيدة زين من أحسن ما يكون تلقى نفسك بها وأعطيت واحدا محتاج مثلا ما عنده الساعة؛ هذا منها .

السائل : ما معنى بخ بخ ؟

الشيخ : هذه معناها كلمة تقال مثل ما نقول: ما أحسن هذا، ما أحسن هذا .

((**كل الطعام كان حلا لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه**)) ((**كل الطعام**)) الطعام ما يطعم فإن قرن به الشراب صار المراد به ما يحتاج إلى مضي والشراب ما لا يحتاج إلى مضي؛ إذا قيل: طعام وشراب ؛

وأما إذا أطلق وقيل: طعام صار شاملا لما يؤكل وما يشرب، قال الله تعالى: ((**فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فإنه مني**)) فسمى شرب الماء طعما أو طعاما؛ أما إذا ذكر مع الشراب فالطعام ما يمضى ويؤكل والشراب ما ليس كذلك . ((**كل الطعام كان حلا لبني إسرائيل**)) كان حلا بمعنى حلالا لنبي إسرائيل سواء كان من النبات أو من الحيوان أو من أي شيء كان يعني أن كل شيء حلال له في الأول ((**إلا ما حرم إسرائيل على نفسه**)) ما حرم إسرائيل على نفسه يعني فكان حراما؛ إذا فهناك حلال في أول الأمر وهناك حرام في ثاني الأمر؛ ((**إلا ما حرم إسرائيل على نفسه**)) وقوله: ((**لبني إسرائيل**)) بنو إسرائيل هم أبناء يعقوب ابن إسحاق ابن إبراهيم؛ وإسرائيل بمعنى عبد الله؛ وبنو عمهم هم بنو إسماعيل بن إبراهيم ؛ فإسماعيل وإسحاق أخوان أبوهما إبراهيم؛ ويعقوب هو ابن إسحاق وقد بشر الله به جدته على لسان الملائكة ((**وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحاق ومن رواء إسحاق يعقوب**)) . وقوله: ((**إلا ما حرم إسرائيل على نفسه**)) أكثر المفسرين على أن المراد بإسرائيل يعقوب؛ فهو علم على شخص معين لا على قبيلة معينة يعني إلا ما حرم إسرائيل نفسه على نفسه؛ وقد حرم شيئا من الطعام وأبهمه الله سبحانه وتعالى عليه؛ لأن ما اسم موصول والاسم الموصول مبهم يحتاج إلى بيان ولم يبين، لم يقل الله عز وجل: إلا ما حرم إسرائيل على نفسه كذا وكذا؛ فما حرمه مبهم؛ وقال بعض أهل العلم: إنه حرم على نفسه أكل الإبل لأنه أصيب بعرق النسى وهو عرق يمتد من القدم إلى الورك في الرجل ويؤلم كثيرا ويتعب؛ ولكن هذا من أخبار بني إسرائيل لا يصدق ولا يكذب؛ وحينئذ لا نجزم بالذي حرم إسرائيل على نفسه؛ بل نقول هو معلوم عند اليهود ولكننا لا ندري ما هو لأن الله أبهمه؛ هذا على القول بأن المراد بإسرائيل علم الشخص يعني إسرائيل نفسه؛ وقيل: المراد بإسرائيل القبيلة كما تقول قريش؛ فإن قريشا كان اسما لشخص معين ثم انتقل من اسم الشخص إلى اسم ذريته القبيلة التي تنسب إليه؛ فيكون المراد بإسرائيل على هذا القول المراد به بنو إسرائيل؛ وإلى هذا ذهب صاحب المنار أن المراد بإسرائيل بنو إسرائيل؛ على هذا القول ما الذي حرم بنو إسرائيل على أنفسهم ؟ هذا مبين في القرآن الذي حرمت بنو إسرائيل على نفسها ((**وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم**)) هذا ما اختاره صاحب المنار؛ لكن هذا الرأي ضعيف؛ لأن الله فرق بين بني إسرائيل وإسرائيل فقال: ((**حلا لنبي إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل**)) ولم يقل: إلا ما حرموا على أنفسهم؛ ثم إنه يرد عليه إشكالا آخر بأن بني إسرائيل لم يحرموا على أنفسهم شيئا وإنما حرم عليهم شيء بسبب ظلمهم، بسبب ظلمهم والأصل أن الشيء إذا أضيف فهو لما أضيف إليه مباشرة لا تسببا؛ فالصحيح أن الذي حرم، أن المراد بإسرائيل صحيح أن المراد بإسرائيل علم

الشخص؛ لكن ما الذي حرم هذا هو الذي نتوقف فيه لأن الله تعالى أبهمه والواجب أن نبهم ما أبهمه الله ونقول: إن إسرائيل عليه الصلاة والسلام حرم على نفسه شيئا أو أشياء ما نعلم ولكن لا نعلمه حتى يأتينا خبرها عن طريق معصوم . قال: ((**إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة**)) ((**من قبل أن تنزل التوراة**)) يعني معناه أن هذا أمر متقرب من قديم الزمان؛ وبين إسرائيل وبين نزول التوراة جهور طويلة وأزمان كثيرة؛ لكن الله أراد أن يقرر بأن التحريم أي تحريم ما أحل كان سابقا متقدما بكثير على التوراة . وقوله: ((**من قبل أن تنزل التوراة**)) فيها قراءتان: ((**تنزل**)) بتشديد الزاء ؛ و ((**تنزل**)) بالتخفيف ؛ وكلتا القراءتين سبعيتان يعني أنه يجوز أن نقرأ بهذه الوهل؛ والقاعدة في القراءتين أن السنة أن تقرأ بهذه مرة وبهذه مرة لأن كلتا القراءتين ثبتت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فإذا قرأت بواحدة وهجرت الأخرى لم تأت بالسنة كاملة بل اقرأ بهذا مرة وهذا مرة؛ لكن بشرط أن تكون متأكدا من القراءة لأن القرآن كلام الله؛ فلو قرأت شيئا لم تتأكد وكان خلاف ما أنزل الله كنت مفتريا على الله كذبا ؛ الشرط الثاني: أن لا يحصل في ذلك تشويش؛ فإن حصل في ذلك تشويش كما لو قرأت بقراءة ثانية عند العامة الذين لا يعرفون إلا ما في مصاحفهم فإن ذلك حرام لا يجوز لأنه يؤدي إلا تشكك العامة وإلى رميك أنت بالسوء، يقول هذا الرجل يحرف كلام الله يقرأ بغير ما أنزل الله فتكون عرضة لسب الناس واغتيابهم إياك ورحم الله امرأ كف غيبة عن نفسه؛ أما فيما بينك وبين نفسك فاقرأ بها، اقرأ بالقراءة الثانية إذا كنت متقنا لها وعارفا بها؛ وكذلك إذا كنت بين طلبة العلم حتى يعرفون القراءات وينتفع بها؛ أما بالنسبة للفرق بين ((**تنزل**)) و ((**تنزل**)) فلا فرق؛ لأن التوراة نزلت جملة واحدة فسواء قيل: ((**تنزل**)) أو ((**تنزل**)) ؛ أما القرآن فإنه نزل مفرقا؛ فإذا جاء ((**نزلنا عليك**)) فالمراد نزوله شيئا فشيئا؛ وإذا قيل: ((**أنزلنا إليك الذكر**)) مثلا ((**إنا أنزلناه في ليلة القدر**)) فالمراد في قوله: ((**إنا أنزلناه في ليلة القدر**)) يعني ابتدأنا إنزاله

أما فيما بينك وبين نفسك فاقرأ بها ، اقرأ بالقراءة الثانية إذا كنت متقنا لها وعارفا بها؛ وكذلك إذا كنت بين طلبة العلم حتى يعرفون القراءات وينتفع بها؛ أما بالنسبة للفرق بين ((**تنزل**)) و ((**تنزل**)) فلا فرق؛ لأن التوراة نزلت جملة واحدة فسواء قيل: ((**تنزل**)) أو ((**تنزل**))؛ أما القرآن فإنه نزل مفرقا؛ فإذا جاء ((**نزلنا عليك**)) فالمراد نزوله شيئا فشيئا؛ وإذا قيل: ((**أنزلنا إليك الذكر**)) مثلا ((**إنا أنزلناه في ليلة القدر**)) فالمراد في قوله: ((**إنا أنزلناه في ليلة القدر**)) يعني ابتدأنا إنزاله ؛ و ((**أنزلنا الذكر**)) باعتبار أنه سيكون تاما وبتمامه قد نزل كله . ((**من قبل أن تنزل التوراة**)) التوراة هي الكتاب الذي أنزله الله تعالى على موسى؛ وقد نزلت التوراة مكتوبا كتب الله تعالى التوراة في الألواح فأخذها موسى وتلاها على الناس وعلمهم إياها؛ ولكن هل بقيت التوراة إلى أن جاء محمد صلى الله عليه وسلم ؟ نعم بقيت لكن صار فيها تحريف كما قال الله تعالى: ((**تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا**)) . قال الله تعالى: ((**قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين**)) هذا من باب التحدي، الأمر هنا ((**قل فأتوا**)) ((**فأتوا**)) للتحدي وإقامة الحجة على ما ادعوا، إيتوا بالتوراة يعني هاتوا فتلوها وانظر أن ما قلته فهو حق أي ((**كان الطعام حلا لنبي إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه**)) ثم نسخ أيضا ما بقي الحل بل نسخ حل أشياء كثيرة، حل أشياء كثيرة نسح كما قال عيسى: ((**ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم**)) ((**بعض الذي حرم**)) إذا هناك أشياء كثيرة حرمت فأحل لهم عيسى بعد ما حرمت . ((**قل فأتوا بالتوراة**)) فاتلوها أنتم أيضا لا نحن حتى لا تتهموننا بأنا حذفنا شيئا أو أضفنا شيئا اتلوها أنتم بأنفسكم حتى يتبين لكم أن ما جئت به فهو حق ؛ ((**إن كنتم صادقين**)) يعني فيما تدعونه من كذب ما جئت به فأتوا بالتوراة فاتلوها ؛ و ((**إن كنتم**)) هذه شرطية لتمام التحدي كما أقول لك للكلام العابر: إن أنت صادق فافعل كذا؛ فهذا من كمال التحدي وتمام ؛ وكان سبب هذا أن اليهود كانوا ينكرون ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، ينكرونه ويقولون إنك أحللت شيئا وأحرمت شيئا والشرائع لا تتبدل ولا تتغير لأنها من عند الله؛ ولهذا كانوا ينكرون النسخ ويقولون إن النسخ في أحكام الله مستحيل لأن النسخ إنما أن يكون لحكمة أو عبثا؛ فإن كان عبثا فالله منزه عنه؛ وإن كان لحكمة لزم منه أن الله تعالى تظهر له الحكمة بعد أن كانت خافية عليه؛ وهذا يلزم منه الظهور بعد الجهل وهو أيضا مستحيل على الله؛ شف كيف الشبهة ؟ إذا النسخ مستحيل؛ ولهذا كذبوا موسى وكذبوا عيسى عليه الصلاة والسلام ؛ لأيش ؟ قالوا هذا نسخ والنسخ على الله مستحيل، لا يمكن أن تنسخ الشرائع؛ فيقل هاتوا التوراة، هاتوا التوراة؛ التوراة تثبت وتقرر أن الطعام كان حلا لبني إسرائيل كل ما يطعم ثم حرم إسرائيل على نفسه أشياء وبقي هذا التحريم في ذريته حراما عليهم؛ إذا هذا نسخ وإلا لا؟ نسخ؛ لكنه في الحقيقة ليس بنسخ الكامل الذي يرفع الحكم كله ولكنه نسخ لبعض أفراده فهو ما يسمى عند

الأصوليين بالتخصيص، ويسمى عند السلف بالنسخ؛ التخصيص يسمى في لغة الصحابة والتابعين يسمى نسخا؛ طيب إذا في هذا إقامة الحجة عليهم بما ادعوا من أنه لا يمكن أن تنسخ الشرائع وأنك يا محمد كاذب وأن عيسى كاذب؛ عرفتم يا جماعة ؟ فأراد الله أن يبين كذبهم من كتبهم . قال الله تعالى: ((**فمن افترى على الله بعد ذلك**)) ((**فمن**)) من عامة يعني أي إنسان يفتري على الله الكذب؛ والافتراء معناه التقول بغير حق يعني أن تنسب إلى الشخص ما لم يقله هذا افتراء؛ وقوله: ((**الكذب**)) أي الإخبار بخلاف الواقع لأن الإخبار بالواقع يسمى صدقا وبما يخالف الواقع يسمى كذا؛ فمن قال بعد هذا البيان إنه لا يمكن أن تنسخ الشرائع بعضها ببعض يقول الله عز وجل: ((**فأولئك هم الظالمون**)) ((**أولئك**)) المشار إليه من افترى ؛ ((**هم الظالمون**)) الجملة اسمية كما رأيتم؛ وهم ضمير فصل وليس له محل من الإعراب وإنما جيء به للفصل , بين الخبر والصفة ؛ وقد ذكرنا أنه يفيد ثلاثة أمور: التوكيد؛ والحصر؛ والفصل بين الخبر والصفة؛ فإذا قلت: محمد هو الفاضل؛ فأنت ترى أن هو أكدت الجملة، وترى أيضا أنها حصرت الفضل فيه؛ ومعلوم أن محمدا صلى الله عليه وسلم أفضل الخلق؛ وثالثا ؟ أنها فرقت بين الخبر والصفة؛ لأنه لو قيل: محمد الفاضل لاحتمل أن يكون الفاضل صفة لمحمد وأن الخبر لم يأت بعد؛ فإذا قيل: هو الفاضل فعين أن تكون الفاضل خبرا . ((**فأولئك هم الظالمون**)) يعني متصفين بالظلم ؛ والظلم في الأصل النقص، الظلم في الأصل هو النقص كما قال تعالى: ((**كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئا**)) أي لم تنقص منه شيئا؛ وهو في الحقيقة إما تفريط في واجب وإما انتهاك في المحرم؛ الظلم يدور على شيئين: تفريط في واجب وانتهاك في محرم؛ وكلاهما نقص لأن المنتهك للمحرم أو المفرط في الواجب قد نقص الأمانة والرعاية لأنه أمين على نفسه وراع عليها فإذا أقدم على فعل محرم فقد أخل بما يجب عليه من الرعاية وخان الأمانة؛ وإذا فرط في الواجب فكذلك؛ ولهذا نقول: إن الظلم يدور على أمرين: إما تفريط أو انتهاك لمحرم . نرجع الآن إلى إعراب الآيتين قبل استنباط الفوائد . قوله: ((**كل الطعام**)) كل مبتدأ ؛ و ((**كان حلا**)) الجملة من كان واسمها وخبرها في محل رفع خبر مبتدأ ؛ وقوله: ((**إلا ما حرم إسرائيل**)) مستثنى من كلام تام موجد إذا يتعين فيه النصب؛ وقوله: ((**فاتلوها إن كنتم صادقين**)) جملة: ((**إن كنتم صادقين**)) شرطية ؛ واختلف المعربون في مثل هذا التركيب هل يحتاج الشرط إلى جواب أو لا؛ فمنهم من قال: لا يحتاج إلى الجواب؛ لأن المعلوم عقلا أو حسا كالمذكور؛ ومنهم من قال: إن الجواب محذوف يدل عليه ما سبق؛ والتقدير على هذا القول: فاتلوها إن كنتم صادقين فاتلوها؛ فيكون الجواب محذوفا دل عليه ما قبله؛ ويحتمل أن يقال إن الجواب ما سبق وسقطت الفاء من جواب الشرط وإن كان طلبيا لتقدمه على الأداة؛ على كل حال الجواب سواء قلنا إنها مستغني عنه أو إنه مذكور مقدم أو إنه محذوف دل عليه ما تقدم فالمعنى

واضح . أما قوله: ((**فمن افترى على الله الكذب**)) فهذه جملة شرطية، جملة شرطية جواب الشرط: ((**فأولئك هم الظالمون**)) واقترن بالفاء لأيش ؟ لأنه جملة اسمية؛ وفيه أن من روعي فيها اللفظ والمعنى؛ في الشرط روعي اللفظ وفي الجواب روعي المعنى؛ كلام واضح وإلا لا؟ لا، كيف؟ قال: ((**فمن افترى على الله**)) ((**افترى**)) مصوب للواحد وإلا للجماعة ؟

الطالب : واحد ،

الشيخ : للواحد ؛ إذا مراعى فيه أيش ؟ اللفظ ؛ ((**فأولئك هم الظالمون**)) مصوب للواحد وإلا للجماعة ؟

الطالب : للجماعة ؛

الشيخ : روعي فيه أيش؟ روعي فيه معنى . من فوائد هاتين الآيتين أولا: أن لله تعالى أن يحل ما يشاء ويحرم ما يشاء؛ لقوله: ((**كل الطعام كان حلا لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه**)) ومعلوم أن الله أقره على ذلك وهذا تشريع من الله . ومن فوائد الآيتين: الرد على اليهود الذين زعموا أنه لا نسخ في الشرائع ؛ واضح ؟ نعم . فإن قال قائل: هم يقولون لا نسخ في الشرائع ويعللون بعلة تبدوا وكأنها صحيحة فما الجواب عن هذه العلة ؟ فهمتم العلة السابقة ؟ يقولون: إن كان لغير الحكمة فهو عبث وسفه ينزه الله عنه وإن كان لحكمة لزم أن تكون هذه الحكمة مجهولة لله؛ إما في الأول أو في الثاني يعني إما في الناسخ أو في المنسوخ؛ وهذا يستلزم أن يكون الله تعالى جاهلا ظهر له العلم من بعد أن كان خفيا عليه ؛ جوابنا عن ذلك أن نقول: إن النسخ لا يستلزم لا هذا ولا هذا؛ بل إن النسخ لحكمة؛ لكن هذه الحكمة تتبع مصالح العباد والعباد مصالحهم تختلف قد تكون من المصلحة أن يشرع لهم الحل في هذا الزمن والتحريم في زمن آخر؛ قد تكون هذه الأمة من المصلحة أن يشرع لها الحل والأمة الأخرى من المصلحة أن يشرع لها التحريم؛ فهنا الحكمة لا تتعلق بفعل الله ولكن تتعلق بالمخلوق الذي شرع له هذا الحكم؛ وهذا أمر يختلف بلا شك؛ فمثلا الناس في بدء الإسلام لا يتحملون جميع شرائع الإسلام؛ ولهذا جاءت الشرائع بالتدريج؛ بقي النبي عليه الصلاة والسلام عشرة سنوات لا يجب على الناس لا صلوات ولا زكاة ولا صوم ولا حج، عشرة سنوات بعد البعثة كل هذا لتقرير التوحيد؛ لأن قلوب الناس في ذلك الوقت لا تحتمل أن يضاف إلى تحقيق التوحيد شيء آخر، ثم شرعت الصلاة، ثم شرعت الزكاة، ثم شرع الصوم، ثم شرع الحج في آخر الأمر؛ كل هذا من أجل مراعاة أحوال الناس؛ وكذلك في الخمر، الخمر كان حلا، ثم كان عرض بتحريمه ثم حرم في أوقات معينة، ثم حرم إلى الأبد، أربع مراحل؛ لأن الناس كانوا قد ألفوه، قال الله

تعالى: ((**ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا**)) وهذه الآية في سورة النحل وقد نزلت في مكة ((**تتخذون منه سكرا**)) العنب والرطب هما مادة الخمر؛ ثم قال: ((**يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نعفهما**)) والعاقل إذا علم أن إثمهما أكبر من نفعهما يهديه عقله إلى تركه؛ ثم قال: ((**يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون**)) إذا نجتنب الخمر وقت الصلاة؛ لأنه إن لم نجتنب لزم أن نقرب الصلاة ونحن سكارى وهذا منهي عنه؛ إذا نجتنب الخمر خمس مرات في اليوم والليلة يضعف شربه وإلا لا؟ يضعف؛ جاءت آية المائدة: ((**فاجتنبوه**)) انتهى ؛ إذا نقول: إن ما ادعاه اليهود من أن النسخ يستلزم وصف الله بالنقص إما في الحكمة وإما في الحكمة أيش؟ كذب وإلا لا؟ كذب . ومن فوائد الآية: إقامة الحجة فيما يعتقد صحته أو مما يعتقد صحته يعني أن تجيب أن تقيم الحجة على خصمك من شيء يؤمن به ويعتقد صحته؛ كيف ؟ أن الله قال: ((**قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين**)) التوراة التي أنتم تقرون بأن ما فيها حق إيتوا بها واتلوها يتبين أن النسخ كان موجودا فيها ومن قديم الزمان . ومن فوائد هذه الآية: أن التوراة منزلة كالقرآن؛ وهذا يدل على علوا الله جل وعلا وأنه فوق كل شيء؛ وهذا هو عقيدة أهل السنة والجماعة يقولون إن الله سبحانه وتعالى نفسه فوق كل شيء؛ ليس الله فوق كل شيء في القدرة والسلطان والقهر فحسب بل في هذا وفي نفسه فوق كل شيء؛ واضح يا جماعة ؟ طيب ما وجه دلالتها على علو الله ؟ لأن التوراة من عند الله والنازل يكون من أعلى إلى أسفل . ومن فوائد هذه الآيتين: أنه ينبغي للإنسان أن يقابل الخصم بشيء يقطع نزاعه بالكلية، حيث قال: ((**فاتلوها**)) ولم يقل: نتلوها؛ قال: ((**فاتلوها**)) أنتم بأنفسكم حتى تقيموا الحجة على نفسك من نفسك، تقيم الحجة على نفسك من نفسك؛ لو أنها أخذناها نحن وتلوناها ربما تقول أسقطت آية أو زدت آية فإذا تلوتها أنت بنفسك انقطعت حجته . ومن فوائدهما: أنه ينبغي للإنسان أن يتحدى خصمه بما تبين به الحجة على وجه لا مفر له منه؛ لقوله: ((**فاتلوها إن كنتم صادقين**)) وهكذا ينبغي في المناظرة أن الإنسان لا يأتي بحجة واهية؛ لأنه إذا أتى بحجة واهية ثم كسرت أمامه ضعفت عظيمته وبان خلله؛ وإذا أتى بحجة لا يمكن أن يلحقها احتجاج ونقص صار هذا أقوى لعظيمته وأنكى لخصمه؛ أرأيت محاجة إبراهيم للذي حاجه في ربه ((**قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت**)) يحيي ويميت ؟ سهل هذا أنا أحيي وأميت، يقول له المحاجة الخصم أنا أحيي وأميت؛ لكن هل هذا دعوى أو منزلة على شيء معين؟ سبق لنا أن فيها خلاف؛ بعضهم قال: دعوى وهو كاذب لكن فيها إيهام؛ وبعضهم قال: إنها منزلة على شيء معين وأن قوله: أنا أحيي يعني أوتى بالرجل يستحق القتل فأرفع القتل عنه فيكون في هذا إحياء؛ وأميت يعني آتي بالقتل آتي بشخص البريء فآمر بقتله فيقتل؛ لكن إبراهيم لم يجادله مجادلة

تحتاج إلى طول منازعة قال له: ((**فإن الله يأت بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب**)) واضح الآن ؟ واضح ما نقدر نحرك أبدا ما يقول أجيء بالقمر وأجيء بالنجم الفلان ((**فبهت الذي كفر**)) انقطع ؛ وهكذا ينبغي يا إخواني في المخاصمة لا تذهبون تأتون بأشياء مشتبهة؛ إذا أتيت بالشيء المشتبه قد تنقطع والحق معك فتكون خاذلا للحق؛ إيت بشيء قوي ما يستطيع الخصم أن يفتته الآن؛ ثم إن بعض العلماء قال: اصرخ عليه، اصرخ؛ لأنك إذا أتيت بقوة وحزم وصراخ ما تقول في كذا ؟ قوة ؛ يروح برة ؛ والشيء الذي يضعف الخصم وهو الحق هذا أمر مطلوب، أمر مطلوب كما يصرخ الفارس بعدوه إذا التقى الصفان صرخ فيه بعض الفرسان يصرخ صرخا يجعل الفرس التي تحته يقفز طول قامة الوجه وهذا مفيدة للإنسان قوة عظيمة؛ وكل مكان له مقال لا أقول كل ما تتصرخ عليه وتجيء بالحجج الدامغة لا، كل مكان له مقال؛ لكن في مقام إنسان ينازع بالباطل عليك به؛ قابله مقابلة إنسان يرى أنه فوقه بالحق؛ ولهذا نبه الله على ذلك قال: ((**فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون**)) أنتم فوق؛ أنتم الأعلون زد أيضا ((**والله معكم**)) سبحان الله؛ أنت فوقه والله معك وين يكونه ؟ معه الشيطان وفي الأسف تحت النعال؛ ولذلك في مقام النزاع أو المخاصمة بالحق ينبغي أن يكون الإنسان قوي الحجة وقوي القول حتى لو أغلب ما فيه مانع؛ أنا لا أغلب لأجل أن أنتصر لنفسي ولكن لأجل أنتصر للحق؛ وأظن ابن قيم ذكر ذلك في النونية قال اصرخ عليهم يعني أهل الباطل والبدع اصرخ عليهم اصرخ بها بين أيديهم وهكذا؛ إذا نقول: ينبغي في باب المناظرة أن تأتي بالحجة التي تدمغ الخصم بحيث هو يقدم الحجة لك إيتوا بالتوراة فاتلوها إذا أتوا بالتوراة وتلوها وصارت موافقة لما جاء به محمد عليه الصلاة والسلام صاروا يقدمون الحجة لك على أنفسهم. ومن فوائد هاتين الآيتين: أنه متى ظهر الحق فحاصر الإنسان عنه صار أشد ظلما؛ لقوله: ((**فمن افترى على الله كذبا من بعد ذلك فأولئك هم الظالمون**)) كأنه لا ظالم سواهم كأنهم هم الذين أخذوا الظلم كله؛ لأنه إذا قامت الحجة ما بقي للإنسان محجة يعني ما بقي له أي طريق يمكن أن يتوصل إليه أو أن يفر منه . ومن فوائد هاتين الآيتين: أن من عباد الله من يفتري الكذب على الله؛ طيب والذي يفتري الكذب على الله يفتري الكذب على الرسول ؟ من باب أولى؛ والذي يفتري على الرسول يفتري على الناس من باب أولى أيضا؛ إذا افترى عليك إنسان شيئا فلا تستغرب افترى الناس على الله الكذب وافتروا على الرسول كذب فلا يفترون عليك ؟ من أنت بالنسبة إلى الله ورسوله ؟ ومن فوائد هاتين الآيتين: أنه لا إثم مع الجهل؛ لقوله: ((**من بعد ذلك**) أي من بعد أن يتبين الحق؛ فهذا هو الظالم؛ أما من ارتكب محرما قبل أن يتبين له الحق فإنه لا يلحقه إثم ذلك المحرم لاشك لا في الواجبات ولا في المحرمات؛ من ارتكب شيئا بغير علم فإنه لا إثم عليه ما لم يفرط لا في الواجبات ولا في المحرمات؛ ولكن بالنسبة للمحرمات لا يترتب عليه شيء من آثارها أبدا لا إثم ولا

كفارة فيما فيه الكفار ولا شيء أبدا؛ فلو أن رجلا فعل محظورا من محظورات الإحرام وهو جاهل أنه محظور فلا شيء عليه؛ بل لو أن الإنسان جامع وهو محرم يظن أنه لا شيء عليه في الجماع فلا شيء عليه لا كفارة ولا غير ذلك؛ أما في الواجبات إذا فعل شيئا محرما عليه في الواجب يعني بأن ترك واجبا أو فعل ما يبطل ذلك الواجب وهو جاهل فلا إثم عليه لا إثم عليه؛ لكن يجب أن يتدارك هذا الواجب مادام في وقته مثال ذلك: رجل جاءنا وقال إنه صلى صلاة الظهر ولكنه ما قرأ الفاتحة لم يعلم أن الفاتحة واجب فجاء يسألنا ماذا تقولون ؟ نقول: لا إثم عليك ما عليك إثم مع أنك لو تركت الفاتحة وأنت تعلم إنها واجبة لأثمت بلا شك، لأثمت لأن هذا من اتخاذ آيات الله هزوا لكن الآن لا إثم عليك ؛ طيب هل يجب عليك أن يعيد الصلاة؟ يجب، يجب؛ لأن ذمته الآن مشغولة بهذه الصلاة فلابد أن يعيدها؛ أما الصلوات الماضية الصلوات الماضية فإنه لا يجب عليه إعادتها ولو كان قد ترك الفاتحة فيها؛ لأنه جاهل؛ والدليل عليه ذلك حديث المسيء في صلاته حيث قال له الرسول صلى الله عليه وسلم ارجع فصل فإنك لم تصل ولم يأمره بإعادة أو بقضاء ما سبق من الصلوات . ((**قل صدق الله فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين**)) أعوذ بالله من الشيطان الرجيم قال الله تعالى: ((**كل الطعام كان حلا لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه**)) .

الشيخ : من المراد بإسرائيل ؟

الطالب : قيل: يعقوب؛ وقيل بني يعقوب يعني أبناء يعقوب عليه السلام؛ الشيخ : كيف ؟ الطالب : يعني بعض أهل العلم قال إنه يعقوب أنه علم شخص ؛ وبعض أهل العلم قالوا إنه أبناء يعقوب عليه السلام؛ الشيخ : توافقون على هذا ؟

الطالب : قيل: إنه اسم قبيلة؛ وقيل: إنه يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم الصلاة والسلام ؛

الشيخ : كيف اسم قبيلة هذه ؟

الطالب : يعني ((**إسرائيل**)) المراد منه القبيلة وقيل إنه؛

الطالب : إنه ما هو هذه الآية ؛

الشيخ : صحيح أن إسرائيل تطلق على القبيلة لكن في هذه الآية ؟

الطالب : إما بني إسرائيل؛ وإما يعقوب بن إسحاق ؛

الشيخ : إسحاق ابن ؟ ابن إبراهيم .

الشيخ : قوله: ((**إلا ما حرم إسرائيل على نفسه**)) ما الذي حرمه ؟

قيل: إنه حرم الإبل ؛

الشيخ : أكل لحم الإبل ؟

الطالب : أكل لحم الإبل على نفسه نعم ؛

الشيخ : والصحيح ؟

الطالب : الصحيح أن الله سبحانه وتعالى أبهم في هذه الآية ((**إلا ما حرم إسرائيل على نفسه**))

الشيخ : فنبهم ما أبهمه الله إلا بدليل عن معصوم ؛ أما ما يقوله بنو إسرائيل في ذلك فلا نصدقه ولا نكذب .

الشيخ : قوله: ((**من قبل أن تنزل التوراة**)) ما المراد بالتوراة ؟

الطالب : المراد بالتوراة الكتاب الذي نزل على موسى ؛

الشيخ : على من ؟

الطالب : على موسى عليه الصلاة والسلام ؛

الشيخ : على موسى .

الشيخ : ما معنى الآية على سبيل الإجمال ((**كل الطعام كان حلا لنبي إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه**)) ؟

الطالب : أنزل الله هذه الآية ردا على أنه قد ثبت من قبل أن تنزل التوراة بأنه ,

الشيخ : ما مغزاها ؟

الطالب : مغزاها تكذيب اليهود في حجتهم التي يحتج بها النبي صلى الله عليه وسلم الشيخ : بأن النسخ لا يقع في الشرائع .

الشيخ : قوله: ((**إن كنتم صادقين**)) هذه الجملة ما نوعها ؟

الطالب : خبرية ؛

الشيخ : طيب وغيره ؟ استفهامية وإلا ؟ استفهامية لا يصح ذلك لأنك قلت خبرية لكن من أي أنواع الخبر ؟ يعني سيرتها أعني سيرتها ؟

الطالب : شرطية ؛

الشيخ : شرطية لقوله: ((**إن كنتم صادقين**)) طيب أين جواب الشرط ؟

الطالب : جواب الشرط فيه خلاف ؛ قيل: إن كنتم صادقين بالتوراة التي تتلوها ؛

الشيخ : يعني أنه محذوف ؟

الطالب : محذوف ؛ دل عليه ما قبله ؛

الشيخ : وقول الثاني ؟

الطالب : القول الثاني ليس هناك محذوف بل يعلم بأن هناك تقديم وتأخير يعني فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين ؛

الشيخ : قدم الجواب على الشرط؛ ثالث ؟

الطالب : الثالث إنه يعلم من السياق ما يحتاج إلى تقدير؛

الشيخ : أن هذا ما يحتاج إلى تقدير ولا تقديم ولا تأخير يعني معناه أنه لا يحتاج إلى جواب أصلا لأن الجملة تؤيده وكأن هذا الذي يميل إليه ابن القيم رحمه الله .

الشيخ : قوله: ((**فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك**)) ما نوع الكذب الذي يمكن أن يفترى ؟ رشيد ؟ ((**فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك**)) ما الكذب الذي يمكن أن يفترى في هذا ؟

الطالب : إنكار الرسالة

الشيخ : إنكار الرسالة وإلا إنكار النسخ ؟

الطالب : إنكار النسخ كذلك ؛

الشيخ : إنكار النسخ يعني من افترى على الله الكذب وقال إن الله لا ينسخ شيئا من أحكامه بعد ذلك فهو ظالم .

الشيخ : الجملة: ((**فأولئك هم الظالمون**)) **ي**ا خالد اسمية أو فعلية ؟

الطالب : اسمية .

الشيخ : ويش إعراب هم ؟

الطالب : ضمير فصل ؛

الشيخ : ضمير فصل؛ فائدته ؟

الطالب : فائدته: الحصر والتوكيد فصل الصفة والخبر ؛

الشيخ : التمييز بين الصفة والخبر.

الشيخ : الظلم هنا الظلم الأكبر يا آدم أو الظلم الأصغر ؟

الطالب : الظلم الأكبر؛

الشيخ : الأكبر ؟ نعم ؛ طيب لماذا احمتله على الظلم الأكبر مع احتمال أن يكون من الظلم الأصغر ؟

الطالب : لأن الكذب يكون على الكتب التي أنزل به كذب على قول الرسول صلى الله عليه وسلم ؛

الشيخ : الكذب على الله ؟ عليان ؟ أي نعم لكن الظلم هنا هل هو ظلم أكبر أو ظلم أصغر ؟

الطالب : أكبر ؛

الشيخ : أكبر؟ طيب لأنك تعرف مثلا الاعتداء على البدن ظلم واعتداء المال ظلم ؛ طيب هذا النوع يعني اعتداء البدن والمال ليس بأكبر ؟

الطالب : لكن هنا أكبر ؛

الشيخ : كيف ذلك لماذا ؟

الطالب : لأن الله سبحانه وتعالى أقام عليهم الحجة ((**فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك**)) ؛

الشيخ : يعني أن الله ينسخ الشرائع فإذا أنكروا ذلك فقد كذبوا الله وتكذيب الله كفر.

ثم قال الله عز وجل: ((**قل صدق الله**)) أخذنا فوائدها ؟ نعم . قال الله تعالى: ((**قل صدق الله**)) قل الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم؛ ويحتمل أن يكون الخطاب لكل من يصح توجه الخطاب إليه أي للرسول صلى الله عليه وسلم ولغيره؛ فعلى القول الثاني لا إشكال فيه إذا قلنا إن كل واحد من الناس يجب عليه أن يصدق الله فيقول صدق الله؛ وعلى القول الأول يكون الحطاب للرسول صلى الله عليه وسلم مرادا به الخطاب مباشرة للرسول وللأمة بالتبع لأن الخطاب الموجه لإمام القوم خطاب للجميع؛ فإن لو قلت للقائد مثلا اذهب إلى الجبل الفلانية وتحته جنود يمشون بأمره صار هذا الأمر أيش؟ أمرا له ولمن كان تابعا له، ولم كان تابعا له؛ والرسول صلى الله عليه وسلم قائد الأمة وإمام الأمة فإذا وجه إليه الخطاب كان موجها له ولأمته ما لم يكن دليل على التخصيص . وقوله: ((**صدق الله**)) جملة تتضمن الثناء على الله بالصدق؛ وقد قال الله تعالى: ((**ومن أصدق من الله قيلا**)) فلا أحد أصدق من الله؛ والصدق مطابقة الخبر للواقع؛ والكذب مخالفة الخبر للواقع؛ فإذا قلت: غربت الشمس وقد غربت فعلا فهذا صدق وإذا لم تغرب فهذا كذب ؛ فإذا الصدق موافقة الخبر للواقع والكذب مخالفة الخبر للواقع . هل يضاف إلى ذلك مع اعتقاد الوقوع ؟ بمعنى أنه لو أن شخصا أخبر بما يطابق الواقع ولكنه يعتقد في نفسه أنه كاذب فهل نقول إن خبره هذا صدق أو كذب ؟ هو صدق لأنه موافق للواقع؛ لكن عليه إثم الكاذب إذا كان يعتقد هو أنه كاذب في ذلك؛ الكذب مخالفة الخبر للواقع؛ هل نقول بحسب اعتقاد المتكلم أو سواء كان موافقا لاعتقاده أولا؟ نعم سواء كان موافقا لاعتقاده أو لا حتى لو اعتقد أنه صدق وقد خالف الواقع فهو كذب؛ ولهذا نقول: إن اليهود الذين زعموا أنهم صلبوا المسيح عيسى بن مريم وإن كانوا يعتقدون الصدق فهم كاذبون والنصارى الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة هم أيضا كاذبون وإن كانوا قد اعتقدوا الصدق؛ إذا لا يشترط اعتقاد القائل موافقة ما أخبر به للواقع أو مخالفته للواقع؛ المهم أن هذا الخبر إن وافق الخبر

فهو صدق وإن اعتقد قائله أنه كاذب؛ وإن خالف الواقع فهو كذب وإن اعتقد قائله أنه صادق؛ ((**صدق الله**)) قلنا إن ((**صدق الله**)) جملة خبرية تتضمن الثناء على الله ؛ وإذ كانت تتضمن الثناء على الله فهي عبادة؛ فقول القائل: صدق الله وثناء على الله تعالى بالصدق فهي عبادة؛ لأن كل ثناء على الله فهو ذكر لله وتعبد له؛ ((**صدق الله**)) بأي شيء؟ لم يذكر الخبر الذي حكم عليه بالصدق فيكون ذلك عاما شاملا أي صدق الله في كل شي، كل ما أخبر الله به فهو صدق؛ ومن ذلك ما أخبر به مما أحل لإسرائيل أو لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه . ((**فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفا**)) ((**فاتبعوا**)) الخطاب للأمة كما أن الله أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بذلك في قوله: ((**ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا**)) فالنبي صلى الله عليه وسلم مأمور بأن يتبع ملة إبراهيم حنيفا وكذلك نحن مأمورون بأن نتبع ملة إبراهيم حنيفا؛ والملة هي الشريعة التي يكون عليها الإنسان؛ فكل شريعة يكون عليها الإنسان فهي ملة؛ فالإسلام ملة واليهودية ملة والنصرانية ملة؛ وقد جاء في الحديث: (لا يتوارث أهل ملتين شتى) أي مفترقتين؛ وقوله: ((**ملة إبراهيم**)) هل المراد إتباع هذه الملة في كل الشرائع والشعائر ؟ أو في الأصل فقط وهو التوحيد ؟ المراد هذا الثاني يعني اتبعوا ملة إبراهيم في التوحيد وعدم الشرك؛ ولهذا قال: ((حنيفا وما كان من المشركين)) حنيفا أي مائلا عن كل شرك ((**وما كان من المشركين**)) هذه الجملة معطوفة على ما سبق من باب عطف المترادفين أو المرادف على مرادفه؛ فالحنيف معناه المائل عن كل شرك ((**وما كان من المشركين**)) توكيد لذلك؛ وإذا انتفى الشرك في ملة إبراهيم لزم من ذلك أن يكون مخلصا في التوحيد وهو كذلك؛ ولهذا يسمى إبراهيم عليه السلام إمام الحنفاء؛ وقوله: ((**حنيفا**)) يعني مائلا عن كل الشرك، ثم قال: ((**وما كان من المشركين**)) أي الذين يدخلون الشرك في عبادتهم . في هذه الآية الإعراب ليس فيه إشكال إلا قوله: ((**حنيفا**)) فما إعرابها ؟ منصوبة على الحال من إبراهيم ؛ يعني حال كونه حنيفا؛ هذه الحال هل هي حال لازمة أو عارضة يمكن الانتقال عنها؟ نعم هي حال لازمة وإلا لما صح أن يؤمر بإتباعه . في هذه الآية من الفوائد: وجوب تصديق الله عز وجل في كل ما أخبر به

وقوله: ((**حنيفا**)) يعني مائلا عن كل الشرك ، ثم قال: ((**وما كان من المشركين**)) أي الذين يدخلون الشرك في عبادتهم . في هذه الآية الإعراب ليس فيه إشكال إلا قوله: ((**حنيفا**)) فما إعرابها ؟ منصوبة على الحال من ابراهيم؛ يعني حال كونه حنيفا ؛ هذه الحال هل هي حال لازمة أو عارضة يمكن الانتقال عنها؟ نعم هي حال لازمة وإلا لما صح أن يؤمر بإتباعه . في هذه الآية من الفوائد: وجوب تصديق الله عزوجل في كل ما أخبر به؛ لقوله: ((**قل صدق الله**)) . ومن فوائدها: وجوب الإيمان بما أخبر الله به عن نفسه من الأسماء والصفات؛ وهذا يستلزم تحريم تغييرها عن المراد بها أي تغيير النصوص التي أخبر الله بها عن نفسه من الأسماء والصفات . ومن فوائد هذه الآية: وجوب اتباع ملة ابراهيم؛ لكن في أصل الشرائع . فإن قال قائل: ما الدليل على تقييدكم إياها بأصل الشرائع مع أن الآية عامة ؟ قلنا: الدليل قوله تعالى: ((**لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا**)) فدل ذلك على أن الشرائع تختلف بحسب حاجات الناس ومصالحهم؛ أما أصلها وهو التوحيد فإن جميع الشرائع تتفق فيه ((**وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون**)) . ومن فوائدها: الثناء على ابراهيم عليه الصلاة والسلام بأنه حنيف وإمام ولهذا أمرنا بإتباعه . ومن فوائد هذه الآية: أنه يجب على الإنسان أن يتبع الحق أين ما كان؛ سواء كان من الرسول الذي أرسل إليه مباشرة أو من الرسل السابقين . ومن فوائد هذه الآية: انتفاء الشرك عن ابراهيم انتفاء كاملا؛ لقوله: ((**حنيفا وما كان من المشركين**)) . هل يؤخذ من هذا ذم الشرك وانهي عن اتباعه ؟ كيف ذلك ؟ لأن الأمر بالشيء نهي عن ضده؛ فإذا أمرنا بالإخلاص فهذا يستلزم أننا منهيون عن الإشراك . ثم قال الله تعالى: ((**إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين**)) , ((**إن أول بيت وضع للناس**)) أي وضع لعبادة الناس وليس أول بيت وضع في الأرض يعني مما يبنى ولكنه أول بيت وضع للناس للعبادة والتعبد؛ ((**للذي ببكة**)) وهو الكعبة . زاده الله تشريفا وتعظيما .؛ وبكة اسم من أسماء مكة وسميت بذلك قالوا لأنها تبك أعناق الجبابرة أي تقطعتا؛ وقيل: لأنه لا يوصل إليها إلا بمشقة وتعب؛ وقيل غير ذلك؛ ولكن المهم كل المهم أن المراد ببكة مكة؛ وقد ذكر الله تعالى بهذا الاسم وذكرها في سورة الفتح باسم مكة في قوله: ((**وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة**)) إذا فله أسماء من القرآن أما قرية فهي اسم جامد لمكة وغيرها كما قال الله تعالى: ((**وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك أهلكناهم**)) . يقول الله عز وجل: ((**للذي ببكة مباركا**)) مباركا أي أن فيه البركة؛ وبركاته متعددة؛ فمن ذلك أن (من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه) ومن ذلك أن الحسنات فيه مضاعفة؛ ولهذا قال أهل العلم إن العبادة فيه أفضل من العبادة في غيره سواء كانت صلاة أم صدقة أم صياما أم غير ذلك؛ ومن بركته أيضا أن تجبى إليه ثمرات كل شيء فإن مكة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان؛ ومن بركته أيضا أن فيه ماء من

شربه لأي شيء بنية صادقة فإنه يكون له وهو ماء زمزم فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (**ماء زمزم لما شرب له**) ومن بركته ما يحصل من المكاسب التي تكون فيه أيام المواسم وغير أيام المواسم؛ ومن بركته أنه بعث فيه محمد صلى الله عليه وسلم الذي جعل الله شريعته أفضل شريعة كانت للخلق . وقوله: ((**وهدى للعالمين**)) هدى أي منارا يهتدى به؛ وكيف كان هدى للعالمين ؟ نعم لأنه يجتمع فيه المسلمون من كل جانب يأوون إليه من كل فج عميق فيهتدي الضال منهم بالمهتدي ويحصل له التعليم والأسوة الحسنة؛ وكذلك أيضا هدى للعالمين لأن الأمة الإسلامية كلها تهوي إليه وتتجه إليه في كل يوم خمس مرات وجوبا يعني يجب أن نولي وجوهنا كل يوم خمس مرات على الأقل؛ ولهذا قال: ((**هدى للعالمين**)) ومن هدايته للخلق للعالمين أن فيه إقامة الحج وإقامة العمرة وذلك هدى لأن الأمة تزداد إيمانا وهدى بالحج والعمرة . وقوله: ((**للعالمين**)) المراد بهم الإنس؛ فهو عام أريد بهم خاص وليس المراد بهم من سوى الله لأن العالمين في بعض المواضع يراد بها من سوى الله وفي بعض المواضع يراد به الإنسان فقط وقد يراد بها الإنس والجن مثل قوله تعالى: ((**تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا**)) وسموا عالمين من العلامة لأنهم علم على خالقهم؛ فإن هؤلاء البشر بل وهذا المخلوقات كلها تدل على خالقها ؛ ففي كل شيء له آية تدل على أنه واحد . ((**فيه آيات بينات**)) فيه الضمير يعود على قوله: ((**للذي ببكة**)) يعني على البيت الذي ببكة؛ ((**آيات**)) أي علامات ((**بينات**)) واضحات ؛ هذه الآيات البينات هي ما يشرع فيه من المناسك والمواضع بهذه المناسك وهي قائمة لم تزل من عهد ابراهيم إلى يومنا هذا كلها آية علامات؛ فعرفة هي عرفة، ومزدلفة مزدلفة، ومنى منى لم تزل بهذا من عهد ابراهيم إلى اليوم؛ والكعبة هي الكعبة يعني ليس هذا البيت خفيا لا يعلم الناس به بل لم يزل مشهورا بينا من عهد ابراهيم إلى يومنا هذا . وقوله: ((**مقام إبراهيم**)) بدل من آيات أو عطف بيان؛ ومقام ابراهيم مكان قيامه؛ فهل المراد بذلك الحجر المسمى بالمقام ؟ لقوله صلى الله عليه وسلم: ((**واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى**)) حين تقدم إليه بعد انتهاء الطواف؛ أو المراد بالمقام مقامه في المناسك عموما ؟ على قولين لأهل العلم؛ فمنهم من قال: إن المراد به المقام الخاص وهو الحجر الذي صار يرتفع عليه حين ارتفع بناء الكعبة؛ أو أن المراد به كل مقام قامه في مناسك الحج؛ وإذا دار الأمر بين العموم والخصوص فالأولى الأخذ بالعموم لأن الأخذ بالعموم يتناول الخاص ولا عكس؛ وعلى هذا فيقال: مقام ابراهيم مكان قيامه في مناسك الحج؛ وهذا المقام موجود من عهد إبراهيم إلى أن بعث الرسول صلى الله عليه وسلم وإلى يومنا هذا ولم يتغير إلا بحمية الجاهلية حمية قريش فإنهم غيروا الوقوف بعرفة وجعلوا بمزدلفة وقالوا نحن أهل الحرم ولا يمكن أن نخرج إلى الحل والخروج إنما يكون من أهل الحل؛ ولهذا كانت قريش في يوم عرفة ما تقف بعرفة تقف في مزدلفة حتى يأتي الناس إليها؛ فأمر الله تعالى أن أفيضوا من حيث

أفاض الناس يعني أن يفيضوا من عرفة ودل على ذلك حديث جابر رضي الله عنه قال: (**فأجاز حتى أتى عرفة قال ولم تشك قريش أنه واقف بمزدلفة كما كانت قريش تصنع في الجاهلية**) لكنه صلى الله عليه وسلم أجاز حتى أتى عرفة فوقف بها لأنها هي التي كانت على زمن إبراهيم . ثم قال الله عز وجل: ((**ومن دخله كان آمنا**)) ((**من دخله**)) أي من دخل هذا البيت كان آمنا؛ والمراد الضمير في قوله: ((**من دخله**)) المراد به جميع الحرم وإن كان ظاهره أن المراد به نفس البناء الذي هو الكعبة لكن السنة دلت على أن الحكم عام في جميع الحرم . وقوله: ((**من دخله كان آمنا**)) هل هذه الجملة تابعة لقوله: ((**فيه آيات بينات**)) فتكون خبرا عن حال هذا البيت ؟ أو أنها جملة إنشائية، إنشائية معنى يعني أن الله تعالى أمر بأن يكون الداخل له آمنا على قولين لأهل العلم؛ فمنهم من قال: إن هذه الجملة تابعة لما سبق أي تابعة لقوله: ((**مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا**)) فتكون من الآيات البينات وهي أمن من دخله حتى في الزمن الجاهلية؛ من العلماء من قال: إنها جملة مستأنفة وهي خبرية لفظا إنشائية معنى أي من دخله فليكن آمنا ولا يتعرض له؛ وعلى كل حال فإن المعنيين يتفقان في وجوب تأمين من دخله؛ لأنه إن كان خبرا عما كان عليه البيت فإنه خبر أقره الله عزوجل وأتى به للاستدلال على الآيات البينات التي في هذا البيت؛ وإن كانت إنشائية فالأمر واضح . وقوله: ((**كان آمنا**)) يعني آمنا من أبناء جنسه وليس آمنا من عذاب الله ولا آمنا مما يريده الله منه لكنه آمن من بني جنسه حتى إن قاتل أب الإنسان يراه الإنسان في مكة ولا يتعرض له حتى يخرج هكذا كان محترما . ثم قال الله تعالى: ((**ولله على الناس حج البيت**)) فيها قراءتان: ((**حج**)) و ((**حج**)) وهم بمعنى واحد ؛ ((**ولله على الناس حج البيت**)) اللام للاستحقاق في قوله: ((**ولله**)) وعلى للوجوب أي يجب على الناس حقا لله أن يحجوا البيت ((**حج البيت**)) أي قصده؛ لأن الحج في اللغة القصد والمراد به قصده على الوجه الذي شرعه الله بأن يأتي الإنسان بالمناسك المشروعة . وقوله: ((**من استطاع**)) من هذه بدل من ((**الناس**)) بدل بعض من كل؛ وذلك لأن الناس قسمان: مستطيع وغير مستطيع؛ فالمستطيع بعض من الناس؛ ولهذا قلنا إن هذا البدل بدل بعض من كل؛ والبدل البعض من الكل كثير في اللغة العربية تقول مثلا: أكلت الرغيف ثلثه؛ هذا بدل بعض من كل؛ وقال الله تعالى: ((**قم الليل إلا قليلا نصفه أو انقص منه قليلا أو زد عليه**)) إذا جعلنا نصفه بدلا من الليل فهو بدل بعض من كل؛ وقد يبدل الكل من البعض لكنه قليل في اللغة؛ ومنه قول الشاعر:

رحم الله أعظما دفنوها بسجستان طلحة الطلحات

الشاهد قوله ؟ السجستان ؛ لا ؛ أعظما ؛ لا ؛ طلحة، طلحة بدل من أعظم والأعظم بعض الإنسان . قال: ((**ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا**)) أي من استطاع طريقا إلى البيت ووصولا إليه؛ والاستطاعة يعني بذلك القدرة يعني بها القدرة؛ فمن لم يستطع فلا حج عليه . فإن قال قائل: هذا الشرط ثابت في كل عبادة؛ لقوله تعالى: ((**فاتقوا الله ما استطعتم**)) فلماذا قيد وجوب الحج بالاستطاعة مع أنه شرط مفهوم معلوم ؟ فالجواب عن ذلك: أنه لما كان الوصول إلى البيت شاقا أشق بكثير من العبادات نص على اشتراط الاستطاعة وإلا فلاشك أن كل العبادات لا تجب إلا باستطاعة ((**اتقوا الله ما استطعتم**)) (**إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم**)؛ الاستطاعة بالبدن أو بالمال أو بهما ؟ ما المراد هل المراد الاستطاعة بالمال ؟ أو البدن أو بهما ؟ نقول: الآية مطلقة، الآية مطلقة فمن استطاع الوصول ببدنه وجب عليه وإن لم يكن عنده مال كما لو استطاع أن يمشي إلى مكة ويأتي بأفعال المناسك؛ ومن استطاع بماله دون بدنه وجب عليه الحج لكن عن طريق الاستنابة؛ ومن كان عنده مال وهو قادر بالبدن فالواجب عليه فالحج عليه ولا إشكال؛ إذا الاستطاعة لا نقيدها بالبدن والمال نقول: سواء استطاع ببدنه أو بماله أو بهما؛ فإن عجز بماله وبدنه بأن كان فقيرا ولا يمكنه أن يحج لضعف في بدنه فهنا ينتفي عنه الوجوب؛ لأنه غير قادر؛ إذا القادر بماله أو بدنه أو بهما؛ والقدرة هي القدرة الحسية أما القدرة الشرعية ففيها خلاف؛ فمنهم من قال إنه يشترط أيضا القدرة الشرعية الاستطاعة الشرعية؛ فلو كان هناك امرأة غنية قادرة ببدنها لكن ليس لها محرم فإن الحج لا يجب عليها؛ لماذا ؟ لأنها عاجزة شرعا عن الحج؛ أما حسا فليست بعاجزة لأنها عندها مال وعندها قدرة بدنية لكنها عاجزة شرعا لعدم وجود المحرم وسفر المرأة بلا محرم ولو للحج غير جائز لأن النبي صلى الله عليه وسلم لما خطب وقال: (**لا تسافر امرأة إلا مع ذي محرم**) سأله رجل وقال: إن امرأتي خرجت حاجة وإني اكتتبت في غزوة كذا وكذا فقال: (**انطلق فحج مع امرأتك**) ؛ اختلف العلماء في هذه المسألة في مسألة استطاعة الشرعية هل هي شرط للوجوب أو شرط للأداء، هل هي شرط للوجوب أو شرط للأداء؛ ويختلف الحكم باختلاف القولين؛ فإذا قلنا إنها شرط للأداء فقط لزم المرأة أن تنيب من يحج عنها إذا كانت قادرة بماله أو بمالها وبدنها؛ واضح يا جماعة ؟ نعم؛ إذا قلنا شرط للأداء الآن سقط عنك الأداء لكن وجب عليك أن تنيبي؛ أما الأداء فلا يلزمك لأنك لا تستطيعين ذلك شرعا؛ وإذا قلنا إنه أي الاستطاعة الشرعية شرط للوجوب فإن هذه المرأة لا يلزمها أن تنيب من يحج عنها؛ هذا فرق والفرق الثاني: لو ماتت هذه المرأة القادرة بمالها وبدنها على الحج لكن ليس لها المحرم لو ماتت فهل يكون الحج دينا في تركتها فيلزم الورثة أن يقيموا من يحجوا عنها أو لا؟ نعم ماذا نقول؟ نقول: بأن الاستطاعة الشرعية شرط للوجوب فإنه لا يلزم الورثة أن يقيموا من يحجوا عنها؛ لأن هذه المرأة كالمرأة الفقيرة سواء ليس عليها حج؛

وإن قلنا بأنه شرط للأداء لزم على الورثة أيش؟ أن ينيبوا من يحج عنها أو أن يحجوا هم بأنفسهم عنها؛ المهم أنه يلزمنهم إذا خلفت مالا كما قلت إنها عندها مال . في هاتين الآيتين فوائد منها: أن أول بيت وضع للعبادة هو الكعبة الذي ببكة؛ فيكون سابقا على بيت المقدس؛ وآخر البيت وضع للعبادة المسجد النبوي؛ وهذه المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال كما قال النبي عليه الصلاة والسلام: (**لا تشد الرحال**) إن قلنا: لا تشدَ الرحال؛ وإن قلنا: لا تشد الرحال فهي بالضم (**إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى**) . ومن فوائد هذه الآية: أن تقدم المكان في العبادة له أثر في تفضيله؛ لقوله: ((**إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة**)) وهذا المراد به التفضيل؛ ولهذا قال العلماء: إن المسجد الأسبق في إقامة الجماعة فيه أفضل من المسجد الحديث؛ فإذا كان حول الإنسان مسجدان أحدهما قديم والآخر جديد ولم يتميز أحدهما عن الآخر فضيلة أخرى فإن القديم أفضل من الجديد لسبقه في العبادة فيه . ومن فوائد هذه الآية: الرد على بني إسرائيل؛ وهو أن محمدا صلى الله عليه وسلم بعث من البلد الذي فيه أول مسجد وضع للناس وأنبياء بني إسرائيل بعثوا في بيت المقدس؛ فيكون في هذا رد على اليهود الذين يقدسون بيت المقدس وكذلك النصارى الذين يقدسونه؛ فقيل لهم: إن الكعبة التي بعث منها رسول صلى الله عليه وسلم أفضل من بيت المقدس . ومن فوائد هذه الآية: أن من أسماء مكة بكة؛ ولها أسماء كثيرة ذكرها من تكلموا في تاريخ مكة . ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن هذا البيت مبارك؛ وسبق لنا بيان بركته ؛ لقوله: ((**مباركا**)) . ومن فوائدها: أن هذا البيت هدى للعالمين يعني أن الناس يهتدون به لما يقيمونه من الشعائر أو يهتدون به حيث يتوجهون إليه في صلواتهم . ومن فوائد هاتين الآيتين: أن هذا البيت فيه آيات بينات . ((**قل يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا وأنتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم**)) . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. أظن أننا لم نأخذ الفوائد ؟ قال الله تعالى: ((**ومن كفر فإن الله غني عن العالمين**)) يعني أن من حج البيت عند الاستطاعة فقد أدى فريضته؛ ((**ومن كفر**)) يعني فلم يحج فكفر هذه الفريضة ولم يقم بها ((**فإن الله غني عن العالمين**)) عن كل أحد؛ لأن المراد بالعالمين هنا من سوى الله فهي كقوله تعالى: ((**الحمد لله رب العالمين**)) وقد يطلق العالم على بعض أفراده مثل قوله تعالى: ((**تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا**))ف إن المراد بالعالمين هنا الإنس والجن فإن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يرسل إلى البهائم وإلى الملائكة وإنما أرسل إلى الإنس والجن فقط؛ فالعالمون تارة يراد بها ما سوى

الله وتارة يراد بها بعض منهم حسب ما يقتضيه السياق والمعنى . وقوله: ((**ومن كفر**)) الجملة هنا أن تكون اسما موصولا وأن تكون يعني من يحتمل أن تكون اسما موصولا ويحتمل أن تكون شرطية؛ أما على كونها شرطية فالفاء في قوله: ((**فإن الله غني عن العالمين**)) رابطة ؛ وإنما احتيج إليها لأن جواب الشرط جملة اسمية؛ وأما على كون من اسما موصولا فإنما وقعت الفاء في خبرها لأن الاسم الموصول مشبه للشرط في عموم فيعطى حكمه يعني والذي كفر فإن الله غني عن العالمين؛ وفي قوله: ((**غني عن العالمين**)) إظهار في موضع الإضمار؛ لأن مقتضى السياق أن يقول: ومن كفر فإن الله غني عنه؛ كما في قوله تعالى في آية أخرى: إن تكفروا فإن الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر؛ فهنا قال: ((**غني عن العالمين**)) والإظهار في موضع الإضمار ذكرنا أنه يفيد عدة فوائد؛ منها: إرادة العموم؛ لأنه لو قال: فإن الله غني عنه؛ لم تفد في العموم ما أفاده قوله: ((**غني عن العالمين**)) ؛ ومنها: الإشارة إلى أن هذا الذي وضع فيه الظاهر في موضع المضمر من هؤلاء العالمين يعني أن الله غني عنه كما أنه غني عن جميع العالمين؛ ومنها . لكن لا يستقيم هنا . القياس عليه في العلة والمعنى الذي أفاده هذا الظاهر . في هذه الآيات وأظنها من قوله: ((**إن أول بيت**)) ؟ إلى ؟ من فوائد هاتين الآيتين أولا: أن أول بيت وضع للناس للعبادة هو الكعبة الذي في مكة والآية في ذلك صريحة وبعده بيت المقدس والثالث المسجد النبوي .

ومن فوائد هاتين الآيتين: فضيلة هذا البيت بكونه أول بيت وضع للناس . ومن فوائدها: أن الكعبة معظمة عند جميع الناس، عند جميع الخلق؛ لأنه إذا كان أول بيت وضع للناس فسوف يعظمه الناس؛ ولهذا ذهب كثير من أهل العلم إلى أن القبلة هي الكعبة لليهود والنصارى والمسلمين وجميع أهل الأديان كما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله؛ ولكن اليهود صاروا يتجهون إلى بيت المقدس، والنصارى صاروا يتجهون إلى المشرق وهو من جملة ما حرفوه من دينه وإلا فالأصل أن الكعبة قبلة لجميع الناس . ومن فوائد هاتين الآيتين: أن الناس لابد لهم من بيت يجتمعون إليه وتهوي قلوبهم إليه؛ ولهذا وضع الله لهم ما كان بمكة . ومن فوائدها: أن من أسماء مكة بكة ؛ ولها أسماء عديدة أكثر من هذا؛ ومن أراد الاطلاع عليها فليرجع إلى "الجامع اللطيف في بناء البيت الشريف" أو نحو هذا العنوان؛ أو يرجع إلى "أخبار مكة" للأزرقي . ومن فوائد هاتين الآيتين: أن هذا البيت مبارك، مبارك قدرا ومبارك شرعا؛ وقد مر علينا في التفسير بيان وجوه بركته . ومن فوائد هاتين الآيتين أيضا: أنه هدى ومنارا للعالمين يهتدون به ويهتدون إليه ويؤمونه في عباداتهم؛ وقد جاء في الحديث: (**الكعبة قبلتكم أحياء وأمواتا**) . ومن فوائدهما: أن في هذا البيت آيات بينات ظاهرة لكل أحد؛ منها مقام ابراهيم؛ ومنها من دخله كان آمنا؛ ومنها فريضة حجه على جميع الناس؛ فإن هذه كلها آيات تدل على أن هذا البيت أشرف البيوت كما أنه أول بيت

وضع للناس . ومن فوائد هاتين الآيتين: أن الآيات كما تكون شرعية تكون كذلك حسية كونية؛ كما في هذه الآيات التي ذكرت للبيت العتيق . ومن فوائدهما: التنويه بفضل ابراهيم عليه الصلاة والسلام في قوله: ((**مقام إبراهيم**)) لأن القول الراجح أنه ليس المراد بمقامه الحجر الذي كان يقوم عليه عند بناء الكعبة فحسب؛ بل كل مقاماته في مكة وما حولها من المناسك . ومن فوائد هاتين الآيتين الكريمتين: وجوب تأمين من دخل المسجد الحرام؛ لقوله: ((**ومن دخله كان آمنا**)) وقد حرم النبي صلى الله عليه وسلم أن يسفك في مكة دم وأن يقطع فيها شجرة وأن ينفر صيدها فضلا عن قتله؛ إذا رأيت الصيد في مكة على شجرة أو في فرجة فإنه لا يجوز لك أن تنفره منها؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: (**لا ينفر**) كل ذلك من باب توطيد أيش؟ توطيد الأمن في مكة . فإن قال قائل: ما تقولون في قتال النبي صلى الله عليه وسلم لأهل مكة ؟ فالجواب: أن قتال الرسول صلى الله عليه وسلم لأهل مكة من أجل توطيد أمنها لأن أخل مكة صاروا يتحكمون في البيت؛ ولهذا منعوا الرسول صلى الله عليه وسلم من أداء العمرة في غزوة الحديبية؛ فكان في هذا الإحلال الذي أحله الله لرسوله صلى الله عليه وسلم في ذلك النهار كان في ذلك مصلحة لتوطيد الأمن في البيت وحمايته من الظلمة كما قال الله تعالى: ((**وما كانوا أوليائه إن أوليائه إلا المتقون ولكن أكثرهم لا يعلمون**)) وأيضا فإن هذا الإحلال ليس إحلالا مطلقا بل هو إحلال مطلق؛ وشف هي ساعة من نهار كما قال النبي عليه الصلاة والسلام: (**إنما أحلت لي ساعة من نهار وإنها لم تحل لأحد بعدي**) فقد كان القتال فيها محرما ثم أحل ثم عاد تحريمه إلى يوم القيمة . ومن فوائد هاتين الآيتين: أن حرمة المسلم أعظم من حرمة البيت؛ فالذين ينتهكون دماء المسلمين وأموال المسلمين أشد من الذين ينتهكون حرمة البيت عند الله؛ لأن حرمة المسلم أعظم عند الله تعالى؛ ودليل ذلك أن القتال في مكة محرم ولكن الله قال: ((**فإن قاتلوكم فاقتلوهم**)) إن قاتلوكم فاقتلوهم؛ فلما أرادوا هتك دماء المسلمين وقاتلوا المسلمين أمر الله بقتلهم مع أن في قتلهم انتهاكا لأمن البيت؛ لكن لما أرادوا الاعتداء على حرمة المسلم أبيحت دمائهم؛ ولهذا تجدون الآية الكريمة على القراءة المشهورة: ((**إن قاتلوكم فاقتلوهم**)) ولم يقل: فقاتلوهم؛ وإن كان فيها قراءة فقاتلوهم لكن المراد قاتلوهم حتى تقتلوهم؛ والقتل أبلغ من المقاتلة، القتل أبلغ؛ اقتلوهم لأن هم الذين انتهكوا حرمة البيت فلم يبق لهم حرمة . ومن فوائد هذه الآية الكريمة: وجوب حج البيت على من استطاع عليه سبيلا؛ لقوله: ((**ولله على الناس حج البيت**)) ووجه الوجوب أن على كما قال الأصوليون ظاهرة في أيش؟ في الوجوب . ومن فوائد هاتين الآيتين: أن الحج لا يجب على غير المستطيع؛ لقوله: ((من استطاع إليه سبيلا)) وسبق لنا أن الاستطاعة تكون بالمال والبدن وبهما جميعا يعني بالمال أو البدن أو بهما جميعا على ما سبق . ومن فوائد هاتين الآيتين: بيان رحمة الله عزوجل، حيث لم يفرض على عباده ما كان شاقا

عليهم ولا يستطيعونه؛ لقوله: ((**من استطاع إليه سبيلا**)) . ومن فوائد هاتين الآيتين: أن من لم يحج فهو كافر؛ لقوله: ((**ومن كفر فإن الله غني عن العالمين**)) واختلف العلماء رحمهم الله في هذا الكفر هل هو نوع من الكفر أو هو الكفر المطلق على قولين لأهل العلم وهما روايتان عن الإمام أحمد؛ فعلى القول بأنه الكفر المطلق يكون من ترك الحج وهو مستطيع مرتدا خارجا عن الإسلام يستتاب فإن تاب وإلا قتل؛ وعلى الثاني أن المراد بالكفر هنا نوع منه فإنه لا يكفر؛ وهذا القول هو الذي عليه الجمهور من أهل العلم وهو المشهور من مذهب الإمام أحمد وهو ظاهر ما روي عن الصحابة؛ قال عبد الله بن شقيق: (**كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لا يرون شيئا من الأعمال تركه كفر غير الصلاة**) وعلى هذا فيكون الكفر هنا نوعا من الكفر كقوله صلى الله عليه وسلم: (**سباب المسلم فسوق وقتاله كفر**) مع أن قتال المسلم لا يخرج من الإيمان

ومن فوائد هاتين الآيتين: أن الحج لا يجب على غير المستطيع؛ لقوله: ((**من استطاع إليه سبيلا**)) وسبق لنا أن الاستطاعة تكون بالمال والبدن وبهما جميعا يعني بالمال أو البدن أو بهما جميعا على ما سبق . ومن فوائد هاتين الآيتين: بيان رحمة الله عزوجل، حيث لم يفرض على عباده ما كان شاقا عليهم ولا يستطيعونه؛ لقوله: ((**من استطاع إليه سبيلا**)) . ومن فوائد هاتين الآيتين: أن من لم يحج فهو كافر؛ لقوله: ((**ومن كفر فإن الله غني عن العالمين**)) واختلف العلماء رحمهم الله في هذا الكفر هل هو نوع من الكفر أو هو الكفر المطلق على قولين لأهل العلم وهما روايتان عن الإمام أحمد؛ فعلى القول بأنه الكفر المطلق يكون من ترك الحج وهو مستطيع مرتدا خارجا عن الإسلام يستتاب فإن تاب وإلا قتل؛ وعلى الثاني أن المراد بالكفر هنا نوع منه فإنه لا يكفر؛ وهذا القول هو الذي عليه الجمهور من أهل العلم وهو المشهور من مذهب الإمام أحمد وهو ظاهر ما روي عن الصحابة؛ قال عبد الله بن شقيق: كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لا يرون شيئا من الأعمال تركه كفر غير الصلاة) وعلى هذا فيكون الكفر هنا نوعا من الكفر كقوله صلى الله عليه وسلم: (**سباب المسلم فسوق وقتاله كفر**) مع أن قتال المسلم لا يخرج من الإيمان كما قال الله تعالى: ((**وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما**)) إلى قوله: ((**إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم**)) وهذا هو الأقرب أن المراد بالكفر هنا نوعا منه وليس الكفر المطلق . ومن فوائد هاتين الآيتين: بيان غنى الله عزوجل عن كل أحد؛ فهو لم يأمر عباده بالعبادة من أجل أن ينتفع بها كما جاء في الحديث القدسي حديث أبي ذر الغفاري الطويل: (**يا عبادي إنكم لن تبلغوا نفعي فتنفعوني ولن تبلغوا ضري فتضروني يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك في ملكي شيئا**) فالله عزوجل غني عنا إنما أمرنا ونهانا لتستقيم أمورنا وتصلح أحوالنا ونسعد في الدنيا والآخرة؛ أما لو كنا على أفجر قلب رجل من الناس فإن ذلك لا يضر الله شيئا؛ لكن لما كان بنو آدم قد أعطوا من العلق ما استحقوا به أن توجه إليهم التكاليف بالأمر والنهي صاروا أهلا للأمر والنهي؛ ولهذا لا يوجه الأمر والنهي إلى البهائم؛ لأنها لم تعط عقولا؛ فكان إعطاء العقل لنبي آدم معناه أو مقتضاه إلزامهم بالتكاليف حتى ينالوا السعادة في الدنيا والآخرة؛ أما البهائم فآخر أمرها أن تكون ترابا تبعث يوم القيمة ويقتص من بعضها لبعض ثم يقال: كوني ترابا فتكون ترابا . ومن فوائد هاتين الآيتين: أنه إذا كان الله غنيا عن العالمين لزم أن يكون عالمون مفتقرين إليه، وليس بهم غنى عن الله؛ وهو كذلك فإن الخلق مفتقرون إلى الله تعالى غاية الافتقار؛ ولهذا ينبغي لك أن تسأل ربك بلسان الحال أو لسان المقال كل أمورك، استعن بالله في كل أمورك ((**إياك نعبد وإياك نستعين**)) لا يغفل عن بالك تعلقك بالله سبحانه وتعالى في كل شيء؛ وقد جاء في الحديث: (**ليسأل أحدكم ربه حتى شراك نعله**) شراك النعل الزهيد

الذي لا يساوي شيئا لا تغفل عن سؤال الله إياه إما بلسان الحال وإما بلسان المقال . ثم قال الله عز وجل: ((**قل يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله**)) , هنا أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن يوبخ هؤلاء الذين من أهل الكتاب وفي آية سبقت كان الخطاب من الله: ((**يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون**)) وهنا أمر من الله للرسول صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم: ((**يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله**)) لم الاستفهام هنا للتوبيخ؛ واللام حرف جر؛ وما استفهامية لكن حذفت ألفها لأن ما الاستفهامية إذا دخل عليها حرف جر حذفت ألفها مثل: لم، عم، فيم، علام، وما أشبه ذلك؛ يعني لو قلت: على ما تضربني؛ لا يجوز أن تقول: على ما تضربني؛ بل تقول: علام تضربني؛ لما تضربني يجوز ؟ لا؛ يقول: لم تضربني وهكذا. يقول الله عز وجل: ((**لم تكفرون بآيات الله**)) تكفرون أي تجحدونها وتتغافلون عنها وتتعامون عنها؛ والمراد بـ((**آيات الله**)) هنا الكونية والشرعية؛ الكفر بالآيات الكونية يتضمن ثلاثة أمور؛ أولا: أن ينكر أن الله خلقها؛ ثانيا: أن يعتقد أن لله شريكا في إيجادها؛ ثالثا: أن يعتقد أن لله معينا فيها؛ هذه ثلاثة أمور؛

الشيخ : الأخ ؟ كم يتضمن الكفر بآيات الله الكونية ؟

الطالب : ثلاثة أمور؛

الشيخ : نعم؛

الطالب : هو يقول ثلاثة أمور ثم غفلت ؛

الشيخ : هذه مشكلة يلا عبد المنان ؟ أن ينكر خلق الله لها يعني ينكر أن الله خلق هذه الكائنات؛ الثاني: أن يعتقد أن لله تعالى فيها شريك يعني مثلا الله خلق السماء وواحد آخر خلق الأرض مثلا؛ الثالث: أن يعتقد أن لله تعالى معينا فيها، يقول هي لله لكن فيه من عاونه؛ هذا كفر بالآيات الكونية؛ الكفر بالآيات الشرعية تكذيبها بأن يكذب بأنها من عند الله أو يكذب بأخبار الله أو مخالفتها؛ فإن كانت مخالفة تامة فهي كفر أكبر وإن كانت مخالفة ناقصة فهو كفر أصغر وهو ما يطلق عليه اسم الفسق؛ فصار الكفر بالآيات الكونية كم؟ ثلاثة أشياء؛ والشرعية شيئان: التكذيب والمخالفة؛ التكذيب إ أن يكون في أصلها بأن يقول هذه ما نزلت من عند الله؛ أو يكذب أخبارها أي خبر فيها إذا كذبه فهو تكذيب بالجميع بأنه لا يمكن أن يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض؛ الثاني أيش؟ مخالفتها ، ثم إن كانت مخالفة تامة فهو كفر أكبر وإن كانت غير تامة فهو كفر أصغر وهو ما يعبر عنه بكفر دون كفر أو بالفسوق .

السائل : أحسن الله إليك شيخ ورد الحديث: (**من مات ولم يحج مات إن شاء يهوديا أو نصرانيا**) هل يؤيد هذا الحديث على أنه كفر أكبر ؟

الشيخ : أي هذا الحديث لو صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يؤيدها كان يدل دلالة واضحة .

السائل : الذي يعتقد أن الآيات التي أوجدها الله سبحانه وتعالى أوجدها عبثا فهل يكون كفرا هذا ؟

الشيخ : هذا يكون منكرا لحكمة، هذا يكون منكرا لحكمة الله عز وجل .

السائل : فهل يكفر ؟

الشيخ : الظاهر أنه يكفر لأنه تضمن الاستهزاء بالله، تضمن الاستهزاء وتكذيب الله ((**أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا**)) ((**وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين**)) .

السائل : هل القتل بحق يجوز في المسجد الحرام ؟

الشيخ : القتل بحق هذا إذا كان العاصي المستحق للقتل عصى في الحرم فإنه يقتل لأنه انتهك حرمة الله فلم يكن له حرمة كما في قوله: ((**إن قاتلوكم فاقتلوهم**)) ؛ وإن كان فعل حدا خارج الحرم ثم لجأ إلى الحرم فالصحيح أنه لا يقام عليه الحد ولا يقتل ؛ ولكنه يضيق عليه فلا يؤاكل ولا يشارب ولا يبايع حتى إذا لم يجد أي أحد يبايعه ويشاربه ويؤاكله ويشاربه ؛ فإن كان معه طعام وشراب فسوف ينفد ثم يضطر إلى الخروج ؛ هذا هو الصحيح .

السائل : شيخ ما رأيك في سؤال الناس الحاجات مثل السيارات والكتب وغير ذلك ؟

الشيخ : سؤالهم حاجات ؟

السائل : هل يدخل في مبايعة الصحابة النبي صلى الله عليه وسلم أنهم لا يسألون الناس شيئا ؟

الشيخ : هل هو داخل في قراءتنا ؟

السائل : ذكرت أنه لابد للعبد أن يسأل الله كل شيء حتى شراك نعله ؟

الشيخ : نعم يعني مسألة الاستغناء عن الله ؛ أنه لا يستغني عن الله؛ سؤال الناس لاشك إما أنه محرم أو مكروه، إما محرم أو مكروه هذا هو الأصل؛ قد يخرج عن هذا الأصل إذا دعت الضرورة أو الحاجة فله أن يسأل وأما سؤال الانتفاع بالمال مثل عرية و القرض وما أشبه ذلك فلا بأس به؛ لكن سؤال أعيان المال هو الذي أما محرم وإما مكروه .

السائل : إذا وجد من يقوم بمخالفات شرعية فهل نوبخ توبيخ فاسقا أو مبتدعا ؟

الشيخ : مثل ؟

السائل : يعني فاسق مثلا يأتي في الطواف مثلا النساء ؟

الشيخ : أي نعم تضاعف عليه العقوبة ؛ المعصية في الحرم أشد من المعصية في غير الحرم؛ ولهذا يجب أن يكون تعزيره أشد .

السائل : قلنا إن مكة كانت قبلة لجميع الناس فكيف أقر الله الرسول على بيت المقدس ؟

الشيخ : أي نعم هذا الإقرار من أجل موافقة اليهود ؛ لأن اليهود في اعتقادهم أنهم على حق ؛ فلو أنهم لو قيل لهم مثلا أنتم على باطل لنفروا . ما هو يجب عليك الآن تخطى الرقاب وتؤذيه .

((**قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا وأنتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم**)) بقيت الفوائد أظن ؟ قال الله تعالى: ((**قل يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون**)) سبق الكلام على أول هذه الآية وأن الله تعالى يوبخ أهل الكتاب بل يأمر النبي صلى الله عليه وسلم بأن يوبخهم لم يكفرون بآيات الله . وقوله: ((**والله شهيد على ما تعملون**)) شهيد أي شاهد وأتى بصيغة المبالغة أو بصفة المشبهة؛ لأن الله سبحانه وتعالى شهيد على أعمالهم وأعمالهم كثيرة؛ وإذا كثر المشهود عليه كثرت الشهادة؛ وقوله: ((**والله شهيد على ما تعملون**)) يحتمل أنه داخل في ضمن التوبيخ في قوله: ((**لم تكفرون**)) فيكون المعنى لم تكفرون بآيات الله مع علمكم بأن الله تعالى شهيد على ما تعملون؛ ويحتمل أن تكون الواو للاستئناف وأن يكون التوبيخ انتهى عند قوله: ((**لم تكفرون بآيات الله**)) ثم استأنف فقال: ((**والله شهيد على ما**

تعملون)) فيكون في ذلك تهديد لهؤلاء الذين يكفرون بآيات الله؛ تهديد بماذا؟ بكون الله شهيدا على ما يعملون وإذا كان الله شهيدا على ما يعملون فسوف يجازيهم عليه في الدنيا وفي الآخرة بما يستحقوه . في هذه الآية من الفوائد: أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يوبخ أهل الكتاب على كفرهم بآيات الله ؛ ويتعدى هذا الحكم إلى غيرهم . فيتفرع من هذه الفائدة: أن كل من كفر بآيات الله فهو مستحق للتوبيخ؛ وقد سبق لنا أن الكفر بآيات الله يشمل الكونية والشرعية وبيننا أنواع الكفر فيهما . ومن فوائد هذه الآية الكريمة: إثبات شهادة الله سبحانه وتعالى على كل ما يعمل بنو آدم؛ لقوله: ((**والله شهيد على ما تعملون**)) وما اسم موصول يفيد العموم . ومن فوائدها: تهديد من يكفر بآيات الله؛ لأن مثل هذه الصيغة ((**والله شهيد على ما تعملون**)) يراد بها التوبيخ من فعل ما لا يرضي الله عزوجل بأن الله شهيد عليه وسوف يجازيه على ذلك . ومن فوائد الآية: إحاطة الله تعالى بكل شيء وأنه وسع كل شيء؛ لقوله: ((**على ما تعملون**)) فمن يحصي بني آدم من أهل الكتاب وغيرهم ومن يحصي أعمالهم؛ لكن الله عزوجل واسع عليم يحصي كل شيء ولا يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم . وربما يستفاد من هذه الآية من قوله: ((**والله شهيد على ما تعملون**)) أنه لا يحاسب العبد على ما حدث به نفسه كما صح ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**إن الله تجاوز عن أمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم**) فحديث النفس عن الوساوس التي تكون في الصدر لا يؤاخذ عليه الإنسان إلا إذا عمل وركن إليها واعتقدها وجعلها من أعمال القلب فحينئذ يحاسب عليها؛ أو نطق بها بلسانه؛ أو عمل بمقتضاها بجوارحه فحينئذ يحاسب عليه . ثم قال الله تعالى: ((**قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله**)) هذا أمر آخر للنبي صلى الله عليه وسلم من ربه أن يوبخ أهل الكتاب على عدوانهم لغيرهم؛ لأن التوبيخ الأول ((**لم تكفرون بآيات الله**)) توبيخ على عملهم القاصر عليهم؛ الثاني: ((**قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله**)) توبيخ على عدوانهم على الغير، حيث يصدون عن سبيل الله؛ قال: ((**لم تصدون عن سبيل الله**)) يعني لأي شيء وبأي حجة ((**تصدون**)) أي تصرفون ((**عن سبيل الله**)) أي عن دينه وعن شريعته؛ وسمي الدين سبيلا لله لأنه موصل إليه وأضيف إلى الله لوجهين: الوجه الأول: أن الله هو الذي وضعه سبيلا للخلق يمشون عليه؛ والوجه الثاني: أنه موصل إلى الله؛ فمن سلك السبيل الذي وضعه الله للعباد فسيصل إلى الله عزوجل؛ إذا سبيل الله ما المراد به؟ المراد به دينه؛ لأنه الطريق الموصل إليه؛ وقوله: ((**من آمن**)) من هذه مفعول ((**تصدون**)) يعني تصرفون الذي آمن عن سبيل الله؛ وهذا شأن بني إسرائيل من اليهود والنصارى يصدون عن سبيل الله من آمن؛ وإنما ذكر من آمن مع أنهم يصدون من آمن حتى يرتد عن إيمانهم ويصدون من لم يؤمن حتى لا يدخل في الإيمان؛ لأن صد من آمن أشد عدوانا من الصد من لم يؤمن؛ لأن من آمن يصدونه

ليكون مرتدا؛ ومن لم يؤمن يصدونه عن سبيل الله من أجل أن يبقى على كفرهم؛ والبقاء على الكفر أهون من الردة كما هو ظاهر؛ وقوله: ((**من آمن**)) يشمل الرجال والنساء ولكن خطابات القرآن غالبها للرجال؛ لأن الرجل هو الأصل وهو الأمير على المرأة ((**الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض**)) . ((**تبغونها عوجا**)) ((**تبغونها**)) الجملة حال من الواو في قوله: ((**تصدون**)) يعني حال كونكم تبغون سبيل الله أي تطلبون ((**عوجا**)) أي لأجل العوج أو أنها ؛ ((**تبغونها عوجا**)) أي لأجل العوج فيكون مفعولا من أجله؛ ويجوز أن تكون مفعولا به أي تطلبونها عوجا أي تصيرونها عوجا والعوج ضد المستقيم؛ ويقال عوج في المعاني؛ وعوج في الأعيان فتقول مثلا: هذا العصا عوج لأنه عين؛ وتقول: هذا القول عوج لأنه معنى؛ ففي المعاني بكسر العين وفي المحسوسات بفتحها؛ وأصل العوج الميل وضده الاستقامة؛ والعوج عن شريعة الله يشمل معنيين؛ المعنى الأول في الأوامر؛ أو موضوعه أمران؛ الأول في الأوامر؛ والثاني في النواهي؛ أما في الأوامر فعجاجها إما بالتهاون بها والتفريط وإما بالإفراط فيها والغلو؛ فالناس بالنسبة لأوامر الله ثلاثة أقسام؛ قسم وسط؛ وقسم مفرط؛ وقسم مفرط يعني غالي متجاوز الحد؛ فالمتوسط هو المستقيم؛ والمفرج عوج؛ والزائد عوج أيضا هذا في الأوامر؛ وفي النواهي العوج في النواهي هو ارتكابها وانتهاكها، انتهاكها وارتكابها هذا عوج؛ لأن الصراط المستقيم في النواهي أن تدعها وأن تتجاوزها؛ فإذا أنت فعلتها وانتهكتها فهذا هو العوج فيها؛ فهؤلاء اليهود والنصارى من أهل الكتاب يريدون العوج في الأوامر والنواهي؛ في الأوامر بأيش؟ بالتفريط والتهاون أو بالغلو والإفراط؛ وفي النواهي بانتهاكها والتهاون بها . ((**تبغونها عوجا وأنتم شهداء**)) الواو هذه للحال يعني والحال أنك شهداء على ما تفعلون؛ فأنتم تعلمون أنكم بفعلكم هذا تصدون عن سبيل الله؛ تعلمون هذا وتشهدون به؛ ووجه ذلك أنه يوجد في كتبهم أن محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم سوف يبعث وأنه رسول الله وأنه الذي بشر به عيسى؛ ولكنهم يحرفون الكلم عن مواضعه من أجل صد الناس عن الإيمان بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم فصاروا يصدون عن سبيل الله وهم شهداء يشهدون بالحق لكن . والعياذ بالله . استكبروا عنه؛ ((**وأنتم شهداء**)) شهداء على أيش؟ على أنكم تصدون عن سبيل الله لأنكم تعلمون أن ما جاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم فهو سبيل الله . ((**وما الله بغافل عما تعملون**)) يعني نفى الله أن يكون غافلا عن عملهم القليل والكثير؛ وهنا نجد أن هذه الصفة من الصفات السلبية؛ لأن صفات الله كما مر علينا قسمان: ثبوتية؛ وسلبية؛ يعني شيء ثابت لله وشيء منفي عنه؛ فهنا صفة سلبية؛ ما الذي نفي عن الله ؟ الغفلة؛ والقاعدة عند أهل السنة أن الصفات السلبية تتضمن شيئين؛ الأول: انتفاء هذه الصفة التي نفاها الله عن نفسه؛ والثاني ثبوت الكمال في ضدها؛ لأنها ما نفيت عنه إلا لأنه كامل؛ فيكون قوله: ((**وما الله بغافل عما تعملون**)) متضمنا لنفي الغفلة

عن الله ؛ والثاني ؟ ثبوت كمال المراقبة؛ لأن من كان كامل المراقبة فإنه ليس عنده غفلة؛ فتكون هذه الآية مثبتة لله كمال المراقبة كما قال الله تعالى : ((**و كان الله على كل شيء رقيبا**)) وانتفاء الغفلة عنه؛ والجملة تفيد التهديد لهؤلاء الذي يصدون عن سبيل الله من آمن و يبغونها عوجا . في هذه الآية من الفوائد: أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يوبخ أهل الكتاب على عدوانهم على الغير؛ وذلك بالصد عن سبيل الله . ومن فوائدها: أن من صد عن سبيل الله من المسلمين ففيه شبه من أهل الكتاب اليهود والنصارى؛ فإذا وجد أحد يثبتك عن فعل الخير أو يرغبك في فعل الشر ففيه شبه من اليهود والنصارى لأن هذه سبيلهم . ومن فوائد هذه الآية: إثبات أن الشياطين ليست شياطين الجن فقط؛ فكما أن للجن شياطين يصدون عن سبيل الله ففي الإنسان أيضا شياطين يصدون عن سبيل الله؛ وعلى هذا يقول الله تبارك وتعالى في سورة الأنعام: ((**وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعضهم زخرف القول غرورا**)) . ومن فوائد هذه الآية: الحث على لزوم الشرع لأنه سبيل الله؛ وكل إنسان عاقل فإنه يسعى إلى الوصول إلى الله عزوجل؛ لأنه غاية المطالب؛ ولا وصول إلى الله إلا بسلوك شرعه سبيله الذي أرسلوا إليه . ومن فوائد هذه الآية: أن من صد عن سبيل الله من آمن به فإنه في غاية ما يكون من عدوان؛ وهو أعظم ممن صد عن سبيل الله من لم يؤمن؛ لأن هذا رفع والأول منع؛ ورفع الخير أشد عقوبة من منعه وأشد جناية . ومن فوائد هذه الآية: سوء القصد في أهل الكتاب حيث يبغون أن تكون سبيل الله عوجا؛ وهذا الوصف لأهل الكتاب لا يزال منطبقا عليهم إلى اليوم؛ فللنصارى دعاة ينصرون الناس ويسعون بكل جهدهم إلى أن يصدوا عن سبيل الله من آمن؛ لأنهم يريدون أن يسلك الناس سبيل العوج؛ لا يريدون أن يسلكوا السبيل السوي؛ وما زالوا إلى اليوم ولهم إذاعات خاصة تدعوا الناس إلى النصرانية . والعياذ بالله . النصرانية الباطلة التي يحاربها عيسى عليه الصلاة والسلام كما قال الله:((**يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم**)) فهم الآن يدعون أن دين عيسى عليه الصلاة والسلام القول بالتثليث ويدعون إن الله ثالث ثلاثة ثم يضحكون على أنفسهم وعلى الناس يقولون إنه ثلاثة في واحد، ثلاثة في واحد هل معقول هذا؟ لكن هذا من ضلال النصارى لأن النصارى ضالون حتى الأمور العقلية لا يهتدون إليها؛ وكيف يكون ثلاثة في واحد ؟ هذا لا يمكن؛ على كل حال هم يريدون أن يضلوا الناس منذ عهد الرسول عليه الصلاة والسلام إلى يومنا هذا؛ ومن ثم يجب على المسلمين الحذر منهم، الحذر منهم والتشهير بهم حتى ينفروا الناس منهم وأن يقابلوا دعوتهم الإلحادية الكفرية بدعوة التوحيد والإخلاص؛ والإخلاص والتوحيد

موافقان للفطرة السليمة لو وجدا من يعرضهما عرضا حقيقيا شيقا لكن مع الأسف أن المسلمين في الغفلة؛ فالمسلمون الذين هم على الحق لا تجد منهم الدعاة الذين يدعون إلى الحق إلا قليلا؛ وأيضا إلا قليلا في بلادهم؛ أما أولئك النصارى المنصرون فإنهم يذهبون مشارق الأرض ومغاربها ويغرون الناس بالمال وبحسن الخلق حتى ينخدع الناس بهم . ومن فوائد هذه الآية: أن أهل الكتاب الذين يصدون عن سبيل الله يعلمون أنهم على باطل وأن الحق في خلافهم؛ لقوله: ((**وأنتم شهداء**)) لكن الذي يمنعهم هو الاستكبار . ومن فوائد هذه الآية: إثبات إحاطة الله سبحانه وتعالى بكل شيء علما ورقابة؛ لقوله: ((**وما الله بغافل عما تعملون**)) . ومن فوائدها: أن من صفات الله ما هو سلبي أي منفي؛ وهذا كثير في القرآن ؛ قال الله تعالى: ((**ليس كمثله شيء هل تعلم له سميا**)) . ثم قال الله تعالى: ((**يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين**)) . ((**يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا**)) أولا هذا الحكم مصدر بالنداء ((**يا أيها الذين آمنوا**)) وتصدير الحكم بالنداء يدل على الاهتمام به والعناية به ؛ وذلك لأن النداء يتضمن تنبيه المخاطب والتنبيه لا يكون إلا لأمر هام تجب العناية به؛ ثم صار النداء موجها للذين آمنوا من باب الإغراء؛ لأن وصفهم بالإيمان يقتضي أن يقوموا بمقتضى هذا الخطاب الموجه لهم كما لو قلت لشخص: يا رجل افعل كذا؛ يعني أن مقتضى رجوليتك أيش ؟ أن تفعل هذا ؛ فإذا قلت: يا مؤمن افعل هذا؛ فالمعنى أنه من مقتضى إيمانك أن تفعل هذا؛ ((**يا أيها الذين آمنوا**)) يعني من مقتضى إيمانكم أن تنتبهوا لما سيلقى إليكم؛ ولهذا قال ابن مسعود رضي الله عنه: (**إذا سمعت الله يقول يا أيها الذين آمنوا فأرعها سمعك فإما خير تؤمر به وإما شر تنهى عنه**) ؛ ثم إن الخطاب بوصف الإيمان يقتضي أن امتثال ذلك من مقتضيات الإيمان ويقتضي أيضا أن مخالفته نقص في الإيمان لأن المؤمن يقتضي إيمانه أن يقوم بما أمر به وأن يدع ما نهي عنه؛ يقول الله تعالى: ((**يا أيها الذين آمنوا**)) ؛ في أسئلة ؟

السائل : بعض الناس يفعلون بعض السنن الناس ينكرونها لا يعرفونها ربما إذا فعلوها تركوا ينفروا الناس منه فهل نقول فعلها من الصد عن سبيل الله ؟

الشيخ : لا، لا يمكن يعني يقول: بعض الناس يفعل سننا لا يعرفها الناس ينكرونها هل نقول إن فعلها من الصد عن سبيل الله ؟ لا ، ما نقول إنها من الصد لكن قد نقول إن تركها من باب التأليف من سبيل الله كما ترك النبي عليه الصلاة والسلام بناء الكعبة على قواعد ابراهيم لقرب عهد الناس بالكفر خوفا عليه من الفتنة .

السائل : قلنا إن الإسلام هو دين الله . الآن نرى أن الملل يسمع لها ناس من العصاة ؛

الشيخ : أيش ؟

السائل : نرى أن ديانات الأخرى غير الإسلام الناس أسرعوا إليها دخولا حتى في بلدان الإسلامية الناس يدخلون فيها أيش السبب ؟

الشيخ : السبب في ذلك أن هؤلاء نعم هذه مخالفة للفطرة لأنه وجد دافع قوي تقوى على الفطرة كما قال الرسول عليه الصلاة والسلام: (**كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه**) فهؤلاء تجد أنهم عاشوا في أحضان الشيوعية مثلا؛ أو درسوا آرائهم وأفكارهم ؛ أو عاشوا في أحضان الغرب ودرسوا آرائها وأفكارها فصار هذا المانع حائلا دون مقتضى الفطرة وإلا لو ترك الناس وشأنهم لكانوا على الفطرة .

السائل : خطاب الله تعالى لأهل الكتاب في القرآن هل يشمل علمائهم أو عامتهم كذلك ؟

الشيخ : الآية تشمل كل من صد، كل من صد عن سبيل الله سواء كانوا من العلماء أو من المتعصبين .

السائل : كيف يصدون عن سبيل الله ؟

الشيخ : الآن فيه عوام الآن يجادلون وهم عوام ؛ أحيانا يجادلون بأفعال المسلمين يقولون شف المسلمين عندهم كذب وغش وخيانة وخديعة وما أشبه ذلك فيجادل .

الشيخ : نعم عبد الوهاب ؟

السائل : ما رأيك شيخ ؛ في غلاة الصليبية رفعت شعار يعني اخلع عنك الإسلام يقولون يخلع عنك لباس الفقر والجوع فكيف بمن يجاملهم ؟

الشيخ : والله هذا كون الناس يجاملونهم ويسكتون في مقابلة هؤلاء لاشك أنه ضعف الإيمان، لاشك أنه ضعف الإيمان والواجب على المسلمين على الحكام أولا القادرين أن يبثوا الإسلام ضد هؤلاء الواجب عليهم أن يقوموا لله عزوجل لصد هؤلاء وأن يكونوا لجانا في الأمة الإسلامية تدافع هذا الشر .

السائل : إذا كان أهل الكتاب كفروا بآيات الله ويصدون عن سبيل الله لماذا سماهم الله أهل الكتاب وهم كفروا به ؟

الشيخ : أي نعم هذا من إقامة الحجة عليهم وشدة التوبيخ لهم يعني أنتم أهل كتاب وعندكم علم ومعرفة ومع ذلك تصدون؛ فهذا من شدة اللوم والتوبيخ لهم ؛

السائل : ليس مدحا لهم يا شيخ ؟

الشيخ : لا أبدا، هذا تأكيد الذم ما يشبه المدح .

السائل : قول النبي صلى الله عليه وسلم للصحابة مدح ؟

الشيخ : أي نعم لأن أهل القرآن متمسكين بها لكن هؤلاء أهل الكتاب وخالفوه فكان هذا أشد .

السائل : شيخ أحسن الله إليك ! ما هو أفضل الرد على مقولتهم التثليث ؟

الشيخ : أفضل الرد أن نقول: قال نبيكم ((**ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم**)) وهذان الإلهان اللذان زعموهما مخلوقون، المسيح مخلوق وأمه مخلوقة فكيف يكون إله؛ هذا من جهة العقل؛ أما من جهة الشرع فهذا نبيهم عليه الصلاة والسلام ينكر ذلك عليهم .

السائل : بعض الدعاة يرغب في دعوة أهله وأولاده وأهل حارته؛ وبعضهم يرغب يدعوا الناس شرقا وغربا وإذا قيل له أدعوا أهلك فقال هو يرغب أن يدعوا الناس خارج البلاد فأيهما المصيب يا شيخ ؟

الشيخ : قال الله تعالى: ((**وأنذر عشيرتك الأقربين**)) فيبدأ الإنسان بأهله؛ لكن إنسان يرغب أن يدعوا من خارج لأن أهله على الشرع ما عندهم إلا معاصي أهون من الكفر فهو يقول أدعوا الناس للدخول في الإسلام؛ أما أهلي فليس عندهم إلا معاصي ولا تحتاجون إلا دعاية قوية غاية ما هنالك يوسر عن المعصية حتى يدعوها .

السائل : بعض الناس يترك السنة من أجل التأليف ؟

الشيخ : نقول: الترك تركان: ترك تعطيل وترك تأليف؛ ترك التأليف ندع هذا إلى وقت آخر بعد ما يبين للناس ويوضح لهم أن هذا سنة حتى يطمئنوا ؛ أما التعطيل بأن نعطل السنن لأن الناس لا يعملون بها فهذا ليس بصواب .

السائل : شيخ أحسن الله إليك ! قلنا إن من صفات الله ثبوتية وسلبية فهل نثبت لله صفة سلبية ؟

الشيخ : إلا؛ تكون من صفاته لأن الوصف إما إثبات وإما نفي؛ فإذا قلت: فلان ليس يظلم الناس أو فلان لا يجهل؛ هذا مدح؛ لا يظلم لكمال عدله؛ أي ثابت ما فيه نفي محض يعني صفات الله ما فيها نفي محض أبدا؛ أي نعم نقول ثبوتية وسلبية؛ وسلبية لا تكون مدحا إلا إذا كماله .

((**فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين**)) هذا مبتدأ درس الليلة وأظن ما سبق قد انتهينا من الكلام عليه . يقول الله تعالى: ((**يا أيها الذين آمنوا**)) وقد تكرر علينا مرارا أن ما سبقه النداء فإنه معتنى به؛ لأن تصدير الشيء بالنداء يدل على الاهتمام به إذ أن النداء يوجب الانتباه؛ ثم إن الخطاب بقوله: ((**يا أيها الذين آمنوا**)) وفي توجيه الخطاب بهذا الوصف إغراء لقبول ما يأتي تصديقا به إن كان خبرا وامتثالا له إن كان طلبا أمرا أو نهيا؛ كأنه يقول: يا أيها الذين آمنوا إن كنتم مؤمنين حقا فالأمر كذا وكذا؛ فيكون فيه إغراء لقبول ما يأتي بعده؛ كما لو قلت: يا أيها الرجل افعل كذا وكذا؛ أي أنه بمقتضى رجولتك تفعل كذا وكذا . وفي تصديره بهذا الوصف أو باختيار هذا الوصف دليل على أن ما سيأتي قبوله من مقتضيات الإيمان، تصديقا به إن كان خبرا وامتثالا له إن كان طلبا . وفيه أيضا أن عدم قبوله مما ينافي الإيمان؛ فهذه أربعة أمور: الأمر الأول: إذا صدر الخطاب بالنداء فهو دليل على الأخ الذي ورائك ؟ على الإيمان؛ لا؛ إذا صدر الخطاب بالنداء فهو دليل على أيش؟ على الاعتناء به وأهميته؛ ما وجه ذلك ؟ وجه ذلك إن الله عزوجل؛ إن النداء يوجب الانتباه مثل ما أني لما ناديتك انتبهت أليس كذلك ؟ نعم . الثاني: اختيار الإيمان

ثم إن الخطاب بقوله: ((**يا أيها الذين آمنوا**)) وفي توجيه الخطاب بهذا الوصف إغراء لقبول ما يأتي تصديقا به إن كان خبرا وامتثالا له إن كان طلبا أمرا أو نهيا ؛ كأنه يقول: يا أيها الذين آمنوا إن كنتم مؤمنين حقا فالأمر كذا وكذا ؛ فيكون فيه إغراء لقبول ما يأتي بعده ؛ كما لو قلت : يا أيها الرجل افعل كذا وكذا ؛ أي أنه بمقتضى رجولتك تفعل كذا وكذا . وفي تصديره بهذا الوصف أو باختيار هذا الوصف دليل على أن ما سيأتي قبوله من مقتضيات الإيمان ، تصديقا به إن كان خبرا وامتثالا له إن كان طلبا . وفيه أيضا أن عدم قبوله مما ينافي الإيمان ؛ فهذه أربعة أمور : الأمر الأول : إذا صدر الخطاب بالنداء فهو دليل على الأخ الذي ورائك ؟

الطالب : على الإيمان ؛

الشيخ : لا ؛ إذا صدر الخطاب بالنداء فهو دليل على أيش؟

الطالب : على الاعتناء به

الشيخ : على الاعتناء به وأهميته ؛ ما وجه ذلك ؟

الطالب : وجه ذلك إن الله عز وجل ؛

الشيخ : إن النداء يوجب الانتباه مثل ما أني لما ناديتك انتبهت أليس كذلك ؟ الطالب : نعم .

الثاني: اختيار الإيمان ، اختيار النداء بوصف الإيمان موجب يراد به أيش ؟ اختيار النداء بوصف الإيمان ؟

الشيخ : لا ؛

الطالب : أن يقوموا بما أمروا به بمقتضى إيمانهم ؛

الشيخ : يعني الإغراء والحث لأن نداء الشيء الشخص لوصفه يقتضي أن يهتم بالشيء نعم .

ثالثا اختيار وصف الإيمان ؟

الشيخ : هذا الإغراء وانتهينا منه

الطالب : امتثال إن كان أمرا والاجتناب إن كان نهيا

الشيخ : والتصديق إن كان خبرا من مقتضيات الإيمان تمام .

الشيخ : الرابع ؟

الطالب : عدم قبوله مما ينافي الإيمان ؛

الشيخ : وأن لا يعارض؛ رفض يعني من منقصات الإيمان .

يقول الله عز وجل: ((**يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب**)) فريقا بمعنى طائفة ؛ و((**من الذين أوتوا الكتاب**)) وهم اليهود والنصارى ؛ فالكتاب لليهود هو التوراة والكتاب للنصارى هو الإنجيل؛ وقوله: ((**فريقا من الذين أوتوا الكتاب**)) يعني لا جميعهم لأن بعض أهل الكتاب ليسوا على هذا الوصف فإن منهم من آمن فآمن من النصارى النجاشي وآمن من اليهود عبد الله بن سلام ؛ وهؤلاء من خيار المؤمنين ؛ لكن فريقا منهم يقول: ((**يردوكم بعد إيمانكم كافرين**)) يعني يوجبوا لكم أن ترتدوا عليه بعد إيمانكم سواء كان ذلك بالقتال فيما بينكم كما يذكر أن رجلا من اليهود وشى بين الأوس والخزرج وذكرهم أيام الجاهلية فثاروا أي ثار بعضهم على بعض وغضبوا؛ وقد يكون هذا السبب أو هذا المعنى الذي ذكر ضعيفا ؛ لكن مهما كان الأمر؛ من أهل الكتاب من يريدون منا أن نرتد عن الإيمان وقد صرح الله ذلك في آيات أخرى ((**ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا**)) ((**ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم**)) فأهل الكتاب يودون هذا وتعلمون أن من ود شيئا سعى في تحصيله؛ إذا فنحن نعلم أن أهل الكتاب يسعون بكل ما يستطيعون أن يردوا المسلمين عن دينهم سواء منعوا الناس عن الدخول في دين الإسلام أو أخرجوهم من دين الإسلام بعد دخولهم فيه؛ وسيأتي إن شاء الله الكلام على هذا مطولا في ذكر الفوائد . قوله: ((**يردوكم بعد إيمانكم**)) والردة بعد الإيمان أعظم من منع الإيمان من الأصل ؛ لأنها إخراج من الإيمان إلى الكفر؛ ومن المعلوم أن الإنسان لن يخرج من الإيمان إلى الكفر إلا بمحاولات شديدة ؛ إذ أن من لم يدخل في الشيء إبعاده عنه أهون ممن أيش ؟ ممن دخل فيه وآمن به ؛ ولهذا قال: ((**من بعد إيمانكم**)) ؛ وقوله: ((**الكافرين**)) المراد به الكفر المخرج عن الملة ؛ لكنهم قد لا يستطيعون أن

يخرجون من الإيمان بالكلية لكن بالتدريج بما يضعونه أمامنا من معوقات كمال الإيمان حتى ينحل الإيمان شيئا فشيئا ولا يبقى فيه في القلوب شيئا وحينئذ يكون الكفر المحض . ثم قال الله عز وجل ؛ نأخذ الإعراب قبل؛ قوله:((**إن تطيعوا فريقا**))جملة شرطية؛ أين الجواب ؟ ((**يردوكم بعد إيمانكم**)) وفيه إشكال لأن المعروف أن إن الشرطية تجزم فعلين ؛ الأول فعل الشرط والثاني جواب الشرط ؛ وهنا لم نجد جزما في ((**تطيعوا**)) ولا في ((**يردوكم**))؛ نعم محبوب ؟ هذا مجزوم بحذف النون ؛ لماذا يجزم بحذف النون ؟ لأنه من أفعال الخمسة ؛ هل تعدوه لنا ؟ أفعال الخمسة ؟ نعم ؛

الطالب : يفعلون تفعلون ويفعلان وتفعلان ؛

الشيخ : هذا الخامس ؟ يفعلان وتفعلان ويفعلون

الطالب : وتفعلون

الشيخ : وتفعلين تمام.

وقوله: ((**كافرين**)) حال من الواو في قوله: ((**يردوكم**)) يعني يردوكم حال كونكم كافرين.

في ((**يردوكم**)) أين الجزم يا شيخ؟ الجزم بحذف النون لأنها من أفعال الخمسة . ((**وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله**)) كيف تحتمل وجهين ؛ لأنها هي الآن استفهامية لكن تحتمل وجهين ؛ الوجه الأول: الاستبعاد ؛ والوجه الثاني: التعجب ؛ فإذا نظرنا إلى حالهم أنهم تتلى عليهم آيات الله وفيهم رسوله قلنا إن ارتدادهم أيش؟ بعيد ، بعيد أن يرتدوا على أدبارهم وهم يتلى عليهم كتاب الله وفيهم رسوله يشاهدون النبي صلى الله عليه وسلم صباحا ومساء ويسمعون الآيات التي تنزل عليه فردتهم بعيدة ؛ ولهذا لم تكن الردة إلا بعد موت الرسول عليه الصلاة والسلام ، والردة في حياته قليلة جدا ؛ والوجه الثاني: أن تكون للتعجب؛ فيكون هذا تعجبا من حال من يمكن أن يرتد ؛ فإن الذي يرتد وتتلى عليه آيات الله وفيه رسوله لاشك أن حاله عجيبة ؛ لأن الإنسان لو ارتد وهو لم يشاهد الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يسمع الآيات تنزل يوما فيوما لكان له شيء من العذر ؛ لكن في هذه الحال يسمع آيات الله ويشاهد الرسول صلى الله عليه وسلم ليس له عذر إطلاقا ؛ فيكون الاستفهام لأيش؟ للتعجب يعني ما أعجب حالكم لو كفرتم ، لو كفرتم؛ إذا يكون في الآية على

الوجهين تأييس للذين أوتوا الكتاب أن ينالوا مرادهم من المؤمنين لمحاولة ردتهم ؛ السائل : هذا على أي وجه ؟

الشيخ : الاستبعاد ؟ الاستبعاد يعني مهما حاولوا لا يمكن ؛ وعلى الوجه الثاني يكون توبيخا لمن حاول أن يرتد كيف تفعل وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله . قال: ((**وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله**)) ((**تتلى**)) أي تقرأ عليكم والتلاوة تأتي بمعنى القراءة أي تقرأ عليكم؛ وإذا وقعت من الفاعل فقيل: تلى ؛ صار لها معنيان؛ المعنى الأول: القراءة ؛ والمعنى الثاني: الاتباع؛ ففي قوله تعالى: ((**الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به**)) ((**يتلونه**)) يعني يقرءونه ويتبعونه ؛ فهنا ((**تتلى عليهم آيات الله**)) أي تقرأ ؛ والذي يقرأها عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ السند رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جبريل عن الله ؛ ((**وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك**)) فهم يتلى عليهم بواسطة الرسول صلى الله عليه وسلم؛ وقوله: ((**آيات الله**)) جمع آية وهي العلامة ؛ والمراد بها هنا القرآن، والقرآن آيات؛ كل آية منه دليل على المتكلم بها وهو الله سبحانه وتعالى على ما له من الصفات المقتضية لتلك الآيات ؛ ولهذا كل آية من القرآن فإنها معجزة كما قال الله تعالى: ((**فليأتوا بحديث مثله**)) حديث: آية أو عشر آيات أو سورة أو عشر سور أو القرآن كله ، كله معجز؛ وقوله: ((**وفيكم رسوله**)) نعم المراد بآيات الله هنا الآيات الشرعية؛ كذا وإلا لا ؟ يتعين أو يجوز أن تكون الآيات الكونية أيضا ؟

الطالب : يتعين ،

الشيخ : يتعين أن تكون الآيات الشرعية؛ لأن الآيات الكونية لا تتلى؛ لكن تتلى عنها أي يخبر عنها ممكن؛ ((**ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر**)) هذه آيات أيش؟ كونية ؛ يتعين أو لا ؟ يتعين؛ الليل والنهار والشمس والقمر آيات كونية لا غير؛ ((**وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله**)) في للظرفية ؛ فيكم أي في مجتمعكم وليس حالا فيهم عليه الصلاة والسلام لكنه في مجتمعهم كما قال حسان بن ثابت: وفينا رسول الله يتلوا كتابه ؛ فالرسول صلى الله عليه وسلم كان في مجتمعهم يشاهدونه صباحا ومساء، ويغشاهم في مجالسهم، ويعودهم إذا مرضوا، ويزورهم صلى الله عليه وسلم في بيوتهم، ويعلمهم الكتاب والحكمة؛ فمن كان في هذه الحال هل يمكن لشرذمة من أهل الكتاب أن

يردوه عن دينه ؟ لا. ((**ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم**)) ((**من يعتصم**)) أي يستمسك ويطلب العصمة بالله عزوجل فقد هدي إلى صراط مستقيم ؛ وقوله: ((**من يعتصم بالله**)) يشمل الاعتصام به توكلا عليها والاعتصام به تعبدا له ؛ لأن في كل منهما عصمة ((**إياك نعبد وإياك نستعين**)) فمن اعتصم بالله تعبدا واستعانة ((**فقد هدي إلى صراط مستقيم**)) وأتى هنا بفعل ماضي ((**هدي**)) إشارة إلى أن هذا قد ثبت له الهدى سابقا وواقعا ؛ سابقا في اللوح المحفوظ وفي الكتابة حينما تنفخ فيه الروح في بطن أمه ؛ وواقعا لأنه اعتصم بالله ؛ وقوله: ((**هدي إلى صراط مستقيم**)) حذف الفاعل وذلك لتعدد طرق الهداية ؛ فأعلى الهداة من؟ الله عز وجل، ثم الرسول عليه الصلاة والسلام، ثم ورثة الرسول وهم العلماء؛ فهنا حذف الفاعل ليشمل كل الهداة؛ وأولهم من؟ الله عز وجل ((**يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم**))؛ ثم الرسول صلى الله عليه وسلم ((**وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم**))؛ ثم ورثة الرسل الرسول وهم علماء ((**وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون**))؛ إذا ((**هدي**)) الهداية الأولى من الله ثم الرسول ثم أولوا العلم؛ لكن هداية التوفيق خاصة بالله؛ لو اجتمع جميع الخلق على أن يهدوا أحدا هداية توفيق ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا ولكنهم يدلون ويحثون ويرغبون . وقوله: ((**يهدي إلى صراط مستقيم**)) فيها قراءتان: بالسين و الصاد ؛ ((**صراط**)) وسراط لأن الصاد والسين تتناوبان دائما ؛ وقوله: ((**صراط**)) الصراط هو الطريق الواسع ، الطريق الواسع يسمى صراطا وأصله من الزرط بالزاء وهو الاطلاع بسرعة لأن الطريق الواسع يلجه الناس ويخرجون منه بسرعة بخلاف الضيق فإن الناس يزدحمون فيه ولا يكادون يخرجون منه إلا بمشقة ؛ وقوله: ((**مستقيم**)) أي غير معوج يعني غير معوج بل هو مستقيم وهو يشمل الاستقامة نزولا وارتفاعا والاستقامة انحرافا واعتدالا ؛ إذا هو معتدل وليس فيه نزول ولا ارتفاع؛ لأن الصراط وهو الطريق إذا كان فيه انحراف ، إذا كان فيه انحراف لم يكن مستقيما ؛ صح؟ أي نعم ؛ ويزداد مسافة أو لا ؟ يزداد مسافة ، تطول المسافة ويبطئ الوصول إلى الغاية؛ كذلك إذا كان مختلفا نزولا وارتفاعا فإنه ليس بمستقيم إلا أنه تطول المسافة ويحصل المشقة عند الارتفاع وعند النزول؛ يحصل المشقة عند النزول ؟ نعم ربما كثيرا؛ إذا كان النزول نزولا منخفضا بشدة فإن الإنسان يتعب في كبح نفسه عن الانحدار بسرعة؛ على كل حال المستقيم نقول هو المعتدل أيش؟ انحرافا واستقامة وعلوا ونزولا . في هذه الآيات عدة فوائد؛ أولا: تحذير المؤمنين من طاعة الكفار؛ لقوله: ((**إن تطيعوا فريقا**

من الذين أوتوا الكتاب يردوكم)) . ثانيا: أن الكفار ولو كانوا أهل الكتاب يحاولون غاية المحاولة أن يردوا المؤمنين عن إيمانهم إلى الكفر؛ وقائل هذا هو الله العالم بما في صدورهم؛ قد يتظاهرون لنا بالمسالمة والمداهنة وأنهم أولياء وأنهم أصدقاء ولكن في قلوبهم الحقد والغل ومحبة أن نرتد على أعقابنا كافرين؛ من أين نعلم هذا الذي في قلوبهم وهم يبدون لنا الود والصداقة والمحبة ؟ من القرآن . فإن قال قائل: إن الله يقول: ((**فريقا من الذين أوتوا الكتاب**)) والفريق مبهم ما ندري ربما بعضهم على خلاف ذلك؛ وإذا وجد الاحتمال بطل الاستدلال فلا يمكن أن تعين من أهل الكتاب وتقول هؤلاء يحبون أن نرتد على أعقابنا كافرين لا يمكن أن تعين مادام الله يقول: ((**فريقا**)) فريق مبهم؛ فإذا قلت إنهم هؤلاء؛ قلنا لك: لا بل هؤلاء بل أولئك؛ فما هو الميزان في ذلك ؟ نقول لهم ((**فريقا**)) نكرة أريد بها العموم ؛ لا ما يصلح؛ لأن فريقا تدل على بعض؛ فهي نعم تدل على نكرة في فريق . أحسن الله إليك ؛ نقول: آيات أخرى بينت أن كل اليهود والنصارى يريدون إضلال المسلمين عن سواء السبيل؛ نعم مثل ؟ مثل قوله تعالى: ((**ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم**)) وهذا عام؛ أي نعم هذا عام . طيب إذا لنا على هذا جواب بل جوابان؛ الجواب الأول أن الله ذكر في آيات أخرى أن جميع الكفار يودون منا أن نكفر؛ وهو شامل لأهل الكتاب وغيرهم ((**ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء**)) ((**وودوا لو تكفرون**)) ((**ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم**)) ((**ود كثير من أهل الكتاب لو يضلونكم**)) نعم كثير؛ إذا نقول فيه آيات تدل على أن جميع الكفار ومن ضمنهم أهل الكتاب يودون منا ذلك؛ الوجه الثاني أن نقول: هذا الفريق المبهم يبينه الواقع وهو أن من أهل الكتاب من آمن؛ ومن آمن لا يمكن أن يحب من غيره أن يكفر؛ وحينئذ نقول: المراد بالفريق هنا من لم يؤمن منهم؛ فكل من لم يؤمن فهو داخل في هذا الفريق . ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن هؤلاء الفريق من أهل الكتاب لا يرضون منا بما دون الكفر إلا أن يكون وسيلة إلى الكفر؛ لأن الغاية قال: ((**يردوكم بعد إيمانكم كافرين**)) وأساليب أهل الكتاب في إضلال المسلمين كثيرة، كثيرة جدا متنوعة؛ منها أن يفتحوا عليهم باب الشهوات؛ فإن باب الشهوات باب واسع والضيق من أبواب الشهوات يتسع بسرعة ودليل ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: (**ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء**) ولهذا هم قبحهم الله ولعنة الله على اليهود والنصارى جميعا هم يسعون جادين بأن يعطوا المرأة ما يسمونه بالحرية وهي في الحقيقة هي

الرق ليست حرية؛ لأن المرأة إذا خرجت عن حدود الله خرجت من رق الدين إلى رق الشيطان، تخرج من رق الدين هو الرق الحقيقي لأنه العبودية لله إلى رق الشيطان؛ وإذا خرجت إلى رق الشيطان واسترق الشيطان صارت عبدا له هلكت وأهلكت؛ قال ابن القيم رحمه الله:

هربوا من الرق الذي خلقوا له فبلوا برق النفس والشيطان

هربوا من الرق الذي خلقنا له؛ وما هو الرق الذي خلقنا له ؟ عبادة الله عزوجل؛ وبلوا يعني ابتلاهم الله برق النفس والشيطان؛ ولهذا تجدونهم يركزونهم على المرأة على أن تتدهور وتتحرر من عبودية الله لتقع في عبودية الشيطان؛ لأنهم يعلمون أن أشد فتنة على الرجال هي المرأة؛ يسعون بكل جهدهم على أن تختلط بالرجال وتشاركهم في الأعمال، ويلسقوا منكبها بمنكبه وساقها بساقه، ويذوق حرارتها وتذوق حرارته، ويشم نفسها وتشم نفسه، وتصافحه وربما تعانقه؛ لأنهم يعلمون إذا وصل الإنسان إلى هذه الدرجة بقي حيوانيا بهيميا ليس له أي غرض إلا أن يشبه غريضة . والعياذ بالله . وحينئذ ينسى الدين وما وراء الدين ويرجع بعد ذلك إلى أيش؟ إلى الكفر؛ لا يستطيعون أن يقولوا للمسلمين اكفروا لأنهم لو قالوا اكفروا ما كفروا لقالوا نكفر بالطاغوت ونؤمن بالله ون؛ لكن هم يأتون بهذه الأساليب التي توجب أن ينزلق الناس بالفسوق والفسوق بريد الكفر؛ ثانيا: يلقون الأفكار الرديئة الإلحادية الكفرية بين المسلمين باسم: الناس أحرار؛ دعوا كل أحد يعتنقوا ما شاء، دعوا كل أحد يقولوا ما شاء، لا تستعبدوا الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا، وما أشبه ذلك من الكلمات الرنانة التي إذا سمعها الإنسان قال هذا هو الدين ثم تحلل الناس وصار كل يعمل على ما يريد؛ ولكن ما هي الطريق التي يتوسلون به إلى هذا؟ الطريق أن يضربوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويجعل الناس لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن منكر لأنهم يعرفون أنه إذا أمر بالمعروفة قام المعروفة وإذا نهي عن منكر غاب المنكر؛ فيحاولون أن يقللوا ويضعفوا من هذه الناهية حتى يبقى الناس لا آمر ولا ناهي كل يركب ما شاء؛ وأيضا شيء آخر يضربون عليه مسألة الحدود والتعزيرات يشوهون الإسلام بأنه يقطع اليد يد السارق ويرجم الزاني يشوهون هذا حتى يضعفوا هذه الناحية؛ ومن المعلوم أنه إذا ضعف الإيمان فلابد من ردع السلطان؛ فإن ضعف الإيمان وعدم ردع السلطان صارت المسألة فوضى، كل يفعل ما يشاء يكفر يزني يسرق يشرب الخمر ما يهمه لأنه ما فيه حدود رادعة والإيمان ضعيف بناء على أن نقول على أنهم

يقولون اجعلوا كل إنسان حرا في نفسه ويتحلل الناس بالدين بمثل هذه الطرق يعني إلقاء الأفكار الرديئة في المسلمين هذه من أساليب اليهود والنصارى التي يضللون بها الناس ويردونهم بعد إيمانهم كافرين؛ كذلك أيضا من أساليبهم التي يردون بها الناس عن الكفر أن يزينوا للناس محبة المال وجباية المال بكل ما يكون بحلال أو حرام؛ فيزينوا لهم المكاسب الربوبية بشتى أنواعها، والمكاسب الميسرية بشتى أنواعها؛ الربوية معروفة والميسرية هي التي تتمثل في التأمينات وما أشبهها فإن التأمينات لاشك أنها من الميسر لأن المؤمن والمؤمن له عقدهما دائ ر بين أيش؟ بين الغم والغرم وهذا هو الميسر تماما والنفس إذا اعتاد على ذلك نسي كل شيء صار أكبر همها أن تكتسب هذا المال بالربا لأن الربا يوجب زيادة المال بالطراد وزيادة الظلم بالطراد؛ زيادة المال لمن ؟ لآخذ الربا؛ والظلم لموكل الربا فتأخذ النفس على الجشع والشح وحب المال وتنسى ما خلق له؛ كذلك الميسر القمار على رأسه القمار يجلس المتقامران في مجلس كل واحد عنده خمسة ملايين من المال فتحصل لعبة القمار فإذا بأحدهما يكتسب مال الآخر كله خمسة ملايين فيصبح هذا عنده عشرة ملايين والثاني ما عنده إلا ثيابه يخرج من قاعة المقامرة ليس عليه إلا ثيابه يمكن يقامر على ثيابه ويقول خذه مني إذا غلبه في القمار في ثيابه وأخذ ثيابه قال أنا أبيعه عليك أنا ما أترك عاريا لكن اشترها مني؛ على كل حال مثل هذه الأساليب التي يلقيها اليهود والنصارى وأشباههم بين المسلمين يجب على المسلمين الحذر منها لأن الله يقول: ((**إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين**)) يجب على المسلمين أن يستمدوا حياتهم ومنهاجهم من أي شيء؟ من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم؛ وأنا واثق كل الثقة أنهم إذا اعتمدوا في ذلك على الكتاب والسنة فسيقطعون أعناق هؤلاء الكفار لأن الله يقول: ((**هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله**)) هذا كلا الله عزوجل كلام الله الذي يقدر على كل شيء يعني هو وعد من الله من قادر صادق في وعده؛ فإذا كان كذلك فلماذا لا نتمسك بدينه؟ لماذا لا نتمسك تمسكا تاما ونظهر الأمة الإسلامية من جديد تتمسك بدينها نصا وروحا لا نصا فقط لأن التمسك بالدين نصا لا روحا فقط ليس بشيء هو تمسك ظاهري يتلاشى عند حدوث النوازل وأما التمسك نصا وروحا فهو الذي ينتفع به الإنسان في دنياه وآخرته؛ إذا علينا أن نحذر كيد الذين أوتوا الكتاب وكيد كل كافر؛ لأن الله يقول في الكافرين: ((**ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء**)) وقال في سورة الممتحنة: ((**وودوا لو تكفرون**)) فعلينا أن نأخذ بهذه

الإرشادات التي أرشدنا الله تعالى إليها وأن نصير في طريقنا مهتدين بهدي الله مقتدين برسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يحصل لنا النصر السعادة والعزة والكرامة في الدنيا والآخرة . بالنسبة أننا نرى آثار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ظاهر في العالم الإسلامي لكن بعض الشباب الملتزمين يلقي العبأ الكامل على بعض الهيئات ويقول لم يقل بدورها الكامل وكذا وكذا فما رأيكم ؟ أنا أقول رأيي في هذا أن كل واحد مقصر، ما كل واحد قام بالواجب عليه، كل واحد في الشعوب الإسلامية و أولاة المسلمين مقصر ما قام بالواجب ولا ينبغي أن نقصر التقصير على طائفة معينة أو على هيئة معينة؛ كلنا مقصرون ؛ الآن الشعب فيما بينهم هل الإنسان إذا رأى منكرا في أخيه يقول يا أخي تعال هذا ترى هذا حرام لا يجوز اتق الله ؟ لا؛ مع أنه هذا محل كل مؤمن لم يمنع منه أحد ومع هذا ما تجد من يقوم بهذا إلا النادر؛ بل أنا أذكر يقول واحد أنا خرجت من المسجد في يوم من الأيام ورأيت إنسانا مطول ثوبه فقلت يا أخي هذا ما يجوز هذا حرام؛ قال بدينا؛ كيف هذا؟ هذا خطاب ؟ بدينا يعني بداية من تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر مع أن الرجل يقول أنا قلت بكل أسلوب سهل وزين لكنه؛ فأقول لو أن الناس عودوا على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ما جاءت هذه الكلمة من هذا الرجل العامي لكان يعرف أن هذا هو شأن المسلمين كلهم ((**لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر**)) والمعروف لا يشترط أن يكون له طائفة معينة من قبل الولاة؛ كل يأمر بالمعروف ينهى عن المنكر لكن بالحكمة؛ وأنا أقول دائما إن الأمر بالمعروف غير تغيير المنكر، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس هو تغيير المنكر؛ تغيير المنكر يحتاج إلى السلطة لكن الأمر ما يحتاج إلى السلطة كل يأمر وينهى؛ وقد ذكرنا أن هناك ثلاثة أشياء تشتبه على بعض الناس وهي مختلفة: الدعوة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتغيير، هي مختلفة والناس كثير منهم يظنها أنها واحدة وليست كذلك .

السائل : يوجد لدى بعض المسلمين شبهة وأنهم يقولون إن ألفاظ العداوة على بعض النصارى ويقولون إن النصارى أصدقاء لنا يستدلون بقوله تعالى عنهم: ((**ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك أن منهم قسيسين ورهبان**)) ؟

الشيخ : قولنا إن الله عز وجل يقول: ((**لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى**)) فهنا قسم الله الناس غير

المسلمين إلى ثلاثة أقسام: اليهود، والمشركين، والنصارى؛ وهنا قال: ((**الذين قالوا إنا نصارى**)) ولم يقل: النصارى ((**قالوا إنا نصارى**)) فلاحظوا الفرق؛ ثم نجد أن الله قال في آية أخرى: ((**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض**)) وقال في آية أخرى: ((**والذين كفروا**)) وهذا أعم ((**والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير**)) فهذه ثلاثة آيات ؛ فالذين قالوا إنا نصارى ليسوا هم النصارى الذين هم أولياء لليهود وللكافرين هؤلاء قوم معينون وصفهم الله بوصف لا يوجد في بقية النصارى فقال: ((**الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق فاكتبنا مع الشاهدين يقولون ربنا آمنا**)) فهذه الطائفة من النصارى هي التي تكون أقرب مودة للذين آمنوا ؛ أما الطائفة التي إذا سمعت ما أنزل إلى الرسول نفرت وسعت بكل ما تستطيع أن لا يقبل الناس هذه الذي أنزل فوا الله ليست أقرب مودة من اليهود والمشركين هم على حد سواء . ((**يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب**))

الشيخ : قوله: ((**يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا**)) أين جواب الشرط في هذه الجملة ؟

الطالب : ((**يردوكم**)) ؛

الشيخ : منصوب أو مجزوم ؟

الطالب : مجزوم ؛

الشيخ : بأيش ؟

الطالب : بحذف النون ؛

الشيخ : مجزوم بحذف النون طيب .

الشيخ : قوله تعالى: ((**إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب**)) لماذا يا فهد تعبر بقوله: ((**فريقا**)) ولم يقل: إن تطيعوا الذين من أهل الكتاب ؟

الطالب : لأن أهل الكتاب أصناف .

الشيخ : لأن أهل الكتاب منهم من آمن ومنهم من سالم ومنهم من هاجم ثلاثة أقسام ؛ من آمن مثل عبد الله بن سلام من اليهود والنجاشي من النصارى ؛ ومن سالم ومن هاجم وصار يهاجم المسلمين ويريد إضلالهم .

الشيخ : في قوله تعالى: ((**وكيف تكفرون**)) الاستفهام هنا ؟

الطالب : لاستبعاد ؛

الشيخ : لاستبعاد والتعجب أيضا ؛

الشيخ : نعم وجه ذلك ؟

الطالب : كيف حالهم وهم يتلى عليهم آيات الله ؛

الشيخ : ويستبعد أن من كان هكذا تتلى عليهم آيات الله وفيهم رسوله فإنهم يبعد جدا أن يكفروا ؛ أما إن كفروا فإنه يتعجب من حاله ؛ هذا على تقدير أن الاستفهام للتعجب .

الشيخ : قوله تعالى: ((**من يعتصم بالله فقد هدي**)) محمد ((**من يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم**)) ما معنى يعتصم بالله ؟

الطالب : من يعتصم بشرع الله تعالى وما جاء من الحق ؛

الشيخ : لأن في التمسك بذلك عصمة .

الشيخ : طيب لماذا اقترن جواب الشرط بالفاء في قوله: ((**فقد هدي**)) ؟

الطالب : اسمية ؛

الشيخ : اسمية ؟ اسمية عليه قد ؟

الطالب : طلبية ؛

الشيخ : طلبية وهي ((**فقد هدي**)) خبر ؟ أيش تقول ؟ نعم لأن الجواب اقترن بقد وقد قيل في ذلك :

اسمية طلبية وبجامد وبما وقد وبلن وبالتنفيس .

الشيخ : قوله: ((**إلى الصراط المستقيم**)) الصراط ما هو ؟

الطالب : طريق الواضح وقيل: الواسع وهو أصله من السين وعدل بالصاد ؛ ومأخوذ من السرط وهو الطريق الموسع ؛

الشيخ : يتحمل كل ما سلكه ؛ وأما المستقيم فهو ضد المعوج ؛ قلنا إن المعوج إما أن يكون ؟

الطالب : إما أن يكون انحرافا يمينا وشمالا أو ارتفاعا وانخفاضا .

الشيخ : أحسنت

ومن فوائد هذه الآية: أن طاعة الكفار مخالفة للإيمان لقوله: ((**يا أيها الذين آمنوا**)) فتكون طاعتهم مخالفة لكمال الإيمان؛ وقد تصل إلى انتفاء الإيمان بالكلية . ومن فوائدها أيضا: أن حرص الكفار على ذلك من أجل إيماننا؛ وبناء عليه إننا ننزل القاعدة السابقة أن ما علق على وصف فإنه يزداد بزيادة ذلك الوصف وقوته؛ وعلى هذا فثقوا أنه كلما ازداد المؤمنون تمسكا بدينهم ستزداد شراسة الكفار في صدهم عن دينهم؛ عرفتم هذا؟ مادام الوصف هو الإيمان فإنه كلما ازددنا تمسكا بالإيمان ازداد الكفار شراسة في صدنا عن الإيمان؛ ومثل ذلك أيضا الطاعة والمعصية كلما ازداد الناس في الإقبال على الله والتمسك بهديه ازداد أهل الفسوق شراسة في القضاء على هذه القوة في الطاعة

ومن فوائد الآية: أن طاعة الكفار مخالفة للإيمان؛ لقوله: ((**يا أيها الذين آمنوا**)) فتكون طاعتهم مخالفة لكمال الإيمان . ومن فوائدها أيضا: أن حرص الكفار على ذلك من أجل إيماننا ؛ وبناء عليه إننا ننزل القاعدة السابقة أن ما علق على وصف فإنه يزداد بزيادة ذلك الوصف وقوته ؛ وعلى هذا فثقوا أنه كلما ازداد المؤمنون تمسكا بدينهم ستزداد شراسة الكفار في صدهم عن دينهم ؛ عرفتم هذا ؟ مادام الوصف هو الإيمان فإنه كلما ازددنا تمسكا بالإيمان ازداد الكفار شراسة في صدنا عن الإيمان ؛ ومثل ذلك أيضا الطاعة والمعصية كلما ازداد الناس في الإقبال على الله والتمسك بهديه ازداد أهل الفسوق شراسة في القضاء على هذه القوة في الطاعة . من فوائد هذه الآية: أن من أهل الكتاب من لا يحاول إضلالنا عن ديننا؛ يؤخذ من قوله: ((**إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب**)) وقد ذكرنا الآن أن أهل الكتاب النسبة لهذا الأمر ثلاثة أقسام . ثم قال الله عز وجل: ((**وكيف تكفرون** ...)) في هذه الآية من الفوائد: استبعاد أن يكون المؤمن يرتد كافرا وهو يتلى عليه كتاب الله وفيهم رسوله؛ والواقع شاهد بذلك ولهذا لم تحصل الردة إلا بعد موت الرسول صلى الله عليه وسلم . ومن فوائد هذه الآية: أن كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم والإقبال عليهما أعظم مانع يمنع من الكفر؛ من أين يؤخذ؟ من قوله: ((**كيف تكفرون**)) يعني بعيد منكم الكفر إذا كانت تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله؛ آيات الله تتلى علينا الآن؛ رسوله ليس فينا هو ولكن فينا سنته فنأخذ من هذا أنه كلما تمسكنا بكتاب الله وسنة رسوله فإن ذلك سيكون حصنا منيعا دون الكفر . ومن فوائد الآية الكريمة: إثبات أن القرآن الكريم آية من آيات الله؛ لقوله: ((**آيات الله**)) . ويتفرع على هذه الفائدة: أنه إذا كان آية من آيات الله فإنه لا يمكن أن يأتي أحد بمثله؛ إذ أن الآية هي العلامة التي تعين معلومها؛ ولو أمكن أحد أن يأتي بمثل هذا القرآن ما كانت آية لله . ومن فوائد هذه الآية: أنه ربما نقول إن القرآن آية شرعية وكذلك يتضمن آيات كونية بما أودع الله فيه من الإشارات العظيمة إلى ما في الكون من الآيات من أجل أن نجعل آيات الله تشمل الشرعية وما دلت عليه هذه الشرعية من الآيات الكونية ؛ وإلا ما فيه شك أن الذي يتلى هو الشرعية لكن هي تضمنت آيات كونية دلت عليها مثل قوله: ((**والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون**)) إلى آيات كثيرة كونية أشار الله إليه ومثل قوله: ((**والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون**)) فإن هذه الآية آخر الجملة فيها تشمل كل ما يمكن الركوب عليه إلى يوم القيمة؛ ومثل قوله: ((**وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم**)) عند بعض العلماء فإن قوله: ((**يطير بجناحيه**)) يخرج الذي يطير بقوة مثل الطائرات الحديدية هذه فإنها ليست من الأمم التي هي أمثالنا . ومن فوائد هذه الآية الكريمة : الحث

على الاعتصام بالله؛ لقوله: ((**ومن يعتصم بالله فقد هدي**)) . ومن فوائدها: بشارة من وفق للاعتصام بالله بأنه مهدي، بأنه مهدي؛ وهذه فرد من أفراد البشارات الكثيرة التي إذا تدبرها الإنسان حمد الله سبحانه وتعالى على نعمته أنه قد هداه وأنعم عليه . ومن فوائد هذه الآية: أن دين الله عز وجل دين مستقيم ؛ لقوله: ((**إلى صراط مستقيم**)) المراد به صراط الله وهو مستقيم في كل شيء ؛ إن نظرت إلى الحقوق وجدته مستقيما فيها ليس فيه جور فلله علينا حقوق ولأنفسنا علينا حقوق ولأهلنا علينا حقوق ولزائرنا علينا حقوق ، ولكل أحد حق على أحد؛ قال النبي عليه الصلاة والسلام لعبد الله بن عمرو بن العاص: (**فأعط كل ذي حق حقه**) إذا هذا عدل يعني ليس فيه جنف ولا في حق الخالق عز وجل حتى حق الخالق لابد أن يكون لنا حقوق لا نجحث على أنفسنا ولا على من له حق علينا وهذا من الاستقامة هذا الدين ؛ ولكن نبهنا فيما سبق على مسألة وهي أن بعض الناس يقول: إن دين الإسلام دين المساواة ؛ وبيننا أن هذا خطأ بل دين الإسلام دين العدل ؛ لأن أكثر ما في القرآن نفي المساواة لا إثبات المساواة ؛ صح ؟ نعم ؛ ((**قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعملون**)) ((**قل هل يستوي الأعمى و البصير**)) ((**أم هل تستوي الظلمات والنور**)) وآيات كثيرة فيها نفي الاستواء لأن ما يستوي هذا وهذا ؛ لكن العدل ((**إن الله يأمر بالعدل**)) وذكرنا أن هذه العبارة دخل فيها من قال إنه يسوى بين الرجل والمرأة وبين العالم والجاهل وبين كل إنسان وآخر مع التميز في الصفات مع الاختلاف في الصفات والتميز كل واحد عن الآخر بصفاته وهذا لاشك أنه خطأ ولا يأتي الإسلام به؛ الإسلام يأتي بالعدل أن تعطي كل ذي حق حقه . ثم قال الله تعالى: ((**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته**)) بيننا فيما سبق أن الله إذا صدر الخطاب بالنداء فهو دليل على أيش؟ على العناية والاهتمام به ، ثم إذا وجه الخطاب إلى المؤمنين ففيه فوائد؛ أولا: الإغراء والحث كأنه قال: يا أيها الذين آمنوا لإيمانكم ولكونكم مؤمنين افعلوا كيت وكيت أو لا تفعلوا كذا وكذا . ثانيا: أن ما يذكر فهو من مقتضى الإيمان؛ ولهذا وجه للمؤمنين. ثالثا: أن المخالفة في هذا الشيء تنقص الإيمان؛ فانتبهوا لهذا فصار عندنا أربعة أمور؛ تصدير الخطاب بالنداء يدل على الاهتمام به؛ وتوجيهه إلى المؤمنين يفيد ثلاث فوائد؛ الإغراء؛ وأن القيام بذلك من مقتضيات الإيمان؛ وأن المخالفة به نقص في الإيمان . يقول الله عز وجل: ((**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله**)) وما أكثر ما أمر الله بالتقوى في كتابه في آيات كثيرة بل جعلها الله تعالى وصية لجميع الخلق ((**ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله**)) والتقوى مأخوذة من الوقاية ؛ ولهذا يقال: إن أصلها وقوى مؤنث من الوقاية؛ والوقاية اتخاذ الإنسان ما يقيه الذي يضره ؛ ولهذا نقول: إن أجمع تفسير للتقوى أن يقال: التقوى اتخاذ وقاية من عذاب الله بفعل أوامره واجتناب نواهيه؛ هذا أجمع ما يقال . وقول الله عز وجل: ((**اتقوا الله حق تقاته**)) حق هذا مفعول مطلق مبين

لنوع التقوى التي أمرنا بها أي اتقوا الله على هذا الوجه ((**حق تقاته**)) ؛ ومعنى ((**حق تقاته**)) أن تتقوا الله ما استطعتم لأن هذه هي التقوى التي أمرنا بها في آيات أخرى ((**فاتقوا الله ما استطعتم**)) أي ابذلوا كل ما تستطيعون في تقوى الله؛ ولهذا لا تظنوا أن هذه الآية ((**فاتقوا الله ما استطعتم**)) أنها تهون التقوى؛ لأن بعض الناس يتخذ من هذه الآية تهوينا لأمر التقوى ويقول: اتقوا الله ما استطعتم ؛ والحقيقة أنها بالعكس يعني اتقوا الله بقدر ما تستطيعون ابذلوا كل الجهد في تقوى الله عز وجل؛ فيكون قوله: ((**حق تقاته**)) موازيا لقوله: ((**ما استطعتم**)) ؛ وبناء على هذا تكون الآية محكمة، تكون محكمة أي غير منسوخة ؛ وهذا القول هو الراجح ومقابله أن الآية منسوخة وأنها أمر بما فيه مشقة وأن المراد بتقوى الله أن يذكر فلا ينسى ويطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ؛ ولكن لدينا قاعدة مهمة جدا توجب أن لا يتسرع الإنسان في دعوى النسخ لأن دعوى النسخ ليس دعوى بسيطة فإن النسخ يتضمن إبطال حكم من الأحكام الشرعية ؛ وإبطال الحكم من أحكام الشرعية ليس بالأمر السهل وإن كان بعض الناس بعض العلماء يتساهل وإذا عجز أن يوفق بين النصوص أو يرجح ادعى النسخ وهذا غلط لأنه يترتب عليه إلغاء حكم شرعي ؛ فنحن نقول: ما دام النص من القرآن أو السنة يمكن أن يحمل على وجه صحيح لا يعارض النصوص الأخرى فهذا هو الواجب، هذا هو الواجب؛ لأننا إذا سلكنا هذا المسلك عملنا بكل النصوص؛ أما إذا قلنا أن أحدهما منسوخ فإننا نلغي نصا جاء به الوحي وهذا ليس بالأمر الهين؛ فالصحيح أن الآية غير منسوخة لأنها لا تخالف الآيات هي مثل قوله تعالى: ((**لا يكلف الله نفسا إلا وسعها**)) والغريب أن الذين قالوا بالنسخ قالوا إنها نسختها هذه الآية ((**لا يكلف الله نفسا إلا وسعها**)) لكن لا وجه لهذا؛ فالصحيح أن معنى ((**حق تقاته**)) أي بقدر ما تستطيعون؛ وحق تقاته ما أمرنا به عز وجل في قوله : ((**اتقوا الله ما استطعتم**)) . وقال: ((**ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون**)) هذه مما يدخل تحت الخطاب ((**ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون**)) يعني إلا وأنتم مسلمون لله ظاهرا وباطنا ؛ والإسلام هنا يدخل فيه الإيمان؛ وكما مر عليكم في آيات كثيرة الدعاء بأن يموت الإنسان مسلما ((**ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين**)) وفي سورة يوسف قال: ((**أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين**)) ؛ لكن جاء في السنة أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يقول في دعاء الميت: (**اللهم من أحييته منا فأحيه على الإسلام ومن توفيته فتوفه على الإيمان**) ففرق بين حال الحيات وحال الموت ؛ والجواب عن ذلك أن نقول: إنما غاير النبي صلى الله عليه وسلم بينهما لأن صلاح الأمة على سبيل العموم بالإسلام إذا حيت الأمة مسلمة انتظم ما أمرها لأن الإسلام معناه الاستسلام انتظم أمرها ولم يكن فيها ما يوجب العناد والاستكبار ؛ ولما قال: (**من أحييته فأحيه على الإسلام**) صار قال: (**ومن توفيته فتوفه على الإيمان**) لأن المدار عند

الموت على ما في القلب؛ لكن في هذه الآية وكذلك في الآيات الأخرى التي أشرنا إليها لم يذكر الإيمان معه فيكون الإسلام هنا شاملا للإيمان . قوله: ((**ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون**)) لا تمت إلا وأنت مسلم؛ هذا يقتضي أن تكون مسلما من الآن لا تنتظر تقول سأسلم إذا جاء الموت ؛ تكن مسلما من الآن؛ لماذا ؟ لأنك لا تدري متى يفجأك الموت ؛ فالآية لا تعني أن تؤخر الإسلام إلى عند الموت لأنك لا تدري ؛ بل فيها أمر بالمبادرة بالإسلام وبالثبات عليه إلى متى ؟ إلى الموت . في هذه الآية: ((**ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون**)) إشكال في قوله: ((**ولا تموتن**)) لأننا لو أعربنا لا لقلنا إنها نافية ؛ نافية وإلا ناهية ؟ بالفاء وإلا بالهاء ؟ بالهاء ؛ طيب ما في أحد يقول قول ثالث؟ الآن عندنا قولان: نافية بالفاء ؛ ناهية بالهاء؛ كأنها بالهاء ناهية ((**ولا تموتن**)) لأن عطف الطلب على الطب أولى من عطف الخبر على الطلب ، ((**اتقوا الله**)) هذه طلب أمر؛ ((**ولا تموتن**)) هذه طلب نهي، طلب بصيغة النهي ؛ وعطف الطلب بالطلب أولى من عطف الخبر على الطلب ؛ طيب هي ناهية وإذا كانت ناهية يشكل علينا أن الفعل بعدها مرفوع ((**تموت**)) لأن النون للتوكيد؛ فكيف كانت ناهية والفعل بعدها مرفوع هذا إشكال ؛

الطالب : مجزوم بحرف جزم ؛

الشيخ : والنون هذه موجودة ؟

الطالب : توكيد ؛

الشيخ : توكيد ؟ وين راحت؛

الطالب : الواو حذفت لالتقاء الساكنين ؛

الشيخ : أين الواو ؟ نشوف أصل الكلام عشان ما يطيل الوقت؛ أصلها تموتن أصلها بدون النهي تموتونن كذا وإلا لا ؟

الطالب : نعم ؛

الشيخ : طيب ويش علمنا ؟ نقول لما جاءت لن ناهية حذفت نون الإعراب؛ لما حذفت النون الإعراب التقت الواو بالنون والنون المشددة نونان أولهما ساكنة؛ الساكن لا يمكن أن يقابل ساكنا آخر كما قال ابن مالك:

إن ساكنان التقيا اكسر ما سبق وإن يكن لينا فحذفه استحق

إذا نحذف الواو لأنها من حروف اللين ؛ كذا ؟ حذفنا الواو ويش بقي؟ بقيت الميم التي تليها الواو مضمومة تبقى الميم على ضمها ونون التوكيد تبقى على حالها ؛ فصار الإعراب واضحا الآن ، صار الإعراب واضحا؛ فلا ناهية تموتن فعل مضارع مجزوم بلن ناهية وعلامة جزمه حذف النون؛ والواو المحذوف لالتقاء الساكنين أيش؟ فاعل؛ والنون للتوكيد؛ طيب ((**إلا وأنتم مسلمون**)) جملة ((**وأنتم مسلمون**)) حال ؛ حال من أين ؟ من الواو المحذوفة في قوله: ((**ولا تموتن**)) . ثم قال الله تعالى: ((**واعتصموا بحبل الله جميعا**)) هذا داخل تحت قوله: ((**يا أيها الذين آمنوا**)) فهي معطوفة على ((**اتقوا الله**)) ؛ ((**واعتصموا بحبل الله جميعا**)) هنا قال: ((**واعتصموا بحل الله جميعا**)) وفيما سبق قال: ((**ومن يعتصم بالله**)) والاعتصام بالله الاعتماد عليه والتوكل عليه والاستعانة عليه والاعتصام بحبله أي بشرعه ؛ فحبل الله هو شرعه ؛ وسمي الشرع حبلا لأنه موصل إليه ؛ والحبل كما تعلمون يوصل إلى المقصود فإن الإنسان إذا أراد أن يشرب من البئر أدلى الدلو بماذا ؟ بالحبل؛ فحبل الله هو شرعه الموصل إليه كما يقال: حبل البئر الرشى الموصل إلى الماء ليستقي منه الساقي؛ وأضيف إلى الله عز وجل لأمرين؛ الأمر الأول أنه هو الذي وضعه سبحانه وتعالى؛ والأمر الثاني أنه موصل إليه؛ وقوله: ((**جمعا**)) حال من الواو في ((**اعتصموا**)) يعني اعتصموا كلكم لا يشد احد عن هذا الاعتصام ؛ ((**ولا تفرقوا**)) لا تفرقوا في أيش؟ في حبل الله كونوا جميعا تحت المظلة الشرعية لا يشد أحد منكم ولا تفرقوا أحزابا ولا أفرادا . ((**واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم**)) اذكروا بألسنتكم ، واذكروا بقلوبكم؛ الذكر بالقلب هو التذكر تذكر الإنسان حتى لو كان وحده ، لو كان وحده في بيته يتذكر الحال التي أشار الله تعالى إليها ؛ اذكروا أيضا بألسنتكم ثناء على الله بذلك وتحدثا بنعمته ((**اذكروا نعمة الله عليكم**)) والنعمة بمعنى العطاء والرزق؛ وهذه النعمة التي ذكر الله هنا وأمرنا أن نذكرها هي من أكبر النعم؛ ولهذا قال: ((**إذ كنتم أعداء**)) هذا محل أو بيان هذه النعمة ((**إذ كنتم أعداء**)) أي أن بعضكم عدو لبعض؛ ولاشك أنه مع العداوة لا يمكن أن تستقيم الأمة؛ فالعداوة كانت بينهم قبل الإسلام أزاله الله تعالى بالإسلام ؛ ومن ذلك ما كان بين قبائل العرب من قريش وهوازن وغيرهم، وما كان بين قبائل الأنصار بين أوس و خزرج حروب وفتن وعداوات وثأرات، شيء يعني إذا قرأه الإنسان في التاريخ يقول إن من أكبر نعم الله على العرب أن جاء بهذا الإسلام ؛ ولهذا ذكرهم النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الأنصار بذلك حين قسم غنائم حنين وكان رسول الله حكيما أعطى المؤلفة قلوبهم عطاء كثيرا حتى إنه يعطي للإنسان مائة ناقة فصار في قلوب بعض الأنصار شيء حتى إنهم قالوا وجد أصحابه فأعطاهم أو كلمة نحوها ؛ فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فأمرهم أن يجتمعوا وأن لا يدخل معهم أحد اجتمعوا فجاء إليهم وذكرهم بنعمة الله عز وجل عليهم وقال لهم : (**ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بي** ؟

قالوا: الله ورسوله أمن؛ قال: ألم أجدكم عالة فأغناكم الله بي ؟ قالوا: الله ورسوله أمن؛ قال: أما أجدكم متفرقين فجمعكم الله بي؟ قالوا: الله ورسوله أمن) كلما قال شيئا وذكرهم به اعترفوا بأن الله ورسوله أمن؛ ولكنه عليه الصلاة والسلام لما ذكرهم بفضله عليهم قال: (**لو شئتم لقلتم جئتنا طريدا فآويناك**) وذكر عليه الصلاة والسلام فضلهم عليه ثم قال: (**أما ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير وتذهبون برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى رحالكم لو لا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار الأنصار شعار والناس دثار**) حتى جعلوا بيكون وخضبوا لحاهم بدموعهم . رضي الله عنهم . واقتنعوا اقتناعا كاملا ؛ الشاهد من هذا أنه ذكرهم صلوات الله وسلامه عليهم أنهم كانوا متفرقين فجمعهم الله به وألفهم به ؛ ولهذا يذكر الله سبحانه وتعالى هؤلاء فقال: ((**إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم**)) ألف يعني جمع ومنه قولنا: ألف فلان كتابا يعني جمعه ؛ وقوله: ((**بين قلوبكم**)) ولم يقل: بينكم لأن الائتلاف في القلوب ؛ وهذا هو الذي عليه المدار ، ليس المدار الائتلاف بالأجسام ؛ كم من أمة ائتلفت بأجسامها لكن قلوبها متفرقة كما قال الله تعالى عن اليهود: ((**تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى**)) ولا فائدة من اجتماع الأبدان مع تفرق القلوب ؛ الفائدة باجتماع القلوب وتآلف القلوب ولو تباعدت الأبدان ؛ وكم من إنسان يكون بينك وبينه مودة والصداقة وهو بعيد عنك ؛ وكم من إنسان بالعكس تشعر بأنه ينافقك وأنه لا يكن لك محبة ولا صداقة ومع ذلك هو كالملازم لك كملازمة الظل ؛ فالشأن كل الشأن بماذا ؟ في القلوب ؛ ولهذا قال الله تعالى: ((**فألف بين قلوبكم**)) ؛ ومن الذي يستطيع أن يؤلف بين قلوب الناس ؟ الله سبحانه وتعالى ؛ الله عز وجل، لا أحد يستطيع أبدا؛ يقول الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ((**لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم**)) صحيح أن المال يؤلف ولهذا جعل الله تعالى للمؤلفة قلوبهم نصيبا من الزكاة وكان النبي صلى الله عليه وسلم يؤتي المؤلفة قلوبهم؛ لكن ثقوا أن ما كان مؤلفا لشيء فإنه سوف ينعدم تأليفه بأيش؟ بزال هذا الشيء وفقد هذا الشيء؛ لكن التأليف الذي يكون على الإيمان ومن الرحمن عز وجل هذا لا ينفصل؛ ولهذا قال سبحانه وتعالى: ((**فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا**)) .

السائل : قلت إنه لا يقال إن دين الإسلام دين مساواة بل لاشك أنه دين العدل ؛ لكن نجد كثيرا من العبادات التي فيها مساواة ؟

الشيخ : مثل ؟

السائل : مثل الصلاة فيها مساواة بين الفقير والغني ؟

الشيخ : لا، هذا عدل ، هذا نقل عدل ؛

السائل : والجهاد أيضا ؟

الشيخ : أيضا نقول عدل ؛ أصلا كل ما جاءت مساواة بحق فهي عدل ؛ وإذا جاءت مساواة بغير عدل فهي جور ؛ ولا يستوي الناس فيها ، العاجز عن القيام لا يلزمه القيام؛ والعاجز عن استقبال القبلة لا يلزمه استقبال القبلة .

السائل : لكن كلهم في اتجاه واحد يعني نفس الاتجاه ؟

الشيخ : لا؛ قد لا يلزم الإنسان أن يستقبل القبلة إذا كان عاجزا؛ تكون القبلة ورائه .

السائل : ما ذكره بعض العلماء في قوله تعالى: ((**فاتقوا الله ما استطعتم**)) هذه في أحكام العملية لكونه فاتقوا الله حق تقاته هذا في الأعمال القلبية مثل التوحيد وهل هذا سليم ؟

الشيخ : لا ما هو سليم ؛ حتى القلوب ما يجوز للإنسان يعني يستمر في عمل القلب لأن هذا يؤدي إلى كارثة؛ الإنسان لو استمر في وساوس هلك مع أنه لا يؤاخذ عليها لأن النبي عليه الصلاة والسلام لما شكي إليه الوساوس قال فليستعذ بالله ولينتهي ؛ فأمر بقطع هذه الوساوس بالاستعاذة بالله عز وجل وبالامتنان .

السائل : أحسن الله إليك ؛ الذي أورده في قوله تعالى: ((**وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه**)) ما فهمنا قصدها ؟

الشيخ : يقول بعض الناس إن الطائرة ما هي تطير بجناحيها ؛ الجناح ما تتحرك إنما تطير بمحركاتها ؛ لكن أنا قلت: إن بعض الناس يقول وأنا لا أرتضي هذا القول ، أقول إن قوله: ((**ولا طائر يطير بجناحيه**)) كقولهم: مشى على رجله أو بطش بيديه أو نظر بعينيه وما أشبه ذلك ؛ فهي ذكر آلة الطيران ؛ أما الطائرة هذه الحديثية فهي قد يمنع الإنسان القول بنفي طيرانها في جناحها أو بجناحها لأنها حقيقة تطير بجناحها وإلا لا ؟ الطائرات المروحية التي كانت بالأول أنا أذكرها ممكن بعضكم يذكرها فيها طائرات فيها محرك بارز، محرك مروحة في نفس الجناح بارزة لها آذان ؛ الآن الطائرات النفاثة فيها مراوح أيضا ؛ لكنها من داخل وفي الأجنحة أيضا وفي الأجنحة ؛ وفي واحد من الإخوان الطيبين الطيارين يعني كاتب تحليل على الطائرة وتركيبها يقول إنها مركبة على الطائر تماما، الطائر الذي خلقه الله في انحرافها يمينا وشمالا وفي ارتفاعها وانخفاضها وفي طيرانها وقال إن الطائر إذا أراد أن

ينحرف يمينا أو يسارا حرك بعض الجناحين وإذا أرد أن ينزل يكون له وضع خاص في ذيله وإذا أراد أن يرتفع كذلك وأن الطائرة مركبة تماما عليه ؛ ونحن نشاهد الطائرة الآن عند النزول في الجناح ، في جناحيه أشياء رادعة للهواء ترتفع وعند الهبوط أيضا فيها شيء ؛ المهم أن نقول إن الطائرة في الحقيقة تطير بجناحيها أي نعم .

السائل : يشكل عليها الطيارة العمودية ؟

الشيخ : أي نعم هذا مرفوع الجناح فقط؛

السائل : ما عندها جناحان ؟

الشيخ : لا لا، مرفوع المروحة التي فوقها هذه رافع الجناح .

السائل : قوله تعالى: ((**اتقوا الله حق تقاته**)) كيف فسرها من قال إنها محكمة ؟

الشيخ : فسروها بأن يكون الإنسان دائما في طاعة الله ما يغفل عن شيء أبدا؛ أن يذكر فلا ينسى؛

السائل : ليلا ونهارا ؟

الشيخ : ليلا ونهارا إلا في حال النوم ما أظن يدمن هذا .

السائل : في دعاء الميت ما هو وجه الجميع بين الإسلام والإيمان ؟

الشيخ : إذا جمع بين الإسلام والإيمان فالإسلام أنقص من الإيمان، يكون باستسلام الظاهر وإن كان الإيمان في القلب ضعيف ويكون الإيمان ما وقر في القلب .

السائل : يطلق عليه الإسلام فهو مؤمن ؟

الشيخ : أي لكن ناقص، ناقص ويكون من المؤمنين إذا كمل والمسلمين الذي عنده نقص .

السائل : فلما نقول إن الإسلام هو دين العدل وليس دين المساواة تبين لمن يدعي أن الإسلام ديمقراطية أن الديمقراطية تدعي التساوي بين جميع الأفراد ؟

الشيخ : أي نعم ما فيه شك؛ لا ، والذين يدعون الديمقراطية هم أول من هدم الديمقراطية ؛ أهم صدقوا؟ كل الميزات للطبقة الحاكمة ، أولهم شيوعيون وآخرهم الغربيون ما فيها ديمقراطية من يقولها؟ ما فيه حكم بالعدل غير

الإنسان أبدا ؛ لكن نحن نقول بالصراحة إن المسلمين لم يطبقوا الإسلام ، لم يطبقوا الإسلام عندهم جور ، ظلم ، وانتهاك الحقوق ؛ ما طبقوا الإسلام أبدا مع الأسف ؛ الآن مثلا الأحداث التي وقعت هذه أساءت إلى الإسلام أعظم إساءة ، أعظم إساءة أسيء للإسلام في الأحداث التي وقعت ؛ وفيها خدمة اليهود عظيمة؛ اليهود تدعي أن نحن المخربون ، نحن المخربون المفسدون في الأرض .

((**ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم**)) أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ؛ قال الله تعالى في بقية ما سبق من آية ((**واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا**)) قال الله تعالى: ((**وكنتم على شفى حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبن الله لكم آياته لعلكم تهتدون**)) . وقبل أن نتكلم في بقيتها نناقش فيما سبق في قوله تعالى : ((**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته**)) هل هذه الآية محكمة أو منسوخة ؟

الطالب : قول الصحيح أنه محكمة ؛

الشيخ : يعني فيها قولان للعلماء ؟

الطالب : نعم قولان للعلماء؛ قال بعض أهل العلم أنها منسوخة بقوله تعالى: ((**لا يكلف الله نفسا إلا وسعها**))؛ لكن الصحيح أنها محكمة؛

الشيخ : محكمة وأنها لا تنافي الآية المذكورة ؛ ومن شرط النسخ ؟

الطالب : ومن شرط النسخ التعارض

الشيخ : التعارض بحيث لا يمكن الجمع .

الشيخ : عبد المنان ؟ قوله تعالى: ((**ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون**)) ما معنى هذه الجملة ؟

الطالب : دعائية

الشيخ : دعائية ؟

الطالب : يعني هذا أمر من الله عز وجل للمؤمنين أن لا يموتوا إلا وهم مسلمون .

الشيخ : هل الإنسان يملك نفسه عند الموت يعني ((**ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون**)) يعني أمر بالإسلام عند الموت ؟

الطالب : يعني يفعل الأسباب التي يفعل ؛

الشيخ : شاكر؟

الطالب : معناه أنه يجب على المسلمين دائما فإن الموت يأتي في أي لحظة بغتة فيكون قد أسلموا عند الموت ؛

الشيخ : يعني هذا يستلزم أن يبادروا بالإسلام والتوبة .

الشيخ : الجملة في قوله: ((**وأنتم مسلمون**)) هشام ويش موضعها من الإعراب ؟ موضعها من الإعراب ((**إلا وأنتم مسلمون**)) ؟

الطالب : ما حضرت ؟

الطالب : النصب على الحال ؛

الشيخ : محلها النصب على الحال يعني كأنه قال: ولا تموتن إلا مسلمين لكن أتى بجملة الاسمية الدالة على الثبوت والاستمرار .

الشيخ : قوله: ((**واعتصموا بحبل الله جميعا**)) ما المراد بحبل الله ؟

الطالب : أي شرع الله .

الشيخ : لماذا سمي حبل الله ؟

الطالب : لأنه موصل إلى الله عز وجل .

الشيخ : لأنه موصل إلى الله عز وجل .

الشيخ : قوله تعالى: ((**واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم**)) ما هذه النعمة التي أمرهما لله تعالى بتذكرها ؟

الطالب : النعمة هذه إنهم كانوا أعداء قبل مجيء الإسلام فجاء الإسلام وألف بين قلوبهم فتأليف القلوب هذه نعمة من الله سبحانه وتعالى .

الشيخ : هل تعرف شيئا مما جرى مما يدل على عداواتهم ؟

الطالب : نعم ما جرى بين الأوس والخزرج من حروب الطاحنة حتى أصلح بينهم الرسول صلى الله عليه وسلم ؛

الشيخ : يعني ذكروا أنها بقيت مائة وعشرين سنة هذه الحروب ؛

الطالب : وكذلك حروب قريش؛

الشيخ : كذلك قبائل العرب بعضها مع بعض .

الشيخ : لما قال: ((**ألف بين قلوبكم**)) ولم يقل: بينكم ؟

الطالب : لأن تأليف القلوب أعظم من تأليف الأجسام ؛ لأن الإنسان يمكن أن يكون معك مصاحبا لك؛ وقلبه بعيد منه

الشيخ : والمدار كله على ائتلاف القلوب .

الشيخ : قوله: ((**اذكروا نعمة الله**)) هل هو ذكر باللسان أو بالقلب ؟

الطالب : باللسان والقلب والجوارح .

الشيخ : ((**واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء**))؛ باللسان وبالقلب ؛ كيف بالقلب ويش لون ؟

الطالب : بالقلب يتفكر بنعم الله تعالى ؛

الشيخ : حيث كانوا أعداء ثم ألف بين قلوبهم ؛

الطالب : وباللسان أن يذكر الله سبحانه وتعالى

الشيخ : في المقال؛ يعني مثلا في المجالس يتحدثون ويقولون نحمد الله إن الله ألف بين قلوبنا بعد أن كنا أعداء .

الشيخ : قوله: ((**على شفا حفرة من النار**)) هذا قرأناها ؟ ما قرأناها ؟ طيب .

قال الله تعالى: ((**فأصبحتم بنعمته إخوانا**)) قوله: ((**فأصبحتم**)) أصل الإصباح الدخول في الإصباح الذي هو أول النهار؛ لكنه يطلق أحيانا مجردا من الزمان ويراد به الصيرورة أي صرتم إخوانا؛ وهذا هو المراد هنا ((**أصحبتم إخوانا**)) يعني صرتم إخوانا في الصباح وفي المساء؛ وقوله: ((**بنعمته**)) الباء هنا للسببية أي بسبب إنعامه عليكم بعد العداوة أصبحتم إخوانا يعني إخوة؛ والأخوة في الأصل المقارنة أو القران بين شيئين؛ فكل شيئين اتفقا في الشيء واقترنا به فهما أخوان؛ فمغنى إخوانا أي مقترنين مؤتلفين كأن ما بينكم رابطة النسب بل أعظم من رابطة النسب لأن أخوة الدين أعظم من أخوة النسب؛ بل إن أخوة النسب تتلاشى إذا لم توجد أخوة الدين؛ ودليل هذا أن نوحا عليه الصلاة والسلام قال: ((**رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين قال يا نوح إنه ليس من أهلك**)) ليس من أهلك مع أنه ابنه بضعة منه؛ لكنه ليس من أهله ((**إنه عمل غير صالح**)) يعني أنه عمل عملا غير صالح فهو كافر وأنت رسول فليس بينكما نسب يعني قرابة؛ فالأخوة الإيمانية أقوى رابطة من الأخوة النسبة فإذا اجتمعا قوى بعضهما بعضا إذا كان أخاك من النسب وهو أيضا أخوك في الدين

والأخوة في الأصل المقارنة أو القران بين شيئين ؛ فكل شيئين اتفقا في الشيء واقترنا به فهما أخوان؛ فمغنى إخوانا أي مقترنين مؤتلفين كأن ما بينكم رابطة النسب بل أعظم من رابطة النسب لأن أخوة الدين أعظم من أخوة النسب؛ بل إن أخوة النسب تتلاشى إذا لم توجد أخوة الدين؛ ودليل هذا أن نوحا عليه الصلاة والسلام قال: ((**رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين قال يا نوح إنه ليس من أهلك**)) ليس من أهلك مع أنه ابنه بضعة منه ؛ لكنه ليس من أهله ((**إنه عمل غير صالح**)) يعني أنه عمل عملا غير صالح فهو كافر وأنت رسول فليس بينكما نسب يعني قرابة ؛ فالأخوة الإيمانية أقوى رابطة من الأخوة النسبة فإذا اجتمعا قوى بعضهما بعضا إذا كان أخاك من النسب وهو أيضا أخوك في الدين صار هذا أقوى وأقوى . وقوله: ((**فأصبحتم بنعمته إخوانا**)) وقد ظهرت هذه الأخوة ؛ فإن الأنصار رضي الله عنهم لما قدم إليهم المهاجرون صاروا يؤثرونهم في أموالهم، يؤثرونهم في أموالهم يتنازل الإنسان عن ماله لأخيه المهاجر؛ بل ربما يتنازل عن إحدى زوجتيه له من شدة الأخوة والمحبة بينهما . قال: ((**وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها**)) ((**كنتم**)) أي قبل الإسلام ((**على شفا حفرة من النار**)) أي على طرف ؛ وشفا الشيء طرفه كشفا البئر أي طرفها؛ وقوله: ((**حفرة من النار**)) أي من نار جهنم ؛ لأنهم كانوا مشركين يعبدون الأصنام والأوثان فهم على شفا حفرة لو ماتوا على تلك الحال لسقطوا في الحفرة لكن قبل أن يسقطوا في الحفرة أنقذكم الله بالإسلام ولله الحمد والمنة؛ فبين الله عزوجل هنا حالهم الاجتماعية وحالهم الدينية ؛ حالهم الاجتماعية كانوا أعداء مختلفين متفرقين فألف بين قلوبهم ؛ وحالهم الدينية أنهم على شفا حفرة من النار ما بقي عليهم أن يتساقطوا في النار إلا أن يموتوا على الكفر ولكن الله أنقذهم بنعمته بهذا الدين الذي قال الله فيه: ((**اليوم أكلمت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا**)) . ((**على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها**)) كلمة أنقد تدل على أن هذا الشفا كان هلكا وهو كذلك فإنه لا هلكة أعظم من هلكة من كان في النار فأنقذهم الله منها إنقاذا . ثم قال: ((**كذلك يبين الله لكم آياته**)) ((**كذلك**)) يذكرها الله سبحانه وتعالى كثيرا في كتابه العزيز وهي على تقدير مثل ذلك ؛ فكذلك أي مثل ذلك ، ثم هي تختلف باختلاف السياق ؛ ففي مثل هذا السياق الذي نحن فيه تكون مفعولا مطلقا وإن شئتم فقولوا نائبة مناب المصدر؛ لأن التقدير: مثل ذلك البيان يبين الله لكم آياته ، مثل ذلك البيان يبين الله لكم آياته ؛ أي أن الله سبحانه وتعالى أظهر آياته لنا آياته الكونية وآياته الشرعية بيانا واضحا ظاهرا ليس فيه اللبس؛ لأن هنا لما ذكرهم حال الاجتماعية والدينية وهي حال الظاهرة لا تشكل عليهم جعل ذلك بيانا فقال: ((**كذلك يبين الله لكم آياته**)) أي العلامات الدالة عليه على وحدانيته وربوبيته وسلطانه وعلمه وقدرته وغير ذلك مما تقتضيه تلك الآية؛ لأن كل آية من آيات الله تدل على معنى من

معاني ربوبيته سبحانه وتعالى . ثم قال: ((**لعلكم تهتدون**)) لعل هنا للتعليل ، لعل للتعليل أي لأجل أن تهتدوا؛ والهداية هنا شاملة لهداية التوفيق وهداية الإرشاد والدلالة أي تهتدوا اهتداء علميا وتهتدوا اهتداء عمليا ؛ الاهتداء العلمي هو هداية الإرشاد والدلالة ؛ والاهتداء العملي هداية التوفيق لأن الإنسان بفطرته كلما تبين له شيء من آيات الله ازداد إيمانا ويقينا وعملا؛ ذكرنا أن لعل للتعليل وهي كثيرة في القرآن في بهذا المعنى، وتأتي للرجاء وتأتي للإشفاق؛ الرجاء ضد الإشفاق، الإشفاق الخوف؛ والرجاء الأمل؛ فإذا قلت لشخص: اتق الله لعل الله، استغفر الله لعل الله أن يغفر لك ؛ هذا رجاء ؛ وإذا قلت: لا تمشي في هذا الطريق فلعلك تهلك ؛ إشفاق ، هذا إشفاق؛ والتعليل أيضا معروف من السياق . في هذه الآية بل في هاتين الآيتين من الفوائد فوائد كثيرة؛ أولا: وجوب تقوى الله حق تقاته ؛ بالأمر بذلك في قوله: ((**اتقوا الله حق تقاته**)) . ثانيا: العناية والاهتمام بالتقوى؛ من أين يؤخذ؟ تصديره بالنداء، تصدير هذا الأمر بالنداء . ثالثا: أن التقوى من مقتضيات الإيمان؛ لتوجيه النداء إلى المؤمنين . ومن فوائدها أيضا: أن ترك التقوى من نواقص الإيمان؛ لأنه إذا نودي الإنسان بوصف فإنه يزداد وصفه هذا بحسب زيادة ما وجه إليه . ومن فوائد هذه الآية الكريمة: وجوب البقاء على الإسلام والمبادرة به؛ لقوله: ((**ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون**)) . ومن فوائدها: أن المدار على الخاتمة . نسأل الله أن يحسن لنا ولكم الخاتمة .؛ المدار على الخاتمة؛ لقوله : ((**ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون**)) ؛ ومصداق ذلك حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (**إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها**) لكن الأول ورد فيه قيد والحمد لله يريح البال ويزيل الخوف (**إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدوا للناس وهو من أهل النار**) ورد هذا الحديث في قصة الرجل الذي كان مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزاة وكان شجاعا مقداما لا يدع شادة ولا فادة فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذا من أهل النار، هذا من أهل النار . نسأل الله العافية . فعظم ذلك على الصحابة وشق عليهم كيف يكون هذا الرجل من أهل النار وهو في هذه المثابة في جهاد فقال رجل والله لألزمنه، لألزمنه يعني لأصاحبنه حتى أنظر ما عاقبته فذهب الرجل فأصابه سهم أصاب هذا الرجل الشجاع سهم فجزع فأخذ سيفه واتكأ عليه حتى خرج من ظهره . أعوذ بالله . جعله هكذا في صدره فخرج من ظهره ومات ؛ فلما أصبح الرجل غدا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وقال إن الذي قلت؛ قال: أشهد أنك رسول الله قال وبم ؟ قال إن الرجل الذي قلت إنه من أهل النار فعل كيت وكيت ؛ ثم قال الرسول عليه الصلاة والسلام: (**إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدوا للناس وهو من أهل النار**) يعني يكون في قلبه . نسأل الله العافية . يكون في قلبه

سر خبيث يطيح به في مواضع الشدة والضيق يعني أنه تخونه سريرته عند الموت ؛ لأن قلبه فيه شيء ؛ ولهذا يجب علي وعليكم أن نطهر قلوبنا دائما وأبدا نغسلها ؛ ليس العبرة أن يقوم الإنسان يصلي أو أن يصوم إذا كان قلبه خاربا أو خربا ؛ لأن كل إنسان يستطيع أن يصلي أحسن صلاة وإلا لا ؟ لأنه عمل جوارح كل إنسان يستطيع أن يصلي عمل جوارح لكن الكلام على عمل القلب . أسأل الله أن يطهر قلوبنا جميعا .؛ الكلام على عمل القلب ، احرصوا بارك الله فيكم على ملاحظة القلوب وإصلاحها وإخراج النفاق منها وإخراج الشك وإبعاده وإخراج الحسد والغل والحقد على المسلمين؛ لأن كل هذه من خصال اليهود، أحسد الناس وأشدهم غلا اليهود؛ ترضى أن يكون في قلبك خلق من أخلاق اليهود ؟ لا أحد يرضى بهذا؛ الحسد من أخلاق اليهود هل ترضى بذلك ما ترضى؛ النفاق من أخلاق المنافقين ما أحد يرضى بذلك أن يكون منافقا؛ فالمهم احرصوا حرصا شديدا على إصلاح القلوب ؛ لما جيء بالرجل كان يشرب في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام ويكرر شرب الخمر فدعا عليه رجل من الصحابة سبه وقال ما أكثر ما يؤتى به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليعاقبه على شرب الخمر؛ فقال: أما علمت أنه يحب الله ورسوله ؟ سبحان والله شف طهارة قلبه نفسه الأمارة بالسوء تهدوه إلى أن يشرب الخمر لكن قلبه مملوء بمحبة الله ورسوله ؛ فالمدار كله على القلب؛ ولذلك يجب علينا أن نحرص حرصا كثيرا على صلاح القلب؛ لأن هذا يوجب حسن الخاتمة؛ ولهذا قال الله تعالى: ((**ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون**)) . ومن فوائد هذه الآية: أن الإسلام يدخل فيه الإيمان عند الإطلاق وهو كذلك ، الإسلام يدخل فيه الإيمان عند الإطلاق؛ والدليل قول النبي عليه الصلاة والسلام: (**ومن توفيته منا فتوفه على الإيمان**) فالإسلام عند الإطلاق يدخل فيه الإيمان؛ وأما عند الجمع فالإسلام عمل الجوارح والإيمان عمل القلب كما قال بعض السلف: الإيمان سر والإسلام علانية . فإن قال قائل: ما تقولون في قوله تعالى: ((**فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين**)) فهذا ظاهره أن الإيمان والإسلام شيء واحد مع أنهما ذكرا جميعا في موضع واحد ؟ فالجواب أن يقال: البيت لم يخرج كلها إن الذي خرج المؤمنون من أهل البيت والقصة في لوط امرأته كافرة لم يخرج بها لكنها في البيت مسلمة لم تظهر أنها كافرة والدليل على أنها لم تظهر أنها كافرة أن الله تعالى قال: ((**ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما**)) فهي لم تظهر أنها كافرة؛ فالبيت بيت إسلام ؛ ولهذا قال: ((**غير بيت من المسلمين**)) لكن الإيمان ليس لأهل البيت كلهم ولهذا بقيت الزوجة وخرج الأهل ؛ فالقاعدة على كل حال الآن القاعدة الصحيحة أن الإسلام والإيمان يكونان مترادفين ويكونا متباينين؛ متى يكونان مترادفين ؟ إذا افترقا؛ ويكونا متباينين ؟ إذا اجتمعا نعم . ((**قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولن قولوا أسلمنا**)) وهذا واضح على أن

هناك فرقا بين الإيمان والإسلام . ثم قال الله تعالى: ((**واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا**)) من فوائد هذه الآية الكريمة: وجوب الاجتماع على شرع الله؛ لقوله: ((**جميعا**)) . ومن فوائدها: وجوب الحاكم إلى شرع الله؛ لأن الاعتصام به يقتضي أن يكون هو المحكم . ومن فوائد الآية الكريمة: أن الاجتماع عصمة؛ لقوله: ((**اعتصموا**)) فاجتماع الأمة الإسلامية عصمة لها، عصمة لها داخليا وعصمة لها خارجيا ؛ أما خارجيا فإن الأمة الإسلامية إذا اجتمعت هابها الأعداء ورأوا أنها أمامهم كالجبال السم التي لا يستطيعون لها صعودا؛ وإذا تفرقت تمزقت فدخل الأعداء؛ أيضا عصمة داخلية لأنهم إذا اجتمعوا على شرع الله تآمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر ودعوا إلى الخير وصاروا أمة واحدة؛ كل إنسان يخشى الله في أخيه لا يعتدي عليه لا على ماله ولا على عرضه ولا على دمه؛ لماذا؟ لأنهم أمة واحدة جميع؛ ففي الاجتماع عصمة في الداخل وعصمة في الخارج . ومن فوائدها: تحريم التفرق ؛ ولكن ما معنى التفرق هنا ؟ التفرق في الأقوال أو في الأبدان أو في القلوب ؟ في القلوب؛ المدار على التفرق في القلوب ؛ في الأبدان ضروري أن يتفرق الناس كل الآن في بيته؛ في الأقوال أيضا يتفرقون؛ وما أكثر أهل الخلاف بين أهل العلم قديما وحديثا في المسائل العلمية؛ لكن في القلوب هو الذي يجب على المسلمين أن يبعدوا التفرق بينهم في القلوب؛ لأنه هو الذي عليه المدار ؛ ولهذا قال الرسول عليه الصلاة والسلام: (**لا تختلفوا فتختلف قلوبكم**) فالمدار على القلوب ؛ إذا يحرم في هذه الآية دليل على تحريم التفرق في القلوب حتى لو تفرقت الأبدان أو تفرقت الأقوال فالقلوب أيش؟ لا تتفرق ؛ وما أكثر ما نعرض عليكم اختلاف الصحابة رضي الله عنهم في الاجتهاد المؤدي إلى التفرق في الأقوال لكن القلوب واحدة، القلوب واحدة ما تتفرق ولا يكره بعضهم بعضا إذا خالفه في الرأي ؛ بل إني أقول لكم كما قلت سابقا: إنه ينبغي للإنسان العاقل أنه إذا خالفه أخوه في رأيه بمقتضى الدليل عنده أن يكون ذلك أدعى إلى قوة المحبة له ؛ لماذا ؟ لأنه خالفه للدليل والثاني أيضا خالفه للدليل فكان ينبغي عليه أن تكون محبته أقوى ؛ لأن الرجل لم يحابني في ذات الله وإنما قدم محبة الله وأنا حينما أخالفه تقديما لأيش؟ لمحبة الله عزوجل؛ فالإنسان العاقل المؤمن هو الذي لا يزيد مخالفة أخيه له في الرأي المخالفة المبنية على الاجتهاد إلا محبة له وتمسكا به خلافا لما يفعل بعض الناس الآن ومع الأسف أنهم طلبة علم إذا خالفه أخوه في الرأي مع أنه لا يعلم الصواب عنده أو عند أخيه أبغضه وكرهه وهاجره وربما يلاقيه فاسق فيسلم عليه ويلاقيه أخوه الذي خالفه في الرأي ولا يسلم عليه؛ وما ذاك إلا من الشيطان ، الشيطان هو الذي يريد أن يوقع العداوة بين المسلمين ولا سيما بين طلبة العلم حتى ينبذ بعضهم بعضها لأن الشيطان يعلم أن الشريعة ما تقوم إلا بالعلم والعلماء؛ فإذا تنابذوا فيما بينهم وتقاطعوا فيما بينهم وصار بعضهم يكره بعضهم بعضها حينئذ على الشريعة السلام أو نقول انهدمت الشريعة ؟ الثاني ؛ إذا قلنا عليه السلام معناه سلمت وهي لم

تسلم؛ لكن الناس يلقون عليه السلام كناية على التوديع والذهاب . ومن فوائد هذه الآية الكريمة : وجوب تذكر نعمة الله؛ وهذه مسألة مهمة لأن الغفلة عن تذكر النعمة يستلزم التذكر عن الشكر؛ صح؟ والشرك واجب ((**فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون**)) فالغفلة عن تذكر النعمة موجب أو مستلزم للغفلة عن الشكر، بحيث إن الإنسان لا يعترف بنعمة الله يجب أن تتذكر نعمة الله عليه كل شيء في الأمور الدينية، في الأمور الدنيوية ؛ المالية والجاهية والخلقية والأهل كل شيء مثلا اذكر نعمة الله عليك بالعلم لأنك تعرف أن في الناس من هو جاهل لا تقل والله إنعام الله على شيخ الإسلام ابن تيمية أكبر مما أنعمت علي؛ لا، قل نعمة الله علي أكبر من نعمة على من هو دوني في العلم؛ طيب اذكر نعمة الله عليك في الصحة فإن من الناس بل إن كثيرا من الناس يعن من المرض وأنت في صحة اذكر هذه النعمة حتى لو فيك مرض في عضو من أعضائك أو عيب في عضو من أعضائك فاذكر من هو أشد؛ من هو مريض بعضوين ومعيب بعيبين؛ أيضا اذكر بنعمة الله عليك بالدين إذا أنعم الله عليك بالدين هذا أكبر نعمة لأنه هو الربح في الدنيا والآخرة؛ اذكر نعمة الله عليك في الدين في مقابلة من ؟ الكفار، هذا في أصل الإيمان؛ ثم اذكر نعمة الله عليك بالثبات على الإسلام وتطبق أحكام الإسلام، حيث إنه يوجد من هو مسلم ولكن مخالف عاصي عنده فسوق ؛ إذا ذكر نعمة الله عليه علينا واجب حتى نعرف قدر نعمة الله ونشرك ربنا سبحانه وتعالى على نعمه التي حرم منها كثير من الناس . ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن من أكبر نعمة الله على أمة أن يؤلف بين قلوبهم؛ لقوله: ((**نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم**)) ولاشك أن هذا من أكبر نعمة أن يؤلف الله بين القلوب ويجمع بينها؛ لأنه إذا تفرقت القلوب فسد كل شيء؛ فتأليف القلوب من أكبر نعمة الله سبحانه وتعالى على الامة ومن تحتها القبيلة ومن تحتها الأخوة؛ فإذا ألف الله تعالى بين القلوب ابدأ من الأولاد والآباء إلى ما شاء الله؛ فهذه من أكبر النعم؛ أما إذا تعادت القلوب فبئس المجتمع مجتمع تعادت قلوبه وتنافرت؛ وقد ذكر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بهذه النعمة فقال تعالى: ((**هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم**)) لو كل الذي في الأرض تنفقه من ذهب وفضة وثمار وزروع ومواشي وغيرها لو أنفقته عليهم ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم؛ إذا نقول إن من أكبر نعم الله على الأمة أيش؟ التأليف بين القلوب . ومن فوائد هذه الآية: أن نتيجة التأليف أن يصبح الناس إخوانا، أن يصبحوا إخوانا كالأخ مع أخيه تماما؛ بل قلت لكم إن الرابطة الدينية أقوى من رابط النسبية . ومن فوائد الآية الكريمة: أنك إذا رأيت الناس متفرقين فإن ذلك عنوان على شقائهم وأن النعمة سلبت منهم؛ صح ؟ لأن الله قال: ((**فأصبحتم بنعمته إخوانا**)) فإذا لم تتحقق الأخوة والتأليف بين القلوب فإن ذلك دليل على أن النعمة سلبت منهم ،

النعمة في ذلك الأمر سلبت منهم . ومن فوائد الآية الكريمة: منة الله سبحانه وتعالى على الصحابة بالذات حيث ألف بين قلوبهم بعد أن كانوا أعداء فأصبحوا إخوانا رضي الله عنهم وهم الذين طبقوا مقتضى الأخوة الحقيقية الصادقة التي بنيت على الإيمان ، بنيت على الإيمان لا الأخوة المبنية على القومية أو الوطنية ؛ الأخوة المبنية على القومية أو الوطنية هذه أخوة فاشلة باطلة ولا أدل على فشلها مما عليها العرب اليوم حيث يعتزون بماذا ؟ بالقومية العربية ومع ذلك فشلوا ، فشلوا فشلا ؛ وكذلك الوطنية ، اعتزاز الإنسان بوطنه فشل ؛ لا يمكن أن يكون هناك أخوة إلا بأيش ؟ بالدين ، بالإيمان والإسلام ؛ الأنصار من الأوس والخزرج والعرب طائفة أخرى مقابلة هؤلاء قحطانيون وهؤلاء عدنانيون مع ذلك اجتمعوا على قلب واحد؛ بل جاءهم أناس من غيرهم جاء صهيب من الروم وسلمان من فارس وبلال من الحبشة وصاروا إخوانا ، صاروا إخوانا لهؤلاء ؛ إذا نقول: إن الأخوة الحقيقة هي الأخوة الإيمان ولن يقوم للعرب قائمة حتى يرجعوا إلى الأخوة الإيمانية وإلا فهم فاشلون مهما كان ولا يمكن أن يصعدوا بظفر أو نصر ماداموا بالقومية وما أشبهها . من فوائد الآية الكريمة: منة الله سبحانه وتعالى على أهل الخطاب الذين خوطبوا بهذه الآيات ، حيث كانوا على شفا حفرة من النار فأنقذهم منها يعني أن الله بعث فيهم محمدا صلى الله عليه وسلم فاهتدوا به قبل أن يموتوا ؛ وإذا كان هذا نعمة على هؤلاء فهو أيضا نعمة على من بعدهم إلى يوم القيمة ؛ فأكبر نعمة ينعم الله بها على الإنسان أن ينقذه من النار . ومن فوائد هذه الآية الكريمة: إثبات العقوبة بالنار؛ لقوله: ((**وكنتم على شفا حفرة من النار**)) . ومن فوائد الآية الكريمة: أن الله سبحانه وتعالى خالق لعمل العبد ، إن الله خالق لعمل العبد؛ من أين تؤخذ ؟ من قوله: ((**فأنقذكم**)) لأن الله أنقذهم بعملهم فأضاف هذا الإنقاذ المبني على العمل إلى نفسهم وهو كذلك وهذا مذهب أهل السنة والجماعة أن الله تعالى خالق العبد وخالق عمل العبد؛ فالعبد ليس مستقلا بل هو مخلوق في ذاته وفي إرادته وفي عمله ((**والله خلقكم وما تعملون**)) أي وعملكم على قول أو والذي تعملونه على قول آخر ؛ وإذا خلق المعمول فهو خالق للعمل لأن المعمول نتيجة العمل ؛ فالنتيجة دالة على أن الله خالق لأعمال العباد سواء جعلت ما مصدرية أو موصولة .

السائل : بين مسئولية طالب العلم فالمشايخ توصل بتأصيل هذه القاعدة بأن الأخوة الأصل فيها أخوة الدين ليست فيها أخوة القومية ولا شعوبية ولا أخر لكن مع الأسف الشديد الآن في الآونة يعني في الوقت الحاضر خصوصا بأن الأخوة السياسية هي التي تفرض هذه القواعد الآن ؛ نجد الآن التباغض وصل بين شعوب المنطقة مثلا الكويتي يطرح الفلسطيني أو السعودي يكره اليمني يكره السوداني فكيف هذه ؟

الشيخ : الواجب بارك الله فيكم هذه المسألة تحتاج إلى وقت طويل لكن نذكر منها ما شاء الله؛ الواجب أن لا تتعلق الشعوب بحكام ؛ الحكام أناس يحرصون على كراسيهم وأن لا فالشعوب يجب أن يسيروا على نهج الله سواء سار عليه الحكام أم لم يسيروا ولا يجوز أبدا أن نتبع السياسة لأن السياسة تكفر شخصا اليوم وتجعله من أقوى الناس إيمانا في يوم آخر أو بالعكس ؛ بل أبلغ من ذلك أنا أذكر أن دولة من الدول كان إذا ثبت الهلال في دولة أخرى حكمت بدخول الشهر بناء على رؤية الدولة هذه ؛ فلما سعت العلاقات قالوا ما يمكن لكل بلد رؤيته؛ هؤلاء لو يعطوننا القمر بأيدينا ما قبلنا؛ هذا لا يجوز أنا أرى أن الشعوب يجب أن تسير على منهج الله سواء سارت الحكام أم لم يسيروا وما لنا وللسياسة ؛ ولابد يوم من الأيام سيكون الحق إن شاء الله هو السائد وستذهب هذه العنصرية بين الساسة الذين ليس لهم هم في أكثر ساسة العرب اليوم إلا أن يحافظوا على مناصبهم ؛ ولذا تجدهم يعلن الأشياء هم منها بريئون ولكن بس يريدون بها الدعاية وإلا فهم أبعد الناس عن تحقيق ما يقولونه؛ بل ربما صرحوا تصريحا بينا بأنهم لا يريدون هذا الذي يدعونه اليوم كل ذلك من أجل كسب الغوغاء كما أن على الناس أيضا أن لا ينصاعوا وراء الشعارات والدعايات والعواطف ؛ ينظروا بعين العقل لا بعين البصر ؛ لأن بعض الناس عنده بصر ولا عنده بصيرة ، عنده سمع وليس عنده عقل ؛ فالواجب أن لا تنصر بعين البصر بل بعين البصيرة ولا تنظر بسمع الأذن بل بسمع العقل وإلا فإن السياسة سوف تشتاحك ولا تدري؛ كل يوم يكون لك رأي كل يوم يكون لك مطبوع ؛ فأنا أرى أن الشعوب يجب أن يكونوا كما هم، مسلمون إخوة سواء كانوا من السعوديين أو يمنيين أو عراقيين أو الشاميين أو الفلسطينيين أو المصريين أو السودانيين أو من أي شاء حتى لو يجينا واحد من أمريكا وهو مسلم فهو أخونا لأن الرابطة التي يجب أن تكون بين الشعوب هي الإسلام هذه هي الرابطة ؛ أما أهواء حكامهم فهذه إليهم ما علينا ؛ يمشون ونحن نمشي في خط معاكس إذا كانوا ليسوا على شريعة الله .

السائل : شيخ بارك الله فيك؛ رجل أتي إلى النبي صلى الله عليه وسلم وكان يشرب الخمر فقال صلى الله عليه وسلم: إنه يحب الله ورسوله ؛ فكيف يشرب الخمر مع حبه لله وهو يأمر بتركها كيف التوفيق ؟

الشيخ : التوفيق بسيط لأنه المحبة مع قوة الدافع ينساها الإنسان ولعل هذا قد اعتاد الخمر اعتيادا لم يتمكن من الإخلاء عنه في أول الأمر لأن مراتب الخمر في التحريم كما هو معروف أربع مراتب : التحليل ثم التعريض ثم التحريم في أوقات الصلاة ثم التحريم مطلقا .

السائل : شيخ ما رأيكم في بعض الشباب يكون في أول حياته مرتكبا لبعض المعاصي ثم بعد أن من الله عليهم بالتوبة يجلس في المجالس يتذكر التي عصوا الله تعالى حتى تكون عبرة لغيرهم حتى يعتبرون ؟

الشيخ : يعني يذكرها للناس ؟

السائل : أي نعم .

الشيخ : لا لا، أبدا ما يجوز؛

السائل : لا، يذكر قصة توبتهم ؟

الشيخ : لا، توبتهم لا أدري لكن على كل حال المعاصي التي ذكرها لا يقولها؛ إن أراد أن يذكرها في قصة رجل كان يفعل كذا وكان يفعل كذا فمن الله عليه بالهداية هذا طيب أما أن يذكرها كحديث حاصل له هذا هتك لستر الله عليك .

((**ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم**)) . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم؛ قال الله عز وجل: ((**ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون**)) أظن ما سبق انتهى الكلام عليه؟ بقيت الفوائد؛ فوائده ؟ أخذنا إلى قوله: ((**ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون**)) . قال الله عز وجل: ((**كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون**)) من فوائد هذه الآية: أن الله عز وجل بين لنا الآيات الكونية والشرعية ؛ وجه هذا أن آيات جمع المضاف، والجمع المضاف يفيد العموم؛ وبيان آيات الكونية ظاهرة، بيان آيات الكونية ظاهرة: الشمس والقمر والنجوم والجبال والبحار والأنهار وغير ذلك؛ والشرعية كذلك ظاهرة لم فتح الله عليه معرفة ما أنزل الله على رسله عزوجل؛ ثم الآيات الكونية بيانها ليس مجرد أن تعرف أن هذه الآية لا يقدر على خلقها وتصريفها إلا الله فقط لكن أن تستدل على السنن الماضية على السنن الحاضرة، مثلا: إهلاك الله الأمم السابقين نستدل به على أن سنة الله في الخلق واحدة؛ فالذي أهلك الأمم السابقة بذنوبهم يهلك هذه الأمة أيضا بذنوبهم كما قال الله تعالى: ((**أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها**)) ومن فوائد هذه الآية: الرد على أهل البدع الذين حرفوا نصوص الكتاب والسنة إلى معان لا يدل عليه ظاهرها؛ ووجه ذلك أننا إذا قلنا إن المراد بهذه الآيات والأحاديث خلاف الظاهر بدون بيان من الله ورسوله صارت هذه الآيات

مبنية أو مبهمة ؟ مبهمة؛ أنتم تقولون لأني هو الذي أريده لأنه الذي أنا أريد أو قد تبين لكم تماما ؟ يعني مثلا إذا قالوا المراد باستواء الله على عرشه استلائه عليه بدون بيان من الله ورسوله؛ نقول طيب كون الله يعبر باستوى على العرش بدل استولى هذا بيان وإلا إيهام ؟ هذا إيهام ؛ إذا قالوا المراد باليد النعمة والقوة؛ قلنا: سبحان الله كيف يعبر الله باليد عن النعمة والقوة وهو يريد النعمة والقوة بدون بيان؛ ما هذا إلا إيهام؛ فالمهم أنه على طريقة ومنهاج أهل البدع وغيرهم ممن يحرفون الكلم عن مواضعه بدون بيان من الله ورسوله يكون القرآن ليس هدى ولا بيانا للناس وكذلك السنة وهو خلاف هذه الآية وغيرها . ومن فوائد الآية الكريمة: محبة الله عزوجل لهداية الخلق؛ لأنه يبين ليهتدي الناس؛ إذا فهو يحب من العباد أن يهتدوا . ومن فوائد هذه الآية الكريمة: إثبات العلل في أفعال الله؛ من أين تؤخذ؟ من قوله: ((**لعلكم**)) لأن لعل للتعليل؛ والحكمة من مقتضى كمال الله عزوجل؛ لأنه لو لا الحكمة لكانت أحكامه عبثا، الأحكام الكونية والشرعية كما قال الله تعالى: ((**وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما إلا بالحق**)) ؛ إذا فإنكار الحكمة طعن عظيم في الله عزوجل؛ والذين يقولون إن الله ليس له حكمة . والعياذ بالله . وإنما فعله وأمره بمجرد المشيئة، شاء أن يكون هذا فكان، شاء أن يأمر بهذا فأمر، شاء أن ينهى عن هذا فنهى؛ هؤلاء طعنوا في الله أيما طعن؛ لأنه أصبح فعله مجردا عن الحكمة ؛ وإذا تجرد عن الحكمة ما بقي إلا أن يكون سفها؛ والله عزوجل منزه عن ذلك . ثم قال الله عز وجل: ((**ولتكن منكم أمة**)) وهذا مبتداء درس اليوم؛ ((**ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير**)) المناقشة نحن ناقشنا فيها وإلا لا؟ ناقشنا فيها طيب. قال: ((**ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير**)) اللام في قوله: ((**ولتكن**)) لام الأمر؛ ودليل ذلك جزم الفعل بها ((**ولتكن**)) ولام الأمر تجزم الفعل المضارع؛ ((**ولتكن منكم أمة**)) أمة طائفة يدعون إلى الخير؛ والأمة في القرآن الكريمة وردت على معان متعددة منها الطائفة ومنها الزمن ومنها الإمامة ومنها الملة؛ فمثالها في الطائفة هذه الآية

ثم قال الله عز وجل: ((**ولتكن منكم أمة**)) وهذا مبتدأ درس اليوم ؛ ((**ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير**)) المناقشة نحن ناقشنا فيها وإلا لا؟ ناقشنا فيها طيب . قال: ((**ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير**)) اللام في قوله: ((**ولتكن**)) لام الأمر ؛ ودليل ذلك جزم الفعل بها ((**ولتكن**)) ولام الأمر تجزم الفعل المضارع ؛ ((**ولتكن منكم أمة**)) أمة طائفة يدعون إلى الخير ؛ والأمة في القرآن الكريمة وردت على معان متعددة منها الطائفة ومنها الزمن ومنها الإمامة ومنها الملة ؛ فمثالها في الطائفة هذه الآية ((**ولتكن منكم أمة**)) ؛ ومثالها في الملة قوله تعالى: ((**إنا وجدنا على أمة**)) أي على ملة؛ ومثالها في الإمامة : ((**إن إبراهيم كان أمة**)) ؛ ومثالها في الزمن: ((**وادكر بعد أمة**)) أي بعد زمن . وقوله: ((**ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير**)) منكم من يحتمل أن تكون للتبعيض ويحتمل أن تكون لبيان الجنس ؛ فعلى الأول يكون المعنى : وليكن بعضكم يدعوا إلى الخير ؛ وعلى الثاني: ولتكونوا جميعا دعاة إلى الخير؛ لأننا إذا جعلناها لبيان الجنس صار المعنى أن كل الأمة يجب أن تكون من هذا الطراز يعني وتكون أمة تدعون إلى الخير ؛ وإذا جعلناها للتبعيض صار المعنى : وليكن بعضكم يدعوا إلى الخير ؛ وسيأتي إن شاء الله في الفوائد ما يترتب على ذلك . قال: ((**يدعون إلى الخير**)) يدعون من ؟ المفعول محذوف ؛ فهل المراد يدعون أنفسهم أو يدعون غيرهم من الأقارب أو غيرهم من المسلمين أو غيرهم من جميع الناس ؟ يشمل ؛ يدعون إلى الخير كل من تتوجه الدعوة إليه أي إنسان تتوجه الدعوة إليه فيدعوه ؛ وهل يدعون الجن ؟ نعم يدعون الجن ؛ ولهذا كان المفعول محذوفا من أجل العموم ؛ ((**يدعون إلى الخير**)) والخير كل ما جاء به الشرع فهو خير ؛ ويشمل ما كان خيرا في الدين وما كان خيرا في الدنيا ؛ أما ما كان خيرا في الدين فأمره ظاهر ((**فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره**)) وأما ما كان من أمر الدنيا فلأن ما كان من مصالح الدنيا التي لا تعارض الدين فهو من الأمور الخيرية المطلوبة ؛ فيكون الخير هنا يشمل خير الدين وخير الدنيا ؛ فمثلا يدعون إلى فعل الطاعات : صل، زكي، صم ، حج ، بر والديك ، صل أرحامك ، انصح في البيع والشراء ، بين، وما أشبه ذلك كل هذا دعوة في الخير ؛ لا تزني ، لا تسرق ، لا تشرب الخمر ، لا تقتل النفس بغير حق ، لا تعق والديك، لا تقطع أرحامك ، لا تغش الناس ، هذا أيضا دعوة إلى الخير لأن هذا طلب كف ، النهي طلب كف؛ فهو في الحقيقة دعوة إلى الخير لأن ترك الشر خير . ثانيا: ((**ويأمرون بالمعروف**)) جعل أمر بالمعروف بعد الدعوة لأن الدعوة سابقة على الأمر ؛ فأنت تدعوا أولا ثم تأمر ثانيا ثم تغير ثالثا ؛ وهذا يلتبس على كثير من الطلبة ، يظنون أن الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتغيير المنكر شيء واحد وليس كذلك؛ فالدعوة إلى الخير عامة ؛ فالخطيب إذا خطب الناس في الجمعة وأمر ونهى يقال: داع إلى الخير ؛ الرجل إذا أمسك بك وقال: يا أخ صل اتق الله؛ يا أخي لا تغش الناس اتق الله

؛ فهذا أمر، أمر بالمعروف ونهي عن المنكر ؛ ولي الأمر إذا رأى آلة عز وكسرها ، هذا تغيير منكر ؛ ولكل درجات لكن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ((**يأمرون بالمعروف**)) وكلمة ((**يأمرون**)) تدل على أنهم يتكلمون مع الناس على وجه الاستعلاء لا على وجه العلو، يعني على وجه أنني آمر ، والآمر بالخير أعلى مرتبة من المأمور . وقوله: ((**يأمرون بالمعروف**)) ما هو المعروف ؟ المعروف كل ما عرفه الشرع وأقره من العبادات فعلا كانت أم تركا ، أو فعلا فقط ؟ فعلا لأنه قال: ((**وينهون عن المنكر**)) إذا فعلا لما جمع بينهما صار المراد بالمعروف كلما عرفه الشرع وأقره من العبادات المأمور بها؛ طيب إذا ما عرفه الشرع وأقره من أمر الطاعات هو المعروف ؛ فالأمر بالتوحيد أمر بمعروف ، الأمر باتباع السلف في العقيدة أمر بمعروف ، الأمر بالصلاة أمر بمعروف ، الأمر ببر الوالدين أمر بمعروف ، وهلم جرا ؛ هذا الأمر بالمعروف . قال: ((**وينهون عن المنكر**)) ((**ينهون**)) النهي طلب الكف على وجه الاستعلاء يعني يطلبون من الناس أن يكفوا عن المنكر ؛ وما هو المنكر ؟ المنكر ما أنكره الشرع ، ما أنكره الشرع من الأعمال والأخلاق فهو أيش؟ فهو منكر ؛ طيب الزنا ، السرقة ، شرب الخمر ، قتل النفس ، العدوان على الناس بأخذ أموالهم، انتهاك أعراضهم كل هذه منكرات ؛ فهم ينهون عن المنكر . ((**وأولئك هم المفلحون**)) أولئك المشار إليه الأمة الداعية إلى الخير الآمرة بالمعروف والناهية عن المنكر؛ وهي مبتدأ أولئك ؛ وهم ضمير فصل لا محل له من الإعراب ؛ ومفلحون خبر المبتدأ . فلو قال قائل: لماذا لا تجعلون هم مبتدأ ثاني والمفلحون خبر المبتدأ الثاني والجملة خبر المبتدأ الأول ؟ قلنا: لا نقول ذلك؛ لأننا لو قلنا ذلك لفاتتنا فوائد ضمير الفصل ؛ ويدل لهذا يعني أننا لا نجعل ضمير الفصل لمبتدأ قوله تعالى : ((**لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين**)) ((**هم الغالبين**)) وجه الدلالة أنه لم يجعل ضمير الفصل مبتدأ ؛ لو جعل مبتدأ لقال: إن كانوا هم الغالبون ، حتى تكون الغالبون خبر لهم ؛ على كل حال ضمير الفصل حرف لا محل له من الإعراب لكن جاء على صفة ضمير الاسمي الضمير الاسم . ((**المفلحون**)) هم الناجون من الكربات الحاصلون على المطلوبات ؛ فالفلاح هو النجاة عن المكروبات أو من المكروهات والحصول على المطلوبات ؛ إذا ففيه أمران ؛ سلامة وكسب ؛ السلامة من أين ؟ من المرهوبات؛ والكسب للمطلوبات ؛ ولهذا تعتبر كلمة فلاح من أجمع الكلمات ؛ فالمفلح إذا الفائز بمطلوبه الناجي من مرهوبه هذا هو المفلح . في هذه الآية الكريمة؛ نقرأ الذي بعدها أحسن عشان نصل إلى .. قال: ((**ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم**)) نهى الله أن يكون كهؤلاء الذين جمعوا بين وصفين ذميمين : التفرق ، والاختلاف ؛ ورتب على هذا الجزاء المشين وهو قوله: ((**وأولئك هم عذاب أليم**)) قوله : ((**ولا تكونوا**

كالذين تفرقوا)) أي لا تكونوا مثل الذين ؛ وعلى هذا فنعرب الكاف هنا اسما لتكون خبر ((**تكونوا**)) تكونوا مثل الذين تفرقوا ؛ قال ابن مالك :

شبه بكاف و بها التعليل قد يعنى وزائدا لتوكيد ورد

واستعمل اسما

فالكاف هنا اسم بمعنى مثل وهي خبر ((**تكونوا**)) أو خبر ((**كالذين تفرقوا**)) أتى بها بعد قوله : ((**ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر**)) لأن الأمة إذا تركت هذا فلابد أن تتبرأ ، إذا تركت الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فلابد أن تتفرق ؛ لأنه لا يكون لهم في هذه الحال كلمة جامعة كل واحد يعمل على كيفه لأنه ما يدعى إلى الخير ؛ والنفوس لها نزاعات ، لها نزاعات متباينة مختلفة ؛ وكذلك إذا لم يكن أمر بمعروف ولا نهي عن منكر تفرق الناس ولابد ؛ لأن هذا يريد الزنا وهذا يشرب الخمر وهذا سرقة وهذا يريد أشياء غير الأولى ؛ فيحصل التفرق ؛ فإذا أمروا بالمعروف صاروا كلهم على المعروف وإذا نهوا عن المنكر صاروا كلهم على ترك المنكر . قال: ((**ولا تكونوا كالذين تفرقوا**)) مثل من ؟ ((**وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة**)) إذا أول ما نمثل بهم أهل الكتاب اليهود والنصارى اختلفوا اختلافا عظيما من بعد ما جاءتهم البينات فنهانا الله تعالى أن نكونوا مثلهم ولا تكونوا مثلهم ؛ في أي شيء؟ ننظر للوصف الذي نهينا أن نكون مثلهم فيه وهو التفرق والاختلاف ؛ إذا من بعد ما جاءتهم البينات ؛ إذا نهينا عن ذلك فهو أمر بضده، إذا نهينا عن التفرق والاختلاف فهو أمر بالاجتماع والائتلاف ؛ بالاجتماع ضد التفرق والائتلاف ضد الاختلاف ؛ كأن الله يقول: اجتمعوا وائتلفوا ولا يكون فيكم افتراق ولا اختلاف فتكونوا مثل اليهود والنصارى . قال تعالى: ((**وأولئك لهم عذاب عظيم**)) وأولئك ؛ اختلفوا من بعد ما جاءهم البينات؛ تفرقوا واختلفوا ؛ تفرقوا في أبدانهم ولم يجتمعوا وصاروا أحزابا واختلفوا في قلوبهم وفي مناهجهم فصار لكل حزب منهج معين يفرح به ولا يتزحزح عنه ويرى أن من سواه على ضلالة . قال: ((**وأولئك لهم عذاب عظيم**)) ((**أولئك**)) أشار إليهم بصيغة البعد لأن أولاء اسم إشارة للبعيد ؛ وذلك لانحطاط مرتبتهم يعني كأنهم لانحطاط مرتبتهم نزلهم المتكلم منزلة من البعيد منه ؛ لأنه يتبرأ منهم ومن أعمالهم ؛ ((**لهم عذاب عظيم**)) ((**لهم عذاب**)) العذاب هو العقوبة . والعياذ بالله . لأنه يؤلم صاحبه ويعذبه ؛ و ((**العظيم**)) هو الشيء المستعظم في كيفيته وفي كميته؛ في كيفيته وكميته لأن عذابهم . نسأل الله العافية . شديد ؛ متنوع وإلا غير متنوع ؟ متنوع ؛ ((**يسقون من ماء حميم**)) . والعياذ بالله . إلى برودة ؛ المهم إنها متنوعة؛ كذلك أيضا عظيم في دوامه مستمر أبدي

. نسأل الله العافية .. في هذه الآيات بل في هاتين الآيتين فوائد؛ في الأولى : وجوب الدعوة إلى الخير ؛ تؤخذ من أي شيء ؟ من لام الأمر ((**ولتكن**)) والأصل في الأمر الوجوب . ومن فوائدها: أن ذلك على الكفاية ؛ لقوله : ((**منكم**)) وهذا على القول بأن من للتبعيض ؛ أما إذا قيل: إن من لبيان الجنس فإنه يدل على أنه يجب على الأمة كلها أن تكون أمة داعية إلى الخير بمعنى أنه لا ينتظر بعضهم بعضا هل يأمر أو لا يأمر؛ بل كلهم يكونون مستعدين لذلك كلهم دعاة ؛ فمثلا إذا قيل لشخص قم فادع إلى الخير ؛ قال والله فيه فلان يدعوا إلى الخير فيه كفاية ؛ هذا لا ينبغي ، كل ينبغي أن يدعوا إلى الخير ما استطاع ؛ لأن الله قال: ((**ولتكن منكم أمة**)) تكون أمة بمجموعها تدعوا إلى الخير . ومن فوائد الآية الكريمة: ملاحظة الإخلاص؛ لقوله : ((**يدعون إلى الخير**)) لا إلى أنفسهم لأن بعض الناس يدعوا إلى نسفه وبعض الناس يدعوا إلى الخير ؛ وعلامة الداعي إلى نفسه أنه لا يريد من الناس أن يخالفه ولو كان على خطأ، لا يريد من الناس أن يخالفه ولو كان على خطأ ؛ وهذا لاشك أنه داع إلى نفسه ؛ ثانيا من علامة ذلك أنه يكره أن يقوم غيره بذلك أي بالدعوة إلى الخير، يريد أن يستبد به من بين سائر الناس ؛ هذا أيضا داع إلى نفسه ليصرف وجوه الناس إليه . نسأل الله الحماية والعافية .؛ أما إذا كان يود أن يقوم هو بالأمر لينال الأجر لا ليحرم غيره أو ليصرف الناس إلى نفسه فهذا ليس عليه شيء؛ لأنه كل واحد يحب أن يكون داعية للخير . ومن فوائد هذه الآية: أن اتباع الخير في كل شيء مطلوب للشرع ؛ والخير قسمان : خير بنفسه ؛ وخير لغيره ؛ يعني خير يكون وسيلة لغيره ؛ فمثلا لو أنك سألت شخصا عن الماجريات اليومية من أجل إدخال السرور عليه وإلا أنت ما تستفيد من هذا ؛ فهل هذا من الخير ؟ أسألكم هل من الخير أو لا ؟

الطالب : نعم ؛

الشيخ : طيب لنفسه أو لغيره ؟ لغيره ، لأني أنا لا أستفيد من هذا وهو ربما لا يستفيد ؛ لكن أريد أن أدخل السرور عليه؛ ومن ثم صار الناس يتساءلون هل يسن للإنسان أن يتحدث على الأكل أو لا يسن ؟ نقول ينظر ، إن كان الإنسان يتحدث ليشغلهم عن الأكل فهذا حسن وإلا غير حسن؟ هذا غير حسن، خلوهم يأكلون ؛ وإن كان يتحدث من أجل أن يشحد نفوسهم على الأكل حتى ينبسطوا ويستأنسوا ويأكلوا فهذا خير وإلا ما هو بخير ؟ خير لغيره بشرط أن يكون الأكل بالقدر الشرعي ، القدر الشرعي بينه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: (**حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفثه**) ؛ طيب على كل حال أنا قصدي أن الخير لغيره يختلف . طيب لو أراد الإنسان أن يتوصل إلى خير بشر يعني معناه أنه يصانع إنسانا بمعصية يقول لا ليهتدي ، لعله يهتدي مثل أن يبدأ يغتاب زيدا أو عمروا ليتقرب إلى هذا

الرجل؛ فهل هذا جائز ؟ لا ليس بجائز ؛ لا يمكن أن يكون الدعوة إلى الخير بوسيلة محرمة إطلاقا لأن الوسيلة المحرمة خبث في ذاتها كيف تكون وسيلة إلى خير؛ لكن إذا كان من المباح صار خيرا لغيره وإن كان هو بنفسه أيضا خيرا صار خيرا على خير . ومن فوائد هذه الآية : وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؛ لقوله: ((**ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر**)) ؛ ولكن هل هو فرض كفاية أو فرض عين ؟ ينبني على الخلاف في من هل هي للتبعيضية أو لا؛ ولكن لاشك أننا إذا رأينا منكرا وجب علينا أن ننكر أن ننهى عنه ؛ لكن لا يجب على كل واحد أن ينهى عن منكر معين مثل لو أن شخصا اغتاب عندنا ونحن عشرة هل نقول : كلنا نأمر بالمعروف وننهى عنه ؟ أو إذا نهى واحد وحصلت به الكفاية كفى ؟ إذا نهى واحد وحصلت به الكفاية كفى ؛ لكن لو أنه نهاه ولم ينته وجب على الآخرين أن يكونوا معه ؛ وهذا عكس ما يفعله الآن بعض الناس . نسأل الله العافية . إذا نهى الناهي عن المنكر قاموا ضده، قاموا ضده؛ هؤلاء يخشى عليهم أن تطبع الله على قلوبهم لأنهم خذلوا من يجب نصره وهذا خطر عظيم جدا . ومن فوائد الآية الكريمة: أنه لابد من العلم يعني الحث على العلم، الحث على العلم كيف ذلك؟ لأنه لا يمكن أن يدعوا إلى الخير من لا يعلم الخير؛ ولا يمكن أن يأمر بالمعروف من لا يعرف المعروف ولا يمكن أن ينهى عن المنكر من لا يعرف المنكر؛ فلابد من العلم؛ فيستفاد من هذه الآية الكريمة: الحث على العلم لأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب . الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يشترط فيه؛ أولا العلم بالشرع والعلم بالحال، يعني العلم بالشرع وبالحال ؛ العلم بالشرع بأن أعرف أن هذا مما أمر الله به حتى آمر به ؛ أما إذا كنت لا أدري هل هو مأمور به أو لا فلا يحل لي أن آمر به ؛ لأن الله يقول : ((**قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون**)) ؛ ويقول الله عز وجل: ((**ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا**)) . العلم بالحال بأن أعلم بأن هذا الرجل ترك المعروف أو فعل المنكر؛ أما أن آمره بالمعروف وأنا لا أدري هل هو فعله أو لا فهذا لا يجوز لأن هذا من قفو ما ليس لي به علم ؛ وكذلك لو نهيته عن منكر وأنا لا أدري هل هو ارتكب المنكر أو لا؛ فإن ذلك لا يجوز لأنه من قفو ما ليس به علم ؛ مثال ذلك : دخل رجل المسجد فجلس وأنا ما رأيته من حين دخل فهل أقول له : قم فصل ركعتين أو أسأله هل صلى أو لم يصل ؟

الطالب : الثاني ،

الشيخ : الثاني لأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يخطب يوم الجمعة فدخل رجل فجلس فقال: أصليت ؟ قال: لا؛ قال: (**قم فصل**) ولم يأمره فيقول: قم صل لأيش تجلس؛ هذا أمر بمعروف؛ والنهي عن المنكر وجدت شخصا يمشي وإلى جانبه امرأة ؛ قلت يا أخي اتق الله كيف تمشي مع المرأة ؛ ويش تقولون في هذا ؟ هذا لا يجوز ؛ لأنه من الممكن أن هذه المرأة من محارمه ؛ فكيف تنهى عن شيء على أنه منكر وأنت لا تعلم أنه منكر ؛ إذا لابد من العلم بالحال ، حال المأمور وحال المنهي ؛ كما أنه لابد من العلم بأيش ؟ بالشرع ، أن أعلم بأن هذا من المعروف الذي أمر به الشرع أو من المنكر الذي نهى عنه الشرع ؛ هذان شرطان وإن شاء الله يأتي بقية الشروط .

السائل : في قوله تعالى: ((**ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير** ...)) قلنا إن من هي للتبعيض أو للجنس هو ضابط الجنسية ؟

الشيخ : نعم ؛ ضابطها أن تكون مبينة، مبينة لجنس هذا الشيء .

الشيخ : لا لا، ما هو لازم ؛ إذا قلت مثلا: الإنسان من تراب ؛ هذه من جنس ، من تراب يعني بعض التراب ما هو كل التراب هذه مثله، منكم يحتمل أن يكون وليكن بعضكم أو المعنى ولتكون أمتكم هذه الأمة .

السائل : شيخ أحسن الله إليك ؛ قول الله عز وجل: ((**من بعد ما جاءهم البينات**)) ولم يقل : جاءتهم البينات ؟

الشيخ : اللغة العربية في مثل هذا التركيب تجيز هذا وهذا ؛ ولهذا جاءت الآية في موضع آخر: ((**من بعد ما جاءتهم البينات**)) فهذه جائز في اللغة العربية .

السائل : شيخ الناس جالسين كلهم حالقين لحيتهم وواحد طبعا عنده لحية وهو يريد أن يحلق لحيته ويمشي معهم أن ينصحهم في الأمور ؟

الشيخ : يعني يريد يحلق لحيته عشان يحبونه ؟

السائل : لا عشان ينكر أمور المحرمة ؟

الشيخ : ما يمكن ينكر عليهم حلق اللحية حتى يحلق لحيته ؟ ما يصير هذا ما يجوز .

السائل : شيخ هل يجوز الجلوس مع حالقين اللحية أو ما يجوز ؟

الشيخ : أيش ؟

السائل : حالقين اللحية يقول كيف يجلس معهم . . ؟

الشيخ : لا لا، يقول يريد أن ينهاهم عن حلق اللحية لكن يقول ما يقدر ينهاهم حتى يحلق لحيته؛ عشان يقول افعلوا ما تركته أنا ؟

السائل : لا، يفعلون مثلا يسمعون الأغاني ويسمعون أشياء ؛

الشيخ : لا لا ما يصح أبدا، أنا لا أرى الدعوة بالمحرم إطلاقا أبدا .

الشيخ : نعم أحمد ؟

السائل : بنسبة لقوله تعالى: ((**ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا**))

ما وصلنا فوائد هذه الآية ؛ نعم يا فهد ؟

السائل : شيخ هل مقولة: يعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه ويعين بعضنا بعضا فيما اتفقنا فيه هل لهذه الجملة أصلا ؟

الشيخ : هذا غلط، هذه غلط في الجملتين جميعا ؛ أما الجملة الأولى يعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه فهي كقول بعض الفقهاء: لا إنكار في مسائل الاجتهاد ؛ لأن هذه العبارة معروفة عند الفقهاء، لا إنكار في مسائل الاجتهاد؛ وهذا على إطلاقه ليس بصحيح ؛ فما اختلفنا فيه إن كان الحق لم يتبين فيه تبينا لا يعذر فيه المخالف فهنا نعم نعذرك لأنه له رأي ولنا رأي ؛ أما إذا كان الحق واضحا فإن من خالفنا لا نعذرهم في ذلك ؛ فهي على إطلاقها غير صحيحة .

وأما الثانية وهي قوله : يعين بعضنا بعضا فيما اتفقنا هذا غير صحيح أيضا لأننا لو اتفقنا على باطل ما حل أن يعين بعضنا بعضا ؛ لو وجب أن يعين بعضنا بعضا عن هذا الباطل فهو أيضا على إطلاقه لا يصح ؛ لكن لعل الذي قاله يقصد ما ليس بباطل ولا يخالف الشريعة ؛ لكن الجملة الأولى دخل فيها أناس عندهم انحراف في العقيدة وفي المنهج لكن الإسلام يسعهم وقالوا نحن يجب أن نستظل بظل الإسلام وإن اختلفتم ولذا تجدهم

يدخلون في حزبهم ، يدخلون الفاسق ، حالق اللحية ، شارب الدخان ، المتهاون بالصلاة ، وما أشبه ذلك وهذه مشكلة ، هذه مشكلة يعني هذا خطأ والطريق الشديد خطأ الذي يريد من الناس أن يكونوا صلحاء في كل دقيق وجليل وإلا فليسوا إخوانا لنا ؛ هذا أيضا خطأ .

السائل : قلنا إن الدعوة ما تكون إلا بمحرم ؛

الشيخ : ما تكون بمحرم ؛

السائل : ما تكون بمحرم نعم لكن الإنسان قد يضطر أن يجلس مع جماعة يشربون الدخان أو يسمعون المعازف حتى يتكلم معهم لأنه ما يمكن يجدهم إلا في هذه الأماكن ؟

الشيخ : لا لا، هذا ما يشرب الدخان؛ هذا لو قال: يا جماعة السلام عليكم ورحمة الله وجلس وقال يا فلان أعطني سجارة وقال لا تشربوا الدخان؛ هذا ما يصلح لكن جلس لدعوتهم هو جلس لدعوتهم ، الرسول كان يأتي المشركين في أماكنهم ويدعوهم ولا يمكن الدعوة إلا بهذا ، أنا جائي لأدعوهم كالطبيب يشق الجلد لأجل إزالة ما تحته من الأذى ؛ ما في بحاجة أبدا إذا صار جاء يريد دعوهم بحيث أنه ما هو بلازم ما يجدهم إلا في هذا المكان.

السائل : بعض الناس إذا ندعوهم مثلا تارك الصلاة وإذا نستمر في الدعوة قد يخالفنا ؟

الشيخ : يعني مع تكرار الدعوة قد يكون يمل مثلا ويشرد ؟ أي نعم ؛ على كل حال ((**ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة**)) أن تنزل الحكمة أحيانا بعض الأحيان يكون الإنسان غضبانا عنده مؤثرات خارجية ما يتحمل أن يقبل منك ولا كلام وأحيانا يكون راضي ومنبسط تقدر تضرب له الأمثلة حتى يهديه الله؛ ولهذا يختلف بعض الناس مثلا إذا وافق الشخص ولا عامله معاملة اللائق به نفر منه ؛ ما يدري لعل هذا الرجل عنده مؤثرات خارجية ما تدري عنها ، ويضيق صدره ولا يحب أن يكلم الناس فمثل هذه الأمور ما ينبغي للإنسان أن يحكم على شخص بمجرد دعاه ونفر؛ قد يكون هناك أسباب، اصبر انظر الوقت الذي تراه مستأنس فيه وادعه إلى الحق .

السائل : شيخ أيهما أولى دعوة العاصين في البلاد ودعوة الكفار في الخارج ؟

الشيخ : قال الله عز وجل: ((**وأنذر عشيرتك الأقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين**)) الواجب أنك تدعوا وتصلح الأحوال التي عندك ثم بعد ذلك تحاول في الخارج ؛ لكن إذا كان في الداخل من يقوم بالدعوة وأردت أن تخرج إلى الخارج هذا طيب ما فيه مانع .

قال الله عز وجل: ((**ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر** ...))

اللام في قوله: ((**ولتكن**)) ؟

الطالب : لام الأمر

الشيخ : لام الأمر ؛ ما الذي يدلك على أنها للأمر ؟

الطالب : أنها جزمت فعل المضارع ؛

الشيخ : أحسنت .

الشيخ : قوله: ((**أمة**)) عليان ؟

الطالب : طائفة

الشيخ : طائفة .

ذكرنا ترد الأمة في القرآن على عدة أوجه ؟

الشيخ : هذا وجه ؛ تأتي بمعنى الزمن ؛ مثل ؟ مثل قوله تعالى: ((**وادكر بعد أمة**)) ؛ تأتي بمعنى إمام مثل: ((**إن إبراهيم كان أمة**)) ؛ بمعنى الدين كقوله: ((**إنا وجدنا آبائنا على أمة**)) يعني على ملة ودين ؛ ورابع طائفة كما في هذه الآية ؛ أي نعم طائفة ، وإمام ، وزمن ، وملة .

قوله: ((**يدعون إلى الخير**)) المراد بالخير يا محمد ؟ المراد بالخير ؟ نعم .

الطالب : هوا لدين، يدعون إلى الدين ؛

الشيخ : إلى الدين فقط ؟

الطالب : كل الخير سواء خير الدين أو خير الدنيا.

قوله: ((**يأمرون بالمعروف**)) ما هو المعروف ؟

الطالب : ما حضرت في الدرس الماضي.

الطالب : ما وافق الشرع ؛

الشيخ : أيش؟

الطالب : ما وافق الشرع ؛

الشيخ : أنت ذكرت قيل، قيل ما وافق ؟كل ما جاء به الشرع ؛ ما عرفه الشرع وأقره نعم .

الشيخ : المنكر ؟

الطالب : المنكر ما أنكره الشرع ،

الشيخ : نعم كل ما أنكره الشرع وزجر عنه ونهى عنه فهو منكر .

قوله: ((**وأولئك هم المفلحون**)) يا فهد هم هنا أعرابها ؟

الطالب : لا محل له من الإعراب ؛

الشيخ : وما فائدته ؟

الطالب : فائدته هو للتنبيه السامع ؛

الشيخ : لا؛

الطالب : فائدته ليفصل بين الصفة والخبر؛

الشيخ : الفصل بين الصفة والخبر يعني التمييز بين الصفة والخبر طيب هذا واحد؛ فهد ؟

الطالب : التوكيد والحصر؛

الشيخ : التوكيد والحصر والتمييز بين الصفة والخبر؛ نعم بارك الله فيك .

الشيخ : من المفلح ؟

الطالب : المفلح هو الذي حصل خير الدنيا والآخرة؛ هو الذي نجى في المطلوب ؛

الشيخ : الذي فاز في المطلوب ونجا من المرهوب أحسنت.

الشيخ : قوله: ((**ولا تكونوا كالذين تفرقوا**)) ما علاقة هذه الآية بما قبلها يا عبد الله ؟

الطالب : ما كنت حاضرا؟

الطالب : أنه إذا تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تفرقوا ؛ تفرقوا ؟

الشيخ : نعم؛ أحسنت.

الشيخ : ما وجه ذلك ؟

الطالب : أنهم عندما أمرهم بأن . .

الشيخ : لا ما وجه كونهم إذا تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تفرقوا ؟

الطالب : لم يقام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؛

الشيخ : إي نعم لكن كيف تخذل أيش تخذل ؟

الطالب : يقلوا كل يعمل بهواه ؛

الشيخ : أي نعم كل يعمل بهواه وحينئذ ولابد أن يتفرقوا .

الشيخ : قوله: ((**من بعد ما جاءهم البينات**)) يا حجاج ما هي البينات ؟

الطالب : البينات هي التوراة بالنسبة لليهود والإنجيل بالنسبة للنصارى ؛ آيات البينات ؟ جاءهم الآيات البينات أن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر فتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فتفرقوا ؛

الشيخ : جاءهم البينات على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

الشيخ : أظن أخذنا الفوائد ؟ ما كملناها ؟ ست فوائد نعم ما هي ؟

الشيخ : الحث على العلم لأنه لابد أن يكون الآمر والناهي عالما وهذا اعني العلم نبدأ الآن بالشروط . وهذا أعني العلم بالمنكر أو بالمعروف أحد شروط وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر , لابد من الحث على العلم حتى الدعوة على الخير تدل على الحث على العلم لأن من لا يعلم الخير كيف يدعوا إليه . إذا ففي الآية حث على العلم في الأمور الثلاثة: في الدعوة إلى الخير، وفي الأمر بالمعروف، وفي النهي عن المنكر. النهي عن المنكر يشترط فيه شروط؛ أولا: العلم؛ وهذا مأخوذ من أنه لا يمكن أن يأمر بمعروف أن ينهى عن منكر إلا حيث علم أنه معروف وأنه منكر ؛ طيب العلم بماذا ؟ العلم أولا بأن هذا معروف وهذا منكر هذه واحدة ؛ ثاني: العلم بحال الفاعل أي أنه فعل منكرا أو ترك معروفا ليس مجرد على أن الإنسان على منكر ينكر عليه حتى نستفصل ولا أن نراه تاركا لمأمور حتى نستفصل ؛ فلو رأينا شخصا يأكل الميتة لا ننكر عليه حتى نسأل لماذا تأكل الميتة قد يكون إنه مضطر، قد يكون إنه مضطر وحينئذ يكون أكل الميتة في حقه حلالا ؛ كذلك لو رأينا أحدا يصلي الفريضة جالسا لا ننكر عليه لتركه القيام حتى نسأل ربما يكون عاجزا ؛ إذا لابد من العلم بحال

وكذلك لو رأينا يصلي الفريضة جالسا لا ننكر عليه لتركه القيام حتى نسأل ربما يكون عاجزا ؛ إذا لابد من العلم بحال المأمور والمنهي ؛ لأنه قد يكون على أمر لا يتوجه الأمر، قد يكون على حال لا يتوجه إليه الأمر ولا يكون آثما؛ طيب هل نحن ذكرنا دليلا لذلك ؟ ذكرنا ، ذكرنا قلنا: دخل رجل والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة فجلس فلم ينكر عليه الجلوس بل قال له: أصليت ؟ قال: لا؛ قال: (**قم فصل ركعتين**) فدل هذا على أنه لابد أن يعلم حال المأمور والمنهي .

الشرط الثالث: أن لا يتغير المنكر إلى ما هو أنكر منه؛ لأن النهي عن المنكر يراد به تقليل المنكر؛ فإذا كان يترتب عليه أن يقع المنهي عن المنكر في منكر أعظم فإنه لا ينهى عنه ؛ فلو فرضنا أن شخصا يشرب الدخان، الدخان شربه منكر لكن لو نهيناه لذهب يشرب الخمر؛ فهل ننهاه عن هذا ؟ لا ؛ لأيش ؟ لأننا نعلم أنه سينتقل إلى أكبر نكارة مما عليه عليه ؛ ومن ذلك ما يذكر عن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أنه مر ومعه صاحب له بطائفة من الكتاب يشربون الخمر فلم يقل لهم شيئا ؛ فسأله صاحبه لماذا لا ننكر عليهم ؟ قال: " **هؤلاء لو أنكرنا عليهم لذهبوا ينهبون أموال الناس وستهلون حرماتهم فيتعدى ضررهم؛ أما شربهم الخمر فهو على أنفسهم** " . فإن قال قائل: هل لهذا الشرط من دليل ؟ قلنا: نعم دليله قوله تعالى: ((**ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسب الله عدوا بغير علم**)) فهنا نهى الله المسلمين أن يسبوا أصنام الكفار مع أن هذه الأصنام جديرة أن تسب وسبها قربة ؛ لكن لما كان يترتب على سبها مفسدة أكبر نهى الله عن سبها مع أن السكوت عن سب آلة المشركين حكمه أنه منكر؛ لكن نسكت على هذا المنكر الأخف درءا لمنكر أعظم ؛ إذا لابد من هذا الشرط .

الشرط الرابع : أن يعلم أن هذا مفيد بمعنى أنه يحتمل عنده أن هذا الفاعل للمنكر أو التارك للواجب كان على جهل وأنه قريب الرجوع إلى الحق ؛ فإن كان يعلم أن صاحبه عالم بالحكم لكنه متمرد مستكبر فإنه لا يجب حينئذ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ مثلا: حلق اللحية اليوم معروف عند جميع الناس أنه حرام، أو عند عامة الناس ما هو جميع، عند عامة الناس وأكثر الناس أنه حرام ؛ لكنه يمر بك عشرة قد حلقوا لحاهم وعشرة قد عفوا لحاهم يعني نصف الناس تقريبا قد حلقوا لحاهم فهل يلزمك كلما رأيت شخصا حالقا لحيته في الشارع أن توقفه وتقول له اتق الله لا تحلق لحيتك ؟ . المبادرة بالجواب بدون تأني يا آدم قد تكون خطأ . ما تقولون ؟ نقول: ننظر قد يكون هذا الرجل تتمارى في الخير وأنك إذا نصحته امتثل وقد يغلب على ظنك أن هذا الرجل عارف للحكم لكنه مستكبر عنه أو متهاون به ؛ المهم أن بعض أهل العلم يرى أن هذا من شرط وجوب أمر بالمعروف

والنهي عن المنكر؛ وربما يستدل لذلك بقوله تعالى: ((**فذكر إن نفعت الذكرى**)) ذكر إن نفعت يعني فإن لم تنفع فلا تذكر؛ قال: فإن كان التذكير وهو دعوة للخير لا يجب إلا إذا نفع فالأمر بالمعروف والنهي عن منكر من باب أولى ؛ لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أشد من الدعوة إلى الخير، الدعوة كل إنسان يدعوا وليس فيه شيء عليه ؛ لكن الأمر هو الذي قد يجد أذية من المأمور أو المنهي ؛ والمسألة هذه في النفس منها شيء؛ قد نقول: إنه عليه أن يأمر وينهى وأن ذلك لا يخلوا من فائدة لو لم يكن من فائدته إلا علم الناس بأنه معروف أو بأنه منكر ؛ لأننا إذا سكتنا بحجة أن الأمر لا ينفع أو النهي لا ينفع بقيت المنكرات على ما هي عليه وبقي التهاون بالواجبات على ما هو عليه وصار الشباب الذين يخرجون من جديد يظنون أن هذا المنكر معروف وأن المعروف ليس بمعروف ؛ ولهذا في هذا الشرط نظر ؛ بل نقول: يجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سواء ظننت أنه مفيد أو لم يفد لكن في حدود الاستطاعة ؛ لأن جميع الواجبات إنما تجب بالاستطاعة ((**فاتقوا الله ما استطعتم**)) فإذا كان يشق على الإنسان أن يمسك كل واحد يمر به في السوق على منكر من حلق لحية أو غيره فإنه لا يلزمه ، لا يلزمه إلا ما يقدر عليه لأن الله يقول: ((**وما جعل عليكم في الدين من حرج**)) .

الشرط الخامس : أن يكون الآمر بالمعروف فاعلا له والناهي عن المنكر تاركا له ؛ يعني لا تأمر بالمعروف وأنت لا تفعله ولا تنهى عن منكر وأنت تفعله ؛ كذا صواب ؟ لا تأمر بالمعروف وأنت لا تفعله ولا تنه عن منكر وأنت تفعله ؛ فإذا كان هذا الرجل مثلا يتعامل بالربا وجد إنسان يتعامل بالربا فإنه لا يلزمه أن يقول للثاني: يا فلان اترك الربا الربا حرام ملعون فاعله ، لا يجب عليه هذا لأيش؟ لأنه هو يفعله ؛ كيف ينهى عن شيء يفعله هو ؟ واحد شخص يمشي بعد الأذان عند المسجد وقد ترك المسجد قالوا يا فلان حرام عليك ترك صلاة الجماعة ، لا يجوز؛ هذا الآن فتح بابه وذهب إلى أهله يشرب قهوة أمره أن يصلي أما هو فلم يصل ؛ قال هذا لا يجوز؛ إذا كان قد نويت أن تدخل بيتك وتقهوى عند أهلك ولو فاتتك الجماعة لا تأمره يصلي بالجماعة خله يمشي؛ واستدل لذلك بقوله تعالى: ((**أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون**)) فوبخ الله هؤلاء على أمرهم بالبر ونسيان أنفسهم وبين أن هذا خلاف العقل ؛ كيف تأمر الناس وتترك نفسه ؛ هذا ليس بمعقول ؛ فأنتم خالفتم الشرع وأنكرتم العقل؛ واستدل أيضا بما ثبت في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**أنه يؤتى بالرجل يوم القيمة فيلقى في النار حتى تندلق أقطاب بطنه يعني أمعاءه فيدور عليها كما يدور الحمار على رحاه فيجتمع إليه أهل النار ويقولون مالك يا فلان ألست تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ فيقول: كنت آمركم بالمعروف ولا آيته وأنهاكم عن المنكر وآتيه**) قالوا وهذا يدل على

شدة عقابه إذا أمر بالمعروف ولم يأته ونهى عن المنكر فأتاه ؛ فلا يجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على من لا يفعل المعروف ويترك المنكر ؛ وأبى هذا أكثر أهل العلم وقالوا إن هذا خلاف الأدب لكنه محرم يعني كونه يأمر بالمعروف ولا يفعله وينهى عن المنكر ويفعله هذا خلاف الأدب لاشك وخلاف العقل ؛ لكنه حرام عليه فيجب أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويبدأ بنفسه ؛ فإذا فرط في حق نفسه فليس له الحق في أن يفرط في حق غيره ليس له حق ؛ فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب عليه ولو كان هو لا يفعل المعروف ولا ينتهي عن المنكر لأنه لو ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع كونه لا يفعل المعروف ولا ينهي عن منكر أتى محظورين: ترك الواجب على نفسه لنفسه وترك الواجب على نفسه لغيره ؛ فالواجب عليه أن يأمر بالمعروف وينهى عن منكر ولو كان هو لا يأتمر بالمعروف ولا ينتهي عن المنكر ؛ وهذا القول هو الصحيح ؛ لكن عليه أن يوبخ نفسه ويقول: كيف آمر ولا آتيه و أنهى عن منكر وآتيه هذا خلاف المعقول والمنقول وخلاف الأدب، خلاف الأدب مع الله وخلاف الأدب عند عباد الله ؛ ولهذا كان الرسول عليه الصلاة والسلام من أوصافه الذي وصفه بها ملك غسان قال : (**ما أمر بشيء إلا كان أول فاعل له ولا نهى عن شيء إلا كان أول تارك له**) . عليه الصلاة والسلام .؛ ولهذا قال الله له: ((**قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين**)) ليس معنى أول المسلمين زمنا يعني في أمم مسلمة قبله لكن أول المسلمين فعلا يعني أنا أول المستسلمين لله والمنقادين لأمره فهي أول مرتبة وليس أولية زمن ؛ ويذكر عن عبد الرحمن بن الجوزي رحمه الله الواعظ المشهور صاحب كتاب التبصرة وكان له مجلس كل يوم الجمعة يعظ الناس ويحضر آلاف، يحضر مجلسه آلاف حتى إنه لا ينفك يوم من الأيام إلا وقد مات في مجلسه عدد من الناس من شدة الموعظة في نفوسهم ؛ فأتاه يوما من الأيام رجل عبد قال له: يا سيدي إن لي سيدا يؤذيني ويتعبني ويحملني ما لا أطيق ويضربني عليه فأرجوا منك أن تحث الناس على العتق لعل الله يهديه ويعتقني ؛ قال طيب ما في مانع؛ جاءت الجمعة فانتظر هذا العبد كلام الشيخ ولم يتكلم على العتق جاءت الجمعة الثانية والثالثة ما تكلم وفي بعد كم جمعة تكلم عن العتق وإذا سيد العبد حاضر فأعتقه فورا ، أعتقه فورا ؛ فذهب العبد إلى عبد الرحمن بن جوزي رحمه الله قال: لماذا تأخرت قال: لأنه لم يكن عندي دراهم أشتري عبدا فأعتقه قبل أن آمر الناس بالعتق . سبحان الله . يقول ما أحث الناس على العتق وأنا ما أعتقت ؛ إذا حصل عندي وأعتقت حينئذ أمرت الناس وأحث الناس على العتق ؛ وهذا أمر مشاهد أن فاعل المعروف ينقاد الناس لأمره ؛ وتارك المنكر ينقاد الناس لنهيه ؛ لأن الناس يبصرون بأعينهم وبصائرهم ويقولون للذي يأمر بالمعروف وهو لا يفعله يقول هذا يكذب علينا هذا يلعب بعقولنا لو كان الأمر معروفا عنده لماذا لا يكون هو أول فاعل له ؟ لو كان المنكر عنده منكرا لماذا لا يكون أول تارك له ؟

فلذلك لاشك أنه من الأدب أن يكون الآمر فاعلا لما أمر به والناهي فاعلا لما نهى عنه ؛ أما أن يجعل ذلك شرطا في الوجوب ونقول لهذا لذي لا يفعل المعروف ولا ينتهي عن المنكر نقول لا يجب عليك الأمر بالمعروف ولا النهي عن المنكر ولا تأثم بتركه فهذا بعيد جدا ؛ لأن الذين يقولون من شرط الوجوب أن يكون فاعلا لما أمر به تاركا لما نهى عنه يقولون إنه إذا لم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر في هذه الحال فإنه أيش؟ لا إثم عليه ؛ لأن من شرط الوجوب أن يكون هو ممتثلا؛ وبهذا يتبين لكم ضعف هذا القول ؛ وأن الواجب عليه أن يأمر بالمعروف ولو كان لا يفعله وينهى عن المنكر ولو كان يفعله لكن يجب أن يوبخ نفسه أيضا نفسه وتكون نفسه هي أول من يأمره بالمعروف وأول من ينهاه عن المنكر ؛ فالشروط إذا خمسة . من آداب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، من الآداب للواجب أن يكون لينا في أمره ، لينا في أمره لينا في نهيه ؛ لأن اللين خلق كريم يعط الله تعالى به ما لا يعطي على العنف كما قال النبي عليه الصلاة والسلام ذلك ؛ وكما أرشد الله إليه موسى وهارون حين أرسلهما إلى فرعون ((**قالا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا أو يطغى**)) نعم ((**فقولا له قولا لينا**)) حين أرسلهما إلى فرعون فقال: ((**قولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى**)) يتذكر فيما تأمرانه به أو يخشى فيما تنهيانه عنه ومع أنه من أعتى أهل الأرض إن لم يكن أعتى أهل الأرض ؛ فعلى كل حال من الآداب أن يكون الإنسان لينا في أمره ونهيه . ومن الآداب أيضا أن يكون مقنعا في حجته ؛ لأنه إذا أمر بمعروف قد يقول المأمور ما دليلك في هذا ؟ وإذا نهى عن منكر قد يقول ما دليلك على هذا ؟ فلابد أن يكون عنده إقناع ؛ وليعلم أن مسألة الإقناع غير مسألة العلم ؛ بعض الناس عنده علم لكن ما يستطيع أن يقنع غيره ، ليس عنده قوة حجة وبيان ؛ وبعض الناس يكون أقل علما منه لكن عنده قوة إقناع ؛ فلابد أن تتمرن على قوة الإقناع ولو بضرب الأمثال ؛ لأن ضرب الأمثال يقرب؛ يوجد الآن مثلا فيه طائفة معروفة تدعوا إلى الله وتخرج وعندهم من الإقناع للعامة ما لا يوجد عند أكابر العلماء ولهذا تجدونهم يؤثرون تأثيرا عظيما لأن عندهم أسلوب في الإقناع ؛ فالإنسان إذا كان عنده أسلوب وأمر غيره قال له: ما دليلك هات الدليل ؟ ثم ضرب له أمثالا بالمعقولة فهذا لاشك أنه من الآداب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ ويذكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الإمام أحمد أن رجلا استأذن النبي صلى الله عليه وسلم في الزنا ، استأذنه أن يزني ؛ فقال له النبي عليه الصلاة والسلام: (**أترضى أن يفعل هذا بأمك وأختك وذات رحمك ؟ قال: لا ما أعرف؛ قال: إذا كنت لا ترضى أن يفعل ذلك بمحارمك**) هذا معنى الحديث إذا كنت لا ترضى كيف أن تفعله أنت بمن ؟ بمحارم الناس ؛ هذا أسلوب مقنع يعني مجرد ما يتصور الإنسان هذه المسألة يبتعد ؛ أنت لو ترى شخصا يغازل أختك أو زوجتك أو بنتك ماذا تفعل ؟ ترضى ؟ ما ترضى ؛ كيف ترضى عن نفسك تغازل بنات الناس ؟ أو أشد من

ذلك تزني . والعياذ بالله .؛ هذه من أساليب التي ينبغي للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يكون على دراية بها وإيجاد . ومن الآداب أيضا أن يصبر ، أن يصبر على الأذى والمحاجة والمخاصمة لاسيما إذا كثر الجدل في الناس فليصبر؛ لأن الله تعالى حكى عن لقمان إنه قال لابنه وهو يعظه : ((**يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور**)) لابد لكل آمر من أن يصاب بهذا ؛ وبعض الناس ربما يثقل عليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإن لم يصب بأذى لكن لم تتقبل دعوته أو لم يتقبل أمره أو نهيه فيزعل كما يقول العامة ولا يأمر ولا ينهى ؛ هذا ليس بصحيح ، مر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ؛ انظر إلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ماذا أصابهم من الأذى ؛ أصابهم أذى عظيم طعن في أجسادهم وطعن في عقولهم وطعن في أهدافهم ، كل شيء طعن فيه ومع ذلك هم صابرون ؛ أوذي موسى عليه الصلاة السلام بأذى كثيرة وأوذي خاتم الأنبياء محمد عليه الصلاة والسلام ؛ وأوذي أب الأنبياء نوح كانوا يأمرون به ((**كلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه قال إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخذيه**))؛ والنبي عليه الصلاة والسلام كذلك أوذي أذى عظيما ؛ من أقرب الناس إليه ؛ هل قريش فعلت بأي واحد من الناس دخل المسجد الحرام وجعل يصلي تحت الكعبة وسجد لله عزوجل هل آذوا أحدا من الناس آتوا بس الجذورة ووضعوه عليه وهو ساجد؟ أبدا ؛ لكن الرسول فعلوا به هذا وصبر؛ هل كانوا يأتون بالأذى والقذر والأنتان يضعونه على أبواب الناس في مكة ؟ لا ؛ لكن الرسول فعلوا به هذا وصبر؛ فالواجب أن يصبر الإنسان وأن يحتسب هذا الصبر على الله، وهذا الصبر على هذا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أعظم أجرا من الصبر على أعظم مصيبة تناله الإنسان في أقرب الناس إليه ؛ لأن هذا صبر على أذى في الله ليس صبر على أقدار الله، هذا صبر على أذى في الله عز وجل ؛ فاحتسب الأجر من الله واصبر على ما أصابك . مما يصيب الإنسان الأذى بالقول ، الأذى الجدلي مثل أن يقول علم نفسك ، تأمر بالمعروف يقول: علم نفسك، تأمر بالمعروف يقول: أدب عيالك ، وما أشبه ذلك ؛ هذا أيضا بعض الناس يغار يعني قد يفور دمه ويغضب غضبا شديدا فنقول يا أخي اصبر هذه المسألة بسيطة إذا قال أدب عيالك لا بأس جزاك الله خيرا ؛ لكن أنا معلم عيالي وأعلمك أنت الآن؛ خلك تأخذ من مدى طويل ؛ إذا احتدمه هذا الرجل وأخذت العزة بالإثم فلن أنت وسوف يبرد لأن المشكل أن يقابل الحار بالحار لكن إذا قوبل الحار بالبارد برد وصارت المسألة طبيعية ؛ لكن إذا صادم الحار بالحار خلاص تشتعل النار ؛ ولذلك أقول إنه يجب علينا أن نصبر ؛ وإذا رأينا الناس قد شدوا الحبل أرخيناه ، وإذا رأينا لينا جذبناه ؛ طيب هذه إذا ثلاثة آداب ينبغي لطالب العلم لآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يتأدب بها وإذا أضفنا الشرط الخامس أن من الآداب أن يكون هو أول فاعل لما

يأمر به وأول تارك لما ينهى عنه صارت الآداب أربعة وشروط الوجوب أربعة . من فوائد هذه الآية: فضيلة الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؛ وهذه أرجوا أن تكونوا على جانب كبير منها ؛ الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؛ الدليل على فضيلة هذه قوله : ((**وأولئك هم المفلحون**)) إذا خسر الناس فهؤلاء هم المفلحون الرابحين . ومن فوائد الآية التي بعدها: النهي عن التفرق ؛ لقوله: ((**ولا تكونوا كالذين تفرقوا**)) وقد ذكرنا في التفسير أن المراد بذلك تفرق القلوب لا الآراء ؛ لأن تفرق الآراء لابد منه لأن الناس يختلفون في العلم والحفظ والفهم والإيمان والعمل وكل هذه الأمور الخمسة كلها من أسباب اختلاف الناس في الرأي لكن الواجب اتفاق أيش؟ القلوب . ومن فوائدها: أن ترك الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبب للتفرق ؛ لأنه أعقب الآية السابقة بهذه الآية مما يدل على أن ترك الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبب للتفرق . ومن فوائدها: أن التفرق بعد أن تبين الحق أشد قبحا من التفرق حين خفاء الحق ؛ يؤخذ من قوله: ((**من بعد ما جاءهم البينات**)) وذلك لأنه إذا جاءت البينات واتضح الحق فلا وجه للتفرق ؛ لكن إذا كان الحق خفيا فقد يحصل التفرق ؛ والحق . ولله الحمد . في هذه الشريعة واضح بين لأنه في كتاب الله المحفوظ إلى يوم القيمة . ومن فوائد الآية الكريمة : الوعيد الشديد على الذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات ؛ لقوله تعالى: ((**وأولئك لهم عذاب عظيم**)) . ومن فوائد هذه الآية: أن العقاب يختلف باختلاف الجرم ؛ لأنه لما كان فعل هؤلاء عظيما كان عذابهم عظيما . انتهى الوقت

الشيخ : نعم عبد الوهاب ؟

السائل : أحسن الله إليك شيخ ؛ الآن تدعوا أو تأمر أحد تدعوه إلى المعروف أو تنهى عن منكر يحتج عليك أحيانا بما تقدمه الدولة يقول دولتي هي من أشد البلاد وفقا للشريعة ولو كان هذا منكر لما وجد في هذه البلاد فماذا نجيبه ؟

الشيخ : نعم الذي يحتج بفعل الدولة نقول: هذا ليس بحجة بإجماع المسلمين ؛ الحجة في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وإجماع المسلمين ؛ والمسلمون أجمعوا على أن فعل الدول ليس بحجة ، ثم إذا كان هناك شيء تفعله الدولة يعترف هو بتحريمه نقول انظر إلى الدولة فعلت كذا وكذا هل تقول هذا حرام ؟ أو تقول حلال ؟ فإذا كان يعترف بأنه حرام فإذا ليس هناك حجة في فعل الدولة .

السائل : في هذا الزمن كثر المفتيين ورتب الفتوى كل من كل أحد ونجد كثيرا من الناس إذا أمرته بشيء أو أنكرت عليه قال يقول الشيخ الفلاني إنه مكروه ولا يعرف المكروه من المحرم لكن يتبع ما قال به عالم فلان ؟

الشيخ : هذا صحيح أن المفتيين الآن كثر لاشك وأنه ركب المطية من لا يعرف أن يصرفها ؛ ولكن موقفنا تجاه هذا الشيء أن نقول هذا كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ونأتي بما عندنا من الأدلة لأن أي إنسان يفتي بغير علم فلابد أن يكون العلم مخالفا لما أفتى به فنأتي بالدليل من الكتاب والسنة ونحج بهذا .

السائل : هو ما يحتج بهذا يقول الشيخ الفلاني يقول هكذا ؟

الشيخ : نحن نقول الشيخ ما هو دليل، نقول إذا كنا نقول قال الله ورسوله وتقول قال الشيخ الفلاني إذا معناه اتخذت هذا الشخص نبيا وتركت نبوة محمد عليه الصلاة والسلام ، نقول يوم القيمة هل تسأل عن الشيخ وإلا عن الرسول ؟ عن الرسول ((**ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين**)) .

السائل : أحسن الله إليك كيف نوجه قوله تعالى: ((**فذكر إن نفعت الذكرى**)) ؟

الشيخ : نعم الآية هذه التي يستدل بها على أنه لا يجب التذكير إلا إذا نفع قال الجمهور المعنى ذكر إن كان هؤلاء أهلا للتذكير مثل ما قلنا عالم كان يعرف العلم فهي من باب الحث ومن باب التهديد لهؤلاء المذكرين .

السائل : الذي يأمر بالمعروف ولا يأتيه يعني يخلي الناس يقرعون في تناقض مثل الآن نرى إنسان تحريم الغناء ثم يأتي من بعد ذلك موسيقا يطلع تحريم الشيء مثل تكشف العورات فالناس وقعوا في الناقض ؟

الشيخ : نبقي المنكر منكرا ولا ننكره لأن الناس يفعلونه ؟

السائل : لأنه يؤدي إلى أكبر ؟

الشيخ : على كل حال أنت إذا أنكرت المنكر وفيه ناس يفعلونه أو أنت متى تفعله عرف الناس أنه منكر واجتنبه بعض الناس هل مثلا الآن لما نقول إن الغناء حرام أو حلق اللحية حرام ثم يفعل الناس ممن يشار إليهم لمراتبهم الاجتماعية هل الناس يقول والله هذا حلال ؟ أبدا ؛ يحتجون المبطل يحتج فيما إذا زاغ العالم أو زل ؛ ولهذا كان عمر رضي الله عنه وغيره من السلف يحذرون من زلة العالم ؛ العامة ما يحتجون احتجاج حقيقي يعني يرونه حجة لهم إلا في مسألة العلماء ؛ هذه مشكلة .

السائل : بعض الناس كلما زيد شرا زاد خيرا وبعض الآخر بالعكس ؛ هل نقول للثاني لا تأمر بالمعروف حتى لا تفسد أكثر مما تصلح ؟

الشيخ : كلما زيد شرا زاد خيرا ما أحد يتصور هذا ، اضرب المثل عشان ندري ونشوف ؟

السائل : يعني كلمة يجيء ؛

الشيخ : إذا أنت ما استطعت أنت تصور الذي قلت فكيف نتصور نحن ؟

السائل : يعني تجده مثلا يغضب عليه والثاني يحتشم فإذا كان المعروف الثاني يحتشم هل نقول نفس الشيء ؟

الشيخ : نحن نقول: من الآداب أن يكون واسع البال وأن يأمر بالرفق، من الآداب ؛ لكن ليس من الشروط يعني مثلا إذا عرف الإنسان من نفس أنه رجل حار يغضب بسرعة نقول لا تأمر ولا تنهى ؟ لا ؛ نقول مر وانه . ((**يوم تبيض وجوه وتسود وجوه**)) قوله: ((**يوم تبيض وجوه**)) يحتمل أنها جملة استئنافية وأنها متعلقة بمحذوف تقديره : اذكر يوم تبيض وجوه وتسود وجوه يعني واذكر هذا اليوم الذي ينقسم فيه الناس إلى هذين القسمين ؛ ويحتمل أنها متعلقة بالخبر لقوله: ((**أولئك لهم عذاب عظيم**)) يعني لهم عذاب عظيم في ذلك اليوم . وقوله: ((**يوم تبيض وجوه**)) البيضاء معروف أي تكون بيضاء ؛ وهذه الوجوه التي تكون بيضاء هي وجوه المؤمنين وتختص هذه الامة بأنها يكون لبيضاتها نور تعرف به يوم القيمة كما قال النبي عليه الصلاة والسلام : (**سيما ليست لغيركم تدون يوم القيمة غرا محجلين من أثر الوضوء**) وقوله : ((**تبيض وجوه وتسود وجوه**)) قد يبدوا للإنسان من أول وهلة أن هذين القسمين متساويان لأن الله قال: ((**تبيض وجوه وتسود وجوه**)) ولكن هذا غير مراد وذلك لأن أكثر بني من أهل النار وجوههم مسودة . والعياذ بالله . فإن من بني آدم تسعمائة وتسعة وتسعين كلهم في النار وواحد من الألف في الجنة كما صح في ذلك الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ قوله: ((**تسود وجوه**)) أي تكون سوداء ؛ وسبب هذا البيضات و السودات والله أعلم أنه مما يبشر به هؤلاء ويوبخ به هؤلاء؛ فإن المؤمنين يبشرون إذا بعثوا من قبورهم برحمة الله عز وجل ((**وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون**)) وأما كافرون فبالعكس؛ ومن المعلوم أن الإنسان إذا بشر بما يسره يستنير وجهه ويظهر عليه علامة السرور. قال: ((**فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم**)) ((**فأما الذين اسودت وجوههم**)) الفاء للتفريع وأما للتفصيل؛ لأنه قال بعدها: ((**وأما الذين ابيضت وجوههم**))؛ قوله: ((**فأما الذين اسودت وجوههم**)) بدأ بذكر الذين اسودت وجوههم مع أنه أخر ذكرها فيما قبل؛ لأنه قال: ((**يوم**

تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم)) وكان المتوقع أن يقول: فأما الذين ابيضت وجوههم؛ لأن هذا هو الترتيب ولكنه كان الأمر بخلاف المتوقع ويسمي علماء البلاغة هذا النوع من السياق: لفا ونشرا مشوشا أو أحسن نقول: غير مرتب؛ ((**فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم**)) جواب أما محذوف والتقدير: فيقال أكفرتم ؛ وأما الجملة: ((**أكفرتم بعد إيمانكم**)) فهي مقول للقول المحذوف أي فيقال أكفرتم؛ ومن القائل: يحتمل أن يكون القائل هو الله عزوجل ويحتمل أن يكون القائل الملائكة؛ وعلى كل تقدير فالمراد بالاستفهام هنا التوبيخ والتندم يقال لهم: ((**أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب**)) فهذا الاستفهام للتوبيخ أي أن هؤلاء يوبخون فيجمع لهم بين الألم البدني والألم القلبي النفسي؛ وذلك لأن العذاب قد يكون على البدن وقد يكون على النفس وقد يكون عليهما جميعا؛ من الناس من تضربه ولا توبخه نقول هذا العذاب على أيش ؟ البدن؛ ومن الناس من يوبخه في مقام يرى فيه الإكرام والاحترام فتهينه فهذا عذاب النفسي القلبي؛ ومن الناس من يجمع له بين الأمرين كالكفار فإن الكفار يوبخون في عرصات القيامة ويوبخون عند دخول النار ((**كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير**)) ويوبخون أيضا بعد ذلك كما في قوله تبارك وتعالى: ((**قال اخسئوا فيها ولا تكلمون**)) فإنهم يوبخون أيضا في حال دخولهم النار ومكثهم فيها ما شاء الله وطلبهم أن ينجوا منها . قوله: ((**أكفرتم بعد إيمانكم**)) المراد بالإيمان هنا إيمان الفطرة لأن كل مولود يولد على الفطرة كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال: (**كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه**) ويحتمل أن يكون المراد بالإيمان الإيمان الفطري الاختياري وتكون الآية في سياق من ارتدوا بعد إيمانهم؛ لكن الأول أولى لأنه أعم . قال: ((**فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون**)) ذوقوا العذاب أي عذاب ؟ البدني والنفسي؛ وقوله: ((**ذوقوا العذاب**)) أي مسه؛ والذوق هنا ليس ذوقا باللسان بل هو ذوق بالبدن كله لأن الذوق قد يكون باللسان وقد يكون بالقلب وقد يكون بالبدن؛ فقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (**ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا**) المراد به ذوق القلب لا ذوق اللسان؛ وإذا قيل: ذاق الثمرة هذا ذوق اللسان؛ ذاق العذاب هذا ذوق البدن؛ فلكل مقام مقال . قوله: ((**ذوقوا العذاب**)) أي يقال لهم أيضا ذوقوا العذاب وهو العقوبة على الذنب ((**بما كنتم تكفرون**)) أي بسبب كفركم؛ الباء هنا للسببية؛ وما مصدرية أي بكونكم تكفرون بالله؛ وأما ((**كنتم تكفرون**)) فإعرابها ظاهر: كان واسمها وخبرها لكن خبرها جملة؛ وقوله: ((**بما كنتم تكفرون**)) بمن ؟ تكفرون بالله وبما يجب الإيمان به . في هذه الآية من الفوائد أولا: وجوب التذكير بهذا اليوم العظيم الذين ينقسم فيه الناس إلى قسمين؛ لقوله: ((**يوم تبيض وجوه**)) وهذا على

تقدير قولنا: اذكر يوما؛ أما إذا جعلناه متصلا بما قبله فإنه لا يستفاد منه هذه الفائدة؛ ولكن يستفاد منه: التذكير بهذا اليوم يعني أن الله يذكرنا بهذا اليوم

وقوله: ((**ذوقوا العذاب**)) أي يقال لهم أيضا ذوقوا العذاب وهو العقوبة على الذنب ((**بما كنتم تكفرون**)) أي بسبب كفركم؛ الباء هنا للسببية؛ وما مصدرية أي بكونكم تكفرون بالله؛ وأما ((**كنتم تكفرون**)) فإعرابها ظاهر: كان واسمها وخبرها لكن خبرها جملة؛ وقوله: ((**بما كنتم تكفرون**)) بمن ؟ تكفرون بالله وبما يجب الإيمان به .

في هذه الآية من الفوائد أولا: وجوب التذكير بهذا اليوم العظيم الذين ينقسم فيه الناس إلى قسمين؛ لقوله: ((**يوم تبيض وجوه**)) وهذا على تقدير قولنا: اذكر يوما؛ أما إذا جعلناه متصلا بما قبله فإنه لا يستفاد منه هذه الفائدة؛ ولكن يستفاد منه: التذكير بهذا اليوم يعني أن الله يذكرنا بهذا اليوم .

ومن فوائد الآية الكريمة: إثبات البعث والجزاء وهو أحد أركان الإيمان الستة؛ أحد أركان الإيمان أن تؤمن باليوم الآخر؛ والإيمان باليوم الآخر ليس معناه أن يؤمن الإنسان بأن الناس يبعثون فقط؛ بل قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في العقيدة الواسطية قال: " **ومن الإيمان باليوم الآخر الإيمان بكل ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم مما يكون بعد الموت** " فالإيمان بفتنة القبر ونعيمه وعذابه هو من الإيمان باليوم الآخر, والإيمان بالصراط والميزان والشفاعة كل من الإيمان باليوم الآخر .

ومن فوائد هذه الآية: أن الناس ينقسمون في ذلك اليوم إلى قسمين؛ قسم مبيضة وجوههم وهم أهل الإيمان والطاعة؛ وقسم مسودة وهم أهل الكفر والعصيان .

فإذا قال قائل: الآية هنا بينت أن الوجوه تسود وفي آية أخرى كذلك: ((**ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة**)) وفي آية أخرى: ((**ونحشر المجرمين يومئذ زرقا**)) فكيف نجمع بين الآيتين اللتين تثبتان اسوداد الوجوه والآية التي تثبت أنهم يحشرون يوم القيمة يحشر المجرمون زرقا ؟

قال أهل العلم في الجمع هذا وبين أمثاله: إن يوم القيمة ليس زمنا متحدا قصيرا تتعارض فيه الأحوال, لكنه زمن طويل مقدراه خمسون ألف سنة؛ فيمكن أن تكون الوجوه في وقت من هذا اليوم مسودة وفي يوم آخر مزرقة زرقا؛ هذا جمع.

الجمع الثاني: أن المراد بالزرقة السواد بل المراد بالسواد الزرقة؛ لأن الزرقة كلما اشتدت مالت إلى السواد؛ وحينئذ يكون زرقا واسودت بمعنى واحد.

الوجه الثالث، الجمع الثالث: أن الناس يختلفون في الجرم والكفر فتسود وجوههم أو تزرق بحسب كفرهم وجرمهم؛ فمنهم من يكون جرمه شديدا عظيما فتسود وجوههم ومنهم من يكون أخف فتكون زرقاء.

الوجه الرابع: قالوا إنهم سود البشرة زرق العيون فزرقا باعتبار أعينهم؛ واسوداد الوجوه باعتبار لون البشرة؛ وأن هذا أعظم في القبح، إذا كان الوجه أسود والعين زرقاء صار هذا أقبح منظرا؛ على كل حال هذه أوجه جمع العلماء بها بين هذا الظاهر الذي يظهر أنه متعارض؛ وهنا نقف لنقول: إنه ليس في القرآن شيء متعارض لا يمكن الجمع بينه وبين الآخر؛ لأن التعارض يقتضي أن يكون أحد المتعارضين حقا والثاني باطلا لأنه ليس معنا إلا الحق والضلال ((**فماذا بعد الحق إلا الضلال**)) ولا يمكن أن يكون شيء في كتاب الله باطلا ضلالا كما قال الله تعالى: ((**ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا**)) نعم يمكن أن يتعارض نصان ولكن يكون أحدهما ناسخا للآخر كقوله تعالى: ((**إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون**)) ثم قال: ((**الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين**)) والنسخ يكون إبطال المنسوخ من عند الله؛ فلا يكون هناك تعارض؛ فإن وجد من القرآن ما ظاهره التعارض فلابد أن يكون هناك انفكاك بين النصين ينتفي به التعارض؛ وأما أن يبقى متعارضا فهذا شيء ممتنع؛ ومن أحسن ما ألف في الجمع بين الآيات المتعارضة كتاب الشنقيطي رحمه الله المسمى " دفع إيهام الاضطراب في آية كتاب " وهو كتاب جيد مفيد لطالب العلم .

ومن فوائد هذه الآية: أنه يجمع بهؤلاء الكافرين بين العذاب البدني والعذاب النفسي؛

الشيخ: كيف نأخذها يا خالد ؟ من أين نأخذه ؟ من ((**فذوقوا**)) فقط ؟ كيف نأخذه منها ؟ ... لا، العذاب النفسي حسي؛ نعم ؟

الطالب: قوله ((**أكفرتم بعد إيمانكم**)) هذا عذاب نفسي؛

الشيخ: أي لأن التقدير يقال لهم أكفرتم فهذا العذاب النفسي, طيب أحسنت .

من فوائد هذه الآية: شدة التنكيل بهؤلاء المكذبين حيث يجمع لهم بين العذابين البدني والنفسي ثم يقال: ((**ذوقوا العذاب**)) فهذا لاشك أنه من أشد ما يكون تنكيلا بهم .

ومن فوائد هذه الآية: إثبات الأسباب؛ من أين يؤخذ ؟ من قوله: ((**بما كنتم تكفرون**)) لأن الباء للسببية؛ والناس في إثبات الأسباب طرفان ووسط, منهم من أنكر الأسباب رأسا, وقال إن الأسباب ليس لها تأثير إطلاقا؛ ومنهم من أثبت تأثير الأسباب بنفسها؛ ومنهم من توسط وقال: إن الأسباب مؤثرة لا بنفسها ولكن بما أودع الله فيها من القوة المؤثرة, وهذا القول هو الصحيح وهو الحق, مثال ذلك: لو أن رجلا لو أن شيئا ألقي في النار فاحترق بها فالذين أنكروا الأسباب قالوا: إن هذا الاحتراق لم يحصل بالنار إنما حصل عندها, حين ملامسة

النار احترق أما النار نفسها فإنها لا تحرق؛ ومنهم من قال: بل النار أحرقت بطبيعتها فهذه هي الطبيعة؛ ومنهم من قال: بل أحرقت النار ما يلقى فيها بما أودعها الله تعالى من القوى المحرقة؛ وهذا الأخير هو الحق بلا شك, ويدل لهذا أن النار التي ألقي فيها إبراهيم لم تحرقه بل كانت بردا وسلاما عليه, ولو كانت الأسباب مؤثرة بطبيعتها لأحرقته بكل حال؛ والذين أنكروا الأسباب هم في الحقيقة طاعنون في حكمة الله, مدعون أن الله ليس له حكمة, لأن ربط المسببات بأسبابها هو عنوان الحكمة؛ فإذا قيل: إنه ليس هناك سبب يؤثر فهذا طعن في حكمة الله عزوجل؛ والعجيب أن هؤلاء أنكروا الأسباب ظنا منهم أن إثباتها يستلزم الإشراك بالله، يقول إنك إذا أثبتت أن السبب فاعل أو أن السبب مؤثر فقد جعلت مع الله خالقا, وهذا شرك لأنك مثلا إذا قلت: النار هي التي أحرقت معناه أن النار فاعل، فاعلة للإحراق؛ فيكون هذا شركا بالله عزوجل؛ فيقال: نحن لا نقول إن النار مستقلة بالإحراق؛ بل هي محرقة بما أودع الله فيها من قوة الإحراق لا أنها بنفسها المحرقة؛ لكن لو نقول لم تحرق ضحك عندنا حتى السفهاء, حتى السفهاء الصغار يضحكون؛ قالوا لو أنك رميت زجاجة بحجر فانكسرت الزجاجة فلا تقل إن الحجر كسر الزجاجة, لأنك لو قلت هذا صرت مشركا أشركت بالله؛ طيب كيف إذا ؟ قال: حصل الكسر عندها لا بها . سبحان الله . عندها، لو تضع حجرا من أكبر الأحجار على الزجاجة ما كسرها، ما كسر إلا بالصدمة؛ إذا فالسبب معلوم ولا فيه إشراك؛ المشرك الذي يقول إن الأسباب تؤثر بطبيعته بمقتضى طبيعتها ويقطع صلتها بالله, هذا لاشك إنه مشرك؛ لكن الذي يقول إنها تؤثر بما أودع الله فيها من القوى هذا هو الموافق للمعقول والمنقول .

هل يمكن أن يؤخذ من هذه الآية: أن الجزاء من جنس العمل؟ ((**فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون**)) كيف؟ لأن المسبب يتقدر بقدر السبب .

من فوائد الآية أيضا: أن من فيه خصلة من خصال الكفر فله من عذاب الكافرين بقدره؛ كيف ذلك ؟ لأن لدينا قاعدة وهي أن الحكم المعلق بوصف يقوى ويضعف بحسب ذلك الوصف, إن وجد فيه جملة كبيرة من الوصف استحق من الحكم الذي رتب عليه بقدر هذه الجملة الكبيرة وإلا فبحسبه .

السائل: قوله: ((**أكفرتم بعد إيمانكم**)) هناك كفار لم يؤمنوا, فهل المراد أخذ الميثاق ((**وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم**)) ؟

الشيخ: وين أنت ؟ تكلمنا على هذا .

السائل: إذا كانت الغرة من سيمة أهل السنة والجماعة, الشيخ : لا, من سيمة هذه الأمة, السائل: من سيمة هذه الأمة فهل يقال أن ما يوجد من أثر في الجبهة من السواد دليل على صلاح العبد ؟

الشيخ : أبدا، أبدا، ما هو صحيح فيه ناس كثير السجود وليس في جباههم شيء. وفيه ناس قليل السجود ويكون في جباههم هذا الأثر, وليس هذا بدليل, هذا الظاهر أنها تعتمد على نفس الجلد الذي على الجبهة.

السائل: هل قراءة ((**تبيض**)) بالكسر صحيحة ؟

الشيخ: ويش لون يا خالد ؟ ((**تبيض**)) بفتح الياء ؟

السائل: كسر التاء ؟

الشيخ: ما أظنها سبعية لأنها ما توجد عندنا، هذا المصحف مكتوب فيه القراءات السبعية ما هي موجودة .

السائل: بعض كتب العلوم الطبيعية يرد فيها بعض الألفاظ أرادت الطبيعة وشاءت الطبيعة

الشيخ: هذا ما يجوز؛

السائل: هل يعد من الشرك ؟

الشيخ: هه كيف ؟ لكن بس إنه إذا كانت من المسلم يعد هذا المسلم تلقى الكلمة هذه عن الطبائعيين وهو ما يعرف إيش معناها جاهل .

السائل: كيف يكون الطفل يولد على الفطرة وهو مؤمن وهو لم يتلقى أو مكلف بأمور الإسلام ؟

الشيخ: أي نعم لأن الطبيعة التي خلق الله عليها البشر هي الإيمان؛ قال الله تعالى: ((**فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها**)) وأخبر النبي عليه الصلاة السلام أنه: (**ما من مولود يولد إلا على الفطرة**) هذه من نعمة الله حتى تقوم الحجة على الإنسان؛ إذا أنت الذي انصرفت عن مقتضى الفطرة, وإلا مقتضى فطرتك أنك مؤمن .

السائل: بالنسبة للذين ينكرون الأسباب إذا قالوا ذكر الله في قوله: ((**فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم**)) كيف نرد عليهم ؟

الشيخ: كيف الرد عليهم, واضح لأن قوله: ((**فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم**)) لما كان قتلهم أمرا خارجا عن المعتاد نسبه إلى الله كقوله: ((**وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى**)) ومعلوم أن الرسول هو الذي أخذ كفا من تراب ورمى به هؤلاء, ومع ذلك هو رمي غير معتاد لأن العادة أن مثل هذا الرمي لا يصل إلى أعين المشركين كافة؛ فلما كان هذا السبب الوارد من الإنسان سببا غير معتادا نسبه الله إليه .

قال الله عزوجل: ((**وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله**)) الواو حرف عطف وأما تفصيلية كما مر في الأولى؛ ((**الذين ابيضت وجوههم**)) وهم المؤمنون؛ وهذا البياض يكون على قسمين: بياض عام لكل مؤمن؛ وبياض خاص لهذه الأمة حيث قال النبي صلى الله عليه وسلم: (**سيما ليست لغيركم, يعني : فيكم؛ إنكم**

تدعون يوم القيمة غرا محجلين من أثر الوضوء) فهذه الأمة تكون وجوهها بيضاء ولكن لها نورا بخلاف غيرها؛ أيضا هذه الأمة يكون النور لها حيث يبلغ الوضوء, يعني يكون في اليدين وفي الرجلين ولهذا قال: (**غرا محجلين**) وأما من سواها فلم نعلم إلا أن وجوههم فقط هي التي تكون بيضاء؛ الذين ابيضت وجوههم هم المؤمنون ((**ففي رحمة الله**)) في رحمة الله في للظرفية؛ ورحمة الله هنا ليست هي الرحمة المذكورة في قوله: ((**وربك الغفور ذوا الرحمة**)) لأن هذه صفة الله؛ أما هنا ((**ففي رحمة الله**)) فهي مخلوق الله؛ والمراد بها الجنة كما جاء في الحديث الصحيح أن الله قال لها أي للجنة : (**أنت رحمتي أرحم بك من أشاء**) ويمتنع أن يكون المراد بها الصفة؛ لأن الصفة لا تكون ظرفا للبشر، الصفة لا تكون ظرفا للبشر؛ وإذا امتنع أن تكون ظرفا للبشر امتنع أن يراد بالرحمة هنا الرحمة التي هي صفة الله, بل هي الرحمة المخلوقة لله, وأطلق عليها اسم الرحمة لأنها كانت برحمة الله, يرحم الله بها من يشاء من عباده.

وقوله: ((**ففي رحمة الله هم فيها خالدون**)) هم مبتدأ وليست ضمير فصل, بل لها محل من الإعراب؛ وخالدون خبر المبتدأ؛ وفيها جار ومجرور متعلق بخالدون, ((**هم فيها خالدون**)) أي ماكثون؛ وقد دلت الآيات على أن هذا الخلود مؤبد, فذكر الله التأبيد في عدة آيات من كتابه على أن هذا الخلود خلود أبدي.

ثم قال الله تعالى: ((**تلك آيات الله نتلوها عليك**)) تلك المشار إليه ما سبق من الآيات التي ذكر الله سبحانه وتعالى؛ ويحتمل أن يكون المراد بها كل القرآن؛ وربما يرشح هذا أي يقوى بالإشارة حيث جاءت بصيغة البعد؛ فتكون الإشارة هنا شاملة لجميع القرآن؛ وقوله: ((**آيات الله**)) أي العلامات الدالة على الله عزوجل على وجوده وعلى ما تضمنته من الأسماء والصفات والأفعال؛ وهنا المراد بالآيات الآيات الشرعية .

وقوله: ((**نتلوها عليك بالحق**)) أي نقرأها عليك؛ وهل المراد أن الله سبحانه وتعالى يقرأها على النبي صلى الله عليه وسلم مباشرة أو بواسطة جبريل ؟ الثاني وربما يقع الأول أيضا, ربما يلقى في قلب النبي عليه الصلاة والسلام الوحي إلقاء؛ ولكن الأول هو أكثر؛ بل قد يكون بالنسبة للقرآن هو المتعين؛ لأن الله تعالى يقول: ((**وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك**)) وظاهر الآية أن جميع القرآن نزل به الروح الأمين جبريل؛ وعلى هذا فتكون إضافة التلاوة إلى الله في هذه الآية يراد بها أيش؟ يراد بها تلاوة جبريل؛ ونسبت إلى الله لأنه أي جبريل أرسل بها من عنده؛ وهذا كقوله تعالى: ((**لا تحرك به لسانك لتعجل به إن نعلينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه**)) فإذا قرأناه والقارئ هو جبريل كما ثبت به الحديث أن الرسول صلى الله عليه وسلم إذا سمع قراءة جبريل تعجل في القراءة خوفا من أن ينسى شيئا, فكان يتعجل فقال الله تعالى: ((**لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه**)) حتى لو نزل آيات كثيرة في آن

واحد فلن تنساها؛ ولهذا قال: ((**إذا قرأناه فاتبع قرآنه**)) سيبقى ولا تنسى منه شيئا؛ ((**ثم إن علينا بيانه**)) لابد أن نبينه للناس بلفظه ومعناه .

يقول: ((**نتلوها عليك بالحق**)) بالحق هل الباء هنا للمصاحبة يعني أنها مصحوبة بالحق ونازلة بالحق, صدق في الأخبار وعدل في الأحكام ؟ أو أن المعنى أنها نزلت من عند الله حقا فالباء هنا للملابسة, يعني متلبسة بالحق أي أنها نزلت من عند الله نزولا حقا لا شبهة فيه ولا باطل ؟ يشمل المعنيين جميعا، فهي نازلة من عند الله حقا بلاشك وهي أيضا نازلة بالحق؛ والقاعدة في علم التفسير أن الآية إذا تضمنت معنيين لا يتنافيان فالواجب حملها على المعنيين؛ فإن كانا يتنافيان غلب المرجح, فما ترجح منهما فهو المراد.

قال الله تعالى: ((**وما الله يريد ظلما للعالمين**)) ما نافية وهي حجازية ؟ الطالب: ليست حجازية ؛ الشيخ: ما نافية وهي حجازية، لأن الشروط تامة، الشروط تامة لكن اسمها مفرد كما هو العادة في المبتداء أن يكون مفردا, وخبرها جملة ((**يريد**)) والترتيب موجود, ولم ينتقض النفي, ولم تقترن بإن؛ فالشروط تامة إذا هي حجازية؛ وليس مرادنا بقولنا حجازية أنه لا يتكلم بها إلا الحجاز, بل يتكلم بها جميع العرب؛ لكن أهل الحجاز يعملونها عمل ليس وبني تميم يهملونها؛ فمثلا إذا خاطبك شخص وقال: ما زيد موجودا تعرف أنه حجازي؛ وإذا خاطبك شخص آخر فقال: ما زيد موجود؛ عرفت أنه تميمي؛ عرفت؟ والمراد لو خاطبك أحد بلسان الحجازيين الأول, أما لسان الحجازيين الآن فليس بحجة؛ عرفتم ؟ طيب يقول الشاعر:

ومهفهف الأعطاف قلت له انتسب فأجاب ما قتل المحب حرام ؛

الشيخ: هذا تميمي وإلا حجازي ؟

الطالب: تميمي؛

الشيخ: لأيش؟ لأنه قال: ما قتل المحب حرام؛ لو كان حجازيا لقال: حراما؛ تمام .

الشيخ: الآية الكريمة: ((**وما الله يريد ظلما للعالمين**)) ما هذه ؟ لاشك أنها حجازية, والاسم الكريم اسمها وجملة: ((**يريد**)) خبرها .

يقول الله عزوجل ينفي عن نفسه سبحانه وتعالى أن يريد ظلما للعالمين؛ فهؤلاء الذين ابيضت وجوههم أو اسودت وجوههم لم يُظلموا؛ الذين ابيضت وجوههم نالوا هذا بعملهم أي بسببه؛ والذين اسودت وجوههم نالوه أيضا بعملهم؛ فالأولون عملوا صالحا فأثيبوا هذا الثواب, والآخرون عملوا سيئا فأثيبوا هذا الثواب, لأن الله لا يمكن أن يظلم أحدا .

وقوله: ((**وما الله يريد ظلما للعالمين**)) العالمين المراد بهم كل من سوى الله؛ ((**إن الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون**)) .

ثم قال: ((**ولله ما في السموات وما في الأرض**)) الخبر هنا مقدم يا حجاج لفائدة وهي الحصر, يعني التخصيص لأنك إذا قدمت ما حقه التأخير كان بذلك الحصر؛ كلما قدمت شيئا حقه التأخير فهذا حصر, سواء كان خبرا أو مفعولا به أو جار ومجرورا؛ فمثلا: ((**إياك نعبد وإياك نستعين**)) قدم المفعول به لإفادة الحصر؛ يعني لا نعبد إلا إياك ولا نستعين إلا إياك؛ وهنا: ((**لله ما في السموات**)) يعني لا لغيره؛ فقدم الخبر لأجل الحصر؛ ((**لله ما في السموات وما في الأرض**)) ما اسم موصول يشمل كل ما في السموات من بشر وجن وشجر وأنهار وبحار وغير ذلك صح ؟ لا يشمل لأن السموات ما فيها بشر ولا حجر ولا شجر فيما نعلم والعلم عند الله؛ إنما ((**ما في السموات وما في الأرض**)) يشمل كل هذا ما فيها من الملائكة وما في الأرض من البشر والجن والأشجار والأحجار وكل شيء ما في السموات وما في الأرض؛ وأتى بـ ما تغليبا لغير العاقل لأنهم الأكثر، فغلبوا؛ هذا من وجه، من وجه آخر أنه إذا أريدت الصفة فإنه يعبر بـ ما بدل من ولو في العاقل؛ انتبه إذا أريدت الصفة عبر بما بدلا عن من ولو في العاقل؛ ومثلوا لذلك بقوله تعالى: ((**فانكحوا ما طاب لكم من النساء**)) ولم يقل: من طاب؛ لأنه لم يقصد عين الشخص العاقل بل قصد الوصف والجنس والكم؛ انكح ما طاب من جميل وقبيح وواحد ومتعدد من النساء؛

((**ولله ما في السموات وما في الأرض**)) أظنكم تعلمون أن صلة الموصول تأتي جملة وتأتي شبه جملة، تأتي جملة اسمية وجملة فعلية وجارا ومجرورا وظرفا أربعة أنواع؛ فجملة الاسمية أو الفعلية ظاهر تقول: يعجبني الذي خلقه حسن؛ هذا أيش؟ اسمية؛ وتقول في الجملة الفعلية: يعجبني الذي كان شجاعا؛ هذه جملة فعلية؛ وتقول في الظرف: يعجبني الذي فوق السطح؛ وتقول في الجار والمجرور: يعجبني الذي في المسجد؛ في هذه الآية من أي أنواع ؟ الجار والمجرور؛ طيب يقولون إن الجار والمجرور بنفسه ليس بجملة لأنه يحتاج إلى عامل، فكيف يكون جملة ؟ قالوا لأنه متضمن لشيء محذوف، ولهذا نقول في الإعراب؛ جار ومجرور متعلق بمحذوف؛ قدر المحذوف في الاسم الموصول فعلا, وقدره في خبر المبتداء اسما؛ انتبه ! يقدر في صلة الموصول فعلا, ويقدر في خبر المبتداء اسما؛ فإذا قلت: يعجبني الذي عندك؛ فالتقدير: الذي استقر عندك؛ وإذا قلت: زيد عندك؛ التقدير: زيد مستقر عندك؛ فهمتم يا جماعة ؟ لأيش ؟ لأن الأصل في خبر المبتداء أن يكون مفردا غير جملة؛ والأصل في صلة الموصول أن تكون جملة؛ فنقدرها فعلا في صلة الموصول ونقدرها اسما في خبر المبتداء؛ هذه هي القاعدة .

قال: ((**ما في السموات وما في الأرض**)) هو ملك لله خلقا وإيجادا وتصريفا وتدبيرا؛ وقوله: ((**وإلى الله ترجع الأمور**)) هذه أيضا مفيدة للحصر بتقديم الجار والمجرور على المتعلق وهي ((**ترجع**)) وقوله: ((**ترجع الأمور**)) يعم كل أمر؛ والأمور هنا جمع أمر بمعنى الشأن؛ لأن كلمة أمر يراد بها الشأن كما قال تعالى: ((**وما أمر فرعون برشيد**)) أي ما شأنه؛ ويراد بالأمر الخطاب الموجه على وجه طلب الفعل على وجه الاستعلاء؛ جمع أمر الأول: أمور؛ وجمع أمر الثاني: أوامر؛ وعلى هذا فيكون الأمور جمع أمر وهي الشئون؛ كل الشئون تعود إلى الله عزوجل وترجع إليه لأنه الخالق الذي ابتدئها فوجب أن ترجع إليه .

في هذه الآية فوائد نبدأ بالآية الأولى؛ وهي قوله تعالى: ((**وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون**)).

من فوائد هذه الآية الكريمة: أن أهل الإيمان الذين ابيضت وجوههم في الجنة؛ لقوله: ((**ففي رحمة الله**)) .

ومن فوائدها: خلود أهل الجنة فيها؛ لقوله: ((**هم فيها خالدون**)) .

ومن فوائدها: أن هذا الخلود دائم؛ لأنه جاء بالصيغة الاسمية ((**هم فيها خالدون**)) الدالة على الثبوت والاستمرار .

ومن فوائدها: أن الرحمة تطلق على غير صفة الله بل على مخلوقاته, كما أسلفنا في التفسير أن المراد بالرحمة هنا الجنة؛ وأما قوله: ((**وربك الغفور ذوا الرحمة**)) فالمراد الصفة .

رحمة الله هي صفته مخلوقة أو غير مخلوقة ؟ غير مخلوقة، كل صفات الله غير مخلوقة؛ ورحمة الله التي هي الجنة مخلوقة .

طيب قال الله تعالى: ((**فانظر إلى آثار رحمة الله**)) لما ذكر نزول المطر وأنه يحيي به الأرض قال: ((**فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها**)) ما المراد بالرحمة هنا؟ المخلوق الذي هو المطر أو الصفة ؟ تحتمل، يحتمل أن يكون المراد آثار رحمة الله المطر فيكون مخلوقا؛ أو آثار رحمة الله التي هي صفته والتي من آثارها وما ينشأ عنها هذا المطر؛ طيب ((**وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته**)) مخلوقة، مخلوقة ؟ نعم مخلوقة لأنها هي التي تنشر؛ المهم الآن انتبهوا أن الرحمة قسمان: قسم مخلوق وهو ما كان بائنا عن الله, وقسم غير مخلوق وهو ما كان صفة له .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن الله سبحانه وتعالى أكرم من الخلق؛ لأن عمل الذين ابيضت وجوههم لو نسب إلى الثواب لم يكن شيئا, ومع ذلك يجزون في الرحمة التي يخلدون فيها أبدا أبد الآبدين؛ وهذا تصديق قوله تعالى: ((**من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها**)) .

ثم قال الله تعالى: ((**تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق** ...))

من فوائد هذه الآية: أن القرآن كلام الله؛ لأن الله تعالى أضافه إلى نفسه فقال: ((**آيات الله**))؛ وما أضيف إلى الله ولم يكن عينا قائمة بنفسها فهو من صفاته؛ لأنه لابد أن يكون هذا المضاف قائما بشيء؛ فإذا كان صفة فلن يكون إلا صفة لله عزوجل؛ فإذا قلنا: كلام الله؛ فهذا إضافة صفة؛ وإذا قلنا: هذا مخلوق الله؛ فهذا ليس إضافة صفة؛ لماذا ؟ لأن المخلوق عين قائمة بنفسها؛ طيب ناقة الله ؟ صفة وإلا غير صفة ؟ غير صفة لأنها عين قائمة بنفسها؛ بيت الله ؟ كذلك غير صفة لأنه عين قائمة بنفسها؛ طيب قوله: ((**فإذا سويته ونفخت فيه من روحي**)) ؟ عين، ((**من روحي**)) هل هي صفة وإلا غير صفة ؟ غير صفة كذا ؟ مخلوقة لأنها لو كانت صفة الله ما بانت منه؛ وهنا بانت الرحمة، بانت من الله؛ أين حلت ؟ في آدم، في جسد آدم، إذا فليست صفة من صفات الله لأنها بائنة منه؛ فإضافة الروح هنا من باب إضافة المخلوق إلى الخالق؛ ولهذا لا يمكن أن نقول هذه جزء من روح الله التي هي صفته؛ هذا شيء مستحيل, إذ لو قلنا بهذا لحل شيء من الله في مخلوقاته .

الرحمة هنا التي في الآية: ((**ففي رحمة الله**)) من قسم المخلوق؛ لو أن أحدا جادل وقال: بل هي صفة من صفات الله ؟ لأجبناه بأن هذا مستحيل لأن صفة الله لا تكون ظرفا للبشر؛ وهنا قال: ((**ففي رحمة الله**))؛ إذا نأخذ من هذا أن الرحمة المضافة إلى الله تنقسم إلى قسمين؛ مخلوقة وغير مخلوقة؛ فما كان بائنا عن الله فهي مخلوق وما لا فهي صفة من صفاته .

فإن قال قائل: لماذا أطلق الله عليه الرحمة ؟ نقول: لأنها من آثار رحمة الله .

ومن فوائد هذه الآية: أن أهل الجنة مخلدون فيها؛ لقوله: ((**هم فيها خالدون**)) والخلود هنا أبدي كما ذكره الله تعالى في آيات كثيرة .

الشيخ: فإن قال قائل: إذا قلت: إنه أبدي فما جوابك عن قوله تعالى: ((**وأما الذين صعدوا ففي الجنة خالدين فيها مادامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ**)) فاستثنى فقال: ((**إلا ما شاء ربك**)) ؟ الجواب ؟

الطالب: الخلود يكون بمشيئة الله عزوجل ؛

الشيخ: طيب هذا وجه ؛

الطالب: نقول الخلود ربما يكون سبقه عذاب لعصاة المؤمنين فيكون هذا مستثنى من المشيئة ؛

الشيخ: يعني الاستثناء عائد على ما سبق ؟ هذا ثاني؛ نعم ؟

الطالب: نقول هذا قد يكون من المتشابه وأمرنا الله سبحانه وتعالى أن يرد المتشابه إلى المحكم وهو خلودهم خلودا أبديا ؛

الشيخ: يعني إذا لا نعارض الآيات الدالة على التأبيد بهذه الآية لأنها من المشكل فيجب ردها إلى المحكم؛ طيب هذه ثلاثة؛ فهد ؟

الطالب: يكون الاستثناء منقطعا يعني: لكن ما شاء ربك؛ ولا يتعلق هذا بما قبلها؛

الشيخ: طيب لكن ما شاء ربك ويش النتيجة ؟ طيب نجعله قولا رابعا ونناقش الأقوال الآن نعم فهد ؟ الطالب: السموات والأرض لا تبقى دائما, فالاستثناء إلا ما شاء ربك أن يزيد؛

الشيخ: طيب هذه خمسة ؛

الطالب: الاستثناء هذا بين في هذه الآية وفي آية أخرى وهو قوله: ((**عطاء غير مجذوذ**)) وفي قوله: ((**إن هذا لرزقنا ما له من نفاد**))؛

الشيخ: يعني هذا يرجع إلى ما قاله الأخ محمد ؛ يعني هذا من المشكل وفيه آيات بينة يعني حتى الآية بمعنى: ((**عطاء غير مجذوذ**)) تدل على أنه مستمر.

الطالب: إلا ما شاء ربك وقد شاء الله عزوجل أن يخلدهم في الجنة؛

الشيخ: إلا ما شاء الله وقد شاء الله هذا أظنه القول الثالث .

الطالب: ما فهم بأن الخلود يعني للأذهان تبادر أن الخلود بغير مشيئة الله ليعلم أن هذا الخلود بمشيئة الله,

الشيخ: أي نعم وهذا ما قاله الأخ سامي؛

الشيخ: على كل حال العلماء لهم في هذا أقوال؛ لكن القول الذي يريح الإنسان ويجعل هذا القيد والقيد الذي في أهل النار ((**خالدين فيها إلا ما شاء ربك**)) يجعله من الأمور المتشابهة فيحمل على النصوص المحكمة, يستريح ويقول: إن الله قال: ((**إلا ما شاء ربك**)).

الشيخ: على كل حال للعلماء في هذا أقوال؛ لكن القول الذي يريح الإنسان ويجعل هذا القيد والقيد الذي في أهل النار: ((**خالدين فيها إلا ما شاء ربك**)) يجعله من الأمور المتشابهة فيحمل على النصوص المحكمة يستريح ويقول: إن الله قال: ((**إلا ما شاء ربك**)) مع أنه قد شاء أن يبقى هذا أبد الآبدين هو كقول الرسول عليه الصلاة والسلام في زيارة القبور: (**وإنا إن شاء الله بم لاحقون**) فعلقه بالمشيئة مع أن اللحوق بهم لابد منه؛ هذا يستريح به الإنسان ولا يعترض عليه معترض كما اعترض ابن قيم رحمه الله بأن الله قال في أهل النار: ((**خالدين فيها إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد**)) وقال في أهل الجنة: ((**عطاء غير مجذوذ**)) قال:" **فاختلاف ختم الآيتين يدل على أن أهل النار ليس خلودهم أبديا بخلاف أهل الجنة, لأنه قال في أهل الجنة:** ((**عطاء غير مجذوذ**)) **وقال في أهل النار:** ((**إن ربك فعال لما يريد**)) " وهذا في الحقيقة يعني يدلك على أن الإنسان مهما بلغ في العلم والذكاء فلن يسلم من الغلط؛ والفرق بين الآيتين ظاهر؛ لأن آية السعادة فضل فقال: ((**عطاء غير مجذوذ**)) وآية النار الشقاء عدل فقال: ((**إن ربك فعال لما يريد**)) وهذا من فعله الذي أراد, وليس المعنى ((**إن ربك فعال لما يريد**)) سيفعل في المستقبل خلاف ذلك كما فهم ابن القيم رحمه الله؛ فإن هذا فهم غير سديد بلا شك؛ بل إن مناسبة ختم قوله: ((**إن ربك فعال لما يريد**)) هو أنه لما كان الشقاء غير محمود, قال هذا من فعل الله والله تعالى يفعل ما يريد مع أنه لم يظلمهم .

قال تعالى: ((**تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق**)) من فوائد هذه الآية: أن من كان وكيلا عن الغير فله حكم ذلك الذي وكله؛ لأن الله أضاف التلاوة إليه مع أن التالي رسوله؛ فدل هذا على أن حكم ما نفذه الرسول بما أرسل به حكم ما قاله المرسل.

ومن فوائد هذه الآية: أن كتاب الله عزوجل كله حق ليس فيه باطل؛ وإذا أخذنا هذه الكلمة على عمومها قلنا: جميع أحكامه حق وجميع أخباره حق وليس فيه تناقض ولا اختلاف؛ لأنه لو كان فيه تناقض أو اختلاف لكان أحد المتناقضين باطلا, والقرآن ليس فيه شيء باطل كله حق .

ومن فوائدها: إثبات رسالة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، حيث قال: ((**نتلوها عليك بالحق**)) فيكون المتلو عليه هذه الآيات يكون قطعا رسولا لله رب العالمين .

ومن فوائد الآية الكريمة: إثبات إرادة الله؛ لقوله: ((**وما الله يريد ظلما للعالمين**)) .

فإن قال قائل: الآية هنا نفي ((**وما الله يريد**)) فكيف تقول إنها دالة على إثبات ؟

نقول: هذا النفي ليس مطلقا بل هو نفي لإرادة شيء معين وهو الظلم؛ إذا فغير الظلم يريده أو لا يريده ؟ يريده

.

ومن فوائد الآية الكريمة: أن الظلم ممكن في حق الله؛ لكنه لا يريد لكمال عدله؛ وجهه ؟ قال: ((**وما الله يريد ظلما للعباد**)) ولم يقل: وما يمكن أن يريد الله ظلما؛ على أنه لو قال: وما يمكن ما يدل على انتفاء الظلم لو أراده؛ وحينئذ يكون فيه رد على القائلين بأن الظلم في حق الله محال لذاته وهم الجهمية؛ يقولون إن الظلم في حق الله مستحيل لذاته لا لأنه غير مراد لله؛ بل لذاته؛ وعلى قولهم يكون تمدح الله سبحانه وتعالى بنفي الظلم عنه لغوا لا فائدة منه, لأن ما لا يمكن لا يصح أن يكون مدحا أو أن يتمدح به من كان ممتنعا عليه؛ فالظلم في حق الله ممكن عقلا ولكنه ممتنع شرعا وعدلا؛ لو شاء الله تعالى أن يعذب المطيع لأمكن أو لا ؟ لأمكن, لكنه لكمال عدله لا يمكن أن يعذبه لأنه ظلم؛ هم يقولون: لا يمكن أن يظلم الله أحدا، الظلم مستحيل؛ لماذا ؟ أليس يمكن أن الله يعذب المطيع الذي أمضى طول عمره بطاعة الله ؟ قالوا: نعم يمكن, لكن هذا ليس بظلم لأنه فعله فيما يملكه؛ فالعبد ملك لله لو فعل به أي شيء فليس بظالم له؛ أفهمتم الآن ؟ هذا وجهة نظرهم, لكنها وجهة فاسدة, لأنه لو قال لك قائل: افعل كذا فأثيبك؛ لا تفعل كذا فإن فعلت عاقبتك، ثم فعلت ما أمرك به وما وعدك الإثابة عليه ثم عذبك أشد العذاب هل هذا ظلم عقلا أو غير ظلم؟ ظلم؛ هذا ظلم حتى لو كان مالكا لك؛ لو أن السيد قال لعبده: يا عبدي صلح الغداء واجعل فيه كذا وكذا وكذا وقدمه لي في الساعة الفلانية؛ ففعل ما أمر، فعله على الوصف الذي قال وأتى في الزمن الذي قال, ثم أخذ خشبة وجعل يضرب به؛ ويش يكون ظالم ؟ ظالم, ولو كان عبده؟ ولو كان عبده، عقلا يكون ظالم؛ هم يقولون يجوز أن الإنسان يمضي عمره كله في طاعة الله امتثالا لأمر الله وإذا مات يخلده في النار؛ وإذا فعل ذلك فليس بظالم؛ ليش ؟ قال: لأنه إنما فعله في ملكه؛ نقول: إذا كان الأمر كذلك وكان الظلم على زعمكم محالا فإن الله تعالى لا يصح أن يقال إنه ينفي الظلم عن نفسه تمدحا بذلك.

من فوائد هذه الآية: أنه إذا انتفت إرادة الظلم انتفى الظلم؛ وجه ذلك ؟ أن الله لا مكره له؛ فإذا كان لا يريد الظلم فلا يمكن أحدا أن يجبره على الظلم؛ إذا نفي إرادة الظلم نفي للظلم؛ وحينئذ لا يكون بين هذه الآية وبين قوله تعالى: ((**وما ربك يريد ظلما للعبيد**)) لا يكون بينهما تعارض؛ لأن نفي إرادة الظلم تستلزم نفي الظلم؛ ونفي الظلم يستلزم نفي إرادة الظلم؛ لأنه لو أراد أن يظلم لظلم؛ طيب إذا لو أن أحدا من الناس قال لي: كيف تجمع بين هذه الآية: ((**وما الله يريد ظلما للعالمين**)) وبين قوله: ((**وما ربك بظلام للعبيد**)) ويش تقول ؟ أقول: لا منافاة لأنه إذا انتفت إرادة الظلم لزم انتفاء الظلم؛ وإذا انتفى الظلم لزم انتفاء إرادته؛ لأن الله قادر لو أراد أن يظلم لظلم .

ومن فوائد هذه الآية: إثبات الصفات السلبية؛ لأن ما وصف الله به نفسه ينقسم إلى قسمين: ثبوتي، وانتفائي؛

أو إن شئتم قولوا سلبي؛ فالثبوتي كله صفات كمال، كل صفة أثبتها الله لنفسه فهي صفة كمال؛ والانتفائي كله صفات نقص لكنه متضمن لثبوت كمال؛ ففي قوله تعالى: ((**وما الله بغافل عما تعملون**)) نفي الغفلة؛ لأيش ؟ لكمال علمه ومراقبته؛ ((**وما الله يريد ظلما للعباد**)) لكمال عدله؛ ((**وما مسنا من لغوب**)) لكمال قوته؛ كذا ؟ ((**وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض**)) لكمال قدرته وعلمه, وهلم جرا .

الطالب: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ((**ولله ما في السموات وما في الأرض وإلى الله ترجع الأمور كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون لن يضروكم إلا أذى وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون ضربت عليهم الذلة أين ما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس وباءوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون**)).

الشيخ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم؛ قال الله تعالى: ((**ولله ما في السموات وما في الأرض وإلى الله ترجع الأمور**)) .

وقبل أن نبدأ بالشرح أو بالتفسير نحب أن ننبه على قراءة يتبعها بعض الناس ومنهم الحجاج؛ لما وقف على ((**وضربت عليهم**)) بقي ((**المسكنة**)) فقط، وقف ثم عاد وقال: ((**وضربت عليهم المسكنة**)) مع أنه لو أتبع ((**المسكنة**)) ما قبلها لأمكنه ذلك ولم ينقطع نفسه؛ كذلك لما قال: ((**ويقتلون الأنبياء بغير حق**)), ((**ويقتلون الأنبياء**)) وقف ثم قال: ((**ويقتلون الأنبياء بغير حق**)) مع أن كلمة ((**بغير حق**)) لو أضافها لما سبق لم ينقطع نفسه؛ وهذه موضه يفعلها بعض القراء وهي في الحقيقة خطأ لأن الترداد بدون سبب لا ينبغي؛ ثم إنه لو قال: ((**ويقتلون الأنبياء بغير حق**)) أو ((**وضربت عليهم المسكنة**)) قطعها عن ما قبلها؛ فيحتاج على هذا أن يعيد الآية من أولها؛ فينقطع نفسه عند ((**وضربت عليهم**)) ثم يعيدها من جديد وينقطع نفثه عند قوله: ((**وضربت**)) ثم يعيد من جديد, وينقطع في الثالث عند قوله: ((**و**)) ويعيد من جديد وهكذا, ما هو صحيح هذا؛ فأنا قلت لكم قبل هذا إنه إذا كان بقي كلمة أو كلمتان أتبعها ولو أنه حصل عليك شيء من ضيق النفس, لئلا تحتاج إلى إعادة الكلام مرة ثانية .

يقول الله عزوجل: ((**ولله ما في السموات وما في الأرض**)) هذا مبتدأ درس اليوم ؟

((**لله ما في السموات وما في الأرض**)) الجملة هنا خبرية تقدم خبرها لإفادة الحصر ((**لله ما في السموات**

))؛

الطالب: فوائد يا شيخ؛ أخذنا شرحها؛

الشيخ: إلى أي مكان ؟

الطالب: نفس الآية هذه شرحناها؛

الشيخ: طيب إذا نأخذ الفوائد من أين ؟

الطالب: من ((**ولله ما في السموات وما في الأرض**)).

الشيخ: الآن بارك الله فيكم عندنا آيتين ((**ولله ما في السموات والأرض وإلى الله ترجع الأمور**)) هل أخذنا فوائدها أم لا؟

الطالب: ما أخذناها؛

الشيخ: التي قبلها ؟ ((**تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وما الله يريد ظلما للعالمين**)) ؟

الطالب: أخذناها .

في قوله تعالى: ((**ولله ما في السموات وما في الأرض**)) من الفوائد أولا:

من فوائد هذه الآية: عموم ملك الله عزوجل؛ لقوله: ((**ما في السموات وما في الأرض**)) وما موصولة تفيد العموم .

ومن فوائدها: انفراد ملك الله سبحانه وتعالى بذلك؛ أي أن الله وحده هو المالك لها؛ وهذا يؤخذ من تقديم الخبر؛ لأن القاعدة المقررة عند البلاغيين وأصحاب الأصول أن تقديم المعمول يفيد الحصر .

ومن فوائد هذه الآية: إثبات السموات والأرض؛ وهو أمر معلوم ولا ينكر؛ لكن الفائدة من هذه الفائدة: بيان عظمة الله سبحانه وتعالى بخلق هذه المخلوقات العظيمة التي قال الله عنها: ((**لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون**)) .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن مرجع الأمور إلى الله وحده؛ لقوله: ((**وإلى الله ترجع الأمور**)).

ومن فوائدها: أن من حاول أن يشرع للخلق شيئا سوى ما شرعه الله فقد شارك الله أو فقد جعل نفسه شريكا مع الله؛ وجه ذلك: أن الله حصر مرجع الأمور إليه فقال: ((**وإلى الله**))؛ فمن حاول أن يشرع للناس أمورا لم يشرعها الله فقد جعل نفسه شريكا مع الله سبحانه وتعالى .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: بيان سعة الله سبحانه وتعالى، حيث كانت جميع الأمور ترجع إليه؛ لأن الأمور جمع الأمر وهو محلا بـ أل فيفيد العموم؛ فكل الأمور ترجع إليه الدقيقة والجليلة قال الله تعالى: ((**ما من دابة إلا هو**

آخذ بناصيتها)) كل الدواب صغيرها وكبيرها فالله سبحانه وتعالى آخذ بناصيتها, هو الذي يوجهها ويدبرها العاقل منها وغير العاقل .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: إثبات أن السموات جمع؛ وقد جاءت آيات أخرى تبين أن عددها سبع سموات؛ أما الأرض فجاءت في القرآن مفردة ولكن الله أشار إلى عددها في قوله: ((**الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن**)) وجاءت السنة صريحة في ذلك في قول النبي عليه الصلاة والسلام: (**من اقتطع شبرا من الأرض ظلما طوقه الله به يوم القيمة من سبع أراضين**) .

ثم قال الله تعالى: ((**كنتم خير أمة أخرجت للناس**)) سبق أيضا تفسير هذه الآية نعم ؟

((**كنتم خير أمة أخرجت للناس**)) الخطاب لهذه الأمة؛ وقوله: ((**كنتم**)) قيل: في علم الله؛ وذلك لأن كان للمضي؛ ومعلوم أن هذه الأمة آخر الأمم فلا يمكن أن يتحدث عنها على أنها أمة بائدة؛ فمن ثم قال بعض العلماء: إن فعل المضي هنا باعتبار, لعلم الله, يعني كنتم في علم الله وعلم الله سابق على وجود الأمم؛ ((**خير أمة**)) وقيل: وهو الصحيح إن كان هنا مبينة لاتصاف المبتداء بالخبر وتحقق وجوده فيه وليست دالة على زمان؛ وهذا هو الأصح, ولهذا أمثلة منها قوله تعالى: ((**وكان الله غفورا رحيما**)) ((**وكان الله عزيزا حكيما**)) هل نقول إن كان هنا تدل على المضي وأن هذه صفة زالت عن الله ؟ لا؛ لكنها مسلوبة الزمان تدل على تحقق اتصاف اسمها بما دل عليه خبرها؛ ((**كنتم خير أمة أخرجت للناس**)) أمة: أي طائفة؛ وسبق لنا أن كلمة أمة تطلق في القرآن على أربعة معان. ((**خير أمة أخرجت للناس**)) يعني أخرجها الله عزوجل وأظهرها وبينها وأبرزها ((**خير أمة أخرجت**)) ولم يقل: خلقت؛ لأنها هذه الأمة من وصفها الخروج وهو الظهور والبروز؛ خير أمة ظهرت وبرزت هي هذه الأمة؛ هناك أمم أخرجت للناس وظهرت وبانت لكنها لم تحصل لها الخيرية التي كانت لهذه الأمة .

ثم بين الله تعالى وجه هذه الخيرية في قوله: ((**تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله**)) ((**تأمرون بالمعروف**)) سبق معنى الأمر ومعنى المعروف ومعنى النهي ومعنى المنكر في قوله: ((**ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر**)) .

وقوله: ((**تؤمنون بالله**)) هذا يشمل الإيمان بكل ما أمر الله بالإيمان به، وتشمل أيضا تطبيق كل ما أمر الله به فعلا وكل ما نهى الله عنه تركا؛ لأن من مقتضى الإيمان بالله أن تؤمن بما أخبر به؛ أليس كذلك ؟ وعلى هذا فيكون جميع ما أخبر الله به من أمور الغيب داخلا في الإيمان بالله؛ من تحقيق الإيمان بالله أن تذعن له وتقبل حكمه؛ وهذا يشمل جميع الإسلام جميع الأعمال الصالحة؛ ولذلك كان من مذهب أهل السنة والجماعة أن

الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية؛ وتأمل كيف أخر الإيمان بالله عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأن شأن الأمة أن تكون قاهرة، غالبة، آمرة ناهية؛ فقدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الإيمان بالله, وإن كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بدون إيمان بالله لا ينفع, ولكن لما كانت الأمة بمظهرها عنوان قوتها أن تكون آمرة بالمعروف وناهية عن المنكر .

يقول الله عزوجل: ((**وتؤمنون بالله**)) الإيمان بالله دائما نسمع من كثير من المؤلفين رحمهم الله يقولون: إن الإيمان هو الإقرار وبعضهم يقول الإيمان هو التصديق؛ ولكن هذا على إطلاقه لا يصح باعتبار الإيمان الشرعي؛ الإيمان الشرعي هو الإقرار المستلزم للقبول والإذعان؛ فمن صدق وأقر ولكن لم يقبل ويذعن فليس بمؤمن؛ ودليل ذلك أن أبا طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مقرا ومعترفا بصدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومع ذلك لم يكن مؤمنا, لأنه لم يقبل ما جاء به ولم يذعن له؛ وإلا فإنه يقول في قصائده:

وقد علموا أن ابننا لا مكذب لدينا ولا يعنى بقول الأباطل

يقوله أبو طالب؛ لقد علموا يعني قريشا؛ أن ابننا وهو محمد صلى الله عليه وآله وسلم؛ لا مكذب لدينا؛ يعني يصدقه؛ ولا يعنى بقول الأباطل؛ لا يهتم بالقول الكذب أو الباطل؛ ويقول:

ولقد علمت بأن دين محمد من خير أديان البرية دينا لولا الملامة

أو حذار مسبة لرأيتني سمحا بذاك مبينا

أعوذ بالله . ومع ذلك لم ينفعه هذا الإيمان بل مات على الكفر؛ إذا الإيمان شرعا هو الإقرار المستلزم للقبول والإذعان.

قال الله تعالى: ((**ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم**)) لو هذه شرطية وفعل الشرط فيها ((**آمن**)) وجوابه: ((**لكان خيرا لهم**))؛ ولو إذا كان جوابها إثباتا، لو الشرطية إذا كان جوابها إثباتا فالأفصح أن يقرن باللام، إذا كان جوابها إثباتا فالأفصح أن يقرن باللام كما في هذه الآية: ((**لو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم**)) ((**لو نشاء لجعلناه حطاما**)) ((**ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخلفون**)) والأمثلة على هذا كثيرة؛ وربما حذفت اللام, ومنه قوله تعالى: ((**لو نشاء جعلناه أجاجا**)) ولم يقل: لجعلناه أجاجا؛ أما إذا كان خبرها منفيا فإن الغالب حذف اللام قال الله تعالى: ((**ولو شاء ربك ما فعلوه**)) ولم يقل: لما فعلوه؛ وقال: ((**ولو شاء الله ما اقتتلوا**)) ولا تقترن بها اللام إذا نادرا يعني قولك: لو شئت لما فعلت؛ هذا نادر لكنه قد يرد؛ ووجه كونه نادرا أن اللام تفيد التوكيد وما تفيد النفي, وبينهما شبه تضاد ولا يجمع بين الشيء وضده.

تأتي لو مصدرية مثل أن وذلك إذا جاءت بعد ود ونحوها فإنها تكون مصدرية قال الله تعالى: ((**ود كثير من**

أهل الكتاب لو يردونكم)) أي ودوا ردكم؛ ((**ودوا لو تدهنوا فيدهنون**)) أي إدهانك، وهكذا ؛ فهنا لو نقول إنها مصدرية فصارت تأتي مصدرية إذا جاءت بعد ود وما أشبهها مما يدل على المحبة؛ تقول: أحب لو تذهب، أحب لو تفهم أي أحب ذهابك وأحب فهمك؛

قال: ((**لكان خيرا لهم**)) لو آمنوا لكان خيرا لهم؛ خيرا لهم من أي شيء؟ من الكفر، لو آمنوا لكان خيرا لهم من الكفر كما قال تعالى: ((**ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير**)) وقال تعالى: ((**يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم**)) إذا لكان خيرا لهم من بقائهم على كفرهم؛ ويحتمل أن يقال: ((**لكان خيرا لهم**)) أي لكان خيرا مضاعفا كما أخبر النبي عليه الصلاة السلام: (**أن الرجل من أهل الكتاب إذا آمن برسوله وآمن بمحمد صلى الله عليه وسلم آتاه الله أجره مرتين**).

ثم قال: ((**منهم المؤمنون**)) منهم أي من أهل الكتاب؛ ((**المؤمنون وأكثرهم الفاسقون**)) منهم أي من أهل الكتاب المؤمنون يعني الذين آمنوا مثل النجاشي من النصارى, وعبد الله بن سلام من اليهود, هؤلاء آمنوا إيمانا وقر في قلوبهم؛ ((**وأكثرهم الفاسقون**)) الفاسقون هنا يراد بها الخروج عن طاعة الله خروجا مطلقا وهو الكفر؛ لأن الفسق يراد به الخروج عن الطاعة خروجا مقيدا؛ ويراد به الخروج عن الطاعة خروجا مطلقا؛ فالخروج عن الطاعة خروجا مقيدا كما قال الفقهاء رحمهم الله: إن فاعل الكبيرة فاسق لأنه خرج عن الطاعة خروجا مقيدا بهذه المعصية التي فسق بها؛ والخروج عن الطاعة خروجا مطلقا يكون بالفسق ومنه قوله تعالى: ((**وأما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها ...**))؛ ((**وأكثرهم الفاسقون**)).

في هذه الآية فوائد منها: أن هذه الأمة خير الأمم؛ لقوله: ((**كنتم خير أمة أخرجت للناس**))

فإن قال قائل: كيف نجمع بين هذه الخيرية وبين ما جاء في بني إسرائيل أن الله فضلهم على العالمين؛ ومعلوم أن المفضلة خير من المفضل عليه ؟

فنقول: لدينا آيتان، أو لدينا نصان متعارضان كلاهما على سبيل العموم؛ فهذه الآية: ((**كنتم خير أمة أخرجت للناس**)) هذه عامة تشمل بني إسرائيل وغيرهم؛ وقوله: ببني إسرائيل، ((**يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين**)) تقتضي التفضيل العام على هذه الأمة وعلى غيرها؛ فبين النصين الآن عموم متعارض؛ فإن ادعيت تخصيص عموم آية بني إسرائيل بخصوص هذه الآية قال لك الإسرائيلي: وأنا أدعي تخصيص عموم هذه الآية بخصوص بني إسرائيل فأقول: أنتم خير أمة أخرجت للناس ما عدا بني إسرائيل؛ فيقال: إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بين لنا أي العمومين مراد؛ فقال: (**توفون سبعين**

أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله)؛ فبين الرسول عليه الصلاة والسلام أن هذه الأمة خير الأمم التي أوفتها وختمت بها ؛ وهذا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نص؛ فيكون عموم قوله: ((**كنتم خير أمة أخرجت للناس**)) مقدما على عموم قوله: ((**وأني فضلتكم على العالمين**)) وحينئذ يكون قوله تعالى: ((**وأني فضلتكم على العالمين**)) مخصوصا بقوله في هذه الأمة: ((**كنتم خير أمة أخرجت للناس**)) بنص كلام الرسول عليه الصلاة والسلام؛ وقال بعض العلماء: إن المراد بالعالمين العام خصوص عالمي زمانهم؛ فهمتم ؟ المراد بالعالمين خصوص عالمي زمانهم يعني العالمين في هذا الزمن أي في زمان بني إسرائيل؛ فيكون من باب العام الذي يراد به الخاص؛ فلم يرد به العموم من الأصل، من الأصل لم يرد به العموم؛ والعام الذي يراد به الخاص كثير؛ في القرآن والسنة ومن ذلك قوله تعالى: ((**الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم**)) فإن الناس في قوله: ((**قال لهم الناس**)) لا يراد به عموم الناس بل القائل واحد؛ وقوله: ((**إن الناس قد جمعوا لكم**)) أيضا لا يراد به جميع الناس؛ لأنه لم يجمع لهم إلا قريش؛ عامة البشر ما جمعوا للرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه؛ فيكون قوله: ((**وأني فضلتكم على العالمين**)) يكون عاما أريد به الخاص؛ وعلى هذا فلا يكون في الآية عموم إطلاقا؛ وحينئذ لا تعارض هذه الآية .

من فوائد هذه الآية الكريمة: أن هذه الأمة فضلت غيرها بالخيرية لوصف ليس في غيرها؛ وهي أنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؛ أما من سبقها فلا؛ يقول الله تعالى في بني إسرائيل: ((**لعن الذين كفروا في بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه**)) .

ومن فوائدها: أنه متى زال هذا الوصف الذي به فضلت هذه الأمة . وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . زالت كونها خير أمة أخرجت للناس؛ وذلك لأن الحكم المعلل بعلة يوجد بوجودها وينتفي بانتفائها, ويقوى وبقوتها ويضعف بضعفها .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأن ترتب الخيرية عليه يدل على أهميته .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كلما وجد في الأمة وجد الخير فيها, وكلما ضعف فيها ضعف الخير؛ ولهذا لما كانت الأمة قوية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في بلادنا هذه كانت البلاد على خير ما يرام, ولما ضعفت هذه الأمة أو لما ضعف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فات هذه البلاد من الخير بقدر ما فاتها من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

السائل: كيف قلنا بتخصيص عموم آية تفضيل بني إسرائيل على العالمين ؟

الشيخ: إذا قلنا إن المراد بالعالمين في بني إسرائيل عموم الناس صار هنا عامان متعارضة؛ لكن السنة بينت أن

عموم هذه الآية مقدم على عموم بني إسرائيل؛ وإذا قلنا إن آية بني إسرائيل لم يرد بها العموم من الأصل وإنما أريد بها الخاص زال الإشكال .

السائل: نأخذ الآية الثانية : ((**كنتم خير أمة أخرجت للناس**)) أنها في الزمن بعد بني إسرائيل فماذا تكون ؟

الشيخ: هذه ربما يقول قائل: إذا أنتم خير أمة أخرجت للناس في هذا الزمن بخلاف زمن بني إسرائيل .

السائل: لماذا خص أهل الكتاب في قوله تعالى: ((**ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم**)) يعني ما يدخل فيه المجوس والصابئين وغيرهم ؟

الشيخ: هذا الإشكال يقول: لماذا قال: ((**ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم**)) مع أن غيرهم لو آمن لكان خيرا لهم؛ لأن هؤلاء يدعون أنهم أهل كتاب وأنهم على دين؛ فيقول لهم: إذا كنتم تريدون البقاء على دينكم من أجل فضل الدين وثواب الدين فإيمانكم خير, فلو كنتم صادقين بأنكم تريدون الخيرية لكان دخولكم في الإسلام أمرا محتما لأنكم تريدون الخيرية, بخلاف غيرهم فربما لا يدعون هذه الدعوى .

السائل: شيخ أنتم قلتم بأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مختص بهذه الأمة والله عزوجل يقول الآية التي فيها: ((**أولوا بقية ينهون عن فساد في الأرض**)) تنص عليه ؟

الشيخ: أي نعم لكن هؤلاء قلة ما هو الأمة كلها؛ ولهذا قال الله عن بني إسرائيل: ((**كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه**)) فإذا وجد ((**إلا قليلا ممن أنجينا منهم**)) إلا قليلا ممن أنجينا منهم ما يعتبر شيئا، القليل بالنسبة للأمة ليس بشيء .

السائل: فائدة التعبير في قوله: ((**وأكثرهم لفاسقون**)) باللام مع أنه كان المتبادر بـ أل أن يقال: ((**وأكثرهم الفاسقون**)) كما في أكثر الآيات ؟

الشيخ: لأنه قال: ((**منهم المؤمنون**)) ولم يقل: منهم مؤمنون؛ فمن أجل المطابقة بين المتقابلين صار هذا أولى .

السائل: ما يصير الفائدة كون هذه الصفة محصورة فيهم ؟

الشيخ: لا؛ لأنه قال: ((**أكثرهم**)) ؛ والفسق موجود في غيرهم أيضا؛ ولهذا في آية المائدة: ((**ولكن كثيرا منهم فاسقون**)) بدون أل.

السائل: خصصنا المراد بالعالمين في بني إسرائيل بالزمن, قد يدعي مدعي كذلك أنها خاص بهذه الأمة الشيخ: يعني بزمنهم ؟ قلنا هذا ؛ أما قلناها ؟ أي أجبنا عن هذا بأن الحديث هو الذي يفصل؛ وإلا في الحقيقة أن بينهما تعارض, إلا إذا حملنا العالمين في بني إسرائيل على أن المراد به الخاص .

السائل: أحسن الله إليك ! القرآن دائما يقدم الأمر بالمعروف على النهي عن المنكر مع أن درء الفاسد مقدم على جلب المصالح فما حكم التقديم ؟

الشيخ: معلوم لأن المعروف منه القيام بأركان الإسلام: الشهادتين، والصلاة، والزكاة، والصوم، والحج؛ بدون هذه الأمور التي تعتبر معروفا لا ينفع اجتناب المنكر, حتى لو أن الإنسان مثلا اجتنب المنكر لا يزني ولا يسرق ولا يشرب الخمر لكن لا يصلي لم ينفعه هذا .

السائل: في قوله تعالى: ((**ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم**)) هل فيه دليل على أن أهل الكتاب لم يؤمنوا أو قليل إيمانهم ؟

الشيخ: ما يظهر، يعني لو آمنوا لكان خيرا لهم ما يدل على أنه قد لا يؤمن إلا القليل .

السائل: طيب لماذا قال لا يؤمنون ؟

الشيخ: هو حثا لهم على الإيمان يعني هم الحين يدعون إنهم على حق فيقول كأنه قال: إذا كنتم تدعون أنكم على حق وأنكم بقيتم على هذا ابتغاء مرضات الله فلو آمنتم لكان خيرا لكم؛ والعاقل إذا كان صادقا في أنه يريد الخير فمهما تبين الخير في أي شيء تبعه .

السائل: جواب لو الفصيح فيه اقترانه باللام إذا كان في الإثبات ....., الجواب إذا لم يقترن باللام فهل يقال إنه غير فصيح ؟

الشيخ: لا لا، قليل؛ نحن ما قلنا فصيح يا أخي، ما قلنا فصيح نحن قلنا الكثير؛

السائل: فالأفصح ؟

الشيخ: نعم نعم صح الأفصح لأنه الأكثر؛

السائل: لكن ما يقال عن تلك أنها غير فصحى ؟

الشيخ: يقال الأفصح لأنه الأكثر هو اقترانها باللام؛ فإذا كان هذا الأكثر صار أفصح, وإلا لقلنا إنه يتساوى هذا وهذا؛ والقرآن فيه فصيح وفيه أفصح؛ ولكن قد يعدل عن الأفصح إلى الفصيح لسبب من الأسباب .

الشيخ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم؛ قال الله تعالى: ((**كنتم خير أمة أخرجت للناس**)) التعبير بكان الدالة على المضي ؟.

الطالب: فيها قولان: قيل: الدالة على المضي في الزمن الماضي؛ وقيل: أنها لا تعمل عمل الماضي؛ الشيخ: يعني أنها لا تدل على زمان؛ طيب على القول الأول أنها دالة على زمن ماضي كيف يقول: ((**كنتم خير أمة**)) وهم آخر الأمم ؟

الطالب: على قول الثاني؛

الشيخ: على القول الثاني أن كان ما تدل على الزمان إنما تدل على تحقق اتصاف اسمهما بخبرها .

الطالب: أي في علم الله سبحانه وتعالى؛ الشيخ: أي في علم الله : ((**كنتم**)) يعني في علم الله السابق على خلق السموات والأرض.

الشيخ: جملة ((**تأمرون**)) ما موقعها مما قبلها في المعنى ؟.

الطالب: تعليلية؛

الشيخ: قوله عزوجل: ((**أخرجت للناس**)) هل المراد جميع الناس أو أخرجت للناس في زمن إخراجها ؟

الطالب: في جميع الناس؛

الشيخ: إذا قلت بهذا أشكل علينا قوله تعالى في بني إسرائيل: ((**يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين**)) ؟

الطالب: يعني على الذين سبقوا عليهم؛ أو زمنهم؛

الشيخ: أو عالمي زمانهم ؟ وعلى هذا التأويل يكون المراد بالعالمين ؟

الطالب: من كانوا قبل بني إسرائيل. عام أريد به الخصوص؛

الشيخ: يكون عاما أريد به الخصوص ؛ أحسنت .

الشيخ: قوله تعالى: ((**ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم**)) أهل الكتاب من هم ؟

الطالب: اليهود والنصارى؛

الشيخ: ((**لكان خيرا لهم**)) من أيش ؟

الطالب: خيرا لهم من الكفر؛

الشيخ: خيرا لهم من الكفر ؟ طيب.

الشيخ: كيف يا سلمان يقول خيرا لهم من الكفر والكفر لا خير فيه إطلاقا ؟ ((**ولو آمن أهل الكتاب لكان**

خيرا لهم)) .

الطالب: خيرا لهم من الكفر؛

الشيخ: طيب المعروف أن اسم التفضيل يدل على اشتراك المفضل والمفضل عليه في أصل المعنى, فهل في الكفر خير ؟

الطالب: لا ليس فيه خير, الآية: ((**ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم**)) أي خيرا لهم من الكفر؛ الشيخ: طيب الكفر ما فيه خير أصلا ؟

الطالب: يعني ما فيه نسبة ؟

الشيخ: نعم؛

الطالب: إذا ما فيه نسبة؛

الشيخ: طيب كيف يقول : ((**خيرا لهم**)) ويجعل فيه النسبة ؟

الطالب: هذا الكلام يظنون أنهم على علم بالكتاب أو عندهم دين ؛

الشيخ: يعني مثل ما قال عندهم خير؟

الطالب: نعم عندهم خير.

الطالب: اسم التفضيل قد يأتي ... ليس فيهم من الخير مثل قوله تعالى: ((**أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا**))

الشيخ: إذا الجواب على هذا أن اسم التفضيل قد يأتي وليس في الطرف المفضل عليه منه شيء كقوله تعالى: ((**أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا**)) مع أن في النار لا خير في مستقرهم إطلاقا .

الشيخ: ما هي النكتة البلاغية في هذا ؟

الطالب: في ماذا ؟

الشيخ: في كونه يقول خيرا : ((**لو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم**)) ؟

الطالب: خير من بقائهم على الكفر؛

الشيخ: صحيح لكن النكتة البلاغية والمعنى الذي ترمي إليه الآية ؟ نعم محمد ؟

الطالب: هم لما كانوا يدعون أنهم على علم وأن عندهم كتاب فالله تعالى يقول إذا كنتم تدعون أن عندكم علم وأنكم أصحاب الكتاب فآمنوا كأنه يأمرهم يعني؛

الشيخ: يعني كأنه يوبخهم على عدم الإيمان لأنهم لو كانوا صادقين يريدون الخيرية فالإيمان خير.

الشيخ: ((**منهم المؤمنون**)) يا خالد مثل من ؟

الطالب: مثل عبد الله بن سلام وأبي بن كعب من اليهود؛

الشيخ: عبد الله بن سلام من أين ؟

الطالب: من اليهود؛

الشيخ: ومن النصارى ؟

الطالب: النجاشي؛

الشيخ: مثل النجاشي طيب .

الشيخ: قوله: ((**أكثرهم الفاسقون**)) عبد المنان معناها ؟

الطالب: يعني الغالبية العظمى ... ؛

الشيخ: ما المراد بالفسق ؟

الطالب: الكفر.

الشيخ: هل يأتي الفسق بمعنى الكفر ؟

الطالب: نعم يأتي؛

الشيخ: المثال ؟

الطالب: في قوله تعالى: ((**ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون**))

الشيخ: وفي آية ((**الظالمون**)) ؟ إذا ما فيه دليل ؟

الطالب: شيخ العلماء فرقوا بين هذا؛

الشيخ: العلماء فرقوا هل معناه أن كل وصف يتنزل على وصف من الأحوال أو أنها أوصاف على حال واحدة وكل كافر فهو ظالم وكل كافر فهو فاسق ؟

الشيخ: فهد ؟

الطالب: قوله تعالى: ((**وأما الذين فسقوا فمأواهم النار**))

الشيخ: في مقابل ؟

الطالب: في مقابل الذين آمنوا: ((**فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلا بما كانوا يعملون وأما الذين فسقوا فمأواهم النار**))

الشيخ: طيب أحسنت: ((**وكذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون**)) أظن هذا الذي

وقفنا عليه. أخذنا الفوائد ؟ خمسة من الآية الأخيرة.

بسم الله الرحمن الرحيم؛ من فوائد هذه الآية الكريمة: ((**كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله**)) أنه كلما ازداد الإنسان أمرا بالمعروف ونهيا عن المنكر كان خيرا من غيره؛ لأن المعلق على وصف يقوى بقوته ويضعف بضعفه .

ومن فوائد هذه الآية: أن العامل أو أن العاملين يتفاضلون ؛ من أين يؤخذ ؟ من قوله: ((**خير أمة**)) وهذا واضح؛ وتفاضل العمال بتفاضل الأعمال أليس كذلك ؟ وتفاضل الأعمال ثابت بالكتاب والسنة: ((**لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة**)) فهذا تفضيل العامل لفضل العمل؛ وهذا مذهب أهل السنة والجماعة أن الإيمان يزيد وينقص؛ وأن العامل يزيد وصفه بالطاعة وينقص بحسب ما معه من العمل .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

ومن فوائدها: التنديد بأهل الكتاب حيث كفروا برسول الله صلى الله عليه وسلم مع أنهم يدعون أنهم يريدون الخير ولو كانوا صادقين في إرادة الخير لكانوا يؤمنون بالرسول صلى الله عليه وسلم .

ومن فوائد هذه الآية: أن من أهل الكتاب من هو مؤمن ومنهم من هو الفاسق وهم الأكثر، الأكثر الفاسقون .

فإن قال قائل: هل معنى ذلك أن أهل الكتاب الموجودين اليوم مؤمنون ؟ لا؛ ولهذا قال: ((**منهم المؤمنون**)) وأل هنا للعهد الذهني, يعني الإيمان المعروف وهو الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم؛ ولم يقل: منهم مؤمنون؛ قال: ((**منهم المؤمنون**)) يعني الإيمان المعهود عندكم أيها المسلمون وهو الإيمان برسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومن فوائد هذه الآية: أن أكثر أهل الكتاب فاسق مارق خارج عن الدين؛ وهو كذلك؛ والقليل منهم آمن ويؤمن حتى الآن، حتى الآن يوجد أناس من أهل الكتاب يؤمنون بالله .

ثم قال الله تعالى: ((**لن يضروكم إلا أذى**)) ((**لن يضروكم**)) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه المتمسكين بهديه؛ والفاعل في ((**يضروكم**)) يعود على أهل الكتاب, أي لن يضركم أهل الكتاب إلا أذى؛ قوله: ((**إلا أذى**)) اختلف المفسرون فيها هل هي استثناء منقطع أو استثناء متصل؛ فمنهم من قال: إنها استثناء متصل لأن هذا هو الأصل في الاستثناء، الأصل في الاستثناء أن يكون متصلا ؛ وعلى هذا الرأي يكون في الآية شيئا من الحذف تقديره: لن يضروكم إلا ضرر أذى؛ ليس ضرر عدوان حسي ببتر عضو أو أخذ مال وإنما هو أذى؛ وذلك بأن يسمعوكم ما تكرهون؛ بالتوبيخ والاستهزاء وما أشبه ذلك؛ هذا إذا قلنا إنه استثناء

متصل؛ ولاشك أن الأذى نوع من الضرر, لكنه ليس الضرر الذي يطلق عليه اسم ضرر.

والقول الثاني: أن الاستثناء هنا منقطع؛ وعلى هذا القول يكون المعنى: لن يضروكم ولكن يؤذونكم، ولكن يؤذونكم؛ والأذية لا يلزم منها الضرر؛ ولهذا قال الله تعالى: ((**إن الذين يؤذون الله ورسوله لنعهم الله في الدنيا والآخرة**)) فأثبت أنهم يؤذون الله ورسوله؛ وقال الله تعالى: ((**إنهم لن يضروا الله شيئا**)) وفي الحديث القدسي: (**يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني**) فالضرر منتف عن الله.

الشيخ: والأذية ؟ الطالب: حاصلة ، الشيخ: الأذية حاصلة؛ ومن أمثلتها قوله تعالى في الحديث القدسي: (**يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر**)؛ ويوضح هذا أنه لو صلى إلى جانبك رجل قد أكل بصلا أو ثوما فإنك تتأذى برائحته ولكن هل يضرك ؟ لا، لا يضرك؛ وهذا القول أصح أن الاستثناء منقطع, وهو وإن كان خلاف الأصل لكنه أعلى في البلاغة, هذا في البلاغة؛ لن يضروك ولكن الأذى ستصبرون عليه والأذى ليس بضرر: ((**لن يضروكم إلا أذى**)) .

فإن قال قائل: هل هذه الآية محكمة, عامة إلى يوم القيمة أو هي منسوخة خاصة بما كان قبل النسخ؟

فالجواب: الأول .

فإن قال قائل: يرد على دعواكم أن المراد الأول أن اليهود يعملون بنا اليوم ما هو من أشد الأضرار, ومعلوم أن خبر الله تعالى لا يخلف؛ فما الجواب ؟

الجواب أن نقول: الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ومن كان على مثل ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فلن يضره اليهود ولا النصارى؛ أما أناس يعتقدون الدين الإسلامي دين رجعية وتخلف ويبدلونه بغيره من القوانين الرجعية الوضعية فهؤلاء لا يكتب لهم النصر ويضرونهم بالأذى القولي والفعلي والاقتصادي وبكل شيء, وإلا فإن كلام الله سبحانه وتعالى لا يخلف أبدا؛ لكن قوم يقاتلون قتالا جاهليا مبنيا على أيش؟ على القومية المتمزقة وبدين باطل مضاد لدين الله فهؤلاء لا يستحقون النصر؛ ولذلك كانت اليهود الآن يفعلون الأفاعيل بنا, من يقدرون على الفعل ببدنه فعلوا, ومن لا يقدرون فإنهم يفعلون به ما يفعلون من المضار الاقتصادية العالمية, كما هو معروف؛ وحينئذ تبقى الآية محكمة غير منسوخة، باقية إلى يوم القيمة؛ لكن المشروط يتوقف على الشرط، فانتفاء الضرر موقوف على وجود شرطه وهو أن نطبق سيرة من وعدوا بهذا الوعد وهم ؟ النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه .

ثم قال: ((**وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار**)) يعني لو فرض حصل بين المسلمين بين أهل الكتاب قتال ولو الأدبار، ولو الأدبار ما يمكن يستقرون: ((**لا يقاتلونكم جميعا إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر**))

ولكن الخطاب كما عرفتم لمن ؟ للرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه ومن كان على مثل هدي الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه؛ طيب ((**إن يقاتلوكم يولوكم**)) عندنا شرط وجواب؛ الشرط المقاتلة؛ والجواب: تولي الأدبار؛ فهم بمجرد ما يحصل بيننا وبينهم لقاء وقبل أن يصل أول سهم إليهم . والله أعلم . يفرون يولون الأدبار؛ وهنا يقول: ((**يولوكم الأدبار**)) أي يجعلون الأدبار تليكم وهو كناية عن أيش؟ عن الانهزام ؛ لأن المنهزم يولي ظهره المنهزم منه؛ أليس كذلك ؟ ولهذا قال عبد الله بن الزبير رضي الله عنه حينما حوصر في مكة قال متمثلا أو منشدا قال:

ولسنا على الأعقاب تُدمى كُلومنا ولكن على أقدامنا تقطر الدماء ؛

الذي تقطر الدماء على أقدامه مقبل؛ والذي تدمى أعقابه مدبر.

طيب قوله: ((**ويولوكم الأدبار**)) حذفت منها النون لأنها وقعت جوابا للشرط؛ قال: ((**ثم لا ينصرون**)) ثم للمهلة والتراخي؛ ((**ولا ينصرون**)) فيها النون وهو محل إشكال لأن ثم حرف عطف ((**ويولوكم الأدبار**)) معطوف عليه؛ والمعطوف على المجزوم أيش؟ يكون مجزوما؛ ولكننا نقول: ثم هنا ليست للعطف ولكنها للاستئناف والتقدير: ثم هم لا ينصرون؛ ولابد من هذا التقدير لأنه لو كانت عطفا على قوله: ((**يولوكم الأدبار**)) لجزمت ولقيل: ثم لا ينصروا؛ وحينئذ يفسد المعنى، يفسد المعنى؛ لأنه لو كان انتفاء النصر عنهم حين يقاتلوننا لأمكن لقائل أن يقول: إنهم ينتصرون بعد ذلك؛ أنتم معنا يا آدم ؟ الطالب: نعم؛ الشيخ: لو قالوا يولوكم الأدبار ثم لا ينصر؛ لصار انتفاء النصر مقيدا بما إذا قاتلونا؛ ولكن الأمر ليس كذلك هم لا ينصرون أبدا سواء قاتلونا أم لم يقاتلونا؛ ولهذا قال: ((**ضربت عليهم الذلة**)) فتبين الآن أن ثم هنا ليست عاطفة ولكنها استئنافية, والفعل بعدها مرفوع لأنها جملة مبتدأ بها؛ لم تعطف على منصوب ولا على مجزوم.

وقوله: ((**ثم لا ينصرون**)) ما هو النصر؟ النصر هو المنعة والقوة والصرف وما أشبه ذلك؛ فمعنى نصرتك يعني صرفت عنه عدوه؛ وأيدته وقويته, هذا هو معنى النصر؛ فهؤلاء لا ينصرون أبدا.

ولكن قد يقول قائل: إنه جرت حروب بين المسلمين وبين النصارى وبين المسلمين وبين اليهود فنصر النصارى على المسلمين ونصر اليهود على المسلمين والجملة ((**لا ينصرون**)) جملة خبرية, وخبر الله عزوجل لا يمكن إخلافه؛ فما هو الجواب ؟

أما الأول فإن من العلماء من قال: إن هذا في اليهود؛ وأن اليهود ما انتصروا يوما من الدهر على المسلمين أبدا؛ بل من هزيمة إلى هزيمة، هزموا في المدينة، بنو قينقاع وبنو النظير وبنو قريظة؛ وهزموا في خيبر بنو النظير, ولم يقم لهم قائمة أمام المسلمين؛ وبناء على هذا نقول: إن الآية خاصة باليهود؛ أما النصارى فلم تتعرض له الآية؛ ولكننا

نجيب بجواب أصح من هذا نقول: الخطاب للمسلمين حين كانوا يمثلون الإسلام بالعقدية والقول والفعل وهم في هذه الحال سينصرون على اليهود والنصارى والمجوس وسائر الكفار؛ فهمتم ؟ وحينئذ لا يشكل، لا يشكل علينا تغلب النصارى الصليبيين على المسلمين, ولا يشكل علينا تسلط اليهود على العرب, لأن القتال مع اليهود في راية العروبة قتال جاهلية، قتال طائفة لطائفة لا لدين؛ بل ربما هم يعتقدون أنهم يقاتلون للدين، يعتقدون إن الأرض المقدسة التي كتب الله لهم مكتوبة لهم إلى يوم القيمة؛ فهم يقاتلون واثقين بوعد الله؛ وموسى قد قال لهم: ((**يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم**)) فهم يقولون الأرض أرضنا بنص قول نبينا؛ فنحن نقاتل للوصول إلى أرض كتبها الله لنا؛ ويذكر أنه لما كانت هزيمة عام سبع وستين ميلادي, لما دخلوا سينا وما استولوا عليه من بلاد العرب صار الواحد من الجنود يأخذ التراب ويقبله ثم يسجد عليه, ويبكي لأنه رجع إلى أرضه التي وعد؛ فصاروا يقاتلون عن عقيدة؛ أما عن قومية بائسة طائشة فلا خير فيها؛

طيب إذا الجواب عندنا على وجهين؛ الوجه الأول: أن ذلك خاص باليهود وأن اليهود لم تقم لهم قائمة بعد أن أجلاهم الرسول صلى الله عليه وسلم من المدينة ثم أجلوا بعد ذلك من خيبر؛ والقول الثاني: أن المراد اليهود والنصارى لكن بشرط أن يكون المقابل لهم يقاتل للإسلام لتكون كلمة الله هي العلياء .

ثم قال عزوجل: ((**ضربت عليهم الذلة أين ما ثقفوا**)) قوله: ((**ضربت عليهم الذلة**)) فيها قراءتان, بل ثلاث قراءات: ((**عليهِمُ**)) والثانية: ((**عليهُم**)) هاتان القراءتان؛ والثالثة: ((**عليهِمِ الذلة**)) عليهِم بدل من عليهُم؛ فصار الهاء فيها قراءتان: الضم والكسر؛ والميم فيها قراءتان: الضم والكسر؛ طيب.

وقوله: ((**ضربت عليهم الذلة**)) من الذي ضربها ؟ الله عزوجل, وسمَّى ذلك ضرباً كالضرب على الفلوس الذي يبقى منطبعاً لا يزول بمسح الأيدي، تعرفون الفلوس ؟ النقد الحديدي هذا, معروف, هذا إذا ضُرب يكون فيه ما ضرب, اسم الضارب مثلا في الدولة الفلانية, أو بيان أن هذا نسبته نصف قرش, قرش أكثر أقل, هذا ضرب لأنه ينطبع ما يتغير, فكأن هذه الذلة مطبوعة عليهم ما يمكن أن تتغير.

وقوله: ((**الذِّلَّةُ**)) على وزن فِعْلَة, وهي تختلف عن الذل لأنها تدل على ذلة معينة مخصوصة, قال ابن مالك:

وفَعْلَة لمرة كجَلسة وفِعْلَة لهيئةٍ كجِلْسة

على كل حال ذِلَّة على وزن فِعْلة أي: ذلة مخصوصة كما تقول: جلس فلان جِلْسة الأسد, يعني جِلْسَة معروفة، طيب ما هذه الذِلة ؟ هي ذلة . والعياذ بالله . ما تخرج من قلوبهم؛ لأنه قال: ((**ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ**)) فكما أن النقش في السكة المضروبة لا يتحول ولا يزول فكذلك هذه الذلة.

((**أَيْنَ مَا ثُقِفُوا**)) عندي: أين ما مكتوبة أين وحدها, كذا عندكم ؟ والقاعدة أنها متصل بعضها ببعض, مقرونة

أينما, لكن ما عليه المصحف قاعدة قديمة, قوله: ((**أَيْنَ مَا ثُقِفُوا**)) يعني: وجدوا, قال الله تعالى: ((**وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ**)) [البقرة: 191] يعني: حيث وجدتموهم، فهؤلاء اليهود والنصارى أيضا من بني إسرائيل ضربت عليهم الذلة, في أي مكان كانوا من الأرض فهم أذلاء؛ لأن الله ضرب عليهم الذلة.

لكن يقول: ((**إِلاَّ بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ**)). ففي هذه الحالة لا تكون الذلة مضروبة عليهم.

الحبل من الله: يعني السبب المنجي من هذه الذلة, الكائن من الله, وهو الإسلام, لأن الإسلام حبل من الله يعصم به الإنسان نفسه وأهله وماله, وعلى هذا يكون المراد بحبل الله هنا أيش ؟ الإسلام, لأن الحبل هو السبب, أي بسبب من الله وهو أن يسلموا فتزول عنهم الذلة.

وقيل المراد بحبل الله العهد, العهد الذي يكون بين المسلمين وبين هؤلاء الكفار, يبقون عندنا في ظلنا وحراستنا لأنهم معاهدون أهل ذمة.

وأما قوله: ((**وحبل من الناس**)) فالمراد به الأمان الذي يجري بين الرجل الواحد والمأسور مثلا, وذلك أننا إذا حاربنا بلدا وفتحناه فإن لنا أن نجير أهله, كما قال النبي صلى الله عليه وسلم حين فتح مكة: (**من دخل بيته فهو آمن**) هذه إجارة خاصة, الإجارة العامة أن يكون بيننا وبينهم عهد لا يتعدون علينا ولا نتعدى عليهم ولا يحموننا ولا نحميهم, وهذا كما يوجد في الوقت الحاضر في العهود الدولية, كعهد ميثاق الأمم المتحدة وما أشبه ذلك .

السائل: يقول الله تعالى: ((**لن يضروكم إلا أذى**)) واليهود يؤذون المسلمين من جميع النواحي, فهل يشمل هذا الضرر ... ؟

الشيخ: سمعتم كلامه ؟ يقول: إنهم الآن يؤذون المسلمين, ويضرونهم بالقتل والجرح وسبي المال وما أشبه ذلك, فما هو المخرج من هذا الإشكال ؟ وأظن أن آدم لو كان يقظا لعرفه, لكن يبدو أنه كحل عينه بشيء من النوم.

الطالب: ذكرنا أن هذه الآية خاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه, وهذا لا يكون إلا لمن اتصف بهديهم, بهدي النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه, وأما من اتبع غير ذلك فله الذلة.

الشيخ: أحسنت. أعرفت ؟

السائل: بس الضرر مثلا ؟

الشيخ: الضرر الحاصل الآن من اليهود أن غيرهم من الكفار على المسلمين لأن المسلمين أنفسهم ما قاموا بالواجب, والله يقول: ((**لن يضروكم**)) أنتم أيها المسلمون ومن على شاكلتكم, هذا الفرق .

السائل: شيخ ألم يصب النبي صلى الله عليه وسلم بضرر عظيم في غزوة أحد, وحين موته مات بأثر السم من

اليهودية, وأيضا في غزوة بني المصطلق أصيب في عرضة وأهله, فهل تخلف الشرط ؟

الشيخ: لا, نقول هل تضرر بذلك ؟

السائل: نعم تضرر.

الشيخ: بأي شيء ؟

السائل: أثر السم وجده في قلبه, وأيضا كسرت رباعيته في غزوة أحد.

الشيخ: من الذي يقابله ؟

السائل: المشركون.

الشيخ: وهذا ؟ في اليهود والنصارى أهل الكتاب.

السائل: ... ؟

الشيخ: لا, الله يقول: ((**ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون لن يضروكم إلا أذى**)) .

السائل: هل معنى الذلة في قوله: ((**وضربت عليهم الذلة**)) تكون مثل الطبع على القلب ؟

الشيخ: نعم, الضرب معناه الطبع على القلب .

السائل: كما يذكر أهل التاريخ في غزوة مؤته كان الذين يقاتلون الروم وهم النصارى أغلبهم من الصحابة ومع ذلك نكل بهم, كما هزموا ؟

الشيخ: صحيح, لكن سماه الرسول صلى الله عليه وسلم فتحا, لما انحاز بهم خالد رضي الله عنه إلى الجبل وسلموا قال: (**ثم أخذها خالد بن الوليد ففتح الله عليه**) فسماه فتحا, صحيح أن منهم من قتل لا شك في هذا, ولكن قد نقول إن هذا القتل لن يضرك, لأنه ينتقل من دار إلى أعلى منها.

السائل: أقول غيرها, بعد أبي بكر وعمر عندما كانت الجيوش تذهب تقابل الروم في الشام, كان بعض المعارك يهزم فيها المسلمون ؟

الشيخ: نعم لو هزموا, لكن معنى الآية تدل على أنه ما يمكن يضرونهم إلا أذى, حتى الضرر الحاصل قد يكون بمنزلة الأذى, يعني ما يكون النتيجة والغلبة دائما, يمكن يحمل على هذا.

السائل: شيخ قلنا إن الاستثناء الأصل فيه أن يكون متصلا, ودائما نرى المفسرين وغيرهم إذا قدروا الاستثناء المنقطع أتوا بـ لكن, هل هذا ضابط مطرد أن الاستثناء المنقطع يقدر ما بعده بـ لكن ؟

الشيخ: أي نعم.

السائل: ألا يمكن أن يقدر بحرف غير لكن ؟

الشيخ: لأن لكن هي التي للاستدراك, والاستثناء المنقطع استدراك .

السائل: هل يدخل في اليهود والنصارى الشيعة والمنافقين على تعدد أجناسهم في أذيتهم للمؤمنين ؟

الشيخ: على كل حال المنافقون يؤذون المؤمنين بلا شك, لكن هل يؤذونهم بالقول والفعل, إذا كانوا يؤذونهم بالقول والفعل على وجه فيه الضرر حملت الآية على قوم آخرين لا يضرونهم إلا أذى .

السائل: الضرر الذي ... إذا كانت المقاتلة جماعية أو إذا كان الإنسان منفردا ؟

الشيخ: لا الظاهر مخالفة جماعية, يعني مثلا لو أننا اجتمعنا نحن المسلمين على الإسلام الحقيقي وقاتلناهم فإنهم لن ينصروا علينا.

السائل: لو قاتل شخص بمفرده ... ؟

الشيخ: ما التزم الله به .

السائل: شيخ في قوله: ((**وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار**)) يدل أنه ما تكون فيه مقاتلة بينهم, حتى ذكرنا أنهم قد يهربون مع أول سهم يصل إليهم ... ؟

الشيخ: الخطاب لمن ؟ ((**وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار**)) الفاعل من ؟

السائل: اليهود .

الشيخ: هؤلاء أمامه عرب .

الشيخ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم, قال الله تعالى: ((**ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا**)).

قوله تعالى: ((**ضربت عليهم الذلة**)) لم يبين الضارب ولكنه معلوم, وهو ؟ الله عز وجل, فأبهمه للعلم به, كقوله تعالى: ((**وخلق الإنسان ضعيفا**)) مع أن الله هو الذي خلقهم, ولكن من طريقة القرآن أن الأشياء غير المرغوبة يعبر الله عنها بصيغة الفعل المبني للمجهول, بخلاف الأشياء المرغوبة فيعبر عنها باسم الفاعل, كقوله تعالى: ((**وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا**)).

طيب هنا يقول: ((**ضربت عليهم الذلة**)) الضمير يعود على أهل الكتاب, ولكن هل المراد أهل الكتاب من اليهود والنصارى أم أنه خاص باليهود ؟ اختلف في هذا أهل العلم فقال بعضهم: إنه خاص باليهود. وقال بعض العلماء: بل هو عام، والأصل العموم؛ لأن الضمير عليهم يعود على أهل الكتاب المذكورين في قوله: ((**وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ**)) [آل عمران: 110] فنقول: الضمير يعود على أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وإذا قُدِّر أنه صار لهم عز في وقت من الأوقات فإنما ذلك لسبب يقتضيه، فهو خلاف الأصل, وإلا فالأصل أن الذلة مضروبة

عليهم.

وقوله: ((**ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ**)) الذلة هنا بمعنى الإهانة، أي: أن الله تعالى أهانهم.

و((**أَيْنَ مَا ثُقِفُوا**)) أين: ظرف مكان تدل أيضاً على عموم الأمكنة، ويؤكد عمومها ((**ما**)) الزائدة: ((**أَيْنَ مَا ثُقِفُوا**))، و((**ثقفوا**)) بمعنى وجدوا، يعني في أيما مكان وجدوا فإن الذلة مضروبة عليهم.

قال تعالى: ((**إِلاَّ بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ**)).

الحبل هو السبب, وسمي السبب حبلاً لأنه يوصل إلى المقصود كما يوصل الحبل إلى المقصود فيما لو أدلى الإنسان دلوه في بئر مثلاً، فإنه يتوصل به إلى المقصود، الحبل من الله ما هو ؟ قال بعض أهل العلم: إن الحبل من الله هو الإسلام؛ لأن الإسلام فيه العزة وفيه الظهور وفيه النصر، فهم أذلاء إلا أن يسلموا, فيكون المراد بالحبل من الله الإسلام، فإذا أسلموا ارتفعت عنهم الذلة، وقيل: المراد بالحبل من الله الذمة، يعني أن يكونوا من أهل الذمة, وذلك أن الإسلام يحمي أهل الذمة ويدافع عنهم، ولهذا يجب علينا بالنسبة لأهل الذمة الذين بيننا, يجب علينا حمايتُهم ممن يعتدي عليهم في مالٍ أو دمٍ أو عرضٍ؛ لأنهم تحت رعايتنا وهم يبذلون لنا الجزية ما لم ينقضوا الذمة، فإن نقضوا الذمة فإنهم يعودون كالحربيين يُقْتَلون لانتقاض عهدهم، فصار المراد بالحبل من الله على قولين: صار الناس فيه على قولين:

قول: إنه الإسلام.

والقول الثاني: إنه الذمة .

ولهذا يجب علينا بالنسبة لأهل الذمة الذين بيننا يجب علينا حمايتهم ممن يعتدي عليهم في مال أو دم أو عرض لأنهم تحت رعايتنا, وهم يبذلون لنا الجزية ما لم ينقضوا الذمة, فإن نقضوا الذمة فإنهم يعودون كالحربيين يقتلون لانتقاض عهدهم؛ فصار المراد بالحبل من الله على قولين، صار الناس فيه على قولين؛ قول: إنه الإسلام؛ والقول الثاني: إنه الذمة.

أما قوله: ((**وحبل من الناس**)) فإن ظاهره العموم يعني بسبب من الناس أي أن الناس يدافعون عنهم ويرفعون معنوياتهم ويعزونهم؛ ولكن ما هو الحبل من الناس ؟ قيل: إنه العهد والأمان؛ فالعهد كالذي يجري بين المسلمين وبين الكفار, يحصل بينهم عهد أن لا يعتدي أحد على أحد, وأن تبقى هدنة كما حصل في غزوة الحديبية؛ والأمان: أن يدخل رجل من المشركين أو من اليهود والنصارى بأمان من أحد من المسلمين يؤمنه؛ والفرق بين العهد والأمان: أن الأمان يصح من كل واحد من المسلمين؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (**قد أجرنا من أجرت يا أم هاني**), والعهد لا يكون إلا بين أهل الحل والعقد, يعني بين الإمام أو قائد الجيش أو ما أشبه ذلك؛ والفرق بين العهد والأمان والذمة: أن الذمة تثبت لأهل الذمة حقوقا تجب على المسلمين يدافعون بها عنهم؛ ولهذا يأخذون عوضا عن ذلك, يعني يأخذ المسلمون عوضا عن ذلك الجزية منهم؛ فالحبل من الناس هو العهد والأمان؛ ويحتمل أن العهد من الناس أعم من ذلك, أي بأن يكون المراد به العهد والأمان والنصرة والإعزاز، كما حصل لليهود الآن من النصارى من الأمريكان وغيرهم, فإن اليهود أذلة قد ضرب الله عليه الذلة والهوان, لكن الأمم النصرانية الآن تساعدها وتعززها لا محبة لها ولكن من أجل أنها ضد المسلمين، فيكون المراد بالحبل من الناس هنا ما هو أعم من العهد والأمان؛ ومعلوم أنه إذا صلح اللفظ للعموم فإن الأولى أن يبقى على عمومه؛ فيكون المراد بحبل من الناس أي مساعدة منهم وحماية كالعهد والأمان والنصرة والولاية وما أشبهها.

قال: ((**وباءوا بغضب من الله**)) ((**باءوا**)) أي رجعوا؛ ومنه قوله تعالى: ((**والذين تبوءوا الدار والإيمان**)) أي سكنوها؛ فهذه المادة الباء والألف والهمزة تدل على الرجوع والاستقرار، المعنى أنهم رجعوا بغضب من الله أي مصطحبين للغضب؛ والغضب صفة انفعالية لا فعلية؛ والفرق بين الانفعالي والفعلي: أن الفعلي يكون باختيار الإنسان وبالجوارح الظاهرة كالبطش مثلا؛ والانفعالي يكون بغير اختيار الإنسان وهو من القوى الباطنة؛ فالغضب صفة انفعالية وليست فعلية ولهذا تأتي للإنسان بغير اختياره، يستثيره أحد من الناس فيغضب, يحمر وجهه وتنتفخ أوداجه ويقف شعره وربما يقتل من أمامه, وربما يطلق نسائه وربما ينتحر أيضا . نسأل الله العافية . فالغضب إذا صفة انفعالية، وهو كما قال النبي عليه الصلاة والسلام جمرة يلقيها الشيطان في قلب ابن آدم فيفور ويغضب؛ هذا بالنسبة لغضب الإنسان الآدمي البشر؛ أما غضب الله فهو صفة من صفاته التي لا يمكننا أن نعرف كيفيتها؛

لكنه لاشك صفة قائمة بالله، يغضب ويرضى ويسخط ويكره ويحب، كل هذه الصفات ثابتة لله عزوجل على الوجه الذي يليق به.

وقوله: ((**بغضب من الله**)) من هذه للابتداء أي بغضب صادر من الله؛ وهذه الجملة مما يؤيد القول بأن المراد بقوله: ((**ضربت عليهم الذلة**)) مَن ؟ اليهود، أن المراد بهم اليهود, لأنهم هم المغضوب عليهم؛ قلنا إن من هي للابتداء أي بغضب صادر من الله؛ وربما يقول قائل: إنها أعم من أن يكون الغضب صادرا من الله، بل بغضب من تقدير الله؛ وعلى هذا تكون من للسببية, ويكون المراد بالغضب غضب الله وغضب غيره؛ وهذا هو السر في قوله: ((**صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين**)) ولم يقل: غير الذين غضبت عليهم؛ لأن هؤلاء مغضوب عليهم من قبل الله ومن قبل أولياء الله.

((**وضربت عليهم المسكنة**)) من الضارب يا بخاري ؟ الله؛ والمسكنة هي الفقر، المسكنة هي الفقر؛ فهم أذلاء ليس عندهم شجاعة ، فقراء ليس عندهم غنى؛ ولكن يجب أن نعلم أن الغنى ليس كثرة العرض, وإنما الغنى غنى النفس والقلب؛ فهؤلاء قد ضربت عليهم المسكنة دائما في فقر حتى لو حصل الإنسان منهم ملايين الملايين فهم في فقر؛ ولذلك حتى الآن نجد أن اليهود أحرص الناس على المال, وأنهم لا يمكن أن يبذلوا فلسا إلا وهم يأملون أن يحصلوا درهما، ولا يبذلوا درهما إلا ويأملون أن يحصلوا دينارا, وهذه حالهم ومن ثم صاروا من أغنى العالم إن لم نقل هم أغنى العالم؛ لكنهم أغنى العالم بكثرة العرض لا بالقلب والنفس فهم أشد الناس فقرا.

((**ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله**)) ذلك المشار إليه ما سبق من ضرب الذلة والغضب والمسكنة؛ والمشار إليه هنا مفرد مذكر؛ وإن كان ثلاثة أشياء, لأن الإشارة عادت إليها باعتبار أنها مذكورة؛ فيكون تقدير الإشارة: ذلك المذكور ؛ ((**بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله**)) الباء ويش معناها ((**ذلك بأنهم**)) ؟

الطالب: الباء حرف جر,

الشيخ: السببية، الباء للسببية, أي ذلك بسبب أنهم كانوا يكفرون بآيات الله؛ ((**كانوا يكفرون**)) وكلمة كان تدل على اتصاف اسمها بخبرها؛ و ((**يكفرون**)) فعل مضارع تدل على استمرار الكفر منهم وهو كذلك؛ فإنهم كانوا يكفرون بآيات الله مع ظهورها وبيانها حتى إنهم قالوا لنبيهم عليه الصلاة والسلام: ((**اجعل لنا إلها كما لهم آلهة**)) مع أنه قد قال لهم: إن الله إله واحد؛ فهم يكفرون بآيات الله, ومن جملة كفرهم أنهم كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم مع أنهم يعرفونه كما يعرفون أبنائهم؛ ولا أشد معرفة من معرفة الإنسان لابنه ومع ذلك كفروا به عليه الصلاة السلام.

وقوله: ((**يكفرون بآيات الله**)) الآيات جمع آية وهي العلامة، العلامة على الشيء التي إذا وجدت كان الشيء موجودا لأنها علامته، كما لو قلت لك مثلا: علامة طلوع الشمس أن ترى ضوءها على رأس جبل؛ فهنا متى رأيت الضوء على رأس الجبل فهي طالعة.

آيات الله تنقسم عند أهل العلم إلى قسمين: آيات كونية؛ وآيات شرعية؛ وكلها علامات على الله عزوجل؛ أما الآيات الكونية فهي المخلوقات مثل الشمس والقمر والأرض والنجوم والجبال والشجر والدواب وغيرها، كل مخلوق لله فهو آية من آياته سبحانه وتعالى:

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد .

أما الآيات الشرعية فهي ما جاءت به الكتب, يعني التي أنزلها الله على الرسل, وإن شئت فقل: ما جاءت به الرسل ليعم الكتب والسنن؛ ومعنى كون الشيء آية: أن غير الله لا يمكن أن يحصل له ذلك أو أن يأتي به؛ لأنه لو أمكن أن يأتي به لم يكن آية؛ يقول الله عزوجل: ((**يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولوا اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه**)) هذا تحد بأي الآيات ؟ بالآيات الكونية، تحدى الله عزوجل هؤلاء بأصغر آية من الآيات الكونية الذباب، لا يستطيعون أن يخلقوه ولو اجتمعوا له؛ في الآيات الشرعية يقول الله عزوجل: ((**قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا**)) ولهذا صار آية؛ لا يمكن أن يأتي أحد بمثل القرآن أبدا لا من جهة صدق الأخبار ونفع القصص وعدالة الأحكام وبلاغة الكلام إلى غير ذلك، لو لم يكن منه إلا أنك لو تردده صباحا ومساء ما مللته؛ بينما غيره من الكلام لو قرأته كم مرة مللته وتركته؛ أما القرآن فسبحان الله لا تمل؛ الفاتحة كم نقرأها من مرة في اليوم ؟ على الأقل سبع عشرة مرة، في اليوم الواحد نقرأ الفاتحة على الأقل سبع عشرة مرة؛ ومع ذلك تقرأها في الركعة الثانية كأنك لم تقرأها في الركعة الأولى من إشفاقك عليها ومحبتك لها؛ وهذا لاشك أنه من آيات الله سبحانه وتعالى.

طيب إذا الآيات الكونية هي المخلوقات؛ الشرعية ؟ يعني ما جاءت به الرسل، كل الشرائع آيات شرعية.

لماذا سميت آية ؟ قلنا لأنها تعجز الغير, لا يمكن للغير أن يأتي بمثلها؛ وذكرنا لكم مثالين في التحدي بالآيات الكونية والتحدي بالآيات الشرعية، التحدي بالآيات الكونية: ((**يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له**))؛ الشرعية ؟ التحدي بالشرعية, نريد دليلا للتحدي بها ؟ الطالب: ((**قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا**))؛ الشيخ: أحسنت تمام.

الآيات الكونية والشرعية؛ الكونية تتعلق بالربوبية والشرعية تتعلق بالربوبية والألوهية؛ ولهذا هي منهج عبادة للخلق، كما أنها من حيث كونها حكما تتعلق بالربوبية؛ حطوا بالكم يا جماعة ! الآيات الكونية تتعلق بالربوبية والشرعية تتعلق بالألوهية لأنها شرع, منهج، عبادة؛ ومع ذلك لها علاقة وصلة بالربوبية لأنها حكم والحكم يتعلق بأي شيء ؟ بالربوبية لأن الرب هو الخالق المالك المدبر.

((**ويقتلون الأنبياء بغير حق**)) هذا أيضا من أفعالهم الشنيعة أنهم يقتلون الأنبياء؛ وهذا أعلى ما يكون من الجناية على البشر، الضرب، الحبس، الإهانة، الأذى، كله دون القتل؛ فأعلى أنواع الأذية القتل؛ هؤلاء يقتلون الأنبياء، يقتلون الأنبياء . والعياذ بالله . قتلا إما ذبحا بالسكين أو رميا بالحجر أو بالسهم أو بغير ذلك؛ المهم أنهم يقتلون الأنبياء, فأخل هؤلاء بالتوحيد والرسالة، بالتوحيد بكفرهم بآيات الله؛ والرسالة بقتلهم الأنبياء.

وقوله: ((**بغير حق**)) هذه الصفة ليست قيدا؛ ولكنها كشف وإيضاح؛ انتبه لهذه ((**بغير حق**)) هذه الكلمة ليست قيدا؛ لكنها كشف وإيضاح؛ كيف ؟ لو قلنا إنه قيد لزم من ذلك أن ينقسم قتل الأنبياء إلى قسمين: قسم بحق وقسم بغير حق؛ وهذا لا يكون؛ لأن قتل الأنبياء كله بغير حق؛ ولو قلنا إنها للإيضاح والكشف صار المعنى يختلف, فلا تكون قيدا بل تكون لبيان الواقع, أي أن قتل الأنبياء بغير حق، قتل الأنبياء بغير حق؛ فيكون المقصود بذلك شدة التوبيخ، فيكون المقصود بذلك شدة التوبيخ لهؤلاء، وأنهم يقتلون أشرف الخلق بغير حق؛ هذه لها نظائر منها قوله تعالى: ((**يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم**)) قوله: ((**اعبدوا ربكم الذي خلقكم**)) الذي خلقكم صفة للقيد وإلا للإيضاح والبيان ؟ للإيضاح والبيان؛ لأنك لو جعلتها قيدا ((**اعبدوا ربكم الذي خلقكم**)) لزم من ذلك أن يكون الرب ربين: ربا خلق؛ وربا لم يخلق؛ والأمر ليس كذلك؛ بل الرب هو الخالق؛ فيكون هذا بيانا وكشفا؛ ومن ذلك أيضا قوله تعالى: ((**يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم**)) إذا دعاكم الرسول لما يحييكم؛ فقوله: ((**لما يحييكم**)) هذا قيد وليس للكشف والبيان؛ الطالب: العكس العكس؛ الشيخ: بالعكس؟ طيب قوله: ((**لما يحييكم**)) ليس قيدا ولكنه كشف وبيان؛ لأنك لو جعلته قيدا لكان دعاء النبي صلى الله عليه وسلم للمؤمنين ينقسم إلى قسمين: قسم يراد به الإحياء؛ وقسم يراد به الإماتة؛ وهذا غير صحيح؛ إذا فقوله: ((**لما يحييكم**)) بيان وكشف لما يدعوا إليه وهو أنه صلى الله عليه وسلم لا يدعوا الناس إلا بشيء يحييهم .

طيب هذه الآية مثال ثالث: ((**بغير حق**)) بيان أن قتل الأنبياء بغير حق مهما قتل.

يقول: ((**ذلك بما عصوا**)) هذا من باب التوكيد ((**ذلك بأنهم كانوا يكفرون**)) ((**ذلك بما عصوا**)) هذا من باب التوكيد لأن الكفر عصيان؛ لكن كأن الجملة هذه . والله أعلم . كأنها تعليل لذلك؛ لماذا كان الكفر سببا

لضرب الذلة عليهم والمسكنة والغضب ؟ لأنه عصيان، عصيان ومخالفة؛ ((**وكانوا يعتدون**)) تعود إلى قتل الأنبياء؛ فقتل الأنبياء عدوان والكفر بالله معصية, مع العلم بأنه كله معصية لكن هذا إلى العدوان أقرب وهذا إلى المعصية أقرب.

طيب إذا في هذه الآية فوائد؛ أظن ما سبق تكلمنا عن فوائده ؟ يعني ((**لن يضروكم**)) هو مبتدأ الدرس ؟

من فوائد هاتين الآيتين أولا: قوله: ((**لن يضروكم إلا أذى**)) فيه دليل على أن أهل الكتاب من اليهود والنصارى لن يضروا المسلمين؛ وهل الواقع شاهد لذلك ؟ نقول: نعم شاهد لذلك، لما كان المؤمنون على الإيمان الحق, أما لما تفرقوا وتمزقوا واختلفوا في دين الله فإن الله يقول: ((**إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء**)) لم يحصل نعم لم يتحقق لهم هذا الضمان من الله ((**لن يضروكم إلا أذى**)) .

ومن فوائد الآية: أنه لو تقابل المسلمون وأهل الكتاب في القتال فالمنتصر من ؟ المسلمون ((**وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار**)) ولكن هذا الخبر هل صدق مَخبره ؟ صدق لما كان المؤمنون على الإيمان الحق, ولكن لما اختلفوا وتفرقوا من بعد ما جاءهم البينات رفع الله عنهم هذا الالتزام, ولم يلتزم لهم وكانوا فريسة لأعدائهم من اليهود والنصارى؛ واعلموا بارك الله فيكم أنه كلما بعدنا عن الإسلام زاد افتراس هؤلاء الأعداء لنا؛ ووجه ذلك أن المسلمين إذا تخلوا عن الإسلام بقيت الموازنة بين قوى مادية وأخرى, ومعلوم أن هؤلاء بالنسبة للقوة المادية سيكون أقوى منا, لأننا إذا أضعنا أمر الله أضعنا القوة المادية؛ فإن من جملة أمر الله أن يكون لدينا قوة مادية؛ إذا فكلما أضعنا أمر الله حصل لهم من القوة علينا بقدر ما أضعنا من أمر الله؛ وكل درجة بدرجة كلما نزلنا درجة ارتقوا درجة؛ وهذا الأمر هو الواقع، الآن تكاد أن تقول إن السيطرة على البسيطة ليست للمسلمين ولكنها لغيرهم, حتى في بلاد المسلمين ليست السيطرة للمسلمين مع الأسف؛ لا نقول إنهم مغلوبون عسكريا قد يكونون غير مغلوبين عسكريا ولكن مغلوبون فكريا؛ لأن الذي يقود المسلمين الآن فكريا هم الكفار، من اتباع الهوى والصد عن سبيل الله, وفتح أبواب الكفر على اختلاف مسمياته حتى ضاع المسلمون في الواقع, وصاروا يدبرون من الخارج وليس من شرط التدبير أن تحتل العساكر بلاد الإسلام لا، إذا استعمرت الأفكار بالنسبة للقادة فسد الناس؛ ولهذا يجب أن نكون منهم على حذر.

المهم أن قوله تعالى: ((**وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار**)) نقول إن هذا الخبر صدق مَخبره متى ؟ حين كان المسلمون متمسكين بالإسلام؛ كان عدوهم مرعوبا منهم مسيرة شهر: (**نصرت بالرعب مسيرة شهر**) لأنهم متمسكون بدين الله منصورون بنصر الله .

ومن فوائد هذه الآية: أن أهل الكتاب إذا قاتلونا لا يكتفون بوضع السلاح بل يولون الأدبار يهربون لا يمكن أن يقفوا حول المسلمين؛ ولهذا قال: ((**يولوكم الأدبار**)) وهذا أشد ما يكون من الانهزام، عدوك إذا هرب منك وولاك دبره حينئذ تسيطر عليه تماما، تسيطر عليه أتم السيطرة.

ومن فوائد هذه الآية: أن هؤلاء لا ينصرون؛ وهل المراد لا ينصرون علينا أو لا ينصرون نصرا مطلقا؟ نقول: لا ينصرون علينا وهو أيضا مشروط بأن نتمسك بديننا, عقيدة وقولا وعملا, وإلا فسينصرون علينا بقدر ما أهملنا من ديننا .

ثم قال الله تعالى: ((**ضربت عليهم الذلة** ...))

من فوائد هذه الآية: أن هؤلاء الذين ينتسبون للكتاب ولاسيما اليهود منهم قد ضربت عليهم الذلة؛ فهم أذل الناس حتى إنه قيل: إن اليهودي لا يمكن أن يشهر السلاح على من عدى عليه بغير السلاح, يعني لو كان مع اليهودي سلاح وعدى عليه شخص ليس معه سلاح سقط السلاح من يده من شدة ما ضرب عليه من الذلة .

ومن فوائد هذه الآية: أن هؤلاء اليهود قد يكون لهم عزة بحبل من الله أو بحبل من الناس؛ طيب نحن قلنا إن المراد بحبل من الله إما الإسلام أو الذمة؛ إن كان هو الإسلام فإن الاستثناء منقطع, لأنهم إذا أسلموا لم يكونوا من أهل الكتاب صاروا من المسلمين؛ وإن كانت الذمة فالاستثناء متصل .

ومن فوائد هذه الآية: أن أهل الكتاب قد ترتفع عنهم الذلة بحبل من الله أو حبل من الناس .

ومن فوائدها: أن الناس قد ينصر بعضهم بعضا بالباطل؛ وهذا عائد إلى قوله: ((**وحبل من الناس**)) وهذا هو الواقع المحسوس أن من الناس من ينصر غيره بالباطل؛ لأن الناس ليسوا كلهم أهل عدل بل فيهم أهل الجور وأهل العدوان الذين يساعدون أهل العدوان .

ومن فوائدها: إثبات الغضب لله عزوجل؛ لقوله: ((**وباءوا بغضب من الله**)).

ومنهج أهل السنة والجماعة في مثل هذه الصفة إثباتها لله على الوجه اللائق به؛ وأن الله يغضب وينتقم؛ ولكن أهل البدع يقولون إن الله لا يغضب وحاشاه من الغضب؛ قدموا الرأي على النص؛ لماذا ؟ قالوا لأن الغضب غليان دم القلب لطلب الانتقام، هذا الغضب، غليان دم القلب لطلب الانتقام؛ والله عزوجل منزه عن ذلك، أحد صمد، ليس له قلب بمعنى أنه لا يحتاج إلى ذلك لأنه أحد صمد؛ قال ابن عباس: الصمد الذي ليس له جوف؛ فعلى هذا يقولون إن الغضب الذي وصف الله به نفسه ليس بثابت له لأنه منزه عنه؛ الغضب غليان دم القلب لطلب الانتقام؛ عرفتم ؟ والله منزه عن ذلك؛ ولهذا لا يكون الغضب إلا في مقام القوة ويقابله الحزن يكون في مقام الضعف؛ طيب ولكن أهل السنة والجماعة قالوا: لسنا أعلم بالله من نفسه وقد وصف نفسه بالغضب؛

فنحن نؤمن بالغضب بأن الله بغضب؛ وأن جميع الصفات التي أثبتها الله لنفسه بابها واحد يجب إثباتها بدون تمثيل؛ ولا يلزم إذا كان غضب المخلوق هو غليان دم القلب لطلب الانتقام أن يكون هذا المعنى هو الذي يوصف الله به؛ بل نعلم أن بين غضب الخالق والمخلوق فرقا كما أن بين ذواتيهما فرقا؛ إذا الغضب ثابت لله ولكننا لا نعلم كيفيته، كيفيته موكولة إليه.

طيب فإن قالوا: الغضب لغة هو غليان دم القلب ؟ نقول: هذا غضب المخلوق أما غضب الخالق فيختص به؛ كما أنكم أنتم تثبتون الإرادة لله تقولون إن الله مريد مع أن الإرادة إرادة المخلوق هي ميل القلب لما ينفعه أو يضره أي لطلب منفعة أو دفع مضرة، هذه الإرادة، أنا عندما أريد الشيء أريده لأي شيء ؟ لطلب منفعتي أو لدفع مضرتي؛ هل الإرادة التي أثبتموها لله بهذا المعنى ؟ سيقولون: لا؛ نحن نثبت لله إرادة تليق به وتخالف إرادة المخلوق؛ نقول: يجب عليكم إذا أن تثبتوا لله غضبا يليق به مخالفا لغضب المخلوق، فالباب واحد, فإما أن تنفوا ما أثبتم وإما أن تثبتوا ما نفيتم؛ فإن أثبتوا ما نفوا وافقوا السلف؛ وإن نفوا ما أثبتوا وافقوا المعتزلة, وهم يرون أنهم في حرب مع السلف وفي حرب مع المعتزلة، يحاربون المعتزلة, ولا أدل على ذلك من فعل أبي الحسن الأشعري رحمه الله كان معتزليا وبقي على الاعتزال أربعين سنة، أربعين سنة وهو معتزلي، ثم هداه الله, وأنكر على المعتزلة إنكارا عظيما وبين زيفهم وخطأهم وخطرهم وخطلهم فتبرأ منهم.

طيب السلف يتبرأ منهم الذين قالوا إننا لا نثبت الغضب لله؛ لأنهم يقولون إن السلف مجسمة، ممثلة؛ إذ يعتقدون أن من أثبت لله الصفات على وجه الحقيقة فهو مجسم ممثل؛ ولهذا صاروا لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء؛ فنحن نقول لهم كما أثبتم لله إرادة تليق به فأثبتوا له غضبا يليق به؛ وإلا فانفوا الجميع لتوافقوا المعتزلة؛ وهم لا يثبتون الجميع ولا ينفون الجميع كما هو معروف من مذهبهم وأعني بذلك الأشعرية.

السائل: أبو الحسن الأشعري فهمنا من كلامكم أنه انتقل من الاعتزال إلى السنة مباشرة ؟

الشيخ: لا ما انتقل مباشرة, لكنه انتقل إلى مذهب الكلابية، عبد الله بن زيد بن كلاب وبقي عليه برهة من الزمن ثم تحول إلى السلف الخالص .

السائل: قلنا أن الصفة في قوله تعالى: ((**يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم** ...)) أنها ليست تقييدية بل هي لبيان الواقع, ما يصح أن نقول أنها تقييدية باعتبار أن الله تعالى خاطب المشركين الذين كانوا يعبدون أربابا غير الله, وهو يقول: اعبدوا ربكم الذي خلقكم ليس الأرباب الذين تعبدونهم والذين لا ينفعون ولا يضرون ؟

الشيخ: نعم الخطاب هذا عام للمشركين وغير المشركين؛ والمشركون لا يعتقدون أن هذه أربابا, يعتقدونها آلهة وإلا فالربوبية يؤمنون بأنها لله وحده .

السائل: الأشعرية كمذهب هم أتباع أبي الحسن الأشعري, معلوم أنه كان على الاعتزال أولا ثم على مذهب ابن كلاب فكيف اتبعوه ولم يتبعوه على مذهب المعتزلة ... ؟

الشيخ: لا, هم الحقيقة أنهم اتبعوا مذهبه الوسط الذي هو مذهب ابن كلاب؛ ولهذا كانوا للكلابية أقرب حتى إن بعضهم ينكر ثبوت كتاب **"الإبانة عن أصول الديانة"** ينكر أنه للأشعري, ويقول هذا ليس من مؤلفاته؛ لكن إنكارهم غير صحيح لأن المثبت مقدم على النافي وقد أثبته أئمة كبار .

السائل: صفة الغضب صفة من صفاته الفعلية لله عزوجل تتعلق بالمشيئة والإرادة؛ ورد في البخاري حديث (**غضب غضبا لم يغضب قبله مثله ولم يغضب بعده مثله**) فنفى عن الله الغضب بعد هذا الغضب مع أنه متعلق بالمشيئة ؟

الشيخ: لا, ما نفى الغضب مطلقا, نفى أن يغضب مثله، ما نفاه مطلقا .

السائل: قلتم الآيات جمع آية؛

الشيخ: الآية على الشيء العلامة كما قال تعالى: ((**وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون**)) ((**أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل**)) آية هي العلامة .

... أبى الله بالانتقام, فقالوا الغضب الانتقام وهذا تحريف وليس بتأويل, لأن الانتقام شيء منفصل عن الله عزوجل, يعني هم يفسرون بالعذاب ويدل على بطلانه أن الله قال في آل فرعون: ((**فلما آسفونا انتقمنا منهم**)) وآسفونا بمعنى أغضبونا؛ ومن المعلوم أن السبب غير المسبب, وأن فعل الشرط غير جواب الشرط, وهذا أكبر دليل على بطلان تفسيرهم الغضب بأنه انتقام أو إرادة الانتقام .

ومن فوائد الآية: أن الله ضرب على هؤلاء من أهل الكتاب المسكنة؛ وسبق أن المراد بها مسكنة القلب؛ فقد يكونون كثيري المال لكن لا يزالون في شح وبخل وطلب للمال .

ومن فوائد هذه الآية: إثبات العلة أي أن أفعال الله سبحانه وتعالى معللة أي مقرونة بالحكمة؛ ودليل ذلك قوله: ((**ذلك بأنهم**)) وقد نفى الجبرية حكمة الله وتعليل أفعاله, وشبهتهم في هذا أنهم يقولون إن العلة غرض، العلة غرض يريده الفاعل, والله سبحانه وتعالى منزه عن الأغراض؛ ومن كلماتهم الدارجة يقولون: إن الله منزه عن الأغراض والأعراض والأبعاض، ثلاثة أشياء: عن الأغراض؛ والأغراض؛ والأبعاض؛ الأغراض يعني الحكمة؛ ولهذا

ينكرون الأسباب كلها, لا الأسباب الشرعية ولا الأسباب الكونية؛ والأعراض الصفات الفعلية كالمجيء والضحك وما أشبهها؛ والأبعاض الصفات الخبرية كاليدين والوجه والعينين وما أشبهها .

ومن فوائد هذه الآية: أن أفعال الله عزوجل وعقوباته لابد أن يكون لها حكمة؛ لأن هذا الغضب الذي باءوا به وضرب المسكنة والذلة بين الله لها حكمة, وهي أنها كانوا يقتلون أنبياء الله بغير الحق ويكفرون بآيات الله ويعصون الله .

ومن فوائدها أيضا: أن الكفر بآيات الله سبب للعقوبات؛ لقوله: ((**ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله**)) وقد دل على هذا عدة آيات من القرآن مثل قوله تعالى: ((**وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها من كل مكان رغدا فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون**)) .

ومن فوائدها: عتو بني إسرائيل في الكفر، وقتل الأنبياء، والمعصية، والعدوان؛ لقوله: ((**ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله** ...)) .

ومن فوائد الآية: أن قتل الأنبياء موجب للعقوبة؛ لأن الله ذكر لهذه العقوبة عدة أسباب منها قتل الأنبياء .

ومنها: أن قتل الأنبياء لا يمكن أن يكون بحق؛ لقوله: ((**بغير حق**)) وقد سبق توجيه ذلك أثناء التفسير .

ومنها أيضا: جواز تعدد العلل لمعلول واحد؛ وهذا متفق عليه؛ وذلك لأن العقوبات التي ذكرت عدة عقوبات والسبب واحد لكنه متعدد النوع؛ ويجوز أيضا أن تتحد العلة أي أن تكون واحدة والمعلول متعددا, مثل أن يفعل الإنسان فعلا واحدا يترتب عليه عدة أشياء .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن بني إسرائيل عندهم عدوان على حق الله وعلى حق الأنبياء وغيرهم؛ لقوله: ((**ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون**)).

وهذه الأوصاف وما ينتج عنها من العقوبات يجب أن نتخذ منها عبرة وهي الفائدة المهمة المسلكية: أن لا نقرأها على أنها أمر جرى وقصة تاريخية؛ يجب أن نقرأها من أجل أن نعتبر؛ لقول الله تعالى: ((**لقد كانت في قصصهم عبرة لأولي الألباب**)).

ثم قال الله تعالى: ((**ليسوا سواء**)) ((**ليسوا**)) الضمير يعود على أهل الكتاب؛ و ((**سواء**)) بمعنى مستوين في هذه الأوصاف؛ بل منهم ((أمة قائمة يتلون آيات الله ...)) ومنهم أمة فاسقة غير قائمة على أمر الله؛ ((**ليسوا سواء**)) أي لا يستوون في المعصية والأحوال والأوصاف؛ ثم بين ذلك فقال: ((**من أهل الكتاب أمة قائمة**)).

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن بني إسرائيل عندهم عدوان على حق الله وعلى حق الأنبياء وغيرهم؛ لقوله: ((**ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون**)).

وهذه الأوصاف وما ينتج عنها من العقوبات يجب أن نتخذ منها عبرة وهي الفائدة المهمة المسلكية: أن لا نقرأها على أنها أمر جرى وقصة تاريخية؛ يجب أن نقرأها من أجل أن نعتبر؛ لقول الله تعالى: ((**لقد كانت في قصصهم عبرة لأولي الألباب**)).

ثم قال الله تعالى: ((**ليسوا سواء**)) ((**ليسوا**)) الضمير يعود على أهل الكتاب؛ و ((**سواء**)) بمعنى مستوين, يعني ليسوا متساوين في هذه الأوصاف؛ بل منهم ((**أمة قائمة يتلون آيات الله** ...)) ومنهم أمة فاسقة غير قائمة على أمر الله؛ ((**ليسوا سواء**)) أي لا يستوون في المعصية والأحوال والأوصاف.

ثم بين ذلك فقال: ((**من أهل الكتاب أمة قائمة**)) قوله: ((**من أهل الكتاب**)) هم اليهود والنصارى كما مر علينا كثيرا؛ وأظهر هنا في موضع الإضمار, إما لطول الفصل بين الظاهر الذي ترجع إليه الضمائر وإما لاستئناف الجملة؛ لأن قوله: ((**من أهل الكتاب**)) جملة مستأنفة؛ ((**أمة**)) أي طائفة؛ ((**قائمة**)) أي ثابتة مستقيمة على أمر الله؛ فالقيام هنا بمعنى الثبات والاستقامة على أمر الله, وليس المراد به القيام الذي هو ضد القعود؛ لأن المسلم قائم على أمر الله سواء كان واقفا أو جالسا أو مضطجعا.

((**يتلون آيات الله آناء الليل**)) كلمة قائمة صفة ((**يتلون آيات الله**)) الجملة أيضا صفة أخرى؛ ويجوز أن تكون حالا؛ لأن لدينا قاعدة نحوية, وهي أنه إذا وصفت النكرة جاز في الصفة الثانية أن تكون حالا وأن تكون صفة؛ هذه القاعدة سواء كانت الصفة الثانية جملة أم مفردا؛ فإذا قلت: جاءني رجل كريم راكبا؛ صح ؟ صح لأنه يوصف؛ وإذا قلت: جاءني رجل كريم راكب؛ صح أيضا؛ هنا في الآية الكريمة ((**أمة قائمة**)) أمة نكرة وقائمة صفة لها ((**يتلون**)) يجوز أن تكون حالا فتكون الجملة في موضع نصب على الحال؛ ويجوز أن تكون صفة.

((**يتلون آيات الله**)) التلاوة تارة يراد بها الاتباع وتارة يراد بها القراءة؛ فإن صلح المقام للوجهين للمعنيين جميعا حمل عليهما؛ وإن اختص بأحدهما اختص به؛ فإذا قلت: تلا علي آية من القرآن؛ فالمراد القراءة؛ وإذا قلت: هذا الرجل يتلوا آيات الله إخلاصا وتعبدا؛ فهذا يحتمل القراءة ويحتمل الاتباع؛ وإذا كان محتملا للمعنيين وهما لا يتنافيان حمل عليهما؛ إذا قوله: ((**يتلون آيات الله**)) يشمل تلاوة اللفظ وتلاوة العمل بآيات الله؛ وقوله: ((**آناء الليل**)) آناء بمعنى أوقات, ومنه النوء لوقت ظهور النجم أو للنجم؛ فآناء بمعنى أوقات؛ ((آناء الليل)) يعني أوقات الليل وساعاته ((**وهم يسجدون**)) هذه الجملة ((**وهم يسجدون**)) يجوز فيها وجهان: أن تكون استئنافية؛ وأن تكون حالية من الواو في قوله: ((**يتلون**)) يعني يتلون آيات الله والحال أنهم يسجدون؛ فوصفهم

بتلاوة آيات الله وهي أفضل الذكر, وبالسجود وهو أفضل الحالات لأن السجود أفضل من القيام وأفضل من الركوع, حيث إن الساجد أقرب ما يكون من ربه؛ لكن تلاوة الآيات أفضل الأذكار؛ فلهذا اختصت بالقيام؛ فقوله: ((**يتلون آيات الله**)) هذا ذكر لأعلى أوصاف الكلام القول ((**وهم يسجدون**)) ذكر لأعلى أوصاف الفعل وهو السجود.

((**يؤمنون بالله**)) الجملة استئنافية لبيان حال هؤلاء؛ ويجوز أن تكون صفة لقوله: ((**أمة**)) وأن تكون حالا.

((**يؤمنون بالله واليوم الآخر**)) والإيمان بالله سبحانه وتعالى يتناول أربعة أشياء: الإيمان بوجوده؛ والإيمان بربوبيته؛ والإيمان بألوهيته؛ والإيمان بأسمائه وصفاته؛ لابد من هذا؛ فمن أنكر بوجود الله فهو لم يؤمن به؛ ومن آمن به وأنكر توحيده في الربوبية فإنه لم يؤمن به؛ ومن آمن به وبربوبيته ولكنه أنكر انفراده بالألوهية فإنه لم يؤمن به؛ ومن آمن بذلك كله ولكن أنكر شيئا من صفاته فإنه لم يؤمن به؛ فلا إيمان بالله إلا بهذه الأمور الأربعة؛ أما الإيمان باليوم الآخر بالإيمان باليوم الآخر أولا هو يوم القيامة وسمي يوما آخر لأنه لا يوم بعده, إذ هو منتهى الخلائق ولا فيه ليل ولا نهار كله يوم واحد, لا شمس ولا قمر ولا نجوم, كل في مكانه إما في الجنة أو في النار فهو آخر شيء يكون فيه العباد؛ ومعلوم أن للعباد أربع دور: الدار الأولى في بطون أمهاتهم؛ والثانية في هذه الدنيا؛ والثالثة في البرزخ؛ والرابعة في اليوم الآخر وهي الأخيرة ولهذا سمي اليوم الآخر؛ اليوم الآخر يدخل في الإيمان به كل ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم مما يكون بعد الموت، كل ما أخبر به مما يكون بعد الموت؛ فسؤال الميت في قبره داخل في الإيمان باليوم الآخر، وعذاب القبر أو نعيمه داخل في الإيمان باليوم الآخر؛ ووجه ذلك أن كل من مات فقد قامت قيامته؛ فما يجده في قبره كالذي يجده بعد حشره، كله من أمور الغيب، كله في دار الجزاء؛ وقد قال شيخ الإسلام رحمه الله:" **ويدخل في الإيمان باليوم الآخر كل ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم مما يكون بعد الموت** ".

الإيمان به أن تؤمن بكل ما جاء في الكتاب والسنة مما يكون بعد الموت جملة وتفصيلا؛ ولكن اعلم أنه يوجد في كتب الوعظ من الأحاديث الضعيفة بل الموضوعة في أحوال القبر وأحوال القيامة ما ينبغي للقارئ أن يحترز منه؛ ولا أحسن من الرجوع إلى الكتب الصحيحة في هذا الباب لئلا نضل الناس؛ لأن بعض الوعاظ يختار مثل هذه الأحاديث من أجل الترغيب أو الترهيب والحقيقة أن هذا مسلك ليس بجيد؛ لأن كوننا نملأ أدمغة الناس بأحاديث ضعيفة أو موضوعة خطأ حتى وإن كان فيها ترغيب وترهيب, فيما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم كفاية؛ والناس سوف يأخذون كل ما ذكر على أنه صحيح؛ يقولون ما قيل في المحراب فهو صواب؛ والواجب

على من ألف الترغيب والترهيب أن لا يذكر إلا ما كان حجة من صحيح أو حسن, وأما الضعيف فلا حاجة لذكره لأننا في غنى عنه، في غنى عن هذا الضعيف الذي لم يثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقوله: ((**ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر**)) سبق ذكره في هذه السورة مرتين؛ أو مرة واحدة ؟ الطالب: سبق ثلاث مرات؛ الشيخ: هذا الثالث أنا ما أقول ذكر أقول سبق ذكره مرتين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ وذكرنا في أول ما مر علينا ذكرنا شروطه وآدابه.

((**ويسارعون في الخيرات**)) يعني مع كونهم مؤمنين وكونهم مصلحين هم أيضا مسارعون في الخيرات, يعني أنهم يتسارعون في الخيرات كما يتسارع الناس في الغنائم؛ وقوله: ((**يسارعون في الخيرات**)) ولم يقل: إلى الخيرات؛ مع أن سارع تتعدى بإلى كما قال الله تعالى: ((**وسارعوا إلى مغفرة من ربكم**)) لأن المراد بذلك مسارعتهم إليها وفيها أثناء القيام بها؛ انتبهوا المراد المسارعة إليها فإذا وصلوا إليها لم يقفوا عن المسارعة، يسارعون فيها؛ وهذا هو السبب . والعلم عند الله . في أنه قيل: ((**يسارعون في الخيرات**)) ولم يقل: إليها؛ وقوله: ((**في الخيرات**)) الخيرات جمع خير أو خيرة؛ وهي كلما انتفع به العبد أو نفع غيره؛ فالصلاة خير وتعليم الناس كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم خير, والدعوة إلى الله خير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو خير أيضا؛ فكل ما يقرب إلى الله سبحانه وتعالى فهو خير؛ والمسارعة فيه هي المسارعة إليه والمسارعة فيه أثناء العمل .

قال: ((**وأولئك من الصالحين**)) أولئك المشار إليه هذه الأمة القائمة من أهل الكتاب؛ قال أهل العلم: والصالح من قام بحق الله وحق العباد؛ وضده الفاسد؛ والصلاح يدور على شيئين: علم وعمل؛ وضده الجهل والكفر والتمرد؛ فمن كان جاهلا فإنه ليس بصالح؛ والمراد ليس بصالح الصلاح الذي يكون في قمة الصلاح, وإلا فإن معه من الصلاح بمقدار ما عنده من العلم؛ ومن لم يكن عاملا فليس بصالح وعنده من فقد الصلاح بقدر ما فقد من العمل .

ثم قال الله تعالى: ((**وما يفعلوا من خير فلن يكفروه**)) ما شرطية وجملة: ((**فلن يكفروه**)) جواب الشرط؛ وفي هذه الآية قراءتان: ((**وما تفعلوا من خير فلن تكفروه**)) بالتاء؛ والثانية: ((**وما يفعلوا من خير فلن يكفروه**)) بالياء؛ فعلى القراءة الثانية بالياء لا يكون في الآية التفات لأنها جرت على ضمير الغيبة كما في الآية التي قبلها؛ وعلى قراءة التاء: ((**وما تفعلوا**)) يكون فيها التفات من الغيبة إلى الخطاب؛ وأيضا يكون الخطاب فيها موجها إلى النبي صلى الله عليه وسلم وإلى هذه الأمة؛ وقوله: ((**ما تفعلوا من خير**)) من هذه بيانية لوقوعها بعد اسم الشرط؛ واسم الشرط اسم مبهم يحتاج إلى بيان؛ ولهذا كلما أتتك من بعد اسم الشرط فهي

بيانية؛ وقوله: ((**من خير**)) سبق لنا آنفا أن المراد بالخير كلما يقرب إلى الله؛ وقوله: ((**فلن يكفروه**)) يعني لن يحرموا ثوابه؛ والكفر أصله الستر ومنه الكفراء والكفراء يعرفه آدم ما هو؟ ما تعرفه؟ نعم ؟ هو غلاف الطلع، غلاف طلع النخل يسمى كفراء؛ هذه الكفراء يستر؛ ولهذا قالوا إن الكفر أصله الستر لأن الإنسان يستر نعمة الله عليه ولا يظهرها عليه؛ فالنعمة تقتضي الشرك فإذا لم تشكر فهذا هو الكفر؛ إذا ((**فلن يكفروه**)) أي فلن يحرموا ثوابه؛ لأنهم لو حرموا ثوابه لكان فعلهم لهذا الخير خفيا لم يظهر له أثر.

((**والله عليم بالمتقين**)) فيجازيهم على تقواهم؛ والتقوى لها فوائد كثيرة أظن أننا مرة أجرينا فيها مسابقة ؟ في الحرم ؟ أي نعم, وقبله أيضا فوائد التقوى؛ وتخصيص العلم بالمتقين من أجل الحث على التقوى والحذر من مخالفتها وعدم القيام بها, وإلا فإن الله عليم بكل شيء .

نأخذ فوائد هذه الآية؛ من فوائد هذه الآية: أن أهل الكتاب ليسوا بسواء؛ فإن منهم أمة ضالة ومنهم أمة قائمة بأمر الله؛ وهو صريح في الآية: ((**ليسوا سواء من أهل الكتاب**)) .

ومن فوائدها: بيان عدل الله عزوجل وأنه يعطي كل ذي حق حقه؛ فلما ذكر الذم ذم أهل كتاب في الآيات السابقة فقد يتوجه الفهم إلى أن جميع أهل الكتاب على هذا الوصف أنهم يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ويعصون الله ويعتدون على حقه وحق عباده فقال الله: ((**ليسوا سواء**)) يعني أن منهم من ليس كذلك .

ومن فوائد هذه الآية: أن من أهل الكتاب أمة؛ والأمة تقتضي الجمع والعدد الكثير على الوصف المحمود المطلوب؛ وقد ذكروا أنه أسلم من اليهود نحو عشرين رجلا ومن النصارى عدد كثير أيضا؛ ولهذا عبر عن ذلك بقوله: ((**من أهل الكتاب أمة**)) وذهب بعض العلماء إلى أن المراد بالأمة هنا أمة الإسلام؛ لكن هذا بعيد جدا لأن أمة مبتدأ وخبرها: ((**من أهل الكتاب**)) ولم يعبر الله عزوجل عن هذه الأمة بأهل الكتاب بل قال: ((**هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا**)) كما أنه لم يعبر عن أهل الكتاب بالمؤمنين؛ فكل آية فيها يا أيها الذين آمنوا فهي للمؤمنين بمحمد عليه الصلاة والسلام؛ وكل آية فيها أهل الكتاب فالمراد بهم بنو إسرائيل الذين أرسل إليهم موسى وعيسى.

من فوائد هذه الآية: الثناء على القيام بطاعة الله والثبات عليها؛ تؤخذ من أين يا أخ ؟ من أين تؤخذ هذه الفائدة من الآية ؟ أين ذهبت ؟ وأين سرحت ؟ سرحت للتقوى ؟

الطالب: لقوله: ((**وأولئك هم الصالحون**))،

الشيخ: لا؛

الطالب: ((**أمة قائمة**))

الشيخ: هذا وجه الثناء عليه .

ومن فوائد الآية: الثناء على من يتلون كتاب الله قراءة وعملا؛ من أين نأخذها يا داود ؟

الطالب: من قوله: ((**من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله**))

الشيخ: ((**يتلون آيات الله**)) من أين عرفت أن تلاوة الكتاب قراءة وعملا محمودة يثنى على صاحبها ؟

الطالب: في سورة البقرة ؛

الشيخ: لا، نريد من الآية هذه؛

الطالب: من قوله: ((**وما يفعلوا من خير فلن يكفروه**))؛

الشيخ: لأن هذا ضد من اتصفوا بصفات الأولى لأنه لما ذكر صفات الأولى قال: ((**ليسوا سواء**)) ثم ذكر الفرق .

من فوائد الآية: فضيلة السجود؛ نعم مقبل، الأخ الذي على الجدار ؟

الطالب: من قوله: ((**وهم يسجدون**)),

الشيخ: وهم يسجدون, طيب .

ومن فوائد هذه الآية: الثناء أيضا على من آمن بالله واليوم الآخر؛ أخونا الذي وراء ؟ الثناء على من آمن بالله واليوم الآخر من أين تأخذها ؟ من قوله: ((**يؤمنون بالله واليوم الآخر**)).

الشيخ: هل إذا أثنى الله على شخص بصفة يكون مذموما إذا لم يتصف بها ؟

الطالب: إذا انتفت هذه ينتفي الحمد عنه؛

الشيخ: يعني ينتفي الحمد عنه وقد يستحق الذم وقد لا يستحق ؟

الطالب: يستحق الذم إذا انتفت ؟؛

الشيخ: يعني الإيمان باليوم الآخر لاشك أنه ينتفي إذا انتفى الإيمان فهو مذموم لأنه كافر؛ لكن في غير هذا لو أثنينا على شخص بأنه يصلي صلاة الضحى هل معنى ذلك أنه لو لم يصلي فهو مذموم ؟ الطالب: لا؛

الشيخ: طيب إذا نأخذ قاعدة: لا يلزم من انتفاء المدح ثبوت الذم .

وينبني على هذا فائدة فقهية أيضا وهو أنه لا يلزم من ترك المستحب الوقوع في المكروه؛ فلو أن رجلا صلى ولم يرفع يديه عند تكبير الإحرام هل نقول إن هذا مكروه ؟ لا؛ وهذه قاعدة مفيدة: لا يلزم من ترك المسنون أن يقع الإنسان في المكروه لكنه ينقص أجره لاشك؛ لكن لا يذم أو يقال إنه وقع في أمر منهي عنه .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: الثناء على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ رشيد ؟

الطالب: من الآية: ((**ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر**)) .

الشيخ: لو قال قائل: لماذا ذكر الله الإيمان بالله واليوم الآخر بين ذكر تلاوة الآيات وذكر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؟ الآن شف بدأ بتلاوة آيات الله والسجود وثنى بالإيمان باليوم الآخر وثلث بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فلماذا جعل الإيمان وهو الأصل بين تلاوة الكتاب وبين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؟

الشيخ: خالد ؟

الطالب: تلاوة الآيات تذكر باليوم الآخر وتثبت الإيمان به؛

الشيخ: يعني لا يمكن الإيمان بالشيء إلا بعد العلم به كذا ؟ فهم إذا تلوا آيات الله علموا باليوم الآخر ثم آمنوا به؛

الطالب: أيضا لأنه حافز لأنهم يأملون هذا العمل لليوم,

الشيخ: يعني أنه غاية ؟ نعم؛

الطالب: والتنصيص على التلاوة؛ الشيخ: نعم يمكن التنصيص على التلاوة بعد أن يؤخر، بعد أن يقول: يؤمنون بالله واليوم الآخر ويتلون كتاب الله؛ نعم ؟

الطالب: من عطف العام على الخاص,

الشيخ: لا, التلاوة عمل, على كل حال الذي يظهر لي كما قال الأخ خالد إنه لا يمكن الإيمان بالشيء إلا بعد العلم به, ولا نعلم عن اليوم الآخر إلا بعد تلاوة كتاب الله؛ ولكن قدم السجود على الإيمان باليوم الآخر لاقترانه بالتلاوة .

الطالب: قد يذكر الآيات من يؤمن به ومن لا يؤمن به, ووجد من الكفار أنهم يتلون ولا يتم المدح حتى يؤمنوا به ؟

الشيخ: نعم هذا جيد لكن السياق إذا كان في مقام المدح صار المراد بالتالين الذين يتلونه على وجه الإيمان به .

من فوائد هذه الآية: الثناء على المسارعة في الخيرات؛ لقوله: ((**ويسارعون في الخيرات**))؛ طيب فإن قال قائل: كيف نجمع بين هذه الآية التي فيها الثناء على المسارعة في الخير وبين قول النبي صلى الله عليه وسلم: (**إذا سمعتم الإقامة فامشوا إلى الصلاة وعليكم السكينة والوقار ولا تسرعوا**) ؟

الطالب: المسارعة في الخيرات هي قيام للصلاة ... ؛

الشيخ: يعني معناه الخيرات ما أمر به الشرع كذا ؟ والإسراع في الذهاب إلى الصلاة ليس من الخير؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عنه؛ إذا الجواب أن نقول: إن المسارعة في الخيرات هي المسارعة في موافقة الشرع؛ كذا ؟ طيب.

الطالب: الوجه الثاني المسارعة في إقام الصلاة وإتقانها ... ؛

الشيخ: هذه داخلة في العموم ما فيه إشكال لكن كيف نهى عن الإسراع إليها ؛

الطالب: كيف ؟

الشيخ: أقول كونه مثلا يتقن الصلاة لا شك أنه من المسارعة في الخيرات وداخل في العموم؛ لكن سؤالنا عن النهي عن الإسراع إليها فيقال: إن المراد بالمسارعة في الخيرات هي المسارعة إلى التزام الشرع والقيام به؛

الطالب: لأن الذي يذهب إلى الصلاة بتؤدة وسكينة يكون له من الخير أعظم من الذي يذهب إليها بسرعة فينشغل ...,

الشيخ: طيب هذا هو؛ يعني معناه إن الخيرات ما وافق الشرع والمسارعة فيها أن تلتزم بها .

من فوائد هذه الآية: الثناء على هؤلاء بالصلاح؛ لقوله: ((**وأولئك من الصالحين**)) إذا فينبغي لنا أن نلتزم أو نقوم بهذه الأعمال التي مدح الله بها هؤلاء القوم من أهل الكتاب وأثنى عليهم بها .

فإذا قال قائل: هل الصلاح أمر كسبي أو أمر فطري ؟ لأنكم قلتم إنه أمر فطري فكيف يكوِّن الإنسان نفسه ليكون صالحا؛ وإن قلتم إنه أمر كسبي فهذا أمر ممكن ؟

والجواب: أن الأصل أنه أمر فطري ((**فطرة الله التي فطر الناس عليها**)) لكنه في النهاية والغاية يكون كسبيا؛ ولهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام: (**فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه**)؛ وللصلاح أسباب؛ منها ما ذكر الله هنا: تلاوة آيات الله كثرة الصلاح، الإيمان بالله واليوم الآخر وتحقيقه، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ ولهذا يشكوا كثير من الناس اليوم أنه قد يجد في قلبه شيئا من الفساد فكيف يصلحه ؟ نقول: أصلحه بما ذكر الله من هذه الأحوال لأهل الكتاب؛ فإن هذا من أسباب الصلاح؛ ولهذا قال: ((**وأولئك من الصالحين**)).

صحبة الأخيار من أسباب الصلاح, فهل في الآية ما يدل عليها ؟

نعم, لأنهم إذا كانوا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر لا يمكن أن يصحبوا أحدا من أهل المنكر والشر؛ فيكون في الآية إشارة إلى صحبة الأخيار, ولاشك أن صحبة الأخيار من أسباب الصلاح؛ ولهذا ثبت عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه مثل جليس الصالح بحامل المسك؛ ويروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: (**المرء على**

دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل) وأخذ الشاعر هذا المعنى وقال: عن المرء لا تسأل واسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي ؛

السائل: قاعدة: لا يلزم من ترك المستحب الوقوع في المكروه هل هي فقهية أم أصولية ؟

الشيخ: هذه الأقرب أنها فقهية .

الطالب: هؤلاء أهل الكتاب في زمن النبي صلى الله عليه وسلم أو قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم؟ الشيخ: نعم تشمل من آمن الرسول بعد بعثته مثل عبد الله بن سلام وغيره وتشمل من كانوا على الاستقامة فيما سبق .

السائل: هل يجوز للإنسان أن يذهب إلى الصلاة ويكون يجري أو يركض ؟

الشيخ: أليس النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا تسرعوا ؛ قال: (**إذا سمعتم الإقامة فامشوا إلى الصلاة وعليكم السكينة**) ثم إنه قال لأبي بكرة لما أسرع وركع قبل أن يصل إلى الصف قال: (**زادك الله حرصا ولا تعد**) .

السائل: شيخ ألا يؤخذ منها فضل قيام الليل ؟

الشيخ: نعم يؤخذ منها فضل قيام الليل وقراءة القرآن في الليل .

السائل: قوله تعالى: ((**ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة**)) أمة مبتدأ نكرة موصوفة ... كيف جاز أن تكون مبتدأ,

الشيخ: يجوز أن يبتدئ بالنكرة إذا أفادت, وهي إذا تأخرت فهي مفيدة؛ لو قلت: في الدار رجل؛ فهي مفيدة؛ ولو قلت: رجل كريم في الدار؛ فهي أيضا مفيدة؛ فإذا وصفت أو أخرت فهي مفيدة .

السائل: قوله تعالى: ((**يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون**)) ألا يدل هذا على أن التلاوة هي القراءة لأن تخصيصها بالليل والعمل يكون في الليل أو النهار ؟

الشيخ: أي نعم, هذا يرجح أنها تلاوة القراءة لكن حتى في الليل الإنسان محتاج إلى أن يكون عمله مطابقا للشرع؛ لو أنه ابتدع في صلاة الليل فإنه لا ينفعه .

السائل: بعض الكتب يا شيخ تذكر أنه لا بأس بذكر الأحاديث الضعيفة في فضائل الأعمال؛ ما رأيكم فضيلة الشيخ ؟,

الشيخ: الحديث الضعيف في فضائل الأعمال أجاز بعض العلماء ذكره لكن بشروط ثلاثة؛ الأول: أن يكون أصل العمل ثابتا؛ والثاني: أن لا يكون الضعف شديدا؛ والثالث: أن لا يعتقد أن النبي صلى الله عليه وسلم قاله؛ مثال ذلك: لو أن شخصا ذكر حديثا ضعيفا في فضل صلاة الجماعة؛ فهذا أصل العمل ثابت, وأن يكون بشرط

أن لا يعتقد أن الرسول صلى الله عليه وسلم قاله, وبشرط أن لا يكون الضعف شديدا؛ والعامة إذا قرأت لهم الحديث سيعتقدون على طول أن الرسول صلى الله عليه وسلم قاله .

الشيخ: حاول بعض العلماء أن يعين هذا الطعام الذي حرمه إسرائيل على نفسه فما رأيك في هذا ؟ الطالب: الصحيح أن نتركه كما جاء في القرآن يعني ما نعين؛ ما نعينه ؟ نعم؛ لأنه لو كان في تعيينه فائدة لعينه الله.

الشيخ: هل لهذا نظير مما حاول بعض العلماء أن يعينه وهو مبهم في القرآن ؟

الطالب: نعم في قوله: ((**وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم**)) الأقلام هنا ما عين لكن بعض العلماء قال أنها قداح؛

الشيخ: بس اختلفوا في معناها فقط ؛

الطالب: أسماء أصحاب الكهف؛

الشيخ: نعم أسماء أصحاب الكهف ولون كلبهم .

الشيخ: ((**حج البيت**)) فيها قراءة ثانية ما هي ؟

الطالب: ((**ولله على الناس حَج البيت**))

الشيخ: بفتح الحاء طيب . ما الذي تفيد هذه الآية ؟

الطالب: تفيد أن الله تعالى فرض على الناس حج البيت؛

الشيخ: أن الله فرض على الناس حج البيت. هل الناس على عمومها ؟

الطالب: لا، المؤمنون فقط الذين يوجه لهم الخطاب؛ هذا عام مخصوص, عام أريد به الخصوص: ((**ولله على الناس حج البيت**)) أي المؤمنون ؛

الشيخ: يعني إذا الكافر لا يحاسب على ترك الحج ؟

الطالب: لا، المراد الناس كلهم لكن المقصود الأول هو المؤمنون، الله سبحانه وتعالى سيحاسب الكافر على ترك الحج وفروع الشريعة, لكن المقصود المؤمن,

الشيخ: نعم يا آدم ؟

الطالب: الناس عام يا شيخ ؛

الشيخ: عام ؟ حتى العاجز ؟

الطالب: لا ((**من استطاع إليه سبيلا**))؛

الشيخ: إذا هذا ليس على عمومه، مقيد بقوله: ((**من استطاع إليه سبيلا**)) .

الشيخ: ما هي الفائدة من كونه يأتي بالعام أولا ثم يقول: ((**من استطاع**)) ؟ يعني لم يقل من أو الكلام: ولله على المستطيع حج البيت ؟

الطالب: للترغيب في الحج وأن الحج واجب على كل الناس ولبيان أهميته ثم بعد ذلك ...؛

الشيخ: يعني ليبين أهمية الحج ثم يبين رحمة الله باشتراط الاستطاعة. طيب إذا قال قائل: جميع الواجبات لابد فيها من استطاعة فلماذا قيده هنا ؟

الطالب: قيد هنا لأن الحج الغالب فيه المشقة ؛

الشيخ: نعم أحسنت الغالب فيه المشقة أكثر من غيره ؟

الشيخ: يستفاد منها: التحذير من طاعة أهل الكتاب؛ من أين يؤخذ ؟

الطالب: من قوله: ((**يردوكم بعد إيمانكم**))

الشيخ: يعني أخبرنا الله بذلك من أجل أن نحذر منهم, وأن لا نطيعهم وأن نحذر منهم؛ لأنهم يحرصون غاية الحرص على أن يردونا بعد إيماننا كافرين .

الشيخ: قوله: ((**اتقوا الله حق تقاته**)) هل هذه الآية على ظاهرها محكمة أو منسوخة ؟

الطالب: اختلف العلماء في ذلك؛ قال بعض العلماء إنها منسوخة بقوله تعالى في سورة البقرة: ((**لا يكلف الله نفسا إلا وسعها**)) والصحيح أنها محكمة غير منسوخة، أي إنها ((**اتقوا الله**)) بقدر ما تستطيعون .

الشيخ: إذا اختلف العلماء في آية أو حديث هل هو منسوخ أو غير منسوخ فمن الأصل معه ؟ الطالب: أن نجمع بين النصين؛

الشيخ: لا، من الأصل معه ؟ مع من قال إنه منسوخ أو مع من قال إنه غير منسوخ ؟

الطالب: في هذه الآية ؟

الشيخ: لا، اختلاف عام يعني إذا اختلف العلماء في آية أو حديث هل هو منسوخ أو غير منسوخ فمن الأصل معه ؟

الطالب: الأصل في عدم النسخ؛

الشيخ: الأصل مع من قال بعدم النسخ تمام؛ إذا مادام العلماء اختلفوا في هذه الآية هل هي منسوخة أو غير منسوخة فالأصل أنها غير منسوخة وتبقى على محكمها .

الشيخ: إذا قال قائل: ((**ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون**)) ما معنى الآية ؟

الطالب: أي ابدؤوا من الآن بطاعة الله سبحانه وتعالى؛

الشيخ: يعني استمروا على الإسلام إلى أن تموتوا .

الشيخ: جملة: ((**وأنتم مسلمون**)) ما إعرابها ؟ يعني محلها من الإعراب ؟

الطالب: حال؛

الشيخ: أي نعم في موضع النصب على الحال .

الشيخ: ورد النهي عن التفرق نصا في موضعين أين هما ؟

الطالب: قوله تعالى: ((**واعتصموا بحبل الله جميعا**)) ثم قال: ((**ولا تفرقوا**))؛

الشيخ: لا، لأن الاعتصام بحبل الله جميعا هذا أمر بالاعتصام به؛ ((**ولا تفرقوا**)) الثاني: ((**فألف بين قلوبكم**))؛

الشيخ: النهي عن التفرق نصا هذه واحدة والثانية ؟

الطالب: هذه الآية ؟

الشيخ: لا في الآيات كلها التي قرأتها ؟

الطالب: ((**ولا تكونوا كالذين تفرقوا**))

الشيخ: نأخذ من هذا أي شيء ؟

الطالب: نأخذ من هذا النهي عنه؛ وأن التفرق يكون بالقلوب ليس بالأجسام ؟

الشيخ: يعني شأنه كبير وعظيم؛ وإذا نهي عن التفرق لزم أن يؤمر بضده وهو الائتلاف والاجتماع .

الشيخ: قوله تعالى: ((**واعتصموا بحبل الله**)) ما المراد بحبل الله ؟

الطالب: هو طريق المسلم؛

الشيخ: وهو ؟

الطالب: وهو الإسلام .

الشيخ: طيب لماذا سمي حبلا ؟

الطالب: لأنه شريعة من عند الله سبحانه وتعالى؛

الشيخ: لا, ليس ما هو حبل الله؛ لماذا سمي حبلا ؟

الطالب: لأنه يوصل إلى الله سبحانه وتعالى؛

الشيخ: يوصل إلى المقصود ؟ طيب وأضيف إلى الله ؟

الطالب: لأنه هو الذي شرعه سبحانه وتعالى؛

الشيخ: ولأنه يوصل إليه .

الشيخ: قوله: ((**ولتكن منكم أمة**)) هل من هنا للتبعيض أو للابتداء وبيان الجنس ؟

الطالب: للتبعيض؛

الشيخ: للتبعيض ؟ نعم؛ طيب ما الذي ينبني على اختلاف القولين لأن فيها قولين للعلماء ما الذي ينبني على اختلافهما ؟ ((**ولتكن منكم أمة**)) إذا قلنا من للتبعيض أو قلنا لبيان الجنس أو للابتداء ؟

الطالب: إذا كانت للتبعيض يعني طائفة منكم من بعضكم،

الشيخ: يعني بعضهم فيكون الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية؛ وإذا قلنا إنها للابتداء أو لبيان الجنس؟

الطالب: فرض على الجميع,

الشيخ: صار ذلك فرضا على الجميع, يعني ولتكونوا جميعا أمة يدعون إلى الخير؛ المشهور عند أهل العلم الأول، أن من للتبعيض وأن الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفايات

الشيخ: قوله: ((**لن يضروكم إلا أذى**)) الاستثناء هنا منقطع أو متصل ؟

الطالب: فيه خلاف, قيل: إن المستثنى متصل والمعنى والتقدير: لن يضروكم إلا ضرر أذى؛ وقيل: أن الاستثناء منقطع والتقدير: لن يضروكم ولكن ...؛ ورجحنا الأخير لأن الضرر غير الأذى .

الشيخ: ما هو الدليل على أن الأذى غير الضرر ؟

الطالب: الدليل قول الله عز وجل في الحديث القدسي: (**يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر**) وقال في الحديث القدسي سبحانه وتعالى: (**يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فضروني**) فنفى الضرر وأثبت الأذى؛

الشيخ: والواقع ؟

الطالب: هو شاهد بذلك؛ قد يتأذى الإنسان برائحة كريهة ولا يتضرر .

الطالب: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ((**ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين وما يفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم بالمتقين إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون**)) .

الشيخ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم؛ قال الله تعالى: ((**ليسوا سواء**)) وهذا أظن أخذناها إلى ...؟

الشيخ: ((**ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون**)) على من يعود الضمير في قوله: ((**ليسوا سواء**)) ؟

الطالب: إلى أهل الكتاب؛

الشيخ: وما معنى: ((**سواء**)) ؟

الطالب: أي ليسوا متساويين؛

الشيخ: ليسوا متساويين طيب .

الشيخ: قوله: ((**من أهل الكتاب أمة قائمة**)) من هم المراد يا خالد هنا ؟ هل هم الذين أسلموا أم الذين كانوا في زمن رسالتهم متصفين بهذه الصفات ؟

الطالب: يشملهم جميعا؛

الشيخ: يعني يشمل الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم والذين كانوا على حق في عهد رسالتهم .

الشيخ: قوله تعالى: ((**يسارعون في الخيرات**)) ولم يقل: إلى الخيرات فما الفرق ؟

الطالب: ((**يسارعون في الخيرات**)) أي أنهم يسارعون إلى هذه الخيرات يعني للوصول إليها يستمرون فيها؛

الشيخ: ولو قال إلى ؟

الطالب: إذا وصل إلى الخيرات يقف عندها؛

الشيخ: يعني لا تدل على استمرارهم في المسارعة بعد الوصول إليها.

الشيخ: ما الفرق بين هذا وبين قوله تعالى: ((**وسارعوا إلى مغفرة من ربكم**)) خالد ؟

الطالب: كيف ؟

الشيخ: قال: ((**سارعوا إلى مغفرة**)) ولم يقل: في مغفرة ؟

الطالب: لأن المغفرة من الله عزوجل بينما الخيرات إن كان ... المغفرة فلم يكن ... المغفرة من الله؛

الطالب: المغفرة ما يمكن أن تكون ظرفا ...

الشيخ: يعني هي غاية، هي غاية وليست عملا؛ على كل حال الجوابان متقاربان الفرق بينهما ظاهر لأنه المغفرة غاية، غاية العمل وثمرة العمل, بخلاف العمل فإنه ظرف لكدح الإنسان .

الشيخ: قوله: ((**وما يفعلوا من خير فلن يكفروه**)) فيها قراءتان ما هما ؟

الطالب: ((**وما يفعلوا من خير**)) والثانية: ((**وما تفعلوا من خير**))؛

الشيخ: كمل الآية: ((**وما يفعلوا من خير**))

الطالب: ((**فلن يكفروه**))

الشيخ: أو الطالب: ((**وما تفعلوا من خير فلن تكفروه**)) .

الشيخ: ما الفرق بين القراءتين ؟

الطالب: القراءة الأولى: ((**وما يفعلوا من خير**)) لا يمكن أن تكون للالتفات؛ لأنها تكون على ضمير الغيب.

الشيخ: لكن على من يعود الضمير فيها على هذه القراءة.

الطالب: على أهل الكتاب ...

الشيخ: ما معنى قوله: ((**فلن يكفروه**)) يا عبد المنان ؟

الطالب: لن يبخسوا ولن ينقصوا من أجرهم شيئا؛

الشيخ: يعني لم يحرموه ؟

الطالب: أي نعم .

الشيخ: قوله: ((**والله عليم بالمتقين**)) هل علم الله مخصوص بالمتقين أو شامل ؟

الطالب: شامل؛

الشيخ: إذا لماذا قيده بالمتقين ؟

الطالب: زيادة العناية بهم؛

الشيخ: نعم ؟

الطالب: أقول زيادة العناية بهم؛

الشيخ: العناية بهم وإلا ؟

الطالب: نعم .

الشيخ: أي شيء تقولون ؟

الطالب: الحث على التقوى,

الشيخ: الحث على التقوى والعناية بهم أنه لن يضيع ثواب تقواهم .

السائل: شيخ قوله: ((**والله عليم بالمتقين**)) يكون رد على اليهود لما ظنوا أنهم هم المتقون وهم على الحق قال الله عليم بالمتقين ردا عليهم ؟

الشيخ: هذه على قراءة الياء يكون لها هذا الوجه أيضا.

من فوائد هذه الآية؛ قوله تعالى: ((**وما يفعلوا من خير فلن يكفروه**))

من فوائدها: أن من فعل خيرا أثيب عليه؛ لأن المراد بالنفي هنا تمام الإثبات, يعني أنهم يعطون أجره كاملا بلا نقص .

ومن فوائدها: كمال عدل الله عزوجل لكون العامل إذا عمل عملا أثيب عليه؛ ولو حوسب على ما أعطاه الله من النعم لهلك؛ لكن يثاب وتكون نعم الله عليه مجرد فضل من الله .

ومن فوائد هذه الآية: إثبات علم الله؛ لقوله: ((**والله عليم بالمتقين**)) .

ومن فوائدها: الثناء على أهل التقوى؛ والتقوى ذكرت في القرآن الكريم على وجوه متنوعة متعددة: أمرا وثناء على أهلها وبيانا لثمراتها: ((**يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم**)) .

ومن فوائدها: ثبوت الثواب على عمل الخير قليلا كان أم كثيرا؛ لقوله: ((**من خير**)) وهي في سياق الشرط فتكون عامة .

ثم قال الله عزوجل: ((**إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا**)) قوله تعالى: ((**إن الذين كفروا**)) يشمل كل من كفر بالله من يهودي أو نصراني أو شيوعي أو دهري أو مسلم ارتد؛ المهم كل من كفر بالله فهذا حكمه ؛ والكفر ذكر أهل العلم أنه قسمان: كفر مخرج عن الملة؛ وكفر غير مخرج عن الملة؛ وعليه يتنزل قول ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ((**ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون**)) قال كفر دون كفر؛ ومن أمثلة هذا النوع أعني الكفر الذي لا يخرج عن الملة قول النبي صلى الله عليه وسلم: (**سباب المسلم فسوق وقتاله كفر**) فإن قتال المسلم ليس بكفر, أي ليس بكفر مخرج عن الملة؛ ولكنه كفر دون كفر لأنه لا أحد يقدم على قتل المسلم إلا الكافر؛ فإذا قدم المسلم على قتل أخيه المسلم فقد أتى على خصلة من خصال الكفر؛ والدليل على أن قتال المسلم ليس بكفر مخرج عن الملة قوله تعالى: ((**وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله**)) إلى قوله: ((**إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم**))؛ ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: (**اثنتان في الناس هما بهم كفر الطعن بالنسب والنياحة على الميت**) ولها أمثلة؛ المهم أن هذا كفر أصغر لا يخرج من الإسلام .

أما الكفر الأكبر فهو الكفر الذي يخرج من الإسلام؛ مثل قوله تعالى: ((**إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها أولئك شر البرية**))؛ وهنا يقول تعالى: ((**إن الذين كفروا**)) هل المراد به الكفر الأصغر الذي لا يخرج به الإنسان من الملة أم الأكبر ؟ الظاهر . والله أعلم . أن المراد به الأكبر لقوله تعالى: ((**وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون**)) لأن أصحاب النار لن يكونوا إلا الكفار كفرا أكبر؛ لأن صاحب الشيء هو الملازم له, ومن كفر كفرا أصغر فإنه لن يلازم النار, بل لابد له من الخروج منها .

وقوله: ((**إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا**)) يعني لن تدفع عنهم شيئا من عذاب الله إذ أراد الله بهم سوءا؛ قال الله تعالى: ((**إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له**)) وحينئذ نقول إن قوله: ((**لن تغني**)) أي لن تمنع ولن تدفع؛ فهي عاجزة عن منع ما أراد الله وعن رفعه.

وقوله: ((**أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا**)) ذكر الأموال لأن الأموال يفتدي بها الإنسان نفسه في مواطن الحرج؛ لو أن أحدا أمسك شخصا وأراد أن يحبسه أو يقتله أو يعتدي على عرضه فقال له: دعني أنا أعطيك ما شئت من المال خذ ما شئت من مالي؛ حينئذ أغنى عنه المال؛ الأولاد كيف يغنون عن الإنسان شيئا ؟ لأن الأولاد يدافعون عن آبائهم وأمهاتهم وهم أشد الناس حماسا في الدفاع، أعني الأولاد في الدفاع عن آبائهم

وأمهاتهم أشد الناس حماسا؛ فالإنسان لا يمكن أن يدع عدوه يبطش بأمه أو بأبيه أبدا وهو على قيد الحياة؛ فلهذا قال: ((**ولا أولادهم**)) لأن الأولاد هم الذين يدافعون عن آبائهم وعن أمهاتهم؛ ((**من الله شيئا**)) شيئا نكرة في سياق النفي؛ أين النفي ؟ ((**لن تغني**))؛ قال الأصوليون: والنكرة في سياق النفي تفيد العموم أيْ: أيَّ شيء كان سواء كان هذا الشيء شديدا أم كان ضعيفا .

قال: ((**وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون**)) ففي الدنيا لا يغني عنهم مالهم شيئا ولا ولدهم؛ وفي الآخرة كذلك هم أصحاب النار هم فيها خالدون ؛ والنار معروفة هي ذلك الجسم الحار ولكن حرارة النار في الآخرة ليست كحرارة النار في الدنيا, هي فضلت على حرارة النار في الدنيا بتسعة وستين جزءا . نسأل الله السلامة . فإذا قدرت الآن أعظم ما في الدنيا من النيران في الحرارة فإن نار جهنم أشد منها, يعني تزيد عليها بتسعة وستين جزءا, فإذا أخذنا الأصل والزيادة صارت سبعين, يعني مقدرا حرارتها سبعين عن حرارة نار الدنيا.

وقوله: ((**أصحاب النار**)) أي أهلها الملازمون لها ((**وهم فيها خالدون**)) أي ماكثون .

ثم قال الله عزوجل في بيان أن أموالهم لا تغني عنهم شيئا ولا تنفعهم: ((**مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته**)) هذا تمثيل أو تشبيه تمثيلي؛ لأن التشبيه يقولون إنه نوعان: تشبيه إفرادي مثل أن تقول: فلان كالبحر، فلان كالأسد؛ وتشبيه تمثيلي بمعنى أنه تشبه الهيئة بالهيئة, يكون المشبه شيئا مؤلفا من عدة أمور والمشبه به كذلك يكون شيئا مؤلفا من عدة أمور, فيسمى عند البلاغيين تشبيها تمثيليا؛ والأول تشبيه إفراد تشبيها إفراديا ((**كثمل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم**)) الصورة الآن ريح شديدة فيها برودة عظيمة ولها ... صرير من شدتها ((**أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم**)) فالتشبيه مركب الآن، من ريح شديدة باردة أصابت حرث قوم يعني مصيب ومصاب؛ ((**حرث قوم**)) أي زرعهم؛ ((**ظلموا أنفسهم**)) أي استحقوا أن يعذبهم الله عزوجل بهذه الريح فأهلكته؛ فإذا هبت الريح العاصفة الباردة القوية انتقاما من بني آدم فإنها سوف تهلك هذا الحرث؛ وجه الشبه ظاهر لأنهم سلطوا على أموالهم تسليطا عظيما لكن لم ينتفعوا بهذا التسليط، عادت هباءا كما قال تعالى: ((**إن الذين ينفقون أموالهم ليسدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون**)) هذه حال الكفار إذا أنفقوا أموالهم لن ينتفعوها إطلاقا ((**كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته**)) طيب ((**فيها صر**)) يعني: مشتملة على الصر؛ وفسرنا الصر بأمرين؛ البرودة والشدة, الصوت لها صرير من شدتها؛ وباردة هذه لا تبقي على الزرع ((**لا تبقي ولا تذر**)) ((**فأهلكتهم**)) .

قال الله تعالى: ((**وما ظلمهم الله**)) يعني أن الله عزوجل ما ظلمهم حين سلطهم على إهلاك أموالهم بدون أن ينتفعوا بها، ما ظلمهم لأن الله تعالى لا يظلم الناس شيئا ((**ولكن أنفسهم يظلمون**)) يعني هم الذين يظلمون أنفسهم بكفرهم بآيات الله ولا أحد أجبرهم على هذا الكفر؛ وإذا فعل الإنسان الشيء بنفسه فلا يلومن إلا نفسه.

الشيخ: وقوله: ((**ولكن أنفسهم يظلمون**)) فيها إشكال وهو أنه نصب المبتداء والمعروف أن المبتداء يكون مرفوعا فما الجواب ؟

الطالب: هنا المبتدأ محذوف؛ الشيخ: المبتدأ محذوف و((**أنفسهم**)) ؟

الطالب: خبر؛

الشيخ: والخبر يكون منصوبا ...

الطالب: لكن ليست التي تعمل تلك لكنَّ,

الشيخ: طيب الآن عملت نصبت: ((**أنفسهم**)) ؟

الشيخ: عبد الرحمن بن داود ؟

الطالب: مفعول مقدم؛

الشيخ: لأي شيء ؟

الشيخ: يظلمون أنفسهم؛ أي شيء تقولون ؟

الطالب: صحيح؛

الشيخ: نعم هذه مفعول مقدم يا أحمد ليظلمون؛ علامة ذلك أنه لو كان في غير القرآن وحولت الجملة بالتقديم والتأخير فقلت: ولكن يظلمون أنفسهم؛ لاستقام الكلام؛ إذا فأنفس هذه مفعول به مقدم وفائدة التقديم الحصر, يعني أنهم ما ظلموا الله عزوجل، والله أيضا ما ظلمهم, ولكنهم ظلموا أنفسهم؛ أما كونهم ما ظلموا الله فلأن الله قال: ((**وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون**)) وأما كونهم لم يظلموا فلأن الله تعالى يقول: ((**وما ظلمهم الله**)) فالله ما ظلمهم, وهم لم يظلموا الله أي لم ينقصوه شيئا وإنما نقصوا أنفسهم ((**ولكن أنفسهم يظلمون**)) .

في هاتين الآيتين فوائد؛ أولا: بيان أن الكفار مهما بلغوا في القوة عددا ومددا فإن قوتهم لن تغنيهم من الله شيئا، عددا لقوله: أولاد؛ مددا: أموال؛ مهما كثرت قوتهم عددا ومددا فإنها لن تغني عنهم من الله شيئا .

ومن فوائدهما أيضا: تمام قدرة الله وسلطته على العباد حيث إن الكفار العتاة لا يستطيعون أن يدفعوا شيئا بأموالهم وأولادهم مما قضاه الله عزوجل .

فإن قال قائل: مفهوم الآية أن المؤمنين تغني عنهم أموالهم وأولادهم من الله شيئا ؟

قلنا: هذا غير مراد؛ لأن الآية سيقت في الرد على الكفار الذين يفتخرون بأموالهم وأولادهم؛ فبين الله أن أموالهم وأولادهم لا تغني عنهم من الله شيئا؛ أما المؤمنون فقد قال الله تعالى: ((**يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون**)) ولا أحد ينفعه ماله وولده إلا أن يكون عونا له على طاعة الله .

من فوائد هذه الآية: أن الكفار في النار؛ لقوله: ((**أولئك أصحاب النار**)) .

ومن فوائدها: أنهم مخلدون فيها؛ لقوله: ((**هم فيها خالدون**)) والجملة اسمية تدل على الدوام والثبوت .

فإن قال قائل: هل هذا الخلود أبدي أم له غاية ؟

فالجواب: أنه أبدي وليس له غاية؛ ودليل ذلك في كتاب الله في ثلاث آيات منه, في النساء والأحزاب والجن؛ ففي النساء يقول الله تعالى: ((**إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا إلا طريق جهنم خالدين فيها أبدا وكان ذلك على الله يسيرا**))؛ وفي سورة الأحزاب يقول الله تعالى: ((**إن الله أعد لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا خالدين فيها أبدا لا يجدون وليا ولا نصيرا**))؛ وفي سورة الجن: ((**ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدا**))؛ وليس بعد هذه الآيات قول يقال؛ بل لو قاله قائل فقوله مردود عليه؛ لأن هذا أمر غيبي لا يعلم إلا من قبل الشرع والوحي؛ والوحي كما ترون نزل بأنهم خالدين فيها أبدا؛ وإذا جاء النص فلا قياس، إذا جاء النص فلا قياس؛ فمن ادعى أنهم يخلدون فيها إلى أمد فإنه لولا تأويله لكان أمره خطيرا جدا؛ لكنه تأول واشتبهت عليه بعض الآيات, وقال بعدم التخليد الأبدي, وإلا لكان أمره خطيرا جدا؛ لأن ظاهر هذا القول تكذيب القرآن والأمر خطير جدا لكنه صدر من أناس نعلم نصحهم لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم على وجه تأولوا فيه, والله يغفر لهم تأويلهم؛ لكن بالنسبة للعقيدة التي بين الإنسان وبين ربه إذا تبين له خطأ عالم من العلماء وجب عليه مخالفته؛ أما بالنسبة للعالم فيرجوا له المغفرة والرحمة إذا علم بالنصح للأمة لأنه غير معصوم، العصمة في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

ومن فوائد هذه الآيتين: إثبات القياس؛ لقوله: ((**مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح**)) ووجه ذلك أن المثل إلحاق للأصل بالفرع، إلحاق للمشبه بالمشبه به؛ وهذا هو أصل القياس؛ أصل القياس إلحاق فرع

بأصل في حكم لعلة جامعة؛ فكل مثال ضربه الله في القرآن ففيه دليل على القياس؛ إذ أنه إلحاق المشبه بماذا ؟ بالمشبه به؛ وعليه فيكون في هذه الآية إثبات القياس .

ومن فوائد هاتين الآيتين: حسن أو تمام بلاغة القرآن؛ وذلك بقياس الغائب على الشاهد؛ وجهه: أن الريح التي فيها صر وأصابت حرث قوم ظلمت أنفسهم كل يعرف أنها مدمرة ومهلكة؛ فكذلك أعمال الكافرين هالكة لا خير فيها لأن الكفر مدمر لها؛ ((**وما منعهم أن تقبل نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله**)) .

ومن فوائد هاتين الآيتين: أن الكافر لن ينتفع بما عمل في الآخرة؛ ووجهه: أنه إذا هلك ما عمله وزال فإنه لن ينفعه, لكن قد ينفعه في الدنيا فيدفع الله عنه به من البلاء ما ينفع أو يحصل من الخير الذي يرجوا ما يحصل بسبب العمل أو الإنفاق الذي أنفقه من ماله .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة بل الآيتين: انتفاء الظلم عن الله؛ لقوله: ((**وما ظلمهم الله**)) .

وهل هو محال لذاته أو لغيره ؟ لغيره؛ قيل: إنه محال لذاته؛ وذلك لأن الخلق كلهم عبيد الله ومهما فعل السيد بعبيده فليس بظالم؛ وعلى هذا فإن الظلم في حق الله مستحيل لذاته؛ وهذا القول يتضمن أن الله غير قادر على الظلم لأنه مستحيل لذاته عندهم؛ والقول الثاني: أن الظلم بالنسبة لله مستحيل لغيره, يعني لو شاء الله أن يظلم لظلم لكنه مستحيل لغيره؛ ما هو الغير ؟ كمال عدل الله، كمال عدل الله هو الذي منع أن يقع الظلم من الله سبحانه وتعالى؛ ولهذا نقول: لو شاء الله لظلم العباد؛ فأهدرهم أعمالهم الصالحة وأضاف إليهم أعمالا سيئة لم يعملوها لكن لكمال عدله لا يمكن أن يقع منه ذلك سبحانه وتعالى.

الشيخ: إذا فالظلم محال ؟

الطالب: بالنسبة لله عز وجل محال لغيره؛

الشيخ: نعم, والقول الثاني ؟

الطالب: أنه محال لذاته؛

الشيخ: أيهما أدل على الكمال القول الأول أو القول الثاني ؟

الطالب: الأول إذا كان محالا لغيره؛

الشيخ: نعم الأول؛ لأنه لو كان محالا لذاته لم يكن فيه مدحا لله عزوجل، المحال ما يمكن أن يقع فليس فيه مدحا لله؛ المدح أن يكون قادرا عليه ولكن تركه لكمال عدله.

وأضرب لكم مثلا يبين الأمر: لو أن رجلا عنينا دعته امرأة إلى نفسها, لكن رجل عنين، عنين يعني لا يقدر على الجماع؛ قال والله ما لي رغبة؛ نمدحه ؟ الطالب: لا؛ الشيخ: ما نمدحه؛ لأي شيء ؟ لأنه غير قادر على ذلك؛

لكن رجل شاب ممتلئ شبابا وعنده قدرة دعته امرأة لنفسها فقال: إني أخاف الله, ولو شاء لأجابها وفعل؛ هل يمدح ؟ نعم يمدح لأنه قادر؛ فإذا قلنا إن الظلم بالنسبة لله مستحيل ولا يمكن أن يقع منه صار عدم ظلمه ليس فيه مدحا, وصار تمدح الله به لغوا لا فائدة منه؛ إذا فالله تعالى نفى عن نفسه الظلم لكمال عدله, فلعدله لا يمكن أن يقع منه ظلم .

ومن فوائد الآيتين: إثبات أن الله تعالى موصوف بالنفي كما هو موصوف بالإثبات؛ صح ؟ وصف الله بالإثبات كثير في القرآن، وصفه بالنفي أقل لكنه موجود .

طيب, هذا النفي الذي وصف الله به نفسه هل هو نفي محض مجرد ؟ لا؛ بل هو نفي متضمن لثبوت وهو كمال ضد ذلك الشيء؛ فإذا قال الله عن نفسه: ((**وما ربك بظلام للعبيد**)) قلنا لكمال عدل؛ وإذا قال: ((**وما الله بغافل عما يعملون**)) لكمال مراقبته؛ وإذا قال: ((**وما مسنا من لغوب**)) لكمال قوته وقدرته؛ وهلم جرا؛ لا يمكن أن يوجد في صفات الله نفي محض بل هو نفي لثبوت ضده، لثبوت ضده على وجه الكمال .

يقول العلماء رحمهم الله: ولابد من هذا التقدير؛ أي شيء التقدير ؟ إثبات كمال الضد؛ قالوا لأن مجرد النفي إن كان لعدم القابلية فلا مدح فيه؛ وإن كان للعجز عن المنفي فهو نقص، نقص؛ إن كان لعدم القابلية فلا مدح فيه, مثل لو قلنا: الجدار لا يظلم، الجدار لا يغدر بالعهد لا يخلف الوعد؛ أي شيء هذا الكلام, نقول: هذا لغو، لغو؛ كل الناس يعرفون هذا؛ فما مثلك إلا كمثل الذي قال: السماء فوقنا والأرض تحتنا أو قال: كأننا حول المدرس طلبة يدرسون نعم ؟ أي شيء الفائدة من هذا؟ هل فيه فائدة ؟ طيب فإذا كان غير قابل لهذا المنفي عنه فإن وصفه به لغو لا فائدة منه؛ وإن كان هذا النفي لعجزه عن تحقيقه صار نقصا؛ لو قلنا إن الله لا يظلم لأنه ما يستطيع أن يظلم؛ لاشك أنه نقص؛ إذا فالقاعدة فيما وصفه لنفسه من النفي أنه ليس نفيا محضا, بل هو متضمن لإثبات كمال؛ ما الكمال ؟ كمال ضد ذلك النفي .

ويستفاد من هذه الآية: أن نفس الإنسان عنده أمانة يلحقها ظلمه وغشمه ويلحقها بره وإحسانه؛ فالإنسان عند نفسه أمانة يجب أن يرعى هذه الأمانة حقها؛ وإذا كان يجب على الإنسان أن يرعى الأمانة في ولده وأهله ففي نفسه من باب أولى؛ ولهذا قال الله عزوجل: ((**ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة**)) هذه وصية منه تعالى لنا بأنفسنا؛ وقال: ((**يوصيكم الله في أولادكم**)) فأوصانا الله لنا بأولادنا وصية منه لنا بأولادنا والولد بضعة من أبيه .

السائل: بالنسبة لنفي السنة والجهل عن الله تكون مثل نفي الظلم في أنه محال لغيره ؟

الشيخ: أما السنة والنوم فهذا محال لغيره؛ وقد يقال إنه محال لذاته؛ لأن السنة والنوم ليست فعلا؛ بل هي انفعال وحال تطرأ على النائم والناعس؛ فقد يقال إنها محال لغيره ولو شاء لنام وأخذته السنة؛ وقد يقال محال لذاته لأن في ذلك نفيا لكماله ولأن هذا ليس فعلا بل هو انفعال فبينه وبين الظلم فرق.

السائل: شيخ هل يمكن أن يغني عن الكافر أشياء الأخرى غير المال والولد؟

الشيخ: لا، ما يمكن لكن ذكر المال والولد لأن هذا هو الغالب أن الإنسان ينتفع بماله وولده .

السائل: وحال أبي طالب ؟

الشيخ: لا, هذه خاصة، هذه خاصة لسبب وهو حمايته للرسول عليه الصلاة والسلام وعنايته به .

السائل: الرسول صلى الله عليه وسلم قال: (**ناركم هذه فضلت على نار جهنم** ...) مشيرا إلى نار الصحابة ... فهل تشمل هذا كله ؟

الشيخ: أي نعم, لأنه في بعض الألفاظ: (**على نار الدنيا**) وقوله: (**ناركم**) هنا الضمير ليس للتعيين يعني ليس مضافا إلى قوم معينين وإنما هو مضاف إلى الجنس .

السائل: قال الله عزوجل: ((**فلا تضربوا لله الأمثال**)) نجد بعض الدعاة يضرب أمثلة لبعض أفعال الله ... أو المثال الذي ذكرتموه قبل قليل في النفي بعدم قدره هذا الجدار على الظلم فهل يجوز هذا الشيء ؟

الشيخ: النهي عن ضرب الأمثال الأمثال المساوية لأن الأمثال جمع مثل والمثل هو الشبيه والنظير يعني لا تجعلوا لله أحدا يشبهه أو يماثله؛ وقد ضرب النبي عليه الصلاة والسلام المثل في رؤية الله قال: (**إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر**) وقال في الصدقة: (**يأخذها بيمينه فيربيها كما يربي أحدكم فلوه**) .

الطالب: ((**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا إن الله بما يعملون محيط**)) .

الشيخ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم؛ قال الله عزوجل: ((**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم**)) وأظن أننا لم نكمل في الآية السابقة ؟ الفوائد؛ الفوائد الآية السابقة ؟ إلى ؟ ذكرنا نفي الظلم عن الله وذلك لكمال عدله .

قال الله تعالى: ((**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم**)) يمر علينا مرارا كثيرا أن الخطاب بمثل هذا, أولا: تصديره بالنداء يدل على أهميته والتنبه له؛ ثانيا: توجيهه إلى المؤمنين له ثلاث فوائد؛ أولا: الإغراء على الامتثال كأنه يقول إن كنت مؤمنا فافعل كذا وكذا، إن كنت مؤمنا فلا تفعل كذا وكذا، إن كنت مؤمنا فصدق بالخبر؛ ففي توجيهه إلى المؤمنين إغراء بالامتثال؛ ثانيا: أن امتثاله من مقتضيات الإيمان؛ لأنه لا يخاطب الشخص بوصف ثم يوجه إليه حكم متعلق بهذا الوصف إلا كان ذلك دليلا على أن امتثال هذا الحكم من مقتضيات الإيمان؛ لأنه لا يصح أن توجه لفاسق كلمة تتعلق بالمؤمن؛ الفائدة الثالثة: أن الإخلال به نقص في الإيمان؛ إذا وجه الله الخطاب إلى المؤمنين فهذا دليل على أن الإخلال به نقص في الإيمان .

ثم إنه لابد أن يكون هناك فائدة عظيمة إذا وجه الله الخطاب للمؤمنين كما قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (**إذا سمعت الله يقول: يا أيها الذين آمنوا فأرعها سمعك** . يعني استمع لها . **فإما خير تؤمر به وإما شر تنهى عنه**) .

الفائدة الثالثة: أن الإخلال به نقص في الإيمان؛ إذا وجه الله الخطاب إلى المؤمنين فهذا دليل على أن الإخلال به نقص في الإيمان .

ثم إنه لابد أن يكون هناك فائدة عظيمة إذا وجه الله الخطاب للمؤمنين كما قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (**إذا سمعت الله يقول: يا أيها الذين آمنوا فأرعها سمعك** . يعني استمع لها . **فإما خير تؤمر به وإما شر تنهى عنه**).

في هذه الآية يقول الله: ((**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم**)) هذا نهي، هذه لا ناهية ولهذا جزمت الفعل فقال: ((**لا تتخذوا**)) والمراد بالبطانة القوم المقربون إلى الشخص مأخوذ من بطانة الثوب لأنها أقرب إلى البدن أو إلى الجسد من ظهارته؛ فالثوب له بطانة وله ظهارة؛ البطانة أقرب؛ فالمعنى: لا تتخذوا قوما مقربين إليكم تفضون إليهم بالأسرار وتخبرونهم بالأحوال وبما تريدون أن تقوموا به؛ وقوله: ((**من دونكم**)) أي من غيركم، كما في قوله تعالى: ((**واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون**)) أي من غيره؛ والمعنى من دونكم أي: من غيركم بأي شيء ؟ بالدين أو بالهدف أو بماذا ؟ نقول: المراد بذلك كل من يغايرك في أمر من الأمور؛ وهذا يختلف، قد يكون في الدين مثلا وقد يكون في الدنيا؛ فإذا كان الأمر يتعلق بالدين فحينئذ لا نتخذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين، لا نتخذ المنافقين أولياء من دون المؤمنين لأنهم غيرنا؛ إذا كان يتعلق بتجارة فلا نتخذ أحدا بطانة يخدعنا في تجارتنا لأنه مغاير لنا في هذا الاتجاه؛ وهذه في الحقيقة قاعدة موجهة لكل مؤمن وهي صالحة حتى للكافر، حتى للكافر مثلا لا يتخذ بطانة من دونه أي من غيره ممن يضره اتخاذه بطانة .

وقوله: ((**لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر**)) هذه أربع جمل ((**لا يألونكم خبالا**)) هذه واحدة؛ ((**ودوا ما عنتم**)) كم ؟ اثنين؛ ((**قد بدت البغضاء من أفواههم**))؛ ((**وما تخفي صدورهم أكبر**)) هذه الجمل هل هي أوصاف لبطانة ؟ يعني بطانة متصفة بهذه الصفات, أو هي جمل تعليلية للبطانة ؟ أي لا تتخذوا بطانة من دونكم فإنهم لا يألونكم خبالا ويودون ما عنتم إلى آخره .

في هذا احتمالان، يحتمل أن هذه الجمل أوصاف؛ عرفتم ؟ ويحتمل أنها جمل استئنافية معللة, لبيان التعليل يعني لا تتخذوا بطانة من دونكم لأنهم لا يألونكم خبالا إلى آخره؛ وعلى القول الأول يكون معنى الآية: لا تتخذوا بطانة من دونكم على هذا الوصف, أي بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم إلى آخره ؛ فإن قلنا بأن هذه الجمل أوصاف فإن قوله: ((**من دونكم**)) يعتبر وصفا خامسا؛ لأن ((**من دونكم**)) الجار والمجرور

صفة أي شيء؟ لبطانة؛ وعليه فيكون نهى الله أن نتخذ بطانة من اتصفوا بهذه الصفات الخمس: أنهم من دوننا، أنهم لا يألوننا خبالا، يودون ما عنتنا، قد بدت البغضاء من أفواههم، وما تخفي صدورهم أكبر.

نرجع الآن إلى الكلمات قوله: ((**لا يألونكم خبالا**)) ألى بمعنى بذل الجهد أي لا يألون جهدا في خبالكم, يعني أنهم يبذلون كل جهد في خبالكم؛ والخبال هو الفساد في الرأي والعقل؛ ولهذا يقول الناس للرجل الفاسد رأيه وعقله يقولون إنه خِبْل؛ فمعنى ((**لا يألونكم خبالا**)) يعني لا يألون جهدا في خبالكم، يبذلون كل جهد لفساد أموركم لأنهم قوم ليسوا منكم وهم بعيدون عنكم بطانة من دونكم .

وقولهم: ((**ودوا ما عنتم**)) ودوا الود خالص المحبة يعني أنهم يحبون بكل قلوبهم ما عنتم, أي الذي عنتم أي الذي شق عليكم؛ ويحتمل أن تكون ما مصدرية أي ودوا عنتكم؛ والعنة المشقة والشدة، كما قال الله تعالى: ((**ولو شاء الله لأعنتكم**)) أي ألحق بكم المشقة، وقال تعالى: ((**عزيز عليه ما عنتم**)) أي: ما شق عليكم؛ فالمعنى أن هؤلاء البطانة لا يألون جهدا في فساد أمورنا, ويودون بكل قلوبهم العنت علينا والإشقاق والإتعاب، العنة الفكري والبدني والمالي وكل شيء يمكن أن يلحقنا فيه مشقة فهؤلاء يودونه ؛ الوصف الثالث: ((**قد بدت البغضاء من أفواههم**)) بدت أي ظهرت ؛ و ((**من أفواههم**)) من لبيان محل البدو؛ فهي ابتدائية يعني ظهرت من أفواههم, كأنما يريدون أن يكتموا هذه البغضاء ولكنها تبدوا؛ لابد أن تفهم من أقوالهم وإن كانوا لا يريدون هذا؛ ولهذا لم يقل: قد أبدوا البغضاء من أفواههم؛ بل قال: ((**قد بدت**)) وهو دليل على أنها جاءت فلتة من أفواههم وإلا فهم يتكتمون، يتكتمون في البغضاء من أجل أن يتوصلوا إلى مآربهم في اتخاذهم بطانة؛ لكن لابد أن تبدوا البغضاء من أفواههم .

((**وما تخفي صدورهم أكبر**)) أي مما يبدوا من أفواههم, يعني عندهم من البغضاء في القلوب أكثر بكثير مما تبديه الألسن؛ هؤلاء القوم المتصفون بهذه الصفات نهانا الله أن نتخذهم بطانة؛ والنهي عن اتخاذهم بطانة يستلزم إبعادهم عنك والحذر منهم وأن لا تركن إليهم .

ثم قال: ((**قد بينا لكم الآيات**)) أي أظهرناها حتى صارت بينة مثل فلق الصبح؛ والآيات العلامات؛ وهل المراد العلامات التي وصف بها هؤلاء أو هي أعم فتشمل جميع ما بين الله لنا ؟ الأولى أن نجعلها عامة نقول بين الله تعالى لنا العلامات الدالة على الحق وعلى الباطل في هذه المسألة وفي غيرها؛ وقوله: ((**قد بينا لكم الآيات**)) يدل على أنه سبحانه وتعالى له عناية خاصة في المؤمنين تبين لهم الآيات التي قد تخفى عليهم بل هي خافية عليهم.

وقوله: ((**إن كنتم تعقلون**)) يعني أنه لا يظهر بياننا للآيات إلا لمن كان له عقل يعقل به نفسه وهواه؛ أما غير العاقل فإنه لا ينتفع ((**إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتكم كل آية حتى يروا العذاب الأليم**)) ويحتمل أن الشرط ((**قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون**)) عائد على قوله: ((**لا تتخذوا بطانة من دونكم**)) والمعنى على هذا التقدير: إن كنتم تعقلون فلا تتخذوا بطانة من دونكم, أما على الأول فيكون التقدير: إن كنتم تعقلون فقد بينا لكم الآيات فاعقلوها؛ ومر علينا أن الآية إذا كانت تحتمل معنيين لا يتنافيان فالأولى أن تحمل عليهما ؛ فيكون من العقل أن لا نتخذهم بطانة ومن العقل أن نتبين ما بينه الله لنا من الآيات .

وقال: ((**هآ أنتم أولاء تحبونهم**)) في قوله: ((**هآ أنتم**)) قراءتان: المد: ((**هآ أنتم**))، والقصر: ((**ها أنتم أولاء تحبونهم**)) وكلاهما قراءتان سبعيتان, ينبغي للقارئ أن يقرأ بهذه مرة وبهذه مرة, يعني بهذه أحيانا وبهذه أحيانا إلا أمام العامة؛ فأمام العامة لا ينبغي أن تقرأ إلا بقراءة المصحف الذي بين أيديهم, لأنك لو قرأت بقراءة غير قراءة المصحف الذي بأيديهم اتهموك بالخطأ أو شككوا في القرآن؛ كيف قرآن تغير آياته ؟ وربما إن كانوا عامة دهماء ربما يضربونك يقول: أنت غيرت كتاب الله؛ لأن العامة الدهمة مشكل لا يميزون؛ إذا ((**هآ أنتم**)) قراءة؛ والثانية: ((**ها أنتم**)) و ((**ها أنتم**)) الهاء للتنبيه؛ قيل: إنها منقولة عن مكانها وأن الأصل: أنتم هؤلاء تحبونهم؛ وقيل: بل هي للتنبيه وأنها في مكانها؛ لأن التنبيه ينبغي أن يكون في أول الكلمات، فهي في مكانها؛ وقوله: ((**ها أنتم أولاء**)) أولاء منادى وأصله يا هؤلاء ((**تحبونهم**)) أي تحبون هذه البطانة الذين لا يألونكم خبالا، والذين ودوا ما عنتم، والذين قد بدت البغضاء من أفواههم، والذين ما تخفيه صدورهم أكبر تحبوهم؛ وذلك لأن المؤمنين يغلب عليهم سلامة القلب وطهارته وعدم ظن السوء في غيرهم؛ وكان هؤلاء يتوددون إليهم ويدعون أنهم يصلونهم فيحبهم المؤمنون؛ بناء على أي شيء ؟ على تغريرهم بهم؛ ((**ولا يحبونكم**)) يعني وهم لا يحبونكم مع أنكم تحبونهم؛ وكيف يحبوننا وقد بدت البغضاء من أفواههم؛ وقوله: ((**تحبونهم**)) هذا معلوم لنا لكن ((**ولا يحبونكم**)) هذا غير معلوم ولكن الله أعطانا له قرائن وهي ما تبديه أفواههم.

فإذا كان لا يحبونكم فيكف تحبونهم ؟ الإنسان العاقل الحازم هو الذي يعامل من كانت هذه صفته بمثل ما كان عليه .

((**وتؤمنون بالكتاب كله**)) الكتاب هنا اسم جنس يشمل جميع الكتب؛ ((**تؤمنون بالكتاب**)) القرآن؛ بالكتاب التوراة؛ بالكتاب الإنجيل؛ بالكتاب الزبور؛ بالكتاب صحف ابراهيم؛ تؤمنون بهذا كله؛ وهم لا يؤمنون

بذلك؛ طيب من هؤلاء ؟ يصدق هذا على اليهود والنصارى والمنافقين كلهم لنا بهذا الوصف, لكن اليهود يدعون أنهم مؤمنون بالتوراة والنصارى يدعون أنهم مؤمنون بالإنجيل والمنافقون لا يؤمنون بشيء .

((**وإذا لقوكم قالوا آمنا**)) نفاقا ومداهنة؛ يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم, ولهذا قال: ((**وإذا خلوا**)) وحدهم أو إلى شياطينهم ((**عضوا عليكم الأنامل من الغيظ**)) أي من شدة الغيظ؛ لكن من شدة الغيظ لما يرون من نعمة الله عليكم أو من شدة الغيظ لعدم إتباعكم لهم؛ أو من الأمرين جميعا ؟ من الأمرين جميعا؛ بل ربما نقول: يشمل أيضا ما ادعوا في أنهم أمضوا مع المسلمين وقتا ولم يتمكنوا من نيل مآربهم.

وقوله: ((**عضوا عليكم الأنامل**)) الأنامل هي أطراف الأصابع؛ وعضها يعبر به عن شدة الندم والحزن, ويعبر به عن شدة الغيظ؛ أحيانا الذي يتوعدك تجده يعض أنامله ويومي برأسه ويقول: عسى أدركك، عسى أدركك، عشان يتوعدك؛ نقول هذا عض أنامله من الغيظ؛ والثاني انكسرت سيارته فعض أنملته هذا من شدة الندم؛ لكن هنا بين الله عزوجل أنهم يعضون الأنامل من شدة الغيظ يتمنى أن تكون أنت الذي بين أسنانه حتى يقضمك ؛ ((**وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ**)) الشيخ: الأنامل التي تعض هل هي طرف الأصابع وإلا وسط الأصابع ؟ الطالب: وسط الأصابع، الطالب: أطراف الأصابع؛ الشيخ: يعني الأعلى ؟ على كل حال الظاهر أنها تختلف بحسب اختلاف أعراف الناس؛ أحد يعظ الأعلى وبعض الناس يعظ الوسط, وهو عندكم رؤوس الأصابع؛ أظن عندنا الأوسط؛ بعض الناس يعض وسط الأصبع وبعضهم يعض الطرف؛ المهم هي كلها تنبي عن شدة, إما شدة الحزن وإما شدة الغيظ.

قال الله تعالى: ((**موتوا بغيظكم**)) قل الخطاب للنبي عليه الصلاة والسلام أو لم يتأتى خطابه وهو الأقرب؛ لأنه كان يخاطب المؤمنين بالأول: ((**يا أيها الذين آمنوا**)) ((**ها أنتم أولاء تحبونهم**)) يعني فقل أيها المؤمن لهؤلاء: ((**موتوا بغيظكم**)) هذا الأمر للإهانة، الأمر للإهانة وبيان عدم المبالاة به؛ و((**قل موتوا بغيظكم**)) الباء قيل إنها للغاية والمصاحبة, يعني ابقوا على غيظكم إلى أن تموتوا؛ وقيل: إنها للسببية أي موتوا بسبب غيضكم فإنه لا يهمنا؛ والثاني أقرب؛ فالأول: دعاء عليهم ببقاء الغيظ إلى الموت؛ والثاني: دعاء عليهم بتعجيل الموت بسبب الغيظ؛ فيكون هذا أقرب للصواب وأشد في التحدي والبعد عنهم.

((**قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور**)) الجملة استئنافية يبين الله فيها أنه عليم بذات الصدور, أي بصاحبة الصدور وهي القلوب؛ لأن القلوب هي محل العقل والإدراك والتدبير للجسد؛ وإنما قلنا إن ذات الصدور هي القلوب لقوله تعالى: ((**فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور**)) والقلب هو محل العقل ومحل التدبير؛ ولهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام: (**ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت**

صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله) وهي محل النية والإرادة لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**إنما الأعمال بالنيات**)؛ طيب, إذا ((**عليم بذات الصدور**)) أي بالقلوب؛ بصاحبة الصدور هذا تفسير لفظي، والمراد القلوب .

ثم قال: ((**إن تمسسكم حسنة تسؤهم**)) ((**إن تمسسكم**)) الخطاب لمن ؟ للمؤمنين؛ وهنا أتى بصيغة الجمع، وأتى بصيغة المفرد في قوله: ((**قل موتوا بغيظكم**)) وسبق أن جاء بصيغة الجمع وهذا من التفنن في الخطاب؛ ومن فوائده الانتباه، الانتباه أن الإنسان إذا اختلف الأسلوب عنده انتبه وليس كما إذا كان الأسلوب على وتيرة واحدة .

((**إن تمسسكم حسنة تسؤهم**)) حسنة أيما حسنة ؟ دينية أو دنيوية، بدنية أو مالية، أو أهلية ؟ شاملة؛ ووجه الشمول أن ((**حسنة**)) نكرة والنكرة في سياق الشرط تفيد العموم؛ فأي حسنة تصيب المؤمنين فإنها تسوؤهم لأنهم أعداء, سواء كانت هذه الحسنة في المال أو البدن أو الأهل أو النصرة أو أي حسنة كانت, فإن هؤلاء تسؤهم الحسنة إذا مستكم .

وقوله: ((**وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها**)) السيئة هنا ما يسوؤكم يعني إن أصابكم ما يسوؤكم في البدن أو الأهل أو المال أو الدين ((**يفرحوا بها**)) يعني يلحقهم الفرح بسببها؛ وهنا يقول: ((**إن تمسسكم**)) في الحسنة؛ و ((**إن تصبكم**)) في السيئة؛ فهل هذا من باب اختلاف التعبير أو هناك فرق معنوي ؟ قال بعض العلماء: إن هذا من باب اختلاف التعبير وأن معنى قوله: ((**إن تمسسكم حسنة**)) أي إن تصبكم حسنة؛ قالوا: ودليل ذلك قوله تعالى: ((**ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابت من سيئة فمن نفسك**))؛ وقال بعض العلماء: بل بينهما فرق لأن المس أخف من الإصابة، المس أخف من الإصابة, وبنى على ذلك أنهم يساؤون من الحسنة وإن كانت قليلة جدا, ويفرحون بالسيئة إذا أصابت وأوجعت؛ وهذا الفرق بالنسبة لقوله: ((**إن تمسسكم حسنة**)) وجيه؛ لكن بالنسبة لقوله: ((**وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها**)) لو قلنا بهذا الفرق لكان فرحهم بالسيئة لا يكون إلا إذا كانت شديدة؛ وهذا فيما يظهر خلاف حالهم؛ وبناء على ذلك يترجح القول بأن مس وأصاب بمعنى واحد, لكن اختلف التعبير لفائدة وهي التنبيه لأنه إذا اختلف الأسلوب فلابد أن يحدث الإنسان المخاطب انتباه بخلاف ما إذا كان على وتيرة واحدة.

وقوله: ((**إن تصبكم سيئة**)) هل يدخل في ذلك هزيمتهم في الجهاد ؟ نعم يدخل؛ ويدل لهذا قوله تعالى: ((**وإن منكم لمن ليبطئن فإن أصابتكم مصيبة قال قد أنعم الله علي إذ لم أكن معهم شهيدا ولئن أصابكم فضل من الله ليقولن كأن لم تكن بينكم وبينهم مودة يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما**)) .

وقوله: ((**وإن تتقوا وتصبروا لا يضركم كيدهم شيئا إن الله بما يعملون محيط**)) إن تصبروا على ما ينالكم منهم؛ وتتقوا فيما تعاملونهم به؛ لأن الإنسان مطلوب بالنسبة لهؤلاء الكفار مطلوب بأمرين؛ الأول: الصبر على ما فعلوا؛ والثاني: أن يتقي الله فيما يفعل بهم ((**إن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا**)) ((**كيدهم**)) الكيد هو المكر؛ والمكر هو التوصل بالأسباب الخفية إلى الإيقاع بالخصم؛ فخرج بقولنا: التوصل بالأسباب الخفية ما إذا توصل بأمر معلوم للإيقاع بخصمه فإن هذا لا يسمى مكرا؛ مثل أن يأتيه على وجه صريح فيقتله؛ لكن إذا أتاه على وجه خفي فقتله نقول هذا مكر وكيد؛ وقوله: ((**لا يضركم كيدهم شيئا**)) شيئا نكرة في سياق النفي فتشمل أي شيء يكون؛ فالكفار إذا عاملناهم بالصبر والتقوى فلن يضرونا شيئا ((**إن الله بما يعملون محيط**)) .

سؤال: ...

الشيخ: هذا على كل حال تأتي في الفوائد.

السائل: أحسن الله إليك شيخ كيف يكون الكفار يأخذون بطانة منهم وهم كفار يعني أي بطانة فهي كافرة ؛

الشيخ: كيف ؟

السائل: يعني كل ملتهم واحدة ؛ قلنا إن المفروض لو كانت خائنة الفرقة الثانية فينبغي أن لا يأخذوها بطانة؛ الكفار ملة واحدة فكيف ؟

الشيخ: أي, لكنهم قد يكون بعضهم بعضا لمصلحة دنيوية ((**وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء**)) .

السائل: أحسن الله إليك شيخنا ! الإنسان إذا عض الأنامل من الغيظ هل من يفعل هذا الفعل يكون مشابها بالكفار ؟

الشيخ: لا لا، ما هو تشبه, لأن هذا شيء طبيعي؛

السائل: فلماذا ذكره الله ؟

الشيخ: لا, ذكره لأنهم يعضون أناملهم عليهم، كونه على المؤمنين نعم فيه تشبه, أما الفعل المجرد فلا تشبه فيه .

السائل: كيف يفرق بين آلى التي بمعنى اليمين والتي بمعنى التقصير ؟

الشيخ: هذه التي بمعنى التقصير ألى ما هي آلى ؛ الذي بمعنى اليمين آلى.

السائل: وفي الجمع ؟

الشيخ: قل المصدر ألى إلا، ألى مصدرها إلا التي بمعنى التقصير؛ وآلى مصدرها إيلى .

السائل: شيخ أحسن الله إليكم ! ذكرنا أن هذا يحتمل أن يكون اليهود أو النصارى أو المنافقون؛ هؤلاء ما يجوز أن نحبهم على كل حال سواء أحبونا أم أبغضونا؛

الشيخ: سيأتي. هذا تأتي في الفوائد .

السائل: شيخ أحسن الله إليك ! قال: ((**وتؤمنون بالكتاب كله**)) ولم يقل: ولا يؤمنون بالكتاب كله؛ مع أنه قال: تحبون أو لا تحبون ؟

الشيخ: أي لأنهم ربما يؤمنون ببعض الكتاب هم؛ لا، قصدي ببعض الكتب يعني الكتاب اسم جنس؛ وحتى أيضا المنافقون يؤمنون بالكتاب إذا كان في مصلحتهم, السائل: لكن لا يسمى إيمان حقيقي, الشيخ: نعم, لكن يقال أنه مؤمن به: ((**وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين**)) .

السائل: ...

الشيخ: هو الحقيقة أن من كفر بمحمد صلى الله عليه وسلم بعد بعثته فهو كافر حتى بالتوراة هذا هو الحقيقة حتى بالإنجيل .

السائل: قوله تعالى: ((**ها أنتم تحبونهم**)) فمثلا الآن المنافقين في هذا العصر كأن الله عزوجل يشير بهذه الآية يعني نبتعد عن هذا ؟

الشيخ: هذا يأتينا في الفوائد إن شاء الله .

السائل: ...

الشيخ: هم متلازمات لكن هل المراد: ((**إن كنتم تعقلون**)) هذه الآيات التي بيناها أو ((**إن كنتم تعقلون**)) فلا تتخذوهم بطانة؛ فيكون انتفاء العقل اتخاذهم بطانة رأسا ما هو باللازم؛ وفرق بين دلالة اللازم ودلالة التضمن .

الطالب: ((**إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلاَ وَاللّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**)).

الشيخ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم؛ أظن أننا باقي علينا فوائد ؟ شرح ؟ .

قال الله تعالى: ((**إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا إن الله بما يعملون محيط**)) هذه الآية تكلمنا على أولها وقلنا: إن هؤلاء الذين من دون المؤمنين والذين اتخذوهم بطانة إذا مست المسلمين حسنة أساءتهم, والمراد بالحسنة هنا حسنة الدنيا من الرزق والعافية

والغنائم وغيرها؛ وكذلك النصر على الأعداء؛ وإذا أصابكم سيئة أي ما يسوؤهم من خذلان أو فقد مال أو جوائح أو غير ذلك فإنهم يسرون بها.

يقول الله عزوجل: ((**وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا**)) تصبروا على ما ينالكم منهم؛ ومعلوم أن الصابر ينتظر الفرج لأنه سيصبر على ما ناله من الأذى في هذا الوقت المعين, ولكنه ينتظر الفرج؛ ((**وتتقوا**)) بأن تلتزموا تقوى الله عزوجل في معاملة هؤلاء وفي غيرها؛ ((**لا يضركم كيدهم شيئا**)) يعني وإن آذوكم فإنه لا يضركم؛ والكيد سبق لنا أنه التوسل بالإيقاع بالخصم بالأسباب الخفية، التوسل إلى الإيقاع بالخصم بالأسباب الخفية, وهو بمعنى المكر وبمعنى الخداع؛ وهو ثابت لله عزوجل, يعني أن الله يوصف بالمكر والخداع والكيد في موطنها, بخلاف الخيانة فإن الله لا يوصف بها لأنها صفة ذم بكل حال؛ يقول: ((**لا يضركم**)) وفي قوله: ((**لا يضركم**)) قراءتان؛ إحداهما: ((لا يضُرُّكم)) والثانية: ((لا يضِرْكم)) من الضَيْر؛ والضَيْر بمعنى الضرر وبمعنى الضيم؛ فهو ضرر بضيم, ومنه ما جاء في حديث رؤية الله سبحانه وتعالى، حيث قال النبي صلى الله عليه وسلم: (**إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تَضَارون ولا تُضَارون**) أي لا يلحقكم ضير؛ هنا يقول: ((**لا يضركم كيدهم**)) وقراءة: ((**لا يضَرْكم**)) فتكون القراءتان كل واحدة منهما أفادت معنى غير الأخرى, لأن مطلق الضرر دون مطلق الضير, فالضير أشد؛ فهم لا يلحقوننا بضرر ولا بضير .

وقوله: ((**شيئا**)) نكرة في سياق النفي فتكون عامة, يعني أي شيء يكون؛ ولكن هل يلحقهم من ذلك أذى ؟ الجواب نعم؛ لقوله تعالى: ((**لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا**)) ولكن لا يلزم من الأذى الضرر, ولهذا قال الله في الحديث القدسي: (**يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني**) وأثبت أن بني آدم يؤذونه فقال: (**يؤذيني ابن آدم يسب الدهر**) وقال: ((**إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة**)) .

((**إن الله بما يعملون محيط**)) الإحاطة هنا إحاطة العلم والقدرة والسلطان؛ فهو محيط بهم كإحاطة السور بمن في داخلهم, أي لا يتمكن أن يفروا من قضاء الله عزوجل وعلمه وسلطانه وقدرته؛ وقوله: ((**بما يعملون**)) ما هذه موصولة فتفيد العموم؛ ومر علينا في النحو أنه لابد لكل اسم موصول من عائد يعود عليه حتى يتبين أن الجملة التي بعده صلة له؛ لأنه لا يمكن أن نعرف أن الجملة لها صلة بما قبلها إلا برابط أو عائد؛ في باب المبتدأ يسمونه رابطا, وفي باب الموصول يسمونه عائدا؛ فأين العائد في قوله: ((**بما يعملون محيط**)) ؟ العائد محذوف أي بما يعملونه محيط .

ثم قال الله تعالى: ((**وإذ غدوت من أهلك**)) من هنا إلى قريب آخر السورة كله في غزوة أحد وما يتعلق بها؛ فقوله: ((**وإذ غدوت**)) إذ هذه ظرف وعاملها محذوف تقديره: أذكر إذ غدوت؛ و ((**غدوت**)) بمعنى خرجت غدوة أي في أول النهار، كما كان الأمر كذلك فإن النبي صلى الله عليه وسلم خرج إلى غزوة أحد في أول يوم السبت الموافق للحادي عشر من شوال سنة ثلاث من الهجرة، في هذا اليوم غدا النبي صلى الله عليه وسلم من أهله؛ وقوله: ((**من أهلك**)) من ابتدائية يعني أن مبتدأ هذه الغدوة من أهله من المدينة؛ خرج النبي صلى الله عليه وسلم غاديا إلى أحد بعد أن استشار الصحابة رضي الله عنهم هل يخرج أو لا.

وسبب هذه الغزوة أن قريشا لما قتل من صناديدهم من قتل في بدر. وقد مر علينا في قراءة صلاة العصر أن الذين قتلوا منهم سبعون رجلا من كبرائهم وأسر منهم سبعون رجلا. أرادوا أن يأخذوا بالثأر من النبي صلى الله عليه وسلم؛ فخرجوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم يريدون قتاله, وكانوا ما بين التسع مائة إلى ألف معهم العدة الكثيرة، لا وكانوا ثلاثة آلاف يريدون غزو النبي صلى الله عليه وسلم ليقضوا عليه؛ فعسكروا حول المدينة فلما بلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم استشار الصحابة هل يخرجوا إليهم أو لا؛ أما شباب الصحابة الذين لم يحضروا بدرا فأشاروا على النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يخرج, وقالوا: نخرج نقاتلهم وأما بعض الصحابة فسكت؛ وأما المنافقون فقالوا: لا نخرج، لا نخرج إليهم بل ندعهم؛ فإن بقوا بقوا على شر حال, وإن ملوا رجعوا إلى مكة، وإن دخلوا المدينة قاتلناهم, نقاتلهم نحن بالسيوف ويقاتلهم النساء والصبيان بالحجارة ومن على السطوح؛ هكذا قال المنافقون, لا نصحا لله ورسوله لكن جبنا وخورا وخداعا وغشا؛ فدخل النبي عليه الصلاة والسلام بيته ولبس لامة الحرب وتهيأ عليه الصلاة والسلام, فقال بعض الصحابة: لعلنا استكرهنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الخروج, يعني ندموا قالوا: ليتنا لم نتكلم بهذا؛ فلما خرج وقد لبس لامة الحرب. يعني ما يوضع على الرأس. وتهيأ قالوا: يا رسول الله إن شئت أن لا نخرج فعلنا فقال: (**ما كان ينبغي لنبي لبس لامة الحرب حتى يفتح الله بينه وبين عدوه**) فمضى، خرج من المدينة ومع ألف مقاتل, وفي أثناء الطريق رجع عبد الله بن أبي رأس المنافقين بنحو ثلث الجيش, وقالوا: لو نعلم قتالا لاتبعناكم قال الله تعالى: ((**هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان**)) فانخزلوا؛ ولكن الصحابة رضي الله عنهم لثباتهم وإيمانهم لم يضرهم ذلك شيئا.

خرج من المدينة ومع ألف مقاتل وفي أثناء الطريق رجع عبد الله بن أبي رأس المنافقين بنحو ثلث الجيش و: ((**قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم**)) قال الله تعالى: ((**هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان**)) فانخزلوا؛ ولكن الصحابة رضي الله عنهم لثباتهم وإيمانهم لم يضرهم ذلك شيئا، استمروا حتى نزلوا أحدا, ولما نزلوا عبأهم النبي صلى الله عليه وسلم أحسن تعبئة ورتبهم واختار منهم خمسين رجلا من الرماة وأمَّر عليهم عبد الله بن جبير وقال لهم: لا تبرحوا مكانكم؛ جعلهم في سفح الجبل على شعبة منه, قال: (**لا تبرحوا مكانكم سواء كانت لنا أم علينا**)؛ فبقوا يحمون ظهور المسلمين؛ فحصل القتال في أول النهار وكانت الدائرة على المشركين فتولوا الأدبار؛ فجعل المسلمون يجمعون الغنائم فلما رأى أهل الجبل حال المسلمين وأن مشركين قد ولوا الأدبار, وصار المسلمون يجمعون الغنائم قالوا: ننزل لنساعد إخواننا في جمع الغنائم, انتهى الحرب؛ فذكرهم أميرهم قول النبي صلى الله عليه وسلم: (**لا تبرحوا مكانكم سواء كانت لنا أم علينا**) ولكنهم أصروا إلا أن ينزلوا فنزلوا, فلما رأى فرسان قريش أن الثغر خال وليس هناك أحد يحمي المسلمين من ورائهم كروا عليهم بخيولهم من خلفهم ودخلوا, وكان على رأسهم قائدان عظيمان وهما خالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل رضي الله عنهم قبل إسلامهم؛ فاختلط الناس بالمسلمين من ورائهم, وحصل ما قضى الله وأراد سبحانه وتعالى لحكمة عظيمة, وقتل من المسلمين سبعون رجلا, وجرح النبي عليه الصلاة والسلام وكسرت رباعيته وشج وجهه, وحتى كانت ابنته فاطمة تأتي بالحصير تحرقه وتدر رماده على جرح النبي صلى الله عليه وسلم ولكن الدم يندفع؛ المهم أنه حصل من الابتلاء والامتحان ما الله سبحانه وتعالى قد قضاه وقدره لحكمة عظيمة, حتى يعلم الناس أن الله تعالى له الحكم وإليه المنتهى, وحتى يعلم الناس أنه لا نصر مع المعاصي أبدا، هم عصوا النبي عليه الصلاة والسلام شرعا وفرطوا فيما يلزمهم قدرا، عصوا الرسول شرعا وفرطوا فيما يلزمهم قدرا؛ كيف ذلك ؟ عصوا النبي عليه الصلاة والسلام لأنه قال لهم: لا تبرحوا مكانكم؛ وتكروا ما يلزمهم قدرا وهو حماية المسلمين من خلفهم, لأن هذا من الأسباب النافعة, وترك أسباب النافعة سفه في العقل ونقص في الدين؛ لأن الله سبحانه وتعالى أمر بأن نأخذ بالأسباب، أمر بأن نأخذ بالأسباب أعظمها التوكل على الله لكن لابد أن نفعل الأسباب الحسية المادية؛ فهم . رضي الله عنهم وعفا عنهم . حصل منهم ما حصل فصارت النكبة العظيمة؛ الشهداء رضي الله عنهم حملهم أهلوهم إلى المدينة ليدفنوهم في البقيع, ولكن النبي صلى الله عليه وسلم أمر أن يردوا إلى مصارعهم, يدفنوا هناك في أحد ففعلوا؛ والحكمة من ذلك والله أعلم أن المقتول في سبيل الله يبعث يوم القيمة وجرحه يثعب دما, اللون لون الدم والريح ريح المسك؛ ولا يغسل لئلا يزول هذا الدم من على جسدهم, ولا يكفن وإنما يدفن في ثيابه التي قتل فيها, كل هذا من أجل أن يتحقق خروجه يوم القيمة من المكان الذي صرع فيه وعلى الهيئة التي كان صرع

عليها؛ المهم أن الله تعالى يذكر نبيه صلى الله عليه وسلم هذه الغزوة العظيمة, التي فيها من الأسرار والحكم ما يتبين به أن ذلك هو عين الصواب وعين الخيرة للمؤمنين؛ وقد ذكر الحافظ ابن قيم رحمه الله في كتابه " زاد المعاد " من الحكم في هذه الغزوة ما لا تجده في أي كتاب آخر فعليك بمراجعته فإنه مفيد.

يقول: ((**إذ غدوت من أهلك تبوء المؤمنين مقاعد للقتال**)) ((**تبوء**)) الجملة هذه حالية يعني حال كونك تبوء؛ ومعنى تبوء أي تنزل؛ والتبوء معناه النزول كما جاء في الحديث الصحيح: (**من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار**) أي فلينزل نفسه في مقعد من النار؛ وقال تعالى: ((**والذين تبوءوا الدار والإيمان**)) أي نزلوها؛ قال: ((**تبوء المؤمنين مقاعد للقتال**)) المؤمنين, من المؤمن ؟ المؤمن هو المقر بما يجب الإيمان به مع القبول والإذعان؛ وبهذا شهادة من الله عزوجل أيما شهادة على أن هؤلاء الذين شهدوا هذه المعركة أي شيء ؟ مؤمنون, ((**مقاعد للقتال**)) الله أكبر مقاعد للقتال ؟ ويثبتون ويقعدون كثبوت القاعد؛ ولهذا قال: ((**مقاعد**)) ولم يقل: منازل؛ لماذا ؟ من أجل أن يكون هذه الأماكن التي بوءوها مكان الثبات كثبات القاعد في مجلسه؛ وليس المعنى أن النبي صلى الله عليه وسلم جعل لهم هذه المنازل وقال اجلسوا؛ لا، هم يتكيفون كما يناسب مصلحة الحرب؛ لكنها سميت مقاعد من أجل الثبات فيها؛ ((**للقتال**)) يعني لقتال الأعداء؛ وتعلمون أن المقاتل لن يبقى في مكانه دائما بل هو يكر ويفر حسبما تقتضيه المصلحة؛ ((**والله سميع عليم**)) سميع عليم, أي سميع لما تقول لهم عليم بأحوالكم؛ وقد نقول: إن كلمة سميع أعم من كونها لما يقول لهم حين ترتيبهم وتبويئهم فتكون أشمل, وهذا هو الأحسن لأنه كلما كان اللفظ شاملا كان أحسن وأعم؛ عليم أي عليم بما يحدث من قول وفعل وحال وحاضر ومستقبل .

ثم قال الله عزوجل: ((**إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما**)) إذ هذه قال المفسرون أو المعربون إنها بدل من إذ الأولى, يعني يكون التقدير على هذا, اذكر إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا؛ همت الهم يطلق على مجرد حديث النفس، ويطلق الهم على العزم يعني إنسان قد يهم يحدث نفسه هل يفعل أو لا يفعل يقال هذا هم؛ ويطلق على العزم المصمم الذي ينفذ إن لم يوجد مانع؛ وهنا الطائفتان وهما بنو سلمة وبنو حارثة هموا أن يفشلوا؛ والفشل هنا بمعنى الجبن والخوف؛ يعني أن هاتين الطائفتين وقع في قلوبهما الهم بالانهزام, وسببه ما جرى من المنافق عبد الله بن أبي الذي انخزل وانخذل بنحو ثلث الجيش؛ وتعرفون أنه إذا انخزل أو انخذل ثلث الجيش فإن هذه ثلمة كبيرة في الجيش؛ فهاتان القبيلتان همتا أن تفشلا, أن تجبنا وترجعا ولكن الله تعالى ثبتهما ولهذا قال: ((**والله وليهما**)) فثبتهما سبحانه وتعالى فلم يفعلا ما عزما عليه؛ وقوله: ((**والله وليهما**)) هذه ولاية خاصة؛ وولاية الله سبحانه وتعالى تنقسم إلى عامة وخاصة؛ فالولاية التي بمعنى التدبير، تدبير الشؤون هذه عامة؛ والتي

بمعنى العناية يعني التي تقتضي العناية هذه ولاية خاصة؛ هذه الولاية لاشك أنها خاصة لأن الإنسان إذا هم بالمعصية أو بالذنب ثم حصل له من عند الله ما يمنعه منه فهذه ولاية خاصة لاشك؛ كثيرا ما يهم الإنسان بالذنب أو بترك الواجب؛ يعني بالذنب من فعل معصية أو ترك واجب, فيجد في قلبه إذا هم بالفعل المحرم يجد في قلبه انحلالا عن هذه الهمة وعدولا عنها؛ هذه ولاية من الله؛ أو أحيانا يهم بترك الواجب فيقيض الله له من يعينه عليه حتى يفعل؛ هذا أيضا ولاية خاصة؛ فهاتان القبيلتان لما همتا تولاهما الله عزوجل بعنايته فلم يفشلا وبقيا مع الجيش؛ وكان بعض هاتين الطائفتين يقول فرحا: لقد كان من حظهم أن الله سبحانه وتعالى أخبر عنهم بهذا الخبر, لأنه أخبر بأنهما هما أن يفشلا وأخبر بخبر آخر سار ومنقبة لهما وهو ((**أن الله وليهما**)) فكان هذا بهذا. ((**وعلى الله فليتوكل المؤمنون**)) ((**على الله**)) متعلقة بيتوكل وقدمت لإفادة الحصر, يعني على الله لا على غيره فليتوكل؛ والتوكل قال أهل العلم هو: صدق الاعتماد على الله في جلب المنافع ودفع المضار مع الثقة به وفعل السبب الذي أمر به؛ هذا التعريف طويل لكنه جامع؛ صدق الاعتماد على الله في جلب المنافع ودفع المضار مع الثقة به وفعل الأسباب التي أمر بها؛ أعيدها ثالثة؛ صدق الاعتماد على الله في جلب المنافع ودفع المضار مع الثقة به وفعل الأسباب التي أمر بها؛ الشيخ: أعدها علينا ؟ الطالب: صدق الاعتماد على الله في جلب المنافع ودفع المضار مع الثقة به وفعل الأسباب التي أمر بها؛ الشيخ: إذا لا يكفي أن تصدق الاعتماد على الله حتى يكون في قلبك ثقة بأن الله سيعينك ويكفيك، كما قال الله تعالى: ((**ومن يتوكل على الله فهو حسبه**))؛ ولا يكفي أيضا أن تعتمد على الله وتثق به حتى تفعل الأسباب التي أمر بها؛ لأنك إن لم تفعل الأسباب التي أمر بها كنت متواكلا لا متوكلا؛ ويذكر أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قيل له: إن قوما من أهل اليمن جاءوا حجاجا وليس معهم زاد فقالوا: نحن المتوكلون؛ فقال:" **إنهم ليسوا بمتوكلين ولكنهم متواكلون** "؛ بمعنى أنهم مفرطون مهملون؛ فلو أن أحدا قال: أنا سأعتمد على الله تعالى في جلب الرزق, في أن الله سيرزقني؛ وهو قادر على فعل الأسباب ولكن لم يفعل؛ قلنا أنت مهمل متواكل، افعل السبب؛ ((**هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه**)) قد يقول: ربما يموت قريب لي فأرثه فهذا من رزق الله؛ نقول: وإذا ما مات وإذا لم يمت تقتله ؟ حتى لو قتله ليأخذ ماله حرم من الميراث لأن القاتل عمدا لا يرث؛ فالحاصل أنه لابد لصحة التوكل من فعل الأسباب التي أمر الله بها؛ أما الأسباب التي لم يأمر الله بها فإنه لا يجوز للإنسان أن يتعاطاها .

وقوله: ((**فليتوكل المؤمنون**)) أمر المؤمنين أن يتوكلوا على الله لأنه لا يمكن أن يتحقق التوكل إلا المؤمن؛ فالتوكل من مقتضيات الإيمان؛ والإيمان الحقيقي من أسباب التوكل على الله .

نرجع الآن لنأخذ الفوائد حتى لا نذهب بعيدا؛ آخر فائدة ذكرناها ؟ نعم .

قال الله تعالى: ((**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا** ...)).

في هذه الآية الكريمة تحريم اتخاذ البطانة التي ليست منا؛ لقوله: ((**لا تتخذوا**)) والأصل في النهي التحريم .

ومن فوائدها: أن هذا التحذير ليس خاصا بولاة الأمور؛ بل كل إنسان لا يجوز له أن يتخذ بطانة من دونه, حتى الواحد الفرد منا لا يجوز أن يتخذ بطانة من دونه, بمعنى أنها ليست على طريقه ولا على منهاجه؛ فلو أن رجلا مسلما صادق كافرا واتخذه بطانة يسر إليه بالأمور لقلنا إن هذا حرام عليه؛ ويؤيد ذلك قوله تعالى: ((**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم**)) إلى قوله: ((**تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم**)) .

من فوائدها: أن تجنب البطانة السيئة من مقتضيات الإيمان؛ لأن الخطاب وجه إلى من ؟ إلى المؤمنين .

ومن فوائدها: أن اتخاذ البطانة بطانة السوء من نواقص الإيمان؛ صح ؟ بناء على القاعدة التي أصلناها فيما سبق, أن ما كان الإيمان مقتضيا له فإن فواته يكون نقصا في الإيمان .

وهل يكون من نواقض الإيمان ؟ قد يكون، ربما يكون من نواقض الإيمان؛ لو اتخذ هذه البطانة فيما يخرج من الإسلام لكان ذلك من نواقض الإيمان .

من فوائد هذه الآية: أن الذين من دوننا لا يألوننا خبالا؛ وهذا بناء على أن الجملة استئنافية للتعليل؛ وقد ذكرت لكم في التفسير أن من العلماء من قال: إنها صفة لما قبلها, وأن الذين من دوننا إذا كانوا لا يألوننا خبالا فلا بأس أن نتخذهم بطانة؛ ولكن الظاهر الأول، أن الجملة استئنافية للتعليل يعني أن الذين من دوننا لا يألوننا خبالا؛ ولنضرب لذلك مثلا بالمؤمنين يتخذون بطانة من الكافرين؛ فإن الكفار لاشك أنهم لا يقصرون في طلب الخبال لنا؛ يذكر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أرسل إليه أبو موسى يريد منه أن يولي كاتبا نصرانيا على بيت المال, لأنه أي هذا الكاتب النصراني كان جيدا في الحساب, فكتب إليه عمر أن لا تفعل وأمره بعزله؛ فأعاد عليه مرة ثانية يطلب منه أن يبقيه كاتبا فكتب إليه عمر:" **مات النصراني والسلام** "؛ المعنى ؟ يعني إذا مات هل معناه يتعطل بيت المال أو حساب بيت المال ؟ قدر أنه مات؛ أما أن نأتمنه على بيت مال المسلمين وقد خان الله ورسوله فلا يمكن؛ وبه نعرف أنه لا يجوز أن يولى أعدائنا من الكفار أو غير الكفار أسرار أمورنا؛ لأننا إذا وليناهم أسرار أمورنا فقد أخذناهم بطانة .

ومن فوائد هذه الآية: بيان عناية الله سبحانه وتعالى بعباده المؤمنين حيث حذرهم إلى أمور قد تخفى عليهم؛ وذلك باتخاذ البطانات السيئة .

ومن فوائد هذه الآية: أن أعدائنا يودون لنا ما يشق علينا؛ لقوله: ((**ودوا ما عنتم**)) ؛

وهنا سؤال: هل يودون ما شق علينا في الدنيا أو في الدين أو كليهما ؟ يشمل الأمرين؛ فيودون ما يدمر جيوشنا، يودون ما يدمر اقتصادنا، يودون ما يدمر معارفنا، يودون ما يدمر ديننا؛ والظاهر عندي . والله أعلم . أن أهم الشيء لديهم هو تدمير الدين؛ لأنهم يعلمون أن ديننا إذا قوي صار فيه تدميرا لهم؛ لكن اقتصادنا إذا قوي لا يكون فيه تدميرا لهم لأنهم هم أقوى منا اقتصادا وأقوى منا جيوشا وأقوى منا عدة؛ لكن الدين هو الذي يدمره؛ ولذلك نقول: إن كل ما يشق علينا في أمر الدين والدنيا يتطلبونه، يريدونا أن يضيقونا في الدين بقدر ما يستطيعون؛ يودون أن يضايقونا في الاقتصاد بقدر ما يستطيعون؛ يودون أن يضايقونا في السلاح بقدر ما يستطيعون يرسلون لنا من الأسلحة ما عفا عليه الأثر, من الأسلحة التي زالت منفعتها في الوقت الحاضر، وصارت بالنسبة لأسلحة الوقت الحاضر كالسكين بالنسبة للأسلحة أو الهراوة يعني ليس فيها فائدة؛ لكن هم لا يهمهم، هم يريدون أن يكملوا اقتصادهم وأن يشغلوا مصانعهم ولا يهمهم أن ننتفع أو ننضر .

ومن فوائد هذه الآية: أن أعدائنا إذا تأمل الإنسان أحوالهم وجد من أفواههم ريح البغضاء؛ لقوله: ((**قد بدت البغضاء من أفواههم**)) بما يتكلمون به؛ وربما تبدوا البغضاء من أفعالهم أحيانا بالمضايقة؛ فهم أحيانا يبدون من أفواههم وأحيانا من أفعالهم بالتهديد ونحو ذلك بالتهديد الفعلي لا القولي .

ومن فوائدها، من فوائد هذه الآية الكريمة: أن ما في قلوب الأعداء من العداوة والبغضاء والحقد والحنق أكثر مما يبدوا؛ وهذا أمر لا يطلع عليه إلا الله سبحانه وتعالى، وهو الذي أخبرنا بذلك ((**وما تخفي صدورهم أكبر**)) أكبر مما تبديه أفواههم .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: بيان أن الأوصاف الذاتية أو الفعلية تتفاضل؛ لقوله: ((**أكبر**)) وهو قد تكلم عن البغضاء, والبغضاء وصف في القلب ذاتي لا يمكن للإنسان أن يعرفه إلا بآثاره؛ فهنا بين أن البغضاء متفاوتة وكذلك المحبة متفاوتة؛ ولاشك في المحبة كل لا يشك فيها؛ لأنها جاءت في القرآن وفي السنة: ((**قل إن كان آبائكم وأبنائكم وإخوانكم**)) إلى قوله: ((**أحب إليكم من الله ورسوله**)) وقال النبي عليه الصلاة والسلام: (**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين**)؛ لكن البغضاء أيضا تتفاوت ؟ نقول: نعم حتى البغضاء تتفاوت بعضها أعظم من بعض .

من فوائد هذه الآية: منة الله سبحانه وتعالى علينا ببيان آياته؛ لقوله: ((**قد بينا لكم الآيات**)) و الآيات التي بينها الله قسمان؛ آيات كونية وآيات شرعية؛ وبيانه لها إما بالمشاهدات الحسية وإما بالتأملات العقلية؛ فالآيات

الشرعية تكون بالتأملات العقلية والآيات الكونية بالمشاهدات الحسية التي قد تكون طريقا إلى التأملات العقلية أيضا .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أنه كلما كان الإنسان أشد عقلا أو أقوى عقلا كان أفهم لآيات الله؛ تؤخذ ؟ من قوله: ((**قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون**)) إذا كلما كان الإنسان أعقل كانت الآيات له أبين وأظهر .

ثم قال الله تعالى: ((**ها أنتم**)) عندكم أسئلة ؟

السائل: شخص مريض هل الأفضل له أن يبحث عن العلاج أو يتوكل على الله ويدعوا الله أن يشفيه؟

الشيخ: هذا فيه خلاف بين العلماء؛ فمنهم من قال: إن ترك الدواء أفضل؛ ومنهم من قال: بل الدواء أفضل؛ ومنهم من قال: إذا غلب عليه النفع من الدواء فهو أفضل؛ لأن النبي عليه الصلاة والسلام أمر بالتداوي، وأمر الله بحفظ النفس؛ وهذا هو الأصح أنه إذا كان هذا الدواء معروفا بأن فيه شفاء لهذا المرض فإن الأفضل تناوله؛ لأن هذا من نعمة الله, كما أن الطعام والشراب يتناوله الإنسان وجوبا؛ فكذلك هذا إذا غلب على ظنه النفع فالأفضل أن يتداوى .

السائل: حديث المرأة التي قال لها النبي صلى الله عليه وسلم: (**إن صبرت فلك الجنة**) فهم يفضلون أن لا يتعالج ويبقى على مرضه ؟

الشيخ: أي نعم هذه قضية عين, ربما إن الرسول عليه الصلاة والسلام فهم أنها قد تتغير لو أنها شفيت بالمرة ولهذا بعض الأحيان يكون المرض للإنسان أحسن من الناحية لدينية .

السائل: أحسن الله إليك ! ذكرنا أنه لا يجوز أن نولي أعداء الله أسرارنا؛ أحيانا تكون البلاد في حاجة إلى ذلك مثل التكنولوجية الجديدة على سبيل المثال ؟

الشيخ: لا لا، ما هي بأسرار الصناعة، الصناعة هم أعلم منا بها, يعني هم الذين يخفون عنا أسرارهم؛ لأنهم يطلعون على شيء لا نطلع عليه؛ لكن أسرارنا ماذا نريد أن نفعل، في ترتيب جيوشنا، في مصالح شعوبنا، في مصالحنا الذاتية إذا كان هذا خاصا؛ أما مسألة الصناعة فهم في الوقت الحاضر وربما يأتي اليوم الذي نكون نحن أحسن منهم؛ لكن في الوقت الحاضر هم الذين يخفون أسرارهم عنا.

السائل: كانت عدد الكفار في غزوة أحد وبدر ثلاثة أضعاف عدد المسلمين فما سار للنبي صلى الله عليه وسلم أن يستعين بالمشركين من أحد القبائل ؟

الشيخ: الكفار يعني ؟ ويش السؤال ؟

السائل: أقول يعني لم يستعن النبي صلى الله عليه وسلم بأحد ؟

الشيخ: أي نعم ما اضطر إلى هذا، الرسول ما اضطر إلى هذا؛

السائل: عددهم ثلاث مرات ؟

الشيخ: أي نعم هو ربما : ((**كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله**)) لكن إذا كان ما فيه مناسبة إطلاقا, ما فيه مناسبة ماذا يصنعون ؟ إذا كان ما فيه مناسبة, مثلا نعلم علم اليقين أننا في مقابلة لهم أو في اعتدائهم علينا لا نستطيع المدافعة إطلاقا؛ أما ثلاثة مع تسعة مثلا فيه إمكان، فيه إمكان للغلبة .

السائل: هل تولية الكفار مستشفيات المسلمين جائز أم هو من إطلاعهم على أسرار المسلمين ؟ الشيخ: المستشفيات ؟

السائل: الذي يدير المستشفى نصراني؛

الشيخ: والمستشفى إسلامي وإلا ؟

السائل: في بلد المسلمين ؟

الشيخ: لا، هذا ما يجوز، هذا ما يجوز أن يولى أسرار المسلمين، يتكشف النساء ولا يؤمن؛ لأن النصارى في بلاد أفريقيا يقولون لنا إنهم يعطون المرضى دواء, والمريض يظن أنه شفاء, ولكنه دواء عقم يعقمون النساء قاتلهم الله، هكذا قيل لي . والله أعلم . لكن ما نأمن الكفار كيف نأمنهم؟ ربما يعطوننا إبر تقضي علينا على المدى بعيد .

السائل: إذا وجدت الأدوية العربية أم الأدوية الحضارية التي ترد من بلاد الكفار ؟

الشيخ: والله إذا أمكن الأدوية الطبيعية أحسن؛ لأن غالب الأدوية الطبية يكون فيها مواد كيماوية قد تكون ضارة على الإنسان؛ ولهذا ربما يتناول الدواء هذا الرجل فيضره وذاك الرجل فينتفع به, حسبما فيه من المواد.

السائل: قلنا أنه ما كانت فيه مناسبة أن يستعين النبي صلى الله عليه وسلم بالمشركين؛ ويعني ثبت أنه رد المشرك حينما ذهب ليحارب معه؛ وأيضا تركوا الروم في إحدى الغزاة تسعة عشر للمسلمين في الغزو وأيضا ما استعان بالمشركين ؟

الشيخ: مثل أي شيء التي تسعة أعشار ؟

السائل: الروم؛ مثل أي شيء ؟

الشيخ: في أي غزوة ؟

السائل: في غزوة عين جالوت؛

الشيخ: أنا أفهم أن عين جالوت ما هي في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم؛

السائل: مؤته يا شيخ مؤته والقادسية أيضا ؟

الشيخ: أولا: هو نفسه ما غزا في مؤته, أرسل جيشا للروم وحصل أن الروم تجمعوا, ما ظن المسلمون أنهم بهذا التجمع؛ ولهذا حازهم خالد بن الوليد إلى الجبل ففتح الله عليه.

الشيخ: يا الله؛ توكل على الله .

الطالب: بسم الله الرحمن الرحيم؛ الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين؛ قال ابن القيم رحمه الله تعالى في زاد المعاد: " فصل في غزة بدر الكبرى؛ فلما كان في رمضان من هذه السنة بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر العير المقبلة من الشام لقريش صحبة أبي سفيان وهي العير التي خرجوا في طلبها لما خرجت من مكة وكانوا نحو أربعين رجلا وفيها أموال عظيمة لقريش؛ فندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس للخروج إليها وأمر من كان ظهره حاضرا بالنهوض ولم يحتفل لها احتفالا بليغا لأنه خرج مسرعا في ثلاث مائة وبضعة عشر رجلا, ولم يكن معهم من الخيل إلا فرسان فرس لزبير بن العوام وفرس للمقداد بن الأسود الكندي؛ وكان معهم سبعون بعيرا يعتقب الرجلان والثلاثة على البعير الواحد؛ فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي ومرثد بن أبي مرثد الغنوي يعتقبون بعيرا, وزيد بن حارثة وابنه وكبشة موالي رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتقبون بعيرا؛ وأبو بكر وعمر وعبد الرحمن بن عوف يعتقبون بعيرا؛ واستخلف على المدينة وعلى الصلاة ابن أم مكتوم, فلما كان بالروحاء رد أبو لبابة بن عبد المنذر واستعمله على المدينة ".

الشيخ: عندي بالروحاء؛ بفتح الراء وسكون الواو قرية على نحو أربعين ميلا من المدينة أي نعم .

الطالب: " فلما كان بالروحاء رد أبا لبابة بن عبد المنذر واستعمله على المدينة ودفع اللواء إلى مصعب بن عمير, والراية الواحدة إلى علي بن أبي طالب والأخرى التي للأنصار إلى سعد بن معاذ, وجعل على الساقة قيس بن أبي صعصعة؛ وسار فلما قرب من الصفراء بعث بسبس بن عمرو الجهني وعدي بن أبي الزغباء إلى بدر يتجسسان أخبار العير, ، وأما أبو سفيان فإنه بلغه مخرجَ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقصده إياه، فاستأجر ضَمْضَمَ بنَ عَمْرو الغِفاري إلى مكة، مُستصْرخاً لقريش بالنَّفير إلى عِيرهم، ليمنعوه من محمد وأصحابه، وبلغ الصريخُ أهلَ مكة، فنهضوا مُسرِعين، وأوعبوا في الخروج، فلم يتخلَّفْ من أشرافهم أحدٌ سوى أبي لهب، فإنَّه عوَّض عنه رجلاً كان له عليه دَيْن، وحشدُوا فيمن حولهم من قبائل العرب، ولم يتخلف عنهم أحد من بطون قريش إلا بني عدي، فلم يخرُجْ معهم منهم أحد، وخرجوا مِن ديارهم كما قال تعالى: ((**بَطَراً وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ**)) [الأنفال: 47]، وأقبلوا كما قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**بِحَدِّهِمْ وَحَدِيدِهِم، تُحَادُّهُ وَتُحَادُّ رَسُولَه**)، وجاؤوا على حَرْدٍ قادرين، وعلى حمِيَّةٍ وغضبٍ، وحَنَقٍ على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابِه، لما يُريدون مِن أخذ عيرهم، وقتل مَن فيها، وقد أصابُوا بالأمسِ عَمْرو بن الحضرمي والعِير التي كانت معه،

فجمعهم اللهُ على غير ميعاد كما قال الله تعالى: ((**وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ، وَلَكِنْ لِّيَقْضِيَ الله أَمْرَاً كَانَ مَفْعُولاً**)) **[الأنفال: 42]**. ولما بلغَ رسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خروجُ قريش، استشار أصحابه، فتكلَّم المهاجِرون فأحسَنُوا، ثم استشارهم ثانياً، فتكلم المهاجرون فأحسنوا، ثم استشارهم ثالثاً، ففهمت الأنصارُ أنه يَعنيهم، فبادر سعدُ بنُ معاذ، فقال: " **يا رسول الله، كَأَنَّكَ تُعَرِّضُ بنا** ؟ " وكان إنما يَعنيهم، لأنهم بايعوه على أن يمنعوه من الأحمر والأسود في ديارهم، فلما عزم على الخُروج، استشارهم لِيعلم ما عندهم، فقال له سعد: " **لَعَلَّكَ تَخْشَى أَنْ تَكُون الأَنصارُ تَرَى حقاً عليها أن لا ينصروك إلا في ديارها، وإني أقول عن الأنصار، وأُجِيب عنهم: فاظْعَنْ حَيْثُ شِئْت، وَصِلْ حَبْلَ مَنْ شِئْتَ، واقْطَعْ حَبْلَ مَنْ شِئْتَ، وخُذْ مِنْ أَمْوَالِنَا مَا شِئْتَ، وَأَعطِنَا مَا شِئْتَ، وَمَا أَخَذْتَ مِنَّا كَانَ أَحَبَّ إِلَيْنَا مِمَّا تَرَكْتَ، ومَا أَمَرْتَ فِيهِ مِنْ أَمْرٍ فَأَمْرُنَا تَبَعٌ لأَمْرِكَ، فَواللهِ لَئِن سِرْتَ حَتَّى تَبْلُغ البَرْكَ مِنْ غمدَان، لَنَسِيرَنَّ مَعَكَ، وَوَاللهِ لَئِنِ اسْتَعْرَضْتَ بِنَا هذَا البَحْرَ خُضْنَاهُ مَعَكَ** "، وقَالَ لَهُ المِقْدَادُ: " **لا نَقُولُ لَكَ كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى لِمُوسى: اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فقاتِلا إنَّا هَهُنَا قَاعِدُونَ، وَلَكِنَّا نُقَاتِلُ عَنْ يَمِينِكَ، وَعَنْ شِمَالِكَ، وَمِنْ بَيْنِ يَدَيْكَ، وَمِنْ خَلْفِكَ** ".

الشيخ: أولا المهاجرون قالوا وأحسنوا مع أنهم سيقاتلون قومهم من قريش, ثم تكلم الأنصار هذا الكلام العجيب الذي يدل على قوة الإيمان وعلى امتثالهم لأمر النبي صلى الله عليه وسلم وحمايتهم له, وأنهم مهما فعل فهم تبع له رضي الله عنهم, فهذا يا إخواني هو الذي يمثل الإسلام حقيقة والمسلمين حقيقة, إذا أمر الله ورسوله بأمر لم يكن لهم الخيرة من أمرهم, وهم تبع للرسول عليه الصلاة والسلام يفدونه بأنفسهم وأموالهم وأولادهم, وهكذا يجب علينا أن نفدي بقدر ما نستطيع كتاب ربنا وسنة نبينا صلى الله عليه وسلم بأنفسنا وأموالنا وأولادنا, لأنها هي أغلى ما عندنا في الدنيا, لذلك أريد أن نأخذ من هذا عبرة وأن يكون لنا على بال حيث قالوا له هذا الكلام العظيم: " **لَئِنِ اسْتَعْرَضْتَ بِنَا هذَا البَحْرَ خُضْنَاهُ مَعَكَ** " مع أن خوض البحر هلاك, لكن هم سيتبعون النبي صلى الله عليه وسلم في كل شيء رضي الله عنهم وأرضاهم.

الطالب: " فأشرق وَجْهُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسُرَّ بِمَا سَمِعَ مِنْ أصحابِه، وقالَ: "**سِيرُوا وأَبْشروا، فإنَّ الله قَدْ وَعَدَني إحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ، وإنِّي قَدْ رَأَيْتُ مَصارعَ القَوْمِ** ".

الشيخ: ... " **سِيرُوا وأَبْشروا** " كأن النصر بيده عليه الصلاة والسلام, كأنه ممسكه لأن الله تعالى هو الذي وعده: ((**وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم**)) الطائفة الأولى: أبو سفيان والعير, والثانية: قريش, ((**وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم**)) وغير ذات الشوكة من ؟ العير, ((**ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين**)) الحمد لله.

ثم يقول: (**رأيت مصارع القوم**) هذه أيضا بشرى, رأيت مصارع القوم حقيقة, يعني علم اليقين وحق اليقين, لأن رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم وحي.

الطالب: " فسار رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى بدر, وخَفَضَ أبو سفيان فَلَحِقَ بساحل البحر، ولما رأى أنه قد نجا، وأحرز العير، كتب إلى قريش: أن ارجعوا، فإنكم إنما خرجتُم لِتُحْرِزُوا عيركم. فأتاهم الخبرُ، وهم بالجُحْفَةِ، فهمُّوا بالرجوع، فقال أبو جهل: واللهِ لا نرجع حتى نَقْدَمَ بدراً، فنقيمَ بها، ونُطعِمَ مَنْ حَضَرَنَا مِن العرب، وتخافُنَا العربُ بعد ذلك، فأشار الأخنس بن شُريق عليهم بالرجوع، فَعَصَوْه، فرجع هو وبنو زُهرة، فلم يشهد بدراً زُهري، فاغتبطت بنو زُهرة بعدُ برأي الأخنس، فلم يزل فيهم مطاعاً معظماً، وأرادَتْ بنو هاشم الرجوع، فاشتدَّ عليهم أبو جهل، وقال: لا تُفَارِقُنَا هذه العِصابة حتى نَرْجِعَ فساروا، وسارَ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى نزل عشياً أدنى ماء مِن مياه بدر، فقال: " **أَشيرُوا عَلَيَّ في المَنْزِل** ". **فقال الحُبَابُ بنُ المنذر: يا رسول الله؛ أنا عالم بها وبِقُلُبِهَا، إن رأيتَ أن نسيرَ إلى قُلُبٍ قد عرفناها، فهي كثيرة الماء، عذبة، فننزِلَ عليها ونَسبِقَ القوم إليها ونُغوِّر ما سواها مِن المياه.**

وسار المشركون سِراعاً يريدون الماء، وبعث علياً وسعداً والزبير إلى بدر يلتمِسُون الخبر، فَقَدِمُوا بعبدين لقريش، ورسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قائم يُصلِّي، فسألهما أصحابُه: مَنْ أنتما ؟ قالا: نحن سُقاةٌ لِقريش، فكره ذلك أصحابه، ووَدُّوا لو كانا لِعير أبي سفيان، فلما سلَّم رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لهما:

" **أخْبِرَانِي أيْنَ قُرَيْشٌ** " ؟ قالا: وراء هذا الكثيب. فقال: " **كم القومُ** ؟ " فقالا: لا عِلم لنا، فقال: " **كم ينحرونَ كُلَّ يوم** " ؟ فقالا: يوماً عشراً، ويوماً تسعاً، فقال رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " **القومُ ما بينَ تسعمائة إلى الألف** "، فأنزل الله عزَّ وجلَّ في تلك الليلة مطراً واحداً، فكان على المشركين وابلاً شديداً منعهم من التقدم، وكان على المسلمين طَلاً طهَّرهم به، وأذهب عنهم رجْسَ الشيطان، ووطَّأ به الأرضَ، وصلَّب به الرملَ، وثبَّتَ به الأقدام، ومهَّدَ به المنزل، وربطَ به على قلوبهم، فسبق رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه إلى الماء، فنزلوا عليه شطرَ الليل، وصنعوا الحياض، ثم غوَّروا ما عداها من المياه، ونزل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه على الحياض .

الطالب: وبني لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريش يكون فيها على تل يشرف على المعركة, ومشى في موضع المعركة وجعل يشير بيده: (**هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان إن شاء الله**)؛ فما تعدى أحد منهم موضع إشارته؛ فلما طلع المشركون وتراء الجمعان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**اللهم هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها جاءت تحآدك وتكذب رسولك وقام ورفع يديه واستنصر ربه وقال: اللهم أنجز لي ما وعدتني اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك فالتزمه الصديق من ورائه وقال: يا رسول الله أبشر فوا الذي نفسي بيده لينجزن الله لك ما وعدك**) واستنصر المسلمون الله واستغاثوه وأخلصوا له وتضرعوا إليه فأوحى الله إلى ملائكته أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب, و أوحى الله إلى رسوله أنني ممدكم بألف من الملائكة مردفين؛ قرئ بكسر الدال وفتحها فقيل: المعنى إنهم ردف لكم وقيل يردف بعضهم بعضها أرسالا لم يأتوا دفعة واحدة؛ فإن قيل هاهنا ذكر أنه أمدهم بألف وفي سورة آل عمران قال: ((**إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين**)) فكيف الجمع بينهما ؟ قيل: قد اختلف في هذا الإمداد الذي بثلاثة آلاف والذي بالخمسة على قولين:

أحدهما أنه كان يوم احد وكان إمدادا معلقا على شرط فلما فات شرطه فات الإمداد؛ وهذا قول الضحاك ومقاتل وإحدى الروايتين عن عكرمة؛ والثاني: أنه كان يوم بدر وهذا قول ابن عباس ومجاهد وقتادة والرواية الأخرى عن عكرمة اختاره جماعة من المفسرين, وحجة هؤلاء أن السياق يدل على ذلك فإنه سبحانه قال: ((**ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بلى إن تصبروا وتتقوا**)) إلى أن قال: ((**وما جعله الله**)) أي هذا الإمداد: ((**إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم**)) قال هؤلاء: فلما استغاثوه أمدهم بتمام ثلاثة آلاف ثم أمدهم بتمام خمسة آلاف لما صبروا واتقوا ؛ فكان هذا التدريج ومتابعة الإمداد أحسن موقعا وأقوى لنفوسهم وأسر لها من أن يأتي بها مرة واحدة, وهو بمنزلة متابعة الوحي ونزوله مرة بعد مرة؛ وقالت الفرقة الأولى: القصة في سياق أحد وإنما أدخل ذكر بدر اعتراضا في أثنائها فإنه سبحانه قال: ((**وإذ عدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم إذ همت الطائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون**)) ثم قال: ((**ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون**)) فذكرهم نعمته عليهم لما نصرهم ببدر وهم أذلة، ثم عاد إلى قصة أحد وأخبر عن قول رسوله لهم: ((**ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين**)) ثم وعدهم أنهم إن صبروا واتقوا أمدهم بخمسة آلاف؛ فهذا من قول رسوله, والإمداد الذي

ببدر من قوله تعالى؛ وهذا بخمسة آلاف وإمداد ببدر بألف, وهذا معلق على شرط وذلك مطلق, والقصة في سورة آل عمران هي قصة أحد مستوفاة مطولة وبدر ذكرت فيها اعتراضا, والقصة في سورة أنفال قصة بدر مستوفاة مطولة؛ فالسياق في آل عمران غير السياق في الأنفال يوضح هذا أن قوله: ((**ويأتوكم من فورهم هذا**)) قد قال مجاهد إنه يوم أحد؛ وهذا يستلزم أن يكون الإمداد المذكور فيه فلا يصح قوله إن الإمداد بهذا العدد كان يوم بدر، وإتيانهم من فورهم هذا يوم أحد والله أعلم.

فصل: وبات رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي إلى جذع شجرة .

الشيخ: ذكر هذين القولين ولم يرجح أيهما أصح؛ ((**إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين**)) فإن جعلنا الإمداد بالثلاثة والخمسة في أحد فلا إشكال؛ وإن جعلناه في بدر ففيه إشكال لأن الله قال في قصة بدر: ((**إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين وما جعله الله إلا بشرى**)) لكن الإشكال إذا جعلناها في بدر؛ فيكف الجمع بين ثلاثة وخمسة وألف ؟ أجاب بعضهم بأن الله أمدهم بألف ثم بثلاثة ثم بخمسة؛ ولكن إذا تأملت السياق وجدت أنه مختلف؛ وأن الإمداد في أحد إنما كان بشرط وهو أن يصبروا ويتقوا ولم يحصل منهم صبر بل حصل من بعضهم معصية؛ ومعلوم أن المعلق على شرط لا يتم إلا بوجود شرطه؛ وهذا مما يؤيد أن هذا الإمداد الذي هو مشروط كان في أحد, ولما لم يتحقق الشرط لم يتحقق المشروط؛ وعلى هذا يكون الإمداد في بدر بألف من الملائكة مردِفين أو مردَفين ويكون الإمداد في أحد بثلاثة أو خمسة لكنه مشروط بشرط لم يتحقق، وإذا لم يتحقق الشرط لم يتحقق المشروط؛ وعلى هذا فالملائكة لم تقاتل في أحد ولم يمد المسلمون بأحد منهم في أحد, وسنأتي إن شاء الله في التفسير ما يبين أن الراجح هو هذا .

الطالب: فصل: وبات رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي إلى جذع شجرة هناك وكانت ليلة الجمعة السابعة عشرة من رمضان في السنة الثانية؛ فلما أصبحوا أقبلت قريش في كتائبها واصطف الفريقان فمشى حكيم بن حزام و عتبة بن ربيعة في قريش أن يرجعوا و لا يقاتلوا, فأبى ذلك أبو جهل وجرى بينه وبين عتبة كلام أحفظَه.

الشيخ: حصل منه غيظ, أغاظه أحفظه يعني أغاظه يعني أثار حفيظته وهو كناية عن إغضابه وإغظاته.

الطالب: وأمر أبو جهل أخا عمرو بن الحضرمي أن يطلب دم أخيه عمرو فكشف عن استه وصرخ: واعمراه فحمي القوم ونشبت الحرب, وعدّل رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفوف ثم رجع إلى العريش هو وأبو بكر خاصة, وقام سعد بن معاذ في قوم من الأنصار على باب العريش يحمون رسول الله صلى الله عليه وسلم, وخرج

عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة يطلبون المبارزة فخرج إليهم ثلاثة من الأنصار: عبد الله بن رواحة وعوف ومعوذ ابنا عفراء؛ فقالوا لهم: من أنتم ؟ فقالوا: من الأنصار قالوا: أكفاء كرام وإنما نريد بني عمنا, فبرز إليهم علي وعبيدة بن الحارث وحمزة, فقتل علي قرنه الوليد, وقتل حمزة قرنه عتبة وقيل شيبة, واختَلف عبيدة وقرنُه ضربتين فكر علي وحمزة على قرن عبيدة فقتلاه واحتملا عبيدة وقد قطعت رجله فلم يزل ضَمِنا حتى مات بالصفراء وكان علي يقسم بالله لنزلت هذه الآية فيهم: ((**هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ**)) .

الشيخ: الآن قريش عندها حمية الجاهلية؛ ما الذي أحماهم على القتال ؟ هو طلب الثأر، طلب الثأر حين صرخ هذا الرجل و أخرج استه و جعل يندب أخاه يقول : و اعمراه؛ ثانيا: لما برز إليهم ثلاثة من الأنصار أبوا أن يبارزوهم أنفة و كبرا, و قالوا: أكفاء كرام و لكننا نريد بني عمنا, يعني قريشا؛ خرج إليهم ثلاثة: علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ والثاني: عبيدة بن الحارث؛ والثالث: حمزة بن عبد المطلب؛ و المبارزة تفعل في الحرب لأن فيها تقوية للصف, إذا قتل صاحبهم قرنه صار في ذلك تقوية لنفوسهم, وإن كان بالعكس صار في هذا إضعاف في نفوسهم؛ ولهذا قال أهل العلم: إذا طلب العدو المبارزة فإنه لا يجوز لقائد الجيش أن يأذن لأحد بالمبارزة إلا وهو يعلم . يعني علم ظن وغلب الظن . يعلم أن هذا المبارز سوف يغلب قرنه؛ أما مع الاحتمال فلا يجوز؛ لأنه لو غلبه لكسر قلوب المسلمين؛ فهؤلاء الثلاثة رضي الله عنهم كما رأيتم, يقول قتل علي قرنه الوليد وقتل حمزة قرنه عتبة أو شيبة على خلاف، وعبيدة بن الحارث قتل قرنه إما عتبة وإما شيبة؛ ولكن كر علي وحمزة لما اختلف عبيدة وقرنه ضربتين كل واحد ضرب الآخر وهؤلاء قد فرغوا من صاحبيهما كروا على صاحب عبيدة وقتلوه؛ وفي هذا دليل على جواز قتل القرن إذا حصلت مثل هذه المبارزة؛ لا يقال لماذا قتلاه وهو لم يبرز معهما ؟؛ نقول لأنه برز مع صاحبهما ولأن دمه هدر فإنه محارب .

الطالب: ثم حمي الوطيس واستدارت رحى الحرب واشتد القتال وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدعاء والابتهال ومناشدة ربه عزوجل حتى سقط رداؤه عن منكبيه فرده عليه الصديق وقال: بعض مناشدتك ربك فإنه منجز لك ما وعدك, فأغفى رسول الله صلى الله عليه وسلم إغفاءة واحدة وأخذ القوم النعاس في حال الحرب ثم رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه فقال: (**أبشر يا أبا بكر هذا جبريل على ثناياه النَقْع وجاء النصر**) وأنزل الله جنده وأيد رسوله والمؤمنين ومنحهم أكتاف المشركين أسرى قتلى, فقتلوا منهم سبعين وأسروا سبعين .

فصل: ولما عزموا على الخروج ذكروا ما بينهم وبين بني كنانة من الحرب فتبدى لهم إبليس في صورة سراقة بن مالك المدلجي وكان من أشراف بني كنانة فقال لهم: لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم من أن تأتي كنانة بشيء تكرهونه, فخرجوا والشيطان جار لهم لا يفارقهم, فلما تعبئوا للقتال ورأى عدو الله جند الله قد

نزلت من السماء فر ونكس على عقبيه, فقالوا: إلى أين يا سراقة ألم تكن قلت إنك جار لنا لا تفارقنا ؟ فقال: إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب؛ وصدق في قوله: إني أرى ما لا ترون؛ وكذب في قوله: إني أخاف الله؛ وقيل: كان خوفه على نفسه أن يهلك معهم وهذا أظهر.

الشيخ: الثاني هو الأظهر أن قول الشيطان إني أخاف الله ليس خوف عبادة لكنه خاف أن يهلك لا أن يعذب؛ وهذا كقوله تعالى: ((**كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين**)) هذا ليس خوف عبادة, لأنه لو كان يخاف الله خوف عبادة لعبده ولم يستكبر عن عبادته؛ لكن هذا خوف هلاك كما يخاف الرجل من الذئب, فإن هذا خوف ليس خوف عبادة؛ فالصحيح كما قال ابن القيم إنه أظهر .

الطالب: ولما رأى المنافقون ومن في قلبه مرض قلة حزب الله وكثرة أعدائه ظنوا أن الغلبة إنما هي بالكثرة وقالوا: غر هؤلاء دينهم, فأخبر سبحانه أن النصر بالتوكل عليه لا بالكثرة ولا بالعدد, والله عزيز لا يغالب حكيم ينصر من يستحق النصر وإن كان ضعيفا؛ فعزته وحكمته أوجبت نصر الفئة المتوكلة عليه؛ ولما دنى العدو وتواجه القوم.

الشيخ: وغر هؤلاء دينهم قال الله تعالى: ((**ومن يتوكل على الله فإن الله عزيز حكيم**)) ولكن كما قلنا فيما سبق إن من التوكل أن يأخذ الإنسان بالأسباب الشرعية التي أمر بها شرعا حتى يهيئ المحل للنصر؛ لأن من قال: أنا متوكل على الله ولم يخرج بشيء مما يقاتل به, فإن توكله ليس بصحيح؛ بل هذا من جنس السخرية بالله عزوجل والاستهزاء به؛ لأن الله تعالى قرن أشياء بأسبابها, لكن إذا فعل الإنسان ما يقدر عليه مع قيام الأمر الشرعي وحقق التوكل فإنه ينصر .

الطالب: ولما دنى العدو وتواجه القوم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس فوعظهم وذكرهم بما لهم في الصبر والثبات من النصر والظفر العاجل وثواب الله الآجل, وأخبرهم أن الله قد أوجب الجنة لمن استشهد في سبيله؛ **فقال عمير بن الهمام فقال: يا رسول الله جنة عرضها السموات والأرض؟ قال: نعم؛ قال: بخ بخ يا رسول الله؛ قال: ما يحملك على قولك بخ بخ ؟ قال: لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها؛ قال: فإنك من أهلها قال: فأخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل منهن ثم قال: لئن حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة فرمى بما معه من التمر ثم قاتل حتى قتل فكان أول قتيل**؛ وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ملأ كفه .

الشيخ: هذا هو الإيمان انظر إلى هذا الرجل رضي الله عنه لما أخبره النبي صلى الله عليه وسلم بأن الجنة عرضها السموات والأرض ما صار عنده أدنى شك، تيقنها كأنما يرآها رأي عين؛ ولهذا لما أخرج التمرات وجعل يأكل. قال: لئن حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة فرمى بها وقاتل حتى قتل، الله أكبر سبحان الله . ؛

الطالب: وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ملأ كفه من الحصباء فرمى بها وجوه العدو فلم تترك رجلا منهم إلا ملأت عينيه, وشغلوا بالتراب في أعينهم وشغل المسلمون بقتلهم فأنزل الله في شأن هذه الرمية على رسوله: ((**وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى**)) وقد ظن طائفة أن الآية دلت على نفي الفعل عن العبد وإثباته لله وأنه هو الفاعل حقيقة؛ وهذا غلط منهم من وجوه عديدة مذكورة في غير هذا الموضع ومعنى الآية أن الله سبحانه .

الشيخ: من هذه الطائفة ؟

الطالب: الأشاعرة؛

الشيخ: لا؛

الطالب: الجبرية،

الشيخ: الجبرية عكس هذا، الجبرية يقولون: إن الإنسان ليس هو الفاعل، إن الإنسان آلة؛ فليس هو الصائم ولا المزكي ولا الحاج ولا الرامي: ((**وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى**)) فهنا قال: ((**ما رميت إذ رميت**)) كيف هذا قد يقول قائل تناقض هذا: ((**وما رميت إذ رميت**)) قد يقول قائل: بل رمى إذ رمى؛ لكن نقول: الرمي فعل, وإيصال الرمية إلى المرمي هذا شيء آخر غير الفعل؛ فالإنسان مثلا قد يرمي فيوجد هواء شديد مثلا يرد السهم؛ وقد يرمي ويكون هناك هواء مدابر للسهم فيحمله إلى أبعد؛ فالرمي الذي هو الفعل من من ؟

الطالب: من رسول الله صلى الله عليه وسلم؛

الشيخ: والرمي الذي هو الإصابة ؟ من الله؛ فقوله: ((**ولكن الله رمى**)) يعني أوصل هذا التراب إلى أعينهم ولو كان الأمر بفعلك ما وصل إلى أعينهم, لكان يصل إلى أدناهم إن وصل, أما إلى أعين كل واحد منهم وهم ما بين تسعمائة وألف فهذا ليس بطاقة النبي صلى الله عليه وسلم .

الطالب: ومعنى الآية أن الله سبحانه أثبت لرسوله ابتداء الرمي ونفا عنه الإيصال الذي لم يحصل برميته؛ فالرمي يراد به الحذف والإيصال فأثبت لنبيه الحذف ونفا عنه الإيصال؛ وكانت الملائكة يومئذ تبادر المسلمين إلى قتل أعدائهم؛ قال ابن عباس: (**بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس فوقه يقول: أقدم حيزوم, إذ نظر إلى المشرك أمامه مستلقيا فنظر إليه**

فإذا هو قد خطم أنفه وشق وجهه كضربة السوط فاخضر ذلك أجمع فجاء الأنصاري فحدث بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: صدقت، ذلك من مدد السماء الثالثة).

الشيخ: عندي يقول أخرجه مسلم في الجهاد فالحديث صحيح؛ إذا فهنا يتبين أن الملائكة قاتلت مع المسلمين وهذا القتال قتال يعلم بأثره؛ لأن الرجل سمع صوت الفارس يقول: أقبل حيزوم, و هذا اسم لهذا الملك الذي ضرب الرجل المشرك؛ وظهر أثر الضربة على هذا المشرك .

الطالب: وقال أبو داود المازني: (**إني لأتبع رجلا من المشركين لأضربه إذ وقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفي فعرفت أنه قد قتله غيري؛ وجاء رجل من الأنصار بالعباس بن عبد المطلب أسيرا فقال العباس: إن هذا والله ما أسرني, لقد أسرني رجل أجلح من أحسن الناس وجها على فرس أبلق ما أراه في القوم, فقال الأنصاري: أنا أسرته يا رسول الله؛ فقال: اسكت فقد أيدك الله بملك كريم**)؛ و أسر من بني عبد المطلب ثلاثة: العباس، وعقيل، ونوفل بن الحارث؛ وذكر الطبراني في معجمه الكبير عن رفاعة بن رافع قال: لما رأى إبليس ما تفعل الملائكة بالمشركين يوم بدر أشفق أن يخلص القتل إليه فتشبث به الحارث بن هشام وهو يظنه سراقة بن مالك فوكز في صدر الحارث فألقاه ثم خرج هاربا حتى ألقى نفسه في البحر و رفع يديه و قال: اللهم إني أسألك نظرت إياي وخاف أن يخلص إليه القتل, فأقبل أبو جهل بن هشام فقال: يا معشر الناس لا يهزمنكم خذلان سراقة إياكم فإنه كان على ميعاد من محمد, ولا يهوننكم قتل عتبة وشيبة والوليد فإنهم قد عجِلوا, فو اللات و العزى لا نرجع حتى نقرنهم بالحبال, و لا ألفين رجلا منكم قتل رجلا منهم ولكن خذوهم أخذا حتى نعرفهم سوء صنيعهم؛ واستفتح أبو جهل في ذلك اليوم فقال: اللهم أقطعنا للرحم وآتانا بما لا نعرفه فأحنه الغداة, اللهم أينا كان أحب إليك وأرضى عندك فانصره اليوم؛ فأنزل الله عزوجل: ((**إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وإن تنتهوا فهو خير لكم وإن تعودوا نعد ولن تغني عنكم فئتكم شيئا ولو كثرت وأن الله مع المؤمنين**)) ولما وضع المسلمين أيديهم في العدو يقتلون ويأسرون وسعد بن معاذ واقف على باب الخيمة التي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي العريش متوشحا بالسيف في ناس من الأنصار رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجه سعد بن معاذ الكراهية لما يصنع الناس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**كأنك تكره ما يصنع الناس ؟ قال: أجل والله كانت أول وقعة أوقعها الله بالمشركين وكان الإثخان في القتل أحب إلي من استبقاء الرجال**).

الشيخ: وهذا هو الذي جاء به القرآن كما قال الله تعالى: ((**ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة**)) فسعد بن معاذ كما تعلمون أنه سيد الأوس رضي الله عنه

أحب أن يقتلوا وأن لا يؤسروا, ولكن كان رأي النبي عليه الصلاة والسلام ورأي أبو بكر أن يؤسروا ويؤخذ منهم الفداء بدون قتل؛ والقصة مذكورة في سورة الأنفال .

الطالب: ولما برزت الحرب وولى القوم منهزمين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**من ينظر لنا ما صنع أبو جهل) فانطلق ابن مسعود فوجده قد ضربه ابنا عفراء حتى برد وأخذ بلحيته فقال: أنت أبو جهل؛ فقال: لمن الدائرة اليوم ؟؛ فقال: لله ولرسوله وهل أخزاك الله يا عدو الله ؟ فقال: وهل فوق رجل قتله قومه ؟ فقتله عبد الله ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: قتلته؛ فقال: (الله الذي لا إله إلا هو . فرددها ثلاثا . ثم قال: الله أكبر الحمد لله الذي صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده انطلق أرنيه) فانطلقنا فأريته إياه فقال: (هذا فرعون هذه الأمة)** .

الشيخ: في هذا الحديث دليل على فوائد أولا: أن الله تعالى أذل هذا الخبيث الذي هو رأس الكفر و رأس قريش و المحرض على قتل النبي عليه الصلاة والسلام و سمعتم ما قال في أول الغزوة؛ و الثاني: أن الذي قتله شابان صغيران ليسا من علية القوم؛ والثالث: أن الذي أجهز عليه رجل من رعاة الغنم حتى إنه في بعض الروايات لما قال: له من أنت ؟ قال: أنا عبد الله بن مسعود؛ قال: لقد ارتقيت مرتقا صعبا يا رويعي الغنم, يعني يمسك برأسه رجل من علية القوم فيذبحه ذبح الشاة و هو من رعاة الغنم؛ لكن هكذا الدين إذا أظهره الله عزوجل، يكون رعاة الغنم هم الأشراف والملوك .

وفيه أيضا: استثبات النبي عليه الصلاة والسلام من عدوه؛ وأن الإنسان إذا بحث عن عدوه أين راح أين ذهب؛ فإن هذا من الحزم والعزم, ليس هذا من الذل أو الذعر أو الخوف؛ بل هذا من الحزم والعزم أن ننظر ماذا فعل العدو؛ ولهذا طلب النبي عليه الصلاة والسلام من يتحسس عنه وعن أخباره, ولما قال: قتلته كرر ثلاث مرات قال: (**الله الذي لا إله إلا غيره ؟**) يعني تحلف بالله الذي لا إله غيره حتى مثل بين يديه .

الطالب: وأسر عبد الرحمن بن عوف أمية بن خلف وابنه عليا فأبصره بلال وكان أمية يعذبه بمكة فقال: رأس الكفر أمية بن خلف لا نجوت إن نجا, ثم استوخى جماعة من الأنصار واشتد عبد الرحمن بهما يحرزهما منهم فأدركوهم فشغلهم عن أمية بابنه ففرغوا منه ثم لحقوهما فقال له عبد الرحمن: ابرك فبرك فألقى نفسه عليه فضربوه بالسيوف من تحته حتى قتلوه وأصاب بعض السيوف رجل عبد الرحمن بن عوف قال له أمية قبل ذلك: من الرجل المعلم في صدره بريشة نعامة ؟ فقال: ذلك حمزة بن عبد المطلب؛ فقال: ذاك الذي فعل بنا الأفاعيل؛ وكان مع عبد الرحمن أذراع قد استلبها فلما رآه أمية قال له: أنا خير لك من هذه الأذراع فألقاها وأخذه فلما قتله الأنصار كان يقول: يرحم الله بلالا فجعني بأذراعي وبأسيري .

الشيخ: لأي شيء فجعه بكذلك ؟ لأن ما أصاب أسر ولا أذراع؛ الأذراع ذهبت والأسير قتل .

الطالب: وانقطع يومئذ سف عكاشة بن محصن فأعطاه النبي صلى الله عليه وسلم جذلا من حطب فقال: (**دونك هذا دونك هذا**)؛ فلما أخذه عكاشة وهزه عاد في يده سيفا طويلا شديدا أبيض فلم يزل عنده يقاتل به حتى قتل في الردة أيام أبي بكر.

الشيخ: الله أكبر الله أكبر.

الطالب: ولقي الزبير عبيدة بن سعيد بن العاص وهو مدجج في السلاح لا يرى منه إلا الحدق فحمل عليه الزبير بحربته فطعنه في عينه فمات فوضع رجله على الحربة ثم تمطى فكان الجهد أن نزعها وقد انثنى طرفاها قال عروة: فسأله إياها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاه إياها؛ فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها ثم طلبها أبو بكر فأعطاه إياها, فلما قبض أبو بكر سأله إياها عمر فأعطاه إياها, فلما قبض عمر أخذها ثم طلبها عثمان فأعطاه إياها, فلما قبض عثمان وقعت عند آل علي فطلبها عبد الله بن الزبير وكانت عنده حتى قتل.

الشيخ: هذا من الغرائب, فعل الزبير يدل على أمرين: القوة الشديدة والثاني الإصابة, لأنه جعل السهم على عينه لا يرى منه إلا الحدق العين؛ جعل السهم على عينه وأصابها, ومع ذلك دخل السهم في عينه حتى إنه بشدته وطأ على الرجل نزعها وبشدة أخرجها؛ وقد انثنت أيضا من شدة الضربة؛ وهذه سبحان الله إذا رأيت هذه القوة في السابقين تقول: كيف هذا ؟ . الله أكبر .

الطالب: وقال رفاعة بن رافع: (**رُميت بسهم يوم بدر ففقئت عيني فبصق فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا لي فما آذاني منها شيء**).

الشيخ: الله أكبر.

الطالب: ولما انقضت الحرب أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى وقف على القتلى فقال: (**بئس عشيرة النبي كنتم لنبيكم كذبتموني وصدقني الناس وخذلتموني ونصرني الناس وأخرجتموني وآواني الناس**)؛ ثم أمر بهم فسحبوا إلى قليب من قلب بدر فطرحوا فيه ثم وقف عليهم فقال: (**يا عتبةُ بنَ ربيعة ويا شيبة بن ربيعة ويا فلان ويا فلان هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا ؟ فإني وجدت ما وعدني ربي حقا؛ فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله ما تخاطب من أقوام قد جيفوا؛ فقال: والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكنهم لا يستطيعون الجواب**)؛ ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعرصة ثلاثا وكان إذا ظهر على قوم أقام بعرصتهم ثلاثا، ثم ارتحل مؤيدا منصورا قرير العين بنصر الله له, ومعه الأسارى والمغانم, فلما كان بالصفراء قسم الغنائم وضرب عنق النضر بن الحارث بن كلدة, ثم لما نزل بعرق الضبية ضرب عنق عقبة بن أبي

معيط, ودخل النبي صلى الله عليه وسلم المدينة مؤيدا مظفرا منصورا قد خافه كل عدو له بالمدينة وحولها, فأسلم بشر كثير من أهل المدينة, وحينئذ دخل عبد الله بن أبي المنافق وأصحابه في الإسلام ظاهرا, وجملة من حضر بدرا من المسلمين ثلاث مائة وبضعة عشر رجلا، من الهاجرين ستة وثمانون، ومن الأوس أحد وستون، ومن الخزرج مائة وسبعون؛ وإنما قل عدد الأوس على الخزرج وإن كانوا أشد منهم وأقوى شوكة وأصبر عند اللقاء لأن منازلهم كانت في عوالي المدينة وجاء النفير بغتة وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (**لا يتبعنا إلا من كان ظهره حاضرا**), فاستأذنه رجال ظهورهم في علو المدينة أن يستأني بهم حتى يذهبوا إلى ظهورهم فأبى, ولم يكن عزمهم على اللقاء ولا أعدوا له عدته ولا تأهبوا له أهبته, ولكن جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد, واستشهد من المسلمين يومئذ أربعة عشر رجلا ستة من المهاجرين وستة من الخزرج واثنان من الأوس وفرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من شأن بدر والأسارى في شوال .

فصل : ثم نهض بنفسه صلوات الله وسلامه عليه بعد فراغه بسبعة أيام إلى غزو بني سليم واستعمل على المدينة سباع بن عرفطة وقيل: ابن أم مكتوم؛ فبلغ ماء يقال له الكدر فأقام عليه ثلاثا ثم انصرف ولم يلق كيدا .

فصل: ولما رجع فل المشركين إلى مكة موتورين محزونين نذر أبو سفيان أن لا يمس رأسه ماء حتى يغزو رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فخرج في مائتي راكب حتى أتى العريض في طرف المدينة, وبات ليلة واحدة عند سلام بن مشكم اليهودي فسقاه الخمر وبطل له من خبر الناس فلما أصبح قطع أصوارا من النخل, وقتل رجلا من الأنصار وحليفا له ثم كر راجعا, ونذر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج في طلبه فبلغ قرقرة الكدر وفاته أبو سفيان, وطرح الكفار سويقا كثيرا من أزوادهم يتخففون به فأخذها المسلمون فسميت غزوة السويق, وكان ذلك بعد بدر بشهرين؛ فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بقية ذي الحجة ثم غزا نجدا يريد غطفان واستعمل على المدينة عثمان بن عفان رضي الله عنه فأقام هناك صفرا كله من السنة الثالثة ثم انصرف ولم يلق حربا .

فصل: فأقام بالمدينة ربيعا الأول ثم خرج يريد قريشا فاستخلف على المدينة ابن أم مكتوم فبلغ بحران معدنا بالحجاز من ناحية الفُرع ولم يلق حربا؛ فأقام هنالك ربيعا الآخر وجمادي الأولى ثم انصرف إلى المدينة .

فصل : ثم غزا بني قينقاع وكانوا من يهود المدينة فنقضوا عهده فحاصرهم خمسة عشر ليلة حتى نزلوا على حكمه فشفع فيهم عبد الله بن أبي, وألح عليه فأطلقهم له, وهم قوم عبد الله بن سلام وكانوا سبعمائة مقاتل وكانوا صاغة وتجارا .

فصل في قتل كعب بن الأشرف.

السائل: عبد الله بن سلَام أو سلَّام ؟

الشيخ: عبد الله بن سلَام, جزاك الله خيرا, هو قرأ سلَّام.

السائل: لا, الأول سلَّام, وهذا,

الشيخ: حتى ذلك الظاهر أنه بالتخفيف.

الطالب: وكان رجلا من اليهود وأمه من بني النظير, وكان شديد الأذى لرسول الله صلى الله عليه وسلم, وكان يشبب في أشعاره بنساء الصحابة, فلما كانت وقعة بدر ذهب إلى مكة وجعل يؤلب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين, ثم رجع إلى المدينة على تلك الحال؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لكعب بن الأشرف ؟ فإنه قد آذى الله و رسوله؛ فانتدب له محمد بن مسلمة وعباد بن بشر وأبو نائلة . واسمه سلكان بن سلامة . وهو أخو كعب من الرضاع والحارث بن أوس وأبو عبس بن جبر وأذن لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقولوا ما شاءوا من كلام يخدعونه به, فذهبوا إليه في ليلة مقمرة وشيعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بقيع الغرقد, فلما انتهوا إليه قدموا سلكان بن سلامه إليه فأظهر له موافقته على الانحراف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم, وشكا إليه ضيق حاله, فكلمه في أن يبيعه وأصحابه طعاما و يرهنوه سلاحهم, فأجابهم إلى ذلك, ورجع سلكان إلى أصحابه فأخبرهم فأتوه فخرج إليهم من حصنه فتماشوا فوضعوا عليه سيوفهم, و وضع محمد بن مسلمة مغولا كان معه في ثنته فقتله, وصاح عدو الله صيحة شديدة أفزعت من حوله, و أوقدوا النيران, وجاء الوفد حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من آخر الليل و هو قائم يصلي, و جرح الحارث بن أوس ببعض سيوف أصحابه, فتفل عليه رسول الله عليه وسلم فبرئ, فأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتل من وجد من اليهود لنقضهم عهده ومحاربتهم الله ورسوله .

فصل في غزوة أحد : ولما قتل الله أشراف قريش ببدر .

الشيخ: قصة كعب بن أشرف فيها دليل على جواز المخادعة، المخادعة بالكافر المباح الدم؛ وهذا كافر مباح الدم .

الطالب: فصل في غزوة أحد:

الشيخ: قصة كعب بن أشرف فيها دليل على جواز المخادعة، المخادعة للكافر المباح الدم؛ وهذا كافر مباح الدم فيجوز أن تخادعه بأي شيء شئت؛ ويذكر أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما طالب مبارزة عمرو بن ود وخرج إليه صاح به علي وقال: ما خرجت لأبارز رجلين فالتفت عمرو بن ود يظن أنه قد لحقه أحد, فضربه علي في حال التفاته, ضربه حتى ميز رأسه من جسمه؛ هذه مخادعة لكنها مخادعة جائزة؛ لأن هذا الرجل إنما خرج من أجل أن يقتلك, فأنت تحيل عليه لتقتله .

السائل: النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين استشار الصحابة ... ؟

الشيخ: لا, هذه العلة بينها؛ الأنصار رضي الله عنهم إنما بايعوه على أن يحموه مما يحمون به نسائهم وأبنائهم في ديارهم؛ ومعلوم أن بدر ليست من ديار المدينة, فخاف أن يكون في نفوسهم شيء؛ ولهذا تكلم سعد بن معاذ والمقداد بن الأسود وهما رجلان عن الجميع ولم يستشرهم كلهم .

السائل: النبي صلى الله عليه وسلم بشر المؤمنين بالنصر ورأى مصارع القوم ولما جاءت المعركة دعا الله فما الحكمة من الدعاء ؟

الشيخ: الحكمة أن هذا الوعد له سبب, هو موعود بسبب، من سببه هذا الدعاء, كما أن الله وعد الرسول عليه الصلاة والسلام الوسيلة ومع ذلك نحن ندعو له بها؛ فالرسول وُعد لكن بسبب ومن أسبابه الدعاء .

السائل: شيخ أحسن الله إليك ! تعليل ابن القيم رحمه الله بأن الشيطان إنما هرب خوفا من أن يخلص إليه القتل فكيف مع قوله تعالى: ((... **قال أنظرني إلى يوم يبعثون قال فإنك من المنظرين**)) ؟ الشيخ: أي نعم وجيه, ولهذا . إن صحت القصة . لما هرب إلى البحر جعل يدعوا الله, يعني يحقق له ما وعده بالإنظار إلى يوم البعث؛ وأنت تعلم أن الإنسان عند حصول الحوادث قد ينزعج وينسى؛ أليس النبي صلى الله عليه وسلم لما انكسفت الشمس خرج يجر ردائه قال أنس أو الراوي: (**يخشى أن تكون الساعة**)؛ ومعلوم أن الساعة لها مقدمات لكن مع شدة الانزعاج يحصل هذا الشيء .

السائل: أحسن الله إليك ! في قصة كعب بن الأشرف هل ينتقض عهد من سب المسلمين وهل يندب من يقتله ؟ الشيخ: ينتقض عهده نعم، يكون انتقض عهده لا شك؛ أي انتقض عهده إلا إذا كان زعيما ويكون عن قومه؛ السائل: طيب يندب من يقتله ؟

الشيخ: أيه نعم .

السائل: طيب في هذه الأحوال دول الكفار أقوى من المسلمين وفي كثير يؤذون المسلمين ولا يمكن أن نحارب هؤلاء الكفار ألا يندب إلى قتل مثل هذا ؟

الشيخ: هم في الحقيقة هؤلاء ما ظهر منهم الأذية ظهورا بينا؛

السائل: مثل الكاتب الذي كتب في سب رسول الله صلى الله عليه وسلم في بريطانيا ألا يستحق أن يقتله أحد ؟

الشيخ: بلى كيف! يستحق، يستحق ؛

السائل: نقيس على ذلك ؟

الشيخ: أي نعم؛ كل من أساء إلى المسلمين من أهل الذمة حتى لو هم عندنا في بلادنا, إذا أساءوا إلى المسلمين بزنا أو قتل انتقض عهده، وصار ما له عهد، صار كالحربي يجوز لكل واحد أن يقتله .

السائل: هل يجب على العلماء أن يفتوا بوجوب قتله ... ؟

الشيخ: هذا معروف عند الفقهاء أي واحد يقرأ كتاب الجهاد في الكتب الفقه يعرفه؛

السائل: العوام ما يعرفون ... ؟

الشيخ: صحيح العامة ما يعرفون .

السائل: أحسن الله إليكم ! من ثبت كفره أو زندقته من المسلمين هل يجوز قتله ؟

الشيخ: إذا كان قد تعدى شره، إذا كان تعدى شره, ولم تخشى الفتنة فربما نقول بجواز قتله؛ وقد نقول بمنع قتله خوفا من أن يطلع عليه, لأن الإنسان مهما تكتم قد يطلع عليه. وإذا اطلع عليه ربما يكون فساد كبير .

السائل: من سب المسلمين من الذميين فهل ينتقض عهده بمفرده أم ينتقض عهد كل من كان معه في المكان ؟

الشيخ: لا، هو فقط؛ أي نعم . السائل: وإن كان رئيسا ؟

الشيخ: إذا كان رئيسا فقد يقال إن هذا نقضا للجميع له ولمن تبعه .

السائل: قتل النبي صلى الله عليه وسلم عقبة بن أبي معيط مع أنه من الأسرى فيكف قتله ؟

الشيخ: أي نعم, في هذا لأنهم مخير فيه، الأسرى يخير فيهم الإمام بين أمور أربعة: بين القتل، والاسترقاق، والمن عليهم مجانا، والمن عليهم بفداء؛ أربعة أشياء؛ على كل حال هذه المسائل ينبغي أن تجعل لولاة الأمور, يعني مثلا نحن لو رأينا أحدا في بلد فيه حكام مسلمون, وعلمنا أنه مرتد كافر فإنا نجعل هذا الأمر لولاة الأمور, لأنه يحصل فتنة؛ أما إذا صار في بلاد كفر فهذا نعم لا بأس أن نقتله. لأن بلاد الكفر لا يحكم بالكتاب والسنة .

السائل: عندنا في بلادنا بعض السادة يعني هؤلاء من أصحاب الكهنة وغيرهم يأتونهم الناس فيبصقون عليهم, ويعتقدون بالشفاء, ويستندون بأن النبي صلى الله عليه وسلم عدة مرات بصق على بعض الصحابة ودعا لهم، ويقولون هذه بركة وأن الله هو الشافي ؟

الشيخ: لكن هل بركة هذا المشعوذ بركة الرسول ؟ سبحان الله؛ أقول بركة هذا المشعوذ بركة الرسول صلى الله عليه وسلم ؟ ولاحظوا يا جماعة أن هؤلاء أولياء الشياطين، لاحظوا أن أولياء الشياطين قد تعينهم الشياطين فيما يريدون، قد تعينهم فيظن العامة أن هذا من الولاية فيغترون بهم .

الطالب: الحمد لله رب العالمين؛ والصلاة والسلام على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين؛ قال ابن القيم رحمه الله تعالى في زاد المعاد : فصل في عزوة أحد :

ولما قتل الله أشراف قريش ببدر وأصيبوا بمصيبة لم يصابوا بمثلها ورأس فيهم أبو سفيان بن حرب لذهاب أكابرهم وجاء ـ كما ذكرنا ـ إلى أطراف المدينة في غزوة السويق ولم ينل ما في نفسه أخذ يؤلب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المسلمين, ويجمع الجموع, فجمع قريبا من ثلاثة آلاف من قريش والحلفاء والأحابيش, وجاءوا بنسائهم لئلا يفروا وليحاموا عنهن؛ ثم أقبل بهم نحو المدينة, فنزل قريبا من جبل أحد بمكان يقال له عينين, وذلك في شوال من السنة الثالثة، واستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه أيخرج إليهم أم يمكث في المدينة, وكان رأيه أن لا يخرجوا من المدينة وأن يتحصنوا بها, فإن دخلوها قاتلهم المسلمون على أفواه الأزقة, والنساء من فوق البيوت, ووافقه على هذا الرأي عبد الله بن أبي وكان هو الرأي, فبادر جماعة من فضلاء الصحابة ممن فاته الخروج يوم بدر, وأشاروا عليه بالخروج وألحوا عليه في ذلك؛ وأشار عبد الله بن أبي بالمقام في المدينة, وتابعه على ذلك بعض الصحابة, فألح أولئك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهض ودخل بيته ولبس لأمته وخرج عليهم وقد انثنى عزم أولئك, وقالوا: أكرهنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الخروج فقالوا: يا رسول الله إن أحببت أن تمكث في المدينة فافعل؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**ما ينبغي لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه**)؛ فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ألف من الصحابة, واستعمل ابن أم مكتوم على المدينة بمن بقي في المدينة, وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رؤيا وهو بالمدينة, رأى أن في سيفه ثلمة, رأى أن بقرا تذبح, وأنه أدخل يده في درع حصينة, فتأول الثلمة في سيفه برجل يصاب من أهل بيته, وتأول البقرة بنفر من أصحاب يقتلون, وتأول الدرع بالمدينة؛ فخرج يوم الجمعة, فلما صار بالشوط بين المدينة وأحد انخزل عبد الله بن أبي بنحو ثلث العسكر, وقال: تخالفني وتسمع من غيري.

الشيخ: بسم الله الرحمن الرحيم. هذه الرؤيا رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم وحي, بل الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزء من النبوة كما ثبت ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم؛ ولكن ما المناسبة أنه رأى في سيفه ثلمة ؟ المناسبة والله أعلم أن الإنسان إنما يعتز في العادة وعند العرب بقبيلته وأهل بيته؛ والسيف سبب للعزة, لأن الإنسان به يدافع وبه يهاجم؛ والثلمة هو استشهاد حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه؛ وأما البقر التي تذبح فإنها الصحابة رضي الله عنهم, ومثلت له بالبقر لأن البقر من أنفع ما تكون من بهيمة الأنعام, يحرث عليها, ويحلب منها, وتنمى, وهي هادئة بين الإبل وبين الغنم, ليس فيها سكينة الغنم الزائدة ولا شر الإبل الطائشة فهي بين بين؛ وأما إدخال يد في درعه الحصينة فهو تأولها عليه الصلاة والسلام بالمدينة أنه يأوي إليها؛ ومعلوم أن الدرع تقي المقاتل سهام الأعداء وسيوفهم؛ فإذا لجأ إلى المدينة فقد وقاه الله سبحانه وتعالى شر أعدائه بلجوئه إليها؛ وفي هذا دليل على أن الرؤيا قد تكون بعيدة كل البعد من الواقع وإنما تكون إشارات، إشارات يضربها الملك للنائم يراها ويفهمها؛ أحيانا تكون قريبة كرؤية الملك، رؤية الملك لسبع بقرة سمان يأكلهن سبع عجاف, وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات؛ فهذا واضح أنها في الزرع في الجدب والإخصاب لأنها قريبة؛ وأحيانا وهو قسم ثالث: يرى إنسان رؤيا فتقع بدون تأويل, أي تقع كما هي، كما رآها؛ وهذا أيضا مشهور إلى وقتنا هذا, فإن بعض الناس إذا رأى رؤيا جاءت كما هي, بدون أن تكون أمثالا مضروبة أو إشارات أو تلميحات .

السائل: ما معنى الثلمة في السيف ؟

الشيخ: الثلمة في السيف يعني كسر في حده, كما يعرف الآن يقال: مثلا سكين منثلمة جدار منثلم .

الطالب: فخرج يوم الجمعة فلما صار بالشوط بين المدينة وأحد انخزل عبد الله بن أبي بنحو ثلث العسكر وقال: تخالفني وتسمع من غيري, فتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام . والد جابر بن عبد الله . يوبخهم ويحضهم على الرجوع ويقول: تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا؛ قالوا: لو نعلم أنكم تقاتلون لم نرجع؛ فرجع عنهم وسبهم وسألهم قوم من الأنصار أن يستعينوا بحلفائهم من يهود, فأبى وسلك حرة بني حارثة.

الشيخ: سأله قوم من الأنصار أن يستعينوا بحلفائهم من اليهود فأبى؛ وذلك لأنه لا حاجة إلى ذلك, ثم إن الرسول صلى الله عليه وسلم عرف أن اليهود أهل غدر, وأنهم لا يؤمنون, ولهذا لا يجوز أن نستعين بكافر إذا لم يكن هناك حاجة, ولا نستعين إذا كنا لا نأمنه، لا نأمنه على أسرارنا, أن نخشى أن يخذلنا عند القتال؛ فالمهم أن الرسول صلى الله عليه وسلم منع هؤلاء أن يستعينوا بحلفائهم من اليهود لهذا السبب .

الطالب: وسلك حرة بني حارثة وقال: (**من رجل يخرج بنا على القوم من كثب**) فخرج به بعض الأنصار حتى سلك في حائط لبعض المنافقين وكان أعمى فقام يحثوا التراب في وجوه المسلمين ويقول: لا أحل لك أن

تدخل في حائطي إن كنت رسول الله صلى الله عليه وسلم, فابتدر القوم ليقتلوه فقال: (**لا تقتلوه فهذا أعمى القلب أعمى البصر**)؛ ونفذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل الشعب من أحد في عدوة الوادي وجعل ظهره إلى أحد, ونهى الناس عن القتال حتى يأمرهم, فلما أصبح يوم السبت تعبأ للقتال وهو في سبع مائة فيهم خمسون فارسا, واستعمل على الرماة وكانوا خمسين عبد الله بن جبير, وأمره وأصحابه أن يلزموا مركزهم, وأن لا يفارقوه ولو رأى الطيرة تتخطف العسكر؛ وكانوا خلف الجيش, وأمرهم أن ينضحوا المشركين بالنبل لئلا يأتوا المسلمين من ورائهم .

الشيخ: وفي هذا يقول الله عزوجل: ((**وإذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال**)) فالنبي صلى الله عليه وسلم قد صفهم وبوأ منازلهم في صبح يوم السبت؛ فمن العلماء من قال: إنه في الحادي عشر, ومنهم من قال في السادس من شوال؛ وقد اتفقوا على أنه في شوال .

الطالب: فظاهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين درعين يومئذ, وأعطى اللواء مصعب بن عمير وجعل على إحدى المُجنبتين الزبير بن العوام وعلى الأخرى المنذر بن عمرو, واستعرض الشباب يومئذ فرد من استصغره عن القتال, وكان منهم عبد الله بن عمر وأسامة بن زيد وأسيد بن ظهير والبراء بن عازب وزيد بن أرقم وزيد بن ثابت وعرابة بن أوس وعمرو بن حزم؛ وأجاز من رآه مطيقا وكان منهم سمرة بن جندب ورافع بن خديج, ولهما خمس عشرة سنة, فقيل أجاز من أجاز لبلوغه بالسن خمس عشرة سنة, ورد من رد لصغره عن سن البلوغ؛ وقالت طائفة: إنما أجاز من أجاز لإطاقته ورد من رد لعدم إطاقته ولا تأثير للبلوغ وعدمه في ذلك, قالوا: وفي بعض ألفاظ حديث ابن عمر: (**فلما رآني مطيقا أجازني**).

الشيخ: ابن القيم رحمه الله لم يرجح أحد القولين, هل أجازهم للبلوغ أو أجازهم للإطاقة ؟؛ ولو قال قائل: بأنه يحتمل أن يكون أجازهم للأمرين للإطاقة والبلوغ؛ وقال: إنه إذا بلغ ولم يكن أهلا للقتال لصغرهم في جسمه أو ضعف أو مرض أو ما أشبه ذلك فإنه لا يجيز, لأن وجود مثل هذا في الجيش قد يكون سببا للهزيمة, لأنه لا يطيق مقابلة العدو؛ وأما إذا كان دون البلوغ فإنه لا يجيزه لصغره وعدم تكليفه؛ أو يقال: إذا كان دون البلوغ ورأى منه جلدا وقوة لأن بعض الناس يكون عنده نمو قوي, فيكون قبل البلوغ بمنزلة من له عشرون سنة فله أن يجيزه؛ وحينئذ نقول: إذا كان لا يطيق فإنه لا يمكنه, وإذا كان يطيق فإن كان بعد البلوغ أجازه, وإن كان قبله فهو مخير للاحتمال أن النبي صلى الله عليه وسلم منع من منع لعدم التكليف أو لعدم الإطاقة .

الطالب: وتعبت قريش للقتال وهم في ثلاثة آلاف وفيهم مائتا فارس.

الشيخ: كم الذين مع النبي صلى الله عليه وسلم من الفوارس ؟

الطالب: خمسون.

الشيخ: وهؤلاء معهم مائتان.

الطالب: فجعلوا على ميمنتهم خالد بن الوليد وعلى الميسرة عكرمة .

الشيخ: هم في ثلاثة آلاف وأما جيش الرسول صلى الله عليه وسلم فهم نحو سبع مائة .

الطالب: وعلى الميسرة عكرمة بن أبي جهل ودفع رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه إلى أبي دجانة سماك بن خَرَشة وكان شجاعا بطلا يختال عند الحرب, وكان أول من بدر من المشركين أبو عامر الفاسق واسمه عبد عمرو بن صيفي .

الشيخ: يختال عند الحرب, والخيلاء هنا لا بأس بها؛ لأن الاختيال يوجب غيض الكفار؛ فالمفسدة التي تكون فيه . إن قدر فيه مفسدة . يدفعها المصلحة التي هي أعظم, وهي كسر قلوب الأعداء, على أن الذي يختال في الحرب إنما يختال لا للفخر وإنما يختال من أجل إغاظة الكفار, فتزول مفسدة الخيلاء بهذا .

الطالب: وكان أول من بزر من المشركين أبو عامر الفاسق واسمه عبد عمرو صيفي وكان يسمى الراهب فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاسق, وكان رأس الأوس في الجاهلية, فلما جاء الإسلام شرق به .

الشيخ: كما سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا جهل بهذه الكنية وكان يسمى أبا الحكم, ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم سماه أبا الجهل؛ هذا أيضا الراهب سماه النبي صلى الله عليه وسلم الفاسق ضد الراهب, لأن الراهب هو المتعبد لله عزوجل والفاسق على ضده.

الطالب: وكان رأسَ الأوس في الجاهلية, فلما جاء الإسلام شرق به وجاهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعداوة, فخرج من المدينة وذهب إلى قريش يؤلبهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحضهم على قتاله, و وعدهم بأن قومه إذا رأوه أطاعوه ومالوا معه, فكان أول من لقي المسلمين فنادى قومه وتعرف إليهم؛ فقالوا له: " **لا أنعم الله بك عينا يا فاسق؛ فقال: لقد أصاب قومي بعدي شر** "، ثم قاتل المسلمين.

الشيخ: لكنه شر عليه, هو شر لكنه شر عليه؛ والمسلم لا بأس أن يستعمل الشر على الكافر, وقد مدح الله سبحانه وتعالى الصحابة في قوله: ((**محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا**)) وأول من يدخل في هذا الوصف رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكان شديدا على الكفار رحيما بالمؤمنين .

الطالب: ثم قاتل المسلمين قتالا شديدا وكان شعار المسلمين يومئذ أمت؛ وأبلى يومئذ أبو دجانة الأنصاري وطلحة بن عبيد الله.

الشيخ: أمت ! أي شيء معنى هذا ؟

الطالب: اقتل ؛

الشيخ: يعني اقتل؛ ففيه حث على الإقدام وعلى قتل الأعداء.

الطالب: ...

الشيخ: كما نقول غص بهذا الشيء, معناه أنه لم يتحمله .

الطالب: ما كان شعارهم أمت بسبب الآية التي نزلت في الإثخان: ((**ما كان للنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض**)) ؟

الشيخ: يحتمل أنهم قصدوا هذا أو قصدوا من أجل الشجاعة, حملهم على الشجاعة .

الطالب: وأبلى يومئذ أبو دجانة الأنصاري وطلحة بن عبيد الله وأسد الله وأسد رسوله حمزة بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب وأنس بن النضر وسعد بن الربيع؛ وكانت الدولة أول النهار للمسلمين على الكفار, فانهزم عدو الله وولوا مدبرين حتى انتهوا إلى نسائهم, فلما رأى الرماة هزيمتهم تركوا مركزهم الذي أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظه, وقالوا: يا قوم الغنيمة؛ فذكرهم أميرهم عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم, فلم يسمعوا وظنوا أن ليس للمشركين رجعة, فذهبوا في طلب الغنيمة وأخلوا الثغر, وكر فرسان المشركين فوجدوا الثغر خاليا قد خلا من الرماة فجاوزا منه, وتمكنوا حتى أقبل آخرهم فأحاطوا بالمسلمين, فأكرم الله من أكرم منهم بالشهادة وهم سبعون, وتولى الصحابة, وخلص المشركون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم, فجرحوا وجهه وكسروا رباعيته اليمنى وكانت السفلى, وهشموا البيضة على رأسه, ورموه بالحجارة حتى وقع لشقه, وسقط في حفرة من الحفر التي كان أبو عامر الفاسق يكيد بها المسلمين, فأخذ علي بيده, واحتضنه طلحة بن عبيد الله, وكان الذي تولى أذاه صلى الله عليه وسلم عمرو بن قمئة وعتبة بن أبي العاص؛ وقيل: إن عبد الله بن شهاب الزهري عم محمد بن مسلم بن شهاب الزهري هو الذي شجه؛ وقتل مصعب بن عمير بين يديه, فدافع اللواء إلى علي بن أبي طالب, ونشبت حلقتان من حلق المغفر في وجهه فانتزعهما أبو عبيدة بن الجراح وعض عليهما حتى سقطت ثنيتاه من شدة غوصهما في وجهه؛ وامتص مالك بن سنان والد أبي سعيد الخدري الدم من وجنته, وأدركه المشركون يريدون ما الله حائل بينهم وبينه, فحال دونه نفر من المسلمين نحو عشرة حتى قتلوا, ثم جالدهم طلحة حتى أجهضهم عنه, وترس أبو دجانة عليه بظهره والنبل يقع فيه وهو لا يتحرك؛ وأصيبت يومئذ عين قتادة بن النعمان فأتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فردها عليه بيده وكانت أصح عينيه وأحسنهما؛ وصرح الشيطان بأعلى صوته: إن محمدا قد قتل؛ ووقع ذلك في قلوب كثير من المسلمين, وفر أكثرهم, وكان أمر الله قدرا مقدورا؛ ومر أنس بن

النضر بقوم من المسلمين قد ألقوا بأيديهم فقال: " **ما تنتظرون ؟ فقالوا: قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فقال: ما تصنعون في الحياة بعده, قوموا فموتوا على ما مات عليه, ثم استقبل الناس ولقي سعد بن معاذ فقال: يا سعد إني لأجد ريح الجنة من دون أحد, فقاتل حتى قتل ووجد به سبعون ضربة** "؛ وجرح يومئذ عبد الرحمن بن عوف نحوا من عشرين جراحا.

الشيخ: الله أكبر الله أكبر.

الطالب: وأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو المسلمين, وكان أول من عرفه تحت المغفر كعب بن مالك, فصاح بأعلى صوته: " **يا معشر المسلمين أبشروا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم** "؛ فأشار إليه أن اسكت؛ واجتمع إليه المسلمون, ونهضوا معه إلى الشعب الذي نزل فيه وفيهم أبو بكر وعمر وعلي والحارث بن الصِمة الأنصاري وغيرهم؛ فلما استندوا إلى الجبل أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم أبي بن خلف على جواد يقال له: العود, زعم عدو الله أنه يقتل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم, فلما اقترب منه تناور رسول الله صلى الله عليه وسلم الحربة من الحارث بن الصِمة فطعنه بها فجاءت في ترقوته, فكر عدو الله منهزما؛ فقال له المشركون: " **والله ما بك من بأس؛ فقال: والله لو كان ما بي بأهل ذي المجاز لماتوا أجمعون** ".

الشيخ: هذا من آيات النبي عليه الصلاة والسلام ودليل على تأنيه, فإن الرسول صلى الله عليه وسلم صبر حتى جاء هذا الرجل واقترب منه وتناور رسول الله صلى الله عليه وسلم الحربة بكل طمأنينة حتى ضربه في ترقوته وصار . والعياذ بالله . يخور كما يخور الثور؛ فاجتمع الناس إليه وقالوا: ما بك من بأس, هذه ضربة بسيطة؛ فقال: لو كان ما بي بأهل ذي المجاز لماتوا, من شدة ألمها ووجعها حتى مات .

السائل: لما سقطت عين قتادة رضي الله عنه وجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأصبحت أحسن من الأخرى, فكيف هذا والعين من خلق الله سبحانه وتعالى ؟

الشيخ: أي نعم, هذه من بركة فعل الرسول عليه الصلاة والسلام أنها صارت أحسن, ولاشك أن حسن العين الثانية بأمر الله أيضا, ولا مانع .

السائل: ما هو ذي المجاز ؟

الشيخ: ذي المجاز هذا سوق، سوق تجارة, يسمى ذي المجاز يجتمع العرب فيه في السنة مرة أظن يتبايعون فيه .

الطالب: وكان يعلف فرسه بمكة ويقول: أقتل عليه محمدا, فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (**بل أنا أقتله إن شاء الله تعالى**)؛ فلما طعنه تذكر عدو الله قوله: أنا قاتله, فأيقن بأنه مقتول من ذلك الجرح؛ فمات منه في طريقه بسرف مرجعه إلى مكة؛ وجاء علي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بماء ليشرب منه

فوجده آجنا فرده وغسل عن وجهه الدم وصب على رأسه, فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعلو صخرة هنالك فلم يستطع لما به, فجلس طلحة تحته حتى صعدها, وحانت الصلاة فصلى بهم جالسا, وصار رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك اليوم تحت لواء الأنصار, وشد حنظلة الغسيل . وهو حنظلة بن أبي عامر . على أبي سفيان فلما تمكن منه حمل على حنظلة شداد بن الأسود فقتله, وكان جنبا فإنه سمع الصيحة وهو على امرأته فقام من فوره إلى الجهاد, فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه أن الملائكة تغسله, ثم قال: (**سلوا أهله ما شأنه**) فسألوا امرأته فأخبرتهم الخبر, وجعل الفقهاء هذا حجة أن الشهيد إذا قتل جنبا يغسل اقتداء بالملائكة؛ وقتل المسلمون حامل لواء المشركين فرفعته لهم عمرة بنت علقمة الحارثية حتى اجتمعوا إليه, وقاتلت أم عمارة وهي نسيبة بنت كعب المازنية قتالا شديدا, وضربت عمرو بن قمئة بالسيف ضربات فوقته درعان كانتا عليه وضربها عمرو بالسيف فجرحها جرحا شديدا على عاتقها, وكان عمرو بن ثابت المعروف بالأصيرم من بني عبد الأشهل يأبى الإسلام, فلما كان يوم أحد قذف الله الإسلام في قلبه للحسنى التي سبقت له منه, فأسلم وأخذ سيفه ولحق بالنبي صلى الله عليه وسلم فقاتل فأثبت بالجراح ولم يعلم أحد بأمره, فلما انجلت الحرب طاف بنو عبد الأشهل في القتلى يلتمسون قتلاهم, فوجدوا الأصيرم وبه رمق يسير فقالوا: والله إن هذا الأصيرم ما جاء به ؟ لقد تركناه وإنه لمنكر لهذا الأمر, ثم سألوه: ما الذي جاء بك ؟ أحدب على قومك أم رغبة في الإسلام ؟ فقال: بل رغبة في الإسلام آمنت بالله ورسوله ثم قاتلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أصابني ما ترون، ومات من وقته فذكروه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (**هو من أهل الجنة**)؛ قال أبو هريرة: ولم يصل لله صلاة قط .

الشيخ: الله أكبر, هذا فيه شاهد لحديث ابن مسعود رضي الله عنه الذي رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم: (**أن الرجل يعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع, فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها**) وهذا فضل من الله محض، فضل محض؛ (**وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع, فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار**) وهذا عدل محض؛ الأول: فضل والثاني: عدل؛ لأن الثاني مقيد بما ثبت في صحيح البخاري: (**إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدوا للناس**) وهو من أهل النار؛ فلا يقول قائل: كيف يكون الجزاء هذا الذي يعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع أن يكون من أهل النار ؟ مع أننا نعلم أن الله سبحانه وتعالى أكرم من عبده فيقال: إن هذا العامل بعمل أهل الجنة إنما يعمل بذلك فيما يبدوا للناس, أما الأول فهو يعمل عمل كفر لكن الله يتفضل عليه ويمن عليه فيهديه للإسلام فيسلم .

السائل: ما صحة قول ابن القيم: " **وجعل الفقهاء هذا حجة أن الشهيد إذا قتل جنبا يغسل اقتداء بالملائكة** " ؟

الشيخ: لعله يذكره، أنا أظن أنه يذكره؛ لكنه على كل حال إن لم يذكره فالصحيح أنه لا دليل في ذلك؛ أولا: أن الحديث مختلف في صحته؛ والثاني: أن شأن الآخرة لا يقاس بها أحوال الدنيا؛ فتغسيل الملائكة له قد يكون كرامة له لا لبيان حكم شرعي؛ والصواب أن الشهيد لا يغسل ولو كان جنبا؛ لأنه إنما يلزمه غسل الجنابة من أجل الصلاة, والصلاة لا تجب على الميت؛ ولو قلنا بأنه يغسل من الجنابة لقلنا وإذا مات الإنسان وهو شهيد وعليه حدث أصغر وجب عليه أن يوضأ, ولا أعلم به قائلا؛ فالصواب أن الشهيد لا يغسل سواء كان جنبا أم غير جنب .

السائل: شيخ النبي صلى الله عليه وسلم خرج إلى أحد يوم الجمعة فهل صلى صلاة الجمعة ؟

الشيخ: أي شيء الإشكال ؟ ما يلزم أنه خرج يوم الجمعة وترك الصلاة، بعد الصلاة؛ ... ما فيه مانع الإنسان ما هو ممنوع أن يسافر.

السائل: شهيد غير المعركة هل يترك غسله كذلك ؟

الشيخ: لا، شهيد غير المعركة كغير الشهيد؛ يعني يجب أن يغسل ويكفن ويصلى عليه حتى وإن كان مقتولا ظلما فإنه يغسل كغيره .

الطالب: ولما انقضت الحرب أشرف أبو سفيان على الجبل فنادى: أفيكم محمد ؟ فلم يجيبوه؛ فقال: أفيكم ابن أبي قحافة ؟ فلم يجيبوه؛ فقال: أفيكم عمر بن الخطاب؛ فلم يجيبوه؛ ولم يسأل إلا عن هؤلاء الثلاثة لعلمه وعلم قومه أن قوام الإسلام بهم؛ فقال: أما هؤلاء فقد كفيتموهم, فلم يملك عمر نفسه أن قال: يا عدو الله إن الذين ذكرتهم أحياء, وقد أبقى الله لك ما يسوءك؛ فقال: قد كان في القوم مثلة لم آمر بها ولم تسؤني ثم قال: أعل هبل؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (**ألا تجيبونه** ؟) فقالوا: ما نقول ؟ قال: (**قولوا الله أعلى وأجل**)؛ ثم قال: لنا العزى ولا عزى لكم؛ قال: (**ألا تجيبونه** ؟) قالوا: ما نقول؟ قال: (**قولوا الله مولانا ولا مولا لكم**)؛ فأمرهم بجوابه عند افتخاره بآلهته وبشركه تعظيما للتوحيد وإعلاما بعزة من عبده المسلمون وقوة جانبه وأنه لا يغلب ونحن حزبه وجنده, ولم يأمرهم بإجابته حين قال: أفيكم محمد، أفيكم ابن أبي قحافة، أفيكم عمر؛ بل قد روي أنه نهاهم عن إجابته وقال: (**لا تجيبوه**) لأن كلمهم لم يكن بردَ بعد في طلب القوم ونار غيظهم بعد متوقدة, فلما قال لأصحابه: أما هؤلاء فقد كفيتموهم, حمي عمر بن الخطاب واشتد غضبه وقال: كذبت يا عدو الله؛ فكان في هذا الإعلام من الإذلال والشجاعة وعدم الجبن والتعرف إلى العدو في تلك الحال ما يؤذنهم بقوة

القوم وبسالتهم وأنهم لم يهنوا ولم يضعفوا, وأنه وقومه جديرون بعدم الخوف منهم؛ وقد أبقى الله لهم ما يسوءهم منه, وكان في الإعلام ببقاء هؤلاء الثلاثة وهلة بعد ظنه وظن قومه أنهم قد أصيبوا من المصلحة وغيظ العدو وحزبه والفت في عضده ما ليس في جوابه حين سأل عنهم واحدا واحدا, فكان سؤاله عنهم ونعيهم لقومه آخر سهام العدو وكيده, فصبر له النبي صلى الله عليه وسلم حتى استوفى كيده, ثم انتدب له عمر فرد سهام كيده عليه, وكان ترك الجواب أولا عليه أحسن وذكره ثانيا أحسن, وأيضا فإن في ترك إجابته حين سأل عنهم إهانة له وتصغيرا لشأنه, فلما منته نفسه موتهم وظن أنهم قد قتلوا وحصل له بذلك من الكبر والأشر ما حصل كان في جوابه إهانة له وتحقير وإذلال, ولم يكن هذا مخالفا لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (**لا تجيبوه**) فإنه إنما عن إجابته حين سأل: أفيكم محمد أفيكم فلان أفيكم فلان ؟؛ ولم ينه عن إجابته حين قال: أما هؤلاء فقد قتلوا؛ وبكل حال فلا أحسن من ترك إجابته أولا ولا أحسن من إجابته ثانيا.

الشيخ: عندنا الآن ثلاث كلمات؛ أولا: أفيكم محمد؛ أبو قحافة، عمر ؟؛ فقال النبي عليه الصلاة والسلام: (**لا تجيبوه**)؛ أو هم سكتوا عن إجابته دون أن ينهوا عن ذلك؛ لأن في ذلك إذلالا له؛ وفي هذا تقوية له من جهة أن نفسه تظن لأول وهلة أن هؤلاء قتلوا فيفرح، يفرح وتنتشر نفسه وتسر؛ ولهذا قال: أما هؤلاء فقد كفيتموهم، ثم جاء الجواب ردا على هذه الجملة, وهي الجملة الثانية بأنه كاذب: فقد كذبت عدو الله وقد أبقى الله لك ما يسوءك؛ فكان هذا أشد عليه مما لو أجابوه قبل أن تمنيه نفسه أنهم قد قتلوا, لأنه إذا أمنيته نفسه أنهم قد قتلوا وانشرحت بذلك وانبسطت كما يعبر عنه بقوله: أما هؤلاء فقد كفيتموهم، ثم يأتي الجواب بأنهم أحياء صار هذا أشد عليه؛ أما الجملة الثالثة وهي: أعل هبل؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم أمرهم أن يبادروا بجوابه فيقول : (**الله أعلى وأجل**)؛ وذلك لأن هذا ينافي التوحيد، حيث افتخر بآلهته التي يعبدها من دون الله؛ وهذا أمر لا يمكن السكوت عليه؛ أما مسألة محمد وأبو بكر وعمر فهي قد تكون مسألة شخصية لهم الحق في أن لا يجيبوه أو يجيبوه.

الشيخ: والجملة الثالثة وهي: أعل حبل؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم أمرهم أن يبادروا بجوابهم فيقول: (**الله أعلى وأجل**)؛ وذلك لأن هذا ينافي التوحيد حيث افتخر بآلهته التي يعبدها من دون الله, وهذا أمر لا يمكن السكوت عليه؛ أما مسألة محمد وأبو بكر وعمر فهي قد تكون مسألة شخصية لهم الحق في أن لا يجيبوه أو أن يجيبوه؛ لكن أعل حبل هذا حق لله لا يمكن السكوت عليه؛ ولما حصلت المحاورة بينهم قال: لنا العزى ولا عزى لكم؛ فقال: (**ألا تجيبوه ؟ وتقولوا: الله مولانا ولا مولا لكم**)؛ فقال: يوم بيوم بدر والحرب سجال؛ يعني أننا شفينا أنفسنا منكم كما شفيتم أنفسكم في بدر؛ والحرب سجال يعني مرة كذا ومرة كذا؛ فقالوا: لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار؛ أنتم قتل منكم في بدر ونحن قتل منا في أحد لكن لا سواء بين القتلى، قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار؛ وهكذا الإيمان، هكذا الإيمان يجد الإنسان في نفسه عزة وكرامة لما يرجوه من الثواب والأجر؛ ولهذا قال الله عزوجل مشيرا إلى هذا: ((**ولا تهنوا في ابتغاء القوم**)) أي في طلبهم ((**إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون**)) إذا جرح لكم العدو فتألمتم فأنتم إذا جرحتم العدو تألم؛ ولكن ((**وترجون من الله ما لا يرجون**)) فرق بين هذا وهذا؛ هم لا يرجون شيئا . والعياذ بالله . لكن أنتم ترجون منازل الشهداء إذا قتلتم في سبيل الله.

السائل: رماة الرسول صلى الله عليه وسلم أمرهم وأكد عليهم بالثبوت وهم نزلوا بعد نهي الرسول صلى الله عليه وسلم فهل يحتاج إلى توبة ؟

الشيخ: أي نعم هم استحقوا للذم أو العقوبة لأن الله قال: ((**وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم**)) والعفو لا يكون إلا عن ذنب.

الشيخ: ... أو للجيش، ما هو بقين أنهم يجمعون لأنفسهم؛ فإن كان ذلك فهذا قبل أن يتولى الله قسمتها التي في الأنفال تولى الله قسمتها: ((**قل الأنفال لله ولرسوله**)) ثم قسمها .

الطالب: ثم قال أبو سفيان: يوم بيوم بدر والحرب سجال؛ فأجابه عمر فقال: لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار؛ وقال ابن عباس: ما نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم في موطن نصره يوم أحد فأنكر ذلك عليه .

الشيخ: كلام عمر من أجل قطع النقاش, وإلا ففرق بين يوم أحد وبين يوم بدر؛ لأن يوم بدر كان الغالبون عددهم قليل ثلاثة مائة وبضعة عشر رجلا, والكفار ما بين تسع مائة إلى ألف؛ لكن في أحد الغالبون أكثر, لأن المشركين كما رأيتم ثلاثة آلاف, وأما المسلمون فكانوا سبع مائة أو نحوه؛ ففرق لكن عمر ترك هذا النقاش من أجل يقول نحن أكثر وأنتم أكثر, فقال شيئا لا نزاع فيه: قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار؛ وهذا من أدب المناظرة وقد أشرنا إليه عند قوله تعالى: ((**ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه**)) .

الطالب: وقال ابن عباس: ما نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم في موطن نصره يوم أحد, فأنكر ذلك عليه فقال: بني وبين من ينكر كتاب الله؛ إن الله يقول: ((**ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونه بإذنه**)) قال ابن عباس: والحس القتل, ولقد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولأصحابه أول النهار حتى قتل من أصحاب المشركين سبعة أو تسعة وذكر الحديث؛ وأنزل الله عليهم النعاس أمنة منه في غزاة بدر وأحد, والنعاس عند الحرب أو الخوف دليل على الأمن وهو من الله, وفي الصلاة ومجالس الذكر والعلم من الشيطان؛ وقاتلت الملائكة يوم أحد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ففي الصحيحين عن سعد بن أبي وقاص قال: (**رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد ومعه رجلان يقاتلان عنه عليهما ثياب بيض كأشد القتال ما رأيتهما قبل ولا بعد**), وفي صحيح مسلم: **أنه صلى الله عليه وسلم أفرد يوم أحد في سبعة من الأنصار ورجلين من قريش فلما رهقوه قال**: (**من يردهم عنا وله الجنة أو هو رفيقي في الجنة**)؛ **فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قتل؛ ثم رهقوه فقال**: (**من يردهم عنا وله الجنة أو رفيقي في الجنة**)؛ **فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قتل فلم يزل كذلك حتى قتل السبعة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم**: (**ما أنصفنا أصحابنا**) وهذا يروى على وجهين بسكون الفاء ونصب أصحابنا على المفعولية, وفتح الفاء رفع أصحابنا على الفاعلية, ووجه النصب أن الأنصار لما خرجوا للقتال واحدا بعد واحد حتى قتلوا ولم يخرج القرشيان فقال ذلك أي: ما أنصفت قريش الأنصار؛ ووجه الرفع أن يكون المراد بالأصحاب الذين فروا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أفرد في النفر القليل فقتلوا واحدا بعد واحد فلم ينصفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ثبت معه.

الشيخ: بينهما فرق: (**ما أنصفَنا وما أنصفْنا**) فرق يا عبد الله ؟

الطالب: أول شيء ما أنصفنا وما أنصفنا؛

الشيخ: ما أنصفنا أصحابنا ؟

الطالب: يعني الأنصار ما أنصفوه؛

الشيخ: ما أنصفوهم وقتل منهم سبعة ؟

الطالب: يعني ماتوا كلهم وما أنصفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم؛

الطالب: ...

الشيخ: نحن ما أنصفْنا أصحابنا ؟ أي نعم؛ لكن ما أنصفَنا أصحابنا؛

الطالب: أصحابنا فاعل ونا مفعول,

الشيخ: من المراد بالأصحاب على الوجهين ؟

الطالب: أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم؛

الشيخ: على الوجهين ؟

الطالب: لا على الفاعلية .

الطالب: على القول ما أنصفْنا بسكون الفاء ما أنصفَنا أصحابنا يعني ما أنصفت قريش الأنصار؛

الشيخ: ما أنصفنا نحن الأنصار وقريش الذين معه رجلان قرشيان .

الطالب: ما أنصفَنا أصحابنا ورفع أصحاب يعني نفس الأصحاب ما أنصفونا؛

الشيخ: من هم الأصحاب ؟

الطالب: الأصحاب الذين قتلوا؛

الشيخ: لا، أنصفوا جزاهم الله خيرا .

الطالب: الذين تركوا النبي صلى الله عليه وسلم وكان من ذلك قتل الأنصار؛

الشيخ: يعني الذين فروا ؟ نعم؛ الذين فروا زين, إن قلنا إن كانت الرواية ما أنصفَنا أصحابنا يعني: أن أصحابنا الذين فروا حتى لم يبق إلا هؤلاء ما أنصفوا؛ وإن كان ما أنصفْنا أصحابنا فالمعنى أن أصحابنا الأنصار السبع الذين قتلوا ما أنصفناهم لأن جعلناهم الذين قتلوا والقرشيان بقيا.

الطالب: وفي صحيح ابن حبان عن عائشة قالت: قال أبو بكر الصديق: (لما كان يوم أحد انصرف الناس كلهم عن النبي صلى الله عليه وسلم فكنت أول من فاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فرأيت بين يديه رجلا يقاتل عنه ويحميه قلت: كن طلحة فداك أبي وأمي، كن طلحة فداك أبي وأمي؛ فلم أنشب أن أدركني أبو عبيدة بن الجراح.

الشيخ: لم أنشب يعني: لم ألبث.

الطالب: فلم أنشب أن أدركني أبو عبيدة بن الجراح وإذا هو يشتد كأنه طير حتى لحقني فدفعنا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فإذا طلحة بين يديه صريعا فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (**دونكم أخاكم قد أوجب، دونكم أخاكم فقد أوجب**)؛ وقد رمي النبي صلى الله عليه وسلم في جبينه وروي في وجنته حتى غابت حلقة من حلق المغفر في وجنته فذهبت لأنزعها عن النبي صلى الله عليه وسلم فقال أبو عبيدة : نشدتك بالله يا أبا بكر إلا تركتني قال: فأخذ أبو عبيدة السهم بفيه فجعل ينضنضه كراهة أن يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم, ثم سل السهم بفيه فندرت ثنية أبي عبيدة, قال أبو بكر: ثم ذهبت لآخذ الآخر, فقال أبو عبيدة: نشدتك بالله يا أبا بكر إن لا تركتني فجعل ينضنضه حتى استله فندرت ثنية أبي عبيدة الأخرى, ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**دونكم أخاكم فقد أوجب**)، قال: فأقبلنا على طلحة نعالجه وقد أصابته بضعة عشرة ضربة, وفي

مغازي الأموي أن المشركين صعدوا على الجبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد: (**اجلبهم يقول: أرددهم؛ فقال: كيف أجلبهم وحدي ؟ فقال ذلك ثلاثا؛ فأخذ سعد سهما من كنانته فرمى به رجلا فقتله قال: ثم أخذت سهمي أعرفه فرميت به آخر فقتلته, ثم أخذته أعرفه فرميت به آخر فقلته, فهبطوا من مكانهم فقلت: هذا سهم مبارك فجعلته في كنانتي فكان عند سعد حتى مات ثم كان عند بنيه**)؛ وفي الصحيحين عن أبي حازم أنه سئل عن جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (**والله إني لأعرف من كان يغسل جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن كان يسكب الماء وبما دوي, كانت فاطمة ابنته تغسله وعلي بن أبي طالب يسكب الماء بمجن, فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرة أخذت قطعة من حصير فأحرقتها فألصقتها فاستمسك الدم**) وفي الصحيح: أنه كسرت رباعيته وشج في رأسه فجعل يسلت الدم عنه ويقول: (**كيف يفلح قوم شجوا وجه نبيهم وكسروا رباعيته وهو يدعوهم**) فأنزل الله عزوجل: ((**ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون**)), ولما انهزم الناس لم ينهزم أنس بن النضر وقال: (**اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء يعني المسلمين, وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء يعني المشركين، ثم تقدم فلقيه سعد بن معاذ فقال: أين يا أبا عمر؟ فقال أنس: واها لريح الجنة يا سعد إني أجده دون أحد ثم مضى فقاتل القوم حتى قتل؛ فما عرف حتى عرفته أخته ببنانه وبه بضعة وثمانون ما بين طعنة برمح وضربة بسيف ورمية بسهم**) وانهزم المشركون أول النهار كما تقدم فصرخ فيهم إبليس: أي عباد الله أخزاكم الله فارجعوا من الهزيمة فاجتلدوا.

فنظر حذيفة إلى أبيه والمسلمون يريدون قتله وهم يظنونه من المشركين فقال: أي عباد الله أبي؛ فلم يفهموا قوله حتى قتلوه؛ فقال: يغفر الله لكم؛ فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يديه فقال: قد تصدقت بديته على المسلمين, فزاد ذلك حذيفة خيرا عند النبي صلى الله عليه وسلم.

وقال زيد بن ثابت: (**بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد أطلب سعد بن الربيع فقال: إن رأيته فأقرئه مني السلام وقل له: يقول لك رسول الله صلى الله عليه وسلم: كيف تجدك ؟؛ قال: فجعلت أطوف بين القتلى فأتيته وهو بآخر رمق وفيه سبعون ضربة ما بين طعنة برمح وضربة بسيف ورمية بسهم فقلت: يا سعد إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ عليك السلام ويقول لك: أخبرني كيف تجدك ؟؛ فقال: وعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم السلام قل له: يا رسول الله أجد ريح الجنة, وقل لقوم الأنصار لا عذر لكم عند الله إن خلص إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيكم عين تطرف, وفاضت**

نفسه من وقته)؛ ومر رجل من المهاجرين برجل من الأنصار وهو يتشحط في دمه فقال يا فلان أشعرت أن محمدا قد قتل؛ فقال الأنصاري: إن كان محمد قد قتل فقد بلغ, فقاتلوا عن دينكم فنزل: ((**وما محمد إلا رسول قد خلت من قبلهم الرسل**)).

الشيخ: هذه الكلمة مع أنه محتضر: إذا كان محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قتل فلنقاتل عن ديننا، محمد بشر قد مات وراح ونحن مأمورون بالقتال دون الرسول صلى الله عليه وسلم لإقامة دينه؛ فإذا قتل فليكن قتالنا لديننا؛ ولهذا قال: فقاتلوا عن دينكم؛ وهكذا يجب على كل مؤمن أن يكون قتاله عن دينه؛ وأما القتال عن الوطن من أجل أنه وطن فقط من أجل ترابه وحبات رمله وأحجار جباله فهذا ليس بنية سليمة، اللهم إلا إذا نوى أنه يقاتل عن بلده لأنه بلد إسلامي فيقاتل عن البلد من أجل الإسلام كما يقاتل عن الرجل من أجل إسلامه فهذا لا بأس به؛ لكن خير من ذلك وأكمل أن يكون القتال عن الدين والإسلام لتكون كلمة الله هي العلياء, وأن يشعر الإنسان أنه سواء كان القتال في بلده أو بلد آخر كله سواء مادام القتال عن الدين, فلا فرق بين أن تكون في الجزيرة العربية أو في العراق أو في الشام أو في أفغانستان أو في فلسطين أو في أي مكان؛ ولذلك نجد أن الذين يقاتلون عن البلاد فقط تجدهم يقاتلون عن البلاد حمية وتقديسا للأماكن ولكن قلوبهم خاربة، خاربة من الإيمان؛ الآن العرب الذين يطنطنون بالقتال عن فلسطين لو رجعت إلى قلوب بعضهم لوجدتها خالية من الإيمان نهائيا, بل لوجدت بعضهم ينكرون الخالق ويسخرون بالمصلين؛ لكن يقولون: هذا إما سياسة وإما من أجل احترام الأماكن دون احترام من أمر باحترام الأماكن . نسأل الله العافية . وهذه المسألة يجب أن نلاحظها بالنسبة النية أمرها هام جدا, اللهم ارض عنهم أجمعين.

السائل: قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (**دونكم أخاكم فقد أوجب**) ما معناه ؟

الشيخ: نعم أوجب بمعنى مات أو أوجب بعمله أن تكون له الجنة, يعني يحتمل معناه أوجب أي مات؛ أو أوجب أي حصل ما وجب له أو أدرك ما وجب له وهو الجنة لأنه قتل شهيدا .

السائل: شيخ بارك الله فيكم ! قول إبليس ويلكم يا عباد الله ارجعوا . . ؟ وين ؟ قوله للمشركين لما انهزم المشركون ؟

الشيخ: أي نعم, أن إبليس صرخ في المشركين يحثهم على القتال يقول: ارجعوا من الهزيمة فاجتلدوا يعني قاتلوا.

السائل: قوله: يا عباد الله معناه ؟

الشيخ: أي نعم ما فيها إشكال: ((**إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا**)) كل الناس عباد الله .

الطالب: وقال عبد الله بن عمرو بن حرام: رأيت في النوم قبل أحد مبشر بن عبد المنذر يقول لي: أنت قادم علينا في أيام؛ فقلت: وأين أنت ؟ فقال: في الجنة نسرح فيها كيف نشاء؛ قلت له: ألم تقتل يوم بدر؟ قال: بلى؛ ثم أحيت, فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (**هذه الشهادة يا أبا جابر**).

وقال خيثمة أبو سعد . وكان ابنه استشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر .: (**لقد أخطأتني ووقعة بدر وكنت والله عليها حريصا حتى ساهمت ابني في الخروج فخرج سهمه فرزق الشهادة, وقد رأيت البارحة في النوم في أحسن صورة يسرح في ثمار الجنة وأنهارها ويقول: الحق بنا ترافقنا في الجنة فقد وجدت ما وعدني ربي حقا, وقد والله يا رسول الله أصبحت مشتاقا إلى مرافقته في الجنة وقد كبرت سني ورق عظمي وأحببت لقاء ربي, فادعوا الله يا رسول الله أن يرزقني الشهادة ومرافقة سعد في الجنة؛ فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقتل بأحد شهيدا**).

وقال عبد الله بن جحش في ذلك اليوم: اللهم إني أقسم عليك أن ألقى العدو غدا فيقتلوني ثم يبقروا بطني ويجدعوا أنفي وأذني ثم تسألني فيم ذلك ؟ فأقول: فيك.

الشيخ: فأقول فيك يعني أصبت فيك هذه الإصابة, وهذا معناه يدل على أنه رضي الله عنه يتحمل هذا التمثيل وهذا التعذيب من أجل الله عزوجل, مما يدل على رغبته في الشهادة وإلا فيكفي أن يقول الإنسان: اللهم ارزقني الشهادة في سبيلك كما قال عمر رضي الله عنه ويكفي دون أن يفصل بهذا التمثيل .

الطالب: وكان عمرو بن الجموح أعرج شديد العرج وكان له أربعة بينين شباب يغزون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غزى فلما توجه إلى أحد أراد أن يتوجه معه فقال له بنوه: إن الله قد جعل لك رخصة فلو قعدت ونحن نكفيك, وقد وضع الله عنك الجهاد؛ فأتى عمرو بن الجموح رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إن بني هؤلاء يمنعونني أن أخرج معك ووالله إني لأرجوا أن أستشهد فأطأ بعرجتي هذه في الجنة؛ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**أما أنت فقد وضع الله عنك الجهاد**), وقال لبنيه: (**وما عليكم أن تدعوه لعل الله عزوجل أن يرزقه الشهادة**), فخرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتل يوم أحد شهيدا. وانتهى أنس بن نضر إلى عمر بن الخطاب وطلحة بن عبيد الله في رجال من المهاجرين والأنصار وقد ألقوا بأيديهم فقال: ما يجلسكم فقالوا: قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: فما تصنعون بالحياة بعده فقوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم استقبل القوم فقاتل حتى قتل. وأقبل أبي بن خلف عدو الله وهو مقنع في الحديد يقول: لا نجوت إن نجا محمد, وكان حلف بمكة أن يقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم, فاستقبله مصعب بن عمير فقتل مصعب؛ وأبصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ترقوة أبي بن خلف من فرجة بين سابغة

الدرع والبيضة, فطعنه بحربته فوقع عن فرسه, فاحتمله أصحابه وهو يخور خوار الثور, فقالوا: ما أجزعك إنما هو خدش, فذكر لهم قول النبي صلى الله عليه وسلم بل: (**أنا أقتله إن شاء الله**), فمات برابغ.

الشيخ: سبق أنه وجد من هذا الجرح ألما عظيما حتى أنه لو أصاب أهل ذي المجاز لماتوا .

الطالب: فقال ابن عمر: إني لأسير ببطن رابغ بعد هوي من الليل إذا نار تتأجج لي فيممتها وإذا رجل يخرج منها في سلسلة يجتذبها يصيح العطش وإذا رجل يقول: لا تسقه هذا قتيل رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا أبي بن خلف .

وقال نافع بن جبير: سمعت رجلا من المهاجرين يقول: شهدت أحدا فرأيت إلى النبل يأتي من كل ناحية ورسول الله صلى الله عليه وسلم وسطها كل ذلك يصرف عنه, ولقد رأيت عبد الله بن شهاب الزهري يقول يومئذ: دلوني على محمد لا نجوت إن نجا, ورسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنبه ما معه أحد ثم جاوزه فعاتبه في ذلك صفوان فقال: والله ما رأيته أحلف بالله إنه منا ممنوع, فخرجنا أربعة فتعاهدنا وتعاقدنا على قتله فلم نخلص إلى ذلك, ولما مص مالك أبو أبي سعيد الخدري جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أنقاه قال له: (**مجه**) قال: والله لا أمده أبدا ثم أدبر فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (**من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا**).

الشيخ: عندي يقول: هذا الحديث إنه منقطع، والمنقطع من أقسام الضعيف؛ والإنسان قد يستبعد أن يقول الرسول: مجه, ثم يقول: لا أمجه أبدا, اللهم إلا أن يكون قد فهم من الرسول صلى الله عليه وسلم فهما آخر, وهو أن الأمر ليس للإلزام, فهذا ربما يقع منه .

السائل: خوار الثور صوت البقر ؟

الشيخ: نعم صوت البقر نعم .

الطالب: قال الزهري وعاصم بن عمر ومحمد بن يحيى بن حبان وغيرهم, كان يوم أحد يوم بلاء وتمحيص اختبر الله به المؤمنين وأظهر به المنافقين ممن كان يظهر الإسلام بلسانه وهو مستخف بالكفر, فأكرمه الله فيه من أراد الكرامة بالشهادة من أهل ولايته, فكان مما نزل من القرآن في يوم أحد ستون آية من آل عمران أولها: ((**وإذ غدوت من أهلك تبوء المؤمنين مقاعد للقتال**)) إلى آخر القصة .

الطالب: والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين؛ **قال ابن القيم رحمه الله تعالى في زاد المعاد: فصل فيما اشتملت عليه هذه الغزاة من الأحكام والفقه.**

الشيخ: يعني غزاة أحد .

الطالب: منها: أن الجهاد يلزم بالشروع فيه حتى إن من لبس لأمته وشرع في أسبابه وتأهب للخروج ليس له أن يرجع عن الخروج حتى يقاتل عدوه.

الشيخ: هذه المسألة اختلف فيها أهل العلم فمنهم من قال: إنه لا يلزم الجهاد بالخروج إليه أو الشروع فيه إلا عند التقاء الصفين لقوله تعالى: ((**يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار**)) وأن كون الإنسان إذا استعد ولبس لباس الحرب فإنه لا يرجع إنما هو خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم؛ ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما سبق: (**ما ينبغي لنبي لبس لامة الحرب أن يخلعها أو يدعها حتى يفتح الله بينه وبين عدوه**) وهذا هو المشهور من المذهب؛ ولكن ما ذهب إليه ابن قيم له وجه قوي, ووجه أنه إذا كان الحج يلزم بالشروع فيه وهو الجهاد الأصغر فالجهاد الأكبر من باب أولى؛ ولأن الناس لو تأهبوا وتجهزوا ثم رجعوا فإنه يكون في ذلك إذلال لهم وإعزاز للعدو وبث لروح الحياة لعدوهم؛ لأنهم إذا علموا أنهم بعد أن تأهبوا وخرجوا ولبسوا الدروع وسنوا السيوف تراجعوا تقوى شوكة العدو فيكون في هذا مفسدة؛ فما ذهب إليه ابن القيم رحمه الله أظهر وأصح مما ذهب إليه كثير من الفقهاء .

الطالب: ومنها أنه لا يجب على المسلمين إذا طرقهم عدوهم في ديارهم الخروج إليه, بل يجوز لهم أن يلزموا ديارهم ويقاتلوهم فيها إذا كان ذلك أنصر لهم على عدوهم, كما أشار به رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم يوم أحد .

الشيخ: واضح هذا, لأن هذا كان رأي النبي عليه الصلاة والسلام رأي الأشياخ من الصحابة؛ ولكن الذين أشاروا بالخروج هم الشباب الذين لم يشهدوا بدرا, فأحبوا أن يقاتلوا لأنهم لم يشهدوا بدرا؛ وهذا الذي ذهب إليه المؤلف صحيح, أنه يجوز أن نبقى في ديارنا حتى نقاتل العدو في وسط البلد؛ لكن لدينا قاعدة طردة ثابتة وهي: أن الشيء الجائز قد يكون حراما في بعض الأحيان وقد يكون واجبا؛ فإذا كان في بقائنا في البلد إذلال لنا وتعسر للقتال في الشوارع, وأن البروز حول البلد وجعل البلد محوطة بدرع بشري أقوى فإنه في هذه الحال يجب الخروج؛ لكن عند التساوي يمكن أن يقال كما قال ابن القيم رحمه الله بالجواز وكما دل عليه الحديث؛ أما إذا كان في ذلك ضرر فإننا لا نبقى؛ لأنه قد يكون من المصلحة أن نخرج ونحمي البلد من الخارج, ويكون من المضرة أننا نبقى؛ فإذا دخل العدو البلد لم نتمكن من إخراجه منها لاسيما وأن أساليب الحرب وأسلحة الحرب قد اختلفت عن ذي قبل، اختلفت اختلافا عظيما الآن .

السائل: الإنسان الذي قطع التذكرة وربط أحزمة حقائبه وتأهب للخروج فهل نقول له بناء على هذا القول لا يجوز الرجوع ؟

الشيخ: لا، قد نقول هذا فرد, ما يضر أن يرجع, ليس إماما قائدا كالرسول عليه الصلاة والسلام؛ هذا إذا رجع ما يضر, لاسيما إذا كان الناس ما تأهبوا ولا خرج إلا هو، ما أحد يخرج إلا هذا الرجل في جهة بعيدة .

السائل: شيخ لو وصل إلى بلد بعيد ؟

الشيخ: لا, حتى لو وصل مادام أنه فرد واحد؛ فالفرد الواحد ليس كالأمة, يعني لو تأخر فالجهاد باقي وقائم, وإنما إذا التقى الصفان فلا يجوز الرجوع ولا لواحد .

السائل: كيف الرد على استدلالهم بالآية عندما قالوا أنه يلزم الجهاد بالخروج ؟

الشيخ: استدلوا بالحديث, وقالوا إن الحديث أفاد معنى زائدا على ما دلت عليه الآية ؛ أن الرسول قال: (**ما ينبغي لنبي**).

السائل: قال لنبي ؟

الشيخ: أي نعم, هم يقولون الأصل فيه الأسوة، الأصل فيه الأسوة .

السائل: الآن ليس هناك التقاء مباشر بين الجيوش بالصفوف فكيف يلزم ؟

الشيخ: لا، فيه التقاء وفيه شيء ما فيه التقاء, يعني مثلا إذا ذهبنا للطائرات ونقول إنه حرب الطائرات، ذهبنا للطائرات وصلحناها وعددناها وجعلنا فيها وقودها وكل ما يتعلق بها هذا استعداد .

السائل: أقصد أن الجيش يكون في رباط مستمر يمكن القتال يبدأ في لحظة غير زمان, فمثلا الإمام لو نوى الضرب قلنا يرجع للنية, ثم طرأ عليه الرجوع للمصلحة كيف ؟,

الشيخ: بارك الله فيك الجهاد نوعان؛ جهاد دفاعي، وجهاد مهاجمة؛ طبعا جهاد الدفاع له أن يرجع حتى يأتيه من يهاجمهم؛ لكن جهاد الهجوم كما هو شأن المسلمين بالنسبة لأعدائهم هذا إذا تجهزوا وكان العدو عنده استعداد لهذا الشيء ومتجهز, لاشك أنه ضرر إذا تأخر .

الطالب: ومنها: جواز سلوك الإمام بالعسكر في بعض أملاك رعيته إذا صادف ذلك طريقه وإن لم يرضى المالك.

الشيخ: وذلك لأن هذا مصلحة عامة؛ والملك لا يتضرر بمرور الناس عليه, فإن تضرر فهذا هو الذي ينظر هل نقول إنه إذا تضرر الملك مثل أن يكون فيه أشجار، أشجار ضعيفة وحشائش إذا وطئها الجيش بأقدامهم فإنه تضرر فحينئذ قد نقول: إنهم لا يجوز لهم سلوكه إلا عند الضرورة؛ أما إذا كانت أرضا بيضاء أو كانت أشجارا قوية لا تتأثر بالمرور من تحتها كالنخيل فإن هذا لا يشترط إرضاء المالك لأن سيرهم في هذا مصلحة عامة بدون ضرر على المالك خاص .

السائل: كم أين مشروعية هذا الفعل ؟

الشيخ: الرجل الأعمى الذي قال: أنا لا أرضى لا أرضى وجعل يحث التراب عليهم نعم .

الطالب: ومنها: أنه لا يأذن لمن لا يطيق القتال من الصبيان غير البالغين بل يردهم إذا خرجوا كما رد رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن عمر ومن معه.

الشيخ: وقد سبق لنا أنه ردهم لعدم البلوغ أو ردهم لعدم الإطاقة, وبينا أنه ردهم لهذا وهذا, وأنه لو وجد من يطيق ولكنه لم يبلغ سن الخمس عشرة فإن الظاهر أنه إذا أذن يؤذن له, قصدي إذا استأذن فإنه يؤذن له لأن من الناس من يكون نموه جيدا فيكون في مبلغ الرجال وإن لم يبلغ .

السائل: إذا كان أمير الجيش أخذ سلاحا نارية في وقت الحرب ولو لم يكن مالكه راض لأخذ السلاح ؟

الشيخ: نعم إذا دعت الضرورة، إذا دعت الضرورة يجوز أن يأخذ من رعيته لأن رعيته يجب عليهم الجهاد في هذه الحال, بخلاف قصة صفوان بن أمية؛ لأن صفوان بن أمية إذ ذاك كان مشركا لا يلزمه أن يجاهد مع المسلمين؛ ولهذا لما قال: أغصبا يا محمد أم عارية ؟ قال: (**بل عارية مؤداة**).

الطالب: ومنها: جواز الغزو بالنساء والاستعانة بهن في الجهاد .

الشيخ: نعم هذا نأخذه من قصة فاطمة وغيرها؛ فإنه في أحد غزت النساء مع النبي صلى الله عليه وسلم لمداواة الجرحى ونحو ذلك لا للقتال, فإن المرأة ليس عليها قتال, لقول عائشة رضي الله عنها: سألت النبي صلى الله عليه وسلم: هل على النساء جهاد ؟ قال: (**عليهن جهاد لا قتال فيه الحج والعمرة**) ولأن المرأة لا يؤمن فرارها فيكون في ذلك مضرة على الجيش؛ ولأن النساء ربما يغرين العدو لأنه يستضعفهن ويطمع فيهن, فيزداد حنقا وإقداما؛ أما اصطحابهن من أجل المساعدة فيما يمكن أن يقمن به فهذا لا بأس به, وهو أيضا كما قلت لكم من باب المباح؛ والمباح إذا تضمن ضررا صار محرما.

الطالب: ومنها: جواز انغماس في العدو كما انغمس أنس بن النضر وغيره.

الشيخ: جواز الانغماس في العدو جائز لكنه ليس بواجب كما فعل أنس بن النضر حيث داهم المشركين وقاتلهم وقتل رضي الله عنه، وكما فعل البراء بن مالك في غزوة اليمامة فإنه رضي الله عنه طلب منهم أن يلقوه من رواء السور ليفتح لهم الباب على مسيلمة الكذاب؛ وكان رجلا شجاعا قويا فرموه من وراء السور حتى فتح لهم الباب فدخلوا؛ وأما انتحار الإنسان في القتال فإن هذا حرام, والمنتحر قاتل نفسه يعذب في جهنم بما انتحر به سواء كان سيفا أو سكينا أو رصاصة أو غير ذلك؛ لأنه لا يحل له أن ينتحر, مثل بعض المتهورين الذين يملئون أجسادهم من المتفجرات ثم يركض حتى يدخل في العدو؛ فهذا سيقتل أول ما يقتل نفسه ثم قد يقتل من العدو

قليلا أو كثيرا الله أعلم؛ فهذا لا يجوز .

فإن قال قائل: ما تقولون في قصة الغلام الذي دعاه الملك وأنكر عليه أن يعبد غيره, وأمر أن يذهب به إلى أعلى شاهق وإلى البحر ولكن الله تعالى ينجيه منه, ويأتي إلى الملك سالما, فقال للملك ذات يوم: إن كنت تريد قتلي فاجمع الناس، اجمع الناس كلهم, وخذ سهما من كنانتي وضعه في كبد القوس ثم ارمني به وقل: باسم رب الغلام, فإنك حينئذ تقدر على قتلي؛ ففعل الملك، جمع الناس وفعل ما أوصى به الغلام وقتله؛ فأصبح الناس يقولون: الرب رب الغلام وأسلموا؛ فهذا الرجل أعان على قتل نفسه ودل على قتل نفسه, ومع هذا فهو محمود، فهو محمود عند الله وشهيد ؟

فالجواب عن هذا أن نقول: إن هذا الرجل استفاد من قتل نفسه ما يقاتل الناس من أجله وهو الإسلام؛ فالمجاهدون في سبيل الله يقاتلون من أجل الإسلام وهذا حصل؛ فإذا فرض أن الإنسان يترتب على قتل نفسه إسلام طائفة من الناس، وطائفة كبيرة أمة يقودها هذا الأمير أو هذا الملك؛ فإن هذا لا بأس به، لا بأس به ولا حرج أن يفعل ما يكون به موته من أجل إسلام فئام من الناس.

السائل: شيخ ذكر بعض الفقهاء أن المرأة التي يجوز لها أن تخرج للجهاد مع الرجال أن تكون كبيرة السن مع أمن الفتنة ... ؟

الشيخ: على كل حال هذا قد يقال فيها نظر, إنما المدار على أن الفتنة صحيح, يعني جعل المدار على أمن الفتنة صحيح؛ وأما الصغر فكانت فاطمة صغيرة في غزوة أحد.

الطالب: ألا يقال أن حديث الغلان شرع من كان قبلنا ؟

الشيخ: بلى يقال, لكن إذا لم يرد شرعنا بخلافه فلا بأس به يعني يعمل به .

السائل: بعض الناس يأتي بسيارة له فيملؤها بالملغمات والقنابل ثم يهجم على معسكر للعدو, ثم يقول: إنني أحاول أن أنجوا فإن استطعت فذلك وإلا فقد قتلت ؟

الشيخ: أي إيش الغالب ؟

السائل: الغالب أنه يقتل؛ الشيخ: الغالب يقتل نفسه ؟ أي نعم .

السائل: لأن فيه احتمال أن ينجو, مثل الرجل الذي ألقي من فوق السور بين الأعداء وقتل؛ ما يقال هذا مثله ؟

الشيخ: لا ما يقال؛ السائل: لأنه فيه احتمال أن ينجو ؟

الشيخ: لا، احتمال ضعيف جدا سيارة فيها متفجرات, لو نجا من متفجرات السيارة ما نجا من العدو وهو داخل بينهم .

السائل: أليس هذا مثل الصحابي الذي ألقي من فوق السور ؟

الشيخ: لا هذا ليس مثله, هذا يعني تتفقون أنه مائة في المائة سيقتل؛ أما ذاك فهو رجل جلد نشيط كبير مثل الجمل, أي واحد عنده يندره هناك .

السائل: إذا كان يأمل أنه فيه احتمال،

الشيخ: إذا فيه احتمال لا بأس, إذا فيه احتمال النجاة, وقوي الاحتمال هذا فلا بأس .

الطالب: ومنها: أن الإمام إذا أصابته جراحة صلى بهم قاعدة وصلوا ورائه قعودا كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الغزوة واستمرت على ذلك سنته إلى حين وفاته .

الشيخ: نعم هذا مر علينا عن قرب بأن الإمام إذا صلى قاعدا .

الطالب: ومنها: أن الإمام إذا أصابته جراحة صلى بهم قاعدا وصلوا ورائه قعودا كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الغزوة واستمرت على ذلك سنته إلى حين وفاته .

الشيخ: نعم هذا مر علينا عن قرب بأن الإمام إذا صلى قاعدا فالمشروع في حق المأمومين أن يصلوا قعودا إما وجوبا وإما استحبابا على خلاف في هذا .

السائل: قتل النفس قلنا ينبني على المصلحة كما في قصة الغلام وأحيانا فتح ثغرة في جيش العدو يكون انتصارا ينبني عليه انتصار الجيش المسلم ؟

الشيخ: نعم لكن هذا الفتح لا يلزم منه الإسلام؛ أما هذا فهو يلزم منه الإسلام, لأنهم عرفوا بطلان ألوهية هذا الملك وأن الرب حقيقة هو رب الغلام .

السائل: ما يقاس عليه يعني ؟

الشيخ: لا ما يصح القياس عليه؛ هذا غاية ما هناك يقتل أمة أو يفتحون مثلا بلدا لكنه ليس كذلك.

السائل: مثلا في المدينة التي فيها تدريب لكن تدريب بأسلحة بسيطة, وفي الخارج التدريب بأسلحة كثيرة ومختلفة, هل يحق له أن يسافر للخارج ليتدرب ؟

الشيخ: أيه ما فيه شك, أنه إذا صار أصلح وأنفع فلا بأس .

السائل: ما حكم من يستدل بحديث خروج النساء للجهاد بتطوع المرأة في الميدان الطبي ؟

الشيخ: نجيب عليهم بأن الرسول ما كان يفتح باب التطوع للنساء على سبيل التعميم أبدا, لكن هؤلاء احتاج الناس إليهم لأنك تعرف أن العدو ثلاثة آلاف وهؤلاء سبع مائة, ثم المسافة قريبة ما بين أحد والمدينة ما تحتاج إلى سفر، ثم إنهن أيضا ليس يباشرن بالقتال وإنما يداوين المرضى، ثم إن المسألة قبل الحجاب أيضا لأن غزوة أحد في السنة الثالثة والحجاب في السنة الخامسة أو السادسة فليس فيها دليل؛ لكن هكذا من كان له هوى يتشبث بكل شيء .

السائل: يستدل بالمرأة التي ضربت ابن قمئة بالسيف ؟

الشيخ: نعم كل هذا كان قبل الحجاب .

الطالب: ومنها: جواز دعاء الرجل أن يقتل في سبيل الله وتمنيه ذلك, وليس هذا من تمني الموت المنهي عنه, كما قال عبد الله بن جحش: " **اللهم لقني من المشركين رجلا عظيما كفر شديدا حرده, فأقاتله فيقتلني فيك ويصلبني ثم يجدع أنفي وأذني فإذا لقيتك فقلت: يا عبد الله بن جحش فيم جدعت ؟ قلت: فيك يا رب** ".

الشيخ: معلوم أن تمني الموت أن يتمنى الإنسان الموت للتخلص من الدنيا, وأما هذا فقد تمنى الشهادة, ولهذا لا نقول إن قول يوسف عليه الصلاة والسلام: ((**أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين**)) لا نقول إنه تمنى الموت, وإنما تمنى أن يموت مسلما يعني ولو بعد عمر طويل؛ كذلك الذي يتمنى الشهادة ليس يتمنى الموت؛ ومن ثم نأخذ أن من ذهب إلى القتال ليقتل فيستريح من الدنيا فإنه ليس بشيء؛ لأنه يوجد من الناس ملوا من الدنيا وتعبوا مع أهليهم وتعبوا مع المجتمع, رأوا أن المجتمع مجتمع ليس بجيد فقالوا: نذهب نقاتل لنقتل ونستريح؛ هؤلاء ليسوا بشهداء؛ لأن الشهيد هو الذي يقاتل لتكون كلمة الله هي العلياء؛ بقي حالة ثالثة وسط إذا قاتل للشهادة فقط, يعني لينال الأجر فقط لا لتكون كلمة الله هي العلياء؛ فهل يكون شهيدا أو لا ؟

فالمراتب ثلاثة: المرتبة الأولى: أن يقاتل لتكون كلمة الله هي العلياء فيقتل؛ فهذا لاشك أنه شهيد؛ الثانية: أن يقاتل حمية وشجاعة ويرى مكانه, ولأجل أن يستريح من الدنيا وهمها وغمها, فهذا ليس بشهيد؛ ومنه أن يقاتل من أجل الوطن لا لإقامة الإسلام في الوطن بل للوطن نفسه لأنه وطنه, فهذا أيضا إذا قتل ليس بشهيد؛ المرتبة الثالثة الوسط: إذا قاتل ليقتل شهيدا, يعني قصده الأجر فقط أما كلمة الله فلا يهمه أن تعلوا أن تدنوا؛ فهل نقول إن هذا يكون له أجر الشهداء أو لا ؟ إذا نظرنا إلى قول الرسول عليه الصلاة والسلام: (**من قاتل لتكون كلمة الله هي العلياء**) أوجب لنا ذلك أن نقول إن هذا ليس بشهيد؛ وإذا نظرنا إلى أن هذا الرجل أرادا الشهادة التي لا تكون إلا بعد النية الصحيحة فقد نقول إنه ينال أجر الشهادة لقول النبي عليه الصلاة والسلام: (**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى**) وعلى كل حال فينبغي أن ننبه الشباب الذي يذهبون إلى الجهاد في أفغانستان أو في غيرها, إلى أن ينووا أنهم يقاتلون لتكون كلمة الله هي العليا لا لنيل الشهادة, لأن الشهادة مبنية على نية سابقة وهي أن تكون كلمة الله هي العليا .

السائل: ما حكم تمني الموت إذا خشي على نفسه الفتنة ؟

الشيخ: أي نعم هذا أيضا لا يجوز؛ بل يقول: إن أردت في عبادك فتنة فاقبضني إليك غير مفتون؛ فهو بدلا أن يقول: اللهم أمتني, يقول: اللهم اقبضني إليك غير مفتون، ويسلم .

السائل: إذا كان رجل عنده فائدة كثيرة للناس يعني شيء يستفيد الناس منه, فهل الشهادة أفضل عنده أو قعوده عن الجهاد, يعني إذا مشى إلى المعركة يموت ؟

الشيخ: وقد ينجوا؛ لكن يوما واحدا تستفيد منه الأمة من علمه أفضل من يوم واحد يذهب إلى هناك؛ ولهذا جعل الله طلب العلم عديلا للجهاد، فقال: ((**وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلو لا نفرا من كل فرقة منهم**

طائفة ليتفقهوا في الدين)) يعني يكونوا طائفتين طائفة تخرج للجهاد وطائفة تبدأ التفقه في دين الله ((**ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون**)) فإذا قارنا بين الجهاد والعلم من حيث هو جهاد وعلم فقد نقول بالتساوي وقد نقول بأن العلم أفضل؛ أما إذا إعبرنا كل واحد بعينه فإننا نقول لبعض الناس الجهاد في حقك أفضل, ولآخر العلم في حقك أفضل؛ فمثلا إذا جاءنا رجل شجاع قوي البدن مقدام فهمه رديء حفظه رديء فهنا نقول له الجهاد أفضل؛ ولو جاءنا رجل يتوقد ذكاء ووعاء حفظ وطالب علم مجد, وقد لا يكون عنده تلك الشجاعة فهذا نقول له: طلب العلم أفضل لاشك .

السائل: ما هو الضابط في عمليات الفدائية ؟

الشيخ: الفدائي أما من جهة من يعلم أنه سيموت فهذا لا يجوز, أما إذا غامر ولكنه لا يقتل نفسه هو إنما يقتله العدو فهذا لا بأس به, مثل ما فعل أنس بن النضر وغيره .

الطالب: ومنها: أن المسلم إذا قتل نفسه فهو من أهل النار لقول النبي صلى الله عليه وسلم في قزمان الذي أبلى في يوم أحد بلاء شديدا فلما اشتدت به الجراح نحر نفسه فقال صلى الله عليه وسلم: (**هو من أهل النار**).

الشيخ: نعم هذا كما قال المؤلف, أن الإنسان إذا قتل نفسه ولو كان يجاهد في سبيل الله فإنه من أهل النار؛ وهل يكون مخلدا فيها أو يعذب ثم يخرج ؟ الحديث الوارد أنه مخلد فيها, خالدا مخلدا أبدا؛ وأنه لا يخرج منها؛ وذلك لأن نفسه خرجت وهو غير مؤمن؛ فإن الإنسان لا يقتل النفس المحرمة بغير حق حين يقتلها وهو مؤمن؛ فيخلد فيها؛ وقد يقال إنه يكون مخلدا في النار بحسب ذنوبه إذا كان حين موته حين قبض روحه وفيه إيمان؛ أما إن كان قد انخلع من الإيمان فإن هذا يخلد تخليدا أبديا .

السائل: هل صحيح أن حسان بن ثابت كان يخاف من المعركة ؟

الشيخ: نعم هو نقل عنه أنه رضي الله عنه ليس بذاك الشجاع, والله أعلم؛ بعيد الذي يرى حاله وقصائده يستبعد منه ذلك .

السائل: قلنا إن النساء كن يجاهدن قبل فرض الحجاب وأم عمارة جاهدت في حرب الردة ؟

الشيخ: في عهد أبي بكر رضي الله عنه ؟

السائل: نعم؛

الشيخ: يمكن هذا عند الضرورة ، عند الضرورة حتى المرأة تقاتل, كل واحد يقاتل عند الضرورة .

السائل: في بعض الدول من أنواع التعذيب أنهم يطبخون الرجل كما تطبخ اللحمة في قدر ماء, ويكون القتل أهون منه, فهل يقتل نفسه خوفا من التعذيب الذي ربما لا يستطيع تحمله ؟

الشيخ: ما تقولون في هذا الكلام ؟ يقول إن قتل نفسه أهون من هذا ؟ ما هو صحيح، الواجب أن يصبر لأن الرسول أخبر بأن من كان قبلنا يمشط ما بين لحمه وعظمه بأمشاط الحديد ويشق نصفين ويصبر؛ وهو إذا جاءه الأمر من غيره فهو غير ملوم, لكن إذا جاء الأمر من نفسه مشكلة .

الطالب: ومنها: أن السنة في الشهيد أنه لا يغسل ولا يصلى عليه ولا يكفن في غير ثيابه, بل يدفن فيها بدمه وكلومه إلا أن يسلبها فيكفن في غيرها .

الشيخ: نعم يؤخذ هذا من أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يصل على شهداء أحد ولم يغسلوا ولم يكفنوا. وإنما دفنوا بثيابهم وجروحهم, بل حينما نقلوا إلى المدينة أمر النبي صلى الله عليه وسلم بردهم إلى مصارعهم فدفنوا هناك؛ وقد بينا السبب في هذا, وهو أن المقتول في سبيل الله يبعث يوم القيمة وجرحه يثعب دما اللون لون الدم والريح ريح المسك, ومثله الجهاد الأصغر فإن أحد الصحابة وقصته راحلته وهو واقف بعرفة فقال النبي عليه الصلاة والسلام: (**اغسلوه بماء وسدر وكفنوه في ثوبيه ولا تخمروا رأسه ولا تحنطوه فإنه يبعث يوم القيامة ملبيا**) فأمر النبي عليه الصلاة والسلام أن يدفن في ثيابه, يكفن في ثيابه أي في ثياب الإحرام التي عليه؛ وهذه هي السنة إذا مات المحرم قبل أن يتحلل فإنه يدفن في ثيابه, في الإزار والرداء لكن يكفن يغطى إلا وجهه؛ وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه يبعث يوم القيمة ملبيا؛ وهذا الذي قتل في سبيل الله يبعث يوم القيمة وجرحه يثعب دما لكنه ليس كدمنا في الدنيا، لونه لون الدم وريحه ريح المسك، طيب من أطيب الطيب أي نعم .

السائل: إذا خشي على نفسه أن يلحقه العدو وأنه يعني يعطيهم ما عندهم من الأسرار العسكرية ما يكون فيه مفسدة, فهل يقتل نفسه من أجل الحفاظ على هذه الأسرار ؟

الشيخ: لا يجوز أن يقتل نفسه أبدا، قتل النفس يا إخواني محرم من كبائر الذنوب, وكونه أن أخشى أن يمسكونني فيسلطون علي النوم المغناطيسي وأتكلم لهم بكل ما في دماغي؛ نقول هذا ليس منكن هذا من العدو, وإلا كان نقول إذا أسرت العدو أيضا فاقتل نفسك إذا خشيت من التعذيب .

السائل: هل يجب دفن الشهداء في مصارعهم ... ؟

الشيخ: لا ، نقول لهم ردوهم إلى مصارعهم؛

السائل: هل من خالف قلنا بالتحريم ؟

الشيخ: والله ما أدري, إن كان أحد قال بالوجوب فقد نقول بالوجوب, وإن كان ما فيه أحد قال بالوجوب كما أن الذي هو معروف أنه سنة وليس بواجب .

السائل: بالنسبة إذا سلط العدو على المسلمين وهتك أعراضهم فهل لهم قتل أنفسهم ؟

الشيخ: أفهمت يا أخي الزنا أهون من القتل ؛

السائل: هي تقول لو أعلم أنهم يقتلوني ما قتلت نفسي,

الشيخ: لا، هي تصبر عليه يجب تصبر عليه .

الطالب: ومنها أنه إذا كان جنبا غسل كما غسلت الملائكة حنظلة بن أبي عامر .

الشيخ: نعم هذا فيه نظر, وقد سبق الكلام عليه وبينا أن الصحيح أنه لا يغسل لأن كثيرا من الشهداء كان الرسول يدفنونهم ولا يسأل؛ وقد يقال: إن الأصل عدم وجود المانع, ولهذا لا نسأل إذ استفتينا في شيء لا نسأل عن وجود المانع؛ فلو قال لنا قائل مثلا: مات شخص عن أخ شقيق وأخ من أب؛ ليس من حقنا أن نقول بل ليس واجبا علينا أن نقول: هل الأخ مخالف له في الدين أو لا ؟ ما يجب؛ ولو سألنا سائل وقال: إنه طلق امرأته؛ فليس واجبا علينا أن نقول: هل طلقتها في حيض أو في طهر جامعتها فيه؛ بل نفتيه بما يقتضي هذا السبب؛ فكذلك غيرهم الذين قتلوا في سبيل الله لا يلزم أن نستفصل هل هم جنب أم لا؛ فنجيب عن هذا بأن هذا الاحتمال احتمال وارد قوي؛ ولكن تغسيل الملائكة له . إن صح الحديث أيضا كما سبق إن الحديث مرسل إن صح الحديث . فإن تغسيل الملائكة له من باب الكرامة, وذلك لأن الملائكة لا تغسله بالماء ولا بالسدر إنما هو أمر غيبي، أكرم هذا الرجل حتى غسلته الملائكة؛ فالصحيح أنه لا يلزم تغسيله ولو علمنا أنه استشهد جنبا.

السائل: إذا علمنا أن السائل لا يعلم عن طلاق الحائض ... ؟

الشيخ: لا لا، ينوون الآن، الآن صاروا فقهاء في مسألة طلائق الحائض, لأنه يجيء وهو قد طلق حائض, هذه الطلقة الثالثة لكن ترى أول مرة ترى حائض؛ أفهمتم الطلقة هذه ؟ الثاني ويراجع, والطلقة الثانية في طهر جامعتها فيه؛ والثالثة هذه في غضب شديد؛ راحت يعني الآن أخذوا هذه الأحكام ما شاء الله فقهوها تماما أشد من معرفتهم لأركان الصلاة .

ولهذا أنا أتعجب أحيانا يجينا ناس من البادية الذين ما تعلموا ولا فقهوا يقول: ترى طلقت زوجتي في طهر جامعتها فيه. سبحان الله, يمكن لو سأله عن فرض من فروض الوضوء قال: والله ما أعرف.

السائل: الشهيد إذا كفن هل يكشف رأسه فقط أو الوجه ؟

الشيخ: الذي في الصحيحين: (لا تخمروا رأسه) فقط لكن في رواية ثانية لمسلم: (ولا وجهه) ولكن كثير من علماء المحدثين أعلوا هذه الرواية ولم يأخذوا بها .

السائل: من قتل نفسه ثم لم يمت وتاب فهل تقبل توبته ؟

الشيخ: يتوب الله عليه .

الطالب: ومنها: أن السنة في الشهداء أن يدفن في مصارعهم ولا ينقلوا إلا مكان آخر؛ فإن قوما من الصحابة نقلوا قتلاهم إلى المدينة فنادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأمر برد القتلى إلى مصارعهم, قال جابر: (**بينا أنا في النظارة إذ جاءت عمتي بأبي وخالي عادلتهما على ناضح فدخلت بهما المدينة ليدفنهما في مقابرنا وجاء رجل ينادي: ألا إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركم أن ترجعوا بالقتلى فتدفنوها في مصارعها حيث قتلت؛ قال: فرجعنا بهما فدفناهما في القتلى حيث قتلا؛ فبينا أنا في خلافة معاوية بن أبي سفيان إذا جاءني رجل فقال: يا جابر والله لقد أثار أباك عمال معاوية فبدا فخرج طائفة منه قال: فأتيته فوجدته على النحو الذي تركته لم يتغير منه شيء, قال: فواريته, فصارت سنة في الشهداء أن يدفنوا في مصارعهم**).

الشيخ: هذا كما سبق أنه ينبغي أن يدفن الشهداء في مصارعهم؛ وفي هذا كرامة لعبد الله بن حرام رضي الله عنه والد جابر حيث إنه بقي هذه المدة الطويلة ولم يتغير منه شيء, يعني أن الأرض لم تأكل منه شيئا؛ وهذا قد يقع في بعض المؤمنين لكنه غير مجزوم به؛ أما بالنسبة للأنبياء فإنه يقع قطعا لأن النبي صلى الله عليه وسلم لما سئل: كيف نصلي عليك وقد أرمت أي صرت رميما؛ فقال: (**إن الله قد حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء**) لكن غيرهم قد يقع هذا كرامة؛ وفي هذا دليل في فعل جابر دليل على أنه لو انفتح شيء من القبر بأمطار أو بحفر سباع أو ما أشبه ذلك فإنه يوارى ويدفن ولا يترك .

السائل: في هذه المسألة: لا يكفن شهيدا ولا يغسل فهل هذا كل من مات في المعركة ؟ لأن الله أعلم من هو شهيد ومن ليس بشهيد ؟

الشيخ: كل من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو شهيد .

السائل: يعني في الحرب قاتل وقتل يعني أكثر الناس في أفغانستان مثلا قتلوا في المعركة وما نقدر نقول هؤلاء كلهم شهداء ؟

الشيخ: إلا, هذا الأصل، هذا هو الأصل لكن لا نشهد له؛ أحكام الدنيا على الظاهر؛

السائل: على كل الشهداء ؟

الشيخ: أي نعم, كل الشهداء في أحكام الدنيا لكن ما نقول هو شهيد في الآخرة بمعنى أنه يرزق عند ربه وأنه من أهل الجنة .

السائل: يعني ما نحكم بالجنة لكن شهيد في الدنيا ؟

الشيخ: نعم .

السائل: إذا كانت الملابس التي على الجندي ملابس عسكرية يستفاد منها, وكانت قليلة لا تكفي في تكفينه فماذا يفعل ؟

الشيخ: تحط على رجله مثلا جوارب وعلى رأسه قبعة ويدفن.

السائل: ما تؤخذ الملابس ؟

الشيخ: ما تؤخذ، لا ما تؤخذ.

السائل: إن كان فيها خوذة حديدية مثلا هل توضع معهم؟

الشيخ: لا، الخوذة الظاهر أنها تعد من السلاح تؤخذ, كما أنه لو كان عليه جنابية ورشاش وغيره نأخذها منه .

السائل: شيخ حديث: (**من قتل دون ماله فهو شهيد**) هل هذا الحديث صحيح ؟

الشيخ: هذا صحيح, لكنه ليس شهيد معركة، شهيد عند الله كشهادة المبطون والمطعون؛ والشهادة مراتب؛ أما الشهيد الذي يكون شهيد معركة فهذا هو الذي له أحكام الشهيد في الآخرة وفي الدنيا.

الطالب: ومنها: جواز دفن الرجلين أو الثلاثة في القبر الواحد؛ فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدفن الرجلين والثلاثة في القبر ويقول: (**أيهم أكثر أخذا للقرآن ؟ فإذا أشاروا إلى رجل قدمه في اللحد**)؛ ودفن عبد الله بن عمرو بن حرام وعمرو بن الجموح في قبر واحد لما كان بينهما من المحبة فقال: (ادفنوا هذين المتحابين في الدنيا في قبر واحد)؛ ثم حفرا عنهما بعد زمن طويل ويد عبد الله بن حرام على جرحه كما وضعها حين جرح, فأميطت يده عن جرحه فانبعث الدم فردت إلى مكانها فسكن الدم .

الشيخ: الله أكبر؛ هذا أيضا من الكرامات؛ لأن المعروف أن الميت إذا مات غاض الدم، غاض دمه فلم يخرج منه شيء لكن هذا من كرامة الله سبحانه وتعالى لهذا الرجل عبد الله بن حرام, فإن الله سبحانه وتعالى أكرمه بأن الأرض لم تأكل منه شيئا, وبأن جسمه بقي طريا كأنه حي إذا رفعت يده عن جرحه انبعث الدم؛ سبحان الله.

وفيه دليل على أن هذه الطبيعة ليست هي التي تدبر الكون وأن الكون يجري بتقدير الله عزوجل لا بالطبيعة لأن مقتضى الطبيعة أن هذا الذي مات وله مدة طويلة تحت التراب لا يمكن أبدا أن يكون فيه دم أبدا؛ لكن هذا خلاف ما تقتضيه الطبيعة, والله سبحانه وتعالى على كل شيء قدير .

الطالب: وقال جابر: رأيت أبي في حفرته حين حفر عليه كأنه نائم وما تغير من حاله قليل ولا كثير؛ قيل له: أفرأيت أكفانه ؟ فقال: إنما دفن في نمرة خمر وجهه وعلى رجليه الحرمل, فوجدنا النمرة كما هي والحرملة على رجليه على هيئته, وبين ذلك ست وأربعون سنة .

الشيخ: سبحان الله؛ هذا أيضا من آيات الله, لأن المعروف أن الأرض تأكل الثياب, تأكل الأكفان تأكل الحرمل، الحرمل معروف شجر معروف؛ تعرف يا أخ ؟ معروف، تأكله الأرض ما يبقى لكن هذا أيضا من كرامة الله؛ كل خارق للعادة يظهره الله سبحانه وتعالى لولي فهو كرامة, وإن أظهره الله لنبي فهو آية, وإن كان يسموها والمشهور عند الناس معجزة؛ وإن أظهره الله سبحانه وتعالى لغير ولي ولا نبي على خلاف مراده فهو إهانة، على خلاف مراد الرجل ما هو مراد الله؛ فهو إهانة.

إذا خوارق العادات ثلاثة أقسام: آيات، وكرامات، وإهانات؛ فما كانت للتأييد فإن كانت على يد نبي فهي آية, أو ولي فهو كرامة؛ وما كان على سبيل الإهانة . وهو ما جاء على خلاف مراد الرجل . فهي إهانة؛ ومن ذلك ما يذكر أن مسيلمة الكذاب جيء إليه فدعي بوصف الرسالة يعني قيل له: يا رسول الله عندنا بئر غار ما فيها إلا ماء قليل فلو أتيت إليها لعله يزيد الماء؛ فجاء إليها فأخذ من مائها فتمضمض به ومجه فيها فغار الماء الذي كان موجودا، فغار الماء الموجود؛ إذا هذا إهانة أو آية ؟ نعم هذه إهانة لاشك ما هي تأييد له؛ وجيء إليه برجل فيه قزع ما ينبت شعره كثيرا, فطلب منه أن يمسح على رأسه من أجل أن ينبت بقية الشعر؛ فلما مسح رأسه سقط الشعر الموجود؛ فالله أعلم هذه تذكر في التاريخ، لكن ليس ذلك على الله بعزيز أن يخرج شيئا عن العادة إهانة لهذا الرجل لأنه كذاب .

السائل: إذا جاءت على المراد ؟

الشيخ: ما تأتي على المراد اللهم إلا فتنة؛ لأنه إذا جاءت على المراد لكانت تأييدا للباطل؛

السائل: للاستدراج يعني ؟

الشيخ: ما تأتي الكرامات الخوارق ما تأتي على وفق المراد أبدا إلا لأنها لو جاءت على وفق المراد وهو يدعي ذلك وصارت هذه آية تشهد له, مشكل .

السائل: شيخ والدجال ؟

الشيخ: الدجال أخبرنا به، وأخبرنا بأنه سيكون كذا ويكون كذا. وأعلم عنه الرسول يعني معناه عندنا علم مسبق, نعرف أن هذا سيكون؛ والآيات التي تشهد هي التي تكون على حسب تحدي هذا الرجل .

السائل: طيب المشعوذين يا شيخ ؟

الشيخ: هذا من الجن، المشعوذين من الجن .

الطالب: وقد اختلف الفقهاء في أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يدفن شهداء أحد في ثيابهم هل هو على وجه الاستحباب والأولية أو على وجه الوجوب على قولين؛ الثاني أظهرهما وهو المعروف عن أبي حنيفة, والأول هو المعروف عن أصحاب الشافعي وأحمد .

الشيخ: الثاني ما هو ؟ على وجه الوجوب نعم .

الطالب: فإن قيل: فقد روى يعقوب ابن أبي شيبة وغيره بإسناد جيد أن صفية أرسلت إلى النبي صلى الله عليه وسلم ثوبين ليكفن فيهما حمزة, فكفنه في أحدهما وكفن في الآخرة رجلا آخر؛ قيل: حمزة, كان الكفار قد سلبوه ومثلوا به وبقروا عن بطنه واستخرجوا كبده فلذلك كفن في كفن آخر؛ وهذا القول في الضعف نظير قول من قال يغسل الشهيد, وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى بالإتباع .

الشيخ: وهذا معلوم لو أن الكفار لما قتل الرجل سلبوه يعني أخذوا ثيابه؛ فهنا نكفه بثياب أخرى لتعذر التكفين في ثوبه؛ أما إذا كانت ثيابه باقية فإننا نكفه في ثوبه كما أمر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم .

السائل: هل يجوز الدفن في المقابر الجماعية ؟

الشيخ: لا بأس عند الضرورة، عند الضرورة لا بأس .

السائل: إذ صعب دفن وحفر مقبرة لكل واحد ؟.

الشيخ: أي أقول عند الضرورة؛ الرسول دفن الثلاثة والاثنين في قبر واحد, وفي ذلك الوقت ما فيه آلاف ومعدات تستطيع أن تحفر ما يكفي لخمسين نفر .

السائل: وعند الحاجة ؟

الشيخ: عند الحاجة إن قلنا بأن جمع اثنين فأكثر في قبر واحد مكروه فهو عند الحاجة يجوز؛ وإذا قلنا إنه حرام فإنه لا يجوز إلا عند الضرورة؛ وفي المسألة قولان معروفان للعلماء؛ شيخ الإسلام ابن تيمية وجماعة من العلماء يرون أنه مكروه؛ والمشهور من المذهب أنه حرام .

السائل: يذكر أن بعض الكرامات التي تحصل لبعض الشهداء أن الرجل بعد قتله في سبيل الله قد يتحرك أو يتبادر منه إشارات فهل هذا صحيح ؟

الشيخ: والله إذا ثبت، إذا ثبت إذا رئي برأي العين يمكن, والحركة هذه قد تقع حتى من غير الشهداء, لكنها المصافحة هي التي تدل على إرادة وكيف يريد وقد مات, لكن إن صح هذا, وهذا يحتاج إلى سند رجاله ثقات معروفين بالحفظ ومعروفين بالأمانة؛ فأنت سلسل لنا هذا الخبر برجال ثقات ونقول صحيح, وإلا فنقول الله أعلم لا نصدق ولا نكذب .

السائل: حاليا كما يحدث في أفغانستان قد يصعب دفن الشهداء في مصارعهم, فماذا يفعل ؟

الشيخ: هو على كل حال إذا لم يمكن سقط الوجوب .

السائل: مطردة في كل حال,

الشيخ: القاعدة : ((**فاتقوا الله ما استطعتم**)).

الطالب: ومنها: أن شهيد المعركة لا يصلى عليه؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يصل على شهداء أحد ولم يعرف عنه أنه صلى على أحد ممن استشهد معه في مغازيه, وكذلك خلفاءه الراشدون ونوابهم من بعدهم؛ فإن قيل: فقد ثبت في الصحيحين من حديث عقبة بن عامر أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج يوما فصلى على أهل أحد صلاته على الميت ثم انصرف إلى المنبر؛ وقال ابن عباس: صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على قتلى أحد؛ قيل: أما صلاته عليهم فكانت بعد ثمان سنين من قتلهم قرب موته كالمودع لهم ويشبه.

الشيخ: بعد ثمان سنينٍ هل قلتها قصدا إتباعا للغة ؟

الطالب: لا ما قلتها إتباعا للغة؛

الشيخ: أجل أي شيء ؟

الشيخ: انطقها على الصواب ؟

الطالب: سنينَ, الشيخ: ((**ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادا تسعا**)) سنينَ؛ طيب فيها لغة ثانية يا أخ هداية الله ؟

الطالب: سنينٍ؛

الشيخ: سنينٍ؛ وفي ذلك يقول ابن مالك ؟

الطالب: نسيت؛

الشيخ: طيب أي شيء يقول ؟

ومثل حين قد يرد ذا الباب وهو عند قوم يطرد ؛

الطالب: قيل: أما صلاته عليهم فكانت بعد ثمان سنينَ من قتلهم قرب موته كالمودع لهم, ويشبه هذا خروجه إلى البقيع قبل موته يستغفر لهم كالمودع للأحياء والأموات, فهذه كانت توديعا منه لهم لا أنها سنة الصلاة على الميت؛ ولو كان ذلك كذلك لم يؤخرها ثمان سنين لاسيما عند من يقول لا يصلى على القبر أو يصلى عليه إلى شهر .

الشيخ: صحيح؛ هذا جواب واضح؛ لكن ذكر في الحاشية أظن في صفحة؛ مائتين وأربعة عشر؛ أي على قوله: ومنها أن السنة في الشهيد أنه لا يغسل ولا يصلى عليه؛ قال: فيه أنه قد ثبت في غيره ما حديث عنه صلى الله عليه وسلم أنه صلى على شهداء أحد وغيره, فقد أخرج النسائي والطحاوي من حديث قتادة بن الهاد أن رجلا من الأعراب جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فآمن به واتبعه ثم قال: أهاجر معك فأوصى به النبي صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه, فلما كانت غزوة خيبر غنم النبي صلى الله عليه وسلم فيها شيئا فقسم وقسم له فأعطى أصحابه ما قسم لهم وكان يرعى ظهرهم فلما جاء دفعوه إليه؛ قال: ما هذا ؟ قالوا: قسمه لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذه فجاء به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ما هذا ؟ قال: (**قسمته لك**)؛ قال: ما على هذا اتبعتك ولكني أتبعك على أن أرمى إلى ههنا . وأشار إلى حلقه . بسهم فأموت فأدخل الجنة؛ فقال: (**إن تصدق الله يصدقك**)؛ فلبثوا قليلا ثم نهضوا في قتال العدو فأتي به النبي صلى الله عليه وسلم يحمل قد أصابه سهم حيث أشار؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (**أهو هو** ؟) قالوا: نعم قال: (**صدق الله فصدقه**)؛ ثم كفنه النبي صلى الله عليه وسلم في جبة النبي صلى الله عليه وسلم ثم قدمه فصلى عليه, فكان فيما ظهر من صلاته: (**اللهم إن هذا عبدك خرج مهاجرا في سبيلك فقتل شهيدا أنا شهيد على ذلك**) وسنده صحيح وصححه الحاكم وأقره الذهبي؛ وأخرج الطحاوي في شرح معاني الآثار من حديث عبد الله بن الزبير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتي يوم أحد بحمزة فسجي ببردة ثم صلى عليه فكبر تسع تكبيرات ثم أتي بالقتلى يصفون ويصلي عليهم وعليه معهم؛ وسنده جيد وله شاهد عند أحمد من حديث ابن مسعود وسنده قوي؛ وآخر من حديث ابن عباس عند الدارقطني والحاكم وابن ماجه؛ انظر نصب الراية؛ وأخرج أبو داود والدارقطني والحاكم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بحمزة وقد مثل به ولم يصل على أحد من الشهداء غيره, يعني شهداء أحد, وسنده حسن، ومراده والله أعلم أنه لم يصل على غيره استقلالا فلا يعرف الصلاة على غيره مقرونا به كما تقدم في حديث عبد الله بن الزبير؛ ففي هذه الأحاديث مشروعية الصلاة على الشهداء لا على سبيل الإيجاب, لأن كثيرا من الصحابة استشهد في غزوة بدر وغيرها ولم ينقل أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى عليهم ولو فعل لنقل عنهم؛ وقد جنح المؤلف رحمه الله في تهذيب السنن إليه فقال: " **والصواب في المسألة أنه مخير بين الصلاة عليهم وتركها لمجيء الآثار بكل واحد من الأمرين؛ وهذا إحدى الروايات عن الإمام أحمد وهي الأليق بأصوله ومذهبه** ".

السائل: هل يجوز في القصاص أن يصلب كما صلب بالمقتول ؟

الشيخ: إذا صَلب المقتول صُلب.

السائل: يعني إذا قطع يده وأنفه وعينه ؟

الشيخ: هذا ليس بصلب هذا يسمى مثلة؛ السائل: وكذلك مثلة ؟ الشيخ: إذا مثل به يمثل به .

السائل: شيخ معلوم أن الميت عندما يدفن لا يكون معه شيء محترقا؛ وهذا الذي يقتل في سبيل الله قد تكون ثيابه محترقة فهل تخلع عنه هذا الثياب المحترقة ؟

الشيخ: إذا كانت محترقا معناه صارت رمادا ما يمكن أن يتماسك؛ يدفن فيها؛ والقول بأنه يكره أن يجعل معه ما مسته النار قول فيه نظر .

السائل: الرجل إذا قتل في أرض العدو هل يدفن فيها أم ماذا يفعل به ؟

الشيخ: قال العلماء: يدفن ويسوى بالأرض .

السائل: في نفس المكان ؟

الشيخ: في نفس المكان .

السائل: وإذا لم نقدر على هذا المكان ؟

الشيخ: حملنا؛ كل شيء لا يمكن,

السائل: يدفن أين في البلد ؟,

الشيخ: لا يدفن في أقرب شيء إليه أو ينقل للبلد؛ يعني إذا فات المكان المعين خيروا بين أن تكون في البلد أو أي مكان من البر .

السائل: حتى لو جيء به بعد فترة ؟

الشيخ: لا ما ينبغي تأخيره.

السائل: ما قدروه عليه إلا بعد فترة ؟

الشيخ: كيف ما قدروا عليه ؟

السائل: يعني موجود عند الأعداء ؟

الشيخ: لا، لكن هذا تعذر هذا عذر؛ يمكن يبقى عند الأعداء شهر شهرين أو سنة؛

السائل: يعني يرجع به إلى مكان المعركة أو يدفن في البلد ؟

الشيخ: لا, الأحسن في مكان المعركة إذا أمكن .

الطالب: ومنها: أن من عذره الله بالتخلف عن الجهاد لمرض أو عرض يجوز له الخروج إليه وإن لم يجد عليه كما خرج عمرو بن الجموح وهو أعرج .

الطالب: ومنها: أن المسلمين إذا قتلوا واحدا منهم في الجهاد يظنونه كافرا فعلى الإمام ديته من بيت المال؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أن يدي اليمان أبا حذيفة فامتنع حذيفة من أخذ الدية وتصدق بها على المسلمين .

الشيخ: وهذا ظاهر .

الشيخ: طيب فيه مسائل أيضا ما ذكرها المؤلف رحمه الله تعالى, وهي جواز الانحناء على الرجل الفاضل ليحجب عنه السهام كما فعل من ؟ أبو دجانة .

الطالب: ومنها: أن المسلمين إذا قتلوا واحدا منهم في الجهاد يظنونه كافرا فعلى الإمام ديته من بيت المال؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أن يدي اليمان أبا حذيفة فامتنع حذيفة من أخذ الدية وتصدق بها على المسلمين .

الشيخ: وهذا ظاهر.

الشيخ: فيه مسائل أيضا ما ذكرها المؤلف رحمه الله وهي جواز الانحناء على الرجل الفاضل ليحجب عنه السهام, كما فعل من ؟ أبو دجانة, في انحنائه عن النبي عليه الصلاة السلام والسهام فيه.

ومنها أيضا: أنه إذا لم يبق مع القائد إلا القليل فإنه يأمرهم ولا يعين؛ هكذا جاء في قصة السبعة, الأنصار والمهاجرين .

ومنها أيضا: أن الله سبحانه وتعالى صرح بأن الصحابة رضي الله عنهم عصوا في هذه الغزوة عند قوله: ((**حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون**)) .

ومنها: أن النزاع سبب للفشل والخذلان .

ومنها: أن المعصية سبب للخذلان أيضا .

ومنها: جواز اتخاذ الأسباب في الحرب لأن النبي عليه الصلاة والسلام ظاهر بين درعين؛ ولأن النبي صلى الله عليه وسلم جعل على الثغر خمسين راميا .

ومنها: أن الأصل في أوامر الله ورسوله أن تكون على العموم؛ وألا يخصص منها حال إلا بدليل؛ لأن قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (**لا تبرحوا مكانكم**) هو عام, وكونهم يجتهدون ويقولون: إن الناس الكفار قد انصرفوا فالغنيمة الغنيمة, هذا ليس بدليل، هذا اجتهاد في مقابلة النص؛ ولهذا صرح الله سبحانه وتعالى بأن فعلهم معصية .

المهم أن فيه فوائد كثيرة يعني لم تأت؛ فمن ينتدب منكم لاستنباط خمس فوائد؛ الطالب: قليل, الشيخ: لا, خمس فوائد بين عشرة، كل واحد يجيب خمس فوائد لكن بس أخشى التكرار؛ الطالب: الحكم كثيرة باقية ما قرئت, الشيخ: نعم ؟ الحكم غير الأحكام .

السائل: ... يعني يغسل,

الشيخ: أي نعم .

السائل: طيب يعتبر هو أفضل أم شهيد المعركة,

الشيخ: قد يكون عند الله أفضل, ولكن لا يلزم من فضله في هذا أن يفضله في كل الخصائص .

السائل: القتلى إذا دفنوا في مصارعهم ومر بهم الجيش وتقدم فقد يدوسهم ؟

الشيخ: لا, يحط عليهم علامة تحميهم؛

السائل: تصير إذا كثيرة,

الشيخ: لا إذا كانوا عددا كثيرا فقد نقول: أزيلوهم عن طريق الناس؛ إذا كان عدد كثير وليس هناك طريق إلا من فوقهم يقال: أزيلوهم يمينا أو شمالا, لكن في المكان .

السائل: الصلاة على الشهيد ما هو ترجيحكم ؟

الشيخ: إن ثبتت هذه الأحاديث الذي ذكر فإنها يدل على استحباب الصلاة دون الوجوب, وإن لم تثبت فلا حجة فيها.

السائل: من قتل ومثل به قلنا يمثل بالقاتل,

الشيخ: في باب القصاص ؟

السائل: أي نعم, أليس الله نهى نبيه عن المثلة ؟

الشيخ: هذه ما لم تكن حقا، والمثلة قصاصا حق قال الله تعالى: ((**فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم**)) والرسول صلى الله عليه وسلم رض رأس اليهودي بين حجرين .

السائل: هم مثلوا الصحابة ؟

الشيخ: من ؟

السائل: المشركون في غزوة بدر ؟ أي نعم؛ والله سبحانه وتعالى نهى نبيه عن التمثيل بهم ؟

الشيخ: ما نهى؛ لكن ألم تعلم أنهم مثلوا من بعد المعركة، بعد المعركة ما تمكن من أحد منهم بعد, وإلا القول الراجح أنهم إذا مثلوا بنا فلنا أن نمثل بهم؛ هذا في الجهاد أما في القصاص ما فيه إشكال لأنه حق خاص .

السائل: شيخ ملاحظة بسيطة فقط ! في درس التفسير السابق ذكرت . بارك الله فيك . أن رأي البقاء في المدينة وقتال المشركين بالسيوف والنساء من فوق السطوح والصبيان بالحجارة أن هذا الرأي رأي المنافقين, والآن ذكرت في تعليقك على الشيخ ابن قيم رحمه الله أنه رأي النبي صلى الله عليه وسلم وأشياخ بدر ؟

الشيخ: لا، ... هم الذين ابتدءوا بالرأي، المنافقين هم الذين أكدوا هذا الرأي, وكان رأيهم موافقا لرأي الرسول صلى الله عليه وسلم؛ وإلا هم الذين بدؤوا به، هم الذين قالوا لا نخرج .

السائل: كما فدى الصحابة النبي صلى الله عليه وسلم في معركة أحد بأنفسهم, الآن ما يكون لنا لو حصل شيء بعلمائنا أن نقوم بنفس العمل ؟

الشيخ: لا؛ ما أظن أن غير الرسول مثل الرسول؛ لأن الرسول يجوز فدائه بالنفس والأب والأم, وغيره لا يجوز أن يفدى بالنفس .

السائل: ...

الشيخ: ربما تكون أنت عالما مثله أو أحسن منه .

السائل: اثنان متحابان في الدنيا وقتلا في سبيل الله فهل يدفنان جميعا ؟

الشيخ: أي نعم؛ لكن ترى هذا عند الحاجة يعني إذا احتجنا إلى دفن اثنين فأكثر، الاثنين الذين بينهما صحبة في الدنيا نجعلهم جميعا .

السائل: هل يجوز نبش قبور الذين قتلوا في سبيل الله عند الحاجة مثل ما حفر قبر عبد الله بن حرام ؟ الشيخ: لا هذا لسبب؛ لأن عمال معاوية حفروا حتى وجد, وأيضا السيل لأنهم هم حول الشعب, السيل حفر بعض القبور.

الطالب: الحمد لله رب العالمين وصلى الله عليه وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين؛ قال ابن القيم رحمه الله: **فصل في ذكر بعض الحكم والغايات المحمودة التي كانت في غزوة أحد؛**

وقد أشار الله سبحانه وتعالى إلى أمهاتها وأصولها في سورة آل عمران حيث افتتح القصة بقوله: ((**وإذ غدوت من أهلك تبوء المؤمنين المقاعد للقتال**)) إلى ثمان ستين آية؛

فمنها: تعريفهم سوء عاقبة المعصية والفشل والتنازع؛ وأن الذي أصابهم إنما هو بشؤم ذلك كما قال تعالى: ((**ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين**)) فلما ذاقوا عاقبة معصيتهم للرسول وتنازعهم وفشلهم كانوا بعد ذلك أشد حذرا ويقظا وتحرزا من أسباب الخذلان .

الشيخ: عندي بالضم؛ الخذلان مثل الشكران والغفران, الطالب: كسرها عندي, الشيخ: أي نعم مكسورة عندنا لكن الظاهر أنه خطأ .

الطالب: ومنها: أن حكمة الله وسنته في رسله وأتباعهم جرت بأن يدالوا مرة ويدال عليهم أخرى لكن تكون لهم العاقبة؛ فإنهم لو انتصروا دائما دخل معهم المؤمنون وغيرهم ولم يتميز الصادق من غيره, ولو انتصر عليهم دائما لم يحصل المقصود من البعثة والرسالة؛ فاقتضت حكمة الله أن جمع لهم بين الأمرين ليتميز من يتبعهم ويطيعهم بالحق وما جاءوا به ممن يتبعهم على الظهور والغلبة خاصة .

الشيخ: هاتان حكمتان: الحكمة الأولى بيان أن ما أصابهم بسبب المعصية, ويعني هذا أنه يجب علينا أن نتحرز من المعاصي حيث إنها سبب لخذلان الناس حتى في مقام النصر في مقام الجهاد في سبيل الله فإن المعاصي تعمل عملها وتكون سببا للخذلان كما أنها أيضا سبب للفتن والشرور؛ وإذا علم الإنسان أن هذا الخذلان بسبب المعصية حذر منها وتجنبها.

وأما الحكمة الثانية فهي بيان أن الأمر كله بيد الله وأن الله تعالى بحكمته يديل المؤمنين تارة على عدوهم ويديل عدوهم عليهم تارة ليعلم الصادق من الكاذب؛ وإلى هذا يشير قول الله تعالى: ((**إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس**)) فهكذا جرت سنة الله؛ والحكمة من هذه الحكمة أيضا ما أشار إليه ابن القيم رحمه الله أنه لو كان النصر للمؤمنين دائما لدخل فيهم من يريد النصر وإن لم يكن مؤمنا؛ لأن كل إنسان يحب أن ينتصر؛ ولو كان النصر على المؤمنين دائما لفات المقصود من البعثة والرسالة, وصارت الرسالة لغوا وعبثا؛ لكن الله تعالى يديل المؤمنين على أعدائهم تارة, ويديل أعدائهم عليهم تارة, ولا ينافي هذا أن يكون هناك سبب آخر غير مراعاة هذه الحكمة وهي المعصية كما صدر المؤلف رحمه الله هذه الحكم بها .

الطالب: ومنها: أن هذا من أعلام الرسل كما قال هرقل لأبي سفيان: هل قاتلتموه ؟ قال: نعم؛ قال: كيف الحرب بينكم وبينه ؟ قال: سجال يدال علينا المرة وندال عليه الأخرى؛ قال: كذلك الرسل تبتلى ثم تكون لهم العاقبة .

الشيخ: نعم هذا أيضا من علامات الرسل عليه الصلاة والسلام أنهم إذا أمروا بالجهاد صاروا هكذا يدال عليهم العدو تارة ويدالون عليه تارة أخرى؛ فهذا من علامات الرسالة, كما قاله هرقل: كذا الرسل تبتلى ثم تكون العاقبة لهم . ومنها أيضا أن يحصل للمسلمين مرتبة الصبر عند الهزائم كما يجب عليهم أن يقوموا بالشكر عند الانتصار والغنائم .

الطالب: ومنها أن يتميز المؤمن الصادق من المنافق الكاذب؛ فإن المسلمين لما أظهرهم الله على أعدائهم يوم بدر وطار لهم الصيت دخل معهم في الإسلام ظاهرا من ليس معهم فيه باطنا؛ فاقتضت حكمة الله عزوجل أن سبب لعباده محنة ميزت بين المؤمن والمنافق, فأطلع المنافقون رؤوسهم في هذه الغزوة وتكلموا بما كانوا يكتمونه, فظهرت مخبآتهم وعاد تلويحهم تصريحا, وانقسم الناس إلى كافر ومؤمن ومنافق انقساما ظاهرا, وعرف المؤمنون أن لهم عدوا في نفس دورهم وهم معهم لا يفارقونهم فاستعدوا لهم وتحرزوا منهم، قال الله تعالى: ((**ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء**)) أي: ما كان الله ليذركم على ما أنتم عليه من التباس المؤمنين بالمنافقين حتى يميز أهل الإيمان

من أهل النفاق كما ميزهم بالمحنة يوم أحد, وما كان الله ليطلعكم على الغيب الذي يميز به بين هؤلاء وهؤلاء, فإنهم متميزون في غيبه وعلمه وهو سبحانه يريد أن يميزهم تمييزا مشهودا, فيقع معلومه الذي هو غيب وشهادة؛ وقوله: ((**ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء**)) استدراك لما نفاه من اطلاع خلقه على الغيب سوى الرسل, فإنه يطلعهم على ما يشاء من غيبه كما قال: ((**عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول**)) فحظكم أنتم وسعادتكم في الإيمان بالغيب الذي يطلع عليه رسله؛ فإن آمنتم به وأيقنتم فلكم أعظم الأجر والكرامة .

الشيخ: هذه الحكمة بينها وبين الحكمة الثانية فرق؛ لأنه هناك الحكمة أنه من أجل ألا يدخل في الإيمان إلا من هو مؤمن صادق, صابر على أن ينتصر مرة وينهزم مرة أخرى؛ أما هذه الحكمة فإن هذه القضية أعني غزوة أحد تبين بها المنافق من المؤمن؛ فبدأ المنافقون يتكلمون: ((**لو أطاعونا ما قتلوا**)) ((**لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا**)) يتكلمون بالكلام تلويحا أو أحيانا تصريحا بفشل خطة النبي عليه الصلاة والسلام والصحابة, لأنهم رأوا ذلك فرصة يقدحون به في سياسة الرسول عليه الصلاة والسلام؛ وحينئذ تبين المنافقون تماما؛ بماذا تبينوا ؟ بما يطلقونه من الكلمات التي تدل على نفاقهم؛ ولهذا قال الله عزوجل: ((**ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب**)) من الخبيث ؟ المنافقون؛ والطيب المؤمنين: ((**وما كان الله ليطلعكم على الغيب**)) يعني ما كان الله ليوحي لكل واحد منكم بأن فلانا منافق وفلانا منافق إلا الرسل ((**ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء**)) إذا بماذا نطلع على هؤلاء ؟ نطلع عليهم بما يقولون، بسبب هذه النكبة التي حصلت في أحد صاروا يتكلمون، وظهر نفاقهم وعرف أمرهم عند كثير من الناس .

السائل: ابن القيم رحمه الله استدل على هذه الغزوة أنها من أعلام الرسل بقول هرقل, فما وجهه ؟

الشيخ: لا, ما هو لقول هرقل؛ لكن هرقل جعل به استشهادا لا اعتضاضا, يعني استشهادا لا استنادا؛ إذا تأملنا القرآن وجدنا أن الرسل هكذا .

السائل: ما نقول أن إقرار النبي صلى الله عليه وسلم على هذا الحديث هو الدلالة ؟

الشيخ: كيف إقراره ؟

السائل: أن هذا الحديث قبل إسلام أبي سفيان؛

الشيخ: كيف أقره ؟ هل الرسول هو الذي حدث به ؟

الشيخ: طيب كيف أقره ؟

السائل: في زمن النبوة ؟

الشيخ: ولو كان, ما هو بدليل, إنما الدليل هذا هو الواقع أن الرسل الذين يؤمرون بالجهاد يكون لهم العاقبة مرة وعليهم مرة أخرى .

السائل: هل صحيح أن هرقل آمن وكتم إيمانه ؟

الشيخ: لا، لا ما آمن؛ ظن بملكه؛ لأنه لما جمع من عنده من علمائه واستشارهم استشاطوا غضبا وقالوا كيف ؟ فقال لهم: اصبروا أنا ما أردت هذا الأمر إلا لأمتحن صلابتكم في دينكم, أي نعم .

السائل: هل هذه القاعدة مطردة ؟

الشيخ:ما هي ؟

السائل: أن المنافقين لا يظهرون إلا في وقت الشدة على المسلمين ؟

الشيخ: هذا هو الظاهر, لأنه في غير وقت الشدة ما يجدون شيئا, يعني في غير فشل الخطط الإيمانية لا يجدون شيئا يقدحون به .

الطالب: ومنها: استخراج عبودية أوليائه وحزبه في السراء والضراء وفيما يحبون وما يكرهون وفي حال ظفرهم وظفر أعدائهم بهم, فإذا ثبتوا على الطاعة والعبودية فيما يحبون وما يكرهون فهم عبيده حقا وليسوا كمن يعبد الله على حرف واحد من السراء والنعمة والعافية .

الشيخ: هذا واضح, لأن من الناس من يعبد الله على حرف يعني على طرف فإن أصابه خير اطمأن به, وإن أصابه فتنة انقلب على وجهه؛ والفتنة ما يفتنه عن دينه سواء كان ذلك ببلايا تصيبه أو بشبهات تعرض له أو بشبهات تلقى إليه؛ لأن من الناس من إيمانه متين لو تقلبت به الأحوال فهو صابر، صابر عند الضراء شاكر عند الرخاء؛ وكذلك لو عرضت له الشبهات في قلبه فإنه ينجوا منها بالاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم والإعراض عنها كما أمر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم؛ وكذلك لو ألقيت عليه الشبهات فإنه يستطيع أن يدافعها, بل إن أعطاه الله نورا وعلما استطاع أن يهاجم من يلقي إليه الشبهات؛ فهذه أيضا من الحكمة أن الله سبحانه وتعالى ابتلى عباده ليعلم من يعبده على حرف ممن يعبده على يقين؛ كذلك بعض الناس إذا أصيب بمصيبة عجز عن الصبر وكفر والعياذ بالله وارتد، ارتد عن دينه؛ ومن الناس من يفعل دون الردة كالذين ينتحرون مثلا بإلقاء أنفسهم من شاهق أو بتجرع السم أو بغير ذلك. اللهم ثبتنا وإياكم..

السائل: قول المؤلف: استدراك لما نفاه، تعبير صحيح يا شيخ ؟

الشيخ: صحيح؛

السائل: هل الله يستدرك على نفسه ؟

الشيخ: نعم يستدرك الكلام، في الكلام، في الكلام ما هو معنى استدرك يخطئ نفسه؛ الاستثناء ما هو بالإدراك ؟

السائل: لكن التعبير بالاستدراك ؟

الشيخ: ما فيه شيء أبدا؛ الاستدراك ما هو معناه أنه نسي شيئا فاستدركه؛ لكن ذكر كلاما عاما فاستدرك منه استثنى منه؛ لكن أي شيء معناها ؟ لكن استثناء ؟ أي شيء معناها يا أهل النحو؟ استدراك؛ والقرآن بلسان عربي؛ السائل: السياق هنا يختلف ؟ الشيخ: سبحان الله تكلم الله بلسان عربي وأتى بلكن التي للاستدراك فنقول: يا ربنا إن هذه الكلمة ليست بلسان عربي ؟.

الطالب: ومنها: أنه سبحانه لو نصرهم دائما وأظفرهم بعدوهم في كل موطن وجعل لهم التمكين والقهر لأعدائهم أبدا لطغت نفوسهم وشمخت وارتفعت؛ فلو بسط لهم النصر والظفر لكانوا في الحال التي يكونون فيها لو بسط لهم الرزق, فلا يصلح عباده إلا السراء والضراء والشدة والرخاء والقبض والبسط؛ فهو المدبر لأمر عباده كما يليق بحكمته إنه بهم خبير بصير .

الشيخ: ... هذا أيضا من الحكم لأن الإنسان لو سلم من الإصابة بالضراء لطغى، كما قال الله تعالى: ((**ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزل بقدر ما يشاء**)) وأنت إذا غلبت ولو في شيء بسيط تجد في نفسك نشوة الغلبة والعزة والترفع؛ فكيف إذا كنت في كل موطن تقابل عدوك تنصر عليهم؛ أين تصل ؟ إلى الثريا, ما يردك إلا السماء؛ فإذا أعطي الإنسان شيئا يكبح جماحه بمثل هذا الخذلان صار فيه مصلحة عظيمة, لأن هذا بمنزلة المكابح يهدأ من غلواء الإنسان وعليائه حتى يكون على وجه سليم .

السائل: رؤيا الرسول الله صلى الله عليه وسلم تدل على أن الله كتب عليهم ما حصل قبل الغزوة, بعض الناس ... ؟

الشيخ: أي نعم؛ لها سبب ((**حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم**)) ثلاثة أسباب، لها سبب.

الطالب: ومنها: أنه إذا امتحنهم بالغلبة والكسرة والهزيمة ذلوا وانكسروا وخضعوا فاستوجبوا منه العزة والنصر فإن خلعة النصر إنما تكون مع ولاية الذل والانكسار، قال الله تعالى: ((**ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة**)) **وقال:** ((**ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغني عنكم شيئا**)) فهو سبحانه إذا أراد أن يعز عبده ويجبُره وينصره كسره أولا, ويكون جبره له ونصره على مقدرا ذله وانكساره .

الشيخ: الله أكبر هذا أيضا من الحكمة العظيمة؛ لأن الإنسان لا يمكن أن يذل إلا بوجود سبب الذل؛ فالهزيمة والانكسار والذل توجب أن الإنسان يرجع إلى ربه, ويعرف قدر نفسه ويخضع لله ويخبت إليه, بخلاف ما لو لم يأته شيء فإنه يبقى مستغنيا كما قال الله تعالى: ((**كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى**)) لكن إذا وجد له ما يكسر هذه العزة والأنفة في نفسه عرف قدر نفسه ورجع إلى ربه؛ وأنت في نفسك إذا مثلا أصبت بسراء ورخاء وعافية حصل عندك ذهول ونسيان في حق الله؛ فإذا أصبت بضد ذلك رجعت إلى ربك وعرفت قدر النعمة وعرفت قدر نفسك وضعفت أمام قوة الله عزوجل .

الطالب: ومنها: أنه سبحانه وتعالى هيأ لعباده المؤمنين منازل في دار كرامته لم تبلغها أعمالهم ولم يكونوا بالغيها إلا بالبلاء والمحنة فقيض لهم الأسباب التي توصلهم إليها من ابتلائه وامتحانه, كما وفقهم للأعمال الصالحة التي هي من جملة أسباب وصولهم إليها .

الشيخ: أي نعم, لكن الأعمال الصالحة سبب مباشر للوصول إلى هذه الدار, وأما ما يحصل بالابتلاء فهو سبب غير مباشر, لأن الابتلاء إذا لم يقترن بالصبر صار ابتلاء في الدنيا والآخرة؛ وإذا اقترن بالصبر صار ابتلاء في الدنيا لكنه خير وأجر في الآخرة؛ فهذه من المسائل التي أو من الحكمة فيما يصيب الإنسان من الذل والضعف والمرض والفقر وغير ذلك, أن الله كتب له منازل في الآخرة منازل الصابرين التي لا ينالها إلا بوجود الأسباب التي يعرف بها الصبر من الجزع والسخط .

السائل: هل للإنسان أن يسأل الصبر من الله ؟

الشيخ: نعم كيف ؟ اللهم اجعلني من الصابرين؛

السائل: يعني ابتداء شيخ ؟

الشيخ: أي نعم ابتلاء؛ ما هو الصبر على ثلاثة أقسام ؟ على الطاعة وعن المعصية وعلى الأقدار.

السائل: بعض الناس يصبرون على الابتلاء غصبا عنهم فهل فيه أجر ؟

الشيخ: الصبر إما أن يكون صبرا على البلاء بدون احتساب الأجر؛ فهذا تكون المصيبة مكفرة لذنوبه، مكفرة لذنوبه؛ فإن اقترن مع ذلك احتساب الأجر صارت مكفرة للذنوب وموجبة للثواب.

السائل: الإنسان إذا أصيب بعين أو جن فاستمرت فيه فترة ثم زالت عنه إيش يكون,

الشيخ: يحمد الله, هذا من نعمة الله عليه,

السائل: ما يدرى هل هو احتسب ما احتسب صبر ما صبر,

الشيخ: هذا عند الله, كل شيء مقيد, ((**وكل صغير وكبير مستطر**)) ما فيه شيء يفوت, لو نسي هو فهو مكتوب.

الطالب: ومنها: أن النفوس تكتسب من العافية الدائمة والنصف والغناء طغيانا وركونا إلى العاجلة وذلك مرض يعوقها عن جدها في سيرها إلى الله والدار الآخرة؛ فإذا أراد بها ربها ومالكها وراحمها كرامته قيد لها من الابتلاء والامتحان ما يكون دواء لذلك المرض العائق عن السير الحثيث إليه, فيكون ذلك البلاء والمحنة بمنزلة الطبيب يسقي العليل الدواء الكريه ويقطع منه العروق المؤلمة لاستخراج الأدواء منه, ولو تركه لغلبته الأدواء حتى يكون فيها هلاكه .

الشيخ: نعم هذا أيضا قريب مما سبق .

الطالب: ومنها: أن الشهادة عنده من أعلى مراتب أوليائه؛ والشهداء هم خواصه والمقربون من عباده وليس بعد درجة الصديقية إلا الشهادة, وهو سبحانه يحب أن يتخذ من عباده الشهداء تراق دمائهم في محبته ومرضاته ويؤثرون رضاه ومحباه على نفوسهم, ولا سبيل إلى نيل هذه الدرجة إلا بتقدير الأسباب المفضية إليها من تسليط العدو .

الشيخ: صحيح وإلى هذا أشار الله بقوله: ((**ويتخذ منكم شهداء**)) في سورة آل عمران في سياق الآيات, ومعلوم أن الشهادة إنما تكون في غلبة العدو, لأنك لو غلبت العدو صار القتل فيه, وإذا غلبك صار القتل فيك؛ فهذا أيضا من الحكمة أن الله سبحانه وتعالى جعل من هؤلاء صحابة الكرام شهداء ولا تنال الشهادة إلا بمثل هذه الهزيمة .

السائل: شيخ جزاكم الله خير ! وردت عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث مثل: الذكر أفضل من الجهاد؛ والعمل في أيام العشر من ذي الحجة؛ فهل أفضل من الشهادة هذه الأعمال ؟

الشيخ: لا, هي: (**ما من أيام العمل الصالح فيهن أحب**) يعني إن العمل الصالح في هذه الأيام أحب إلى الله حتى من الجهاد في سبيل الله, وليس هناك تفضيل مطلق, والجهاد إذا وقع في هذه الأيام صار أشد وأفضل مما لو وقع في غيرها .

السائل: بالنسبة للأحاديث المطلقة في الذكر ؟

الشيخ: نعم الله أعلم, ولكن قد يقال إن كل إنسان يخاطب بحسبه؛ فالإنسان الذي ليس فيه قدرة ولا أهلية للجهاد يكون الذكر أفضل .

السائل: هل للصبر حد ... ؟

الشيخ: إلا,

السائل: مثلا من لم يجد الأكل ولم يقل لأحد حتى مات فهل هذا صبر على الجوع ؟

الشيخ: هذا صبر على أقدار الله المؤلمة لكن ما صبر على شرع الله, لأنه هنا لا بأس أن يسأل, في هذه الحال لا بأس أن يسأل عند الضرورة؛ لكن ينبغي أن يعرض كما صنع أبو هريرة رضي الله عنه، أبو هريرة ما قال إني جائع لأبي بكر وعمر، قال يعني طلب منهم أن يقرؤوه آية من كتاب الله .

السائل: غير شهيد المعركة هل هو شهيد في الأجر أو هو في الآخرة ؟

الشيخ: أما في الدنيا فليس له أحكام الشهيد.

السائل: في الآخرة ؟

الشيخ: في الآخرة له أحكام الشهيد, ولكن الشهداء درجات يعني لن ينال درجة الشهداء الذين قتلوا في سبيل الله, كما أن الصالحون درجات والصديقون درجات والرسل درجات .

السائل: هل يشهد شهادة الموقف ؟

الشيخ: كيف يشهد يعني ؟

السائل: يشهد على الناس أي شيء معنى الشهيد ؟

الشيخ: لا, ما هو معنى الشهيد، الشهيد عند الله يعني أن أفعاله شهد بها لنفسه بالإيمان، وإلا الأمة كلها أمة محمد شهداء على الناس, يشهدون حتى الذي مات على فراشه .

الطالب: ومنها: أن الله سبحانه إذا أراد أن يهلك أعداءه ويمحقهم قيض لهم الأسباب التي يستوجبون بها هلاكهم ومحقهم, ومن أعظمها بعد كفرهم بغيهم وطغيانهم ومبالغتهم في أذى أوليائه ومحاربتهم وقتالهم والتسلط عليهم, فيتمحص بذلك أوليائه من ذنوبهم وعيوبهم ويزداد بذلك أعداؤه من أسباب محقهم وهلاكهم؛ وقد ذكر سبحانه وتعالى في قوله: ((**ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين وإن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين**)) فجمع لهم في هذا الخطاب بين تشجيعهم وتقوية نفوسهم وإحياء عزائمهم وهممهم وبين حسن التسلية, وذكر الحكم الباهرة التي اقتضت إدالة الكفار عليهم فقال: ((**إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله**)) فقد استويتم في القرح والألم وتباينتم في الرجاء والثواب كما قال: ((**إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون**)) فما بالكم تهنون وتضعفون عند القرح والألم فقد أصابهم ذلك في سبيل الشيطان, وأنتم أصبتم في سبيلي وابتغاء مرضاتي .

الشيخ: نعم هذه الآيات كما قال المؤلف رحمه الله فيها التشجيع والتقوية لقوله: ((**فلا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون**)) فإذا كان الله عزوجل يقول وهو الذي بيده ملكوت كل شيء: ((**أنتم الأعلون**)) فإن في هذا من التشجيع وتقوية النفوس وعزائم ما لا يخفى على أحد، ثم بين أن هذا مشروط ((**إن كنتم مؤمنين**)) والشرط هنا يعود على الأفعال الثلاثة أو على الجمل الثلاث: لا تهنوا إن كنتم مؤمنين؛ لا تحزنوا إن كنتم مؤمنين؛ أنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين؛ لأن المؤمن لا يهن بل هو دائم في عزم ونشاط وحركة, ولا يحزن على ما فات لأنه يعلم أنه مقدر ومكتوب ولابد منه؛ فهو مؤمن بالقضاء والقدر؛ المؤمن له العاقبة الحميدة وهي ؟ العلو والظهور؛ فكيف يهن الناس المؤمنون ويحزنوا والله عزوجل يقول: ((**وأنتم الأعلون**)) وهذا كقوله في سورة القتال: ((**فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم**)) أضاف إلى ذلك أن الله معهم بنصره وتأييده؛ فهذه من التشجيع وشحذ الهمم والعزائم؛ ثم سلاهم بقوله: ((**إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله**)) القرح في الأصل هو الألم والشدة بل قال الله تعالى: ((**أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا**)) فهم أصيبوا في أحد وقد أصابوا في بدر مثليها، في بدر قتلوا سبعين وأسروا سبعين؛ في أحد قتل منهم سبعون؛ فهنا يقول الله عزوجل: ((**إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله**)) لكن نحن لا نشعر بهذا الشيء، نشعر بما يصيبنا لا بما أصاب منا؛ والواجب أننا نشعر بما يصيبنا ونشعر بما أصبنا في غيرنا من أجل أن نتسلى؛ لأن الإنسان إذا ذكر أن غيره أصيب بمثل هذه المصيبة لاسيما إذا كان عدوه . إذا كان الذي أصيب عدوه . فإنه يتسلى؛ تقول الخنساء وهي ترثي أخاها صخرا تقول:

ولو لا كثرة الباكين حولي على إخوانهم لقتلت نفسي

وما يبكون مثل أخي ولكن أسلي النفس عنه بالتأسي

شف كيف، يعني تقول: لولا أن حولي ناس يبكون لكنت أقتل نفسي, ومع ذلك لا يبكون مثل أخي: ولكن أسلي النفس عنه بالتأسي؛ طيب أيضا, وبين الله عزوجل أن في هذا حكمة عظيمة وهي بيان أن الأمر أمره عزوجل والحكم حكمه: ((**وتلك الأيام نداولها بين الناس**)) .

الفائدة الرابعة والخامسة: ((**وليعلم الله الذين آمنوا**)) .

والسابعة أو السادسة: ((**ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين**))

ويش المناسبة ((**اتخذ منكم الشهداء والله لا يحب الظالمين**)) ؟ يعني أن تمكين هؤلاء من قتل منكم ليس عن محبة, يعني لم يمكنهم الله لأنه يحبهم لأن الله تعالى لا يحب الظالمين؛ ((**وليحمص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين**)) يمحصهم: يطهرهم من ذنوبهم وغيرها؛ ((**ويمحق الكافرين**)) سبحان الله؛

الكافرون منتصرون ويقول الله في هذا: ((**ويمحق الكافرين**)) ؟ نقول: نعم لأنهم إذا انتصروا استشروا في قتال المسلمين وازدادوا حنقا ويكون بهذا محقهم؛ لأن العاقبة لابد أن تكون لمن ؟ للمتقين وللمؤمنين؛ فهؤلاء إذا انتصروا استشروا وأوغروا في القتال حتى يقضى عليهم .

السائل: هل نقول أن الشهادة أفضل وأحب إلى الله من العمل في هذه الأيام . يعني من عشر ذي الحجة . لذلك الرسول صلى الله عليه وسلم استثنى الشهادة فقال: (**إلا رجلا خرج بنفسه وماله فلم يرجع بذلك من شيء**) فتكون الشهادة أفضل منها ؟

الشيخ: نعم, الشهادة بهذا الشرط، أنه قتل وأخذ ماله؛ أفضل من الأعمال في هذه الأيام .

السائل: قول الله تعالى: ((**ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون**)) أليس ضد الحزن الفرح ؟ الشيخ: أي نعم؛

السائل: طيب فكيف نجمع بين الآية ... ؛

الشيخ: لا، ضد الحزن عدم الحزن سواء فرح وإلا لا فرح ولا حزن؛

السائل: طيب الله سبحانه وتعالى يقول: ((**والله لا يحب الفرحين**)) ؟

الشيخ: ويقول: ((**قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا**)) ويقول: ((**ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله**)) وأما المراد بقوله: ((**والله لا يحب الفرحين**)) فهذا المراد به فرح البطر الذي يحمل الإنسان على الأشر وعلى الطغيان كما فعل قارون .

السائل: حديث أبي الدرداء أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**ألا أدلكم ... فخير لكم من أن تلقوا عدوكم فيضرب أعناقكم**) ثم ذكر ذكر الله سبحانه وتعالى, فهذا نص صريح بأن الذكر أفضل من الجهاد, فكيف الجمع بين هذا ؟

الشيخ: أولا سلمك الله لابد إن شاء الله في الليلة القادمة تأتيني بالحديث هل هو صحيح أو ضعيف؛

السائل: عند الترمذي؛

الشيخ: نريد السند, وبعدين يكون الجواب عنه إن شاء الله .

الطالب: ثم أخبر أنه يداول أيام هذه الحياة الدنيا بين الناس وأنها عرض حاضر يقسمها دولا بين أوليائه وأعدائه بخلاف الآخرة فإن عزها ونصرها ورجائها خالص للذين آمنوا .

ثم ذكر حكمة أخرى وهي أن يتميز المؤمنون من المنافقين, فيعلمهم علم رؤية ومشاهدة بعد أن كانوا معلومين في غيبه, وذلك العلم الغيبي لا يترتب عليه ثواب ولا عقاب وإنما يترتب الثواب والعقاب على المعلوم إذا صار مشاهدا واقعا في الحس .

الشيخ: طيب ((**وليعلم الله الذين آمنوا**)) أشار ابن القيم رحمه الله إلى جواب عن هذا الإشكال الذي يتبادر من الآية؛ فإن قوله: ((**وليعلم**)) علة ما حصل, وهذا يقتضي أن علم الله حادث بعد حصول ما حصل؛ فيكون في ذلك إشكال؛ لأن علم الله أزلي؛ والجواب عن ذلك أن نقول: علم الله الأزلي بأن هذا سيقع ليس يترتب عليه ثواب ولا عقاب؛ وإنما الثواب والعقاب على العمل، على الشيء المشاهد المحسوس.

الشيخ: طيب ((**وليعلم الله الذين آمنوا**)) أشار ابن القيم رحمه الله إلى جواب عن هذا الإشكال الذي يتبادر من الآية؛ فإن قوله: ((**وليعلم**)) علة ما حصل, وهذا يقتضي أن علم الله حادث بعد حصول ما حصل؛ فيكون في ذلك إشكال؛ لأن علم الله أزلي؛ والجواب على ذلك أن نقول: علم الله أزلي بأن هذا سيقع ليس يترتب عليه ثواب ولا عقاب؛ وإنما يترتب الثواب والعقاب على العمل، على الشيء المشاهد المحسوس.

الطالب: ثم ذكر حكمة أخرى, وهي اتخاذه سبحانه منهم الشهداء, فإنه يحب الشهداء من عباده وقد أعد لهم أعلى المنازل وأفضلها؛ وقد اتخذهم لنفسه فلابد أن ينيلهم درجة الشهادة, وقوله: ((**والله لا يحب الظالمين**)) تنبيه لطيف لموقع جدا على كراهته وبغضه للمنافقين الذين انخذلوا عن نبيه يوم أحد فلم يشهدوه ولم يتخذ منهم شهداء لأنه لم يحبهم, فأركسهم وردهم ليحرمهم ما خص به المؤمنين في ذلك اليوم وما أعطاه من استشهد منهم؛ فثبط هؤلاء الظالمين عن الأسباب التي وفق لها أوليائه وحزبه.

الشيخ: وفيه أيضا من الحكمة التي أشرنا إليها آنفا وهي ؟ أن نصر هؤلاء الكفار لا يعني أنه يحبهم, فإنهم ظالمون والله لا يحب الظالمين؛ لأن النفوس قد تقول: لماذا نصرهم الله علينا وهم كفار ؟ هل لأن الله يحبهم ؟ فقال: ((**والله لا يحب الظالمين**)) فيكون في هذا فائدتان؛ الفائدة الأولى: ما ذكره ابن القيم رحمه الله وهي أن هؤلاء المنافقين الذين انخزلوا وهم نحو ثلث العسكر، هؤلاء لم يتخذ منهم شهيدا واحدا؛ لأنهم من ظالمين والله لا يحب الظالمين فكيف يوفقهم الشهادة .

والمعنى الثاني: ما أشرنا إليه أن انتصار هؤلاء ليس عن محبة لأن الله لا يحب الظالمين .

الطالب: ثم ذكر حكمة أخرى فيما أصابهم ذلك اليوم وهو تمحيص الذين آمنوا وهو تنقيتهم وتخليصهم من الذنوب ومن آفات النفوس؛ وأيضا فإنه خلصهم ومحصهم من المنافقين فتميزوا منهم فحصل لهم تمحيصان: تمحيص من نفوسهم؛ وتمحيص ممن كان يظهر أنه منهم وهو عدوهم.

ثم ذكر حكمة أخرى وهي محق الكافرين بطغيانهم وبغيهم وعدوانهم؛ ثم أنكر عليهم حسبانهم وظنهم أن يدخلوا الجنة.

الشيخ: وسبق وجه ذلك؛ ما وجهه ؟ أن في هذا محق الكافرين؛ وجهه ؟ الطالب: أنهم إذا انتصروا طغوا واستشروا, الشيخ: نعم, ورجعوا للقاتل مرة أخرى لعلهم ينتصرون مرة ثانية فيكون رجوعهم سببا للقضاء عليهم ومحقهم, واضح ؟

السائل: فيه شيء يا شيخ ؛ أنه يكون محق الكافرين بالمؤمنين الممحصين ؟

الشيخ: كيف ؟

السائل: الذين بقوا وتمحصوا هم يمحقون الكافرين؛

الشيخ: لكن بم يمحقون ؟ يمحقونهم إذا جاء هؤلاء لقتالهم.

السائل: شيخ فيه حديث: (**إذا سألتم الله الصبر فاسألوه العافية**) هل هو صحيح ؟

الشيخ: ما أدري عنه، ما أعلاف .

الطالب: ثم ذكر حكمة أخرى وهي محق الكافرين بطغيانهم وبغيهم وعدوانهم، ثم أنكر عليهم حسبانهم وظنهم أن يدخلوا الجنة بدون الجهاد في سبيله والصبر على أذى أعدائه, وأن هذا ممتنع بحيث ينكر على من ظنه وحسبه فقال: ((**أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين**)) أي ولما يقع ذلك منكم فيعلمه, فإنه لو وقع لعلمه فجازاكم عليه بالجنة, فيكون الجزاء على الواقع المعلوم لا على مجرد العلم, فإن الله لا يجزي العبد على مجرد علمه فيه دون أن يقع معلومه؛ ثم وبخهم على هزيمتهم من أمر كانوا يتمنونه ويودون لقائه فقال: ((**ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون**)) قال ابن عباس: " **ولما أخبرهم الله تعالى على لسان نبيه بما فعل بشهداء بدر بكرامة رغبوا في الشهادة فتمنوا قتالا يستشهدون فيه فيلحقون إخوانهم فأراهم الله ذلك يوم أحد وسببه لهم فلم يلبثوا أن انهزموا إلا من شاء الله منهم؛ فأنزل الله تعالى**: ((**ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون**)) ".

الشيخ: أقول واضح أن فيه التوبيخ لهم, كانوا بالأول يتمنون الموت . يعني في سبيل الله . من قبل أن تلقوه, فقد رأيتموه في هذه الغزوة ومع ذلك هزمتم, وقلتم أنى هذا ؟ لماذا نهزم ؟ وما أشبه ذلك، ولم تثتبوا.

السائل: ((**وأنتم تنظرون**)) ما معناها ؟

الشيخ: أي نعم, لأنهم ينظرون إخوانهم يسقطون شهداء .

السائل: يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (**للشهيد ست خصال عند ربه: يغفر له عند أول قطرة من دمه** ...) فهل يدخل في هذا من ذهب إلى الجهاد بدون إذن والديه ؟

الشيخ: يحتمل أن يقال أنه لا أجر له؛ لأنه جهاد معصية، وجهاد المعصية لا ينقلب طاعة, كما لو صلى الإنسان في وقت النهي فإنه وإن صلى وخشع في صلاته وأتى بما ينبغي أن يأتي به في الصلاة لا تنفعه, لأنها صلاة منهيا عنها؛ وكذلك الذي يذهب بدون رضا والديه فإنه ذهاب منهي عنه؛ وقد يقال: بأنه يؤجر ويأثم، يؤجر على جهاده ويأثم على تفريطه في حق والديه؛ وعلى كل فإن الرسول صلى الله عليه وسلم قدم بر الوالدين على الجهاد في سبيل الله كما في حديث عبد الله بن مسعود .

السائل: هل تقبل شهادته ؟

الشيخ: يعني لو شهد بحق ؟

السائل: قتل في المعركة هل يكون شهيدا ؟

الشيخ: هذا هو الذي أقوله لك أنا، إذا قلنا إن هذا الجهاد محرم فالمحرم لا يأتي بالخير ولا يثاب عليه أصلا, فكيف ينال الشهادة به ؟ وإذا قلنا ليس بمحرم إلا لحق الوالدين وهذا أمر زائد على موضوع الجهاد, فإنه يكون آثما بمخالفة والديه ويكون له أجر الجهاد؛ فالمسألة فيها احتمال .

السائل: إذا كان خروجه بغير رضا والديه معصية فهل يدخل في الحديث ؟

الشيخ: ويش الحديث ؟

السائل: يغفر له جميع ذنوبه منها خروجه بغير رضا والديه ؟

الشيخ: لا لا، لكن هذا لا نقول إنه شهيد؛ إذا قلنا إن جهاده هذا محرم لم يكن به شهيدا؛ لكن مراده بالذنوب التي ما تتعلق بالجهاد مثل كذب مرة أو غش مرة أو ما أشبه ذلك من المعاصي مع أن الدين لا يكفر لا تكفره الشهادة .

السائل: ما حكم الخروج للجهاد على من عليه دين هل هذا سفر معصية ؟

الشيخ: أي نعم هذا سفر معصية إذا كان صاحب الدين يطالب به وقد حل؛ لأنه هنا يجب عليه أن يوفي الدين قبل .

السائل: يا شيخ الذي يذهب للجهاد دون إذن والديه لماذا قلنا يتوقف أجره حتى يأذن له والديه مثل صاحب البيت ؟

الشيخ: نحن نقول فيه احتمال، فيه احتمال أن يكون هذا من حق الوالدين وهو أمر خارج عن الجهاد؛ وفيه احتمال أن يقال هذا الجهاد غير مأذون فيه شرعا فليس فيه أجر كالصلاة في وقت النهي.

الطالب: ومنها: أن وقعة أحد كانت مقدمة وإرهاصا بين يدي موت رسول الله صلى الله عليه وسلم فثبتهم ووبخهم على انقلابهم على أعقابهم أن مات رسول الله صلى الله عليه وسلم أو قتل.

الشيخ: الظاهر إن مات؛ لأن هذا لفظ الآية: ((**أفئن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم**)) وهو ما مات ولا قتل في غزوة أحد.

الطالب: بل الواجب له عليهم أن يثبتوا على دينه وتوحيده ويموتوا عليه أو يقتلوا فإنهم إنما يعبدون رب محمد, وهو حي لا يموت.

الشيخ: سبحانه وتعالى.

الطالب: فلو مات محمد أو قتل لا ينبغي لهم أن يصرفهم ذلك عن دينه وما جاء به؛ فكل نفس ذائقة الموت .

الشيخ: كلمة لا ينبغي هنا ليست بالمفهوم المعروف؛ بل لا ينبغي يعني: لا يليق بهم؛ هذه الكلمة تأتي في القرآن الكريمة بمعنى الممتنع، إذا قيل: لا ينبغي أو ما ينبغي فالمعنى أنه ممتنع غاية الامتناع؛ قال الله تعالى: ((**لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر**)) وقال تعالى: ((**وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا**)) هذا في التوحيد وقال في الرسالة : ((**وما علمناه الشعر وما ينبغي له**)) يعني: ما يليق به ولا يمكن أن يكون شاعرا ولا يمكن أن يتخذ الله ولدا ولا يليق به ذلك .

الطالب: فكل نفس ذائقة الموت؛ وما بعث محمد صلى الله عليه وسلم ليخلد لا هو ولا هم, بل ليموتوا على الإسلام والتوحيد فإن الموت لابد منه سواء مات رسول الله صلى الله عليه وسلم أو بقي؛ ولهذا وبخهم على رجوع من رجع منهم عن دينه لما صرخ الشيطان إن محمدا قد قتل فقال: ((**وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين**)) والشاكرون هم الذين عرفوا قدر النعمة فثبتوا عليها حتى ماتوا أو قتلوا ؛ فظهر أثر هذا العتاب وحكم هذا الخطاب يوم مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتد من ارتد على عقبيه, وثبت الشاكرون على دينهم فنصرهم الله وأعزهم وظفرهم بأعدائهم وجعل العاقبة لهم، ثم أخبر سبحانه أنه جعل لكل نفس أجلا لابد أن تستوفيه ثم تلحق به, فيرد الناس كلهم حوض المنايا موردا واحدا وإن تنوعت أسبابه, ويصدرون عن موقف القيامة مصادر شتى فريق في الجنة وفريق في السعير؛ ثم أخبر سبحانه أن جماعة كثيرة من أنبيائه قتلوا وقتل معهم أتباع لهم كثيرون فما وهن من بقي منهم لما أصابهم في سبيله وما ضعفوا وما استكانوا, وما وهنوا عند القتل ولا ضعفوا وما استكانوا بل تلقوا الشهادة بالقوة والعزيمة والإقدام فلم يستشهدوا مدبرين مستكينين أذلة؛ بل استشهدوا أعزة كراما مقبلين غير مدبرين؛ والصحيح أن الآية تتناول الفريقين كليهما.

الشيخ: من الفريقين ؟ المسلمون والكفار, كلهم له أجل معين مسمى, لا يمكن أن يموت قبله ولا يمكن أن يؤخر بعده؛ وكلهم يردون على هذا الحوض حوض المنايا جميعا لا يختلفون؛ فموت الكافر وموت المؤمن واحد؛ لكنهم يبعثون على وجوه شتى: ((**فريق في الجنة وفريق في السعير**)) كما أن أعمالهم في الدنيا كذلك أما الموت فواحد كما قال تعالى في هذا السياق: ((**وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزي الشاكرين وكأين من نبي قاتل معه**)) وفي قراءة: ((**قتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا**

والله يحب الصابرين وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين)) .

السائل: شيخ يقول: إن كثيرا من الأنبياء قتلوا صحيح يا شيخ ؟

الشيخ: أي نعم على قراءة: ((**قتلوا**))

السائل: قتلوا الأتباع وليس الأنبياء ؟

الشيخ: ((**وكأين من نبي قتلوا معه ربيون**)) ويجعلون من نبي هنا نكرة تصلح للجمع يمكن تفسيره على هذه القراءة: ((**وكأين من نبي قتلوا**)) يعني كأين من أنبياء كثيرين قتلوا؛ ما هي قتلوا أنا أخطأت: ((**وكأين من نبي قتل**)) قتل، ثم قال: ((**معه ربيون كثيرا**)) على هذه القراءة يصلح هذا المعنى؛ أما إذا وصلت فقلت: ((**وكأين من نبي قتل معه ربيون**)) صار المقتول من ؟ أصحابه الذين معه.

السائل: في الآيات: ((**ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون**)) أي من الأنبياء، فيه أنبياء قتلوا ؟

الشيخ: الكلام على سياق الآيات التي معنا وإلا هذا معروف؛ إستشكال الأخ في الآية التي معنا كيف نوجه كلام المؤلف وهو يفسر هذه الآيات؛ نقول: ((**وكأين من نبي قتل**)) يعني ما أكثرهم الأنبياء الذين قتلوا، ثم قال: ((**معه ربيون**)) .

السائل: الخروج للجهاد على من لا يصبر عليه من عدم رضا والديه هل يعذره ربه كما في يوم القيمة عذر آخر من خرج من النار لما أخلف العهد, هل يدخل في هذا الجنس ؟

الشيخ: لا، لأن أعمال الآخرة ليست كأعمال الدنيا، التكليف في الدنيا لا يساوي تكليف الآخرة.

الطالب: ثم أخبر الله عما استنصرت به الأنبياء وأممهم على قومهم من اعترافهم وتوبتهم واستغفارهم وسؤالهم ربهم أن يثبت أقدامهم وأن ينصرهم على أعدائهم فقال: ((**وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين**)) لما علم القوم أن العدو إنما يدال عليهم بذنوبهم وأن الشيطان إنما يستزلهم ويهزمهم بها وأنها نوعان: تقصير في حق؛ أو تجاوز لحد؛ وأن النصرة منوطة بالطاع؛ قالوا: ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا, ثم علموا أن ربهم تبارك وتعالى إن لم يثبت أقدامهم وينصرهم لم يقدروا هم على تثبيت أقدام أنفسهم ونصرها على أعدائهم فسألوه ما يعلمون أنه بيده دونهم وأنه إن لم يثبت أقدامهم وينصرهم لم يثبتوا ولم ينتصروا؛ فوفوا المقامين حقهما: مقام المقتضي وهو التوحيد والالتجاء إليه سبحانه؛ ومقام إزالة المانع من النصرة وهو الذنوب

والإسراف؛ ثم حذرهم سبحانه من طاعة عدوهم وأخبر أنهم إن أطاعوهم خسروا الدنيا والآخرة؛ وفي ذلك تعريض بالمنافقين الذين أطاعوا المشركين لما انتصروا وظفروا يوم أحد .

الشيخ: ولاشك أن طاعة أعداء الله خسارة في الدنيا والآخرة؛ بل إذا أطيعوا في بعض الأمر ما هو كل الأمر كان ذلك خسارة على المؤمنين، كما قال تعالى: ((**ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الأمر**)) ما هو في كله, فكيف إذا أطاعوه في كل الأمر؛ وهذا فيه تحذير من طاعة الأعداء؛ وطاعة الأعداء هي اتباع أوامرهم سواء وقعت بالقول أو بالفعل؛ أما بالقول فمثل أن يقولوا: افعلوا كذا، افتحوا الباب لكل حزب، اجعلوا لكل حزب يفعل ما شاء من كفر وإلحاد وزنا وفجور وخمر وغيرها، اجعلوا الناس أحرارا؛ هذا إذا أطعناهم في ذلك فهذا لاشك أنه سبب للخسارة.

الثاني: الطاعة بالأمر بالفعل، مثل أن لا يأمروننا؛ لكن يفعلون الأفعال المخالفة للشرع حتى يستمرأها الناس؛ فتجد الناس أول ما تفعل هذه الأفعال المخالفة للشرع ينفرون منها وتنفر منها الطباع ثم بعد ذلك يأخذون عليها؛ ومع الإمساس يقل الإحساس؛ وهذا هو ما يعبر عنه أهل الفسق بقولهم: إذا لم يخضعوا بالقول فليخضعوا بالواقع؛ الخضوع للواقع للأمر الواقع, تجده يبث الشر ويسكت، ثم الناس يخضعون للأمر الواقع؛ وهذا خطر عظيم؛ ولذلك يجب علينا أن نحترز احترازا بالغا من كيد الذين كفروا لأن كيدهم عظيم, ونحن نعلم علم اليقين أنهم أعدائنا مهما كانوا حتى لو أظهروا الصداقة فهم أعداء, يظهرون الصداقة ليتمكنوا منا ويلعبوا علينا ثم بعد ذلك يفعلون ما يريدون؛ فالواجب الحذر من أعداء الله، الواجب الحذر غاية الحذر؛ لأنهم أعداء كما قال المؤلف رحمه الله: أخبر أنهم إن أطاعوهم خسروا الدنيا والآخرة: ((**يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردون على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين**))؛ هذه آية ثانية يا أخي؛ الآية الثانية: ((**يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين**)) والثانية: ((**يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين**))؛ وظاهر كلام المؤلف أنه يريد الآية هذه، يريد هذه الآية لأن الآيات التي ذكرنا: ((**يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من أهل الكتاب**)) **قبل قوله**: ((**وإذ غدوت من أهل الكتاب**)) أي قبل آيات النازلة في أحد .

السائل: الشهادة نعمة هي نعمة من نعم الله على المؤمنين؛ فما الحكمة ما أعطى هذه النعمة على خليله محمد صلى الله عليه وسلم ؟

الشيخ: ويش تقولون في هذا السؤال ؟ يقول: لماذا لم يقتل محمد شهيدا مادامت الشهادة نعمة ؟

الطالب: لأن مقام النبوة والرسالة أفضل من مقام الشهادة ؛

الشيخ: نعم هذا هو الجواب الصحيح؛ نقول: الرسول أكرمه الله بما هو أفضل من هذا؛ أبو بكر رضي الله عنه لم يقتل شهيدا؛ لأنه من الصديقين؛ ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في أحد لما ارتج بهم قال: (**اثبت أحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان**) ودرجة الصديقية أكمل؛ على أن بعض العلماء يقول: إن الرسول صلى الله عليه وسلم يعتبر شهيدا لأنه في مرض موته قال: (**ما زالت أكلة خيبر تعاودني وهذا أوان انقطاع أبهري**) فالله أعلم؛ على كل حال مقام النبوة أشرف من مقام الشهادة, زائد عليه بدرجة.

السائل: هذا نعمة ؟

الشيخ: لا، إذا حصل الكمال ما هو لازم، ما هو بلازم .

السائل: شيخ ! الاستعانة بالكفار في أمور الدنيا هل يضر هذا ؟

الشيخ: نعم حتى في أمور الدنيا إذا كان هذا يستلزم علوهم علينا وذلنا لهم؛ أما إذا كنا ننتفع بما علمهم الله من أمور الدنيا لكن بدون ذل هذا لا بأس به .

الطالب: ثم أخبرهم أنه سيلقي في قلوب أعدائهم الرعب الذي يمنعهم من الهجوم عليهم والإقدام على حربهم, وأنه يؤيد حزبه بجند من الرعب ينتصرون به على أعدائهم وذلك الرعب بسبب ما في قلوبهم من الشرك بالله؛ وعلى قدر الشرك يكون الرعب؛ فالمشرك بالله أشد شيئا خوفا ورعبا, والذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بالشرك لهم الأمن والهدى والفلاح؛ والمشرك له الخوف والضلال والشقاء؛ ثم أخبرهم أنه صدقهم وعده في نصرتهم على عدوهم .

الشيخ: لكن الإنسان يكون في قلبه من الخوف والرعب بقدر ما حصل منه من المعصية، إن كان مشركا فهو رعب كامل, وإن كان دون ذلك فهو رعب ناقص؛ لأن المعاصي توجب ذل العبد؛ وإذا ذل العبد . والعياذ بالله . صار خائفا من كل شيء؛ ولهذا يقال من الحكمة: **من خاف الله خافه كل شيء, ومن لم يخف الله خاف من كل شيء** .

الطالب: ثم أخبرهم أنه صدقهم وعده في نصرتهم على عدوهم وهو الصادق الوعد؛ وأنه لو أنهم لو استمروا على الطاعة ولزوم أمر الرسول لاستمرت نصرتهم؛ ولكن انخلعوا عن الطاعة وفارقوا مركزهم فانخلعوا عن عصمة الطاعة ففارقتهم النصرة, فصرفهم عن عدوهم عقوبة وابتلاء وتعريفا لهم بسوء عواقب المعصية وحسن عاقبة الطاعة .

الشيخ: هذا وهم من ؟ الصحابة؛ بقيادة من ؟ الرسول عليه الصلاة والسلام؛ معصية واحدة أوجبت الهزيمة, فكيف بمعاص كثيرة ؟ كيف من يقول نعطي الجنود ترفيها بالمزامير والمعازف وربما بشيء آخر؛ أين يكون النصر ومن أين يأتي النصر ؟ وهل يستنصر الله تعالى بمعصيته ؟ أبدا والله؛ لا يستنصر الله إلا بطاعته؛ ولهذا كان من

كيد أعدائنا لنا أن دخلوا مثل هذه الأساليب في فنون الحرب؛ لأنهم يعلمون أن الرجل الذي يتعلق قلبه بالمعازف والطرب والنشوة كيف يمكن أن يقابل عدوه ليقتله ؟ هذا غير ممكن؛ لأن هؤلاء سوف يركنون إلى أي شيء ؟ إلى ما اعتادوا عليه من اللهو والعزف وما أشبه ذلك؛ وأكره شيء عندهم هو الموت؛ لكن المعلق قلبه بالله البعيد عن معاصي الله وعن اللهو يكون الموت في سبيل الله أحب إليه من الحياة؛ ولهذا قال بعض قواد المسلمين أظنه قاله لرستم قائد الفرس قال: " **أتيتك بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة** "؛ يحبون الموت كما تحبون الحياة؛ فرق بين هذا وهذا؛ الذي يحب الحياة إذا رأى أسباب الموت هرب ما يرده إلا منجاته؛ والذي يحب الموت إذا رأى أسباب الموت أقدم عليه؛ لأنه يريد أن يقتل في سبيل الله؛ مثل هذه الكلمات الرنانة القوية تجعل فرائس العدو ترتجف؛ أعوذ بالله أتيتني بواحد يحب الموت مثل ما أحب الحياة ؟ يمكن ترتعد يده حتى يسقط السيف منها؛ وهكذا ينبغي للمسلم أن يكون شديدا على أعداء الله على الكفار؛ رحيما في بني جنسه من المؤمنين كما وصف الله محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه بكونهم أشداء على الكفار رحماء بينهم .

الطالب: الحمد لله. **قال ابن القيم رحمه الله في سياق غزوة أحد:**

ثم أخبر عنها وعفا عنهم بعد ذلك كله وأنه ذو فضل على عباده المؤمنين .قيل للحسن: كيف يعفو عنهم وقد سلط عليهم أعدائهم حتى قتلوا منهم من قتلوا ومثلوا بهم ونالوا منهم ما نالوه ؟ فقال: لولا عفوه عنهم لاستأصلهم, ولكن بعفوه عنهم دفع عنهم عدوهم بعد أن كانوا مجمعين على استئصالهم؛ ثم ذكر حالهم وقت فرارهم مصعدين أي جادين في الهرب والذهاب في الأرض .

الشيخ: بسم الله الرحمن الرحيم. هذه الفائدة أو الحكمة: أن الله بين أنه عفا عنهم بيانا مؤكدا باللام وقد والقسم؛ ولكن الإشكال أن يقال: كيف صح هذا مع أنهم قتلوا ومثل بهم وحصل عليهم من القرح ما هو معلوم ؟ فيجاب بأن هذا بعض ما يستحقونه؛ ولو عاقبهم العقوبة الملائمة لهذا الذنب العظيم لكان أشد ولستأصلهم؛ فكان هذا العفو يعني عن بعض العقوبة لا عن كلها؛ لأن العقوبة حصلت، حصل منها شيء؛ فهو ليس عفوا مطلقا بل هو عفو عن أشد العقوبتين .

الطالب: ثم ذكر حالهم وقت الفرار مصعدين أي جادين في الهرب والذهاب في الأرض أو صاعدين في الجبل لا يلوون على أحد من نبيهم ولا أصحابهم والرسول يدعون في أخراهم: (**إلي عباد الله أنا رسول الله**) فأثابهم بهذا الهرب والفرار غما بعد غم، غم الهزيمة و الكسرة وغم صرخة الشيطان فيهم بأن محمدا قد قتل؛ وقيل: جزاكم غما بما غممتم رسوله بفراركم عنه وأسلمتموه إلى عدوه؛ فالغم الذي حصل لكم جزاء على الغم الذي أوقعتموه بنبيه؛ والقول الأول أظهر لوجوه.

الشيخ: الآن فهمتم الفرق بين قولين ؟ أثابكم غما بغم يعني غما مصحوبا بغم آخر, أي غما بعد غم؛ الغم الأول: الهزيمة؛ والغم الثاني: ما أشيع من أن النبي صلى الله عليه وسلم قتل؛ وقيل: إن الباء هنا للبدلية أي أثابكم غما بدل غم؛ فيكون الغم الثاني بدلا عن الغم الأول؛ والغم الأول هو ما حصل للرسول صلى الله عليه وسلم من الغم بفرارهم؛ والغم الذي هو بدل عنه ما أصابهم هم بهذه الهزيمة والقولة المكذوبة من أن محمدا صلى الله عليه وسلم قتل؛ والمؤلف رحمه الله يقول إن القول الأول أظهر, ما هو ؟ أن الباء للمصاحبة أي أصابكم غما مصحوبا بغم ويذكر الوجوه :

الطالب: أحدها: أن قوله: ((**لكي لا تأسوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم**)) تنبيه على حكمة هذا الغم بعد الغم, وهو أن ينسيهم الحزن على ما فاتهم من الظفر وعلى ما أصابهم من الهزيمة والجراح فنسوا بذلك السبب وهذا إنما يحصل بالغم الذي يعقبه غم آخر.

الثاني: أنه مطابق للواقع فإنه حصل لهم غم فوات الغنيمة ثم أعقبهم غم الهزيمة ثم غم الجراح التي أصابتهم ثم غم القتل ثم غم سماعهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قتل ثم غم ظهور أعدائهم على الجبل فوقهم؛ وليس المراد غمين اثنين خاصة؛ بل غما متتابعا لتمام الابتلاء والامتحان.

الثالث: أن قوله: ((**بغم**)) من تمام الثواب .

الشيخ: كم من الغم ذكر المؤلف ؟ الطالب: خمسة؛ الشيخ: غم فوات الغنيمة، غم الهزيمة، غم الجراح، غم القتل، غم سماعهم أن النبي صلى الله عليه وسلم قد قتل؛ غم ظهور أعدائهم على الجبل فوقهم؛ ستة.

الطالب: الثالث: أن قوله: ((**بغم**)) من تمام الثواب لا أنه سبب جزاء الثواب والمعنى: ((**أثابكم غما**)) متصلا بغم .

الشيخ: يعني بل أثابكم غما متصلا بغم .

الطالب: الثالث: أن قوله: ((**بغم**)) من تمام الثواب لا أنه سبب جزاء الثواب؛ والمعنى أثابكم غما متصلا بغم جزاء على ما وقع منهم من الهروب وإسلامهم نبيهم صلى الله عليه وسلم وأصحابه وترك استجابتهم له وهو يدعوهم, ومخالفتهم له في لزوم مركزهم وتنازعهم في الأمر وفشلهم, وكل واحد من هذه الأمور يوجب غما يخصه؛ فترادفت عليهم الغموم كما ترادفت منهم أسبابها وموجباتها؛ ولولا أن تداركهم بعفوه لكان أمرا آخر؛ ومن لطفه بهم ورأفته ورحمته أن هذه الأمور التي صدرت منهم كانت من موجَبات الطباع, وهي من بقايا النفوس التي تمنع من النصرة المستقرة, فقيض لهم بلطفه أسبابا أخرجها من القوة إلى الفعل فترتب عليها آثارها المكروهة فعلموا حينئذ أن التوبة منها والاحتراز من أمثالها ودفعها بأضدادها أمر متعين لا يتم لهم الفلاح والنصرة الدائمة المستقرة

إلا به؛ فكانوا أشد حذرا بعدها ومعرفة بالأبواب التي دخل عليهم منها؛ وربما صحت الأجسام بالعلل؛ ثم إنه تداركهم سبحانه برحمته وخفف عنهم ذلك الغم وغيبه عنهم بالنعاس الذي أنزله عليهم أمنا منهم ورحمة, والنعاس في الحرب علامة النصرة و الأمن كما أنزله عليهم يوم بدر, وأخبر أن من لم يصبه من ذلك النعاس فهو ممن أهمته نفسه لا دينه ولا نبيه ولا أصحابه, وأنهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية ؛ وقد فسر هذا الظن الذي لا يليق بالله بأنه سبحانه لا ينصر رسوله وأن أمره سيضمحل وأنه يسلمه للقتل؛ وقد فسر بظنهم أن ما أصابهم لم يكن بقضائه وقدره ولا حكمة له فيه؛ ففسر بإنكار الحكمة وإنكار القدر وإنكار أن يتم أمر رسوله ويظهره على الدين كله؛ وهذا هو ظن السوء الذي ظنه المنافقون والمشركون به سبحانه وتعالى في سورة الفتح حيث يقول: ((**ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا**)) .

الشيخ: الآية: ((**ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية**)) أي ظن الجاهل بالله عزوجل؛ فسر هذا الظن بأن الذي حصل لم يكن بقضاء الله وقدره في قولهم: ((**لو أطاعونا ما قتلوا**)) ((**لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا**)) هذا ظن أنه ليس بقضاء الله وقدره مع أن الله قدره؛ والتفسر الثاني يقول: فسر أن الله لا ينصر رسوله يعني ظنوا أنه لما حصلت هذه الهزيمة فإنه لا انتصار بعد ذلك للمسلمين؛ وهذا بلا شك ظن سوء بالله عزوجل.

ذكر المؤلف؛ رتب على هذا أشياء كثيرة وقال في سورة الفتح: ((**ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا**)) ففي هذا التحذير من سوء الظن بالله.

ولكن إذا قال قائل: إذا فعل الإنسان المعاصي فهل يحرم عليه أن يظن ظن السوء بناء على ما فعل ؟.

نقول: إذا فعل المعاصي فهنا أمران؛ الأمر الأول ظن فيما يتعلق بنفسه؛ فهنا لا يظن أن الله تعالى أمهله رضا بما فعل؛ الثاني: ظن بالله عزوجل بأن يؤمل الإنسان أن الله يهديه ويتوب عليه من هذا العمل السيئ حتى يغفر الله له؛ هذا حق. هذا وهذا؛ أما أن نظن أن الله لا يغفر له ولا يوفقه ولا يهديه؛ فإن هذا من ظن السوء بالله؛ وكم من إنسان صار على شفا جرف هار ثم استقام وثبت؛ وكم من إنسان بالعكس؛ فالإنسان لا ينبغي له أن يظن بالله ظن السوء وأن الله لا يوفقه بعد ذلك ولا يتوب عليه؛ هذا خطأ عظيم؛ لكن نعم يظن ظن السوء باعتبار فعله هو, أي أنه يظن بنفسه ظن السوء من أجل أن ينتشلها حتى يرقيها إلى مرتبة تكون أهلا لظن الخير .

السائل: ما معنى يضمحل ؟

الشيخ: يضمحل يزول.

الطالب: وإنما كان هذا ظن السوء وظن الجاهلية المنسوب إلى أهل الجهل وظن غير الحق لأنه ظن غير ما يليق بأسمائه الحسنى وصفاته العلياء وذاته المبرأة من كل عيب وسوء بخلاف ما يليق بحكمته وحمده وتفرده بالربوبية والإلهية وما يليق بوعده الصادق الذي لا يخلفه وبكلمته التي سبقت لرسله أنه ينصرهم ولا يخذلهم ولجنده بأنهم هم غالبون؛ فمن ظن بأنه لا ينصر رسله ولا يتم أمره ولا يؤيده, ويؤيد حزبه ويعليهم ويظفرهم بأعدائه ويظهرهم عليهم وأنه لا ينصر دينه وكتابه وأنه يديل الشرك على التوحيد والباطلة على الحق إدالة مستقرة يضمحل معها التوحيد والحق اضمحلالا لا يقوم بعده أبدا فقد ظن بالله ظن السوء ونسبه إلى خلاف ما يليق بكماله وجلاله وصفاته ونعوته؛ فإن حمده وعزته وحكمته وإلهيته تأبى ذلك وتأبى أن يذل حزبه وجنده وأن تكون النصرة المستقرة والظفر الدائم لأعدائه المشركين به العادلين به؛ فمن ظن بذلك فما عرفه ولا عرف أسمائه ولا عرف صفاته وكماله؛ وكذلك من أنكر أن يكون ذلك بقضائه وقدره فلا عرفه ولا عرف ربوبيته وملكه وعظمته؛ وكذلك من أنكر أن يكون قدر ما قدره من ذلك وغيره لحكمة بالغة وغاية محمودة يستحق الحمد عليها, وأن ذلك إنما صدر ذلك عن مشيئة مجردة عن حكمة وغاية مطلوبة هي أحب إليه من فوتها؛ وأن تلك الأسباب المكروهة المفضية إليها لا يخرج تقديرها عن الحكمة لإفضائها إلى ما يحب وإن كانت مكروهة له فما قدرها سدى ولا أنشأها عبثا ولا خلقها باطلا ((**ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار**)) وأكثر الناس يظنون بالله غير الحق ظن السوء فيما يختص بهم وفيما يفعله بغيرهم, ولا يسلم من ذلك إلا من عرف الله وعرف أسمائه وصفاته وعرف موجب الحمد .

السائل: قوله: وصفاته العليا صحيح أو صفاته العلى ؟

الشيخ: كل هذا جائز؛ العلى جمع والعليا مفرد؛ والسموات توصف الجمع والمفرد ؛ وفي كتاب الله تعالى: ((**تنزيلا ممن خلق الأرض والسموات العلى**)) أي نعم .

الطالب: ولا يسلم من ذلك إلا من عرف الله وعرف أسمائه وصفاته وعرف موجب حمده وحكمته؛ فمن قنط من رحمته وأيس من روحه فقد ظن به ظن السوء؛ فمن جوز عليه أن يعذب أوليائه مع إحسانهم وإخلاصهم ويسوي بينهم وبين أعدائه فقد ظن به ظن السوء؛ ومن ظن به أن يترك خلقه سدى معطلين عن الأمر والنهي ولا يرسل إليهم رسله ولا ينزل عليهم كتبه بل يتركهم هملا كالأنعام فقد ظن به ظن السوء؛ ومن ظن أنه لن يجمع عبيده بعد موتهم للثواب والعقاب في دار يجازي المحسن فيها بإحسانه والمسيء بإساءته ويبين لخلقه حقيقة ما اختلفوا فيه ويظهر للعالمين كلهم صدقه وصدق رسله وأن أعدائه كانوا هم الكاذبين فقد ظن به ظن السوء؛ ومن ظن أنه

يضيع عليه عمله الصالح الذي عمله خالصا لوجهه الكريم على امتثال أمره ويبطله عليه بلا سبب من العبد أو أنه يعاقبه بما لا صنع فيه ولا اختيار له ولا قدرة ولا إرادة في حصوله بل يعاقبه على فعله هو سبحانه به أو ظن به أنه يجوز عليه أن يؤيد أعدائه الكاذبين عليه بالمعجزات التي يؤيد بها أنبيائه ورسله .

الطالب: ومن ظن أنه يضيع عليه عمله الصالح الذي عمله خالصا لوجهه الكريم على امتثال أمره ويبطله عليه بلا سبب من العبد أو أنه يعاقبه بما لا صنع فيه ولا اختيار له ولا قدرة ولا إرادة في حصوله بل يعاقبه على فعله هو سبحانه به, أو ظن به أنه يجوز عليه أن يؤيد أعدائه الكاذبين عليه بالمعجزات التي يؤيد بها أنبيائه ورسله ويجريها على أيديهم يضلون بها عباده, وأنه يحسن منه كل شيء حتى تعذيب من أفنى عمره في طاعته فيخلده في الجحيم أسفل السافلين, وينعم من استنفذ عمره في عداوته وعداوة رسله ودينه فيرفعه إلى أعلى عليين، وكلا الأمرين عنده في الحسن سواء ولا يعرف امتناع أحدهما ووقوع الآخر إلا بخبر صادق وإلا فالعقل لا يقتضي بقبح أحدهما وحسن الآخر فقد ظن به ظن السوء .

الشيخ: كل هذه الأشياء التي ذكرها المؤلف قد قالها بعض الخلق, فمثلا منها ما يرُد على المشركين ومنها ما يرُد على المعطلة إذا أحببتم نستعرضها وإلا نمشي ؟.

الطالب: نستعرضها؛

الشيخ: طيب من جوز عليه أن يعذب أوليائه مع إحسانهم وإخلاصهم ويسوي بينهم وبين أعدائه فقد ظن به ظن السوء؛ هذه قالها بعض الناس، بعد أهل البدع قال ذلك، قال: يجوز أن الله سبحانه وتعالى يعذب أوليائه ويلحقهم بأعدائه؛ وعلى هذا قال السفاريني :

وجاز للمولى يعذب الورى من غير ما ذنب ولا جرم

جرى فكل ما منه تعالى يجمل لأنه عن فعله لا يسأل

يعني يجوز أن يعذب الطائع الذي أفنى عمره بطاعة الله بدون ذنب ويسوي بينه وبين المجرم الذي أمضى وقته كله في معصية الله، وعللوا ذلك بأن الكل عبيده يفعل ما يشاء ولا يسأل عما يفعل؛ ولكن هذا القول أورد عليه أن هذا ظلم لا يليق بالعقل أن يقع, فيكف يأمره وينهاه فيقوم بأمره ويترك نهيه ثم بعد ذلك يعذبه؛ هذا ظلم؛ قالوا: إن هذا ليس بظلم لأن الظلم محال في حق الله؛ لأن الظلم تصرف الظالم في غير ما هو له؛ أما إذا تصرف فيما هو له فليس بظالم مهما فعل؛ ولاشك أن هذا القول باطل يبطله العقل ويبطله السمع؛ فإن الله سبحانه وتعالى يقول: ((**ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما**)) وقال تعالى: ((**ولا يظلم ربك أحدا**)) وقال تعالى: ((**وقد قدمت إليكم بالوعيد ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد**))؛ فمن ظن أن الله يعذب هؤلاء الأولياء ويساويهم بأعدائه فقد ظن به ظن السوء .

طيب من ظن أنه يترك خلقه سدى معطلين عن الأمر والنهي ولا يرسل إليهم رسله ولا ينزل عليهم كتبه بل يتركهم هملا كالأنعام فقد ظن به ظن السوء؛ هذا أيضا قاله طائفة من الخلق، وقالوا: إن الناس لا يحتاجون إلى

الرسل, ويمكنهم أن يعرفوا ما يجب لله وما يمتنع وما يجوز بدون إرسال الرسل؛ وهذا أيضا من ظنه بالله فقد ظن به ظن السوء؛ إذ كيف يخلق خلقا ويعطيهم العقول ويتركهم سدى لا يأمرهم ولا ينهاهم؛ وقد أشار الله إلى هذا بقوله: ((**أيحسب الإنسان أن يترك سدى**)) ((**أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا**)) .

طيب قال: " **ومن ظن أنه لن يجمع عبيده بعد موتهم للثواب والعقاب في دار يجازي فيها المحسن بإحسانه** ... " من ظن هذا ؟ ظنه المنكرون للبعث، الكافرون الذين قالوا: من يحيي العظام وهي رميم؛ ما فيه إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا .

" **ومن ظن أنه يضيع عليه عمله الصالح الذي عمله خالصا لوجهه الكريم على امتثال أمره؛ ويبطله عليه بلا سبب من العبد أو أنه يعاقبه بما لا صنع فيه ولا اختيار له ولا قدرة ولا إرادة لحصوله بل يعاقبه على فعله هو سبحانه** ... "؛ هذا ظنه الذين قالوا بالجبر؛ وقالوا: إن الله سبحانه وتعالى يعاقب ويثيب بشيء لا صنع للإنسان فيه ولا إرادة ولا اختيار؛ لماذا ؟ لأن العبد عندهم مجبور على عمله، مجبور يعمل قهرا .

كذلك أيضا يقول: " **أو ظن أنه يجوز عليه أن يؤيد أعدائه الكاذبين عليه بالمعجزات التي يؤيد بها أنبيائه ورسله ويجريها على أيديهم يضلون بها عبادة** " هذا أيضا ظن السوء؛ لأن الله لا يمكن أبدا أن يؤيد الكاذبين عليه بما يؤيد به الصادقين؛ لأن هذا خلاف الحكمة، هذا خلاف الحكمة؛ لو أيد مسيلمة الكذاب ومختار بن عبيد وغيرهما ممن ادعى النبوة بمثل ما أيد به محمدا صلى الله عليه وسلم لكان هذا خلاف الحكمة؛ بل هو فتنة وإضلال للخلق؛ والله سبحانه وتعالى يقول: ((**يريد الله ليبين لكم**)) ((**يبين الله لكم أن تضلوا**)) .

كذلك يقول: " **وأنه يحسن منه كل شيء حتى تعذيب من أفنى عمره في طاعته فيخلد في الجحيم في أسفل السافلين وينعم من استنفد عمره في عداوته وعداوة رسله وعداوة دينه فيرفعه إلى أعلى عليين وكلا الأمرين عنده في الحسن سواء** "؛ هذا رد على من قالوا بامتناع التحسين والتقبيح العقليين, يعني فيه طائفة من الناس من أهل الكلام ينفون التقبيح والتحسين العقلي، ويقولون: إن العقل لا يستحسن شيئا ولا يستقبح شيئا؛ لو أن الله عزوجل عذب صاحب الطاعة الذي أفنى عمره بالطاعة وأكرم صاحب المعصية الذي أفنى عمره بالمعصية لكان الكل سواء عنده؛ ولو أنه نعم القائم بطاعته وعذب القائم بمعصية لكان الكل عنده سواء؛ هذا لاشك أن من ظن بالله هذا وأن العقل لا يحسن ولا يقبح فقد ظن بالله ظن السوء .

السائل: شيخ أحسن الله إليك ! ما يؤيد كلام السفاريني ما جاء في الصحيح أنه إذا أدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار بقي فيها فضل فيخلق الله لها أقواما يدخلهم فيها ؟

الشيخ: يخلق لمن ؟

السائل: للذين يدخلون النار؛

الشيخ: أحسنت هذه جيد؛ الواقع إننا لسنا نقرأ في العقيدة حتى نورد ما يعترض به فندافع عنه, يعني سفاريني استدل بما جاء في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**أن الله لو عذب أهل سمواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم**) هذا الحديث استدلوا به؛ لكن هذا الحديث حجة عليهم في الواقع؛ كيف ذلك ؟ أنه لو عذب أهل سمواته وأرضه لعذبهم وهو ظالم ؟ بالعدل يعني لعذبهم بعدله لا بظلمه؛ فإذا عصى أهل السموات والأرض عذبهم الله, لكن بظلم أو بعدل ؟ بعدل، هذا المعنى؛ لا يحتمل غيره؛ فهو كما قال عليه الصلاة والسلام: (**لن يدخل أحد بعمله**) وأما الحديث الذي أشار إليه الأخ حمد الذي في البخاري: (أنه يبقى في النار فضل عمن دخلها من أهل الدنيا فينشئ الله لها أقواما فيدخلهم النار) فهذا حديث شاذ منقلب على الراوي ويصححه اللفظ الآخر: (**إنه يبقى في الجنة فضل عمن دخلها من أهل الدنيا فينشئ الله لها أقواما فيدخلهم الجنة**) وبهذا يزول الإشكال .

السائل: العقل يحسن ويقبح بدون دلالة الشرع ؟

الشيخ: أي نعم, لكن الشرع يؤيده ويشهد له؛ ولذلك ما من شيء في الشرع أمر به وإلا العقل يستحسنه.

السائل: هل العقل يهتدي إلى الشرع ...؟

الشيخ: نعم وضع, لكنه لا يهتدي إلى التفصيل، التفصيل في الأشياء هذه من قبل الشرع؛ لكن على سبيل العموم العقل يستحسن العدل ويستقبح الظلم؛ ولهذا يحيل الله عز وجل أحيانا المسائل على الأمر العقلي؛ فهو يحسن ويقبح؛ لكن مسألة الإيجاب والتحريم هذا إلى الشرع يعني لا يوجب ولا يحرم, إنما يقول هذا حسن وهذا قبيح وقد يخطئ في التحسين والتقبيح .

السائل: أكثر الفرق الذين يقدمون العقل على النقل ... ؟

الشيخ: هذا من تناقضاتهم يقولون: العقل لا يحسن ولا يقبح, وهم يردون أهم الأشياء إلى العقل وهي الأسماء والصفات .

الطالب: فمن ظن به أنه أخبر عن نفسه وصفاته وأفعاله بما ظاهره باطل وتشبيه وتمثيل, وترك الحق لم يخبر به وإنما رمز إليه رموزا بعيدة وأشار إليه إشارات ملغزة لم يصرح به؛ وصرح دائما بالتشبيه والتمثيل والباطل وأراد من خلقه أن يتعبوا أذهانهم وقواهم وأفكارهم في تحريف كلامه عن مواضعه وتأويله على غير تأويله ويتطلبوا له وجوه الاحتمالات المستكرهة والتأويلات التي هي بالألغاز والأحاجي أشبه منها بالكشف والبيان, وأحالهم في معرفة أسمائه وصفاته على عقولهم وآرائهم لا على كتابه بل أراد منهم على أن لا يحملوا كلامه على ما يعرفون من

خطابهم ولغتهم مع قدرته على أن يصرح لهم بالحق الذي ينبغي التصريح به ويريحهم من الألفاظ التي توقعهم في اعتقاد باطل فلم يفعل بل سلك بهم خلاف طريق الهدى والبيان فقد ظن به ظن السوء .

الشيخ: تمام, كل هذا الكلام من لوازم قول من ؟ قول أهل التأويل، أهل تأويل المعطلة؛ لأنهم قالوا: إن ظاهر النصوص التمثيل، والتمثيل باطل؛ فيجب أن يصرف النص عن ظاهره إلى المعنى الذي يقولونه؛ عرفتم ؟ فهم أخطئوا في قولهم إن ظاهر النصوص تمثيل، ثم أخطئوا في تأويل النص إلى ما تقتضيه عقولهم مع اختلافهم في ذلك؛ فإذا قيل لهم: إذا لماذا لم يصرح الله بهذا المعنى ؟ قالوا: من أجل أن يتعب الناس أفكارهم وأذهانهم ويتعبون في استخراج الشواهد؛ وبذلك يزداد أجرهم؛ لكن لو تنزلنا فرضا بأن هذا يزداد به الأجر لكن تختل به العقيدة؛ لماذا ؟ لأن الإنسان يبقى على شك، لا يدري هل هذا الذي أراده الله أم أراد غيره؛ ولذلك يعتبر هذا القول باطلا؛ فهم يقولون إن ظاهر النصوص التمثيل, والتمثيل ممتنع فيجب أن تصرف النصوص عن ظاهرها إلى معان يعينونها بعقولهم؛ فقيل لهم: طيب إذا ما الفائدة ؟ قال: من أجل زيادة الأجر بإتعاب الأذهان والعقول وكثرة التفكير؛ يقول: من ظن في كلام الله هذا فقد ظن به ظن السوء.

الطالب: فإنه قد ظن به ظن السوء, فإنه إن قال إنه غير قادر على التعبير عن الحق باللفظ الصريح الذي عبر به هو وسلفه فقد ظن بقدرته العجز؛ وإن قال إنه قادر ولم يبين وعدل عن البيان وعن التصريح بالحق إلى ما يوهم بل يوقع في الباطل المحال والاعتقاد الفاسد فقد ظن بحكمته ورحمته ظن السوء.

الشيخ: واضح يا جماعة ؟ هذا وجه كونه ظن السوء, لأن قوله: هل الله قادر على أن يعبر بما قلت أو لا ؟؛ إن قال: غير قادر فقد ظن ظن السوء بقدرته وأنه عاجز؛ وإن قال قادر لكن أتى باللفظ المجمل الذي فيه تلبيس فقد ظن بحكمته ورحمته ظن السوء وإرادته أيضا؛ لأن الله يقول: ((**يريد الله ليبين لكم**)) فإذا جاءتنا ألفاظ لا يراد بها ظاهرها فهذا ليس ببيان؛ فصار هو ظانا بالله ظن السوء على كل تقدير؛ إن جعل ذلك عائد إلى العجز وأنه عاجز عن أن يعبر بالمعنى الذي قاله هذا وادعاه فهذا طعن في قدرته؛ وإن قال إنه قادر ولكن أتى باللفظ المجمل المحير فقد ظن ظن السوء أو السوء بالحكمة والرحمة والإرادة .

الطالب: وظن أنه هو وسلفه عبروا عن الحق بصريحه دون الله ورسوله وأن الهدى والحق في كلامهم وعباراتهم, وأما كلام الله فإنما يؤخذ من ظاهره التشبيه والتمثيل.

الشيخ: سبحان الله هذا مسلك اليهود تماما: ((**وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا**)) هؤلاء يقولوا: كونوا مؤولة من أجل أن تهتدوا؛ لأن المثبتين للصفات مجسمة ممثلة حشوية, ويصفون بألقاب السوء؛ فالمهم أن هؤلاء يدعون إلى البدعة مع أنها ضلالة؛ فورثوا اليهود من هذا الوجه وإن كان هناك فرق بينهم وبين اليهود لأن اليهود

يدعون إلى الخروج من الإسلام وكذلك النصارى؛ لكن هؤلاء ضلوا فظنوا أن ما هم عليه حق فصاروا يدعون إلى الضلال وهم لا يشعرون .

السائل: قال بعض العلماء أن كل فعل في هذه الأمة يعني مخالف للشرع ورثوه من السابقين سواء حتى عن إبليس في بالتأويل ؟

الشيخ: هذا صحيح، كل مخالفة للشرع فإنها موروثة عمن سلف .

السائل: نفي الصفات أخذوا عمن ؟

الشيخ: نفي الصفات أخذوا عن الكفار: ((**وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن**))؛ إثبات صفات النقص أخذوا عن اليهود: ((**وقالت اليهود يد الله مغلولة**)) ((**قالوا إن الله فقير**)) .

الطالب: وأما كلام الله فإنما يؤخذ من ظاهره التشبيه والتمثيل والضلال, وظاهر كلام المتهوكين الحيارى هو الهدى والحق؛ وهذا من أسوء الظن بالله، فكل هؤلاء من الظانين بالله ظن السوء ومن الظانين به غير الحق ظن الجاهلية . ومن ظن في ملكه ما لا يشاء ولا يقدر على إيجاده وتكوينه .

الشيخ: طيب هذه الصفحة كلها في تعطيل الصفات، يخاطب بها من يعطلون الصفات الثابت لله عزوجل.

الطالب: فمن ظن به أن يكون في ملكه ما لا يشاء ولا يقدر على إيجاده وتكوينه فقد ظن به ظن السوء.

الشيخ: من هؤلاء ؟ الطالب: القدرية، الشيخ: القدرية الذين يقولون: إن الإنسان مستقل بفعله ليس لله فيه تعلق لا إرادة ولا خلق ولا تكوين ولا غيره .

الطالب: ومن ظن به أنه كان معطلا من الأزل إلى الأبد عن أن يفعل, ولا يوصف حينئذ بالقدرة على الفعل ثم صار قادرا عليه بعد أن لم يكن قادرا فقد ظن به ظن السوء .

الشيخ: من هؤلاء ؟ أكثر المتكلمين الذين يمنعون التسلسل في الماضي, وأنه كان بالأول معطلا ولا يوصف بالقدرة على الفعل ثم صار قادرا عليه بعد أن لم يكن قادرا .

الطالب: ومن ظن به أنه لا يسمع ولا يبصر ولا يعلم الموجودات ولا عدد السموات والأرض ولا النجوم ولا بني آدم وحركاتهم وأفعالهم ولا يعلم شيئا من الموجودات في الأعيان فقد ظن به ظن السوء.

الشيخ: هذا أيضا من ؟ الطالب: الجهمية؛ الشيخ: الذين يثبتون الأسماء دون الصفات .

الطالب: ومن ظن أنه لا سمع له ولا بصر ولا علم له ولا إرادة ولا كلام يقول به وأنه لم يكلم أحدا من الخلق ولا يتكلم أبدا ولا قال ولا يقول ولا له أمر ولا نهي يقوم به فقد ظن به ظن السوء.

الشيخ: هذا أيضا كالأول كلام المعتزلة لكن الأول لا يسمع ولا يبصر ولا يعلم هذا حكم؛ والثاني: نفي صفة لا سمع له يعني مثلا الفرق بينهما أنه يمكن أن يقول في الأول: له سمع لكن لا يسمع به وبصر لا يبصر به وعلم لا يعلم به؛ أما هذا فهو نفي للصفة نهائيا .

السائل: شيخ ما الفرق بين هؤلاء واليهود، اليهود ينفون القدرة لله قالوا: ((**يد الله مغلولة**)) وهؤلاء ينفون أشياء ؟

الشيخ: لا، بس هؤلاء ينسبون إلى الإسلام لكنهم صار عندهم هذا الضلال؛ اليهود لا ينتسبون للإسلام يكفرون بالإسلام؛ السائل: وهؤلاء ينقصون الخالق عز وجل ؟ الشيخ: ما فيه شك أنهم على خطر, والذي ينكر هذه الصفات هذا كافر، الذي يقول: إن الله لا يعلم الموجودات ولا علم له هذا، ولا يعلم عدد السموات وهو الذي خلقها سبحان الله ؛ سبحان الله .

السائل: هل هؤلاء يكفرون ؟

الشيخ: التكفير العيني لا يجوز إلا بعد إقامة الحجة؛ لكن هل يمكن لأحد أن يقول: من قال إن الله لا يعلم الموجودات ولا عدد السموات والأرض ولا يسمع ولا يبصر ولا يعرف النجوم, هل يمكن أن يقول هذا مسلم ؟ أبدا؛ لكن بس تكفير الشخص بعينه يحتاج إلى شروط؛ الجنس ممكن نقول هذا القول من قال به فهو كافر .

السائل: نقول المعتزلة كافر ؟ الشيخ: ما نعين، فيه من عين من السلف لكن ما هو بصحيح، التعيين لابد من إقامة الحجة, قد يكون الحق ملتبسا على شخص فيضل. السائل: فيه أقوال بعض الشيعة أن ... ؟

الشيخ: على كل حال نحن نذكر قواعد عامة،

السائل: فيها أشياء أشد من اليهود بكثير,

الشيخ: نحن نقول بألفاظ من قال كذا فهو كذا .

السائل: وأيضا يقولون: إن علي الله وأنه إله ؟

الشيخ: هذا ما فيه شك في كفرهم هذا؛ لو جاءنا إنسان يقول علي هو الله فلاشك عندنا في كفره, اللهم إلا أن يكون جاهلا عاميا يسمع من مشايخه ندعوه إلى الحق .

السائل: يقولون الله فلان ... ؟

الشيخ: طيب أنت ما تعرف أن فيه عوام ما يعرفون شيء ؟ عوام عاشوا على هذا المبدأ ولا يعرفون شيئا, فنحن ندعوهم بكل سهولة، نقول: الله هو رب السموات والأرض ما هو فلان؛ إذا أبوا قالوا: لا إنا وجدنا آبائنا على أمة حكمنا بكفرهم؛ يعني المعنى أننا نتأنى فإن أصر هؤلاء على ما قالوا صاروا كفرة وإلا فهم معذورون .

الطالب: ومن ظن به أنه فوق سمواته على عرشه بائنا من خلقه, وأن نسبة ذاته تعالى إلى عرشه كنسبتها إلى أسفل السافلين وإلى الأمكنة التي يرغب عن ذكرها وأنه أسفل كما أنه أعلى فقد ظن به أقبح الظن وأسوئه .

الشيخ: هذا واضح, هؤلاء الذين يقولون: إن الله مع الخلق بذاته وفوق السموات بذاته, يقولون: إن الله مع الخلق بذاته وفوقهم بذاته، يقولون: هو فوق السموات ونسبة أسفل السافلين إليه وأعلى عليين سواء لأنه هو في كل مكان؛ فالأعلى والأسفل عنده سواء ويغفلون عن قوله تعالى: ((**إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته**)) ويغفلون عن قوله: ((**ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون**)) ونحن نعلم أن هناك فرقا بين من كان في السماء السابعة ومن كان في الأرض السابعة بنسبة للقرب من الله؛ لكن بالنسبة إلى الإحاطة هما سواء؛ أما هؤلاء فهم يقولون: إن الله بذاته في كل مكان وهو فوق كل مكان؛ فيرون إن أسفل الأرض وأعلى السماء عنده سواء لا تختلفان في القرب؛ الذي يظن بالله هذا الظن فقد ظن به ظن السوء؛ وابن القيم رحمه الله لم يحدد هل نقول كافر أو غير كافر, لكننا نقول: إنه كافر إذا لم يكن متأولا, فإن كان متأولا ناقشناه؛ وقوله: " **ظن به أقبح الظن وأسوئه** "؛ صحيح لأن هؤلاء والعياذ بالله لا يتنزهون عن أن يكون الله في الأماكن القذرة التي يستحيا من ذكرها .

السائل: ما هي الشروط التي يمكن من خلالها الحكم على الرجل بشخصه أنه كافر ؟

الشيخ: نعم أن يكون قاصدا, وأن تبلغه الحجة؛ فإن كان غير قاصد فإنه لا يكفر؛ ولهذا لم يكفر الذي قال: اللهم أنت عبدي وأنا ربك؛ لأنه غير قاصد أخطأ من شدة الفرح؛ ولم يكفر المتأول الذي لم يقصد وصف الله بما يمتنع عليه حينما قال لأهله: إذا مت فأحرقوني وأذروني في اليم, فجمعه الله عزوجل وسأله لماذا قال: خوفا من عقابك؛ فكان عنده إيمان فغفر الله له بذلك, مع أن ظاهر فعله أنه شاك في قدرة الله, لكنه متأول هكذا ظن؛ وكذلك إذا لم تبلغه الحجة فإنه لا يكفر وإن كان فعله كفرا؛ لقوله تعالى: ((**وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث فيهم منها رسولا يتلوا عليهم آياته**)) ((**وما كنا مهلك القرى إلا وأهلها ظالمون**)) فلابد من إقامة الحجة ((**وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا**)) ولكن من كان يدين بدين الكفر من هؤلاء الذين لم تبلغهم الحجة فهو كافر، كافر في الدنيا, بمعنى أننا لا نأتي به إلينا وندفنه في مقابرنا ونغسله ونكفنه ونصلي عليه، كافر في الدنيا؛ وفي الآخرة أمره إلى الله، الله أعلم؛ ولهذا لا يجوز أن نلعنه مثلا أو أن ندعو له بالرحمة فلا ننزله منزلة المؤمنين ولا منزلة الكافرين؛ لأنه غير معلوم عندنا هل يكون مؤمنا في علم الله أو لا.

السائل: قلنا إن معرفة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم هي معلومة من الدين بالضرورة, فيكف يعذر من لا يعرفها ؟

الشيخ: نعم هي معروفة بالضرورة من الدين فيمن عاش في البلاد؛ أما من عاش في بلد لا يعرفون هذا.

السائل: لا، الكلام على الذي في بلد الإسلام يعني يقول: أن عليا هو الله ؟

الشيخ: أي نعم هذا العالم ما يعذر به معروف, لكن يجيء عامي نشأ في قوم يقولون: إن علي هو الله ويقولون: لا إله إلا, أي إلا علي؛ هذا معناه عنده, بكل بساط نجيبه وندعوه, معناه أننا ما نتركه هكذا نقول والله هذا رجل جاهل اتركوه؛ لا لابد أن ندعوه فإن أسلم وإلا حكمنا عليه بأنه كافر .

السائل: شيخ والقاعدة في أن الجهل لا يعذر به في الشرك ... صحيحة هذه ؟

الشيخ: لا ما هو صحيح هذا؛ كل شيء لابد أنه يكون الإنسان عالم، لابد أن تقوم عليه الحجة .

السائل: فعل الشرك بذاته حتى من الجاهل يجب عليه التوبة منه ؟

الشيخ: هو لابد أن يتوب حتى من القول، حتى الشرك القولي لابد أن يتوب منه؛ لكن الكلام هل هو عالم بأنه شرك أو لا ؟؛ هذا هو محل البحث؛ أما مسألة إذا علم أنه شرك فلابد أن يتوب منه سواء كان الشرك قولا أو فعلا .

السائل: فيه ناس تسميته مسلم قبل إقامة الحجة وهو نشأ أصلا على هذا الشيء ؟

الشيخ: هو مسلم لأنه يقول إنه مسلم ولم يظن أن هذا ينافي الدين الإسلامي؛ هو عائش في بلاد إسلامية وهو يقول إنه مسلم وأبوه مسلم وأمه مسلمة, عائش على أنه مسلم لكن لم يعلم أن هذا الفعل ينافي الدين الإسلامي؛ إذا هو معذور . السائل: والحقيقة ؟ الشيخ: العبرة بما في ظن المكلف في مسائل العبادات؛ فهذا الرجل يظن أنه على حق وليس هناك دعاة مثلا, يعني لو فرض أنه فيه من يدعوا إلى الحق ولكن هذا أصر وقال: والله أنا ما أقبل لأن عندي مشايخ يقولون هذا لا بأس به، عندي مشايخ يقولون: استعن بالرسول، عندي مشايخ يقول: علي هو الرسول مثلا؛ هذا لاشك أنه قامت عليه الحجة ولا يعذر؛ أما إذا كان ما علم كل الناس على هذا الطريق فهذا عذر؛ نحن نقول: هو مسلم الآن مسلم لأنه يدين بدين الإسلام حسب زعمه وفي الآخرة علمه عند الله؛ كما أن الذي يدين بالكفر وهو ما علم عن الإسلام شيئا نقول: هو كافر لأنه ما أراد الإسلام ولا اعتنق الإسلام ولو في تقديره؛ يكون كافرا وفي الآخرة أمره إلى الله .

الطالب: ومن ظن به أنه يحب الكفر والفسوق والعصيان ويحب الفساد كما يحب الإيمان والبر والطاعة والإصلاح فقد ظن به ظن السوء.

ومن ظن به أنه لا يحب ولا يرضى ولا يغضب ولا يسخط ولا يوالي .

الشيخ: من هؤلاء ؟ الطالب: الأشاعرة؛ الشيخ: لا, هؤلاء الذين يقولون إن كل مراد لله فهو محبوب له, ولا يفرقون بين المحبة والإرادة، يقولون: كل مراد له فهو محبوب له؛ وهذا لا شك أنه قول منكر لأن الله نفى هذا قال: ((**والله لا يحب الفساد**)) ((**والله لا يحب المفسدين**)) ((**إن تكفروا فإن الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم**)) والآيات في هذا كثيرة؛ والنصوص واضحة صريحة في الفرق بين الإرادة والمحبة؛ فالإرادة تتعلق فيما يحبه وفيما لا يحبه؛ والمحبة لا تكون إلا فيما يحبه؛ واضح ؟ وهذه تُعلم من تقسيم الإرادة إلى كونية وشرعية؛ فالإرادة الكونية تتعلق فيما يرضاه ويسخطه؛ كل ما وقع فهو مراد له كونا؛ أما الإرادة الشرعية فتكون فيما يحبه؛ ولهذا نقول: إن الله يريد الإيمان ولا يريد الكفر بالإرادة الشرعية؛ أما بالإرادة الكونية فكل ما وقع من إيمان وكفر وفسوق وطاعة وعصيان فإنه مراد له كونا.

السائل: أهل البدع كلهم لديهم تأويل لمعتقداتهم فهل كلهم يعذرون ؟.

الشيخ: أي نعم, التأويل هذا لا يعذر به, لأنه خلاف جادة السلف؛ لكن أحيانا قد يعذر به، قد يعذر مثلا لو قال: (**من أتاني يمشي أتيته هرولة**) ظاهر الحديث أنه يمشي هو بنفسه عزوجل؛ فأنا أقول: إن هذا كناية عن سرعة إثابة الله الطائع, وأنه عز وجل أسرع إلى العبد من العبد إليه؛ لو قال هذا تأويل محتمل؛ لكن يجيء إنسان يؤل تأويلا لا يحتمله اللفظ إطلاقا هذا ما نقبل .

السائل: ما يعذر التأويلات هذه شيخ ؟.

الشيخ: لا ما يعذر فيه، ما هو كل التأويل, أنا قلتك الآن تأويل هذا الحديث الذي معنا تأويل مقبول: ((**ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله**)) وجه الله هل المراد وجهه الذي هو الوجه الذاتي أو المراد بالوجه يعني الجهة ؟ كما تقول فلان ذهب إلى الوجه الفلاني؛ فيه خلاف بين السلف؛ إذا تأويل بمثل هذا محتمل .

السائل: هل الإرادة الشرعية هي المحبة نفسها ؟

الشيخ: نعم هي المحبة ؟ نعم فإذا قلت: يريد الله منك أن تعمل العمل الصالح؛ أو يحب الله منك أن تعمل عمل الصالح, فلا فرق بينهما .

لا تزيدوا الأسئلة؛ زادت الأسئلة .

الطالب: " ومن ظن به أنه لا يحب ولا يرضى ولا يغضب ولا يسخط ولا يوالي ولا يعادي, ولا يقرُب من أحد من خلقه ولا يقرب منه أحد, وأن ذوات الشياطين في القرب من ذاته كذوات الملائكة المقربين وأوليائه المفلحين فقد ظن به ظن السوء .

الشيخ: أي نعم, هذا أيضا من مذاهب الأشاعرة, أن الله لا يحب ولا يرضى ولا يغضب ولا يسخر؛ إذا تكون الأشياء كلها عنده سواء؛ لا يوجد موجب للغضب ولا موجب للرضا, ولا موجب للمحبة ولا موجب للكراهة؛ وحتى لو وجد ما يوجب ذلك فإن الله لا يحب ولا يكره ولا يرضى ولا يسخط؛ عرفتم ؟ ((**رضي الله عنهم ورضوا عنه**)) قال: أبدا، الله ما يرضى، الله ما يرضى ويقول: ((**رضي الله عنهم ورضوا عنه**)) !؟ قال: نعم, الله ما يرضى؛ هل أنت عالم بالله من نفسه؟ قال: نعم, ما أراد بالرضى الرضى؛ أراد بالرضى الثواب؛ طيب عندك علم ؟ لو كان الله يرد بالرضا الثواب لكان هذا تلبيسا لا هدى؛ والله قال: ((**شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس**)) والذي يريد بلفظ ((**رضي الله عنهم**)) أثابهم, ما هداهم؛ ولهذا من تأمل كلام أهل البدع ولو كانوا أشاعرة يتعجب كيف يصل بهم الأمر إلى هذا الحد؛ لأنه يلزم على قولهم لوازم باطلة باطلة باطلة, عظيمة . سبحان الله . الله يصرح في القرآن: ((**إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين**)) تقول: ما يحب ؟ ولهذا لولا أنهم ينكرون إنكار تأويل لكانوا كفارا؛ لأن الإنكار نوعان: إنكار تأويل, وإنكار جحد؛ فإنكار الجحد تكذيب كفر؛ وإنكار التأويل تفسير قد يكون مصيبا وقد يكون مخطئا؛ لكن لاشك أنه مخطئ لأنه يخالف الظاهر .

الشيخ: أيضا :" **لا يقرب من أحد من خلقه ولا يقرب منه أحد** "؛ يقول: ((**وإذا سألك عبادي عني فإني قريب**)) ليس الله يقرب, ما هو الله قريب؛ (**إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته**) لا الله ما يقرب؛ أي شيء الذي يقرب ؟ رحمته ، ملك من ملائكته؛ أما هو نفسه فلا؛ نقول: إن الله قال: ((**وإذا سألك عبادي عني فإني قريب**)) الضمائر تعود على من؟ على الله، عبادي، عني ، فإني، قريب؛ الفاعل يعود على الله, كيف تقول: لا ؟، ((**فإني قريب**)) أي: فإن رحمتي قريبة؛ وعلى هذا فقس؛ في الحقيقة أن من أخطر ما يكون هذا المذهب .

الشيخ: " **وأن ذوات الشياطين في القرب من ذاته كذوات الملائكة المقربين** "؛ سبحان الله!؛ الشيطان وجبريل في القرب إلى الله على حد سواء . سبحان الله . لأنه يقول: ما يقرب من عباده ولا يقرب إليه أحد من عباده؛ هذا شيء مستحيل. اللهم لك الحمد، اللهم لك الحمد. نعم .

السائل: بالنسبة لإقامة الحجة على غير المسلمين, هل يشترط السماع فقط عن الإسلام أم العلم التام عن الإسلام ؟

الشيخ: الآن الأخ هداية الله, لو فرضنا أنه لا يعرف اللغة العربية, وجاء أفصح الناس في العربية, وقام يتكلم وهو يسمع, يسمع هداية الله سماعا قويا, ولو شئنا لقلنا أعد الكلمات فأعادها كالمعري, ولكن ما يدري ويش معناها؛ هل قامت عليه الحجة ؟

الطالب: لا،

الشيخ: لابد من البيان، مجرد السماع لا يمكن؛ لكننا إذا قلنا إن هذا دين الله يجب عليه أن يتعلم, وأن يطلب مترجم؛ فيكون مقصرا؛ فلو مات مثلا في هذه الحال قبل أن يدرك من يعلمه ويترجم له فإنه لم تقم عليه الحجة, إنما إذا بلغه أن هذا هو الشرع يجب عليه أن يبحث، يجب عليه أن يبحث حتى يعلم؛ عرفت ؟ لكنها ليست هي الحجة التي تنجيه من عذاب الله؛ التي توجب له أن لا يعذر؛ لو جاء واحد وقال: زوجتي بهشتم، ويش معنى بهشتم ؟ بهشتم يقولون: أنت طالق, ما أدري ثلاثا أو واحدا, المهم أظنها ثلاثا, أنت طالق ثلاثا؛ الطالب: فارسية هذه ؟ الشيخ: أي أظنها فارسية؛ فهل نقول إنها تطلق ؟ ما تطلق؛

الطالب: ليست فارسية, بهشت في الفارسي اسم الجنة؛

الشيخ: جنة ؟ فرق عظيم؛ لا هم ذكروها الفقهاء, نراجع هذا, نحقق هذا هل هي فارسية أو غير فارسية . الكلام ليس عليه, على أن الحجة لابد من فهمها, لابد من فهمها, ما تقوم الحجة إلا بالفهم؛ لكن إذا بلغه أن هذه حجة وهو لا يعرفها, ويش يجب عليه ؟ يجب أن يتعلم؛ فيكون مقصرا, لكن لو مات من حين ما بلغناه الحجة قبل أن يتمكن من فهمها, فإن هذا لا يمكن أن نقول إن الحجة قد قامت عليه وأنه مخلد في النار؛ نقول هذا أمره إلى الله .

السائل: تنزيل هذا الأمر على الكفار الموجودين الآن في أمريكا وأوروبا وغيرها, هل كلهم بلغتهم الحجة ؟

الشيخ: اللذين في الغابات قد يكون ما بلغتهم الحجة؛ لكن فيه الآن خصوصا في وقتنا الحاضر . سبحان الله العظيم . فيه مراكز إسلامية يعلن عنها في وسائل الإعلام هناك وتبين؛ فهذا يجب عليهم أن يتفهموا هذه الحجة .

السائل: إذا هم غير معذورين ؟

الشيخ: غير معذورين من وجه؛ يعني مقصرين, يعتبرون مقصرين, الذي ما يبحث يعتبر مقصرا؛ لكن فيه ناس في المصانع من أصل ولا يعرفون عن وسائل الإعلام ولا غيرها؛ هؤلاء نقول أمرهم إلى الله, هم الآن كفار لأنهم يدينون بالكفر, ولكننا لا نقول إنهم في النار لأن أمرهم إلى الله؛ يوم القيامة يمتحنهم الله سبحانه وتعالى بما شاء ثم يجازون على حسب ما يكون عند ذاك الامتحان .

السائل: هل العبرة ببلوغ الحجة أو فهمها ؟

الشيخ: لا إله إلا الله؛ ويش نحن نقرر من زمان يا أخ ؟ ويش فهمتم يا جماعة ؟ يقول: هل العبرة ببلوغ الحجة أو بفهمه ؟ الطالب: فهمها؛ الشيخ: نعم, لابد من فهمها, لكن إذا بلغت فهذا مبتدأ الحجة، إذا بلغته وهو ما يفهم, مثلا: إنسان أعجمي جاء إنسان عربي يتكلم يقول له عن الإسلام, هو ما يدري ويش يقول؛ هذا كمن لم يسمع؛ ولهذا قال الله عزوجل: ((**وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم**)) لابد من البيان .

السائل: شيخ ذكرنا أن الكافر لا يجوز لعنه بعينه؛ الشيخ: لا الكافر يلعن بعينه, كيف ما يلعن ؟ إذا مات ؟

السائل: ما مات؛ الشيخ: ما مات, لا, ما يلعن؛ السائل: لكن إذا مات فهل ... ؟

الشيخ: أي نعم, الرسول قال هكذا؛ إذا مات وهو على كفره, وقد بلغته الحجة, وزعماؤهم يعرفون هذا, بلغتهم الحجة بلا شك يعرفون المسلمين والكفار .

السائل: هل نقول اليهود والنصارى قد بلغتهم الدعوة للإسلام عن طريق دخولهم الكنائس, لأن علمائهم ورهبانهم يخبرون عن الإسلام والمسلمين في كنائسهم ؟

الشيخ: ما أظن ،لا، ما يخبرون أبدا، لا لا، هم إن أخبروهم عن الإسلام سيخبرونهم على وجه مشوه, وسيقولون: إن الإسلام ما هو إلا دين مثل ديننا؛ هم يخبرونهم بأن دينهم قائم, وأن هؤلاء دينهم مثلا رسولهم محمد فرقة لحالها, هذا جهل وتلبيس .

الطالب: " ... كما يخلد من لا يؤمن به طرفة عين, وقد استنفد ساعات عمره في مساخطه ومعاداة رسله ودينه, فقد ظن به ظن السوء ".

الشيخ: من هؤلاء ؟ هؤلاء المعتزلة والخوارج؛ يقولون إن فاعل الكبيرة خالد مخلد في النار.

الشيخ: من هؤلاء ؟ هؤلاء المعتزلة والخوارج؛ يقولون: إن فاعل الكبيرة خالد مخلد في النار؛ فلو أن هذا الرجل كما قال ابن القيم: أفنى عمره في طاعة الله في كل طاعة تقرب إلى الله ثم فعل كبيرة واحدة فهو خالد مخلد في النار؛ أعوذ بالله, هذا سوء ظن بالله, خلاف العدل الذي هو وصف الله عز وجل الذي أمر به عباده: ((**إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى**)) .

الطالب: " **وبالجملة فمن ظن به خلاف ما وصف به نفسه ووصف به رسله؛ أو عطل حقائق ما وصف به نفسه ووصفته به رسله فقد ظن به ظن السوء** ".

الشيخ: طيب, الأول من ظن به خلاف ما وصف به نفسه ووصفت به رسله ظاهر, كالممثلة مثلا، الممثلة يظنون به خلاف ما وصف به نفسه ووصفه به رسله؛ أو عطل, هؤلاء المعطلة, فقد ظن به ظن السوء؛ أما الممثلة فظن السوء في حقهم أنهم شبهوا الله بالناقص؛ وأما المعطلة فهم شبهوا الله بالناقص أولا ثم عطلوا ما وصف به نفسه ثانيا، ثم ظنوا ظن السوء بالله في البيان والهدى؛ لأننا إذا قلنا إن ظاهر النصوص غير مراد, وأن مرادها كذا وكذا, فإن ذلك يستلزم أن يكون الله تعالى يخاطب عباده بما فيه التعمية والتضليل؛ وهذه مسألة خطيرة، الذي يقول: ((**لما خلقت بيدي**)) ويقول: بقدرتي, ويقول: إن المراد بقدرتي ولم يبين ؟ لا شك أن هذا ملبس مضلل؛ والله عزوجل يقول: ((**يبين الله لكم أن تضلوا**)) ولهذا يلزم على مذهب أهل التعطيل من اللوازم الباطلة ما لا يمكن أن يقوله مسلم.

الطالب: " **ومن ظن أن له ولدا أو شريكا أو أن أحدا يشفع عنده بدون إذنه, أو أن بينه وبين خلقه وسائط يرفعون حوائجهم إليه؛ أو أنه نصب لعباده أولياء من دونه يتقربون بهم إليه, ويتوسلون بهم إليه, ويجعلونهم وسائط بينهم وبينه, فيدعونهم ويحبونهم كحبه, ويخافونهم ويرجونهم, فقد ظن به أقبح الظن وأسوئه** ".

الشيخ: هؤلاء من ؟ النصارى وكل مشرك، كل مشرك؛ فيه مثلا ناس يجعلون بين الله وبين خلقه وسائط, يرفعون حاجاتهم إلى الله بهذه الوسائط؛ ويظنون أن الله تعالى لن يقبل شيئا إلا بهؤلاء الوسائط؛ بل وأنه لا يسمع شيئا ولا يعلم شيء إلا بهذه الوسائط؛ وشر منهم من يدعوا هؤلاء الوسائط مباشرة, ما هو يدعوا الله بهم، يدعوهم هم؛ هؤلاء مشركون بلا شك لا الأولون ولا الآخرون, والله عز وجل يقول: ((**من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه**)) ويقول: ((**وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى**)) ويقول: ((**ولا يشفعون إلا لمن ارتضى**)) كيف يأتي إنسان ويقول: إنه يمكن أن يشفع هذا الولي أو هذا النبي بدون إذن الله هذا تكذيب للقرآن .

الطالب: " **ومن ظن به أنه ينال ما عنده بمعصيته ومخالفته كما يناله بطاعته والتقرب إليه فقد ظن به خلاف حكمته وخلاف موجب أسمائه وصفاته وهو من ظن السوء** ".

الشيخ: أي نعم, مثل من ؟

الطالب: الصوفية ؛

الشيخ: فيه ناس كثير أراهم, مثلا لو كان ينظر إلى المرأة بشهوة مثلا, أو يتمتع بالنظر إليها, ويقول: أنا أتقرب إلى الله بهذا النظر, لأنني أفكر في كمال خلقة الله عز وجل ، كمال صنعته, ما شاء الله ما بقي عليك إلا أن تفكر في هذا ؟ على كل حال فيه من يقول هذا, يقول: أبدا ما عندي نية ولا شيء, لكن إذا رأيت يقول: سبحان الله أحسن الخالقين, وأتفكر في كمال خلقة الله؛ الآن هذا يتقرب إلى الله بماذا ؟ على زعمه بمعصيته، فمن ظن أن هذا قربة إلى الله فقد ظن بالله ظن السوء .

الطالب: يدخل فيه المرجئة أيضا ؟ الشيخ: لا، ما يدخل في هذا, لأن المرجئة يقولون: إنه سالم, ما يقولون إنه تقرب إلى الله .

الطالب: " **ومن ظن به أنه إذا ترك لأجله شيئا لم يعوضه خيرا منه, أو من فعل لأجله شيئا لم يعطه أفضل منه, فقد ظن به ظن السوء** ".

الشيخ: نعم, لأن هذا خلاف الحكمة وخلاف الواقع، سليمان عليه الصلاة السلام لما دعى بالخيل ((**وطفق مسحا بالسوق والأعناق**)) أخلف الله عليه ما هو خير منه, وهو الريح ((**سخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب**)) ((**غدوها شهر ورواحها شهر**)) لما ترك هذا لله, عوضه الله خيرا منه؛ كذلك من فعل شيئا لأجله أعطاه الله أفضل منه ((**من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها**)) .

الطالب: " **ومن ظن به أنه يغضب على عبده ويعاقبه ويحرمه بغير جرم ولا سبب من العبد إلا بمجرد المشيئة ومحض الإرادة فقد ظن به ظن السوء** ".

الشيخ: هؤلاء الذين يبطلون العلل والحكم, ويقولون: إن الله يفعل لمجرد المشيئة, وهؤلاء هم الجهمية ومن وافقهم, يقولون: إن الله ليس له حكمة, يفعل بغير حكمة, وأظن الأشاعرة كذلك؛ ولهذا يقولون: إن الله منزه عن الأغراض والأعراض والأبعاض؛ عن الأعراض مثل المحبة والرضى والكراهية والسخط وما أشبهها؛ والأبعاض مثل اليد والعين؛ والأغراض مثل الحكمة, يقولون: إن الله ما له حكمة يفعل ما يريد, بدون أن يكون هناك مرجح للفعل أو ترك .

الطالب: " **ومن ظن به أنه إذا صدقه في الرغبة والرهبة وتضرع إليه وسأله واستعان به وتوكل عليه أنه يخيبه ولا يعطيه ما سأله فقد ظن به ظن السوء وظن به خلاف ما هو أهله** ".

الشيخ: هذه لا أعرفه طائفة معينة لذلك, لكن قد يقع من بني آدم، قد يقع من بني آدم أن يظن بالله هذا الظن والعياذ بالله, بأن من صدق الله في الرغبة والرهبة واللجوء إليه والرجاء فإن الله يخيبه؛ وهذا لا شك أنه ظن سوء بالله, لأن الله عز وجل أكرم من خلقه, وإذا لجأ العبد إليه بصدق فإنه يعصمه؛ ولهذا أمرنا عند قراء القرآن بالاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم من أجل العصمة من وساوسه وأن يحول بيننا وبين فهم كتاب الله والتلذذ بقراءته .

السائل: شيخ أحسن الله إليك ! سبق أن من تمنى الشهادة وكان راغبا فيها بلغه الله منازل الشهداء؛ وفي الآية ابن القيم قال في قوله تعالى: ((**ويعلم الصابرين**)) قال: لا يجازي على العمل إلا بعد أن يعمل به؟.

الشيخ: لا, لا، قصده بذلك لما قال: ((**ويعلم الصابرين**)) ردا على قول من أورد على هذا شبهة قال: أليس الله عالما بالصابرين قبل أن يصبروا ؟ الجواب: بلى؛ ولكن العلم الذي قبل أن يصبروا هذا لا يترتب عليه الجزاء؛ فمراده رحمه الله بالكلام على آية معينة .

السائل: والحديث ؟.

الشيخ: الحديث نعم صحيح, لأن هذا أعطاه الله تعالى أجر العامل، يعني هذه النية الصادقة قامت مقام العمل فكأنه عمل, ما فيه إشكال .

السائل: إنسان إذا دعا الله سبحانه وتعالى برغبة ورهبة وظن بالله سبحانه وتعالى أن لا يجيب دعائه لأنه يأكل أموال الناس بالباطل أو لأنه يأكل الربا, هل هذا يدخل في الظن بالله ظن السوء ؟

الشيخ: أنا أعتقد أن الذي يفعل ذلك مستهزئ بالله؛ كيف تدع الله وأنت تعرف أنه ما يجيبك؟

السائل: هو يقول كذا, بعض الناس كلما انتهت الصلاة يدع الله سبحانه وتعالى ؟

الشيخ: ما يصلح، لا تفكر أن أحدا يدع الله إلا وهو يؤمل الإجابة؛ قد يتهم نفسه لكن في جانب الله ما يتهم الله بعدم الإجابة؛ ولكن نستريح, ونقول ريّح نفسك, مادام أنك تعرف أنك غير مقبول لا أنت ولا دعائك ريّح نفسك؛ فالإنسان يلح ويرجوا؛ لولا أن الإنسان يرجوا الله سبحانه وتعالى ما عمل شيئا .

الطالب: " **ومن ظن به أنه يثيبه إذا عصاه لما يثيبه به إذا أطاعه وسأله ذلك في دعائه فقد ظن به خلاف ما تقتضيه حكمته وحمده وخلاف ما هو أهله وما لا يفعله** ".

الشيخ: هذا معلوم واضح؛ هذا من أكبر سوء الظن, بل هو استهزاء وسخرية؛ إنسان مثلا يفعل المعصية ويقول اللهم أثبني عليها، هذا لا أحد يفعل هذا الفعل إلا وهو قد ظن بالله ظن السوء.

الطالب: **" ومن ظن به أنه إذ أغضبه وأسخطه وأوضع في معاصيه ثم اتخذ من دونه وليا ودعا من دونه ملكا أو بشرا حيا أو ميتا يرجوا بذلك أن ينفعه عند ربه ويخلصه من عذابه فقد ظن به ظن السوء, وذلك زيادة في بعده من الله وفي عذابه ".**

الشيخ: هذا من جنس الشرك الذي سبق ذكره .

الطالب: **" ومن ظن به أنه يسلط على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم أعداءه تسليطا مستقرا دائما في حياته وفي مماته, وابتلاه بهم لا يفارقونه, فلما مات استبدوا بالأمر دون وصيه, وظلموا أهل بيته وسلبوهم حقهم وأذلوهم, وكانت العزة والغلبة والقهر لأعدائه وأعدائهم دائما من غير جرم ولا ذنب لأوليائه وأهل الحق وهو يرى قهرهم لهم وغصبهم إياهم حقهم وتبديلهم دين نبيهم وهو يقدر على نصرة أوليائه وحزبه وجنده ولا ينصرهم ولا يديلهم بل يديلهم أعدائهم عليهم أبدا أو أنه لا يقدر على ذلك, بل حصل هذا بغير قدرته ولا مشيئته، ثم جعل المبدلين لدينه مضاجعيه في حفرته يسلم أمته عليه وعليهم كل وقت كما تظنه الرافضة, فقد ظن به أقبح الظن وأسوئه, سواء قالوا: إنه قادر على أن ينصرهم يجعل لهم الدولة والظفر أو أنه غير قادر على ذلك, فهم قادحون في قدرته أو في حكمته وحمده, وذلك من ظن السوء به, ولا ريب أن الرب الذي فعل هذا بغيض إلى من ظن به ذلك غير محمود عندهم؛ وكان الواجب أن يفعل خلاف ذلك؛ لكن رفعوا هذا الظن الفاسد بخرق أعظم منه, واستجاروا من الرمضاء بالنار, فقالوا: لم يكن هذا بمشيئة الله ولا له قدرة على دفعه ونصر أوليائه, فإنه لا يقدر على أفعال عباده ولا هي داخلة تحت قدرته, فظنوا به ظن إخوانهم المجوس والثنوية بربهم ".**

الشيخ: هذه الجملة كما عرفتم يشير بها رحمه الله إلى الرافضة؛ الرافضة يقولون إن الصحابة رضي الله عنهم لما مات النبي صلى الله عليه وسلم استبدوا بالأمر دون وصيه, ووصيه هو علي بن أبي طالب؛ ويقولون إن الرسول صلى الله عليه وسلم أوصى بالخلافة لعلي, وأن أبا بكر وعمر والصحابة ظلموا علي بن أبي طالب, واستبدوا بالأمر دونه, مع أن علي بن أبي طالب بايعهما واستجاب لهما ولم يعارض, وكان يقول على منبر الكوفة يعلن: " **خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر** " أحيانا يقول: عثمان وأحيانا لا يقول يسكت، ومع ذلك يقولون: إن هذين الرجلين ظالمان عاصيان فاسقان كافران منافقان نسأل الله العافية؛ ثم يقولون أيضا الصحابة كلهم ارتدوا

على أدبارهم, كفارا إلا نفرا قليلا فهم بقوا على الإسلام؛ وهذا لاشك أنه طعن في الله وفي كتاب الله وفي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الصحابة أنفسهم حتى الذين يوالونهم هو طعن فيهم.

أما كونه طعنا في الله فإننا نقول: إذا كان الصحابة بهذه المثابة فإن كون الله عزوجل يختار لنبيه مثل هؤلاء ينافي الحكمة, لأن الحكمة تقتضي أن يختار الله لصحبة نبيه خير الخلق؛ وأما كونه طعنا في شريعة الله فلأن الشريعة إنما وصلت إلينا عن طريقهم؛ من الذي نقلها لنا ؟ الصحابة؛ فإذا كان الناقل كافرا مرتدا فكيف يمكن أن نقبل بما نقل؛ وأما كونه طعنا في الصحابة حتى من والوهم فظاهر؛ لأن الموالين لهم كلهم بايعوهم, وأقروا لهم بالخلافة وأقروا لهم بالفضل؛ وهل أحد أجبرهم على ذلك ؟ أبدا لم يجبرهم أحد على ذلك؛ كانوا يعارضون أبا بكر وعمر في المسائل البسيطة الخلافية في الفقه, ويعلنون خلافهم, فكيف لا يعلنون خلافهم في هذا الأمر العظيم؛ فهم بين أمرين؛ إما أن يتهموهم بالمداهنة في دين الله, يعني يتهمون من يوالونهم كعلي بن أبي طالب بالمداهنة وعدم الأخذ بما يجب, وعدم إنفاذ وصية الرسول صلى الله عليه وسلم وإعلانها؛ وإما أن ينهزموا ويقولوا إنه لا وصية لعلي وأن الأمر كان كما وقع، أن الأمر كان كما وقع؛ وكيف يمكن الله لهذين الظالمين الفاسقين المنافقين الكافرين أن يكونا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمته, بل أن يكونا ضجيعي رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنبه، إذا سلم أحد على الرسول صلى الله عليه وسلم سلم عليهم أيا كان هذا المسلم؛ ما أدري عن الرافضة إذا سلموا على الرسول هل يسلمون عليهما أم لا ؟؛ ولكن لازم قولهم ألا يسلموا عليهما؛ فعلى كل حال هؤلاء لاشك أنهم ظنوا بالله ظن السوء وأقبح السوء وأسوء الظن. نسأل الله العافية .

السائل: شيخ بارك الله فيك ! يقول ابن القيم: ومن ظن به أنه يثيب إذا عصاه؛ فإذا عصى المرء ثم تاب من بعد المعصية, فقال: اللهم أثبني عليها استدلالا بقوله تعالى: ((**أولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات**)) ؟

الشيخ: لا، أثبني عليها أي بعد التوبة ؛ لكن هذا يفعل المعصية ويقول: الله أثبني عليها، يشرب الخمر ويقول: اللهم إني سلك أن تقبل مني, نعم هذه طاعة .

السائل: بعض الذين يصرون المعاصي لما تأتيهم نصيحة يقول: اللهم اهدني, وهو مصر على هذه العصية, هل يكون داخل في ظن السوء ؟

الشيخ: ما ندري عن قلبه, هل إنه صادق, أو أراد بس دفع الملامة عنه.

السائل: الظاهر هذا يا شيخ..

الشيخ: نعم هو ظاهر حاله أنه يريد دفع الملامة فقط, ولكن هذا ليس بدافع للملامة, لأن نقول: هل منعك الله الهدى ؟ أبدا، أمرك بالهدى ودلك عليه .

السائل: ما هي الثنوية ؟

الشيخ: الثنوية, هؤلاء طائفة من المجوس, يقولون: إن للعالم خالقين اثنين النور والظلمة؛ فالنور يخلق الخير, والظلمة تخلق الشر, ومع ذلك ليسوا يقولون إنهما سواء, بل يقولون إن النور أفضل من الظلمة, لأنه نور والظلمة ظلمة, فهو في ذاته أفضل منه, وأيضا آثار النور الخير, وآثار الظلمة الشر, فهي قاصرة من هذا الوجه؛ هذان وجهان في قصورها؛ الوجه الثالث: يقولون: إن النور قديم، والقديم عندهم بمعنى الأزلي الذي لا أول له، ولهم في الظلمة قولان: قول إنها محدثة، وقول إنها قديمة؛ إذا فالنور أفضل من الظلمة, يعني حتى الثنوية لما قالوا بأن للعالم خالقين لم يقولوا بتساوي الخالقين, بل عندهم أن النور أفضل من هذه الوجوه الثلاثة؛ ولعلك قد سمعت قول المتنبي وهو يخاطب ممدوحه :

وكم لظلام الليل عندك من يد تخبّر أن المانوية تكذب

يد: يعني نعمة؛ تخبر المانوية يقولون: الظلمة تخلق الشر، إذا كنا في الليل يجيء الخير وإلا ما يجيء ؟ لا ما يجيء؛ لا, لا عندهم ما يجيء، الظلمة موجبها الشر؛ فهو يقول ظلام الليل يجينا الخير منك؛ فهو يدل على أن المانوية تكذب, وأن الظلمة ليست لا تخلق إلا الشر, بل هي تخلق الخير أيضا؛ هذا على كل حال شاعر, وإلا لاشك أن الأمر كله بيد الله عزوجل .

الطالب: **" وكل مبطل وكافر ومبتدع مقهور مستذل فهو يظن بربه هذا الظن, وأنه أولى بالنصر والظفر والعلو من خصومه, فأكثر الخلق بل كلهم إلا من شاء الله يظنون بالله غير الحق ظن السوء؛ فإن غالب بني آدم يعتقد أنه مبخوس الحق ناقص الحظ وأنه يستحق فوق ما أعطاه الله, ولسان حاله يقول ظلمني ربي ومنعني ما أستحقه, ونفسه تشهد عليه بذلك وهو بلسانه ينكره ولا يتجاسر على التصريح به, ومن فتش نفسه وتغلغل في معرفة دفائنها وطواياها رأى ذلك فيها كامنا كمون النار في الزناد؛ فاقدح زنادا من شئت ينبئك شراره عما في زناده؛ ولو فتشت من فتشته لرأيت عنده تعتبا على القدر وملامة له واقتراحا عليه خلاف ما جرى به, وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا ".**

الشيخ: فيكون حينئذ كافرا بالشرع وبالقدر؛ القدر يقولون هذا ظلم ليش أنا أكثر أستحق أكثر من كذا، لماذا لا يعطيني الله إلا هذا, ويعطي فلان وفلان كذا وكذا، أنا أحق بهم، أنا من أبناء القبيلة الفلانية؛ وذاك رجل لا أصل له, كيف يعطى هذا من الدراهم أو من العلم أو من الجاه وأنا لا أعطى؛ فيعترض على الله عز وجل, مع ظنه ظن السوء بالله من ناحية الشرع . الله المستعان ..

الطالب: " **فمستقل ومستكثر, وفتش نفسك هل أنت سالم من ذلك؛ فإن تنجوا منها تنجوا من ذي عظيمة وإلا فإني لا إخالك ناجيا** ".

الشيخ: لا إخالك أي: لا أظنك, الله أكبر, على كل حال يا إخواني وصية ابن القيم رحمه الله ينبغي أن نجعلها نصب أعيننا؛ فتش نفسك هل أنت سالم؛ إن كنت سالما فقد قال الله تعالى في الحديث القدسي: (**من وجد خيرا فليحمد الله**) وإن لم تكن سالما فقد قال الله في الحديث نفسه: (**ومن وجد سوى ذلك فلا يلومن إلا نفسه**) والعاقل إذا لام نفسه عدلها، كل إنسان يلام فسوف يعدل نفسه عما يلام به؛ فأنتم فتشوا أنفسكم، انظروا في قلوبكم، انظروا في أعمالكم، انظروا في أخلاقكم، انظروا في معاملتكم مع الله، أوصي نفسي وإياكم بهذا حتى يحاسب الإنسان نفسه قبل أن تحاسب, ويزن نفسه قبل أن توزن, الله المستعان .

الطالب: " **فليعتني اللبيب الناصح لنفسه بهذا الموضع, وليتب إلى الله تعالى وليستغفره كل وقت من ظن بربه ظن السوء, وليظن السوء بنفسه التي هي مأوى كل سوء ومنبع كل شر.** ".

الشيخ: ولهذا كان الرسول يقول في خطبته: (**نعوذ بالله من شرور أنفسنا**) (**اللهم قني شر نفسي وألهمني رشده**) .

الطالب: " ... **ومنبع كل شر, المركبة على الجهل والظلم, فهي أولى بظن السوء من أحكم الحاكمين وأعدل العادلين وأرحم الراحمين, الغني الحميد الذي له الغنى التام والحمد التام والحكمة التامة, المنزه عن كل سوء في ذاته وصفاته وأفعاله وأسمائه؛ فذاته لها الكمال المطلق من كل وجه, وصفاته كذلك وأفعال كذلك، كلها حكمة ومصلحة ورحمة وعدل؛ وأسماؤه كلها حسنى:**

فلا تظنن بربك ظن سوء فإن الله أولى بالجميل

ولا تظنن بنفسك قط خيرا وكيف بظالم جان جهول

وقل يا نفس مأوى كل سوء أيرجى الخير من ميت بخيل

وظن بنفسك السوء تجدها كذاك وخيرها كالمستحيل

وما بك من تقى فيها وخير فتلك مواهب الرب الجليل

وليس بها ولا منها ولكن من الرحمن فاشكر للدليل ".

الشيخ: والله أبيات جيدة؛ أظن معناها واضح ما فيه حاجة ...

الطالب: " **والمقصود ما ساقنا إلى هذا الكلام من قوله: ((وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية)) ثم أخبر عن الكلام الذي صدر عن ظنهم الباطل وهو قولهم: ((هل لنا من الأمر من شيء))؛ وقولهم: ((لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا)) فليس مقصودهم بالكلمة الأولى والثانية إثبات القدر ورد الأمر كله إلى الله؛ ولو كان ذلك مقصودهم بالكلمة الأولى لما ذموا عليه, ولما حسن الرد عليه بقوله: ((قل إن الأمر كله لله)) ولا كان مصدر هذا الكلام ظن الجاهلية؛ ولهذا قال غير واحد من المفسرين: إن ظنهم الباطل هاهنا هو التكذيب بالقدر** ".

الشيخ: انظر إلى الكلمة, كلمة واحدة قد تكون مقبولة وقد تكون مردودة؛ لما قال المشركون: ((**لو شاء الله ما أشركنا**)) رد الله هذه الحجة؛ ولما أراد تسلية محمد صلى الله عليه وسلم قال: ((**ولو شاء الله ما أشركوا**)) فصارت هذه الكلمة الواحدة حجة في موضع غير حجة في موضع؛ قول الله تعالى: ((**ولو شاء الله ما أشركوا**)) ليبين لنبيه أن الأمر بيد الله، أن الأمر بيد الله هو الذي جعلهم مشركون, ليسلي الرسول عليه الصلاة والسلام ويرد الأمر إلى مشيئته سبحانه وتعالى؛ ولما قالوا: ((**لو شاء الله ما أشركنا**)) وقصدهم بذلك معارضة الشرع بالقدر, والاستمرار على ما هم عليه, صار ذلك مردودا غير مقبول؛ لهذا قال: ((**كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا**)) يعني ما كذبوا بالقدر, كذبوا بالشرع محتجين بالقدر حتى ذاقوا بأسنا.

السائل: ...

الشيخ: ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء؛ ربما يوفق للصبر؛ لكن صبر الأنبياء لا يعدله صبر؛ أيوب ابتلي ببلاء عظيم وصبر .

السائل: هل يجوز أن نقول: إن الله لا يغفر ذنب فلان كما قال بعض السلف مع مأمون ؟

الشيخ: إذا كان هذا الظن استبعادا لرحمة الله فهذا حرام ومن ظن السوء؛ لأن الإنسان يجب أن يعلم أن الله بيده مقاليد كل شيء؛ وكم من إنسان كان عدوا للإسلام منابذا للإسلام ثم صار من أنصار الإسلام؛ وإن كان قصده لا يغفر الله لفلان لمقتضى الأدلة الشرعية لا باعتبار القدر فهذا لا بأس به, يعني معناه أنه يظن أن الله لا يغفر له ما فعل، لا أن الله لا يوفقه للتوبة في المستقبل فيتوب؛ فهذا الفرق .

الطالب: " ... **تبعا لهم يسمعون منهم لما أصابهم القتل ولكان النصر والظفر لهم فأكذبهم الله عزوجل في هذا الظن الباطل الذي هو ظن الجاهلية وهو الظن المنسوب إلى أهل الجهل الذين يزعمون بعد نفاذ القضاء والقدر الذي لم يكن بد من نفاذه أنهم قادرين على دفعه, وأن الأمر لو كان إليهم لما نفذ القضاء؛ فأكذبهم الله بقوله: ((قل إن الأمر كله لله)) فلا يكون إلا ما سبق به قضاؤه وقدره وجرى به**

علمه وكتابه السابق, وما شاء الله كان ولابد شاء الناس أن أبوا، وما لم يشأ لم يكن شاءه الناس أم لم يشاؤوه؛ وما جرى عليكم من الهزيمة والقتل فبأمره الكوني الذي لا سبيل إلى دفعه سواء كان لكم من الأمر شيء أو لم يكن لكم, وأنكم لو كنتم في بيوتكم وقد كتب القتل على بعضكم لخرج الذين كتب عليهم القتل من بيوتهم إلى مضاجعهم ولابد سواء كان لهم من الأمر شيء أو لم يكن؛ وهذا من أظهر الأشياء إبطالا لقول القدرية النفاة الذين يجوزون أن يقع ما لا يشاؤه الله وأن يشاء ما لا يقع ".

الطالب: قال ابن القيم في سياق غزوة أحد: " **فصل، ثم أخبر سبحانه عن حكمة أخرى في هذا التقدير هي ابتلاء ما في صدورهم وهو اختبار ما فيها من الإيمان والنفاق؛ فالمؤمن لا يزداد بذلك إلا إيمانا وتسليما؛ والمنافق ومن في قلبه مرض لابد أن يظهر ما في قلبه على جوارحه ولسانه؛ ثم ذكر حكمة أخرى وهي تمحيص ما في قلوب المؤمنين, وهو تقليصه وتنقيته وتهذيبه؛ فإن القلوب يخالطها بغلبات الطبائع وميل النفوس وحكم العادة وتزيين الشيطان واستيلاء الغفلة ما يضاد ما أورع فيها من الإيمان والإسلام والبر والتقوى؛ فلو تركت في عافية دائمة مستمرة لم تتخلص من هذه المخالطة ولم تتمحص منه؛ فاقضت حكمة العزيز أن قيض لها من المحن والبلايا ما يكون كالدواء الكريه لمن عرض له داء إن لم يتداركه طبيبه بإزالته وتنقيته من جسده وإلا خيف عليه منه الفساد والهلاك؛ فكانت نعمته سبحانه عليهم بهذه الكسرة والهزيمة وقتل من قتل منهم تعادل نعمته عليهم بنصرهم وتأييدهم وظفرهم بعدوهم, فلهم عليهم النعمة التامة في هذا وهذا ".**

الشيخ: بسم الله الرحمن الرحيم: ذكر المؤلف حكمتين من الحكم الكثيرة التي ذكرها في هذه الغزوة التي حصل فيها ما حصل على المؤمنين, وهي ابتلاء ما في الصدور؛ لأنه لا يمكن أن يتبين المؤمن من المنافق إلا بالابتلاء؛ وكم من إنسان كان ماشيا جاريا على حاله فإذا ابتلي ببلية تبين إيمانه من نفاقه؛ فهذه من الحكم؛ من الحكم أيضا تمحيص ما في الصدور يعني تخليصه وتنقيته؛ وذلك كما قال ابن القيم رحمه الله: أن القلوب إذا كانت في عافية استمرت على ما هي عليه وعرض لها من الفساد ما يعرض؛ فإذا محصت ونقيت صارت نقية بيضاء بخلاف ما إذا لم تصب بأذى فإنه لا يحصل بذلك التمحيص .

الطالب: " **ثم أخبر سبحانه وتعالى عن تولي من تولى من المؤمنين الصادقين في ذلك اليوم وأنه بسبب كسبهم وذنوبهم فاستزلهم الشيطان بتلك الأعمال حتى تولوا؛ فكانت أعمالهم جندا عليهم ازداد بها عدوهم قوة؛ فإن الأعمال جند للعبد وجند عليه ولابد؛ فللعبد كل وقت سرية من نفسه تهزمه أو تنصره, فهو يمد عدوه بأعماله من حيث يظن أنه يقاتله بها, ويبعث إليه سرية تغزوه مع عدوه من حيث يظن أنه**

يغزوا عدوه؛ فأعمال العبد تسوقه قصرا إلى مقتضاها من الخير والشر, والعبد لا يشعر أو يشعر ويتعامى؛ ففرارا الإنسان من عدوه وهو يطيقه إنما هو بجند من عمله بعثه له الشيطان واستزله به ".

الشيخ: هذا أيضا فيها بيان من الحكم أن من تولى من المؤمنين الصادقين في ذلك اليوم فإن ذلك بسبب أعمالهم التي استزلهم الشيطان بها, أي طلب زللهم حتى زلوا؛ والسيئات يتبع بعضها بعضا كما أن الحسنات يتبع بعضها بعضا؛ فقد يزل الرجل الصالح بمعصية واحدة تجره إلى معاصي أخرى، كما قال الله تعالى: ((**فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم**)) فتولي الإنسان عن الحق يكون بسبب منه, أي بسبب إعراضه عن ربه.

الطالب: **" ثم أخبر سبحانه أنه عفا عنهم, لأن هذا الفرار لم يكن عن نفاق ولاشك, وإنما كان عارضا عفا الله عنه, فعاد شجاعة الإيمان وثباته إلى مركزها ونصابها؛ ثم كرر عليهم سبحانه أن هذا الذي أصابهم إنما أتوا فيه من قبل أنفسهم وبسبب أعمالهم فقال: ((أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم إن الله على كل شيء قدير)) وذكر هذا ".**

الشيخ: هؤلاء قالوا لما حصل ما حصل في غزوة أحد قالوا: أنى هذا، يعني كيف نهزم ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن جند الحق وأولئك أولياء الشيطان فهزمونا ؟ قال الله تعالى: ((**أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا**)) قال الله تعالى: ((**قل هو من عند أنفسكم**)) وفي قوله: ((**قد أصبتم مثليها**)) تسلية ظاهرة لهم حيث أنهم يكونوا هم الذين ربحوا لأنهم أصابوا مثليها، ففي غزوة بدر كان الذين قتلوا من المشركين سبعين والذين أسروا سبعين؛ وفي غزوة أحد كان الذين استشهدوا من الصحابة سبعين رجلا؛ فأولئك قتل منهم سبعون وأسر سبعون هذه مائة وأربعون, وهؤلاء إنما استشهد منهم سبعون فقط؛ ومع ذلك قال: ((**ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين**)) وفي الصحيح أن رجلا جاء إلى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وهو مستظل في ظل الكعبة فقال له: إن عثمان . ويريد أن يسب عثمان رضي الله عنه أن يغتاب عثمان . قال له: إن عثمان تخلف في بدر, وفر في أحد, ولم يبايع بيعة الرضوان؛ شف كيف هذا, الخوارج يأتون بالمتشابه، كل مبطل كل مبتدع يأتي بالمتشابه؛ فقال له ابن عمر رضي الله عنه قال له: أما تخلفه في بدر فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يخرج لقتال, وإنما خرج للعير, فطلب منه الرسول صلى الله عليه وسلم أن يتخلف من أجل أن يمرض ابنته, أي ابنة الرسول التي هي زوج عثمان رضي الله عنه؛ إذا تخلف بأمر الرسول ومع ذلك لم يكن الخروج لغزوة؛ وأما فراره في أحد فإن الله تعالى قال فيه وفي غيره: ((**ولقد عفا عنكم**)) وإذا عفا فكأن شيئا لم يكن؛ وأما أنه لم يبايع بيعة رضوان فإن النبي صلى الله عليه وسلم أرسله إلى قريش ليفاوضهم, ولما حصلت البيعة قال

النبي صلى الله عليه وسلم بيده الكريمة: (**هذه يد عثمان**)؛ فبايع النبي صلى الله عليه وسلم بيده الكريمة عن عثمان, فكانت يد رسول صلى الله عليه وسلم لعثمان خير من يد عثمان لعثمان، ثم قال: ارجع به إلى قومك, يعني كأنه فهم أن أحدا مرسله، قال: ارجع بها إلى قومك؛ وهكذا يجب على كل إنسان أن يدافع عن أخيه المؤمن متى وجد لذلك مدفعا, وأن يحذر من كيد أهل الشر, لأن أهل الشر الذين في قلوبهم زيغ يتبعون المتشابه ليشبهوا به على الناس .

السائل: شيخ هنا جاء في الآية: ((**قلتم أنى هذا**)) وضع بعدها علامة استفهام ثم قال: ((**قل**)) حرف مبتدأ, مثل الاصطلاحات الإملائية هل هذا يجوز في القرآن ؟

الشيخ: أولا . بارك الله فيك . أن هذه الآية لم تسق من أجل التلاوة إنما هو لأجل الاستشهاد؛ ولهذا ليس من السنة أن يستعين الإنسان بالله من الشيطان الرجيم عند تلاوة الآية للاستشهاد, كما جرى ذلك عن النبي عليه الصلاة والسلام عدة مرات ويستشهد بالآيات القرآنية ولا يقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم لأنه لم يقصد التلاوة.

وثانيا أن مسألة كتابة القرآن بمقتضى القواعد المعاصرة والخروج عن خط عثمان رضي الله عنه فيه للعلماء ثلاثة أقوال؛ القول الأول: أنه ممنوع أن يكتب شيء من القرآن بغير الرسم العثماني؛ القول الثاني: أنه جائز مطلقا؛ لأن الرسم العثماني لم يتعبد به, بدليل أنه لو قدر أن هناك رسما آخر سوى هذا لرسم به المصحف في الزمن الأول؛ فالرسم ليس متعبدا به, أي شكل الحروف والكلمات ليس متعبدا به, ودليل ذلك ما قلت أنه لو كان الرسم في ذلك الوقت على غير هذه الصفة لرسم المصحف به؛ ولهذا أجمع العلماء على جواز تنقيط الحروف وإعرابها وتشكليها, مع أنه فيما سبق ليس فيه نقط وليس فيه حركات؛ والقول الثالث: التفصيل بأنه إذا كتب لمتعلم فليكتب على حسب القواعد المألوفة عنده من أجل أن لا يغير، وإن كتب لعالم فيكتب على قواعد المصحف العثماني؛ لأنه مثلا لو كتبنا على القواعد الرسم العثماني لمتعلم لقرأ الزكاة الزكوة، ولقرأ الصلواة وكذلك الربوا وهكذا؛ فالمتعلم يكتب له على حسب القاعدة التي يعرفها حتى لا يغير في القرآن؛ هذا القول وسط بين القولين؛ وعندي أنه من حيث النظر أن القول بالجواز مطلقا أصح؛ لكن القول الوسط فيه نوع من احترام آراء العلماء رحمهم الله وفيه تحصيل المقصود؛ فالطابع هنا كأنه لما لم يكن المقصود بذلك التلاوة إنما هو الاستشهاد كتبها على تقدير اللغة .

الشيخ: ... وثانيا أن مسألة كتابة القرآن بمقتضى القواعد المعاصرة والخروج عن خط عثمان رضي الله عنه فيه للعلماء ثلاثة أقوال؛ القول الأول: أنه ممنوع أن يكتب شيء من القرآن بغير الرسم العثماني؛ القول الثاني: أنه جائز مطلقا؛ لأن الرسم العثماني لم يتعبد به بدليل أنه لو قدر أن هناك رسما آخر سوى هذا لرسم به المصحف في الزمن الأول؛ فالرسم ليس متعبدا به أي شكل الحروف والكلمات ليس متعبدا به ودليل ذلك ما قلت أنه لو كان الرسم في ذلك الوقت على غير هذه الصفة لرسم المصحف به؛ ولهذا أجمع العلماء على جواز تنقيط الحروف وإعرابها وتشكيلها مع أنه فيما سبق ليس فيه نقاط وليس فيه حركات؛ والقول الثالث: التفصيل بأنه إذا كتب لمتعلم فليكتب على حسب القواعد المألوفة عنده من أجل أن لا يغير، وإن كتب لعالم فيكتب على قواعد المصحف العثماني؛ لأنه مثلا لو كتبنا على القواعد الرسم العثماني لمتعلم لقرأ الزكاة الزكوة، ولقرأ الصلواة وكذلك الربوا وهكذا؛ فالمتعلم يكتب له على حسب القاعدة التي يعرفها حتى لا يغير في القرآن؛ هذا القول وسط بين القولين؛ وعندي أنه من حيث النظر أن القول بالجواز مطلقا أصح؛ لكن القول الوسط فيه نوع من الاحترام آراء العلماء رحمهم الله وفيه يحصل المقصود؛ فالطابع هنا كأنه لما لم يكن المقصود بذلك التلاوة إنما هو الاستشهاد كتبها على تقدير اللغة؛ قصدي على ما تقتضيه القواعد المعروفة .

السائل: قلتم في رد ابن عمر على الخارجي أن النبي صلى الله عليه وسلم وضع يده الكريمة على يده وقال: (**هذه لعثمان**) نسمع كثيرا من يطلق هذه الكلمة على غير النبي صلى الله عليه وسلم، على الصحابة والتابعين وعلى من يستحق, هل هي خاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم ؟

الشيخ: أبدا، كريم كل إنسان معطاء فهو كريم ويده كريمة؛ البخيل ليس بكريم, لو تكون يده كبر جسمه ما هو كريم؛

السائل: هل ورد إطلاقها من الصحابة ؟

الشيخ: ما أدري, ولكن اللغة العربية تقتضي هكذا (إياك وكرائم أموالهم) وهي غنم.

السائل: بعض الناس عندما تمر الآيات من القرآن في الخطب أو في الكتب يقولون: بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم يقرأ الآية, هل هذا مشروع ؟

الشيخ: لا، هذا غير مشروع؛ إذا كان الرسول عليه الصلاة والسلام لم يفعل ذلك وهو يتلو مثل هذه الآيات استشهادا فلا يكون مشروعا .

السائل: ينكر على قائله يا شيخ ؟

الشيخ: يبين له، أما كأنك تزجره تنهاه لا، لكن تبين له.

الطالب: " **وذكر هذا فيما هو أعم من ذلك في السور المكية فقال: ((وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم))** ".

الشيخ: ما هي السور المكية ؟؛ ما نزل قبل الهجرة فهو مكي ولو نزل في غير مكة، وما نزل بعد الهجرة فهو مدني ولو نزل في مكة؛ وعلى هذا فقوله تعالى: ((**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا**)) نزلت على الرسول صلى الله عليه وسلم وهو في عرفة وهي مدنية .

الطالب: " **فقال: ((وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفوا عن كثير)) وقال: ((ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك)) فالحسنة والسيئة هاهنا النعمة والمصيبة؛ فالنعمة من الله من بها عليه؛ والمصيبة إنما نشأت من قبل نفسك وعملك؛ فالأول فضله والثاني عدله, والعدل يتقلب بين فضله وعدله جار عليه فضله ماض فيه حكمه عدل فيه قضاءه، وختم الآية الأولى بقوله: ((إن الله على كل شيء قدير)) بعد قوله: ((قل هو من عند أنفسكم)) إعلاما لهم بعموم قدرته مع عدله وأنه عادل قادر؛ وفي ذلك إثبات القدر والسبب؛ فذكر السبب وأضافه إلى نفوسهم وذكر عموم القدرة وأضافها إلى نفسه فالأول ينفي الجبر والثاني ينفي القول بإبطال القدر فهو يشاكل قوله: ((لمن شاء منكم أن يستقيم وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين))** ".

الشيخ: كلام واضح ما فيه إشكال؛ طيب المؤلف رحمه الله يقول الآيات المكية موافقة لما نزل في الآيات المدينة: ((**وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفوا عن كثير**)) ((**ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك**)) يعني: أنت السبب وإلا فهي كلها من الله؛ يقول: " **فالحسنة والسيئة هاهنا النعمة والمصيبة** "، النعمة يعني الحسنة والسيئة المصيبة؛ فالنعمة من الله من بها عليك والمصيبة إنما نشأت من قبل نفسك وعملك؛ فالأول وهو النعمة فضله والثاني عدله، عدل لأنه جازاك بما عملت وهذا عدله؛ يقول: " **والعبد يتقلب بين فضله وعدله** "؛ فضل من ؟ فضل الله، وعدله عدل الله؛ وجار عليه فضله ماض فيه حكمه عدل فيه قضاء, يعني أن فضل الله جار عليه ((**وما بكم من نعمة فمن الله**))؛ ماض فيه حكمه كما قال الله تعالى: ((**له الحكم وإليه ترجعون**))؛ عدل فيه قضاءه أي ما يقضيه عليك فهو عدل ليس فيه جور كما قال الله تعالى: ((**ولا يظلم ربك أحدا**)) وختم الآية الأولى بقوله: ((**إن الله على كل شيء قدير**)) بعد قوله: ((**قل هو من عند أنفسكم**)) يقول : " **إعلاما لهم بعموم قدرته مع عدله وأنه عادل قادر** "؛ القدرة أخذناها من قوله: ((**إن الله على كل شيء قدير**)) والعدل من قوله: ((**قل هو من عند أنفسكم**)) يعني ما

ظلمناكم؛ إعلاما لهم بعموم قدرته مع عدله وأنه عادل قادر؛ وفي ذلك إثبات القدر والسبب؛ السبب في قوله: ((**قل هو من عند أنفسكم**)) والقدر: ((**إن الله على كل شيء قدير**))؛ وفي ذلك إثبات القدر والسبب فذكر السبب وأضافه إلى نفوسهم, وذكر عموم القدرة وأضافها إلى نفسه؛ واضح ؟ فالأول ينفي الجبر, والثاني ينفي القول بإبطال القدر؛ الأول ما هو ؟ إثبات الأسباب ينفي الجبر؛ والثاني: ينفي القول بإبطال القدر, الذين يقولون إن الله عزوجل لا علاقة له في فعل العبد وأن العبد مستقل بعمله, حتى إن غلاتهم يقولون: إن الله لا يعلم أفعال العباد حتى تقع منهم؛ فهو يشاكك قوله: ((**لمن شاء منكم أن يستقيم**)) وهذا فيه نفي الجبر ((**وما تشاءون إلا أن يشاء الله**)) فيه إثبات القدر .

السائل: العصيان في أحد حصل من بعض الصحابة وهم الرماة ولكن العقاب عم كل الجيش ؟ الشيخ: هذا إشكال جيد فهمتموه ؟ يعني يقول: إن العصيان في أحد حصل من الرماة وهم خمسون رجلا من سبعمائة رجل ما هو من الجميع, فهمتم ؟ الجواب على هذا أن الأمة تعتبر جسدا واحدا وشيئا واحدا, ألم تر أن الله يخاطب بني إسرائيل في عهد الرسول فيقول لهم: ((**وإذ نحيناكم من آل فرعون**)) ويقول: ((**وإذ قتلتم نفسا فادارءتم فيها**)) ويقول: ((**وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة**)) مع أنهم ما قالوه ولا أدركوا موسى؛ لكن الأمة الواحدة ينسب فعل الواحد منها إلى الجميع؛ ولهذا كان شؤم هذه المعصية من الرماة صار على الجميع .

الطالب: " **وفي ذكر قدرته هاهنا نكتة لطيفة وهي أن هذا الأمر بيده وتحت قدرته وأنه هو الذي لو شاء لصرفه عنكم فلا تطلبوا كشف أمثاله من غيره ولا تتكلوا على سواه؛ وكشف هذا المعنى وأوضحه كل الإيضاح في قوله: ((وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله)) وهو الإذن الكوني القدري لا الشرعي الديني، كقوله في السحر: ((وما هم بضارهم به من أحد إلا بإذن الله)) ".**

الشيخ: استفدنا من هذا البحث أن الإذن نوعان: شرعي؛ وقدري؛ فالقدري ما يتعلق بالخلق والتكوين؛ والشرعي ما يتعلق بالتشريع؛ ففي قوله تعالى: ((**أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله**)) هذا إيش ؟ شرعي أو قدري ؟ نعم, لأنه أذن به قدرا, أو لا ؟ هل أذن به قدرا ؟ لا أذن به قدرا, لأنه وقع: ((**شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله**)) فقد أذن الله به قدرا لكن لم يأذن به شرعا؛ ((**قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون**)) ؟ نعم هذا شرعي؛ طيب: ((**من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه**)) كوني، هذا كوني؛ هنا أيضا: ((**وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله**)) هذا أيضا كوني؛ طيب ((**وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله**)) ؟ كوني، لأن الله لا يأذن بالضرر بالسحر.

الطالب: " **ثم أخبر عن حكمة هذا التقدير وهي أن يعلم المؤمنين من المنافقين علم عيان ورؤية يتميز فيه أحد الفريقين من الآخر تمييزا ظاهرا؛ وكان من حكمة هذا التقدير تكلم المنافقين بما في نفوسهم فسمعه المؤمنون وسمعوا رد الله عليهم وجوابه لهم وعرفوا مؤدى النفاق وما يؤول إليه, وكيف يحرم صاحبه سعادة الدنيا والآخرة؛ فيعود عليه بالمساءة في الدنيا والآخرة؛ فلله كم من حكمة في ضمن هذه القصة بالغة, ونعمة على المؤمنين سابغة, وكم فيها من تحذير وتخويف وإرشاد وتنبيه وتعريف بأسباب الخير والشر ومآلهما وعاقبتهما؛ وما عز نبيه وأوليائه وعن من قتل منهم في سبيله أحسن تعزية وألطفها وأدعاها إلى الرضى بما قضاه لها؛ فقال: ((ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون)) فجمع لهم إلى الحياة الدائمة منزلة القرب منه وأنهم عنده, وجريان الرزق المستمر عليهم, وفرحهم بما آتاهم من فضله, وهو فوق الرضا بل هو كمال الرضا** ".

الشيخ: يعني من الفرح أعلى من الرضا؛ فالإنسان إذا فرح بالشيء يكون ذلك رضا وزيادة؛ أليس كذلك ؟ فأنت قد ترضى بالشيء لكن لا يظهر عليك أثره بالفرح, لكن إذا فرحت فهذا أكمل وأبلغ من الرضا؛ ولهذا قال: ((**فرحين بما آتاهم الله من فضله**)) في المؤمنين قال: ((**رضي الله عنهم ورضوا عنه**)) لكن في الذين قتلوا في سبيل الله قال: ((**فرحين بما آتاهم الله من فضله**)).

السائل: الرضا بالمصيبة هل يلزم منه الفرحة ؟

الشيخ: لا، ما يلزم لأن الفرح أعلى من الرضا؛ والشيء إذا كان أدنى لا يلزم منه وجود الأعلى؛ لكن إذا وجد الأعلى لزم وجود الأدنى .

السائل: هل يؤخذ منه صفة القرب لله خاصة بالمؤمنين فقط ؟

الشيخ: لا ما يؤخذ، لأنه ما أراد تقسيم القرب؛ والمؤلف رحمه الله يرى أن القرب ينقسم إلى عموم وخصوص, بخلاف شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فإنه لا يرى القرب إلا خاصا فقط, ويقول إن الله لا يقرب من الكافر أبدا, إنما قربه من المؤمنين أو الداعين, أما قربه من الكافر فلا بخلاف المعية، المعية مع كل أحد حتى الكفار: ((**ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم**)) ((**وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول**)) ((**وكان الله بما يعملون محيطا**)) وأما القرب فلا يكون إلا للمؤمنين، وأجاب عن قوله تعالى: ((**ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون**)) بأن المراد بذلك قرب الملائكة, وكذلك قوله تعالى: ((**ولقد خلقنا الإنسان**

ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد)) قال المراد بذلك قرب الملائكة الذين يكتبون؛ وقال إن قوله: ((**إذ يتلقى**)) هذه مقيدة بقوله: ((**أقرب**)) .

السائل: ما هو الراجح شيخ ؟

الشيخ: الراجح كلام شيخ الإسلام, كلام شيخ الإسلام أرجح أنه خاص فقط .

الطالب: " **واستبشارهم بإخوانهم الذين باجتماعهم بهم يتم سرورهم ونعيمهم, واستبشارهم بما يجدد لهم كل وقت من نعمته وكرامته؛ وذكرهم سبحانه في أثناء هذه المحنة بما هو من أعظم مننه ونعمه عليهم التي إن قابلوا بها كل محنة تنالهم وبلية تلاشت في جنب هذه المنة والنعمة, ولم يبق لها أثر البتة, وهي منته عليهم بإرسال رسول من أنفسهم إليهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة, وينقذهم من الضلال الذي كانوا فيه قبل إرساله إلى الهدى ومن الشقاء إلى الفلاح ومن الظلمة إلى النور ومن الجهل إلى العلم؛ فكل بلية ومحنة تنال العبد بعد حصول هذا الخير العظيم له أمر يسير جدا في جنب الخير الكثير, كما ينال الناس بأذى المطر في جنب ما يحصل لهم به من الخير؛ فأعلمهم أن سبب المصيبة من عند أنفسهم ليحذروا, وأنها بقضائه وقدره ليوحدوا ويتكلوا ولا يخافوا غيره؛ وأخبرهم بما لهم فيها من الحكم لئلا يتهموه في قضائه وقدره** ".

الشيخ: يجوز أن يكون الصواب: بما له فيها ...؛

الطالب: " **وأخبرهم بما له فيها من الحكم لئلا يتهموه في قضائه وقدره, وليتعرف إليهم بأنواع أسمائه وصفاته, وسلاهم بما أعطاهم مما هم أجل قدرا وأعظم خطرا مما فاتهم من النصر والغنيمة؛ وعزاهم عن قتلاهم بما نالوه من ثوابه وكرامته لينافسوهم فيه ولا يحزنوا عليهم؛ فله الحمد كما هو أهله وكما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله** ".

الشيخ: ... لا, يرى أنه عام وخاص, صرح به في كتابه الصواعق المرسلة, الذي يظهر أنه قسمه, الذي أذكر أنه قسمه.

السائل: في قوله تعالى: ((**ونحن أقرب إليه منكم**)) قلنا: المقصود به الملائكة؛ ألا يعطي هذا فرصة للمؤولة, يقولون: أنتم أولتم هذا بالملائكة ؟

الشيخ: نعم, التأويل ليس ممنوعا مطلقا، التأويل الذي عليه دليل لا بأس به: ((**فلو لا إذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون**)) لا يمكن أن يكون الله أقرب منا إليه ونحن لا نبصره, لأن مقتضى هذا أن يكون في المكان الذي نحن فيه لكن لا نبصره .

السائل: أيضا الملائكة لا نبصرهم وهم موجودون ؟

الشيخ: لا لا، لكن تكون في المكان ولا نبصرها, يعني عدم الرؤيا ليس لأنهم ليسوا في المكان؛ لكن لأننا لا نبصرهم؛ لكن لو قلنا إن المراد الله لزم من هذا أن يكون في المكان قريب من هذا المحتضر لكن لا نبصره؛ الذي يمنع أن الآية ظاهرها بل سياقها يدل على ذلك, على أن هذا الذي أقرب إليه منا حاضر لكن لا نبصر .

السائل: طيب ما الفرق يا شيخ بين القرب والمعية ما يمكن أن يقال هنا قريب بعلمه ؟

الشيخ: لا هو يمكن, لكن القرب يقتضي رحمة وعطف؛ فكذلك المعية التي تقتضي الإحاطة .

السائل: القرب يا شيخ يقتضي العلم به ؟

الشيخ: معلوم يقتضي العلم حتى المعية تقتضي العلم؛ لكن إذا قيل: الله قريب من الكافر أو مع الكافر؛ أيهما أبلغ في التكريم والتعظيم ؟ القرب؛ والكافر لا يستحق أن يقرب منه؛ إذا كان الله قال: ((**يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام**)) نهاهم عن قرب بيته كيف يثبت لنفسه أنه قريب منهم ؟

السائل: قريب مع عذابهم؛

الشيخ: لا لا، ما يصلح, ما يستقيم؛ أما المعية فهي أعم.

الطالب: " **فصل: ولما انقضت الحرب انكفأ المشركون فظن المسلمون أنهم قصدوا المدينة لإحراز الدراري والأموال, فشق ذلك عليهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: (أخرج في آثار القوم فانظر ماذا يصنعون وماذا يريدون, فإن هم جنبوا الخيل وامتطوا الإبل فإنهم يريدون مكة, وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل فإنهم يريدون المدينة, فوالذي نفسي بيده لإن أرادوها لأسيرن إليهم، ثم لأناجزنهم فيها)؛ قال علي: فخرجت في آثارهم أنظر ماذا يصنعون, فجنبوا الخيل وامتطوا الإبل ووجهوا إلى مكة؛ ولما عزموا على الرجوع إلى مكة أشرف على المسلمين أبو سفيان ثم نادهم: موعدكم الموسم ببدر؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (قولوا نعم قد فعلنا) قال أبو سفيان: فذلكم الموعد، ثم انصرف هو وأصحابه فلما كان في بعض الطريق تلاوموا فيما بينهم وقال بعضهم لبعض: لم تصنعوا شيئا أصبتم شوكتهم وحدهم ثم تركتموهم وقد بقي منهم رؤوس يجمعون لكم فارجعوا حتى نستأصل شأفتهم؛ فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنادى في الناس وندبهم إلى المصير إلى لقاء عدوهم وقال: (لا يخرج معنا إلا من شهد القتال) فقال له عبد الله بن أبي: أركب معك؛ قال: (لا)؛ فاستجاب له المسلمون على ما بهم من القرح الشديد والخوف وقالوا: سمعا وطاعة، واستأذنه جابر بن عبد الله وقال: يا رسول الله إني أحب أن لا تشهد مشهدا إلا كنت معك وإنما خلفني أبي على بناته فأذن لي أسير معك،**

فأذن له, فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه حتى بلغوا حمراء الأسد, وأقبل معبد بن معبد الخزاعي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم؛ فأمره أن يلحق بأبي سفيان فيخذله فلحقه بالروحاء ولم يعلم بإسلامه؛ فقال: ما وراءك يا معبد ؟ قال: محمد وأصحابه قد تحركوا عليكم وخرجوا في جمع لم يخرجوا في مثله؛ وقد ندم من كان تخلف عنهم من أصحابهم؛ فقال: ما تقول؛ فقال: ما أرى أن ترتحل حتى يطلع أول الجيش من وراء هذه الأكمة ".

الشيخ: الظاهر ما أُرى, أي: ما أظن.

الطالب: **" فقال أبو سفيان: والله لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصلهم؛ قال: فلا تفعل فإني لك ناصح؛ فرجعوا على أعقابهم إلى مكة ولقي أبو سفيان بعض المشركين يريد المدينة ".**

الشيخ: معبد بن أبي معبد الخزاعي كما تعرفون أنه خزاعة كانت عيبة نصر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فخذل عنه، خذل عن الرسول عليه الصلاة والسلام؛ وفي هذا دليل على أن من أساليب الحرب التخذيل والإرجاف بالعدو بأن يقال: عندنا عدد كثير، عندنا عدة عظيمة، عندنا شجعان، عندنا كذا وعندنا كذا مما ينزل الرعب في قلوب الأعداء؛ فهذا الرجل ـ جزاه الله خيرا ـ خذل أبا سفيان عن رجوعه إلى النبي عليه الصلاة والسلام حتى رجع إلى مكة .

السائل: جاء في الحديث بأن أرواح الشهداء في جوف طير خضر تطوف وتطير في الجنة؛ فيوم البعث أين تكون ؟

الشيخ: ترجع الأرواح إلى الأجساد.

السائل: ما تكون الأرواح مخلدة في الجنة ؟

الشيخ: ترجع إلى أجسادها وتكون فيها ويحشر الناس على هذا .

السائل: فكيف حياتهم ؟

الشيخ: حياتهم برزخية ما هي حياة دنيوية جسدية؛ لا, حياة برزخية، الله أعلم بكيفيتها .

السائل: أليس هذا كذبا يا شيخ ؟ وهل يجوز الكذب في الحرب مع العدو ليخوفه ؟

الشيخ: هو الأحسن أن يكون تورية، الأحسن أن يكون تورية كما كان الرسول صلى الله عليه وسلم إذا أراد غزوة ورى بغيرها؛ لكن الكذب في الحرب رخص فيه كثير من أهل العلم .

السائل: وهل يدخل في قوله صلى الله عليه وسلم: (**الحرب خدعة**) ؟

الشيخ: أي نعم .

السائل: قول الله سبحانه وتعالى: ((**ونحن أقرب إليه من حبل الوريد**)) قولنا أقرب هم الملائكة أليس هذا تأويلا ؟

الشيخ: هي تأويل دل عليه اللفظ: ((**إذ يتلقى المتلقيان**)) لأنه قيد .

السائل: والأول: ((**ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون**)) ؟

الشيخ: أيضا قيدت قوله: ((**ولكن لا تبصرون**)) يدل على أنهم ملائكة؛ لأنهم هم الذين يمكن أن يكونوا قريبين من الميت ولا نبصرهم؛ أما الله عزوجل فوق السماء .

الطالب: " **فقال: هل لك أن تبلغ محمدا رسالة وأوقر لك راحلتك زبيبا إذا أتيت إلى مكة ؟ قال: نعم؛ قال: أبلغ محمدا أنا قد أجمعنا الكرة لنستأصله ونستأصل أصحابه؛ فلما بلغهم قوله قالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل؛ ((فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم))** ".

الشيخ: إذا ((**الذين قال لهم الناس**)) من ؟ الطالب: أبو سفيان؛ الشيخ: ((**الذين قال لهم الناس**)) ؟ الطالب: أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم؛ الشيخ: ((**الذين قال لهم الناس**)) ؟ من الناس ؟ معبد ابن أبي معبد الخزاعي, ((**إن الناس**)) من ؟ أبو سفيان وأصحابه؛ وفي هذه الآية استعمال العام مرادا به الخاص؛ وهو كثير في القرآن، قال الله تعالى عن ريح عاد: ((**تدمر كل شيء بأمر ربها**)) وهي لم تدمر كل شيء بدليل قوله تعالى: ((**فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم**)) .

السائل: أحسن الله إليك قلنا لقي أبو سفيان بعض المشركين يريد المدينة فقال: هل لك أن تبلغ محمدا, المخذل الآن هذا المشرك ليس معبدا ؟

الشيخ: هو لقي أبو سفيان, أي نعم هو غير معبد بن أبي معبد توهمنا في هذا مع أن المعروف أنه هو, لكن سبحان الله السياق ! أقول سياقه يدل على أنه مشرك؛ تراجع .

الطالب: مشرك عند أبي سفيان ؟

الشيخ: على كل حال تراجع، تراجع إن شاء الله .

الطالب: " **فصل: وكانت وقعة أحد يوم السبت في سابع شوال سنة ثلاث كما تقدم؛ فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة فأقام بها بقية شوال وذا القعدة وذا الحجة والمحرم, فلما استحل هلال المحرم بلغه أن طلحة وسلمة بن خويلد قد صارا في قومهما ومن أطاعهما يدعوان بني أسد ابن خزيمة**

إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعث أبا سلمة وعقد له لواء وبعث معه مائة وخمسين رجلا من الأنصار والمهاجرين, فأصابوا إبلا وشاة ولم يلقوا كيدا فانحدر أبو سلمة بذلك كله إلى المدينة ".

الشيخ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. قال الله تبارك وتعالى: ((**ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة**)) هذا مبتدأ الدرس ؟ الطالب: بقيت فوائد ؛ الشيخ: فوائد أيش ؟ من هناك ! نعم . قال الله تبارك وتعالى: ((**هاأنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله**)).

من فوائد هذه الآية: بيان علم الله سبحانه وتعالى بما في القلوب؛ لقوله: ((**تحبونهم ولا يحبونكم**)) لأن المحبة والكراهة من أعمال القلوب, ولا يطلع عليها إلا الله سبحانه وتعالى, لكن لها آثار تدل عليها.

ومن فوائدها: التحذير ممن يهدي إليك أو يبدي لك أنه ناصح لك وقلبه كاره لك؛ لأن المقصود من هذا من قوله: ((**هاأنتم أولاء تحبونهم** ...)) التحذير من هؤلاء؛ فلا تغتر بمن ظاهر حاله النصح؛ بل قس الأمور بالأفعال, لأن الأفعال هي التي تبين حقيقة الأمر؛ فكم من إنسان يقول لك قولا وهو على خلاف ما يقول لك؛ ولكن الأفعال هي التي تبين .

ومن فوائدها: أن هذه الأمة الإسلامية تؤمن بجميع الكتب؛ لقوله: ((**وتؤمنون بالكتاب كله**)) أما اليهود فيكفرون بالإنجيل ويكفرون بالقرآن؛ وأما النصارى فيكفرون بالقرآن, ومع ذلك هم كفار, لأن من كفر بكتاب مما أنزله الله فهو كافر بجميع الكتب؛ وقد مر علينا تقرير هذا مرارا, وأن من كفر ببعض الرسل دون بعض فقد كفر بالجميع؛ وكذلك أيضا من كفر ببعض الكتب فقد كفر بالجميع؛ وكذلك من كفر ببعض الشريعة فقد كفر بالشريعة كلها؛ لأن الشريعة واحدة: ((**أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض**)) .

ومن فوائد هذه الآية: أن هؤلاء يخادعون المؤمنين؛ لقوله: ((**إذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ**)) .

ومن فوائدها: أن العبرة بالأفعال لا بالأقوال؛ لقوله: ((**إذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ**)) يعني أنهم من شدة غيظهم يعضون أناملهم كأنكم أنتم الذين بين أضراسهم ليمضغوكم مضغا من شدة الغيظ والحنق؛ ولهذا تجد الناس حتى الآن إذا أراد شخص يتوعد إنسانا أخذ أصبعه هكذا وقام يهز برأسه وهو عاض نصفه لشدة غيظه .

ومن فوائد هذه الآية: إثبات الأسباب؛ لقوله: ((**من الغيظ**)) لأن من للسببية أي بسبب الغيظ؛ وإثبات الأسباب شيء معلوم ظاهر؛ ولو تأملت لوجدت أن كل مسبب له سبب قطعا؛ وأن جميع الأشياء يجعل الله لها أسبابا تحصل بها .

ومن فوائد هذه الآية: أنه ينبغي للمسلم أن يكون قويا صارما أمام أعدائه؛ لقوله: ((**قل موتوا بغيظكم**)) .

ومن فوائدها: إثبات علم الله عزوجل لما في القلوب على وجه صريح؛ لقوله: ((**إن الله عليم بذات الصدور**))

ودلالة هذه الجملة على علم الله بما في القلوب دلالة مطابقة؛ ودلالة قوله: ((**هاأنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم**)) دلالة التزام؛ واضح ؟ نعم .

الشيخ: ثم قال الله تعالى: ((**إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها** ...)).

من فوائد هذه الآية: أن العدو إذا أصاب عدوه حسنة ساءته, وإذا أصابه سيئة فرح بها؛ وقد جعل الفقهاء رحمهم الله هذا ضابطا في العداوة حينما تكلموا في باب الشهادات على أن العدو لا تقبل شهادته على عدوه، قالوا في ضابط العدو هو من سره مساءتك وساءه مسرتك؛ مأخوذ من هذه الآية.

ومن فوائد هذه الآية: بيان أن العدو مهما أظهر لك من الصداقة فإنه كاذب؛ لأن الذي يسوءه حسنتك لاشك أنه ليس بصديق؛ وأن الذي يفرح بمصيبتك لاشك أنه ليس بصديق وإن تظاهر بالصداقة .

ومن فوائد الآية: بيان شدة عداوة هؤلاء للمؤمنين الذين اتخذوهم بطانة؛ فكيف تتخذونهم بطانة وهم يساءون بما يسركم ويسرون بما يسوءكم .

ومن فوائد هذه الآية: التحذير من تولية اليهود والنصارى لأمور المسلمين القيادية كأن يجعلوهم مدراء أو وزراء أو ما أشبه ذلك؛ لماذا ؟ لأنهم لا يألون لنا خبالا, ويسرون بما يسوءنا ويساءون بما يسرنا؛ فكيف نتخذهم بطانة نوليهم أمورنا القيادية من إدارة أو رئاسة أو غيرها.

ومن فوائدها: أن أعدائنا لا يألون جهدا في الكيد لنا؛ ولكن نداوي هذا بالصبر والتقوى؛ بالصبر على أي شيء ؟ بالصبر على كل ما يجب الصبر عليه من أوامر نقوم بها أو نواهي نتركها أو سياسات نتبعها؛ ونكون ثابتين على مبدأ, ليس كل يوم لنا سياسة بل نكون ثابتين على مبدأ معين نصبر عليه .

ومن فوائدها: أن بالصبر والتقوى دفع الأعداء؛ لقوله: ((**إن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم**))؛ طيب وما فعلوه علنا هل يضرنا لو صبرنا واتقينا ؟ لا يضرنا من باب أولى؛ لأن الكيد الذي يكون بالمكر والخديعة إذا كان لا يضرنا مع الصبر والتقوى؛ فما كان ظاهرا بينا فهو من باب أولى .

ومن فوائد الآية: إحاطة الله سبحانه وتعالى بعمل هؤلاء؛ من أي ناحية من حيث العلم فقط ؟ في كل شيء، في العلم والتدبير وإحباط أعمالهم وتدميرهم وغير ذلك؛ فالله محيط بهم من كل وجه؛ ولكن قد يبتلي الله بهؤلاء الأعداء ويحصل من كيدهم ما يضر لفوائد كثيرة منها: أن ينال المسلمون الصبر على المؤذي, وأن يرجعوا إلى الله عزوجل فيقيموا الدين؛

ومن فوائدها أيضا: أن العدو يطغى ويرتفع ويعلوا فإذا بلغ القمة في العلو رمى به الله سبحانه وتعالى في السفل؛ فيكون نزوله من العلو إلى السفل أشد من نزوله من أثناء الطريق؛ ولهذا الذي يسقط من السقف يكون أشد ممن لو سقط من أثناء الدرج؛ فالله تعالى قد يملي للظالم حتى يتمادى في ظلمه وطغيانه حتى إذا ظن أنه بلغ إلى القمة حط به إلى أسفل السافلين؛ فصار ذلك أشد وأعظم؛ وقد نبه الله ذلك في سورة آل عمران فقال: ((**وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين**)) مع أنه في ذلك الوقت كان الظفر لمن ؟ كان الظفر للمشركين في أحد؛ لكن جعل الله ذلك سببا لمحقهم؛ لأنهم إذا شموا رائحة النصر ازدادوا في طغيانهم وقووا ثم تكون النكبة .

ومن فوائدها: أنه يجب على الإنسان أن ينتظر نصر الله عزوجل وأن يثق بوعده؛ لقوله: ((**والله بما يعملون محيط**)) يعني فلا تظنوا أن أمرهم هذا كائن بدون قدرة الله عليه بل الله تعالى قادر عليه ومحيط به.

الشيخ: ثم قال الله عزوجل: ((**وإذ غدوت من أهلك تبوء المؤمنين مقاعد للقتال** ...)) من هنا إلى آخر الآيات حوالي خمسين آية كلها في غزوة أحد.

فمن فوائدها: أن الرسول صلى الله عليه وسلم خرج من المدينة في أول النهار؛ لقوله: ((**وإذ غدوت**)) أي خرجت في الغدوة وهي أول النهار .

ومن فوائدها: حسن تدبير الرسول عليه الصلاة والسلام في الحرب؛ لقوله: ((**تبوء المؤمنين مقاعد للقتال**)) .

ومن فوائدها: أنه ينبغي للقاعد أن يبوأ أمكنة المقاتلين ويعرف كل واحد منهم مكانه وعمله حتى لا يحصل ازدواج يضر بالجيش، كل واحد يرتبه على حسب ما يليق به, ويقول اجلس مكانك وهذا عملك واستمر عليه؛ لأن في النظام ولاسيما في مثل هذه المواقف فائدة كبيرة؛ النظام مطلوب حتى في أعمالك اليومية في نفسك؛ فكيف بمثل هذه الأعمال الكبيرة .

ومن فوائدها: شهادة الله سبحانه وتعالى للذين خرجوا في أحد بأنهم مؤمنون؛ لقوله: ((**تبوء المؤمنين مقاعد للقتال**)) لأن المنافقين انخزلوا قبل أن يصلوا إلى مكان القتال, فقد رجعوا من أثناء السير .

ومن فوائدها: إثبات هذين الاسمين لله وهما: السميع والعليم؛ فالسميع يتعلق بالأصوات والعليم ...

الشيخ: ومن فوائدها: أنه ينبغي للقائد أن يبوأ أمكنة المقاتلين, ويعرف كل واحد مكانه وعمله حتى لا يحصل ازدواج يضر بالجيش، كل واحد يتربه على حسب ما يليق به, ويقول اجلس مكانك وهذا عملك واستمر عليه؛ لأن في النظام ولاسيما في مثل هذه المواقف فائدة كبيرة؛ النظام مطلوب حتى في أعماك اليومية في نفسك؛ فكيف بمثل هذه الأعمال الكبيرة .

ومن فوائدها: شهادة الله سبحانه وتعالى للذين خرجوا في أحد بأنهم مؤمنون؛ لقوله: ((**تبوء المؤمنين مقاعد للقتال**)) لأن المنافقين انخزلوا قبل أن يصلوا إلى مكان القتال, فقد رجعوا من أثناء السير .

ومن فوائدها: إثبات هذين الاسمين لله وهما: السميع والعليم؛ فالسميع يتعلق بالأصوات؛ والعليم يتعلق بما هو أعم بما يدرك بالسمع وما يدرك بالبصر وغير ذلك، فالعليم هو من أوسع الأسماء دلالة .

الشيخ: ثم قال الله عزوجل: ((**إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون**)) في هذه الآية دليل على أن طائفتين من المؤمنين همتا بالفشل ولكن الله ثبتهما؛ همتا بالفشل أن يرجعا كما رجع المنافقون .

ومن فوائدها: أن الدعاية ولو كانت باطلة ربما تؤثر حتى على المؤمن .

ومن فوائدها: أن الله سبحانه وتعالى قد يلطف المؤمن حتى يثبته على الحق؛ لقوله: ((**والله وليهما**)).

ومن فوائدها: منة الله على هاتين الطائفتين حيث إن الله كان وليا لهما؛ ولهذا فرحت الطائفتان بهذه الولاية أن الله وليهما .

ومن فوائدها: وجوب التوكل على الله وأنه من مقتضى الإيمان؛ لقوله: ((**وعلى الله فليتوكل المؤمنون**)) .

ومن فوائدها: أنه ينبغي للإنسان أن يتوكل على الله لاسيما في هذه المواطن التي يشتد فيها الأمر على المسلم بل على المؤمن؛ وأن لا ينظر إلى الأمور نظرا ماديا لأن وراء الأمور المادية وراءها ما هو أعظم منها وهي قدرة الله سبحانه وتعالى التي تقضي على كل هذه الأمور المادية: ((**إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون**)).

ومن فوائد الآية: أنه كلما قوي الإيمان قوي التوكل على الله؛ لقوله: ((**وعلى الله فليتوكل المؤمنون**)) بناء على قاعدة معروفة وهي أن ما علق على وصف يقوى بقوته ويضعف بضعفه .

الشيخ: ثم قال الله عزوجل: ((**ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة**)) هذا مبتدأ درس الليلة ؟

الطالب: نعم .

الشيخ: طيب, يقول الله عز وجل مبينا نعمته على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بل وعلى الأمة جمعاء لأن انتصار النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه انتصار لجميع الأمة إلى يوم القيمة؛ بل إن انتصار الرسل السابقين

انتصار للمؤمنين إلى يوم القيمة؛ ولهذا صام النبي صلى الله عليه وسلم عاشوراء شكرا لله على نعمته بإنقاذ موسى وقومه وإهلاك فرعون وقومه، وقال لليهود: (**نحن أولى بموسى منكم**).

يقول الله عزوجل: ((**ولقد نصركم الله ببدر**)) والجملة هذه مؤكدة بأمور ثلاثة؛ الأول: القسم المقدر؛ والثاني: اللام؛ والثالث: قد؛ لأن التقدير: والله لقد نصركم الله؛ والنصر هو أن يجعل الغلبة لهؤلاء على هؤلاء؛ فمن جعل الله لهم الغلبة فقد نصرهم.

وللنصر أسباب، للنصر أسباب خمسة؛ أولا: الإخلاص لله؛ لقول الله تعالى: ((**وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا**)).

والثاني: إقامة الصلاة؛ والثالث: إيتاء الزكاة؛ والرابع: الأمر بالمعروف؛ والخامس: النهي عن المنكر؛ لقول الله تعالى: ((**ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور**)) فالأسباب خمسة؛ عدها يا خالد ؟

يقول الله عزوجل: ((**لقد نصركم الله ببدر**)) الباء هنا بمعنى في؛ فهي للظرفية؛ ولا غرابة أن تأتي الباء للظرفية كما في قوله تبارك وتعالى: ((**وإنكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل**)) يعني وفي الليل؛ فقوله: ((**ببدر**)) أي في بدر؛ وبدر مكان معروف, ولا يزال حتى الآن معروفا بين مكة والمدينة.

وسبب هذه الغزوة أن النبي صلى الله عليه وسلم لما سمع بعير لقريش قدمت من الشام ندب أصحابه، ندب أصحابه إلى الخروج إليها لأخذها؛ لأن قريشا أخرجوا النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من ديارهم وأموالهم, وهم حرب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم, فكانت أموالهم حلا للرسول صلى الله عليه وآله وسلم؛ فندب أصحابه أن يخرجوا إليهم, وخرجوا في عدد قليل وعدة ضعيفة؛ خرجوا نحو ثلاث مائة رجل وبضعة عشر رجلا على سبعين بعيرا وفرسين فقط يتعاقبونها؛ الرجلان على بعير والثلاثة على بعير على أنهم يريدون العير؛ ولكن أبا سفيان وهو أمير العير أخذ نحو الساحل ساحل البحر لا على الطريق المعروف, وأرسل صارخا إلى أهل مكة يستنجدهم لحماية عيرهم، ثم لما نجا أرسل إليهم أنه نجا نجت العير ولكنهم كانوا قد تأهبوا للخروج لمحاربة النبي صلى الله عليه آله وسلم؛ فخرجوا بكبرائهم وزعمائهم على الوصف الذي ذكر الله عزوجل خرجوا: ((**بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله**)) وقال لهم الشيطان: ((**لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم**)) ولكنه خانهم: ((**فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه**))؛ خرجوا ما بين ألف وتسعمائة ومعهم النساء لأجل أن يشتد قتالهم خوفا على نسائهم؛ لأنهم خرجوا بالنساء وجعلوهن في الخلف؛ فحصلت المعركة بين النبي

صلى الله عليه وآله وسلم وبين هؤلاء المشركين, وكان النبي عليه الصلاة والسلام وأصحابه في قلة، قلة عدد وعدد؛ ولكن الله سبحانه وتعالى نصرهم؛ ولهذا قال: ((**ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة**)) أذلة جمع ذليل كأعزة جمع عزيز.

أذلة من أي ناحية ؟ من ناحية العَدد ومن ناحية العُدد؛ فثلاث مائة وبضعة عشر رجلا بالنسبة لتسع مائة إلى ألف يعني أقل من الثلث؛ والذي معهم من العدة ليس بشيء، سبعون بعيرا وفرسان؛ ولكن الله نصرهم سبحانه وتعالى.

قال: ((**فاتقوا الله لعلكم تشكرون**)) اتقوا الله, الفاء هذه للتفريع, يعني بهذا النصر الذي نصركم الله يجب عليكم أن تتقوا الله, وألا تجعلوا النصر سببا للأشر والبطر كما يفعله من ليس عنده إيمان؛ إذا انتصر على عدوه جعل هذا سببا للأشر والبطر؛ ودخل البلد وهو يغني ويطرب, كما ذكر عن بعض مذيعي العرب أيام حربهم مع اليهود يقول: غدا تغني أم كلثوم في تل أبيب ؛ سبحان الله هذا جزاء النعمة ؟ أما الرسول صلى الله عليه وسلم فإنه دخل مكة عام الفتح وهو من أعظم الانتصارات مطأطئا رأسه خاضعا لله سبحانه وتعالى؛ وهكذا ينبغي، أن الإنسان إذا انتصر أن لا يجعل هذا الانتصار سببا للأشر والبطر؛ بل يجعله من نعمة الله سبحانه وتعالى ويتقي الله؛ ولهذا قال: ((**فاتقوا الله**)) .

وقوله: ((**فاتقوا الله**)) التقوى: اتخاذ وقاية من عذاب الله؛ وبما تكون الوقاية ؟ بأيش يعني ؟ ما هي الوقاية من عذاب الله ؟ بماذا تكون الوقاية ؟ يعني ما الذي يقيك من عذاب الله ؟

الطالب: بفعل أوامره واجتناب نواهيه؛

الشيخ: نعم فعل الأوامر واجتناب النواهي؛ فإذا سألنا سائل ما هي التقوى؛ قلنا هي فعل الأوامر وترك النواهي؛ لأنك إذا فعلت الأوامر وتركت النواهي فقد أخذت بالوقاية من عذاب الله سبحانه وتعالى .

وقوله: ((**لعلكم تشكرون**)) لعل هنا للتعليل, أي لأجل أن تنالوا شكر الله؛ فالتقوى هي شكر لله، التقوى في الحقيقة شكر لله عزوجل, أي من أجل أن تنالوا الشكر أي درجة الشاكرين؛ وشكر النعمة يكون بأيش ؟ يكون بالقلب واللسان والجوارح؛ الشكر يكون بالقلب واللسان والجوارح؛ أما شكر القلب فأن تعتقد بأن هذه النعم من الله فضلا منه ونعمة, وأنه ليس لك منها إلا فعل السبب الذي أذن لك فيه؛ وأما حقيقتها فهي من الله تؤمن بذلك, ولا تكن كما قال القائل: ((**إنما أوتيته على علم عندي**)) بل قل: أوتيته بفضل الله ورحمته حتى وإن كان من عملك؛ أما إذا كان من فعل الله فهذا واضح أن كل إنسان ينسبه إلى الله؛ ومع ذلك من الناس من لا ينسب ما كان من فعل الله إلى الله، إذا حصل المطر قال: مطرنا بنوء كذا وكذا؛ ولهذا قال زيد بن خالد الجهني

رضي الله عنه: صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديبية على إثر سماء كانت من الليل . يعني على إثر مطر . فلما انصرف أقبل إلينا فقال: (**هل تدرون ماذا قال ربكم ؟**) قالوا: الله ورسوله أعلم؛ قال: (**قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر؛ فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب؛ وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب**) إذا لابد أن تعتقد في قلبك أن النعمة ممن ؟ من الله ؛ وأن ما يحصل منك في جلب هذه النعمة ما هو إلا سبب مأذون فيه من الله عزوجل.

ثانيا: اللسان، أن تثني بها على الله، لا أن تقولها فخرا على عباد الله؛ بل تثني فتقول: الحمد لله الذي أعطاني كذا وكذا؛ لقول الله تعالى: ((**وأما بنعمة ربك فحدث**)) .

ثالثا: أن تعمل بجوارحك بطاعة الله ولاسيما فيما يتعلق بهذه النعمة بخصوصه؛ فليس من الشكر إذا رزقك الله مالا أن تشتري به دخانا تشربه؛ لأن هذا استعانة بنعمة الله على معصية الله؛ أو أن تشتري به آلة لهو تتلهى بها؛ فإن هذا ليس من الشكر؛ بل من الشكر أن تجعل النعمة معينة لك على طاعة الله وقد قال أحد الشعراء:

أفادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا؛

يدي: هذه الجوارح، ولساني: القول, الثناء على الله بالنعمة، والضمير المحجبا: الاعتقاد؛ ((**فاتقوا الله لعلكم تشكرون**)) .

الشيخ: ثم قال: ((**إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين**)).

أولا: في هذه الآية قوله: ((**منزلين**)) فيها قراءة سبعية: ((**منزلين**)) بتشديد الزاي؛ وقوله: ((**مسومين**)) فيها قراءة سبعية أيضا: ((**مسومين**)) بالبناء للمجهول.

يقول: ((**إذ تقول للمؤمنين**)) الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم؛ وهذا من الخطابات التي تختص برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ وقد مر علينا أن الخطابات الموجهة للرسول صلى الله عليه وآله وسلم تنقسم إلى ثلاثة أقسام؛ الأول: ما دل الدليل على أنه خاص به؛ والثاني: ما دل الدليل على أنه عام للأمة؛ والثالث: ما لم يدل عليه الدليل لا هذا ولا هذا؛ فما دل الدليل على أنه خاص به فهو خاص به مثل هذه الآية: ((**إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم**)) ((**وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه**)) هذا خاص؛ ((**ألم نشرح لك صدرك**)) هذا خاص؛ ((**يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك**)) هذا أيضا خاص, وإن كان الأمة يشملها يجب عليها التبليغ من جهة أخرى؛ الثاني: ما دل الدليل فيه على العموم، ما دل الدليل فيه على العموم كقوله تعالى: ((**يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن**)) هذا واضح أنه عام لأنه قال: ((**يا أيها**

النبي إذا طلقتم النساء)) فوجه الخطاب أولا للنبي صلى الله عليه وسلم ثم عمم في الحكم فقال: ((**إذا طلقتم**))؛ الثالث: ما لم يدل الدليل عليه لا هذا ولا هذا فهو عام، فهو عام بلاشك، حكمه عام, لكن هل الخطاب عام من حيث اللفظ أو لا ؟ الذي يظهر أنه عام حتى من حيث اللفظ؛ وذلك لأن الخطاب للإمام خطاب لمن تبعه؛ ولهذا لو قال الوزير مثلا للقائد: اذهب إلى الجهة الفلانية؛ كان ذلك الخطاب له ولمن كان تحت إمرته؛ كذلك الخطاب إذا وجه للرسول صلى الله عليه وسلم ولم يدل الدليل على أنه خاص به فهو شامل له وللأمة جميعا؛ وقال بعض العلماء إنه لا يشمل الأمة وأن الخطاب له وحده ولكن على الأمة الاتباع؛ وأنتم إذا تأملتم وجدتم أن الخلاف قريب من اللفظ, لأنهم متفقون على أن الحكم عام, لكن هل الأمة تدخل في ضمنها للخطاب أو تدخل بخطاب آخر لأنها مأمورة بالإتباع؛ هذا محل الخلاف, والحقيقة أنك إذا تأملته وجدت أنه قريب من الخلاف اللفظي .

السائل: أحسن الله إليك, بعض الناس يكثر من الأشياء المباحة حتى يخشى عليهم الإسراف؛ فإذا نصحتهم قالوا: ((**وأما بنعمة ربك فحدث**)) ؟

الشيخ: أي نعم نقول له: ((**ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين**)) نحن لسنا نقول لك إذا كنت غنيا فاخرج في ثياب الفقراء ولا تأكل إلا ما يأكل الفقراء؛ نقول كل، كل ما يأكل الأغنياء والبس ما يلبس الأغنياء, لكن لا تسرف .

السائل: اقتتلت طائفتان من المسلمين, وكانت إحداهما تغنم من الأخرى من السلاح, هل يحل لها أن تأخذها ؟

الشيخ: ما فهمت؛

السائل: أموال المسلمين أليست لا تغنم ؟

الشيخ: لا تغنم؛

السائل: في حال القتال,

الشيخ: ينظر في القتال ما هو؛ إذا كان لعصبية أو رئاسة فلا شك أنه ظلم ولا يجوز, ولا تحل به الأموال ولا النفوس؛ أما إذا كان بغيا فيجب أن الباغي يقاتل حتى يفيء عن بغيه كما قال الله عزوجل .

السائل: لكن يؤخذ سلاحه ؟

الشيخ: معلوم يؤخذ سلاحه, لأننا لو قتلناه وقدرنا على أخذ السلاح ولم نأخذه فسيتعدي علينا به, فنأخذه ثم ينظر هل يكون غنيمة أولا؛ فهذا ينبني على من نقاتل؛ إذا كان من نقاتله كافرا فهو غنيمة, وإذا كان غير كافر فهذا محل النظر .

السائل: شيخ أحسن الله إليك ! عدم ولاية الكفار في الأمور العامة أو في الأمور الخاصة ؟

الشيخ: لا في الأمور القيادية؛ أما في الأمور الغير القيادية مثل البناء أو شبه ذلك كعامل عندك فهذا فليس فيه شيء إلا في هذه الجزيرة العربية فإنه لا ينبغي أن يجلب إليها الكفار؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بإخراجهم من جزيرة العرب؛ وقال: (**ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من يأجوج ومأجوج مثل هذه**) فقالت زينب: يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال: (**نعم إذا كثر الخبث**) والخبث هنا يشمل الخبث الشخصي والخبث العملي؛ فإذا كثر الخبث من المسلمين أوشك الله أن يهلكهم؛ وإذا كثر الخبث من الأشخاص غير المسلمين بأن جاء كفار إلى البلد فهذا أيضا يوشك الله أن يأخذهم .

السائل: في الأشياء التي ليست عندنا أو ليست لنا خبرة فيها وهم لهم فيها خبرة فلا بد أن نعطيهم بعض القيادات حتى نتعلم منهم أو يساعدوننا ؟

الشيخ: لا, هذه المسائل قد تكون عارضة، ما هي دائمة؛ ولهذا لسنا منهيين أن نتعلم منهم ما يعلموننا أو مثلا نأخذ من خبراتهم؛ هذا فيه فائدة لنا .

السائل: هل يجوز يا شيخ الإسلام تولية بعض الفرق الضالة الذين يحقدون على أهل السنة والجماعة مثل الرافضة وغيرهم في الأمور القيادية ؟

الشيخ: ((**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا**)) من دونكم ينعي من سواكم؛ كل إنسان نعرف أنه لا ينصح لنا فإنه لا يجوز أن نوليه .

السائل: ... ؟

الشيخ: نعم هذا من أسباب النصر ما فيه شك؛ فإذا علم الله أن هؤلاء القوم من نيتهم أنهم إذا مكنوا من الأرض أقاموا الصلاة هذا من أسباب النصر؛ لأن الذي هذه إرادته قبل الانتصار فهو عليها بلاشك .

السائل: قوله: ((**لعلكم تشكرون**)) هل يمكن أن تكون لعل بمعنى الترجي باعتبار المخاطبين ؟

الشيخ: لا ما يصلح لأنك إذا قلت للترجي باعتبار المخاطبين صرفتها عن ظاهرها.

السائل: تبقى على أصلها لكن لعل للترجي ؟

الشيخ: لا، أبدا؛ هي للتعليل، هي للتعليل أقوى, يعني كون التقوى سببا للشكر هذا أقوى بلاشك . فهذا خطأ ؟ نعم هذا خطأ نعم .

السائل: متى يكون إضافة المطر إلى الزمن جائزا ؟

الشيخ: إذا أضفت المطر إلى الزمن باعتباره ظرفا له لا سببا له؛ يعني مثلا قلت: مطرنا في نوء كذا، يعني مطرنا مثلا في نوء الشولة هذا معناه ... هذا ما فيها بأس؛ ولهذا قال العلماء: يحرم أن يقول مطرنا بنوء كذا ويجوز أن يقول: مطرنا في نوء كذا؛ ولكن العامة عندنا يجعلون الباء بمعنى في؛ فيقولون مطرنا في شباط ويحطون بالباء, مطرنا بالموسم على أن الباء عندهم بمعنى في؛ والعبرة بالنية.

الشيخ: هذه تنبني على أن هذا هل هو في بدر أو في أحد ؟

السائل: أظن أنه في بدر؛

الشيخ: فيها خلاف سنذكره إن شاء الله؛ بعض العلماء يقول هذا بدر وبعضهم يقول إنه في أحد؛ فالذين قالوا إنه في بدر قالوا إن قوله: ((**ولقد نصركم الله ببدر وأنتم في أذلة**)) هذه الآية يعني معترضة في القصة؛ لأن قوله: ((**وإذ غدوت من أهلك**)) بالاتفاق يراد به غزوة أحد .

السائل: شيخ إذا ولينا الكافر صارت عنده نفسية عزة يعز بها على المسلمين ... ؟

الشيخ: لا ما نوليه, إذا خفنا من هذا ما نوليه، إذا خيفنا من هذا المحظور فلا نوليه .

الطالب: ((**إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون**)).

الشيخ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم؛ قال الله تعالى: ((**إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم** ...))

قوله: إذ؛ هذه ظرف, والقاعدة في اللغة العربية أن الظرف والجار والمجرور لابد له من متعلق؛ وذلك لأن الظرف والجار والمجرور يقعان موقع المفعول به, وما كان واقعا موقع المفعول به فلابد له من عامل يكون واقعا عليه؛ وقوله: ((**إذ تقول**)) إذا قلنا إنها تحتاج إلى متعلق فأين متعلقها ؟ قيل: إن متعلقها قوله: ((**ولقد نصركم الله ببدر**)) نصركم إذ تقول للمؤمنين؛ ولكن هذا قول ضعيف؛ والقول الثاني: أنه بدل من قوله: ((**وإذ غدوت من أهلك تبوء المؤمنين مقاعد للقتال**)) والتقدير: وإذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم؛ التقدير: إذ تقول للمؤمنين، إذ غدوت إذ تقول للمؤمنين؛ وهذا أقرب، ثم إن قوله: ((**إذ تقول للمؤمنين**)) الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم؛ وهذا من الخطاب الخاص به الذي لا يتعدى إلى الأمة؛ وقوله: ((**للمؤمنين**)) يعني بهم الصحابة رضي

الله عنهم, ووصفهم بالإيمان دون الصحبة لأنه . أعني الوصف بالإيمان . هو مناط النصر في كل وقت حتى فيما بعد الصحابة فإن الله ينصر الذين آمنوا.

((**أن يكفيكم**)) هذه مقول القول, أي إذ تقول لهم هذا الكلام: ((**ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين**)) قال أهل العلم: إن الصحابة رضي الله عنهم بلغهم أن المشركين صار بعضهم يمد بعضا على قتال النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه؛ فقال لهم الرسول صلى الله عليه وسلم: ألن يكفيكم ، أي يكون كافيا لكم هذا الأمر أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين؛ ((**بثلاثة آلاف من الملائكة**)) الملائكة هم عالم غيبي خلقهم الله تعالى من نور, ووجه لهم عبادات وأعمالا يقومون بها لا يعصون الله فيها ويفعلون ما يؤمرون؛ فليس عندهم استكبار تكون به المعصية, وليس عندهم عجز يكون به تخلف الفعل؛ بل هم سامعون مطيعون قادرون على تنفيذ أمر الله, بخلاف البشر فإنه يكون عندهم استكبار فيعصون الله, ويكون عندهم عجز فلا يقدرون على تنفيذ أمر الله؛ أما الملائكة فعندهم قوة لا يعجزون عن امتثال أمر الله وعندهم انقياد تام فلا يعصون الله سبحانه وتعالى .

وقوله: ((**بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين**)) منزلين من أي مكان ؟ من السماء؛ لأن الأصل أن مكان الملائكة السماء؛ ولكن هناك ملائكة يكونون مع الإنسان كالكرام الكاتبين والحفظة الذين يتعاقبون على الإنسان ملائكة بالليل وملائكة بالنهار؛ وإلا فالأصل أنهم في السماء .

وقوله: ((**منزلين**)) فيها قراءتان: ((**منزلين**)) و ((**منزلين**)) فعلى قراءة التخفيف تكون من أنزل؛ وعلى قراءة التشديد تكون من نزل؛ والمعنى واحد؛ والذي ينزلهم هو الله سبحانه وتعالى لأنهم ينزلون بأمره .

الشيخ: قال الله تعالى: ((**بلى**)) بلى هذه لإثبات أو للتقرير تقرير الاستفهام ألن يكفيكم ؟ بلى, يعني يكفيكم ((**أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين**)) يقول: بلى, يعني يكفيكم هذا، هذا الإمداد لكن بشرط إن تصبروا وتتقوا ويأتيكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بأكثر مما قلت لهم؛ فالنبي عليه الصلاة والسلام قال: ألن يكفيكم أن يمدكم بثلاثة؛ لكن إن صبرتم واتقيتم أمدكم الله بأكثر؛ ولهذا قال: ((**يمددكم ربكم بخمسة آلاف**))؛ فهاهنا شيئان: ثلاثة آلاف من الملائكة هذا وعد به الرسول عليه الصلاة والسلام؛ خمسة آلاف من الملائكة زائد على الثلاثة هذا تكفل الله به لكن بشرط الصبر والتقوى.

وقوله: ((**ويأتوكم من فورهم هذا**)) أي يأتوكم من الجهة التي جاءوكم منها في وقت مبادر؛ لأن الفور معناه المبادرة بالشيء؛ فالمعنى أنهم إذا باغتوكم وأتوكم من فورهم فإنه يمددكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين؛ فالشروط إذا ثلاثة؛ الصبر؛ الثاني: التقوى؛ والثالث: أن يأتوهم من فورهم هذا؛ فإن الله يمدهم بخمسة آلاف من

الملائكة ليسوا منزلين فقط بل مسومين, أي معلمين علم الجهاد وعلم القتال؛ وهذا أبلغ من مجرد الإنزال؛ فالله سبحانه وتعالى تكفل بالزيادة وهذا يعود إلى الكمية, وتكفل بالقوة والشجاعة وهذا يعود إلى الكيفية .

وقوله: ((**مسومين**)) أي معلمين بعلامات القتال؛ لأن العادة أن الشجعان يجعلون لهم علامات فوق لأمة الحرب حتى يعرف بها الشجاع من غيره.

هذه الآية أو هذا الإمداد اختلف أهل العلم هل هذا في بدر أو في أحد ؟؛ فإن كان في بدر ففيه إشكال، حيث إن الله تعالى ذكر أن الله تعالى أمدهم في بدر بألف من الملائكة فقال: ((**إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين**)) وهنا قال: ثلاثة آلاف ، وخمسة آلاف؛ لكن جمعوا بينهما بأنه لا مانع أن الله استجاب لهم فأمدهم بألف من الملائكة ثم زيد فيهم إلا ثلاثة آلاف, ثم زيد فيهم إلا خمسة آلاف إذا تمت الشروط؛ وبناء على هذا القول يكون قوله: ((**إذ تقول**)) متعلق بنصر؛ والقول الثاني: أن هذه الآية في أحد وليست في بدر؛ لأن الذي في بدر كان الأمر فيها غير مشروط: ((**إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين**)) وهذه مشروط, ولم يحصل الشرط فلم يحصل المشروط, أي أن المسلمين في غزوة أحد لم يحصل منهم الشرط الذي اشترطه الله وهي التقوى، الصبر؛ وذلك لأنهم حصل منهم تنازع وفشل ومعصية فلم يكونوا على الحال التي يستحقون بها ما شرط الله لهم؛ وهذا القول أصح وأقرب أن يكون المراد بذلك غزوة أحد, وأنه لم يحصل الإمداد, لأن الإمداد كان مشروطا بشرط لم يتحقق؛ وعلى هذا فلا يبقى إشكال بين الآيتين؛ لأن كل آية نزلت في غزوة؛ ثم إنه يجب أن نعلم أن الذي وعدهم به الرسول عليه الصلاة والسلام غير الذي وعدهم الله به؛ فليس الكلام من متكلم واحد, بل من النبي صلى الله عليه وسلم ومن الله سبحانه وتعالى؛ فالرسول قال: ((**ألن يكفيكم أن يمدكم**)) والله قال: ((**بلى إن تصبروا تتقوا ويأتكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين**)) .

الشيخ: ثم قال الله تعالى: ((**وما جعله الله إلا بشرى لكم**)) جعله فالضمير قيل: إنه يعود إلى الإمداد؛ أو إلى الوعد به بالشروط الثلاثة؛ وقيل: إنه يعود إلى قول الرسول عليه الصلاة والسلام: ((**إذ تقول للمؤمنين**)) يعني أن الله لم يجعل قول الرسول عليه الصلاة والسلام إلا بشرى لكم؛ والبشرى هي الخبر بما يسر؛ وهذه لاشك أنها بشرى, إذ أن المقاتل إذا علم أن الله سبحانه وتعالى سيمده بالملائكة فإنه سوف ينشط, ويقوى ويؤمن النصر, بخلاف ما إذا كان لم يحصل له هذا الشيء؛ وقوله: ((**إلا بشرى لكم**)) ما نعلم هل تعرفون إعراب بشرى ؟

الطالب: مفعول ثاني؛

الشيخ: مفعول ثاني لأيش ؟

الطالب: لجعل؛

الشيخ: لجعل ؟ وإلا منصوب على الاستثناء ؟

الطالب: إذا كان جعل بمعنى صير فمفعول ثاني؛ إذا ما كان بمعنى صير فهو مفعول لأجله؛

الشيخ: يعني ما تصح استثناء ؟

الطالب: لا؛

الشيخ: لماذا ؟

الطالب: ما هو مقام استثناء لأنه أداة الحصر؛

الشيخ: لأن العامل لم يستكمل معموله .

قال: ((**ولتطمئن قلوبكم به**)) **ولتطمئن**: الاطمئنان معناه الاستقرار وعدم القلق؛ ولاشك أن طمأنينة القلب فيها راحة للنفس، وفيها فتح للتفاؤل والأمل، وفيها ثبات على الأمر بخلاف الإنسان الذي لم يطمئن قلبه فتجده دائما في قلق وضيق؛ أما إذا اطمئن قلبه فإن ذلك مما يعينه على التحمل والثبات والصبر؛ ولهذا قال: ((**ولتطمئن قلوبكم به**)) في آية الأنفال يختلف السياق هناك قال: ((**وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم**)) وحذف قوله: لكم؛ وقدم الجار والمجرور على الفاعل، ((**ولتطمئن به قلوبكم**)) في سورة الأنفال؛ أما هنا ((**ولتطمئن قلوبكم به**)) وهذا مما يؤيد أن الآيتين ليستا في غزوة بدر؛ بل آية الأنفال في عزوة بدر, وهذه في غزوة أحد, ولم يحصل الإمداد لما عرفتم من تخلف الشرط .

ثم قال: ((**وما النصر إلا من عند الله**)) يعني حتى لو أمددتم بالملائكة ثلاثة الآلاف أو خمسة الآلاف فليس النصر بهم ولكن النصر من عند الله وهو الذي يهيئ أسباب النصر؛ فلا تعتمد على غير الله سبحانه وتعالى مما جعله الله سببا في النصر؛

قال: ((**إلا من عند الله العزيز الحكيم**)) العزيز: يعني ذو العزة, وعزة الله سبحانه وتعالى ثلاثة أنواع: عزة القدر، وعزة القهر، وعزة الامتناع؛ عزة القدر: يعني الشرف والسيادة والفضل، مثل أن تقول: هذا الشيء عزيز وجوده يعني أنه منفرد بالصفات الكاملة عن غيره؛ عزة القهر .

الشيخ: ثم قال: ((**وما النصر إلا من عند الله**)) يعني حتى لو أمددتم بالملائكة ثلاثة الآلاف أو خمسة الآلاف فليس النصر بهم ولكن النصر من عند الله, وهو الذي يهيئ أسباب النصر؛ فلا تعتمد على غير الله سبحانه وتعالى مما جعله الله تعالى سببا في النصر؛ قال: ((**إلا من عند الله العزيز الحكيم**)) العزيز يعني ذو العزة, وعزة الله سبحانه وتعالى ثلاثة أنواع: عزة القدر، وعزة القهر، وعزة الامتناع؛ عزة القدر يعني الشرف والسيادة والفضل، مثل أن تقول: هذا الشيء عزيز وجوده, يعني أنه منفرد بالصفات الكاملة عن غيره؛ عزة القهر يعني الغلبة يعني أنه غالب ومنه قوله تعالى: ((**فقال أكفلنيها وعزني في الخطاب**)) أي غلبني فيه؛ فالله سبحانه وتعالى له الغلبة, كما قال تعالى عن المنافقين: ((**يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل**)) فسلم الله لهم ذلك أن الأعز يخرج الأذل؛ ولكن لمن العزة ؟ ((**ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون**)) إذا عزة القهر يعني الغلبة, أنه غالب, غالب لكل شيء؛ ومن الشعر الجاهلي:

أين المفر والإله الطالب والأشرم المغلوب ليس الغالب ؛

يقول الثالث: عزة الامتناع يعني أنه يمتنع أن يناله السوء سبحانه وتعالى أو النقص؛ وهو مأخوذ من قولهم: أرض عزاز يعني صلبة قوية لا تؤثر فيها المعاول؛ فصارت العزة التي يتصف الله بها ثلاثة أنواع؛ أذكرها يا خالد ؟

الطالب: عزة القدر وعزة القهر وعزة الامتناع؛

الشيخ: ما معنى عزة القدر؟

الطالب: عزة الشرف والمكانة

الشيخ: نعم والسيادة؛ عزة القهر ؟

الطالب: يعني عزة الغلبة؛

الشيخ: عزة الغلبة يعني أنه غالب لا يغلبه شيء؛ الشاهد على أن العزة تأتي بمعنى الغلبة ؟

الطالب: نعم قول الله عزوجل: ((**وعزني في الخطاب**)) بمعنى الغلبة؛

الشيخ: بمعنى الغلبة؛ الثالث عزة الامتناع ويش معناها ؟

الطالب: أن الله سبحانه وتعالى يمتنع أن يناله سوء أو نقص ومنه قوله: أرض عزاز أي صلبة.

الشيخ: وأما قوله: ((**الحكيم**)) فالحكيم مأخوذة من الحكم والإحكام؛ فالحكم يعني القضاء؛ والإحكام يعني الإتقان؛ ونحن نعلم أن حكم الله ينقسم إلى قسمين: حكم كوني لا يتخلف المحكوم فيه؛ وحكم شرعي قد يتخلف؛ فالحكم الكوني لا يتخلف أبدا؛ ومنه قوله تعالى: ((**فلن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبي أو يحكم الله لي**)) يعني حكما شرعيا أو حكما كونيا ؟ حكما كونيا؛ وأما الحكم الشرعي فمثل قوله تعالى في سورة

الممتحنة: ((**ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم**)) ومنه قوله: ((**أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون**)).

فإذا الحكم ينقسم إلى قسمين: كوني؛ وشرعي؛ ثم إن في كل منهما حكمة, يعني ما من حكم كوني أو شرعي إلا وهو مقترن بالحكمة؛ لأننا قلنا إنها مأخوذ من الحكم والإحكام؛ فالحكم الكوني لابد أن يكون له حكمة؛ والحكم الشرعي لابد أن يكون له حكمة؛ ثم الحكمة قد يكون المراد بها أن وقوع الشيء على هذا الوجه حكمة, والغاية منه حكمة أيضا, فتكون الحكمة في صورة الشيء, والحكمة الثانية في الغاية منه؛ فكون الصلوات على هذا الوجه هذا حكمة تتعلق بصورة العمل, والغاية منها حكمة تتعلق بالمراد من هذا العمل؛ فإذا قلنا الآن الحكمة إما في الحكم الكوني أو الحكم الشرعي, وإما أن تكون في صورة الشيء أو في غايته؛ صار عندنا أقساما كثيرة, وكلها داخلة في قوله تعالى: ((**الحكيم**)) .

وربط العزة بالحكمة يفيد معنى ثالثا غير المعنى المستفاد من العزة على انفراد أو الحكمة على انفراد؛ وذلك لأن العزيز قد تغلبه العزة حتى يتصرف تصرف الطيش والسفه، كما قال الله تعالى: ((**وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم**)) لكن عزة الله عزوجل لا تخرج عن الحكمة مع أن له العزة المطلقة فإن هذه العزة لا تخرج عن الحكمة، لن يفعل شيئا على وجه السفه إنما يفعله على وجه الحكمة .

ثم قال الله عزوجل: ((**ليقطع طرفا**)) نعم, نأخذ الفوائد قبل ؟

قال الله عزوجل: ((**ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة ...**)).

في هذه الآية: امتنان الله سبحانه وتعالى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بنصرهم في بدر؛ والنصر لهم نصر للأمة إلى يوم القيامة .

ومن فوائد الآية: أن الإنسان بغير نصر الله لا يستطيع أن ينتصر؛ لأنه إذا كان جند الله الذين هم أعظم جند كان على وجه الأرض وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه لم ينتصروا بأنفسهم وإنما انتصروا بنصر الله, فمن سواهم من باب أولى.

ويتفرع على هذه الفائدة : أننا لا نعلق النصر إلا بالله سبحانه وتعالى، لا نعلق النصر بقوتنا, ولا بقوة مساندة لنا, وإنما نعلق النصر بالله وحده, ونجعل هذه الأشياء المادية التي يكون بها النصر نجعلها أسبابا قد تتخلف عنها مسبباتها؛ لأن النصر يكون من عند الله وحده .

ومن فوائد هذه الآية: أنه كلما كان الإنسان أذل لله كان أقرب إلى نصر الله؛ وكلما كان الإنسان مستغنيا عن الله كان أبعد عن النصر؛ لقوله: ((**وأنتم أذلة**)), والإنسان إذا رأى من نفسه العزة وعلا وشمخ فإنه يخذل، قال الله تعالى: ((**كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى**)) .

ومن فوائد الآية الكريمة: أن النصر لا يكون بكثرة العدد ولا بقوة العدد؛ بل هو من عند الله سبحانه وتعالى؛ لكن كثرة العدد وقوة العدد مما أمرنا الله به وجعله سببا للنصر، كما قال الله تعالى: ((**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم**)) من ورائهم ((**لا تعلمونهم الله يعلمهم**)) ولهذا يجب على ولاة الأمة الإسلامية أن يعدوا أعظم سلاح يفتك بالأعداء من أجل إذا احتاجوا إليه يستطيعون المهاجمة مهاجمة العدو أو المدافعة إذا اعتدى عليهم أحد؛ وأما الأسلحة التقليدية التي تعتبر في وقتنا الحاضر مثل الحمير بالنسبة للخيل في الوقت السابق؛ فهذه لا تكفي, إلا إذا كان الإنسان لا يستطيع فإنه معذور؛ لكن إذا كان يستطيع فالواجب أن يجهز نفسه بكل ما يستطيع من قوة؛ لأن أعداء الإسلام يتربصون به الدوائر, ويريدون أن يقضوا على المسلمين بكل وسيلة؛ فإذا لم يكن عندنا سلاح نكبتهم به ونخزيهم به ونذلهم به فإننا لم نقم بما أوجب الله علينا: ((**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة**)).

وهنا يقول: ((**فاتقوا الله**)) من فوائدها: أن منْ منَّ الله عليه بنعمة كان ذلك موجبا لتقوى الله؛ فالنصر سبب للتقوى والذل لله والخضوع له والانطراح بين يديه كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم حين فتح مكة دخل مطأطئا رأسه يتلوا كتاب الله عزوجل, خلافا لما يفعله الناس اليوم أو بعض الناس, إذا انتصر جعل هذا النصر سببا للأشر والبطر والملاهي والأغاني وغير ذلك من المعاصي؛ بل قد يكون بعد النصر أكثر منه فسوقا مما قبل الحرب؛ وهذا خلاف ما أمر الله به؛ لأنه قال: ((**ولقد نصركم الله**)) ((**فاتقوا الله**)) فأمر بالتقوى بعد النصر لئلا يشمخ الإنسان بأنفه ,ويتطاول على ربه بانتصاره فيعود إلى ما كان عليه من الفرح والبطر والأشر .

ومن فوائد هذه الآية: أن تقوى الله تعالى من الشكر، أن تقوى الله من شكر الله؛ لقوله تعالى: ((**لعلكم تشكرون**)) وهذا أمر لاشك فيه أن التقوى من الشكر, بل هي الشكر حقيقة؛ لأن التقوى هي اتخاذ وقاية من عذاب الله بفعل أوامره واجتناب نواهيه، والشكر هو القيام بطاعة المنعم بالقلب واللسان والجوارح؛ عرفت ؟ الشكر ما هو ؟

الطالب: هو القيام بطاعة الله بالقلب واللسان والجوارح؛

الشيخ: نعم القيام بطاعة المنعم بالقلب واللسان والجوارح .

ثم قال الله تعالى: ((**إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم** ...)).

من فوائدها: ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم في معاملة أصحابه من إدخال الأمل في قلوبهم، إدخال الأمل في قلوبهم عند اشتداد الأزمات؛ وهذه هي الطريقة السليمة؛ لأنك إذا أدخلت الأمل على الناس نشطوا ونسوا ما هم فيه من الهم والغم؛ أما بعض الناس فيكون على العكس، تجده يدخل على الناس باب التشاؤم والمروعات والمخيفات, وكلما قلنا انتهت هذه المروعات جاءنا ما هو أشد ترويعا؛ هذا لاشك إنه خلاف السياسة الشرعية؛ بل هو خلاف العقل؛ الشيء الذي تدعوا الضرورة إليه مما يروع هذا لابد منه, أما الذي لا تدعوا الحاجة إليه أو الضرورة فافتح للناس باب الأمل؛ فالرسول عليه الصلاة والسلام لما إنهم خافوا من إمداد المشركين بعضهم بعضا قال لهم هذا الكلام: ((**ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين**))؛ ولما اخبر بأن بني قريظة نكثوا العهد في عام الأحزاب أرسل إليهم من يقص الخبر, وقال للرسول: (**إذا أتيتم فالحنوا لي لحنا**)، الحنوا لي لحنا؛ ويش معنى الحنو ؟ يعني أخبروني بهذا بإشارة, وهي تسمى عندنا الآن بالشفرة، شفرة خاصة أخبرهم بها؛ لأنهم إذا جاءوا ووجدوا أن اليهود قد نقضوا العهد ثم أخبر الرسول أمام الناس يلحقهم الروع والخوف؛ فقال: (**الحنو لي لحنا**)؛ فلما رجعوا إلى الرسول عليه الصلاة والسلام وأخبروه أن بني قريظة نقضوا العهد؛ لكن ما هو باللفظ الصريح, باللحن الذي أرشدهم إليه؛ قال: (**أبشروا**)، وكان المتوقع لو كان مثل بعض قادتنا أن يقول: والله هذه مصيبة جاءنا عدو جديد؛ ثم ملأ القلوب رعبا؛ لكن الرسول عليه الصلاة والسلام قال: (**أبشروا**)؛ ولما كانوا يحفرون الخندق واعترضتهم كدية, صخرة شديدة عجزوا عنها جاءوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبروه, فجاء ونزل في الخندق وأخذ المعول فضرب ضربة انقدح منها شعاعا قال في الأولى: أضاءت منه قصور كسرى أو قيصر؛ وفي الثانية قصور كسرى أو قيصر, في الثالثة قصور اليمن صنعاء؛ فقال: أبشروا، مع أن الله تعالى قال عنهم في تلك الحال: ((**إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا**)), الآن مثلا هنا في هذه الأحداث نجد أن الطاغي قد تخلخل وظهر فيه الخلل ولا إشكال فيه ثم يأتي بعض الناس يقول: لا عندهم قوة عظيمة مدخرة يخليها في آخر الوقت؛ الله أكبر الآن قد بشرك الله سبحانه وتعالى بما يدل على أن الله سيكفي المسلمين شره, ثم تأتي وتروع الناس, تقول: لا عنده قوة بس يخليها آخر الشيء؛ من قال لك هذا ؟ إن كان هذا محتملا فالأول أقرب احتمالا, ما فيه شك أنه أقرب؛ لأن كل إنسان لا يمكن أن يتظاهر بهزيمة أمام عدوه أبدا؛ ولهذا ينبغي لنا أن ندخل على الناس باب الأمل والمقدر سيكون, سواء أدخلنا باب الأمل الذي ينشطهم ويدخل عليه السرور وينسيهم الغموم؛ أو أدخلنا عليهم باب المروعات والمقدرات حتى إن الإنسان تيبس أمعاؤه على بطنه؛

هذا ما هو صحيح؛ أنت أدخل الأمل وما أراد الله سوف يكون ؛ ولكن مع ذلك أنا أقول إنما يكون إدخال الأمل حينما يتعلق القلب بالله عزوجل وتنقطع الحيل إلا من عند الله سبحانه وتعالى .

من فوائد الآية الكريمة: إثبات الربوبية الخاصة؛ لقوله: ((**أن يمدكم ربكم**)) والربوبية نوعان: عامة وخاصة؛ ففي قوله تعالى: ((**الحمد لله رب العالمين**)) هذه عامة؛ وفي قوله: ((**ربكم**)) هنا خاصة؛ وقد اجتمع النوعان في قوله تعالى عن سحرة فرعون الذين منَّ الله عليهم بالإيمان: ((**قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون**))؛ الأولى عامة والثانية خاصة .

السائل: جاء في بعض الأحاديث أن بعض الملائكة قاتلت مع المسلمين في غزوة أحد ؟

الشيخ: لا, هذه إن صحت الأحاديث في هذا؛ لأن بعض العلماء ضعفها, وقال ما قاتلت الملائكة إلا في بدر, وإنما جاءت في أحد لتقوية المسلمين فقط؛ لكن إن صحت فهذه خاصة حينما تخلى الصحابة عن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يبق معه إلا نفر قليل .

السائل: بعض الناس ينظرون إلى حال المسلمين في وقتنا نظرة عدم تفائل إذا قيل له: تفاءل وأحسن الظن, يقول: والله حالها لا تسر ؟

الشيخ: نعم لاشك أن حالنا ضعيفة, ولكن أملنا بالله وعفوه أكبر من سوء ظننا بأنفسنا .

السائل: ما معنى قوله: ((**من فورهم**)) ؟

الشيخ: ما ذكرناها ؟

الطالب: ذكرناها،

الشيخ: من فورهم يعني في الوقت الحاضر, يعني من الوجه الذي جاءوكم به؛ هم لما انصرفوا الكفار هزموا الرسول عليه الصلاة والسلام وأصحابه وحصل ما حصل لهم وانصرفوا قال الله عزوجل: إن جاءوكم من فوركم هذا ورجعوا عليكم أمدكم الله .

السائل: قوله: ((**ولتطمئن قلوبكم**)) عطف على أيش ؟

الشيخ: ويش تقولون ؟ على ((**بشرى**)) وهذا مما يؤيد على أنها مفعول من أجله .

السائل: وإذا كان مفعولا به ؟

الشيخ: وإذا كان مفعولا به يقدر الفعل؛ يعني وأخبركم الله ليطمئن به قلوبكم .

السائل: الله تبارك وتعالى أرسل ثلاثة آلاف من الملائكة مع الصحابة مع أن واحدا جبريل كان يكفي الجميع ؟

الشيخ: لا، قل ألف, لأنه ذكرنا إنه ما حصل الإمداد لأن الشرط لم يحصل على القول الصحيح؛ لكن الألف من الملائكة في بدر يكفي ملك واحد لاشك, ويغني عن ذلك أيضا كلمة واحدة من الله، تغني عن الملائكة وعن البشر أليس كذلك ؟ ولهذا قال الله تعالى: ((**ولو يشاء الله لانتصر لهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم سيهديهم ويصلح بالهم ويدخل الجنة عرفها لهم**)) تفوت هذه الفائدة واضح ؟.

السائل: شروط النصر إذا توفرت تحقق النصر, ولكن نزول الملائكة هل هو باق إلى يومنا هذا ؟ الشيخ: نعم, ربما إن الملائكة تنزل لتثبيت المؤمنين؛ وإذا كان القتال جهادا في سبيل الله حقا فقد تقاتل؛ لأن الله تعالى ينصر دينه .

السائل: ما يصلح أن يكون متعلق الظرف أذكر أو تذكر في قوله تعالى: ((**إذ تقول للمؤمنين**)) ؟ الشيخ: يصلح إذا لم يمكن لأن التقدير الأصل فيه عدمه لأن التقدير يستلزم الحذف, والأصل عدم الحذف؛ فإذا أمكن أن يكون متعلقا بشيء موجود فإنه لا يقدر أما إذا لم يمكن يقدر .

السائل: ما هو الراجح في عود الضمير في قوله تعالى: ((**وما جعله الله إلا بشرى**)) ؟

الشيخ: إلى قول الرسول، هذا هو الراجح وإن كان أكثر المفسرين يعود إلى إخبار الله عزوجل؛ لكن الأقرب أنه قول الرسول ووعده إياهم .

الطالب: ((**ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون ولله ما في السموات وما في الأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم**)).

الشيخ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم؛ قال الله تبارك وتعالى: ((**إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم**)) هذه مبتدأ المناقشة ؟

الطالب: بقيت الفوائد؛

الشيخ: الفوائد من أين ؟

الطالب: أخذنا إثبات الربوبية آخر شيء .

الشيخ: قال الله تعالى: ((**ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين**)).

أخذنا من فوائد هذه الآية: أنه ينبغي إلقاء البشرى في قلوب المقاتلين كما فعل الرسول عليه الصلاة والسلام .

من فوائدها أيضا: الربوبية الخاصة في قوله: ((**أن يمدكم ربكم**)) والربوبية الخاصة تقتضي مع المعنى العام وهو التدبير والملك التثبيت والإعانة والكف عن الشرور وما أشبه ذلك لأنها خاصة .

ومن فوائدها: أن الملائكة أجسام يحصون بالعدد؛ لقوله: ((**بثلاثة آلاف من الملائكة**)) .

من فوائدها أيضا: أن موطن الملائكة هو السماء، هذا هو الأصل؛ لقوله: ((**منزلين**)) لأن النزول إنما يكون من أعلى إلى أسفل؛ فإذا كان الملائكة هؤلاء المنزلين دل على أن مكانهم في السماء هذا هو الأصل لكن ينزلون الأرض كثيرا حسب أمر الله سبحانه وتعالى .

ومن فوائدها: أن الملائكة لم تقاتل بلاشك؛ ولكن هل أمدوا ؟ ذكرنا أن المسألة فيها قولان للعلماء؛ إن كان في بدر فقد أمدوا, وإن كان في أحد فإنهم لم يمدوا لأن ذلك شرط بالصبر والتقوى.

الشيخ: ثم قال الله تعالى: ((**بلى إن تصبروا وتتقوا** ...)).

من فوائد هذه الآية: أن الصبر والتقوى سببان للنصر؛ لقوله: ((إن تصبروا وتتقوا)) أي تصبروا على الأوامر وتتقوا المحارم وقد سبق تفسيرها .

من فوائدها أيضا: أن الله سبحانه وتعالى زادهم على ما بشرهم به الرسول عليه الصلاة والسلام زادهم ألفين إذا صبروا واتقوا .

ومن فوائدها: أن هؤلاء الملائكة الذين يمدون بهم لو صبروا واتقوا مسوِمين أو مسوَمين على قراءتين؛ فمسوَمين أي قد جعل فيهم علامة تختص بهم كما سبق؛ مسوِمين أي جعلوا علامة, هم جعلوا علامة, علامة جعل لهم من الخيول على حسب ما جاءت به الروايات .

ومن فوائد الآية أيضا والتي قبلها: أن من نعمة الله على العبد أن يكون الذي يتولاه الملائكة لأن الملائكة تثبت على الخير بخلاف الشياطين فإنها تثبت على الشر .

ويتفرع على هذه الفائدة أنه إذا امتنعت الملائكة عن بيت فإنه نوع من العقوبة، كما في قوله عليه الصلاة والسلام: (**إن الملائكة لا تدخل بيتا فيه صورة**) .

الشيخ: ثم قال الله تعالى: ((**وما جعله الله إلا بشرى لكم** ...)) **الخ**؛ هذا مبتدأ الدرس ؟.

من فوائدها أيضا: أن هذا الوعد من الله بشرى أو من الرسول على خلاف بين العلماء؛ والخلاف في هذا بسيط, الخطب يسير سواء كان ما جعله أي قول الرسول أو ما جعله أي قول الله لهم: ((**إلا بشرى**)) .

من فوائدها: أن إمداد الشخص بما يعينه سبب لسروره وبشارته؛ لقوله: ((**وما جعله الله إلا بشرى**)) وسبب لطمأنينة قلبه وثبوته وسكونه؛ لقوله: ((**ولتطمئن به قلوبكم**)) .

ومن فوائدها: أنه مهما عظمت الأسباب إذا لم يؤيد الله الإنسان بنصر فإنه لن ينتصر؛ لقوله بعد ذكر هذا الإمداد: ((**وما النصر إلا من عند الله**)) .

ومن فوائدها: أنه يجب على المرء مع فعل السبب أن يعتمد على ربه, وأن يؤمل النصر منه سبحانه وتعالى.

ومن فوائدها: أن النصر من مقتضى اسمه العزيز الحكيم .

ومن فوائدها: أن الله لن ينصر إلا من اقتضت الحكمة نصره؛ لقوله: ((**العزيز الحكيم**))؛ ولا يرد على هذا أن الله سبحانه وتعالى جعل للمشركين نصرا في غزوة أحد؛ لأننا نقول هذا النصر فيه فائدة عظيمة للمسلمين؛ فهو حكمة، انتصار المشركين في أحد لا شك أنه حكمة تترتب عليه فوائد عظيمة تذكر إن شاء الله في الآيات .

منها قوله: ((**ليقطع طرفا من الذين كفروا**)) اللام هنا للتعليل؛ والفاعل في قوله: ((**يقطع**)) يعود إلى الله سبحانه وتعالى؛ والمراد بالقطع هنا الإهلاك, أي ليهلك طرفا؛ والجار والمجرور: اللام هذه متعلقة إما بقوله: ((**ولقد نصركم الله ببدر**)) ولكن هذا ضعيف لأنه بعيد, يعني أنه جاءت آيات كثيرة تفصل بين العامل والمعمول, وهذا لا نظير له؛ وإما أن يكون متعلقا بمحذوف تقديره: فعل ذلك ليقطع طرفا؛ وهذا القول أصح؛ فتكون اللام متعلقة بفعل محذوف يقدر على وجه مناسب؛ قوله: ((**ليقطع طرفا من الذين كفروا**)) أي ليهلكهم, ولكن هل هذا فيما إذا انتصروا على المسلمين أو فيما إذا انتصر المسلمون عليهم ؟ أو على الوجهين جميعا ؟ الصواب أنه على الوجهين جميعا؛ لأنه إن انتصر المسلمون وهزموهم فقد هلك طرفا منهم؛ وإن انتصروا هم على المسلمين فإنهم سوف يلحقهم الغرور ونشوة النصر ثم يعيدون الكرة مرة ثانية وحينئذ يقضى عليهم؛ فيكون الوجهان حاصلين سواء غلبوا أم غلبوا .

وقوله: ((**طرفا من الذين كفروا**)) الطرف: طرف الشيء هو منتهاه من أسفل أو من أعلى؛ فهل المراد بالطرف هنا الذي يلي المسلمين ؟ الجواب نعم المراد الذي يلي المسلمين, وذلك لأن المسلمين مطالبون بقتال من يليهم من الكفار حتى يفتحوا بلاد الكفار بلدا بلدا: ((**يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة**)) وهذا كما أنه سنة الله الشرعية فهو أيضا موافق للفطرة؛ لأنه ليس من الحكمة أن تذهب إلى البعيد تقاتله وتترك القريب؛ إذ أن القريب في هذه الحال ربما يكون كمينا يعني يحول بينك وبين رجوعك إلى بلدك .

وقوله: ((**أو يكبتهم**)) يعني يخذلهم ويذلهم وإن لم يحصل فيهم قتل؛ ((**فينقلبوا خائبين**)) ينقلبوا إلى من ؟ ينقلبوا إلى بلادهم خائبين أي لم يحوزوا خيرا, وذلك كما حصل في غزوة أحزاب؛ فإن الأحزاب رجعوا خائبين بدون قتال، كما قال الله تعالى: ((**ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال**)) إذا لا قتال، ردهم الله بالريح والجنود التي لم نرها .

((**ليس لك من الأمر شيء**)) ليس لك، قال بعض العلماء: إن المعنى: ليس إليك من الأمر شيء، مثل قوله تعالى: ((**ربنا إننا سمعنا مناديا ينادي للإيمان**)) يعني ينادي إلى الإيمان؛ ولكن الظاهر أن اللام على بابها

ليست بمعنى إلى؛ والمعنى أنك لا تملك شيئا؛ وليس المعنى أنه لا يُرد إليك شيء؛ بل المعنى أنك لا تملك شيئا؛ فاللام على ما هي عليه؛ والخطاب في قوله: ((**ليس لك من الأمر شيء**)) للنبي صلى الله عليه وسلم؛ وقوله: ((**من الأمر**)) يعني الأمر الكوني؛ أما الأمر الشرعي فإن للرسول عليه الصلاة والسلام منه شيء لقوله تعالى: ((**من يطع الرسول فقد أطاع الله**)) أما الأمر الكوني فلا؛ واختلفت الروايات في سبب نزول هذه الآية؛ ففي بعض الروايات أن سببها أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا على قوم من الكفار مثل أبي سفيان وسهيل بن عمرو وصفوان بن أمية والحارث بن هشام، هؤلاء أربعة كان الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو عليهم, يلعنهم إذا صلى الفجر في الركعة الأخيرة يدعو عليهم: (**اللهم العن فلانا وفلانا وفلانا**) بأسمائهم؛ فأنزل الله: ((**ليس لك من الأمر شيء**)) فالأمر إلى الله؛ وفيه أيضا رواية أخرى صحيحة أن النبي صلى الله عليه وسلم لما شجوا وجهه في أحد, جعل يمسح الدم عن وجهه ويقول: (**كيف يفلح قوم شجوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى الله**) فأنزل الله: ((**ليس لك من الأمر شيء**)) والقاعدة في أسباب النزول أنه إذا لم يمكن الترجيح فلا مانع من أن يتعدد السبب؛ فيكون لنزول الآية سببان, يعني أنها نزلت بعدهما جميعا؛ فيكون الأمران سببين لنزول الآية؛ أولا إنكاره عليه الصلاة والسلام على هؤلاء القوم وقوله: (**كيف يفلح**) استبعاده فلاحهم؛ والثاني لعنه هؤلاء الأربعة، ولا محذور في ذلك؛ فإن الآية قد يكون لنزولها سببان .

وقوله: ((**أو يتوب عليهم**)) قيل: إنها معطوفة على ((**يقطع**)) وقيل: إن ((**أو**)) بمعنى إلى، أن يتوب عليهم؛ فعلى القول الأول لا إشكال في الآية ويكون الله عز وجل ذكر عاقبة هؤلاء الكفار أربعة أمور: يقطع طرفا من الذين كفروا؛ أو يكبتهم؛ أو يتوب عليهم؛ أو يعذبهم؛ وهذا الوجه كما ترون وجه حسن ليس فيه إلا الجملة المعترضة في قوله: ((**ليس لك من الأمر شيء**)) وهذا لا يضر، ففي القرآن جمل معترضة بين أشياء متقاربة في المعنى؛ بل فيه آيات, فمثل قوله تعالى: ((**حافظوا على الصلوات والصلاة والوسطى وقوموا لله قانتين**)) ذكرت هذه في أثناء آيات العِدد, ولا يظهر للإنسان وجه مناسبة, لكن الله عز وجل أعلم منا؛ كذلك أيضا هنا, نقول: لا يضر أن توجد جملة معترضة مع أننا سنبين إن شاء الله المناسبة فيها؛ أما القول الثاني: الذي يقول أو بمعنى إلى؛ فيقولون: إن في الآية حذفا, والتقدير: ليس لك من الأمر شيء فاصبر أو يتوب الله عليهم؛ فيقدرون فعلا هو اصبر, يعني لا تدع عليهم, اصبر أو يتوب عليهم؛ وتعلمون أن أو تأتي بمعنى إلى, وتأتي بمعنى إلا أن؛ بمعنى إلى أن وبمعنى إلا أن؛ فإذا قال القائل: لأقتلن الكافر أو يسلم ؛ فهي بمعنى إلا أن؛ ولا يصح أن تكون بمعنى إلى أن؛ وإذا قال: لألزمن الغريم أو يقضيني ديني، فهي بمعنى إلى أن.

وقوله: ((**أو يتوب عليهم**)) وذلك بهدايتهم للإسلام, لأن الكلام الآن في الكافرين، وتوبة الله على الكافر أن يهديه للإسلام، وتوبته على الفاسق أن يرده عن الفسق إلى الطاعة .

وتوبة الله على العبد قسمان: توبة سابقة وتوبة لاحقة؛ وتوبة العبد متوسطة بينهما؛ وهذا مذكور في سورة التوبة، قال الله تعالى: ((**لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رءوف رحيم وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا**)) تاب عليه ليتوبوا هذه التوبة السابقة, والتوبة السابقة معناها التوفيق للتوبة، والتوبة اللاحقة قبول التوبة؛ وتوبة العبد تكون بينهما؛ ((**أو يتوب عليهم**)) أي ييسرهم للإسلام من الكفر .

السائل: هل يجوز الدعاء على الكفار بأسمائهم والله نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عندما دعا عليهم ؟

الشيخ: لا لا، هو نهى عن لعنهم، اللعن لا تلعن, لكن أدع عليه بالهلاك لا مانع، أدع عليه بأن الله يشدد وطأته عليه .

السائل: باسمه ؟

الشيخ: باسمه ما فيه مانع, لكن اللعنة؛ لأن اللعنة معناها الطرد والإبعاد عن رحمة الله, وأنت لا تدري ربما يكون هذا الكافر المعتدي الظالم يكون في يوم من الأيام ناصرا للإسلام؛ أليس خالد بن الوليد قاتل الرسول عليه الصلاة والسلام في أحد ؟ قاتلهم؛ وصار من فرسان الإسلام؛ وعمر بن الخطاب، عمرو بن العاص يقول: " **والله إني أتمنى أن أتمكن من رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقتله** "، يتمنى منية؛ فلما من الله عليه بالإسلام قال: " **والله ما أحد الطرف به تعظيما له** " . الله أكبر. ما تدري القلوب بيد الله .

السائل: ((**ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم** ...)) هل يصح العطف على شيء ؟ إذا كان أو بمعنى إلا إن، العطف على شيء هل هو أحسن ؟

الشيخ: لا لا، هذا ما يستقيم المعنى؛ لأنك إذا قلت: إلى أن يتوب عليهم صار معناه: إذا تاب عليهم فلك من الأمر شيء ؟

السائل: ليس لك من الأمر شيء

الشيخ: إلى أن يتوب عليهم؛

السائل: لله في الأمر شيء ما هو ؟؛

الشيخ: لا, لله هذا شيء ثان, لكن إذا قلنا الآية : ليس لك من الأمر شيء إلى أن يتوب عليهم, صار معنى الآية: فإن تاب عليهم فلك من الأمر شيء؛ ولهذا أنكر ابن جرير هذا المعنى قال: هذا ما يصح؛ لأن الأمر لله سواء تاب عليهم أو ما تاب عليهم؛ والرسول ليس له من الأمر شيء سواء تاب الله عليهم أو ما تاب عليهم. واضح.

السائل: نعم.

الطالب: ((**لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ لِلّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ الرِّبَا أَضْعَافاً مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ◌َواتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِين وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**))

الشيخ: كفاية, أعوذ بالله من الشيطان الرجيم؛ قال الله تبارك وتعالى: ((**ليقطع طرفا من الذين كفروا أو ليكبتهم فينقلبوا خائبين**)).

((**ليس لك من الأمر شيء**)) سبق الكلام على تفسير هذه الآية, وقلنا إن القول الراجح أن قوله: ((**ليس لك من الأمر شيء**)) جملة معترضة, وعلى هذا فيكون قوله: ((**أو يتوب عليهم**)) معطوفا على قوله: ((**ليقطع**))؛ ((**أو يتوب عليهم**)) أي يهيئ لهم أسباب التوبة حتى يتوبوا؛ وبينا أن لله سبحانه وتعالى على عبده توبتين: توبة التوفيق؛ وتوبة القبول؛ واستدللنا لذلك بقوله تعالى: ((**وعلى الثلاثة الذين خلفوا**)) **إلى قوله:** ((**ثم تاب الله عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم**)).

قال: ((**أو يعذبهم**)) معطوف أيضا على ((**ليقطع**))؛ وهذه هي الحال الرابعة؛ والثلاث ؟

الطالب: ليقطع طرفه، وليتوب عليهم، أو يكبتهم .

الشيخ: قال: ((**أو يعذبهم**)) أي يعذبهم بعذاب من عنده؛ فهذا كقوله: ((**قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين ونحن نتربص بكم أن يصيبكم بعذاب من عنده أو بأيدينا**)) يعني أو يعذبهم عذابا من عنده فيرسل عليهم رجسا أو رجزا, بالمرض والطاعون والزلازل وغير ذلك؛ لأن الله سبحانه وتعالى على كل شيء قدير .

((**فإنهم ظالمون**)) الجملة هذه موقعها مما قبلها أنها تعليل لها, يعني أنهم يستحقون أحد هذه الأمور لأنهم ظالمون إلا التوبة؛ فإن الله إذا تاب عليهم زال وصفهم بالظلم؛ والأربعة الذين كان الرسول عليه الصلاة والسلام يدعو عليهم كلهم تاب الله عليهم فأسلموا؛ وفي هذا إشارة كما سبق إلى أنه لا ينبغي للإنسان أن يدعو على شخص مهما بلغ في الكفر والطغيان باللعنة, بل لا يجوز أن يدعو عليه باللعنة لأن اللعنة هي الطرد والإبعاد عن رحمة الله؛ ولا يحل لك أن تتحجر رحمة الله؛ فقد يمن الله على هذا الكافر المجرم فيتوب, كما أنه سبحانه وتعالى قد يمن على الفاسق الذي لم يصل إلى حد الكفر فيستقيم وتصلح حاله .

ومن فوائد هذه الآية أظن هي: ((**وما جعله الله إلا بشرى**)) ؟

من فوائد هذه الآية: ((**ليقطع طرفا**)) إثبات الحكمة لله عز وجل في أفعاله وتشريعاته؛ وذلك لأن اللام للتعليل, والتعليل هو الحكمة .

ومن فوائد هذه الآية: أن الله سبحانه وتعالى يسلط المؤمنين على الكفار ليقطع طرفا من الذين كفروا؛ وليس كل الذين كفروا, لأن من حكمة الله أن يبقى الإيمان والكفر متصارعين دائما حتى يتبين المؤمن الخالص من غيره .

ومن فوائد الآية الكريمة: أن مآل الكفار واحد من هذه الأمور الأربعة؛ إهلاكهم؛ الثاني: خذلانهم؛ لقوله: ((**أو يكبتهم فينقلبوا خائبين**)) .

ومن فوائد هذه الآية: أن الكبت وهو الإذلال والخذلان هو الخيبة؛ لقوله: ((**فينقلبوا خائبين**)). وهل لنا مثل في هذا ؟ مثل قصة الأحزاب فإن الله سبحانه وتعالى ردهم على أعقابهم خائبين.

ثم قال: ((**ليس لك من الأمر شيء**)) الخ.

من فوائد هذه الآية: أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يملك شيئا من الأمر؛ أي الأمر الكوني؛ وفي هذه الجملة رد على الذين يتعلقون بالرسول صلى الله عليه وسلم في الدعاء والاستعانة به والاستغاثة به حتى بعد موته, الآن تجدهم عند القبر الشريف يدعون الرسول صلى الله عليه وسلم صراحة, بل إنهم عند الدعاء ولو كانوا بعيدين يتجهون إلى القبر لا إلى القبلة؛ وهذا من سفههم .

ومن فوائد هذه الآية بل هذه الجملة: أن النبي صلى الله عليه وسلم مكلف، يأمره الله وينهاه؛ وعليه فيكون في هذا إبطال لدعوى من يقولون إن الإنسان إذا وصل إلى حالة معينة من العبودية سقطت عنه التكاليف؛ وهذا قول طائفة من الصوفية، يقولون: إن الإنسان إذا ترقى في اليقين حتى وصل إلى الدرجة العليا سقط عنه التكليف, وصار كل شيء حرام حلالا له, وكل شيء واجب ليس بواجب عليه؛ فلا يوجبون عليه الصلاة, ولا يحرمون عليه الزنا، ولا شرب الخمر؛ لأن الرجل وصل إلى الغاية؛ وهذه التكاليف عندهم ما هي إلا وسيلة وطريق, إذا وصل الإنسان إلى الغاية سقطت الوسيلة؛ فقالوا: لو أنك سافرت إلى بلد ووصلت إلى هذا البلد, هل تحتاج إلى طريق تمشي فيه ؟ لا؛ هم يقولون كذلك، العبادة طريق تصل به إلى غاية معينة إذا وصلت إليها سقطت عنه؛ فيقال لهم: إذا كان النبي عليه الصلاة والسلام وهو أشرف الخلق لا يصل إلى هذه المرتبة فما بالك بمن دونه .

من فوائد الآية الكريمة: أن الله تعالى قد يتوب على أعتا الناس وأشدهم كفرا؛ لعموم قوله: ((**أو يتوب عليهم**)) .

ومن فوائدها أيضا: أن الله قد يعذب الكافرين عذابا ليس للمسلمين فيه يد بل هو من عند الله وحده؛ لقوله: ((**أو يعذبهم**)) .

ومن فوائد الآية: أن الله لا يعذب إلا بذنب؛ لقوله: ((**فإنهم ظالمون**)) والظالم مستحق أن ينكل الله به لأن الله لا يحب الظلم؛ بل إنه قال في الحديث القدسي: (**إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا**) .

ثم قال الله تعالى: ((**ولله ما في السموات وما في الأرض**)).

لما ذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم ليس له من الأمر شيء فمن دونه من الخلق من باب أولى؛ بين لمن يكون الأمر ؛ فقال: ((**ولله ما في السموات وما في الأرض**)) اللام هنا للاستحقاق والاختصاص والملك, يعني لله ملكا واختصاصا واستحقاقا؛ والخبر الجار والمجرور مقدم على المبتدأ لإفادة الحصر, يعني لله لا لغيره؛ وقوله: ((**ما في السموات وما في الأرض**)) ما اسم موصول يشمل كل ما في السموات والأرض من إنس وجن وحيوان وجماد وغير ذلك؛ وعبر بـ ما إما لأن غير العاقل أكثر من العاقل فصار هذا من باب التغليب؛ وإما لأن المقصود الأعيان والأوصاف, وإذا كان المقصود الأعيان والأوصاف فإنه يؤتى بما لا بمن، ومنه قوله تعالى: ((**فانكحوا ما طاب لكم من النساء**)) ولم يقل: من ؛ لأنه ليس المقصود العين، المقصود الوصف, يعني الذي يطيب لكم وتركنون إليه؛ على كل حال سواء كان ما من باب التغليب أو لأنه يقصد بذلك الأعيان والأوصاف فإنها تدل على العموم, وأن جميع ما في السموات وما في الأرض لله.

وقوله: ((**السموات**)) هذه جمع, وقد صرح الله تعالى في القرآن بأن السموات سبع كما قال تعالى: ((**قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم**)) أما الأرض فليس في القرآن نص على أنها سبع, وإنما فيه ظاهر, يعني ما يدل ظاهرا على أن الأراضين سبع, وهو قوله تعالى: ((**الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن**)) فإن المثلية هنا لا يمكن أن تكون مثلية الجنس والنوع والصفة؛ لأن الأرض مختلفة عن السماء اختلافا ظاهرا؛ فتعين أن تكون المراد بالمثلية العدد؛ وقد جاءت السنة مصرحة بذلك بأن عدد الأراضين سبع؛ ولكن هذه الأرضون السبع هل هي متجاورة أو متطابقة كالسموات ؟ ظن بعض العلماء أنها متجاورة وأن المراد بها القارات السبع؛ ولكن هذا ليس بصحيح، والصحيح أنها متطابقة أي بعضها فوق بعض؛ ودليل ذلك قول النبي عليه الصلاة والسلام: (**من اقتطع شبرا من الأرض ظلما, طوقه يوم القيمة من سبع أراضين**) فإن هذا يدل على أنها متطابقة؛ إذ لو لم تكن كذلك لم يعذب هذا الذي اقتطع شبرا من الأرض إلا بأرض واحدة فقط، ثم هل هي متلاصقة أو متباينة ؟؛ قال بعض العلماء إنها متلاصقة, وقال الآخرون بل إنها متباينة أي بين كل أرض وأخرى فاصل هواء، والله أعلم بذلك, وربما نطلع عن طريق العلم الحديث على الراجح من هذين القولين .

وقوله: ((**ما في السموات وما في الأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء**)) ((**يغفر**)) مضارع من المغفرة, والمغفرة هي ستر الذنب والتجاوز عنه, مأخوذة من المغفر الذي يوضع على الرأس عند القتال؛ فإنه ساتر للرأس وواق للرأس؛ أليس كذلك ؟ ساتر وواق؛ فالمغفرة هي ستر الذنب والتجاوز عنه .

وقوله: ((**لمن يشاء**)) هذه الآية مقيدة؛ بماذا ؟ مقيدة بالحكمة, أي من اقتضت حكمته أن يغفر غفر له؛ هذا واحد؛ ثانيا: مقيدة بما عدى الشرك فإن الله يقول: ((**إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء**)) لكن المشرك لو أسلم لغفر الله له لقوله تعالى: ((**قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف**)) فيكون إذا من يشاء أي من اقتضت الحكمة المغفرة له؛ لأن مشيئة الله مقرونة بالحكمة؛ يستثنى من ذلك من ؟ المشرك لقوله: ((**إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء**)) ما لم يتب فإن تاب غفر له لقوله تعالى: ((**قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف**)) .

وقوله: ((**ويعذب من يشاء**)) يعني ممن يستحق التعذيب؛ وقوله: ((**يعذب من يشاء**)) هل يستثنى منه المشرك ؟ لا؛ لا يستثنى منه المشرك؛ لأن المشرك قد أعلمنا الله تعالى أنه لا يشاء أن يغفر له؛ فلا يكون داخلا في المشيئة, بل هو يعذب المشرك قطعا؛ لأن وعده لا يخلف سبحانه وتعالى؛ فالمشرك لابد أن يعذب: ((**إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار**)) لكن لو تاب ؟ لو تاب فإن الله يتوب عليه ويغفر له .

ثم قال: ((**والله غفور رحيم**)) ختم الآية بهذين الاسمين الكريمين مناسب جدا؛ لقوله: ((**يغفر لمن يشاء**)), فلكونه غفورا صار يغفر لمن يشاء؛ طيب: الغفور اسم من أسماء الله المتعدية أو اللازمة ؟ المتعدية؛ إذا لا يتم الإيمان بها إلا بثلاثة أمور؛ الإيمان بأنها اسم من أسماء الله؛ والثاني: الإيمان بما تضمنته من صفة؛ والثالث: الحكم المترتب على هذه الصفة, وهو أنه يغفر, يعني ليس غفارا بلا مغفرة بل هو يغفر؛ فنستفيد إذا من هذه الآية إثبات الاسم الغفور، إثبات الصفة المغفرة، إثبات الحكم المترتب على هذا أنه يغفر بهذه المغفرة .

الرحيم أيضا اسم من أسماء الله، والرحيم معناه ذو الرحمة المقتضية للإحسان والإنعام؛ فالإحسان والإنعام من مقتضى الرحمة وليس هو الرحمة بل هو من مقتضاه؛ برحمته يحسن وينعم؛ وقد فسر من ينكرون الرحمة فسر الرحمة بأنها الإحسان أو إرادة الإحسان؛ وهؤلاء هم الأشاعرة . عفا الله عنا وعنهم . يقولون: إن الله ليس له الرحمة؛ لماذا ؟ قالوا: لأن الرحمة رقة ولين وخضوع للأمر الواقع؛ فيقال لهم: هذه رحمة من ؟ رحمة مخلوق؛ أما رحمة الخالق فلا تتضمن نقصا أبدا بل هي كمال محض؛ ثم إن قولكم إنها رقة ولين فنقول: إن الرقة واللين صفة مدح لأنها خير من الغلظة؛ ولهذا قال الله تعالى: (**إن رحمتي سبقت غضبي**). وقولهم إنها توجب أن الإنسان يخضع للأمر الواقع وما أشبه ذلك حتى يرحم؛ نقول: هذا بالنسبة لمن ؟ بالنسبة لرحمة المخلوق؛ أما رحمة الخالق فليس فيها خضوع إطلاقا؛ ثم إنه منقوض عليكم لأنه يوجد مثلا ملك من الملوك الذي لا أحد ينابذه فيما يتكلم به ويكون عنده من الرحمة شيء عظيم .

السائل: ما حكم من يحتج بالآية: ((**ليس لك من الأمر شيء**)) إذا أنكر عليه أحد منكره ونصحه؟

الشيخ: نعم أقول ليس لي من الأمر شيء الأمر الكوني، أنا ما أملك أني أهديك؛ لكن لي من الأمر الذي هو النصيحة أن أنصحك قال الله تعالى: ((**ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف**)) .

السائل: ألا يكون التعبير بـ ما في قوله تعالى: ((**ولله ما في السموات وما في الأرض**)) هو الوجه الثاني هم الملائكة لأن الملائكة خلق كثير للحديث: (**ليس في السماء موضع إلا ملك راكع**) ؟ الشيخ: صحيح, لكن الملائكة جنس واحد، الملائكة جنس واحد,

السائل: والبشر جنس واحد ؟

الشيخ: والبشر جنس واحد, غير البشر ما شاء الله أجناس ما تحصى

السائل: أقصد مما يعقل

الشيخ: الذي لا يعقل أجناس لا تحصى, اخرج للسوق عند الأطعمة شوف عندك, ذر كبير وذر صغير, وحشرات أخرى, فنقول غلب ما لا يعقل .

السائل: ذكرنا تحريم لعن المعين لكن هل يجوز أن نصفه بشيء ؟

الشيخ: مثل أيش ؟

السائل: يعني مثلا أبو هريرة رضي الله عنه لما وجد المرأة ... ؟

الشيخ: يعني تلعن الفاسق, قصدك.

السائل: لا نصفه، نقول: يا فاسق يا زان كما فعل أبو هريرة,

الشيخ: لا, يا زان هذا قذف نقول هات أربعة شهود يشهدون بأن هذا الرجل زنى بامرأة؛

السائل: لكن قوله للمرأة: إنها زانية ؟

الشيخ: لا, يمكن قصده أنها زانية بغير زنى الفرج؛ لأن الرسول أخبر بأن المرأة إذا استعطرت فمرت بقوم فهي كذا, يعني زانية, يعني أن فعلها هذا سبب للزنا .

السائل: هل يجوز الدعاء بغير اللعن على المعين ؟

الشيخ: نعم يجوز,

السائل: والآية: ((**ليس لك من الأمر شيء**)) ؟

الشيخ: هذا في اللعن فقط .

السائل: الآية: ((**ليس لك من الأمر شيء**)) هذا حتى في الدعاء ليس لك في الأمر شيء ؟

الشيخ: لا، إذا دعوت عليه بمقدار مظلمته فأنا على حق .

السائل: الكافر ...

الشيخ: ما يلعن حتى لو علمنا أن هذا الرجل كافر يكفر بالله ويسجد الصنم ما نلعنه؛

السائل: ما الفرق بين الدعاء عليه وبين لعنه ؟

الشيخ: الفرق لأن اللعن معناه الطرد والإبعاد عن رحمة الله؛ فأنت الآن تدعوا عليه بشيء يمنعه من رحمة الله؛ وما دام الإنسان لم يمت فهو يعني قابل لأن يرحمه الله عز وجل .

الطالب: ((يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ الرِّبَا أَضْعَافاً مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ))

الشيخ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. قال الله تعالى: ((**يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم ترحمون**)) من أين ؟ الطالب: ((**لله ما في السموات وما في الأرض**)).

الشيخ: قال الله تعالى: ((**ولله ما في السموات وما في الأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم**)) .

من فوائد هذه الآية: بيان عموم ملك الله سبحانه وتعالى؛ لقوله: ((ما في السموات)) وما من صيغ العموم كما هو معروف .

ثانيا: انفراد الله بذلك لتقديم الخبر، والخبر حقه التأخير؛ ومن طرق الحصر تقديم ما حقه التأخير.

ومن فوائد هذه الآية: إثبات تعدد السموات؛ وقد بين الله تعالى في كتابه أنها سبع سموات؛ أما الأرض فذكرت بصيغة الإفراد والمراد الجنس, فيشمل جميع الأراضين وقد بينت السنة أنها سبع .

من فوائد الآية الكريمة: إثبات المغفرة لله؛ لقوله: ((**يغفر**))؛ وإثبات التعذيب؛ لقوله: ((**ويعذب**)) ويتفرع على هاتين الفائدتين: إثبات تمام سلطانه في ملكه, وأن الأمر له في التعذيب والمغفرة .

ومن فوائدها: إثبات المشيئة؛ لقوله: ((**لمن يشاء**)) وقوله: ((**من يشاء**)) ؛ والمشيئة تأتي كثيرا في القرآن الكريمة, ولكنها مقرونة بالحكمة, أي من اقتضت الحكمة المغفرة له ومن اقتضت الحكمة أن يعذب .

ومن فوائد هذه الآية: إثبات الاسمين الكريمين من أسماء الله وهما: الغفور والرحيم؛ وإثبات ما تضمناه من صفة, وهي ؟ وهي المغفرة مأخوذة من الغفور, والرحمة مأخوذة من الرحيم .

ومن فوائدها أيضا: إثبات الحكم المترتب على ذلك؛ وهو ما يعرف عند بعض العلماء بالأثر, وهو أنه ويغفر ويرحم؛ والقاعدة في أسماء الله أنه إذا كان الاسم متعديا فإن الإيمان به يتضمن ثلاثة أمور: الإيمان بكونه اسما من أسماء الله, وما دل عليه من صفة, وبالحكم الذي يترتب على ذلك؛ وإذا كان لازما غير متعد فإن الإيمان به يتضمن الإيمان به اسما من أسماء الله, والإيمان بما دل عليه من الصفة .

ثم قال الله تعالى: ((**يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة**)). تصدير الخطاب بالنداء يدل على الاهتمام به؛ لأن النداء يوجب يقظة المخاطب وانتباه المخاطب؛ والخطاب الذي يعتنى به يسبق بما يفيد الانتباه والاستحقاق.

وتوجيهه إلى المؤمنين يدل على فوائد؛ ((**يا أيها الذين آمنوا**)) أولا: الإغراء والحث على ما تضمنه الخطاب, لأن مناداة هؤلاء باسم الإيمان يدل على أن ذلك من أجل أن يثير هممهم, كما تقول للرجل تخاطبه: يا كريم أكرم ضيفك؛ فإنك إذا قلت: يا كريم فإن هذا من باب الإغراء والحث, يعني من أجل كرمك أكرم؛ وتقول: يا رجل اترك السفلة، أو يا حليم اترك السفه، وما أشبه ذلك؛ فالمقصود بمثل هذا الإغراء والحث؛ ويفيد أيضا: أن الالتزام بما دل عليه الخطاب من مقتضيات الإيمان؛ فمثلا: ترك أكل الربا من مقتضيات الإيمان؛ لأن الخطاب وجه

للمؤمنين؛ ويستفاد أمر ثالث: وهو أن المخالفة في هذا منقصة للإيمان وسبب لنقصانه؛ إذا نستفيد في تصدير الخطاب بالنداء أيش؟ الاهتمام به والعناية به؛ أما توجيه الخطاب إلى المؤمنين فنستفيد منه ثلاثة أشياء: الإغراء, والحث؛ وأن الامتثال والعمل بمقتضى الخطاب من تمام الإيمان؛ وأن مخالفته نقص في الإيمان.

وقوله: ((**يا أيها الذين آمنوا**)) تأتي هكذا مطلقة في القرآن الكريمة؛ لكن معناها مقيد بما يجب الإيمان به؛ هي مطلقة تشمل الإيمان بأي شيء, لكنها مقيدة بما يجب الإيمان به؛ ((**ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين**)) وبين الرسول عليه الصلاة والسلام أن الإيمان يتضمن الإيمان بستة أشياء: بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره؛ ثم الإيمان المراد به ليس مجرد التصديق فقط, بل الإقرار المتضمن أو المستلزم للقبول والإذعان؛ أما مجرد أن يصدق الإنسان بالشيء فإنه ليس بمؤمن؛ فأبو طالب مثلا مصدق بأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع ذلك لم ينفعه؛ لأنه لم يقبل ولم يذعن؛ فلا بد من قبول ويش بعد ؟ وإذعان, يعني انقيادا .

((**يا أيها الذين آمنوا**)) آمنوا بأيش ؟ بما يجب الإيمان به، وهي الأمور الستة التي بينها الرسول عليه الصلاة والسلام: (**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره**).

((**لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة**)) الأكل معروف وخلافه الشرب واللبس والسكنى والانتفاعات الأخرى؛ لكنه عبر بالأكل لأنه أخص ما يكون في ملابسة الإنسان؛ فالذي يدخل إلى جوفك ليس كالذي تلبسه ظاهر جسدك, وليس كالبيت الذي تسكنه؛ فإن أبلغ ما يكون في ملامسة الإنسان وهو الأكل؛ ولهذا نهى عنه ؛ والإنسان عندما يكون عنده شيء وهو جائع عاري ليس عنده سكن؛ ما الذي يقدم ؟ الأكل؛ فهو أشد ما يكون ضرورة للإنسان هو الأكل؛ ولهذا قال: ((**لا تأكلوا الربا**)) وقوله: ((**لا تأكلوا الربا**)) الربا في اللغة الزيادة ومنه قوله تعالى: ((**فإذا أنزلنا عليها اهتزت وربت**)) يعني: علت؛ ومنه الربا جمع رابية للمكان المرتفع من الأرض؛ والمراد بالربا هنا الربا الشرعي؛ وهو زيادة ونساء؛ زيادة ويسمى ربا الفضل؛ ونساء ويسمى ربا النسيئة؛ ويكون الربا في أموال خاصة بينها النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: (**الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والتمر بالتمر والشعير بالشعير والملح بالملح**) هذه الأشياء الستة متفق على جريان الربا فيها؛ فإذا أبدل جنس بمثله لزم فيه شيئان: التساوي والتقابض في مجلس العقد؛ وإذا بيع بغير جنسه لزم فيه أمر واحد وهو التقابض في مجلس العقد؛ إلا بين الذهب والفضة وسواهما فإنه لا يشترط التقابض في مجلس العقد؛ واضح ؟ إذا الأموال الربوية ستة: الذهب والفضة والبر والشعير والتمر والملح؛ إذا بيع واحد منها بمثله لزم فيها أمران وهما يا آدم ؟

الطالب: التقابض ومجلس العقد؛

الشيخ: هذا التقابض في مجلس العقد، والثاني ؟ التماثل، التماثل يعني أن يكون سواء؛ وإذا بيع بغير جنسه ما عدى الذهب والفضة فإنه يشترط التقابض في مجلس العقد فقط دون التساوي؛ أما الذهب والفضة فإذا بيع أحدهما بالآخر فلابد فيه من التقابض, وإذا بيع أحدهما بالأجناس الأخرى الأربعة فإنه لا يشترط التقابض؛ معلوم ؟ طيب فإذا بعت ذهبا بذهب لزم التساوي وزنا والتقابض؛ فلا يجوز أن تبيع غراما بغرامين ولو كان يدا بيد؛ وهذا يسمى ربا الفضل لأجل الزيادة؛ ولا يجوز أن تبيع غراما بغرام ولكن مع عدم القبض؛ ويسمى هذا ربا النسيئة؛ وإذا بعت ذهبا بفضة غراما بعشرة يجوز لكن يدا بيد؛ وإذا بعت فضة ببر ؟ لا يشترط لا تقابض ولا تساوي ؛ لماذا ؟ لأن الذهب والفضة مع غيرهما لا يجري فيهما الربا, يعني فيجوز أن أشتري منك صاع بر بدرهمين وإن لم أقبضك؛ وكذلك لو قبضتك ولم تقبضني كل هذا جائز؛ وذلك لأن الربا بين الذهب والفضة وما سواهما ليس بجار؛ الدليل على اشتراط القبض والتساوي في الجنس الواحد قول النبي عليه الصلاة والسلام: (**الذهب الذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والملح بالملح مثلا بمثل سواء بسواء يدا بيد, فإذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم إذا كان يدا بيد**) فقال: (**إذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم إذا كان يدا بيد**)؛ وقال: (**الذهب بالفضة ربا إلا هاء هاء**) يعني إلا خذ وأعطني يعني يدا بيد .

لكن قد يقول قائل: إن قوله: (**إذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم إذا كان يدا بيد**) يشمل ما إذا باع برا بفضة فإن الجنس مختلف؛ وإذا طبقنا هذا على الحديث قلنا لابد أن يكون يدا بيد لأنه قال عليه الصلاة والسلام: (**إذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم إذا كان يدا بيد**) نقول: نعم هذا هو مقتضى هذا الحديث؛ لكن يخصصه ما ثبت في الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: **قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يسلفون في الثمار السنة والسنتين فقال: (من أسلف في شيء فليسلف في شيء معلوم ووزن معلوم إلى أجل معلوم**). ومعنى يسلفون يعني يقدمون الدراهم الثمن ويؤخرون المثمن, يعني يأتي الرجل ويشتري من صاحب البستان تمرا لمدة سنة أو سنتين بدراهم يعطيها إياه نقدا؛ فهنا اشتري تمر بدراهم مع تأخر القبض؛ والسلم جائز بالإجماع وهذا هو الدليل لتخصيص قوله صلى الله عليه وسلم: (**إذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم إذا كان يدا بيد**) .

طيب, إذا باع صاعا من البر بصاعين من الشعير يدا بيد, ما تقولون ؟ جائز؛ جائز لقوله: (**إذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم إذا كان يدا بيد**) .

إذا الربا يكون في أموال خاصة وهي ستة بنص الحديث؛ أما ما عداها فإن من أهل العلم من قال ليس فيها ربا، كل شيء سوى هذه الستة لا ربا فيه؛ ومن أهل العلم من قال إن ما كان بمعناها فله حكمها؛ فالأوراق النقدية المستعملة الآن بدلا عن النقد يكون لها حكم ذلك النقد؛ فإذا كانت أوراقا عن فضة, يعني جعلت عوضا عن فضة فلها حكم الفضة؛ لكن إذا اختلف جنسها دخل في عموم قوله: (**فإذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم إذا كان يدا بيد**)؛ كذلك أيضا الذرة والرز ليسا من أصناف الستة لكنهما بمعنى الأصناف الستة؛ فإنك لا تجد فرقا بين البر والرز أو بين الشعير والذرة، كل منهما طعام يقتات .

طيب, الفواكه كالبرتقال والعنب هل فيها ربا ؟ ليس فيها ربا؛ فيجوز أن تعطيني كيلوين بكيلوين ونصف أو بثلاثة من العنب, يعني كيلوين عنب بكيلوين ونصف عنب لا بأس؛ لأن هذا لا يجري فيه الربا.

طيب سارة بسيارتين ؟ يجوز، يجوز لأنها ما هي من الأصناف الستة .

بعير ببعيرين ؟ يجوز, لأنها ليست من الأصناف الستة .

طن من الحديد بطن ونصف ؟ يجوز؛ لأنه ليس من الأصناف الستة؛ وعلى هذا فقس؛ فأنت إذا عرفت الأصناف الستة وما كان بمعناها تماما, فما عدى ذلك فقد قال الله فيه: ((**وأحل الله البيع وحرم الربا**)) .

لو باع ثوبا بثوبين ؟ يجوز؛ ولو مع عدم التقابض ؟ نعم, ولو مع عدم التقابض؛ لأن هذا لا يجري فيه الربا.

وقوله تعالى: ((**أضعافا مضاعفة**)) ضعف الشيء مثله, بمعنى أنك تكرر مرتين فيكون ضعفا كدرهم بدرهمين ((**مضاعفة**)) يعني مزيدة على الضعف الأول, فمثلا درهم بدرهمين وبعد سنة نجعله بثلاثة دراهم, وبعد سنة نجعله بأربعة دراهم؛ هذا هو فعل الجاهلية، ربا الجاهلية؛ يستدين الرجل من الشخص فإذا حل الأجل قال: إما أن توفي وإما أن تربي؛ إذا أوفى برئت ذمته؛ إذا لم يوف يربي بمعنى أنه يزيد؛ فيقول مثلا: إذا حل وقدره ألف يقول: إما أن توفيني الألف وإلا فهو عليك إلى السنة القادمة بألفين؛ فإذا جاءت السنة القادمة ولم يوف قال: إما أن توفي وإما أن تربي؛ فإذا أوفى برئت ذمته وإن لم يوف قال: نجعله للثالثة لكن يكون بثلاثة آلاف؛ هذه أضعاف مضاعفة, ولاشك أنها ظلم عظيم؛ لأنه إذا حل الدين على الإنسان وليس عنده شيء فالواجب إنظاره كما قال الله تعالى: ((**وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة**)) وقال الله تعالى: ((**لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها**)) فالممتنع عن الوفاء ليس بآثم مع العجز, والمطالب بالوفاء مع العجز آثم؛ لأن الله أوجب الإنظار .

الشيخ: ... ضعف الشيء مثله, بمعنى أنك تكرر مرتين فيكون ضعفا كدرهم بدرهمين ((**مضاعفة**)) يعني مزيدة على الضعف الأول, فمثلا درهم بدرهمين وبعد سنة نجعله بثلاثة دراهم, وبعد سنة نجعله بأربعة دراهم؛ هذا هو فعل الجاهلية، ربا الجاهلية؛ يستدين الرجل من الشخص فإذا حل الأجل قال: إما أن توفي وإما أن تربي؛ إذا أوفى برئت ذمته؛ إذا لم يوف يربي بمعنى أنه يزيد؛ فيقول مثلا: إذا حل وقدره ألف يقول: إما أن توفيني الألف وإلا فهو عليك إلى السنة القادمة بألفين؛ فإذا جاءت السنة القادمة ولم يوف قال: إما أن توفي وإما أن تربي؛ فإذا أوفى برئت ذمته وإن لم يوف قال: نجعله للثالثة لكن يكون بثلاثة آلاف؛ هذه أضعاف مضاعفة, ولاشك أنها ظلم عظيم؛ لأنه إذا حل الدين على الإنسان وليس عنده شيء فالواجب إنظاره كما قال الله تعالى: ((**وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة**)) وقال الله تعالى: ((**لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها**)) فالممتنع عن الوفاء ليس بآثم مع العجز, والمطالب بالوفاء مع العجز آثم؛ لأن الله أوجب الإنظار .

إذا صورة المسألة ((**أضعاف مضاعفة**)) أنه إذا حل الأجل قال الدائن: إما أن توفي وإما أن تربي؛ فلعجزه يربي؛ إذا حل الأجل الثاني قيل له كما قيل في الأول, فيكون عاجزا وثالثة ورابعة حتى يكون الألف إلى مائة ألف هذا أضعاف مضاعفة, ولاشك أن هذا ظلم عظيم؛ لأنه لا يمكن لأحد أن يربي إلا لأحد أمرين: إما أنه عاجز؛ وإما أنه كاسب أكثر مما جعل عليه من الربا, بمعنى أنه يقول: أنا لا أوفي لكن مائة ألف أكسب بها في السنة ثلاث مائة ألف. ولا يهمني أن يزيد علي مثلا مائة ألف ربا لأني سأكسب؛ أما أن يكون الإنسان قادرا وليس له فائدة من بقاء الدين في ذمته فإنه لا يمكن أن يفعل.

قوله: ((**أضعافا مضاعفة**)) فيها قراءة: ((**مضعفة**)) ((**أضعافا مضعفة**)) والمعنى ؟ المعنى واحد .

وقوله: ((**أضعافا مضاعفة**)) ليس له مفهوم، ليس له مفهوم؛ لأنه جاء على وفق العادة الغالبة؛ وما جاء على وفق العادة الغالبة فإنه لا مفهوم له؛ هذه قاعدة من قواعد أصول الفقه: أن القيد إذا كان من أجل أنه الأمر الغالب فإنه لا مفهوم له؛ وله أمثلة منها قوله تعالى: ((**وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن**)) فإن قوله: ((**اللاتي في حجوركم**)) قيد على وفق العادة والغالب؛ ولهذا تحرم الربيبة وإن لم تكن في حجره .

ومنه قوله تعالى: ((**ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا**)) فإن هذا لا يدل على أن الأمة إذا امتنعت من الزنا لأن الرجل الذي طلب منها أن تزاني به لا يعجبها, هل نقول لنا في هذه الحال لنا أن نكرهها على ذلك ؟ يعني رجل عنده فتاتان؛ فتاة أجبرها على الزنا فأبت تحصنا, تريد تحصن فرجها؛ هذه بنص الآية أنه لا يجوز إكراهها لأنها تريد التحصن؛ الفتاة الثانية طلب منها أن تزني بالرجل قالت: والله الرجل هذا خلقته

قبيحة, وطلبت أن يكون الرجل الذي يطلب منها أن يزني به جميلا؛ فهل يكرهها على القبيح ؟ لا؛ هي امتنعت لا تريد التحصن لكن تريد رجلا جميلا؛ فهل له أن يكرهها في هذه الحال ؟

الطالب: لا؛

الشيخ: لماذا ؟ الآية يقول الله عزوجل: ((**إن أردن تحصنا**)) وهذه لم ترد التحصن, ولهذا طلبت أن يطلب لها رجل جميل فتزني به؛ فماذا نقول ؟ نقول: لأن هذا هو الغالب فلا مفهوم له، لا مفهوم له؛ واضح ؟

طيب إذا قوله: ((**أضعافا مضاعفة**)) هذا بناء على الغالب وهو الربا المعروف في الجاهلية الذي قاعدته وأساسه أن يقول الدائن: إما أن توفي وإما أن تربي؛ طيب.

((**أضعافا مضاعفة واتقوا الله**)) نهى عن أكل الربا أضعافا مضاعفة ثم أمر بالتقوى؛ وهذا من باب التوكيد, يعني أن أكلكم مجانب للتقوى؛ وتقوى الله سبحانه وتعالى هي اتخاذ وقاية من عذابه بفعل أوامره واجتناب نواهيه؛ وقد قيل في تعريفها:

خل الذنوب صغيرها وكبيرها ذاك التقى واعمل كماش فوق أرض الشوك يحذر ما يرى

لا تحقرن صغيرة إن الجبال من الحصا

نعم, ولكن ما ذكرناه أعم وهي أن التقوى أن يتخذ الإنسان وقاية من عذاب الله بفعل أوامره واجتناب نواهيه .

((**لعلكم تفلحون**)) لعل هنا للتعليل, لأن الكلام صادر من الله, والترجي في حق الله مستحيل؛ لأن الترجي طلب ما فيه مشقة, والله سبحانه وتعالى لا يشق عليه شيء, كل شيء عليه هين؛ فتكون لعل للتعليل, يعني من أجل أن تفلحوا؛ وما هو الفلاح ؟ الفلاح قال أهل العلم: إنه كلمة جامعة لحصول المطلوب وزوال المكروه؛ فهي من أجمع الكلمات؛ فالفلاح حصول المطلوب وزوال المكروه؛ فمن حصل له المكروه فهو ناقص الفلاح؛ ومن زال عنه المكروه ولكن لم يحصل مطلوبه فهو ناقص الفلاح؛ ومن لم يحصل مطلوبه ولم ينجوا من مكروبه فلا فلاح عنده؛ ومن حصل له المطلوب ونجا من المكروب فهو المفلح؛ إذا تقوى الله عزوجل من أسباب الفلاح؛ وكل واحد من الناس ينشد الفلاح, كل واحد يحب أن ينال مطلوبه وأن ينجوا من مرهوبه؛ فأين نجد هذا ؟ نجده في تقوى الله عزوجل في القيام بطاعته واجتناب نهيه, وهو أمر يسير على من يسره الله عليه، افعل ما أمرت به واترك ما نهيت عنه وبذلك يحصل لك الفلاح.

في هذه الآية من الفوائد أولا: تعظيم شأن الربا وخطره؛ وجهه أنه صدر الخطاب في شأنه بالنداء .

ومن فوائدها: أن اجتناب الربا من مقتضيات الإيمان، وأن كل مؤمن صادق الإيمان فلابد أن يتجنب أكل الربا .

ومن فوائدها: أن أكل الربا منقص للإيمان، أن أكل الربا ينقص الإيمان؛ وهذا أمر لاشك فيه عند أهل السنة والجماعة أن أكل الربا ينقص الإيمان لأنه كبيرة من كبائر الذنوب؛ وفعل الكبائر عند أهل السنة ينقص الإيمان؛ وعند الخوارج يخرج من الإيمان ويدخل الكفر؛ وعند المعتزلة يخرج من الإيمان ولا يدخل في الكفر؛ لأنهم يقولون إن فاعل الكبيرة لا مؤمن ولا كافر؛ فهو خارج من الإيمان غير داخل في الكفر؛ وعند المرجئة مؤمن كامل الإيمان، لو أكل الربا ليلا ونهارا فهو مؤمن كامل الإيمان؛ لكن نحن نقول: هو مؤمن ناقص الإيمان .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: تحريم أكل الربا؛ لقوله: ((**لا تأكلوا الربا**)) والأصل في النهي التحريم لاسيما وأنه أكد بقوله: ((**واتقوا الله**)) .

وهل يقاس على الأكل بقية الإتلافات بالشرب واللباس وبناء المساكن وما أشبهها ؟ الجواب نعم؛ لكن عبر بالأكل لأنه أخص وجوه الانتفاع، أخص وجوه الانتفاع هو الأكل، وغيره مثله .

من فوائد هذه الآية: أن الربا لا يحرم إلا إذا كان أضعافا مضاعفة؛

الطالب: لا؛

الشيخ: لا, موجود: ((**لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة**)) أما ضعف واحد فيجوز ؟

الطالب: لا يجوز؛

الشيخ: لماذا ؟ لأن هذا بناء على الواقع الغالب؛ وما كان كذلك فإنه لا مفهوم له؛ ولهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي أشرنا إليه أولا قال: (**من زاد أو استزاد فقد أربى**) أي وقع في الربا مع أنه ما أكل أضعافا مضاعفة؛ وقال في أخذ صاع بصاعين من التمر قال: (**عين الربا لا تفعل رده**) واضح يا جماعة ؟ إذا هذا القيد لا مفهوم له خلافا لم قال: إنه قيد شرطي, وأن الربا لا يحرم إلا إذا كان في هذه الصورة, وأجازوا الربا إذا كان ليس فيه ظلم وإنما هو استثماري تزداد به أموال الدولة, وينشط به الاقتصاد؛ فإن من العلماء ولاسيما المتأخرون من زعم ذلك, ولكنه زعم باطل، الربا محرم بأي نوع من أنواعه, وسواء كان أضعافا مضاعفة أو ضعفا واحدا أو دون الضعف: (**من زاد أو استزاد فقد أربى**) والصاع بالصاعين وصفه النبي صلى الله عليه وسلم بأنه عين الربا؛ وليس فيه ظلم, وليس فيه أضعاف مضاعفة, ومع ذلك سماه ربا بل عين الربا، سماه عين الربا.

طيب من فوائد هذه الآية: أنه يجوز أن أبيع عليك سلعة توفيني بها بأكثر من ثمنها ويبقى ثمنها في ذمتك؛ يعني لما حل الأجل وهو عشرة آلاف ريال قلت: أنا أبيع عليك سلعة تساوي عشرة آلاف ريال باثني عشرة ألفا ثم توفيني بقيمتها؛ هل يجوز ؟

الطالب: لا يجوز؛

الشيخ: أنتم فهمتم صورة زين وإلا لا ؟ طيب حل لزيد على عمرو عشرة آلاف ريال؛ فقال عمرو: ليس عندي شيء؛ قال له زيد: أنا أبيع عليك سيارة بعشرة آلاف ريال وتوفيني، سيارة تساوي عشرة آلاف ريال أبيعها عليك باثني عشرة ألفا وتوفيني ؟

الطالب: ما يجوز؛

الشيخ: هو ما قال العشرة أخليها اثني عشر، قال: أبيع عليك سيارة تساوي عشرة باثني عشر ألفا إلى سنة ثم بعها وأعطني قيمتها عشرة آلاف ريال,

الطالب: لا يجوز ؟

الشيخ: لا يجوز لأي شيء ؟ أنتم لو قلت سنجعل العشرة اثني عشر هذا حرام واضح؛ لكن أنا ما قلت هكذا، قلت أبيع عليك سيارة باثني عشر ألفا إلى سنة وهي تساوي عشرة لتوفيني بها؛ هذا لا يجوز لأنه حيلة, ومع الأسف أن بعض المسلمين اليوم يفعلون هذا, فيكونون سواء مع اليهود في التحايل على محارم الله, ويكون سواء مع اليهود في أكل الربا؛ لأن هؤلاء أكلوا الربا وتحيلوا على أكله؛ فيزداد الربا قبحا إلى قبحه؛ لأنه بعد أن كان صريحا ربما تؤنبك نفسك عليه في يوم من الدهر صار خداعا زينه لك الشيطان؛ والذي يفعل هذا يعتقد أنه لا شيء فيه؛ ولاشك أن هذا أخبث مما لو قال: سنجعل العشرة اثني عشر إلى سنة؛ هذا لاشك أنه حرام لكن الحيلة الأولى أخبث؛ لأنها تضمنت مع مفسدة الربا الخداع لله عزوجل، والله سبحانه وتعالى لا يخفى عليه شيء: (**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى**) لأي شيء تعطيه السيارة ويش الفائدة منها ؟ هو أخذ السيارة وعلى طول إلى المعرض وباعها هو لا يريدها ؛ وأنت لم تبعها عليه إلا لأنه ليوفيك بقيمتها وتبقى الزيادة التي في قيمة السيارة ربا أضعافا مضاعفة .

السائل: هذه المسألة غير مسألة العينة يا شيخ ؟

الشيخ: أي نعم, هذه غير مسألة العينة، مسألة العينة يبيع عليه السلعة في ثمن معجل ثم يشتريها بأقل منها نقدا؛ أما هذا دين ثابت في ذمته تحيل عليه, قال: أبيع عليك هذه سيارة بعشرة من أجل أن تبيعها وتأخذ دراهمها وتوفيني, وبعد سنة أطالبك بقيمة السيارة اثنا عشر .

السائل: والسيارة بسيارتين كذلك يجيء حيلة مثلا واحد يبيع على آخر سيارة في المعرض خمس وثمانين من المعرض, يقول في السنة القادمة تشتري في هذا المعرض ... ؟

الشيخ: لا, سيارة بسيارة مثلا أنا عندي سيارة جيدة من النوع الجيد, وأنت عندك سيارتان ليس نوعهما جيدا فآخذ منك السيارتين بالسيارة .

السائل: صورتنا أخرى, يعني واحد يبغى سيارة حتى يبيع ويستفيد من مبلغه, وقال: أعطني سيارة من المعرض خمس وثمانين واحد وفي السنة القادمة أعطيك من المعرض سيارتين ؟

الشيخ: أي نعم, نعم هذا لا بأس به؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعبد الله بن عمرو بن العاص: (**استسلف على إبل الصدقة**) فكان يأخذ البعير بالبعيرين والبعيرين بالثلاثة؛ تدري لماذا ؟ لأنه ربما في العام القادم تكون قيمة السيارتين أقل من قيمة السيارة في العام الماضي؛ فالربا ما هو متحقق، ما هو متحقق. واضح ؟ نعم .

السائل: نحن قلنا أن الأوراق النقدية تأخذ علة الذهب والفضة, كثير من الشباب يسألون عن الصرف الأوراق النقدية بالقطع الحديدية سواء زادت أو نقصت, ما هو التحقيق في المسألة ؟

الشيخ: التحقيق عندنا هو أنه لا بأس بالزيادة, لكن لابد أن تكون يدا بيد؛ الدليل: (**إذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم**)؛ فمثلا البر والشعير المقصود بهما الطعم فالمقصود واحد لكن لما اختلف الجنس جاز التفاضل؛ هذه الأوراق النقدية والنقود المقصود بها واحد لكن لما اختلف الجنس يجوز التفاضل،

السائل: هما جنس واحد,

الشيخ: لا ما هو جنس واحد, هذا حديد وهذا ورقة, والمنفعة مختلفة أيضا.

الطالب: ((**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ الرِّبَا أَضْعَافاً مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۚ وَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء و الضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يسروا على ما فعلوا وهم يعملون**)).

الشيخ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم؛ قال الله تبارك وتعالى: ((يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون واتقوا النار التي أعدت للكافرين وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون)) الآية الأولى تقدم الكلام عليها.

وقبل أن نبدأ بهذا الدرس نود أن نتحدث بنعمة الله سبحانه وتعالى على ما من به علينا من إتمام الصيام والقيام, ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يعيد أمثاله علينا وعلى المسلمين بخير وأمن وعمل صالح؛ إن الإنسان ينبغي له إذا

عمل عملا صالحا أن يتذكر هذا العمل لا ليمن به على ربه ولكن ليشكر الله على توفيقه وعلى إحسانه حيث أعانه على هذا العمل الذي خذل عنه كثيرا من الناس كما قال الله تبارك وتعالى: ((**وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله**)) فيحمد الله على هذه النعمة ويجدد الشكر والعزيمة على فعل الخير, ويذكر أن الزمن الفائت والزمن المستقبل كلاهما يحتاج إلى ملئه بالعمل الصالح؛ لأن هذه الأيام خزائن يودع فيها الإنسان ما يودعه فيها من أجل أن ينتفع به في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم؛ وعلينا أيضا أن نتحدث بنعمة الله سبحانه وتعالى أن جاء هذا الشهر بعد أن زالت تلك الفتن والظلمات التي أعشت الأبصار وأتعبت القلوب وأقلقت الراحة حتى صام الناس ولله الحمد شهرهم وقاموه وهم في حال طمأنينة وفرح بما أنعم الله به من زوال تلك الحروب؛ وعليهم أيضا أن يشكروا الله سبحانه وتعالى وأن يتحدث بنعمته حيث كان هذا الشهر المبارك شهر رمضان في أيام هي أحسن أيام السنة من حيث الطقس لأنها أول فصل الربيع, فكان ولله الحمد ميسرا, ليس فيه حرم مزعج ولا برد مؤلم, بل أداه الناس ولله الحمد براحة وطمأنينة؛ فأذكر نفسي وإياكم بنعم الله الكثيرة التي لا تحصى لأن الإنسان كلما ذكر النعم ازداد محبة لله وطاعة له وتحدثا بنعمه؛ ولنذكر أيضا أن من بلاد المسلمين من يعيش في قلق في خوف في جوع في عري؛ وهذه البلاد ولله الحمد تمر بها الأحداث العظيمة ومع ذلك لم تتأثر؛ فنحن كما شاهدتم ولله الحمد في الأزمات أسواقنا هي على ما هي عليه وكل شيء على ما هو عليه؛ وهذه من نعمة الله سبحانه وتعالى, ونسأل الله تعالى أن يزيدنا وإياكم من فضله ويرزقنا شكر نعمته .

أما درسنا اليوم فهو تفسير كلام الله سبحانه وتعالى الذي ينبغي لنا أن نعتني به, لأن أفضل موضوع هو موضوع التفسير لأنه شرح لكلام الله؛ وإذا كنا نحرص على أن نشرح كلام الحجاوي في زاد المستقنع أو نشرح كلام فلان وفلان في كتبهم فالواجب علينا أن نعتني بكتاب الله أكثر وأكثر لأنه كلام الله عزوجل, فإذا اعتنى به الإنسان حصل بذلك خيرا كثيرا في العلم وفي الدين وفي الأخلاق وفي كل شيء؛ ولا تظنوا أن درس التفسير سهل لأنه مثلا تأتي فيه آيات متكررة لأن كل آية تجد فيها معنى غير المعنى الذي في الآية الأخرى، ثم هو خير للإنسان كل حرف منه بعشر حسنات .

يقول الله عزوجل: ((**واتقوا النار التي أعدت للكافرين**)) اتقوا الله واتقوا النار؛ ((**اتقوا الله**)) سبق الكلام عليها بأن معناها فعل الأوامر وترك النواهي؛ لكن تعبدا لله، تفعل الأوامر تعبدا لله وتترك النواهي تعبدا لله وتذللا له؛ أما قوله: ((**واتقوا النار**)) فهي تقوى من نوع آخر وهي أن تتخذ ما يقيك منها كما تتخذ ما يقيك من الحر في الدنيا؛ لقوله تعالى: ((**وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم**)) فليس تقوانا للنار

تقوى عبادة وتذلل كتقوانا لله؛ فل اللفظ واحد والمعنى مختلف؛ فتقوى النار معناه أن نتخذ حجابا دونها حتى لا يصيبنا لفحها؛ هذا هو تقوى النار, وليست كتقوى الله التي هي تقوى تذلل وعبادة .

((اتقوا النار التي أعدت للكافرين)) هذه النار ورد في الكتاب والسنة من أوصافها وأوصاف عذابها ما تنخلع له القلوب وبسط هذا معروف؛ ((**التي أعدت للكافرين**)) ((**التي أعدت**)) أي هيئت لهم؛ والمعد لها هو الله عزوجل؛ وقوله: ((**للكافرين**)) أصل الكفر في اللغة الستر, ومنه الكفرة الذي نسميه الكافور وهو وعاء طلع النخل؛ هذا أصله في اللغة؛ أما في الشرع فإنه جحد الإنسان لنعمة الله عزوجل, وأعظمه الكفر المخرج عن الملة, وهناك كفر دونه كما ذكر عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: " **كفر دون كفر** "؛ وقوله: ((**للكافرين**)) يعني الكافرين بما يجب الإيمان به, وأركان الإيمان وأصوله الستة بينها الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله: (**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره**) .

في هذه الآية من الفوائد: وجوب اتخاذ ما يقي من النار؛ لقوله: ((**واتقوا النار**)) والأصل في الأمر الوجوب .

ومن فوائدها: أن النار موجودة، موجودة الآن؛ من أين تؤخذ ؟ من قوله: ((**أعدت**)) .

ومن فوائدها: أن أهل النار هم الكافرون؛ لقوله: ((**أعدت للكافرين**)) أما الفساق الذين يعذبون بالنار على قدر أعمالهم ثم يخرجون منها فإن النار لم تعد لهم؛ حتى إن بعض العلماء قال: إن النار ناران نار الكافرين ونار العصاة؛ ولكن ظاهر النصوص خلاف ذلك وأن النار واحدة؛ لكن عذابها يخفف ويثقل بحسب عمل الإنسان .

ثم قال: ((**وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون**)) الجملة هنا معطوفة على ما سبق؛ قوله: ((**أطيعوا الله**)) الطاعة هي موافقة الأمر، موافقة الأمر فعلا للمأمور وتركا للمحظور؛ فمن ترك مأمورا به فليس بطائع ومن فعل منهيا عنه فليس بطائع؛ وأصلها من الطوع وهو الانقياد ومنه قولهم: هذه ناقة طوع أي منقاد لقائدها لا تستعص عليه .

((**أطيعوا الله والرسول**)) الرسول هنا فيه أل، فهل هي للجنس أو للعهد ؟ هي للعهد, لأن هذا الخطاب موجه لهذه الأمة, وهذه الأمة رسولها واحد وهو محمد صلى الله عليه وسلم؛ فتكون أل هنا للعهد؛ والأخ يبين لنا أي أنواع العهد ؟

الطالب: العهد الذهني،

الشيخ: العهد الذهني, وذلك أن العهد ثلاثة أنواع: ذهني، وذكري، وحضوري؛ فإن كانت أل تشير إلى شيء مذكور فهو ذكري مثل قوله تعالى: ((**كما أرسلنا إلى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول**))؛ وإن كانت تشير إلى شيء حاضر فهي للعهد الحضوري، مثل قوله تعالى: ((**اليوم أكملت لكم دينكم**))؛ وهكذا كل أل

تأتي بعد اسم الإشارة؛ فإن كل أل تأتي بعد اسم الإشارة فهي للعهد الحضوري, مثل هذا الرجل هذا الإنسان وما أشبه ذلك؛ والثالث: العهد الذهني الذي يكون معلوما بالذهن؛ فهنا الرسول هو محمد صلى الله عليه وسلم وهو معهود ذهنا.

((**وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون**)) لعل هنا للتعليل وليست للترجي؛ ولعل تأتي كما مر علينا كثيرا تأتي للتعليل وللإشفاق وللترجي وتأتي للتمني أحيانا؛ والفرق بين التمني والترجي: أن الترجي فيما يرجى حصوله, والتمني فيما لا يرجى حصوله؛ إما لعسره وإما لتعذره؛ وهنا للتعليل, يعني إذا أطعتم الله والرسول حصلت لكم الرحمة: ((**لعلكم ترحمون**)) والرحمة يكون بها حصول المطلوب وزوال المكروه؛ وإذا قرنت بالمغفرة صارت المغفرة لزوال المكروه والرحمة لحصول المطلوب, أي لعلكم تكونون في رحمة الله التي بها النجاة وحصول الثواب والأجر الكثير .

في هذه الآية من الفوائد: أولا: وجوب طاعة الله ورسوله؛ تؤخذ يا أخ ؟

الطالب: من قوله تعالى: ((**أطيعوا الله والرسول**))

الشيخ: ما وجه أخذها من ذلك ؟

الطالب: الآية تأمر بطاعة الله وطاعة الرسول؛

الشيخ: والأصل في الأمر ؟ الأصل في الأمر الوجوب .

ومن فوائدها: جواز اقتران الرسول باسم الله في الأمر الذي يكون مشتركا بينهما؛ لقوله: ((**أطيعوا الله والرسول**)) أما الأمر الذي لا يكون مشتركا بينهما وهو الأمر الكوني القدري فهذا لا يذكر الرسول مع الله إلا بحرف يدل على الترتيب؛ وبهذا نعرف الفرق بين إسناد الشيء الشرعي إلى الله ورسوله وبين إسناد الكوني إلى الله ورسوله؛ فإسناد الشيء الشرعي يجوز بالواو, وأما الكوني فلا يجوز إلا بثم الدالة على الترتيب والمهلة .

طيب, فإذا قلت في أمر شرعي: الله ورسوله أعلم؛ فهذا صحيح وجائز, وقد أقره النبي صلى الله عليه وسلم نفسه؛ فإن في حديث زيد بن خالد الجهني أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى بهم صلاة الصبح على إثر سماء من الليل فقال: (**هل تدرون ماذا قال ربكم** ؟) قالوا: الله ورسوله أعلم ... فأقرهم؛ لأن المراد هنا العلم الشرعي؛ لكن في المسائل الكونية لما قال له رجل: ما شاء الله وشئت؛ أنكر عليه وقال: (**أجعلتني لله ندا, بل ما شاء الله وحده**).

من فوائد هذه الآية: أن طاعة الله ورسوله سبب للرحمة؛ لقوله: ((لعلكم ترحمون)) ولكن هل المراد الرحمة العامة أو الخاصة ؟ المراد الخاصة, لأن العامة حاصلة لنا على كل حال حتى الكفار لهم رحمة من الله لكنها رحمة عامة؛ فالمراد بالرحمة هنا الرحمة الخاصة التي بها سعادة الدنيا والآخرة .

ثم قال تعالى: ((**وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض**)) ((**سارعوا**)) ولم يقل: أسرعوا؛ لأن المفاعلة تكون من اثنين في الغالب؛ المعنى أنه ليسبق بعضكم بعضا أو ليسابق بعضكم بعضا إلى هذا الأمر المغفرة والجنة، وهذا كقوله تعالى: ((**سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض**))؛ ((**سارعوا إلى مغفرة من ربكم**)) المغفرة ستر الذنب والتجاوز عنه, وليست هي مجرد التجاوز عن الذنب؛ لأن أصلها من المغفر، والمغفر ما يوضع على الرأس حال الحرب يتوقى به السهام؛ وهو مفيد فائدتين وهما: الستر والوقاية؛ ويدل لهذا قوله تعالى حينما يحاسب عبده في الآخرة ويقر العبد بذنوبه فيقول: (**قد سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم**) فالمغفرة إذا أي شيء ؟ ستر الذنب والتجاوز عنه؛ فمن ستر الله عليه ذنبه في الدنيا فقد غفر له؛ ولكن لا تتم المغفرة إلا بالتجاوز عن الذنب وعدم العقوبة عليه, وإلا فإن الستر نوع من المغفرة بلا شك, فإن الإنسان لو فضح بذنبه والعياذ بالله لم يكن هذا مغفرة؛ لكن إذا ستر عليه فإن هذا فيه مهلة أن يجعل الله تعالى الأمر بينه وبين عبده لعله يتوب ولا يعلم بذنبه؛

((إلى مغفرة من ربكم)) وكيف نسارع إلى مغفرة ؟ المسارعة إلى المغفرة هي المسارعة إلى فعل أسباب المغفرة، المسارعة إلى فعل أسباب المغفرة؛ وأسباب المغفرة إما استغفار, وإما عمل صالح؛ فالاستغفار أن يقول: اللهم اغفر لي، استغفر الله، وما أشبه ذلك؛ وإما عمل صالح لأن من الأعمال الصالحة ما يكفر به الخطايا مثل الصلوات الخمس، الجمعة إلى لجمعة، رمضان إلى رمضان، العمرة إلى العمرة، العمل الصالح يذهب العمل السيئ ؛ فإذا المسارعة إلى المغفرة هي المسارعة إلى أسباب المغفرة؛ إما بالاستغفار وهو طلب المغفرة, وإما بالأعمال الصالحة التي تذهب السيئات .

وقوله: ((**وجنة عرضها**)) مغفرة وجنة, لأن الإنسان لا تتم سعادته إلا بأمرين: زوال المكروه وحصول المطلوب؛ ففي أي شيء يكون زوال المكروه يا شاكر من هذه الآية ؟ بالمغفرة؛ حصول المطلوب ؟ بالجنة ((**جنة عرضها**))؛ وقوله: ((**وجنة عرضها**)) الجنة هنا هي الدار التي أعدها الله عزوجل لأوليائه، أعدها الله للمتقين, والمتقون المؤمنون هم أولياء الله؛ هذه هي الجنة؛ أما الجنة في قوله تعالى: ((**كمثل جنة بربوة أصابها وابل**)) فهي البستان، ففرق, جنة الدنيا هي البساتين، جنة الآخرة هي الدار التي أعدها الله عزوجل لأوليائه, فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ولا يمكن للإنسان أن يتصور ما في الجنة من النعيم؛ أما جنات

الدنيا فكل إنسان يتصور ذلك، كل إنسان يمكن أن يتصور جنة فلان وفلانة يعني بستانه على صفة كذا وكذا؛ لكن جنة الآخرة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

وقوله: ((**عرضها السموات والأرض**)) وفي الآية الثانية: ((**عرضها كعرض السماء والأرض**)) والفرق بينهما: أن التشبيه هنا بليغ, وأما التشبيه هناك فليس ببليغ, يعني من حيث الاصطلاح وإلا فكل القرآن بليغ؛ لأنهم يقولون: التشبيه بليغ مؤكد غير مؤكد وبليغ وغير بليغ؛ إذا ذكرت أداة التشبيه فهو غير بليغ, فإذا حذفت أداة التشبيه ووجه الشبه صار بليغا؛ هنا حذفت أداة التشبيه ووجه الشبه؛ أما إذا ذكرت أداة التشبيه فإنه يسمى تشبيها مرسلا؛ وإذا ذكر وجه الشبه صار مرسلا غير مؤكد؛ أظنكم تعرفون هذا في البلاغة ؟

الطالب: نريد مثال شيخنا !

الشيخ: طيب نقول: فلان كالبحر كرما، وإن شئت فقل: في الكرم؛ هذا التشبيه فيه كل الأركان الأربعة؛ لأن التشبيه له أركان أربعة مثل القياس: مشبه، مشبه به، أداة التشبيه، ووجه الشبه؛ فإذا قلت: فلان كالبحر كرما؛ أو في الكرم لا بأس, فهنا التشبيه ذكر فيه الأركان الأربعة, باعتبار ذكر أداة التشبيه يسمى مرسلا؛ وباعتبار ذكر وجه الشبه يسمى غير بليغ؛ يعني إن هذا أدنى أنواع التشبيه، فلان إذا ذكر المشبه والمشبه به وأداة التشبيه ووجه التشبيه فهذا أدنى أنواع التشبيه؛ إذا حذفت أداة التشبيه وذكر وجه الشبه صار مؤكدا لكنه غير بليغ؛ لأنك إذا قلت: فلان بحر؛ أكدت أنه بحر؛ في الكرم نقصت شوي؛ فإذا حذفت أداة التشبيه ووجه الشبه صار تشبيها بليغا إذا قلت: فلان بحر؛ فإذا قلت: رأيت بحرا يعطي الدراهم بلا عد؛ صار هذا أبلغ من الأول، ويسمى هذا استعارة معروف عندكم؛

طيب, على كل حال ((**عرضها السموات والأرض**)) هذا التشبيه ما نوعه ؟ بليغ, لأنه حذفت منه أداة التشبيه ووجه الشبه فيكون بليغا؛ ((**عرضها السموات والأرض**)) ويش معنى ((**عرضها السموات والأرض**)) ؟ يعني كعرض السماء والأرض؛ لكن هل يلزم من هذا أن تكون مالئة للسماء والأرض ؟ أو أنها كعرض السماء والأرض وإن كانت هي في محل آخر ؟

الطالب: الثاني،

الشيخ: الثاني؛ ولذلك شكك بعض العلماء في الأحاديث التي فيها أن رجلا من اليهود سأل النبي صلى الله عليه وسلم قال: عرضها السموات والأرض, كيف تكون عرضها السموات والأرض أين السموات والأرض إذا كانت هي عرضها عرض السموات والأرض ؟ فقال الرسول: (**أين يكون الليل إذا جاء النهار** ؟) فهذا الحديث في

رفعه نظر؛ لماذا ؟ لأن الآية لا تدل على أن الجنة ملأت السموات والأرض وصارت في محلهما, بل تدل على أن عرضها عرض السموات والأرض وإن كانت هي فوقهما؛ ولذلك نقول: إن الجنة فوق السموات والأرض كلها.

الشيخ: فهذا الحديث في رفعه نظر؛ لماذا ؟ لأن الآية لا تدل على أن الجنة ملأت السموات والأرض وصارت في محلهما, بل تدل على أن عرضها عرض السموات والأرض وإن كانت هي فوقهم؛ ولذلك نقول: إن الجنة فوق السموات والأرض كلها. كما ثبت ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم: (**إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أعلى الجنة ومنه تفجر أنهار الجنة وفوقَها . وفوقُها . عرش الرحمان**) وهذا يدل على أن الجنة فوق السموات؛ وأما النار فهي في أسفل السافلين؛ وعلى هذا فلا يكون في الآية إشكال إطلاقا؛ ويحتمل أن نقول إن هذا اليهودي أراد أن يلبس ويشبه في القرآن ويتبع ما تشابه, وإن النبي صلى الله عليه وسلم إذا صح الحديث أجابه على وجه يبهت فيه ولا يتكلم, وعلى مقتضى أيش ؟ على مقتضى عقله فقال: (**أين الليل إذا جاء النهار**)؛ وعلى كل حال فإن معنى الآية الكريمة أن هذه الجنة عرضها عرض السموات والأرض؛ طيب وطولها ؟ قال بعض أهل العلم: إنه إذا كان عرضها السموات والأرض فطولها أعظم وأعظم, لأن العادة أن العرض دون الطول؛ ولكن الصحيح أن عرضها واحدة ليس لها عرض وطول؛ وذلك لأنها مستديرة وليست مربعة؛ وإذا كانت كذلك فإن عرضها يكون طولها, هذا هو الصحيح الذي صححه جماعة من أهل العلم .

((**عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين**)) الجملة في ((**أعدت**)) هل هي في محل جر صفة لجنة ؟ أو في محل نصب حالا من الجنة ؟

الطالب: صفة للجنة؛

الشيخ: يعني في محل جر؟

الطالب: نعم؛

الشيخ: صفة للجنة؛ هل يجوز أن تكون محل نصب حالا ؟

الطالب: لا؛

الشيخ: لماذا ؟ مع أن الجنة نكرة؛

الطالب: إذا وصفت,

الشيخ: والنكرة إذا وصفت جاز أن تأتي منها الحال؛ نعم ؟ طيب.

((**وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين**)) من الذي أعدها ؟ أعدها الله عزوجل, وقد بين الله ذلك في آيات أخرى مثل قوله تعالى: ((**وأعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار**)) فالمعد هو الله؛ ولكنه ذكر بصيغة المجهول ليوافق قوله فيما سبق: ((**أعدت للكافرين**))؛ المتقون هم الذين اتخذوا وقاية من عذاب الله بفعل أوامره واجتناب نواهيه.

ثم ذكر الله من صفاتهم فقال: ((**الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين والذين إذا فعلوا فاحشة** ...)) هذه أوصافهم, أولا، الوصف الأول: ((**الذين ينفقون في السراء والضراء**)) وحينئذ قد يسأل السائل: كيف بدأ بالإنفاق دون ذكر الصلاة مثلا ؟ والصلاة أهم من الإنفاق ؟ لأنه لما نهى عن أكل الربا أضعافا مضاعفة بدأ بضده، ضد أكل الربا وهو الأنفاق؛ وهذا كقوله: ((**وما آتيتم من ربا ليربوا في أموال الناس فلا يربوا عند الله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون**)) فإنه لما قال: ((**لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة**)) بدأ بذكر الإنفاق في صفات المتقين؛ ((**الذين ينفقون في السراء والضراء**)) ينفقون ماذا ؟ حذف المفعول ليكون دالا على العموم, أي ينفقون كل ما يمكن إنفاقه من أعيان ومنافع وجاه وغير ذلك؛ فإن الإنسان قد ينفق أعيانا كالثياب، ودراهم كالنقود مثلا؛ وكذلك قد ينفق منافع بأن يعير شخصا ما ينتفع به هذا المستعير؛ وجاها بأن يتوسط لشخص أو يشفع له؛ فالإنفاق هنا عام: ((**الذين ينفقون**))؛ و ((**في السراء والضراء**)) السراء: ما يسر, والضراء: ما يضر، يعني في حال الرخاء وفي حال الشدة ينفقون؛ ولم يبين على من ينفقون، على من ينفقون ؟؛ ولكن الله قد بين في سورة البقرة قال: ((**يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين بالمعروف**)) فينفق في جهات الخير لا في جهات الشر؛ لأنه لو أنفق في جهات الشر لخرج عن وصف المتقين, والله سبحانه وتعالى ذكر الإنفاق هنا وصفا لمن ؟ للمتقين؛ فلابد أن يكون إنفاقهم فيما يرضي الله .

إذا قال قائل: في السراء والضراء؛ أما في السراء والسعة والرخاء فالإنفاق وجيه؛ وأما في الضراء فكيف يكون الإنفاق ؟ فالجواب: أنه يجب أن نعلم أن الإنفاق ليس خاصا بالإنفاق على البعيد عنك, بل هو عام يشمل حتى الإنفاق على ابنك وبنتك وأمك وأبيك وزوجتك بل ونفسك, حتى الإنفاق على النفس يؤجر الإنسان عليه ويكون صدقة, قال النبي عليه الصلاة والسلام لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه كلمة جامعة نافعة قال: (**واعلم أنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها حتى ما تجعله في فم امرأتك أو في في امرأتك**) طيب إذا نقول في الضراء هل يمكن الإنفاق في الضراء ؟ الجواب نعم ينفق, قد يكون الإنسان في أشد العسر وينفق على أهله وزوجته بل وعلى نفسه.

قال: ((**والكاظمين الغيظ**)) الكظم معناه المنع مع ألم وتأثم؛ الكظم يعني يكظم بألم وشدة وتأثر؛ والغيظ قيل: إنه أشد الغضب, يعني أنهم إذا غضبوا وثاروا حبسوا غيظهم؛ ومعلوم أن من أشد ما يكون على الإنسان أن يحبس غيظه, ويعرف ذلك من يكون سريع الغضب, فإنه إذا أراد أن يكظم الغيظ يجد شدة عظيمة كأن أحدا يصرعه صرعا؛ ولهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام: (**من تعدون الصراع فيكم ؟**) قالوا: الذي لا يصرع .

الذي لا يصرع هو الصرعة والصرع معناه الطرح . قال: (**إنما الصرعة من يملك نفسه عند الغضب**) هذا هو الصرعة الذي إذا ثارت نفسه ملكها؛ ولهذا قال: ((**الكاظمين الغيظ**)) يعني إذا فعل بهم إنسان ما يغيظهم فإنهم يكظمون على شدة ومعاناة وألم؛ ويدل على أن الكظم فيه شدة ومعاناة قول النبي صلى الله عليه وسلم: (**إذا تثاءب أحدكم فليكظم ما استطاع**) ولهذا يجد بعض الناس إذا أراد التثاؤب يجد شدة عظيمة في منع فتح فمه, مع أن المشروع أن تكظم وأن لا تفتح الفم؛ وقد ذكر بعض العلماء شيئا ييسر لك الكظم, قال: إذا أصابك التثاؤب فعَض شفتك السفلى، إذا عضتها لم يفتح؛ بس أخشى أنه يكود الإنسان ويقطعها؛ على كل حال هذه لاشك أنها فيها علاج؛ إذا الكظم معناه الحبس لكن بشدة ومعاناة؛ والغيظ أشد الغضب؛ وإذا كانوا يكتمون الغيظ وهو أشد الغضب فما بالك بما دونه؛ ولكن الحالة العلياء هي كظم الغيظ .

السائل: أحسن الله أليك ! ذكرنا في قول الله عزوجل: ((**الذين ينفقون في السراء والضراء**)) أنه ترك الصلاة لأنه لما ذكر الربا بدأ بالإنفاق؛ لكن أحسن الله إليك ما يكون هذا يعني بدأ بهذا ومن بعده لأن هذا فيما يتعلق بحقوق الناس، فلو تأملنا مثلا الإنفاق في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين كلها يتعلق من حقوق الناس فيما بعضهم؛ أما الصلاة ... ؟ الشيخ: أي نعم, نعم هذا فيما يتعلق بالناس والربا ظلم للناس وهذه الأشياء إحسان إلى الناس .

السائل: أحسن الله إليك ! هل يمكن الجمع بين الله ورسوله بضمير واحد في أمر شرعي ؟

الشيخ: يمكن، يمكن فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (**من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى**) ورد عن النبي عليه الصلاة والسلام؛ لكنه قاله خطيب من الخطباء فقال: (**بئس خطيب القوم أنت**)

السائل: يعني ذمه ؟

الشيخ: ذمه لأن المقام يقتضي أن يفصل؛ لأنك ربما تتكلم بهذا عند أناس ولا يفهمون تسوية الرسول بالله, لكن عند قوم آخرين قد يفهمون, والخطبة يجب فيها مراعاة حال المخاطب؛ فلهذا ذمه الرسول عليه الصلاة والسلام لأجل هذا.

السائل: ذكرنا أن المغفرة هي ستر الذنب والتجاوز عنه؛ المجاهر بالذنب هل يتجاوز الله عنه ؟

الشيخ: إذا استغفر غفر الله له؛

السائل: وهو مجاهر ؟

الشيخ: أي نعم, لكن إذا استغفر هل يمكن أن يفعل الذنب ؟ إذا استغفر ما هو فاعل الذنب؛ الذي يقول: اللهم اغفر لي أو استغفر الله ثم يفعل الذنب فإن حاله كحال المستهزئ بالله عزوجل؛ أليس كذلك ؟ كما لو قلت لشخص مثلا: أريد أن تسمح لي أنا والله أسبك تسمح لي يا فاسق يا سارق يا ظالم يا مرابي، أنت تطلب السماح ولكن تصفه ؟ بأوصاف العيب؛ يعد هذا استهزاء وسخرية؛ ولهذا لا تجد إنسان يستغفر الله حقا إلا وهو تارك المعاصي.

السائل: شيخ بارك الله فيك ! ما هو الدليل على استدارة الجنة ؟

الشيخ: أي نعم, قال العلماء دليل ذلك أنه قال: (**فإنه وسط الجنة**) ولا يمكن أن يكون وسط الشيء إلا وأطرافه متساوية؛ لأنه لو كان الطول أطول ما صار وسط صار جانب الطول أوسع؛ السائل: الشيء المربع يمكن أن يكون له وسط؛

الشيخ: أي نعم, مربع يمكن, يمكن له وسط ؟ يتساوى الطول والعرض لكن الزوايا ما تتساوى, الأركان ما تتساوى .

السائل: شيخنا لما ذكر الله تعالى حكم الربا أعقبه بـ: ((**واتقوا النار التي أعدت للكافرين**)) ما هي الحكمة من ذكرها بعد حكم الربا ؟

الشيخ: واضح, مر علينا في سورة البقرة: ((**ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون**)) يعني أن الربا من أسباب دخول النار؛ وهذه فائدة ينبغي أن تذكر في الفوائد.

السائل: معنى ذلك أنه كافر يا شيخ ؟

الشيخ: لا, ما هو كافر مخرج عن الملة, لكن لاشك أنه نوع من الكفر .

السائل: في قوله: ((**والكاظمين الغيظ**)) يدخل فيه حتى لو كان كظم غيظه وهو لا يقدر على إنفاذ الغيظ ؟

الشيخ: لا, هذا لا يمدح في الحقيقة, هذا عاجز كالعافي عن شخص وهو لا يقدر الانتقام منه ما يمدح عليه؛

السائل: الآية عامة ؟

الشيخ: لكن الآية في سياق المدح فمتى يكون مدحا ؟ إذا كان قادرا على التنفيذ؛ أما إنسان عاجز والله يقول: أنا لو أقدر لفعلت وفعلت ...

السائل: شيخ الإسلام أحسن الله إليك, الجنة التي أخرج منها آدم, هي الجنة المذكورة في القرآن ؟ الشيخ: الجنة التي أخرج منها آدم فيها خلاف بين العلماء؛ منهم من قال: إنها جنة الخلد؛ ومنهم من قال: إنها جنة الدنيا؛

ولكن الأقرب أنها جنة الخلد، الأقرب أنها جنة الخلد, ولا يعارض هذا أن من دخل الجنة فإنه لا يخرج منها؛ بل هذا مخصوص, أخرجه الله لحكمة أرادها، كما أن الرسول لما عرج به دخل الجنة ومع ذلك خرج منها .

السائل: جنة الفردوس يا شيخ وجنة عدن وجنة الخلد هل هذه نقول أنواع جنات أو درجات ؟ الشيخ: لا، هذه أوصاف لموصوف واحد إلا الفردوس فالرسول بين بأنه أعلى الجنة؛ ولكن أوصاف, هي جنة الخلد وجنة عدن وجنة المأوى .

السائل: قلنا أن المغفرة ستر الذنب مع التجاوز عنه, والله سبحانه وتعالى يقول: ((**وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون**)) في الآية أن السؤال يوم القيامة يكون على رؤوس الأشهاد, فليس فيه ستر الذنب ؟

الشيخ: صحيح؛

السائل: لكن الآية يا شيخ ؟

الشيخ: أي آية ؟

السائل: ((**وقل اعملوا فسيرى الله عملكم**)) ؟

الشيخ: ويش الإشكال ؟

السائل: الإشكال كأنه فيه معارضة يا شيخ ؟

الشيخ: أبد ما فيه معارضة, إذا غفر الله للإنسان ما اطلع عليه أحد, لكن هؤلاء المنافقون، المنافقون سيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون؛ أما الله عزوجل فيراهم في كل حال ولاشك؛ أما الرسول والمؤمنون فإما أن يروهم بأعينهم وإما أن يروهم بإطلاع الله لهم كما قال الله: ((**يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول**)) فقد يطلع الله عزوجل الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على أعمال المنافقين وهم لم يروهم .

السائل: ذكر آيات الربا في سياق غزوة أحد ما هي المناسبة ؟

الشيخ: لعل المناسبة والله أعلم أنه لما ذكر غزوة أحد وهي في المدينة, وفيها كثير من اليهود الذي يتعاملون بالربا, ناسب أن يذكر بعد ذلك أو في أثناء ذلك مسألة الربا التي كانت هي من شأن اليهود؛ والمنافقون أيضا حصل منهم في غزوة أحد أنهم رجعوا، كل ذلك حرصا على الدنيا, والمنافق لا يبالي أن يتعامل بالربا لأنه لا يخاف الآخرة . والله أعلم.

السائل: شيخ أحسن الله إليك ! أصحاب المعاصي اليوم إذا نصحته يقول: أسأل الله أن يتوب علي, وهو في نفسه مرتكب المعصية, إما حالق لحيته أو يشرب دخان أو مسبل ثوبه, هل هذا يكون مستهزئ أو تقول له: أنت مستهزئ الآن ؟

الشيخ: نعم, يصح أن نقول له يا أخي هذا سخرية، كيف أنت مصر على المعصية وتقول اللهم إهدني ! إذا كنت تريد الهداية فاسع لها ؛ لو أن شخصا قال: أسأل الله أن يرزقني ولدا صالحا ولكن لم يتزوج؛ ويش يكون هذا ؟ سخرية، هل يمكن يوجد ولد بلا زوجة ! ما يمكن؛ أيضا لا يمكن أن يوجد توبة من الله إلا إذا تاب الإنسان: ((**ثم تاب عليهم ليتوبوا**)) فلابد من أن تحقق هذه التوبة إما بعمل صالح يمحوا الذنب وإما بالاستغفار من هذا الذنب .

السائل: يا شيخ: ((... **والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس**)) هل هو عطف على الذين أم على صلته ؟

الشيخ: حرف عطف, هذا من باب عطف الصفات مثلا: ((**الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى والذي أخرج المرعى**)) .

الطالب: ((**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ الرِّبَا أَضْعَافاً مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۚ وَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء و الضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يسروا على ما فعلوا وهم يعملون أولئك جزائهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين**)).

الشيخ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم؛ قال الله تعالى: ((**وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض**)) . قوله تعالى: ((**وسارعوا**)) فيها قراءة أخرى ما هي ؟

الطالب: ما ذكرناها؛

الشيخ: ما ذكرناه ؟ أي نعم.

الطالب: بدون واو: ((**سارع**))

الشيخ: بدون واو؛ نعم ؟

الطالب: ما ذكرناه ؟

الشيخ: طيب من وين جاء هذا ؟ على كل حال فيها قراءة ((**لعلكم ترحمون سارع إلى مغفرة**)) بدون واو؛ مر علينا بعد مثلها في البقرة: ((**والله واسع عليم وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه**)) فيها حذف الواو ((**قالوا اتخذ الله ولدا**)) وهذا يعتبر نادرا في الحقيقة لأن الغالب أن القراءات لا تختلف في الكلمات فضلا عن الحروف, أما هذه ففيها إسقاط حرف العطف .

الشيخ: طيب, معنى المسارعة ؟

الطالب: المسارعة المبادرة.

الشيخ: هل لهذه الآية نظير في القرآن ؟

الطالب: نعم قوله تعالى: ((**سارعوا إلى مغفرة من ربكم**))؛

الشيخ: لا ؛

الطالب: قوله سبحانه وتعالى: ((**سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض**)).

الشيخ: في هذه الآية دليل على أن الجنة موجودة, فهد ؟

الطالب: قوله: ((**وجنة عرضها السموات والأرض**)) هذه تدل على أنها موجودة ؟

الشيخ: لا؛

الطالب: قوله تعالى: ((**أعدت للمتقين**))

الشيخ: قوله تعالى: ((**أعدت للمتقين**)) لأن الإعداد بمعنى التهيئة.

الشيخ: أورد يهودي على النبي صلى الله عليه وسلم . إن صح الحديث . إشكالا في هذه الآية ؟ الطالب: قوله تعالى: ((**وجنة عرضها السموات والأرض**)) قال: أين تكون السموات والأرض ؟ الشيخ: لا, أين تكون النار ؟ فماذا كان جواب الرسول ؟

الطالب: أجابه النبي صلى الله عليه وسلم: أين تكون الليل إذا جاء النهار .

الشيخ: طيب, هل هذا الإيراد واجب ؟ بمعنى أنه وارد على الآية أو غير وارد ؟

الطالب: ليس وارد؛

الشيخ: لماذا ؟

الطالب: لأنه الآية تشبه جنة عرضها كعرض السموات والأرض, فيدل على أن الجنة مكانها منفصل عن مكان النار.

الشيخ: أنا أقصد هل هذا اليهودي الذي أورد هذا, هل إيراده صحيح أو من باب التلبس والتشبيه والتشكيك ؟ بندر ؟

الطالب: لا يلزم من ذلك أن تكون الجنة ... بالسماء والأرض؛

الشيخ: يعني معناه أن الله لم يقل ملء السماوات والأرض، قال عرضها. كما أني لو شبهت مثلا بيتا ببيت قلت: هذا البيت عرض بيت فلان, هل يلزم أن يكون بيتي قد ملأ بيت فلان ؟ لا . طيب, إذا قلنا بذلك فهل هذه علة توجب ضعف الحديث ؟ لأن مثل هذا الإيراد لا يورده إلا إنسان ملبس أو نقول إن الرسول قال أين النهار إذا كان الليل من باب قطع النزاع ؟.

الطالب: لعلها الأول؛

الشيخ: أي نعم, بعض العلماء أعل الحديث بهذا وقال إن الآية لا تدل على إيراد هذا اليهودي؛ ولكن لو سلمنا جدلا أن الحديث صحيح فلماذا ؟

الطالب: قطعا للنزاع, الرسول عليه الصلاة والسلام خاطب هذا اليهودي بعقله ...

الشيخ: فقال له: أين الليل إذا جاء النهار؛ ونظير ذلك محاجة إبراهيم,

الطالب: عندما خرج للشمس قال: هذا ربي.

الشيخ: لا, حين قال: ((**ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال ابراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب**)) ولا ذهب يعالجه في أنه لا يحيي ولا يميت, بل عدل إلى شيء يقطع النزاع ولا يمكنه أن يجادل .

الشيخ: طيب, قوله تعالى: ((**الكاظمين الغيظ**)) الأخ, ويش معنى الكاظمين ؟

الطالب: الكاتمين الغيظ,

الشيخ: والغيظ ما هو ؟

الطالب: شدة الغضب،

الشيخ: شدة الغضب لأن الغضب ثوران الدم أو فوران الدم يريد أن يخرج فيكضمه الإنسان على مضض.

الشيخ: ((**العافين عن الناس**)) ؟

الطالب: ما وصلنا ؟ طيب.

الشيخ: قوله تعالى: ((**والكاظمين الغيظ**)) يعني الذين يكظمون أشد الغضب؛ وإذا كانوا يكظمون أشد الغضب فأسهل الغضب من باب أولى؛ لأن كظم الغضب ليس بالأمر الهين على النفوس لاسيما عند الإنسان

العصبي؛ فإنه من أشد ما يكون؛ ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: (**ما تعدون الصرعة فيكم ؟**) **قالوا الذي لا يصرع؛ قال:** (**إنما الصرعة الذي يملك نفسه عند الغضب**) وفي رواية أخرى: (**ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب**) وصدق النبي عليه الصلاة والسلام، كم من إنسان لا يملك نفسه عند الغضب, فتجده مثلا يكسر ماله, يطلق زوجته, ربما يلطم نفسه, وربما يسقط نفسه من علو؛ المهم أن الغضب شديد, جمرة يلقيها الشيطان في قلب ابن آدم حتى لا يدري ما يقول؛ ولهذا كان أصح أقوال أهل العلم أن من غضب غضبا لا يملك نفسه به فإنه لا عبرة بقوله أيا كان سواء كان طلاقا أو خلعا أو لعنا أو قذفا أو غير ذلك فإنه لا عبرة به لأنه ليس له قصد؛ وبعض الناس . نسأل الله العافية . إذا غضب تغيب عنه الدنيا لا يرى من أمامه أبدا ولا يسمع قوله من يتكلم, ربما يتكلم بكلام مكروه ويصيحون به وهو لا يسمعهم من شدة غضبه؛ ولهذا نقول إن الغضب ثلاثة أقسام: أول، وغاية، ووسط؛ بداية وغاية ووسط؛ البداية لا تؤثر لأن كل إنسان يغضب؛ والغاية لا حكم لها، لا حكم لها بمعنى أن كل ما صدر عن الغاضب فإنه لا حكم له؛ وذكر ابن القيم رحمه الله في كتابه: إغاثة اللهفان في عدم وقوع طلاق الغضبان: أن ذلك بالاتفاق؛ والثالث: الوسط؛ هذا محل خلاف بين العلماء, والصحيح أنه لا حكم لقوله وأن طلاقه لا يقع .

قال: ((**والعافين عن الناس**)) العفو ترك المؤاخذة على الذنب, والمعنى هم الذين إذا أساء إليهم أحد قابلوا إساءته بالعفو, وخير من ذلك أن يقابلوه بالإحسان لكن بشرط أن يكون لديهم قدرة على الانتقام؛ أما من عفا لعدم القدرة على الانتقام فهذا عفو العاجز الذي لا يحمد عليه, بل يكون عفوه هذا عجزا مذموما؛ ولهذا قال الله سبحانه وتعالى: ((**إن تبدوا شيئا أو تخفوه أو تعفوا عن سوء فإن الله كان عفوا قديرا**)) فأنتم إن عفوتم عن السوء قد تعفون عن قدرة وقد تعفون عن العجز؛ أما الله عزوجل فإنه يعفو عن قدرة؛ وهذا هو محل المدح؛ أما مجرد العفو ليس بمدح حتى يكون عفوا عن قدرة؛ فترك المؤاخذة على الذنب عفو, وهو محمود وخير منه الإحسان؛ ولكن يشترط في الأمرين أن يكون ذلك عن قدرة لا عن عجز؛ أما عن العجز فإنه مذمة؛ ولهذا قال الشاعر يذم قبيلته:

لكن قومي وإن كانوا ذوي حسب ليسوا من الشر في شيء وإن هانا

يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة ومن إساءة أهل السوء إحسانا؛

لماذا ؟ لضعفهم وعجزهم؛ ولهذا قال:

فليت لي بهم قوما إذا ركبوا شنوا لغارة فرسانا وركبانا ؛

فالحاصل أن قوله: ((**والعافين عن الناس**)) يعني الذين لا يؤاخذون الناس بما أساءوا به إليهم بل ربما يحسنون إليهم ولكن عن قدرة؛ أما العفو عن عجز فليس بعفو في الحقيقة, بل هو عجز لا يمدح عليه الإنسان؛ قال: ((**والعافين عن الناس**)) وقوله: ((**عن الناس**)) عام شامل؛ ولكنه ليس على عمومه بالاتفاق؛ فإن الإساءة إذا كانت لحق الله فهي لله وليس لأحد أن يعفوا عنها؛ فلو زنى رجل بمحرم رجل وأراد أن يعفوا عنه؛ قلنا لا يمكن الحق ليس إليك, والله عزوجل يقول: ((**الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله**))؛ أما إذا كان حقا للإنسان ليس فيه شائبة حق لله فهذا ينظر فيه، ليس على عمومه بل ينظر فيه؛ إن اقتضت المصلحة العفو فالعفو خير, وإن اقتضت المصلحة المؤاخذة فالمؤاخذة خير؛ وإن لم تقتضي المصلحة لا هذا ولا هذا بأن تساوى الأمران فالعفو خير؛ لقوله تعالى: ((**وأن تعفوا أقرب للتقوى**)) والدليل على هذا أن الله سبحانه وتعالى قال: ((**فمن عفا وأصلح فأجره على الله**)) فعلم منه أن من عفا بدون إصلاح فلا أجر له؛ بل قد يأثم على عفوه, مثال ذلك: رجل اعتدى عليه شخص شرير، كلما عفا الناس عنه ازداد شرا, فهنا العفو خير وإلا المؤاخذة خير ؟ المؤاخذة خير, بل قد تجب؛ إنسان آخر اعتدى على شخص لكنه رجل معروف بالاستقامة . أعني المعتدي . رجل معروف بالاستقامة وعدم الاعتداء, لكن بدرت منه المبادرة فحصلت منه الإساءة؛ فهنا العفو أولى؛ ولاسيما إذا جاء هذا المعتدي يعتذر ويتعهد أن لا يعود أو ما أشبه ذلك؛ الثالث: رجل اعتدى على آخر وهو شرير لكنه لم يبلغ في الشر غايته, يعني أحيانا وأحيانا؛ فهنا العفو أفضل لأنه يتساوى الأمران، فالعفو هنا أفضل .

وقوله: ((**والعافين عن الناس**)) يشمل حتى عن الكفار إذا لم يكونوا حربيين؛ فإن الإنسان إذا عفا عنهم فيما يتعلق بحقه الخاص وكان في العفو إصلاح فإنه يدخل تحت الآية الكريمة.

قال: ((**والله يحب المحسنين**)) والله يحب المحسنين: يعني الذين يحسنون إلى الناس؛ وهل المراد بذلك المحسنين فيما سبق أو المحسنين فيما يستقبل ؟ بمعنى هل إن قوله: ((**والله يحب المحسنين**)) عائد على قوله: ((**للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء**)) وأن هؤلاء من المحسنين, أو أنه لما ذكر العفو وهو إسقاط الإنسان حقه عن المؤاخذة ذكر حالا أخرى أكمل منها وهي الإحسان فقال: ((**والله يحب المحسنين**)) يعني فإذا أحسنوا مع العفو كان ذلك سببا لمحبة الله؛ الثاني له وجه والأول أعم؛ لأننا إذا قلنا المتقين هل هم محسنون ؟ نعم, لاشك أن المتقي محسن إذا كان كما وصف النبي عليه الصلاة والسلام: يعبد الله كأنه يراه فإن لم يكن يراه فإنه يراك؛ والذين ينفقون الإنفاق إحسان؛ كاظم الغيظ إحسان، العفو عن الناس إحسان؛ فيكون هذا أشمل؛ فعليه نقول هذه الجملة فيها الترغيب والحث على فعل الخصال السابقة وأنها من الإحسان؛ وإذا فعل الإنسان

خصلة أعلى مما سبق كانت داخلة في هذا من باب أولى, يعني كما لو عفا وأحسن فإننا نقول هذه خصلة زائدة على مجرد العفو فتكون أولى بالدخول في قوله: ((**والله يحب المحسنين**)) .

في هذه الآية؛ وأخذنا أظن الآية الأولى فوائدها ؟ ما أخذنا .

في هذه الآية: ((**وسارعوا إلى مغفرة من ربكم** ...)) فيها: الأمر بالمسارعة إلى المغفرة والجنة؛ وهل الأمر للوجوب ؟ نقول أما فيما يجب فواجب, وفيما لا يجب ليس بواجب؛ ولكن الإنسان يؤمر بأن يسارع .

وفيه دليل على أنه لا ينبغي للإنسان أن يوثر غيره بالقربات؛ لأنه إذا آثر غيره بالقربات فهذا يعني التأخر؛ ومن أمثلة ذلك: أن يوثر غيره بمكانه الفاضل في الصف, بأن يتأخر عن مكانه في الصف الأول لرجل آخر؛ فإن هذا خلاف المسارعة إلى الخيرات؛ صح ؟

الطالب: صحيح؛

الشيخ: صحيح, ولكن إذا ترتب على إيثار غيره بهذا المكان مصلحة أكبر من مصلحة التقدم لم يكن إيثاره من باب التأخر عن الخيرات, لأنه تنازل عن فضيلة إلى فضيلة أعلى؛ فلا يكون هذا إيثارا في الحقيقة يدل على زهد الإنسان فعل الخير؛ بل هو إيثار فيه انتقال من خير إلى ما هو خير منه؛ وقد مر علينا أظن الإيثار بالقرب أنه ينقسم إلى ثلاثة أقسام؛ الأول: الإيثار بالواجب؛ فهذا محرم؛ الثاني: الإيثار بالمستحب فهذا مكروه؛ والثالث: الإيثار بالمباح, ولكن لا يأتي هذا التقسيم بالنسبة للقرب لأن القرب ما تكون مباح القرب من باب المشروع فعله؛ فهو إذا قسمان . الإيثار بالقرب .: إيثار بواجب فهو حرام ؛ إيثار بالمستحب فهو مكروه؛ مثال الإيثار بالواجب ؟

الطالب: يعطي شخصا وهو في حاجة لهذا المال, يعني هو ما حج فهو بحاجة إلى أن يحج أولا لكن يعطي ماله لآخر ليحج؛

الشيخ: يعني عنده مال لا يكفي إلا لحج رجل واحد فيعطي غيره ليحج به ويدع نفسه؛ صحيح المثال؟ صحيح؛ الإيثار في المستحب ؟

الطالب: تقدم في الصف؛

الشيخ: أن يؤثره بالمكان الفاضل في الصف .

الطالب: قسم ثالث, إيثار ضرورة, كأن يكون عطشان جدا وعنده ماء فهنا واجب ؟

الشيخ: لا ما هو واجب؛ لأنه ما فيه إيثار؛ لأن صاحب الماء إذا كان عطشان فيشربه ولا يجب عليه أن يؤثر غيره, وإن كان غير عطشان فيجب عليه أن ينقذ هذا .

من فوائد الآية الكريمة: ما ذكر من أن التخلية قبل التحلية؛ لأنه قال: ((**إلى مغفرة وجنة**)) فبالمغفرة الزحزحة عن النار التي أوجبتها الذنوب؛ وبالجنة دخول الجنة: ((**فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز**)) .

ومن فوائدها الآية الكريمة: أن المغفرة لا تكون إلا من الله: ((**إلى مغفرة من ربكم**)) لأن مغفرة غير الله لا تفيد, إنما تفيد في حق الإنسان الخاص, إذا سمح عنك وغفر عنك فهذا يفيد, كما قال تعالى: ((**وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم**)) .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: بيان سعة الجنة؛ لقوله: ((**عرضها السموات والأرض**)) .

من فوائدها: أن الجنة موجودة الآن؛ لقوله: ((**أعدت**)) والإعداد التهيئة؛ وقد تضافرت النصوص الكثيرة على أن الجنة موجدة الآن .

من فوائدها: أن أصحاب الجنة هم المتقون؛ لقوله: ((**للمتقين**)) كما قال في النار: ((**أعدت للكافرين**))؛ فالمتقون هم أهل الجنة .

الشيخ: ومن فوائد الآية الثانية التي بعدها: فضيلة الإنفاق على كل حال؛ لقوله: ((**الذين ينفقون في السراء والضراء**)) .

فإن قال قائل: إذا كان الإنسان في ضرورة هو وعائلته فهل ينفق ؟

نقول: لا، لا ينفق على أجنبي بل ينفق على نفسه وعائلته وهو داخل في الآية؛ لأن إنفاقه على نفسه وعلى أهله صدقة .

ومن فوائدها: الثناء على من أنفق في السراء والضراء؛ وذلك لأن الإنفاق في السراء ليس بغريب, كل إنسان يهون عليه أن ينفق إذا كان في سراء؛ لكن الإنفاق في الضراء هو الذي يدل على أن الإنسان ينفق طلبا للأجر لا زهدا في المال .

ومن فوائدها: أنه ينبغي للإنسان أن يكظم الغيظ لأن ذلك من صفات أهل الجنة؛ لقوله: ((**والكاظمين الغيظ**)) ؛ وقد ذكرنا أن لكظم الغيظ أسبابا منها: يا شاكر ؟

الطالب: الوضوء؛

الشيخ: الوضوء ؟ هذا واحد؛

الطالب: إن كان قائما يجلس أيضا,

الشيخ: الجلوس إن كان قائما؛ الاضطجاع إن كان قاعدا؛

الطالب: الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم؛ الصلاة؛ مفارقة المكان؛

الشيخ: كل هذه من أسباب كظم الغيظ، ثم إن الإنسان إذا كظم الغيظ مرة بعد أخرى صار هذا طبيعة وسجية؛ لأنه يعتاد غلبة نفسه؛ فيكون له ذلك طبيعة وسجية ولا يهمه.

فإن قال قائل: هل يمدح من لا يبالي بما أصابه من خير وشر ؟ أو يمدح من كظم الغيظ عند وجود الشر ؟ الثاني؛ لأن الأول الذي لا يبالي سواء وجد من يثيرها أم لم يوجد, ومن قال له: تفضل يا رجل كمن قال له: تفضل يا حمار، هذا الذي لا يبالي لا هذا ولا هذا ماذا نقول له ؟ هذا بليد, ولا يمدح على هذا أبدا؛ لكن من يعرف الخير والشر ولكنه يكظم الغيظ عند وجود الشر هذا هو الذي يمدح .

ومن فوائد الآية: الحث على العفو عن الناس؛ لكنه كما ذكرنا مقيد بما إذا كان أصلح .

ومن فوائدها: إثبات المحبة لله عزوجل، وأنه يحب؛ وهل المحبة هنا صفة ثابتة لله أو يراد بها إرادة الإحسان أو الإحسان نفسه ؟ الصحيح الأول: أنها صفة لله عزوجل, وأن إرادة الإحسان أو الإثابة غير المحبة .

فإن قال قائل: المحبة لا تكون إلا بين المتجانسين, ولا مجانسة بين الخالق والمخلوق ؟

الطالب: هذا غير صحيح أصلا لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**أحد جبل نحبه ويحبنا**)

الشيخ: نعم يحبنا ونحبه, نقول هذا غير صحيح، أصلا لا يلزم من المحبة تجانس المتحابين؛ الإنسان يحب بعض السيارات التي يركب، بعض البعير، الإبل، بعض الدور؛ يحبها محبة حقيقية بقلبه؛ أليس كذلك؟ يكون عنده قلم ... ولا ينشف عليه, نظيف يحبه، يجيه قلم يؤذيه يشقق الأوراق, تجده يكرهه أو لا ؟ يكرهه, وربما كسره؛ فهذه الدعوى دعوى باطلة يكذبها الحس والواقع أن المحبة لا تكون إلا بين المتجانسين .

إذا قالوا إن المحبة هي ميل الإنسان إلى ما يجلب له المنفعة أو يدفع عنه المضرة, ماذا نقول ؟

نقول هذا أيضا غير صحيح، هذا غير صحيح؛ وهذا وإن قدر أنه لازم المحبة في المخلوق فليس بلازم المحبة بالنسبة للخالق لأن الله لا تنفه طاعة الطائعين ولا تضره معصية العاصين؛ واضح يا جماعة ؟ طيب فإن قالوا: العقل لا يدل عليها, فلا يجوز إثباتها ؟

فالجواب عن هذا أولا: أن العقل ليس دليلا في إثبات صفات الله أو نفيها؛ فنحن نمنع الاعتماد على العقل في إثبات الصفات أو نفيها؛ ونقول من أين لكم أن المدار في إثبات الصفات أو نفيها هو العقل؛ هذه واحدة؛ ثانيا: أن نقول هب أن العقل لم يدل عليها فإنه لا ينفيها, لأن دعواكم النفي في أنه لا يكون المحبة إلا بين متجانسين دعوى باطلة؛ والشرع قد أثبتها؛ وانتفاء الدليل المعين الذي هو العقل على زعمكم لا يمنع انتفاء المدلول, لأن المدلول قد يثبت بدليل آخر غير ما ذكرت؛ فهب أن العقل لم يدل عليه فقد دل عليه السمع الكتاب والسنة فوجب ثبوته, ثبوت المحبة .

رابعا أن نقول: إن العقل قد دل على ثبوت المحبة لله، العقل دل على ثبوت المحبة لله؛ كيف ذلك ؟ إثابة الطائعين يدل على أن الله أحبهم, إذ لا يمكن أن يثيب أحد ـ عقلا ـ إلا وهو يحبه؛ فيكون إثابة الطائعين دليلا عقليا على ثبوت المحبة كما جعلتم أنتم التخصيص دليلا عقليا على ثبوت الإرادة؛ ولا فرق بينهما, بل إن إثابة الطائعين أدل على المحبة من دلالة التخصيص على الإرادة؛ ولكن يجب أن نعلم أن محبة الله سبحانه وتعالى للإنسان ليست محبة لجماله أو لحسن ثيابه أو ما أشبه ذلك كما تكون بين المخلوقين؛ بل هي محبة لإيمانه وعمله, فكلما كان الإنسان أقوى إيماننا بالله وأكثر عبادة لله صار أحب إلى الله؛ ولهذا جاء في الحديث: (**إن الله لا ينظر إلى صوركم وأجسامكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**) فالمدار على القلب والعمل؛ فكلما كان الإنسان أقوى إيمانا بالله وأكثر عبادة لله كان أحب إليه؛ ومن ذلك الإحسان .

ومن فوائد الآية: الحث على الإحسان؛ من أين أخذنا الحث عليه ؟ من قوله: ((**إن الله يحب المحسنين**)) فإن كل إنسان يعلم أن الله يحب الإحسان فسوف يحسن, ويتقدم إلى الإحسان ويحرص إليه؛ لأن محبة الله للعبد

هي غاية ما يريد . نسأل الله أن يجعلنا وإياكم من أحبابه . ((**قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله**)) الغاية أن الله يحبك حتى الذين قالوا: إنا نحب الله, قال: طيب إن كنتم تحبون الله فاتبعوني تحبون الله؛ أو لا ؟ قال: ((**يحببكم الله**)) لأن الشأن كل الشأن أن يحبك الله لا أن تقول إني أحب الله؛ هذا هو الشأن . نسأل الله أن يحبنا وإياكم . .

السائل: الغضبان إذا ضرب أحدا فهل يؤخذ بفعله ؟

الشيخ: لا لا، الفعل يؤاخذ به؛ تضرب عباد الله وتجيء تقول أنا غضبان؛ لا، الفعل يؤاخذ به؛ لاحظ, الكلام على القول الذي يصدر من لسانه هذا لا حكم له؛ عرفت ؟ .

السائل: هل تجوز الصدقة بجميع المال ؟

الشيخ: أي نعم, وهو كذلك, الصدقة بجميع المال جائزة, هذا أبو بكر رضي الله عنه لما حث النبي عليه الصلاة والسلام على الصدقة أتى بكل ماله؛ لكن لها شروط: يعني من يكون مثل أبي بكر في قوة التوكل على الله سبحانه وتعالى والثقة به؛ أما إنسان يتصدق بماله كله ثم يروح يشحت الناس بعياله, هذا ما هو بصحيح.

السائل: قلنا الجنة موجودة الآن فكيف بما جاء من أن الجنة تبنى من الأعمال الصالحات كالذكر ؟ الشيخ: لا، هي موجودة لكنها كما يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أن ابراهيم قال للنبي صلى الله عليه وسلم: (**أبلغ أمتك مني السلام, وأخبرهم أن الجنة قيعان, وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر**) هي أصلا موجودة، الأرض الآن موجودة ويبنى فيها ويعمر فيها .

السائل: في قوله تعالى: ((**والعافين عن الناس**)) العافي عن حقه في الدنيا وهو عاجز هل يمدح على ذلك ... ؟

الشيخ: طيب, هذه في الحقيقة قد ترد علينا, يقول: إذا عفا بالنسبة لحقه, يعني مثلا قال: اللهم لا تعاقبه, هل يحمد هذا وإلا لا ؟

الطالب: يحمد,

الشيخ: لأن كلامنا على العافين عن الناس أصله إذا اعتدى عليك: ((**فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم**)) فهذا الرجل إذا عفا عن أخذه بحق في الدنيا وهو عاجز ما يحمد على هذا, أما في الآخرة ربما يحمد؛ على كل حال سؤال مهم هذا, يعني مثلا إذا قلنا العافين عن الناس مع القدرة هو الذي يمدح عليه الإنسان لكن نقول إذا عفوت عن حقك في الآخرة لأنك في الآخرة قادر, أليس كذلك ؟ تدخل في الموضوع أيضا, حتى يمكن ما يحتاج استثناء, يعني ربما لا نستثنيها أيضا؛

السائل: ...

الشيخ: نعم قد يرد فيها إشكال لكن ممكن أن نقول: إن عفوه عنه في الآخرة لأن قوله: اللهم لا تؤاخذه بما فعل بي؛ هذا عفو مع القدرة, لأنه في الآخرة قادر على أخذه منه, واضح .

السائل: أحسن الله إليك ! قول النبي صلى الله عليه وسلم: (**إن الله جميل يحب الجمال**) ما يدل على أن الله عزوجل مع الأعمال الصالحة يحب الشخص لجمال هيئته ؟

الشيخ: لا لا، يحب الجمال التجمل، هذا معناه؛

السائل: ما الفرق بينهما ؟

الشيخ: الفرق لأن الصاحبة لما سألوا قالوا: يا رسول الله الرجل يحب أن يكون نعله حسنا وثوبه حسنا؛ ما قال: يحب أن يكون وجهه جميلا؛ قال: (**إن الله جميل يحب الجمال**) يعني التجمل .

السائل: لكن أحسن الله إليك ! لأن الله لا يحب في الشخص مثل المخلوقين لجمال ثيابه أو كذا, والنعل والثوب كسوة الصحابة من الهيئة ؟

الشيخ: لا، هذا عمل صالح لأن التجمل مأمور به، كون الإنسان يتجمل في نعله وفي ثوبه إذا كان الله قد أنعم عليه هذا مأمور به, يحب الإنسان على التجمل ...

الطالب: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ((**والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون أولئك جزاءهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين**)) .

الشيخ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم؛ قال الله تبارك وتعالى في بيان أوصاف المتقين الذين أعدت لهم الجنة, قال في بيان أوصافهم: ((**والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم** ...)) .

وقبل ذلك نتكلم على إثبات أو على استذكار ما سبق من فوائد الآيتين أو الآيات السابقة .

يقول الله عزوجل: ((**والله يحب المحسنين**)) ذكرنا إن فيها دليلا على ؟ ((**والله يحب المحسنين**)) فيها دليل على أيش ؟

الطالب: فيها دليل على أولا: إثبات المحبة لله سبحانه وتعالى وأن هذه مرتبة عالية؛

الشيخ: طيب, إثبات المحبة من أين أخذناها ؟

الطالب: ((**والله يحب المحسنين**))

الشيخ: فأثبت المحبة طيب .

الشيخ: محبة الله عزوجل هل هي صفة من صفات الذات أو من صفات الفعل ؟

الطالب: من صفات الذات .

الشيخ: لو قال لك قائل: إنها من صفات الفعل ؟

الطالب: ...

الشيخ: يعني إذا من صفات الذات والفعل؛ ما الفرق بينهما ؟

الطالب: صفات الفعل يفعلها الله عزوجل متى شاء؛ أما صفات الذات ملازم .

الشيخ: طيب ومحبة الله هذه لازمة ؟

الطالب: لا, ليست لازمة؛

الشيخ: إذا ؟

الطالب: صفة فعل؛

الشيخ: صفة فعل، صفات الأفعال هي التي تتعلق بمشيئة الله إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها .

الشيخ: أنكر قوم المحبة إثبات محبة الله أن الله يحب, نعم ما حجتهم ؟ ما حجتهم على إنكار المحبة بالمعنى الحقيقي ؟

الطالب: قالوا إن المحبة تقتضي رقة القلب ولينه

الشيخ: أو الرحمة هذيك ؟

الطالب: قالوا إن المحبة تستوجب حسرة القلب .

الطالب: هم يقولون: العقل لم يدل عليها؛

الشيخ: لكن فيه أيضا علة عندهم غير علة مسألة النفي هذه ؟

الطالب: قالوا إن الحب يقع بين متجانسين,

الشيخ: المحبة لا تكون إلا بين متجانسين؛ فلا محبة بين الخالق والمخلوق لأنها لا تكون بين متجانسين.

هل فيه علة ثانية ؟ العقل لا يدل عليها هذه واحدة؛

الطالب: قالوا إن الحب ... ؛

الشيخ: يعني إن الإنسان لا يحب إلا ما يجلب له منفعة أو يدفع عنه مضرة ؛ والله ؟ والله لا يحتاج إلى نفع أحد ولا دفع مضرته.

فيه علة ثالثة بعد رابعة العموم يقولون: إن صفات الأفعال حادثة والحادث لا يقوم إلا بحادث فيجب نفيه . بماذا نرد عليهم ؟ الأول: أن العقل لا يدل عليه, فبماذا نرد عليهم ؟

الطالب: نحن في الأمور الغيبية يجب أن نرجع إلى النص من الكتاب والسنة, أما إذا قلنا بالعقل فإن العقول متناقضة,

الشيخ: يعني معناه أننا لا نقبل أن يكون العقل دليلا للإثبات أو النفي في هذا الباب؛ كذا ؟ طيب هذه واحدة؛ ثاني محمد ؟

الطالب: حتى إن العقل لم يدل عليها فقد دل عليها دليل آخر؛

الشيخ: وهو ؟

الطالب: وهو السمع؛

الشيخ: السمع فوجب إثباته . الثالث ؟

الطالب: أن الله يحب, والدليل على ذلك أنه يثيب على طاعته؛

الشيخ: نقول إن المحبة يدل عليه العقل، وما هو الدليل العقلي ؟

الطالب: لأن الله يثيب الصالحين على أفعالهم ؛

الشيخ: نعم, ثواب العاملين يدل على أن الله يحبهم وإلا ما أثابهم .

الطالب: وأيضا أن قاعدتهم هذه غير صحيحة لا أصل لها أن الحب لا يقع إلا بين متجانسين,

الشيخ: هذا نرد عليهم التعليل الثاني، التعليل الثاني قولهم: إنه لا لا تكون المحبة إلا بين متجانسين غير صحيح؛ الدليل ؟

الطالب: الواقع ؛

الشيخ: الدليل عندنا من الشرع ومن الواقع ؟

الطالب: أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أقبل على أحد قال: (**هو جبل يحبنا ونحبه**)؛

الشيخ: هذه واحدة, والواقع ؟

الطالب: الواقع أن الإنسان يحب قلمه أو سيارته؛

الشيخ: أي نعم, صحيح مع أنه لا مجانس بين هذا وهذا. التعليل الثالث ؟

الطالب: قولهم: إن المحبة تقتضي حاجة, وأن الإنسان ما يحب أحدا إلا لحاجة, نقول هذه محبة مخلوق, أما محبة الخالق فهي ...

الشيخ: بقي بعد التعليل الرابع ؟

الطالب: قالوا: إن المحبة حادثة والحادث لا يقوم إلا بحادث؛ وهذه علة باطلة, لأنه نقول: نرى في المخلوقات من يحب أو يكره تقوم به أفعال حادثة وهو قديم؛

الشيخ:وهو سابق عليها، صح تمام . المهم أن مذهب أهل السنة والجماعة أن كل ما وصف الله به نفسه فهو ثابت له على وجه الحقيقة لكن بدون تمثيل ولا تكييف .

الشيخ: ومن فوائد هذه الجملة: ((**والله يحب المحسنين**))

الطالب: الحث على الإحسان؛

الشيخ: الحث على الإحسان, لأن كل إنسان إذا علم أن الله يحب الإنسان فإنه سوف يحسن .

الشيخ: هل يؤخذ من ذلك كراهة الله للمسيئين ؟

الطالب: نعم؛ لأنه إذا يحب المحسنين لا يحب المسيئين ؛

الشيخ: وهل يلزم من انتفاء المحبة ثبوت البغض ؟

الطالب: يعني عدم المحبة؛

الشيخ: نعم عدم المحبة قد يكون إنسان لا يحب هذا الشخص ولا يكرهه ؟

الطالب: وأيضا يستلزم الكراهة؛

الشيخ: ما أعتقد, هل أنت الآن كل شخص لا تحبه فيعني أنك تكرهه ؟ أو لا تحبه ولا تكره ؟

الطالب: الله تبارك وتعالى إذا لا يحب أحدا من أعماله, ما هي مقبولة أعماله ...

الطالب: أن إثبات ضد المحبة وهو البغض إنما هو صفة لله, والصفات عند أهل السنة والجماعة لا تثبت باللوازم ؟

الشيخ: ويش تقولون ؟ يعني بعض العلماء يأخذ من مثل هذه الآية أنه إذا أثبت المحبة للمحسن لزم من ذلك إثبات الكراهة للمسيء, لأن كل وصف يناسب الوصف الذي رتب عليه؛ فإذا كانت المحبة مرتبة على الإحسان لزم أن تكون الكراهة مرتبة على الإساءة؛ ولكن نحن نقول: إن الإنسان قد يتوقف في هذه القاعدة لأن بين المحبة والكراهة مرتبة؛ ولكننا إذا تأملنا الأدلة وجدنا الله يقول: ((**والله لا يحب الظالمين**)) ((**ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين**)) فهنا لاشك أن نفي المحبة ليس معناه أنه لا يحبهم ولا يكرههم؛ بل إن المراد بذلك أنه يكرههم, هذا هو المعنى؛ ولولا ذلك ما كانت مثل هذه الآيات وعيدا على الظالم والمعتدي .

ثم قال الله تعالى: ((**والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم**)).

((**والذين**)) الواو هذه حرف عطف؛ والأصل في المعطوف أن يكون مغايرا للمعطوف عليه؛ ولكن المغايرة قد تكون في المعنى, وقد تكون في الصفة, وقد تكون في اللفظ, وقد تكون في الذات؛ فلا يلزم من المغايرة إذا قلنا إن العطف يقتضي المغايرة أن يكون المغايرة بالذات؛ بل قد يكون التغاير في الصفة وفي اللفظ وفي المعنى؛ فإذا قلنا: قدم زيد وعمرو؛ فهنا العطف يقتضي المغايرة في الذات؛ لأن هذا غير هذا لاشك؛ وفي هذه الآية: ((**والذين إذا فعلوا فاحشة**)) المغايرة بالصفة فهي كقوله تعالى: ((**سبح اسم ربك الأعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى والذي أخرج المرعى**)) هل الذي قدر فهدى والذي أخرج المرعى هو الله أو غيره ؟ هو الله, لكن هذا عطف صفة على صفة؛ التغاير في اللفظ مثل قول الشاعر :

فألفا قولها كذبا ومينا

كذبا ومينا، المين هو الكذب ولكنه عطفه عليه من باب عطف المترادفين؛ ولهذا لا يأتي في اللغة العربية كذبا وكذبا إنما يأتي كذبا ومينا لابد من تغاير في اللفظ.

التغاير في المعنى قريب من التغاير في الصفة؛ فالذي معنا الآن: ((**والذين إذا فعلوا فاحشة**)) من باب تغاير في الصفة .

طيب من صفاتهم: ((**أنهم إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم**)) فاحشة هي ما يستفحش شرعا أو عرفا مثل الزنا, فإن الزنا فاحشة شرعية وفاحشة عرفية؛ واضح ؟ كذلك اللواط فاحشة شرعية وعرفية ، قال لوط لقومه: ((**أتأتون الفاحشة**))؛ كذلك نكاح ما نكح الآباء هو أيضا فاحشة: ((**ولا تنكحوا ما نكح آبائكم من نساء إلا ما قد سلف إنه كان فاحشة ومقتا**)) ولهذا نقول: الفاحشة كل ما يستفحش عقلا أو شرعا وعادة؛ ولكن في باب الثواب والعقاب المرجع إلى الشرع؛ ولهذا قال بعض العلماء المراد بالفاحشة الكبيرة، المراد الكبيرة؛ وقوله: ((**أو ظلموا أنفسهم**)) المراد به ما دون الفاحشة، ما دون الفاحشة وهي الصغائر؛ وعلى هذا فالعطف بين قوله: ((**فاحشة**)) ((**أو ظلموا أنفسهم**)) عطف على بين متغايرين, وليس من باب عطف العام على الخاص, وإن كانت الفاحشة لاشك أنها داخلة في ظلم النفس؛ لكن المراد هنا التنويع: ((**أو ظلموا أنفسهم**)) وإذا كان المراد التنويع لزم أن يكون كل نوع سوى النوع الآخر.

وقوله: ((**أو ظلموا أنفسهم**)) قد يقول قائل: كيف يتصور أن الإنسان يظلم نفسه ؟ الإنسان يدفع عن نفسه الظلم فكيف يظلم نفسه ؟

والجواب على ذلك نقول: كل من خالف أمر الله بفعل محرم أو ترك واجب فقد ظلم نفسه، قال الله تعالى: ((**ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه**))؛ لماذا ؟ لأن النفس عندك أمانة تجب عليك رعايتها وقد أوصاك الله بها

فقال: ((**ولا تقتلوا أنفسكم**))؛ قال: ((**إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم**)) فنهى الله عن قتل النفس وعن ظلم النفس لأنها أمانة عندك.

وبالمناسبة قال العلماء: إن الله أرحم بك من أبيك وولدك ونفسك، أرحم بك من أبيك وولدك ونفسك؛ الدليل ؟ أما كونه أرحم بك من أبيك فإن الله قال: ((**يوصيكم الله في أولادكم**)) فأوصى الآباء والأمهات بمن ؟ بالأولاد، إذا فهو أرحم بهم من آبائهم وأمهاتهم؛ وأما بالعكس أن يكون أرحم بك من أبنائك فقال: ((**ووصينا الإنسان بوالديه**))؛ وأما أرحم بك من نفسك فلأن الله قال: ((**ولا تقتلوا أنفسكم**)) ((**ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة**)) .

إذا نقول وجه كون الإنسان ظالم نفسه أن نفسك عندك أمانة, فإذا فرطت في هذه الأمانة بأن أقحمت نفسك فيما حرك الله عليك, أو تأخرت عما أوجب الله عليك فقد ظلمت نفسك .

طيب, ظلم النفس هو في نفس الواقع ظلم في حق الغير؛ لأن ظلم النفس إما في حق يتعلق بالله عزوجل وإما في حق يتعلق بالمخلوق؛ فإن كان في حق الله فإنك ظالم في حق الله؛ وإن كان في حق المخلوق فإنك ظالم في حق المخلوق، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (**مطل الغني ظلم**) وبهذا نعرف أن من ظلم نفسه فقد ظلم ثلاثة: ظلم نفسه وظلم حق الله عزوجل وظلم المخلوق؛ لأن كل هذه تتعلق بأوامر الله ونواهيه .

((**ذكروا الله**)) بماذا يذكرون الله ؟ باللسان أو بالجوارح أو بالجميع ؟ بالجميع؛ ذكروا الله بالجميع؛ أما ذكر الله بالقلب فإنهم إذا ظلموا أنفسهم أو فعلوا فاحشة ذكروا عظمة الله، ذكروا عظمة الله وما أعد للمخالفين من العقاب، وذكروا كذلك رحمة الله وما أعد للطائعين من الثواب؛ هذا ذكر بالقلب؛ فإذا ذكروا الله بالمعنى الأول ذكروا عظمته فخافوا من عقابه استقاموا على دينه هربا من عقابه؛ وإذا ذكروا الله بالمعنى الثاني وهو ذكر رحمته وثوابه فإنهم يستقيمون على شرعه طلبا للوصول إليه؛ فذكر الأول من باب الهرب؛ والثاني من باب الطلب؛ والعبادة بمقتضى الطلب أو العابد بمقتضى الطلب أعلى حالا من العابد بمقتضى الهرب؛ قالوا: لأن الطالب ناصح في غيبة المطلوب وفي حضوره؛ والهارب ناصح في حضور المخوف, لكن في غير حضوره لا يهتم؛ ويمكن أن يؤخذ هذا من قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (**أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**) إذا ذكر القلب يكون على وجهين؛ الوجه الأول: ذكر عظمة الله عزوجل وعقوبته فيستقيم على شرعه هربا من عقوبته؛ والثاني: ذكر رحمة الله عزوجل وفضله ومنته وثوابه العظيم؛ فيستقيم على شرعه طلبا لثوابه ورجاء له؛ ذكر الله باللسان يمكن أن يكون المراد به الذكر الخاص مثل لا إله إلا الله، كما يروى عن الشيطان أنه قال: أهلكت بني

آدم بالمعاصي وأهلكوني بلا إله إلا الله والاستغفار؛ فذكر الله لاشك أنه من أسباب مغفرة الذنوب؛ فيذكرون الله بألسنتهم يقول لا إله إلا الله فيقولون كلمة الإخلاص؛ وهذه إذا قالها الإنسان مخلصا غفر الله له؛ وكذلك أيضا ذكر الله باللسان بالاستغفار اللهم اغفر لي، إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله بالاستغفار: اللهم اغفرلي أو أستغفر الله أو ما أشبه ذلك.

الذكر بالفعل هو أنهم يفعلون ما يكفر هذه الذنوب والخطايا؛ ومن ذلك الصدقة، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**الصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار**) وكذلك أيضا الصلاة فإن الإنسان إذا توضأ وأصبغ الوضوء ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غفر الله له ما تقدم من ذنبه.

الشيخ: فصار الذكر يتناول ؟

الطالب: الذكر يتناول أول شيء القلب؛

الشيخ: طيب, بالقلب والثاني؛

الطالب: باللسان؛

الشيخ: والثالث ؟

الطالب: بالجوارح؛

الشيخ: والذكر بالقلب على وجهين .

((**ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم**)) الفاء للترتيب والتعقيب يعني فإذا ذكروا الله استغفروا لذنوبهم أي طلبوا المغفرة من الله سبحانه وتعالى لذنوبهم؛ وتقدم لنا مرارا أن المغفرة تعني ستر الذنب والتجاوز عنه ؛ وقوله: ((**لذنوبهم**)) الذنوب هي المعاصي والآثام, فيسأل الله تعالى أن يغفر لهم هذه المعاصي والآثام؛ وإذا استغفر الإنسان ربه بنية صادقة وافتقار إليه فإن الله تعالى يغفر له؛ ولهذا قال: ((**ومن يغفر الذنوب إلا الله**)) من: هذه اسم استفهام وليست اسم شرط، والدليل على أنها اسم استفهام وليست اسم شرط أن الفعل بعدها وقع أيش ؟ مرفوعا ((**ومن يغفر**)) ثم إن أداة الإثبات جاءت بعدها وهي إلا؛ وعلى هذا فنقول من اسم استفهام بمعنى النفي؛ ويدل على أنها بمعنى النفي إتيان الإثبات بعدها وهي: إلا الله .

فإذا قال قائل: ما الفائدة من أن يأتي النفي بصيغة الاستفهام ؟ فلماذا لم تكن الآية : ((**ومن يغفر الذنوب إلا الله**)) كما في حديث أبي بكر رضي الله عنه الذي علمه النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال: (**اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا ولا يغفر الذنوب إلا أنت**) الشاهد نريد قوله: (**ولا يغفر الذنوب**)؛ وهذه جاءت كقوله: ((**ومن يغفر الذنوب إلا الله**)) فنقول: لأن النفي بصيغة الاستفهام أبلغ من النفي المجرد، النفي بصيغة

الاستفهام أبلغ من النفي المجرد؛ لماذا ؟ لأنه إذا جاء النفي بصيغة الاستفهام صار مشربا بالتحدي, كأن المستفهم يقول: ائت لي بكذا وكذا، ائت لي بأحد يغفر الذنوب إلا الله عزوجل؛ فيكون الاستفهام هنا دالا على النفي مشربا بالتحدي .

((**ومن يغفر الذنوب إلا الله**)) إلا الله بالرفع مع أنه وقع بعد إلا, لأن الكلام مفرغ؛ ما معنى مفرغ؟ المفرغ هو الذي لم يذكر فيه المستثنى منه، هذا المفرغ، الاستثناء المفرغ هو الذي لا يذكر فيه المستثنى منه؛ فإذا قلت: ما قام إلا زيد؛ فهنا الاستثناء مفرغ؛ لأي شيء ؟ لم يذكر فيه المستثنى منه؛ وإذا قلت: ما قام أحد إلا زيد؛ فهذا غير مفرغ لأنه ذكر المستثنى منه؛ وإذا قلت: ما رأيت إلا زيدا؛ مفرغ لأي شيء ؟ لأنه لم يذكر المستثنى منه؛ وإذا قلت: ما رأيت أحدا إلا زيدا؛ فهذا غير مفرغ؛ طيب هنا: ((**من يغفر الذنوب إلا الله**))

الطالب: مفرغ،

الشيخ: مفرغ ؟كيف ؟ لو قال: الذنوب موجودة ؟ ليست هي المستثنى منه، هي موجودة لكن الذنوب هنا واقع عليها الفعل, والغافر واقع منه الفعل .

طيب: ((**ومن يغفر الذنوب إلا الله**)) يعني لا أحد يغفر الذنوب إلا الله؛ لو تستغفر كل الخلق من ذنبك ما نفعوك، لو أنك مثلا أتيت إلى كل الذي في المسجد وقلت: أستغفركم من الذنب الذي فعلت؛ هل ينفع مغفرته ؟ لنفرض أن رجلا أساء في المسجد إساءة محرمة تؤذي المصلين, فجاء فقال: أيها المصلون أستغفركم مما فعلت؛ هل يمكن أن يغفروا له ؟ لا؛ الذي يتعلق بهم يمكن أن يغفروا له ما يتعلق بهم لكن أصل الذنب ما يمكن أن يغفروا له لأن الله يقول: ((**ومن يغفر الذنوب إلا الله**)) .

قال: ((**ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون**)) قوله: ((**ولم يصروا**)) معطوف على قوله: ((**ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم**)) على قوله: ((**فاستغفروا لذنوبهم ولم يصروا**)) معطوف على قوله: ((**فاستغفروا**)).

((**ولم يصروا على ما فعلوا**)) يصروا: أي يستمروا على ما فعلوا ويبقوا عليه؛ لأن طالب المغفرة لا يمكن أن يصر؛ كيف تقول: اللهم اغفر لي وأنت مصر على معصيتك ؟ هذا سخرية واستهزاء؛ ولهذا قال: ((**ولم يصروا على ما فعلوا**)) فعلوا من أين ؟ من الفاحشة وظلم النفس؛ ((**وهم يعلمون**)). قوله: ((**وهم يعلمون**)) يحتمل أن تكون استئنائية ((**ولم يصروا على ما فعلوا**)) يعني أتى بجملة مستأنفة فقال: وهؤلاء يعلمون عظم الذنوب ويعلمون عظم من عصوه ولذلك لا يصرون على ما فعلوا؛ ويحتمل أن تكون الواو للحال, يعني ولم يصروا على ما فعلوا حال كونهم عالمين بأن الإصرار على الذنب لا تحصل معه المغفرة؛ أو وهم يعلمون بأن هذا ذنب؛ فإذا وقع منهم ذنب أصروا عليه فإنهم لا يعلمون أنه ذنب؛ والآية ما دامت تحتمل هذه الأوجه الثلاثة فإننا نقول

على القاعدة أيش ؟ أنها تحمل على كلها، كل ما تحتمله الآية من معنى ولا تناقض بين المعاني فإنه يجب أن تحمل عليها كلها؛ فإن كانت تتناقض أو تتعارض المعاني فإنه يطلب إيش ؟ يطلب المرجح لأنه لا يمكن أن يحمل الكلام على الشيء وضده فحينئذ نطلب المرجح؛ هذه القاعدة .

هذه الآية فيها فوائد؛ من الفوائد: أن المتقي لا يكون معصوما من فعل الفاحشة أو ظلم النفس؛ لأن الله لم يقل: وهم لا يفعلون الفواحش أو يظلمون أنفسهم.

الشيخ: هذه الآية فيها فوائد؛

من الفوائد: أن المتقي لا يكون معصوما من فعل الفاحشة أو ظلم النفس؛ لأن الله لم يقل: وهم لا يفعلون الفواحش أو يظلمون أنفسهم؛ بل قال: ((**والذين إذا فعوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم**)) إذا ففعل الفاحشة لا يخدش بالتقوى إذا استغفر الإنسان وتاب؛ وقد جاء في الحديث عن النبي عليه الصلاة والسلام إنه قال: (**كل بني آدم خطاء, وخير الخطاءين التوابون**) وصح عنه أنه قال عليه الصلاة والسلام: (**لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم**) إذا ليس الشأن في أن لا يفعل الإنسان معصية، كل إنسان لابد أن يعصي؛ الشأن في أنه إذا فعل المعصية رجع إلى الله .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن الذنوب تنقسم إلى قسمين: فواحش ودونها؛ لقوله: ((**والذين إذا فعوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم**)) وأو هنا للتنويع؛ وهذا متفق عليه بن العلماء أن الذنوب تنقسم إلى صغائر وكبائر؛ ولكن ما هو الضابط للكبائر والصغائر ؟ بعض العلماء يقول: إن الكبائر معدودة. فجعل يعددها فيقول: الكبيرة الأولى الكبيرة الثانية الكبيرة العاشرة إلى أن انتهى إلى ما بلغه علمه من الكبائر؛ وبعضهم يقول: إن الكبائر محدودة وليست معدودة؛ ومعنى معدودة يعني معلقة بوصف لا بعدد؛ فقالوا مثلا: ما فيه حد في الدنيا فهو كبيرة, مثل الزنا السرقة والقذف كل ما فيه حد في الدنيا فهو كبيرة، كل ما رتبت عليه اللعنة فهو كبيرة مثل: (**لعن الله من آوى محدثا**) (**لعن الله الراشي والمرتشي**) وما أشبهه ؛ كل ما رتب عليه غضب فهو كبيرة مثل ؟ مثل قوله تعالى في القاتل: ((**وغضب الله عليه**))؛ ما رتب عليه وعيد في الآخرة ، بأن جاء النص من فعل كذا فهو في النار أو ما أشبه ذلك مثل: (**ما أسفل من الكعبين ففي النار**).

ومنهم من قال ورأيته لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: كل ما رتب عليه عقوبة خاصة، عقوبة خاصة دنيوية أو أخروية فهو كبيرة؛ وما جاء النهي عنه بدون ذكر عقوبة فهو صغيرة؛ فقال مثلا: الغش من كبائر الذنوب لأن الشارع جعل له عقوبة خاصة: (**من غش فليس منا**)؛ إيذاء الجار من كبائر الذنوب لقول النبي عليه الصلاة والسلام: (**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره**) وهذا الذي حده رحمه الله يدخل فيه من الذنوب شيء كثير, ولكن لاشك أن ما قاله رحمه الله ليس معناه أن هذه الكبائر تكون على مرتبة واحدة, بل حتى الكبائر فيها ما هو أكبر وفيها ما هو أصغر, كما في الحديث الصحيح: (**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر** ...) وعلى هذا فنقول: الذنوب تنقسم إلى صغائر وكبائر، تؤخذ من الآية هذه؛ ثم الكبائر تختلف مراتبها بحسب ما يترتب عليه من المفاسد والآثام .

ومن فوائد الآية الكريمة: أن الإنسان مؤتمن على نفسه.

الشيخ: تكمل إعراب المثال: قام: فعل ماضي مبني ؟

الطالب: على الفتح؛

الشيخ: زيد ؟

الطالب: زيد خبر؛

الشيخ: ويش يسوي زيد إذا قلنا قام زيد ويش يسوي ؟ قائم إذا فاعل، فاعل مرفوع؛ وعلامة رفعه ؟

الطالب: الفتحة؛

الشيخ: الرفع يكون فتحة ؟

الطالب: بالضم,

الشيخ: علامة رفعه ضمة ظاهرة في آخره .

طيب لو قلت: قام زيدا؛ يصلح ؟

الطالب: لا؛

الشيخ: لأيش ؟ لأنه فاعل والفاعل لازم يصير مرفوع؛ تمام .

الطالب: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ((**أولئك جزائهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين**)) .

الشيخ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم؛ قال الله سبحانه وتعالى: ((**أولئك جزاءهم مغفرة من ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين**)) .

المشار إليه ما من سبق من المتقين المتصفين بالأوصاف التي سمعتموها من قبل؛ ومنها: ((**أنهم إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا الله لذنوبهم**)) وذكرنا تفسير الآية هذه وما يستفاد منها أو وشيئا مما يستفاد منها.

فمن ذلك، من فوائدها: سرعة انتباه هؤلاء عند فعل الذنوب؛ لقوله: ((**إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله**)) أي يبادرون بالتوبة؛ والمبادرة بالتوبة من صفات المتقين؛ وهل هي واجبة ؟ الجواب: نعم, تجب

المبادرة بالتوبة, لأن التوبة إذا نزل الأجل لا تقبل، والإنسان لا يدري متى ينزل أجله؛ وعلى هذا فيجب أن يتوب الإنسان من ذنوبه فورا بدون تأخير .

من فوائد الآية الكريمة: أن الذنوب تنقسم إلى قسمين: فواحش وما دونها؛

الطالب: ذكرناها ؟

الشيخ: ذكرناها, طيب .

من فوائد هذه الآية: أن ذكر الله عزوجل سبب للتوبة والرجوع إلى الله؛ لقوله: ((**ذكروا الله**)) وقد سبق لنا بيان وجوه هذا الذكر؛ ما هي ؟

الطالب: ذكر بالقلب وذكر باللسان وذكر بالفعل؛

الشيخ: بالجوارح ؟ نعم طيب .

من فوائد هذه الآية الكريمة: أنهم يبادرون بالتوبة وسبق؛ استغفار هؤلاء المتقين لذنوبهم؛ لقوله: ((**فاستغفروا لذنوبهم**)) فيؤخذ منه أو يتفرع على هذه الفائدة: عجز أولئك القوم الذين يقولون إن الله غفور رحيم ولا يستغفرون الله؛ فإن بعض المذنبين إذا نهيته عن الذنب قال: الله غفور رحيم؛ ولكنه هو نفسه لا يستغفر؛ وإذا كان هؤلاء السادة يستغفرون ربهم, بل إذا كان الله أمر نبيه عليه الصلاة والسلام أن يستغفر فما بالك بمن دونه؛ قال الله تعالى: ((**واستغفر لذنبك**)) ((**واستغفر الله إن الله كان غفورا رحيما**)) .

من فوائد الآية الكريمة أيضا: أنه لا أحد يستطيع أن يغفر الذنوب إلا الله؛ لقوله: ((**ومن يغفر الذنوب إلا الله**)). ويتفرع عليها: أن لا تعتمد على أحد في مغفرة الذنوب أو طلب المغفرة وإنما يكون اتجاهك إلى الله عزوجل .

ومن فوائدها: أن هؤلاء السادة المتقين لا يصرون على ما فعلوا من الفاحشة أو ظلم النفس وهم يعلمون .

ومن فوائدها: أن الرجل إذا أذنب فاستغفر ثم أذنب فاستغفر ثم أذنب فاستغفر فإنه يغفر له وإن تكرر الذنب منه؛ لأن الله قال هنا: ((**ولم يصروا على ما فعلوا**)) ولم يقل: ولم يعيدوا ما فعلوا؛ لم يصروا عليه وهم يعلمون؛ والإنسان إذا كان كلما أذنب استغفر فإنه يغفر له كقوله تعالى: ((**يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا**)) ولكن يجب أن لا يكون استغفاره بلسانه وقلبه منطو على الرجوع؛ فإن كان كذلك فإن هذا الاستغفار لا يفيده؛ لكن يكون استغفاره حقيقة بقلبه ولسانه، والإنسان بشر ربما تغلبه نفسه في المستقبل فيفعل المعصية مع أنه قد استغفر منها؛ فنقول: مهما عملت ومهما تكرر منك الذنب مادمت تستغفر فإن الله تعالى يغفر لك .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: توبيخ من أصر على الذنب وهو عالم به؛ لقوله: ((**ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون**))؛ ولهذا قال العلماء: إن الإصرار على المعصية الصغيرة يجعلها كبيرة, لأن إصراره عليها يدل على تهاونه بمن عصاه .

ثم قال الله تعالى: ((**أولئك جزائهم مغفرة**)) أولئك هنا إشارة وخطاب؛ الإشارة مأخوذة من قوله: أولاء، والخطاب في قوله: أولئك الكاف؛ ويجب أن نعلم من حيث اللغة العربية أن اسم الإشارة يكون بحسب المشار إليه؛ وأما كاف الخطاب فبحسب المخاطَب، ثم إذا كانت بحسب المخاطب فهل تبقى مفردة مفتوحة مبنية على الفتح ؟ أو تكون بحسب المخاطب تذكيرا وتأنيثا وجمعا وإفرادا ؟ أو تكون بالفتح للمذكر مطلقا ولو جمعا أو مثنى ؟ وبالكسر للمؤنث مطلقا ولو جمعا أو مثنى ؟؛ في هذا ثلاث لغات للعرب:

اللغة الأولى: أنها لازمة للفتح باعتبار أن المخاطب اسم جنس فإذا قلت: ذلك تخاطب اثنين فالمعنى أنك تخاطبهما باعتبار جنس الذكور؛ أو باعتبار جنس الشخص؛ والثاني: أنها بالفتح للمذكر مطلقا وبالكسر للمؤنث مطلقا؛ ويش معنى الإطلاق ؟ حال التثنية والجمع والإفراد؛ والثالث وهو الأفصح: أنها بحسب المخاطب مطلقا؛ فإن كان مفردا مذكرا فهي بالفتح مفردا؛ إذا كان مثنى فهي بالتثنية؛ إذا كان جماعة ذكور فهي بالميم تقترن بالميم، جماعة إناث تقترن بالنون؛ ((**قالت فذلكن**)) لأنها تخاطب جماعة النسوة؛ ((**ذلكما مما علمني ربي**)) يخاطب اثنين؛ ((**ذلكم خير لكم**)) يخاطب جماعة ذكور؛ هذا هو الأفصح؛ فهنا يقول: ((**أولئك جزائهم**)) أولئك الخطاب لمن ؟ لواحد, يعني أولئك أيها المخاطب؛ فالخطاب لواحد والإشارة لجمع, يعني أولئك المتقون أيها المخاطب: ((**جزاءهم**)) أي ثوابهم ومكافئتهم على عملهم ((**مغفرة من ربهم**)) يكون بها النجاة من النار ((**وجنات**)) يكون بها حصول المطلوب في جنات النعيم ((**مغفرة من ربهم**)) أي عفو وتجاوز عن الذنوب وستر عن الخلق ((**وجنات تجري من تحتها الأنهار**)) جنات جمع لأن الجنة درجات كثيرة, ومنازل متنوعة يختلف الناس فيها بحسب أعمالهم؛ وقد أخبر النبي عليه الصلاة والسلام **أن أهل الجنة يتراءون الغرف كما نتراء الكوكب الدري الغابر في الأفق؛ قالوا : يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا ينالها غيرهم قال : (بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين**) اللهم اجعلنا منهم؛ هذه المنازل يختلف الناس فيها؛ أهل الجنة يراءونها مثل ما نرى الكوكب الدري المضيء الغابر في الأفق بعيد جدا ليس فوق مسامة الرؤوس بل هو بعيد؛ فهي درجات ولهذا تجمع؛ وأعلى ما فيها الفردوس لأن فوقه عرش الله جل جلاله، وهو وسط الجنة وأعلى الجنة ومنه تفجر أنهار الجنة: ((**وجنات تجري من تحتها الأنهار**)) ووصف الله بأنها جنات لأن فيها من أنواع النعيم ما لا يخطر على البال, فهي دار لا يمكن أن يدرك الإنسان كنهها وحقيقتها؛ لأنها أعظم من أن

تدركها مخيلتنا؛ قال الله تعالى: ((**فلا تعلم نفس ما تخفي لهم من قرة أعين**)) وقال الله تعالى في الحديث القدسي: (**أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر**) .

وقوله: ((**تجري من تحتها الأنهار**)) من تحتها قال العلماء: أي من تحت قصورها وأشجارها لا من تحت أرضها؛ لأنه لو كان من تحت أرضها لكانت في الأسفل في قعر؛ ولكنها تمشي على سطح أرض الجنة إلا أنها تحت القصور والأشجار ((**تجري من تحتها الأنهار**)) وقد ورد في الحديث أن هذه الأنهار تجري بلا أخدود وبلا حفر؛ وفي ذلك يقول ابن القيم في النونية:

أنهارها في غير أخدود جرت سبحان ممسكها عن الفيضان ؛

تجري على الأرض بدون أن يكون لها أخدود يعني سواقي أو حفر, ومع هذا تجري حيث أراد الإنسان حيث أراد .

وقوله: ((**الأنهار**)) جمع نهر, وقد بين الله تعالى في سورة القتال سورة محمد أنها أربعة أنواع: ((**فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى**)) أنهار من ماء غير آسن يعني لا يقبل أن يكون آسنا, بخلاف ماء الدنيا فإنه يكون آسنا أي متغيرا, فإنه إذا تأخر وأبطأ تغير؛ أما ماء الجنة فلا يتغير؛ ((**أنهار من لبن لم يتغير طعمه**)) بخلاف ألبان الدنيا فإنها تتغير, إذا زادت عن المدة تغيرت وفسدت؛ ((**أنهار من خمر لذة للشاربين**)) لذة وليس فيها غول ولا هم عنها ينزفون، لا توجع الرأس ولا تغتال العقول, وأشد ما يكون من اللذة؛ الرابع: ((**أنهار من عسل مصفى**)) أنهار من العسل, ليس من عسل النحل الذي يكون نصفها أو أكثر شمعا, ولكنه من عسل مصفى.

((**خالدين فيها**)) أي ماكثين فيها مكثا طويلا؛ وقد جاءت آيات أخرى تدل على أن هذا الخلود خلود تأبيد؛ وقد أجمع علماء أهل السنة على أنها أي الجنة مؤبدة بما فيها من النعيم؛ ((**ونعم أجر العاملين**)) الجملة هنا إنشائية للمدح والثناء؛ الثناء على إيش ؟ على هذا الأجر العظيم؛ وأجر العاملين أي ثوابهم, وجعله ذو الفضل والإحسان أجرا ليكون الإنسان مطمئنا على الحصول عليه إذا قدم العوض, وإلا فالمنة لمن ؟ المنة لله عزوجل أولا وآخرا؛ لكن يمن علينا والحمد لله بالعمل ثم يمن علينا ثانيا بالجزاء، ويقول: ((**هل جزاء الإحسان إلا الإحسان**)) كأننا نحن المحسنون استقلالا وابتداء, فإذا أحسنا فجزاؤنا أن يحسن إلينا مع أنه . والله . هو الذي أحسن إلينا أولا وآخرا؛ كذلك يقول: ((**وكان سعيكم مشكورا**)) ((**إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا**)) سبحان الله يمن علينا بالسعي ويوفقنا له ويعيننا عليه ثم يشكرنا عليه؛ هذا غاية الفضل والإحسان من الله عزوجل.

((**نعم أجر العاملين**)) الذين يعملون لهذا الأجر العظيم؛ وقوله: ((**نعم أجر العاملين**)) نقول في إعرابها أن أجر فاعل والمخصوص محذوف تقديره: نعم أجر العاملين هو أو الجنة، كما قال الشاعر:

نعمت جزاء المتقين الجنة فيها الأماني والمنى والمنة ؛

في هذه الآية الكريمة من الفوائد: بيان جزاء المتقين، وأنه جزاء لا يدركه الإنسان بتصوره لأنه أعظم مما يتصور .

وفيها : أن جزائهم متضمن لحصول المطلوب ودرء المكروه؛ من أين يؤخذ ؟ من قوله: ((**مغفرة وجنة**)) فبالمغفرة درء المكروه، وبالجنة حصول المطلوب .

ومن فوائد هذه الآية: أن مغفرة الله عز وجل للمرء من أعظم الثواب؛ فلا تستغرب أن تكثر من سؤال المغفرة، كان النبي صلى الله عليه وسلم حينما نزلت عليه سورة النصر يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: (**سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي**).

ومن فوائدها: بيان حال الجنات التي وعدها المتقون وما يصوره قوله: ((**تجري من تحتها الأنهار**)) من النعيم العظيمة .

من فوائدها: أن أهل الجنة خالدون فيها؛ لقوله: ((**خالدين فيها**)) وقد دلت النصوص أن هذا التخليد أبدي .

ومن فوائدها: عظم هذا الأجر؛ لأن العظيم إذا أثنى على شيء دل على عظمه، والله تعالى أعظم شيء وقد أثنى على هذا النعيم .

ومن فوائدها: بيان فضل الله عزوجل على عباده، حيث جعل هذا الجزاء أجرا بمنزلة الأجر المحتم الذي لابد من أن يناله العبد .

فإذا قال قائل: كيف تجمع بين هذه الآية وبين قوله صلى الله عليه وسلم: (**لن يدخل الجنة أحد بعمله**) **قالوا: ولا أنت يا رسول الله قال** : (**ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته**) قال: (**لن يدخل الجنة أحد بعمله**)، وظاهر الآية التي معنا أن هذه الجنة التي أعدت لهم أجر لهم, عوض عما قاموا به من العمل !

والجواب عن هذا أن نقول: إن قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (**لن يدخل الجنة أحد بعمله**) أي على سبيل المكافئة أي أن الجزاء يكافئ العمل ويكون عوضا عنه؛ وأما على أنه سبب من الأسباب ولكن الله بفضله جعله بمنزلة العوض فهذا ثابت؛ فأعمالنا سبب, ولو قوبلت بنعم الله لم تكن شيئا، لم تكن شيئا؛ لو أنك جمعت نعم الله عليك وقارنت بينها وبين عملك لكان العمل ؟ ما هو أقل ضئيلا جدا ولا ينسب لشيء؛ النفس لو أصيب الإنسان بضيق في نفسه لكن يبذل كل ما يملك من أجل زوال هذه المحنة؛ كذلك البول، الغائط، السمع، البصر، إلى غير ذلك؛ نعم كثيرة لا يقابلها العمل؛ وقد قال بعض الشعراء:

إذا كان شكري نعمة الله نعمة علي له في مثلها يجب الشكر

فكيف بلوغ الشكر إلا بفضله وإن طالت الأيام واتصل العمر

صحيح هذا ؟ لأننا نقول إذا وفقت للشكر وشكرت الله فهي نعمة لأن الله قال: ((**وقليل من عبادي الشكور**)) وما أكثر الذين كفروا نعمة الله، ثم إذا شكرت الله قلنا هي نعمة تحتاج أيضا إلى شكر آخر؛ فإذا وفقت لشكر الشكر فهو نعمة ثالثة تحتاج إلى شكر وهلم جرا؛ ولهذا قال:

فكيف بلوغ الشكر إلا بفضله وإن طالت الأيام واتصل العمر ؛

السائل: أحيانا إنسان يتوب ويعزم أن لا يعود وبعد فترة تراوده نفسه أن يعود فهل تنتقض التوبة في هذه الحال ؟

الشيخ: لا ما تنتقض؛

السائل: أصر على المعاصي ؟

الشيخ: ما أصر، الذي يصر الذي يبقى على الذنب وكأنه ليس بذنب؛ أما الإنسان الذي يتوب ثم تغلبه نفسه في المستقبل, ويفعل المعصية فهذا ليس بمصر ؛ ولهذا ورد عن النبي عليه الصلاة والسلام أن رجلا أذنب فاستغفر الله ثم أذنب فاستغفر ثم أذنب فاستغفر فقال الله تعالى : (**علم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به قد غفرت لعبدي فليعمل ما شاء**) فكون الإنسان كلما أذنب استغفر، وكلما استغفر عاد فأذنب لا يعيد يبطل توبته الأولى .

السائل: ذكرنا في قوله تعالى: ((**نعم أجر العاملين**)) هي جملة إنشائية فكيف يصح كونها خبرا ؟ الشيخ: كيف يكون خبرا ؟

السائل: الجملة خبرية ما تكون خبرا ؟

الشيخ: نعم أحسنت؛ لما كانت صيغتها صيغة الخبر صح أن تكون خبر مبتداء، هي صيغتها صيغة الخبر, نقول نعم فعل ماضي وأجر فاعل, لكن هي المقصود بها إنشاء المدح مثل بئس .

السائل: شيخ هذه الآية ما تؤيد الحديث: (**لا يدخل أحد الجنة بعمله**) لأنه قال الله سبحانه وتعالى صدر الآية بمغفرة: ((**جزاءهم مغفرة من ربهم وجنة**)) فيكون الأول يدخلون بمغفرته الجنة ثم يجازيهم بهذه الأعمال برفعهم الدرجات ؟

الشيخ: ظاهر الآية أن الجنة هي الأجر؛ لأنه ما ذكر إلا جنات تجري من تحتها الأنهار فقط.

السائل: قلنا إن قوله: ((**ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون**)) هل الجاهل لا يؤاخذ بذنبه ؟

الشيخ: أي نعم, صحيح أخذنا القاعدة أن الجاهل لا يؤاخذ بذنبه وهو صحيح .

السائل: ... النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (**كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة**) هل فيه دليل على أن مقدمات الكبيرة لابد للإنسان أن يفعلها ؟

الشيخ: ما هو على كل حال, يعني معناه إن الإنسان من حيث هو إنسان سيفعل هذا وبقدرته أن يغض من بصره؛ لكن لابد لبني آدم من خطأ: (**كل بني آدم خطاء وخير الخطاءين التوابون**), (**لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم**) .

السائل: المصر على الصغيرة قلنا الإصرار على الصغيرة من الكبائر, مع أن المصرون على الصغائر يختلفون جدا منهم من يستهين بحرمات الله ... ؟

الشيخ: لا ما هو بسواء . بارك الله فيك . حتى الكبائر ليست سواء؛ إذا قلنا كبيرة معناه أنها في ضمن الكبائر لكن الكبائر تختلف؛ ليس شيء من الأعمال إلا يختلف؛ إن أتيت الأعمال الصالحة وجدتها تختلف، الكفر نفسه يختلف؛ أليس كذلك ؟ الكبائر تختلف أكبر الكبائر ووسط الكبائر؛ الصغائر أيضا تختلف؛ النظر إلى المرأة الأجنبية بشهوة مثلا من الصغائر، ومسها من الصغائر، وأيهما أعظم ؟ المس أعظم .

السائل: الذي يفعل المعاصي إذا تاب عن بعضها ولم يتب عن البعض, فهل يقبل الله توبته علما بأنه قد تاب عن بعض المعاصي الصغيرة وترك الكبيرة ؟

الشيخ: أظن هذه مرت علينا .

مر علينا أن العلماء اختلفوا إذا تاب من ذنب وهو مصر على آخر, فهل تقبل توبته من هذا الذنب أو لا ؟؛ ذكرنا أن في هذا خلافا؛ منهم من قال: لا تقبل؛ ومنهم من قال: تقبل مطلقا؛ ومنهم من قال: إن كان الذنب الذي هو مصر عليه من جنس الذنب الذي تاب منه فإنها لا تقبل, وإن كان من غير جنسه قبلت؛ فمثلا إن تاب من غش الناس في البيع لكن غشهم في الإجارة؛ هذا الذنب جنس واحد وإن اختلف محل الغش؛ المهم فيها ثلاثة أقوال للعلماء, والصحيح أنها تقبل؛ إذا تاب من ذنب ولو أصر على مثله أو على جنسه؛ ولكنه لا يستحق الوصف المطلق في مدح التوابين يعني لا يدخل في مثل قوله تعالى: ((**إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين**)) إنما يقال هذه توبة مقيدة .

الطالب: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ((**قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين وإن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين**)) .

الشيخ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم؛ أظن أننا لم نكمل الفوائد ؟ إلى آخره ؟ طيب ((**ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون أولئك جزاءهم جنات**)).

قال الله تبارك وتعالى: ((**قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين**)) ((**قد خلت**)) جملة محققة بقد لأن قد إذا دخلت على الفعل الماضي تفيد التحقيق؛ وإذا دخلت على الفعل المضارع تفيد التقليل؛ وقد تفيد التحقيق بالقرائن؛ فقول القائل: قد يجود البخيل؛ هذه للتقليل؛ وقوله تعالى: ((**قد يعلم الله المعوقين منكم**)) هذه تفيد التحقيق؛ أما إذا دخلت على الماضي فإنها تكون للتحقيق, كقول المقيم: قد قامت الصلاة .

((**قد خلت**)) أي مضت؛ ((**من قبلكم سنن**)) الخطاب لهذه الأمة؛ والسنن جمع سنة وهي الطريقة, والمراد بها سنن الله عزوجل في المكذبين حيث يأخذهم ويدمرهم، كما قال تعالى: ((**أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها**)) قال: ((**دمر الله عليهم**)) يعني أهلكهم وأبادهم؛ ((**وللكافرين أمثالها**)) من هذه الأمة.

إذا سنن جمع سنة وهي الطريقة والمراد بها طريق الله تعالى في المكذبين للرسل حيث تكون عاقبتهم الهلاك والدمار .

وقوله: ((**فسيروا في الأرض**)) الفاء هنا للترتيب وهي عاطفة, عطف جملة على جملة؛ وسيروا فعل أمر من السير وهو المشي، والمراد به هنا سير القلوب وسير الأقدام؛ أما سير القلوب فهو بالتفكر, أن يتفكر الإنسان في الأمم السابقة, السابقة عليه زمنا؛ وكذلك يتفكر في الأمم السابقة عليه مكانا، كما قال الله تعالى: ((**وإنكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون**)) فالإنسان يسير بقلبه ويسير بقدمه؛ أما سيره بقلبه فهو أن يتفكر في عاقبة من مضى زمنا وفي عاقبة من مضى مكانا؛ فمثلا ديار ثمود موجودة الآن، يفكر الإنسان فيها زمنا أو مكانا ؟ يفكر فيها مكانا وزمانا, فينظر كيف كان عاقبتهم؛ السير بالقدم قد يكون أشد وقعا من السير بالقلب؛ لأن الإنسان يصل به إلى حق اليقين والمشاهدة بالعين؛ والسير بالقلب أعم وأشمل لأن الإنسان يصل به إلى ما لا يمكنه الوصول إليه بالسير قدما؛ أليس كذلك ؟ .

وقوله: ((**سيروا في الأرض**)) في للظرفية, ولكنها عند المفسرين هنا بمعنى على, أي سيروا على الأرض؛ لأن السير في جوف الأرض غير ممكن وغير مفيد أيضا, وإنما يفيد السير على ظاهر الأرض؛ وقوله: ((**سيروا في الأرض**)) أي أرض من سبق؛ فأل هنا للعهد؛ للعهد المفهوم من قوله: ((**قد خلت من قبلكم سنن**)) أي سيروا في أرضهم وانظروا كيف كانت عاقبتهم؛ وقوله: ((**فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين**)) انظروا بعين

البصر أو بعين البصيرة أو بهما ؟ بهما جميعا؛ فإن وصل إلى مكان هؤلاء الأمم فالنظر يكون بعين البصر وبعين البصيرة؛ وإن لم يصل ولكنه فكر في قلبه فالنظر يكون بعين البصيرة لأن البصر لا يمكن أن يصل إليه وهو ينظر في قلبه؛ ((**فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين**)) انظروا فعل أمر وهي تنصب المفعول به؛ لكنها علقت عن العمل لأنه وليها جملة استفهامية؛ والجملة الاستفهامية إذا وليت الفعل المتعدي علقته عن العمل، علقته يعني منعته؛ وعلى هذا فتكون الجملة في قوله: ((**كيف كان عاقبة المكذبين**)) في محل نصب مفعول انظروا.

أما إعراب ((**كيف كان عاقبة المكذبين**)) تفصيلا, فإن كيف اسم استفهام مبني على الفتح في محل نصب خبر كان مقدما، وتقديمه هنا واجب أو جائز ؟ واجب, لأن الاستفهام له صدر الكلام؛ فإذا وقع خبرا وجب تقديمه، إذا وقع الاستفهام خبرا وجب أن يقدم؛ فهنا كيف اسم استفهام مبني على الفتح في محل نصب خبر كان ؛ وعاقبة اسمها؛ وأما المكذبين فمعروف أنها مضاف إليه؛ ((**عاقبة المكذبين**)) أي مآل أمرهم، عاقبة الشيء ما يعقبه ويؤول إليه الشيء؛ والمكذبين هنا المراد بهم المكذبين لله ورسله؛ فماذا كان عاقبتهم ؟ كان عاقبتهم الهلاك والدمار؛ وعقوبتهم على حسب ذنوبهم، كما قال الله تعالى: ((**فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون**)) الذين أرسل الله إليهم حاصبا مثل ؟ قوم لوط؛ ((**إنا أرسلنا عليهم حاصبا إلا آل لوط نجيناهم بسحر**)) ومنهم من أخذته الصيحة كقوم صالح.

الشيخ: كما قال الله تعالى: ((**فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون**)) الذين أرسل الله إليهم حاصبا مثل ؟ قوم لوط: ((**إنا أرسلنا عليهم حاصبا إلا آل لوط نجيناهم بسحر**)) ومنهم من أخذته الصيحة كقوم صالح، ثمود؛ ومنهم من خسفنا به الأرض ؟ كقارون؛ ومنهم من أغرقنا كفرعون وقوم نوح، أغرقهم الله عزوجل؛ حسب ما تقتضيه الحكمة والعقول قاصرة غالبا عن معرفة تناسب العقوبة والعمل؛ أقول إن العقول قاصرة غالبا عن معرفة التناسب بين العقوبة وبين العمل؛ وأقول غالبا لأنها أحيانا قد تعرف المناسبة؛ فمثلا نحن نعرف مناسبة إهلاك عاد بريح هو أنهم كانوا يقولون: من أشد منا قوة؛ فأراد الله عزوجل أن يريهم أنه يهلكهم بما هو من ألطف الأشياء وهو الريح, الهواء، الهواء اللطيف ومع ذلك دمر الله به هذه الأمة التي تفخر بقوتها.

في آل فرعون كان فرعون يعتز بالأنهار التي تجري من تحته ويقول لقومه: ((**يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين**)) فأهلكه الله عزوجل بجنس ما افتخر به وهو الماء؛ والباقي أنا لا أستطيع أن أحدد التناسب بين العمل وبين العقوبة, لكن قوله تعالى: ((**فكلا أخذنا بذنبه**)) يدل على أن العقوبة تناسب العمل، ومن الأمثال المشهورة عند الناس: كما تدين تدان .

في هذه الآية من الفوائد العظيمة: أن الله سبحانه وتعالى قد أهلك أمما قبل هذه الأمة؛ لقوله: ((**سنن**)) وسنن جمع؛ جمع كثرة وإلا جمع قلة ؟ كثرة؛ أو قلة ؟ سنن ؟ قلة، كثرة، الأمران جميعا، لا هذا ولا هذا ؟ القسم أربعة الآن ؟ أنا أقرأ عليكم بيتا لابن مالك وانظروا, قال ابن مالك رحمه الله:

أفعلة أفعل ثم فعلة ثمت أفعال جموع قلة ؛

ماذا تكون سنن ؟ جمع كثرة, قولا واحدا ؟ يعني أن جمع القلة محصور بهذه الأوزان الأربعة فقط: أفعلة أفعل ثم فعلة ثمت أفعال جموع قلة .

ومن فوائد هذه الآية: تسلية هذه الأمة من وجه؛ وتحذيرها من وجه آخر؛ تسليتها من وجه وتحذيرها من وجه آخر؛ تسليتها بأن الله سبحانه وتعالى قد عاقب من قبلها, فعقوبته لها في أحد من سنن الله عزوجل؛ لأنه لاشك أن ما حصل في أحد عقوبة: ((**حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون**))؛ وفيه أيضا تحذير من جهة أخرى عن عقوبة أشد لأن الأمم السابقة أهلكوا ودمروا عن آخرهم .

من فوائد هذه الآية الكريمة: إثبات القياس؛ إثبات القياس كيف ؟ لأن المقصود بقول: ((**فسيروا في الأرض**)) النظر والاعتبار وأن يقاس ما حضر على ما مضى وسبق .

من فوائد الآية الكريمة: الأمر بالسير في الأرض؛ ولكن هل هو على إطلاقه أو من أجل الاعتبار فقط؟ لننظر: ((**فسيروا في الأرض فانظروا**)) إذا السير في الأرض لغير غرض شرعي مذموم، كما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وغيره من أهل العلم؛ لأن السير في الأرض من غير غرض شرعي فيه إتعاب النفس وتعريضها للهلاك وإضاعة المال وإضاعة الوقت؛ أما إذا كان لغرض شرعي فهو على حسب هذا الغرض؛ وعلى هذا فإن السير في الأرض ينقسم إلى أقسام: قسم لأغراض محرمة، وهذا لاشك في تحريمه؛ قسم آخر لأغراض مشروعة مطلوبة، وهذا لاشك في طلبه؛ وقسم ثالث: لمجرد الفرجة والنزهة فهذا ينظر فيه؛ الأصل فيه الإباحة ولكن إن توصل به الإنسان إلى محرم كان حراما, وإن توصل به إلى مشروع كان مشروعا؛ فمثال الأول السير في الأرض في الأرض من أجل الحرام ما يفعله بعض الناس المترفون الذين يسيحون في أرض الكفر وأرض المجون من أجل أن يحصلوا على مآربهم التي لا يستطيعون أن يحصلوا عليها في بلادهم؛ وهذا لاشك في أنه حرام؛ لأن السفر لهذا الغرض حرام ونفس هذا الغرض أيضا حرام وإضاعة المال فيه حرام؛ فهو مركب, حرام مركب ظلمات بعضها فوق بعض . والعياذ بالله .؛ والثاني: الذي يكون مشروع مثل السير في الأرض لطلب الرزق الواجب, كإنسان ليس عنده ما يقوته وأهله فسار في الأرض من أجل الحصول على هذا الرزق؛ وكذلك أيضا السير في الأرض لطلب العلم؛ وقد كان السلف رحمهم الله يسيرون في الأرض لطلب العلم مسيرة شهر من أجل مسألة واحدة, يرحلون ارتحالا في الأرض من أجل مسألة واحدة؛ والسفر في ذلك الوقت ليس كالسفر في وقتنا هذا، فيه مشقة وفيه أخطار كبيرة؛ أما السفر الذي لا لهذا ولا لهذا فمثل سفر بعض الناس للاستجمام والنزهة في أيام الإجازة، إجازات الأعياد وما أشبهها هذا نقول ليس فيه بأس في الأصل لكن قد يكون مفضيا إلى خير فيكون خيرا كما لو كان في هذا السير صلة رحم أو بر والدين أو ما أشبه ذلك فإنه يكون في هذه الحال أمرا مطلوبا .

السير في الأرض التي هلك أهلها هل هو من الأمور المطلوبة ؟ نقول نعم إذا كان المقصود بهذا الاتعاظ؛ أما إذا كان المقصود بهذا التفرج على قوة القوم وما أشبه ذلك فإنه لا يجوز؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم لما مر بديار ثمود في ذهابه إلى تبوك مر مسرعا مقنعا رأسه عليه الصلاة والسلام خائفا وقال عليه الصلاة والسلام: (**لا تدخلوا على هؤلاء القوم إلا وأنتم باكون فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوها**) وهذا خلاف ما يفعله بعض الناس الذين ماتت قلوبهم, يذهبون إلى ديار ثمود من أجل الاطلاع على مآثرهم وآثارهم وقدرتهم فإن هذا لاشك

أنه حرام؛ لأن الرسول نهى قال: (**لا تدخلوا على هؤلاء القوم إلا أن تكونوا باكين فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم**) .

من فوائد هذه الآية الكريمة: أن عاقبة المكذب لله ورسوله عاقبته وخيمة؛ لقوله: ((**فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين**)) .

ثم قال: ((**هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين**)).

هذا المشار إليه هل هو القرآن أو ما ذكر من قوله: ((**وسارعوا إلى مغفرة من ربكم** ...)) ؟

في هذا قولان للمفسرين؛ منهم من قال: إنه عائد إلى القرآن لجريان ذلك كثيرا في كتاب الله، كقوله تبارك وتعالى: ((**وهذا ذكر مبارك أنزلناه**)) وما أشبه ذلك من الآيات التي فيها الإشارة التي تعود إلى القرآن نفسه؛ فيكون هذا أي القرآن بيان للناس.

ومنهم من قال: إنه عائد إلى أقرب مذكور، إلى ما ذكر؛ لأن اسم الإشارة والضمير كلاهما يعودان على أقرب مذكور؛ ولكن الأولى الأول، أن يكون عائدا إلى القرآن كله؛ ومنه هذه الآية, لأن هذه الآية من القرآن؛ فإذا جعلنا هذا يعود على القرآن كله صارت من ضمنه ما ذكر في قوله: ((**وسارعوا إلى مغفرة من ربكم** ...))

وقوله: ((**بيان للناس**)) بيان مصدر, بل اسم مصدر بين يبين, المصدر ؟ تبيينا, مثل بدل يبدل تبديلا؛ ولكن البيان اسم مصدر, مثل كلم يكلم تكليما واسم المصدر كلام؛ وقوله: ((**هذا بيان**)) إذا قلنا إنه اسم مصدر فقد عبر باسم المصدر الذي هو البيان عن الموصوف بالبيان, وهذا من باب المبالغة أن يجعل الموصوف هو الصفة نفسها؛ إذا عبرنا بالصفة عن الموصوف فهذا من باب المبالغة كأننا سلبنا اتصافه بها حتى جعلناه هو نفس الصفة؛ ولهذا يقولون إن قول القائل: فلان عدل؛ أبلغ من قولهم: فلان ذو عدل؛ كأنه جعل هذا الموصوف هو الصفة؛ إذن فالقرآن ليس فيه البيان بل هو نفسه البيان؛ ((**هذا بيان للناس**)) من الناس ؟ كل الناس, كل من قرأ القرآن تبين له ما دل عليه القرآن؛ ولكن هل كل من بان له ذلك يهتدي ؟ لا؛ ولهذا قال: ((**وهدى وموعظة للمتقين**)) هدى بمعنى دلالة يستدل به المتقي؛ ((**موعظة**)) بمعنى امتثال لأن الموعظة هي تليين القلوب بذكر ما يخاف منه, أو ذكر ما يرغب فيه؛ فهو هدى يعني دلالة ؛ موعظة يعني امتثالا.

فوصف الله القرآن بثلاثة أوصاف: وصف عام؛ ووصفان خاصان؛ الوصف العام هو: بيان للناس؛ والخاصان: هدى وموعظة؛ فإنه لا يهتدي به إلا المتقون، ولا يتعظ به إلا المتقون؛ أما من ليس كذلك فهو عليهم عمى . والعياذ بالله . ولا يزدادون به اتعاظا, بل يقول الله عزوجل: ((**وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم**)) أي نجاسة إلى نجاستهم ((**وماتوا وهم كافرون**)) فسبحان الله كلام واحد يكون له هذا التأثير

المتباين؛ في قوم هدى وموعظة؛ وعلى قوم عمى ورجس؛ لأن القلوب بمنزلة الأراضي، الأراضي منها أرض طيبة تقبل الماء وتنبت الكلأ وينتفع بها الناس؛ ومنها أرض صلبة لا تشرب الماء ولكن تحفظ الماء فينتفع به الناس؛ ومنها أرض سبخة قيعان تشرب الماء ولكنها لا تنبت, فيزيدها الماء ضررا لأنها إذا كانت يابسة أمكن السير عليها وإذا كانت رطبة لا يمكن السير عليها تكون زلقا ودحرا ومع ذلك لا ينتفع بها الناس لا بماء تحبسه ولا بنبات تخرجه؛ فهكذا القرآن، القرآن بالنسبة للناس منهم من ينتفع به ويزداد هدى وتقوى؛ ومنهم من لا ينتفع به بل لا يزاد إلا عمى وضلالة لأنه كلما كذب بآية ازداد إثما وعقوبة .

((**ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون**)) لا هذه ناهية والفعل بعدها مجزوم بها بحذف النون تهنوا؛ وأصله تهنون, فحذفت النون من أجل الجزم؛ ((**ولا تهنوا**)) الخطاب لهذه الأمة وعلى رأسها نبينا صلى الله عليه وسلم وأصحابه؛ والوهن الضعف يعني لا تضعفوا كما قال الله تعالى: ((**ولا تهنوا في ابتغاء القوم**)) لا تضعفوا وتجبنوا؛ ((**ولا تحزنوا**)) على ما أصابكم؛ ((**وأنتم الأعلون**)) فذكر الله سبحانه وتعالى حال إقدامهم وحال إدبارهم؛ حال إقدامهم نهاهم عن الضعف, وهذا يعطيهم قوة وإقداما؛ وحال إدبارهم نهاهم عن الحزن؛ وهذا يعطيهم إعراضا عن ما ورائهم وعدم التفات إليه؛ ومعلوم أن الحزن يكون فيما يسوءه, والحزن على ما مضى لا يفيد الإنسان بل يفتر عزيمته ويقلق راحته ولا يستفيد منه بشيء؛ ولهذا نهاهم النبي صلى الله عليه وسلم عما يعوقهم حال الإقبال وعما يعوقهم حال الإدبار؛ كيف ذلك ؟ طيب أقول لا تهنوا هذا ما يعوق حال الإقبال والإقدام؛ فنهاهم عن الضعف يعني أقدموا لا تجبنوا لا تتأخروا؛ لا تحزنوا عما يكون سببا لتوقفهم في حال الإدبار؛ لأن الإنسان إذا حزن على ما مضى بقي قلقا لا يحسن التصرف؛ فنهاهم عن هذا وعن هذا .

ثم قال: ((**وأنتم الأعلون**)) وقد اختلف المفسرون في الواو هنا هل هي حال أو استئنافية ؟ ماذا ترون ؟ إذا قلنا إنها حال صار هذا النهي منحطا على الأمة مادامت هي العليا, يعني فإذا انخفضت فلها أن تهن ولها أن تحزن لأنها ضعيفة، لا يمكنها أن تتقدم ولا يمكنها أن تتسلى عما مضى؛ لأنها تتسلى بأي شيء ؟ أعرفتم إذا جعلناها حالا ماذا يترتب عليه ؟ طيب إذا جعلناها الواو استئنافية, ولا تهنوا ولا تحزنوا فأنتم الأعلون صار فيها تشجيع للأمة بأن لا يضعفوا ولا يحزنوا لأنهم هم الأعلون حتى لو أصيبوا بما يصابون به فيما تقتضيه حكمة الله بمداولة الأيام بين الناس؛ فإن العاقبة لهم؛ وعلى هذا فيكون هذا الوجه الثاني أقرب إلى الصواب وإن كان الوجه الأول محتملا .

وقوله: ((**وأنتم الأعلون**)) فيه إشكال من جهة الإعراب؛ لأن المعروف أن واو الجماعة يضم ما قبلها, فيقال: مسلمُون ولا يقال مسلمَون؛ وهنا قال: ((**وأنتم الأعلون**)) ولم يقل: وأنتم الأعلون ؟

الطالب: الواو حذفت الذي مضموم قبل, لأنه أصله أعلوون ...

الشيخ: سمعتم ؟ يقول: إن الألف أصلها الأعلون أصلها الأعلى حذفت الألف لالتقاء الساكنين؛ فالألف ساكنة والواو ساكنة؛ إذا حذفت الألف لالتقاء الساكنين يجب أن تبقى الحركة التي قبلها على ما هي عليه، والحركة التي قبلها ما هي؟ فتحة؛ لأنك لو ضممتها لم يتبين أن هناك ألفا محذوفة؛ لو ضممت اللام الأعلون ما تبين أن هناك ألفا محذوفة, فلابد من إبقاء الفتحة لتكون دالة على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين؛ إذا زال الإشكال؛ كذا ؟ ((**وأنتم الأعلون**)) .

السائل: في قوله تعالى: ((**فسيروا في الأرض**)) بعض الناس يستدل بهذه الآية على جمع آثار السابقين, وينفق الأموال على هذا, فهل يصح ؟

الشيخ: يقول إن قوله تعالى: ((**فسيروا في الأرض**)) يستدل به بعض الذين مغرمون بجمع الآثار, فيأخذون القطعة الأثرية التي لا تساوي قرشا بدراهم كثيرة؛ فهل يدخل في ذلك ؟ الجواب: لا, لا يدخل فيه؛ لأن هؤلاء الذي يجمعون الآثار لا يقصدون بها الاعتبار, وأن عاقبة من كانوا على هذا الوجه الدمار والهلاك؛ لكنها أشياء تميل إليها نفوسهم, كما أننا سمعنا ونسمع كثيرا أن من الناس من يجمع ... أو طوابع البريد حتى إنه يشترى الطابع الذي بخمسة قروش يمكن بخمسين ريالا؛

الطالب: ملايين الجنيهات الإسترلينية ؟ ستين مليون جنيه إسترليني يا شيخ ؟

الشيخ: لا حول ولا قوة إلا بالله؛ طيب على كل حال, الذين نرى أن هذه إن كان فيها مصلحة شرعية فلا بأس, وإلا فإن تركها أولى .

السائل: شيخ أحسن الله إليك ! ما الفرق بين السياحة والسير ؟

الشيخ: لا فرق بينهما؛

السائل: السياحة هي السير ؟

الشيخ: نعم السياحة في الأرض هي السير فيها ...

السائل: شيخ أحسن الله إليك ! من سار في الأرض لغرض شرعي كعلاج مثلا لكن صاحبه أمر محرم فهل يمنع من السير ؟

الشيخ: إذا كان لا يمكن أن يسير للعلاج إلا بارتكاب هذا المحرم صار هذا حراما, وذلك لأن العلاج بالمحرم حرام، العلاج بالمحرم حرام, لأن ارتكاب المحرم ضرر محقق, والشفاء من المرض مصلحة متوقعة غير متيقن؛ ولولا هذا لقلنا إن من احتاج إلى أكل لحم الخنزير للعلاج جاز له أن يأكله مع أنه لا يجوز؛ وهذا هو الفرق بين جواز

أكل لحم الخنزير للجوع وأكل لحم الخنزير للاستشفاء، الثاني حرام والأول جائز؛ لأن أكل اللحم عند الجوع يفيد قطعا, فإنه يدفع الجوع ويسد رمق الإنسان؛ لكن علاجه بالمحرم قد ينجح وقد لا ينجح؛ فهو يرتكب مفسدة محققة لتوقع مصلحة موهومة, وإن شئت فقل راجحة أيضا لكن ليس الراجح كالمتيقن؛ ولهذا جاء في الحديث: (**إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم**) وهذا حق؛ لكن لو فرض أن بعض الأدوية فيها شيء من لحم الخنزير إلا أنه لا يؤثر لا طعما ولا رائحة فهل يجوز أو لا ؟

الطالب: يجوز؛

الشيخ: يجوز ؟

الطالب: إذا يعرف أن هذه الأدوية فيها لحم الخنزير ما يأكل؛

الشيخ: أي يعرف، يعرف لكنه جزء يسير لا يؤثر؛ ما يجوز أبدا ؟ في أي حال من الأحوال ؟

الطالب: يجوز ...

الشيخ: أنا ضربته مثلا ولنفرض أن دواء فيه كحول, دعونا من لحم الخنزير, لكن هذه الكحول لا يظهر أثرها ولا طعمها, فهل تجوز؟ نقول: نعم، ونستدل لهذا بقول النبي عليه الصلاة والسلام: (**إن الماء طهور لا ينجسه شيء إلا ما غلب على طعمه ولونه وريحه**) وإن كان هذا الاستثناء ضعيفا لكنه متفق عليه، متفق بين العلماء على حكمه أن الماء طهور لا ينجسه إلا ما غير ريحه؛ فإذا كان الماء لا ينجس ويجوز تتوضأ به وتشربه فكذلك غيره؛ لكن استعمال لحم الخنزير أو شحم الخنزير على وجه لا يتعدى, يعني لا يأكله الإنسان هل هو جائز ؟ نقول: نعم يجوز؛ فلو فرض أن شخصا وصف له أن يدهن بشحم الخنزير وادهن به, ولكنه إذا أراد الصلاة سوف يغسله فإن ذلك جائز؛ وقد نص على هذا شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتاب الفتاوي وهو صحيح, يعني ما يضر, مثل دهن السفن بالشحم النجس وما أشبهه .

الشيخ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم؛ قال الله سبحانه وتعالى: ((**قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض**)) ما المراد بالسنن هنا يا آدم ؟ السنن يعني مثل صلاة تطوع وصيام التطوع ؟

الطالب: الأمم السابقة؛

الشيخ: الأمم السابقة، يعني السنن تطلق على الأمم هذا رأي؛ نعم الرأي الثاني ؟

الطالب: الطريق؛

الشيخ: الطرق, يعني مضت طرق الله عزوجل في المكذبين للرسل؛ نعم .

الشيخ: قوله: ((**سيروا في الأرض**)) هل المراد سير القدم أو القلب ؟

الطالب: كليهما؛

الشيخ: نعم كلاهما سير القلب وسير القدم .

الشيخ: هل يؤخذ من هذه الآية أنه ينبغي للإنسان قراءة التاريخ ؟

الطالب: نعم,

الشيخ: ؛ نعم لأن قراءة التاريخ سير في الأرض حقيقة .

الشيخ: قوله: ((**سيروا في الأرض**)) في هنا بمعنى ؟

الطالب: بمعنى على؛

الشيخ: بمعنى على, أليست في للظرفية ؟

الطالب: في للظرفية لكن يفسرونها على أنها بمعنى على لأنه لا يمكن السير في داخل الأرض ؛

الشيخ: يعني هي للظرفية في الأصل وتأتي لغير الظرفية بحسب السياق.

الشيخ: ما تقول في قوله صلى الله عليه وسلم: (**دخلت امرأة في هرة حبستها**) ؟

الطالب: من أجل؛

الشيخ: للسببية ؟

الطالب: نعم؛ يختلف حسب السياق .

الشيخ: تمام.

الشيخ: قوله تعالى: ((**فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين**)) أين مفعول انظروا ؟

الطالب: جملة كيف,

الشيخ: جملة كيف ؟ وأين خبر كان ؟

الطالب: خبر كان مقدم عليها؛

الشيخ: أين هو ؟

الطالب: كيف,

الشيخ: ((**كيف**)) مقدم . وهل التقديم هنا واجب أو جائز ؟

الطالب: واجب؛

الشيخ: واجب لماذا ؟

الطالب: لأن كيف اسم استفهام وأسماء استفهام لها الصدارة.

الشيخ: نعم صحيح, كيف خبرها مقدم وجوبا لأنه اسم استفهام, والاستفهام له صدر الكلام .

الشيخ: قوله تعالى: ((**هذا بيان للناس**)) هذا المشار إليه ؟ القرآن؛ فيها رأي آخر؟

الطالب: هناك رأي آخر أنه الكلام الذي سبق هو بيان, والأول أن القرآن بشكل عام,

الشيخ: القرآن عموما؛ وأيهما أولى ؟

الطالب: الأقرب القرآن,

الشيخ: الأولى أن نقول القرآن لأنه أعم، كلما كان أعم فهو أولى لأنه أشمل.

الشيخ: لماذا فرق بقوله: ((**بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين**)) ؟

الطالب: لأن بيان وصف عام فهو للمؤمن ولغير المؤمن؛ ولكن الله سبحانه وتعالى من يهديه يكون له هدى وموعظة, ومن لا يهديه يكون له بيانا؛

الشيخ: يعني لأنه بيان للجميع ؟ ولكن لا يهتدي به ويتعظ به إلا المتقون.

الشيخ: هنا أطلق البيان ((**هذا بيان للناس**)) إذا قلنا إنه القرآن في أي شيء يكون البيان هل هو في كل شيء وإلا في مسائل العبادات فقط ؟

الطالب: لا, في جميع الأشياء في القصص وفي الأحكام وفي العقائد؛

الشيخ: في كل شيء, هل عندك دليل من القرآن على أنه عام لكل شيء ؟

الطالب: نعم, قوله تعالى: ((**ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء**))

الشيخ: واضح .

قال الله تعالى: ((**هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين**)). يستفاد من هذه الآية الكريمة: أن القرآن بيان للناس في كل شيء؛ فهو عام من حيث التبيين، عام من حيث المبين له؛ المبين له نأخذ العموم من قوله: ((**للناس**)), والتبيين من كونه حذف المتعلق، وحذف المتعلق يدل على العموم، هذا بيان للناس في كل شيء؛ ويؤيد هذا الآية التي ذكرناها آنفا وهي قوله تعالى: ((**ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء**)) .

من فوائدها: أن القرآن صالح للهداية من المؤمن والكافر؛ لقوله: ((**للناس**)) فهو يشمل المؤمن والكافر .

من فوائدها أيضا: أنه علم لكن للمتقين, يعني لا ينتفع به إلا المتقون؛ لقوله: ((**وهدى وموعظة للمتقين**)) .

ومن فوائدها أيضا: أن من لم يتعظ بالقرآن فليتهم نفسه؛ من أين تؤخذ ؟ من قوله: ((**للمتقين**)) فإذا لم تتعظ بالقرآن فاتهم نفسك فإن فيك بلاء, كما أن من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فليتهم نفسه, فإن صلاته قاصرة, لأن الذي أخبر بأن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر هو الله عزوجل, وخبره صدق مطابق للواقع؛ فإذا

علم الإنسان من واقع نفسه أن صلاته لا تنهاه عن الفحشاء والمنكر فليتهم نفسه لأن خبر الله لا يتهم؛ ولهذا قال بعض السلف: " **من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فإنها لا تزيده من الله إلا بعدا** " نسأل الله العافية ونسأل الله أن يعيننا. هنا إذا لم تتعظ بالقرآن فاتهم نفسك بأنك غير متقي؛ لأن المتقي لابد أن يتعظ بالقرآن .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: فضيلة التقوى؛ وأنها سبب للاهتداء والاتعاظ بالقرآن .

ومن فوائدها: أنه كلما ازداد الإنسان تقوى ازداد هدى وموعظة؛ وجهه ؟ أن الحكم المعلق بوصف يقوى بقوته ويضعف بضعفه؛ فإذا كان الهدى والموعظة معلق بالتقوى فإنه لابد أن يزداد ويقوى بالتقوى, ويضعف وينقص بعدم التقوى .

ثم قال الله تعالى: ((**ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين**)) . في هذه الآية: نهي المؤمنين عن الوهن؛ ما أخذنا فوائدها ؛ ما فسرناها ؟ طيب ما يخالف.

((**ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون**)) الإنسان في الحقيقة بين زمنين: زمن ماضي وزمن مستقبل؛ فإذا فاته الخير أو حصل له الشر في الزمن الماضي فحاله الحزن، يحزن على ما مضى؛ في المستقبل إذا ضعف وجبن فاته من الخير بقدر ضعفه وجبنه؛ ولهذا قال: ((**لا تهنوا**)) يعني عن العمل في المستقبل ((**ولا تحزنوا**)) عما جراكم في الماضي؛ فما جرى عليكم في الماضي لا تحزنوا لأنكم أنتم الأعلون، ومن كان الأعلى فستكون العاقبة له؛ ما كان مستقبلا لا تضعفوا فيه ولا تجبنوا فيه؛ لأن العاقبة لكم حيث إنكم أنتم الأعلون .

وقوله: ((**ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون**)) ذكرنا أن هذه الجملة تصلح أن تكون حالية, يعني والحال أنكم أنتم الأعلون, لأن الأعلى لا يليق به أن يضعف أو يحزن؛ وذكرنا أنه يحتمل أن تكون استئنافية يقرر الله فيها علو المؤمنين؛ وإذا تقرر علوهم فإن حالهم تقتضي أن لا يهنوا ولا يحزنوا؛ والمعنيان متلازمان لأن من اعتقد أنه الأعلى فسوف لا يجبن ولا يحزن؛ ومن كانت حاله العلو فإنه كذلك لن يضعف ولن يحزن .

وقوله: ((**إن كنتم مؤمنين**)) هذه شرط، شرط للعلو, يعني أنتم الأعلون في حال كونكم مؤمنين؛ والإيمان كما تعلمون أخص من الإسلام؛ لأن الإسلام يقع من المنافق ومن ضعيف الإيمان؛ والإيمان لا يكون إلا من كامل الإيمان، من المؤمن حقا؛ ولهذا قال الله تعالى: ((**قالت الأعراب آمنا**)) شف الأعراب البادية تقول آمنا: ((**قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا**)) لماذا ؟ قال: ((**ولما يدخل الإيمان في قلوبكم**)) حتى الآن لم يدخل الإيمان في القلب، عندكم إسلام لكن ليس عندكم إيمان إلا أن الإيمان قريب منكم؛ لأن قوله: لما، حرف نفي يدل على قرب المنفي, يعني أن الإيمان قريبا ما يدخل قلوبكم؛ أما الآن فلا؛ طيب إذا نحن نقول هذه الأمة هي

العليا بشرط؛ إيش ؟ بشرط الإيمان؛ أما إذا لم يكن لديها إيمان فليس لها عهد عند الله بنصر؛ لأن العهد الموثق بين الله وبين عباده في النصر هو أن يكون النصر متبادلا: ((**يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم**)) ((**ولينصر الله من ينصره إن الله لقوي عزيز**)) أما إذا لم يكن منا نصر لله عزوجل فإن نصر الله قد يتخلف يعني ليس بمضمون.

إذا أنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين؛ علامة الإيمان أو علامات الإيمان كثيرة منها: أن لا يخاف الإنسان في تنفيذ حكم الله أحدا من الخلق؛ أن لا يخاف الإنسان في تنفيذ حكم الله أحدا من الخلق؛ فإن خاف أحدا من الخلق فليس بمؤمن؛ ودليل ذلك قوله تعالى: ((**إنما ذلكم الشيطان يخوف أوليائه فلا تخافوهم وخافوني إن كنتم مؤمنين**)) يخوف أوليائه يعني يوقع الخوف على أوليائه ؟

الطالب: لا,

الشيخ: ولهذا نقول إن قوله: ((**أوليائه**)) مفعول ثاني ليخوف، والمفعول الأول محذوف وتقدير الكلام: يخوفكم أوليائه يعني يوقع الخوف في قلوبكم من أوليائه؛ واضح ؟ قال تعالى: ((**فلا تخافوهم وخافوني إن كنتم مؤمنين الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم**)) فماذا قالوا ؟ ((**وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل**)) فإذا خوف الإنسان أوليائه وهم الكفار فإنه لا يجوز لنا أن نخافهم، لا يجوز أن نخافهم, بل نفعل ما أمرنا الله به؛ ولكن أمر الله سبحانه لنا بقتال الكفار إنما يكون حين يكون لدينا قوة نستطيع أن نقاتلهم بها؛ أما أن نقاتلهم بسلاح دون سلاحهم وأقل من سلاحهم بكثير فإن هذا يعتبر تهورا؛ ولهذا لم يؤمر المؤمنون بالجهاد إلا حين صار لهم شوكة وقوة؛ فأما إذا لم يكن فلا؛ لكن هذا يستلزم أنه يجب علينا أن نتسلح لقتالهم حتى يكون الدين لله؛ والخطاب هنا في إيجاد التسلح لولاة الأمر لا لأفراد الناس, لأن أفراد الناس لا يستطيعون القيام بهذا؛ لكن ولاة الأمور من المسلمين يجب عليهم أن يكونوا جيشا عرمرما مسلحا من أحدث الأسلحة من أجل أن يقاتل: ((**الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون**))؛

لكن مع الأسف أننا اليوم فقدنا حتى السلاح الدعوي، حتى الدعوة لدين الإسلام لا نجد أحدا يدعوا كما ينبغي، بينما نجد النصارى على قدم وساق في الدعوة إلى ما هم عليه من الباطل, يبذلون الأموال الكثيرة, ويغررون بأنفسهم في المجاهيل في الطرقات في البراري, يحمل القسيس منهم كسرة خبز وجرة ماء ويضرب الفلوات من أجل أن يدعوا واحدا من المسلمين إلى أن يكون نصرانيا؛ أما نحن فمع الأسف الشديد أننا لا نحمل هذه

القوة المعنوية في نفوسنا مع أننا نحن إذا دعونا إلى الحق فإن ديننا ولله الحمد إذا عرض عرضا صحيحا في الدعوة وعرضا صحيحا في التطبيق فإن ذلك كفيل بأن يدخل الناس في دين الله أفواجا .

الشيخ: فإن ديننا ولله الحمد إذا عرض عرضا صحيحا في الدعوة وعرضا صحيحا في التطبيق فإن ذلك كفيل بأن يدخل الناس في دين الله أفواجا؛ أما إذا كنا ندعو إلى الصدق مثلا ونحن من أكذب عباد الله إيش هذا ؟ هذه دعوة ؟ لا؛ لأيش ؟ كيف تدعو إلى الصدق وأنت كذاب ؟ إذا كنا ندعو للوفاء بالعهد ونحن من أغدر الناس, هذا تلاعب؛ إذا كنا ندعو لحفظ الأمانة ونحن من أخون الناس ليس هذا بصحيح؛ إذا كان ديننا ينهى عن الربا ومنا من يرابي، كيف الدعوة أين الدعوة ؟ إذا لم تمثل الدعوة بحال الداعي تطبيقا تاما بقدر المستطاع فإنه سينقص من قبول الناس بقدر ما نقص من تطبيقه؛ ولهذا نقول إن الله شرط قال: ((**أنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين**)) وصدق الله ورسوله؛ هل الأمة الإسلامية اليوم هي العليا ؟

الطالب: لا؛

الشيخ: لا, تعرفون كلمة لا ويش معناها ؟ هل الأمة الإسلامية اليوم هي العليا ؟ لا؛ لأيش ؟ لأن الإيمان ناقص؛ واشتراط أن تكون الأمة العليا اشتراط الإيمان؛ فإذا لم يوجد الإيمان فستتأخر, وسيكون من سوانا ممن لديه قوة مادية هو الأعلى؛ أنا أقول لكم إن الإنسان إذا كان عنده إيمان وفعل ما يجب عليه من الاستعداد المادي كما فعل الرسول وأصحابه عليه الصلاة السلام فسينصرون على عدوهم بقوة لا طاقة لهم ولا لعدوهم بها؛ لكن بشرط أن يبذلوا الجهد بالسلاحين: سلاح الإيمان والسلاح المادي بقدر المستطاع؛ وإذا شئتم مثلا على ذلك فانظروا إلى غزوة خندق، غزوة الخندق اجتمع على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في المدينة عشرة آلاف مقاتل من مختلف العرب, وبأقوى سلاح ومعهم القوة العظيمة التي لا تقابلها قوة المسلمين من حيث القوة المادية؛ ففعل المسلمون كلما يستطيعون من الدفاع عن أنفسهم إلى حد أنهم حفروا خندقا, قاموا بالواجب, ولكن مع ذلك حوصروا نحوا من شهر؛ فما الذي حصل ؟ أتى الله عزوجل بقوة لا قبل للكفار فيها ولا للمسلمين أيضا, ليس لهم فيها حول؛ ما هي ؟ الريح، ريح شديدة باردة, وهي الريح الشرقية التي قال عنها الرسول صلى الله عليه وسلم: (**نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور**) ريح شديدة باردة, وجنودا من الملائكة تلقي الرعب في قلوب هؤلاء حتى رحلوا بين غروب الشمس وشروقها؛ كانت الريح تكفؤ قدروهم وتهدم خيامهم وتقلقهم إقلاقا عظيما, حتى إن أبا سفيان وكان قائد الجيش في ذاك الوقت كان يتصلى على النار مع أن النار غير مستقرة من شدة الهواء؛ وكان حذيفة بن اليمان قريبا منه يقول: لو شئت لرميته بالسهم حتى يموت؛ لكن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: (**لا تحدث شيئا**) شف لو كان من هؤلاء الشباب قال: هذا جابه الله ورماه؛ لكن امتثال أمر النبي عليه الصلاة والسلام الذي هو الحكمة منعه وإلا كان قتله سهلا؛ فقال أبو سفيان: لينظر كل واحد منكم جليسه من هو؛ خاف أن يكون أحد من الناس من غير الجيش؛ يقول حذيفة: فأمسكت بيد رجل قريب مني

وقلت: من أنت ؟ هذا من ذكائه؛ لماذا ؟ لئلا يسبق ذاك ويقول لحذيفة: من أنت ؟؛ فالمهم على كل حال إني أقول إن المسلمين إذا بذلوا ما يستطيعون من القوة المعنوية وهي الإيمان, والقوة المادية وهي ما أمر أن يعدوه للكفار فإنهم سينصرون بقوة لا قبل لهؤلاء بها؛ عرفتم ؟.

سمع رجل شخصا يقول: ((**ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وأتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور**)) فقال له: هذه الأوصاف الأربعة: أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر؛ هذه الأوصاف كيف تقابل القنابل الذرية والهدروجينية والكيماوية وغير ذلك ؟ ماذا نجيب ؟

ختم الآية: ((**ولله عاقبة الأمور**)) من الذي يملك عواقب الأمور ؟ الله عزوجل؛ ولهذا قدم الخبر: ((**ولله عاقبة الأمور**)) إذا كان الذي يملك عاقبة الأمور هو الله فما أيسر هذه الأسلحة على الله عزوجل؛ قادر سبحانه وتعالى على أن يزلزل أرضهم بهم وبسلاحهم، رجفة تفنيهم عن آخرهم؛ أليس كذلك ؟ فيضانات تدمرهم، رياح تحملهم مثل ما حملت قوم هود؛ فيجب على الإنسان أن يعلم أنه إذا بذل ما يجب بذله من الإيمان والقوة المادية حسب ما أمر أنه سينتصر مهما كان؛ لكن مع الأسف أن اليقين عندنا ضعيف بل الإيمان ضعيف؛ فقد فقدنا الإيمان والعمل الصالح والحكمة وتأخرنا هذا التأخر.

إذا أنتم الأعلون متى ؟ إن كنتم مؤمنين .

الفوائد: ينهى الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين عن الوهن، عن العمل في المستقبل؛ وعن الحزن على ما مضى؛ لأن هذا في الحقيقة كما أنه خلاف الشرع فهو خلاف العقل؛ وجهه ؟ أن الحزن على ما فات لا يرد الفائت؛ أليس كذلك ؟ لو تحزن ليلا ونهارا على ما مضى لم تغير شيئا، الذي مضى وقع كما هو لن يتغير؛ ولهذا كان من الحزم أن لا يحزن الإنسان على شيء مضى, بل يقول: قدر الله وما شاء فعل؛ كذلك الضعف عن المستقبل والوهن والخور كما أنه خلاف الشرع فهو خلاف العقل؛ لأن العقل يقتضي أن تقابل الأمور بجد وحزم؛ وفي الحديث: (**الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني**) .

من فوائد هذه الآية: أنه ينبغي للإنسان في غير أعمال الحرب والجهاد أن يكون قوي العزيمة لا يضعف ولا يجبن؛ وكم من إنسان ضعف وجبن ففاته خير كثير؛ ولو أقدم لحصل على خير كثير لأن المستقبل لا تدري ما النتيجة فيه .

ومن فوائد هذه الآية: أن هذه الأمة هي العلياء بشرط أن تؤمن؛ لقوله: ((**وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين**)) .

ومن فوائدها: التلميح بالتوبيخ إذا حصل الوهن أو الحزن لاسيما إذا قلنا إن الواو هنا واو الحال يعني كيف يليق بكم أن تهنوا وتحزنوا وأنتم الأعلون؛ لأن الأعلى لا يليق به أن يهن أو أن يحزن .

ومن فوائد هذه الآية: أنه كلما ازداد إيمان الأمة ازدادت علوا؛ من أين تؤخذ ؟ لأنه رتب العلو على الإيمان؛ والمرتب على الشيء يزيد بزيادته وينقص بنقصه .

وهذه الآية قريب منها قوله تعالى: ((**هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله**)) ليظهره يعني ؟ يبينه ويعليه؛ ومنه قولهم: ظهر على الجبل يعني علا عليه؛ ومنه ظهر الحيوان وهو أعلى الحيوان؛ إذا ((**ليظهر على الدين كله**)) ليعليه؛ فإذا أردت أن تعلو على البشر فخذ بهذا الدين, لأن هذا الدين لابد أن يكون هو الدين العالي على كل شيء .

ثم قال الله تعالى مسليا الصحابة رضي الله عنهم بقوله: ((**إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله**)) ((**إن يمسسكم قَرح**)) وفيها قراءة: ((**قُرح**)) في الموضعين: ((**فقد مس القوم قُرح مثله**)) فقيل معناهما واحد وأن القَرح والقُرح هو الجرح؛ وقيل: إن القُرح الجرح والقَرح ألم الجرح؛ والقولان وإن قلنا باختلافهما متلازمان؛ لأن القَرح من لازم الجرح الذي هو القُرح؛ فالإنسان المقروح لابد أن يكون متألما, يعني إن يمسسكم جراح وألم فقد مس القوم قَرح مثله يعني جراح وألم؛ بل قال الله تعالى في نفس سياق الآيات: ((**أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم**)) فإذا كان أصابتكم مصيبة فقد أصبتم مثليها في أحد قتل منكم سبعون لكن في بدر قتل من عدوكم سبعون وأسر سبعون ضعف؛ هنا يقول: ((**فقد مس القوم قرح مثله**)) وفي هذا تسلية للمؤمنين لأن الإنسان إذا علم أن عدوه أصابه مثل ما أصابه فإنه تهون عليه المصيبة؛ تقول الخنساء وهي ترثي أخاها صخرا :

ولولا كثرة الباكين حولي على إخوانهم لقتلت نفسي

وما يبكون مثل أخي ولكن أسلي النفس عنه بالتأسي

صح ؟ وإلى هذا أشارة الله في القرآن فقال: ((**ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم في العذاب مشتركون**)) فاشتراككم في العذاب لم ينفعكم ولم يخفف عنكم الألم؛ طيب لكن الله عزوجل يقول للمؤمنين إن كنتم قد أصبتم بقَرح فقد أصيب عدوكم بقرح مثله؛ بل في آية أخرى يقول الله عزوجل: ((**ولا تهنوا في ابتغاء القوم**)) شف التسلية أعظم ((**ولا تهنوا في ابتغاء القوم**)) أي في طلبهم, يعني لا تضعفوا في طلبهم, اطلبوهم اقتلوهم: ((**إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون**)) صدق الله؛ أليس كذلك ؟ ويش بعد ؟ ((**وترجون**)) هذه النكتة ((**وترجون من الله ما لا يرجون**)) هذه الفائدة العظيمة؛ هم لا يرجون شيئا, إنما يريدون علوا واستكبارا،

خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس؛ وأنتم ترجون أيش ؟ ترجون الجنة، ترجون الشهادة؛ ولهذا قال: ((**ترجون من الله ما لا يرجون**)) والصحابة ماذا قالوا لأبي سفيان في أحد لما قال: يوم بيوم بدر والحرب سجال, يعني مرة لنا ومرة علينا؛ قالوا: لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار . والعياذ بالله .؛ إذا فالمؤمنون لا يظنون أن عدوهم لا يصيبه ألم لا يصيبه قرح، يصيبه؛ لا يهولهم دعايته الكاذبة أنه سيفعل ويفعل ويفعل، لا، لا يهولهم؛ إذا قتل منهم واحد ذاقوا ألم هذا المقتول كما أنه لو قتل منا واحد فإنا ذوقنا ألمه, لكن نحن نرجو من الله ما لا يرجون؛ ولهذا قال: ((**إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله**)) هذه بهذه.

ثم قال: ((**وتلك الأيام نداولها بين الناس**)) تلك اسم إشارة يعني هذه الأيام نداولها بين الناس يعني نجعلها دولا, تارة يدال هذا على هذا وتارة يدال هذا على ذاك؛ وانظر إلى قوله: ((**نداولها**)) حيث أتت بصيغة نون العظمة إشارة إلى أن الله عزوجل لكمال سلطانه وكبريائه يديل الناس بعضهم على بعض؛ فتارة تكون الأيام لهؤلاء وتارة تكون الأيام لهؤلاء؛ فالله عزوجل هو الذي بيده الأمر, حتى إن الدولة تكون في بعض الأحيان لأعدائه على أوليائه لحكم يريدها, بين الله في قوله: ((**وليعلم الله الذين آمنوا** ...)) .

السائل: جهاد الكفار الآن بعض الدول توافق على الجهاد وبعض الدول تعارضهم في هذا الأمر, إذا كانت دولة واحدة للمسلمين يعني رئيسهم واحد كان ممكن أن يتفقوا على الجهاد ويغلبوا على الكفار, لكن الآن الخروج للجهاد صعب جدا ... ؟

الشيخ: يا آدم هل عندك أمة إسلامية الآن على حسب ما يريد الله منها ؟ أسألك الآن: هل عندك أمة على حسب ما يريد الله منها ؟

السائل: إلا من رحم؛

الشيخ: أجب ذكرت المستثنى دون المستثنى منه ؟

السائل: أما بالنسبة للحكام لا؛

الشيخ: لا, حتى بالنسبة للشعوب؛ ألم تعلم أنه يوجد أناس ينتسبون إلى الإسلام في بلاد أخرى ويقولون عن علماء السعودية ما يقولون ؟ إذا الخلاف ما هو الحكام فقط حتى بين العلماء حتى بين المبادئ؛ الآن الذي يدعوا إلى التوحيد يسمى وهابيا متشددا متصلبا متعنتا متنطعا؛ وين الأمة الإسلامية ؟ يعني يخشى أن الأمة الإسلامية تقوم الحرب بينها؛ هذه المشكلة، المسألة تحتاج إلى علاج من الجذور؛ ويا حبذا أن يجتمع علماء المسلمين بنية صادقة وإخلاص ونصح لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ويدرسوا أوضاع المسلمين,

السائل: ويجعلوا الرئيس واحدا فقط .

السائل: الجهاد قد مات في قلوب الناس فإن العوام كثير منهم لا يعلمون أن الجهاد كتب على هذه الأمة بأنه فرض, وعندما يسمعون عن الجهاد كأنها قصص خيالية لأننا يا شيخ نشاهد العلماء لا يحكون للناس ولا يطالبون بفريضة الجهاد كما يطالبون بالفرائض الأخرى, فلماذا هذا الابتعاد الشديد عن الجهاد وعن تبيينه ... ؟

الشيخ: هو لاشك أنه يجب أن يبين أن الكفار أعداء لنا وأنه يجب أن نستعد لهم وأن نخشى شرهم، وأنهم أحيانا يدسون السم في العسل؛ بل كثيرا لكن مع الأسف ما عندنا هذا, يعني أحكام الجهاد التي كتب عنها الفقهاء رحمهم الله كتابات, كتب مؤلفة ما يعرفها عامة طلبة العلم, ما يعرفونها؛ ولولا أزمة الخليج، أزمة الخليج بدأ الناس يتلمسون شيئا من الجهاد مسألة أو مسألتين ...

السائل: ... كيف نعد العدة لمواجهة الكفار ونحن لا نستطيع أن نصل إلى ما وصلوا إليه من التخطيط ؟

الشيخ: لكن نحن أصلا ما فكرنا بهذا, يعني حتى الآن أنا أقول حتى بعض الدول العربية التي تكون جيوشا وأسلحة ما أظن أنه يطرأ على بالها أنها تكون هذه لجهاد الكفار؛

السائل: ما فيه شك،

الشيخ: ما في شك؛ فإذا الأساس من أصله خربان؛ أنت الآن لو بنيت جدارا من طين على بركة، بركة ماء يصمد للسقف الذي يبنى عليه الجدار ؟ يمكن ما تعرفون الطين والماء ؟ يسقط ؟ نعم، تحتاج إلى نيه؛ لو تسأل كثيرا من قادة العرب الآن أو قادة المسلمين لماذا تكون جيشا, قال: أخاف من جيراني؛ أو يخاف من شعبه أن يثوروا عليه, وهو يريد أن يبقى على الحكم؛

السائل: هل نيأس ونستسلم على هذا ؟

الشيخ: لا، ما نيأس، الحمد لله الآن، الآن فيه تفتح؛ وفي حرب الخليج هذه فيه ناس من السعوديين ومن غير السعوديين من أبناء الخليج نسمع عنهم أنهم لا يركبون إلا باسم الله, ولا يقاتلون إلا باسم الله, وأنهم يصلون قبل أن يركبوا الطائرات مثلا أو قبل أن يركبوا المراكب، كل هذه طيب ، فيه . وللحمد لله . صحوة جيدة الآن.

السائل: شيخ أحسن الله إليك ! الله سبحانه وتعالى يقول: ((**هذا بيان للناس**)) يعني القرآن نزل بلغة العرب بيانا للناس, فيكيف بالنسبة للعجم الذين هم من غير العرب ؟

الشيخ: الجواب على هذا وهو إشكال في محله يقال: كيف كان القرآن وهو عربي بيانا للناس كلهم, وفيهم العجم الذين لا يعرفون لغة العرب ؟ نقول لأن هؤلاء سيقيظ لهم من يبلغهم إياه؛ ولهذا كثير من علماء المسلمين الآن الذين لهم قدم صدق في العلم والدين كثير منهم عجم؛ إن شئتم فاعجبوا أن المرجع الوحيد لأكثر الناس في اللغة العربية كان الذي ألفه أعجمي الفيروز آبادي القاموس المحيط، القاموس المحيط مرجع غالب الناس الآن في اللغة

إليه؛ في النحو من إمام البصريين ؟ سيبويه، سيبويه معناه في اللغة الأعجمية وأظن أخ هداية الله يعرفه: رائحة التفاح؛ صح ؟ أي نعم؛ فالحاصل الحمد لله العجم بلغهم القرآن، بواسطة ما هو لازم أنهم يأخذون من القرآن نفسه, وبعضهم تعرب وصار لسانه عربيا .

السائل: ذكرنا في سياق الآيات أنه ينبغي للمسلمين ألا يقاتلوا حتى يستعدوا بقوة الإيمان والقوة المادية؛ بينما سمعنا أن الجهاد في أفغانستان بدأ بقلة قليلة, يعني أربعة أشخاص حقق نتائج باهرة جدا؛ كيف هذا الأمر ؟.

الشيخ: أي نعم ما في مشكلة؛ لأن هؤلاء تعرف أن قتال الأفغان عندهم استعداد وقوة, لأن طبيعة بلادهم صالحة لحرب العصابات, وهم بدؤوا هكذا, فبدؤوا يأخذون شيئا فشيئا وفي رؤوس الجبال قمم الجبال وفي المغارات وفي الأشجار وغيرها وحصلوا على خير كثير .

السائل: هل هذا منطلق للجهاد لعامة الأمة ؟

الشيخ: ما أكثر المنطلقات لكن نسأل الله أن يسهل منطلق، منطلق بفتح اللام واجد, لكن بكسر اللام مكسور الجناح, إن شاء الله يكون إن شاء الله .

السائل: شيخ قول النبي صلى الله عليه وسلم: (**لن يغلب اثنا عشر ألفا من قلة**) فكيف موقفنا من هذا الحديث ونحن الآن عندنا الجيش السعودي أكثر من هذا العدد بكثير, وعندهم من الآليات الحربية أكثر من اثني عشر ألف, فكيف هذا ؟

الشيخ: أي لكن معناه لكنها قد تغلب من غير قلة، قد تغلب من جهة أخرى, مثل ما ذكرنا للأخ عبد المنان, الجدار من الطين مقام على بركة ماء؛

السائل: لكن شيخ الآن الحمد لله فيه خير كما سمعنا منك الآن ؟

الشيخ: لكن عددهم كم ؟ لو قدرنا أنهم أربعين خمسين مائة.

الطالب: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ((**ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤتها منها وسنجزي الشاكرين**)) .

الشيخ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. قال الله عزوجل: ((**إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين**)) أظننا لم نكمل هذا ؟

سبق لنا أن المراد بقوله تعالى: ((**إن يمسسك قرح فقد مس القوم قرح مثله**)) أن المراد به التسلية, أي أنه إذا كنتم أصبتم في أحد فإن القوم قد أصيبوا بقرح مثله، في نفس الغزوة أيضا قتل من المشركين من قتل وهزموا لولا أن الله سبحانه تعالى أراد بحكمته أن يخالف بعض الجند مع النبي صلى الله عليه وسلم الموقف الذي أمرهم به النبي صلى الله عليه وسلم فحصل فيما بعد أن كان خلاف المراد .

قال الله تعالى: ((**وتلك الأيام نداولها بين الناس**)) تلك الأيام المشار إليه هنا بعيد ولكنه في الحقيقة قريب لأن الأيام هي الزمن فهي قريب؛ لكن لما كانت الأيام منها ما هو بعيد ومنها ما هو بعيد غلب جانب البعد: ((**تلك الأيام نداولها بين الناس**)) أي نجعلها بينهم دولا فمرة تكون الدولة لهؤلاء على هؤلاء, ومرة تكون الدولة لهؤلاء على هؤلاء؛ ففي بدر كانت الدولة على المشركين وفي أحد كانت الدولة على المؤمنين؛ فهذا مرة وهذا مرة لحكم عظيمة بينها الله سبحانه وتعالى فيما بعد؛ وقوله: ((**نداولها بين الناس**)) يشمل مداولتها بين أمة وأمة, ويشمل كذلك مداولتها في الإنسان الواحد؛ فالإنسان يجد يوما سرورا ويجد يوما آخر حزنا؛ كما قال الشاعر:

فيوم علينا ويوم لنا ويوم نساء ويوم نسر؛

فالدنيا هكذا لا تبقى على حال واحدة؛ ولهذا يقال: دوام الحال من المحال؛ فالأيام دول .

وقوله: ((**وليعلم الله الذين آمنوا منكم**)) الواو هنا حرف عطف فما هو المعطوف عليه ؟ هل هي الجملة التي سبقت: ((**وتلك الأيام نداولها بين الناس**)) ؟ نقول لا؛ لأن: ((**وليعلم**)) تعليل للجملة التي قبلها وهي: ((**وتلك الأيام نداولها بين الناس**)) والعلة غير المعلول, ولا يصح عطفها عليه لأن العلة هي السبب في وجود المعلول؛ إذا فهناك شيء معطوف عليه فيقدر بما يناسب الحال؛ فالذي يناسب هنا أن نقول إن التقدير ليتبين بذلك تمام سلطان الله عزوجل، نداولها بين الناس ليتبين بذلك تمام سلطان الله, وأن الله عزوجل هو الذي له الحكم, يحكم في عباده بما يشاء, فيخذل أقواما وينصر آخرين، ويأتي بالعسر ويأتي باليسر حتى يتبين بهذا تمام سلطانه سبحانه وتعالى, حتى المخلوقات بعضها فيها خير وبعضها فيها شر, كل هذا ليظهر للناس تمام السلطان للعلي الكبير سبحانه وتعالى؛ ((**وليعلم**)) إذا فالواو هنا حرف عطف والمعطوف عليه يا خالد ؟ محذوف تقديره: ليتبين بذلك تمام سلطان الله .

((**وليعلم الله الذين آمنوا**)) وليعلم الله الذين آمنوا علم وجود, وعلما يترتب عليه الجزاء؛ وإنما قلنا ذلك لأن الله تعالى قد علم الذين آمنوا قبل أن يؤمنوا, فإن علم الله بالأشياء علم أزلي قديم, يعلم سبحانه وتعالى ما كان وما يكون إلى يوم القيمة, لكن يعلمه علم وجود أي يعلمه موجودا؛ أما العلم السابق فإنه يعلمه أنه سيوجد؛ وهناك فرق بين علمه الشيء موجودا حال وجوده وبين علمه الشيء بأنه سيوجد هذا واحد؛ الثاني: يعلمه علما يترتب عليه الجزاء؛ وذلك حين يوجد الإيمان أو يفقد؛ أما علم الله السابق فإنه لا يترتب عليه الجزاء, وذلك لأن المؤمن لم يكن موجودا بعد حتى يجازى أو لا يجازى؛ وبهذا يزول الإشكال الوارد على مثل هذه الجملة, ويحصل به الجواب عن الإشكال وهو أن يقال: إن الله تعالى قد علم الذين آمنوا من قبل, فإنه سبحانه وتعالى كتب في اللوح المحفوظ مقادير كل شيء إلى يوم القيمة, وقد علم المؤمن من غيره من قبل فكيف يقول: ((**وليعلم**)) ؟ ما الجواب ؟ أن نقول ليعلم علم وجود أي بأن الشيء وجد, وتعلق العلم بالموجود غير تعلقه بالمعدوم الذي سيوجد؛ أليس كذلك ؟ الثاني ؟ أن يعلمه علما يترتب عليه الجزاء, لأن علمه السابق بأنه سيوجد لا يترتب عليه الجزاء.

وقوله: ((**وليعلم الذين آمنوا**)) كيف ذلك ؟ لأن المؤمن يرضى بهذه المداولة بمداولة الله الأيام بين الناس، يرضى بها رضا تاما: (**إن أصابته ضراء صبر وإن أصابته سراء شكر**) ويعلم أن ذلك بتقدير الله فيرضى ويسلم؛ غير المؤمن بالعكس إن أصيب بسراء أشر وبطر, وإن أصيب بضراء ضجر وتسخط، يقول الله سبحانه وتعالى: ((**ومن الناس من يعبد الله على حرف**)) أي على طرف: ((**فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة**)) والفتنة هنا المراد بها ضد الخير: ((**وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة**)) وكم من إنسان ارتد لأنه أصيب بمصيبة والعياذ بالله؛ إذا: ((**وليعلم الله الذين آمنوا**)) كيف كان هذا العلم ؟ نقول: لأن المؤمن يرضى بمداولة الله الأيام بين العباد, إن أصابته ضراء صبر أو سراء شكر؛ غير المؤمن بالعكس لا يرضى بقضاء الله وقدره؛ يقول: ((**لو أطاعونا ما قتلوا**)) ((**لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا**)) وما أشبه ذلك، هذه واحدة؛ الحكمة الثانية: أقول الثانية أو الثالثة ؟ الثالثة: ألم نقل إن قوله: ((**وليعلم**)) معطوف على مقدرة, التقدير: ليتبين تمام سلطانه وليعلم.

إذا الحكمة الثالثة: قال: ((**ويتخذ منكم شهداء**)) انظر إلى هذا التعبير، لم يقل: وليوجد؛ بل قال: ((**ويتخذ منكم شهداء**)) فهؤلاء الشهداء اتخذهم الله واصطفاهم لنفسه جل وعلا؛ ولولا مثل هذه الهزيمة لم يكن شهداء, ولكن من أجل أن يتخذ منكم شهداء, أي يتخذ منكم أناسا قتلوا في سبيل الله؛ وكم من شهيد اتخذهم في غزوة أحد ؟

الطالب: سبعين؛

الشيخ: سبعون رجلا؛ لولا هذا لم يكن هناك شهداء: ((**ويتخذ منكم شهداء**)) .

((**والله لا يحب الظالمين**)) قوله: ((**والله لا يحب الظالمين**)) أولا: من هم الظالمون ؟ الظالمون هم الذين نقصوا حق الله وحق عباده, لأن الأصل في الظلم النقص، الأصل أن معنى الظلم النقص؛ لقوله تعالى: ((**كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئا**)) أي لم تنقص؛ فالظالم هو الذي نقص في حق الله وحق عباده بل وحق نفسه: ((**وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون**)) فالظالم لا يحبه الله, لكن إن كان ظلمه ظلم كفر فلا حظ له في محبة الله, وإن كان ظلمه دون ذلك فله من محبة الله بقدر ما معه من العدل, ومن كراهة الله بقدر ما معه من الظلم.

قوله: ((**لا يحب الظالمين**)) قد يبدوا غريبا على القارئ مناسبة هذه الجملة بما قبلها: ((**ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين**)) كيف هذا ؟ فيقال: الجواب من وجهين: الوجه الأول: أن المراد به بقوله: ((**والله لا يحب الظالمين**)) بيان أن الذين تخلفوا عن غزوة أحد وهم مقدار ثلث الجيش لم يكن منهم شهيد لأنهم نجوا بأنفسهم؛ فلكونهم ظلمة لم يتخذ الله منهم شهداء, فيكون ذلك تنديدا بمن ؟ بمن يا جماعة ما فيه فرار ؟؛ بالذين تخلفوا ورجعوا من أثناء الطريق وهم عبد الله بن أبي ومن تبعه من المنافقين, فكأنه قال: اتخذ منكم أيها الصفوة شهداء, ولم يتخذ من أولئك الذين نكسوا على أعقابهم لأن هؤلاء ظلمة والله لا يحبهم، هذه واحدة؛ الوجه الثاني: أن الذين قتلوا في أحد قتلوا على أيدي المشركين, والمشركون هم الظالمون كما قال تعالى: ((**إن الشرك لظلم عظيم**)) فهل انتصار الظالمين في أحد واستشهاد من استشهد من المسلمين في أحد لأن الله يحب الظالمين ويكره المؤمنين ؟ لا؛ إذا: ((**والله لا يحب الظالمين**)) لئلا يظن ظان أن انتصار المشركين في تلك الغزوة من محبة الله لهم, فبين الله عزوجل أنه لا يحب الظالمين؛ أعرفتم يا جماعة ؟ إذا الجواب من وجهين .

نرجع الآن إلى فوائد الآية الكريمة: ((**إن يمسسكم قرح** ...))

من فوائد هذه الآية الكريمة: بيان رأفة الله سبحانه وتعالى برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بهذه التسلية العظيمة: ((**إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله**)) .

ومن فوائدها أيضا: أنه ينبغي للإنسان أن يعزي المصاب بمثل هذا، بمثل هذه التعزية فيقول مثلا: يا أخي لست أول من أصيب؛ كم من أناس أصيبوا بمثل هذه المصيبة أو أكثر؛ ويقول له مثلا: قدر أن المصيبة أعظم من هذا لأن كل شيء ممكن؛ فإذا أصبت بفقد ألف فقدر أنك أصبت بفقد كم ؟ ألفين, لأن هذا ممكن؛ فإذا قدرت

أنك أصبت بفقد ألفين والمفقود ألف هان عليك فقد الألف؛ إذا فالله علمنا كيف نعزي المصاب بأن نسليه بذكر النظائر أو بذكر ما هو أعظم .

من فوائد هذه الآية: أن الله سبحانه وتعالى جعل هذه الدنيا دولا تتقلب لئلا يركن الإنسان إليها, لأن الدنيا لو كانت دائما راحة ونعمة ركن الإنسان إليها ونسي الآخرة، ولو كانت دائما محنة ونقمة لكانت عذابا مستمرا؛ ولكن الله جعلها دولا يدال فيها الناس بعضهم على بعض وتتداول الأحداث على الإنسان ما بين خير وشر .

من فوائد هذه الآية: تمام سلطان الله سبحانه وتعالى في خلقه، وأن له التدبير المطلق؛ بناء على إيش ؟ بناء على المقدر الذي قدرناه ليظهر بذلك أو ليتبين بذلك تمام سلطان الله .

ومن فوائدها: أن الله سبحانه وتعالى قد يمتحن العبد ليعلم إيمانه من عدمه؛ بماذا ؟ يمتحنه بأنواع من الامتحانات, تارة بالمصائب وتارة بالمعائب؛ فهنا ابتلاء بماذا ؟ بالمصائب؛ وإذا يسر الله للإنسان أسباب المعصية فهذا ابتلاء بتيسير المعائب مثل قوله تعالى: ((**يا أيها الذين آمنوا لا يبلونكم الله بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب**)).

الشيخ: من فوائد هذه الآية: تمام سلطان الله سبحانه وتعالى في خلقه وأن له التدبير المطلق؛ بناء على أيش؟ بناء على المقدر الذي قدرناه ليظهر بذلك أو ليتبين بذلك تمام سلطان الله .

ومن فوائدها: أن الله سبحانه وتعالى قد يمتحن العبد ليعلم إيمانه من عدمه؛ بماذا ؟ يمتحنه بأنواع من الامتحانات تارة بمصائب وتارة بالمعائب، تارة بالمصائب وتارة بالمعائب؛ فهنا ابتلاء بماذا ؟ بالمصائب؛ وإذا يسر الله للإنسان أسباب المعصية فهذا ابتلاء بتيسير المعائب, مثل قوله تعالى: ((**يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب**))

ما تقول يا محمد الشميلي في هذه الآية ؟ هذا الابتلاء ما هو ؟

الطالب: ابتلاء حتى يعلم من يتعدى حدود الله سبحانه وتعالى؛

الشيخ: إذا ويش القصة ؟

الطالب: قصة يعني قوله سبحانه وتعالى: ((**يا أيها الذين آمنوا لا يبلونكم الله بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم وليعلم الله من يخافه بالغيب فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم**))، يعني حرم على المؤمنين الصيد وهم حرم ؟

الشيخ: صح, حرم الله الصيد على المؤمنين وهم حرم فابتلاهم بصيد تنالهم أيديهم ورماحهم, يعني يمسك الإنسان الصيد بيده وبرمحه ما يحتاج إلى سهم: ((**ليعلم الله من يخافه بالغيب**)) .

من فوائد هذه الآية: أن علم الله سبحانه وتعالى على قسمين؛ علمه بالأشياء على قسمين: علم بأنها ستوجد وهذا أزلي؛ وعلم بأنها وجدت وهذا يكون عند الوجود؛ ولهذا قال: ((**وليعلم الله الذين آمنوا**)) .

من فوائد هذه الآية: أن الله تعالى قد يقدر المكروه لحكم بالغة كثيرة؛ لقوله: ((**ليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء**)) .

ومن فوائدها: فضيلة الشهادة؛ من أين تؤخذ ؟ من قوله: ((**ويتخذ منكم**)) فكأنه سبحانه اصطفى هؤلاء الشهداء واتخذهم لنفسه .

من فوائد هذه الآية: الإشارة بل فضيلة شهداء أحد؛ لأن قوله: ((**ليتخذ منكم شهداء**)) أول من يدخل فيها شهداء أحد رضي الله عنهم .

ومن فوائدها: إثبات المحبة لله، أن الله يحب؛ وجه ذلك ؟ أن نفيها عن الظالمين يدل على ثبوتها لضدهم؛ لأنها لو انتفت عن هؤلاء وهؤلاء لم يكن في نفيها عن الظالمين فائدة؛ ولهذا استدل الشافعي رحمه الله وغيره من أهل العلم على ثبوت رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة بقوله تعالى: ((**كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون**)) يعني الفجار؛

قال: " **فلما حجب هؤلاء عن رؤيته في السخط دل على رؤية الآخرين في حال الرضا** "؛ وهذا لاشك استدلال جيد؛ فهنا نقول لما نفى المحبة عن الظالمين دل على ثبوتها لمن ؟ لمن كان ضدهم؛ لأنها لو كانت منتفية عن هؤلاء وهؤلاء لم يكن لتخصيص الظالمين فائدة؛ المحبة يعني كون الله يحب الشخص هل فيها نقص بالنسبة لله ؟ لا؛ ولهذا كان أهل السنة السلف يثبتون أن الله تعالى يحب، يثبتون أن الله يحب وأنه يحب أيضا، كما قال تعالى: ((فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه)) ومحبة الله سبحانه وتعالى إذا وفق العبد لها لا يعادلها شيء ولا يماثلها لذة, يجد الإنسان في محبة الله لذة لا توصف أبدا؛ حتى إن بعض السلف يقول: لو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف، الملوك هم في قمة النعيم الدنيوي؛ أليس كذلك ؟ وأبنائهم كذلك؛ لكن أحباب الله وأولياء الله أعظم منهم في هذا النعيم؛ يقول: لو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه يعني من اللذة والسرور لجالدونا عليه بالسيوف؛ ويدل لهذا قوله تعالى: ((**من عمل صالح من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة**))؛ طيب إذا نقول من مذهب أهل السنة والجماعة إثبات المحبة لله، أن الله يحب وأنه يحب .

طيب, هل من الناس من أنكر محبة الله ؟ نعم, من الناس من أنكر محبة الله, لكنه ليس إنكار تكذيب بل إنكار تأويل؛ فقالوا المراد بالمحبة الإرادة أو الثواب، الإرادة أو الثواب؛ فمعنى يحب أي يريد أن يثيبهم أو أيش ؟ أو يثيبهم، معنى يحبهم أي يثيبهم؛ وهؤلاء هم الأشاعرة ومن كان أشد منهم في التعطيل، الأشاعرة يقولون: حرام عليك أن تقول إن الله يحب، حرام عليك؛ طيب الله يقول يحب ؟ يقول معنى يحب يعني يريد أن يثيبهم أو معناه يثيبهم؛ وقد مر علينا مثل هذا كثيرا وبينا بطلان مذهبهم, وأن ما ذهبوا إليه يعتبر تحريفا لكتاب الله وليس تأويلا له .

من فوائد الآية الكريمة: التحذير من الظلم؛ وجهه ؟ لقوله: ((**لا يحب الظالمين**)) وكل إنسان يهرب هروبه من الأسد من كل فعل يؤدي إلى عدم محبة الله له؛ ففي هذا تحذير من الظلم؛ والظلم أقسام إما في حق الله وإما في حق الآدمي، والظلم في حق الآدمي إما في المال وإما في النفس وإما في العرض، أنواع؛ لكن كل ظلم فإن الله لا يحبه .

من فوائد الآية الكريمة: أن محبة الله قد تتبعض, بمعنى أنه يحب هذا أقوى من هذا, ويكره هذا أقوى من هذا؛ وجهه أن الحكم إذا علق بوصف فإنه يزداد بزيادته ويقوى بقوته, وينقص بنقصه ويضعف بضعفه؛ فإذا كان انتفاء المحبة من أجل الظلم فكلما كان الإنسان أظلم كان أبعد عن محبة الله عزوجل.

ثم ذكر الله فائدة أخرى كم تكون: ((**وليمحص الله الذين آمنوا**)) الرابعة ؟

قال: ((**وليمحص الله الذين آمنوا**)) يمحص بمعنى ينقي، يمحص أي ينقي؛ وهل المراد تنقيتهم من غيرهم بحيث يتبين المؤمن النقي الصافي الإيمان ؟ أو تنقيتهم من الذنوب بما أصابهم من القرح ؟ أو الأمران جميعا ؟

الطالب: جميعا،

الشيخ: الأمران جميعا ؟ من يقول لكم الأمران جميعا ؟ لأنا لدينا قاعدة سبقت وهي: أن اللفظ إذا كان يحتمل معنيين لا ينافي أحدهما الآخر فإنه يحمل عليهما جميعا؛ إذا فهو يحمصهم: ينقيهم من الذنوب بما أصابهم من القرح، وينقيهم أيضا باعتبار الخلاصة, يعني يتبين بذلك خلاصة المؤمنين ممن في إيمانهم شيء من الشك أو الكفر؛ وهذا أمر ظاهر وهو كما أشار الله في قوله: ((**وليعلم الله الذين آمنوا منكم**))؛ إذا من الحكمة فيما حصل للمسلمين من القرح أن الله يمحص من ؟ الذين آمنوا؛ ينقيهم من الذنوب بما أصابهم من هذه المصيبة, وينقيهم ببيان الخلص أهل الصفوة .

الخامسة قال: ((**ويمحق الكافرين**)) يمحق الكافرين ؟ سبحان الله، إذا نصرهم يكون سببا لمحقهم ؟ نعم, يكون سببا لمحقهم, لأنهم إذا انتصروا علو واستكبروا وانتفخوا في أنفسهم, وظنوا أن لهم السيطرة دائما فحينئذ يعيدون الكرة مرة أخرى بقتال المسلمين, وبذلك يكون محقهم؛ هذا هو وجه الآية؛ وقال بعض أهل العلم: يمحق الكافرين يهلكهم بما جنوه على المسلمين، بما جنوه على المسلمين من القرح؛ فجعل المحق يعني العذاب والهلاك في الآخرة؛ ولكن المعنى الأول أوجه، المعنى الأول أوجه أنه يمحقهم محقا حسيا؛ وذلك لأنهم إذا انتصروا في هذه المرة حاولوا أن يعيدوا الكرة مرة ثانية لأجل الانتصار مرة أخرى, وبذلك يكون محقهم والقضاء عليهم.

وقوله: ((**الكافرين**)) مأخوذ من الكفر, وأصل الكفر في اللغة الستر, ومنه سمي الكفراء يعني وعاء طلع النخل؛ لأنه يستر ما كان فيه؛ طيب, إذا ذكر الله في هاتين الآيتين لمس القرح كم فائدة ؟ خمس فوائد .

ثم قال: ((**أم حسبتم أن تدخلوا الجنة**)) أم هنا منقطعة فتكون بمعنى بل وهمزة الاستفهام, أي بل أحسبتم أن تدخلوا الجنة؛ وقولنا: منقطعة احترازا من المتصلة؛ فما هو الفرق بينهما بين المتصلة والمنفصلة, يجيب عنه الأخ ؟ ما الفرق بين أم المنقطعة وأم المتصلة ؟

الطالب: المتصلة تكون عاطفة؛

الشيخ: وهذا عطف؛

الطالب: ...

الطالب: الفرق بينها من وجه: أولا هذه المنقطعة بمعنى بل والهمزة والمتصلة بمعنى أو ؟

الشيخ: نعم, المنقطعة بمعنى بل والهمزة وتلك بمعنى أو؛

الطالب: المتصلة يذكر معها المعادل وأم المنقطعة ليس لها معادل؛

الشيخ: وهذا معنى ما قال الأخ هداية الله, يعني الفرق إذا يتضح بالمثال؛ قال الله تعالى: ((**سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون**)) ويش نقول في هذه ؟ متصلة؛ لأنه ذكر فيها معادل ولأنها بمعنى أو؛ طيب: ((**أم تأمرهم أحلامهم بهذا أم هم قوم طاغون**)) ؟

الطالب: منقطعة،

الشيخ: انتبهوا؛ بمعنى بل ؟ نعم, لأن أمر أحلامهم أن يقولوا بهذا ليس معادلا لكونهم طغاة, بل قال أم تأمرهم أحلامهم بهذا أم لم تأمرهم ؟ الجواب, لم تأمرهم ولكنهم قوم طاغون؛ طيب هنا: ((**أم حسبتم أن تدخلوا الجنة**)) متصلة أو منقطعة؟

الطالب: منقطعة؛

الشيخ: ولكن الجواب ضعيف جدا, حتى الذين أجابوا بأنها منقطعة ... تسمع أصواتهم؛ أيش تقولون الآن ؟

الطالب: منقطعة،

الشيخ: منقطعة ؟ نعم, لأنه لم يذكر المعادل, ولأنها بمعنى بل والهمزة .

((**أم حسبتم أن تدخلوا الجنة**)) أي: أظننتم أن تدخلوا الجنة؛ والاستفهام هنا للتوبيخ, يعني هل تظنون أن تدخلوا الجنة بلا اختبار؛ ولهذا قال: ((**ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين**)) ولما يعلم؛ الجنة هي مأوى المتقين ودار الخلد . جعلني الله وإياكم من أهلها . ((**ولما يعلم الله**)) لما يعلم، لما: هنا جازمة, والدليل على جزمها أن الفعل جزم، الدليل على أنها جازمة أن الفعل جزم بعدها؛ ونسأل الأخ الذي وراء شيبة هل الفعل بعدها مجزوم ؟

الطالب: ولما يعلم ؟ نعم مجزوم؛

الشيخ: الفعل ((**ولما يعلم الله**)) كسر, يعلم الله، كيف تقول مجزوم ؟

الطالب: كسر لالتقاء الساكنين,

الشيخ: يعني حرك بالكسر لالتقاء الساكنين؛ وأصله ؟

الطالب: وأصله ولما يعلم؛

الشيخ: لكن لما كان بعده ساكنا كسر لأنه على القاعدة التي أشار ابن مالك في الكافية :

إن ساكنان التقيا اكسر ما سبق وإن يكن لينا فحذفه استحق؛

طيب قوله: ((**لما يعلم**)) لما قلنا أنها جازمة بدليل أن الفعل جزم بعدها لكنه حرك بالكسر لإلتقاء الساكنين .

هل تأتي لما غير جازمة ؟ نريد أن نستذكر ما مضى,

الطالب: لزيادة ؛

الشيخ: زيادة ؟

الطالب: نعم تأتي لما شرطية ولما زئدة,

الشيخ: نعم يا خالد ؟

الطالب: الظاهر تأتي يا شيخ؛

الشيخ: تأتي أيش ؟

الطالب: غير جازمة؛

الشيخ: لكن تأتي لأي معنى ؟

الطالب: يعني المعنى الذي تأتي له؛

الشيخ: تأتي جازمة انتهينا منها، وتأتي ؟

الطالب: تأتي شرطية؛

الشيخ: تأتي شرطية, مثل ؟

الطالب: لما قام زيد قام عمرو ؛

الشيخ: ((**وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا**))؛ طيب هذه واحدة, نعم زيد ؟

الطالب: تأتي ظرفية،

الشيخ: بمعنى ؟

الطالب: بمعنى حين؛

الشيخ: مثل ؟

الطالب: ((**فلما قضينا عليه الموت** ...))؛

الشيخ: هذه شرطية؛

الطالب: قوله تعالى: ((**فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء أمر ربك**))؛

الشيخ: نعم, أي حين جاء أمر ربي؛ هذه ثلاثة؛

الطالب: بمعنى إلا استثنائية ؛

الشيخ: بمعنى إلا استثنائية؛

الطالب: ((**إن كل نفس لما عليها حافظ**))

الشيخ: أي إلا عليها حافظ؛ أربع معاني .

السائل: شيخ أحسن الله إليك ! في قول الله تعالى: ((**ويتخذ منكم شهداء**)) ما نأخذ من هذه يا شيخ قاعدة عامة: أن الله سبحانه وتعالى لا يتخذ كل الناس شهداء وإنما يتخذ من فيه صفات الإيمان والتقى هم الذين يتخذهم شهداء ؟

الشيخ: هذا يحتمل إذا قلنا من للتبعيض؛ أما إذا قلنا إنها بيانية فلا يتعين؛

السائل: يعني قد يتخذ شهداء ...

الشيخ: عقلا جائز لكنه واقعا لم يكن؛ لأن كثيرا من المسلمين ماتوا على غير الشهادة .

السائل: خاصة في الجهاد ؟

الشيخ: أي نعم حتى في الجهاد كثير من المسلمين لم يحصل لهم الشهادة .

السائل: ما نأخذها قاعدة إذا ؟

الشيخ: لا ما نأخذها قاعدة؛ لأنه ما دام أن من تحتمل أن تكون بيانية ما نجزم بأنها للتبعيض .

السائل: ما القاعدة في الاستدلال بمفهوم بعض الآيات في إثبات الصفات مثل: ((**إن الله لا يحب الظالمين**)) أي يحب غير الظالمين, لأن هذه قد يدل عليها نصوص أخرى, لكن فيه آيات لا يدل عليها نصوص أخرى: ((**إن الله لا يحب كل مختال فخور**)) ؟

الشيخ: إيه يحب من انتفى عنه ذلك؛ أي نعم يحب من انتفى عنه هاتان الصفتان .

السائل: يمكن يكون متصف بغير هذه الصفة ؟

الشيخ: يمكن يتصف بصفة أخرى توجب كراهته وبصفة أخرى توجب محبته؛ لكن نفي المحبة عن المختال الفخور يدل على ثبوت المحبة لغيره أو لضده أحسن .

السائل: لكن هذا الضد هل هو من الصفات,

الشيخ: أي نعم, لكن يتصف بصفات توجب بغضه, لكن كما قلنا البغض والمحبة يتبعض, يحب الله الشخص من وجه ويكرهه من وجه آخر ما يمنع .

الشيخ: نعم يا آدم ؟

السائل: بعض الناس إذا أصابتهم مصيبة استدل الآية: ((**وتلك الأيام نداولها بين الناس**)) هل الاستدلال صحيح ؟

الشيخ: ويش تقولون يا جماعة

الطالب: صحيح ؟

الشيخ: أي نعم صحيح .

السائل: هل يؤخذ من هذا أنه إذا حصل قتال مثلا بين طائفتين أنه لا بد دائما على أن المنتصر هي التي يحبها الله ؟

الشيخ: أي نعم, لأن الله تعالى قد يبتلي الأخرى في هذه البلوى امتحانا؛ لكن لا يجوز أبدا أن نظن إن الله سبحانه وتعالى يديل الباطل على الحق إدالة مستقرة .

السائل: إذا كانت هناك فريقين لكرة القدم وانتصر فريق على الآخر فاستدل الفريق الثاني بقوله تعالى: ((**وتلك الأيام نداولها بين الناس**)) هل هذا استهزاء بكلام الله عزوجل ؟

الشيخ: ماذا تقولون ؟ يقول انتصر فريق في كرة القدم على فريق آخر, وفي اليوم الثاني بالعكس, فهل نستدل بالآية: ((**وتلك الأيام نداولها بين الناس**)) ؟ أي نعم يمكن؛ انتصار الأولين بأمر الله وقدره, وانتصار الآخرين أيضا بأمر الله وقدره .

الشيخ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم؛ قال الله تبارك وتعالى: ((**وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين**)) هذا خلصنا منها ؟ أخذنا فوائدها ؟

الطالب: ما أخذنا؛

الطالب: أخذنا؛

الشيخ: المثبت مقدم على النافي.

قال الله عزوجل: ((**وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين**)) هذه هي الحكمة الرابعة من حِكم من حُكم مداولة الأيام بين الناس وما جرى للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في أحد؛ الرابعة: ((**وليحمص الله الذين آمنوا**)).

يستفاد من هذه الآية الكريمة: أن الله سبحانه وتعالى قد يبتلي المؤمن من أجل تمحيصه؛ وقد ذكرنا أن التمحيص من وجهين؛ الوجه الأول: بيان من إيمانه صادق يصبر على الضراء؛ ومن إيمانه متهزهز لا يصبر؛ الوجه الثاني: أن هذه المصائب فيها تمحيص للمؤمنين بتكفير السيئات.

ومن فوائدها الفائدة الخامسة: محق الكافرين؛ فيستفاد من هذا فائدة وهي: أن النعمة قد تكون سببا للنقمة؛ فإن انتصار الكفار يوجب فرحهم وبطرهم حتى إذا بطروا محقوا .

ومن فوائدها: أن الكافر مآله المحق؛ لقوله: ((**ويمحق الكافرين**)) وهذا كقوله: ((**إنه لا يفلح الظالمون**)) ((**إن الله لا يصلح عمل المفسدين**)) وأمثال ذلك كثير .

ومنها: أن الله سبحانه وتعالى له التدبير الكامل في عباده؛ لقوله: ((**يمحص**)) ((**ويمحق**)) فإن هذا الفعل كان فيه خير للمؤمنين وشر للكافرين .

ثم قال الله تعالى: ((**أم حسبتم أن تدخلوا الجنة**)) أم هنا منقطعة بمعنى بل وهمزة الاستفهام؛ والمراد بالاستفهام هنا التوبيخ, يعني أتظنون أن تدخلوا الجنة ولم يحصل ما ذكر؛ وقوله: ((**حسبتم**)) أي ظننتم؛ فالحسبان هنا بمعنى الظن: ((أن تدخلوا الجنة)) وهي دار المتقين التي أعدها الله سبحانه تعالى لهم, وفيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر؛ وكل مؤمن بها لابد أن يسعى لها ويرجوا دخولها .

وقوله: ((**ولما يعلم**)) الواو هنا حالية, يعني والحال أن الله لا يعلم الذين جاهدوا منهم؛ ولما تأتي على أربعة أوجه في اللغة العربية وقد ذكرناها فيما سبق؛ وهي هنا حرف نفي وجزم؛ ويفرق بينها وبين لم بأن مدخولها مترقب الحصول كقوله تعالى: ((**بل لما يذوقوا عذاب**)) أي لم يذوقوا ولكنه قريب؛ وهنا قال: ((**ولما يعلم**)) أي أن الله لم يعلم ولكن علمه بذلك قريب؛ وقوله: ((**ولما يعلم الله الذين جاهدوا**)) أي بذلوا جهدهم في إعلاء كلمته بالقتال في سبيله؛ والعلم هنا ليس كالعلم الأزلي؛ فإن علم الله عزوجل نوعان: أزلي سابق لا يترتب عليه ثواب ولا عقاب، وعلم بما حصل بعد حصوله, وهذا هو الذي يترتب عليه الثواب والعقاب, ويسميه بعض العلماء علم ظهور أي يعلمه ظاهرا بعد أن لم يكن؛ فالمراد بالعلم هنا أيش ؟ علم الشيء بعد كونه ووجوده, لأنه هو العلم الذي يترتب عليه الثواب والعقاب .

وقوله: ((**ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم**)) قلنا الذين بذلوا جهدهم وطاقتهم في إعلاء كلمته؛ ((**ويعلم الصابرين**)) يعلم معطوفة على يعلم السابقة, ولهذا جاءت مجزومة لكنها حركت بالكسر لالتقاء الساكنين؛ ((**ويعلمَ الصابرين**)) أي الذين يصبرون على ما أصابهم؛ عندكم بالفتح ؟ أنا ظننتها بالكسرة: ((**ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلمَ**)) هي بس مشكولة عندكم ؟ لا بالفتح، نعم: ((**ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلمَ الصابرين**)) فيها أظن قراءة بالكسر, بالجزم عندك ؟

الطالب: قوله: ((**ويعلم الصابرين**)) العامة على فتح الميم, وفيها تخريجان أشهرهما؛

الشيخ: والثاني ؟ ضد العامة ؟

الطالب: العامة على فتح الميم وفيها تخريجان: أشهرهما أن الفعل منصوب ثم النصب بأن مقدرة بعد الواو المقتضية للجمع فهي كقولك: لا تأكل السمك وتشرب اللبن، أي لا تجتمعا بينهما؛ وهو مذهب البصريين أو بواو

الصرف وهو مذهب الكوفيين, يعنون أنه كان من حق هذا الفعل أن يعرب بإعراب ما قبله؛ والثاني: أن فتحة التقاء الساكنين والفعل مجزوم فلما وقع بعده ساكن آخر احتيج إلى تحريك آخره فكانت الفتحة أولى لأنها أخف, والإتباع بحركة اللام كقراءة: ((**ولما يعلم الله**)) بفتح الميم والأول هو الوجه؛ وقرأ الحسن وابن يعمر وغيرهما بكسر الميم عطفا على يعلم المجزوم بلما؛ فقرأ عبد الوارث عن ابن عمرو وابن العلاء: ((**ويعلم**)) بالرفع.

الشيخ: لكن القراءة ليست سبعية, القراءتان الأخريان ليست سبعية؛ إذا: ((**ويعلم الصابرين**)) بالفتح؛ ((**ويعلم الصابرين**)) يعلم بالفتح, وهنا فيها ثلاثة أوجه في الإعراب؛ الوجه الأول: أن الواو واو المعية؛ كقولهم: لا تأكل السمك وتشرب اللبن؛ ولنقف على هذا المثال لننظر اختلاف المعنى باختلاف اللفظ، تقول: لا تأكل السمك وتشربَ اللبن؛ فيكون لها معنى؛ وتقول: لا تأكل السمك وتشربِ اللبن؛ فيكون لها معنى آخر غير الأول؛ وتقول: لا تأكل السمك وتشربُ اللبن؛ فيكون لها معنى غير الأول والثاني.

فما معناها على وجه الأول ؟

الطالب: واو معية؛

الشيخ: أيه ويش معناها ؟ لا تأكل السمك وتشرب اللبن ؟

الطالب: يعني السمك مع اللبن؛

الشيخ: يعني لا تجمع بينهما, فإن أكلت السمك على انفراد وشربت اللبن على انفراد فلا بأس ؟ إذا يكون السمك واللبن مباحين, لكن المحرم الجمع بينهما.

طيب يا خالد على الضم ؟ لا تأكل السمك وتشرب اللبن ؟

الطالب: فيه النهي عن أكل السمك وجواز شرب اللبن؛

الشيخ: أي نعم وإباحة شرب اللبن. على الجزم,

الطالب: لا تأكلوا السمك ولا تشربوا اللبن؛

الشيخ: يعني كل واحد ممنوع سواء جميعا أو على انفراد، تمام زين .

((**ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين**)) يعني مع علمه الصابرين؛ والصبر هنا في هذا المقام يشمل الصبر بأنواعه الثلاثة؛ وذلك لأن الجهاد فيه صبر على طاعة الله, وفيه صبر عن معصية الله, وفيه صبر على الأقدار المؤلمة؛ أليس كذلك ؟ ففيه الصبر على طاعة الله لأن الإنسان يصبر نفسه ويحبسها، قال الله تعالى: ((**كتب عليكم القتال وهو كره لكم**)) فلابد من أن يصبر الإنسان نفسه, ويحبسها حتى يخرج في الجهاد؛ فيه صبر عن معصية الله, عن الفرار حين يتلاقى الصفان, فإن هذا يحتاج إلى صبر وتحمل, لأن صبر الإنسان قبل

الدخول في المعركة قد يكون محتملا, لكن بعد الدخول وإذا رأى السيوف أمام وجهه فإنه قد يفر؛ ولهذا قال الله تعالى: ((**ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله**))؛ صبر على أقدار الله المؤلمة لأن الجهاد لا يخلوا من الجراح ومن تعب ومن عنة ومشقة؛ ففيها أنواع الصبر الثلاثة: ((**ويعلم الصابرين**)) .

في هذه الآية الكريمة من الفوائد: أن التمني رأس مال المفاليس؛ يعني كون الإنسان يتمنى بدون أن يفعل السبب هذا خسران، رأس مال المفلس الذي لن يحصل شيئا؛ لقوله: ((**أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم** ...)) .

ومن فوائدها: أن الجنة لا تدرك بالتمني، كما قال بعض السلف الحسن البصري رحمه الله: " **ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي** " ليس بالتمني بالقلب ولا بالتحلي بالمظهر " **وإنما الإيمان ما وقر في القلب وصدقته الأعمال** ".

ومن فوائدها: أن الجنة غالية رخيصة؛ غالية لكون ثمنها غال, لأنه بذل النفوس في طاعة الله, والجهاد لإعلاء كلمته؛ رخيصة لأن هذا الأمر على من سهله الله يسير جدا, ولهذا تجد الموفق يسابق إلى أن يكون ممن يكتب اسمه في الجهاد حتى يخرج فيجاهد في سبيل الله .

ومن فوائدها: أن الله سبحانه وتعالى يمتحن العبد بما يدل على صبره أو ضجره؛ لقوله: ((**ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين**)) .

ومن فوائدها: أن جزاء الله سواء كان عقوبة أو مثوبة لابد أن يسبقه ما يمتحن فيه العبد؛ لقوله: ((**ولما يعلم**)) فلابد من امتحان أولا لينظر .

ومنها: أن علم الله عز وجل الأزلي لا يترتب عليه الثواب والعقاب؛ وإنما يترتب الثواب والعقاب على علم الله المقرون بالفعل الذي يكون علما بالشيء بعد وجوده .

ومن فوائدها: أن الجهاد سبب لدخول الجنة؛ لقوله: ((**ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم**)) ولا فرق بين الجهاد بالسلاح والجهاد بالعلم، كلاهما جهاد بل قد تحتاج الأمة الإسلامية إلى جهاد العلم أكثر مما تحتاج إلى جهاد السلاح, وقد يكون بالعكس, وقد يستويان, ولكنه لابد من وجودهما في الأمة الإسلامية، لابد من وجود علماء, لابد من وجود طلبة العلم، لابد من وجود مسلحين يقاتلون الكفار بالسلاح, لأن الجهاد لا ينزل عَلمه إلى يوم القيمة لابد أن يكون قائما .

ومن فوائد هذه الآية: أن الصبر سبب لدخول الجنة أيضا؛ لقوله: ((**ويعلم الصابرين**)) واعلم أن الجزاء يكون على قدر العمل, فإذا كان ثواب الجهاد الجنة وكذلك ثواب الصبر الجنة دل على عظم مرتبتهما في دين الله عزوجل .

ومن فوائدها: أن الصبر درجة عالية لكنه يحتاج إلى مصبور عليه, لأن الصبر على ما يلاءم الطبيعة ليس بصبر؛ ولهذا لا يقال للإنسان الذي وقف تحت الدش يصب عليه ماء باردا في يوم حار لا يقال إنه صابر؛ لأيش ؟ هذا يلاءم طبيعته، هذا يلاءم الطبيعة؛ الصبر لابد له من شيء يعانيه الإنسان لا يلاءم الطبيعة .

ثم قال الله تعالى: ((**ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون**))

((**ولقد كنتم**)) أكد الله هذه الجملة لإقامة الحجة عليهم: ((**لقد كنتم**)) فالجملة هنا مؤكدة بكم مؤكد ؟ بثلاثة؛ بالقسم المقدر، وباللام الواقعة في جوابه، وبقد؛ كنتم فيما مضى: ((**تمنون الموت من قبل أن تلقوه**)) وكانوا يتمنون الموت لا الموت على الفراش, ولكنهم يتمنون الموت في سبيل الله؛ وذلك أنه كما يعلم الكثير من الناس تخلف عن بدر جماعات كثيرة من الصحابة, فإن غزوة بدر لم يكن الخروج فيها للغزوة ولكن لأخذ العير؛ ولهذا لم يخرج من أهل المدينة كلهم إلا ثلاث مائة وبضعة عشر رجلا على أنهم يريدون العير, ولكن الله جمع بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد؛ فاستشهد من استشهد من المسلمين نحو ثلاثة عشر رجلا, وتمنى الذين لم يدركوا هذه الغزوة أن قد خرجوا فيها ولاسيما الشباب منهم؛ ولهذا لما استشارهم النبي عليه الصلاة والسلام في غزوة أحد أيخرج إلى العدو أم يبقى في المدينة ؟ كلهم قالوا: لا، نخرج؛ ولاسيما الذين تخلفوا في بدر؛ ماذا كانوا يتمنون بذلك ؟ الشهادة كما استشهد إخوانهم في بدر؛ فهم كانوا يتمنون الموت, يقول: يا ليتنا خرجنا، يا ليتنا قتلنا في بدر، يتمنون الموت؛ والتمني هو أن الإنسان يطلب تقديرا ما يصعب حصوله، هذا التمني، أن يتمنى تقديرا . يعني في القلب . ما يصعب حصوله سواء كان يصعب ثم يحصل أو يصعب ولا يحصل؛ ولهذا يقع التمني على الأشياء المستحيلة كقول الشاعر:

ألا ليت الشباب يعود يوما فأخبره بما فعل المشيب؛

وهل يعود ؟ لا يمكن أن يعود؛ طيب, ويكون في الشيء الذي فيه العسر ولكنه قليل؛ إذا يتمنون الموت يعني في نفوسهم يتمنون أنهم كانوا مع أهل بدر استشهدوا فقتلوا في سبيل الله.

((**من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه**)) يعني فقد حصل لكم ما تمنوه، الذي تمنوه حصل لكم ((**وأنتم تنظرون**)) يعني رأيتموه وأنتم على أشد ما يكون إحساسا؛ وتأمل قوله: ((**وأنتم تنظرون**)) هل هي مؤكدة أو مؤسسة ؟ أكثر المفسرين على أنها مؤكدة؛ قال: لأن من رأى فقد نظر؛ ولكنها في الحقيقة مؤسسة, لأن الإنسان قد يرى

ولكن لا يحقق ما رأى، قد يرى الشيء وهو غافل عنه؛ لكن إذا رآه وهو ينظر إليه تماما قد ركز فهذا نظر خاص, أخص من النظر العام؛ نحملها على ذلك لأن الأصل في الكلام التأسيس؛ لأن التوكيد نوع زيادة, التوكيد نوع من الزيادة .

الشيخ: أكثر المفسرين على أنها مؤكدة, قال: لأن من رأى فقد نظر؛ ولكنها في الحقيقة مؤسسة لأن الإنسان قد يرى ولكن لا يحقق ما رأى، قد يرى الشيء وهو غافل عنه؛ لكن إذا رآه وهو ينظر إليه تماما قد ركز فهذا نظر خاص, أخص من النظر العام؛ نحملها على ذلك لأن الأصل في الكلام التأسيس؛ لأن التوكيد نوع زيادة، التوكيد نوع من الزيادة ليس فيه إلا توكيد ما مضى وقد لا يحتاج إليه؛ لكن التأسيس هو الأصل؛ إذا يقول الله عزوجل: ((**كنتم تمنون الموت من قبل**)) ويقيم على ذلك الشهادة بالتوكيد: ((**لقد كنتم تمنون الموت**)) ((**فقد رأيتموه وأنتم تنظرون**)) فلماذا يحصل منكم هذا التخاذل؛ ولهذا قال: ((**فقد رأيتموه**)) أي الموت ؟ نعم، رأيتموه أي الموت؛ رأوا من استشهد في غزوة أحد رأوه بأعينهم؛ وذهب بعض المفسرين إلى أن المراد رأوه أي رأوا أسبابه وهو القتال لأن من لم يقتل لم يرى الموت؛ ولكن هذا التفسير فيه نظر؛ لأن رؤية الموت يراها الإنسان في نفسه وفي غيره؛ ((**فقد رأيتموه**)) يعني فيما بينكم ((**وأنتم تنظرون**)).

في هذه الآية من المشاكل النحوية قوله: ((**تمنون**)) حيث إن صورته صورة الماضي ولكنه صيغ بصيغة المضارع ؟ فيه إشكال لأن تمنى ماضي؛ هل نعطيه الأخ هداية الله وإلا من تعجل شيئا قبل أوانه؟

الطالب: حذفت التاء؛

الشيخ: أيهم ؟

الطالب: التاء المضاعفة, ولقد كنتم تتمنون الموت؛

الشيخ: أحسنت, أصلها تتمنون الموت؛ طيب نريد من هداية الله أن يأتي لنا بمثال آخر في القرآن ؟

الطالب: كثير إذا اجتمع تاءان حذف واحدة منه؛

الشيخ: أنا أريد واحدة, مثال واحد في القرآن يشهد لهذا ؟

الطالب: ((**لعلكم تذكرون**)).

الشيخ: صح, أي تتذكرون؛ ((**فأنذرتكم نارا تلظى**)) أي تتلظى؛ وهو كثير كما قال الأخ .

في هذه الآية من الفوائد أولا: إقامة الحجة على من كانوا يتمنون الموت وقد رأوه ومع ذلك حصل منهم التخاذل؛ لقوله: ((**لقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه**)) يعني فها أنتم الآن رأيتموه, فما موقفكم ؟

.

وفيه: أنه لا ينبغي للإنسان أن يتمنى المكروه؛ لأنه إذا تمناه ووقع ربما ينكص ولا يصبر؛ وقد قال النبي عليه الصلاة والسلام: (**لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية, فإذا لقيتموهم فاصبروا فإن الجنة تحت ظلال السيوف**) وهكذا الإنسان قد يشعر بنفسه أنه يقوى على الشيء ولكن يعجز عنه؛ وقد ذكروا أن سحنون صاحب مالك

رحمه الله ـ كان من العباد ـ قال يوما من الأيام كلاما معناه: يا رب إني صابر فكيف ما شئت فامتحني، شف بنو آدم فقير مسكين؛ يعني أصبر على كل بلاء فامتحني يا رب؛ فأصيب بعسر البول, صار لا يبول إلا بمشقة شديدة؛ قالوا: فكان يدور على مدارس الصبيان، المدارس التي فيها الصبيان لصغار فيقول: ادعوا لعمكم الكذاب، أدعوا لعمكم الكذاب؛ وذهب إلى الصبيان لأنهم أقرب إلى الإجابة لطهارة قلوبهم وسلامتها ولا ذنوب عليهم؛ الكذاب لأنه قال: إني أصبر فكيف ما شئت فامتحني ولم يصبر؛ وهكذا الإنسان ينبغي له أن يسأل الله العافية؛ لكن إذا ابتلي فليصبر .

من فوائد هذه الآية: أنه لا بأس أن يوبخ الإنسان من تحدى واتخذ لمكانه مكانا عاليا إذا وجده قد تخاذل في هذا المكان, مثل لو كان رجلا من الناس يزعم أنه صبور وأنه جلد وما أشبه ذلك فإذا ألمت به الأمور صار جبانا هلوعا لا يتحمل فيذكره؛ أظن أحد الشعراء كان يقول في شعره:

الخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم؛

شجاعة وعلم، كتابة كل شيء؛ فحصلت عزوة وكان فيها هذا الشاعر, فأراد أن ينهزم ويولي الدبر, وإذا حوله أناس قد حفظوا هذا البيت من شعره, فقالوا ما لك يا فلان وأنت تقول:

الخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم

فعتب على نفسه ورجع وأظنه إن لم أكن نسيت أنه قتل؛ فالإنسان قبل أن يصاب بالبلاء قد يشعر من نفسه أنه قوي يصبر؛ لكن يعجز؛ فإذا ذكرت أحدا بشيء كان يفتخر به ويقول: أنا أفعل وأنا أقول وأنا أصبر فهذا لا بأس به؛ ولكن هل هذا محمود إذا كان الأمر ضارا أو ينظر للمصلحة ؟ ينظر للمصلحة؛ قد يكون مسكينا يفتخر بما لا فخر فيه فإذا وقع فيه وأراد أن يتأخر عنه ثم أغريته يقع في ضرر؛ فالمسألة يرجع فيها إلى المصلحة .

ومن فوائد هذه الآية: جواز التأكيد على رأي من يرى أن قوله: ((**فقد رأيتموه وأنتم تنظرون**)) فيها توكيد؛ أي جواز تأكيد اللفظ إذا دعت الحاجة إليه وكان ذلك مقتضى البلاغة؛ بل قد يكون مطلوبا كما في هذه الآية؛ فهذه الآية على قول بأن قوله: ((**وأنتم تنظرون**)) أنها توكيد وأنها لم تأتي بمعنى جديد؛ أما على قول الراجح الذي رجحنا بأنها أتت بمعنى جديد, فإننا لا نأخذ هذه الفائدة من هذه الآية لكن نأخذها من آية أخرى مثل: ((**وما أدراك ما يوم الدين ثم ما أدراك ما يوم الدين**)) ((**كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون**)) ((**أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى**)) كثير في القرآن، تأكيدات للأهمية .

السائل: شيخنا في الآية: ((**فقد كنتم تمنون الموت**)) والرسول عليه الصلاة والسلام نهى عن تمني الموت, فكيف نجمع بينهما ؟

الشيخ: أي نعم, هذه الواقع أنها سؤال يحتاج إلى التنبيه عليه, هم كانوا يتمنون الموت ذكرنا في التفسير يتمنون أيش ؟ الشهادة, الموت في سبيل الله، ما هو الموت المطلق؛ لكن يؤخذ منه أنه يجوز أن يتمنى الإنسان الشهادة، يجوز أن يتمنى الشهادة وهو كذلك, بل لو قيل بمشروعية هذا لم يكن بعيدا، وقد قال عمر رضي الله عنه: (**اللهم ارزقي الشهادة في سبيلك والموت في بلد رسولك**) رضي الله عنه؛ فكان الناس يقولون: كيف هذا الدعاء وكيف يجاب ؟ المدينة بلد إسلامي, ولكنه رضي الله عنه أجاب الله دعائه, قتل ظلما وهو يصلي ولم يقتل لأنه عمر بن الخطاب قتل لأنه قائم بأمر الله منفذ لشريعة الله، قتله مجوسي مضاد للمسلمين حرب على المسلمين؛ فقتل في مدينة الرسول عليه الصلاة والسلام فمات فيها؛ فتمني الموت جائز؛ لكن ذكر بعض المتأخرين أنه . قصدي تمني الشهادة . ذكر بعض المتأخرين أنه لا يجوز أن تتمنى الشهادة قال لأن تمنيك الشهادة يستلزم أن الأعداء يغلبون المسلمين؛ فتأملوا هذا الكلام هل هو حق أو باطل مادام المؤذن يؤذن .

((**وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل**)) الآيات الأولى سبق الكلام عليها وعلى فوائدها.

وهنا قال: ((**وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل**)) محمد يعني محمد بن عبد الله بن عبد المطلب القرشي الهاشمي خاتم الأنبياء؛ ((**ما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل**)) هذا هو محط الفائدة؛ أما كونه رسولا فهذا أمر معلوم, لكن محط الفائدة قوله: ((**قد خلت من قبله الرسل**)) توطئة لما بعده وهو قوله: ((**أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم**)) يعني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رسول قد خلت من قبله الرسل؛ فماتوا من قبله, ومنهم من قتل، كما قال الله تعالى: ((**ويقتلون النبيين بغير الحق**)) فإذا كان كذلك فهل أقوامهم لما ماتت أنبيائهم أو قتلوا هل تركوا أديانهم ؟ الجواب: لا، لم يتركوا الأديان؛ وذلك لأن الأمم إنما تعبد الله وتتبع الرسل، والرسل لا تنقطع رسالتهم بموتهم بل رسالتهم باقية ما بقيت الرسالة حتى تأتي رسالة تنسخها؛ أما رسالة النبي صلى الله عليه وسلم فإنه لا ناسخ لها لأنها آخر الرسالات؛ وهذه الآية نزلت حينما صاح الشيطان في يوم أحد، صاح الشيطان يقول: إن محمدا قد قتل؛ فلما قال هذا فت ذلك في أعضاد الصحابة رضي الله عنهم؛ أولا: لأن موت النبي صلى الله عليه وسلم مصيبة عظيمة تحزن القلب وتضعف النفس؛ وثانيا: لأن محمدا صلى الله عليه وسلم كان قائدهم, وإذا مات القائد فإنه لاشك سيكون له أثر على الذين يقتادون بقيادته؛ فلما شاع الخبر بأن محمدا صلى الله عليه وسلم قتل حصل ما حصل على المسلمين فأصابهم غم بغم؛ وصار عند بعضهم بعض الشيء, ولكن الله عز وجل وبخهم فقال: ((**وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل**)) فإذا كان كذلك فهل الرسل الذين سبقوا وماتوا أو قتلوا هل ارتد أقوامهم من بعدهم ؟ لا؛ ولكن بقيت الرسالات وبقي الأتباع؛ وهنا قال: ((**أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم**)) الهمزة هنا

للاستفهام التوبيخي, يعني أفتنقلبون على أعقابكم إن مات أو قتل ؟ هذا لا يليق بكم ولا ينبغي لكم؛ بل مادام شريعته باقية فاتباعه باق ولا يليق بأي مؤمن أن يرتد على عقبه إذا مات الرسول صلى الله عليه وسلم؛

وقوله: ((**أفإن مات**)) فيها همزة الاستفهام ومن بعدها فاء العطف؛ وقد مر علينا أن مثل هذا التركيب؛ أي نعم لكن مثل هذا التركيب يجوز فيه من حيث الإعراب ؟ أقول مثل هذا التركيب ما الذي يجوز من حيث الإعراب؟ يجوز إعرابها على وجهين؛ الوجه الأول ؟

الطالب: تكون الهمزة قبل الفاء؛

الشيخ: هي الهمزة الآن قبل الفاء ((**أفإن مات**)) ؟

الطالب: ...

الشيخ: أن تكون الهمزة للاستفهام في مكانها؛ والفاء التي بعدها أو حرف العطف الذي بعدها ؟

الشيخ: حرف العطف الذي بعدها يكون هذا إذا جعلنا الهمزة على ما هي عليها في مكانها؛ وحرف العطف بعدها ؟ إذا جعلنا الهمزة في مكانها لم تغير فحرف العطف الذي بعدها ؟

يكون عاطفا على ؟

الطالب: على شيء محذوف؛

الشيخ: وما تقدير هذا الشيء المحذوف ؟

الطالب: بما يناسب المقام،

الشيخ: بما يناسب المقام طيب هذا وجه، الوجه الثاني ؟ أن نجعل الهمزة في مكانها؛

الطالب: نقول إن الهمزة قدمت للصدارة ؛

الشيخ: لكن هل هذا مكانها الأصلي أو لا على هذا الوجه الثاني ؟

الطالب: لا تكون مكانها الأصلي,

الشيخ: أن يكون مكان الهمزة بعد حرف العطف ولكن قدمت من أجل الصدارة؛ وبناء على هذا الوجه ؟

الطالب: لا يحتاج إلى تقدير؛

الشيخ: يكون العاطف عاطفا على ما سبق, يعني على الشيء المذكور السابق .

قال الله تعالى: ((**أفإن مات أو قتل انقلبتم**)) هذه جملة شرطية ((**إن مات**)) فعل الشرط؛ و((**انقلبتم على أعقابكم**)) ولكن محل التوبيخ هو جواب الشرط في الحقيقة؛ لأنه يوبخهم على انقلابهم على تقدير أن يكون مات أو قتل, أي أتنقلبون على أعقابكم إن مات أو قتل, لا يليق بكم؛ وقوله: ((**إن مات**)) أي بغير فعل

البشر: ((**أو قتل**)) بفعل البشر ؛ وقوله: ((**انقلبتم على أعقابكم**)) أي رجعتم على الوراء؛ والأعقاب جمع عقب وهو العرقوب؛ والمنقلب على عقبيه يكون ماشيا على غير هدى كالذي يمشي مكبا على وجهه، وقد قال الله تعالى: ((**أفمن يمشي مكبا على وجهه أهدى أمن يمشي سويا على صراط مستقيم**)) والانقلاب على العقبين أعظم وأبلغ, لأن الانقلاب على العقب يمشي الإنسان فيه على غير الهيئة المعتادة, على أنه يحتمل أن يكون المراد بالانقلاب على العقب أي أنه يسقط على قفاه ولا يستطيع أن يتقدم أو يستقيم.

وقوله: ((**ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا**)) هنا قال: ((**من ينقلب**)) فعدل بالجملة إلى العموم دون أن يقول: وإن انقلبتم على أعقابكم فلن تضر الله شيئا؛ من أجل أن يكون الحكم عاما شاملا؛ فقوله: ((**من ينقلب**)) هذه من شرطية تعم كل منقلب على عقبيه؛ والفعل هنا بعدها مجزوم؛ أما جواب الشرط فهو ؟

الطالب: ((... **فلن يضروا الله شيئا**)),

الشيخ: ((**فلن يضروا الله شيئا**)) المعروف أن جواب الشرط يكون مجزوما وهنا منصوب ((**فلن يضر**)), والمعروف أن جواب الشرط يقع مجزوما ؟ نقول لأنه لما دخلت عليه ((**لن**)) صار جواب الشرط جملة؛ ولماذا اقترنت بالفاء ؟ سامي ؟ لماذا قرنت بالفاء: ((**فلن يضروا الله**)) ؟

الطالب: من أجل العطف؛

الشيخ: لا؛ لأنها صدرت؛ لأن جواب الشرط صدر بلن؛ طيب اقرأ البيت الضابط في هذا ؟

الطالب:

اسمية طلبية وبجامد وبما وبقد وبلن وبالتنفيس ؛

الشيخ: طيب ((**فلن يضر الله شيئا**)) شيئا نكرة في سياق النفي فتعم, يعني أن الذي ينقلب على عقبيه ويرتد عن الإيمان لن يضروا الله, لأن الله سبحانه وتعالى لن ينتفع بطاعة الطائعين ولن يتضرر بمعصية العاصين؛ ولهذا قال: ((**من ينقلب على عقبيه**)) فيرجع بعد أن كان مسلما ((**فلن يضر الله شيئا**)) وإنما يضر في الحقيقة نفسه .

((**وسيجزي الله الشاكرين**)) السين للتنفيس, وهي تحول الفعل المضارع من كونه صالحا للحال والاستقبال إلى كونه للاستقبال؛ وسوف مثلها إلا أن سوف تدل على المهلة والسين تدل على الفورية؛ ((**وسيجزي الله الشاكرين**)) أي سيكافئهم؛ والشاكرون هم الذين قاموا بشكر نعمة الله؛ وقد مر علينا أن الشكر هو القيام بطاعة المنعم بالقلب واللسان والجوارح؛ فالاعتراف بالقلب أن النعم من الله شكر؛ والثناء على الله بها باللسان شكر؛ والقيام بالطاعة بما يناسب تلك النعمة شكر؛ فشكر العلم مثلا العمل به ونشره؛ شكر المال صرفه في

طاعة الله؛ شكر القوة البدنية استعمال البدن في طاعة الله، وهلم جرا؛ واعلم أن بين الشكر والحمد عموما وخصوصا وجهيا, أي أن أحدهما أعم من الآخر من وجه؛ فباعتبار أن الحمد يكون لكمال المحمود ولإنعام المحمود يكون أعم من الشكر؛ وباعتبار أن الحمد يكون باللسان يكون أخص من الشكر؛ الشكر باعتبار كونه متعلقا بالقلب واللسان والجوارح أعم من الحمد؛ وباعتبار أنه في مقابلة نعمة أخص من الحمد؛ يقول الشاعر:

أفادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا؛

وبهذا التقرير نعرف أنه ليس بين الحمد وبين الشكر ترادف بل هما متباينان, يتفقان في ما إذا حمد الله سبحانه تعالى على نعمته, كما لو أكل أو شرب فقال الحمد لله, فهذا يعتبر شكرا وحمدا؛ ويختلفان فيما إذا حمد الله على كماله فهنا لا يكون هذا من باب الشكر, وإذا شكر الله بجوارحه فليس هذا من باب الحمد .

وقال: ((**وسيجزي الله الشاكرين**)) بماذا يجزيهم ؟ بين الله سبحانه وتعالى هذا المجمل في قوله: ((**من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها**)) ((**من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها**)) هذا جزاء؛ وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الله يضاعف الحسنة إلى عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف .

ثم قال؛ نأخذ الفوائد:

في هذه الآية: بيان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بشر يلحقه الموت كما يلحق جميع الرسل؛ لقوله: ((**وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل** ...)) .

وفيها أيضا: أن النبي صلى الله عليه وسلم ليس ربا فيدعى ولا إلها فيعبد؛ لقوله: ((**إلا رسول قد خلت من قبله الرسل**)) .

ومن فوائدها: أنه ينبغي عرض الدليل بذكر النظائر ليقتنع الإنسان بما سمع؛ لقوله: ((**قد خلت من قبله الرسل**)) فإن من سمع هذا اقتنع وقال: مادام الرسل السابقون قد ماتوا أو قتلوا فإن ذلك يكون تسلية له .

ومن فوائد هذه الآية: إثبات أن محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم الرسل؛ لقوله: ((**قد خلت من قبله الرسل**)) وأل هنا للعموم ولم يقل: قد خلت من قبله رسل؛ بل قال: ((**الرسل**)) وإذا كان الرسل كلهم قد خلوا من قبله لزم من ذلك أن يكون هو آخرهم .

ومن فوائد هذه الآية: جواز موت الرسول عليه الصلاة والسلام وقتله؛ لقوله: ((**أفإن مات أو قتل**)).

فإن قال قائل: يشكل على هذا أن الله قال في الشهداء: ((**ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون**)) ((**ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون**)) فإذا كان هذا في الشهداء فكيف يكون الرسول صلى الله عليه وسلم ميتا مع أنه أفضل من الشهداء ؟

والجواب عن ذلك أن نقول: إن الحياة حياتان: حياة دنيوية جسدية وهي حياة الدنيا؛ وحياة برزخية ليست كحياة الدنيا فهذه هي التي تثبت لمن ؟ للشهداء؛ والأنبياء أفضل من الشهداء حيث حرم الله على الأرض أن تأكل أجسادهم؛ وأما الشهداء فقد تأكل الأرض أجسادهم, فالأنبياء أجسادهم باقية وحياتهم البرزخية أكمل من حياة الشهداء بلاشك .

من فوائد هذه الآية: الرد على من توهم أو زعم أن الرسول صلى الله عليه وسلم حي في قبره؛ لقوله: ((**أفإن مات أو قتل**)) ونحن نعلم بالضرورة من النقل المتواتر أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقتل؛ أليس كذلك ؟ فإنه ما قتل بسيف ولا برمح، مات على فراشه, ولكن ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: (**ما زالت أكلة خيبر تعاودني, وهذا أوان انقطاع الأبهر مني**) الأبهر: عرق في الإبهام إذا انقطع مات الإنسان؛ فهذا يدل على أن أكله الشاة المسمومة في خيبر كان له أثر في موته؛ ولهذا قال بعض التابعين وأظنه الزهري قال: " **إن النبي صلى الله عليه وسلم كان شهيدا لأن اليهود قتلوه** "؛ ولكن الله تعالى أمد في عمره حتى تأخر؛ وهذا ليس ببعيد، هذا ليس ببعيد, لأن أكلة خيبر كما ثبت عن النبي عليه الصلاة والسلام: (**ما زال أثرها في لهواتي**) يشاف في لهاته أثر السم؛ السم كان شديدا, ولهذا مات بعض الصحابة، واحد من الصحابة الذين أكلوا معه مات؛ لكن الرسول عليه الصلاة والسلام لم يبلع اللحم الذي أكل .

من فوائد هذه الآية: أن الارتداد عن الإسلام انقلاب على العقب؛ ولا يخفى علينا ماذا يكون أثر الانقلاب على العقب، انقلاب على أعقابهم وهو كذلك لأن الذي على الإسلام يمشي على برهان ونور، يمشي على صراط مستقيم .

ومن فوائد الآية: الرد على الملحدين الذين يقولون إن الإسلام رجعية ورجوع إلى الوراء؛ فإننا نقول لهم: أنتم الرجعيون, أنتم الذين انقلبتم على أعقابكم؛ أما من تمسك بالإسلام فإنه التقدمي؛ لأن الإسلام يحث على التقدم لكل فضيلة: ((**سارعوا إلى المغفرة**)) ((**استبقوا الخيرات**)) ((**سابقوا إلى مغفرة**)) والآيات كلها تدل على أن الإسلام يأمر بالتقدم, لكن ليس التقدم إلى الكفر الذي قال الله عن زعيمه: ((**يقدم قومه يوم القيمة فأوردهم النار**)) ولكنه التقدم إلى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين؛ المهم أن هذه الآية فيها رد على من ؟ الملحدين الذين زعموا أن التمسك بالإسلام رجعية؛ فنقول لهم: إن التمسك بالإسلام هو التقدم، والتخلف عن الإسلام هو الرجعية .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن الله عزوجل غني عن طاعة الطائعين؛ لقوله: ((**ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا**)) .

ومن فوائد الآية: انتفاء الضرر عن الله, وأنه لن يضره شيء؛ ولكن إذا قال قائل: أليس الله تعالى قد قال في كتابه: ((**إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة**)) ؟ وفي الحديث القدسي: (**يؤذيني ابن آدم يسب الدهر**) فأثبت الأذية لله ؟

فالجواب: أنه لا يلزم من الأذية الضرر؛ لا يلزم من الأذية الضرر؛ فالله تعالى قد يتأذى ولكن لا يتضرر؛ وأضرب لك مثلا: لو أن شخصا جلس إلى جنبك وقد أكل بصلا أو شرب دخانا؛ ألست تتأذى برائحته ؟ بلى؛ ولكن هل تتضرر ؟ لا تتضرر؛ إذا رأيت شيئا مكروها فإنك تتأذى ولكن لا تتضرر؛ إذا لا يلزم من كون الله تعالى يتأذى أن يتضرر .

من فوائد الآية الكريمة: الحث على الشكر؛ لقوله: ((**وسيجزي الله الشاكرين**))؛ ووجهه أن الجزاء أضيف إلى الله؛ فدل على عظمه؛ لأن الثواب من العظيم عظيم؛ ولهذا كانت الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة .

ومن فوائد الآية الكريمة: جواز الإطلاق في الكلام إذا جاء مفسرا في موضع آخر؛ لقوله: ((**وسيجزي الله الشاكرين**)) فإن هذه الآية مجملة لم يبين الله تعالى كيف هذا الجزاء, ولكنه قد بين في نصوص أخرى, والشريعة يفسر بعضها بعضا، ويقيد بعضها بعضا، و يخصص بعضها بعضا، وما تجده مجملا في مكان تجده مبينا في مكان آخر؛ وهذا من تمام الشريعة, لأن الشيء إذا أتاك مجملا فإن نفسك تتطلع إلى بيان هذا المجمل, فتحرص وتبحث وتقارن بين الأدلة وتقرن بعضها إلى بعض حتى يتبين لك الأمر, وحتى تكون ملما في كل وقت بجميع النصوص .

ومن فوائد الآية الكريمة: أن الخلق لو كانوا كلهم على الردة فإن الله تعالى لن يتضرر بذلك؛ لقوله: ((**فلن يضر الله شيئا**)) وهذا عام, يشمل أي ضرر كان سواء كان من فرد أو من جماعة.

السائل: ... إن الحياة البرزخية يشترك فيها جميع الأموات سواء كان شهيدا أو غير شهيد ؟

الشيخ: لا، لا أبدا, غير الشهيد ما هذه الحياة؛ ما هي هذه الحياة, لأنه في البرزخ غاية ما ورد أنه ترد إليه روحه من أجل الرد على الملكين فقط؛ لكن أولئك أحياء دائما حتى يبعثون .

السائل: قلنا أنه نستدل بقوله تعالى: ((**وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل**)) أنه خاتم الأنبياء, وورد في الآية: ((**ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة**))؟ الشيخ: هذا صحيح، هذا يدل على العموم؛ ولهذا ليس بين محمد وعيسى أحد من الرسل؛ فإذا جاءت الآية الأولى عامة في عيسى تكون هذه الآية مخصصة لها, يعني قد خلت من قبله الرسل إلا محمد .

السائل: النبي صلى الله عليه وسلم له السيادة المطلقة في الدنيا على جميع الناس فهل نقول إن فلانا سيد الشهداء

... ؟

الشيخ: أي نعم على رأي الزهري؛

السائل: قلنا هذا القول يتعارض مع الحديث أن حمزة سيد الشهداء ؟

الشيخ: لا ما يتعارض, يعني سيد الشهداء من التابعين الذين تبعوا الرسل، أقول سيد الشهداء من الذين تبعوا الرسل, يعني من الأمم, أما الرسول فينفرد .

السائل: قلنا أن الأبهر عرق إذا انقطع مات الإنسان, السارق إذا سرق وقطعوا يده ما يموت ؟

الشيخ: طيب إذا قطعوا يده يجب أن تحسم؛ ولهذا قالوا: يجب أن يكون هناك زيت يغلى, من حين ما تقطع يده تغمس في هذا الزيت من أجل أن يقف الدم، لو ترك لنزف ومات .

السائل: لكن المراد إذا قطعت اليد حتى لو سكر الدم ؟؛

الشيخ: لا, لو سكر ما يموت معروف .

السائل: هل يجوز أن يقال بعد الأكل الشكر لله بدلا من الحمد لله ؟

الشيخ: صحيح, ما فيها شيء,

السائل: ما يقال إن الحمد هو الذي ورد كثيرا,

الشيخ: أنت قلت هل يجوز أن يقول: الشكر لله أو لا ؟ نقول لا بأس,

السائل: لكن ما هو الأفضل ؟

الشيخ: حسب الحال، أقول حسب الحال، الحديث: (**إن الله ليرضى عن العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها**) ويكون هنا حمدا وهو شكر في نفس الوقت .

الطالب: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ((**وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا ومن يرد ثواب الدنيا نؤته ومن يرد ثواب الآخرة نؤتها منها وسنجزي الشاكرين وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثيرا فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين**)).

الشيخ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم؛ قال الله تبارك وتعالى: ((**وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله**)) ((**ما كان لنفس أن تموت**)) أي يمتنع غاية الامتناع لأي نفس من الأنفس أن تموت إلا بإذن الله؛ مهما حاول الناس أن يميتوا أحدا بدون إذن الله فإنهم لن يستطيعوا إلى ذلك سبيلا؛ وإذا جاءت ((**ما كان**)) فإنها للممتنع إما شرعا وإما قدرا؛ فهذه الآية: ((**ما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله**)) أي ما كان قدرا لنفس أن تموت إلا

بإذن الله؛ وقوله: ((**لنفس**)) نكرة في سياق النفي فتعم كل نفس من الآدميين وغير الآدميين، لا يمكن لأي نفس أن تموت إلا بإذن الله؛ وقوله: ((**أن تموت**)) الموت هو مفارقة الحياة، مفارقة الحياة, ويحصل هذا بانفصال الروح عن الجسد انفصالا تاما, وذلك لأن الروح تتصل بالجسد اتصالا تاما وتنفصل منه انفصالا ناقصا وتنفصل منه انفصالا تاما؛ فإذا كان الإنسان يقضا فالاتصال تام, وإذا كان نائما فهو انفصال ناقص, وإذا مات الإنسان فهو انفصال تام؛ ولكن هذا لا يمنع أن تعود إليه في قبره عودا ليس على الوجه الذي هي عليه في الدنيا؛ لأن حياة البرزخ تخالف حياة الدنيا؛ فالإنسان في قبره تعاد إليه روحه ويجلس ويخاطب ويتكلم ويفهم؛ ولكن ليست هذه الحياة كحياة الدنيا, لأنها لو كانت حياة دنيا لهلك فورا, إذ أنه ... بالتراب الذي فوقه, وربما يكون غرقا في ماء أو محترقا بنار.

وقوله: ((**أن تموت إلا بإذن الله**)) إذن هنا يراد بها الإذن الكوني, لأن إذن الله تنقسم إلى قسمين: إذن كوني؛ وإذن شرعي؛ فالإذن الشرعي ما قضى به شرعا وأذن فيه شرعا, وهو تحت المشيئة قد يقع وقد لا يقع؛ فمثلا يقول الله عزوجل: ((**أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله**)) الإذن هنا شرعي وليس بكوني لأن الله قد أذن به كونا؛ لكنه لم يأذن به شرعا؛ وكذلك قوله تعالى: ((**قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون**)) هنا الإذن شرعي؛ أما في مثل هذه الآية: ((**إلا بإذن الله**)) فهي إذن كوني, يعني لا يمكن أن تموت إلا إذا أذن الله بذلك كونا؛ وقوله: ((**إلا بإذن الله**)) أي بقضائه وقدره؛ ((**كتابا مؤجلا**)) كتابا هذه مصدر مؤكد للجملة التي قبله, أي أن الموت مكتوب كتابا مؤجلا محددا بحد معلوم, لا يتجاوزه ولا يقصر عنه؛ هذا الكتاب يكتب في عدة كتب: يكتب في ليلة القدر بأنه سيموت في اليوم الفلاني في الساعة الفلانية من الشهر الفلاني؛ وهذه كتابة سنوية؛ ويكتب أيضا إذا كان الإنسان في بطن أمه حين يبعث إليه الملك ويؤمر بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد .

الشيخ: هذا الكتاب يكتب في عدة كتب: يكتب في ليلة القدر بأنه سيموت في اليوم الفلاني في الساعة الفلانية من الشهر الفلاني؛ وهذه كتابة سنوية.

ويكتب أيضا إذا كان الإنسان في بطن أمه حين يبعث إليه الملك ويؤمر بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد .

ويكتب في اللوح المحفوظ قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة؛ فهذه كتب لا تتغير: ((**كتابا مؤجلا**)) لا يزيد ولا ينقص .

((**ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها**)) "من" شرطية وفعل الشرط ((**يرد**)) و((**نؤته**)) جواب الشرط؛ وفي كل من فعل الشرط وجوابه حذف, نعم ؟ أما في فعل الشرط فالحذف من وسط الكلمة, وأما في جوابه فالحذف من آخر الكلمة؛ لأن قوله: ((**يرد**)) أصلها: يريد فحذفت الياء لالتقاء الساكنين؛ و((**نؤته**)) أصلها: نؤتيه فحذفت الياء للجازم؛ لأن الفعل المعتل يجزم بحذف حرف العلة ؛ ((**من يرد ثواب الدنيا**)) أي من يرد الجزاء في الدنيا من الدنيا فإن الله تعالى يؤته منها ((**نؤته**)) أي نعطه ((**منها**)) وليس نعطه كل الدنيا؛ فالإنسان قد يريد شيئا كثيرا من الدنيا ولكن لا يحصل له, وإنما يؤتى منها ((**من يرد ثواب الدنيا نؤته منها**)) مثلا من يرد القصور والأموال الكثيرة, والزوجات والمراكب الأثيرة وما أشبه ذلك من يرد هذا يؤته الله منها؛ لأن من يرد هذا لابد أن يسعى له؛ أليس كذلك ؟ فإذا كان لابد أن يسعى له فالغالب أن السعي التام يحصل به الموجد؛ ولهذا قال: ((**نؤته منها**)) فيقدر الله الأسباب لحصول ما أراده من الدنيا؛ وقوله: ((**نؤته منها**)) واضح في أن الله لا يؤتيه كل الدنيا وإنما يؤتى منها؛ وهذا يحتمل أن يكون عائدا إلى ما أراده بمعنى أن الله لا يعطيه كل ما يريد؛ ويحتمل أن يكون عائدا إلى الدنيا من حيث هي على سبيل العموم فيعطيه الله كل ما أراد؛ وعلى كل تقدير فهذه الآية مقيدة بآية الإسراء وهي قوله تعالى: ((**من كان يريد العاجلة**)) يعني الدنيا ((**عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد**)) ولم يقل عجلنا له ما يريد، قال: ((**ما نشاء**)) وهذا يؤيده الواقع, فإن كثيرا من الناس يريدون الدنيا ويسعون لها بأيديهم وأرجلهم وألسنتهم وأعينهم وآنافهم ولكن لا يحصلونها؛ أليس كذلك ؟ لأن الله قيد هذا العموم الذي هنا, قيده في سورة الإسراء بقوله: ((**عجلنا له فيها ما نشاء**)) لا ما يشاء هو؛ ((**ما نشاء لمن نريد**)) فقيد المعجل والمعجل له: ((**ما نشاء نريد**)) هنا هذا الإطلاق يقيد بذلك.

((**ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها**)) ولا نعطه الآخرة كلها, لأن الآخرة درجات يختلف فيها الناس, ولا يمكن أن يعطى الإنسان جميع درجات الناس, ولكن يعطى من الآخرة؛ ولهذا قال: ((**نؤته منها**)) ولكنها تختلف عن عطية الدنيا، كما قال الله تعالى: ((**بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى**)) فعطية الآخرة ليست هي

كعطية الدنيا بل هي أعظم؛ ولهذا قال في آية الإسراء: ((**ومن أراد الآخرة سعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا**)) وهنا قال: ((**وسنجزي الشاكرين**)) فدل ذلك على أن من أراد الآخرة فهو من الشاكرين، وسيجزي الله عزوجل الشاكرين بفضله الواسع؛ من أتى بحسنة أعطي عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة؛ الآن يتطهر الإنسان في بيته فيسبغ الوضوء, فسيئاته تكفر عنه في آخر قطرة من قطرات الماء، فإذا تشهد فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء؛ إذا خرج من بيته بعد هذا التطهر يريد المسجد لا يخرجه إلا الصلاة لم يخطو خطوة واحدة إلا رفع الله له بها درجة وحط عنه بها خطيئة؛ هذا أيضا ثواب كثير, كل خطوة لك فيها فائدتان؛ الأولى: رفع الدرجة والثاني: حط الخطيئة؛ ثواب كثير عظيم في عمل قليل؛ فإذا دخل المسجد وصلى لم تزل الملائكة تصلي عليه مادام في مصلاه تقول: اللهم صل عليه اللهم اغفر له اللهم ارحمه؛ دعاء من الملائكة سخرهم الله عزوجل؛ فأنت ترى أن من أراد الآخرة فهو من الشاكرين وسيجزي الله الشاكرين، سيجزيهم على شكرهم أكثر بأضعاف مضاعفة من أعمالهم .

في هذه الآية الكريمة من الفوائد: أن آجال الأنفس محددة؛ لقوله: ((**كتابا مؤجلا**)) .

ثانيا: تسلية أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم حين قيل لهم إن محمدا قد قتل فأصابهم ما أصابهم من الغم, فقال الله لهم لا يمكن أن يقتل محمد قبل أجله: ((**وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا**)) إن كان الله قد أنهى أجله فإنه ينتهي وإن لم ينته أجله بقي إلى الأجل المحدد؛ فلماذا تجزعون، لماذا تجزعون إذا قيل إن محمدا قد مات أو قد قتل, وهذا شيء مؤجل عند الله عزوجل وبإذنه؛ وما كان مؤجلا عند الله وبإذنه فإن الإنسان يجب عليه أن يستسلم له ويصبر عليه ويرضى به.

ومن فوائد الآية الكريمة: إثبات أن كل شيء حتى الموت مخلوق لله؛ لقوله: ((**إلا بإذن الله**)) وما كان صادرا عن إذن فهو مخلوق؛ ويدل لهذا قوله تعالى: ((**الذي خلق الموت والحيات**)) .

ومن فوائد الآية: أنه لا يمكن أن يتقدم الإنسان أو يتأخر عن الأجل الذي قدره الله له؛ لقوله: ((**كتابا مؤجلا**)) ويؤيد هذا آيات منها قوله تعالى: ((**إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون**)) ومنها: ((**ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها**)) .

فإن قال قائل: يشكل على هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم: (**من أراد أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه**) فإن هذا يفيد بأن الإنسان إذا وصل رحمه زيد في عمره ؟

فالجواب عن ذلك أن يقال: هذا ـ أعني مد الأجل ـ كبسط الرزق، والحديث يقول: (**أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره**) والرزق مكتوب أو لا ؟ مكتوب؛ فقد بين الرسول أن الرزق يبسط ويوسع إذا وصل الإنسان

رحمه؛ فكذلك الأجل يمدد إذا وصل الإنسان رحمه ولا فرق؛ وهذا كقولنا: من أراد أن يولد له فليتزوج؛ صحيح هذا أو لا ؟ صحيح؛ ولا يعدوا الحديث: (**من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره**) لا يعدوا أن يكون بيانا لسبب طول العمر, وليس معناه أن الإنسان له عمران, عمر عند قطيعة الرحم وعمر عند صلة الرحم؛ لأن المعلوم عند الله والمكتوب عنده عمر واحد مقرون بسبب؛ ما هو السبب ؟ صلة الرحم؛ فإذا وصل الإنسان رحمه علمنا أن له عمرا واحدا زائدا مقرونا بأيش ؟ بالسبب؛ كقولنا أيضا: يوضح ذلك أنك تقول: إذا أكل الجائع سلم من الموت؛ صح أو لا ؟ فهذا الإنسان على آخر رمق في الحياة أتينا له بطعام فأكل وعاش, هل نقول إنه كان له عمران, مع أننا لو تأخرنا عن إسعافه بالطعام لمدة دقيقة واحدة لمات؛ فهذا لا نقول له عمران؛ نقول له عمر واحد؛ لكن سبب اندفاع الموت عنه الذي حصل من الجوع أيش ؟ هذا الطعام، سببه هذا الطعام؛ فالمسألة ليست فيها إشكال إذا تأملها الإنسان وجد أن سبب زيادة العمر الذي هو صلة الرحم كغيره من الأسباب التي يحث الشارع عليها؛ أيضا نقول: من أراد الجنة فليعمل عملا صالحا وهو مؤمن بالله؛ هل نقول إن الإنسان له حالان حال يكفر وحال يؤمن ؟ أو نقول هذا قد قدره الله بقضائه السابق أن يكون مؤمنا من أهل الجنة ؟ الجواب الثاني أو الأول ؟ الثاني؛ هكذا الذي وصل رحمه نقول هذا من الأول لم يكن له إلا عمر واحد مبني على سبب وهي صلة الرحم؛ إذا فالمراد من الحديث حث الناس على صلة الرحم التي هي سبب لطول العمر .

ومن فوائد هذه الآية: الرد على الجبرية؛ لقوله: ((**من يرد**)) حيث أثبت للإنسان إرادة؛ والجبرية يقولون: إن الإنسان ليس له إرادة, وأنه يفعل بدون اختيار ولا إرادة؛ ولكن كل النصوص السمعية والعقلية ترد على قولهم .

ومن فوائد الآية الكريمة: أن الناس لهم مشارب ولكل مسلك؛ لقوله: ((**ومن ثواب الدنيا**)) ((**ومن يرد ثواب الآخرة**)) وهو كذلك .

ومنها: أن الإخبار عن الشيء أو عن وقوع الشيء لا يدل على حله؛ فقوله: ((**ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها**)) لا يدل على حل إرادة الإنسان الدنيا بعمله، لا يدل عليه إنما هو خبر عن أمر وقع؛ والحل والحرمة يؤخذ من دليل آخر من الشرع؛ ومن ثم يتبين خطأ من قال إنه لا يشترط للمرأة محرم في السفر لأن الرسول أخبر أن الضعينة تخرج من صنعاء إلى عدن لا تخشى إلا الله ولا تخاف على نفسها؛ لأن هذا إخبار عن الواقع, وليس إقرارا له شرعا؛ ألم يقل الرسول صلى الله عليه وسلم: (**لتتبعن سنن من كان قبلكم**) **قالوا: اليهود والنصارى ؟ قال: (فمن**) ؟ بلى قال ذلك؛ هل يعني هذا أنه يجوز أن نتبع سنن اليهود والنصارى

لأن الرسول أخبر بأننا سنتبعها ؟ أبدا؛ فالإخبار عن الشيء وقوعا لا يدل عن جوازه شرعا؛ يؤخذ جوازه أو عدم جوازه من أدلة أخرى .

من فوائد هذه الآية: أن الإنسان قد يريد بعلمه أن يمدح عند الناس, وهذا لا يكون له من عمله إلا ما ناله من الدنيا فقط . نسأل الله السلامة . يعني مثلا إنسان يصلي ليقال مجتهد في العبادة، يقرأ ليقال قارئ، يتصدق ليقال كريم، يقاتل ليقال شجاع، وما أشبه ذلك؛ هذا الذي يريد بعمله الصالح هذه الأمور الدنيوية . لأن كل هذه من أمور الدنيا . ليس له حظ في الآخرة، ليس له حظ: ((**من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب**)) .

ومن فوائد الآية الكريمة: إيثار إرادة الآخرة على الدنيا ؛ لقوله: ((**وسنجزي الشاكرين**))؛ فإن هذا يدل على أن من أراد الآخرة فإنه من الشاكرين الذين يجزيهم الله عزوجل .

ومن فوائد الآية الكريمة: إثبات الجزاء على العمل؛ وهذا . أعني الجزاء عن العمل . دائر بين أمرين، بين عدل وفضل, ويمتنع الأمر الثالث وهو الظلم بالنسبة لله عزوجل؛ والذين يجازون العمال على أعمالهم ينقسمون في جزاءهم إلى ثلاثة أقسام، وآدم يبينها لنا ؟

الطالب: عدل، وفضل، وظلم؛

الشيخ: نعم, عدل، وفضل، وظلم؛ الذين يجازون العمال؛ ولهذا نجد الآن العمال عند كفلائهم من الكفلاء من يظلمهم ومنهم من يعطيهم حقهم كاملا ومنهم من يزيد؛ أما بالنسبة لجزاء الله سبحانه وتعالى فإن الظلم ممتنع، ممتنع على الله لا عجزا عنه ولكن لكمال عدله سبحانه وتعالى: ((**وسنجزي الشاكرين**)) .

من فوائد الآية أيضا: الحث على الشكر؛ لأن الإخبار بأن الله يجزي الشاكرين يراد به الحث على الشكر؛ والشكر قال العلماء: إنه يتعلق بالقلب واللسان والجوارح؛ فبالقلب بحيث يشعر الإنسان بنفسه أن هذه النعمة من الله عزوجل لا من حوله وقوته، أي لا من حول الإنسان وقوته ولكنها بفضل الله؛ باللسان ؟ يشكر الله, يعني يتحدث بنعمة الله، بلسان الحال وبلسان المقال؛ فلسان المقال أن يقول: أحمد الله الذي فضلني على كثير ممن خلق تفضيلا، أحمد الله الذين أعطاني الولد، أحمد الله الذي أعطاني المال، أحمد الله الذي يسر لي بيتا، وما أشبه ذلك؛ وبلسان الحال أن يظهر أثر النعمة على العبد, فإن الله يحب من عبده إذا أنعم عليه نعمة أن يرى أثر نعمته عليه؛ وعلى هذا فإذا آتى الله الإنسان مالا وخرج إلى الناس بالثياب الخلقة أو بثياب الخيش أو ما أشبه ذلك هل يعد شاكرا ؟ الطالب: لا،

الشيخ: أليس هذا زهدا ؟ ليس بزهد, هذا من رآه قال: هذا فقير ما أنعم الله عليه بشيء؛ فيكون هذا المظهر منبئا عن أيش ؟ عن أن الله لم ينعم على هذا الشخص.

طيب, بالفعل وهو الثالث: أن يقوم الإنسان بطاعة الله؛ إذا أنعم الله عليه بمال يتصدق منه، بعلم ينشره، بجاه يتوسط للناس ويشفع لهم، وما أشبه ذلك؛ هذا من الشكر بالفعل؛ وعلى هذا يقول الشاعر, وينشدنا هذا البيت عبد الرحمن موسى في الشكر, فإن لم يكن فآدم، فإن لم يكن فالآدم الثاني, في كون الشكر يتعلق بالقلب واللسان والجوارح, أنشدناكم بيتا فيما مضى, فإن لم يكن فرشيد ؟

الطالب: يقول:

أفادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا؛

الشيخ: أحسنت؛ وابن القيم ذكر أن الله يسر له شيخ الإسلام ابن تيمية وأخبر أنه لا يستطيع أن يجزيه بيده ولا لسانه، مرت علينا هذه في النونية .

ثم قال الله سبحانه وتعالى: ((**وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير** ...))

أولا القراءات في هذه الآيات كما يلي: ((**وكأين**)) هذه واحدة؛ والثانية: ((**وكائن من نبي**)) كائن من نبي؛ الثاني نبي فيها قراءتان: ((**نبي**)) و((**نبيء**)) بالهمزة؛ الثالث: ((**قاتل**)) فيها قراءتان: ((**قتل**)) و((**قاتل**)) والذي معنا مصحف فيها: ((**قاتل معه ربيون**)).

((**كأين**)) الصحيح أنها كلمة غير مركبة يعني بسيطة، البسيطة يعني عند النحويين يعنون بها غير المركب؛ فإذا قالوا هذه كلمة بسيطة يعني غير مركبة من كلمتين؛ فالصحيح أن ((**كأين**)) كلمة بسيطة غير مركبة؛ وقال بعضهم إنها مركبة من الكاف كاف التشبيه وأي الاستفهامية؛ ولكن الصحيح خلاف ذلك؛ الصحيح أنها كلمة بسيطة نطق بها العرب هكذا كما نطقوا بِكَم؛ وأن معنى: ((**كأين من نبي**)) معناها كم من نبي؛ فهي إذا للتكثير وهي مبنية على السكون: ((**كأين**)) **أو** ((**كائن**)) على اللغتين هي مبنية على سكون النون؛ أما محلها من الإعراب فهي مبتداء والجملة التي بعدها خبرها؛ وقوله: ((**من نبي**)) جار ومجرور مميز لـ ((**كأين**)) لأن كأي من الألفاظ المبهمة؛ ((**كأين**)) من الألفاظ المبهمة, والألفاظ المبهمة تحتاج إلى تمييز؛ من ذلك مثلا ألفاظ العدد، ألفاظ العدد من الأشياء المبهمة؛ عندي عشرون؛ عشرون أيش ؟ مبهمة تحتاج إلى تمييز، عشرون رجلا، عشرون كتابا، عشرون بيتا، عشرون سيارة، وما أشبهها؛ ((**كأين**)) من الألفاظ المبهمة التي تحتاج إلى تمييز وتمييزها يأتي بعدها مجرورا بمن: ((**كأين من نبي**)).

وقوله: ((**قاتل معه**)) يعني كثير من الأنبياء هذا معنى: ((**كأين من نبي**)) كثير من الأنبياء هذا معنى الكلمة, وقوله: ((**قاتل معه ربيون كثير**)) كلمة ((**قاتل**)) أو ((**قتل**)) اختلف المفسرون فيها؛ فبعضهم وقف عليها وقال في قراءته: ((**وكأين من نبي قتل**)) أو ((**وكأين من نبي قاتل**)) ثم استأنف فقال: ((**معه ربيون كثير**)) وتكون جملة: ((**معه ربيون**)) جملة مكونة من مبتداء وخبر: ((**ربيون**)) مبتداء و((**معه**)) خبر مقدم؛ والجملة في موضع نصب على الحال، على الحال من الضمير في ((**قتل**)) أو ((**قاتل**)) يعني قتل والحال أن معه ربيين كثيرا, أو قاتل.

وقيل: إن قوله: ((**وكأين من نبي**)) جملة مستقلة يوقف عليها ثم يستأنف فيقال: ((**قتل معه ربيون كثير**)) يعني وكأين من نبي وجد وأرسل وبعث وأيد بالآيات واتبعه ناس فقتل معه وفي صحبته ربيون كثير؛ وعلى هذا القول تكون: ((**ربيون**)) نائب فاعل على قراءة: ((**قتل**)) وفاعل على قراءة: ((**قاتل**)), ويكون: ((**النبي**)) هنا مقتولا أو سالما ؟ على هذا التقدير الثاني ؟

الطالب: سالما،

الشيخ: يكون سالما؛ أما على الأول فيكون مقتولا .

السائل: بارك الله فيك يا شيخ ! يذكر المؤرخون أن ممن ملك الدنيا منهم ذو القرنين وغيره, وقلنا أن الله سبحانه وتعالى ما يعطي لعباده إلا الشيء اليسير ؟

الشيخ: لا يعطيهم الدنيا كلها، هذا صحيح, لأن ذا القرنين ما ملك الدنيا كلها؛ ولكن يقال أنه من الذين ملكوا الدنيا حسب ما اطلع عليه الناس في ذلك الوقت, فإنه لم يصل إلى أمريكا ما تجاوز البحر المحيط .

السائل: هل فسر أحد زيادة العمر بغير هذا التفسير ؟

الشيخ: أي نعم, بعضهم ظنا منهم أنه ليس المراد امتداد الأجل؛ قالوا: إن المراد بذلك بركة العمر, يعني يبارك له في عمره, أو ينسأ له في أجله أي يعني أن ذكره بعد موته يطول؛ والإنسان إذا ذكر بعد موته فكأنه حي، قال الله تعالى: ((**أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس**))؛ المتنبي يقول:

ذكر الفتى عمره الثاني وحاجته ما قاته ...؛

فيقول: المراد بذلك أنه يذكر بعد موته بخير؛ فهذه ثلاثة آراء: إما أن يكون المراد بذلك ذكره بعد وفاته بالخير؛ وإما أن يكون المراد بذلك البركة في عمره؛ والصحيح أنها الزيادة الفعلية في عمره؛ وأن المكتوب عند الله المعلوم عنده هو أن هذا الرجل سوف يصل رحمه ويمتد عمره .

السائل: شيخ ذكر شيخ الإسلام أنه يقال للملك, يكتب له عند الملك أجلان إن وصل رحمه فهو الثاني, وإن لم يصل .. ؛ هل عليه دليل ؟

الشيخ: ليس عليه دليل، ليس عليه دليل إلا أن يدخله أحد في قوله تعالى: ((**يمحوا الله ما يشاء ويثبت عنده أم الكتاب**)) ولكن مع ذلك لو ثبت هذا لكان هذا في كل شيء حتى في بسط الرزق، حتى في بسط الرزق وحتى في النكاح الزواج, وحتى في المال وحتى في الجنة أيضا؛ يعني لو صح هذا نقول: كل شيء يحتمل هذا وهذا يكون الملك قد قيل له ذلك, لكن هذا يحتاج إلى دليل .

السائل: شيخ أحسن الله إليك, إذا كان الإنسان يكتب له كل شيء بحسب ما يفعله, فالمؤمن إذا دخل الجنة يقال له: (**هذا مقعدك في الجنة وهذا مقعدك في النار لو أنك عصيت الله**), فيعني هل يكون لكل إنسان مقعد خاص في الجنة ومقعد خاص في النار بحسب عمله ؟

الشيخ: أي نعم, معلوم وهو يذكر بهذا لأجل يعرف قدر نعمة الله عليه؛ يقال هذا مقعدك لو كنت كافرا, وهذا مقعدك حين كنت مؤمنا وقد حصل له, مثل ما لو قلت لشخص أكرمته: هذا مكانك لو لم تكن بهذا الخلق النبيل.

السائل: لكن الله علم بما يفعله نقول مثل العمر ؟

الشيخ: نعم, الله علم لكن الإنسان ما علم, فيقال: هذا مقعدك لو عصيت الله؛ لأجل أن يفرح ويعرف فضل نعمة الله عليه .

السائل: ذكرنا ثلاث احتمالات في قوله: (**ينسأ له في أجله**) وذكرتم قاعدة سابقة: إذا كان الآية تحتمل معان لا تعارض بينها نحملها عليه ؟

الشيخ: لا، بس هنا ما يحتمل المعنيين الآخرين, ما يحتملهما, لكن قد يجازى الإنسان ببركته, بأن يبارك له في عمره جزاء لعمله, وهذا حتى في غير صلة الرحم؛ وقد يذكر الإنسان بعد موته, كما نشاهد الآن ممن يذكرون بعد موتهم من أهل العلم . المعنى الأول هو الظاهر، ما نحمل على هذا .

السائل: أحسن الله إليك ! كأي تأتي بمعنى كم في قوله تعالى: ((**وكأين من نبي**)) ؟

الشيخ: تكون تكثيرية؛ نعم يصح, كم بمعنى كثير: ((**وكم من قرية أهلكناها**)) .

السائل: أن الله أهلك بعض الأمم كما فعل ببني إسرائيل ثم أحياهم بعد موتهم, الذين قالوا لموسى أرنا الله جهرة ؟

الشيخ: طيب, هؤلاء أحيوا لأن موسى دعا الله عزوجل، دعا الله سبحانه وتعالى أن يحييهم لأنه خاف من قومه: ((**رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي**)), كتب لهم موت ثم حياة من أصل؛ لكن هذه الحياة ليس بفعلهم ولا بعملهم, إنما هي من أجل دعاء موسى عليه الصلاة والسلام استجاب الله له . السائل: قد يتعارض مع الحديث ؟

الشيخ: لا, ما يتعارض لأن هذا مكتوب عند الله هكذا، هذه الحال التي وقعت مكتوبة عند الله هكذا، هم أميتوا عقوبة لهم على فعلهم حين قالوا: أرنا الله جهرة, وهم يسمعون كلام الله, فقالوا: لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة؛ وهذا ليس إليهم, فعوقبوا بالموت, صعقوا, ثم إن موسى عليه الصلاة والسلام دعا ربه فأحياهم .

السائل: أليس في حديث والد جابر الذي كلمه الله فيه كفاحا فقال: (إني قضيت أنهم إليها لا يرجعون) ؟

الشيخ: صح, ما يتعارض . بارك الله فيك . ما يتعارض؛ والسبب في هذا كما قلت لك إن هؤلاء أحيوا لا لأجل أن ينعموا, لكن من أجل درء المفسدة التي تكون على موسى؛ وهات أيضا هات كل الآية التي تشير إليه كلها جاءت لسبب: ((**الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت**)) أماتهم الله لأجل أن يعرفوا أنه لا مفر من الله إلا إليه؛ والذي مر على قرية أكرمه الله بأن أماته ثم بعده، قضية معينة .

الشيخ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم؛ قال الله تبارك وتعالى: ((**وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله إلا مؤجلا**)) ما المراد بهذه الآية ؟ لا، ما هو معناه قصدي الغرض منها ؟

الطالب: تسلية لصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما أشيع أن النبي صلى الله عليه وسلم قد قتل؛ فالله عزوجل قال: أنه لن يموت إلا بعد أن ينتهي أجله ؛

الشيخ: أحسنت بارك الله فيك .

الشيخ: قوله عزوجل: ((**إلا بإذن الله**)) المراد بالإذن هنا ؟

الطالب: الإذن الكوني ؟

الشيخ: إذا على حسب ما يفهم من كلامك أن الإذن ينقسم إلى كوني وغير كوني، ما هو الثاني ؟

الطالب: إذن شرعي؛

الشيخ: إذن شرعي؛ ما الفرق بين الإذن الشرعي والكوني ؟

الطالب: الإذن الكوني لابد أن يقع؛

الشيخ: نعم, ما أذن الله به كونا فلابد أن يقع بخلاف الشرعي؛ هذا واحد, ما فيه فرق ثاني ؟

الطالب: الإذن الكوني قد يكون محبوبا إلى الله عزوجل وقد لا يكون محبوبا, وأما الشرعي فهو محبوب إلى الله؛

الشيخ: فلا يأذن الله إلا بما يحب، تمام .

الطالب: أن الإذن الكوني والشرعي يجتمعان في حق المطيع والعاصي,

الشيخ: لا, هذه نسبة.

الشيخ: هل لك أن تأتي بمثال للإذن الشرعي ؟

الطالب: قوله تعالى: ((**أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله**))؛

الشيخ: هذا في النفي؛ والإثبات ؟ هذا الذي ذكرت نفي الإذن الشرعي, فنريد إثبات الإذن الشرعي؟

الطالب: قوله: ((**قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون**))

الشيخ: أحسنت . يا رشاد الإذن الكوني مثل ؟

الطالب: قول أخ يوسف: ((**فلن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبي أو يحكم الله لي**)),

الشيخ: لا هذا الحكم الكوني نحن نريد الإذن الكوني.

الطالب: قوله: ((**وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله**))

الشيخ: هذا إذن كوني صحيح .

الشيخ: قوله: ((**ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها**)) هل هذه الآية على إطلاقها أو مقيدة ؟

الطالب: مقيدة؛

الشيخ: مقيدة بماذا ؟

الطالب: مقيدة بمشيئة الله؛

الشيخ: هذا ظاهر الآية أن الذي يريد الدنيا لابد أن يؤتيه الله تعالى منها, لأن جواب الشرط واقع إذا وجد فعل الشرط؛

الطالب: مقيدة بأنه لا يعطى ثواب كل الدنيا بل من بعضها؛

الشيخ: هذا معروف من اللفظ: ((**نؤته منها**)) لكن هل هو يؤتى من الدنيا ولو بعضا إذا أراد ثواب الدنيا وإلا قد يحرم من الدنيا كلها ؟

الطالب: مقيدة بآية الإسراء بقوله تعالى في الإسراء: ((**من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد**))

الشيخ: أحسنت؛ ((**من كان يرد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء**)) لا ما يريد هو؛ ((**لمن نريد**)) أحسنت.

الشيخ: قوله: ((**وسنجزي الشاكرين**)) ختمت بها الآية إشارة ؟

الطالب: إشارة إلى أن من يرد ثواب الآخرة فهو من الشاكرين؛

الشيخ: نعم, وسيعطى أكثر مما أراد لأن الله قال: ((**وسنجزي الشاكرين**)) .

الشيخ: قال الله تعالى: ((**وكأين من نبي قاتل**)) ذكرنا فيها ((**قاتل**)) قراءتان ؟

الطالب: ((**قاتل**)) **و** ((**قتل**))

الشيخ: أحسنت.

وذكرنا في ((**ربيون**)) أيضا ؟

الطالب: ما ذكرنا ؟

الشيخ: ما ذكرنا ؛ على كل حال نذكرها إن شاء الله .

الشيخ: قوله: ((**قاتل**)) **أو** ((**قتل**)) الفرق بينهما ظاهر؛ نبدأ الدرس الآن إن شاء الله, بسم الله الرحمن الرحيم: ((**وكأين من نبي قاتل**)) أي قاتل أعداءه ولم يقتل، وكأين من نبي قتل ولو لم يقاتل؛ فقوله: ((**قتل**)) يعني سواء في مقاتلة أو في غير مقاتلة؛ وقوله: ((**قاتل**)) أي: سواء قتل أم لم يقتل, يعني ما أكثر الأنبياء الذين قاتلوا، وما أكثر الأنبياء ـ على القراءة الثانية ـ الذين قتلوا .

وقوله: ((**معه ربيون**)) مع ظرف, وهي خبر مقدم و((**ربيون**)) مبتدأ مؤخر على تقدير أن الضمير في ((**قاتل**)) **أو** ((**قتل**)) يعود على النبي، ((**وكأين من نبي قتل**)) **أو** ((**قاتل**)) لكن فيه وجه آخر يقول: إن ((**ربيون**)) فاعل ((**قاتل**)) أو نائب الفاعل على قراءة: ((**قتل**)) وبناء على هذا يختلف الإعراب؛ فتكون مع ظرف مكان متعلقة بـ ((**قاتل**)) أو بـ ((**قتل**)) ويكون: ((**ربيون**)) فاعل على قراءة: ((**قاتل**)) ونائب فاعل على قراءة: ((**قتل**))؛ طيب, وعلى هذا التقدير يكون القتال أو القتل واقعا على الربيين وليس على النبي؛ ويختلف الحكم بالنسبة للصحابة؛ فإذا كان: ((**قاتل**)) أو ((**قتل**)) فيه ضمير يعود على ((**نبي**)) صار فيه تسلية للصحابة، تسلية للصحابة أن الأنبياء قد قتلوا قبل محمد وقاتلوا؛ وعلى الاحتمال الثاني أن: ((**ربيون**)) فاعل أو نائب فاعل, يكون فيها إشارة إلى أن الصحابة لم يكن الابتلاء بالقتال أو القتل خاصا فيهم بل هو سابق في الأمم المتقدمين؛ فيكون المراد من الآية شيء من التوبيخ واللوم للصحابة الذين جزعوا لما أصابهم في أحد؛ ولهذا قال: ((**فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا** ...)) واضح يا جماعة الآن ؟

هذا من حيث تركيب الجملة؛ أما من حيث الإفراد فقوله: ((**من نبي**)) المراد بالنبي من أوحي إليه بالشرع ولم يؤمر بتبليغه؛ ولكن لم ترد كلمة نبي في القرآن إلا مرادا بها الرسول؛ لأن النبي الذي لم يكلف بالرسالة لم يذكر في القرآن بلفظ نبي، ليس في القرآن لفظ نبي إلا ويراد به الرسول: ((**إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين**

من بعده وأوحينا إلى إبراهيم ...)) ونوح من المعلوم أنه من الرسل, بل هو من أولي العزم من الرسل؛ وعلى هذا فالقاعدة يا أخ ؟

على كل حال النبي عند أهل العلم من أوحي إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه؛ والرسول من أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه؛ ولهذا سمي الرسول رسولا من الرسالة .

الشيخ: والرسول من أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه؛ ولهذا سمي الرسول رسولا من الرسالة؛ ولكن كل ما ذكر في القرآن من الأنبياء فهو رسول .

أشكل على بعض الناس قال: كيف يوحى إليه بالشرع ولا يؤمر بالتبليغ ؟ ولكن هذا في الحقيقة ليس محل إشكال؛ لأنه يمكن الجواب عنه بأنه أوحي إليه بالشرع ليتعبد به, ويكون هذا من باب التذكير له إذا كان نبيا بعد الرسل، ومن باب البيان له إذا كان نبيا لم يسبق برسل؛ مثال الثاني: آدم، فإن آدم نبي ولم يسبق برسل؛ ومثال الأول: ما وجد من أنبياء بني إسرائيل الذين ليس لهم أتباع, ولم يؤمروا بالتبليغ؛ فيكون إنباء الله لهم من باب التفضل عليهم بذكر الشريعة السابقة وإحيائها, وإن كانوا لم يلزموا أن يبلغوا الناس؛ وبهذا يزول الإشكال فيمكن أن ينبأ الله أحدا ولا يأمره ولا يكلفه بالإبلاغ .

وقوله: ((**قاتل معه ربيون**)) ((**قاتل**)) **أو** ((**قتل**)) المقاتلة مفاعلة تقتضي وجود مدافعة للقتل من الجانبين وهي أعم من القتل؛ ولهذا قد تجوز المقاتلة ولا يجوز القتل؛ فالذين لا يؤذنون, لو وجدنا قرية لا يؤذنون مثلا, فإنه يجب قتالهم ولكن لا يجوز قتلهم, يعني أننا إذا قدرنا على المعين ما نقتلهم, ولكن نقاتلهم حتى يؤذنوا مثلا؛ لو وجدنا قرية لا يصلون العيد فإنه يجب علينا قتالهم حتى يصلوا العيد, ولكن لا يجوز قتلهم؛ فالقتل أخص من القتال, بمعنى أنه يمكن أن يجوز القتال لقوم ولا يجوز قتلهم؛ ومن ذلك على رأي بعض العلماء الرجل الذي يريد المرور بين يديك أو بينك وبين سترتك فتدافعه فيأبى، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (**فإن أبى فليقاتله**) ولكن لا يجوز أن يقتله؛ والفرق ظاهر؛ لأننا لو قلنا إنه يجوز أن يقتله لجاز لهذا المصلي أن يضرب هذا الذي أراد المرور في مكان مميت ويسقط ميتا؛ ولكن هذا ليس بجائز, وإنما يقاتله مقاتلة دفاع, فإذا اندفع كف عنه .

وقوله: ((**ربيون كثير**)) ((**ربيون**)) قال بعضهم: إن الربيين نسبة إلى الرب, ولكن كسرت الراء لأنها تغيرت عند النسب, وكم من حركة تغيرت عند النسب, مثلا بنو أمية نقول فيهم: الأُمويين أو الأَمويين ؟ الأَمويين؛ فيختلف الحرف عند وجود النسبة؛ فالرِبيون أصلها رَبيون من الرب أو من التربية وهي مفتوحة الراء؛ ولكنها لما تحولت إلى نسبة كسرت الراء؛ وعلى هذا فالربيون هم الذين قاموا بعبادة الرب, فنالوا منه سبحانه وتعالى تربية خاصة؛ ونظير ذلك قول العلماء: هذا عالم رباني، نسبة إلى أيش ؟ إلى الرب والتربية؛ وقيل: إنها مضافة إلى رِبَّة بالكسر، يعني منسوبة إلى ربة وهي الطائفة؛ فيكون معنى: معه طوائف كثيرون، ((**ربيون كثير**)) أي طوائف كثيرون؛ وعلى كل حال فالله تعالى يبين أن كثيرا من الأنبياء قاتلوا أو قتلوا ومعهم ربيون كثير؛ أو كثير من الأنبياء قاتل معه ربيون أو قتل معه ربيون؛ وقوله: ((**كثير**)) صفة لـ ((**ربيون**)) وهي لا تقتضي الأكثر، لا تقتضي الأكثر يعني مثلا إذا كان عندنا مائة وسلم منهم خمسون نقول هؤلاء كثير، سلم منهم عشرون نقول هذا كثير،

سلم منهم ستون نقول هذا كثير؛ لكن ما قبل خمسين لا نقول فيها أكثر وإنما نقول أكثر فيما تجاوز النصف؛ المهم أن كثير هنا يعني طوائف كثيرة قاتلوا أو قتلوا.

((**فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله**)) أي ما جبنوا من أجل ما أصابهم في سبيل الله؛ بل لم يزدهم ما أصابهم في سبيل الله إلا شجاعة وإقداما؛ لأن عندهم من الإيمان ما يدفعهم إلى ما يصيبهم في سبيل الله, كما أن من طبيعة البشر أن الإنسان إذا اعتدي عليه احتمى، احتمى أو حمي وزاد إقداما؛ فكذلك هؤلاء ما جبنوا لما أصابهم ما أصابهم في سبيل الله؛ وقوله: ((**في سبيل الله**)) أي في طريقه وشريعته؛ لأنهم مؤمنون بأن كلما أصابهم فهو خير؛ ولما دمعت أصبع النبي صلى الله عليه وسلم في إحدى الغزوات قال:

(**هل أنت إلا إصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت**)

((**وما ضعفوا**)) ما ضعفوا أي ما ضعفت عزيمتهم, حتى لو قتل كثير منهم فإنها لا تضعف عزيمتهم, خلافا لمن كان عنده جبن فإنه تضعف عزيمته إذا قتل أحد من قومه .

((**وما استكانوا**)) من الاستكانة وهي الذل, أي ما ذلوا لعدوهم مع أنه قتل منهم كثير, لكن كانوا على عزة, لأن الذي يعلم أن من قتل من قومه فهو في سبيل الله لا يهتم إذ أنه مؤمن بأنه لو قتل هو لكان مقتولا في سبيل الله, فلا يذل لأعداء الله .

((**والله يحب الصابرين**)) يحب الصابرين الذين يصبرون على كل ما يجب الصبر عليه؛ والصبر يقولون إنه ثلاثة أقسام ؟

الطالب: صبر على طاعة الله؛ وصبر عن معصية الله؛ وصبر على أقدار الله المؤلمة؛

الشيخ: نعم هذا هو؛ صبر على طاعة الله, يعني أن الإنسان يصبر نفسه على الطاعة ولا يضجر منها ولا يدعها؛ صبر عن معصية الله يصبر إنسان نفسه عن المعصية فلا يقدم عليها؛ صبر على أقدار الله المؤلمة فلا يتسخط لما يقضيه الله عليه من الأشياء المؤلمة .

في هذه الآية الكريمة فوائد منها: أن الله سبحانه وتعالى له عناية خاصة بهذه الأمة، حيث يسليهم بما حصل للأمم السابقة؛ لقوله: ((**وكأين من نبي قتل**)) على قراءة الوقف .

ومن فوائدها: أن الجهاد مشروع في غير هذه الأمة؛ لقوله: ((**قاتل**)) والقتال من الأنبياء وأتباعهم لا يكون إلا عن جهاد, وهو كذلك .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: الثناء على من سبق ممن يستحق الثناء؛ ولهذا قال: ((**فما وهنوا وما استكانوا** ...)) .

ومن فوائدها: أن من طرق التشجيع والإغراء به أن يذكر للإنسان سلف يقتدي به ويتشجع للحاق به؛ لقوله: ((**فما وهنوا بما أصابهم في سبيل الله ...**)) .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: الإشارة إلى انحطاط مرتبة الذين يذلون لأعداء الله؛ من أين تؤخذ ؟ من قوله: ((**وما استكانوا**)) وذلك أن الإنسان المؤمن يجب أن يكون أشم كالطود العظيم بالنسبة لأعداء الله, حتى إنه يجوز للإنسان الخيلاء وجر الثوب في مقابلة الأعداء، كما قال النبي عليه الصلاة والسلام: (**إنها لمشية يبغضها الله إلا في هذا الموطن**) حتى إن بعض العلماء قال: يجوز للجيش الإسلامي أن يصبغ بالسواد رأسه ولحيته أمام الأعداء من أجل إرهابهم, لأنهم يظنون أن المقابل لهم شباب؛ على كل حال سواء قلنا بهذا القول أم لم نقل ينبغي للإنسان أن لا يذل أمام عدوه؛ بل أن يظهر العز له بالقول وبالفعل؛ لأن إذلال الكافرين محبوب إلى الله، قال الله تبارك وتعالى في وصف النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه: ((**محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار**))؛ وقال الله تعالى: ((**ولا ينالون من عدو نيلا إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين**)) فكل شيء تغيض به الكفار فهو قربة لك عند الله، كل شيء تنال به الكفار من قتل أو أذى أو غير ذلك فإنه قربة يقربك إلى الله عزوجل, إلا إذا كان بيننا وبينهم عهد فإن الواجب الوفاء في عهدهم؛ لقول الله تعالى: ((**فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين**)) .

ومن فوائد الآية الكريمة: إثبات المحبة لله؛ لقوله: ((**والله يحب الصابرين**)) والمحبة صفة من صفات الله تعالى المتعلقة بمشيئته؛ فهي من الصفات الفعلية لأنها تتعلق بالمشيئة؛ ووجه كونها تتعلق بالمشيئة أنها مربوطة بسبب, وكل صفة مربوطة أو معلقة بسبب فإنها من الصفات الفعلية؛ وبناء على هذه القاعدة المفيدة نقول: الرضا ؟

الطالب: فعلية ؟

الشيخ: لأي شيء ؟

الطالب: مربوط بسبب،

الشيخ: أي مربوط بسبب؛ الفرح، الضحك، وهكذا, كل صفة معلقة بسبب أو مربوطة به فإنها من الصفات الفعلية .

وهل الله يحَب ؟ نعم يحَب, ولا ألذ للإنسان من محبة الله من كونه يحب الله عزوجل؛ ولذلك إذا قمت تصلي وأنت صافي القلب بعيدا عن الدنيا مقبلا على الله تجد في هذه الصلاة محبة لله ولذة عظيمة تنسيك الدنيا كلها, لأنك لا تجد شيئا ألذ من محبة الله سبحانه وتعالى.

ومر علينا كثيرا ولا حاجة إلى التكرار أن أهل التعطيل ينكرون حقيقة المحبة, ويقولون: إن المراد بالمحبة الإثابة أو إرادة الإثابة, يعني الشيء المخلوق المنفصل عن الله وهو الثواب أو الإرادة؛ فمعنى يحبهم يحب الصابرين على قولهم أي يثيبهم أو يريد أن يثيبهم .

ومن فوائد الآية الكريمة: الحث على الصبر؛ لقوله: ((**والله يحب الصابرين**)) لأننا لا نعلم فائدة أجل وأعظم من الحث على الصبر في مثل هذا التعبير .

ثم قال الله تعالى: ((**وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا**))؛

الطالب: القراءة الثانية بقيت ؟

الشيخ: نعم, ... قلنا إنها مشتقة من الرب أو من الربة فقط؛ أما القراءة فما فيها إلا قراءة واحدة, لكن: ((**قاتل**)) هي التي فيها قراءتان .

ثم قال الله تعالى: ((**وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا** ...))

فنسأل الأخ عبد الله لماذا صار اسم كان مرفوعا هنا ؟ لماذا كان اسم كان منصوبا ؟

الطالب: لأن كان فقدت عملها,

الشيخ: فإذا بطل عملها نصب اسمها؛ يقتضي إذا بطل العمل أن يرفع المبتداء, لأن الأصل أنه مرفوع؟

الطالب: اسمها مقدم على خبرها

الشيخ: ((**وما كان قولهم**))

الطالب: هذه تامة.

الشيخ: وإذا كانت تامة وجب نصب اسمها ؟

الطالب: لا، هنا يا شيخ ناقصة؛

الشيخ: ناقصة, طيب إذا كانت ناقصة فهي ترفع المبتدأ وتنصب الخبر؛

الطالب: الله أعلم

الشيخ: الله أعلم, جزاك الله خيرا.

الطالب: خبر كان مقدم ؟

الشيخ: أين اسمها ؟

الطالب: المصدر؛

الشيخ: أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر ؟ إذا وما كان قولهم إلا قولهم ربنا اغفر لنا ذنوبنا؛ واضح ؟

الشيخ: هل يجوز أن يقدم خبر كان على اسمها ؟

الطالب: يجوز.

الشيخ: نعم, يجوز أن يقدم خبر كان على اسمها ؟ عندك شاهد لذلك ؟

الطالب: نعم, قوله: ((**وما كان قولهم**))

الشيخ: أنا قلت عندك شاهد, معناه أن الذي معنا هو الأصل, نريد شاهدا له ؟

الطالب: قول ابن مالك: ككان سيدا عمر؛

الشيخ: هذا ما هو بشاهد, لأن علماء النحو ما يستشهد بأقوالهم؛ إذا جاءنا شاهد من كلام العرب أو من القرآن الكريم أو من نبي؛

الطالب: قوله: ((**كان بعباده خبيرا**)) بعباده جار ومجرور خبر؛

الشيخ: لا، الخبير هو الخبر، ما يستقيم؛

الطالب: قوله: ((**وما كان جواب قومه إلا أن قالوا**)),

الشيخ: طيب, هذا قدم الاسم على الخبر؛ وقوله: ((**وكان حقا علينا نصر المؤمنين**)) هذا في القرآن؛ في اللغة العربية:

وليس سواء عالم وجهول، وليس سواء عالم وجهول .

السائل: شيخ أحسن الله إليك ! ذكرنا أن سبب الكسرة في: ((**ربيون**)) هو النسبة؛

الشيخ: أنه بالنسب تغير بالنسب؛

السائل: أحسن الله إليك ! ما يعكر على هذا قول الله تعالى: ((**ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون**)) هناك ... ؟

الشيخ: أي نعم مختلفة؛: ((**ولكن كونوا ربانيين**)) هنا المراد بها علماء ربانيين؛ أما هذه فالمراد به المجاهدون نسبة إلى التربية؛

السائل: لكن ربانيين أليسوا منسوبين إلى التربية ؟

الشيخ: وإلى الرب أيضا, وإلى الرب, لكن ليس المراد المجاهدين؛

السائل: لكن هل هذا يؤثر ؟

الشيخ: ربما هذا التأثير, وإلا الذي ذكرت لاشك أنها ترد على هذا .

السائل: بالنسبة للذين أجازوا لأصحاب الجيش أن يصبغوا لحاهم بالسواد ألا يكون هذا استحسانا في مقابل النص ؟

الشيخ: ويش تقولون في هذا ؟ يقول: الذين أجازوا صبغ الشيب بالسواد في قتال الأعداء أليس هذا استحسانا في مقابلة النص ؟

الطالب: النص يدل عليه؛

الشيخ: ما هو ؟

الطالب: (**إن هذه لمشية يبغضها الله** ...)

الشيخ: الخيلاء ؟ أي لا بأس, الخيلاء لا بأس جائز في الحرب, لكن صبغ الشيب بالسواد ؟

الطالب: الظاهر أنه استحسان في مقابلة النص فلا يصح هذا القول, لأن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن تغيير الشيب بالسواد؛

الشيخ: الأقرب عندي هو هذا، أنه استحسان في مقابلة النص؛ وكم من شيخ كان أشد بأسا من شاب .

السائل: شيخ أحسن الله إليك ! ((**وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير** ...)) ... ؟

الشيخ: هذا تمنعه الآية؛ نحن نقول مادام فيها احتمال فأين الدليل على أنه ما من نبي أمر بالجهاد فقتل ؟ قد يقتل وهو مأمور بالجهاد .

السائل: كيف أن من الأنبياء من لم يؤمر بالتبليغ وهذه الأمة أمرت بالتبليغ؛

الشيخ: أي نعم, لأن العلماء في هذه الأمة هم ورثة النبي عليه الصلاة والسلام؛ ولهذا قال الله تعالى: ((**ولكن رسول الله وخاتم النبيين**)) ولم يقل: وخاتم الرسل؛ إشارة إلى أنه ما في نبي في هذه الأمة .

الشيخ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم؛ قال الله تبارك وتعالى: ((**وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين**))

لما ذكر الله تعالى حسن فعل هؤلاء الربيون الذين قاتلوا مع الأنبياء وقتلوا, وأنهم ما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا, وهذا حسن فعل, ذكر حسن قولهم فقال: ((**وما كان قولهم إلا أن قالوا**)) وهذه الجملة مفيدة للحصر, يعني حصرت أقوالهم عند هذه المصائب أنهم سألوا الله المغفرة، مغفرة الذنوب والإسراف, وسألوه الثبات؛ وذلك لأن ما أصابهم إنما أصابهم بالذنوب كما قال الله تعالى: ((**أو لما أصابتكم مصيبة قد**

أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم)) إذا علاقة هذه الآية بما قبلها أنه لما ذكر حسن فعالهم ذكر حسن مقالهم.

طيب, قوله: ((**وما كان قولهم إلا أن قالوا**)) من حيث الإعراب يقول المعربون: إن قول خبر كان مقدما, وأن وما دخلت عليه في ((**أن قالوا**)) اسمها مؤخرا؛ وعلى هذا فهو من باب تقديم خبر كان؛ وخبر كان يكون جائز التقديم وواجب التقديم وممتنع التقديم حسب السياق؛ فإذا كان الخبر مما له الصدارة كاسم الاستفهام مثلا واسم الشرط كان واجب التقديم, كما تقول: أين كان زيد؛ وإذا كان في الاسم ضمير يعود على الخبر فقد يكون واجب التقديم أيضا؛ والأصل هو جواز التقديم والتأخير، هذا الأصل؛ لكن قد يجب التقديم أحيانا وقد يؤخر؛ فهنا قدمه جوازا أو وجوبا ؟؛ هو على كل حال بحسب التلاوة هو وجوبا لأنه لا يجوز أن نغير كلام الله؛ لكن لو كان في غير القرآن لكان جوازا؛ ((**وما كان قولهم**)) يعني عند حدوث القتل ((**إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا**)) إلا أن قالوا الضمير يعود على الباقين منهم الذين لم يقتلوا, لأن الذين قتلوا لا يمكن أن يقولوا هذا؛ ((**ربنا اغفر لنا**)) ربنا يعني يا ربنا؛ فهو منادى حذفت منه ياء النداء تخفيفا, وتيمنا بالبداءة باسم الله؛ فحذف ياء النداء هنا له وجهان؛ الأول: التخفيف؛ والثاني: أيش ؟ التيمن بالبداءة باسم الله؛ ((**إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا**)) ربنا: نادوا الله تعالى عند الدعاء باسم الربوبية لأن الربوبية هي التي فيها التصرف؛ وإجابة الدعاء من باب الربوبية أو الألوهية ؟ من باب الربوبية؛ تتوسل باسم الله الذي يناسب ما يطلبون وهو إجابة الدعاء؛ ((**إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا**)) اغفر يعني استر وتجاوز؛ لأنه مأخوذ من المغفر وهو ما يقي به المقاتل رأسه من السهام؛ وفيه أي في المغفر الستر والوقاية؛ ولهذا لو أن الله سبحانه وتعالى هتك ستر المذنب لم تكن المغفرة تامة؛ ولو عذبه به وأخفاه عن الناس لم تكن المغفرة تامة؛ فإذا ستره وعفا عنه صارت المغفرة تامة؛ ((**ربنا اغفر لنا ذنوبنا**)) أصل الذنوب يطلق على معان متعددة منها النصيب كما قال تعالى: ((**فإن للذين ذنوبا مثل ذنوب أصحابهم**)) أي نصيبهم؛ ومنه سمي ذنوب الماء أي الدلو لأنه شيء مقدر من الماء؛ ويطلق الذنب على الإثم لأنه نصيب العامل: ((**فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره**)) فهذه المادة الذال والنون والباء تدور حول هذا المعنى .

((**وإسرافنا في أمرنا**)) الإسراف مجاوزة الحد؛ ومجاوزة الحد هي إما في غلو وإما في تقصير؛ أما مجاوزة الحد في الغلو فظاهر؛ وأما في التقصير فلأن المطلوب من المكلف أن لا يتعدى حدود الله تجاوزا ولا يقربها أيضا؛ فإذا كان الإنسان فاعلا للمحرم فهو مسرف لأنه تجاوز حد العبودية إذ مقتضى العبودية أن يكون مجتنبا لما حرم الله؛ وإذا فرط في الواجب كان مسرفا أيضا فيما تقتضيه العبودية؛ لأن مقتضى العبودية أن يكون قائما بالواجب؛ فالإنسان

قد يسرف في الواجب وفي المحرم وفي المباح أيضا, كما لو أسرف في الإنفاق على نفسه وعلى أهله فإنه داخل في الإسراف؛ وقوله: ((**وإسرافنا في أمرنا**)) المراد بالأمر هنا الشأن, أي في شأننا؛ وهو مفرد مضاف فيعم جميع الأمور.

((**وثبت أقدامنا**)) ثبت أقدامنا متى ؟ عند ملاقاة الأعداء, وعند حلول الشبهات, وعند ورود الشهوات؛ فالإنسان محتاج إلى أن يثبته الله في مواطن القتال, إذ لو لم يثبته الله لفر؛ محتاج إلى أن يثبته الله عند الشبهات إذ لو لم يثبته الله لزاغ؛ محتاج إلى أن يثبته الله عند الشهوات إذ لو لم يثبته الله لهلك، وكثير من الناس ينزلقون عند وجود الشبهات, فتجده ذا يقين ولكنه إذا وردت عليه أدنى شبهة تأثر لأنه لم يثبت؛ كثير من الناس أيضا يكون عنده علم ويقين وليس عنده شك ولكن الشهوة قد تغلبه فلا يثبت؛ فتثبيت الأقدام في كل موضع يمكن أن تزل فيه؛ فيدخل في ذلك كما قلت تثبيت الأقدام عند القتال كما هو سياق الآيات؛ وتثبيت الأقدام عند الشبهات، وتثبيت الأقدام عند الشهوات,

((**وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين**)) ((**انصرنا**)) يعني اجعل النصر لنا وهو الغلبة؛ ((**على القوم الكافرين**)) يعني الكافرين بالله؛ فيدخل في ذلك أن ينصرك الله عزوجل على نفسك؛ لأن نفسك إن لم ينصرك الله عليها فإنها تأمرك بالسوء: ((**وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء**)), ((**وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا**)) فإذا لم ينصرك الله عليها أهلكتك, وإذا نصرك الله عليها وجعل الغلبة للنفس المطمئنة سلمت منها؛ ويدخل في النصر على القوم الكافرين النصر على الشيطان, فإن الشيطان كافر، قال الله تعالى: ((**إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين**))؛ ويدخل في ذلك النصر على كفار الإنس، وذلك حين قتالهم, فإن الإنسان إذا لم ينصره الله عليهم فإنه لا ناصر له، كما قال الله تعالى: ((**إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده**)) .

في هذه الآية من الفوائد: أن هؤلاء الربيين الذين قاتلوا مع النبي كملت منهم الأفعال والأقوال، الأفعال: ((**فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا**))؛ الأقوال: أنهم لجئوا إلى الله عزوجل بسؤال المغفرة, مغفرة الذنوب والإسراف في الأمر لأنهم يعلمون أنما أصابهم إنما هو بسبب الذنوب .

ومن فوائد هذه الآية: أنه ينبغي للإنسان أن يدعوا الله تعالى بهذا الدعاء لاسيما عند ملاقاة الكفار حتى ينتصر عليهم: ((**ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين**)) .

ومن فوائد هذه الآية: أن الإنسان مفتقر إلى مغفرة الله؛ لقوله: ((**ربنا اغفر لنا**)) ولو كان غنيا عنها ما سألها, ولكنه مفتقر إليها غاية الافتقار حتى إن النبي صلى الله عليه وسلم لما حدث أصحابه بأنه لن يدخل الجنة أحد بعمله قالوا: ولا أنت ؟ قال: (**ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته**) .

ومن فوائدها أيضا: أن الإنسان لا يخلوا من الإسراف على نفسه، لا يخلوا من الإسراف إما في غلو وإما في تقصير؛ وجه ذلك أن سؤالهم الله أن يغفر لهم الإسراف يدل على وجود هذا الشيء، يدل على وجوده؛ وأنت إذا تأملت نفسك وجدت أنك لن تخلو من الإسراف .

ومن فوائد هذه الآية: أن الإنسان مفتقر إلى إثبات القدم أو إلى تثبيت القدم من الله عزوجل؛ لقوله: ((**وثبت أقدامنا**)) وقد ذكرنا أن هذا يشمل ثلاثة مواطن: عند مواجهة الأعداء، وعند الشبهات، وعند الشهوات .

ومن فوائدها أيضا: أن الله إذا لم ينصرك على عدوك فإنك لن تنتصر؛ لقوله: ((**وانصرنا على القوم الكافرين**)) فإن قلت: هل هذا يعارض أمر الله عزوجل باتخاذ ما نستطيع أو بإعداد ما نستطيع للأعداء من القوة ؟ فالجواب: لا؛ لأنك إذا سألت الله شيئا فإن المطلوب منك أن تسعى في حصوله وإيجاده؛ ولهذا لو سألت الله الجنة فالمطلوب منك أن تعمل لها, لا أن تقول: اللهم إني أسألك الجنة وتترك العمل؛ كذلك إذا سألنا الله أن ينصرنا على القوم الكافرين فإن علينا أن نفعل من الأسباب ما نستطيع, سواء كانت هذه الأسباب معنوية أو مادية .

ثم قال الله تعالى مبينا ما ترتب على حسن حالهم ومقالهم قال: ((**فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة**))

((**آتاهم**)) بمعنى ؟ الأخ, أنت ؟ أيش ؟

الطالب: أعطاهم؛

الشيخ: وأتاهم ؟

الطالب: جاءهم؛

الشيخ: أتى بغير مد بمعنى جاء، وآتى بالمد بمعنى أعطى؛ وهنا المراد الثاني: ((**فآتاهم الله ثواب الدنيا**)) **آتاهم**: أي أعطاهم الله؛ وآتى تنصب مفعولين ليس أصلهما المبتداء والخبر لأنها من باب كسا وأعطى؛ ((**آتاهم الله ثواب الدنيا**)) المفعول الأول هنا الهاء في آتاهم؛ والثاني: ثواب؛ ((**فآتاهم الله ثواب الدنيا**)) أي جزائها: وذلك بالنصر على أعدائهم والغنيمة فيمن تحل له الغنيمة؛ ومعروف أنها لا تحل الغنيمة إلا لهذه الأمة؛ لكن المراد النصر على الأعداء والعزة والغلبة عليهم .

((**وحسن ثواب الآخرة**)) ولم يقل: ثواب الآخرة؛ بل قال: ((**حسن**)) لأن ثواب الآخرة الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة؛ وليس ثوابا مكافئة فقط؛ إذ لو كان ثوابا مكافئة فقط لكانت الحسنة بمثلها؛ لكنه ثواب حسن وفضل؛ ولهذا قال: ((**وحسن ثواب الآخرة**)) هذا وجه؛ الوجه الثاني: أنه لم يعبر بثواب الدنيا بالحسن لأن الدنيا مهما كانت فهي دار شقاء وعناء وكدر, لا يمكن أن يخلو صفوها من كدر؛ ولهذا لم يقل: حسن ثواب الدنيا؛ إذ أنه في الحقيقة ليس له حسن, وهو وإن كان حسنا فهو حسن نسبي وإلا ففيه حسن لاشك: ((**ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة**)) لكنه أمر نسبي, حتى المنعمون بالنعمة تجدهم أحيانا يأتيهم ما ينقص هذه النعمة.

يقول: ((**وحسن ثواب الآخرة**)) يعني يوم القيمة, وذلك برفعة الدرجات في جنات النعيم والنجاة من دركات الجحيم .

((**والله يحب المحسنين**)) يعني أنهم هم محسنون فأحبهم الله عزوجل؛ وكان من مقتضى محبته لهم هذا الثواب الحاصل في الدنيا وفي الآخرة؛ وقوله: ((**يحب**)) المحبة صفة من صفات الله الحقيقية؛ فهو يحب عزوجل حقيقة, وليس محبته بمعنى الثواب أو الجزاء كما قاله بعض أهل التحريف الذين ينكرون من الصفات ما ينكرون, ومنها المحبة فإنهم ينكرونها, ويقولون: إن الله لا يحب بل ولا يحب؛ وتعليلهم أن الحب لا يكون إلا بين متجانسين مخلوق ومخلوق؛ ولكن نقول لهم هذا باطل؛ فالحب قد يكون بين شيئين متباعدين، ومنه قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (**أحد جبل يحبنا ونحبه**) وهو جماد؛ ومن الأشياء المحسوسة الملموسة أن الإنسان يحب أثاثه وأمتعته ورواحله وسياراته ودوره، يحبها محبة ظاهرة ملموسة محسوسة, وهي ليست من جنسه بل هي من جنس آخر بل هي أيضا دونه لأنها ملكه؛ فهذا التعليل الذين نفوا به صفة المحبة لله عزوجل تعليل باطل.

وقوله: ((**يحب المحسنين**)) المحسنين في عبادة الله أو إلى عباد الله ؟

الطالب: يشمل،

الشيخ: نعم يشمل، يشمل المحسنين في عبادة الله والمحسنين إلى عباد الله؛ أما المحسنون في عبادة الله فقد بين الرسول عليه الصلاة والسلام كيف يكون الإحسان، فقال حين سأله جبريل عن الإحسان قال: (**أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**) يعني أن تعبد الله تعالى طلبا مع اليقين التام؛ فإن لم تصل إلى هذه الدرجة فلا أقل من الدرجة الثانية وهي أن تعبد الله هربا, تعبده كأنك يراك فتهرب من عقابه لتقوم بطاعته؛ فالإحسان في الحقيقة يشير فيه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى أنه نوعان: إحسان بطلب؛ وإحسان بهرب؛ الأول: أن تعبد الله كأنك تراه فتطلبه وترغب الوصول إليه؛ والثاني: كأنه يراك فتخافه وتخشاه وتعظمه؛ والأول

أكمل من الثاني؛ هذا هو القول الراجح في معنى الحديث, وإن كان بعضهم يقول إنه مرتبة واحدة, وأن المعنى إن لم تكن تراه فإنه يراك, قريب من المعنى الأول؛ فالجملتان قريبتان من الترادف؛ ولكن الصواب ما قلناه أولا.

وإذا كان يحب المحسنين فإنه يترتب على محبة الله سبحانه وتعالى أشياء كثيرة منها ما يكون في الدنيا ومنها ما يكون في الآخرة؛ فمن ما يكون في الدنيا أن الله إذا أحب الإنسان سدد أعماله وخطواته وأقواله وأفعاله، كما جاء في الحديث الصحيح: (**من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب, وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه, ولا يزال عبدي يتقرب إلي حتى بالنوافل حتى أحبه, فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها, ولئن سألني لأعطينه, ولئن استعاذني لأعيذنه**) هذا من فوائد محبة الله.

ومن فوائد محبة الله عزوجل: تيسير فعل الطاعة وترك المعصية؛ وذلك لأن الإنسان إذا أحب شيئا طلب الوصول إليه؛ فإذا كان يحب المال طلب الوصول إلى المال بالبيع والشراء والتأجير وغير ذلك .

الشيخ: وإذا كان يحب المحسنين فإنه يترتب على محبة الله سبحانه وتعالى أشياء كثيرة منها ما يكون في الدنيا ومنها ما يكون في الآخرة؛ فمن ما يكون في الدنيا أن الله إذا أحب الإنسان سدد أعماله وخطواته وأقواله وأفعاله، كما جاء في الحديث الصحيح: (**من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب, وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه, ولا يزال عبدي يتقرب إلي حتى بالنوافل حتى أحبه, فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها, ولئن سألني لأعطينه, ولئن استعاذني لأعيذنه**) هذا من فوائد محبة الله.

ومن فوائد محبة الله عزوجل: تيسير فعل الطاعة وترك المعصية؛ وذلك لأن الإنسان إذا أحب شيئا طلب الوصول إليه؛ فإذا كان يحب المال طلب الوصول إلى المال بالبيع والشراء والتأجير وغير ذلك, إذا أحب شخصا طلب الوصول إليه بمصاحبته ومصادقته؛ إذا أحب أي شيء فإنه يطلب الوصول إليه؛ فإذا أحب الله العبد أحبه العبد؛ فطلب الوصول إليه .

ومن فوائد محبة الله للعبد: أن الله تعالى يلقي في قلوب العباد محبته، كما قال الله تعالى: ((**إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا**)) وجاء في الحديث: (**أن الله إذا أحب عبدا نادى جبريل إني أحب فلانا فأحبه، فيحبه جبريل ثم ينادي في أهل السماء: إن الله يحب فلانا فأحبوه, فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض فيكون مقبولا عند الناس**) .

في هذه الآية الكريمة من الفوائد: أن الله سبحانه وتعالى أثاب هؤلاء الذين أحسنوا في مقالهم وفعالهم؛ بماذا ؟ بثواب الدنيا وثواب الآخرة .

ومن فوائدها: أن رحمة الله تعالى سبقت غضبه؛ فهو يثيب الطائع ثوابين؛ ثواب في الدنيا وثواب في الآخرة, بخلاف العقوبة فإن الله تعالى لا يجمع بين عقوبتين؛ فإذا شرع عقوبة في الدنيا على ذنب فإنه لا يعاقب به في الآخرة كما جاء في الحديث: (**الحدود كفارة لأصحابها**) الحدود يعني العقوبات كحد الزنا والسرقة، أنها كفارة لأصحابها، وقال النبي عليه الصلاة والسلام في المتلاعنين قال لهما: (**عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة**) بل إن الله تعالى قال: ((**وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير**)) فلن يجمع الله الإنسان عقوبتين على معصية، عقوبة في الدنيا وعقوبة في الآخرة؛ لكن يجمع له بين ثوابين في الطاعة، ثوابا في الدنيا وثوابا في الآخرة لأن رحمة الله سبقت غضبه .

ومن فوائد هذه الآية: الإشارة إلى خفة شأن الدنيا بالنسبة للآخرة؛ من أين تؤخذ ؟ من قوله: ((**ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة**)) كأن الدنيا ليست بشيء حتى يكون فيها حسن كما قررنا؛ ففيه إشارة إلى أن العاقل ينبغي له أن يعتني بثواب الآخرة الذي هو الحسن .

ومن فوائد الآية: إثبات البعث والجزاء؛ لقوله: ((**ثواب الآخرة**)) .

ومن فوائدها: إثبات المحبة لله وهي صفة حقيقية ثابت لله على وجه اللائق به؛ طيب الرضا ثابت لله ؟ ثابت لله؛ الفرح ثابت لله، العجب ثابت لله، وهكذا جميع الصفات التي جاءت في الكتاب والسنة يجب علينا أن نؤمن بها على أنها حق على حقيقتها, لأن الله خاطبنا بالقرآن بلسان عربي مبين, ولم يأتي عن الصحابة ولا عن الأئمة أنهم حرفوا هذه النصوص عن ظواهرها؛ وهذا يدل على أنهم أقروا بها كما جاءت على ما هي عليه؛ وهذا مذهب السلف ومذهب أهل السنة والجماعة, وفيه الراحة والطمأنينة, لأن الإنسان إذا لاقى ربه وقد أثبت الصفة التي دل عليه القرآن والسنة فإنه يوافيه بحجة أو بغير حجة ؟ يوافيه بحجة؛ لكن إذا وافى ربه وقد حرف وقال معنى: ((**يحب المحسنين**)) أي يثيبهم ليس له حجة، ليس له حجة عند الله.

ونحن نتكلم دائما على أن الذين أنكروا شيئا من صفات الله بحجة عقلية أننا نجيبهم على سبيل الإجمال بأن نقول: أولا أن هذا خلاف لطريق السلف, لأن السلف لم يستدلوا بالعقل على إثبات الصفات أو نفيها؛ ثانيا: أن العقل لا مجاله له في باب صفات الله؛ لأن صفات الله خبر محض، والأخبار المحضة ليس للعقول فيها مجال إطلاقا.

ثم لو قال قائل: ألا يمكن أن نقيس الغائب على الشاهد ؟

قلنا لا يمكن القياس. لأن الله نفى هذا القياس ونهى عنه، نفاه ونهى عنه؛ فقال: ((**ليس كمثله شيء**)) وقال: ((**لا تضربوا لله الأمثال**)) أنا ربما أقيس شخصا لم أعلم به على شخص أعلم به وأشاهده, لكنني لا يمكن أن أقيس الخالق على المخلوق لأن الله نفى ذلك بل نهى عنه.

ثالثا: أن نقول لهم إن نفيكم لما نفيتم بحجة أن العقل لا يدل عليه غير صحيح في الاستدلال عند العقلاء؛ وذلك لأننا لو قدرنا أن العقل لا يدل عليه فقد دل عليه السمع؛ ونفي أو انتفاء الدليل المعين لا يستلزم انتفاء المدلول؛ يعني إذا قلنا هذا لا يدل على كذا قلنا لكن عندنا دليل آخر، هب أن العقل لا يدل على ما نفيتم من الصفات لكن السمع دل عليه؛ وهذا كما أنه في الأمور المعقولات فهو أيضا في الأمور المحسوسات، لو قلت إن هذا الطريق لا يؤدي إلى مكة, هل معناه أنه لا يمكن أن نصل إلى مكة ؟ يمكن أن نصل من طريق آخر؛ فهب أن العقل لا يدل على ثبوت ما نفيتم فإننا نستدل عليه بالسمع .

رابعا أن نقول: بل إن العقل يدل عليه وأولى مما ذكرتم, يعني أنا نثبت ما نفيتم بدلالة العقل نثبته بدلالة العقل, إثباتا على وجه يكون أظهر مما ذكرتم؛ فمثلا هم يقولون: إن الإرادة ثابتة لله دل عليها العقل، والكلام هنا مع الأشعرية, يقولون: إن الإرادة ثابتة لله عزوجل لأن العقل دل عليها؛ عرفتم ؟ ما هو دلالة العقل على الإرادة ؟ التخصيص, يعني كون السماء سماء والأرض أرضا هذا تخصيص؛ ما الذي خصص أن يكون السماء سماء والأرض أرضا ؟ الإرادة، أراد الله أن يكون السماء سماء فكانت, وأن تكون الأرض أرضا فكانت؛ إذا هذا دليل عقلي على ثبوت الإرادة لله؛ نقول: أنتم نفيتم الرحمة ونحن نستدل لها بالعقل، ألم تكن نعم الله عليكم لا تحصى ؟ سيقولون: بلى لا تحصى؛ إذا هل هي آثار رحمة أو آثار غضب ؟ آثار رحمة؛ ولهذا حتى العامي إذا جاء المطر وانتشر الخصب يقول: هذه من رحمة الله، من رحمة الله أن الله نزل علينا المطر وانتشر الخصب, بل يقولون: مطرنا بفضل الله ورحمته؛ فيثبتون الرحمة لله بدليل عقلي؛ كذلك أيضا الرضا يمكن أن نثبته بدليل العقل؛ إثابة الطائعين تدل على رضا الله عنهم ؟ أو على غضبه ؟ لو غضب لانتقم لكنه رضي فأثاب؛ فهذا دليل عقلي.

فصار الذين ينكرون ما ينكرون من الصفات بحجة أن العقل لا يدل عليها محجوجون من أربعة أوجه ذكرناها الآن، وهي ؟ أن هذا الاستدلال مخالف لطريق السلف؛ فالسلف لا يستدلون بإثبات الصفات أو نفيها بالعقل وإنما بالسمع؛ ثانيا ؟ أنه لا مجال للعقل فيها, وإذا ادعوا القياس قلنا القياس ممنوع لأن الله نفاه ونهى عنه؛ ثالثا ؟ يقولون: إن العقل لا يدل عليها، نقول: هب أن العقل لا يدل عليها فقد دل عليها أيش ؟ السمع, فوجب ثبوتها بالسمع, لأن انتفاء الدليل المعين الذي هو العقل لا يستلزم انتفاء المدلول إذ قد يثبت بدليل آخر؛ رابعا: أن نقول: إننا لا نسلم لكم أن العقل لم يدل عليها بل العقل قد دل عليها، ثم نأتي بالمثال الذي تتضح به الحجة .

من فوائد الآية الكريمة: الحث على الإحسان؛ لأن الإحسان سبب لغاية, هي غاية كل إنسان وهي محبة الله؛ فإذا كان سببا لهذه الغاية العظيمة كان مأمورا به محثوثا عليه؛ ويدلكم على أن محبة الله هي الغاية أن الله قال في كتابه: ((**قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني**)) أيش؟ ((**يحببكم الله**)) ولم يقل: فاتبعوني تصدقوا فيما ادعيتم؛ بل قال: ((**يحببكم الله**)) لأن الثمرة العظيمة هي أن الله يحب مع أننا نضمن أن من أحب الله حقا فسيحبه الله؛ لأن الله يقول: (**من أتاني يمشي أتيته هرولة, ومن تقرب إلي شبرا تقربت منه ذراعا, ومن تقرب إلي ذراعا تقربت منه باعا**) فإذا كانت محبتك لله صادقة فإن محبة الله لك مضمونة, لكن البلاء كل البلاء أن تدعي المحبة وليست محبتك الصادقة؛ هذا البلاء, يكون قلبك مشغولا بمحاب أخرى كمحبة المال، محبة الأولاد، محبة القصور، محبة المراكب، محبة النساء، وهكذا؛ هذه المحاب تضايق محبة الله في القلب, إلا إذا كانت تابعة لمحبته .

انتبهوا لهذا . يعني لا تقولوا: أنت تصد علينا باب محبة ما جبلت النفوس على محبته؛ نقول: محبة هذه الأشياء إذا كانت تابعة لمحبة الله صارت من محبة الله؛ لو أحب المال من أجل أن ينفقه في سبيل الله كانت هذه المحبة تزاحم محبة الله أو لا ؟ لا تزاحمه, بل تزيده؛ لو أحب النساء من أجل تكثير الأمة, ومن أجل تحصين فرجه, ومن أجل فوائد التي رتبت على النكاح، كان هذا من محبة الله؛ لكن لمجرد قضاء الوطر تجده يتعلق قلبه بكل امرأة, ما يستقر على شيء؛ حينئذ يكون هناك مزاحم فتضعف محبة الله سبحانه وتعالى في القلب؛ المهم أن الشأن كل الشأن هو أن الله يحب هذا هو المهم .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: إثبات الصفات الاختيارية لله عزوجل, يعني التي تتعلق بمشيئته؛ فإذا علق الله الصفة على فعل علمنا أنها من الصفات الاختيارية المتعلقة بالمشيئة؛ كيف ذلك ؟ لأن الإحسان فعل العبد، وفعل العبد حادث أو أزلي ؟ حادث؛ إذا كان الإحسان سببا لمحبة الله وهو فعل العبد وهو حادث لزم من ذلك ثبوت المحبة المعلقة بالإحسان؛ واضح ؟ والصفات الاختيارية أيضا أنكرها الأشاعرة ونحوهم, وقالوا: لا يمكن أن يقوم بالله صفات حادثة اختيارية؛ لماذا ؟ قالوا: لأننا لو أثبتنا لله صفات حادثة لزم قيام الحوادث به, والحوادث لا تقوم إلا الحادث، والله عزوجل أزلي، أزلي أبدي؛ فيقال: ويلكم، هذا كذب أن الحوادث لا تقوم إلا بحادث؛ أليس الله يقول: ((**ويفعل الله ما يشاء**)) ؟ والله يفعل ما يريد ؟ يفعل ما يريد؛ أليس الإنسان منا إرادته ليست تابعة لوجوده؛ بل للإنسان إرادات تتجدد ولا يلزم أن يكون هذا المريد لم يوجد إلا عند وجود الإرادة؛ بل هو سابق عليها؛ أليس كذلك ؟ نحن سابقون على إرادتنا, يعني أن الإنسان موجود قبل أن نريد؛ فلا يلزم تساوي الإرادة مثلا أو الأفعال الاختيارية مع الوجود؛ فالإنسان يفعل أفعالا كثيرة متجددة لم تكن معه حين وجوده؛ فكذلك الرب عزوجل يفعل ما يريد أفعالا لم تكن معه سبحانه وتعالى أزلية بل هي حادثة؛ لكن قد تكون حادثة النوع وقد تكون حادثة الآحاد, ويكون نوعها قديما أزليا؛ فالكلام مثلا أيش ؟ قديم أزلي لم يزل الله سبحانه وتعالى متكلما؛ لكن آحاده حادثة لاشك: ((**إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن**)) ونحن نعلم أن مرادات الله عزوجل تقع: ((**كل يوم هو في شأن**)) يحيي ويميت ويعز ويذل ويرزق ويمنع، وكل هذه الأشياء بإرادة مقرونة بالقول: ((**إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون**)) ومع ذلك لا يلزم منه أن يكون سبحانه وتعالى حادثا؛ فتعليلهم هذا النفي الذي سلكوه تعليل عليل، والله لو قلنا إن الله لا يفعل, لو قام به فعل لزم أن يكون حادثا؛ كيف إذا هو عاجز عن الفعل؛ وهذا نقص أو كمال ؟ نقص وأي نقص؛ فانظر كيف كان أهل الباطل يفرون مما يعتقدونه باطلا فيعقون في شيء هو أبطل منه وأشر منه, مع تطاولهم على تحريف النصوص وتعطيل الله عزوجل عما وصف به نفسه؛ فهم محرفة معطلة واقعون في شر مما فروا منه .

السائل: بارك الله فيكم ! المجاهدون في سبيل الله إذا نالوا من الغنيمة جاء في الحديث الصحيح: (**إلا كانوا قد تعجلوا ثلثي أجورهم**) فهل يؤثر في ثوابهم الأخروي ؟

الشيخ: لابد أن يكون هناك سبب، أن يكون هناك سبب, قال النبي عليه الصلاة والسلام هذا من أجله فيحتاج إلى النظر في هذا الحديث وسياقه؛

السائل: ما يؤثر هذا على ثواب الأخروي ؟

الشيخ: ما يؤثر إذا خالصة النية, أن يكون القصد أن تكون كلمة الله هي العلياء؛ لكن قد يكون بعض المجاهدين يغلب جانب الغيمة فمن هنا ينقص الأجر كثيرا حسب التغليب الذي قام في قلبه؛ فالحديث يحتاج نظر إلى سببه ربما يكون سببه يدل على أن لهم إرادة للدنيا .

السائل: أحسن الله إليك ! ذكر الله عزوجل في الآيات أن من حارب الله عزوجل في آخر الآية رتب له عذابين في الدنيا وفي الآخرة ؟

الشيخ: نعم؛ مثل ؟

السائل:مثل قوله تعالى: ((**إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم**)),

الشيخ: أي نعم, هذا الخزي صحيح أنهم يخزون به في الدنيا؛ ولكن لعل هذا لعظم أفعالهم, صار لهم الحد في الدنيا والعذاب في الآخرة؛ وإلا فقد ثبت في الصحيحين وغيرهما: (**أن من أصاب شيئا من هذه الذنوب والمعاصي فأقيم عليه في الدنيا فإنه كفارة له**) وسمعت الآية: ((**وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير**)) وأن الله لا يجمع للإنسان عقوبتين؛ فإما أن يقال هذا لشدة جرمهم وذنبهم يجمع لهم بين هذا وهذا .

الطالب: أعوذ بالله من الشطان الرجيم: ((**يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين بل الله مولكم وهو خير الناصرين سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين ولقد صدكم الله وعده إذ تخصونهم بإذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين**)) .

الشيخ: الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين؛ أما بعد ! فإن الدروس الليلية ستبدأ من الليلة إن شاء الله على ما هي عليه, يعني إننا نعود إلى التفسير في ليلة الجمعة, والحديث في ليلة السبت, والفقه في ليلة الأحد, ثم الحديث في ليلة الاثنين, ثم الفقه في ليلة الثلاثاء, وفي ليلة الأربعاء ؟ التفسير, وفي الخميس البخاري, وفي الجمعة التفسير؛ أما ما بعد الأذان فهو التوحيد في النونية حتى تنتهي إن شاء الله؛ أما درس الصباح فسيكون إن شاء الله بعد الرجوع من الطائف, يعني حوالي خمسة عشر سبعة عشر من شهر صفر إن شاء الله تعالى .

الطالب: الإعراب ليلة الجمعة ؟

الشيخ: لا, الإعراب تبع للقرآن، ليلة الجمعة فيه إعراب هذا العادة .

قال الله عزوجل: ((**يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين**)) .

صدر الله هذه الآية بالنداء، والتصدير بالنداء يدل على العناية بما سيوجه للمخاطب؛ وذلك لأن النداء يفيد التنبيه، ولا ينبه الإنسان إلا لشيء مهتم به؛ فإذا وجه الله الخطاب أو إذا صدر الخطاب بالنداء فهو دليل على العناية به لأهميته .

ثم وجه إلى العباد باسم الإيمان: ((**يا أيها الذين آمنوا**)) والغرض من ذلك هو أولا: الإغراء والتشجيع على قبول ما يلقى؛ لأن الإيمان هو الذي يحمل الإنسان على قبول ما أمره الله به وعلى ترك ما نهى الله عنه؛ ولهذا قال ابن مسعود رضي الله عنه: " **إذا قال الله تعالى: يا أيها الذين آمنوا فأرعها سمعك, فإما خير تؤمر به وإما شر تنهى عنه** ".

ويفيد أيضا فائدة ثانية: وهي أن قبول المذكور من مقتضيات الإيمان، كما أنك لو وجهت إلى شخص كريم وقلت له: يا أيها الكريم أعط الفقير وأعن المحتاج, فإن هذا يدل على أن إعطاء الفقير وإعانة المحتاج من مقتضى كرمه؛ إذا قبول ما يأتي بعد هذا الخطاب يكون هذا من مقتضى الإيمان .

الفائدة الثالثة أو الغرض الثالث: أن عدم قبوله نقص في الإيمان؛ لأنه إذا وجه الخطاب إلى إنسان بلفظ الإيمان ولكن لم يمتثل فهذا نقص في إيمانه, لأن ما يأتي بعد النداء بـ: ((**يا أيها الذين آمنوا** ...)) إما مأمور به أو منهي عنه أو مخبر به؛ فترك المأمور نقص في الإيمان, والوقوع في المحظور نقص في الإيمان، والتكذيب بالخبر نقص في الإيمان .

نستمع إلى هذا الخبر من الله عزوجل، خبر من هو عليم بكل شيء: ((**إن تطيعوا الذين كفروا**)) وإن هنا شرطية، وفعل الشرط: ((**تطيعوا**)) ولكنه لم يجزم؛ أهكذا نقول ؟ مجزوم؛ بماذا ؟ بحذف النون, والواو فاعل لأنها

من الأفعال الخمسة؛ وأما جواب الشرط فهو قوله: ((**يردوكم على أعقابكم**)) وهو مجزوم بحذف النون, والواو فاعل؛ قوله: ((**يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا**)) إذا هناك أمر موجه من الكفار إلى المؤمنين؛ لأن الطاعة تقابل الأمر؛ أو نهي موجه من الكافرين إلى المؤمنين, يأمرونهم بالفحشاء وينهونهم عن المعروف؛ فإن أطعتموهم في ذلك فالجواب: ((**يردوكم على أعقابكم**))؛ وقوله: ((**إن تطيعوا الذين كفروا**)) عامة يشمل اليهود والنصارى والمشركين والملاحدة الذين ليس لهم دين ولا يتعبدون بشيء؛ أي واحد من الكفرة إذا أمرك بشيء وأطعته فإنه يردك على أعقابك فتنقلب خاسرهم؛ وقوله: ((**إن تطيعوا الذين كفروا**)) أي فيما يتعبد به لله؛ أما في المسائل الأخرى كمسائل الصناعة مثلا فإنه لا تدخل في الآية لاشك؛ لو أن مهندسا من الكفار أمرك أن تصنع كذا لتكون النتيجة كذا فإنه لا يدخل في الآية؛ إنما يقصد به ما يكون على سبيل أيش ؟ على سبيل التعبد، يأمرك بالفحشاء، شرب الخمر، بالسرقة، بسوء الأخلاق؛ أو ينهاك عن المعروف، ينهاك عن الصلاة، ينهاك عن الإخلاص لله، وما أشبه ذلك .

وقوله: ((**يردوكم على أعقابكم**)) الأعقاب جمع عقب, وهو مؤخر القدم, ويقال له العرقوب, يعني يجعلونكم تمشون على الخلف؛ ومعلوم أن الذي يمشي على الخلف سوف يقع في الحفر, ويطأ الشوك والحصى؛ وهذا قريب من قوله تعالى: ((**أفمن يمشي مكبا على وجهه أهدى أمن يمشي سويا على صراط مستقيم**))؛ فهنا: ((**يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين**)) تنقلبوا: الانقلاب يقتضي التحول من حال إلى حال؛ ولهذا يقال: انقلب في فراشه من الجنب الأيمن إلى الجنب الأيسر؛ إذا هناك تحول من حال إلى أخرى إذا أطعنا هؤلاء الكفار؛ وقوله: ((**خاسرين**)) هذه حال، حال من الواو في قوله: ((**تنقلبوا**)) أي تكون في خسارة بعد أن كنتم في ربح؛ لأن الإيمان ربح كما قال تعالى: ((**والعصر إن الإنسان لفي خسر**)) أي إنسان ؟ كل؛ ولهذا أل هنا للعموم, أي: إن كل إنسان لفي خسر: ((**إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر**)) الذين اتصفوا بهذه الصفات الأربعة هم الرابحون ومن سواهم فهو خاسر، خاسر أيش ؟ خاسر عصره؛ وهذه الحكمة من أن الله أقسم بالعصر دون غيره لأن العصر هو خزائن الأعمال؛ فإذا لم يقم الإنسان بهذه الصفات الأربعة خسر عصره, وكان عمره خسارة؛ طيب ((**تنقلبوا خاسرين**)) لأنكم تحولتم من الإسلام إلى الكفر؛ وفي آية أخرى سبقت: ((**يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين**)) فهنا قال: ((**الذين كفروا**)) وهناك قال: ((**فريقا من الذين أوتوا الكتاب**)) لأن الذين أوتوا الكتاب بعضهم فيه خير كما قال تعالى: ((**ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة**)) وهذا من بلاغة

القرآن، لما قال: ((**إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب**)) قال: ((**يردوكم بعد إيمانكم كافرين**)) فريقا منهم؛ أما الكفار فكل الكافرين يريدون منا أن نكفر وأن ننقلب على أعقابنا خاسرين .

الشيخ: ثم قال الله عزوجل: ((**بل الله مولاكم**)) بل هنا للإضراب؛ الانتقالي أو الإبطالي ؟

الطالب: الانتقالي؛

الشيخ: لا، الإبطالي؛ لكنه إبطال شيء مقدر, لأن طاعتنا للكفار تكون لرجاء أو خوف، لرجاء أو خوف, يعني نحن إذا أطعنا الكفار فإما أن نطيعهم رجاء وإما أن نطيعهم خوفا؛ رجاء أن ينصروننا أن يمدوننا بالمال وما أشبه ذلك؛ خوفا أن يسطوا علينا وأن يحاربونا ويقاتلونا؛ هنا حصل الإضراب تماما فقال: ((**بل الله مولاكم**)) يعني لا تطيعوهم وتتولونهم فإن لكم من هو خير من ولايتهم وهو الله؛ ولهذا يعتبر هذا الإضراب إضرابا إبطاليا بشيء مقدر، إن تطيعوا الذين كفروا من أجل أن يكونوا لكم أولياء فإنكم سوف يردونكم على أعقابكم فتنقلبون خاسرين، ثم قال: ((**بل الله مولاكم**)) إذا كان الله هو مولانا سبحانه وتعالى فإننا لا يهمنا أحد من الخلق؛ مادمنا نؤمن بأن الله مولانا بما معنا من الأوصاف التي نستحق بها الولاية؛ لأنه ليس كل إنسان يقول: ((**إن وليي الله**)) يكون الله وليه؛ لكن إذا كان الله مولانا بما معنا من الأوصاف التي نستحق بها الولاية فإننا لن يهمونا أبدا مهما كانوا من القوة, ومهما كانوا من الصناعة, ومهما كانوا من المال فإنهم لن يهمونا؛ لأن معنا من ؟ الله عزوجل, من يقول للشيء كن فيكون؛ ولكن الله عزوجل يأمرنا أن نقاتل بأيدينا؛ فإذا أعيتنا القدرة مع القيام بما يجب حينئذ جاءنا نصر من الله لا قبل للبشر به؛ وهذه حقيقة يجب أن نفهمها؛ نحن مأمورون بأن نعد العدة وأن نقاتل؛ لكن إذا جاءنا ما لا طاقة لنا به حينئذ يأتي نصر من الله ليس لنا به طاقة ولا لغيره؛ وله شواهد في التاريخ، لهذا القول الذي قلته شواهد في التاريخ, فموسى عليه الصلاة والسلام لما خرج من مصر وكان فرعون قد جمع له جميع أهل المدائن, كل المدن جمعهم من أجل القضاء على موسى وقومه؛ وقال: ((**إن هؤلاء لشرذمة قليلون**)) ليخفف شأنهم عند قومه حتى يستعدوا ويهموا بالقضاء عليهم؛ وصلوا إلى البحر؛ هل للإنسان طاقة بالبحر ؟ لا، ليس له طاقة؛ ولهذا قال قومه: ((**إنا لمدركون**))؛ لأن البحر أمامهم وفرعون وجنوده خلفهم كيف يفتكون؛ قال: ((**كلا إن معي ربي سيهدين**)) فأمره الله عزوجل أن يضرب البحر فضربه مرة واحدة بعصا، عصا تحمل باليد، مرة واحدة فقط, فانفلق اثني عشر طريقا يبسا بلحظة؛ هذه الأرض الرطبة التي هي وحل وطين صارت بلحظة يبسا؛ وهذا الماء السيال صار كل فرق منه كالطود العظيم كالجبل, جبال واقف ليست سيالة؛ حتى إن بعض العلماء يقول: إن الله جعل في هذه الكتل المائية جعل فيها فرجا حتى ينظر بنو إسرائيل بعضهم إلى بعض؛ لأن الإنسان في وسط الماء, المياه على يمينه ويساره ويخشى أن أصحابه قد غرقوا, فجعل الله

لهم فرجا في هذه الأطواد ينظر بعضهم إلى بعض بلحظة؛ هذه لا طاقة للبشر بها؛ لكن من كان الله مولاه فهو منصور؛ خرجوا من البحر ناجين, ثم دخل فرعون وقومه, فلما دخلوا في البحر وتكاملوا داخلين أمر الله البحر أن ينطبق بلحظة فانطبق, بلحظة أغرقهم؛ وكان فرعون قد أرعب بني إسرائيل فأخرجه الله عزوجل لهم جسدا ينظرون إليه: ((**فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية**)) فاطمئن أنه هلك.

وفيما يذكر من تاريخ هذه الأمة أن العلاء بن الحضرمي لما وصل إلى البحرين وجد البحر أمامه, وليس معه سفن, فدعا الله عزوجل فعبر الماء على أقدامه, والخيول والإبل كلها تمشي على الماء كأنما تمشي على صفا من الحجر؛ هذه ليس لنا بها طاقة.

وكذلك أيضا ما يذكر عن سعد بن أبي وقاص عند فتح المدائن أنه وصل إلى دجلة وهي تقذف زبدا من قوة الجريان, والفرس عبروها بسفنهم وجسورهم وكسروا الجسور وأغرقوا السفن, ولم يبق للمسلمين شيء يعبرون به؛ فقال سعد بن أبي وقاص لسلمان الفارسي: أعطنا من آرائك؛ لأنه رضي الله عنه كان ذا رأي في الحرب، وهو الذي أشار بالخندق على المدينة في عام الأحزاب؛ فقال: والله لا أرى حيلة في هذا، بحر بين أيدينا وليس معنا سفن ولا جسور؛ ولكن دعني أنظر في القوم إن كانوا على ما ينبغي وهم أهل للنصرة فليس بنو إسرائيل بأولى منا من النصرة؛ والله عزوجل قد فلق لهم البحر وعبروا؛ فذهب فوجد القوم فرسان في النهار ورهبان في الليل، في الليل ركوعا وسجودا وفي النهار يصلحون معدات الحرب ويستعدون؛ فرجع إليه بعد ثلاث, وقال: إني وجدت القوم على أحسن ما يرام؛ ولكن توكل على الله؛ فنادى سعد بالرحيل وأنه سوف ينفذ البحر, وقال: إني مكبر ثلاثا, فإذا كبرت الثالثة فخوضوا البحر باسم الله؛ ففعلوا, فيقال . سبحان الله . إنهم عبروا كله بخيلهم ورجلهم وإبلهم, حتى إنه بعض المؤرخين ذكر أن الخيل إذا تعبت أنشأ الله لها ربوة تقف عليها وتستريح؛ هذا نصر ليس لنا به طاقة, لكن من الله عزوجل؛ ولهذا قال هنا: لا تراءوا الكافرين ولا تطيعهم استجلابا للنصر أو خوفا منهم؛ لأن لكم وليا أعظم منهم عز وجل وهو الله: ((**بل الله مولاكم وهو خير الناصرين**)) هو خير الناصرين: يعني خير من ينصر؛ بل هو خير الناصرين وأعظم الناصرين وأقدرهم وأقواهم عزوجل: ((**إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده**)) لا أحد؛ إذا الإضراب هنا من أحسن ما يكون في هذا الموضع: ((**بل الله مولاكم وهو خير الناصرين**)) أي خير من ينصر .

في هذه الآيات فوائد؛ أولا: فضيلة الإيمان، حيث وجه الخطاب للناس بوصف الإيمان في مقام الإرشاد والتنبيه؛ وأن الإيمان مقتض للامتثال .

ومن فوائدها: أنه لا يجوز لنا أن نطيع الكافرين؛ لأن طاعتهم وسيلة إلى الكفر: ((**إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين**)) .

ومنها: وجوب الحذر من الكفار؛ وأنهم لا يمكن أن يدبروا أمرا فيه مصلحة للمسلمين والإسلام أبدا، لا يمكن مستحيل حتى الحلفاء الذين يكون بينهم وبين المسلمين حلف لا يمكن أن يحالفوا المسلمين إلا لمصلحتهم قطعا؛ فخزاعة كان بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم حلف في صلح الحديبية لكن لمصلحتهم .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن طاعة الكافر نتيجتها الحتمية الكفر؛ لقوله: ((**يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين**))؛ كيف ذلك ؟ الكفار يأخذوننا شيئا فشيئا، يريدون علينا أشياء نطيعهم فيها, ويقفون عند هذا الحد ؟ لا, ما يقفون يدخلون أشياء، حتى ننقلب على أعقابنا؛ وليس معنى ذلك أن نسجد لهم ونركع لهم، لا؛ إذا خرج الإنسان من دينه كفر؛ ولهذا يذكر عن بعض رؤسائهم أنه قال: نحن نسعى للتنصير لا من أجل أن نخرج المسلم من دينه إلى النصرانية لأن دين النصرانية معروف, بعيد عن الفطرة, وأعني بدين النصرانية الذي هم عليه الآن؛ أما ما جاء به المسيح فهو حق؛ لكن ما جاء به المسيح قد انتهى ونسخ بالدين الإسلام؛ يقول: نحن لا نريد أن نخرج المسلم من دينه إلى النصرانية لكن يكفينا أحد أمرين؛ إما أن نخرجه من دينه إلى لا دين, ويكون بهيميا ليس همه إلا بطنه وفرجه ومتعه؛ وإما أن نشككه في الدين، نشككه؛ ومعلوم أن الإيمان لا يصح مع الشك، الإيمان يقين, إذا كان عند الإنسان أدنى تردد فليس بمؤمن لابد من إيمان؛ لا إيمان مع التردد؛ فهم يقولون يكفي هذا، يكفي أن نخرجه إلى أن يكون بهيميا أو مترددا شاكا حائرا؛ هذه نتيجة كفرية، هذه نتيجة كفرية .

ومن فوائد هذه الآية: أن الكفر خسارة؛ لقوله: ((**فتنقلبوا خاسرين**))؛ وإذا كان الكفر خسارة فالإيمان ربح؛ ولهذا لا نجد أحدا أربح من المؤمن في هذه الدنيا حتى لو كان فقيرا .

الشيخ: ولو كان وحيدا ليس عنده أموال ولا بنون فإنه أربح من الكافر؛ لأن الكافر قد خسر الدنيا والآخرة، لم يستفد من دنياه، في الحقيقة أن الكافر لم يستفد من دنياه, وإنما يعيش كما تعيش البهائم, كما قاله أعلم العالمين قال: ((**والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام**)) سبحان الله مثال منطبق تماما: ((**يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم**)) نتيجة سيئة: ((**النار مثوى لهم**)) يخرجون من الدنيا . والعياذ بالله . التي نعموا فيها إلى نار جهنم, وحينئذ يكون خروجهم أشد وأصعب بخلاف المؤمن . أسأل الله أن يجعلني وإياكم منهم . المؤمنين يخرج من الدنيا ونكبها وتنغيصها إلى دار النعيم، كما قال الله تعالى: ((**الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم**)) عند موته؛ ((**ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون**)) وهذه الآية تدل على نعيم القبر؛ لأنه قال: ((**ادخلوا الجنة**)) الآن من موتكم؛ وقد ثبت في الحديث الصحيح: (**أنه يفسح له في قبره مد البصر ويفتح له باب إلى الجنة ويأتيه من روحها ونعيمها**) كما هو معروف .

ومن فوائد هذه الآية: الحذر الشديد أو التحذير الشديد من طاعة الكفار وولايتهم؛ ومع الأسف الشديد أننا نحن اليوم قد هان علينا الولاء والبراء، الولاء والبراء الذي يجب أن يكون من المؤمن, وهو الذي يذوق به حلاوة الإيمان مفقود إلا ممن شاء الله؛ كان الناس أدركناهم إذا ذكر النصراني اقشعر جلده، اقشعر جلده؛ أعوذ بالله نصراني أو يهودي؛ الآن يقال إن بعض الناس من المسلمين يصف النصراني بالأخوة، أخونا فلان؛ كيف أخونا فلان ؟ إبراهيم عليه الصلاة والسلام ماذا قال هو وقومه؟ ((**إنا براو منكم ومما تعبدون من دون الله**)) شف تبرؤا منهم قبل أن يتبرؤوا من الأصنام: ((**إنا براو منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا**)) إلى متى ؟ ((**حتى تؤمنوا بالله وحده**)) والله عزوجل يقول: ((**قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه**)) هذه الأسوة الحسنة أن نتبرأ من الكافرين، أن نبغضهم، أن نعتقد أنهم أعداء مهما ألانوا لنا القول وزخرفوا لنا, فهم أعداءنا، والله لن تعود هذه العداوة ولاية أبدا إلى يوم القيمة؛ طيب إذا يجب علينا أن نحذر؛ وهنا نوجه الخطاب إلى ولاة الأمور وإلى عامة الناس بالتحذير من الكفار وولايتهم, وننصحهم بأن يتخذوهم أعداء، أعداء حقيقيين كما هو الواقع؛ كذلك أيضا الرعية يجب عليهم أن يبتعدوا عن الكفار ولاسيما في هذه الجزيرة, لأن هذه الجزيرة لها شأن خاص في إبعاد الكفار عنها، قال النبي عليه الصلاة والسلام في مرض موته عند فراقه الدنيا يوصي أمته يقول: (**أخرجوا المشركين من جزيرة العرب**)؛ ويقول: (**لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع إلا مسلما**) فالأول في الصحيحين والثاني في مسلم؛ ويقول فيما صح عنه أيضا: (**أخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة العرب**) وننصح إخواننا العامة بأن يأخذوا بعين الانتباه هذه الوصية من الرسول عليه الصلاة والسلام، وأن لا يحضروا لهذه البلاد أحدا من

اليهود أو النصارى أو غيرهم من الكفار إلا للضرورة القصوى في حدود معينة, يعني بمعنى: أن لا نحضرهم على سبيل الاستيطان المؤبد؛ بل يحضرونهم عند الضرورة وبقدر الضرورة, مدة معينة لا على سبيل الاستيطان المؤبد .

ومن فوائد هاتين الآيتين: إثبات الولاية لله تعالى، إثبات ولاية الله للمؤمنين؛ لأنه قال: ((**يا أيها الذين آمنوا**)) ثم قال: ((**بل الله مولاكم**)) وهذه الولاية خاصة؛ لأن ولاية الله للخلق نوعان: عامة لكل أحد؛ وهذه معناها تولي الأمور، تولي الأمور سواء بنصر أو بخذلان؛ انتبه هذه ولاية عامة، معناها أيش ؟ تولي الأمور بنصر أو خذلان أو غير ذلك, المهم متولي الخلق هو الله عزوجل, هذه ولاية عامة؛ ومنها قوله تعالى: ((**حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق**)) أما الولاية الخاصة فهي خاصة بالمؤمنين: ((**الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات والنور**)), ((**والله ولي المؤمنين**)) وهو عزوجل ولي المتقين؛ فالولاية هذه خاصة, ومعناها أو مقتضاها أن الله سبحانه وتعالى يتولى هذا الذي استحقها باللطف والعناية يوفقه؛ ويفسر هذا حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال فيما يرويه عن ربه: (**من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب, وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه, ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه؛ فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به, وبصره الذي يبصره به, ويده التي يبطش بها, ورجله التي يمشي بها** ...) يعني أن الله يسدده في جميع تصرفاته؛ إذا هذه ولاية خاصة تختص بمن يستحقها من المؤمنين المتقين؛ هنا: ((**بل الله مولاكم**)) ما المراد بها العامة أو الخاصة ؟ الخاصة .

ومن فوائد هذه الآية: أن الله عزوجل ناصر لأوليائه؛ لقوله: ((**وهو خير الناصرين**)) وهذه من ولايته .

فإن قال قائل: كيف نجيب عما أخبر الله في كتابه أن من الناس من قتل الأنبياء بغير حق, كيف نجيب عن ذلك ؟

فالجواب عن هذا من أحد وجهين؛ الوجه الأول: أن المراد بالوعد بالنصر لمن أمر بالجهاد فإن الله ينصره؛ لأن الله لا يكلفه بشيء إلا والعاقبة له فيه؛ وأما الذين قتلوا من الأنبياء فإنهم لم يؤمروا بالجهاد؛ والوجه الثاني أن نقول: إن النصر نوعان؛ نصر شخص, بمعنى أن الإنسان يدركه بشخصه؛ ونصر معنوي, بمعنى أن الله ينصر من جاء بهذا ولو بعد موته؛ ولهذا تجدون الأئمة أئمة المسلمين تجدون أقوالهم كأنهم أحياء بيننا؛ أليس كذلك ؟ الأئمة أقوالهم حية فكأنهم أحياء؛ أنت إذا أخذت كتابا لعالم من العلماء وقرأت وانتفعت به فكأنما درسك هذا العالم؛ إذا هذا نصر وإلا لا ؟ نصر، نصر لمبدئه وهدفه ودعوته هذا نصر؛ فيه وجه ثالث أيضا: أن نوزع النصر على الزمن, فنقول أن النصر قد يكون في الدنيا وقد يكون في الآخرة؛ والذين قتلوا من الأنبياء سوف يكون نصرهم في الآخرة عندما يختصمون مع أقوامهم؛ لأنكم لاحظوا يا إخوان أن أهل الحق وأهل الباطل يوم القيمة يختصمون

عند الله، يختصمون فيقضي بينهم فيما هم فيه يختلفون؛ أنتم لا تظنوا إن الخلاف الذي يقع بين أهل الحق وأهل الباطل ينتهي في الدنيا، لا؛ سوف يحكم الله بينهم يوم القيمة وينصر أهل الحق؛ ((**لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيمة يفصل بينكم**))، ((**ثم إلينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون**)), المهم على كل حال آيات متعددة تدل على هذا: ((**إنك ميت وإنهم ميتون ثم إنكم يوم القيمة عند ربكم تختصمون**)) إذن إذا حكم الله لأهل الحق على أهل الباطل يوم القيمة فهذا نصر أو لا ؟ نصر.

فصار الجواب على هذه الآية ؟ من ثلاثة أوجه؛ إما أن نقول إن الذين وعدوا بالنصر هم الذين أمروا بالجهاد؛ أو نقول إن النصر نوعان؛ نصر لشخص منصور يدركه في حياته, ونصر لدعوته وما جاء به وهذا يكون ولو بعد وفاته؛ أو نقول إن المراد بالنصر هو النصر يوم القيمة عندما يختصمون عند الله عزوجل، قال الله تعالى: ((**إنا للنصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد**)) .

السائل: قوله تعالى: ((**إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم**)) هل هي عامة في كل يهودي وكل نصراني ... ؟

الشيخ: لا، الآية صريحة: ((**فريقا من الذين أوتوا الكتاب**)) لأن بعض أهل الكتاب معهم نصح، ما هم كلهم، ثم أهل الكتاب في الحقيقية في الوقت الحاضر ما فيهم نصح؛ لأن الذين فيهم مودة للذين آمنوا هم أقرب الناس مودة هم الذي إذا سمعوا ما أنزل على الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق؛ حيث قريبين من المؤمنين, أدنى دعوة يتأثرون بها ويدخلون في الإسلام؛ لكن نصارى اليوم كيهود الأمس معاندون ضد الإسلام؛ ولا يريدون أن تقوم للإسلام قائما؛

الطالب: يعني بأن العداوة على عمومها,

الشيخ: في وقت الحاضر هذا هو الظاهر؛ ولهذا لا تجد نصرانيا عنده علم إلا لا يستطيع أن يؤمن؛ لكن جهال النصارى يمكن يؤمنون, لو كان هناك دعاة حقيقة في المسلمين لكان كثير من النصارى يدخلون في الإسلام الجهال منهم؛ لكن الذين عندهم علم، الله أعلم, القلوب بيد الله, لكن بعيد أنهم يدخلوا في الإسلام .

السائل: ذكر بعض المفسرين أن بني إسرائيل أو أن فرعون وقومه لما تبعوا موسى بقي منهم عدد لم يدخلوا البحر فأنزل الله ملائكة وقذفوا بهم في البحر, هل هذا صحيح ؟

الشيخ: الله أعلم؛ لكن يجب أن نعلم أن ما لم يكن في القرآن وصحيح السنة من الأخبار فإنه لا يصدق ولا يكذب؛ لأن الله قال: ((**ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم**

إلا الله))، إذا ما نتلقى أخبارهم إلا من الله عزوجل؛ إما من كتابه أو من صحيح السنة, وما عدا ذلك فإنه يتوقف فيه .

السائل: كذلك العدد,

الشيخ: أبدا ما نعلم عددهم, هذا كله ما نعلمه.

السائل: هل الخطاب موجه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم في: ((**يا أيها الذين آمنوا**))،

الشيخ: والله مشكل, هل هذا خاص بالرسول الله والصحابة ؟

السائل: أوحي إلى الرسول صلى الله عليه وسلم,

الشيخ: أي معلوم كل القرآن موحى إليه, لكن هل الخطابات التي في القرآن والنداءات التي في القرآن للرسول وأصحابه فقط ؟ ((**يا أيها الذين آمنوا**)) هذا وصف ممكن إلى يوم القيمة؛

السائل: ...

الشيخ: أبدا ما أعلم أن أحدا إلا الذين ارتدوا, ولكن الذين ارتدوا من العرب ما هو على شأن الكفار.

السائل: جسد فرعون هل مازال محنطا الآن,

الشيخ: الله أعلم؛ إذا قلنا الذي في الأهرام أنها أجسادهم, الله أعلم؛

السائل: ...

الشيخ: أبدا لأن قوله: ((**لمن خلفك**)) ليس معناها لمن خلفك إلى يوم القيمة؛ يكفي أن بني إسرائيل يشاهدونه ويتيقنون أن الرجل مات, لأنهم مرهبهم كان يقتل أبنائهم ويستحيي نسائهم, جبروت مستبد؛ ومثل هذا لا يمكن الإنسان أن يقتنع ويطمئن على أنه مات إلا بمشاهدته؛ لأن الشيطان يأتيه ويقول لهم: يمكن أنه حي, يمكن أنه سبح في طرف البحر ونجا.

السائل: يوم القيمة يحصل الاختصام بين يدي الله ويقضى بينهم, هل هذه الخصومة بين المؤمن والكفار أو بين أي خصومة حتى لو بين المؤمن والمؤمن ؟

الشيخ: ظاهر كلام العلماء أنه عام حتى بين أهل وأهل البدعة؛ كما مر علينا أظن في النونية, مر علينا أنه عام؛ أما أصحاب الحقوق لاشك أن الله يقضي بينهم، الذي له حق على أخيه هذا أمر معلوم؛ لكن حتى في الأمور الشرعية إذا اختلفوا فيها وكان بعضهم مثلا معاند فالله يحكم بينهم؛ أما من كان الخلاف بينهم ناشئا عن إجتهاد فلا أظن أن يكون بينهم خصومة؛ لأن حقيقة الأمر أن سبيلهم واحد كلهم يريدون الحق؛

السائل: لكن الحق واحد,

الشيخ: أي نعم, لكن كل واحد منهم يعتبر مأجورا: (**إن أصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر واحد**),

السائل: في المسألة المعينة الاجتهادية الحق فيها واحد لكن هناك خلاف ؟

الشيخ: ما فيه شك, لكن كل واحد منهم على حق فيما ذهب إليه, لأنه اجتهد فحكم بما يراه أنه حق؛

السائل: يعني ما يبين ؟

الشيخ: لا، يوم القيمة ما يختصمون .

السائل: قوله تعالى: ((**وهو خير الناصرين**)) هل معناه أن هناك ناصر لكن ليس هو خير, فهل يمكن أن ينصر أحد غير الله ؟

الشيخ: أي نعم, هذه من الفوائد أيضا: أنه يوجد من ينصر غير الله عزوجل, يعني يوجد أحد ينصر غير الله, وهذا صحيح: ((**وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق**)) لكن الله هو خير الناصرين مثل ما أنه يوجد خالق غير الله لكن الله أحسن الخالقين، كما ذكرنا لكم فيما سبق أن الخلق المضاف لغير الله ليس هو الخلق المضاف لله, لأن خلق المضاف لله هو إبداع؛ والخلق المضاف لغير الله ما هو إلا تحويل وتغيير الشيء من شيء إلى شيء من صورة إلى صورة .

السائل: في قوله تعالى: ((**إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم**)) هل الطاعة للكافرين هنا عامة ؟

الشيخ: عامة ؟

السائل: شيخ, لكن في الصناعات,

الشيخ: لا، ليست عامة, نحن قيدناها؛ ماذا قلنا ؟ في الأمور التعبدية؛ أما المسائل الصناعية هذه, وأسباب الرزق, أو كيف تحرث الأرض هذه ما تدخل في ذلك .

الطالب: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ((**سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين**)) .

الشيخ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم؛ أظن ما سبق أخذنا فوائده ؟

الطالب: نعم؛

الشيخ: كلها ؟

الطالب: نعم .

الشيخ: سبق في الآيات الماضية التحذير من طاعة الكفار في أي آية ؟

الطالب: في قوله تعالى: ((**يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين**)).

الشيخ: طيب وجه التحذير ؟ الارتداد على العقب والانقلاب بالخسارة .

الشيخ: هل يشمل هذا أي طاعة كانت ؟

الطالب: قلنا هذا فيما يتعبد به الله عزوجل أما ما كان صناعة ونحوها فلا يدخل في ذلك؛

الشيخ: فلا يدخل في الآية؛ نعم ؟

الطالب: لا ما يدخل؛

الشيخ: لا يدخل في الآية.

الشيخ: وسبق لنا قول الله تعالى: ((**فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة**)) لماذا عبر عن الدنيا بالثواب, وعن الآخرة بحسن الثواب ؟

الطالب: لأن ثواب الآخرة إما أن يجازي الله تعالى الحسنة بمثلها ؛

الشيخ: الحسنة بمثلها ؟

الطالب: لا، ثواب السيئة بمثلها, أما الحسنة تضاعف إلى عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف؛ فذكر الله عزوجل هذا الثواب الحسن إشارة إلى أنه سيجزيهم بهذا وأن جزاءهم ليس جزاء مكافأة إنما هو جزاء فضل وإحسان.

الشيخ: لأن ثواب الدنيا مهما بلغ فهو ناقص، مهما بلغ فهو ناقص, بخلاف ثواب الآخرة؛ وهنا قال: ((**وحسن ثواب الآخرة**)) وفيه إشارة كما قلنا إلى تكفير سيئاتهم بما صنعوا .

الشيخ: مر علينا في الآيات السابقة إثبات المحبة لله ؟

الطالب: من قوله تعالى: ((**والله يحب المحسنين**)) .

الشيخ: وما هي محبة الله هل هي ثوابه أم ماذا ؟ محبة الله هي ثوابه ؟

الطالب: ليست ثوابه بل تليق به,

الشيخ: والثواب ؟ من أسبابها أو من آثارها ؟

الطالب: من آثارها,

الشيخ: من آثار المحبة, طيب .

الشيخ: هل أحد من الناس خالف في هذا ؟

الطالب: خالف فيه الجهمية والمعتزلة؛

الشيخ: والأشاعرة أيضا, فنفوا حقيقة المحبة؛ بماذا فسروها ؟

الطالب: بالموجَب,

الشيخ: طيب, المحبة الآن لها سبب، السبب يسمى موجِب, ولها ثواب يسمى موجَب؛ فمثلا اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم موجِب لمحبة الله: ((**قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله**))؛ والثواب على المحبة موجَب؛ فالموجِب هو السبب والمقتضي هو السبب, والموجَب هو الأثر والمقتضى هو الأثر .

الشيخ: لماذا فسروا المحبة بأثرها أي بالثواب ؟

الطالب: ... يقولون المحبة إنما تكون لمصلحة والله تعالى منزه عن ذلك؛

الشيخ: هذه واحدة وغير ؟

الطالب: والمحبة قالوا هرب؛ هرب ؟ أي نعم لأن المحبة لا تقوم إلا بجسم؛

الطالب: قالوا إن المحبة لا تكون إلا بين المتجانسين؛

الشيخ: أحسنت لا تكون إلا بين المتجانسين, ولا مجانسة بين الخالق والمخلوق .

الشيخ: بماذا نرد على هذا التعليل ؟ يقول إن المحبة لا تكون إلا بين شيئين متجانسين, مثل رجل ورجل، أنثى وأنثى، رجل وأنثى، لا تكون بين شيئين متباينين غاية التباين, فلا تكون بين الخالق والمخلوق, نرد عليه ؟

الطالب: نرد بأن الإنسان يحب مثلا التفاح والفواكه وغيرها, فإذا كان المحبة لا تكون إلا بين متجانسين فيكيف يحب الإنسان التفاح ؟

الشيخ: طيب وأنت تحب التفاح ؟

الشيخ: لكن هل هناك دليل من السنة على إثبات المحبة بين شيئين غير متجانسين ؟

الطالب: نعم عن جبل أحد ؟

الشيخ: طيب, كذا ؟ وكذلك أقر أبا طلحة لما قال: " **أحب مالي ألي بيرحاء** "؛ فدعواهم أنه لا يكون المحبة إلا بين متجانسين, هذا دعوى باطلة يكذبها الحسن والواقع .

الشيخ: طيب, مر علينا إثبات الولاية لله وذكرنا أنها تنقسم ؟

الطالب: إلى ولاية خاصة وولاية عامة؛

الشيخ: مثال الخاصة ؟

الطالب: الخاصة مثل: الله ولي المؤمنين؛

الشيخ: ((**الله ولي الذين آمنوا**)) هذه خاصة؛ والعامة ؟

الطالب: والعامة يعني أن الله يتولى أمور كل الخلق؛

الشيخ: ويش دليله ؟ دليل أو مثال لها ؟

الطالب: نفي الولاية الخاصة عنها؛

الشيخ: لا, لا، دليل ثبوت الولاية العامة ؟

الطالب: قوله تعالى: ((**ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق**))

الشيخ: أي نعم: ((**حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق**)) .

وفيه آية جمعت بين الأمرين في قوله: ((**ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولا لهم**)) فأثبتت الخاصة, ونفتها عن الذين كفروا .

الشيخ: ثم قال الله تعالى: ((**سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ...**))

((**سنلقي**)) الفاعل هو الله عزوجل؛ وعبر عن نفسه تعالى بفعل يقتضي الجمع مريدا بذلك التعظيم, أي سنلقي نحن؛ ولا يمكن أن يراد به إلا ذلك؛ لأن الله واحد ليس متعددا فلا يمكن أن يكون معه أحد, بخلاف غيره فإنك إذا قلت لشخص: سنأتيك، يحتمل أنك أردت التعظيم ويحتمل أنك أردت الجمع؛ لكن بالنسبة لله عزوجل لا يمكن أن يراد الجمع الذي هو للتعدد, وإنما يراد به التعظيم؛ ويدل لهذا قوله تعالى في سورة الأنفال: ((**إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب**)) فالله سبحانه وتعالى هو الملقي, لكنه يذكر نفسه سبحانه وتعالى أحيانا بصيغة الإفراد لأنه واحد, وأحيانا بصيغة الجمع لأنه عظيم؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " **ويحتمل أنه يذكر نفسه بصيغة الجمع لما له من الجنود العظيمة التي لا يعلمها إلا هو** "؛ فيكون هذا إشارة إلى أنه ذو عظمة وسلطان وجنود تفعل ما يأمر به جل وعلا؛ وقوله: ((**سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب**)) السين تدخل على الفعل المضارع وتفيد أمرين؛ الأول: القرب؛ والثاني: التحقق؛ فهي تفيد التحقيق من وجه, وتفيد القرب من وجه آخر, بخلاف سوف فإنها تفيد التحقيق وتفيد الإمهال؛ ولهذا يكون سوف للتسويف, والسين للتنفيس أي القرب .

((**سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب**)) فيها قراءتان: ((**الرعُب**)) و((**الرعْب**)) وهذا يوجد في اللغة العربية كثيرا, يعني التسكين للتخفيف والحركة على الأصل, مثل النهْر والنهَر؛ هذه: ((**الرعْب**)) و((**الرعُب**)) والمعنى واحد؛ والرعْب أشد الخوف, وإنما ذكر الله عزوجل أنه يلقي الرعب في القلب لأن القلب إذا دخله الرعب

فإنه لا يمكن أن يثبته البدن؛ لو ثبت البدن أو حاول الإنسان الثبات فإن قلبه من الرعب سوف يحمله عن الأرض حملا ويفر ولا يمكن أن يبقى؛ ولهذا نجد بني النظير لما ألقى الله في قلوبهم الرعب ماذا صنعوا ؟ صار الواحد منهم ينجوا بنفسه, حتى إنهم كانوا من شدة خوفهم يحملون الأمتعة ويكسرون البيوت, يعني ما يقلعون الأبواب على تؤدة وطمأنينة من شدة الرعب الذي أصابهم؛ والرعب أقوى سلاح يكون على العدو؛ فإذا ألقى الله الرعب في قلب العدو فإنه لن يبقى: ((**سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب**)).

((**بما أشركوا بالله**)) الباء هنا للسببية, أي بسبب شركهم بالله؛ وما يسميها العلماء مصدرية أي بشركهم، وعلامة ما المصدرية أن يصح تحويل ما بعدها إلى مصدر، إذا صح تحويل ما بعدها إلى مصدر فهي مصدرية؛ وقد ذكروا أن لـ ما عدة معاني، ذكروا لها معاني عشرة, مجموعة أو مشارا إليها في بيت من الشعر محفوظ عندكم إلا أن تكونوا قد نسيتموه ؟

ستفهم شرط الوصل فاعجب لنكرها بكف ونفي زيد تعظيم مصدر؛

الأخير هو المثال الذي معنا: ((**بما أشركوا بالله**)) أي بشركهم بالله حيث جعلوا لله تعالى شركاء؛ ولكن هؤلاء الشركاء الذين جعلوهم مع الله إنما جعلوهم شركاء في العبادة لا في الربوبية؛ ولهذا كان شرك العرب شركا في الألوهية لا في الربوبية: ((**ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم**)) ((**ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله**)) ((**قل لمن الأرض ومن فيها سيقولون لله**)) فهم يقرون بأن الله هو الخالق وأن ما في الكون ملكه، لا ينكرون هذا, لكنهم يشركون في العبادة فيعبدون مع الله غيره, ومع ذلك يدعون أنهم يعبدون هذه الأصنام لتكون شفعاء لهم عند الله؛ فهم يقرون أيضا أنها دون مرتبة الله لكن يعبدونها: ((**والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم**)) يعني يقولون: ((**ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى**)).

يقول: ((**بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا**)) ما: تحتمل أن تكون اسما موصولا, أي: الذي لم ينزل به سلطانا؛ وتحتمل أن تكون نكرة موصوفة, أي: شيئا لم ينزل به سلطانا؛ والمعنى لا يختلف على التقديرين؛ فقوله: ((**ما لم ينزل به**)) فيها قراءتان: ((**ينَزِّل**)) و((**ينْزِل**)) أي: بالتشديد والتخفيف؛ وقوله: ((**سلطانا**)) أي حجة وبرهانا؛ فيجعلون لله شركاء لم ينزل الله بهم سلطانا, أي ليس لهم بهم حجة؛ وقوله: ((**ما لم ينزل به سلطانا**)) القيد هنا لبيان الواقع وليس للاحتراز، لبيان الواقع, أي: أن واقع هؤلاء الشركاء أنه لا سلطان لشركهم ولا دليل؛ وليس المعنى أنهم يشركون ما لم ينزل به, ولو أشركوا على ما نزل به لكانوا على صواب، لا؛ لأنه لا يمكن أن يأتي سلطان أي حجة على أن الله له شركاء .

طيب, فإذا قال قائل: ما الفائدة من ذكر هذا الوصف الذي يبين الواقع ؟

قلنا الفائدة في ذلك إقامة الحجة على أنهم ليس لهم دليل في إشراكهم به، ليس لهم دليل لأنهم بنوا على غير سلطان وعلى غير حجة؛ فإذا كان كذالك فالغرض من هذا التنفير عن هذا الإشراك؛ عكس ذلك أن يأتي وصف لبيان الواقع من أجل الحث والإغراء على لزوم الحكم, كقوله تعالى: ((**يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم**)) فإن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يدعوا الخلق إلى ما يميتهم وإنما يدعوهم إلى ما يحييهم؛ فالقيد إذا لبيان الواقع, ولكن جيء به للحث والإغراء على إجابة دعوته، كما أن القيد الذي في الآية هذه: ((**ما لم ينزل به سلطانا**)) لبيان بطلان هذا الإشراك, وأنه ليس له دليل .

قال: ((**ما لم ينزل به سلطانا**)) واعلم أن السلطان ما كان له سلطة؛ فالدليل يمسى سلطانا، والأمير على القوم يسمى سلطانا؛ وولاية الرجل على أهله سلطان؛ وهكذا كل ما كان له سلطة فإنه يسمى سلطانا؛ طيب, قد يكون السلطان بمعنى القدرة على الشيء مثل قوله تعالى: ((**لا تنفذون إلا بسلطان**)) أي بقدرة, ولا قدرة لكم على نفوذ أقطار السموات والأرض .

قال: ((**ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين**)) مأواهم: أي مرجعهم النار؛ فهم . والعياذ بالله . مغلوبون في الدنيا وفي الآخرة؛ في الدنيا يلقي الله في قلوبهم الرعب, فلا يقرون ولا يستقرون؛ في الآخرة مأواهم النار، والنار هي الدار التي أعدها الله عزوجل لأعدائهم يعذبهم بها؛ وهي موجودة الآن, عرضت على النبي صلى الله عليه وسلم في صلاة الكسوف حتى إنه تأخر مخافة أن يصيبه من وهجها عليه الصلاة والسلام, ورأى فيها من يعذب .

((**وبئس مثوى الظالمين**)) بئس: فعل جامد لإنشاء الذم ويقابله نعم؛ وهذا الفعل يحتاج إلى فاعل وإلى مخصوص؛ فما فاعله ؟ مثوى؛ وما المخصوص ؟ محذوف, والتقدير: هي أو النار، وبئس مثوى الظالمين النار؛ وقوله: ((**مثوى**)) المثوى: المستقر الذي يثوي إليه الإنسان ويستقر فيه كالمسكن مثلا.

في هذه الآية الكريمة عدة فوائد؛ الفائدة الأولى: إثبات الأفعال الاختيارية لله؛ لقوله: ((**سنلقي**)) .

ثانيا: أن من كمال الله عزوجل تجدد أفعاله التي تكون تابعة لإرادته وحكمته؛ لأن إلقاء الرعب في قلوب هؤلاء حادث أو قديم ؟ حادث ؟ حادث, كيف ؟ لأنه سنلقي في المستقبل, ثم هؤلاء متى وجدوا, هل هم أزليون ؟ هم حادثون, وقلوبهم حادثة, والرعب الذي يلقى فيها حادث؛ وبه نرد على من أنكروا أفعال الله الاختيارية, وقالوا: إن الله سبحانه وتعالى ليس له أفعال حادثة, زعما منهم أن الفعل الحادث لا يقوم إلا بحادث؛ فيلزم من هذا إنكار صفة القدم عن الله؛ هذا على زعمهم, ونحن نقول: هذه دعوى باطلة؛ من يقول: إن الفعل الحادث لا يقوم إلا بحادث ؟ نحن نشاهد أفعالا لنا لم تكن قديمة كقدمنا, أليس كذلك ؟ فالإنسان يتعشى اليوم غير عشاءه

بالأمس؛ فهذا فعل حادث في محدث؛ فلا يلزم أن يكون الفعل مقارنا للفاعل أبدا لوجود الفاعل؛ إذا نقول في هذه الآية رد على هؤلاء الذين ينكرون قيام الأفعال الاختيارية لله عزوجل .

ومن فوائد هذه الآية: بيان عظمة الله؛ بيان عظمة الله من أين تؤخذ ؟ من قوله: ((**سنلقي**)) فإن هذه الصيغة تدل على العظمة أو التعدد, والتعدد في حق الله محال؛ فتعين أن تكون للتعظيم .

من فوائد هذه الآية الكريمة: أن محل الإرادة والتدبير للبدن هو القلب؛ لقوله: ((**سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب**)) وليس المحل هو الدماغ كما هو مشهور عند فلاسفة اليوم؛ فإن الدماغ في الحقيقة لا يدبر، الدماغ يتصور ثم يرسل الصورة إلى القلب, والقلب يحكم، الدماغ بمنزلة ما يسمونه بالسكرتير, يجهز الأوراق ويصلحها ثم يرسلها إلى الملك ويقول ماذا تأمر ؟ والدليل على هذا .

الشيخ: الدماغ يتصور ثم يرسل الصورة إلى القلب, والقلب يحكم، الدماغ بمنزلة ما يسمونه بالسكرتير, يجهز الأوراق ويصلحها ثم يرسلها إلى الملك ويقول: ماذا تأمر ؟ والدليل على هذا قوله تبارك وتعالى: ((**أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور**)) نص واضح أن العقل يكون بالقلب, وأن محل هذا القلب هو الصدر, وبهذا نرد على من قالوا إن المراد بقوله: ((**قلوب يعقلون بها**)) القلوب المعنوية وهي الدماغ؛ يقول كيف الله يقول: ((**ولكن تعمى القلوب التي في الصدور**)) نص صريح؛ ثم السنة أيدت هذا فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (**ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب**) فالتدبير للقلب والتصور للدماغ، التصور للدماغ؛ قال الإمام أحمد رحمه الله: " **العقل بالقلب وله اتصال بالدماغ** "؛ واتصاله هو ما ذكرنا أن الدماغ يتصور ثم يرسل إلى القلب والقلب يأمر بواسطة الدماغ والدماغ يحرك الأعصاب؛ وبهذا التقرير يتبين لنا أن ما جاء به القرآن والسنة في هذه المسألة لا يخالف ما كان معروفا عند الأطباء اليوم .

ومن فوائد الآية الكريمة: أن إلقاء الرعب في قلب الأعداء من أكبر النصر؛ لقوله: ((**وهو خير الناصرين**)) ثم قال أيش ؟ ((**سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب**)) فالرعب من أقوى أسباب النصر وهو أمر معروف.

هذا الرعب هل هو خاص في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام ؟ أو يشمل ما يحصل لأعداء أتباعه إلى يوم القيمة ؟

الطالب: الثاني،

الشيخ: الثاني هو الثابت؛ ولهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام فيما صح عنه: (**نصرت بالرعب مسيرة شهر**) .

ومن فوائد هذه الآية: إثبات الأسباب؛ لقوله: ((**بما أشركوا**)) لأن الباء للسببية؛ وإثبات الأسباب هو الحق, والأسباب إما شرعية وإما حسية؛ وإنكارها سفه في العقل وضلال في الدين, لأن النصوص قد تكاثرت وتجمعت على إثبات الأسباب؛ دخول الجنة لا يحصل إلا بسبب، والنجاة من النار لا يحصل إلا بسبب، الولد لا يحصل إلا بسبب، الرزق لا يحصل إلا بسبب، كل شيء لابد له من سبب؛ فإنكار الأسباب ضلال في الدين وسفه في العقل؛ ومن العجب أن الأشاعرة ومن نحا نحوهم في هذا الباب يقولون: إن الله تعالى يوجد الأشياء بلا واسطة, وتقع الأشياء بتدبيره مباشرة بلا واسطة؛ لأنهم يقولون لو أثبتنا الواسطة وجعلنا لها تأثيرا لكان هذا نوعا من الشرك بالله؛ فمثلا يقولون: لا أثر للسكين في قطع اللحم, ولا أثر للحجر في كسر الزجاجة؛ كيف ؟ يعني إنسان

أتى بلحم وجعل يقطعه بالسكين، يقول: لا أثر للسكين في قطع اللحم؛ من القاطع ؟ الله؛ إنسان رمى زجاجة بحجر فانكسرت، لا أثر للحجر في كسر الزجاجة؛ من الذي كسرها ؟ الله؛ لأنك لو قلت: إن السكين قطعت اللحم أشركت بالله؛ لو قلت: إن الحجر كسر الزجاجة أشركت بالله؛ إذا الأسباب لا تؤثر؛ طيب كيف ما تؤثر, نحن نشاهد هذا ؟ قال: هذا خلقه الله عندها لا بها؛ سبحان الله ! لو أتيت بعصا ليس بسكين وأردت تقطع اللحم ؟ ما يقطع؛ لو أرسلت ريشة على زجاجة ولصقت بها من شدة حذفك إياها, تكسرها ؟ لا تكسرها؛ إذا لا يمكن أن ننكر هذا الشيء؛ هذا سفه في العقل؛ لكننا نقول: هذه الأسباب لا يوجد بها المسبب بذاتها, وإنما يوجد بما أودع الله فيها من القوى التي خلقها الله عزوجل؛ واضح ؟ من ذلك الرعب يلقى في قلوب الذين كفروا؛ لسبب وإلا لغير سبب ؟ لسبب وهو الإشراك.

من فوائد هذه الآية الكريمة: أنه إذا كان الرعب يلقى في قلوب الذين كفروا لإشراكهم فإن الأمن يلقى في قلوب الذين آمنوا لتوحيدهم؛ أليس كذلك ؟

الطالب: بلى؛

الشيخ: لأن ما ثبت للشيء ثبت ضده لضده؛ فإذا ثبت الرعب للكفار بسبب إشراكهم ثبت الأمن للمؤمنين بتوحيدهم؛ ويدل لهذا قوله تعالى: ((**الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون**)) والظلم الشرك كما فسره النبي عليه الصلاة والسلام؛ لما نزلت هذه الآية قالوا: يا رسول الله أينا لم يظلم نفسه ؟ قال: (**إنما ذلك الشرك, ألم تسمعوا إلى قول الرجل الصالح:** ((**إن الشرك لظلم عظيم**))؛ إذا كلما كان الإنسان أشد إيمانا بالله وأشد توحيدا له كان أشد أمنا واستقرارا؛ وهذا شيء مجرب لأن من كان أشد إيمانا وتوحيدا لله كان أقوى توكلا عليه, ومن أقوى أسباب الأمن ومصابرة الأعداء التوكل على الله عزوجل, حتى إن من الناس من يقوم توكله على الله مقام الدواء في الشفاء, كما قرر شيخ الإسلام رحمه الله وهو واقع، بعض الناس يكون عنده قوة توكل على الله ويشفى بدون علاج, بسبب قوة توكله على الله؛ وقد أشار إلى هذا شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حينما ذكر أن الدواء بالمحرم ليس ضروريا حتى يقال: إن الدواء بالمحرم جائز للضرورة؛ قال: هذا ليس بضروري؛ لماذا ؟ لأن المريض قد يشفى بدواء آخر, وقد يشفى بالقراءة، قال: وقد يشفى بقوة التوكل على الله؛ وقد مرض أبو بكر رضي الله عنه فقيل له: ألا ندعو لك طبيب ؟ قال: " **إنه قد رآني وقال: إني أفعل ما أريد** "؛ من يعني به ؟ الله عزوجل؛ فالحاصل أن نقول إن الإنسان كلما قوى إيمانه بالله وقوي توحيده ازداد أمنا وطمأنينة واستقرارا وهذا أمر مشاهد مدرك بالحس .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أنه لا دليل لأحد على شركه؛ لقوله: ((**ما لم ينزل به سلطانا**)) .

ومن فوائدها: النداء والإعلان عن سفه هؤلاء المشركين لكونهم أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا؛ لو كان لهم دليل لعذروا, لكن لا دليل لهم؛ وهذا نداء عليهم وإعلان بسفههم .

ومن فوائد هذه الآية: إثبات الجزاء؛ لقوله: ((**ومأواهم النار**)) .

ومن فوائدها: إثبات أن النار مأوى الكافرين الذين أشركوا بالله؛ فنحن نشهد بأن كل كافر مشرك فمأواه النار؛ ولكن هل نشهد بهذا لعين الشخص ؟ لا، لا نشهد له؛ ولكننا نقول: إننا نعامله في الدنيا معاملة الكافر؛ فمثلا لو مات زعيم من زعماء الكفرة كزعيم الروس أو زعيم أمريكا أو ما أشبه ذلك، نحكم بأنه كافر وأن كل كافر في النار, ونحكم بأنه كافر فلا نصلي عليه ولا نكفنه ولا ندفنه مع المسلمين ولا ندعو له بالرحمة؛ لكن مسألة الجزاء هذا ندخله في العموم نقول: كل كافر فإنه في النار.

ومن فوائد الآية الكريمة: ذم النار؛ ومثواها . والعياذ بالله . لقوله تعالى: ((**وبئس مثوى الظالمين**)) وصدق الله عزوجل فإن أبأس دار وأقبح دار وأخبث دار هي النار؛ ولهذا استحقت هذا الوصف من الله عزوجل وهو قوله: ((**وبئس مثوى الظالمين**)) .

السائل: شيخ أحسن الله إليك ! قلنا إن القلب هو الذي يعقل ويأمر الدماغ والقلب الصناعي لا يعقل فيكف ؟

الشيخ: القلب الصناعي لابد أنه يدخله مثلا العروق ويحصل منه حركة، هذه الحركة يمكن أن نفسرها بأنها أمر من القلب يصدر, سواء بشيء ثابت بخلقة الله عزوجل أو بالصناعة .

السائل: شيخ أحسن الله إليك ! لو مات أحد قادة الكفار اليوم لماذا لا نقول إنه في النار مع أن الله عزوجل يقول: ((**ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم**)) ؟ الشيخ: صحيح لكن هذا عام.

السائل: لكن هو مات على الكفر الآن يقول: إن الله ثالث ثلاثة مشرك، لماذا لا نقول إن هذا يدخل النار ؟

الشيخ: ما نقول، المعين غير العموم؛ الآن لو مات واحد من الناس من المسلمين, ومات على شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، هل نشهد له بالجنة ؟

السائل: لا ما نشهد له بالجنة, لكن هذا فيه احتمال أنه يعذب وفيه احتمال أنه يغفر له, لكن الكافر حتما أنه سيدخل النار ؟

الشيخ: لا ما هو هكذا؛ في الجنة ولو بعد تعذيب؛

السائل: هو سيدخل الجنة, كل مسلم سيدخل الجنة؛

الشيخ: بس كل مسلم, أحسنت, نقول أيضا كل كافر سيدخل النار؛ ولهذا من عقيدة أهل السنة والجماعة أنا لا نشهد لمعين بجنة ولا نار إلا من شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وزاد شيخ الإسلام رحمه الله أو اتفقت الأمة على الثناء عليه, كالأئمة الأربعة مثلا نشهد لهم بالجنة لا لأن الرسول شهد لهم لكن لأن الأمة أثنت عليهم, وقد قال الله تعالى: ((**وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس**)) ولما مرت جنازة من عند الرسول صلى الله عليه وسلم وهو جالس في أصحابه فأثنوا عليها خيرا قال: (**وجبت**)، **ثم مرت أخرى فأثنوا عليها شرا قال:** (**وجبت**) **قالوا: وما وجبت ؟ قال:** (**أما الأول فوجبت له الجنة وأما الثاني فوجبت له النار أنتم شهداء الله في الأرض**) .

السائل: شيخ الحديث الذي ذكر فيه النبي صلى الله عليه وسلم لما وقف على قبر كافر فبشرهم بالنار، هذا ما يدل على جواز تبشير الكفار بأعيانهم إذا ظهر ... ؟

الشيخ: بس هذا لفظ الحديث وإلا عين؟

السائل: أذكر هذا لفظ الحديث.

الشيخ: حرر لفظ الحديث نشوف.

السائل: المسلم ما نشهد له بالجنة لأنه قد يكون كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (**يعمل فيما يرى الناس**)؛ أما الكافر يعني كافر ... ؟

الشيخ: البخاري روى الحديث: (**إن الرجل ليعمل بعمل أهل النار فيما يبدوا للناس وهو من أهل الجنة, وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدوا للناس وهو من أهل النار**) كلهم قال .

ما نشهد لأحد معين, لكن يكفي أن نقول: الأصل, الأصل في هذا أنه من أهل النار، الأصل في هذا الذي مات على الكفر أنه من أهل النار, هذا هو الأصل؛ لكن هل نجزم بالأصل ؟ يجوز أنه في آخر لحظة من حياته ألقى الله في قلبه الإيمان .

السائل: هل ينفعهم هذا ؟

الشيخ: أي نعم, إذا كان قد تاب ولم يحضره الموت فالله يتوب عليه, ما ندري؛ على كل حال لاحظوا يا إخوان شهادتنا له بالنار لا توجب له النار, وعدم شهادتنا له بالنار لا تمنع عنه النار؛ إذا ما فائدتنا أن نقول أن نلزم أنفسنا بالشهادة لهذا الشخص المعين بالنار ؟ ويش الفائدة ؟ السائل: شيخ هذا الحديث ما يختص بالمسلمين, يعني يمكن أن المسلم يعمل بعمل أهل النار فيما يبدوا للناس؛

الشيخ: ما قال مسلم قال: إن الرجل ليعمل؛

السائل: يختص بالمسلم ؟

الشيخ: ما تخصص.

الطالب: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم؛ ((**ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين**)) .

الشيخ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم؛ قال الله تبارك وتعالى: ((**ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه حتى إذا فشلتم** ...)).

الشيخ: سبق لنا في الدرس الماضي ما يدل على إثبات الأسباب؛ من أين يا فهد ؟

الطالب: من قوله تعالى: ((**سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله**))

الشيخ: طيب. هل تعرف خلافا للعلماء في تأثير الأسباب ؟

الطالب: البعض يقول: أن الأسباب لازمة في الأمور ... ؛ وبعض يقول لا أسباب, ما لها تأثير في الأمور؛

الشيخ: هذان قولان؛ الثالث ؟

الطالب: أن لها تأثيرا لكن ليس بذاتها لكن بما يجعله الله فيها.

الشيخ: أن لها تأثيرا لكن بتقدير الله عز وجل وليس بذاتها, تمام.

الشيخ: قوله: ((**ما لم ينزل به سلطانا**)) الأخ, هل يدل على أن هناك شركا أنزل الله به سلطانا ؟ الطالب: هذه الآية نص على أن كل أنواع الشرك لا سلطان عليه؛

الشيخ: إذا فالقيد لبيان ؟

الطالب: لبيان أن كل شرك ليس له سلطان؛

الشيخ: أي لكن يسمي العلماء مثل هذا القيد ؟

الطالب: لبيان الواقع؛

الشيخ: لبيان الواقع أن كل شيء لا يمكن به سلطان .

قال الله تعالى: ((**ولقد صدقكم الله وعده**)) هذا مبتدأ درس اليوم؛ فيقول الله عزوجل: ((**ولقد صدقكم الله وعده**)) وهذه الجملة مؤكدة بثلاثة مؤكدات؛ المؤكد الأول القسم المقدر, لأن التقدير: والله لقد؛ والثاني اللام؛ والثالث قد؛ فهذه ثلاثة مؤكدات في هذه الجملة؛

((**صدقكم الله وعده**)) أي أنجزه لكم؛ وقوله: ((**وعده**)) منصوب بنزع الخافض, أي: صدقكم الله في وعده, أي: فيما وعدكم به من النصر؛ يقال: صدَقه ويقال: صدَّقه, وبينهما فرق؛ فإذا قيل: صدَقه يعني أخبره بالصدق؛ وإذا قيل: صدَّقه أي قال إنما أخبرت به صدق؛ فالتصديق من المخاطب للمتكلم, والصدق من المتكلم للمخاطب؛ فمعنى قوله تعالى: ((**صدقكم الله وعده**)) أي: أنجز لكم الوعد فصار ما أخبركم به صدقا؛ قالوا: ووعده منصوب بنزع الخافض, والتقدير: في وعده؛ والنصب بنزع الخافض مطرد مع أنَّ وأنْ؛ وأما في غير هذا الموضع فليس بمطرد؛ قال ابن مالك في الألفية :

وفي أنَّ وأنْ يطرد مع أمن لبس كعجب أيدوا؛

يعني نزع الخافض يطرد مع أنَّ وأنْ بشرط أن يؤمن اللبس .

((**ولقد صدقكم الله وعده**)) أي ما وعدكم به من النصر؛ ثم بين موضع هذه الصدق فقال: ((**إذ تحسونهم بإذنه**)) فإذ هنا ظرف متعلق بصدق, أي: صدكم وعده حين حسستموهم بإذنه؛ وقوله: ((**إذ تحسونهم بإذنه**)) مضارع عبر به عن شيء ماض على تقدير حكاية الحال؛ لأن القاعدة: أن يعبر عن الماضي بصيغة الماضي، أن يعبر عن الماضي بصيغة الماضي؛ فيقال: قام زيد؛ لكنه هنا عبر عن الماضي بصيغة الحاضر لحكاية الحال, لتقريب تصور الماضي في الذهن؛ لأن المضي قد انقضى فربما يكون الإنسان ناسيا له, فإذا صيغ بصيغة المضارع صار الماضي كأنه حاضر؛ وهذا ما يعبر عنه النحويون بحكاية الحال، حكاية الحال الماضي, كأنها الآن واقعة من أجل أن يكون ذلك أقرب لحضورها في الذهن .

وقوله: ((**تحسونهم بإذنه**)) الحس: القتل أو أشد القتل، الحس يعني القتل أو أشده؛ نعم: ((**تحسونهم بإذنه**)) أي: تقتلونهم أشد قتلة بإذن الله الكوني والشرعي؛ بإذنه الكوني لأنه قد وقع, وكل شيء قد وقع فإن الله قد أذن به كونا؛ وبإذنه الشرعي لأن الله تعالى قد شرع لنا أن نقاتل الكفار, فيكون قتلنا لهم مأذونا فيه شرعا؛ إذا في هذه الآية اجتمع الإذنان الكوني والشرعي .

وقوله: ((**إذ تحسونهم بإذنه**)) أي تقتلونهم بإذنه؛ هذا نصر.

فإن قال قائل: وهل قتل أحد من الكافر في يوم أحد ؟ فالجواب: نعم, قتل منهم أكثر من تسعة رجال أو تسعة رجال, وانهزموا وفروا حتى رئي النساء ينطلقن يصعدن في الجبل مذعورات كاشفات الرؤوس حاصرات السيقان, لأنهن قد هربن حيث أيقن بالأسر؛ وكانت الغلبة والعزة في أول النهار للمسلمين.

ثم قال: ((**حتى إذا فشلتم وتنازعتم** ...)) حتى قيل: إنها ابتدائية؛ وقيل: إنها للغاية, أي صدقكم وعده إذ تحسونهم بإذنه إلى أن فشلتم؛ وعلى هذا فتكون إذا غير شرطية يعني حتى وقت فشلكم؛ هذا وجه, معروف حتى

للغاية, وإذا فشلتم أي: حتى حين فشلتم, أي أن صدق الوعد والحس استمر إلى أن فشلتم ((**وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون**))؛ والوجه الثاني: أن حتى ابتدائية؛ فالجملة مستأنفة؛ وتكون إذا على هذا الوجه تكون شرطية, وجوابها يذكر إن شاء الله.

((**حتى إذا فشلتم**)) الفشل معناه الجبن والخور, أي: حتى إذا جبنتم وخرتم وعجزتم عن الانتصار؛ ((**وتنازعتم في الأمر**)) المنازعة: المخاصمة والاختلاف؛ وقوله: ((**في الأمر**)) هل المراد بالأمر الشأن أو المراد بالأمر واحد الأوامر ؟ على القول الأول يكون الأمر واحد الأمور, وعلى الثاني يكون الأمر واحد الأوامر؛ المعنى: ((**وتنازعتم في الأمر**)) أي: في الشأن، أي: في شأنكم؛ أو في الأمر أي في أمر الرسول صلى الله عليه وسلم؛ ويكون الخطاب موجها إلى الرماة وكانوا خمسون رجلا أمَّر عليهم النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن جبير, وقال لهم: (**لا تبرحوا مكانكم**) ابقوا في الجبل سواء كانت لنا أو علينا, ولما رأوا المسلمين قد انتصروا وانهزم المشركون, وصار المسلمون يجمعون الغنائم, أرادوا النزول من الجبل, فنازعهم أميرهم وقال لهم: امكثوا اثبتوا, ولكنهم أصروا على النزول فنزل منهم أكثرهم؛ إذا يكون الأمر هنا واحد الأوامر, أي: تنازعتم في أمر الرسول صلى الله عليه وسلم فمنكم من قال: نبقى امتثالا لأمره, ومنكم من نزل اغتناما لكسب الغنيمة؛ أعرفتم الآن ؟ والمعنيان متلازمان لأنه لما اختلفوا في أمر الرسول تنازعوا في شأنهم أي في أمرهم.

((**وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون**)) وعصيتم من ؟ عصيتم الرسول؛ لكن لم يذكر المفعول به كراهة لذكره حيث إنه يكون أشد وقعا وتوبيخا, وكأن الله عزوجل أراد أن يوبخهم بطريق لين؛ قال: ((**عصيتم**)) ما قال: الرسول؛ لأن هذا أهون مما لو صرح به وقيل: عصيتم الرسول؛ فإذا قيل: عصيتم الرسول صار أشد وقعا في التوبيخ؛ وقوله: ((**من بعد ما أراكم**)) أراكم من الفاعل ؟ الله, يعني: من بعد ما أراكم رؤيا عين: ((**ما تحبون**)) من النصر وهزيمة أعدائكم؛ بقي علينا أن نقول: أين جواب الشرط على الوجه الثاني في إذا: ((**إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون**)) قال بعضهم: إن جواب الشرط: ((**تنازعتم**)) حتى إذا فشلتم تنازعتم وعصيتم؛ وعلى هذا تكون الواو زائدة؛ وقال بعضهم: جواب الشرط: ((**عصيتم**)) أي: حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر عصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون؛ وقال بعضهم: جواب الشرط محذوف تقديره: انقسمتم قسمين منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة؛ هذه ثلاثة أقوال؛ وقال بعضهم: محذوف تقديره: فاتكم النصر، حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم ... فاتكم النصر؛ وقال بعضهم: الجواب محذوف قطعا, والقول بأن الواو زائدة في: ((**تنازعتم**)) وأنه هو جواب الشرط, أو في عصيتم وأنه جواب الشرط قول ضعيف؛ لأن الحرف هنا حرف جاء لمعنى, يفوت بفواته ما جاء من أجله؛ فالجواب إذا محذوف,

وفائدة حذفه أن يذهب الذهن كل مذهب في تقديره, وكل شيء يقدر جوابا لإذا لا ينافي المقدر الآخر فإنه صالح؛ وعلى هذا ممكن أن نقول: ((**وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون**)) فاتكم ما تحبون؛ أو فاتكم النصر؛ أو خذلتم؛ أو انقسمتم إلى قسمين؛ المهم أن كل هذه الاحتمالات صحيحة ولا تتنافى؛ فقد فاتهم النصر وانقسموا إلى قسمين, وخذلوا؛ ولكن هذا من بلاغة القرآن، الحذف من أجل أن يكون أشمل وأكثر للمعنى .

ثم قال الله تعالى: ((**منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة**)) من هنا تبعيضية, أي بعضكم والبعض الآخر ؟، بعضكم يريد الدنيا والبعض الآخر يريد الآخرة؛ فالذين نزلوا لجمع الغنائم ظاهر عليهم أنهم يريدون الدنيا؛ والذين ثبتوا ظاهر عليهم أنهم يريدون الآخرة؛ وهذا على سبيل المثال، هذا على سبيل المثال وإلا فالأمثلة كثيرة في الذين يريدون الدنيا والذين يريدون الآخرة؛ حتى في طلب العلم من الناس من يريد الدنيا ومن الناس من يريد الآخرة، من الناس من يريد الجاه والرفعة والسيادة لأن:

العلم يرفع بيتا لا عماد له والجهل يهدم بيت العز والشرف؛

ومنهم من يريد الآخرة، أن يحفظ شريعة الله, وأن يعلم عباد الله, وأن يتعبد لله على بصيرة وما أشبه ذلك؛ فهذا حال الناس كلهم منهم من يريد الدنيا ومنهم من يريد الآخرة .

الطالب: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ((**ولقد صدقكم الله إذ تحسونهم بإذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين إذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم فأثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم والله خبير بما تعملون**))

.

الشيخ: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم؛ قال الله تبارك وتعالى: ((**ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه**)) هذه الجملة قلنا إنها مؤكدة بمؤكدات ؟

الطالب: واو القسم، القسم المحذوف؛ واللام؛ وقد؛

الشيخ: أحسنت .

الشيخ: قوله: ((**إذ تحسونهم**)) فهد ويش معنى الحس ؟

الطالب: القتل أو أشد القتل .

الشيخ: قوله تعالى: ((**حتى إذا فشلتم**)) معنى فشلتم ؟ أنت يا أخ, كن شجاعا لا تتهيب, ((**فشلتم**)) أيش معناها ؟

الطالب: تنازعتم؛

الشيخ: نعم ؟

الطالب: جبنتم.

الشيخ: أي نعم .

الشيخ: أين جواب إذا في قوله: ((**حتى إذا فشلتم**)) ؟

الطالب: فيها أقوال يا شيخ؛ قيل: إنه: ((**تنازعتم**)) والواو زائدة, وقيل: إنه: ((**عصيتم**)) وعلى هذا أيضا الواو زائدة؛ وفيه انقسمتم إلى قسمين منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة؛ وقيل: فاتكم النصر؛ وقيل: هو محذوف على كل حال وإنما حذف لأجل أن يذهب فيه الذهن كل مذهب, الشيخ: ويقدر كل تقدير

الطالب: وهذا هو الراجح؛

الشيخ: نعم أحسنت .

الشيخ: قوله تعالى: ((**منكم من يريد**)) من هنا ؟

الطالب: تبعيضية؛

الشيخ: يعني بعضكم يريد الدنيا وبعضكم يريد الآخرة .

الشيخ: ما مثال الذي يريدون الدنيا ؟

الطالب: هؤلاء الذين نزلوا من مكانهم؛

الشيخ: الذين نزلوا من المكان الذي جعلهم الرسول صلى الله عليه وسلم فيه من أجل الغنائم .

الشيخ: قوله: ((**ثم صرفكم عنهم**)) الهاء تعود على من ؟

الطالب: مبتدأ الدرس ؟

الشيخ: طيب .

يقول الله عزوجل: ((**ثم صرفكم عنهم**)) ثم أي بعد أن صدقكم الله وعده بحسهم أي بقتلهم صرفكم عنهم, يعني بعد أن فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم صرفكم عنهم؛ وتأمل قوله: ((**صرفكم**)) فإن الصرف يقتضي إقبالا شديدا يعانى فيه المقبل حتى يصرف، كما تقول: صرفت الدابة عن العلف وما أشبه ذلك؛ فيفيد بأن المسلمين كانوا مقبلين جدا على هؤلاء الأعداء لكن صرفوا عنهم مع شدة رغبتهم في القضاء عليهم, لأنه كان لهم نصر في أول الأمر لكن صرفوا عنه .

وقوله: ((**ليبتليكم**)) أي ليختبركم؛ هل تعرفون قدر الطاعة لله ورسوله ؟ ويتبين من يقدر هذا الأمر أو لا يقدره؛ والابتلاء في الأصل الاختبار والامتحان؛ ويكون في الخير ويكون في الشر؛ قال الله تعالى: ((**ونبلوكم بالشر والخير فتنة**)): وقال سليمان لما رأى عرش بلقيس حاضرا عنده مستقرا عنده قال: ((**هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر**)) فالخير ابتلاء والشر ابتلاء؛ الشر يبتلى به الإنسان ليصبر, والخير يبتلى به ليشكر, فكله ابتلاء؛ ولهذا قال: ((**ليبتليكم**)).

((**ولقد عفا عنكم**)) هذه الجملة أيضا مؤكدة بثلاثة مؤكدات؛ القسم المقدر لأن الأصل ولقد أي: والله لقد؛ واللام, وقد؛ وإنما أكدت الجملة هنا والجملة هناك في قوله: ((**ولقد صدقكم**)) لأنه قد يتبادر من الوقائع خلاف ذلك؛ فمثلا الجملة الأولى: ((**ولقد صدقكم الله وعده**)) قد يتبادر من كون الهزيمة في آخر الأمر على المسلمين أن الله لم يصدقهم وعده؛ فأكد ذلك بقوله: ((**ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه**)) وهذا نصر؛ والثانية: لما ابتلوا بهذه البلوى قد يتبادر إلى الذهن بأن الله سوف يعاقبهم على معصيتهم وتنازعهم وجبنهم فقال: ((**ولقد عفا عنكم**)) فكان التأكيد هنا وفي أول الآية في غاية ما يكون من البلاغة؛ لأن المقام يقتضي التأكيد.

وقوله: ((**ولقد عفا عنكم**)) العفو بمعنى التجاوز؛ ويكون محمودا ويكون مذموما؛ إذا كان مع القدرة فهو محمود؛ وعفو الله بلا شك مع القدرة, لأن الله قادر على أن ينتقم عزوجل, لكنه يعفو مع القدرة كما قال الله تعالى: ((**وكان الله عفوا قديرا**))؛ ويكون مذموما إذا كان مصدره العجز، إذا كان مصدره العجز فهو مذموم لا يحمد عليه الإنسان؛ لأن هذا يدل على ضعفه وعدم أخذه لنفسه بالحق.

وقوله: ((**ولقد عفا عنكم**)) يشمل كل من وقعت منهم المخالفة؛ وهذا من فضل الله عليهم؛ ويجدر بنا هنا أن نذكر قصة عجيبة: **جاء رجل من الخوارج إلى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وهو مستظل في الكعبة, فوقف عليه بعد أن سأل عنه فقال: من هذا ؟ قالوا: هذا عبد الله بن عمر؛ فوقف عليه وكان خارجيا, فسأله عن أمير المؤمنين عثمان قال له: أما علمت أن عثمان بن عفان تخلف عن غزوة بدر ؟ قال: بلى تخلف؛ قال: أما علمت أنه فر يوم أحد ؟ قال: بلى فر؛ قال: أما علمت أنه لم يبايع بيعة رضوان ؟ قال: بلى؛ قال الخارجي: الله أكبر**؛ كبر يعني على أنه انتصر، انتصر لأنه إنما سأل هذه الأسئلة الثلاثة ليقدح في عثمان رضي الله عنه, **فكبر الخارجي، لما كبر قال له: أما وقد فعلت فسأحدثك؛ أما تخلفه في غزوة بدر فإن النبي صلى الله عليه وسلم أمره أن يبقى ليمرض ابنته**، ابنة الرسول صلى الله عليه وسلم كانت مريضة،

رقية زوجة عثمان؛ فتخلف ليمرضها بأمر النبي صلى الله عليه وسلم, وضرب له النبي صلى الله عليه وسلم بسهمه وأجره؛ إذا هل يلام على هذا ؟ لا يلام، تخلف بأمر الرسول ليمرض بنت الرسول, والرسول صلى الله عليه وسلم ضرب له بسهمه وأجره؛ **وأما فراره في أحد فإن الله تعالى قال:** ((**ولقد عفا عنكم**))، بعد العفو هل يبقى أثر الذنب ؟ لا؛ **وأما تخلفه عن بيعة الرضوان فإنه لا يوجد أحد من بطون قريش أعز من البطن الذي منه عثمان** لأن بطنه قوي في قريش؛ **فلم ير النبي صلى الله عليه وسلم أحق بأن يبعثه إلى قريش من عثمان فبعثه إلى قريش ليفاوضهم لأن له مكانة، ثم إن الرسول صلى الله عليه وسلم لما بايع المؤمنين تحت الشجرة أخذ بيده الكريمة ووضعها على اليد الأخرى وقال:** (**هذه عن يد عثمان**) . الله أكبر . فكانت يد النبي صلى الله عليه وسلم خيرا من يد عثمان لعثمان؛ أليس كذلك ؟

الطالب: بلى،

الشيخ: سبحان الله من حصل له هذه, منقبة عظيمة، **ثم قال: اذهب بها إلى قومك أو كلمة نحوها**؛ يعني أنت جئت تريد أن تقدح في أمير المؤمنين, وصار الآن القدح صار ولله الحمد مدحا، صار مدحا؛ فمثل هذه المسائل ينبغي للإنسان أنه ينتبه لبعض الناس، بعض الناس ربما يسأل سؤالا ظاهره الاسترشاد, ولكن يكون معناه النقد؛ فإذا جاء به على هذا الوجه ألقم الناقد حجرا, وصار هذا من فهمه .

يقال إن واحدا من الناس سأل أحد العلماء ...

فليكن حذرا؛ وعلى كل حال كل مقام له مقال, ليس معناه أن نسيء الظن في كل واحد؛ لكن كل مقام له مقال؛ ابن عمر رضي الله عنه فهم من هذا الخارجي أنه يريد الطعن والقدح في عثمان فأجابه .

((**ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين**)) **الله ذو فضل**: ذو بمعنى صاحب, أي: صاحب فضل؛ ((**على المؤمنين**)) يعني وأنتم منهم، وأنتم منهم, ولذلك عفا عنكم؛ وهنا في الجملة إظهار في موضع الإضمار, إذ مقتضى السياق أن يقول:

الشيخ: ((**على المؤمنين**)) يعني وأنتم منهم، وأنتم منهم, ولذلك عفا عنكم؛ وهنا في الجملة إظهار في موضع الإضمار, إذ مقتضى السياق أن يقول: والله ذو فضل عليكم؛ وفائدته, أي فائدة الإظهار في مقام الإضمار تقدمت لنا, وقلنا إن فيه ثلاث فوائد؛ هداية الله يعرفها ؟ الإظهار في موضع الإضمار فيه ثلاث فوائد ؟

الطالب: الفائدة الأولى التنبيه, لأن الكلام إذا كان على نسق واحد ربما يمل الإنسان؛ فإذا تغير انتبه لهذا؛

الشيخ: هذا في الالتفات؛ نعم ؟

الطالب: الفائدة الأولى أن نقول: أن هذا هو العلة في الحكم ...

الشيخ: الفائدة الأولى أولا: التسجيل على محل الإضمار أو على مرجع الضمير بأنه من أهل هذا الوصف, يعني إثبات هذا الوصف لمرجع الضمير؛ فمثلا: والله ذو فضل عليكم؛ إذا قال: على المؤمنين بدل عليكم أفاد بأنهم هم أيش ؟ مؤمنون؛ هذه واحدة؛ ثانيا: العموم؛ لأنه لو قال: والله ذو فضل عليكم اختص الفضل بمرجع الضمير؛ فإذا قال: ((**على المؤمنين**)) شملهم وغيرهم؛ الفائدة الثالثة ما أشار إليه الأخوان وهي: العلة, علة الحكم، الحكم كون الله ذا فضل, والعلة الإيمان؛ هنا في هذه الآية وإلا الأخيرة هذه تختلف باختلاف السياق؛ هذه فائدة الإظهار في موضع الإضمار؛ أما هنا فهنا مناسبة لفظية, في الإظهار هنا في موضع الإضمار مناسبة لفظية وهي: تناسب رؤوس الآيات؛ لأنه لو قال: والله ذو فضل عليكم لم تتناسب مع ما بعدها ومع ما قبلها.

طيب ((**والله ذو فضل على المؤمنين**)) في هذه الآية الكريمة عدة فوائد؛

أولا: أن الله سبحانه وتعالى قد نصر المؤمنين في أحد كما نصرهم في بدر؛ ودليله قوله تعالى: ((**ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه**)) .

ثانيا: أن من البلاغة أن يؤكد الخبر إذا كان الحال تقتضي ذلك؛ من أين يؤخذ ؟ من قوله: ((**ولقد صدقكم الله وعده**)) حيث كان فيه قسم وتوكيد باللام وقد .

الفائدة الثالثة: شدة عزيمة الصحابة رضي الله عنهم في طلب العدو؛ لأنه قال: ((**إذ تحسونهم بإذنه**)) والحس القتل أو أشده يعني كأنه يسمع له صوت عند القتل؛ وهكذا ينبغي للمسلمين أن يأتوا أعدائهم الحربيين على شدة وغلظة كما قال الله تعالى: ((**ولا تهنوا في ابتغاء القوم**)) يعني لا تضعفوا في طلبهم: ((**إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون**)) شف تعزية للصحابة: ((**لا تهنوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون**)) وتزيدون عليهم: ((**وترجون من الله ما لا يرجون**)) .

ومن فوائد هذه الآية: أن النزاع والمعصية سبب لفوات كمال النصر؛ صح ؟ لأنه كان في أول الأمر انتصروا وقتلوا المشركين, لكن لما حدثت هذا المانع امتنع أو انتفى كمال النصر .

ومن فوائدها: أن مثل هذا الأمر النزاع والمعصية سبب للخذلان؛ من أين تؤخذ ؟ من واقع الأمر؛ لأن قوله: ((**حتى إذا فشلتم**)) قلنا إن جواب الشرط محذوف, والمعنى أنكم خسرتم هذا النصر وخذلتم؛ ومن قرأ الغزوة تبين له ما حصل للصحابة من الأمور العظيمة التي ستأتي إن شاء الله عند قوله: ((**فأثابكم غما بغم**)) .

ومن فوائد الآية الكريمة: أن المعصية بعد النعمة أشد من المعصية قبل النعمة؛ لقوله: ((**وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون**)) وإلا لكان يقول: وعصيتم فقط؛ لكن كون المعصية تقع بعد أن أراهم الله ما يحبون هذه أعظم، أعظم مما إذا لم يكن الله أراهم ما يحبون .

ومن فوائد الآية الكريمة: الحث على اجتماع الكلمة؛ وجهه ؟ أن النزاع سبب للخذلان, فيكون الاتفاق سبب للنصر؛ وهو كذلك, الاجتماع اجتماع الناس على كلمة واحدة لاشك أنه سبب للنصر؛ ولهذا ينبغي لطلبة العلم والعلماء أن لا يظهر خلافهم ونزاعهم أمام العامة؛ الآراء لابد أن تكون, لكن كون كل واحد منهم يعيب على الآخر أن خالفه هذا خطر عظيم جدا؛ لأن العامة ترى بعد هذا النزاع أن لا تثق بواحد منهم, على أن العامة أيضا سوف يتفرقون ويكون هذا مع هذا وهذا مع هذا؛ فالنزاع لاشك أنه سبب للخذلان والفشل وتمزق الأمة .

ومن فوائد الآية الكريمة: أن المدار كله على ما في القلب؛ لقوله: ((**منكم من يريد الدنيا ومنكم من يرد الآخرة**)) وكأن هذا والله أعلم فيه إشارة إلى أن سبب الجبن والنزاع والمعصية سوء النية من بعض من كان فيهم؛ لأنه يمكن أن نجعل قوله: ((**منكم من يريد الدنيا**)) أن نجعلها جملة استئنافية تعليلية لما حصل؛ ولاشك أن المدار كله على ما في القلب وأنه متى كان القلب صالحا صلح العمل ومتى كان فاسدا فسد العمل .

ومن فوائد الآية: أنه قد يكون في خير القرون من يعاب عليه الفعل؛ لقوله: ((**منكم من يريد الدنيا**)) ولكن الصحابة رضي الله عنهم بخاصة لهم من الفضائل والسوابق والصحبة وما حصل من الآفات وغيرها ما يكفر ما حصل منهم؛ ولهذا للصحابة مزية على غيرهم, يعني المكفرات العامة لكل أحد مثل: (**ما يصيب المؤمن من هم ولا غم ولا أذى حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها عنه**) هذه عامة لكل أحد؛ لكن للصحابة أشياء خاصة توجب محو ما حصل منهم من السيئات؛ ويدلك لهذا أن من أعظم المصائب وأكبر المعايب التجسس لحساب المشركين؛ ووقعت من حاطب رضي الله عنه, ولما استأذن عمر رضي الله عنه النبي صلى الله عليه وسلم في قتله قال له النبي صلى الله عليه وسلم: (**أما علمت أن الله قد اطلع إلى أهل بدر وقال: اعملوا ما شئتم فإني قد غفرت لكم**) مع أن هذه مصيبة عظيمة, التجسس لحساب الكفار يوجب القتل ولو كان الإنسان مسلما, لأن هذا من السعي في الأرض فسادا؛ ولهذا لم يقل الرسول صلى الله عليه وسلم: لا تقتله لأنه مسلم؛

بل قال: لا تقتله لأنه شهد بدرا, وقد قال الله تعالى: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم؛ ولهذا كان القول الصحيح الذي لاشك فيه أن الجاسوس يقتل ولو كان مسلما, لو كان يصلي ليلا ونهارا فإنه يقتل .

من فوائد هذه الآية الكريمة: إثبات الأسباب؛ لقوله: ((**ثم صرفكم عنهم ليبتليكم**)) فإن سبب صرف الله هؤلاء عن الكفار ما حصل منهم من الفشل والتنازع والمعصية .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: إثبات الحكمة في أفعال الله؛ فيكون في هذا رد على الجهمية ونحوهم ممن ينكرون حكمة الله عزوجل, ويقولون: إن الله يفعل لا لحكمة ولكن لمجرد مشيئة؛ ونحن نؤمن بأن الله سبحانه وتعالى لا يفعل شيئا ولا يشرع شيئا إلا لحكمة؛ لكن من الحكم ما هو معلوم للبشر ومنه ما هو مجهول لا تبلغه العقول .

ومن فوائد هذه الآية: أن ما حصل من المؤمنين من التنازع والفشل والمعصية وإرادة الدنيا كله محاه الله عزوجل؛ من أين يؤخذ ؟ من قوله: ((**ولقد عفا عنكم**)) عفا عنكم؛ إذا لا أثر له؛ وكما سمعتم في قصة الخارجي الذي جاء إلى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

ومن فوائد الآية الكريمة: إثبات الفضل لله عزوجل عليهم وعلى غيرهم من المؤمنين؛ عرفتم ؟ لقوله: ((**والله ذو فضل على المؤمنين**)) .

فإن قال قائل: وهل لله فضل على غير المؤمنين ؟

فالجواب: نعم, له فضل على الناس: ((**إن الله لذو فضل على الناس**)), ((**والله ذو فضل على العالمين**)) على كل أحد؛ لكن الفضل نوعان: فضل خاص وفضل عام؛ فالخاص للمؤمنين, والعام للجميع؛ وإلا فكل أحد قد تفضل الله عليه بالصحة والعافية والطعام والشراب واللباس والأزواج والبنين وغير ذلك؛ لكن الفضل الخاص الذي يتصل بفضل الآخرة هذا للمؤمنين فقط؛ عرفتم يا إخوان ؟ طيب ((**والله ذو فضل على المؤمنين**)) .

ثم قال الله تعالى: ((**إذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعون في أخراكم**)) إذ: هذه ظرف, والظرف لابد له من متعلق؛ فما متعلق إذ ؟ متعلق إذ على أرجح الأقوال محذوف، التقدير: أذكروا إذ تصعدون؛ هذا أحسن ما قيل فيها, وإلا بعضهم قال: إنها متعلقة بما قبلها ولقد عفا عنكم حين تصعدون؛ وبعضهم قال: ثم صرفكم عنهم حين تصعدون؛ ولكن الأقرب أن المتعلق محذوف, التقدير: أذكروا إذ تصعدون حتى تكون هذه الحال دائما على أذهانكم؛ وقوله: ((**تصعدون**)) بضم التاء, وهي غير تصعدون بفتحها, لأن الصعود الرقي إلى أعلى، الصعود الرقي إلى أعلى، كما قال تعالى: ((**إليه يصعد الكلم الطيب**)) وأما الإصعاد فهو السير هربا في أرض مستوية, يقال: أصعد أي ذهب هاربا أو مسرعا في الأرض؛ وهذا هو الذي حصل للصحابة رضي الله

عنهم, ومنهم من صعد الجبل؛ لكن المراد بقوله: ((**تصعدون**)) أي: تهربون سراعا في أرض مستوية؛ لماذا ؟ لأن أصعد مأخوذ من الصعيد, والصعيد وجه الأرض، كما قال تعالى: ((**فتيمموا صعيدا طيبا**)) .

قال: ((**إذ تصعدون ولا تلوون على أحد**)) أي: لا تعكفون أو تلتفتون إلى أحد؛ ولم يقل: ولم تلتفتوا لأن اللي أبلغ، اللي الانعطاف على الشيء؛ هم لا يلوون على أحد هربا, خوفا من قتل الكفار إياهم, فكانوا لا يلوون أحد هربوا؛ وتصور المشهد كيف كان، حوالي سبعمائة نفر من خيار المؤمنين يهربون, لا يبقى مع الرسول صلى الله عليه وسلم إلا نفر قليل؛ وانظر أيضا قال: ((**والرسول يدعون في أخراكم**)) الرسول صلى الله عليه وسلم في أخريات القوم هو الذي يلي الأعداء في الآخر, يدعوكم يا عباد الله كروا ارجعوا, ولكن لشدة الأمر لا يلوون على أحد؛ وهذه قضية عظيمة؛ ولكن الله سبحانه تعالى قد عفا عنهم، قد عفا عنهم ولم يؤاخذهم بما جرى؛

((**والرسول يدعوكم في أخراكم**)) أخراكم يعني الآخر منكم؛ لأن من عادة النبي صلوات الله وسلامه عليه أن يكون في أخريات القوم, ليس كالملوك يأخذ الصدر بل هو كالراعي يكون في الآخر يتفقد الرعية، إنسان يحتاج إنسان تتخلف بعيره يتخلف فرسه فيساعده, **كما في قصة جابر رضي الله عنه، جابر لما رجعوا في سيرهم كان على جمل قد أعيى**؛ ويش معنى أعيى ؟ تعب ما يمشي؛ **قال: فلحقني النبي صلى الله عليه وسلم**؛ شف هذا جمل تعبان يمشي في آخر الناس, ويقول: لحقني النبي؛ معناه أنه وراء أيضا, وراء هذا الجمل التعبان؛ **فلحقني فدعا للجمل وضربه, ضرب الجمل ضربا عاديا, ودعا له فسار سيرا لم يسر مثله قط**، الجمل. سبحان الله. هو بالأول تعبان ما يمشي إلا قليلا, حتى كان جابر يرده في خطامه يسبق القوم, سبحان الله آية من آيات الله وآيات الرسول عليه الصلاة والسلام، **ثم قال له**: (**بعنه**)، الرسول صلى الله عليه وسلم طلب من جابر أن يبيعه عليه، (**بعنه بأوقية**)، الأوقية كم ؟ أربعين درهم أو خمسين درهم؛ ولكنه أبى؛ **قال: ما أبيعه**؛ شف بالأول يريد أن يسيبه ويتركه والآن يسومه النبي عليه الصلاة والسلام ولا يبيعه عليه؛ **قال**: (**بعنه**)؛ **فبعته**، باعه على النبي صلى الله عليه وسلم, **لكنه استثنى أن يحمله إلى المدينة, فأعطاه النبي صلى الله عليه وسلم شرطه, ثم لما وصل المدينة وأتى إلى النبي صلى الله عليه وسلم عند باب المسجد قال له**: (**صليت ؟**) **قال: لا؛ قال**: (**أدخل فصل ركعتين**)؛ لأن السنة للمسافر إذا قدم بلده أن يبدأ قبل كل شيء بالمسجد يصلي فيه ركعتين؛ ثبت هذا من فعل الرسول وأمره عليه الصلاة والسلام، وهذه سنة تفوت كثيرا من الناس، ثم أعطاه الدراهم, وجابر يريد أن يعطيه الجمل, فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (**أتراني ماكستك لآخذ جملك, خذ جملك ودراهمك فهو لك**)؛ هذا غاية ما يكون من الكرم؛ والنبي عليه الصلاة والسلام لم يقصد أن يتصدق عليه؛ بعض العلماء رحمهم الله قالوا: إن الرسول صلى الله عليه وسلم أراد أن يتصدق عليه بثمن الجمل ففعل

هذه الحيلة؛ هذا خطأ غلط؛ لكن الرسول عليه الصلاة والسلام أراد أن يعرف كيف كان غلاء هذا الجمل في قلب جابر بعد أن كان عنده رخيصا يريد أن يسيبه فطلب منه البيع؛ وإلا فالذي يظهر من قوله: (**أتراني ماكستك لآخذ جملك**) أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يرد الشراء من الأصل؛ ولكنه أراد أن يعلم ما عند جابر رضي الله عنه .

السائل: شيخ أحسن الله إليكم ! قال الله عزوجل: ((**حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم**)) ثم قال: ((**ثم صرفكم عنهم**)) وثم كما هو معلوم أنها للترتيب مع التراخي وهم قد فشلوا من قبل وعصوا ؟

الشيخ: لا، الصرف بعد العصيان؛

السائل: أي هم لما فشلوا وعصوا ... انصرفوا؛

الشيخ: صرفهم الله.

السائل: ثم قال هنا: ((**ثم صرفكم عنهم**)) يعني نحن قلنا إن هذا الصرف كان عن إقبال شديد فكيف يكون الصرف بعد إقبال شديد ؟

الشيخ: أي هم أقبلوا شديدا ما هو على النظام الذي أمرهم الرسول، أقبلوا شديدا من أجل القضاء على المشركين، الكلام الحين ما هو عن الذين عصوا فقط عن الجميع، الكلام على الجميع؛

السائل: يعني بعضهم كان مقبل ؟

الشيخ: ما فيه شك الصحابة قبل أن ينزل هؤلاء مقبلين يجمعون الغنائم وهؤلاء هاربون؛ الكفار هربوا حتى إن النساء شوهدن يصعدن الجبال وسوقهن بارزة قد رفعن ثيابهن.

السائل: يعني قوله: ((**حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم**)) هذه في رماة الجبل,

الشيخ: نعم في رماة الجبل, و: ((**صرفكم**)) للعموم.

السائل: ثم في قوله تعالى: ((**ثم صرفكم**)) عطف والمعطوف عليه عطف على أيش ؟

الشيخ: نعم: ((**إذ تحسونهم بإذنه**)) الظاهر أنها معطوفة على تحسونهم ثم صرفكم,

السائل: في كتاب الجمل: ثم عطف على الجواب,

الشيخ: هو يصلح, أقول يجوز,

السائل: ألا يكون هذا جوابا للشرط

الشيخ: لا, يكون هذا ما هو جواب الشرط, جواب الشرط محذوف وهذا من جملته.

السائل: ما الفرق بين العفو والمغفرة ؟

الشيخ: العفو: إذا لم يكن مقرونا بالمغفرة فهو تدخل فيه المغفرة, لأنه عفو عن المجازات؛ وأما إذا قيل عفو غفور صار العفو عن ترك الواجبات, والمغفرة لفعل المحرمات.

السائل: شيخ قلنا إن العفو منه قسمين محمود ومذموم, القسم المذموم الذي هو عن غير قدرة فهل هو قسمان: كالرجل يعفو عن حقه حتى يوم القيمة, أليس ممدوحا ؟

الشيخ: هذا قد يدخل في القسم الأول, لأنه يوم القيمة قادر سيعطى حقه كاملا .

السائل: شيخ بالنسبة لقوله تعالى: ((**وعصيتم**)) قلنا إن التوبيخ بطريقة لينة, لذلك لم يذكر المفعول الله سبحانه وتعالى, ما يقال: ((**وعصيتم**)) أمر والرسول ... ؟

الشيخ: ما فيه أمر هنا، لا واحد أمور ولا واحد أوامر؛

السائل: تنازعوا والأمير.

الشيخ: إلا, تنازعوا فيما بينهم, وعصوا الرسول صلى الله عليه وسلم أو عصوا الله أيضا لأن من عصى الرسول فقد عصى الله تعالى .

السائل: الذي خالف الأمر من الصحابة قليل فكيف عم العقاب الجميع ؟

الشيخ: لأنه قال: ((**عصيتم**)) والذين عصوا أقل من خمسين ؟ الجواب: أننا كررنا أن فعل الجماعة من طائفة قد ينسب إلى جميع الطائفة, حتى إن بني إسرائيل يلومهم الله عزوجل على شيء فعله أسلافهم؛ لأنهم طائفة واحدة، يخاطب الذين هم في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام: ((**وإذ قلتم يا موسى لن نؤمك حتى نرى الله جهرة**)) .

الشيخ: هل هناك قراءة أخرى, ما هي ؟

الطالب: بدون واو سارع ؛

الشيخ: بدون واو سارع؛

الشيخ: هل يرد هذا على قول أهل العلم: إن من أنكر حرفا في القرآن فهو كافر ؟

الطالب: لا يرد؛

الشيخ: لماذا ؟

الطالب: قول أهل العلم محمول على إذا ما لم يرد به النص،

الشيخ: إذا ما لم يكن قراءة؛ وعلى هذا لو قرأ الإنسان: ((**وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون سارع إلى مغفرة**))

الطالب: فإن هذا يجوز,

الشيخ: فلا بأس لأنه قراءة, تمام .

الطالب: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ((**إذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم فأثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم والله خبير بما تعملون ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الأمر من شيء قل إن الأمر كله لله يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور**)).

الشيخ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم؛ بسم الله الرحمن الرحيم؛ الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

قال الله تبارك وتعالى: ((**إذ تُصعدون ولا تلوون على أحد**)) ما معنى ((**تصعدون**)) ؟

الطالب: يعني تسيرون في الأرض هربا .

الشيخ: وما الفرق بينها وبين: تَصعدون ؟

الطالب: تَصعدون بمعنى ترقى إلى أعلى؛

الشيخ: يعني: تصعد الجبل مثلا، تصعد شيئا مرتفعا . والمراد الأول ؟

الطالب: نعم, المراد الأول.

الشيخ: قوله: ((**والرسول يدعوكم في أخراكم**)) الجملة في موضع ؟

الطالب: حال،

الشيخ: لكن في موضع أيش ؟ الحال لها موضع من الإعراب ؟

الطالب: موضع نصب.

الشيخ: في موضع نصب على الحال.

الشيخ: قوله تعالى: ((**يدعوكم في أخراكم**)) عبد الرحمن ؟

الطالب: أي في آخركم؛

الشيخ: بماذا يدعوهم ؟

الطالب: يدعوهم ليعودوا إليه لأنهم هربوا رضي الله عنهم؛

الشيخ: ليعودوا إليه يقول: (**إلي يا عباد الله إلي عباد الله**) نعم ؟ .

قال الله تعالى: ((**فأثابكم غما بغم**)) أثابكم: الفاعل هو الله عزوجل؛ ومعنى: ((**أثابكم**)) أعطاكم ثوابا؛ و: ((**غما**)) هو الثواب الذي أعطاهم الله, فهو المفعول الثاني لأثابكم؛ والثواب: هو المجازاة على العمل إن خيرا فخير وإن شرا فشر, حتى الإثابة على الشر تسمى ثوابا, يعني حتى الجزاء على الشر يسمى ثوابا، قال الله تعالى: ((**هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون**))؛ لكن إذا قرن الثواب بالعقاب صار العقاب الجزاء على السيئات؛ وصار الثواب الجزاء على الحسنات؛ وأمثال هذا في اللغة كثير, تكون الكلمة لها معنى إذا أفردت ولها معنى إذا قرنت بغيرها؛ وقوله: ((**فأثابكم غما بغم**)) غما: مفعول ثاني لأثابكم؛ ((**بغم**)) الباء هنا قيل: إنها للمصاحبة؛ وقيل: إنها للبدل؛ وقيل: إنها بمعنى على؛ ولكل وجهة نظر؛ فأما الذين قالوا للمصاحبة فقالوا: إن معناها أثابكم غما يعني مصحوبا بغم, يعني مقترنا به لم يفصل بينهما فاصل, غموم متتابعة؛ والذي قالوا إنها بمعنى على قالوا: أصابكم غما على غم، أصابكم غما على غم ولا يلزم أن تكون متتابعا؛ والذين قالوا إنها للبدل والعوض يقول: معناها أصابكم غما بغم بدلا عن الغم الذي حصل منكم؛ وإذا تأملنا وجدنا أن الآية الكريمة تحتمل كل المعاني الثلاثة كما سيتبين إن شاء الله من تفسير الغم ما هو ؟؛ والقاعدة في التفسير أن الآية إذا كانت تحتمل أكثر من معنى وليس بينهما منافاة فإنها تحمل على ما تحتمله من المعاني؛ لأن هذا هو بلاغة القرآن .

فما هي الغموم التي أصابتهم ؟ نحن نعرف أن المسلمين في أحد أصيبوا بمصائب عظيمة؛

أولا: كان النصر لهم في أول النهار ثم كان عليهم في آخر النهار؛ وهذا لاشك أنه يحدث غما عظيما لأنه بعد أن تفرح النفوس بالنصر ثم تنتكس يكون هذا أشد عليها مما لو كانت الانتكاسة لم تسبق بنصر؛ أليس كذلك ؟

الطالب: بلى.

الشيخ: ثانيا: قتل منهم شهداء، قتل منهم شهداء من شجعانهم مثل حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه, وهذا لاشك أنه يفت في أعضادهم.

ثالثا: تأخر ثلث الجيش تقريبا من أثناء الطريق، وهم المنافقون الذين انخزل بهم عبد الله بن أبي المنافق.

رابعا: أشيع أن النبي صلى الله عليه وسلم قتل, وماذا تكون نفوس المؤمنين إذا أشيع أن إمامهم وقائدهم صلى الله عليه وسلم قد قتل؛ تكون عظيمة تضيق عليهم الأرض بما رحبت.

خامسا: أن الرسول عليه الصلاة والسلام أصيب يوم أحد كسرت رباعيته وشج وجهه وأصابه من الضعف والوهن ما لم يصبه من قبل؛ فالغموم كثيرة.

وهذه الغموم إذا قلنا إن الباء بدلية يكون معناها أنكم أصابكم غم بسبب ما أصبتم الرسول صلى الله عليه وسلم به من الغم, لأن نزولهم من الجبل الذي جعلهم النبي صلى الله عليه وسلم فيه لاشك أنه يحزن الرسول عليه الصلاة والسلام؛ قائد مرتب للجيش أمرهم بأن لا يدعوا المكان مهما كان الأمر ثم يخالفون؛ طاعة النبي عليه الصلاة والسلام في هذا الباب واجبة من وجهين؛ أولا: أنه شرع، إن أمره . عليه الصلاة والسلام . شرع؛ وثانيا: من جهة أنه ولي الأمر قائد، مخالفة القائد ولو لم يكن رسولا تعتبر شديدة في نفسه؛ فكما أنه حصل للنبي صلى الله عليه وسلم منهم غم أصابهم الله بغموم؛ واضح ؟

أما على القول بأنها للمصاحبة فالأمر ظاهر؛ لأنها غموم متلاحقة في غزوة واحدة؛ وأما كونه غما على غم فكذلك أيضا, كلما ثاء غم أتى غم آخر؛ ولهذا قال: ((**فأثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم**)) اللام هنا للتعليل والمعلل قوله: ((**فأثابكم**)) أي أثابكم غما بغم من أجل أن لا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم ؛ كيف ذلك ؟ لأن الغم الأكبر ينسي الغم الأصغر؛ فمثلا إذا فاتهم النصر هذا غم، غم بلا شك؛ لكن إذا قتل نبيهم عليه الصلاة والسلام هذا أشد؛ فلما أشيع أنه قتل نسوا الغم الأول ولم يحزنوا عليه لأنهم أصيبوا؛ فإذا جاء الفرج وتبين أن الرسول عليه الصلاة والسلام قد بقي زالت الغشاوة كلها؛ واضح ؟ فيكون هذا من لطف الله بهم أنه يصيبهم المصائب تنسيهم المصائب الأولى ثم بعد ذلك تنفرج؛ وهذا من حسن ربوبية الله عزوجل وعناية بالصحابة والنبي صلى الله عليه وسلم؛ ولهذا قال: ((**لكيلا تحزنوا على ما فاتكم**)) من أين ؟ من النصر والغنيمة؛ ((**ولا ما أصابكم**)) من الخذلان وفقد الغنيمة؛ فهذه من حكمة الله عزوجل, هذا هو الصواب في معنى الآية الذي لا تحتمل غيره؛ وأما قول الجلالين رحمه الله: إن لا زائدة هنا والمعنى: لكي تحزنوا على ما فاتكم وما أصابكم؛ فهذا قول بعيد جدا؛ بل إن الله عز وجل يحب من المؤمنين أن لا يحزنوا ويسليهم إذا وجدت أسباب الحزن، قال الله تعالى: ((**إنما النجوى من الشيطان لحزن الذين آمنوا وليس بضارهم شيئا إلا بإذن الله**)) هذه تسلية؛ فيكف يأمرهم الله أو كيف يفعل الله شيئا من أجل أن يحزنوا هذا بعيد جدا؛ لكن المعنى الذي ذكرناه أظنه واضح جدا أن هذه الغموم التي أصابتهم من أجل أن ينسي بعضها بعضا فلا يحزنوا على ما فاتهم ولا ما أصابهم؛ وحينئذ إذا انكشف الكل صار له طعم لذيذ في النفوس .

يقول الله عزوجل: ((**والله خبير بما تعملون**)) خبير مأخوذ من الخُبر وهو العلم ببواطن الأمور؛ ومنه سمي الزارع خبيرا لأنه يدفن الحب ويخفيه؛ فالأصل أن هذه المادة تدل على خفاء؛ فالخبير هو العليم ببواطن الأمور؛ والعليم ببواطن الأمور عليم بظواهر الأمور من باب أولى؛ وقوله: ((**خبر بما تعملون**)) بما أي: بالذي ((**تعملون**)) من خير وشر، فعل قول، وسوسة في النفوس؛ لكن هنا قال: ((**بما تعملون**)) لأن المراد بالخِبرة هنا المراد بها ما

يترتب عليها من حساب؛ فهي جملة خبرية تفيد التهديد لأن الله عزوجل لا يحاسب إلا على العمل؛ أما حديث النفس فلا يحاسب عليه؛ لو حدث الإنسان نفسه بفعل المعاصي أو ترك الواجبات ثم لم ينفذ فإنه لا يحاسب؛ ولهذا قال: ((**خبير بما تعملون**)) .

من فوائد هذه الآية الكريمة: تذكير المؤمنين بما جرى منهم من المخالفة، حيث قال: ((**إذ تصعدون ولا تلوون**)) هذا على القول بأن إذ أيش ؟ متعلقة بمحذوف تقديره: أذكر؛ أما على القول بأنها متعلقة بعفا فيستفاد منها تذكير المؤمنين بنعمة الله عليهم في عفوه عنهم حين أصعدوا .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: التوبيخ اللطيف في قوله: ((**ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم**)) فإن الشجاعة تمنع أن يقع من الإنسان مثل هذه الحال يهرب ولا يلوي على أحد والرسول يدعوه يقول: (**إلي يا عباد الله**)؛ ففيها توبيخ لطيف للصحابة مما جرى منهم .

ومن فوائد هذه الآية: حسن رعاية النبي صلى الله عليه وسلم لأمته في قيادته العظيمة، حيث يكون في أخريات القوم؛ وهذا شأنه صلوات الله وسلامه عليه أن يكون في أخريات القوم من أجل أن يتفقدهم، إنسان يتأخر، إنسان يحتاج يتفقدهم, وليس كالملوك الذين يتقدمون الناس بل هو يتأخر؛ وقصة جمل جابر ليست ببعيدة, **حيث كان النبي عليه الصلاة والسلام في أخريات القوم فلحق جابرا وكان معه جمل قد أعيا فلحقه النبي عليه الصلاة والسلام وضربه ودعا له ومشى الجمل**؛ مما يدل على أن من أهداف النبي عليه الصلاة والسلام للتأخر مثل هذه الحال .

ومن فوائد هذه الآية: أنه ينبغي للقائد أن يكون ذا شجاعة في قيادته, بحيث يثبت ويدعوا إلى الثبات؛ من أين تؤخذ ؟ من قوله: ((**والرسول يدعوكم**)) لأنه لو لم يثبت وهرب معهم لم يكن صالحا للقيادة .

ومن فوائد الآية: إثبات رسالة النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: ((**والرسول يدعوكم**)) .

ومن فوائدها: حكمة الله عزوجل وعدله في إثابته عباده؛ لقوله: ((**فأثابكم غما بغم**)) والعدل ظاهر جدا إذا جعلنا الباء للبدل؛ والحكمة ظاهرة إذا جعلناها للمصاحبة أو بمعنى على؛ لأن هذه الغموم التي يتلو بعضها بعضا يخفف بعضها بعضا .

ومن فوائد الآية: إثبات الحكمة، إثبات حكمة الله عزوجل في أفعاله؛ من قوله: ((**لكيلا**)) فإن اللام هنا للتعليل .

الشيخ: ومن فوائد هذه الآية: أنه ينبغي للقائد أن يكون ذا شجاعة في قيادته, بحيث يثبت ويدعوا إلى الثبات؛ من أين تؤخذ ؟ من قوله: ((**والرسول يدعوكم**)) لأنه لو لم يثبت وهرب معهم لم يكن صالحا للقيادة .

ومن فوائد الآية: إثبات رسالة النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: ((**والرسول يدعوكم**)) .

ومن فوائدها: حكمة الله عزوجل وعدله في إثابته عباده؛ لقوله: ((**فأثابكم غما بغم**)) والعدل ظاهر جدا إذا جعلنا الباء للبدل؛ والحكمة ظاهرة إذا جعلناها للمصاحبة أو بمعنى على؛ لأن هذه الغموم التي يتلو بعضها بعضا يخفف بعضها بعضا .

ومن فوائد الآية: إثبات الحكمة، إثبات حكمة الله عزوجل في أفعاله؛ من قوله: ((**لكيلا**)) فإن اللام هنا للتعليل .

وهذه المسألة أعني إثبات الحكمة لله في أفعاله وأحكامه الشرعية ينفيها من ؟ الجهمية, ينفونها بل والأشعرية أيضا ينفونها, ويقولون: إن أفعال الله لا تعلل لأنها لو عللت لكان يفعل لغرض, ولأنها لو عللت لصح أن يتوجه السؤال إليه عنها فيقال: لم فعلت ؟، والله سبحانه وتعالى لا يسأل عما يفعل وهم يسألون؛ وقد بينا فيما سبق أن نفي العلة أو نفي الحكمة في أفعال الله يعد تنقصا لله عزوجل؛ لأنه إذا انتفت الحكمة في أحكامه الشرعية أو القدرية صارت أحكامه عبثا ولعبا، وقد أبطل الله تعالى ذلك في عدة آيات أشدها قوله تعالى: ((**وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا النار**)) .

ومن فوائد الآية الكريمة: أن الله عزوجل يحب من عباده أن لا يحزنوا, لأنه قدر الغم بالغم من أجل أن لا يحزنوا؛ وذلك لأن الحزن يحدث للإنسان انقباضا، انقباضا ربما يمنعه عن كثير من المصالح, وربما يحدث له عقدا نفسية؛ والإنسان ينبغي أن يعوِّد نفسه على انشراح الصدر وانبساط النفس بقدر ما يستطيع, لأنه لاشك أن الإنسان إذا كان صدره منشرحا ونفسه منبسطة أنه يكون مستريحا قابلا للتفهم والتفهيم؛ وإذا كان محزونا تجده لا يحب أن يكلمه أحد فضلا عن أن يكون له تفهيم أو فهم .

ومن فوائد الآية: التربية العظيمة للعباد وهي أن لا يحزنوا على ما فاتهم؛ إذا فاتك خير تظنه خيرا لنفسك فقل: قدر الله وما شاء فعل، وكذلك إذا أصابك ما تكره قل: قدر الله وما شاء فعل؛ واعلم أن الحزن لا يرد الفائت أبدا وإنما يزيد الإنسان بلاء .

ومن فوائد الآية الكريمة: إثبات علم الله عزوجل الواسع لكل معلوم؛ لقوله: ((**والله خبير بما تعملون**)) .

ومن فوائدها: وجوب الحذر من المخالفة، مخالفة الله عزوجل؛ وجهه ؟ أنه إذا كان خبيرا بعملنا فإن ذلك يوجب لنا أن لا نخالفه, لأننا إن خالفناه علم, إذا خالفناه علم وإذا علم فسوف يحاسبنا .

ومن فوائد الآية: الرد على الجبرية؛ لقوله: ((**تعملون**)) ووجه ذلك: أنه أضاف العمل إليهم؛ والجبرية يقولون: إن الإنسان لا يعمل لا يفعل شيئا باختياره .

ومن فوائدها: الرد على غلاة القدرية؛ من قوله: ((**خبير**)) لأن غلاة القدرة ينكرون علم الله بفعل العبد, ويقولون: إن الله عزوجل لا يعلم أفعال العبد لكن إذا فعلها علم بها .

ثم قال الله عزوجل: ((**ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا**)) ثم: للترتيب بمهلة؛ أنزل من ؟ الله عزوجل؛ ((**أنزل عليكم من بعد الغم**)) المارد بالغم هنا جنس الغم, فيشمل الغم بعد الغم, كل الغموم السابقة: ((**من بعد الغم أمنة نعاسا**)) أمنة يجوز في إعرابها وجهان؛ الوجه الأول: أن تكون مفعولا لأجله؛ والثاني: أن تكون مفعولا به لـ ((**أنزل**)) فعلى الوجه الأول يكون: ((**نعاسا**)) مفعول: ((**أنزل**)) وعلى الثاني يكون: ((**نعاسا**)) بدلا أو عطف بيان من ((**أمنة**)).

و ((**أمنة**)) بمعنى أمن, يعني أنزل عليكم من بعد الغم أمنا، أمنة وأمن بمعنى واحد؛ ما هذا الأمن ؟ قال: ((**نعاسا**)) والنعاس مقدمة النوم, وهو دليل على طمأنينة القلب, لأن الخائف ينعس أو لا ؟ الطالب: لا ينعس,

الشيخ: ويش يفعل ؟

الطالب: يموت في اليوم ألف موتة,

الشيخ: نعم, الخائف لا يمكن أن ينعس لأن قلبه يرجف, مضطرب, لكن الآمن المطمئن ينعس؛ ولهذا قال: ((**نعاسا**));

((**يغشى طائفة منكم**)) وفي قراءة: ((**تغشى طائفة منكم**)) فإذا كانت القراءة: ((**تغشى**)) فالضمير يعود على ((**أمنة**)) وإذا كانت القراءة: ((**يغشى**)) فالضمير يعود على ((**نعاسا**));؛ طيب ((**يغشى طائفة منكم**)) أي يصيب, يصيب طائفة, والغشيان في الأصل التغطية, ومنه قوله تعالى: ((**وعلى أبصارهم غشاوة**)) وقوله: ((**يغشي الليل النهار**)) لكن قد يراد به مجرد الإصابة, وقد يراد به مع الإصابة أنه إذا غشيهم يعني شملهم جميعا: ((**يغشى طائفة منكم**)) الخطاب للمؤمنين.

((**وطائفة قد أهمتهم أنفسهم**)) يعني فلم يغشهم النعاس؛ لماذا ؟ لأن أنفسهم قد أهمتهم أوقعتهم في الهم؛ لأنهم يقولون: ماذا ندري ما يكون؛ ويخمسون ويسدسون؛ والذي هكذا حاله لا يأتيه النوم ولا يقربه النعاس؛ ولهذا قال: ((**قد أهمتهم أنفسهم**)) وطوى ذكر ترك عدم النعاس، طوى ذكره لأنه يعلم من حالهم؛ فإذا كانت قد أهمتهم أنفسهم فإنه لا يمكن أن ينعسوا .

يقول: ((**قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق**)) جملة ((**يظنون** ...)) يجوز أن تكون خبرا ثانيا لقوله:

((**وطائفة**))؛ أين الخبر الأول ؟ جملة: ((**قد أهمتهم أنفسهم**)) يعني: وطائفة أهمتهم أنفسهم وكذلك يظنون بالله غير الحق؛ ويجوز أن يكون: ((**يظنون**)) في موضع نصب على الحال من الضمير في: ((**أهمتهم**)) يعني أهمتهم حال كونهم يظنون بالله غير الحق؛ يعني يظنون بالله سبحانه وتعالى ظنا غير ظن الحق؛ فما هو هذا الظن ؟ يظنون أشياء كثيرة؛ يقولون مثلا: هل لنا من الأمر من شيء ؟ نعم يظنون بغير الله غير الحق ظن الجاهلية, يظنون مثلا أن الرسول صلى الله عليه وسلم قتل حقيقة, وأنه لا نصر للإسلام بعد هذه الهزيمة, وأن الدولة ستكون للكافرين, وما أشبه ذلك من الظنون الفاسدة, ولاشك أن هذا ظن مبني على الجهل؛ ولهذا قال: ((**غير الحق ظن الجاهلية**)) فبدأ ببطلان هذا الظن أولا ثم بين أنه صادر عن جهل؛ ولهذا قال: ((**ظن الجاهلية**)) أي ظن أهل الجهل؛ لأن من عرف الله عزوجل بأسمائه وصفاته وأحكامه لا يمكن أبدا أن يظن به هذا الظن, أن الله يديل الباطل على الحق, وأن الله لا ينصر رسله، لا يظن هذا الظن إلا من لا يعرف الله عزوجل؛ ولهذا قال: ((**يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الأمر من شيء**)) جملة: ((**يقولون** ...)) يصح أن تكون خبرا ثانيا أو ثالثا ؟ ثالثا لطائفة؛ ويصح أن تكون حالا من: ((**يظنون**)) من الواو في: ((**يظنون**)) يظنون حال كونهم قائلين؛

وقوله: ((**يقولون**)) بألسنتهم أو بقلوبهم ؟ نعم يحتمل الأمرين، يحتمل أنهم يقولون في أنفسهم؛ ويحتمل أنهم يقولون بألسنتهم يعني يقول بعضهم لبعض: هل لنا من الأمر من شيء؛ وأيهما أقرب يا وليد ؟

الطالب: الثاني؛

الشيخ: ما هو الثاني ؟ أصابك النعاس؟ نعم آخر واحد ؟

الطالب: الثاني أقوى وهو أنهم يقولون بألسنتهم يقول بعضهم لبعض؛

الشيخ: ما وجه قوته عندك ؟

الطالب: أنهم يريدون أن ينشروا هذا فيم بينهم, فأراد الله أن يفضحهم,

الشيخ: طيب, لكن هناك دليل من الآية ؟

الطالب: قوله: ((**يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك**)) ؛

الشيخ: لا؛

الطالب: يقولون الأصل فيها أنه يكون باللسان,

الشيخ: نعم أحسنت, الأصل في القول إذا أطلق فهو قول اللسان, وإذا كان قول النفس لابد أن يقيد، كما قال الله تعالى: ((**ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول**)) واضح ؟ أجيبوا ؟

الطالب: نعم؛

الشيخ: فإذا تكون الآية دالة على أن هذه القول صادر منهم بألسنتهم .

إذا قال قائل: أنتم تقولون إن القول إذا أطلق فهو قول اللسان فكيف تجيبون عن قوله تعالى: ((**يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم**)) ؟ من باب التأكيد؛ وليقابل قوله: ((**ما ليس في قلوبهم**)) .

((**يقولون هل لنا من الأمر من شيء**)) هل: هنا للاستفهام؛ لكن هل المراد بالاستفهام الإنكار كأنهم يقولون هل نحن روجعنا ؟ هل شاورونا ؟ أو أنهم ينفون, أن يكون الاستفهام للنفي يعني يقول: ليس لنا من الأمر شيء؛ ننظر ما الذي يؤيده سياق الآية؛ ((**يقولون هل لنا من الأمر من شيء قل إن الأمر كله لله**)) هل يؤيد أن هل بمعنى ما, أو أن هل بمعنى الإنكار ؟ أي أنهم ينكرون أنه لم يرجع إليهم بشيء ؟ سياق الآية يدل على الثاني, وأن هؤلاء أخذوا على القيادة في هذه الغزوة, أخذوا عليها أنها لم تراجعهم, وقالوا: هل لنا من الأمر من شيء؛ فقال الله عزوجل: ((**قل إن الأمر كله لله**)) ويؤيد هذا أيضا قوله: ((**يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا**)) يعني لو كان لنا من الأمر شيء ما حصلت هذه الهزيمة، إلى آخر الآيات؛ فالظاهر أن الاستفهام هنا ليس للنفي كما ذهب إليه بعض المفسرين ولكن معناه الإنكار، الإنكار على القيادة أنها لم تراجعهم في هذا الأمر؛

يقول: ((**هل لنا من الأمر من شيء**)) الأمر هنا واحد الأمور أو واحد الأوامر ؟ الأول؛ يعني هل لنا من أمور الحرب شيء ؟ ليس لنا, ما وجه إلينا شيء من أمر الحرب؛ فكأنهم يريدون أن يتنصلوا مما حصل, ويقول لأنا ما رجعنا ولا رجع إلينا ولا أخذ رأينا؛

قال الله عزوجل: ((**قل إن الأمر كله لله**)) فيها قراءتان: ((**كلُه**)) و ((**كلَه**)) أيهما أرجح يا هداية الله ؟

الطالب: الظاهر كلُه لأنه خبر؛

الشيخ: لا, الخبر لله لاشك؛

الطالب: كلَه لأنه تأكيد الأمر؛

الطالب: النصب يا شيخ ؛

الشيخ: النصب ؟ هو كما قال توكيد؛

الطالب: لا, ليس توكيدا وإنما, نعم توكيد؛

الشيخ: أنا أقول كلاهما راجح؛ لأنهما قراءتان سبعيتان؛ فإذا كانت: ((**كلَه**)) صارت: كل منصوبة على التوكيد، توكيد الأمر: ((**إن الأمر كله لله**)) وعلى قراءة الرفع تكون: الأمر اسم إن, وكلُ مبتدأ, ولله خبر,

والجملة من المبتدأ والخبر خبر إن؛

على كل حال: ((**الأمر**)) هنا: ((**الأمر كله لله**)) يشمل الأمر الكوني والأمر الشرعي؛ فالأمر لله عزوجل كله, هو الذي يتصرف في عباده كما يشاء حسب ما تقتضيه الحكمة, سواء كان هذا الأمر كونيا وهو الذي يقول الله له كن فيكون، يقول الله فيه كن فيكون؛ أو شرعيا وهو الأمر الموجه لمن؟ للعباد، افعلوا أو لا تفعلوا, كله لله كما أن الحكم كله لله .

قال الله تعالى: ((**يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك**)) يخفون: أي يضمرون في نفوسهم ما لا يبدونه للرسول صلى الله عليه وسلم ولكن الله يعلمه؛ وهذا يعد لاشك مما جرى من الصحابة رضي الله عنهم وهو أمر لو تركوه لكان أفضل، لو كانوا يصرحون للرسول صلى الله عليه وسلم ويصارحونه لكان خيرا من كونهم يتكلمون فيما بينهم ويخفونه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وهذا ليس لجميع الصحابة؛ لمن ؟

الطالب: المنافقون,

الشيخ: لا, لطائفة منهم؛ لأن المنافقين كلهم رجعوا قبل أن يصلوا إلى أحد, إن بقي فقد بقي ناس قليلون؛ لكن ظاهر الآية حيث قال: ((**يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم**)) أن هذه الطائفة من المؤمنين, مع أنه ربما يقول لي قائل: بل إن الآية تدل على أن هذه الطائفة ليست من المؤمنين؛ لأنه قال: ((**يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم**)) ولم يقل: وطائفة منكم؛ لكن الذي يرجح الأول التقسيم لأنه قال: ((**يغشى طائفة**)) ((**وطائفة قد أهمتهم**)) والمفسرون مختلفون في ذلك على قولين؛ القول الأول: أن هذه الطائفة طائفة من المنافقين؛ والقول الثاني: إنها طائفة من المؤمنين لكنهم ضعاف الإيمان .

السائل: في قوله تعالى: ((**والرسول يدعوكم في أخراكم**)) هل كان الرسول في مقدمة الجيش لما تقابل المسلمين والمشركين ؟

الشيخ: الرسول أي نعم ؟

السائل: ...

الشيخ: لا, بعد أن فروا صار في المؤخرة، بعد أن فروا صار في المؤخر؛

السائل: يعني تراجع,

الشيخ: لا هو مكانه, الآن تصور الآن أنهم الآن في منطقة فهربوا منها, والرسول باق ويش صار ؟ صار في أخراهم .

السائل: شيخ: ((**وطائفة قد أهمتهم أنفسهم**)) يقال إنهم لم يصبهم النعاس لأنهم أهموا أنفسهم لم يهموا

الرسول صلى الله عليه وسلم ... ؟ يعني طائفة يغشيهم النعاس والطائفة الثانية أهمتهم أنفسهم لم يغشيهم النعاس لأنهم ما اهتموا بأمره صلى الله عليه وسلم ؟

الشيخ: نعم, صريح الآية: ((**قد أهمتهم أنفسهم**)) يعني أنهم أنانيون؛

السائل: يعني عقابا لهم لأنهم لم يهموا الرسول صلى الله عليه وسلم فلم يصبهم النعاس، لأن النعاس أمن ونصر من الله تعالى ؟

الشيخ: النعاس يدل لا شك يدل على طمأنينة القلب وارتفاع الخوف عنهم؛ والذي قد أهمته نفسه فإنه لن ينعس ؛

السائل: يعني أن هذا لما لم يهمه الإسلام ويهمه صلى الله عليه وسلم جازاهم في الدنيا ؟

الشيخ: لا، ما يحتاج أن نقول مجازاة، هذا شيء واقع؛ كل إنسان يهمه نفسه في مثل هذه المواطن لا يمكن أن ينام ولا يقربه النوم .

السائل: شيخ أحسن الله إليك ! في قول الله عزوجل: ((**ثم صرفكم عنهم**)) قلنا إن الصرف يقتضي أن الصحابة كانوا مقبلين إقبالا شديدا على الكفار؛ أحسن الله إليك فما الحكمة في أن الله صرفهم عن قتال الكفار مع أن قتل المسلم للكفار محبوب لله عزوجل ؟

الشيخ: لحكمة, حتى يكون هذا تربية لهم؛ لأن سبب ذلك أنهم تركوا المكان كما قال الله: ((**حتى إذا فشلتم**)) جبنتم ((**وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون**)) كل هذه الثلاثة من أسباب الخذلان .

السائل: نصب الفعل في قوله تعالى: ((**لكي لا تحزنوا**)) هل هو باللام أو بكي ؟

الشيخ: ماذا تقولون ؟ يسأل يقول: نصب الفعل: ((**لكي لا تحزنوا**)) هل هو بكي أو باللام ؟

الطالب: فيه خلاف بين البصريين والكوفيين؛ بعضهم يقدر أن مضمرة، وبعضهم يقول نصب بكي؛ عند البصريين باللام, وعند الكوفيين بكي؛

الشيخ: يقولون إذا ذكرت اللام وكي فالنصب بكي؛ وإذا ذكرت كي وحدها أو اللام وحدها فالكوفيون يقولون: إن الحرف هو الناصب؛ والبصريون يقولون: أن مضمرة، يعني إذا اجتمعا صار النصب لكي مباشرة .

السائل: قوله تعالى: ((**لكي لا تحزنوا على ما فاتكم**)) نقول لأن المصيبة تلحقها المصيبة الأخرى ألا يكون هذا يدل على أن قوله تعالى: ((**غما بغم**)) بأن الباء للمصاحبة ؟

الشيخ: أي نعم ما يمنع أن يكون هذا ويمنع أيضا أن سببه غمهم للرسول بمخالفة أمره؛ يكون لما خالفوا الأمر حصل الغم ثم حصل غم ثم حصل غم .

السائل: شيخ ذكر بعض المفسرين أن هناك فرقا بين الأمن والأمنة؛ وأن أمنة هو أمن مؤقت يكون بعده خوف كما في الآية، والأمن يكون أمنا مطردا كما في قوله تعالى: ((**أولئك لهم الأمن وهم مهتدون**)) في الجنة ؟

الشيخ: لا ما هو صحيح هذا؛ لأن الأمن مصدر, والمصدر هو مطلق يشمل القليل والكثير؛ أما: ((**أولئك لهم الأمن**)) ففيها أل الدالة على الكمال والاستغراق؛ لكن لو قلت أمن أمنا ما يدل على أنه دائم, أو أمنة ما يدل على أنها دائمة؛ الظاهر القول الثاني: أنه لا فرق, ولهذا فسره كثير من المفسرين قال أمنة يعني أمنا .

الطالب: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ((**ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الأمر من شيء قل إن الأمر كله لله يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم إن الله غفور حليم**)) .

الشيخ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم؛ وقفنا في تفسير الآية على قوله تبارك وتعالى: ((**يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا**)).

قوله: ((**يخفون في أنفسهم ما يبدون لك يقولون**)) جملة: ((**يقولون**)) تفسير للذي يخفونه؛ والقول هنا قول باللسان, لأن القول إذا أطلق فهو قول اللسان؛ واضح ؟

((**يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا**)) أظن ناقشنا فيما سبق ؟

الطالب: ما ناقشنا ؟

الشيخ: من أين ؟ من: ((**إذ تصعدون**)) ؟

الشيخ: طيب, قول الله تعالى: ((**إذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم فأثابكم غما بغم**)) نأخذ من هنا قال: ((**فأثابكم غما بغم**)) ما معنى الإثابة هنا ؟

الطالب: الإثابة بمعنى الجزاء؛

الشيخ: يعني جازاكم ؟ نعم .

الشيخ: هل يطلق الثواب على الجزاء بالعقوبة ؟

الطالب: نعم يطلق قال الله تعالى: ((**هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون**))؛

الشيخ: يطلق لقوله تعالى: ((**هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون**)) .

الشيخ: وإذا جمع الثواب والعقاب ؟

الطالب: كان الثواب على الإثابة على الخير,

الشيخ: صار الثواب على الحسنات؛ والعقاب على السيئات .

الشيخ: قوله تعالى: ((**أثابكم غما بغم**)) الباء يا هداية الله ؟

الطالب: الباء ثلاثة, إما للمصاحبة, وإما للبدل يعني بمعنى العوض, وإما بمعنى على, وكل يصلح هنا؛

الشيخ: على القول بأنها للمصاحبة ما معناها ؟

الطالب: يعني غما ملاحق بغم, يعني متصل بغم غموم كثير؛

الشيخ: أحسنت, إذا ليس المراد غمين فقط ؟

الطالب: نعم .

الشيخ: أذكر مثالا لغمين من ذلك ؟

الطالب: تخلف ثلث الجيش عند مسيره إلى معركة أحد؛

الشيخ: وغيره ؟

الطالب: وإشاعة أن الرسول الله صلى الله عليه وسلم قتل؛ وإصابة الرسول صلى الله عليه وسلم؛ وكذلك عندما كان لهم النصر في أول المعركة انقلبت الدائرة عليهم؛

الشيخ: فوات النصر يعني ؟

الطالب: أي نعم؛ هذه ثلاثة؛

الشيخ: نريد رابعة؛

الطالب: قد قتل حمزة وكثير من الشهداء؛

الشيخ: أي نعم, قتل عدد من رجالات المسلمين؛ نعم ؟

الطالب: مخالفتهم للنبي صلى الله عليه وسلم؛

الشيخ: مخالفتهم الرسول هذا فيه غم ؟

الطالب: صارت خمسة؛

الشيخ: بقيت واحدة؛

الطالب: هذه هي ؟

الشيخ: هي الخامسة هذه, طيب ممكن أن نقول إن الخامسة ظهور المشركين عليهم, لأنهم فاتهم النصر والمشركون

ما انهزموا ظهروا عليهم وصعدوا على الجبل, وقاموا يتكلمون, يقول أبو سفيان: أفيكم محمد ؟ أفيكم ابن أبي قحافة ؟ أفيكم عمر ؟ حتى افتخر بصنمه وقال: أعل هبل؛ هذا من الغم لاشك؛ إذا الغموم كثيرة .

الشيخ: قوله تعالى: ((**لكي لا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم**)) فهد: ((**لكي لا تحزنوا**)) اللام ؟

الطالب: لام التعليل؛

الشيخ: وكي هنا ؟

الطالب: مصدرية؛

الشيخ: ولا تصلح للتعليل ؟

الطالب: إلا؛

الشيخ: في هذا السياق ؟

الطالب: بلى؛

الشيخ: لا تصلح؛ ماذا تقولون ؟

الطالب: صحيح ؟

الشيخ: طيب .

الشيخ: هل هي الناصبة بنفسها أو على تقدير أن ؟

الطالب: هي بنفسها؛

الشيخ: لماذا ؟

الطالب: إذا سبقتها لام الجر تتعين أن هي مصدرية

الشيخ: تتعين أن تكون مصدرية تنصب بنفسها، تمام.

الشيخ: هذا التعليل: ((**لكي لا تحزنوا**)) ما مناسبته بما قبلها ؟

الطالب: إذا قيل لا تحزنوا لأنه إذا حزنوا تعين عدم الحزن,

الشيخ: لأنه قال أثابكم لكي لا تحزنوا ؟

الطالب: نعم لأن الحزن والغم هذا لا يفيد شيئا مما فات؛

الشيخ: كيف ؟ ((**لكي لا تحزنوا**)) ؟

الطالب: نعم, لأنهم إذا جاءت المصائب الواحدة تلوى الأخرى فإن الكبيرة تخفف الصغيرة, فمثلا: مقتل النبي عليه الصلاة والسلام كان أكبر المصائب عليهم عندما اكتشفوا أنه لم يقتل خفف وقع الهزيمة في نفوسهم،

الشيخ: ما سبق من الغم؛ إذا المعنى أن كل غم ينسي ما هو دونه؛ وعلى هذا قول الشاعر:

لعل عتبك محمود عواقبه وربما صحت الأبدان بالعلل؛

الشيخ: قوله: ((**لكي لا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم**)) ما الذي فاتهم وما الذي أصابهم ؟ الطالب: الذي فاتهم النصر والغنائم؛ والذي أصابهم الهزيمة والخذلان ؛

الشيخ: تمام .

الشيخ: قوله تعالى: ((**والله خبير بما تعملون**)) ما معنى خبير ؟

الطالب: الخبير هو العالم ببواطن الأمور؛

الشيخ: نعم, وعلمه ببواطن الأمور يستلزم علمه بظواهرها من باب أولى .

الشيخ: ما هي الفائدة من ختم الآية بهذا الاسم بقوله: ((**والله خبير بما تعملون**)) ؟

الطالب: لأن خبر الله عزوجل بحالهم هو الذي يترتب عليه العقاب والحساب؛ فهو كالتهديد لهم, يعني إذا كان الله خبير بأقوالكم فهو الذي سيحاسبكم ويعاقبكم على ما تعملون,

الشيخ: على ما حصل منكم .

الشيخ: قال الله تعالى: ((**ثم أنزل عليكم من بعد الغم**)) ما كملنا الآية ؟

الطالب: الفوائد ما كملنا يا شيخ ؟

الشيخ: فوائد بعد التكميل إن شاء الله .

الشيخ: ((**يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك يقولون**)) هذا ما يخفونه: ((**لو كان لنا من الأمر شيئا ما قتلنا هاهنا**)) الأمر هنا واحد الأمور, يعني لو كان لنا من الشأن في هذه الغزوة شيء ورد الأمر إلينا ما قتلنا هاهنا, يعني ما خرجنا ولا قتلنا؛ وذلك أن النبي عليه الصلاة والسلام استشار الصحابة حين الخروج إلى أحد هل يخرجوا أم لا ؟؛ فأشار إليه الشبان بأن يخرج لأنهم أو كثيرا منهم لم يخرجوا في غزوة بدر؛ فأرادوا أن يعوضوا عن تخلفهم عن غزوة بدر بهذه الغزوة؛ وقال بعض الصحابة: بل نبقى يا رسول الله في المدينة فإن دخلوا علينا قاتلناهم من على السطوح؛ وكان رأي النبي صلى الله عليه وسلم يميل إلى هذا, ولكنه دخل بيته عليه الصلاة والسلام ثم عزم على أن يخرج, ولبس لأمة الحرب وخرج؛ فكأنهم أرادوا أن يرجع عن عزيمته, وقالوا: استكرهنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا له؛ فقال: (**ما كان لنبي لبس لأمة الحرب أن يضعها حتى يفتح الله بينه وبين عدوه**) هكذا أو نحوه, فخرج؛ فالذين قالوا نبقى في المدينة هم الذين قالوا: ((**لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا**)), يعني لبقينا في المدينة ولم نقتل؛

قال الله عزوجل: ((**قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم**)) قل يعني: يا محمد لهؤلاء الذين قالوا: ((**لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا**)) ((**لو كنتم في بيوتكم**)) أي: بقيتم فيها ولم تخرجوا، ليس في مدينتكم فحسب بل في بيوتكم, في قعر البيت: ((**لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم**)) شف في البيوت فيه اختفاء, لبرز فيه ظهور, يعني أن اختفاءكم وبقائكم في بيوتكم لا يمنع أن تبرزوا إلى مضاجعكم حيث كتب عليكم القتل.

وقوله: ((**في بيوتكم**)) فيها قراءتان سبعيتان: ضم الباء وكسرها؛ ((**في بيوتكم**)) و ((**في بيوتكم**))؛ وفي: ((**كتب عليهم**)) ثلاث قراءة: ((**عليهِمُ القتل**)) ((**عليهُمُ القتل**)) ((**عليهِمِ القتل**)) كسر الهاء والميم، وضم الهاء والميم، وكسر الهاء مع ضم الميم؛ ثلاث قراءات سبعيات؛

يعني: ((**لو كنتم في بيوتكم لبرز**)) وهذه لو شرطية, فعل الشرط: ((**كنتم**)) وجوابه: ((**لبرز**)) وقد مر علينا أن لو تأتي شرطية, وتأتي للتمني, مثل قوله تعالى: ((**ودوا لو تدهن فيدهنون**)) يعني: ودوا أن تدهنوا فتكون مصدرية .

يقول الله عزوجل: ((**لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل**)) كتب عليهم القتل: كتابة قدرية لا كتابة شرعية؛ كذا ؟؛ فهي كقوله تعالى: ((**ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون**)) هذه كتابة قدرية؛ أما قوله تعالى: ((**يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام**)) فهي كتابة شرعية بمعنى فرض .

وقوله: ((**إلى مضاجعهم**)) أي مكان الاضطجاع؛ لأن الميت يضجع في قبره؛ ولكنه اضطجاع إلى أمد، إلى أن يبعث يوم القيمة؛ فإن الاضطجاع في القبور ليس هو آخر شيء؛ ولما سمع أعرابي رجلا يقرأ قول الله تعالى: ((**ألهكم التكاثر حتى زرتم المقابر**)) قال: والله ما الزائر بمقيم؛ شف كيف فهم الأعراب؛ والله ما الزائر بمقيم؛ فاستدل بهذه الآية على أنه لابد من مفارقة لهذه المقابر, وذلك في البعث؛ وقوله: ((**إلى مضاجعهم**)) قلت محل اضطجاعهم الذي يدفنون فيه .

((**وليبتلي الله ما في صدوركم**)) قوله: ((**وليبتلي**)) الواو حرف عطف, واللام لام التعليل؛ ولهذا يجب كسرها, ولا يجوز أن تسكنها, يعني لا يجوز أن تقرأ ولْيبتلي؛ بل يجب أن تقول: ولِيبتلي؛ لأن لام التعليل مكسورة بكل حال, بخلاف لام الأمر فإن لام الأمر تسكن إذا وقعت بعد حرف العطف: الواو والفاء وثم؛ قال الله تعالى: ((**ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم**)) ((**قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا**))؛ أما لام التعليل فإنها مكسورة دائما ولو بعد الواو أو ثم أو الفاء؛ يقول: ((**وليبتلي الله**)) .

طيب الواو حرف عطف فأين المعطوف عليه ؟

الطالب: مقدر؛

الشيخ: مقدر ويش التقدير؟ فعل ذلك ؟ الواو حرف عطف, لابد أن يكون معطوف عليه، ((**لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم**)) ((**وليبتلي الله ما في صدوركم**)) ؟ لا, ما يستقيم؛

الطالب: أثابكم ذلك الغم وليبتلي,

الشيخ: هذا على كل حال بعيد, يعني بمعنى أن السياق بعيد, وإلا قد قيل به؛ نعم ؟ **الطالب**: معطوفة على قوله: ((**لكي لا تحزنوا على ما فاتكم**))

الشيخ: لا بعيدة هذه,

الطالب: شيخ الواو استئنافية,

الشيخ: لا؛ يقولون: إن المعطوف عليه مقدر, التقدير: فعل ما فعل ليتبين لكم ...

الشيخ: لا؛ يقولون: إن المعطوف عليه مقدر, التقدير: فعل ما فعل ليتبين لكم ما حصل بسبب عصيانكم وليبتليكم؛ فالمقدر الآن علة ومعلول؛ لأجل أن يصح عطف العلة الثانية على العلة التي حذفت مع معلولها .

وقوله: ((**ليبتلي ما في صدوركم**)) يبتلي بمعنى يختبر ويمتحن؛ و: ((**ما في صدوركم**)) هي القلوب؛ لقول الله تعالى: ((**فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور**)).

((**وليمحص ما في قلوبكم**)) قوله: ((**وليمحص**)) معطوفة على: ((**ليبتلي**)) والتمحيص بمعنى التخليص، محصه أي خلصه؛ يخلص ما في قلوبكم من كل ما بكون فيه إرادات سيئة، كقوله: ((**منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة**)) أو فيه شيء من التسخط على القدر أو غير ذلك مما يفسد ما في القلب .

وقوله: ((**ما في قلوبكم**)) إذا قال قائل: ذكرتم أن ما في الصدور هي القلوب وأن التمحيص أيضا للقلوب, فيكف كان ذلك ؟

نقول: نعم لأن الابتلاء غير التمحيص، الابتلاء اختبار والتمحيص تنقية؛ ولهذا اختلف التعبير فقال: ((**ليبتلي ما في صدوركم**)), ((**وليمحص ما في قلوبكم**)) ولم يقل: ما في صدوركم بل قال: يمحص ما في قلوبكم من الأذى الذي يضركم في دينكم؛ لأن كراهة ما وقع, أو إرادة ما لا ينبغي إرادته, أين تكون ؟ تكون في القلب؛ ولهذا كان التمحيص على ما في القلب أو كان التمحيص لما في القلب لا للقلب نفسه؛ والابتلاء للقلب نفسه, يبتلي ما في صدوركم ويمحص ما في القلوب, ينقي؛ فاختلف المورد، المورد في الأول القلب وفي الثاني ما في القلب .

((**والله عليم بذات الصدور**)) الجملة هذه استئنافية لبيان إحاطة علم الله بما في القلب: ((**ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد**))؛ وفائدة ختم الآية بها أنه لما بين أن الله تعالى قدر ما قدر لهاتين الحكمتين الابتلاء والتمحيص بين أنه بعد ذلك سيعلم ماذا يكون في القلب بعد هذا الابتلاء وهذا التمحيص .

نرجع الآن إلى بيان الفوائد؛ قال الله تعالى: ((**ثم أنز عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا**)) .

من فوائد هذه الآية: أن الله عزوجل هو الذي يجلب للمرء النوم أو يرفعه عنه؛ لقوله: ((**ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا**))؛ ولكن الله بحكمته جعل للنوم أسبابا؛ فالإنسان مثلا إذا اضطجع واسترخى أتاه النوم؛ وإذا انشغل قلبه واهتم لأمر ما فإنه لا يأتيه النوم؛ وهذا كغيره من الأشياء التي تكون بإرادة الله ولكن لها سبب .

ومن فوائد هذه الآية: أنك إذا أرقت ولم يأتك النوم في الليل فالجأ إلى الله عزوجل، الجأ إلى الله, واسأله أن يذهب عنك الأرق, وادع بما وردت به السنة من دعاء الأرق المشهور .

ومن فوائد هذه الآية: أن النعاس قد يكون محمودا ويعتبر من النعم؛ لقوله: ((**أمنة نعاسا**))؛ قال العلماء: النعاس في الحرب نعمة, والنعاس في العلم ؟

الطالب: نقمة.

الشيخ: ما نقول نقمة لكن نقول مذموم, يعني محمود في الحرب ونعمة, أما في العلم فإنه مذموم؛ وكذلك أيضا في الصلاة؛ ولكنه إذا غلب على الإنسان فإنه لا يؤاخذ به, إلا أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر الإنسان إذا أصابه النعاس في الصلاة أن يضطجع وأن يستريح؛ قال: فلعله يذهب ليدعوا لنفسه فيكون الأمر بالعكس .

من فوائد هذه الآية الكريمة: أن النعاس الذي أصابهم إنما أصاب المؤمنين الخلص؛ لقوله: ((**يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم**)) .

ومن فوائد الآية: أنه قد يوجد في الكمل من المؤمنين شيء من العيوب كالأنانية؛ فإن قوله: ((**قد أهمتهم أنفسهم**)) يدل على أنانيته وأنهم ليس لهم هم إلا أنفسهم؛ والذي يليق بالمؤمن أن يكون همه في مثل هذه المواطن نصرة الإسلام وعزة الإسلام وأن يبيع نفسه لله .

ومن فوائد هذه الآية: أن الإنسان الذي لا يكون له هم إلا نفسه في هذه المواطن قد يبتلى . والعياذ بالله . بهذه البلوى العظيمة, وهي أن يظنوا بالله غير الحق: ((**يظنون الله غير الحق**)), وقد ذكر ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد أنواعا كثيرة من الظن بالله غير الحق؛ منها أنهم ظنوا أن هذه الهزيمة لا انتصار بعدها وهذا ظن سوء؛ كل من ظن أن الله يديل الباطل على الحق إدالة مستقرة فقد ظن بالله ظن السوء؛ ومن أراد أن يرجع إلى كلام ابن القيم في زاد المعاد فهو كلام جيد, لم يوجد لا في كتب التفسير ولا في كتب التاريخ .

ومن فوائد هذه الآية: ذم من ظن بالله غير الحق؛ لأن الله ذكر هذا في سياق ذم هؤلاء الذين ليس لهم همهم إلا أنفسهم؛ فإذا كان من ظن بالله غير الحق مذموما, كان من ظن به ظن الحق محمودا.

ومن فوائد الآية: أنه لا يظن أحد بالله ظن غير الحق إلا وهو جاهل؛ لقوله: ((**ظن الجاهلية**)) فكل من ظن بالله غير الحق فإنه بلا شك جاهل لم يقدر الله حق قدره .

ومن فوائد هذه الآية: أن هؤلاء أنكروا ما فعله الرسول عليه الصلاة والسلام من الخروج إلى أحد لكنه على وجه خفي؛ لقولهم: ((**هل لنا من الأمر من شيء**)) لأنه على زعمهم لو كان لهم شيء من الأمر ما قتلوا .

من فوائد هذه الآية: بيان أن الأمر كله لله، الأمر الشرعي والأمر الكوني كله لله عزوجل؛ ليس لأحد مع الله أمر؛ فكل الأمر لله؛ لقوله: ((**قل إن الأمر كله لله**)) .

ومن فوائد هذه الآية: أنه يجب على الإنسان أن ينكر المنكر بذكر الحق؛ لأن الله قال: ((**قل إن الأمر كله لله**)) والأمر في قوله: ((**قل**)) أدنى أحواله أن يكون للاستحباب .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يعلم الغيب؛ لقوله: ((**يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك**)) لأنه لو كان يعلم الغيب لكان يعلم ما يخفون وإن لم يبدوه؛ ولكن النبي صلى الله عليه وسلم لا يعلم الغيب، لا في حياته ولا بعد مماته؛ وإذا كان لا يعلم الغيب في حياته فعدم علمه الغيب في مماته من باب أولى؛ وقد صرح الله بذلك حيث أمره أن يقول: ((**قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك**)) أمره الله أن يعلن هذا وقد أعلنه هذا، أعلنه عليه الصلاة والسلام على الملأ, لم يكتم شيئا مما أوحاه الله إليه ومنه هذا .

ومن فوائد هذه الآية: التنديد بمن يعترضون على القدر؛ لقوله: ((**يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا** ...)) .

ومن فوائد الآية: أن لو بعد القدر لا تفيد شيئا؛ لقوله: ((**قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم**)) .

ومن فوائدها: أن قضاء الله لا مفر منه؛ لقوله: ((**قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم**)) .

ومن فوائد هذه الآية: أنه قد يكون فيها إشارة إلى أن الشهداء يدفنون في مكان استشهادهم؛ لقوله: ((**لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم**)) أي في أماكن قتلهم؛ وهذا إن لم تفده هذه الآية فقد استفيد من السنة, فإن قوما من الصحابة حملوا قتلاهم في أحد لدفنهم في المدينة فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بردهم إلى مصارعهم يدفنون هناك؛ فدفنوا في أحد .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: إثبات الحكمة في أفعال الله؛ من أين تؤخذ ؟ من قوله: ((**وليبتلي الله ما في صدوركم**)) والنصوص في إثبات حكمة الله لا تعد ولا تحصى؛ بل حتى الأمور الكونية التي لا حصر لها كلها تفيد إثبات حكمة الله عزوجل .

ومن فوائد الآية الكريمة: أن العبرة والمدار على القلوب التي في الصدور؛ لقوله: ((**وليبتلي الله ما في صدوركم**)) .

وقد بينا فيما مضى أن أحكام الدنيا على الظواهر وأحكام الآخرة على البواطن؛ ودليل ذلك قوله تعالى: ((**أفلا يعلم إذا بعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور**)) وقوله تعالى: ((**إنه على رجعه لقادر يوم تبلى السرائر**

)) ولأن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يقتل المنافقين وهو يعلم ببعضهم ويقول: (**لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه**) إجراء لهم على ظاهرهم؛ ولأنه لو رجع إلى الباطن في أحكام الدنيا لسادت الفوضى بين الأمة, لأن كل إنسان قد يقتل الشخص أو يؤدبه ويعزره ويقول إن قلبه منطوي على الكفر والنفاق, ويحصل في هذا من الشر ما لا يمكن أن تعيش الأمة به؛ ولكن الله بحكمته ورحمته جعل أحكام الدنيا على الظواهر .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن الله تعالى قد يبتلي عباده لما ينقي قلوبهم ويخلصها من الشوائب؛ لقوله: ((**وليمحص ما في قلوبكم**)) والتمحيص كما قلنا هو التنقية .

ومن فوائد هذه الآية: إثبات علم الله بما في القلوب؛ لقوله: ((**والله عليم بذات الصدور**)) .

ويتفرع على هذه الفائدة: التحذير من إضمار ما لا يرضى به الله؛ لأنك إذا أضمرت ما لم يرضى به الله فسوف يحاسبك عليه وإن كان لا يبدوا للناس؛ فعلى المرئ أن يحاسب نفسه دائما وينظر ما في قلبه، هل في قلبه الخير وإرادة ما يرضي الله ؟ أو أن الأمر بالعكس فليصحح الوضع .

السائل: قوله تعالى: ((**يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا**)) هل المراد بالأمر هنا واحد من الأوامر أو من الأمور ؟

الشيخ: واحد الأمور؛ من الشأن؛ يعني لو كان النظر مشورة ورأي ما قتلنا هاهنا .

السائل: شيخ قول المفسرين لهم قولين في هؤلاء الذين يظنون بالله ظن السوء أولا: أنهم بعض المؤمنين لكن في إيمانهم لبس والقول الثان:ي أنهم منافقون؛ ما هو الراجح ؟

الشيخ: الراجح الأول، الراجح الأول إنهم مؤمنون ضعفاء الإيمان؛ لأنه قال في أول الكلام: ((**ولقد عفا عنكم**)) ومثل هذا لا يقول للمنافقين .

السائل: شيخ أحسن الله إليك ! ما يوجه أن الذين قالوا هذا الأمر أنهم ضعاف الإيمان أنهم هم الذين حضروا بدرا وأشاروا على النبي صلى الله عليه وسلم بالبقاء, وأهل بدر ما يمكن أن يصدر منهم نفاق؟

الشيخ: لا، هم الصحيح أنهم ضعاف الإيمان, لكن الذين قالوا إنهم منافقون كأنهم استعظموا هذا أن يقع من المؤمنين؛ ما نستطيع أن نجزم بأن الذين قالوه هم أهل بدر، قد يكون هم أو غيرهم؛

السائل: لكن نحن بينا في البداية أن الذي حضروا بدرا هم الذين أشاروا على النبي صلى الله عليه وسلم بالبقاء ؟

الشيخ: نعم, هم الذين أشاروا صحيح, لكن هل إنهم لما رأوا القتال وعزم الرسول صلى الله عليه وسلم على ذلك هل يقولون هكذا ؟ قد لا يقولون هذا؛ على كل حال ما نجزم أنهم هم الذين حضروا بدرا، لأنه قد يكون الذين

حضروا بدرا لما رأوا النبي صلى الله عليه وسلم عزم وصمم يعني استقامت نيتهم لأن أهل بدر هم من أفضل الصحابة .

السائل: هل يجوز الحكم على الأشخاص بغلبة الظن ؟

الشيخ: يقول العلماء: يحرم ظن السوء بمسلم ظاهره العدالة؛ فإذا لم يكن ظاهره العدالة ووجدت قرائن فلا حرج؛ لأن الله يقول: ((**اجتنبوا كثيرا من الظن**)) ثم يقول: ((**إن بعض الظن إثم**)) ولم يقل اجتنبوا الظن كله؛ بل قال كثيرا منه؛ ولم يقل: إن الظن إثم؛ بل قال: ((**إن بعض الظن إثم**)) .

السائل: في الحديث قال النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**إن الله تجاوز لي عن أمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم**) قلنا غن في الآية فائدة: أن الإنسان يحاسب ... فكيف ؟

الشيخ: أي نعم, يعني مما يحاسب عليه؛ لأن حديث النفس ما يعتمده الإنسان، لو اعتمده صار عملا, أما مجرد الحديث والهواجس ما هو بشيء .

الطالب: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ((**إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم إن الله غفور حليم يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم والله يحيي ويميت والله بما تعملون بصير ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون ولئن متم أو قتلتم لإلى الله تحشرون**)) .

الشيخ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم؛ قال الله تبارك وتعالى: ((**إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم إن الله غفور حليم**)) أظن فيه مناقشة ؟

الطالب: أي نعم,

الشيخ: وفوائد ؟

الطالب: الفوائد خلص.

الشيخ: طيب, يقول الله عزوجل: ((**يقولون هل لنا من الأمر من شيء**)) ما المراد بهذا الاستفهام ؟ الطالب: إنكاري؛ استفهام الإنكاري؛

الشيخ: ويش معنى الإنكاري ؟

الطالب: يعني ينكرون الخروج؛ لو كان لنا من الأمر شيء,

الشيخ: ((**هل لنا من الأمر من شيء قل إن الأمر كله لله**)) ما المراد بالاستفهام ؟

الطالب: إنكاري يعني ينفون يقولون: ما لنا من الأمر من شيء؛

الشيخ: يعني نفي ؟

الطالب: نعم نفي؛

الشيخ: إذا كان نفيا فكيف صح أن يقال: ((**قل إن الأمر كله لله**)) لأنه إذا كان نافيا فقد أقروا بأنه ليس لهم من الأمر شيء فيكون الأمر لله ؟

الطالب: ...

الشيخ: لكن إذا جعلتها بمعنى النفي كان قوله: ((**قل إن الأمر كله لله**)) لا يصح أن يكون ردا عليهم ؟

الطالب: هذا استفهام إنكاري؛

الشيخ: لكن ويش معنى الإنكار هل معناه النفي كما قال ابن داود ؟

الطالب: أنكروا أنهم لم يرجع إليهم فيرد إليهم الأمر بشأن الحرب؛

الشيخ: يعني كأنما يريدون تبرئة أنفسهم، جيد.

الشيخ: ما المراد بالأمر في قوله: ((**قل إن الأمر كله لله**)) واحد الأوامر أو واحد الأمور ؟ ((قل إن الأمر كله لله)) هل المراد الأمر الذي هو ضد النهي وهو واحد الأوامر ؟ أو المراد واحد الأمور ؟ الطالب: واحد الأمور؛

الشيخ: واحد الأمور ؟ ما تقولون ؟

الطالب: المراد من الأمر عام قدريا كان أو كونيا؛

الشيخ: يعني يشمل الأمور واحد الأمور واحد الأوامر ؟

الطالب: نعم؛

الشيخ: لكن السياق يقتضي أن يكون واحد الأمور.

الشيخ: قوله: ((**يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك**)) ما الذي يخفونه ؟

الطالب: إنكارهم على القيادة؛

الشيخ: كيف إنكار ؟

الطالب: الإنكار أنه لو يرجع إليهم من الأمر شيء ولم يأخذ رأيهم في الحرب؛

الشيخ: ما في الآية بيان لهذا الشيء ؟

الطالب: قول الله عزوجل: ((**يقولون لو كان لنا من الأمر شيء**))

الشيخ: ((**يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا**)) طيب؛

الشيخ: إذا كان هكذا يا خالد فيكف صح أن يقال إنه يخفون في أنفسهم ؟

الطالب: يعني يخفون في أنفسهم المراد: لا أنهم يخفونه لا يبدونه وإنما يكون بين هذه الطائفة مجموعة أنكرت على القيادة هذا الشيء، فهم يخفون هذا الأمر في أنفسهم يعني في هذه الطائفة ولا يظهرونه إلى النبي صلى الله عليه وسلم والطائفة الأخرى التي غشيهم النعاس؛

الشيخ: يعني فيما بينهم ؟

الطالب: فيما بينهم؛

الشيخ: يخفونه فيما بينهم ولكنهم يخاطب بها بعضهم بعضا .

الشيخ: قوله عزوجل: ((**لبرز الذين كتب عليهم القتل**)) ما المراد بالكتابة هنا الشرعية أو الكونية؟

الطالب: الكونية؛

الشيخ: الكونية أحسنت؛ هل تستطيع أن تأتي بمثال للكتابة الكونية غير هذه الآية ؟

الطالب: قال الله عزوجل: ((**ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون**))؛

الشيخ: نعم أحسنت .

الشيخ: قوله تعالى: ((**وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم**)) ما معنى يبتلي ؟ الطالب: الابتلاء هو الاختبار؛

الشيخ: وكيف كان ابتلاء, وبماذا ابتلوا ؟

الطالب: ابتلاهم الله تعالى ...

الشيخ: وما الذي يظهر بهذا الابتلاء, يظهر أيش ؟

الطالب: يظهر صدق المؤمن

الشيخ: يظهر صدق المؤمن من المنافقين .

الشيخ: ((**وليمحص ما في قلوبكم**)) ؟

الطالب: أي يخلصهم؛

الشيخ: ينقيها مما فيها من الدغل وإكراها لما وقع وما أشبه ذلك، أحسنت .

الشيخ: ثم قال الله عزوجل: ((**إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا**))

أولا في الإعراب؛ ((**إن الذين تولوا منكم**)) هذه جملة مؤكدة بإن و ((**الذين**)) اسمها, اسم إن؛ وقوله: ((**إنما استزلهم الشيطان**)) هذه الجملة خبر إن: ((**إنما استزلهم**))؛ وقوله: ((**ولقد عفا الله عنهم**)) جملة مؤكدة بثلاثة مؤكدات وهي: القسم، واللام، وقد .

يقول الله عزوجل مخبرا عن هؤلاء الذين تولوا يوم أحد وانهزموا يقول: ((**إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان**)) الجمعان: مثنى جمع, والمراد بهم جمع الرسول عليه الصلاة والسلام وجمع الكفار، المسلمون بقيادة النبي صلى الله عليه وسلم والكفار بقيادة أبي سفيان؛

يقول: ((**إن الذين تولوا منكم**)) تولوا: يعني أدبروا وهربوا وهم أكثر الجيش, حتى إنه لم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم إلا نحو ثلاثة عشر رجلا منهم أبو بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم؛ هؤلاء الذي تولوا يوم التقى الجمعان أي تلاقوا وجها لوجه: ((**إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا**)) استزل: في الأصل طلب الزلة, يعني إنما صدهم الشيطان من أجل أن يطلب زلتهم؛ وقيل: إن استزل بمعنى أزل يعني إنما أزلهم؛ والمراد بأزل أي أوقعهم في الزلل، والزلل هو الخطأ والانحراف عن الصواب؛ وقوله: ((**إنما استزلهم الشيطان**)) الشيطان: اسم جنس, ولكل إنسان شيطان قرين له يأمره بالشر وينهاه عن الخير؛ والشيطان هنا يقولون إنه مشتق من شطن إذا بعد, لبعده عن رحمة الله؛ ومن أجل ذلك كان منصرفا كما قال تعالى: ((**وحفظناها من كل شيطان رجيم**))؛ وقال بعضهم: إنه من شاط؛ ولو كان كذلك لكان غير منصرف إذا قصد به العلم؛ لأنه إذا كان من شاط صارت النون والألف زائدتين، وإذا كانت النون والألف زائدتين في علم أو في وصف امتنع من الصرف؛

((**إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا**)) الباء هنا للسببية أي ببعض الذي كسبوه؛ وما هو الذي يكون سببا لإغواء الشيطان من المكاسب ؟ هو المعاصي, أي أن لديهم ذنوبا كانت سابقة ثم إن الشيطان استزلهم بها, أي أوقعهم في الزلل بسبب هذه الذنوب؛ لأن الذنوب تكون سببا للذنوب الأخرى؛ ولهذا قال بعض السلف: إن من علامة قبول الحسنةِ الحسنةَ بعدها, ومن علامة ردها السيئة بعدها؛ فالإنسان إذا أذنب ذنبا فإنه إن لم يتب فإن الشيطان يوقعه في ذنب آخر؛ وهكذا حتى يصبح قد أحاطت به خطيئته . والعياذ بالله .؛ ولهذا قال العلماء: إن المعاصي بريد الكفر؛ يعني تنتقل بالإنسان مرحلة بعد أخرى حتى يصل إلى قمة المعاصي وهو الكفر .

ثم قال الله عزوجل لما بين خطأهم وأنهم هم السبب في هذا الخطأ قال: ((**ولقد عفا الله عنهم**)) وهذه كالتي سبقت في قوله: ((**ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم**)) فكرر الله العفو مرتين. ((**ولقد عفا الله عنهم**)) أي عن الذين تولوا؛ والعفو: ترك المؤاخذة على الذنب؛ ويكون في الغالب في ترك الواجبات, يعني أن الله يعفوا عمن ترك الواجب؛ والمغفرة تكون فمن فعل المحرم؛

((**إن الله غفور حليم**)) الغفور من أسماء الله والحليم من أسمائه؛ والغفور معناه ذو المغفرة, وهي ستر الذنب والتجاوز عنه؛ لأن أصلها من المغفر وهو ما يلبس على الرأس يتقى بها السهام, وهو جامع بين الستر والوقاية؛ أما الحلم فهو التأني وعدم السرعة؛ ولهذا قال ابن القيم رحمه الله:

وهو الحليم فلا يعاجل عبده بعقوبة ليتوب من عصيان؛

فمعنى الحليم معناه الممهل للعباد، المتأني في عقوبتهم .

في هذه الآية من الفوائد: بيان سبب انهزام من انهزم من الصحابة؛ وهو استزلال الشيطان لهم، ثم بيان هذا السبب الذي بني عليه هذا السبب وهو بعض ما كسبوا من المعاصي .

فيتفرع على هذه الفائدة فائدتان؛

الفائدة الأولى: أن كل ترك للواجب أو فعل للمحرم فإنما هو من استزلال الشيطان؛ لأنه هو الذي يأمر الفحشاء وينهى عن المعروف؛ فكل ما حصل من تفريط في واجب أو وقوع في محرم فإنه من الشيطان .

والفائدة الثانية: أن الإنسان قد يعاقب بالمعصية لمعصية أخرى, أي أنه تكون عقوبته أن يعصي الله مرة ثانية .

ويتفرع على هذا أيضا فائدة ثالثة وهي: أن العقوبة لا تختص بالألم البدني أو فوات الشهوات؛ قد تكون العقوبة بخذلان المرء عن الطاعات؛ ويذكر عن الحسن البصري رحمه الله أنه قال: " **إن الرجل ليحرم قيام الليل بما فعل من المعصية أو بالذنب يصيبه** "؛ ولاشك أن المعاصي سبب للخذلان؛ ويؤيد ما قلنا هذه الآية: ((**إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا**)) وهي التي بنينا عليها هذه الفائدة؛ لكن يؤيدها أيضا قوله تعالى: ((**فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم**)) هذه عقوبة بدنية؛ ((**وجعلنا قلوبهم قاسية**)) هذه عقوبة دينية؛ ((**يحرفون الكلم من بعض مواضعه**)) أيضا عقوبة دينية؛ ((**ونسوا حظا مما ذكروا به**)) كذلك؛ فالمعاصي لها أسباب سيئة وعواقب وخيمة . نسأل الله أن يعفو عنا وعنكم . .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: تحريم الفرار إذا التقى الجمعان؛ وجهه ؟ أن الله بين أن هذا من استزلال الشيطان وأنه عفا عنهم ولولا أنهم مستحقون العقوبة لم يكن لقوله: ((**ولقد عفا عنهم**)) فائدة .

يستثنى من ذلك أي من تحريم الفرار عند التقاء الجمعان, يستثنى من ذلك مسائل:

أولا: إذا كانوا أكثر من مثليهم، إذا كانوا أكثر من مثليهم فلهم الفرار؛ ولكن الثبات أفضل.

الثاني: إذا كان متحرفا لقتال, يعني فر من أجل أن يأتي بأسلحة؛ أو يستحث قوما على الجهاد؛ أو ذهب من أجل أن يفر عليهم أو يكر عليهم من جهة أخرى؛ المهم أنه متحرف لقتال .

المسألة الثالثة: ((**أو متحيزا إلى فئة**)) يعني أن الجبهة التي هو فيها ضعفت ففر من أجل أن يتحيز إلى فئة أقوى؛ أو تكون الجبهتان ضعيفتين فتتحيز إحداهما إلى الأخرى فهذا لا بأس به؛ وما عدا ذلك فإن الفرار يوم الزحف من كبائر الذنوب . والعياذ بالله . كما قال تعالى: ((**يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير**)) .

ومن فوائد الآية الكريمة: إثبات أن للشيطان تأثيرا على العبد حتى في أعماله الصالحة حتى في الجهاد؛ لقوله: ((**إنما استزلهم الشيطان**))؛

ولكن بماذا يحصل أو بماذا تحصل العصمة من هذا الشيطان ؟

تحصل العصمة بما ذكره الله عزوجل في قوله: ((**وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله**)) هذه العصمة، كلما أحسست بشيء داخل ينهاك عن معروف ويأمرك بمنكر فقل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .

ومن فوائد هذه الآية: الرد على الجبرية؛ من أين تؤخذ ؟ من قوله: ((**ببعض ما كسبوا**)) ومن قوله: ((**تولوا منكم**)) .

ومن فوائدها: بيان أن الله عزوجل قد عفا عن هؤلاء؛ لقوله: ((**ولقد عفا الله عنهم**)) .

ومن فوائدها: أنه ينبغي التأكيد من أجل زيادة طمأنينة المخاطب؛ لأنه أكد هذه الجملة الخبرية التي تفيد العفو عنهم, أكدها بقسم ولام وقد من أجل أن تزداد طمأنينتهم في هذا العفو؛ وقد سبق أن قصصنا عليكم قصة الخارجي الذي جاء إلى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وأراد أن يلمز عثمان بأنه تخلف عن بدر وفر يوم أحد ولم يبايع بيعة رضوان؛ وأن ابن عمر أجابه بجواب مقنع, وقال: " **اذهب بها إلى قومك** "؛ لأن الرجل جاء من أجل التشويش والتشويه لعثمان رضي الله عنه .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: بيان فضل الله على عباده؛ وإلا فإن الفرار الذي حصل من الصحابة عظيم, ولكن رحمة الله أوسع؛ فمن أجل سعة رحمة الله عفا الله عنهم .

ومن فوائد الآية: إثبات اسمين من أسماء الله وهما: الغفور الحليم وما تضمناه من صفة، الغفور تضمن المغفرة, والحليم تضمن الحلم .

ثم قال الله عزوجل: ((**يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم** ...))

فيها أولا ما يتعلق باللغة العربية قوله: ((**وقالوا لإخوانهم**)) اللام هل هي للتعدية أي تعدية القول أو لها معنى آخر؟ نقول: إن لها معنى آخر وليست لتعدية القول؛ لأن إخوانهم قد ماتوا وقتلوا فلا يمكن أن يوجه القول لهم؛

لكنها بمعنى في, أي قالوا في إخوانهم؛ أو بمعنى عن أي قالوا عن إخوانهم؛ أيضا يقول: ((**أو كانوا غزى**)) غزى جمع غازي على وزن فُعَّل؛ قال ابن مالك:

وفعل لفاعل وفاعلة وصفين نحو عاذِل وعاذلة؛

عاذِل يقال عُذَّل، غازي يقال غزى, ويقال أيضا غزاة كقاض وقضاة؛ لكن هنا نجعل غزى جمع غازي؛ فما وزنها الصرفي ؟

الطالب: فاعل؛

الشيخ: وزنها ؟ غزى ما هي غازي، غازي معروف أنها فاعل؛

الطالب: فُعَّل.

الشيخ: صح فعل نعم؛

وكذلك أيضا قوله: ((**ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم**)) اللام هل هي للتعليل أو للعاقبة ؟ الطالب: للعاقبة،

الشيخ: للعاقبة يعني يقال هذا القول ليجعل الله هذا القول حسرة في قلوبهم.

يقول الله عزوجل: ((**يا أيها الذين آمنوا**)) الخطاب أو النداء موجه للمؤمنين: ((**يا أيها الذين آمنوا**)) وفائدة توجيه النداء إلى المؤمنين بهذا الخطاب أولا: الحث والإغراء على قبول ما يوجه إليهم وامتثاله؛ لأن وصف الإيمان يزيد الإنسان قوة وشجاعة كما لو قلت لشخص: يا أيها الرجل افعل كذا وكذا، أي لرجولتك افعل؛ وهذا سيعطيه قوة واندفاعا في قبول ما توجه إليه؛ الفائدة الثانية: أن ما يأتي بعدها من مقتضيات الإيمان؛ الفائدة الثالثة: أن مخالفة ذلك نقص في الإيمان؛ لأنه إذا كان قبوله والإتيان به من مقتضيات الإيمان كان مخالفته من نواقص الإيمان؛

أما بدأ الخطاب بالنداء فإنه يفيد التنبيه والعناية بما يذكر؛ ولهذا قال ابن مسعود: " **إذا سمعت الله يقول يا أيها الذين آمنوا فأرعها سمعك فإما خير تؤمر به وإما شر تنهى عنه** " .

الشيخ: الفائدة الثانية: أن ما يأتي بعدها من مقتضيات الإيمان؛ الفائدة الثالثة: أن مخالفة ذلك نقص في الإيمان؛ لأنه إذا كان قبوله والإتيان به من مقتضيات الإيمان كان مخالفته من نواقص الإيمان؛

أما بدأ الخطاب بالنداء فإنه يفيد التنبيه والعناية بما يذكر؛ ولهذا قال ابن مسعود: " **إذا سمعت الله يقول يا أيها الذين آمنوا فأرعها سمعك فإما خير تؤمر به وإما شر تنهى عنه** ".

((**يا أيها الذين آمنوا**)) الإيمان شرعا هو الإقرار المتضمن للقبول والإذعان؛ فالإقرار المجرد لا يسمى شرعا إيمانا؛ بل لابد من قبول وإذعان؛ قبول ضد الرفض, والإذعان ضد الاستكبار؛

يقول: ((**يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا**)) يعني مثل الذين كفروا؛ ثم قال: ((**وقالوا لإخوانهم**)) وهذا لاشك إنه من جملة كفرهم لأنه دال على ضعف الإيمان؛ وقوله: ((**وقالوا لإخوانهم**)) قال بعض المفسرين: إخوانهم في النسب؛ وقال بعض المفسرين: إخوانهم في الكفر؛ والثاني أقرب، الثاني أقرب أي قالوا في شأن إخوانهم إذا ضربوا في الأرض .

السائل: إذا كان العدو أكثر قوة فهل يجوز الفرار منه ؟

الشيخ: أما في الآية الكريمة يقول الله عزوجل: ((**يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين**)) فظاهر الآية الكريمة أن المعتبر العدد؛ لكن الأمر كما قلت: أنه إذا كان العدو أقوى عددا فإن كثرة العدد أمام هذا السلاح الفتاك لا يعد شيئا؛ الظاهر أنه يلحق به إذا كان عندهم من القوة أكثر مما عندنا مرتين فإن ذلك يبيح الفرار .

السائل: إذا كان يعرف المؤمن أنه إذا وقف أمام العدو سيقتل, قلنا أن الأفضل أن يواجهه ؟

الشيخ: سؤال أخ عبد الرحمن حول ما ذكرت, يعني إذا كان عندهم من القوة أكثر مما عندنا بكثير فهنا يظهر والله أعلم أنه يجوز الفرار .

السائل: أحسن الله إليك ! إذا كانت الفئة المنحاز إليها بعيدة ليست في الجبهة أو ربما يكون انحازوا إلى بلد إسلام يتقووا به, فهل هذا التحيز جائز ؟

الشيخ: هذا موضع خلاف بين العلماء فمنهم من يقول: إن المراد بالفئة المشاركة في هذه الجهاد؛ وهذا في الغالب يقتضي أن تكون قريبا؛ ومنهم من قال إن الفئة عامة المسلمين؛ وعلى هذا فمن التحيز أن يتحيز إلى بلد إسلامي ولو بعُد؛ فالمسألة فيها خلاف بين العلماء وينبغي هنا أن يقال: إنه ينظر لكل قضية بعينها؛ قد تكون الفئة التي

انحاز منها وهي ممن شارك في هذا القتال؛ قد تكون غير مدافعة ولا تستطيع أن تحميهم, فهنا يتحيز ولو إلى بلد بعيد .

السائل: قول الله تعالى: ((**وحفظا من كل شيطان مارد**)) ما نقول إن شيطان مأخوذ من شطن لأنها نونة ؟

الشيخ: بلى وهذا الذي رجحناه .

السائل: قوله: ((**وقالوا لإخوانهم**)) هذا عطف على: ((**كفروا**))؛ ولكن في قوله: ((**يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا**)) لجميع المؤمنين ... ؟

الشيخ:لا, عام؛

السائل: عام لجميع المسلمين أن لا يكون كالكفار؛

الشيخ: كهؤلاء الكفار, يعني لا تتشبهوا بهم في مثل هذا الاعتراض على القدر, لأن هؤلاء معترضون على القدر .

السائل: قلنا يا شيخ يستدل بقوله: ((**استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا**)) أي من المعاصي, فالإنسان إذا فعل المعصية وتاب منها فهل تلحقه المصائب ؟

الشيخ: لا, إذا تاب تاب الله عليه, لكن قد يعتريه بعض المصائب امتحانا, مثل ما أن المصائب تأتي للمؤمن الذي يعني يقل منه المعاصي أو لا توجد منه معصية .

السائل: إذا حوصر المجاهد الأفضل أن يستسلم أو يقاوم ويقتل ؟

الشيخ: هذا ينظر المصلحة, إذا كان يمكن أن يقاوم مثل ينتظر مددا مثلا فليقاوم؛ إذا كان لا يمكن فليستسلم ويفرج الله له .

الطالب: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ((**يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم والله يحيي ويميت والله بما تعملون بصير ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون ولئن متم أو قتلتم لإلى الله تحشرون فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون**)) .

الشيخ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم؛ قال الله تبارك وتعالى: ((**يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم** ...))

سبق الكلام على أول هذه الآية, وبينا أن هؤلاء يقولون لإخوانهم في الكفر أو في النسب؛ ((**إذا ضربوا**)) أي الإخوان: ((**في الأرض**)) أي سافروا فيها لتجارة أو غيرها؛

((**أو كانوا غزى**)) الضمير في كانوا يعود على: الإخوان؛ ((**غزى**)) جمع غاز على وزن فُعَّل؛ وأنشدنا في هذا قول ابن مالك رحمه الله:

وفعل لفاعل وفاعلة وصفين نحو عاذل وعاذلة؛

عاذل عذل، عاذلة عذل؛ ((**لو كانوا عندنا**)) يعني لم يضربوا في الأرض ما ماتوا, ولو كانوا عندنا لم يغزوا ما قتلوا؛ فقولهم: ((**لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا**)) هذا فيه ما يسمى عند البلاغين لفا ونشرا ؟ الظاهر أنكم كلكم تشويش, مرتب يا جماعة ؟ ما ماتوا مقابل: ((**إذا ضربوا**))؛ و: ((**ما قتلوا**)) مقابل ((**أو كانوا غزى**))؛ و: ((**إذا ضربوا**)) قبل ((**أو كانوا غزى**))؛ إذا فهو مرتب؛ إذا لو كانوا عندنا لم يضربوا في الأرض ما ماتوا، لو كانوا عندنا لم يغزوا ما قتلوا؛ كذا ؟ طيب, يقول هؤلاء لو أنهم لم يسافروا ما ماتوا، لو أنهم لم يغزوا ما قتلوا؛ هكذا يقولون؛ ولكن الله سبحانه تعالى يقول: ((**ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم**)) ليجعل الله ذلك أي ما وقع, أو ذلك أي القول الذي قالوه, يحتمل المعنيين ولكن الثاني أقرب, أي ليجعل الله ذلك القول الذي قالوه وهو لا يغني عنهم شيئا يجعله الله حسرة في قلوبهم، حسرة: يعني تحسرا وندما, يستحسر به القلب ولا ينبسط ولا يفرح, وإلا فإن هذا القول لا يغني شيئا؛

واللام في قوله: ((**ليجعل**)) سبق أن قلنا إنها للعاقبة؛ وبينا أن اللام الداخلة على الفعل في مثل هذا التركيب تكون: إما للعاقبة وإما للتعليل وإما زائدة؛ فقوله تعالى: ((**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس**)) هذه زائدة؛ ((**يريدون ليطفئوا نور الله**)) اللام ؟ زائدة, ودليل هذا أن في الآية الثانية: ((**يريدون أن يطفئوا**))؛ طيب: ((**فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا**)) ؟ للعاقبة؛ لأنهم ما التقطوا لهذا, لو ظنوا أنه يكون عدوا وحزنا لقتلوه؛ هذه الآية: ((**ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم**)) أيضا للعاقبة، لو أنهم ظنوا أن هذا حسرة وأنه لا فائدة منه إلا التحسر والندم وتكرار المصيبة ما قالوا هذا؛ ولكن الواقع أنه يكون حسرة في قلوبهم وإلا فإنه لا يغني شيئا؛ لماذا ؟ لأن الأمر بيد الله؛ ولهذا قال: ((**والله يحيي ويميت**)) الإحياء والإماتة بيد الله عزوجل؛ فإذا قدر الله إماتة شخص على سبب من الأسباب يسر له هذا السبب, وصار هو نفسه يفعل ذلك السبب إذا قدر

الله تعالى موت الإنسان على سبب؛ أو صار غيره يتسبب له؛ فالإحياء والإماتة بإذن الله عزوجل, والله يحيي ويميت.

((**والله بما تعملون بصير**)) يعني ومن جملة ما هو بصير به عملهم؛ والبصير هنا يحتمل بصر الرؤية ويحتمل بصر العلم، يحتمل المعنيين جميعا؛ فهو بصير بما نعمل بمعنى عليم, بصر العلم؛ بصير بما نعمل بمعنى راء ما نعمل وهذا بصر الرؤية .

فإذا قال قائل: هل تثبتون لله بصر رؤية ؟

قلنا نعم، قال النبي عليه الصلاة والسلام: (**حجابه النور**) أي الله عزوجل (**لو كشفه لأحرق سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه**) هذا إثبات البصر لله؛ أما بصر العلم فواضح كثير؛ إذا في هذه الآية إثبات إحاطة علم الله عزوجل بكل ما نعمل؛ لقوله: ((**بما يعملون**))؛ وما هنا ؟

الطالب: اسم موصول؛

الشيخ: واسم الموصول يفيد ؟ اسم الموصول يا إخواننا يفيد العموم، كلما جاءك اسم موصول فإنه للعموم ولو كان واحدا، قال الله عزوجل: ((**والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون**)) شف مفرد عاد عليه الإشارة والضمير أيش ؟ جمعا, لأنه عام؛ فاسم الموصول وإن كان لفظه لفظ المفرد يكون للعموم؛ عرفت ؟ خذ معك هذه الفائدة: كل اسم موصول فهو للعموم؛

((**بما يعملون بصير**)) فيها قراءة ثانية: ((**بما تعملون بصير**)) فهل في الآية التفات ؟ ((**بما تعلمون**)) أو ((**بما يعملون**)) ؟ فكروا ؟ المهم السؤال هل فيها التفات أو لا ؟

الطالب: فيها التفات؛

الشيخ: على قراءة التاء فيها التفات ؟, هي الواقع, يعني ليس فيها التفات في الحقيقة؛ لأنه إذا قال: ((**بما تعملون**)) فالخطاب في أول الآية موجه للمؤمنين: ((**يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا**)) مخاطب، لا تكونوا فإن كنتم فالله بما تعملون بصير؛ إذا لا التفات؛ إذا جعلنا: ((**بما يعملون**)) عائد: ((**للذين كفروا وقالوا لإخوانهم**)) أيضا فليس فيه التفات؛ فالحقيقة أنه ليس في الآية التفات سواء جاءت بالتاء أو بالياء؛ لأنها إن جاءت بالتاء فقد روعي فيها صدر الآية: ((**يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا ... والله بما تعملون بصير**))؛ هذا إذا كانت بالتاء؛ وإن كانت بالياء فقد روعي فيها آخر الآية؛ صح ؟ طيب .

في هذه الآية فوائد كثيرة؛ منها: تعلية شأن المؤمنين بإيمانهم؛ لقوله: ((**يا أيها الذين آمنوا**)) لأن المخاطب لا ينادى إلا بأحب الأوصاف إليه؛ ولهذا لو ناديت أحدا بأقبح الأوصاف لسابك وشاتمك؛ ففيه تعلية شأن المؤمنين بإيمانهم .

ومنها: فضيلة الإيمان وأنه مقتض لكل الأخلاق الفاضلة .

ومنها: الإشارة إلى النهي عن التشبه بالكفار؛ لقوله: ((**يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا**))؛ والتشبه بالكفار اختلف فيه العلماء, فذهب أصحاب الإمام أحمد رحمه الله في المشهور عنه إلى أن التشبه بالكفار مكروه، والمكروه عند الفقهاء كراهة تنزيه, أي يثاب تاركه امتثالا ولا يعاقب فاعله؛ لكن قولهم هذا ضعيف, والصواب أن التشبه بالكفار حرام؛ لما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حديث: (**من تشبه بقوم فهو منهم**) في كتابه القيم الذي أشير به على كل طالب علم وهو: " **اقتضاء صراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم** " قال لما ذكر هذا الحديث قال: " **وأقل أحوال هذا الحديث التحريم، أقل أحواله التحريم, وإن كان ظاهره يقتضي كفر المتشبه بهم** "؛ لأن قوله: (**من تشبه بقوم فهو منهم**) ظاهره أنه كافر؛ فالاقتصار على الكراهة التي يراد بها كراهة التنزيه عند الفقهاء فيه نظر ظاهر؛ المهم أن في هذه الآية الإشارة إلى النهي عن التشبه بالكفار لاسيما إذا كان الفعل نفسه محرما, فإن قولهم هذا فيه اعتراض على القدر كما سيتبين إن شاء الله .

فإن قال قائل: ما هو ضابط التشبه ؟ وهل يشترط فيه القصد ؟

فالجواب: أن ضابط التشبه أن يأتي بما يختص بالكفار من لباس أو تحلية جسم أو غيره، بحيث أن يقول من رآه هذا من الكفار؛ لأنه لا يمكن أن يقول هذا من الكفار إلا إذا كان الشيء مختصا بهم؛ أما إذا كان عاما فإنه لا يمكن أن يقال من الكفار؛ فمثلا البنطلون الذي يسمى البنطلون عند الناس في بعض البلاد الإسلامية هو لباس الناس؛ فهل نقول إن البنطلون تشبه ؟ لا؛ لماذا ؟ لأنه ليس خاص بالكفار، ترى الإنسان ولا تقول هذا كافر لأنه ممكن يكون كافر وممكن يكون مسلم؛ عرفتم ؟.

طيب لو لبس البنطلون من كانت عادتهم لباس القمص هل يكون تشبها ؟

الطالب: نعم .

الشيخ: لا؛ لكنه يكون شهرة وثوب الشهرة منهي عنه؛ أفهمتم ؟ انتبهوا للأحكام ومآخذها وعللها, لأن هذا مهم لطالب العلم أن يعرف المآخذ والعلل .

هل يشترط في التشبه القصد أو لا يشترط ؟

لا يشترط؛ لأن إنسان لو قصد التشبه لكان الخطر عظيما؛ لأنه لا يقصد التشبه بهم إلا من ملأ قلبه أو كاد يملأ بمحبتهم وتعظيمهم؛ بل التشبه حاصل بصورة التشبه سواء قصد أم لم يقصد؛ هذا نقوله باعتبار الشخص نفسه؛ أما باعتبار إنكارنا عليه فإننا ننكر عليه مطلقا؛ لأننا لو سكتنا عن الإنكار عليه لأمكن كل واحد أن يقول: إنني لم أقصد التشبه؛ فنحن نقول الإنكار على المتشبه مطلقا سواء قصد أم لم يقصد؛ لكن الكلام على المتشبه نفسه هل يشترط لكونه متشبها أن يقصد التشبه ؟ الجواب لا؛ إذا حصلت صورة التشبه فقد تشبه سواء قصد أم لم يقصد؛ معلوم ؟ طيب.

التشبه في الأمور الدينية أعظم بكثير من التشبه في الأمور العادية؛ لأن التشبه بهم في الأمور الدينية يعني تعظيم الباطل لذاته لا لكونه من خصائصهم؛ ولهذا ذكر ابن القيم رحمه الله في أحكام أهل الذمة: أنه حرام بالاتفاق, وقال: هذا إن سلم فاعله من الكفر فقد أتى محرما لاشك فيه؛ لأن التشبه بهم في الأمور الدينية يعني تعظيم دينهم؛ ودينهم منسوخ بدين محمد صلى الله عليه وسلم بإجماع المسلمين؛ ومن زعم أن اليهود أو النصارى أو على غيرهم على دين صحيح مقبول عند الله فهو كافر، يعلم حتى يرجع؛ لأن الله يقول عزوجل: ((**ومن يبتغي غير الإسلام دينا فلن يقبل منه**)) ويقول: ((**إن الدين عند الله الإسلام**)) وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بما جئت به إلا كان من أصحاب النار**) وإذا قيل أصحاب النار فهم أصحابها الذين لا يخرجون منها وهم الكفار .

من فوائد هذه الآية الكريمة: أن الندم على ما وقع لا يرفع الواقع؛ صح ؟ نعم, لأن الله قال: ((**والله يحيي ويميت**)) .

ومن فوائدها: أن هذا الدين رحمة؛ لأن نهي الله عن الندم على ما مضى مصلحة للإنسان, لأنه يطمئن قلبه ولا يتحسر ولا يحزن, فإنه يقول لنفسه هذا الأمر لابد أن يقع كما وقع؛ فلا حاجة أن تقول: لو أني فعلت ما حصل، لا حاجة, إنما تقول: لو أني فعلت في أمر تكون فرطت فيه؛ أما شيء لم يكن بتفريطك فهذا لا يحل لك أن تتندم عليه .

ومن فوائد هذه الآية: أنه لو أن شخصا سافر ثم صار عليه حادث فقال أهله: لو أنه ما سافر كان أسلم له، كان ما يحصل عليه حادث؛ نقول هذا من قول الكفار: ((**قالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض لو كانوا عندنا ما ماتوا**)) هذا قول الكفار؛ المؤمن لا يقول هكذا، المؤمن يقول: ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن؛ ويقول ((

وكل شيء عنده بمقدار))؛ ويقول: ((**لكل أجل كتاب**)) وما أشبه ذلك من الآيات الدالة على أن الأمر بيد الله ولا يمكن أن يتغير المقدور عما وقع أبدا .

من فوائد هذه الآية الكريمة: أن هؤلاء المعترضين على القدر يكون اعتراضهم حسرة، حسرة في قلوبهم ولا ينسون المصيبة, وتجد الشيطان يلعب بهم, ليته ما راح ليته ما غزا ليته ما فعل، يلعب به؛ ولهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام مشيرا إلى هذا المعنى: (**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف**) القوي في أيش ؟ القوي في بدنه يحمل الحجر الكبير ولا يبالي ولكن صلاته ضعيفة؟؛

الطالب: لا, لا؛

الشيخ: وفيه مؤمن ما يحمل إلا عشرة كيلو أو شبهه, ولكنه يتهجد بالليل, ويصوم ما شاء الله, ويصلي الواجبات ؟ الأول قوي الأول يأخذ الثاني يضربه إلى فوق نعم ؟ إذا المؤمن القوي في إيمانه؛ لأن القوي وصف عائد على ما سبق على المؤمن، والمؤمن مشتق من الإيمان؛ إذا المؤمن القوي في إيمانه ولابد, ما هو المؤمن القوي في بدنه؛ لو قال: البدين القوي, قلنا معناه: القوي في بدنه؛ ولو قال: الرجل القوي، قلنا: في رجولته؛ لكن قال: المؤمن القوي أي في إيمانه؛ قوة البدن لا تمدح إلا إذا كان فيها زيادة قوة الإيمان لتمدح؛ كثرة المال لا تمدح إلا إذا كان فيها زيادة في الإيمان؛ يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف**) ولما كان هذا الكلام من الصادق المصدوق قد يؤدي إلى انحطاط رتبة المؤمن الضعيف قال: (**وفي كل خير**) جبرا لما يتوهم من نقص الضعيف، (**وفي كل خير**)؛ وهذا الأدب من الرسول عليه الصلاة والسلام هو مما أدبه الله به، قال الله عزوجل: ((**لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى**)) وقال: ((**لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى**)) النبي عليه الصلاة والسلام قال: (**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير**) ثم قال: (**احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز**) احرص واستعن ولا تعجز, يعني لا تكسلوا, وتضعف عن إتمام العمل, وإن أصابك شيء بعد الحرص والاستعانة بالله والقوة في العمل: (**إن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت لكان كذا وكذا, فإن لو تفتح عمل الشيطان**) إذا من قال لو معترضا على القدر فقد شابه الكفار, وقد فتح على نفسه باب عمل الشيطان .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: إثبات أو الرد على القدرية؛ قوله: ((**ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم**)) يعني أن الله قدر أن يقولوا هذا القول ليجعله حسرة في قلوبهم .

ومن فوائد الآية الكريمة: إثبات أن الإحياء والإماتة بيد الله: ((**والله يحيي ويميت**)) وهذا أيضا مؤجل، الإحياء والإماتة مؤجلة بأجل لا يزيد ولا ينقص أبدا، لا يزيد ولا ينقص: ((**لكل أجل كتاب**)) .

من فوائد الآية الكريمة: إثبات عموم علم الله عزوجل بكل ما نعمل؛ لقوله: ((**والله بما يعملون بصير**)) أو: ((**بما تعملون بصير**)) .

ويترتب على هذه الفائدة فائدة مسلكية ينتفع بها الإنسان في سلوكه وعمله وهي: أنه إذا آمن بأن الله بصير بما يعمل لزم من ذلك أن يستقيم على أمره؛ أنت عندما تريد أن تفعل معصية أذكر هذه الآية أن الله بصير بعملك؛ إذا أردت أن تعمل طاعة أذكر هذا, أن الله بصير بعملك فأحسن الطاعة؛ فهذه تفيد الإنسان في سيره إلى الله عزوجل؛ إذا آمن بأن الله بصير بما يعمل حسن سيره إلى الله, واستعان بذلك على إحسان العبادات وعلى ترك المحرمات .

وفيها من فوائد الآية: الرد على الجبرية، حيث أضاف الله العمل إليهم والجبرية لا يضيفون العمل إلى الإنسان يقولون إن الإنسان مجبر على عمله؛ فالإنسان الذي يكون بيده هكذا اختيارا كالإنسان الذي فيه رعشة، كلاهما سواء لا يستطيعان أن يمنعا أنفسهما .

إذا قال قائل: ((**والله يحي ويميت**))، قال مارد لإبراهيم: أنا أحيي وأميت, ويش نقول ؟

نقول: لست أنت الذي تحيي وتميت، أنت تفعل سبب الحياة والموت، وأيضا لست تفعل سبب الحياة الناشئة؛ تفعل سبب بقاء الحياة وإلا فالحياة من الله أولا؛ الإماتة أيضا لست أنت الذي تميت وإنما تفعل سبب الموت؛ ولو شاء الله أن لا يموت من جرحته جرحا موحيا لم يمت؛ ولكن إبراهيم عدل عن مناظرته بهذا إلى شيء لا يمكنه أن يجادل فيه, وهو ؟ قال له: ((**إن الله يأتي بالشمس فأت بها من المغرب**)) ويش يقول ؟ ما يقول شيء: ((**فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين**))؛ وقد ذكرنا حين تكلمنا على هذه الآية أنه ينبغي للمناظر إذا عرف من مناظره الذي يجادله أنه إنما يريد الجدل فليأت بالحجة الدامغة قبل أن ينازع في حججه من أجل إسكات الخصم وإفهامه وقطع المنازعة؛ أما قول قال إبراهيم مثلا: أنت لا تحيي ولا تميت ولكن تبقي الحياة أو تفعل سبب الموت صار فيه جدال, وصار سامع القصة يحتاج إلى تصور بعيد؛ لكن إذا قطع عليه المناظرة: ((**إن الله يأتي بها من المشرق فأت بها من المغرب**)) لو يجتمع هو وكل المردة ما استطاعوا أن يأتوا بها أبدا.

ثم قال الله تعالى: ((**ولئن قوتلتم في سبيل الله أو مِتّم**)) عندكم كذا ؟ ((**أو متم**)) ؟ فيها قراءتان: ((**أو مُتّم**)) ((**أو مِتّم**)) بالكسر؛ ((**لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون**)) ((**خير مما تجمعون**)) قراءتان؛ إذا ففي الآية هذه كلمتان فيهما قراءتان؛ الأولى قال: ((**مِتّم**)) مأخوذة من مات يموت؛ وإذا أخذت

من مات يموت كيف نقول ؟ ((**مُتّم**)) بضم الميم؛ أو من مات يمات: ((**مِتّم**)) مات يمات, يعني كلها لغة عربية تقول: مات الرجل يمات الرجل، مات الرجل يموت الرجل؛ مات كيخاف وأصلها موِت يمْوت كخاف يخاف أصلها خوِف يخْوف؛ إذا هي من باب فرح يفرح، خوف يخوف؛ فيقال فيها: خوف يخوف نقول فيها: ((**متم**)) كما تقول خفتم؛ كذا ؟

الثاني يقول: ((**خير مما يجمعون**)) ((**خير مما تجمعون**)) هل في الآية التفات ؟

الطالب: نعم؛

الشيخ: أيهم الياء أو التاء ؟

الطالب: الياء

الشيخ: الياء فيها التفات, وعلى قراءة التاء لا؛ لأن الآية كلها للخطاب؛ وفي الآية أيضا من جهة اللغة العربية: ((**ولئن قتلتم أو متم لمغفرة من الله**)) اجتمع في الجملة قسم وشرط؛ أيهما السابق ؟

الطالب: القسم؛

الشيخ: طيب, وإذا تقدم القسم فأيهما يحذف جوابه الشرط أو القسم ؟

الطالب: القسم,

الشيخ: جواب المتأخر الشرط أو القسم؛ قال ابن مالك:

واحذف لدى اجتماع شرط وقسم جواب ما أخرت فهو ملتزم؛

يعني عند اجتماع الشرط والقسم في الجملة، احذف جواب ما أخرت فهو ملتزم؛

هنا المتقدم القسم؛ إذا الذي يحذف جواب الشرط وهو كذلك؛ الآن في الآية هو كذلك, ولهذا جاء الجواب: ((**لمغفرة**)) جاء الجواب جواب قسم؛ فاللام هنا واقعة في جواب القسم؛ واللام في لئن موطئة للقسم, وجواب الشرط محذوف؛ فإن قال قائل: كيف يحذف وهو ركن من الجملة ؟ قلنا: لأنه وجد ما يسد مسده وهو الجواب القسم .

يقول الله عزوجل: ((**ولئن قتلتم**)) الخطاب للمؤمنين؛ ((**ولئن قتلتم في سبيل الله**)) أي في الجهاد في سبيله؛ ويحتمل أن يكون أعم من ذلك, بمعنى قتلتم في سبيل الله في الجهاد, أو قتلتم في سبيل الله في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر, أو قتلتم في سبيل الله في الدعوة إليه, أو قتلتم في سبيل الله في بيان الحق, كل هذا داخل في سبيل الله، الجهاد جهاد الكفار، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الدعوة إلى الله، بيان الحق؛ لأن الجامع بينها أن هذا قتل وهو يدافع عن دين الله عزوجل؛ فالذي يقتل في سبيل الله يقول الله عزوجل: ((**لمغفرة من الله**

ورحمة خير مما يجمعون)) خير من الدنيا وما فيها؛ وقوله سبحانه وتعالى: ((**أو متم**)) هل نقول إن المعنى أو متم في سبيل الله فيكون المراد به من مات في الجهاد أو متم مطلقا ؟ الظاهر الثاني, لأن الله عزوجل لو أراد الأول لقال: ولئن قتلتم أو متم في سبيل الله؛ فلما أخر متم عن القيد علم أنه غير مراد في الجملة الثانية؛

ولهذا يقول العلماء: إن الوصف أو الشرط إذا تعقب جملا عاد إلى الكل؛ وإن توسط جملا فهو للأول، فهو لما سبقها؛ ما هي القاعدة؟ كل قيد بشرط أو صفة أو استثناء أو غيره, كل قيد إذا تعقب جملا . أي صار في آخرها . فهو عائد على الكل، انتبه، وإن توسط عاد على ما سبقه فقط دون ما تأخر عنه, إلا ما دل عليه الدليل؛ وعلى هذا نطبق قول الله عزوجل: ((**والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم**))؛ هذه الآية فيها قيد بالاستثناء تعقب الجمل الثلاث, فهل يعود إلى الثلاث ؟ نقول: أما الأولى فلا يعود إليها بالإجماع؛ وأما الثالثة فيعود إليها بالإجماع؛ وأما الوسطى ففيه الخلاف؛ أنتم معنا ؟

الطالب: نعم؛

الشيخ: ((**والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء**)) الجملة الأولى: ((**فاجلدوهم ثمانين جلدة**))؛ الثانية: ((**ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا**))؛ الثالثة: ((**وأولئك هم الفاسقون**)) ((**إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم**)) الاستثناء لا يعود إلى الأولى بالاتفاق؛ فلو أن القاذف تاب فإن حق المقذوف لا يسقط بجلد ثمانين جلدة ولو تاب؛ وإذا تاب القاذف زال عنه وصف الفسق بالاتفاق؛ وإذا تاب القاذف فهل تقبل شهادته أو لا في هذا خلاف, منهم من قال تقبل ومنهم من قال لا تقبل .

يقول الله عزوجل: ((**ولئن قوتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون**)) المغفرة فيها النجاة من المكروه والرحمة فيها حصول المطلوب؛ وقوله: ((**خير مما يجمعون**)) أي مما يجمعون من الدنيا كلها، قال الله تعالى: ((**قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون**)) .

السائل: لو كان الشيء مشتهرا بين المسلمين يفعله طائفة من المسلمين ليس مختصا بالكفار, بل يقلدهم في الصفة, كالأكل الأوروبي, فهل يعد تشبها ؟

الشيخ: لا, لكن الظاهر ما يعتبر من التشبه, يعني هذا ما يتصف بنفس الإنسان، الأكل والآلات وشبهها؛ لو قال واحد أنا ما أذبح بسكاكين من سكاكين الكفار لكن ليس في قلبي تعظيمهم فلا بأس؛ وأما قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (**وأما الظفر فمدى الحبشة**) فليست العلة أنه مدى الحبشة, لكن العلة أن إطالة الظفر من فعل الحبشة من أجل أن ينحروا به، الحبشي يغذون أظفارهم حتى تكون كالسكاكين, وبدل من أن يحمل

السكين في جيبه يقول السكين جاهز في الأصبع؛ لأن هذا أن لو الناس اعتادوه خرجوا عن الفطرة التي هي تقليم الأظفار.

السائل: في بعض البلدان أكثر العلماء يلبسون ثيابا تشبه ثياب الأساقفة والرهبان فيكون هذا من التشبه بهم ؟

الشيخ: الظاهر أنه من التشبه مادام الإنسان إذا رآهم قال هؤلاء من الأساقفة فهو تشبه. مع أن المسألة ربما يقال إن السبق في هذا اللباس للمسلمين؛

السائل: لماذا لا يلبسون لباس أهل البلد ؟

الشيخ: لكن ما تظن هذا اللباس سابق للمسلمين أنه خاص بالعلماء ؟

السائل: لا يا شيخ, الأساقفة سابقين،

الشيخ: سابقين ؟ مشكل هذا، هذا مضاهاة للنصارى؛

السائل: ولكن يا شيخ هم لا يعلمون ولا يقصدون ؟

الشيخ: أي لكن معروف, يعني من عرف لباس الأساقفة قال هذا أسقف؛

السائل: هم يقلدون العلماء من قبلهم, وما يعلمون أنهم يتشبهون ؟

الشيخ: نحن قلنا إن التشبه لا يشترط فيه القصد .

السائل: أحسن الله إليك يا شيخ ! بعض النساء عندهن قصات معينة ويفعلها الكفار لكن هم ما قصدوا التشبه بل عادة. ؟

الشيخ: أبدا مادام أن هذا لم ينتشر بين المسلمين ويكن من لباسهم أو من هيئاتهم فهو تشبه حرام؛

السائل: لكن ما قصدوا ؟

الشيخ: ولو ما قصدوا؛ لأن الذي يقصد التشبه قلت لك أن هذا خطر, لأنه لن يقصد التشبه إلا وفي قلبه تعظيم لهم ومحبة لهم .

السائل: في قوله تعالى: ((**ولئن قوتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة**)) لماذا اشترطتم الموت للمغفرة والرحمة ؟

الشيخ: يعني معناه أن من مات فإنه لن تفوته المغفرة, ثم هو إذا مات انتقل إلى خير مما كان عليه, يعني هؤلاء الذين يموتون في سبيل الله ينتقلون إلى ما هو أفضل؛ ولهذا يتمنون أن يعودوا إلى الدنيا لا ليعيشوا فيها ولكن ليقتلوا مرة ثانية في سبيل الله, كذلك الموت؛ والله المستعان كررنا عليكم مرارا: ((**وللآخرة خير لك من الأولى**)) ((**بل تريدون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى**)) أتظن أن المؤمن إذا مات يندم على أنه مات من أجل فوات محبوب له ؟ لا؛ من أجل العمل، يتمنى أنه باق ليزداد عمله لا ليتمتع بالدنيا, لأنه ينتقل إلى دار أفضل،

مادام . نسأل الله أن يجعلني وإياكم منهم . مادام يفسح له في قبره مد بصره ويأتي من نعيم الجنة وروحها هذا ما له نظير في الدنيا.

السائل: في قول الله تعالى: ((**ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم**)) نريد توضيح القسم من أداة القسم والمقسوم ؟

الشيخ: والله لئن هذا أداة القسم، والله لئن .

السائل: في قوله تعالى: ((**وقالوا لإخوانهم**)) للماضي, ((**إذا ضربوا في الأرض**)) للمستقبل, فهل فيه إشكال ؟

الشيخ: هو على كل حال فيه شيء من الإشكال؛ ما هو الإشكال الذي يمكن أن يرد؟ وقالوا: إذا ضربوا؛ بعض العلماء قال: إن إذا هنا لا يراد بها الاستقبال، أنها سلبت الدلالة عن المستقبل, وأن المراد بها مجرد الظرف, وأنه يشبه قول: وقالوا: إذ ضربوا في الأرض، وقالوا لإخوانهم إذ ضربوا في الأرض وكانوا غزى؛ قالوا: والدلالة على المعنى قد تسلب الكلمة كما في قوله تعالى: ((**وكان الله غفورا رحيما**)) هل معنى كان في الأزل ثم لم يكن الآن غفورا رحيما ؟ لا؛ سلبت الدلالة على الزمن؛ كذلك إذا هنا سلبت الدلالة على المستقبل وصار المراد بها مجرد الزمان فقط .

الطالب: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ((**يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم والله يحيي ويميت والله بما تعملون بصير ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون ولئن متم أو قتلتم لإلى الله تحشرون فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين**))

الشيخ: بسم الله الرحمن الرحيم: هذا يسأل يقول عن الذين يعلقون على مصاحف المسجد, الذي يحب يعلق القراءات يشتري مصحفا ويعلق عليه هذا طيب؛ أما المسجد ما يجوز لأنه ربما يأخذه عوام ما يعرفون, ثم هذا يجرئ الناس على تعليقات غير صحيح؛ لذلك انتبهوا ممنوع، التعليق على مصاحف المسجد ممنوع؛ أفهمتم يا جماعة ؟ لأن أولا: ما هي لنا حتى نعلق عليها, والثاني: الذي يقرأ ناس ما يعرفون عامة, أخشى من هذا .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم؛ قال الله تبارك وتعالى: ((**فبما رحمة من الله لنت لهم**)).

قال الله تعالى: ((**ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون**))

((**ولئن قتلتم**)) هذه العبارة تكون في القرآن الكريم كثيرا, أي أنه يجتمع قسم وشرط؛ القسم مستفاد من اللام في ((**ولئن**)) لأن اللام هنا موطئة للقسم؛ أما الشرط فهو بإن؛ وإذا اجتمع شرط وقسم فإنه يحذف جواب المتأخر, ويكون الجواب المذكور للمتقدم لسبقه، قال ابن مالك في الألفية:

واحذف لدى اجتماع شرط وقسم جواب ما أخرت فهو ملتزم؛

أعيد البيت مرة ثانية:

واحذف لدى اجتماع شرط وقسم جواب ما أخرت فهو ملتزم؛

في هذه الآية: ((**ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة**)) الجواب: ((**لمغفرة**)) جواب قسم؛ لأنه اقترن باللام.

في هذه الآية في قوله: ((**أو متم**)) قراءتان: قراءة بكسر الميم وقراءة بضم الميم؛ أما ضم الميم فهي من مات يموت؛ وهذه القاعدة تنفعكم إذا أسند الفعل الماضي إلى ضمير الرفع فإنه على حسب المضارع؛ فمثلا إذا كان المضارع مضموم العين فإن هذا يكون أيضا مضموما، قام يقوم تقول: قمت، باع يبيع بعت؛ خاف خفت؛ لماذا ؟ لأن أصله خوف يخوف مكسور فتقول خفت؛ مات يمات مت؛ مات يموت مت؛ إذا مُتم من مات يموت؛ مِتم من مات يمات؛ هذه قراءتين؛

أيضا في قوله: ((**خير مما يجمعون**)) فيها قراءتان: ((**يجمعون**)) قراءة بالتاء: ((**تجمعون**)) وقراءة بالياء؛ هذا الكلام على القراءات والكلام على الإعراب.

يقول الله عزوجل مبينا ومسليا لعباده المؤمنين أنهم إذا خرجوا من ديارهم وقتلوا أو ماتوا فإن ما يقبلون عليه خير مما يرحلون عنه؛ وهذا متصل بما قبله: ((**لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا** ...)) يعني يقول: لو متم أو قتلتم فإن هذا ليس حسرة، هذا خير؛ ((**ولئن قتلتم في سبيل الله**)) أي في الجهاد في سبيل الله؛ ويحتمل أن يكون المعنى أعم من الجهاد في سبيل الله بالسلاح ليشمل الجهاد في سبيل الله بالدعوة إلى الله عزوجل والعلم؛ فمن قتل لكونه داعية فإنه مقتول في سبيل الله؛ لأنه كالمجاهد بسلاحه؛ وقوله: ((**أو متم**)) يعني دون أن تقتلوا في سبيل الله, ((**لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون**)) **من الدنيا كلها**؛ ((لمغفرة)) لمن ؟ لكم: ((**من الله ورحمة**)) لكم أيضا .

والفرق بين المغفرة والرحمة: أن المغفرة بها زوال المكروه والرحمة بها حصول المطلوب أي أنكم يحصل لكم مطلوبكم وتنجون من مرهوبكم؛ والمغفرة هي ستر الذنب والتجاوز عنه؛ والرحمة صفة من صفات الله عزوجل لكنها تقتضي الإحسان إلى المرحوم والإنعام عليه.

وفي قوله: ((**لمغفرة إلى الله**)) إضافة المغفرة إلى الله تدل على عظمة هذه المغفرة؛ وذلك لأن الشيء يعظم بعظم باذله؛ فمثلا إذا قلت: أعطاني الملك عطية، وقلت أعطاني الصعلوك عطية؛ الصعلوك من هو ؟ الفقير؛ ماذا يتصور الناس إذا قلت: أعطاني الملك عطية ؟ أنها كثيرة، أعطاني الصعلوك عطية ؟ أنها خمسا وعشرين هللة, قليلة؛ فالشيء يعظم بحسب ما يضاف إليه؛ فلهذا قال: ((**مغفرة من الله**)) أي ابتدائها منه, فهو الذي يبتدئ بها عزوجل ويتفضل بها.

((**ورحمة**)) يعني: منه ((**خير مما يجمعون**)) أو خير مما تجمعون من الدنيا كلها .

في هذه الآية الكريمة من الفوائد: أن من قتل في سبيل الله أو مات من المؤمنين فقد انتقل إلى خير من الدنيا كلها؛ لقوله: ((**خير مما يجمعون**)) .

ومن فوائد الآية: منة الله عز وجل عباده بتسليتهم في الأمور التي يهمهم فواتها؛ فالإنسان يهم فوات الدنيا، كل يحب أن يبقى في الدنيا؛ فإذا جاءت التسلية من الله وقيل: إنك إذا مت أو قتلت انتقلت إلى ما هو خير, فإن الإنسان يتسلى بهذا, ويقول: الحمد لله أنني إذا انتقلت إلى الآخرة فأنا أنتقل إلى خير من الدنيا .

ومن فوائد الآية الكريمة: الجمع بين المغفرة والرحمة ليكمل للإنسان سعادته, إذ أن بالمغفرة زوال المكروه وبالرحمة حصول المطلوب .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: جواز التفضيل أو جواز إيقاع التفضيل بين شيئين بينهما بعد تام؛ لأنك إذا نسبت ما في الدنيا للآخرة فليس بشيء، قال النبي عليه الصلاة والسلام: (**لموضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها**) وأبين من ذلك قوله تعالى: ((**آلله خير أما يشركون**)).

ثم قال الله تعالى: ((**ولئن متم أو قتلتم لإلى الله تحشرون**)) نقول في: ((**لئن متم**)) من حيث الإعراب ما قلنا في الآية التي قبلها, أي أنه اجتمع فيها قسم وشرط فحذف جواب الشرط؛ ونقول في: ((**متم**)) قراءتان كما في الآية التي قبلها بكسر الميم على أنها من مات يمات، وبضم الميم على أنها من مات يموت .

يقول الله عزوجل: إن متم أو قتلتم فإن مرجعكم إلى الله, مهما طالت بكم الأيام أو قصرت المرجع إلى الله؛ وإذا كان المرجع إلى الله فإن الإنسان سوف يبقى مطمئنا؛ إذ أن من كان مرجعه إلى الله عزوجل فإنه لا يخاف ظلما ولا هضما؛ بل إنه إذا كان مؤمنا فإنه يستبشر, كيف ذلك ؟ لقول الله تعالى: ((**واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه وبشر المؤمنين**)) ولما حدث النبي عليه الصلاة والسلام عائشة فقال: (**من أحب لقاء الله أحب الله لقائه ومن كره لقاء الله كره الله لقائه**)، **قالت: يا رسول الله كلنا يكره الموت، ولقاء الله يكون بالموت؛**

قال: (ليس الأمر كذلك, ولكن المؤمن إذا حضره الأجل فبشر بالجنة اشتاق إلى ربه وأحب لقاء الله؛ والكافر . والعياذ بالله . إذا حضره الأجل بشر بالنار فكره لقاء الله فكره الله لقائه) .

في هذه الآية: أن المرجع إلى الله عزوجل مهما طالت بالإنسان الحياة وعلى أي صفة كان موته سواء كان بقتل أو بغيره فالمرجع إلى الله .

ومن فوائدها: زيادة التسلية للمؤمنين؛ لأن المؤمن إذا علم أن مرجعه إلى الله فإنه سوف يطمئن, وسوف يستبشر وينشرح صدره بذلك .

ومن فوائدها: إثبات لقاء الله عزوجل؛ لقوله: ((**لإلى الله تحشرون**)) .

ومن فوائدها أيضا: إثبات الحشر يوم القيمة؛ فإن الناس يقومون من قبورهم ويحشرون إلى الله عزوجل ليجازيهم .

ثم قال الله تبارك وتعالى: ((**فبما رحمة من الله لنت لهم**))

أولا الإعراب: الفاء عاطفة؛ والباء حرف جر؛ وما زائدة, ولكنها زائدة لفظا زائدة معنى . أي تفيد زيادة المعنى . وقد كره بعض العلماء أن تقول: زائدة أو أن تقول عن حرف في القرآن أنه زائد، قال: لأن القرآن لا زيادة فيه؛ ولكن نقول إن المراد بقولنا زائدة أي من حيث الإعراب لا من حيث المعنى، من حيث الإعراب لا من حيث المعنى .

وقوله: ((**فبما رحمة**)) إذا جعلنا ما زائدة تكون: ((**رحمة**)) مجرورة بالباء؛ وهذا في القرآن كثير, ومنه قوله تعالى: ((**فبما نقضهم ميثاقهم**)) أي: فبنقضهم ميثاقهم؛ ومنها قوله تعالى: ((**قال عما قليل ليصبحن نادمين**)) أي: عن قليل؛

وقوله: ((**فبما رحمة من الله لنت لهم**)) الجار والمجرور متعلق بـ ((**لنت**)) بالفعل في: ((**لنت**))؛ وقوله: ((**لو كنت**)) لو هذه شرطية وفعل الشرط: ((**كنت**)) وجوابه: ((**لانفضوا من حولك**)) والباقي ليس فيه مشكل .

يقول الله عزوجل مخاطبا نبيه صلى الله عليه وسلم ومبينا نعمته عليه وعلى أمته يقول: ((**فبما رحمة من الله لنت لهم**)) أي: فبسبب رحمة الله لك ولأمتك أنك لين لهم: ((**لنت لهم**)) أي: كنت لينا لهم، لينا في مقالك، لينا في جلوسك، لينا في مقابلتك، في كل أحوالك؛ فالرسول صلى الله عليه وسلم من أسهل الناس خلقا وأكرمهم نزلا؛ وقد قال الله عنه وكفى به قولا: ((**وإنك لعلى خلق عظيم**)) .

وقوله: ((**فبما رحمة من الله**)) أسند الرحمة إلى الله عزوجل لأنه المتفضل بها, ولأن إسنادها إليه يفيد عظمتها وأنها رحمة عظيمة؛ وقوله: ((**لنت لهم**)) الضمير يعود على الصحابة رضي الله عنهم وعلى من بعدهم أيضا,

لأن التشريع الذي يقع في عهد الصحابة تشريع لهم وللأمة إلى يوم القيمة؛ كونه رحمة واضح، كونه رحمة لهم واضح أيضا من أجل أن يألفوه ويستأنسوا به وتتسهل معاملته إياهم؛ ولهذا كان النبي عليه الصلاة والسلام: (**لا يخير بين شيئين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما**).

قال الله عزوجل: ((**ولو كنت فضا غليظ القلب لانفضوا من حولك**)) هذه عطفا على قوله: ((**لنت لهم**)) اللين يقابله الشدة، الشدة تكون في الهيئة، في القول، في القلب؛ قال: ((**ولو كنت فضا**)) الفض الجافي الشديد في مقاله, تجده جافيا ما يهتم بأحد, يقابل الناس يصعر خده لهم، لا يهتم بأحد جاف؛ أيضا في قوله تجده عنيفا شديدا لا يلين؛ الغلظ هذا في القلب, تجد قلبه قاسيا لا يرحم ولا ينزل الناس منازلهم, ولا ينظر إلى الأحوال المقترنة بالأفعال؛ أحيانا تكون هناك أحوال تقترن بفعل الشخص يعذر بفعله من أجلها؛ فتجد غليظ القلب . والعياذ بالله . يعامل الناس معاملة واحدة، لا ينظر إلى أحوالهم ولا ينظر إلى ظروفهم كما يقولون, وإنما تجده غليظ القلب قاسيا لا يلين؛ ومن أعظم ما يدل على ذلك ما يبدر من بعض الناس في معاملة الصغار، تجده في معاملة الصغار عنيفا يريد من الصغير أن يكون أدبه كأدب الكبير؛ وهذا لاشك أنه خطأ, خطأ عظيم, وهذا من غلظ القلب؛ ولما رأى الأقرع بن حابس النبي صلى الله عليه وسلم يقبل الحسن والحسين قال: تقبلون أولادكم ؟ قال: (**نعم**)؛ قال: إني عشرة من الولد ما قبلتهم؛ قال: (**أو أملك لك أن نزع الله الرحمة من قلبك**) فالإنسان ينبغي له أن يكون رحيما, وأن يكون لين القلب .

قال الله تعالى: ((**ولو كنت فضا**)) الفض ماذا قلنا فيه ؟ الجافي الشديد القول؛ غليظ القلب القاسي القلب الذي لا يلين قلبه لأي سبب من الأسباب؛ يقول: ((**لانفضوا من حولك**)) انفضوا أي: تفرقوا وخرجوا، ومنه قوله تعالى: ((**وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها**)) أي تفرقوا إليها وخرجوا؛ وقوله: ((**لانفضوا من حولك**)) ولم يقل: منك؛ لأن: ((**من حولك**)) أبلغ من قوله: منك، يعني: انفضوا وبعدوا حتى لا يقربون إلى مكان قريب منك، ((**انفضوا من حولك**)) يعني: يبعدون حتى عما قارب مكانك .

يقول عزوجل: ((**فاعف عنهم**)) هذا تفريع على قوله: ((**فبما رحمة من الله لنت لهم**)) فاعف عنهم إذا قصروا في حقك؛ والعفو هو التسامح وعدم المؤاخذة؛ ((**واستغفر لهم**)) في حق الله عزوجل إذا قصروا فيه؛ فالصحابة قد يقصرون في حق الرسول عليه الصلاة والسلام وقد يقصرون في حق الله؛ أما في حق الرسول فقال: ((**اعف عنهم**)) وما أكثر ما يحصل من جفاة الأعراب أو غيرهم من الكلام المسيء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم, ولكنه يصبر ويتحمل ويعفوا عنهم، إلى حد أن رجلا من الأنصار قال له لما حكم له في خصومة بينه وبين الزبير بن العوام قال له رجل من الأنصار: أن كان ابن عمتك يا رسول الله ؟ هذا اتهام، اتهام فضيع؛ الزبير

بن العوام أمه صفية بنت عبد المطلب عمة الرسول عليه الصلاة والسلام, فقال هذا الرجل أنصاري . عفا الله عنه . قال: أن كان ابن عمتك يا رسول الله؛ وقال له رجل وهو يقسم فيئا قال: إن هذا لقسمة ما أريد بها وجه الله ! وقال له: اعدل؛ كل هذه الكلمات كان النبي عليه الصلاة والسلام يصبر ويحتسب الأجر من الله, ويعفوا حتى أحيانا يأتي من زوجاته ما يأتيه مما يحصل من الغيرة بين النساء وهو يعفوا عنهم؛ قال: ((**واستغفر لهم**)) يعني: ما أخطئوا فيه من حق الله, يعني: اسأل الله أن يغفر لهم، كما قال تعالى: ((**واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات**)) .

((**وشاورهم في الأمر**)) الضمير يعود في: ((**وشاورهم**)) يعني لأصحابك، شاور أصحابك: ((**في الأمر**)) والمشهورة هي استطلاع الرأي بحيث يعرض الشيء على المستشار ليستطلع رأيه, وينظر ما رأيه فيه؛ والمستشار مؤتمن يجب عليه أن يؤدي الأمانة على الوجه الذي يرى أنه أصلح لمستشيره .

وقوله عزوجل: ((**في الأمر**)) كلمة الأمر أولا: المراد بها واحد الأمور لا واحد الأوامر؛ لأن الأوامر ما يستشير فيها أحدا، الأوامر يأمر بها شرع؛ لكن: ((**في الأمر**)) أي في الشأن, وهو مفرد محلى بأل؛ فهل أل هذه للعموم أي شاورهم في كل أمر ؟ أو هو عام أريد به الخاص أي: شاورهم في الأمر الذي يكون مشتركا أو يشتبه عليك وجهه أم ماذا ؟ الثاني: لا شك، الثاني: بلا شك؛ لأنه لا يمكن أن الرسول عليه الصلاة والسلام يأمره الله بأن يشاورهم في كل شيء, إنما يشاورهم في الأمر العام، الأمر العام المشترك، بدليل قوله تعالى: ((**وأمرهم شورى بينهم**)) أمرهم الذي يجمعهم جميعا شورى بينهم؛ أما الأمر الخاص فإنه تطلب الاستشارة عند اشتباه الأمر؛ كما فعل النبي عليه الصلاة والسلام حين استشار علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد في شأن عائشة لما حصلت قصة الإفك, وكثر القول فيها والقيل استشار النبي عليه الصلاة والسلام أسامة بن زيد وعلي بن أبي طالب في شأنها؛ وغير هذا من الأمور الخاصة التي قد تشكل على الرسول عليه الصلاة والسلام فيستشير فيها.

طيب إذا: ((**وشاورهم**)) استطلع رأيهم: ((**في الأمر**)) أي في الأمر المشترك أو في الأمر الخاص إذا اشتبه عليك الأمر؛ وذلك لأن الشورى يحصل فيها فوائد نذكرها إن شاء الله في الفوائد .

((**فإذا عزمت فتوكل على الله**)) فإذا عزمت: أي صممت على الفعل؛ بعد المشورة أو قبل المشورة ؟ الظاهر بعد المشورة لأن الفاء تدل على أن ما بعدها مفرع على ما قبلها, أي: فإذا عزمت بعد الإشارة واستطلاع الرأي فلا تعتمد على مشورتهم، اعتمد على من ؟ اعتمد على الله: ((**فتوكل على الله**)), ((**فإذا عزمت فتوكل على الله**)) فهنا أمر بالأسباب والاعتماد على الله عزوجل؛ الأسباب هي المشورة, والاعتماد على الله هي التوكل عليه؛

فما معنى التوكل ؟ معنى التوكل: هو الاعتماد على الله عزوجل في جلب المنافع ودفع المضار مع الثقة بالله, وشعور النفس بأنه محتاج، بأن الإنسان محتاج إلى الله عزوجل.

قال الله تعالى: ((**إن الله يحب المتوكلين**)) لما أمره بالتوكل بين الثمرة العظيمة من هذا التوكل، وله ثمرات كثيرة منها هذه الثمرة التي ذكر الله: ((**إن الله يحب المتوكلين**)) على من؟ عليه، إن الله يحب المتوكلين عليه .

في هذه الآية فوائد كثيرة؛ أولا: بيان رحمة الله عزوجل بنبيه صلى الله عليه وسلم وبأمته؛ بماذا ؟ بماذا الرحمة ؟ ما أقول أين الدليل؛

الطالب: ...

الشيخ: أي, هذا محل الرحمة لكن بماذا كانت عليه الرحمة؟

الطالب: هذه الرحمة كانت بأن الصحابة لما عصوا أمر الرسول صلى الله عليه وسلم في غزوة أحد فأمره الله سبحانه وتعالى أن يلين لهم؛

الشيخ: لا، هذا خبر بأنه لين ما هو أمر؛

الطالب: بجعل الرسول صلى الله عليه وسلم لينا لهم؛

الشيخ: صح, الرحمة بجعل الرسول صلى الله عليه وسلم لينا لهم، بجعله لينا لهم هذه رحمة به وبهم .

ومن فوائدها: أنه ينبغي لمن له سيادة في قومه أن يكون لينا ليتعرض لرحمة الله عزوجل؛ دليل ذلك ظاهر أن الرسول سيد قومه بل سيد الأمة جميعا فألانه الله لهم .

ومن فوائد الآية الكريمة: أن اللين أولى بكثير من الفضاضة والشدة, لأن الله جعله من الرحمة؛ ولكن الفقهاء رحمهم الله لما ذكروا ما ينبغي للقاضي أن يتأدب به قالوا: ينبغي أن يكون لينا من غير ضعف، لينا من غير ضعف؛ لأن بعض الناس قد يكون لينا ويكون بسبب لينه ضعيفا ما يكون حازما, وهذا نقص في اللين؛ لكن ينبغي أن يكون لينا مع الحزم والقوة في موضعها؛ لأن القوة في موضعها حكمة؛ فاللين إن ضاعت به الحكمة فهو مذموم, وإن اجتمعت مع الحكمة فهو محمود .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: بيان مضار الفضاضة والغلظة، وأن من أعظم مضارها نفور الناس عن الإنسان إذا كان فضا غليظ القلب؛ لقوله تعالى لرسوله: ((**ولو كنت فضا غليظ القلب لانفضوا من حولك**)) هذا مع أنهم يرجون من قربهم من الرسول عليه الصلاة والسلام ما يرجون, فكيف إذا كان الإنسان لا يرجى منه ما يرجى من رسول ؟ إذا كان فضا غليظ القلب فالظاهر أنه لا يكفي أن ينفضوا من حوله فربما رموه بالحجارة؛ لأن

الصحابة يرجوا من الرسول الخير بقربهم منه؛ فإذا قدر أنه فض غليظ القلب ينفضون من حوله فمن سواء من باب أولى .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: الإشارة إلى أنه ينبغي للإنسان أن يستعمل مع الناس كلما يجلبهم إليه؛ وجهه ؟ أنه جعل الفضاضة والغلظة سببا للتنفير على سبيل الذم لا على سبيل المدح؛ فينبغي للإنسان أن يستعمل في معاملة الناس كلما يقربهم إليه بشرط أن لا يضيع شيئا من الواجبات .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن الإنسان قد يعذر في الابتعاد عن أهل الخير إذا كانوا جفاة غلاظ القلوب؛ لقوله تعالى: ((**لانفضوا من حولك**)) ويعني بهم من ؟ الصحابة؛ ويعني المنفض عنه الرسول؛ فإذا كان الصحابة لا يلامون على الانفضاض من الرسول لو كان فضا غليظ القلب فما بالك بمن دونه بمراحل؛ فلهذا إذا كان الإنسان فضا غليظ ولم يرى الناس حوله لا يلومن إلا نفسه؛ ونحن نرى الآن أن الإنسان ربما يكون كافرا فإذا كان يعامل الناس باللين والرفق والبشاشة والسماحة ربما يفضلونه على مسلم فض غليظ القلب .

ومن فوائد الآية الكريمة: أنه ينبغي للإنسان أن يعفو عن حقه في معاملة إخوانه؛ لقوله: ((**فاعف عنهم**))؛ ولكن هذه الآية مقيدة بما إذا كان العفو إصلاحا، قيدها قوله تعالى: ((**فمن عفا وأصلح فأجره على الله**)) أما إذا كان في العفو زيادة إفساد وطغيان فإن هذه مصلحة تضمنت مفسدة أعظم، مثل لو كان الجاني معروفا بالشر والفساد, فهل الأولى أن نعفو عنه أو أن نؤاخذه بالذنب ؟

الطالب: نؤاخذه،

الشيخ: الأولى أن نؤاخذه بالذنب؛ ولهذا ينبغي في حوادث السيارات أن لا يتعجل الإنسان بالعفو عمن تسبب للحادث بل ينظر؛ إذا كان من الرجال المتهورين الذين إذا عفونا عنه اليوم أحدث حادثا غدا؛ فهنا الأولى أن لا نعفو؛ أما إذا علمنا أن الرجل شديد الحرص على سلامة الأنفس والأموال, ولكن هذا أمر قدر ونعلم أنه سوف يتحرز غاية التحرز في المستقبل, فإن الأولى في هذا العفو؛ إذا مقيد بماذا ؟ بالإصلاح: ((**فمن عفا وأصلح**)) . طيب, وهل العفو واجب ؟ ليس بواجب, لأن الله يقول: ((**ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل**)) فمن انتصر لنفسه بعد أن ظلم فليس عليه سبيل؛ لكن الأفضل أن يعفو إذا كان في العفو يصلح .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن التفريط في حق النبي عليه الصلاة والسلام قد يكون ذنبا؛ لأن الله لما أمر نبيه بالعفو عن حقه الخاص قال: ((**واستغفر لهم**)) وهو كذلك فإن الرسول عليه الصلاة والسلام ليس كغيره؛ لأن له حق، حق الإسلام، حق الرسالة، ولأنه أعظم الناس حقوقا علينا؛ فالاعتداء في حقه أشد من غيره, يكسب الإثم؛ ولهذا قال: ((**فاعف عنهم واستغفر لهم**)) الذي غير الرسول عليه الصلاة والسلام إذا عفا الإنسان عن

حقه الخاص انتهى؛ لكن الرسول عليه الصلاة والسلام لما كان الأمر الذي يتعلق به متعلقا بحق الله عزوجل قال: ((**واستغفر لهم**)) ولهذا لو سب أحد شخصا من الناس لم يكفر، ولو سب النبي صلى الله عليه وسلم كفر لعظم حقه .

ومن فوائد الآية الكريمة: الأمر بالمشاورة، مشاورة المسلمين في شؤونهم، فيما يتعلق بالشؤون؛ لقوله: ((**وشاورهم في الأمر**)) .

السائل: كيف الجمع بين قوله تعالى: ((**ولو كنت فضا غليظ القلب**)) يعني أن هذا سبب للانفضاض يعني من حول الرسول، وبين ما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم من الهيبة, يعني كانوا يهابونه الصحابة أن يكلموه في بعض الأمور ؟

الشيخ: أي نعم، الهيبة هذه شيء في القلب يقع، لكن المهيب ليس فيه شيء من هذا؛ ولهذا من صفاته أنه من رآه بداهة هابه, ومن خالطه أحبه؛ فهو عليه الصلاة والسلام يهاب إجلالا وتعظيما لا من أجل أنه هو نفسه فض غليظ القلب .

السائل: أحسن الله إليك ! أقول أحيانا العفو يضطر الإنسان أن يتجافى ويغض الطرف عن مسألة الإصلاح, مثل الجاني أن يكون فقيرا ... هل العفو سيكون فيه إصلاح أولا نظرا لأن هذا الشخص فقير؟ فمثلا لو قال: سألزمه حتى يتأدب ولا يعتدي على الناس كان صعبا عليه ؟

الشيخ: على كل حال ما يخالف, هو الأمر بيده, إذا رأى أن المسألة ستكون فيها ضرر عليه يعفو فيما بعد .

السائل: اللام في قوله تعالى: ((**لإلى الله تحشرون**)) هل هي للتوكيد ؟

الشيخ: اللام واقع في جواب القسم, لأن المحذوف هو جواب الشرط .

السائل: الأمر في قوله تعالى: ((**فاعف عنهم**)) هل ظاهره هو للوجوب ؟

الشيخ: ما ذكرنا نحن ؟ أن من انتصر لنفسه فليس عليه سبيل ؟

السائل: يعني يكون في الآية واجبا ؟

الشيخ: لا، ليس بواجب؛

السائل: ما الذي صرفه ؟

الشيخ: الذي صرفه كما قلنا الآية الثانية: ((**وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل**)) نعم .

السائل: في قوله تعالى: ((**فاعف عنهم**)) ما معنى قولكم الآية للتفريع ؟

الشيخ: نعم ما شرحناها ؟؛ التفريع معناه أنه فلكونك لينا اعف عنهم .

السائل: بعض الناس يستشيرون مثلا أحد العلماء بما فعله وهو يوجب الحد ... ؟

الشيخ: لا لا، ما ينبغي؛

السائل: السبب ؟

الشيخ: السبب أنه ما هو بمجلس حكم؛ جاء يستشيره يقول أنه فعل ذنبا فماذا أصنع, نقول تب إلى الله واستغفر .

السائل: بالنسبة للموت والقتل في الآية الثانية أعم من الأولى ؟

الشيخ: في الثانية أعم, لأنه لم يقيده في سبيل الله .

السائل: هناك تقارب بين السياقين,

الشيخ: أي نعم يمكن, مع أنه كما قلنا لكم إن الظاهر أن الخطاب للمؤمنين وأنهم إذا حشروا إلى الله فالله مولاهم كما قال تعالى: ((**وبشر المؤمنين**)) .

السائل: أحسن الله إليك شيخ ! الدعاة إلى البدعة هل الحكمة أن يعامل باللين والحكمة أم بالغلظة ؟ الشيخ: إذا أمكن دعوتهم باللين فهو أولى؛ لكن إذا أصروا واستكبروا استكبارا فحينئذ نعاملهم بما يستحقون, ولكن ليس الأمر إلينا, يعني مثلا لو قال: أنا أريد أن أضرب هذا المبتدع أو أرجمه بالحجارة أو أغلق عليه بيته؛ نقول هذا ليس إليك .

السائل: الغلظة والشدة قلنا أنها تقيد بالمصلحة فهل الكفار كذلك ؟

الشيخ: لا بالنسبة للمؤمنين عامة؛ لكن الكفار، لا؛ الأولى الغلظة عليهم: ((**يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم**))؛ ما تقيد؛ لكن ينبغي لك عند اقترافه الذنب إذا وجب إقامة الحد عليه مثلا أن تنوي بذلك إصلاحه, لا أن تنوي الانتقام منه .

... الشيخ: إلا، يأثم، لكن تدري ما هو الهجر ؟ الهجر معناه أن تمر به ولا تسلم عليه؛ أما أن تبتعد عنه ولا تقترب حوله هذا ما هو هجر, وإلا كان معناه اللازم نسلم على كل ندور الناس على بيوتهم الآن ندورهم ...

السائل: هل الرجل الداعي إلى البدعة يحق لنا أن نبين بدعته بشخصه ؟

الشيخ: معلوم أي نعم, إذا اقتضت الحال هذا، إذا عرفنا أن هذا الرجل يتجمع الناس عليه لابد أن نذكر بشخصه، كيف ننفر الناس عنه إلا بهذا .

... الشيخ: لا, ما هو معناه خاطئ, لكن تقول هل هذا خير أو كذا؛ أما هذا غير صحيح أنك إذا قلت: السيف أمضى من العصا, الناس ما يمكن أن يطرأ على بالهم أن السيف والعصا سواء؛ لأن هذا تحصيل حاصل، السيف أمضى من العصا تحصيل حاصل؛ والذي ما يعرف السيف يظن أنهما سواء.

... الشيخ: لا؛ قلنا: ((**واستغفر لهم**)) الذي غير الرسول نقول اعف عنه ولا نحتاج أن نقول: استغفر له؛ لكن سب الرسول عليه الصلاة والسلام حقه يتعلق به حقان: حقه الشخصي وحق الله عزوجل؛

السائل: هل يؤخذ منه أنه لابد أن يقتل لأن الرسول ما يمكن أن يعفوا عنه ؟

الشيخ: هذه هو الصحيح، الصحيح أن ساب الرسول صلى الله عليه وسلم تصح توبته ويقتل، وأن ساب الله تصح توبته ولا يقتل .

السائل: ما هو الفرق بين الموت والقتل

الشيخ: القتل بفعل الآدمي, والموت أعم, لكن إذا ذكر الموت والقتل منعناه الموت بلا قتل والقتل بفعل الآدمي .

السائل: الكافر إذا سب الرسول عليه الصلاة والسلام

الشيخ: إذا سب الرسول وأسلم يقتل.

السائل: ولو ما أسلم .

الشيخ: ولو لم يسلم, حتى لو سب الله يقتل؛ ولهذا قال العلماء: لو أن الذمي الذي بيننا وبينه عهد سب الله انتقض عهده وحل دمه وماله ... لا, بس الأمر ليس إلينا لكن يجب على ولاة الأمور أن يقتلوه .

الطالب: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ((**فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فضا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون وما كان لنبي أن يغل ومن يغلل يأت بما غل يوم القيمة ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون**)) .

الشيخ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم؛ قال الله تبارك وتعالى: ((**ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون**)) هذه الآية فيها قسم وشرط؛ فما الذي وجد من جوابهما ؟ ما الذي وجد من جوابهما, أجواب القسم أو جواب الشرط في الآية ؟

الطالب: جواب القسم؛

الشيخ: ما الذي أعلمك على أنه جواب القسم ؟

الطالب: قول الناظم؛

الشيخ: لا، قول الناظم، الناظم ما حضر درسنا، لا, ما الذي أعلمك من الآية ؟

الطالب: ((**لمغفرة**))،

الشيخ: ما الذي أعلمك أن هذا جواب قسم لا جواب شرط ؟

الطالب: اللام؛

الشيخ: اللام, ولو كان جواب شرط لكان بالفاء, لأن جواب الشرط إذا كان جملة اسمية يقرن بالفاء وجواب القسم باللام؛ واضح ؟ نعم.

الشيخ: من يحفظ لنا بيت ابن مالك في هذه القاعدة ؟

الطالب:

واحذف لدى اجتماع شرط وقسم جواب ما أخرت فهو ملتزم؛

الشيخ: طيب في الآية الأولى يقول الله عزوجل: ((**ولئن قتلتم في سبيل الله**)) وفي الثانية قال: ((**ولئن متم أو قتلتم**)) فما هو السبب ؟ أريد لماذا قدم القتل في الأولى والموت في الثانية ؟

الطالب: الثانية أعم من الأولى؛

الشيخ: الثانية أعم, تشمل من مات في سبيل الله أو غيره؛ والثانية من قتل في سبيل الله, فقدم القتل في سبيل الله لأن القتل في سبيل الله أكثر من الموت، المجاهدين يموتون بالقتل أكثر مما يموتون بالموت؛ أليس كذلك ؟ بخلاف الثانية.

الشيخ: في قوله: ((**لإلى الله تحشرون**)) يستشكل بعض الطلبة: ((**لإلى الله تحشرون**)) ويش معناها؟ والجواب.

الطالب: حصر المرجع إلى الله

الشيخ: لكن تركيب الآية لولا هذا ويش التقدير ؟

الطالب: يعني تحشرون إلى الله؛

الشيخ: لكن قدم الجار والمجرور لإفادة الحصر .

الشيخ: قوله تعالى: ((**فبما رحمة من الله لنت لهم**)) الباء ؟

الطالب: الباء حرف جر؛

الشيخ: وما ؟

الطالب: وما زائدة إعرابا؛

الشيخ: زائدة إعرابا, ما فائدتها معنى ؟

الطالب: فائدتها التوكيد؛

الشيخ: التوكيد, أحسنت .

الشيخ: طيب, العامل الباء هل تسلط على ما أو على ما بعدها ؟

الطالب: على ما بعدها؛

الشيخ: على ما بعدها ؟ تمام صح .

الشيخ: أين متعلق ((**فبما رحمة**)) ؟

الطالب: ((**لنت لهم**))

الشيخ: الفعل: ((**لنت**)) ؟ والخطاب لمن ؟

الطالب: للرسول؛

الشيخ: للرسول.

الشيخ: قال الله تعالى: ((**فاعف عنهم واستغفر لهم**)) اعف عنهم بالنسبة لأيش ؟

الطالب: بالنسبة للرسول؛

الشيخ: بالنسبة للرسول كل الخطاب للرسول في هذا وهذا؛

الطالب: فاعف عنهم في حقه واستغفر لهم في حق الله؛

الشيخ: أحسنت .

الشيخ: ألا يمكن أن يشمل: ((**فاستغفر لهم**)) في حق الله وحقك أيضا ؟

الطالب: نعم؛

الشيخ: يشمل؛ لأن الإساءة إلى الرسول الله صلى الله عليه وسلم معصية لله غير الإساءة إلى غيره من الناس، الإساءة إلى غيره من الناس حق محض للإنسان إذا سمح سقط .

الشيخ: قوله: ((**وشاورهم في الأمر**)) ما المراد بالأمر ؟

الطالب: المراد واحد الأمور؛ المقصود به الأمر العام الذي يهم المسلمين, أو خاص بالذي يستشكل على الرسول صلى الله عليه وسلم .

الشيخ: هل لك أن تعطينا مثالا على أمر خاص استشار فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

الطالب: نعم في حادثة الإفك, استشار النبي صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد وعلي بن أبي طالب فيما يقول الناس,

الشيخ: في شأن عائشة. تمام,

الشيخ: هل فيه استشارة في غير هذه ؟ استشار فيه أصحابه ؟

الطالب: استشار خاصة ؟

الشيخ: عامة؛

الطالب: عامة, استشارتهم في حفر الخندق لما أشار إليه بعض الصحابة في حفر الخندق ؛

الشيخ: من هو ؟

الطالب: أشار عليه الصحابي سلمان الفارسي رضي الله عنه .

الشيخ: فيه أيضا استشار الرسول في الخندق هل يعطي الأحزاب من تمر المدينة لينصرفوا؛ ولكن السعدان أو السعدين سعد بن معاذ وسعد بن عبادة منعا ذلك قالا: ما يمكن؛ على كل حال أمثلة كثيرة.

الشيخ: قوله: ((**فإذا عزمت فتوكل على الله**)) ما الفائدة من هذه الجملة ؟ يعني لا تعتمد على مشورتهم, وتظن أن مشورتهم يكون بها النصر .

الطالب: فوائد الشورى وقفنا عليها .

الشيخ: قال الله تعالى: ((**فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر**)) ما الذي ذكرنا من فوائد: ((**واعف عنهم واستغفر لهم**)) ؟

الطالب: ذكرنا فوائد ثلاثة فوائد أو أربع؛

الشيخ: ما هي ؟

الطالب: الأولى: الإنسان يعفو عن حقه في معاملة إخوانه؛ لقوله: ((**فاعف عنهم**)) .والثانية: أن التفريط في حق النبي صلى الله عليه وسلم قد يكون ذنبا؛ لأن الله لما أمر نبيه بالعفو عن حقه الخاص قال: ((**واستغفر لهم**)) .والثالثة: الأمر بالمشورة في شؤونه.

الشيخ: قد يكون ذنبا يتعلق بحق الله .

الشيخ: من فوائد الآية الكريمة: الأمر بالشورى؛ لقوله: ((**وشاورهم في الأمر**)) وهذا الأمر قد يكون للوجوب وقد يكون للاستحباب حسب الأمر المشاور فيه وحسب الإشكال الواقع فيه؛ فالأمور الكبيرة مع الإشكال الكبير تكون المشاورة فيها واجبة؛ والأمور الصغيرة أو مع الإشكال اليسير تكون مشورة مستحبة؛ فإذا الأمر هنا: ((**وشاورهم**)) مشترك بين الوجوب والاستحباب, حسب ما تقتضيه الحال؛ والحكمة من الأمر بالمشاورة تتبين بفوائد المشاورة، فللمشاورة فوائد نعدها وإياكم، أنا أجيب وأنتم جيبوا أيضا:

من فوائدها: ألا يستبد الرئيس أو ولي الأمر برأيه؛ هذه فائدة مهمة جدا .

ومن فائدتها: تعويد الأمة على النظر في شؤونهم حتى يتمرنوا ويمارسوا هذا الأمر .

ومن فوائدها: التواضع، ممن ؟ ممن شاور؛ لاشك أنه إذا شاور فهو متواضع .

ومن فوائدها: تنشيط الأمة، حيث ترى أنه يرجع إليها في الرأي, فتنشط وتعمل ما فيه الخير العام, بخلاف ما إذا استبد ولي الأمر في رأيه فإنه وإن كان صوابا ربما تشمئز النفوس منه؛ فيقولون مثلا: لم يرجع إلينا، لم يشاورنا في هذا الأمر الكبير، وما أشبه ذلك .

ومن فوائدها أيضا: أنه إذا اجتمعت الآراء مع حسن النية فإن الغالب أن الله يوفقهم للصواب، إذا اجتمعت الآراء مع حسن النية فإن الله يوفقهم للصواب .

ومن فوائدها: أن الإنسان ربما يرى في هذا الأمر مصلحة ويفوته ما يترتب عليه من مفسدة لاسيما إذا كان له هوى؛ فإن الهوى كما قيل يعمي ويصم؛ أحيانا يكون للإنسان هوى فيرى المصلحة ولا يرى المفسدة في الشيء, فإذا حصل التشاور تبينت المصالح من المفاسد .

ومن فوائد المشورة: أن الأمة إذا اجتمعت على رأيها لم يكن للناس اعتراض؛ ومعلوم أن الذي يشاور هم أهل الأمانة وأهل الحل والعقد والمعرفة؛ فإن ولي الأمر إذا أشكلت عليه مسألة شرعية فمن يشاور؟ علماء الشرع؛ أشكلت عليه مسألة سياسية يشاور علماء السياسة؛ أشكلت عليه مسألة اجتماعية يشاور علماء الاجتماع؛ أشكلت عليه مسألة جيولوجية يشاور علماء الجيولوجي؛ مسألة طبية يشاور علماء الطب, ليس معناه أنه يجعل مستشارين دائما, قد يكونون في بعض المواضع أجهل من الحمير؛ لا؛ إنما يجعل المستشارين لكل حال ما يناسبها؛ لأن من شرط الاستشارة أن يكون المستشار ذا رأي، ذا رأي سديد وأمانة؛ ومعلوم أنك لو استشرت عالما من العلماء في الشرع من أحسن العلماء في مسألة طبية, ماذا يقول ؟ ما يقدر يقول شيء؛

يقال: إن رجلا جاء إلى شخص يدعي الطب فقال له: إني أحتاج إلى عملية، عملية في فدك، تعرفون الفدك ؟ الفدك في البطن يعني ينشق البطن وتطلع الأمعاء؛ فقال له هذا الطبيب المتقدم: أنا أعرف أشق البطن ولكن ما أعرف أخيطه؛ طيب قال له: يا أخي هذا ذئب يعرف يشق البطن ولا يعرف يخيطه؛ أقول بعض الناس يمكن يدخل نفسه في أشياء لا يعرفها, وهذا خطأ؛ الواجب أن الإنسان يعرف نفسه؛ إذا سئل عن شيء ليس من اختصاصه يقول, هذا ليس إلي؛ فمثلا لو جاء يستشير ولي الأمر جاء يستشير عالما من علماء الشرع في مسألة طبية ما يصلح هذا؛ لكن جاء يستشير عالم في الجيولوجيا في مسألة اجتماعية يصلح ؟ لا؛ لماذا ؟ ليس من اختصاصه؛ إذا الإشارة تكون في كل إنسان بحسبه, بما يناسبه لأن المستشار مؤتمن .

من فوائد الشورى أيضا: أنه إذا أخطأ الإمام أو ولي الأمر لم ينسب الخطأ له، ينسب إلى من ؟ إلى مستشاريه؛ ولهذا يقول بعضهم في المشورة, يقول: إن الشورى ستر لعيبك, إذا أخطأت قالوا: هذا من المستشارين وإن أصبت مدحونا أنا وإياهم,

طيب فيه فوائد أيضا ؟

الطالب: أنها طاعة لله ورسوله؛

الشيخ: أحسنت أنها طاعة لله ورسوله؛ لأن الله أمر بها.

الطالب: وجوب التشاور؛ لقوله: ((**وشاورهم في الأمر**)) ؛

الشيخ: لا لا، دعنا من حكمه نحن نتكلم عن فوائدها الآن .

الطالب: أنها ربما تكون أدعى للنصح من قبل العلماء للعامة, لأنه إذا علم أنه سيؤخذ بقوله ويعمل به؛

الشيخ: ما قلنا هذا ؟ ذكرناها .

الطالب: إغاظة أعداء الإسلام؛ إذا رأوا المسلمين قد اجتمعوا على رأي واحد,

الشيخ: أحسنت, إغاظة أعداء الإسلام؛ إذا رأوا أن المسلمين يجتمعون على رأي واحد ويتفرقون عليه لاشك أن هذا يغيظهم .

الطالب: أنها سبب لجلب المودة والمحبة بين ولاة الأمور والرعية؛

الشيخ: يعني سبب لجلب المحبة والمودة أو تسبب الإلفة .

الطالب: المستشير قد يستفيد ويعرف أمور قد لا يعرفها؛

الشيخ: ذكرنا معناها تقريبا.

الطالب: المشورة من صفات المؤمنين؛

الشيخ: هذا لا بأس, أن هذا من صفات المؤمنين .

الطالب: تعدد الآراء؛

الشيخ: ذكرنا هذا, أظن ما عندكم إلا تكرار .ذكرناها في أول شيء بأن الإنسان يعرف قدر نفسه فيستشير . الظاهر نقف على هذا، هذا آخر واحد .

الطالب: تقوية عزيمة المستشير,

الشيخ: تقوية عزيمة المستشير, بأنه إذا شاف هؤلاء قد وافقوه مثلا تقوى عزيمته, فيكون هذا أدعى للقطع بالحكم ما يتردد، ربما لو صدره من تلقاء نفسه ربما يتردد أو يخشى أن أحدا يعترض؛ فإذا كان باجتماع الشورى يعزم .

... الشيخ: يعني: كمال الشريعة الإسلامية ؟ ويش رأيكم صحيح ؟ وبالكمال يكون الكمال .

طيب سؤال الآن: هل الشورى واجبة ؟ ذكرنا قبل قليل أنها إما واجبة وإما مستحبة؛ في الأمور العظام يجب أن تكون؛ أو فيما إذا كبر الإشكال فهنا يجب أن يكون لاسيما إذا تعلق بحق الغير؛ أما إذا لم يكن كذلك فلا؛ ولهذا ذكر الله عزوجل حتى فطام الطفل: ((**فإن أراد فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما**)) فالأمور الهامة المتعلقة بالغير يستشار فيه .

ولكن هل معنى هذا أن النبي صلى الله عليه وسلم يُكوِّن مجلسا للشورى يرجع إليهم ؟ لا؛ شاورهم عند وجود سبب الاستشارة, لا أن يكون مجلس يرجع إليه؛ لأنه إذا كون مجلسا يرجع إليه ربما يبقى المجلس هذا دائما مع تغير أحوال أهله, ومع وجود أناس جدد خير منهم؛ فإذا قلنا إن ولي الأمر إذا نزلت به نازلة حينئذ يستشير من يرى أنه أهل للمشورة، يبقى ولي الأمر ما تتجدد له الرجال الذين يستشيرهم, ولا يبقى المجلس الاستشاري هذا يبقى رافعا رأسه وإليه يرجع الأمر، ولاشك أن هذا هو طريق النبي عليه وسلم؛ لكنه قد يكون لولي الأمر أصحاب خاصون يستشيرهم في الأمور, مثل أبي بكر وعمر كان النبي صلى الله عليه وسلم كان يرجع إلى رأيهما

دائما ويستشيرهما, ويرى أن في رأيهما السداد والرشد؛ ولكن ليس في كل شيء، ليس في كل شيء يرجع إليهما؛ أحيانا يستشير بقية الصحابة عموما.

المسألة الثانية قوله: ((**وشاورهم في الأمر**)) هل إذا صدر من المستشارين أمر هل هو ملزم أو كاشف للرأي ؟ كاشف للرأي وليس بملزم؛ لأنه لو كان ملزما لكان الحكم بأيدي جماعة؛ والحكم بأيدي واحد, ولكن يجب على المستشير يجب أن يتبع ما يرى أنه أصلح, ولا يجوز أن ينتصر لرأيه لأنه رأيه, بل الواجب عليه لحق الله ولحق من ولاهم الله عليه أن يتبع ما هو أصلح حتى لو خالفوه، حتى لو خالفوه والأصلح في رأيهم يجب عليه أن يتبعه؛ ولكنه ليس بملزم، ليس بملزم بمعنى أننا لا نقول: إن هؤلاء لهم سلطة على الحاكم؛ لا الحاكم له السلطة, ولهذا قال هنا: ((**فإذا عزمت فتوكل على الله**)) ولم يقل: فإذا أشاورا عليك فخذ به؛ بل قال: ((**إذا عزمت**)) وهو قد يعزم على ما أشاروا به وقد يعزم على غيره .

من فوائد هذه الآية الكريمة: أنه يجب على الإنسان أن يكون اعتماده على الله عزوجل مع فعل الأسباب؛ لقوله: ((**فإذا عزمت فتوكل على الله**)) .

ومن فوائد الآية الكريمة: أن النبي صلى الله عليه وسلم يعتريه ما يعتري البشر من التردد في الأمور؛ ووجه الدلالة أولا في قوله: ((**شاورهم**)) وثانيا في قوله: ((**فإذا عزمت**)) فإن العزيمة قد يسبقها تردد كما هو الواقع .

ومن فوائد الآية الكريمة: أنه ينبغي للإنسان إذا عزم على الأمر أن لا يتردد؛ لأن التردد يحير الإنسان ويوقعه في القلق؛ ولهذا قال الشاعر:

إذا كنت ذا رأي فكن ذا عزيمة فإن فساد الرأي أن تترددا؛

وكثير من الناس يرى المصلحة في شيء ويعزم عليه ثم يتردد, فيكون مذبذبا أحيانا كذا وأحيانا كذا؛ ويؤثر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كلمة نافعة جدا وهي قوله: (**من بورك له في شيء فليلزمه**) كلمة عجيبة لو توزن بالذهب لوزنته، من بورك له في شيء فليلزمه, يعني إذا عمل الإنسان عملا ورأى فيه البركة والثمرة فليلزمه؛ ولنضرب لهذا مثلا بحال طالب العلم، طالب العلم مثلا شرع في كتاب دراسة أو مراجعة ووجد فيه خيرا, وجد أنه يستفيد ينتفع؛ ماذا نقول له ؟ الزم هذا، لا تقول: والله هذا كتاب مختصر قليل أبغى أطول؛ واحد طالب بدأ في زاد المستقنع وشاف فيه بركة وانتفع به, قال: ما يكفي هذا أبغى أطالع في الإنصاف, ما يكفي أبغى أطالع في المغني ما يكفي, أبغى أطالع المجموع ما يكفي, دور الفنون لابن عقيل؛ هذا ما يصح, إذا بارك الله في شيء فالزمه حتى لا يضيع عليك الوقت.

وهنا مسألة أيضا ترد علي ويمكن عليكم؛ مثلا يريد الإنسان أن يطالع مسألة في الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية, يراجع الفهرس ليقرأ عليه, ثم يلاحظ مسألة ثانية يروح يناظر, يضيع عليه الوقت, يريح يناظر الأصل الذي هو قاصد يروح، ربما يرجع بعيدين يدور تعرض له مسألة الثانية ويقول: خلي نشوف, ثم يضيع عليه الوقت؛ ولهذا كان من حكمة الرسول عليه الصلاة والسلام أن يبدأ بالشيء الذي يريده؛ لما دعاه عتبان بن مالك رضي الله عنه ليصلي في مكان في بيته يتخذه مصلى, **خرج النبي عليه الصلاة والسلام إليه ومعه بعض أصحابه, فلما دخل البيت قال: يا رسول الله قد صنعت لكم طعاما قال: (أرني المكان الذي تريد أن أصلي فيه)** قبل الطعام؛ لماذا ؟ لأنه جاء إلى هذا الغرض؛ ابدأ بالغرض الذي أنت أتيت إليه؛ فهذه مسألة ينبغي للإنسان أنه يجعلها على باله في تصرفاته في العلم, وحتى في الدنيا أيضا حتى في الدنيا؛ مثلا بعض الناس التجار يتعامل بالبز؛ تعرفون البز ؟ القماش, ثم يسمع أن فيه واحد من الناس اشترى أرضا وباعها وكسب فيها، قال: خلاص بطلنا نروح إلى الأراضي؛ ثم يسمع أن واحدا يكسب بالسيارات, يقول: بطلنا ثم تضيع عليه الأمور, لا، فإذا كان قد وجد بركة في التجارة الأولى يستمر عليها لا يعود نفسه في الانتقالات التي لا فائدة فيها؛ وهذه نأخذها من قوله: ((**إذا عزمت فتوكل على الله**)) إذا كنت ذا عظيمة اعتمد على عزيمتك .

من فوائد الآية الكريمة: إثبات المحبة لله عزوجل، أن الله يحب؛ وهل محبة الله حقيقية ؟ نعم حقيقية, لأن لدى أهل السنة والجماعة قاعدة أن كل ما وصف الله به نفسه فهو حقيقة، كل ما وصف الله به نفسه فهو حقيقة؛ لكن مذهبهم مبرأ من التمثيل والتكييف، مبرأ من التمثيل والتكييف,

طيب, والتحريف والتعطيل ؟ يكفي عنه أن نقول: إنه حقيقة, يعني إذا قلنا إنه حقيقة فمعناه أنه مبرأ من التحريف والتعطيل؛ يبقى التمثيل والتكييف أيضا يتبرءون من التمثيل والتكييف, لا يمثلون صفات الله بصفات خلقه ولا يكيفونه؛ فما هي محبة الله ؟ أو ما هي المحبة مطلقا ؟ المحبة هي المحبة, لا يمكن أن تعرف المحبة بأوضح منها من لفظها؛ لأننا كما قلنا فيما سبق الانفعالات النفسية لا يمكن تحديدها بغير ألفاظها أبدا؛ لو قال لك واحد: ويش معنى البغض ؟ الكراهة، ويش معنى الكراهة ؟ البغض؛ ويش معنى ؟ تفسير هذه ما يمكن تحديدها إلا بآثارها يمكن؛ إذا من فوائد هذه الآية إثبات المحبة لله, أي صفة المحبة .

وعلماء القبلة الذين ينتسبون إلى الإسلام اختلفوا فيها على ثلاثة أقوال؛ القول الأول: نفي حقيقتها عن الله وعن المخلوق؛ فيقولون إن الله لا يحِب ولا يحَب . أعوذ بالله . لا يحِب ولا يحَب؛ علتهم ؟ أن المحبة إنما تكون بين شيئين من جنس، من جنس واحد, ومعلوم الفرق بين الخالق والمخلوق.

قول ثاني: يقولون إن الله يحَب ولا يحِب .

والقول الثالث: أن الله يحِب ويحَب، قال الله عزوجل: ((**فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه**)) وفي القرآن الكريمة كثير من الأوصاف علق الله بها المحبة: ((**إن الله يحب المتقين**)) ((**إن الله يحب التوابين إن الله يحب المتطهرين**)) أمثلة كثيرة؛ نحن نرى أن المحبة صفة حقيقية لله, وأن من آثارها الثواب والرضى وغير ذلك مما يترتب عليه.

الذين ينكرونها يقولون: المراد بمحبة الله الثواب؛ فيقولون مثلا: ((**يحب المتوكلين**)) يعني يثيب المتوكلين؛ هذا خطأ .

ومن فوائد الآية الكريمة: فضيلة التوكل؛ ووجهه: أن الله علق المحبة عليه, وهذا يدل على فضيلته وعلى الحث عليه .

فإن قال قائل: هل التوكل خاص بالله ؟

فالجواب: أما توكل العبادة الذي يعتمد الإنسان فيه على ربه, ويفوض الأمر إليه فهذا خاص بالله؛ وأما توكل الاستنابة, بمعنى أن الإنسان ينيب غيره عنه في شيء من الأشياء فهذا جائز؛ ولكن والفرق بينهما ظاهر؛ الأول: التوكل على الله يقطع الإنسان العلائق عن ما سوى الله عزوجل حتى عن نفسه, يفوض الأمر إلى الله تفويضا كاملا؛ لكن الاستنابة يرى أنه فوق الوكيل، أنا وكلت إنسانا يشتري لي حاجة، أنا متوكل عليه أو غير متوكل ؟ متوكل عليه؛ ولكن هل توكلي عليه كتوكلي على الله ؟ أبدا, لأن توكلي على الله تفويض إلى الله تفويضا مطلقا, وأعتقد أنه هو حسب؛ لكن هذا الرجل توكلي عليه على أنه نائب عني لا على أني طريق بين يديه مفوض الأمر إليه, على أنه نائب عني؛ أستطيع أن أعزله أو لا ؟ أستطيع أن أعزله، أستطيع أن أوبخه إذا خالف مرادي، أستطيع أن أحسبه إذا تسبب علي بضرر, بخلاف التوكل على الله.

السائل: أحسن الله إليك ! ذكرنا أن ولي الأمر يستشير من علماء الشرع في أمور الشرع, وعلماء السياسة في أمور السياسة ... لكن أحسن الله إليك ! انفصال الطب والجيولوجيا وما شابهها عن علم الشرع واضح لا إشكال فيه, لكن كيف تفصل السياسة عن الشرع مع أن الشرع جاء بالسياسة والشرع معا لاسيما في هذا الزمان الذي لا يمكن أن يفصل بينهما أبدا؛ هذا على أننا نرى اليوم أن أمور السياسة تسند إلى أناس فيهم ما فيهم, فيكف نميز هذا التمييز هذا التمييز ؟

الشيخ: أقول لك إن الشريعة سياسة؛ أتدري ما معنى السياسة ؟ أصلا من ساس يسوس، والسائس هو الذي يدبر الحيوان, كسائس الفيلة مثلا، سائس الظباء، سائس الغنم، كل الشريعة سياسة؛ لكن هناك مسائل تخفى على علماء الشرع ما يعرفونها وهي سياسة شرعية, لكن لا يعرفونها؛ فمثلا إذا أراد ولي الأمر أن ينصب مثلا

مفوضا له, وهو ما يسمى بالسفير في بلد ما، لابد أن يسأل أصحاب السياسة هل هذا البلد ممكن أن ننصب فيه فلان أو فلان أو فلان أو ما أشبه ذلك, هذا ما يعرفونه علماء الشرع؛ لكن كونه يجعل علاقات بينه وبين هذه الدولة مثلا, أو كونه يعاهد عهدا بينه وبين هذه الدولة هذه أمور شرعية، هذه أمور شرعية ترجع إلى علماء الشرع .

السائل: هل مجلس الشورى لابد منه ... ؟

الشيخ: والله هذه ما أرى أنها موافقة للشورى التي أمر الله بها، الشورى التي أمر الله سبحانه وتعالى بها وطبقها النبي صلى الله عليه وسلم فعلا هو أن الحاكم هو الحاكم لكن إذا وقعت عليه مسائل مشكلة يستشير فيها؛ أنت تعرف أن مجلس الشورى ربما يضم أناسا ليسوا أهلا لذلك؛ وتعرف أنه أيضا مجلس الشورى يكون بالانتخاب, وما أكثر الضمائر التي تشترى بالانتخاب؛ يجيء واحد غني عنده كم مليون ؟

الطالب: مليارات،

الشيخ: مليار, ويمر على هذه القرى, كل واحد يعطيه عشرة ريالات, وهم يصوتون بالآلاف له؛ الطالب: ويعدهم شيخ ؟

الشيخ: أو يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا.

السائل: طيب يأثم يا شيخ ...

الشيخ: كيف ؟ معلوم أن الذي يشتري ضمائر الناس بقروش ؟ والعوام هوام حط له طعم هم ويوافقك في الذي تريد, إلا من شاء الله .

السائل: مشورة ولي الأمر لعلماء الطب والجيولوجيا لماذا لا تصرف إلى علماء الشريعة ؟

الشيخ: يا أخي لو يعطوننا الأطباء حبوب للاستعمال, وتعرف أن أكثر الدواء باللغة الإنجليزية, وحطه مثلا في الثلاجة مع حبوب أخرى, وإذا أتيته بكرة ما عرفت الحبوب, من يعرف هذه الأمور إلا الأطباء؛ فمثلا إذا قدرنا أن فيه دولة تريد أن تورد علينا أدوية ويأتي إلى علماء الشرع يقول: ويش تقولون يا فلان في هذه الأدوية ؟ أو يذهب إلى علماء الطب .

... لا لا، أبدا ما هو بلازم؛ لكن في مسألة الأحكام الشرعية مثلا هل يجوز أن تكون المرأة طبيبة للرجال أو الرجل طبيب للنساء هذه مسألة شرعية, ما هي طبية .

... أولياء الأمور فيما يتعلق بشؤونهم واختصاصاتهم, لا, أما أنا إن كان من العلماء فأنا ما لي دخل في الطب أبدا .

الشيخ: وهنا الاستخارة هل تقدم على الاستشارة أو الاستشارة على الاستخارة ؟

الطالب: فيها خلاف، الاستخارة؛

الشيخ: فيها قولان، بعضهم يقول: استخر الله, وإذا رأيت بعد الاستخارة الميل إلى شيء ما لا تستشر أحدا, لأنك فوضت الأمر إلى الله, وهداك الله لهذا الشيء, فلا تسأل أحدا, لا تستشر أحد؛ ومنهم من يقول: إذا استخرت الله ولم يتبين لك الأمر فحينئذ استشر, ويكون الشور الذي أشار به أحد يكون هذا مما استخاره الله لك؛

... لا، هذه ما فيها استخارة، أنا قصدي بالاستخارة التي أمر بها الرسول عليه الصلاة والسلام, إذا هم الإنسان بالأمر وأشكل عليه أن يصلي ركعتين؛

... هنا هذه مسألة ما هي بمسألة الاستخارة ... صلاة الاستخارة هل هي قبل أو بعد ؟ أما مثلا إذا شاور في أمر من الأمور ولا صلى الاستخارة فهنا إذا عزم توكل على الله .

السائل: هل يشترط في المستشار أن يكون عادلا,

الشيخ: ويش تقولون في هذا السؤال ؟ هل يشترط في المستشار أن يكون عدلا ؟ ما أظن أحدا يستشير من ليس بعادل, لأنه غير أمين, لا يستشير لأنه يخشى منه .

الطالب: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ((**إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون وما كان لنبي أن يغل ومن يغلل يأت بما غل يوم القيمة ثم**

توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس المصير)) .

الشيخ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم؛ قال الله تبارك وتعالى: ((**إن ينصركم الله فلا غالب لكم**)) أظن انتهينا مما سبق ؟ طيب.

هذه الجملة جملة شرطية، فعل الشرط فيها مضارع مجزوم: ((**إن ينصركم**))، وجواب الشرط فيها جملة اسمية مصدرة ، مصدرة ؟ بلا؛ لماذا اقترنت الفاء فيها ؟ نفي؛ مصدرة بلا أو بالنفي ؟ ((**فلا غالب لكم**)) يا أخي وين لن ؟ ((**فلا غالب لكم**)) مصدرة بأيش ؟ بلا النافية؛ ولا النافية هل إذا كانت صدرا لجواب الشرط يقترن الجواب بالفاء جوازا أو وجوبا ؟ وجوبا؛ هل عندك من دليل من كلام العلماء ؟ فما هو البيت ؟

وبما وقد وبلن و بالتنفيس, وين لا ؟ ... الواقع أن: ((**لا غالب لكم**)) جملة اسمية؛ فهمت ؟

((**وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده**)) أيضا الجملة هذه جملة شرطية فعل الشرط فيها فعل مضارع, وجواب الشرط فيها جملة استفهامية مرتبطة بالفاء؛ وجوبا أو جوازا ؟ الطالب: وجوبا،

الشيخ: لماذا ؟ الآية: ((**وإن يخذلكم فمن ذا الذي**)) ؟ لأن الجملة اسمية, صح؟ طيب .

وقوله: ((**فمن ذا الذي ينصركم من بعده**)) فيها: من وذا والذي؛ فهل ذا التي بعد من اسم الموصول أو ملغاة ؟

الطالب: ملغاة؛

الشيخ: لماذا ؟ لأنه أتى بعدها اسم موصول؛ وذا التي بعد من تكون اسما موصولا بشرط أن لا يأتي بعدها اسم موصول, فإن أتى بعدها اسم الموصل تعين أن تكون ملغاة؛ وقال بعض النحويين: لا يتعين أن تكون ملغاة ويكون اسم الموصول الثاني توكيدا لاسم الموصول الأول، كأن يقال: فمن الذي الذي ينصركم من بعده؛ هذا ما يتعلق بالآية من حيث الإعراب؛ أما قوله تعالى: ((**وعلى الله فليتوكل المؤمنون**)) فقد سبق الكلام على مثلها .

يقول الله عزوجل في هذه الآية: ((**إن ينصركم الله فلا غالب له**)) يعني إذا قدر الله نصركم فإنه لن يغلبكم أحد؛ وإنما قلت: إن يقدر الله نصركم لأنه لو كان المراد النصر بالفعل لم يكن لقوله: ((**فلا غالب لكم**)) فائدة, لأن النصر قد حصل؛ وعلى هذا فيكون المعنى: ((**إن ينصركم**)) أي: إن يقدر نصركم؛ وهذا نظير قول النبي صلى الله عليه وسلم: (**واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك**) فهذا قال بعض العلماء: أن ما أصابك أي ما قدر أن يصيبك, لأن ما أصابك بالفعل قد حصل, فلا يستقيم قوله: (**لم يكن ليخطئك**) ولكن

الصحيح أن الحديث على ظاهره, أن ما أصابك لم يكن ليخطئك, يعني: أن الأمر لا يمكن أن يقع على خلاف الواقع، أن الأمر لا يمكن أن يقع على خلاف الواقع، فما أصابك لم يكن ليخطئك أبدا فلا حاجة إلى الندم؛

هنا يقول: ((**إن ينصركم الله فلا غالب لكم**)) ولا هذه نافية للجنس، والنافية للجنس نص في العموم؛ لأن النفي قد يكون عام للعموم نصا, وقد يكون للعموم ظاهرا؛ والفرق بين النص والظاهر أن النص لا يحتمل التخصيص, والظاهر يحتمل أن يكون عاما أريد به الخصوص؛ قال أهل العلم في النحو: ولا النافية نص في العموم, كما أن من الزائدة إذا جاءت بعد النفي صار النفي نصا في العموم، كما لو قلت: ما في الدار من رجل؛ هذه نص في العموم كقولك: لا رجل في الدار؛ الحاصل قوله: ((**فلا غالب لكم**)) هذه عامة يعني لا أحد يغلبكم مهما كانت قوتهم ومهما كان عددهم؛ وإنما قال الله ذلك من أجل أن نعلق النصر بالله عزوجل لا بغيره.

ثم قال: ((**وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده**)) يخذلكم: ما معنى يخذلكم ؟ مقابل: ((**ينصركم**)) مقابل النصر؛ الخذلان ضد النصر, وهذه من القواعد التي تفيد في تفسير القرآن, أن الكلمة قد يظهر معناها بما قرن معها من الضد، الكلمة قد يتبين معناها بما قرن معها من الضد؛ لو قال لك قائل: ما معنى قوله تعالى: ((**فانفروا ثبات أو انفروا جميعا**)) ما معنى ثبات ؟ فرادى؛ هل راجعت القاموس ؟ لا، من أين عرفت أنها فرادا ؟ لقوله قابلها بقوله: ((**أو انفروا جميعا**)) .

((**إن يخذلكم**)) أي: إن يقدر لكم الخذلان وهو عدم النصر: ((**فمن ذا الذي ينصركم من بعده**)) ويمكن أيضا أن نستدل على معنى الخذلان بقوله: ((**فمن ذا الذي ينصركم من بعده**)) من: استفهام بمعنى النفي؛ ولكنه جاء . أعني النفي . جاء بصيغة الاستفهام لأنه مشرب بمعنى التحدي, يعني كأن الله يقول: نتحداكم إذا أراد الله خذلانكم أن ينصركم أحدكم من بعده حتى لو اجتمعت قوى الأرض كلها, على أن تنصركم والله تعالى لم ينصركم فإنه لا يمكن أن تنتصروا: ((**وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم بعده**)) الجواب ؟ لا أحد.

((**وعلى الله فليتوكل المؤمنون**)) على هنا: ((**على الله**)) جار ومجرور مقدم على عامله وهو: ((**يتوكل**))؛ وتقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر, أي: على الله لا غيره فليتوكل؛ والفاء هنا قال النحويون: إنها زائدة لتحسين اللفظ, ولا يمكن أن تكون عاطفة, لأن الواو في قوله: ((**وعلى الله**)) تغني عنه؛ ولهذا لو قيل: وعلى الله ليتوكل؛ صح؛ فهي زائدة لتحسين اللفظ, ووجه كونها لتحسين اللفظ ظاهر؛ لأن اللفظ لو قلت: وعلى الله ليتوكل المؤمنون؛ لم يكن في ذاك البلاغة؛ فإذا قلت: فليتوكل صار هذا أبلغ؛ وقوله: ((**فليتوكل**)) أي فليعتمد؛ ولكن التوكل على الله عزوجل ليس كالتوكل على الآدمي؛ التوكل على الله فيه إنابة وخضوع وذل وتفويض واعتماد تام على الله, بخلاف ما إذا توكل الإنسان على شخص وكيل له, فإنه لاشك يعتمد عليه فيما وكله فيه,

لكن لا يجد من قلبه أنه مفوض تفويضا تاما, ومنيبا إلى الله وخاضع له عزوجل؛ فالتوكل على الله عبادة؛ ولهذا قال: ((**وعلى الله**)) يعني وحده: ((**فليتوكل المؤمنون**)) المؤمنون بمن ؟ المؤمنون به؛ والإيمان بالله إذا أطلق شمل جميع ما يجب الإيمان به من الأركان الستة التي بينها الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله لجبريل: (**الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره**) .

في هذه الآية من الفوائد: بيان كمال قدرة الله عزوجل؛ لقوله: ((**إن ينصركم الله فلا غالب لكم**)).

ومن فوائدها: وجوب تعلق القلب بالله وحده في طلب الانتصار؛ لقوله: ((**إن ينصركم الله فلا غالب لكم**)) إذا ممن يطلب النصر بناء على هذه القاعدة ؟ من الله عزوجل .

ومن فوائد الآية الكريمة: أن الله إذا قدر خذلان أحد فلا ناصر له؛ لقوله: ((**وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده**)) .

ومن فوائدها: أنه إذا آمن الإنسان بهذا فإنه لابد أن يفعل أسباب النصر، الأسباب التي يكون بها النصر؛ صح ؟ إذا آمنت أن النصر بيد الله, وأن الله إذا خذلك لا ينصرك أحد, فهل تأتي بأسباب النصر التي رتب الله عليها النصر أو لا ؟ نعم لاشك؛ فما هي أسباب النصر ؟ أسباب النصر متعددة وهي خمسة:

الأول: الإخلاص لله عزوجل؛ لقوله تعالى: ((**وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلفن الذين من قبلهم و ليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا**)) الإخلاص لله في العبادة.

الثانية: إقام الصلاة؛ إيتاء الزكاة، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ قال الله تعالى: ((**ولنصر الله من ينصره إن الله لقوي عزيز الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور**)) هذه ما تذكر لكن الأربعة هذه أسباب أضفها إلى الأول تكون خمسة؛

وتأمل قوله تعالى: ((**إن الله لقوي عزيز**)) يتبين لك أن هذا النصر محقق لأنه إذا كان الله قويا عزيزا فكل من أمامه ضعيف ذليل، ثم تأمل مرة أخرى قوله: ((**ولله عاقبة الأمور**)) يتبين لك أن القوى الظاهرة المادية مهما عظمت فإن عاقبتها بيد من ؟ بيد الله عزوجل، هو الذي يجعل العاقبة لمن شاء: ((**والعاقبة للمتقين**))؛ ولهذا قال بعض السفهاء قال: سبحان الله إذا أقمنا الصلاة وآتينا الزكاة وأمرنا بالمعروف ونهينا عن المنكر نغلب أمريكا وروسيا ؟ نقول: نعم يا سفيه، العاقبة لمن ؟ لله وللمتقين: ((**ولله عاقبة الأمور**)) ما هي لا لروسيا ولا لأمريكا ولا لانكلترا ولا لفرنسا، لله وحده عاقبة الأمور؛ وإذا أردت أن تعرف هذا من الناحية التاريخية فانظر ماذا جرى للأمة الإسلامية في أولها عهدها, أسقطت الدول الكبرى العظمى في عهدها، دولة الروم ودولة الفرس، ودولة

القبط في مصر, وظهروا وملكوا مشارق الأرض والمغارب, هذا من ناحية الواقعية؛ من الناحية الواقعية زلزلة واحدة بلحظات من رب العرش تدمر كل شيء، تدمر كل شيء, ولا يستطيع أحد أن يمنع هذه الزلزلة؛ أظن قبل سنتين صارت هناك زلزال وبراكين تفجرت ذابت الجبال الصم البكم, ذابت على الناس وأحرقتهم؛ بأمر من ؟ بأمر الله عزوجل؛ فلهذا نقول: إن من ضعف الإيمان أن ينظر الإنسان إلى الأمر الذي أمامه الأمر المادي ولا ينظر إلى قدرة الله عزوجل وقوته؛ إذا: إن ينصركم وإن يخذلكم لابد أن نسلك أسباب النصر, ونحن إذا سلكنا أسباب النصر بإيمان ويقين تحقق لنا .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: التحذير، التحذير من فعل أسباب الخذلان؛ لقوله: ((**إن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده**))؛ ومن أسباب الخذلان تولي الكفار ومناصرتهم ومعاضدتهم لأن هذا من أسباب الخذلان؛ اعتمد على من ؟ على الله عزوجل لأن الله قال: ((**إن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده**)) .

من فوائد الآية: وجوب التوكل على الله وحده؛ من أين يؤخذ ؟ من قوله: ((**وعلى الله فليتوكل المؤمنون**))؛ إفراده بالتوكل يؤخذ من تقديم المعمول على عامله لأن تقديم ما حقه التأخير . انتبهوا لهذه القاعدة . تقديم ما حقه التأخير أيش ؟ يفيد الحصر؛ هذه قاعدة حتى بين المبتدأ والخبر لو قلت: ((**لله ملك السموات والأرض**)) يعني لا لغيره .

من فوائد الآية الكريمة: أن التوكل من مقتضيات الإيمان؛ لأنه علق الحكم على وصف وهو الإيمان, فدل ذلك على أنه كلما قوي الإيمان قوي التوكل على الله, وكلما ضعف الإيمان ضعف التوكل على الله .

فإن قال قائل: هل التوكل على الله أو إفراد الله بالتوكل ينافي فعل الأسباب ؟

الجواب: لا؛ بل فعل الأسباب من التوكل على الله؛ لأنك أنت إذا توكلت على الله فمن مقتضيات التوكل عليه مقتضيات التوكل عليه أن تفعل ما أمرك به .

فلو قال قائل: أنا سوف أنام في الشتاء تحت النجوم وعلى الثلج وليس تحتي فراش ولا فوقي غطاء؛ لأيش ؟ برد ؟ قال: أنا متوكل على الله؛ هل هذا صحيح ؟ أبدا هذا ليس بصحيح .

لو قال قائل: أنا سأدخل النار متوكلا على الله, نعم ؟ نقول هذا غير صحيح، اللهم إلا أن يقع ذلك عن سبيل التحدي ممكن هذا أن يكون آية من آيات الله, ينصر الله هذا الفاعل لنصرة دينه ويكون هذا الذي حصل منه دخوله في النار يكون كرامة؛

ولهذا ذكر أن شيخ الإسلام رحمه الله لما ناظر رئيس البطائحية الذي جاء يناظره في مسائل من أصول الدين، قال له رئيس البطائحية: أنا أصوب منك لأني أستطيع أن أدخل في النار ولا يصيبني منها شيء؛ فهل تستطيع أن

تدخل في النار ولا يصيبك بشيء ؟ يقول شيخ الإسلام قال: نعم أنا أستطيع بشرط أن أنزل وإياك في هذا النهر ونتغسل تماما ثم ندخل النار؛ لماذا قال هذا ؟ لأن الرجل قد طلا جسمه بشيء يضاد للنار, ويريد أن يموه على الناس يدخل النار يقول: شوفوا ابن تيمية, أنا دخلت النار ونجوت منها وهذا الرجل عجز؛ لكن ابن تيمية . ولله الحمد . قد أعطاه الله ذكاء وفطنة وفراسة, قال: ما فيه مانع ندخل النار جميعا لكن بشرط بعد أن نغتسل بهذا الماء؛ وماذا حصل ؟ انهزم الرجل قال: ما فيه؛ على كل حال أقول: إن فعل الأسباب لا ينافي التوكل؛ ولهذا شواهد أولا: نعلم علم اليقين أن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم سيد المتوكلين أليس كذلك ؟ ومع ذلك توقى الحر, ويتوقى البرد, ويأكل لدفع الجوع, ويشرب لدفع الظمأ؛ أليس كذلك ؟ في الغزوات كان يلبس الدرع يتوقى به السهام؛ وفي غزوة أحد لبس كم ؟ درعين؛ في غزوة الخندق لما أحاط الأحزاب بالمدينة ماذا فعل ؟ حفر الخندق بمشورة سلمان الفارسي رضي الله عنه, ولم يقل توكل على الله وإذا كان يمكن يجيئونا يجيئون وإذا ما يمكن يجيئون لا يجيئون، لا, فعل السبب؛ والوقائع على هذا كثيرة تدل على أن فعل الأسباب لا ينافي التوكل, ولكن يجب أن نلاحظ شرطا مهما, وهي أن تكون الأسباب أسبابا شرعية أو كونية لا أسبابا وهمية؛ أسبابا شرعية يعني ثبت بالشرع أنها سبب؛ أو أسبابا كونية أي ثبت بالتجارب أنها سبب؛ لأن ما ثبت بالتجارب لم يدل عليه الشرع؛ لكن دلت عليه التجربة وهذا سبب كوني؛ أما السبب الوهمي كتعليق التمائم غير الشرعية وما أشبه ذلك, التطير أيضا سبب وهمي فهذا لا يجوز الاعتماد عليه؛ فالأسباب ؟ الثالث ما هو ؟ الأسباب الوهمية، أسباب شرعية وأسباب كونية وأسباب وهمية؛ إذا فعل الأسباب لا ينافي التوكل بل هو من تمام التوكل؛ واضح يا جماعة ؟

.

فإذا قال قائل: الأسباب الشرعية لا تنافي التوكل لاشك فيه؛ ولهذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يتعوذ بالمعوذات وكان يقول: (**من قرأ آية الكرسي في ليلة لم يزل عليه من الله حافظ ولا يقربه الشيطان حتى يصبح**) وهذه من الأسباب الشرعية؛ وقال عن الفاتحة: (**إنها رقية**) (**وما يدريك أنها رقية**) .

ثم قال الله عزوجل: ((**وما كان لنبي أن يغل ومن يغلل يأت بما غل يوم القيمة**)) أولا القراءات: يقول: ((**وما كان لنبي**)) فيها قراءة: ((**لنبيء**))؛ ((**أن يَغل**)) فيها قراءة: ((**أن يُغل**))؛ ما الفرق بين القراءتين في: ((**لنبي**)) و ((**لنبيء**)) ؟ أما: ((**لنبيء**)) فهي على وزن فعيل من النبأ، على وزن فعيل من النبأ بالهمزة؛ وهل هو بمعنى فاعل أو بمعنى مفعول أو بمعناهما جميعا ؟ يشملهما؛ فالنبيء فعيل بمعنى فاعل لأنه منبئ، فعيل بمعنى مفعول لأنه منبأ؛ الرسول صلى الله عليه وسلم منبئ منبأ؛ على قراءة: ((**لنبي**)) بالياء, قيل إنه مسهل وأن أصله لنبيء فسهلت الهمزة إلى ياء؛ وقيل: بل هو مشتق من النَبوة وهي الارتفاع؛ وعلى هذا فيكون لنبي أصله

لنبيو؛ لكن لعلة تصريفية صارت الواو ياء؛ فما هو الميزان أو ما هي القاعدة في هذا, أن تجعل الواو ياء؟ يقول: إذا اجتمعت الواو والياء في كلمة وسبقت إحداهما بالسكون قلبت الواو ياء, أي إذا قلنا: لنبيو فقد اجتمعت الواو والياء في كلمة, وسبقت إحداهما بالسكون فقلبت الواو ياء فصار لنبي؛ هل يمكن أن نقول على هذه القراءة إنه مشتق من الوجهين: من النبأ ومن النبوة ؟ يمكن بناء ؟ على ما سبق من أن الكلمة في القرآن إذا احتملت معنيين لا يتنافيان تحمل عليهما جميعا؛ لأن معاني القرآن واسعة.

أما: ((**أن يغل**)) ففيها قراءة: ((**أن يُغل**)) والفرق بينهما ظاهر: ((**أن يَغل**)) مبنية للفاعل؛ ((**أن يُغل**)) مبنية للمفعول؛ أما على وجه: ((**أن يَغل**)) فالمعنى أن الله نفى أن النبي يغل؛ وغلول النبي يحتمل معنيين: غلول المال وغلول العلم؛ فغلول العلم كتمه؛ وغلول المال إخفائه وأخذه؛ وكل هذا منتف عن النبي شرعا, ولم يعلم أنه واقع قدرا؛ ولا يمكن أن يقع قدرا بما نعلم؛ فالنبي لا يمكن أن يكتم ما أنزل الله إليه ولا يمكن أن يسرق من مال المسلمين؛ أما على: ((**أن يُغل**)) فمعناه أن النبي يغله غيره, يعني فما كان لنبي أن يغل شرعا؛ وقدرا ؟ قد يغل، قدرا قد يغل, كما وقع هذا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم .

ثم قال الله: ((**ومن يغلل يأت بما غل يوم القيمة**)) في الإعراب ما زلنا في أول التفسير، في الإعراب: ((**ومن يغلل يأت بما غل يوم القيمة**)) الإشكال في: ((**يأت بما غل**)) لماذا صارت مكسورة وجواب الشرط يكون مجزومة ؟ ... التاء مكسورة من قبل حتى لو كانت الياء موجودة, لو قلت: يأتي؛ ... يعني تبقى الكسرة التي قبل الياء دليلا على الياء المحذوفة؛ إذا يأت مجزومة على هذه الحال، جواب الشرط مجزوم بحذف الياء والكسرة قبلها بناء عليها.

((**بما غل يوم القيمة**)) إعراب ((**يوم القيمة**)) ؟ مفعول فيه, مفعول غل ؟ متعلقة بأيش ؟ بالفعل غل, يعني: يأت بما غل يوم القيمة ؟ متعلقة بيأت ؟ أيهما أصوب يا جماعة ؟ الأخير، الأخير لأن يوم القيامة ما فيه غلول.

أما قوله: ((**ثم توفى كل نفس بما كسبت**)) الظاهر أنه ما فيه إشكال في النحو .

قال الله عزوجل: ((**ما كان لنبي أن يغل**)) إذا جاءت: ((**ما كان**)) في القرآن فإن معناها النفي المحقق؛ مثل قوله تعالى: ((**وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم**))، مثل قوله تعالى: ((**ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه**)), ((**وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا**)) والشواهد في هذا كثيرة, يعني أن هذا منتف قطعا ولا يمكن أن يكون؛ ((**ما كان لنبي أن يغل**)) على هذه القراءة يعني أن الله يقول: إن الأنبياء عليهم السلام لا يمكن أن يغلوا، ((**أن يغل**)) كل الأنبياء ؟ نعم, لأن نبي نكرة في سياق النفي، والنكرة في سياق النفي تفيد

العموم؛ فالله تعالى ينفي أن يغل النبي شرعا؛ صح ؟ وقدرا أيضا, لأننا لا نعلم أن الله سبحانه وتعالى قدر على نبي الغلول أن يغل بنفسه وهذا بعيد؛ أما على قراءة: ((**أن يُغل**)) فإن الله تعالى ينفي شرعا أن يغل النبي, يعني ما كان شرعا أن يغل النبي؛ لأن النبي إذا كسب المال فإن ماله للمسلمين جميعا, وإذا كان للمسلمين جميعا فإنه لا يجوز لأحد أن يغل منه شيئا, لأنه لو غل منه شيئا لكان هذا متعلقا بجميع المسلمين، يتعلق بجميع المسلمين؛ المال هذا للمسلمين جميعا فإذا أخذت منه شيئا فقد خنت جميع المسلمين, لاسيما المشتركون في هذه الغنيمة،

ثم يقول الله عزوجل: ((**من يغلل يأت بما غل يوم القيمة**)) ((**من يغلل**)) هنا عموم؛ ولم يقل: من يغلل من الأنبياء؛ لو فرض أن يغل؛ قال: ((**من يغلل**)) يعني من أتباع الأنبياء: ((**يأت بما غل يوم القيمة**)) يأتي به يوم القيمة حاملا له أمام الناس في هذا الموقف العظيم الذي تشهده الخلائق كلها، كما قال تعالى: ((**واليوم الموعود وشاهد ومشهود**)) وقوله: ((**يأت بما غل يوم القيمة**)) هل يأتي بنفس الذي غل ؟ أو يأتي بالعقاب المرتب عليه ؟ نقول: إن ظاهر الآية يدل على أنه يأتي بنفس الذي غل، إن كانت شاة تيعر؛ بعير لها رغاء؛ أي شيء يغله يأتي به يوم القيمة؛ لو غل ثيابا ؟ أتى بها يوم القيمة؛ لكن هل يأتي بها مكتسيا بها ؟ لا، يأتي بها حاملا لها وهو عاري؛ البعير الذي غله فركبه هل يأتي به يوم القيمة راكبا عليه ؟ لا، الجمل راكب . والعياذ بالله . يأتي به حاملا له تعذيبا له .

... الشيخ: الغرض منه أن يعلقوا قلوبهم بالله ويعتمدوا عليه, ولا يطلبوا النصر إلا من عنده، من عنده؛ وفيها أيضا تقوية قلوبهم على أعدائهم لأنهم إذا كان الله هو ناصرهم فإن أعدائهم مهما كثروا لن يغلبهم.

الشيخ: طيب, اللام في قوله: ((**وعلى الله فليتوكل المؤمنون**)) ؟ ((**فليتوكل**)) اللام ؟ اللام للأمر .

الشيخ: ماذا يفيد تعليق التوكل بالمؤمنين ؟ ولم يقل: فليتوكل الناس ؟ المؤمن هو الذي يتوكل على الله؛ ويدل على أن التوكل من تمام الإيمان وعلامات الإيمان .

الشيخ: قوله تعالى: ((**وما كان لنبي أن يغل**)) فيها كم قراءة ؟

الطالب: ((**نبي**)) فيها قراءتان: نبي ونبيء ؛ و ((**يغل**)) فيها قراءتان: يَغِل ويُغَل؛

الشيخ: أحسنت .

الشيخ: طيب: ((**نبي**)) بالياء مشتق من ؟

الطالب: النبوة،

الشيخ: من النبوة وهي الارتفاع، لارتفاع رتبة النبي؛ وقيل ؟

الطالب: من نبيء,

الشيخ: فيكون مشتقا من النبأ .

الشيخ: ((**نبئ**)) بمعنى فاعل أو مفعول ؟

الطالب: بمعنى فاعل؛

الشيخ: بمعنى فاعل, أي ؟

الطالب: أنه ينبئ؛

الشيخ: بمعنى فاعل ومفعول كلا الثنتين ؟ بمعنى فاعل فهمنا المعنى أن منبئ؛ وبمعنى مفعول ؟ الطالب: منبأ .

الشيخ: هل تأتي فعيل بمعنى مفعل ؟ سميع بمعنى سامع: ((**إن ربي لسميع الدعاء**)), جب شاهد؟

أمن ريحانة الداع السميع يؤرقني وأصحابي هجول؛

الإخوان ما مر عليهم نعيد مرة ثانية:

أمن ريحانة الداع السميع يؤرقني وأصحابي هجوع؛

الشيخ: على كل حال فعيل بمعنى مفعِل وفعيل بمعنى مفعَل؛ فعيل بمعنى مفعَل كثير.

طيب ((**يغَل**)) و ((**يغُل**)) قراءتان يلا يا بن داود ما معنى الكلمة على القراءتين ؟

الطالب: ((**يغَل**)) يفعل به يعني يغل هو ؛ و ((**يغُل**)) هو الفاعل,

الشيخ: هو يفعل الغل؛ طيب.

أظن تكلمنا عليها ؟

الشيخ: طيب إغلال النبي يعني: ((**أن يغل**)) بمعنى ؟

الطالب: يعني أنه يعتدى عليه من الكفار والمشركين؛ لا.

الشيخ: غير صحيح.

الطالب: يحتمل معنيان؛

الشيخ: وهما ؟

الطالب: الأول: أن يغل في المال؛

الشيخ: يعني ؟

الطالب: يعني يكون فيه غلول في المال؛

الشيخ: يعني يغل من الغنيمة التي استولى عليها, هذه واحدة؛

الطالب: الثاني: من العلم؛

الشيخ: ويش معناه ؟

الطالب: يعني يكتم العلم؛

الشيخ: هذه إذا كان: ((**يغُل**)) المعنى الثانية على القراءة الثانية، ((**يغُل**)) أي: يكتم شيئا مما آتاه الله .

الطالب: ((**يغَل**)) بمعنى أنه إذا غنم شيئا أن يغله أحد؛

الشيخ: هذا خلصنا منه؛ ((**يغَل**)) لكن: ((**أن يغُل**)) .

الطالب: معناها ؟

الشيخ: أي نعم؛ علمنا شيئا من معناها لكن هل فيه معنى آخر ؟

الطالب: غير جائز على النبي قدرا؛

الشيخ: يعني ما يمكن أن يغل هو بنفسه أيضا ؟ طيب غل النبي يكون في كتمان العلم, ويكون أيضا في كتمان شيء من الغنيمة, كل هذا ممتنع .

الشيخ: قوله: ((**ومن يغلل يأت بما غل يوم القيمة**)) في ((**يأت**)) إشكال في ظاهر الأمر ما هو الإشكال ؟

الطالب: فعل مجزوم يقال: إنه حرك بالكسر فكيف يكون مجزوما, وعلامة الجزم هي السكون ؟؛ لكن في هذا الفعل علامة الجزم حذف حرف العلة وهو الياء

الشيخ: أحسنت, هذا نقول إنه مجزوم بحذف حرف العلة وهي الياء والكسرة قبلها دليل عليها.

الشيخ: ((**يوم القيمة**)) متعلقة بـ ((**غل**)) أو بأيش ؟

الطالب: بـ ((**يأت**))؛

الشيخ: ولا تصح أنها متعلقة بـ ((**غل**)) ؟

الطالب: لا،

الشيخ: لماذا ؟

الطالب: لأنه يصير الغل في يوم القيمة؛

الشيخ: ويوم القيمة ليس فيه غلول, فيه الجزاء والعقوبة .

الشيخ: قال الله عزوجل: ((**ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون**)) ثم: أي بعد أن يبعث الناس يوم القيمة ويأتي كل إنسان بما غل: ((**توفى كل نفس**)), ((**توفى**)) من التوفية؛ يقال: وفى حقه أي أعطاه إياه. وقوله: ((**كل نفس بما كسبت**)) يشمل حتى الرسل، يشمل الرسل والمرسل إليه: ((**فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين**)) كل يعطى ما كسب؛ وقوله: ((**كل نفس ما كسبت**)) يحتمل أن يكون المراد بالعموم هنا من كان مكلفا, لأن غير المكلف لا يعاقب, لأنه مرفوع عنه القلم؛ وقد يقال إنه يشمل حتى غير المكلف لأن التوفية لا يلزم منها العقوبة, قد يوفى حقه بالأجر؛ ومعلوم أن غير المكلف يؤجر؛ فهو يكتب له ولا يكتب عليه .

وقوله: ((**وهم لا يظلمون**)) الجملة حال، الجملة حال من قوله: ((**كل نفس**)) لأن كل نفس معناها العموم؛ ((**وهم**)) أي الأنفس: ((**لا يظلمون**)) أي: لا ينقصون من الحسنات ولا يزاد في السيئات؛ لأن الظلم في الأصل هو النقص كما قال الله تعالى: ((**كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئا**)) أي: لم تنقص؛ وهو يشمل أعني الظلم يشمل شيئين؛ الأول: الزيادة في السيئات؛ والثاني: النقص من الحسنات, وكلاهما ممتنع في حق الله عزوجل، كما قال الله تعالى: ((**وما ربك بظلام للعبيد**)) ((**ولا يظلم ربك أحدا**)) وإنما انتفى الظلم عنه لكمال عدله لا لعجزه عن الظلم؛ هو قادر على أن يظلم عزوجل ولكنه لكمال عدله لا يظلم.

ولدينا قاعدة في العقيدة وهي: أن جميع الصفات التي نفاها الله عن نفسه لا يراد بها مجرد النفي وإنما يراد بها إثبات كمال الضد؛ فمثلا الظلم ما ضده ؟ العدل؛ فإذا نفى الله عن نفسه الظلم فالمراد بذلك أنه لكمال عدله لا يظلم؛ وإنما قلنا ذلك لأن النفي المحض لا يوجد في صفات الله أبدا؛ إذ أن النفي المحض عدم محض, على اسمه نفي, والنفي لا يثبت شيئا فهو عدم المحض, والعدم المحض ليس بشيء فضلا عن أن يكون كمالا؛ أفهمتم هذا يا جماعة ؟ إذا كلما رأيتم شيئا نفاه الله عن نفسه فاعلموا أنه ليس المراد نفي هذا الشيء فقط بل المراد إثبات كمال ضده؛ طيب: ((**وما مسنا من لغوب**)) يعني من تعب، ما المراد ؟ إثبات كمال القوة, يعني ما مسنا من لغوب لكمال قوتنا وهلم جرا؛

قال العلماء: النفي قد يكون للعجز عن الشيء؛ وقد يكون لعدم قابلية الشيء، للعجز أو لعدم القابلية؛ فإذا قلت: إن جدارنا لا يظلم؛ هذا لعدم القابلية لأن الجدار لا يقبل الظلم ولا العدل؛ أليس كذلك, طيب, وإذا قلنا عن رجل ضعيف يضربه الناس ولا يتكلم, يمكن إذا ضربه أحد قال جزاك الله خيرا, ولا يستطيع أن يدافع عن نفسه؛ نقول هذا الرجل لا يظلم؛ ذم أو مدح ؟

الطالب: هذا ذم،

الشيخ: هذا ذم؛ ولهذا يقول الشاعر في ذم قبيلة يقول:

قبيلة لا يغدرون بذمة ولا يظلمون الناس حبة خردل؛

الذي يقرأ البيت هذا يقول ما شاء الله هذا هؤلاء ناس جيدين، لا يغدرون بذمة يعني يوفون العهد؛ ولا يظلمون الناس حبة خردل يعني أنهم ؟ عاجزون, لا يقدرون أن يقدروا بالذمم لأنهم يخافون أن يعاقبوا؛ ولا يظلمون الناس لأنهم لا يستطيعون أن يظلموا الناس؛ واضح ؟ ومن ذلك قول الشاعر:

لكن قومي وإن كانوا ذوي عدد ليسوا من الشر في شيء وإن هان؛

يعني الشر بعيدين عنه ولو كان هينا؛

يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة ومن إساءة أهل السوء إحسانا؛

كلام طيب، الذي يسمعه يقول: هؤلاء طيبين؛ لأيش ؟ لأنه يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة، إذا ظلمهم أحد قالوا: غفر الله لنا ولك أنت مسامح؛ وإذا أساء إليهم أحد ذهبوا يمدونه بالهدايا, يجزون من الإساءة إحسانا؛ عندما يسمع السامع هذا البيت يظن أنهم في قمة الأخلاق العالية, لكنه بالعكس؛ ولهذا قال:

فليت لي بهم قوما إذا ركبوا شنوا الإغارة فرسانا وركبانا؛

فليت لي بهم: أي فليت لي بدلهم؛ إذا فهمنا الآن أن كلام الأول مدح أو ذم ؟ أن الكلام الأول ذم؛ أما صفات الله عزوجل فإذا وجدت فيها النفي فهي مدح، إذا وجدت نفي الظلم فلكمال العدل، إذا وجدت نفي اللغوب فلكمال القوة، إذا وجدت نفي العي: ((**ولم يعي بخلقهن**)) فلكمال القوة أيضا، إذا وجدت نفي الغفلة: ((**وما الله بغافل عما تعملون**)) فلكمال العلم والمراقبة وهكذا .

يقول الله عزوجل: ((**إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون**)) أخذنا فوائدها .

قال: ((**وما كان لنبي أن يغل**)) يستفاد من هذه الآية الكريمة أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا يجوز في حقهم كتمان ما أنزل الله عليهم؛ لقوله: ((**وما كان لنبي أن يغل**)) .

ويستفاد من هذا: أنه لا يجوز لأتباع النبي الغلول: ((**وما كان لنبي أن يغل**)) إذا فأتباعه ليس لهم أن يغلوا؛ ولهذا كان الغلول من كبائر الذنوب، حتى إن العلماء يقولون وقد جاءت به السنة أيضا: أن الغال يحرق رحله إلا المصحف وما فيه روح والسلاح؛ تحريق الرحل من أجل التنكيل به؛ وإلا فمن الممكن أن يقول قائل: لماذا تحرقون رحله لماذا لا تتركونه في بيت المال, ينتفع المسلمون منه ؟ لكن نقول إن إحراقه خير من إدخاله بيت المال؛ لأيش ؟ لأجل التنكيل به، ليكون ردعا له ولغيره أن يعودوا إلى الغلول .

ومن فوائد الآية الكريمة أيضا: أن الأنبياء لا يغلون شرعا أو قدرا ؟ شرعا؛ وأن النبي لا يحل لأحد أن يغله، أن يغل من الغنيمة التي اكتسبها بحرب .

ومن فوائد الآية الكريمة: أن الجزاء من جنس العمل؛ لقوله: ((**ومن يغلل يأت بما غل يوم القيمة**)) وهذا على سبيل العقوبة أو على سبيل الإكرام ؟ على سبيل العقوبة؛ وبهذا نعرف ضعف قول من قال من السلف: غل المصحف لتأتي به يوم القيمة؛ هذا خطأ, لأنه يأتي به يوم القيمة على سبيل العقوبة لا على سبيل الثواب؛ وربما يأتي به يوم القيمة لا على الوجه الذي غله في الدنيا .

ومن فوائد هذه الآية: إثبات البعث، إثبات البعث؛ لقوله: ((**يأت بما غل يوم القيمة**)).

ومن فوائدها: إثبات قدرة الله عزوجل، وأنه سبحانه وتعالى قادر على أن يأتي الإنسان بما غل مع أنه قد فني وزال وإذا كان طعاما قد أكل؛ ولكن الله سبحانه وتعالى على كل شيء قدير: ((**إنما أمره إذا أرد شيئا أن يقول له كن فيكون**)) .

ومن فوائد الآية الكريمة: جزاء كل نفس بما كسبت؛ لقوله: ((**ثم توفى كل نفس ما كسبت**)) لا زيادة ولا نقص؛ واستدل بعض العلماء بهذه الآية على أن إهداء ثواب القرب لا يجدي شيئا؛ لأنه ليس من كسب المهدى

إليه؛ مثاله: رجل صلى ركعتين ينويها لفلان أو فلانة؛ يقول بعض العلماء: إنه يؤخذ من هذه الآية أن ذلك لا يجدي شيئا, وأن ثوابه إما أن يضيع وإما أن يكون للعامل؛ وذلك أن المهدي للقرب ليس له ثواب إلا الإحسان إلى الغير فقط؛ أما ثواب العمل المخصوص المرتب عليه فإنه إن قيل بصحة إهداء القرب يكون لمن ؟ للمهدى له, وإن قلنا بعدم صحته فإنه يذهب هدرا, لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (**إنما الأعمال بالنيات**) وعلى هذا فيقولون: إنما جاءت به السنة من العمل للغير مستثنى من هذا العموم, مثل قوله صلى الله عليه وسلم: (**من مات وعليه صيام صام عنه وليه**) وكذلك في الحج, وكذلك في الصدقة, كل هذا جاءت به السنة؛

ولكن الإمام أحمد رحمه الله يرى التعميم، أي يرى أن الإنسان إذا عمل عملا نواه لشخص وهو أهل لأن يثاب؛ ومن هو الأهل أن يثاب ؟ المسلم, فإنه يصل إليه الثواب؛ واستدل بعموم قول النبي صلى الله عليه وسلم: (**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى**) والحقيقة أنك إذا تأملت الأدلة وجدت أن بعضها بينه وبين الأدلة الأخرى عموم وخصوص من وجه؛ فبعضها عام في أنه لا ينفع النفس إلا ما كسبت، وبعضها عام في أن الإنسان له ما نوى؛ والقاعدة في ما إذا تعارض نصان عامان أحدهما أعم من الآخر من وجه فإنه يطلب المرجح، انتبه هذه القاعدة؛ أنتم فاهمين هذا المعنى أو لا ؟ أقول: إذا تعارض نصان عامان كل واحد أعم من آخر عن وجه فإنه يطلب المرجح, لأنه لا يمكن أن ترجح عموم أحدهما على الثاني؛ فهنا نسأل هل لعموم قوله: (**إنما الأعمال بالنيات**) ما يرجحه ؟ نقول: نعم، ورد أن الصدقة تجزئ عن الميت، وأن الحج يجزئ عن الميت، وأن الصيام يجزئ عن الميت؛ إذا فعموم قوله: ((**ما كسبت**)) خصص بهذا بمقتضى السنة؛ والعام إذا خصص ضعفت دلالته على العموم, حتى إن بعض العلماء قال: إن العام إذا خصص سقطت دلالته على العموم, لأن تخصيصه يدل على أنه لا يراد به العام؛ لكن الصحيح أن العام إذا خصص بقي على عمومه في غير ما خصص به؛ فالصحيح في هذه المسألة أننا نرجح عموم قوله: (**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى**) لكن بشرط أن يكون المنوي له العمل مسلما أهلا لذلك؛ ولهذا لو أن شخصا تصدق عن أبيه الذي مات وهو لا يصلي فإن الصدقة لا تصح لأبيه .

هل يشمل قولنا على الراجح ؟ أن جميع القرب يصح إهدائها لمن هو أهل لذلك العمل, هل يشمل النبي صلى الله عليه وسلم ؟ بمعنى هل الإنسان إذا أرد أن يهدي للرسول صلى الله عليه وسلم قربة من الصلوات أو غيرها يقول: اللهم إني إن صلاتي هذه التي سأصليها ثوابها للرسول؛ أو هذه الدراهم التي أتصدق بها ثوابها للرسول ؟

نقول: إن هذا فعله بعض العلماء؛ ولكن لم يفعله السلف الصالح؛ فالصحابة ما أهدوا للرسول صلى الله عليه وسلم شيئا من القرب وكذلك التابعون وتابعون؛ وقد ذكر أن أول ما حدث هذا الأمر في القرن الرابع, أي بعد

القرون المفضلة, وذلك لأن القرون المفضلة أعمق علما ممن بعدهم؛ يقول أهل القرون الأولى: إننا إذا علمنا أي عمل صالح فإن للنبي صلى الله عليه وسلم مثل ثوابنا؛ وإذا كان كذلك فلا حاجة أن نقول: اللهم اجعل ثوابي للرسول؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد استحق الثواب؛ لا أستفيد من قولي: اللهم اجعل ثوابه للرسول أو إني نويت ثوابه للرسول إلا أني حرمت نفسي الأجر فقط؛ أما الرسول صلوات الله وسلامه عليه فإن جميع ما نعمل من الخير يكتب له مثله .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: إثبات نفي الظلم عن الله؛ لقوله: ((**وهم لا يظلمون**)) .

ويتفرع على هذا بناء على القاعدة التي ذكرناها في الصفات: إثبات كمال عدله سبحانه وتعالى.

ثم قال الله تعالى: ((**أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله**)) الهمزة هنا للاستفهام وليها حرف عطف؛ وقد ذكرنا فيما سبق أنه إذا جاءت همزة الاستفهام وبعدها حرف عطف فإن لعلماء النحو في ذلك رأيين؛ الرأي الأول: أن الهمزة داخلة على جملة مقدرة، على جملة مقدرة تناسب المقام؛ والفاء عاطفة على تلك الجملة؛ والرأي الثاني: أن الهمزة داخلة على الجملة الموجودة ولم يحذف شيء, ولكنها مقدمة عن موضعها لأن لها الصدارة؛ وأن الفاء في مثل: ((**أفمن اتبع**)) محلها في الأصل قبل الهمزة, والتقدير: فأمن اتبع ؛ ولكن لما كان الاستفهام له الصدارة قدمت على حرف العطف؛ وقلنا إن هذا أسهل؛ ووجه سهولته أنه لا يحتاج إلى تكلف تقدير المحذوف, لأنه أحيانا يصعب عليك أن تقدر المحذوف؛ وربما تقدر محذوفا ويقدر غيرك غيره؛ إذا نعتمد أن الهمزة للاستفهام وأن الفاء عاطفة على ما قبلها .

((**أفمن اتبع رضوان الله كمن باء**)) من: هنا اسم استفهام أو اسم موصول ؟ التقدير أفالذي اتبع؛ إذا هي اسم موصول لأن لا نجعل أداة الاستفهام داخلة على اسم الاستفهام أو على جملة استفهامية؛ ((**أفمن اتبع رضوان الله**)) أي تتبعه، أي تتبع ما يرضي الله عزوجل؛ فكل ما يرضي الله يقوم به: ((**كمن باء بسخط من الله**)) أي كالذي باء أي رجع, ((**باء**)) بمعنى رجع, أي كالذي رجع بسخط من الله, ضد الرضوان.

من هو الذي يتعرض للرضوان والذي يتعرض للسخط ؟ المطيع يتعرض للرضوان والعاصي للسخط .

((**كمن باء بسخط من الله ومأواهم جهنم**)) الواو يحتمل أن تكون للاستئناف, ويكون المراد بها الإخبار عن مآل هذا الذي باء بسخط من الله؛ ويحتمل أن تكون عاطفة على جملة صلة الموصول وهي: ((**باء**)) أي كمن باء وكمن مأواه جنهم؛ ((**ومأواه جهنم**)) مأواه: أي مرجعه الذي يأوي إليه إيواء لا مغادرة بعده؛ وجهنم اسم من أسماء النار . أعاذنا الله وإياكم منها . وسميت بهذا الاسم المشتق من الجهمة، الجهمة تتضمن السواد واللبس,

لأن جهنم سوداء عميقة بعيدة العمق؛ وقيل: إن جهنم لفظ معرب، معرب من كهنام، وكهنام أصلها النار, اسم للنار, يعني يقال: نار كهنام؛ ما أدري هذه لغة باكستانية أو فارسية ؟

الطالب: فارسية,

الشيخ: ما عندنا فوارس ؟ ليست فارسية؛ على كل حال أننا بلغنا أنها معربة من هذا, يعني أن أصلها في غير اللغة العربية كهنام ثم بالتعريب صار جهنم؛ وقوله: ((**وبئس المصير**)) بئس جملة إنشائية لإفادة الذم؛ ونعم جملة إنشائية لإنشاء المدح؛ وبئس ونعم يحتاجان إلى شيئين؛ إلى فاعل ومخصوص؛ كلما جاءت نعم وبئس فإنها تحتاج إلى فاعل ومخصوص؛ فهنا المصير: ((**وبئس المصير**)) المصير فاعل, والمخصوص محذوف تقديره: وبئس المصير هي أي جهنم؛ أو وبئس المصير مصيره, يعني يجوز هذا وهذا .

في هذه الآية الكريمة من الفوائد: بيان أنه لا يستوي من يتبع رضوان الله ممن يبوء بسخطه؛ لقوله: ((**أفمن اتبع كمن باء**)) والاستفهام هنا لأي شيء ؟ للنفي، الاستفهام للنفي .

ومن فوائدها: إثبات وصف الله بالرضا, يعني إثبات أن الرضا صفة من صفات الله؛ لقوله: ((**رضوان الله**)) ومن قاعدة أهل السنة والجماعة أن كل وصف وصف الله به نفسه فإنه يجب علينا أن نؤمن به وأن نصف الله به, فنقول: إن لله رضوانا وأنه يرضى .

والرضى صفة فعل أو صفة لازمة ذاتية ؟ صفة فعل, لأن الرضا له سبب, وكل صفة من صفات الله لها سبب فإنها من الصفات الفعلية؛ عرفتم ؟ طيب, أنكر بعض الناس الصفات الفعلية لله، أنكروها متعللين بعلتين؛ العلة الأولى: أن صفات الأفعال حادثة, والحوادث لا تقوم إلا بحادث, لأن حدوث الصفة يدل على حدوث الموصوف, فالحوادث لا تقوم إلا بحادث .

العلة الثانية: قالوا إن كانت هذه الصفة كمالا لزم أن يكون متصفا بها دواما؛ وإن كانت نقصا لزم أن يمتنع من الاتصاف بها دائما؛ واضح التعليل الثاني ؟

الطالب: غير واضح؛

الشيخ: يقولون الصفات الفعلية التي تحدث بعد أن لم تكن موجودة إن كانت كمالا لزم أن يتصف بها دواما ما تتعلق بالمشيئة؛ وإن كان نقصا لزم أن يمتنع منها دواما ألا يتصف بها دواما؛ صح أو لا ؟ لأن النقص لا يمكن أن يتصف الله به؛

أما الأول, العلة الأولى فنقول: إن قولكم إن الحوادث لا تقوم إلا بحادث غير صحيح, لأن الحوادث فعل الفاعل, والفعل عقلا يتأخر عن الفاعل لاشك, لأن الفعل يكون بإرادة الفاعل وقدرته, وهو متأخر عن وجوده؛ فالفاعل

سابق للمفعول وسابق للفعل أيضا, فكيف نقول: إن الحادث لا يقوم إلا بحادث ؟ يجوز أن يكون أزليا ثم حدث منه الفعل, كما أننا نحن الآن نولد وتحدث أفعالنا متى ؟ بعد ولادتنا؛ هذه واحدة؛

الثاني, التعليل الثاني ما هو ؟ أنها إن كانت هذه الصفة كمالا, إن كانت كمالا وجبت أن يتصف بها دواما, وإن كان نقصا لزم أن لا يتصف بها دواما؛ فنقول في الجواب على هذا: هي كمال حال فعلها، حال فعلها كمال لاشك, وحال عدمها ليس كمالا، الكمال في عدمها، واضح يا جماعة ؟ الرضا خذ الرضا، الرضا على من يستحق الرضا كمال, ولا يستحق الرضا إلا بعد فعل ما يوجبه؛ الرضا لمن لا يستحق ؟ نقص؛ لأنه ينافي الحكمة؛ فإذا إذا اتصف الله بالرضا فإنه اتصف به في الحال التي يكون بها كمالا؛

الرضا يفسره الذين يقتصرون على إثبات سبع صفات بأنه الثواب أو إرادة الثواب؛ والصحيح أن الرضا صفة نفسية يتصف الله بها عزوجل وليست الثواب, لأن الإثابة خلق ما يثاب به، خلق ما يثاب به غير الرضا؛ وهي أي الإثابة من مقتضيات الرضا وآثاره, وليست هي الرضا بلا شك؛ أنت الآن إذا رضيت عن شخص بعد أن ترضى عنه تثيبه بما ترى أنه ثواب له؛ أليس كذلك ؟

الطالب: بلى؛

الشيخ: طيب, إذا كان هكذا فإنه لا يصح أن نفسر الملزوم باللازم لأنهما شيئان متباينان؛ فحينئذ يتبين أن الصواب ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة . جعلني الله وإياكم منهم . ما هو ؟ أن نصف الله بما وصف به نفسه ولا نغير؛ رضوان الله نعم الله يرضى وما المانع ؟ وليس فيه أي محذور ولا نقص .

السائل: في قوله تعالى: ((**أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله**)) كيف يكون التقدير على المذهب الثاني ؟

الشيخ: الثاني: ((**أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله**)) يعني التقدير: أتسوون بين طالب الرضى والمتعرض للسخط فمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط منه؛ ولهذا الواقع أن القول الثاني أسهل بكثير، أحيانا يتحير الإنسان ما يعرف كيف يقدر .

السائل: على القول أن الفاء عاطفة على ما قبلها, أحيانا أيضا لا تجد ضابطا بين المعطوف والمعطوف عليه ؟

الشيخ: تكون للاستئناف لأن الفاء تأتي للاستئناف نعم .

السائل: ... فهل إثبات صفات الكمال لله نفي لضدها ؟

الشيخ: لا؛ لكن يكون متصفا بهذا, مثلا لو قلت: فلان شجاع؛ هل معناه أنه ينتفي عنه البخل ؟ أو ينتفي عنه الجبن ؟ نعم ينتفي عنه الجبن؛ فهذه ربما نقول, لكن ما أستطيع الآن أن أجزم بأنها قاعدة مطردة، أن إثبات صفات الكمال نفي لضدها؛ لكنها بالنسبة لصفات الله لاشك أنها نفي لضدها .

السائل: قلنا أن عموم قوله سبحانه وتعالى: ((**ثم توفى كل نفس ما كسبت**)) خصص بالصدقة والصيام؛

الشيخ: عن الغير ؟

السائل: رجحنا: (**إنما الأعمال بالنيات**) على هذا العموم؛ فهنا لماذا لم نقل أن هذا العموم مخصص بهذه الأشياء فلا نقيس عليها أشياء أخرى غير الصدقة مثل الصلاة ؟ الشيخ: لأنه لما خرج من عمومه ما خرج ضعف العموم, حتى إني قلت لكم بعض العلماء يقول: إنه إذا خرج منه شيء من عمومه سقط عمومه أصلا .

السائل: قول النبي صلى الله عليه وسلم: (**من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد**) هذه الأعمال قد يقول قائل: ما كانت على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولا على عهد السلف ؟

الشيخ: نعم, لأنهم ما تعرضوا لها, لكن تعرضوا لمثلها وأجازه الرسول؛

السائل: إهداء الثواب إلى أبي بكر يجوز,

الشيخ: الصواب أنه يجوز لكنه خلاف الأولى . يجوز لكنه خلاف الأولى حتى لوالديك الأولى أن لا تهب لهم شيء .

الطالب: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ((**أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس المصير هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين**)) .

الشيخ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ؛ قال الله عزوجل: ((**أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس المصير**)) الاستفهام هنا ؟

الطالب: للنفي

الشيخ: للنفي, يعني ليس هذا كهذا.

الشيخ: طيب و"من" في قوله: ((**أفمن اتبع**)) ؟

الطالب: موصولة؛

الشيخ: موصولة بمعنى ؟ الذي طيب.

الشيخ: وبماذا يكون اتباع رضوان الله ؟

الطالب: بطاعته.

الشيخ: بطاعة الله واجتناب معاصيه .

الشيخ: ((**كمن باء**)) من ؟

الطالب: ما حضرت ؟

الشيخ: حضرت أو ما حضرت بسيطة ؟

الطالب: اسم موصول؛

الشيخ: اسم موصول يعني كالذي باء بسخط .

الشيخ: ما معنى: ((**باء**)) ؟

الطالب: رجع،

الشيخ: كمن رجع بسخط من الله واكتسبه .

الشيخ: قوله: ((**وبئس المصير**)) يقولون إن هذه الجملة إنشائية فعلها جامد لإنشاء الذم وتحتاج إلى فاعل وأيش ؟ تحتاج إلى فاعل وأيش ؟

الطالب: مخصوص؛

الشيخ: ومخصوص؛ أين الفاعل ؟

الطالب: ((**المصير**)).

الشيخ: الفاعل مستتر يعني ؟

الطالب: التقدير: بئس هو ؟

الشيخ: لا؛ ما نريد المخصوص نريد الفاعل,

الطالب: موجود الفاعل

الشيخ: الفاعل هو المصير, والمخصوص محذوف تقدير بئس المصير مصيره, أو بئس المصير هي أي النار .

في هذه الآية الكريمة: الحث على اتباع رضوان الله؛ لأن هذا الاستفهام لنفي المساواة بين من اتبع رضوان الله وبين من اتبع سخطه .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: إثبات الرضى لله, وأن الله موصوف بالرضى؛ والرضى صفة من صفات الله الحقيقية, وهي من صفات الأفعال؛ أليس كذلك ؟

الطالب: بلى؛

الشيخ: وقد علمتم أن من أهل البدع من أنكر صفات الأفعال متعللا بعلتين معلولتين هما ؟

الطالب: الأولى: أن الأفعال حادثة لا تقوم إلا بالحادث؛ والثانية: قالوا لو كانت كمالا لوصف الله تعالى بها على الدوام وإن كانت نقصا ...

الشيخ: وإن كانت نقصا لم يتصف الله بها ؛ قالوا: إن كان الرضى كمالا وجب أن يكون موصوفا به أزلا وأبدا؛ وإن كان نقصا وجب أن لا يتصف به، امتنع أن يتصف به أزلا وأبدا؛ لأنه إذا كان نقص كيف يتصف الله به ؟ إن كان كمالا يلزم أن يكون الله متصفا به دائما .

الشيخ: ما هو الجواب عن الشبهة الأولى ؟

الطالب: يقول ردا عليهم أن الفعل لا يأتي إلا بعد الفاعل؛ يعني الفعل يحدث من الفاعل؛

الشيخ: نقول إن هذه قاعدة خطأ, يعني لا يلزم من حدوث الصفة حدوث الموصوف؛ كذا ؟ طيب, لأن الصفة ما تكون إلا بعد وجود الموصوف، الفعل لا يكون إلا بعد وجود الفاعل, وهذا نحن نفعل أفعال حادثة مع أننا سابقون عليها .

الشيخ: جواب شبهة الثانية ؟ ... يكون كمالا حين يوجد سببه فيرضى؛ ويكون نقصا إذا لم يوجد سببه، لو أن الله رضي عن الكافرين لكان هذا ينافي الحكمة . تمام.

من فوائد الآية الكريمة: إثبات السخط لله؛ لقوله: ((**كمن باء بسخط من الله**)) والسخط والغضب معناهما متفارق؛ وأهل السنة يقولون: إن السخط صفة حقيقية ثابتة لله, وأهل البدع يقولون: لا، لا يمكن أن يسخط الله عزوجل, بل المراد بالسخط: الانتقام أو إرادة الانتقام؛ معنى سخط الله: يعني ليس وصفا في نفسه بل معناه انتقم وعاقب المسخوط عليه؛ أو أراد أن ينتقم منه؛ وهذا بناء على أن صفات الأفعال لا تقوم بالله كما سبق, التعليل هو ما سبق.

ونحن نقول إن الانتقام من آثار السخط, وإرادة الانتقام أيضا من آثار السخط, والدليل على هذا قوله تعالى: ((**فلما آسفونا انتقمنا منهم**)) آسفونا: بمعنى أغضبونا انتقهما منهم؛ فجعل الانتقام بعد وجود الغضب؛ وهذا يدل على أن هذا ليس هو هذا .

من فوائد الآية الكريمة: التحذير من التعرض لسخط الله؛ لقوله: ((**كمن باء بسخط من الله**)) .

ومن فوائد الآية الكريمة: إثبات النار؛ لقوله: ((**ومأواه جهنم**)) وهي ثابتة، الآن موجودة ولا تفنى أبدا، لا تفنى أبدا؛ لأن الله ذكر التأبيد في ثلاثة مواضع من كلامه، في سورة النساء وفي سورة الأحزاب وفي سورة الجن؛ فقال في سورة النساء: ((**إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهدهم طريقا إلا طريق جهنم خالدين**

فيها أبدا)) وقال في سورة الأحزاب: ((**إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا خالدين فيها أبدا**)) وقال في سورة الجن: ((**ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدا**)).

الشيخ: ومن فوائد الآية الكريمة: إثبات النار؛ لقوله: ((**ومأواه جهنم**)) وهي ثابتة، الآن موجودة ولا تفنى أبدا، لا تفنى أبدا؛ لأن الله ذكر التأبيد في ثلاثة مواضع من كلامه، في سورة النساء وفي سورة الأحزاب وفي سورة الجن؛ فقال في سورة النساء: ((**إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهدهم طريقا إلا طريق جهنم خالدين فيها أبدا**)) وقال في سورة الأحزاب: ((**إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا خالدين فيها أبدا**)) وقال في سورة الجن: ((**ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدا**)). ولا قول بعد قول الله عزوجل, لأن قوله أصدق الكلام وأبين الكلام وهو الخالق عزوجل.

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: ذم النار والثناء عليها بالقدح؛ من أين تؤخذ ؟ من قوله: ((**وبئس المصير**)) .

ومن فوائدها: التنبه لأمر يتكلم فيه الناس كثيرا الآن؛ يقولون إذا مات الرجل: إنه رجع إلى مثواه الأخير؛ وهذا لو أخذنا بظاهره لكان يتضمن إنكار البعث, مع أن القبر ليس المثوى الأخير؛ ما هو مثوى الأخير ؟ الآخرة، الجنة أو النار؛ القبر مزار؛ سمع أعرابي رجلا يقرأ قول الله تعالى: ((**ألهكم التكاثر حتى زرتم المقابر**)) فقال: والله إن الزائر ليس بمقيم؛ شف إن الزائر ليس بمقيم, من أين فهم هذا ؟ من: ((**زرتم**)) وهذا فهم فطري ما يحتاج إلى دراسة؛ نعم, لكن الأعراب عندهم ذكاء, بعضهم عنده ذكاء عظيم؛ وهذا كالذي سمع قارئا يقرأ: والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله غفور رحيم؛ قال الأعرابي: اقرأ الآية صوابا ؟ فقال: والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله غفور رحيم؛ قال: اقرأها، اقرأها صوابا ما هو هكذا؛ فقال: ((**والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم**)) قال: الآن، عز وحكم فقطع, ولو غفر ورحم ما قطع؛ ولهذا قال في الذين يحاربون الله ورسوله قال فيهم: ((**إنما جزائهم أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم**)) قال العلماء: في هذا دليل على أنهم إذا تابوا قبل القدرة عليهم خلي سبيلهم لأن الله قد غفر لهم ورحم؛ فمن أين أخذوا أن الله غفر لهم ورحمهم ؟ من ختم الآية: ((**فاعلموا أن الله غفور رحيم**)) لأن مقتضى علمنا بهذا أن نفهم أن الله غفر لهم ورحمهم .

ثم قال الله عزوجل: ((**هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون**)) هم: من ؟ يعود الضمير على من اتبع رضوان الله وعلى من باء بسخط من الله؛ ولكن هنا يشكل علينا أنه أعاد الضمير بصيغة الجمع هم مع أن من وصلتها بصيغة الإفراد, أفمن اتبع كمن باء؛ والجواب عن ذلك سهل: لأن الاسم الموصول يفيد العموم, فيجوز أن يعود الضمير إليه باعتبار لفظه ويجوز أن يعود إليه باعتبار معناه؛ ألم تسمع إلى قول الله تعالى: ((**والذي جاء**

بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون)) ما قال: أولئك هو المتقي, بل قال: ((**هم المتقون**)) فأعاد الضمير على معنى اسم الموصول، على معنى اسم الموصول وهو الجمع؛ قال: ((**هم**)) أي الذين اتبعوا رضوان الله والذين باءوا بسخط من الله: ((**هم درجات عند الله**)) درجات منازل، منازل عند الله, يختلفون؛ فكل من كان أتبع لرضا الله كان أرفع عند الله, وكلما كان أبعد من الله كان أنزل؛ فهم درجات: ((**هم درجات عند الله**)) أي في المراتب؛ فما ميزان هذه الدرجات ؟ أشرنا إليه, كل من كان أتبع لرضوان الله كان أرفع درجات عند الله, والعكس بالعكس .

((**والله بصير بما يعلمون**)) بصير: اسم فاعل يجوز أن يكون من الإبصار بالعين, ويجوز أن يكون من الإبصار بالعلم؛ فيكون بصير بمعنى عليم, أو بصير بمعنى رآء؛ وهل لله بصر ؟ نعم, قال النبي صلى الله عليه وسلم: (**حجابه نور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلق**)؛ ((**والله بصير بما يعملون**)) أي بالذي يعملونه من ظاهر وباطن وخير وشر.

ومن فوائد الآية الكريمة: أن الناس عند الله منازل مختلفة .

ويتفرع على هذه الفائدة أن الإيمان يزيد وينقص؛ لأن زيادة الدرجات بعد زيادة الإيمان, باليقين والعمل الصالح؛ زيادة الإيمان هل هي زيادة اليقين, أو زيادة الأقوال, أو زيادة الأفعال, أو الجميع؟ الجميع؛ فاليقين يتفاضل لاشك؛ والأقوال تتفاضل, ليس من قال: لا إله إلا الله عشرا كمن قالها عشرين مثلا؛ الأفعال كذلك تتفاضل, ليس من صلى ست ركعات كمن صلى عشر ركعات؛ أليس كذلك ؟ وهذا هو ما جرى عليه أهل السنة والجماعة أن الإيمان يزيد وينقص؛ يزيد باليقين والقول والفعل؛ كيف يزيد اليقين هل اليقين يتفاضل ؟ نعم يتفاضل بنص القرآن، قال إبراهيم عليه الصلاة والسلام لله عزوجل: ((**رب أرني كيف تحيي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي**)) هذا دليل من القرآن؛ دليل من الواقع أن الإنسان كلما كثر المخبرون بالخبر ازداد يقينا, وإذا شاهد ازداد أكثر؛ ولهذا جاء في الحديث: (**ليس الخبر كالمعاينة**) أما زيادة الأقوال والأفعال هذا شيء واضح ولا إشكال فيه .

من فوائد هذه الآية الكريمة: إثبات العلو لله عزوجل، إثبات العلو؛ لقوله: ((**عند الله**)) والعندية تعني عندية المكان؛ وإذا كانوا درجات فالدرجات ترتفع شيئا فشيئا؛ فيؤخذ منها إثبات علو الله؛ وهذا أمر متفق عليه ومجمع عليه بين السلف, وقد دلت عليه الأدلة الخمسة كلها: الكتاب والسنة والإجماع والعقل والخامس الفطرة؛ يعني علو الله عزوجل دل عليه هذه الأدلة الخمسة: الكتاب والسنة والإجماع والعقل والفطرة؛ الكتاب والسنة مملوءان

من ذلك؛ والإجماع يقول شيخ الإسلام رحمه الله: " **والله يعلم أني بعد البحث التام ومطالعة ما أمكن من كلام السلف ما رأيت أحدا منهم قال" إن الله ليس في السماء** ";

وأما العقل فقد دل على علو الله؛ كيف ؟ كيف دل ؟

الطالب: العلو صفة كمال فالله عزوجل أحق بصفات الكمال؛ والثاني: أن السفل صفة نقص, والله منزه عن النقص؛

الشيخ: تمام, العقل يدل على ذلك, لاشك أن العلو علو المكان كعلو المكانة, أي أنه كمال أو نقص ؟ كمال؛ وإذا كان كذلك فلله كل صفة كمال؛

أما الفطرة فلا تسأل, كل إنسان لم يقرأ كتب أهل البدع أين يتجه قلبه إذا ذكر الله ؟ إلى العلو؛ ولهذا يقال: إن أبا المعالي الجويني كان يقرر في العلو ويقول: إن الله تعالى كان ولم يكن شيء قبله, وهو الآن على ما كان عليه؛ هذا الكلام ما يفهمه الإنسان؛ كان ولم يكن شيء قبله وهو الآن على ما كان عليه؛ ما يفهمه الإنسان, نعم ؟ لكنه يريد أن ينكر استواء الله على العرش؛ فقال له الهمداني رحمه الله: " **يا شيخ دعنا من ذكر العرش, أخبرنا عن هذه الضرورة التي يجدها الإنسان, ما قال عارف قط: يا الله إلا وجد من قلبه ضرورة بطلب العلو** "؛ صح أو لا؟ أنت لو ما درست شيئا أبدا تقول" يا الله وين يروح قلبك ؟ فوق؛ فجعل يضرب على رأسه ويقول: "**حيرني الهمداني حيرني** "؛ ما له جواب؛ طيب إذا نقول: علو الله ثابت في الأدلة الخمسة، في الكتاب والسنة والإجماع والعقل والفطرة، وكما رأيتم ابن القيم رحمه الله يكرر هذا المعنى في النونية تكرارا كثيرا لأنه من أعلى صفات الكمال .

من فوائد هذه الآية الكريمة: إثبات إحاطة الله عزوجل بما نعمل؛ لقوله: ((**والله بصير بما يعملون**)) ويترتب على هذا الأدب السلوكي, وهو أن نحذر من مخالفته؛ لأننا إذا كنا نعلم أنه بصير بما نعمل فسوف نتجنب كل ما يسخطه عزوجل, ونأتي كلما يرضيه, لاسيما وأن الآية جاءت بعد قوله: ((**أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله**)) .

ثم قال الله تعالى: ((**لقد من الله على المؤمنين إذ بعث**)) لقد: كل ما وجدت في القرآن لقد فإنها جملة مؤكدة, كم مؤكد ؟ بثلاثة مؤكدات، كلما جاءت لقد في القرآن فإنها جملة مؤكدة بثلاثة مؤكدات وهي: القسم المقدر, واللام ,وقد؛ إذ تقدير الكلام: والله لقد من الله .

فإذا قائل: ما الداعي للقسم مع كون الأمر ظاهرا ؟ لأن القسم إنما يقال للشاك أو المنكر، للشاك المتردد تحلف له، أو المنكر تحلف له أيضا؛ فلماذا أقسم الله في هذه الآية على أنه مان على المؤمنين ببعث محمد صلى الله عليه وسلم ؟ هو لو قال: لقد من الله على الناس؛ لكن قال: ((**على المؤمنين**)) الذين يعرفون أن ذلك منة ؟

نقول: إن الداعي للقسم ليس هو الإنكار أو الشك من المخاطب بل قد يكون الداعي للقسم أهمية المقسم عليه، أهمية المقسم عليه, وإن لم يكن هناك شك؛ وهذه الآية من هذا النوع, يعني المقصود بذلك بيان أهمية هذه المنة العظيمة التي لا يعادلها شيء .

السائل: لماذا نقول النار دركات والجنة درجات ؟

الشيخ: أسمعتم الإشكال ؟ يقول النار دركات والجنة درجات ؟ نقول: الدرجات إذا جاءت عامة دخل هذا وهذا يعني صلحت لهذا وهذا، قال الله تعالى: ((**ولكل درجات مما عملوا**)) أما إذا خصت بأهل النار فإنه يقال: دركات، كما قال الله تعالى: ((**إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار**)) .

السائل: شيخ كيف نرد على من قال إن الصفات الفعلية ليست كمالا ؟

الشيخ: نقول لمن قال ذلك: إنك أنت لست بكامل وأنت بليد؛ إذا فعلها الله عزوجل فلا شك أن الكمال في فعلها، كل الصفات كمال؛ إذا أنجى الله المؤمنين وأثابهم هذه صفة فعلية, هل هي كما أو نقص ؟ كمال؛ الله عزوجل مستغن عن جميع الخلق, لكنه يظهر من كماله لهم ما يتبين به كماله؛ فنحن نعلم أن من أثاب الطائعين فهو كمال، ومن عاقب المجرمين فهو كمال؛ ولهذا قال: ((**يمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين**)) .

... لا لا، أبدا؛ نقول هو قبل وجودها كمال وبعد وجودها كمال, لأنه لما اقتضت الحكمة وجودها فوجدت صارت كمالا, ولما اقتضت الحكمة عدمها وعدمت صارت كمالا .

السائل: شيخ بارك الله فيك ! قول الله سبحانه وتعالى في سورة النحل: ((**أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون أو يأخذهم في تقلبهم فما هم بمعجزين أو يأخذهم على تخوفهم فإن ربكم لرؤوف رحيم**)) فقول الله سبحانه وتعالى: ((**فإن ربكم لرؤوف رحيم**)) في سياق هذه الآيات التي هي تتضمن شدة العذاب لهؤلاء فما توجيه الآية ؟

الشيخ: الله عزوجل قال: ((**فإن ربكم**)) يخاطب المؤمنين: ((**لرؤوف رحيم**)) فمن رحمته ورأفته بالمؤمنين أن يهلك أعداءهم؛ لأن هلاك أعدائهم لاشك أنه رأفة ورحمة بهم .

السائل: معلوم أن النار لا تفنى وقلنا أن النار يدخلها من كل ألف تسع مائة وتسعة وتسعون رجلا والجنة يدخلها واحد, وأن الجنة محض فضل بخلاف النار ألا يخالف هذا قول الله في الحديث القدسي: (**إن رحمتي سبقت غضبي**) ما يكون له وجه لمن قالوا بفناء النار ؟

الشيخ: شف بارك الله فيك, إذا جاءك النص محكما فاحمل عليه جميع النصوص المتشابهة, مع أن الذي أوردت ليس متشابها في الواقع واضح؛ لأن هؤلاء الذين استحقوا الخلود ليسوا أهلا للرحمة إطلاقا, حتى تكون الرحمة سبقت غضبه؛ هم محل غضب الله ولعنته؛ عرفت ؟ فلو كان الذي فيه سبق الرحمة على الغضب مثلا إنسان عنده حسنات وسيئات, فالحسنات قد تذهب السيئات, والحسنات بعشر أمثالها, والسيئة بواحدة, هذه من سبق الرحمة على الغضب؛ أما هؤلاء فليسوا أهلا للرحمة إطلاقا.

السائل: شيخ عملهم يكافئ عذابهم ؟

الشيخ: أي نعم, لأنهم أفنوا حياتهم كلها في معصية الله، الحياة الدنيا، أفنوا حياتهم كلها بسخط الله, فإذا أفنوا حياتهم كلها بسخط الله, صارت حياتهم الآخرة كلها بعقوبة الله, وهم يعلمون هذا, هم يقرءون كتاب الله, فلماذا لم ينقذوا أنفسهم ؟ ((**جزاء وفاقا**)) لاشك, يعني كما أمضوا الحياة الدنيا كلها بمعصية الله مع أنه جاءهم النذير وجاءهم الآيات وأخبروا ولم ينقذوا أنفسهم, كان مقتضى العدل أن تكون حياتهم الآخرة كلها عقاب .

السائل: يا شيخ الحديث قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم: (**حجابه النور لو كشفه لأحرق سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه**) هل نأخذ من هذا الحديث أن نظر الله سبحانه وتعالى محدود لأنه قال: (**ما انتهى إليه بصره**) بأنه ينتهي ؟

الشيخ: ويش تقولون بهذا ؟ أخونا يقول: (**ما انتهى إليه بصره من خلقه**) هل يفيد أن نظر الله محدود ؟ يفيد أن الخلق محدود، أن الخلق محدود, وليس هذا منتهى البصر لأنه قال: (**ما انتهى إليه بصره من خلقه**) وخلقه كل الذي خلقه ينتهي إليه بصره؛ فالحد هنا في المرئي وليس في الرؤية .

الطالب: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ((**لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم إن الله على كل شيء قدير**)) .

الشيخ: بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أظن ذكرنا لكم فيما سبق ضوابط عامة في القراءات ؟ تذكرون هذا ؟ ذكرنا ضوابط عامة في القراءات, ولكن أكثركم لم يدركها, نقرأها الآن, قراءة ضوابط عامة تقول: هذه ضوابط في القراءات عامة في جميع القرآن:

ضمير هو وهي, الأول بضم الهاء والثاني بكسرها عند جمهور القراء مطلقا؛ تقول هو وهي؛ وسكن الهاء فيهما الكسائي وقالون وأبو عمرو بعد الواو والفاء واللام، سكن الهاء بعد الفاء والواو واللام, مثل: فهو فهي وهو لهي لهو, يعني كلما جاءت في القرآن فلك أن تسكنها ولك أن تضمنها؛ وسكنها الكسائي وقالون أيضا في قوله تعالى: ((**ثم هو يوم القيمة من المحضرين**)) في هذا الموضع فقط؛ لأن هذه وقعت بعد ثم: ((**ثم هْو**)) لكن سكنها الكسائي فقال: ((**ثم هْو**)) بس في هذا الموضع؛ هذا واحد.

ثانيا: ضمير عليهم وإليهم ولديهم مكسور الهاء, عليهم إليهم لديهم مكسور الهاء؛ وقرأها حمزة بضم الهاء في كل القرآن تقول: ((**غير المغضوب عليهُم**)) وتقول: إليهُم؛ وتقول: لديهُم .

ثالثا: ميم الجمع في مثل عليهم ساكن إذا وقع بعده متحرك غير ضمير؛ ميم الجمع في مثل عليهم ساكن إذا وقع بعده متحرك غير ضمير؛ وضمه موصولا ابن كثير فيقرأ: ((**عليهمُ غير**))، إذا كان موصولا: ((**غير المغضوب عليهم**)),

وضمه موصولا ورش إن وقع بعده همزة قطع فيقرأ: ((**عليهمُ أأنذرتهم**)) أما: ((**عليهم غير المغضوب**)) فلا يقرأ؛ فإن وقع بعده ساكن فهو مضموم بدون وصل عند جميع القراء مثل: ((**أتيناهم الكتاب**))؛ وإن وقع بعده ضمير ضم موصولا للجميع مثل: ((**أنلزمكموها**)) لا يصح أن تقول: أنلزلكمها بل لابد من الواو؛ ويستثنى من ذلك ميم الجمع إذا وقع بعد هاء قبلها كسرة أو ياء وبعده ساكن ففيه حال الوصول ثلاث قراءات: ضم الهاء والميم وهي لحمزة وكسائي؛ وكسرهما وهي لأبي عمرو؛ وكسر الهاء وضم الميم وهي للباقين؛ وأما حال الوقف فكلهم كسروا الهاء وسكنوا الميم مثل: ((**بهم الأسباب**)) ((**يريهم الله أعمالهم**)) يقول: بِهِمْ، بَهُمْ ، بَهُمُ .

رابعا: إذا لم يقع بعد هاء الضمير ساكن وكان ما قبله متحركا فهو موصول عند جميع القراء مثل: ((**أماته فأقبره**)) وإن وقع بعده ساكن فهو غير موصول عند الجميع مثل: ((**يعلمه الله**)) وإن كان ما قبله ساكنا فهو موصول عند ابن كثير وحده مثل: اجتباه، عقوله، عليه، ووافقه حفص في آية واحدة وهي وقوله تعالى: ((**فيه مهانا**)) هذه قواعد عامة يحسن أنها تكتب .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم؛ قال الله تبارك وتعالى: ((**لقد من الله على المؤمنين إذ بعث في فيم رسولا من أنفسهم** ...)) سبق الكلام على أول هذه الآية وعلى الآيات التي سبقت.

يقول: ((**لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا**)) هذه الجملة مؤكدة بثلاثة مؤكدات وأوردنا عليها سؤالا وهي لماذا تؤكد مع ظهورها ؟

الطالب: لبيان حجة المقسم عليه، أو الشيء المؤكد؛ وهو بعثه للرسول صلى الله عليه وسلم.

الشيخ: تمام, ومن ذلك قوله تعالى: ((**ثم إنكم بعد ذلك لميتون**)) فأكد مع أن الموت محقق؛ لكن قالوا: لما كان بعض الناس غافلا كأنه لن يموت أكد .

((**لقد من الله على المؤمنين**)) على المؤمنين خاصة دون غيرهم, لأن الكفار لم يعرفوا هذه المنة ولم يرفعوا بها رأسا, ولم يروا في مخالفتها بأسا, فتركوها وأعرضوا عنها وحرموا خيرها؛ أما المؤمنون فهم الذين تبينت لهم هذه المنة واستمسكوا بها.

وقوله: ((**إذ بعث**)) هذه إما أن تكون ظرفا لمنة, وإما أن تكون للتعليل أي: لأنه بعث؛ وكلاهما لا يتنافيان؛ فهي بيان لمحل المنة وهي البعثة, وهي كذلك أيضا تعليل للمنة؛

وقوله: ((**بعث**)) أصل البعث الإنشاء, وسميت الرسالة بعثا لأنها إخراج للناس من حال إلى حال؛ فكأنهم بعثوا خلفا جديدا, وأنشئوا خلقا جديدا؛ وقوله: ((**إذ بعث فيهم رسولا**)) في للظرفية لأن النبي صلى الله عليه وسلم بعث في سطت المؤمنين, وكان هو عليه الصلاة والسلام أشرف من بعث فيهم نسبا ؛ وقوله: ((**رسولا**)) أي مرسلا من عند الله؛ وقوله: ((**من أنفسهم**)) أي من جنسهم؛ وفي سورة: ((**يسبح لله ما في السموات**)) الجمعة قال: ((**هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم**)) لأن النبي صلى الله عليه وسلم من الأميين, وأما عامة الناس فليس منهم ولكنه من أنفسهم أي من جنسهم، كما قال تعالى: ((**ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها**)) فمعنى: ((من أنفسهم)) أي من جنسهم؛ ولاشك أن كونه من جنسنا أتم في النعمة, لأنه لو كان من الملائكة ما ألفه الناس ولا ركنوا إليه, وربما لا يقبلون منه؛ فإذا كان من جنسهم يأكل كما يأكلون, ويشرب كما يشربون, وينام كما ينامون, ويكون معهم في أسواقهم وفي بيوتهم كان ذلك أبلغ في المنة.

وقوله: ((**يتلوا عليهم آياته**)) جملة: ((**يتلوا**)) صفة ثانية لـ ((**رسولهم**)) أي رسولا من أنفسهم تاليا عليهم آياته؛ والتلاوة هنا تشمل التلاوة لفظا والتلاوة معنى والتلاوة حكما؛ التلاوة لفظا يعني يقرأ الكتاب بينهم؛ التلاوة معنى يعني يعلمهم معانيها؛ التلاوة حكما يعني يعمل بأحكامها عليه الصلاة والسلام؛ ولاشك أن هذه الثلاثة كلها تحتملها كلمة: ((**يتلوا**)) فهو عليه الصلاة والسلام يتلوه لفظا ويتلوه معنا قال الله تعالى: ((**وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم**)) ويتلوه عليهم كذلك حكما، قالت عائشة رضي الله عنها: (**كان النبي**

صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم ربنا وبحمدك) يتأول القرآن يعني يطبقه .

قال: ((**آياته**)) آياته الكونية أو الشرعية ؟

الطالب: الشرعية،

الشيخ: الظاهر أن المراد بها الآيات الشرعية, وهي الوحي الذي أنزله الله على رسوله صلى الله عليه وسلم .

((**ويزكيهم**)) أي يطهرهم، يطهرهم حسا ومعنى؛ أما الطهارة حسا فقد أمرهم بالوضوء عند الصلاة, وأمرهم بالغسل من الجنابة, وأمرهم بإزالة النجاسة, بل حث على النظافة عموما؛ وأما التزكية معنى فهو أنه طهر قلوبهم من الشرك والشك والنفاق وسوء الأخلاق, وهذب أخلاقهم عليه الصلاة والسلام حتى زكت نفوسهم وأخلاقهم .

وقوله: ((**يعلمهم الكتاب والحكمة**)) يعلمهم الكتاب والحكمة ليست تكرارا مع قوله: ((**يتلوا عليهم آياته**)) لأن الأول تلاوة, والثاني تعليم؛ والتعليم أخص من التلاوة, لأن الإنسان إذا تلا عندك القرآن لا يعد معلما لك، يعلمك إذا أقرأك إياه ولقنك إياه؛ فالنبي عليه الصلاة والسلام كان يعلمهم الكتاب؛ والتعليم هنا شامل لتعليم اللفظ وتعليم المعنى وتعليم الحكم أي العمل به؛ وقوله: ((**الكتاب**)) يعني القرآن, وسمي كتابا لأنه مكتوب؛ فهو فعال بمعنى مفعول؛ وقد تكرر علينا كثيرا أن فعالا تأتي بمعنى مفعولا, وذكرنا لهذا أمثلة, فمن يستحضر فعال بمعنى مفعول ؟ الطالب: فراش بمعنى مفروش, وغراس بمعنى مغروس

الشيخ: وبناء بمعنى مبني, كتاب بمعنى مكتوب؛ هذا القرآن كتاب مكتوب؛ في أي موضع كتب ؟

الطالب: في اللوح المحفوظ ؟

الشيخ: وغيره ؟

الطالب: بأيدي السفرة أيضا.

الشيخ: الكتب التي بأيدي السفرة, والكتب التي بأيدينا؛ وقال بعض أهل العلم: إن المراد بالكتاب هنا الكتابة؛ لأن العرب كانوا أميين, ولما نزل هذا الكتاب العظيم تعلموا الكتابة, فصاروا يكتبونه للرسول صلى الله عليه وسلم, يكتبون القرآن, ثم صاروا يكتبون بعض الأحاديث, ثم انتشرت الكتابة فيهم؛ وتعلمون أن من جملة الفداء الذي أخذ من أسرى بدر أن يعلموا صبيان أهل المدينة القراءة والكتابة؛ وأيد هذا القائل قوله بأن تعليمهم الكتاب مستفاد من قوله: ((**يتلوا عليهم آياته**))؛ ولكن في هذا نظرا, نحن لا نمنع أن يكون المراد بالكتاب هنا

الكتابة والقرآن جميعا؛ لأن القاعدة عندنا في التفسير أنه متى احتملت الكلمة معنيين فأكثر ولا منافاة بينهما فإن الواجب حملها عليهما؛ لأن كتاب الله عزوجل واسع المعنى؛ فعلى هذا يكون المراد بالكتاب القرآن والكتابة .

وقوله: ((**الحكمة**)) قال بعض العلماء: أي السنة، الحكمة يعني السنة, كما قال تعالى: ((**وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة**)) وقيل: المراد بالحكمة أنه علمهم كيف يضعون الأشياء مواضعها؛ لأن الشريعة الإسلامية تعلم الإنسان كيف يضع الشيء في موضعه, وأيضا علمهم الحكمة التي هي أسرار التشريع؛ لأن الشرع كما تعلمون أحكام وحكم؛ فالأحكام ظاهرة, والحكم هي الأسرار والمعاني التي تناط بها هذه الأحكام؛ والإنسان إذا عرف هذه الحكم والأسرار تبين له أن الشريعة ليست لهوا ولا لعبا, وأن الشريعة ذات معان سامية لا يدركها إلا من فتح الله عليه؛ ويمكن أن نقول بأن الحكمة تشمل هذا وهذا, أي علمهم السنة التي يطلق عليها الحكمة, وعلمهم وضع الأشياء مواضعها وأسرار الشريعة؛ وحكمها ليزدادوا بصيرة في دين الله .

قال: ((**وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين**)) إن: تأتي في اللغة العربية لعدة معان, ويعين المعنى السياق؛ فتأتي إن شرطية وعبد الله يبين لنا مثالا ؟ إن حصل من القرآن فهو أحب إلينا: ((**إن تنصروا الله ينصركم**))؛ وتأتي أيضا نافية ؟؛

الطالب: مثل قوله تعالى: ((**إن هذا إلا قول البشر**))

الشيخ: نعم, علامة إن النافية يا إخوان أن تأتي بعدها إلا: ((**إن هذا إلا سحر مبين**)) ((**إن هذا إلا إفك مفترى**)) ((**إن هذا إلا قول البشر**)) ((**إن هذا إلا ملك كريم**)) فعلامة إن النافية أيش ؟ أن تأتي بعدها إلا ؛ طيب هذا اثنين؛

وتأتي مخففة من الثقيلة ؟

الطالب: ((**إن في صدورهم إلا كبر**))

الشيخ: لا هذه نافية أتت بعدها إلا؛ معنا: ((**وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين**)) هذه التي معنا, هذه إن مخففة من الثقيلة, وأصلها: وإنهم كانوا من قبل؛ وعلامة إن المخففة من الثقيلة أن تأتي اللام في الخبر، إذا أتت بعدها اللام فهي مخففة من الثقيلة؛ عرفتم ؟ ((**إن كانوا من قبل لفي**)) تأتي اللام، قال ابن مالك:

وخففت إن فقل العمل وتلزم اللام إذا ما تهمل ؛

تلزم اللام وهي التي هنا: ((**لفي ضلال**)).

بقيت رابعة: وتأتي إن زائدة، تأتي إن زائدة ؟

الطالب: الشاهد: بنو غدانة ما إن أنتم ذهبوا ...

الشيخ: نعم هذا قول الشاعر:

بنو غدانة ما إن أنتم ذهبوا ...

أي ما أنتم ذهبوا؛ على كل حال ما أحفظ لها مثال في القرآن، التي في الآية الكريمة هنا: ((**وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين**)) نقول: إن هذه مخففة من الثقيلة؛ وعلامتها ؟ أن تأتي اللام في خبرها أو في اسمها إن تأخر, المهم أن تأتي بعدها اللام؛ أفهمتم يا جماعة ؟

اسمها أين هو ؟ اسمها قيل: إنه محذوف مقدر باسم ظاهر, والتقدير: وإن الشأن كانوا من قبل في ضلال مبين؛ وقال بعضهم: بل هو محذوف مقدر بضمير مناسب, وهذا هو الصحيح؛ فإذا كان الخبر جمعا صار الضمير المقدر جمعا؛ وعلى هذا فيكون التقدير هنا: وإنهم كانوا من قبل لفي ضلال مبين؛ فيقدر ضمير الشأن بما يناسب المقام .

طيب: ((**وإن كانوا**)) الضير يعود على المؤمنين الذين بعث فيهم رسول صلى الله عليه وسلم؛ ((**من قبل**)) قبل أيش ؟ قبل بعث هذا الرسول؛ ((**لفي ضلال مبين**)) في للظرفية يعني أن الضلال محيط بهم كإحاطة الظرف بمظروفه: ((**لفي ضلال مبين**)) مبين: بمعنى بين.

وقوله: ((**من قبل**)) نقول للإخوة المبتدئين بالنحو إن من حرف جر؛ و: ((**قبل**)) هنا غير مجرورة ؟

الطالب: قبل: مبنية على الضم ؟

الشيخ: ويش تقولون يا جماعة ؟ المبني ولو دخل عليها حروف الجر لا يتغير, يبقى على بنائه، قال الله تعالى: ((**سنستدرجهم من حيث لا يعلمون**)) ما قال: من حيثِ؛ وهنا قال: ((**من قبلُ**)) ولم يقل: من قبلِ.

لكن في بعض الأحيان تجر قبل فيقال: ((**كذب الذين من قبلهم**)) ؟

الطالب: لأن ((**من قبل**)) غير مضافة وهنا مضاف؛

الشيخ: طيب إذا متى تبنى على الضم ؟ إذا حذف المضاف إليه ونوي معناه؛ عرفتم ؟ هذا كلام النحويين .

الشيخ: في هذه الآية الكريمة فوائد؛ أولا: عظيم منة الله عزوجل على المؤمنين ببعث الرسول صلى الله عليه وسلم؛ من أين تؤخذ ؟ من تأكيد هذه المنة بالقسم .

ومن فوائدها: أن المنة ببعثة الرسول إنما كانت على المؤمنين لأنهم الذين انتفعوا بها؛ لقوله: ((**على المؤمنين**)) .

من فوائد الآية: أن من لم يعترف بالمنة فهو كالمسلوب منها؛ أو فهو كالمسلوبة منه، من لم ينتفع بالمنة صار كالمسلوبة منه؛ لأنه خص المنة بالمؤمنين .

ومن فوائدها: وجوب شكر نعمة الله على من منّ الله عليه بالإيمان؛ من أين تؤخذ ؟ من قوله: ((**لقد من الله**)) لأن المراد بهذا الخبر هو شكر نعمة الله سبحانه وتعالى على هذه المنة وألا يتعاظم الإنسان في نفسه .

ومن فوائد الآية: الرد على الأعراب الذين منوا بإيمانهم وإسلامهم على الرسول صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى: ((**يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علي إسلامكم بل الله يمكن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم مؤمنين**)) .

من فوائد الآية الكريمة: اللجوء إلى الله عزوجل بأن يثبتك على الإيمان؛ لأنه إذا كان هو المان به فهو الذي يملك ثبوته وزواله, فارجع إليه .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: فضيلة الرسول عليه الصلاة والسلام حيث كان مبعوثا من قبل الله؛ والرسول يشرف ويعظم بحسب من أرسله؛ ولهذا يفرق الناس بين رسول السلطان ورسول الخادم، رسول السلطان يرونه أعظم من الرسول العادي .

من فوائد هذه الآية الكريمة: ثبوت رسالة النبي صلى الله عليه وسلم؛ لقوله: ((**إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم**)) .

ومن فوائدها: إثبات منة الله عزوجل بكون هذا الرسول من جنسنا؛ لقوله: ((**من أنفسهم**)) .

ويتفرع على هذه الفائدة: رد أولائك السفهاء المعاندين الذين قالوا: ((**لو لا أنزل إليه ملك**)) قال الله تعالى: ((**ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا**)) لأنه لا يمكن أن يعيش الملك بين البشر, ولا يمكن أيضا للبشر أن يتقبلوا منه كما يتقبلوا ممن كان من جنسهم .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: الثناء العظيم على رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كان يتلو عليهم آيات الله، ويزكيهم، ويعلمهم الكتاب والحكمة .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة أيضا: حرص النبي صلى الله عليه وسلم على إبلاغ الرسالة حيث كان يتلو عليهم آيات الله ويعلمهم الكتاب والحكمة .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن القرآن معجز؛ من أين يؤخذ ؟ من قوله: ((**آياته**)) لأن الآيات بمعنى العلامات, والعلامة على الشيء هي المعينة له والتي لا تصلح لغيره؛ فهي آية لله لا تصلح لغيره .

من فوائد الآية الكريمة: جواز إضافة الشيء إلى سببه؛ من أين نأخذها ؟ من قوله: ((**ويزكيهم**)) مع أن الله قال: ((**إنك لا تهدي من أحببت**)) لكنه صلى الله عليه وسلم سبب للتزكية؛ ففي الآية جواز إضافة الشيء إلى سببه؛ لكن بشرط أن يكون معلوما بأنه سبب إما عن طريق الشرع أو طريق العقل أو طريق الحس؛ أما شيء متوهم أنه سبب وليس بسبب فهذا لا يجوز .

الطالب: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ((**أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم إن الله على كل شيء قدير وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم هم للكفر يومئذ للكفر أقرب منهم للإيمان يقولون ما ليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون**)) .

الشيخ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم؛ سبق لنا في الآية التي مرت بنا أن الله سبحانه وتعالى بين منته على المؤمنين ببعث النبي صلى الله عليه وسلم مؤكدا إياها بمؤكدات, عبد الملك ؟

الطالب: ثلاث مؤكدات؛

الشيخ: وهي ؟

الطالب: القسم واللام وقد؛

الشيخ: أين القسم ؟

الطالب: لقد؛

الشيخ: ما الدليل عليه ؟

الطالب: اللام؛

الشيخ: أحسنت .

الشيخ: ما معنى قوله: ((**من أنفسهم**)) .

الطالب: أي من جنسهم؛

الشيخ: ما الفرق بين هذا وبين قوله تعالى: ((**هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم**)) ؟

الطالب: منهم من العرب؛

الشيخ: من نفس العرب, وأنفسهم من أنفسهم ؟

الطالب: من الجنس ؟

الشيخ: من جنس بني آدم, واضح يا جماعة ؟ فمنهم لأنهم من العرب؛ من أنفسهم لأنهم من جنس بني آدم, وإن كان بنو آدم غير العرب ليسوا من أقاربه .

الشيخ: ما معنى قوله: ((**الكتاب**)) ؟

الطالب: بمعنى مكتوب ...

الشيخ: بمعنى الكتابة؛ على المعنى الأول تكون فعال بمعنى مفعول. هل يمكن أن نقول إن الآية تشمل المعنيين ؟

الطالب: ممكن؛

الشيخ: هل تعرف في هذا قاعدة ؟

الطالب: القاعدة عندنا أن الكلمة إذا احتملت أكثر من معنى ولا تعارض بينها فالواجب حملها عليها جميعا؛ لأن كتاب الله سبحانه وتعالى واسع.

الشيخ: لأن ذلك أوسع وأشمل.

الشيخ: قوله: ((**وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين**)) إن هذه ؟

الطالب: مخففة من الثقيلة؛

الشيخ: ما علامتها في هذه الآية ؟

الطالب: اللام الفارقة

الشيخ: اللام الفارقة: ((**لفي ضلال مبين**)).

الشيخ: هل تعرف لإن معنى سوى التخفيف ؟

الطالب: نعم لها أربعة معاني؛ أن تكون نافية؛ مخففة؛ وأن تكون زائدة؛ وأن تكون شرطية .

الشيخ: ذكرنا للنافية علامة ما هي ؟

الطالب: أن تأتي بعدها إلا

الشيخ: مثل ؟

الطالب: مثل قول الله تعالى: ((**إن هذا إلا إفك مفترى**))

الشيخ: ((**إن هذا إلا إفك مفترى**)) تمام.

الشيخ: قوله: ((**لفي ضلال مبين**)) هذا الضلال هل هو ضلال عملي أو علمي أو هما ؟

الطالب: المعنيين,

الشيخ: ضلال علمي وضلال عملي؛ ماذا تقولون ؟ صحيح؛ لأن العرب كانوا جهالا وكانوا غاوون في العمل، جهالا في العلم غواة في العمل .

الشيخ: ثم قال الله تعالى: ((**أو لما أصابتكم مصيبة**)) هذا درس الليلة: ((**أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا**)) الهمزة هنا تلاها حرف عطف, وقد مر علينا كثيرا أن الهمزة إذا وليها حرف عطف فلعلماء النحو في ذلك قولان: أحدهما أن العطف على شيء مقدر يناسب المقام؛ والثاني: أن العطف على ما سبق؛ وعلى هذا الوجه تكون الهمزة مقدمة عن موضعها؛ وموضعها بعد حرف العطف؛ وقلنا إن هذا أسهل على المعرب لأنه لا يحتاج إلى تكلف المقدر, وأحيانا قد يصعب على الإنسان أن يقدر شيئا مناسبا .

وقوله: ((**لما**)) لما هذه هنا شرطية؛ ودليل كونها شرطية أنها تحملت فعل الشرط وجوابه، فعل الشرط في قوله: ((**أصابتكم**)) وجوابه: ((**قلتم أنا هذا**)).

ولما تأتي على عدة وجوه؛ تأتي بمعنى إلا، وتأتي بمعنى حين، وتأتي بمعنى لم، وتأتي شرطية؛ ففي قوله تعالى: ((**إن كل نفس لما عليها حافظ**)) هذه بمعنى إلا, يعني ما كل نفس إلا عليها حافظ؛ وفي قوله تعالى: ((**بل لما يذوقوا عذاب**)) هذه لما بمعنى لم, وإن كان بينهما فروق لكن هي بمعنى لم نافية؛ وفي قوله تعالى: ((**إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم**)) فإن بعض العلماء قال: لما هنا بمعنى حين؛ فهذه وجوه أربعة لـ لما الواردة في كتاب الله عزوجل .

وقوله: ((**أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها**)) أصابتكم: يعني حلت بكم ((**مصيبة قد أصبتم مثليها**)) أي حل بكم مثلها؛ وما هذه المصيبة ؟ هذه المصيبة ما حل بهم في أحد؛ فإنه قتل منهم سبعون رجلا على رأسهم أسد الله وأسد رسوله حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه عم النبي صلى الله عليه وسلم؛ وقوله: ((**قد أصبتم مثليها**)) هذا يشير سبحانه وتعالى إلى ما حصل في يوم بدر, فإن يوم بدر قتل فيه من المشركين سبعون رجلا, وأسر منهم سبعون رجلا؛ فسبعون مع سبعين ضعفا سبعين؛ ولهذا قال: ((**قد أصبتم مثليها**)) .

فإن قال قائل: كيف قال: ((**قد أصبتم مثليها**)) مع أن المقتول سبعون, والمأسور سبعون, والأسر ليس القتلى ؟

قلنا إن الأسر يحصل به من الإذلال مثل ما يحصل به من القتل وربما يكون أكثر؛ لأن المقتول يقتل ويستريح لكن المأسور يستذل؛ ولهذا يخير الإمام في المأسورين بين أمور: بين أن يقتلهم, وبين أن يسترقهم, وبين أن يفديهم بمال أو أسير, وبين أن يطلقهم، أربعة أمور؛ يخير الإمام في الأسرى بين هذه الأمور الأربعة, ما هي ؟ الفداء بمال أو بمسلم, بأسير مسلم؛ الرق؛ القتل؛ المن بدون شيء: ((**حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق**)) يعني الأسر ((

فإما منا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها)) فالحاصل أن الأسر في الإذلال كالقتل, إن لم يكن مثله فهو أشد منه لا يقصر منه؛

((**قلتم**)) هذه جواب لما يعني إذا أصابتكم مصيبة: ((**قلتم أنى هذا**)) كيف أصبنا ونحن جنود الله ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تأتينا الهزيمة ؟ نعم: ((**أنى هذا**)) هذه أنى استفهامية, وتأتي شرطية؛ ففي قولك: أنى تقم أقم؛ هذه شرطية؛ وفي مثل هذه الآية استفهامية, يعني كيف يكون هذا: ((**أنى هذا**)) وهذا الاستفهام للتعجب ولا أظن أن يكون للإنكار؛ لأن الصحابة رضي الله عنهم لا ينكرون من قدر الله شيئا, ولكنهم يتعجبون كيف يصيبنا هذا ونحن جند الله ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم؛

قال الله تعالى: ((**قل**)) يعني قل لهم يا محمد: ((**هو من عند أنفسكم**)) وهنا أمر الله نبيه أن يقول ولم يقل عزوجل: ((**أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا**)) هو من عند أنفسكم؛ بل أمر نبيه أن يبلغهم؛ وهذا الأمر للتبليغ الخاص؛ وقد قلنا إن القرآن كله مأمور رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقوله جميعا للناس؛ هذه واحدة؛ ويوجد بعض الأشياء أو بعض الأحكام أو بعض الأخبار يؤمر بها النبي صلى الله عليه وسلم ليبلغها تبليغا خاصا؛ فهنا قال: ((**قل**)) يعني قل لهؤلاء الذين يقولون أنى هذا: ((**هو**)) أي ما أصابكم: ((**من عند أنفسكم**)) أي منكم؛ ومن هنا للسببية أي بسببكم فأنتم السبب؛ وما هو الذي يظهر لنا من السبب ؟ هو ما حصل من النزاع والمعصية للنبي عليه الصلاة والسلام حيث أمرهم أن يبقوا في المكان الذي عينه لهم سواء كانت الغلبة للمسلمين أو كانت الغلبة للكافرين؛ ولكنهم رضي الله عنهم وعفا عنهم لما رأوا المشركين قد انهزموا وأن المسلمين بدءوا يجمعون الغنائم ظنوا أن المسألة انتهت, فنزلوا من المكان الذي عينه النبي صلى الله عليه وسلم لهم وحصل ما حصل؛ الذي حصل هو أن الفرسان من المشركين لما رأوا الثغر خاليا وهو من وراء المسلمين يحميهم من وراء, كروا من وراء المسلمين واختلطوا بهم, وحصل ما أراد الله عزوجل؛ هذا معنى قوله: ((**من عند أنفسكم**)).

ثم قال: ((**إن الله على كل شيء قدير**)) ختم الآية بهذه الجملة في غاية ما يكون من المناسبة, فهو قدير على أن ينتصر من هؤلاء المشركين, ولكنه لم يفعل ذلك لحكمة كما قال تعالى: ((**ذلك ولو شاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلوا بعضكم ببعض**)) لأن الله لو شاء لأماتهم, أو خسف بهم, أو أنزل عليهم صواعق, أو ما أشبه ذلك: ((**ولكن ليبلوا بعضكم ببعض والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم سيهدهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم**)) وقوله: ((**إن الله على كل شيء**)) كل شيء: هذه عامة تشمل كل شيء،

تشمل ما كان موجودا فهو قادر على إعدامه, وما كان معدوما فهو قادر على إيجاده, ولا استثناء في هذا العموم.

وأما قول المفسر رحمه الله في سورة المائدة: ((**وهو على كل شيء قدير**)) قال: وخص العقل ذاته فليس عليها بقادر؛ فهذا تخصيص في غير محله؛ أولا: أن العقل ليس له تدخل في صفات الله عزوجل؛ الثاني أن نقول: ماذا تريد بقولك: وخص العقل ذاته ؟ هل تريد أن الله سبحانه وتعالى لا يقدر أن يفعل، لا يقدر أن ينزل، لا يقدر أن يستوي، لا يقدر أن يأتي يوم القيمة للفصل بين عباده, أم ماذا تريد ؟ إن أردت هذا فهذا خطأ, فالله قادر على أن يفعل، على أن يستوي على العرش، على أن ينزل إلى السماء الدنيا، على أن يأتي للفصل بين عباده, كما صح بذلك النقل؛ أم تريد بقولك: خص العقل ذاته؛ أنه لا يقدر على أن يفعل بنفسه ما لا يليق به كالموت مثلا؛ إن أردت ذلك فهذا خطأ منك أيضا, وذلك لأن القدرة إنما تتعلق بالممكنات أما المستحيلات فهي مستحيلة غير واقعة؛ هل يمكن أن نقول إن الشيء يكون متحركا ساكنا ؟ لا يمكن، هذا لا تتعلق به القدرة أصلا؛ والله عزوجل لا يمكن أن يتصف بالنقص: ((**ولله المثل الأعلى**)) فكونك تفرض أن الله تعالى يمكن أن يتصف بالنقص ولكنه غير قادر عليه هذا خطأ عظيم، نقول هذا أصلا غير وارد على القدرة كما قال السفاري رحمه الله: " **بقدرة تعلقت بممكن** "؛

فالشيء المستحيل مستحيل لا تتعلق به القدرة أصلا, لأنه إذا كان الشيء ساكنا لا يمكن أن يكون متحركا, وإذا كان متحركا لا يمكن أن يكون ساكنا؛ و الله قادر على كل شيء, لكن إذا قدر على أن يجعله متحركا صار غير ساكن, وقدر على أن يكون ساكنا صار غير متحركا؛ فهذا أصلا لا يرد على العقل؛ فإذا نقول: ((**على كل شيء قدير**)) عموما مطلقا لا استثناء فيه .

السائل: ...

الشيخ: على كل حال مسألة ناقة صالح أنها تمخض عنها الجبل, هذا خبر إسرائيلي قد يكون صحيحا وقد يكون غير صحيح؛ لكن هناك شيء يعني أبلغ من هذا, عصا موسى عليه الصلاة والسلام, عصا معروفة من شجر معروف يلقيها في الأرض فتكون حية ويأخذها فتكون عصا .

الطالب: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ((**أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم إن الله على كل شيء قدير وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم هم يومئذ أقرب**

منكم للإيمان يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا قل فادرءوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين)) .

الشيخ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم؛ قال الله تعالى: ((**أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا**)). لما هذه يا عبد الملك ؟ شرطية؛ وعلامة ذلك ؟ أنها اشتملت الجملة على فعل شرط وجوابه؛ أين الجواب ؟

الطالب: الجواب: ((**قلتم أنى هذا**)) .

الشيخ: ما المراد بالاستفهام: ((**أنى هذا**)) ؟

الطالب: التعجب؛

الشيخ: التعجب أو الإنكار ؟

الطالب: التعجب؛

الشيخ: لماذا لا يكون للإنكار ؟ لأنه من قدر الله, والصحابة لا يمكن أن ينكروا قدر الله .

الشيخ: ما معنى قوله: ((**من عند أنفسكم**)) ؟

الطالب: لما أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يبقوا على الجبل؛ ولما عصوا أمره حصل لهم الذي حصل؛

الشيخ: يعني: ((**من عند أنفسكم**)) أنتم السبب وذلك بمعصيتكم أمر النبي صلى الله عليه وسلم .

الشيخ: كيف نجمع بين هذه الآية وبين قوله تعالى: ((**قل كل من عند الله**)) ؟

الطالب: المقدر من عند الله لكن حصول السبب من عندهم؛

الشيخ: هذا جمع, فأضيف إليهم باعتبار السبب, وأضيف إلى الله باعتبار التقدير والقدر .

الشيخ: قوله تعالى: ((**إن الله على كل شيء قدير**)) يا أحمد, هل هذا العموم على إطلاقه ؟ الطالب: نعم؛ لكن بعضهم يقول إن العقل يدل على أنه ليس قادر على ذاته؛

الشيخ: وما الجواب على قوله ؟

الطالب: الجواب ...

الشيخ: القدرة تتعلق بالممكن, هو الذي يمكن أن يوجد أو لا يوجد؛ هو خطأ على كل حال, لأنهم إن أرادوا خص العقل ذاته, إن أرادوا بذلك صفات النقص فهذه من الأمور المستحيلة ولا تتعلق بها القدرة؛ وإن أرادوا بذلك الأفعال الاختيارية أنه لا يقدر أن ينزل ولا أن يستوي ولا أن يتكلم فهذا خطأ .

الشيخ: قال الله تعالى: ((**أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها** ...))

يستفاد من هذه الآية الكريمة: أن الله وبخ الذين قالوا: ((**أنى هذا**)) .

ويتفرع على هذا: جواز توبيخ من كان كامل الإيمان إذا فعل ما يستحق التوبيخ عليه؛ يعني أننا لا نقول إن كمال إيمانه يمنع أن نوبخه إذا فعل ما يقتضي توبيخه .

ومن فوائد هذه الآية: أنه من المستحسن أن الإنسان يذكر بما يهون المصيبة عليه؛ لقوله: ((**قد أصبتم مثليها**)) .

ومن فوائد الآية: أنه ينبغي لمن أجاب غيره أن يجيبه بما يمنع احتجاجه؛ لقوله: ((**قل هو من عند أنفسكم**)) يعني فأنتم السبب .

ومن فوائد الآية الكريمة: إثبات الأسباب؛ لقوله: ((**قل هو من عند أنفسكم**)) .

ومن فوائدها: منة الله على الصحابة رضي الله عنهم بأن الله تعالى قد جعل على أيديهم مصيبة أكبر مما أصابهم, بل هي مِثلا ما أصابهم؛ لقوله: ((**قد أصبتم مثليها**)) .

ومن فوائد الآية الكريمة: إثبات اسم القدير من أسماء الله؛ لقوله: ((**إن الله على كل شيء قدير**)) والقدرة صفة يتصف بها القادر تمنعه من وصف العجز؛ وذكرنا فيما سبق ما تستلزم .

ومن فوائد الآية الكريمة: أنه ينبغي إذا وصفتم الله بالقدرة أن نصفه كما وصف نفسه, فنقول: إن الله على كل شيء قدير, خلافا لمن قال: إن الله على ما يشاء قدير؛ لأنه إذا قال: إن الله على ما يشاء قدير, فقد يكون مفهوم العبارة أن ما لا يشاءه لا يقدر عليه؛ وهو قادر على ما شاء وعلى ما لم يشأ؛ وأيضا إذا قلنا إنه على ما يشاء قدير فإنه يدخل علينا مذهب القدرية الذين قالوا: إن الله لا يشاء أفعال العباد؛ فإذا كان لا يشاء أفعال العباد وقلنا إنه لا يقدر إلا على ما شاء لزم أن لا يكون قادرا على أفعال العباد؛ هذان اثنان، ثالثا: أننا إذا قلنا: على ما يشاء قدير فقد خرجنا عما وصف الله به نفسه لأن الله قال: ((**إن الله على كل شيء قدير**)) .

فإن قال قائل: ما تقولون في قصة الرجل الذي أخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم بأنه يكون آخر أهل الجنة دخولا وأن الله يقول له: إني على ما أشاء قادر ؟

فالجواب على ذلك: أن هذا حديث عن مسألة وقعت؛ فإذا وقع شيء من الأشياء وكان الإنسان يستغرب وقوعه, فقال: كيف يقع هذا الشيء ؟ نقول له: إن الله على ما يشاء قادر, يعني أن الله لما شاءه وقع؛ أما أن نصف الله بالوصف المطلق غير المقيد بفعل, فإن الأولى أن نقول: إن الله على كل شيء قدير .

ثم قال الله تعالى: ((**وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله**)) أول الآية تكلمنا عليها, أليس كذلك ؟

((**ما أصابكم**)) ما: هذه شرطية وعلامتها أو دليل أنها شرطية أنه وجد في الجملة فعل شرط وجوابه؛ فعل الشرط قوله: ((**أصابكم**)) وجوابه: ((**فبإذن الله**)) وقرن بالفاء لأنه جملة إسمية؛ إذ تقدير الكلام: فهو بإذن الله.

قال: ((**وما أصابكم يوم التقى الجمعان**)) يعني بالتقاء الجمعين التقائهما يوم أحد, فإنه لما التقى الجمعان صارت النهاية أن هزم المسلمون واستشهد منهم سبعون رجلا؛ وهذه تعتبر نكبة أمام الكفار, لأن الكفار سيكون لهم في هذه الحال سيطرة وعلو واستكبار كما وقع, فإن أبا سفيان قال في ذلك اليوم: أعل حبل, أي أنه افتخر بعلو صنمه على من ؟ على المسلمين الذين يعبدون الله.

وهذا الذي حصل يوم التقى الجمعان يقول الله عزوجل: ((**فبإذن الله**)) بإذن الله القدري أو الشرعي ؟ بإذن الله القدري, يعني الله هو الذي قدره؛ والإذن إذن الله ينقسم إلى قسمين: إذن شرعي، وإذن كوني؛ فما تعلق بالتكوين والخلق فهو إذن كوني، مثل قوله تعالى: ((**وإذ تخرج الموتى بإذني**)) فإن هذا إذن كوني؛ وما تعلق بالشرع فهو إذن شرعي مثل قوله تعالى: ((**قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون**)) وقوله: ((**أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله**)) يأذن إذنا شرعيا أو كونيا ؟ إذنا شرعيا .

فإذا قيل: ما الفرق بينهما ؟

فالجواب: أن الفرق بينهما أن الإذن الشرعي يكون فيما يحبه الله, والإذن الكوني يكون فيما يحبه وما لا يحبه؛ والثاني: أن الإذن الكوني يقع فيه المأذون به؛ والإذن الشرعي قد يقع وقد لا يقع؛ هذا الفرق بينهما.

وقوله: ((**فبإذن الله**)) أي: فهو كائن بإذن الله, أي الباء للسببية؛ ولهذا صح أن يعطف عليها قوله: ((**وليعلم المؤمنين**)) واللام في قوله: ((**ليعلم**)) للتعليل, ولا يجوز أن تسكن, أي لا يجوز قراءة أن تقول: ولْيعلم؛ لأن الذي تسكن بعد حروف العطف المعروفة هي لام الأمر؛ أما لام التعليل فهي مكسورة دائما .

وقوله: ((**وليعلم المؤمنين**)) يعني الذين صدقوا الله في إيمانهم, وقالوا فيما أصابهم إنه بقدر الله ورضوا به، وتابوا إلى الله من أسبابه وهي المعاصي والتنازع؛ والعلم هنا علم ظهور أو علم إدراك ؟ علم ظهور, يعني: وليعلمه بعد ظهوره؛ أما علمه قبل ظهوره فهو ثابت لله عزوجل لأن الله علم كل شي إلى يوم القيمة؛ وأيضا هذا العلم علم يترتب عليه الثواب؛ أما علم الله السابق فإنه لا يترتب عليه الثواب ولا يترتب عليه العقاب؛ هذان فرقان؛ الفرق الثالث: أن هذا العلم علم بالشيء بعد أن وقع؛ فهو علم بأنه وقع؛ وأما العلم الأزلي فهو علم بأنه سيقع؛ وهناك فرق بين العلم بأنه وقع وبين العلم بأنه سيقع؛ هذه ثلاثة أوجه وإلا فإن كثيرا من الناس يقول: ((**وليعلم المؤمنين**)) أليس الله قد علمه؟ فنقول: بلى علمه, لكن العلم يختلف من هذه الوجوه الثلاثة .

ثم قال: ((**وليعلم الذين نافقوا**))؛ المؤمنين قال: ((**وليعلم المؤمنين**)) بالوصف, وأما المنافقون قال: ((**وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم** ...)) فأتى بالفعل؛ وذلك لأن النفاق طارئ عليهم, فإن كثرا من المنافقين كان آمن ثم كفر، كما قال الله تعالى: ((**ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا**)) ولهذا أتى بالفعل الدال على التجدد؛ وأيضا ليناسب قوله: ((**وقيل لهم تعالوا**)) .

وقوله: ((**وليعلم الذين نافقوا**)) النفاق في الأصل هو إظهار خلاف الواقع؛ ومنه سمي نافقة الجربوع أو يربوع، اليربوع من ذكائه إذا حفر له جحرا جعل له بابا ظاهرا يدخل منه ويخرج منه, ويجعل في أقصى ذلك الجحر طبقة خفيفة, يعني يخرق إلى أن يصل إلى قريب الانفتاح, فتبقى طبقة خفيفة جدا, من أجل إذا هوجم من باب الجحر خرج من هذه القشرة الرقيقة, لأنها تكون سهلة عليها؛ فيكون هذه مخادعة أو غير مخادعة ؟ هذه مخادعة؛ لأن الصائد إذا صاده، إذا أراد صيده ثم هجم عليه من الباب لا يدري أن هناك نافقة فيخرج اليربوع من هذه النافقة. واليربوع حلال أو حرام ؟ حلال ؟ نعم هو حلال, لكن لا أدري هل تعرفونه أم لا ؟ معروف ؟ لا لا، هو يشبه الفأر إلى حد كبير, لكن له أرجلا طويلة, وأيد قصيرة, وله ذيل طويل في طرفه هدب, وهو يقول عنه العامة: إنه يرتجز فيقول: لو يدي طول رجلي ما لحقتني خيل ... ؛ هذا على لسانه, أما هو لا يتكلم؛ على كل حال أقول إن النفاق مأخوذ من هذا، أصله من هذا, لأن فيه مكرا ومخادعة.

((**وليعلم الذين نافقوا**)) مثل من ؟ مثل عبد الله بن أبي, فإن عبد الله بن أبي كان من المعارضين للخروج إلى أحد, ولكن النبي عليه الصلاة والسلام عزم على الخروج بمشورة بعض الصحابة ولاسيما الذين لم يدركوا بدرا, الذين لم يخرجوا في بدر هم الذين أشاروا على النبي عليه الصلاة والسلام, وأكدوا عليه بالمشورة أن يخرج إلى أحد؛ خرج الناس مؤمنهم ومنافقهم, وفي أثناء الطريق انخزل عبد الله بن أبي بنحو ثلث الجند, ولحقهم من لحقهم من المؤمنين يوبخونهم ويأمرونهم بالرجوع: ((**وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا**)) على الأقل، إما قتالا في سبيل الله أو دفاعا عن أوطاننا؛ فالقتال في سبيل الله قتال يعتبر جهادا يثاب عليه المقاتل ثواب المجاهد, وقتال الدفاع بحسب نية المقاتل؛ فهم قيل لهم: ((**تعالوا قاتلوا في سبيل الله**)) جهادا: ((**أو ادفعوا**)) عن أوطانكم؛ هم لو رجعوا ماذا يقاتلون, في سبيل الله أو دفاعا ؟ دفاعا لاشك, لأنهم ليس عندهم إيمان بما في سبيل الله: ((**تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم**)).

الشيخ: وفي أثناء الطريق انخزل عبد الله بن أبي بنحو ثلث الجند, ولحقهم من لحقهم من المؤمنين يوبخونهم ويأمرونهم بالرجوع: ((**وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا**)) على الأقل، إما قتالا في سبيل الله أو دفاعا عن أوطاننا؛ فالقتال في سبيل الله قتال يعتبر جهادا يثاب عليه المقاتل ثواب المجاهد, وقتال الدفاع بحسب نية المقاتل؛ فهم قيل لهم: ((**تعالوا قاتلوا في سبيل الله**)) جهادا: ((**أو ادفعوا**)) عن أوطانكم؛ هم لو رجعوا ماذا يقاتلون, في سبيل الله أو دفاعا ؟ دفاعا لاشك, لأنهم ليس عندهم إيمان بما في سبيل الله: ((**تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم**)) . نعوذ بالله . وهذه قولة رجل مخذول جبان؛ والإنسان الشجاع هو الذين يقول: نعم نأتي نقاتل أو ندفع, ثم إن حصل القتال فنحن مستعدون, وإن لم يحصل رجعنا حيث جئنا؛ ولهذا قال: ((**قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم**)) سبق الكلام على قوله: ((**لو**)) وأنها في مثل هذا السياق تكون شرطية؛ ((**لو نعلم القتال لاتبعناكم هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان**)) هم للكفر يومئذ: أي في هذا الوقت أو في هذا اليوم الذي انصرفوا فيه وانخزلوا عن المسلمين هم للكفر أقرب منهم للإيمان, وإن كان فيهم شيء من الإيمان, ولعل هذا في بعضهم لكن هم للكفر أقرب؛

((**يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم**)) مثل أنهم يأتون إلى النبي عليه الصلاة والسلام ويقولون: نشهد إنك لرسول الله, ويذكرون الله فيقولون: لا إله إلا الله, ويحضرون بعض الصلوات على أنهم مسلمون؛ فهم . والعياذ بالله . ((**يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم**))؛ ما الذي في قلوبهم ؟ الكفر؛ والذي في أفواههم الإسلام؛ قال الله تعالى: ((**والله أعلم بما يكتمون**)) والله أعلم بما يكتمون من غيره, هو أعلم من غيره بما يكتم هؤلاء؛ ولهذا أبدى الله ما يكتمونه وأنهم يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم .

وفي قوله: ((**والله أعلم بما يكتمون**)) خلاف بين المفسرين؛ فمنهم من قال: إن ((**أعلم**)) بمعنى عالم، عالم بما يكتمون, خوفا من أن تقع المفاضلة بين علم المخلوق وعلم الخالق؛ لأنك إذا جئت بأفعل التفضيل فإن مقتضى ذلك أن يكون بين المفضل والمفضل عليه اشتراك في الأصل, ولكن المفضل زاد على المفضل عليه؛ ولذا تجده يفسرون في مثل هذه الآية: ((**والله أعلم**)) يفسرون أعلم بعالم، والله عالم بما يكتمون؛ ولكن هذا القول ضعيف؛ أولا: أنهم صرفوا اللفظ عن ظاهره؛ أليس كذلك ؟ لأن اللفظ اسم التفضيل, والمعنى الذي أثبتوه اسم الفاعل، وبينهما فرق, ولا يجوز أن نصرف القرآن عن ظاهره إلا بدليل؛ والثاني: أنهم إذا قالوا عالم لم يمنع المشاركة على وجه المماثلة، لم يمنع المشاركة على وجه المماثلة بأنه يقال: فلان عالم وفلان عالم؛ لكن إذا قيل: فلان أعلم من فلان امتنعت المشاركة على وجه المماثلة لظهور التفضيل؛ فهم الآن فروا من شيء ووقعوا في شر منه، فروا من أن يطلقوا أعلم على الله لأنها تقتضي اشتراك المفضل والمفضل عليه في أصل المعنى, لكن وقعوا في معنى لا يمنع

المشاركة على وجه المماثلة, وهذا شر؛ إذا نقول إن: ((**وأعلم**)) اسم تفضيل على ظاهرها, ولا يستلزم ذلك شيئا مما ينزه الله عنه, ونحن نعلم أن هناك اشتراكا في العلم بين الخالق والمخلوق, لكن يمتاز الخالق بما يختص به والمخلوق بما يختص به؛ وإلا فلا شك إن العلم الذي يوصف الله به له أو لأصله ثبوت في المخلوق، فمثلا الله يعلم أن هذا العمود من الحديد وأنت تعلم أو لا ؟ وأنت تعلم؛ لكن علم الله أشد إحاطة منك وأسبق, وهو علم لا يزول, وعلمك ليس كإحاطة علم الله وليس أزليا وليس أبديا, فيختص الخالق بعلمه والمخلوق بعلمه؛ ولهذا قال الله تعالى: ((**وما أوتيتم من العلم إلا قليلا**)) .

وقوله: ((أعلم بما يكتمون)) أي بما يخفون في نفوسهم من الكفر؛ وأما ما يظهرونه من اللسان فهو معروف للمسلمين وغير المسلمين .

السائل: قوله تعالى: ((**وقيل لهم تعالوا قاتلوا**)) ما هو المعطوف عليه ؟

الشيخ: نعم, ((**وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم**)) إما أنها معطوفة على: ((**نافقوا**)) أو جملة حالية على تقدير قد, أي وقد قيل لهم .

السائل: في قوله تعالى: ((**قد أصبتم مثليها**)) هل فيه إشارة إلى الانتصار في وقعة الأحزاب ؟ الشيخ: لا، غير صحيح أولا: لأنه خلاف الظاهر: ((**قد أصبتم**)) وهذا فعل ماض, ولم يقل: قد تصيبوه؛ والشيء الثاني: أن ما وقع بعد غزوة أحد مثل غزوة الأحزاب ما أصابوا مثليها في الواقع, لأن غزوة الأحزاب ما حصل فيها إلا قتل يسير جدا, وانصرفت الأحزاب بما أرسل الله عليهم من الريح والجنود؛

السائل: يعني بالنسبة للنصر؟

الشيخ: لا ما يستقيم, لأن الله قال: ((**قد أصبتم**)) ولم يقل: قد تصيبون .

السائل: ...

الشيخ: أي نعم, ما فيه شك أن إعادة الخلق أهون من ابتدائه؛ هو بالنسبة لله على حد سواء, لكن بالنسبة للفعل نفسه أو للمفعول المعاد أهون من المبتدأ .

... الشيخ: لا, ذكرهم أن الله قد من عليهم بأكثر مما حصل عليهم، هم قتل منهم سبعون, وأعداؤهم قتل منهم كم في بدر ؟ سبعون وأسر سبعون .

السائل: فسرنا القول بأنه الكفر والشهادة بأنه رسول الله صلى الله عليه وسلم, لكن ... ؟

الشيخ: وغيرها؛ هذه تدخل في هذا, تدخل فيه, يعني هذا أعم مما ذكرنا, يعني يدخل فيه ما ذكرنا من إظهار الإسلام وإبطان الكفر, وكذلك من قولهم: ((**لو نعلم القتال لاتبعناكم**)) مع أنهم يعملون أنه سيكون قتال؛ لأنه ليس من المعقول أن قوما يأتون من بلادهم بهذا الحشد ويخرج إليهم المسلمون ثم لا يحصل قتال, هذا بعيد .

... ؟ الشيخ: المراد منه تبريرا لرجوعهم؛ أي نعم, هم يبررون رجوعهم من الجيش يقولون: نحن معكم لكن ما نعلم قتالا, وكما قال الأخ فيما يظهر أن كل إنسان عاقل يعلم أنه سيكون قتال, فإن أعداءهم جاؤوا من بلادهم محشدين لهم, وهم خرجوا إليهم .

السائل: قوله تعالى: ((**يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم**)) لماذا ذكر الأفواه مع أن القول عند الإطلاق يراد به قول اللسان ؟

الشيخ: يعني لماذا لم يقل: يقولون ما ليس في قلوبهم ؟ لأن القول عند الإطلاق إنما يكون باللسان فما هو الجواب ؟ لكن نقول أولا: أن الله قال ذلك من باب التوكيد؛ ثانيا: أنه قول باللسان لا يصدقه القلب؛ والقول المطلق قول يصدقه القلب، القول الذي يقوله الإنسان مطلقا يصدقه القلب ويكون فيه اعتقاد بالقلب ونطق باللسان؛ لكن هؤلاء ليس عندهم اعتقاد بالقلب إنما يقولون بأفواههم فقط ما ليس في قلوبهم .

الطالب: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ((**وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان يقولون ما ليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا قل فادرءوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين**))

.

الشيخ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم؛ قال الله تبارك وتعالى: ((**وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله وليعلم المؤمنين**)) هذا مبتدأ المناقشة: قوله: ((**فبإذن الله**)) ما هو محل الجملة ؟

الطالب: جواب الشرط؛

الشيخ: أين الشرط ؟

الطالب: ((**ما أصابكم**)).

الشيخ: لماذا اقترنت بالفاء ؟

الطالب: لأنها جملة اسمية؛

الشيخ: ويش التقدير ؟

الطالب: فهو بإذن الله.

الشيخ: ما هي الجمل التي تقترن بالفاء إذا وقعت في جواب الشرط ؟

الطالب: هي مجموعة في:

اسمية طلبية وبجامد وبما وقد وبلن وبالتنفيس؛

الشيخ: الطلبية مثل أيش يا آدم عمر ؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم: (**فإن غم عليكم فأكملوا العدة ثلاثين**) إن غم عليكم فأكملوا, هذه طلبية أليس كذلك ؟ أكملوا فعل أمر, طلب .

الشيخ: هل المراد بالإذن هنا الكوني أو الشرعي ؟

الطالب: الكوني؛

الشيخ: لماذا لا يكون الشرعي ؟

الطالب: لأن الشرعي أمر وأحكام الله شرعية؛

الشيخ: وأما هذه فهي أمر مقدر، قدره الله عزوجل .

الشيخ: هل هناك فرق بين الإذن الكوني والشرعي ؟

الطالب: الإذن الشرعي قد يقع وقد لا يقع, وأما الكوني فلا بد أن يقع؛

الشيخ: فرق آخر ؟

الطالب: أن الإذن الكوني يتعلق بما يحبه الله وبما لا يحبه, أما الإذن الشرعي فيتعلق بما يحبه الله عزوجل؛

الشيخ: لأن الله لا يشرع إلا ما يحب .

الشيخ: نريد مثالا للإذن الشرعي، يا فهد ؟

الطالب: قوله تعالى: ((**أم لهم شركاء شرعوا من الدين ما لم يأذن به الله**))

الشيخ: أي ما لم يشرعه. مثال آخر ؟

الطالب: قوله تعالى: ((**آلله أذن لكم أم على الله تفترون**))

الشيخ: تمام .

الشيخ: قوله: ((**وليعلم المؤمنين**)) أخونا قرأها بسكون اللام وهي بكسر اللام، هل يجوز أن تقرأ بسكون اللام ؟

الطالب: لا,

الشيخ: أليس الله قد قال: ((**وليوفوا نذورهم**)) ؟ وليوفوا: قرأها بالسكون وليوفوا, قراءة صحيحة سبعية ؟

الطالب: هنا اللام للأمر؛

الشيخ: أحسنت لام الأمر إذا وقعت بعد الفاء أو الواو أو ثم فإنها تسكن: ((**ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم**)) ((**ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله**)) .

عرفت ثلاثة حروف للعطف, ثلاثة أحرف من حروف العطف إذا وقعت قبل لام الأمر فإنها تسكن؛ أما لام التعليل فإنها تكسر دائما ولا يمكن أن تسكن؛

الطالب: مثال ذلك ؟

الشيخ: هذه الآية التي معنا؛ غيرها. يعني لازم أمثلة كثيرة ؟ ((**ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا**)) ما تقول: ولْيتمتعوا؛ تقول: ولِيتمتعوا بكسر اللام؛ نعم ((وليذكروا)) .

الشيخ: قوله تعالى: ((**وليعلم المؤمنين**)) كيف قال: ((**وليعلم المؤمنين**)) وهو عالم عزوجل من قبل أن يقع هذا الأمر ؟

الطالب: العلم ينقسم إلى قسمين علم ظهور وعلم إدراك؛

الشيخ: اصبر, علم إدراك أصل العلم هو إدراك؛

الشيخ: يعني يعلمه ظاهرا ؟ أما العلم الأزلي ؟

الطالب: الذي لم يقع؛

الشيخ: فهو علم أنه سيقع؛ إذا هو يعلم المؤمنين قبل إيمانهم بالعلم الأزلي وبعده أيضا, لكنه بعده علم ظهور, هذه واحدة، ثانيا ؟ الذي يترتب عليه الثواب والعقاب هو علم الظهور, أي نعم, ولهذا لا يعاقب الله ولا يثيب إلا من امتحنه بالأمر والنهي .

أظن وقفنا على ((**وليعلم الذين نافقوا**)) نأخذ فوائدها ؟ أخذنا فوائدها ؟ طيب .

الشيخ: قال الله تعالى: ((**وما أصابكم يوم التقى الجمعان** ...))

يستفاد من هذه الآية الكريمة: تسلية المؤمن بقضاء الله وقدره؛ لقوله: ((**وما أصابكم فبإذن الله**)) لأن المؤمن إذا علم أنه من عند الله رضي وسلم.

فإن قال قائل: ما الجمع بين هذا وبين قوله فيما سبق: ((**أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسهم**)) ؟

قلنا الجواب أن الجمع بينهما أن إضافتها إلى الأنفس من باب إضافة الشيء إلى سببه, يعني أنتم السبب؛ وأما إضافتها إلى إذن الله فهو من باب إضافة الشيء إلى فاعله؛ الذي قضى هذا هو الله لكن السبب أنتم؛ وإذا انفكت الجهة زال التعارض؛ فالجهة الأول في الآية الأولى ؟ سبب, والثانية ؟ فعل وتقدير .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن الله قد يقدر على عبده المؤمن ما يكرهه لحكم عظيمة؛ لقوله: ((**فبإذن الله**)) وفي الحديث الصحيح أن الله قال: (**ما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره إساءته ولابد له منه**) فتأمل الآن أن الله عزوجل يفعل ما يكره المؤمن لكن لحكمة، وهو أنه قضى عزوجل بحكمته بالفناء على كل الخلق: ((**كل من عليها فان**)) .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: إثبات الحكمة فيما أصاب الناس يوم التقى الجمعان؛ وأنه صار محنة علم به المؤمن من الكافر أو من المنافق؛ المنافقون ماذا قالوا ؟ قالوا: ((**لو أطاعونا ما قتلوا**))، ((**لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا**))؛ أما المؤمنون فقالوا: رضينا بالله ربا واستسلموا لقضاء الله وقدره فثبت بذلك إيمانهم؛ لقوله: ((**وليعلم المؤمنين**)) .

ويتفرع على هذه الفائدة: أن المقضي المكروه محنة للعبد, فعليه أن يعتبر وأن يصبر حتى يكون من المؤمنين الصابرين: ((**الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون**)).

ثم قال الله عزوجل: ((**وليعلم الذين نافقوا**)) يعلم المؤمنين والذين نافقوا, أي يميز هذا من هذا: ((**وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا ...**)) .

من فوائد هذه الآية أيضا: إثبات النفاق في هذه الأمة؛ لقوله: ((**وليعلم الذين نافقوا**)) أي بعد إيمانهم؛ ولم يبرز النفاق إلا بعد غزوة بدر، وغزوة بدر كانت في السنة الثانية في رمضان, وحصل بها للمسلمين من العز ما جعل المنافقين يظهرون نفاقهم, لأنهم صاروا يخافون من المؤمنين فصاروا ينافقون, أي يظهرون أنهم مسلمون أو أنهم مؤمنون وما هم بمؤمنين .

ومن فوائد هذه الآية: التحذير من النفاق؛ وفي الآية الأولى: الترغيب في الإيمان؛ والذي يميز بين هذا وهذا هي قرينة الحال؛ فإن المنافقين سيأتي من أفعالهم ما يدل على أنهم في غاية الذم.

ومن فوائد الآية الكريمة: أن المنافقين من أكذب الناس؛ لقوله: ((**يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم**)) ويقولون: ((**لو نعلم قتالا لاتبعناكم**)) وهم كاذبون في هذا لأنهم يعلمون أنه سيكون قتال؛ كيف ذلك ؟ لأن أعداء المسلمين جاءوا من بلادهم تركوا أهليهم وتركوا بلادهم تركوا أموالهم وهم في غاية الحنق على الرسول عليه الصلاة والسلام وفي غاية الاستعداد؛ فهل يعقل أن قوما جاءوا على هذه الصفة يرجعون يقولون: سلام عليكم

في أمان الله ؟ لا يعقل؛ فقول المنافقين: ((**لو نعلم القتال لاتبعناكم**)) هم كاذبون فيه؛ ولهذا قال: ((**يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم**)).

من فوائد هذه الآية: أن القول عند الإطلاق هو ما تواطأ عليه القلب واللسان، القول عند الإطلاق هو الذي يتواطأ عليه القلب واللسان؛ لقوله: ((**يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم**)) لأنه لو قال: يقولون لكان القول في الأصل ما تواطأ عليه القلب واللسان؛ لكن لما كان هذا القول يختلف فيه القلب عن اللسان قيده بالأفواه قال: ((**يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم**)).

وبهذا التقرير يندفع عنا قولان، القول الأول: أن بعض المفسرين قالوا إن قوله: ((**بأفواههم**)) من باب التأكيد فهو كقوله: ((**وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم**)) قالوا: لأن القول لا يكون إلا بالأفواه؛ ويندفع به أيضا قول آخر أشد منه وهو القول بالكلام النفسي؛ قالوا: إنه لما قيد هذا القول بالأفواه دل على أن هناك قولا نفسيا وهو ما كان في القلب؛ وهذا أخطر من الأول؛ لأن هذا مبني على بدعة، بدعة الأشاعرة ومن وافقهم في أن كلام الله هو المعنى القائم بالنفس؛ وقد أبطل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله هذا القول من تسعين وجها في كتاب سماه " التسعينية " وأشار إليه ابن القيم رحمه الله في النونية كما مر علينا قريبا؛ إذا الفائدة من قوله: ((**بأفواههم**)) هو أن هذا القول ليس قولا مطلقا؛ لماذا ؟ لأن القول المطلق ما تواطأ عليه القلب واللسان .

يمكن أن نفرع على هذا فائدة مهمة وهي: أن من نطق بقول دون أن يكون له قصد في قلبه فإنه لا غ، يعني فإن أثر هذا النطق لا غ؛ يمكن أن نأخذ هذا من هذه الآية، كما يشهد لهذا قوله تعالى: ((**لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان**)) وهذا يفيد جدا فمثلا: طلاق السكران ؟ لا يقع لأنه باللسان فقط؛ طلاق الموسوس ؟ لا يقع لأنه باللسان فقط؛ الموسوس . نسأل الله لنا ولكم العافية . يوسوس دائما أنه طلق زوجته, وتجده يحدث نفسه وهو على فراشه ومع زوجته, يقول: فلانة طالق وربما حتى في الصلاة يقول هذا؛ ويعجز عن كبح نفسه, نقول هذا الرجل لو طلق بلسانه ألف مرة فليس بشيء، ليس بشيء؛ ولهذا يستفتوننا كثيرا من الناس في هذه المسألة ونقول: إن الطلاق ليس عليك طلاق، قال: ولو تكلمت ؟ قلت: لو تكلم ما عليك الطلاق, لأنه ما قصد؛ أحيانا يقول: والله أنا بريح نفسي زوجتي طالق؛ نقول: هذا إغلاق ولا طلاق في إغلاق, مثل بعض الناس إذا شك هل أحدث أو لا ذهب يحدث قبل من أجل أن يتيقن، أحيانا يحدث بحدث مسموع, وأحيانا يذهب يمس ذكره ويرى أنه ينقض الوضوء بمس الذكر وما أشبه ذلك؛ نقول: لا, يا أخي أنت ريح نفسك، أعطانا رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعدة وهي: أن لا ننصرف من الصلاة ولا

نخرج من المسجد حتى نسمع صوتا أو نجد ريحا؛ لا تبلبل نفسك؛ افرض أن ما عندك ماء أو أن الوقت بارد وأنت ماش على هذه الطريقة كلما شككت نقضت الوضوء ثم توضأت, تذهب تنقض الوضوء ثم تبقى إما أن تتوضأ بالماء البارد أو تتيمم هذا غلط؛ المهم أن الشيء الذي لا يقصد يؤخذ من هذه الآية ومن غيرها أيضا من السنن الأخرى أنه لا عبرة به، لا عبرة به, ومن ذلك كما أشرت إليه طلاق الموسوسين فإنه لا يعتبر حتى لو نطق؛ أقول أحيانا يسألوننا فإذا قلنا لهم: ليس عليكم طلاق إلا إذا ذهبتم إلى كاتب العدل أو إلى رئيس المحكمة ليكتب الطلاق, تجده يرتعش أعوذ بالله أعوذ بالله؛ إذا هذا قصد الطلاق ؟ ما قصد الطلاق, فلا عبرة به.

من فوائد هذه الآية الكريمة: إثبات علم الله عزوجل بسرائر الأمور؛ لقوله: ((**والله أعلم بما يكتمون**)).

ومن فوائدها: تحذير العبد من أن يكتم في قلبه ما لا يرضاه الله عزوجل؛ من أين يؤخذ ؟ من قوله: ((**أعلم بما يكتمون**)) .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن المنافقين يحرصون غاية الحرص على كتمان نفاقهم, ولكن الله يعلم بذلك, وقد كشفهم الله بقوله: ((**يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا**)) .

من فوائد هذه الآية الكريمة: أن المنافقين لا خير فيهم لا في الجهاد في سبيل الله ولا في الدفاع عن المسلمين؛ لقوله: ((**وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا**)) فهم لا خير فيهم لا يأتون للقتال في سبيل الله ولا للدفاع.

نبهنا على خطأ بعض العلماء في قوله تعالى: ((**والله أعلم**)) وما أشبه ذلك ؟ نبهنا عليه طيب.

من فوائد هذه الآية الكريمة: أن الإنسان تتغير أحواله فيكون في حال أقرب إلى الإيمان من الكفر وفي حال أخرى بالعكس؛ لقوله: ((**هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان**));

واستدل بعض العلماء بهذه الآية على زيادة الإيمان ونقصانه؛ فما وجه الاستدلال ؟ ما وجه الدلالة من الآية ؟ كلما قرب الإنسان للإيمان سوف يزداد إيمانه، كلما بعد سوف ينقص؛ وهذا مذهب أهل السنة والجماعة؛ أن الإيمان يزيد وينقص؛ ولكن هل يزيد بالعمل الظاهر أو يزيد حتى في العمل الباطن ؟ نعم يزيد في هذا وهذا؛ فالعمل الظاهر نجد بعض الناس يكثر من الأعمال الصالحة فيزداد إيمانهم؛ أما في الباطن فكذلك يزداد إيمان الإنسان بالباطن بحسب ما يكون عنده من البينات؛ فهذا ابراهيم قال: ((**رب أرني كيف تحيي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي**)) والإنسان يدرك بحسه أنه إذا أخبره ثقة بخبر ثم أخبره ثقة بنفس الخبر ثم ثقة ثم ثقة يحس بنفسه أنه كلما زاد المخبرون ازداد إيمانه, وهذا شيء مشاهد ما فيه إشكال .

ويؤخذ من الآية الكريمة: أن الكفر ضد الإيمان؛ لقوله: ((**هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان**)) ولكن هل يجتمع الإيمان والكفر في قلب رجل ؟ نقول أما الإيمان المطلق والكفر المطلق فلا يمكن أن يجتمعا, وأما الإيمان الناقص أو الكفر دون الكفر فيمكن أن يجتمعا على مذهب أهل السنة والجماعة أن الإنسان يكون فيه خصال إيمان وخصال كفر فيحب على ما معه من الإيمان ويكره على ما معه من الكفر .

ومن فوائد الآية الكريمة أيضا: أنه ينبغي للإنسان أن يحترس في الحكم وأن لا يطلق الحكم؛ بل يحترس فيه؛ لقوله: ((**هم للكفر يومئذ أقرب منه للإيمان**)) وهو ما يسمى في عرف الدبلوماسيين التحفظ؛ لأن قوله: ((**يومئذ**)) احتراز مما سبق ومما سيأتي, لأنه ربما أنه فيما سبق هم للإيمان أقرب, وربما في المستقبل أيضا يغير الله حاله فيكون للإيمان أقرب؛ فأنت إذا حكمت على شخص فينبغي لك أن تقيد بأن الإطلاق ربما يأخذ المحكوم عليه هذا الحكم مطلقا؛ وافرض أنك تريد أن تعدل شخصا تقول إنه عدل، إذا أعطيته وصف العدالة على سبيل الإطلاق فربما يفسق فيما بعد وتبقى هذه الوثيقة عنده؛ لكن الحمد لله الآن الناس يحترسون من هذا بذكر التاريخ, لأنه إذا ذكر التاريخ وأنت عدلته في هذا التاريخ فإنه لا لوم عليك في المستقبل فيما لو اختلفت حاله لأنك إنما تعدله في ذلك الوقت، ربما تختلف حاله ويكون فاسقا بعد ذلك فما عليك منه.

ثم قال: ((**الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا قل فادرؤوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين**)) هذه أيضا فيها فوائد ؛ ما درسنا التفسير؛ إذا في المستقبل إن شاء الله .

يقول الله عزوجل: ((**الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا**)) الذين: هنا بدل من الذين السابقة في قوله: ((**وليعلم الذين نافقوا**)) أو صفة، أو صفة, ((**الذين قالوا لإخوانهم**)) وكونها صفة أولى بل هو المتعين؛ وذلك لأن البدل يكون هو المقصود بالحكم، هو المقصود بالحكم انتبهوا للفرق، البدل هو المقصود بالحكم دون المبدل منه؛ فإذا قلت: أكرم زيدا عمروا؛ عمروا بدل من زيد؛ فمن الذي يكرم؟ عمرو؛ إذا قلت: كل الرغيف ثلثه؛ الثلث, ولهذا لو أكل النصف لأكل السدس بغير حق؛ فإذا قال أنت قلت لي: كل الرغيف ؟ قلت: لكني أبدلت وقلت ثلثه؛ فالسدس الذي أكلته زائدا الآن يعتبر أكلا بغير حق؛ فتكون آثما, ولصحاب الرغيف أن يطالبك بقيمة السدس؛ على كل حال البدل هو المقصود بالحكم، كما قال ابن مالك رحمه الله في الألفية:

التابع المقصود بالحكم بلا واسطة هو المسمى بدلا؛

وعلى هذا فتعين أن تكون: ((**الذين**)) الثانية أيش ؟ صفة لـ ((**الذين**)) الأولى، صفة؛ واسم الموصول يصح أن يكون صفة لأنه بصلته يكون بمعنى المشتق؛ ((**الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا**)) قوله: ((**لإخوانهم**)) أي إخوانهم ظاهرا؛ هذا هو الصحيح؛ وقال بعضهم: لإخوانهم في النسب؛ والمعنى الأول أصح لأنهم لا يخاطبون

إخوانهم في النسب فقط بل يخاطبون كل من استشهد في غزوة أحد, وليس كل من استشهد أخا لواحد من المنافقين؛ فيكون المراد بإخوانهم أي ظاهرا, لأن المنافقين مع المؤمنين كأنهم مؤمنون؛ ولهذا لما استؤذن النبي صلى الله عليه وسلم في قتلهم قال: (**لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه**) إذا فهم ظاهرا إخوان وأصحاب؛ فلهذا نقول: ((**لإخوانهم**)) الصواب المراد لإخوانهم ظاهرا, لأنهم يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر.

وقوله: ((**وقعدوا**)) قعدوا عن أيش ؟ عن القتال, والله سبحانه وتعالى يسمي المتخلفين عن القتال قعودا فقال: ((**لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله**)) فسمى المتخلفين عن القتال قعدة؛ وقال تعالى: ((**وقيل اقعدوا مع القاعدين**)) ((**ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن الله كره انبعاثهم فثبتهم وقيل اقعدوا مع القاعدين**))

إذا ((**وقعدوا**)) يعني عن القتال؛ والجملة في قوله: ((**وقعدوا**)) في محل نصب على الحال بتقدير قد أي: وقد قعدوا؛ وهذا أولى من أن نجعل الجملة معطوفة على الصلة, يعني: قالوا وقعدوا؛ لأن قولهم حال كونهم قعودا أشد؛ فهم جمعوا بين الأمرين بين السوء في القول والسوء في الفعل؛

ماذا قالوا ؟ قالوا: ((**لو أطاعونا ما قتلوا**)) بأي شيء يطيعونهم ؟ بعدم الخروج لأن المنافقين أشاروا بعدم الخروج, ولكن النبي صلى الله عليه وسلم والصادقين من المؤمنين أبوا إلا أن يخرجوا؛ وفي أثناء الطريق انخزل عبد الله بن أبي ومن معه بثلث العسكر, فتخلفوا . والعياذ بالله . ولهذا قال: ((**لو أطاعونا ما قتلوا**)) وفي قراءة: ((**ما قتلوا**)) بالتشديد.

الشيخ: قالوا: ((**لو أطاعونا ما قتلوا**)) بأي شيء يطيعونهم ؟ بعدم الخروج لأن المنافقين أشاروا بعدم الخروج, ولكن النبي صلى الله عليه وسلم والصادقين من المؤمنين أبوا إلا أن يخرجوا؛ وفي أثناء الطريق انخزل عبد الله بن أبي ومن معه بثلث العسكر, فتخلفوا . والعياذ بالله . ولهذا قال: ((**لو أطاعونا ما قتلوا**)) وفي قراءة: ((**ما قتلوا**)) بالتشديد على سبيل المبالغة؛ لأنه حصل في الذين استشهدوا حصل فيهم تمثيل, مثل حمزة رضي الله عنه فإنه مثل به, حتى إن هند بنت عتبة أخذت كبده ومضغتها ولكن لم تستطع أن تهضمها ما بلعتها؛ فنقول: ((**قتلوا**)) بناء على أن هذا التقتيل فيه مبالغ فيه, لما فيه من المثلة؛ أما: ((**قتلوا**)) فأمرها ظاهر.

((**لو أطاعونا ما قتلوا**)) قال الله تعالى: ((**قل**)) يعني يا محمد لهؤلاء: ((**فادرءوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين**)) ادرءوا: بمعنى ادفعوا, يعني هل أنتم لما تخلفتم هل أنتم نجوتم من الموت ؟ الجواب: لا؛ إن كنتم صادقين فادرءوا عن أنفسكم الموت إذا جاءكم الموت، لا يستطيعون هذا، لا يستطيعون أن يدفعوا عن أنفسهم الموت؛ وقوله: ((**إن كنتم صادقين**)) هذا من باب التحدي, يعني إن كنتم صادقين في أن من تخلف لا يموت فادفعوا عن أنفسكم الموت؛

((**قل فادرءوا عن أنفسكم الموت**)) أي ادفعوها ((**إن كنتم صادقين**)) والجواب أنهم لا يستطيعون ذلك؛ وفي ختم هذا التحدي ادرءوا بقوله: ((**إن كنتم صادقين**)) تأكيد كذبهم في قولهم: ((**لو أطاعونا ما قتلوا**)) يعني: هم لو تخلفوا فالموت سيأتيهم .

السائل: طلاق الموسوس هل يقع حتى لو قصد الموسوس الطلاق ؟

الشيخ: لا لو قصد يروح للمحكمة ويطلق؛

السائل: قصدي ليريح نفسه فهل يقع ؟

الشيخ: لا ما يصير طلاق؛

السائل: لكن طلق قاصدا الطلاق ؟

الشيخ: أبدا قاصدا غصبا عليه, هو قاصد الطلاق فرارا من الطلاق؛ الآن هذا الموسوس لو سألته هل طلقت باختيار ؟

السائل: هو شاك في الطلاق فطلق ليرتاح,

الشيخ: لا, يريح نفسه بأن الأصل عدم الطلاق.

السائل: والطلاق الثاني ما يعتبر .

الشيخ: أبدا ما يعتبر.

السائل: ما معنى قولكم خصال الكفر ؟

الشيخ: خصال الكفر يعني الأشياء المكفرة مثلا قول الرسول عليه الصلاة والسلام: (**اثنتان في الناس هما به الكفر: الطعن في النسب, والنياحة على الميت**) هاتان خصلتان,

السائل: هي صفات ؟

الشيخ: صفات أو عمل .

السائل: مثل لو ترك الصلاة ؟

الشيخ: لا لا، ترك الصلاة كفر أكبر مخرج عن الملة لأن فيها أدلة, ما هو أصغر؛ لا هو كفر أكبر لأن فيه أدلة من القرآن والسنة .

السائل: الذين قالوا لإخوانهم إخوانهم من النسب أو إخوانهم في الظاهر, ظاهرهم الإسلام ؟

الشيخ: قلنا إن بعض العلماء قال: إخوانهم في النسب, والصحيح أنه إخوانهم في الظاهر؛

السائل: ما يطلق على إخوانهم الذين قتلوا أيضا ؟

الشيخ: ما قتل أحد من المنافقين، كل الذين استشهدوا في أحد كلهم مؤمنون خلص .

السائل: فائدة في أن المنافقين يحرصون على كتم نفاقهم في حال ظهور الإسلام, لكن إذا كان الإسلام ضعيفا يظهرون النفاق,

الشيخ: يظهرون الكفر ؟ يظهرون الكفر, نعم صحيح .

السائل: هل يصح أن يقال إن العاصي في حال معصيته أنه يكون أقرب للإيمان ؟

الشيخ: ما فيه شك, لأن جميع المعاصي كلها خصال الكفر، كل المعاصي كفر, كما أن جميع الطاعات إيمان, لكننا لا نطلق على كل المعصية كفر إلا بالدليل.

السائل: الذين يقولون بالمنزلة أن صاحب الكبيرة بين منزلتين يستدلون بهذه الآية,

الشيخ: بس هم يخرجونه من الإيمان, لا تظنوا أنه في منزلة بين منزلتين بين منزلة الكمال والنقص؛ لو كان هذا مرادهم لكان صحيحا؛ لكنهم يخرجونهم من الإيمان مرة, وفي الآخرة في النار, لكننا نقول المنزلة بين المنزلتين التي تريدون لا نوافقكم عليها؛ لكن لو قالوا: إنه في منزلة بين المنزلتين بين منزلة الكمال ومنزلة النقص قلنا صحيح.

السائل: الموسوس الآن قلنا أن طلاقه لا ينفذ, لكن إذا أحدث وتعمد الحدث قلنا إن وضوءه انتقض؟ الشيخ: معلوم لأن الحدث فعل, والمحدث حتى لو أكره المحدث على أن يحدث وأحدث انتقض وضوءه, لأنه سبب؛ أما الطلاق فهو موكول إلى اختيار الإنسان: (**إذا نكحتم ثم طلقتم**)؛ أما الحدث فإنه سبب مرتب عليه الوضوء .

السائل: قلنا أن المطلق إذا لم يقصد المعنى لا يقع لأنه يملك هذا شيئا ولا يتعلق به حق الغير, عكس ما لو تعلق به حق الغير مثل القذف ؟

الشيخ: لا، العدوان على الغير حتى لو هو جاهل، العدوان على الغير ما يعذر فيه لا بجهل ولا نسيان ولا إكراه, حتى لو أكره إنسان شخصا على أن يضرب شخصا فإنه يؤخذ به؛

السائل: لكن قلنا: ما لم يقصد بقوله,

الشيخ: المراد القول الذي يتعلق بالإنسان نفسه, أما لو واحد يسب شخص ويقول أنا ما قصدت، أنا أردت أن أمدحه.

السائل: حتى الطلاق يتعلق به حق الغير ؟

الشيخ: لكن الأصل أنه بيد الزوج، صحيح أنه يتعلق به حق المرأة, لكن المرأة لو قالت: أنا لا أريد الطلاق, وطلقها فله ذلك لأنه بيده .

السائل: قلنا أن العصيان من خصال الكفر والله سبحانه وتعالى فرق بين العصيان والفسوق والكفر في قوله تعالى: ((**وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان**)) وفرق بين هذه الثلاثة ؟

الشيخ: هناك كلمات إذا ذكرت مع غيرها صار لها معنى, وإذا ذكرت وحدها صار لها معنى؛ فمثلا الإيمان والإسلام إذا ذكرا جميعا صار الإسلام له معنى والإيمان له معنى, وإن انفرد أحدهما صار بمعنى واحد؛ فإذا قيل: كفر وفسوق وعصيان؛ أو فسوق وعدوان؛ أو إثم وبغي يختلف؛ أما عند الإطلاق فيكون هذا بمعنى هذا.

السائل: إذا نقول: إن المعاصي من الفسوق ؟

الشيخ: نعم المعاصي فسوق, لكن خصلة كفر ما هي كفر مخرج؛ ولهذا قيدنا ذكرنا لكم ولكن لا نطلق على المعصية أنها كفر إلا إذا أطلق عليه الشرع, لكن هي من خصال الكفر الإنسان يتبع هواه فيه.

السائل: قلنا: ما يؤاخذ الإنسان بالقول وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم: (**يلقي الكلمة لا يلقي لها بالا يهوي بها في النار**) كيف نجمع ؟

الشيخ: نعم, نجمع بينها لأن الملقي بالكلمة متعمد, لكنه ما اهتم بها لا يلقي لها بالا؛ فهو متعمد, ولهذا يهوي بها في النار سبعين خريفا, أو أبعد ما بين السماء والأرض؛ ففرق بين المتعمد الذي ما ألقى لها بالا, وفرق بين من لم يقصد .

السائل: سئل الرسول صلى الله عليه وسلم: هل يكون المؤمن جبانا قال: نعم, وقيل: هل يكون كذابا قال: لا؛ هذا يحمل على الدوام أو أفراد الأفعال ؟

الشيخ: لا, حتى أفراد الأفعال, الكذب من خصال المنافقين, فإذا كذب الإنسان مرة صار فيه خصلة من خصال النفاق؛ ولكنه حتى لو كان كذابا في كل أوقاته ما يكون كافرا كفرا مطلقا, يعني بالمعنى المخرج عن الملة.

السائل: لكن ما يرتفع عنه اسم الإيمان إلى النفاق, لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ارتفع عنه الإيمان ؟

الشيخ: لا لا؛ يرتفع عنه كمال الإيمان؛ مذهب أهل السنة والجماعة أن ما ذكر فيه نفي الإيمان وليس يقتضي الإيمان فالمراد به نفي الكمال .

السائل: قال الله عزوجل: ((**إنما المؤمنون إخوة**)) وهنا يقول: ((**قالوا لإخوانهم**)) المنافقون قالوا لإخوانهم؛ هل يصح أن نقول المنافق أخ المؤمن ؟

الشيخ: ظاهرا، ظاهرا؛ أما المؤمنون إخوة ظاهرا وباطنا؛ ... يأتي اثنان يصلون إلى جنب بعض؛ واحد يصلي وهو لا يؤمن بالله لكن مع الناس, والثاني يصلي مؤمنا بالله مخلصا له, هم ظاهرا إخوة, كلهم في صف واحد وخلف إمام واحد .

السائل: المنافق هل كفره مطلق أو من خصال الكفر كما في قوله تعالى: ((**هم للكفر يومئذ أقرب**)) ؟

الشيخ: لا المنافقون ؟ الظاهر أنه الكفر المطلق؛ يمكن قد يكون بعض المنافقين لم يكفر كفرا مطلقا ويصير أقرب، يصير أقرب للكفر, وبعضهم كافر كفر مطلقا من الأصل, من الأصل ليس قريبا من الإيمان.

السائل: قوله عزوجل: ((**وإلى عاد أخاهم هودا**)) مثل الذي معنا بالآية يا شيخ, يعني أخوة ظاهرة؟

الشيخ: ويش تقولون ؟ نسبا, ولهذا انظر إلى أصحاب الأيكة في سورة الشعراء قال: ((**كذب أصحاب الأيكة المرسلين إذ قال لهم شعيب**)) لما كانوا ليسوا من قومه قال: ((**إذ قال لهم شعيب**)) أما أهل مدين أيش قال لهم ؟ ((**وإلى مدين أخاهم شعيبا**)) .

السائل: هذا المقام يقتضي التفريق بين المؤمنين والمنافقين, ...

الشيخ: المقام هم يدعون أنهم إخوة, وأنهم يد واحدة, ويصلون مع الناس ويتصدقون, فيقولون: نحن مخلصين لكم ونحن إخوة لكم .

الطالب: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ((**ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا واتقوا أجر عظيم الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم**

فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم)).

الشيخ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم؛ قال الله تبارك وتعالى: ((**ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا**)) فيه مناقشة ؟ فوائد ؟ من قوله: ((**الذين قالوا لإخوانهم** ...)) طيب.

قال الله تبارك وتعالى: ((**الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا**)) أين مقول القول في قوله: ((**الذين قالوا لإخوانهم**)) ؟

الطالب: قوله: ((**لو أطاعونا**))؛

الشيخ: لو أطاعونا هذا مقول القول .

الشيخ: وما موضع قوله: ((**وقعدوا**)) من الإعراب ؟

الطالب: في محل نصب على الحال تقدير الكلام: وقد قعدوا؛

الشيخ: تمام. ألا يجوز أن تكون معطوفة على ((**قالوا**)) ؟

الشيخ: قال الله تعالى: ((**لو أطاعونا ما قتلوا**)) لو هنا ما نوعها ؟ ما هي إعرابها ما أريد المعنى ؟ الطالب: شرطية؛

الشيخ: شرطية إعرابها شرطية؛ فعل الشرط ؟

الطالب: ((**أطاعونا**)) .

الشيخ: وجوابه ؟

الطالب: جوابه: ((**ما قتلوا**)) .

الشيخ: لو تأتي لعدة معاني منها أن تكون شرطية, وغيرها ؟ هل تأتي لغير الشرط ؟

الطالب: مصدرية؛

الشيخ: مصدرية مثل ؟

الطالب: قوله تعالى: ((**ودوا لو تدهن فيدهنون**))

الشيخ: أي ودوا أن تدهن .

الشيخ: قوله تعالى: ((**إن كنتم صادقين**)) الجملة هذه ؟

الطالب: جملة اسمية؛

الشيخ: كيف اسمية وهي مبدوءة بالفعل ؟ الجملة: ((**إن كنتم صادقين**)) ما هي ؟

الطالب: شرطية؛

الشيخ: أين فعل الشرط ؟

الطالب: فعل الشرط: كنتم .

الشيخ: أين الجواب ؟

الطالب: الجواب اختلف فيه: فيل مثل هذا التركيب لا يكون له جوابا, وقيل الجواب محذوف تقديره: إن كنتم صادقين فادعوا على أنفكم بالموت

الشيخ: صحيح, فيها قولان؛ بعضهم يقول إن الجواب محذوف, وبعضهم يقول إنها لا تحتاج إلى جواب لأنه علم مما سبق؛ وهذا اختيار ابن القيم رحمه الله .

في هذه الآية من الفوائد: التنديد بهؤلاء الذين جمعوا بين قبح الفعل وقبح القول؛ يؤخذ من قوله: ((**قالوا**)) ((**وقعدوا**)), قبح الفعل من كونهم ؟

الطالب: ((**قعدوا**));

الشيخ: والقول من قولهم: ((**لو أطاعونا ما قتلوا**)).

ومن فوائدها: أن هؤلاء مع قبح قولهم وإدخال الندم على قومهم اعترضوا على القدر؛ لقولهم: ((**لو أطاعونا ما قتلوا**)) .

ومن الفوائد أيضا: الإشارة إلى أن مثل هذا القول عند حلول القدر لا يجوز؛ لأنه سيق في سياق الذم؛ وهو كذلك؛ ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: (**إن أصابك شيء**) يعني: بعد بذل الجهد (**فلا تقل لو أني فعلت لكان كذا وكذا**) أما لو قاله الإنسان خبرا لا اعتراضا على القدر ولا ندما على ما وقع, فإن هذا لا بأس به، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم: (**لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت الهدي ولأحللت معكم**) وليس هذا من باب التمني كما ذهب إليه بعض العلماء, وأن لو هنا استعملت في تمني الخير؛ بل نقول: هي خبر؛ وهذا يقع كثيرا, قد تقول للشخص: لو زرتني بالأمس لأكرمتك، وما أشبه ذلك تريد بذلك الخبر؛

وعلى هذا فنقول إن استعمال لو يكون على وجوه؛ الوجه الأول: أن يكون اعتراضا على القدر؛ فهذا لا يجوز, وهو منازعة للرب عزوجل في قضائه وقدره؛ الحال الثانية: أن يكون مثارا للندم والتحسر فهذا لا يجوز أيضا؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عنه فقال: (**إن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا**)؛ الثالث: أن يكون خبرا عن الواقع؛ فهذا لا بأس به؛ لأنه لا يحمل الإنسان على الندم, وليس فيه منازعة لقدر الله عزوجل, وهو يقع كثيرا في كلام الناس .

ومن فوائد هذه الآية: تحدي هؤلاء الذين قالوا هذا الكلام بدفع الموت عنهم؛ لقوله: ((**قل فادرءوا عن أنفسكم الموت**)) .

ومن فوائدها: أنه لا يمكن درء الموت, لأن ما وقع التحدي به فإنه لا يمكن وقوعه, إذ لو أمكن وقوعه لم يكن للتحدي به فائدة؛ ومن هنا نعرف أن قول الله تعالى: ((**يا معشر الجنس والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان**)) لا يصح تنزيله على وصول الناس الآن على أعماق الفضاء وإلى الكواكب، وإلى أعماق الكواكب كما زعم بعضهم حينما وصل الناس إلى القمر وحلوا به, قالوا: إن هذا مما دل عليه القرآن؛ لأن الله قال: ((**لا تنفذون إلا بسلطان**)) والسلطان العلم؛ فهؤلاء أوتوا علما حتى وصلوا إلى ما وصلوا إليه, فالقرآن شاهد لذلك؛ ولكن هذا في الحقيقة تحريف للقرآن, فالقرآن في الآية هذه إنما هو للتحدي, بدليل أن الله سبحانه وتعالى قال: ((**كل من عليها فان**)) ((**يسأله من في السموات والأرض كل يوم هو في شأن**)) ((**يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان**)) ((**يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس**)) ((**فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان**)) وهذا كله يدل على أن المراد بذلك متى ؟ التحدي, ويكون يوم القيمة ما هو في الدنيا؛ ولهذا نقول: هؤلاء لو نفذوا من أقطار الأرض لم ينفذوا من أقطار السموات؛ والآية فيها التحدي في هذا وهذا؛ والمهم أنه لا ينبغي أن نخضع نصوص القرآن من أجل أن نقول إنها دالة على ما حدث أو ما يحدث؛ بل نقول: إن ما حدث أو يحدث إذا قامت البراهين على صدقه فإنه لا يحتاج إلى أن نقحمه في دلالة القرآن؛ نقول هذا شيء وقع وشهد به كل الناس فهو صحيح, لو كنا نقحم كلما جاء أو كلما حدث من العلوم في الوقت الحاضر في القرآن لكنا نحمل القرآن ما لا يحتمل؛ وليعلم أن تفسير القرآن تعبير عن إرادة الله بهذا الكلام أو تعبير عن مراد الله؛ فمن فسره بغير ما يظهر من مراده فهو كاذب على الله مفتر عليه؛ فالمسألة ليست هينة؛ يعني: أنا قد أبيح لنفسي أن أفسر كلام واحد من الناس وليس كذبا على الله ككذب على الناس؛ لكن لا أستبيح لنفسي أن أقول في كتاب الله ما لم نعلم أن الله أراده؛ فالمفسر يشهد على الله بأن الله أراد كذا؛ فليحذر، فليحذر من هذه المسألة .

من فوائد الآية الكريمة: جواز بل تكليف النبي عليه الصلاة والسلام تكليفا خاصا بإبلاغ شيء من القرآن أو مجادلة أحد من الناس؛ لقوله: ((**قل فادرءوا**)) يعني أنت جادلهم وتحدهم فقل: ادرءوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: معاملة الناس بما يظهر من حاله؛ لقوله: ((**الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا**)) فإنه سبق لنا أن قلنا إن الصواب في الأخوة هنا الأخوة الظاهرة لا أخوة النسب, لأنه ليس كل من قتل في أحد يكون له قرابة لهؤلاء المنافقين .

ثم قال الله عزوجل: ((**ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا**)) فيها قراءتان: ((**قتّلوا**)) **و** ((**قتلوا**)) وكذلك ((**تحسَب**)) و ((**تحسِب**)) كلاهما سبعيتان؛

((**ولا تحسبن**)) الخطاب هنا إما للرسول صلى الله عليه وسلم أو لكل من يصح توجيه الخطاب إليه؛ فإن كان لكل من يصح توجيه الخطاب إليه دخل فيه النبي صلى الله عليه وسلم وغيره؛ وإن كان خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم دخل فيه غيره بالتبع؛ فيكون المقصود قصدا أوليا بهذا الخطاب النبي صلى الله عليه وسلم وغيره تبعا له؛ أما إذا قلنا إنه أي الخطاب موجه لكل من يصح توجيه الخطاب إليه فهو عام, يعني ولا تحسبن أيها المخاطب، هذا على الثاني؛ أو ولا تحسبن أيها النبي، هذا على الأول؛ والحسبان هنا بمعنى الظن, يعني لا تظن أن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا؛ وقوله: ((**قتلوا في سبيل الله**)) يشمل من قتله العدو ومن قتل حرفة للعدو، كما لو ارتد السهم على حامله فقتله فإنه يكون مقتولا في سبيل الله.

وقوله: ((**في سبيل الله**)) بينها الرسول عليه الصلاة والسلام بأن المراد بذلك من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، **وذلك حين سئل عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء, وفي لفظ: يقاتل ليرى مكانه أي ذلك في سبيل الله ؟ فقال صلى الله عليه وسلم كلمة جامعة مانعة قال: (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله**) ما الذي سئل عنه الرسول صلى الله عليه وسلم ؟ ما الذي سئل ما هي الأسئلة الموجه له ؟

الطالب: **الرجل يقاتل للشجاعة ويقاتل للحمية ويقاتل ليري مكانته؛ أي ذلك في سبيل الله ؟ فقال: (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله)**

الشيخ: نعم, إذا من المراد بالذين قتلوا في سبيل الله ؟ هم الذين قاتلوا لتكون كلمة الله هي العليا, لا شجاعة ولا حمية ولا رياء؛ الشجاعة معناها أن الإنسان تحمله شجاعته على أن يقاتل, لأن الشجاع يحب القتال, كما أن الصياد يحب الصيد، صياد السمك في البحر يحب الصيد, وإن لم يجن إلا شيئا قليلا, وكذلك صياد الطير في الهواء يحب الصيد وإن كان لا يجن إلا قليلا؛ الرجل الشجاع يحب أن يقاتل؛ فلو أن رجلا قاتل من أجل الشجاعة, حملته شجاعته على القتال فهذا ليس في سبيل الله؛ حمية وطنية أو قومية فليس في سبيل الله؛ فمن قاتل من أجل الدفاع عن الديار فقط فقتاله مساوي لقتال الكافر, حتى الكفار يقاتلون دفاعا عن بلادهم, لكن

من قاتل دفاعا عن بلده من أجل أنه بلد إسلامي ليحمي الإسلام بهذا القتال فهو في سبيل الله؛ ولذلك يجب إذا وجهنا الجند للقتال دفاعا عن الوطن أن نقول: لا حظوا أنكم تدافعون عن وطنكم باعتباره وطنا إسلاميا لا مجرد وطنية.

والثالث رياء، قاتل رياء فقط ليرى أن رجل مقاتل في سبيل الله، هذا ليس في سبيل الله, حتى لو كانت هناك نيات أخرى؛ قاتل لمجرد طاعة أميره فقط فليس في سبيل الله؛ يعني الرسول صلى الله عليه وسلم سئل عن ثلاثة ولا أجاب ولا أجاب عن كل واحد بعينه بل أجاب بكلمة جامعة مانعة لأجل أن تشمل حتى النيات الأخرى سوى هذه الثلاث, ربما تأتي نيات أخرى غير هذه الثلاث, فتخرج بالحديث أو تدخل فيه؛ (**من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله**) هؤلاء الذين قتلوا في سبيل الله من هم ؟ هل هم أهل بدر أو أهل أحد ؟ أو هو عام ؟ هو عام, لكن أول من يدخل فيه الشهداء في بدر وفي أحد لا شك .

وقوله: ((**ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أمواتا**)) في سبيل الله: سبيل الله طريقه, ويطلق ويضاف أحيانا إلى المؤمن قال الله تعالى: ((**ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى**)) فهو يضاف إلى الله باعتبارين: باعتبار أنه واضعه, هو الذي شرع هذا الطريق؛ واعتبار أنه موصل إليه؛ ويضاف إلى المؤمنين باعتبار واحد, وهو أنهم هم الذين سلكوه؛ هنا المضاف إلى الله باعتبار أن الله تعالى هو الذي شرع هذا الدين وأن هذا الدين موصل إليه .

((**أمواتا**)) هذه مفعول ثان لتحسب, لأن حسب يحسب مفعولين أصلهما المبتدأ والخبر, بخلاف كسى وأعطى فإنها تنصب مفعولين ليس أصلهما المبتدأ والخبر؛

يقول: ((**أمواتا بل أحياء**)) هنا قال: ((**أمواتا بل أحياء**)) والمعروف أنه إذا قتل مات, فكيف ذلك ؟ المراد: لا تحسبن أنهم ماتوا وانتهوا؛ لا، هم ماتوا لكن انتقلوا إلى حياة أخرى أفضل مما فارقوه؛ فيكون المعنى لا تحسب أنهم أمواتا يعني أنهم ماتوا وانتهوا, ليس الأمر كذلك بل هم أحياء؛ ماتوا ميتة الدنيا ولكن هم أحياء حياة أخرى تتميز عن الحياة الدنيا وهي خير وأفضل؛

وقوله: ((**بل أحياء عند ربهم**)) عند هذه تفيد القرب من الله عزوجل؛ وهو كذلك, فإن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت, ثم تعرج إلى قناديل معلقة تحت العرش؛ فهذه عندية خاصة يمتاز فيها بالقرب من الله سبحانه وتعالى؛

فقوله: ((**بل أحياء**)) أي: بل هم أحياء, والمراد بذلك حياة أرواحهم؛ أما أبدانهم فقد ماتوا لا شك؛ لكن أرواحهم حية حياة برزخية؛ ولهذا قال: ((**عند ربهم**)) وليس الحياة المطلقة التي هي الحياة الدنيا, لأنها لو كانت

الحياة الدنيا ما صاروا قتلوا في سبيل الله, لكانوا باقين, ولما صح أن يدفنوا؛ وهم فارقوا الدنيا ودفنوا لكنهم أحياء عند الله عزوجل حياة لا تشبه حياة الدنيا؛ وقوله: ((**يرزقون**)) أي يعطون, لأن الرزق في اللغة العطاء, ومنه قوله تعالى: ((**وإذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم**)) ارزقوهم: أعطوهم, يعني يعطون؛ مم يعطون ؟ يعطون من رزق الله في الجنة حيث شاءوا؛ ولكن هذا العطاء عطاء ناقص بالنسبة للعطاء الأكمل الذي يكون بعد البعث؛ لأن العطاء هنا قبل القيامة عطاء للبدن وعطاء للروح وكلاهما ناقص بالنسبة لما بعده؛ فهو عطاء للبدن لأنه في القبر يفسح له مد البصر, ويفتح له باب إلى الجنة, ويأتيه من روحها ونعيمها؛ لكنه لا يتمتع التمتع الكامل؛ كذلك الأرواح لا تتمتع التمتع الكامل في وجودها في الجنة؛ يكون التمتع الكامل بعد البعث حين تلتقي الأرواح بالأجساد اللقاء الذي لا مفارقة بعده, لأنه إذا التقت الأرواح في البعث فلا مفارقة, تبقى أبد الآبدين وحينئذ يحصل كمال النعيم .

ثم قال: ((**فرحين بما آتاهم الله من فضله**)) الفرح ضد الحزن, وهو قريب من معنى السرور؛ المعنى أنهم مسرورون بما آتاهم الله من فضله؛ وكما يشاهد أنها منصوبة الآن: ((**فرحين**)) على أي شيء ؟ هي حال, منصوبة على الحال, ولكن هل هي حال من الضمير المستتر في أحياء، بل أحياء حال كونهم فرحين ؟ أو حال من الظرف: ((**عند ربهم**)) أي من متعلق الظرف ؟ أو حال من نائب الفاعل في: ((**يرزقون**)) ؟ كل هذا جائز، كل هذا جائز, والمعنى لا يختلف فيه اختلافا كثيرا.

وقوله: ((**فرحين بما آتاهم الله**)) أي بالذي أعطاهم من فضله؛ ولم يبينه سبحانه وتعالى بل أتى مجملا لأنه ذكر مفصلا في آيات أخرى بعد دخول الجنة يوم القيمة, وأما هنا فهو إجمال؛ ((**بما آتاهم الله من فضله**)) آتاهم بمعنى أعطاهم؛ وأما أتاهم فبمعنى جاءهم؛ يقول: ((**آتاهم الله من فضله**)) الفضل في اللغة الزيادة؛ والمراد بالفضل هنا ما تفضل الله به عليهم من النعيم الذي لم يكن يخطر على بالهم .

قال: ((**ويستبشرون بالذين لم يحلقوا بهم**)) الواو هنا حرف عطف؛ وهل هي معطوفة على: ((**فرحين**)) من باب عطف الفعل على الاسم ؟ أو معطوفة على: ((**يرزقون**)) ؟ نقول: يحتمل هذا وهذا, ولكن لا يختلف المعنى كثيرا، المعنى لا يختلف كثيرا؛ قوله: ((**يستبشرون**)) أي: يبشر بعضهم بعضا، يبشر بعضهم بعضا بما سيذكر؛ فمعنى استبشر أي بشر غيره, أو استبشر دخلت عليه البشرى بفعل غيره.

وقوله: ((**بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم**)) يعني بإخوانهم الذين لم يلحقوا بهم, ولم يقتلوا حتى الآن في سبيل الله؛

((**ألا خوف**)) قوله ألا خوف: هذه أن مصدرية لكنها أدمغت بلا: ((**ألا خوف**)) والقاعدة الأخيرة في الكتابة أن تكتب أن؛ لكن القاعدة القديمة أن لا تكتب, وهنا لم تكتب: ((**ألا خوف**)) لكن أصل الكلمة أن لا؛ أن: هنا يقولون إنها بدل من قوله: ((**الذين لم يلحقوا بهم**)) وكأنه قال: يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم بأن لا خوف عليهم؛ ونوع البدل هنا أيش ؟ نوع البدل؟

الطالب: بدل بعض من كل,

الشيخ: لا, بدل اشتمال, لأن الخوف ليس بعض الإنسان؛ بدل اشتمال يعني: يستبشرون بأن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون؛ ((**ألا خوف عليهم**)) فيما يستقبل من أمرهم: ((**ولا هم يحزنون**)) على ما مضى من أمرهم؛ لأن الأصل أن الخوف للمستقبل, والحزن للماضي؛ ((**ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون**)).

((**يستبشرون بنعمة من الله وفضل**)) الجملة استئنافية تبين استبشارا سببه غير السبب الأول؛ الأول: سببه أنهم ينتظرون إخوانا لهم لم يلحقوا بهم؛ والسبب الثاني للاستبشار: ما أنعم الله عليهم من النعمة والفضل؛ وهنا قال: ((**يستبشرون**)) وقبل بقليل يقول: ((**فرحين بما آتاهم الله**)) ولا منافاة بينهما؛ فهم فرحين بما حصل, ويستبشرون بالذي سيحصل؛ فهم فرحين بما آتاهم الله مغتبطين به مسرورين به, ومع ذلك يستبشرون بفضل زائد؛ ولهذا قال: ((**بنعمة من الله وفضل**))؛ ومن ذلك أنهم يؤملون النظر إلى وجه الله، وأنهم بشروا بأن حالهم خلود ولا موت، ويستبشرون أيضا بما وعدهم الله سبحانه وتعالى في الدنيا, وما زالوا, يذكرونه لأن في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

قال: ((**وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين**)) فيها قراءتان: ((**وإن الله**)) ((**وأن الله**)) بالفتح؛ فعلى قراءة الفتح تكون معطوفة على ؟ على: ((**نعمة**)) أي: وبأن الله؛ وعلى قراءة الكسر تكون استئنافية من الله عزوجل لا من كلامهم, يعني يستبشرون بنعمة الله وفضل, والله تعالى قد جازاهم على عملهم, وإن الله لا يضيع أجر المؤمنين, أي لا يتركه هملا وسدى بل لابد أن يثيبهم عليه؛ والجملة كما تشاهدون مؤكدة بإن؛ وغيرها ؟ بإن واللام والقسم ؟ ما فيه لام؛ وقسم ؟ ما فيه قسم ؟ إذا مؤكدة بإن فقط؛ ((**وإن الله لا يضيع أجر المؤمنين**))

.

الشيخ: هذه الآيات فيها فوائد؛ الفائدة الأولى: فضيلة من قتل في سبيل الله؛ لكونهم أحياء عند الله عزوجل .

من فوائدها أيضا: الترغيب في الجهاد ليحصل الإنسان على الشهادة.

ولكن هنا مسألة: هل يشرع للإنسان أن يجاهد ليقتل في سبيل الله ؟ أو الذي يجاهد لتكون كلمة الله هي العليا ؟ الثاني؛ ولهذا ينبغي للإنسان إذا ذهب إلى الجهاد في سبيل الله أن ينوي أنه يقاتل لتكون كلمة الله هي العليا, لا لمجرد أن يقتل في سبيل الله؛ لأن كونه في سبيل الله مفرع على كونه يقاتل لتكون كلمة الله هي العليا؛ حتى إن بعض العلماء يقول: إذا قاتل من أجل أن يقتل فقط فهذا قتل ليموت؛ ولكن القتال الحقيقي هو أن يقاتل لتكون كلمة الله هي العليا, وهو إذا قتل فهو في سبيل الله؛ وبعض العلماء يقول لا بأس أن ينوي بالجهاد أن يقتل في سبيل الله, لأنه لن يتم له أن يقتل في سبيل الله إلا إذا قاتل لتكون كلمة الله هي العليا؛ ولكن حتى لو قيل بهذا فإن النية الأولى والرتبة الأولى هي العليا, أن يخرج ليقاتل لتكون كلمة الله هي العليا، ثم يتمنى الشهادة بناء على هذا .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أنه يصح نفي الشيء باعتبار, لا نفيا مطلقا؛ لقوله: ((**ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا**)) فإن نفي كونهم أمواتا هنا يراد به أيش ؟ الموت الذي حصل فيه العدم بلا فائدة وبدون ثواب .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: فضيلة الشهداء بكونهم عند الله؛ لقوله تعالى: ((**بل أحياء عند ربهم**)).

ومن فوائد الآية الكريمة أيضا: إبطال حجة من قال: إن الرسول صلى الله عليه وسلم حي في قبره يرزق، وقال: إن مقام النبوة أعلى من مقام الشهادة ولاشك في هذا, أن مقام النبوة أعلى من مقام الشهادة, لكن قولهم: إنه حي في قبره يرزق, إن أرادوا أنها حياة برزخية فهذا حقيقة؛ وإن أرادوا أنها حياة دنيوية فهذا كذب لاشك؛ لأنه لو كانت حياة دنيوية ما غسل ولا كفن ولا صلي عليه ولا دفن, ولكان الصحابة رضي الله عنهم وأدوا النبي صلى الله عليه وسلم، دفنوه حيا؛ ولا يرد على هذا أنها ترد عليه روحه فيرد السلام على من سلم عليه؛ لأن رد الروح في البدن في القبر ليس كردها في حياة الدنيا, بل هو رد خاص؛ ولذلك لا يحتاج الميت في قبره إلى طعام ولا شراب ولا هواء وإن ردت إليه روحه .

من فوائد هذه الآية الكريمة: أن الشهداء يرزقون، يرزقون وهم أموات؛ لقوله: ((**بل أحياء عند ربهم يرزقون**))؛ ولكن هذا الرزق هل يحتاج إلى ما يحتاج الناس في الدنيا ؟ بمعنى أنه يحتاج إلى براز في القبل أو الدبر ؟ لا؛ لأن هذا رزق أخروي, والرزق الأخروي لا يحتاج إلى ذلك, حتى أهل الجنة باقون فيها أبد الآبدين ولا يحتاجون إلى

هذا, وإنما يخرج الطعام والشراب بصفة عرق, ولكنه ليس كعرق الدنيا أيضا, عرق منتن كريه الرائحة, بل هو أطيب من رائحة المسك . اللهم اجعلنا منهم . فهذا معنى قوله: ((**عند ربهم يرزقون**)) .

السائل: الحديث الذي في المسند وغيره أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**نسمة المؤمن طير يعلق في الجنة حتى يرجع الله إليه روحه**) ما الفرق بين المؤمن الآن والشهيد ؟

الشيخ: يرى بعض العلماء أن المراد بالمؤمن هنا المؤمن المجاهد الذي قتل في سبيل الله؛ ويرى آخرون أنه عام وما هو صحيح؛ وأن الفرق هو أن نسمة المؤمن في الجنة طائر يعلق فيها, يعني يأكل منها؛ وأما أرواح الشهداء فإنها في حواصل أجواف طير خضر تأوي إلى قناديل معلقة؛ فهي كما أنها تمزق بدنها في الدنيا أبدلها الله بأبدان أخرى, وهي هذه الطيور الخضر, فتمتاز أرواح الشهداء عن بقية المؤمنين بهذا؛ وهذا هو الأقرب، هذا هو الأقرب أن أرواح المؤمنين في الجنة؛ لكن يقول ابن القيم رحمه الله: قد تحبس بعض الأرواح بسبب, مثل الدين مثلا قد يمنع من دخول النسمة الجنة؛ **وقد سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الشهادة هل تكفر الذنوب فقال:** (**تكفر كل شيء**) **ثم جاءه جبريل فقال:** (**إلا الدين**) ؛ وهذا يدل على أنه قد يحبس ثواب المجاهد عنه إذا كان عليه دين؛ فقد يكون هناك عوائق, لكن الأصل أن أرواح المؤمنين في الجنة هذا هو الأصل .

السائل: هل يصح أن يكون قوله تعالى: ((**فرحين**)) حال من الضمير في: ((**أحياء**)) ألا يتناقض المعنى: يكونون أحياء حالة كونهم فرحين ؟

الشيخ: أي نعم, أحياء وفيهم فرح.

السائل: باستمرار يعني .

الشيخ: نعم ما فيه شك, ما عندهم حزن.

السائل: عندما أراد عمرو بن الجموح أن يخرج للجهاد في سبيل الله أراد الجنة فمنعه أولاده فشكا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فلم يرد عليه بأن يقول لتكون كلمة الله هي العليا ؟

الشيخ: معلوم هو ما خرج إلا لهذا

السائل: هو يريد الجنة ؟

الشيخ: يريد الجنة بناء على أنه خرج لتكون كلمة الله هي العليا؛ ولهذا إذا خرج إنسان لتكون كلمة الله هي العليا حصل له هذا، حصل له الجنة .

السائل: هل ورد أن جسد الشهيد لا تبلى في القبر ؟ الشيخ: لا، الشهداء ما ثبت, لكنه قد وجدت وقائع تدل على أن الأرض لا تأكلهم؛ ولكن الذين يقين لا تأكلهم هم الأنبياء: (**حرم الله على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء**) .

السائل: نية التعبد إلى الله عزوجل ... أو يقرأ آية الكرسي ليحصن نفسه من الشيطان وهي أمور متعلقة بها ؟

الشيخ: أما قراءة الآية الكرسي لتحفظه فقد أشار إليه الرسول صلى الله عليه وسلم، أشار إليه لما جاءه أبو هريرة وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما قاله الشيطان قال: (**صدقك وهو كذوب**) وقال: (**من قرأها في ليلة لم يزل عليه من الله حافظ ولا يقربه الشيطان حتى يصبح**) فإذا قرأها الإنسان لهذا الغرض حصل له هذا الغرض؛ لكنه يكون ناقصا عمن قرأها للتعبد بها وحصول الغرض، الثاني أكمل .

السائل: ويستبشرون الأولى معطوفة على فرحين, طيب فرحين منصوبة ؟

الشيخ: لأنها اسم, تقدير الكلام: فرحين ومستبشرين, يعني لو كانت يستبشرون اسما لكانت ومستبشرين؛

السائل: طيب, ثبوت النون هنا يدل على الرفع ويستبشرون ؟

الشيخ: أي نعم, لأنه فعل ما هو اسم, والفاعل هو الواو، الواو هذه ما هي بعلامة الإعراب, الواو هنا اسم ضمير .

السائل: الصحابي الذين بايع النبي صلى الله عليه وسلم على أن يدخل سهم من هنا ويخرج من هنا, هذا يدل على نيته أن يقتل ؟

الشيخ: أي نعم, لكنهم يعرفون أنهم ما يقتلون هذه القتلة إلا إذا كانوا قد نووا أن تكون كلمة الله هي العليا، يعرفون هذا من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم .

الشيخ: قوله: ((**وما كان لنبي أن يغل**)) هذا النفي هل معناه النهي ؟ أو معناه شيء مستحيل ؟ الطالب: فيه قولان: بعضهم قال إنه مستحيل وبعضهم قال إنه للنفي؛ والصحيح أنه مستحيل شرعا؛ الشيخ: يعني لا يمكن للنبي.

الطالب: لا يمكن للنبي أن يغل من نفقات الجهاد.

الشيخ: طيب, الغلول هنا غلول النبي هل هو الأخذ من الغنيمة كما هو غلول غيره أم غلول النبي شيء آخر؟

الطالب: غلول النبي أن يغل العلم؛

الشيخ: يعني غير الغلول من الغنيمة ؟

الطالب: يشمل الاثنين؛

الشيخ: صح, يعني لا هذا ولا هذا، لا يمكن أن يغل من الغنيمة ولا يمكن أن يغل مما أوحى الله إليه, فيكتم العلم الذي علمه الله .

الشيخ: يشكل على بعض الناس: ((**يأت بما غل**)) لماذا جاءت على هذه الصيغة ؟

الطالب: هذا مجزوم؛

الشيخ: مجزوم بأيش ؟

الطالب: مجزوم بحذف حرف العلة ؟

الشيخ: لماذا جزم ؟

الطالب: لأنه جواب الشرط؛

الشيخ: أين الشرط ؟؛

الطالب: ((**ومن يغلل**)) .

الشيخ: أحسنت.

الشيخ: قوله: ((**لقد من الله**)) ماذا كانت هذه المنة ؟

الطالب: أخرج به الناس من الظلمات إلى النور،

الشيخ: يعني أخرج به الناس من الضلال إلى الهدى؛ ومن الشقاء إلى السعادة .

الشيخ: قال: ((**رسولا من أنفسهم**)) وفي سورة الجمعة: ((**رسولا منهم**)) ما الفرق ؟

الطالب: ((**من أنفسهم**)) يعني من بينهم ...

الشيخ: هذا عام, جماع المؤمنين: ((**من أنفسهم**)) يعني من جنسهم، ومنه قوله تعالى: ((**لو لا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا**)) .

الشيخ: ما في قوله: ((**وما أصابكم**)) ؟

الطالب: شرطية ؟

الشيخ: كيف شرطية, ما يستقيم المعنى لو كان شرطية؛

الطالب: ما بمعنى الذي,

الشيخ: موصولة؛ هو يقول إنها موصولة, ماذا تقولون يا جماعة ؟

الطالب: صحيح ؟

الشيخ: طيب لماذا اقترنت الفاء في خبرها: ((**فبإذن الله**)) ؟

الطالب: لأنها جملة اسمية؛

الشيخ: لا يا أخي؛

الطالب: لأن مضمنة معنى الشرط؛

الشيخ: نعم, لمشابهتها للشرط في العموم .

الشيخ: ما المراد بالإذن هنا الإذن الكوني أو الشرعي ؟

الطالب: الإذن الكوني؛

الشيخ: الكوني, هل تعرف أن الإذن ينقسم إلى قسمين كوني وشرعي؟ هل تستطيع أن تأتي بأمثلة ؟ الطالب: الإذن الكوني هو الذي لا بد أن يتحقق؛

الشيخ: لا؛

الطالب: أمثلة ؟

الشيخ: الكوني ما يتعلق بالكون والشرعي ما يتعلق بالشرع الأوامر والنواهي؛ طيب هنا تقول أنه إذن كوني كذا ؟ طيب ما الفرق بينهما . أي الإذن الكوني والشرعي . من حيث وقوع المأذون فيه وعدمه ؟

الطالب: الكوني لابد أن يتحقق؛

الشيخ: لابد أن يقع إذا أذن الله بشيء كونا فلابد أن يقع؛ وشرعا ؟

الطالب: لا يلزم الوقوع؛

الشيخ: لا يلزم الوقوع, تمام, قد يحكم الله بالشيء شرعا لكن لا يمتثله الناس .

الشيخ: الجملة ((**قعدوا**)) معطوفة على أيش ؟

الطالب: إما تكون معطوفة على: ((**قالوا**)) أو تكون في موقع حال.

الشيخ: في موضع نصب على الحال, يعني وقد قعدوا.

الشيخ: في قوله: ((**ما قتلوا**)) قراءتان ما هما ؟

الطالب: ((**ما قتّلوا**)) و ((**ما قتلوا**))؛

الشيخ: وما موضع: ((**ما قتلوا**)) من الإعراب ؟

الطالب: جواب الشرط؛

الشيخ: أين الشرط ؟

الطالب: ((**لو أطاعونا**)) شرطية؛

الشيخ: هذه الشرطية لو جازمة أو غير جازمة ؟

الطالب: جازمة؛ غير جازمة؛

الشيخ: غير جازمة ؟ قال الله تعالى: ((**لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم**)) واضح ؟

الشيخ: في قوله تعالى: ((**وأن الله**)) قراءتان ؟

الطالب: ((**وأن الله**)) ((**وإن الله**))؛

الشيخ: ما الفرق بينهما ؟

الطالب: إن تكون الجملة استئنافية, وأن تكون معطوفة على ما قبلها؛

الشيخ: متى تكون استئنافية ؟

الطالب: على قراءة الكسر تكون استئنافية؛

الشيخ: وعلى قراءة الفتح ؟

الطالب: تكون معطوفة على ما قبلها. معطوفة على قوله: ((**ألا خوف عليهم**)).

الشيخ: لا,

الطالب: على: ((**يستبشرون بنعمة**))

الشيخ: يعني على نعمة, أحسنت.

... الشيخ: لكن إذا قلنا إنها بدلية فهل المعنى غما كثيرا بدل غم قليل ؟ أو أن معنى غما عوضا عن غم ؟

الطالب: أتاكم الله غما عوضا عن الغم الذي جعلتموه لرسول الله؛

الشيخ: إذا غما إما أن تكون الباء للمصاحبة أي غما مصحوبا بغم, يعني غموما متعددة, أو غما بدل غم عوضا عنه حيث غممتم الرسول صلى الله عليه وسلم .

الشيخ: قوله: ((**أمنة نعاسا**)) إعرابها ؟

الطالب: ((**نعاسا**)) بدل اشتمال.

الشيخ: هذا وجه,

الطالب: أو صفة لأمنة؛

الشيخ: ألا يمكن أن تكون أمنة مفعول لأجله ونعاسا مفعول به؛ أي نعم يجوز هذا وهذا, ويجوز أن تكون بدل اشتمال كما قلتم .

الشيخ: قوله: ((**وطائفة قد أهمتهم**)) كيف رفعت والتي قبلها منصوبة: ((**يغشى طائفة**)) ؟ الطالب: استئنافية؛

الشيخ: خبرها ؟

الطالب: جملة: ((**قد أهمتهم**))؛

... الشيخ: ((**يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك**)) يعني النفاق, يعني يخفون الكفر ولا يظهرونه هذا قول؛ والقول الثاني أنهم يخفون قولهم: ((**هل لنا من الأمر من شيء**)) .

الشيخ: ((**في بيوتكم**)) فيها قراءتان ؟

الطالب: ((**في بيوتكم**)) بالضم .

الشيخ: بيوت والثانية ؟

الطالب: بالكسر .

الشيخ: ((**في بيوتكم**)) والثالثة ؟

الطالب: ضم الباء والتاء ؛ هذا من كيسك يا خالد ؟

الشيخ: لا التاء ما يمكن؛

الطالب: بكسر الباء والتاء؛

الشيخ: التاء مكسور على كل حال, لعلك تتنازل عن القراءة الثالثة ؟

الشيخ: قوله تعالى: ((**إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا**)) ما معنى استزلهم ؟ لكن ما معنى استزلهم لفظيا ؟ أوقعهم في الزلل؛

الشيخ: والباء في قوله: ((**ببعض ما كسبوا**)) معناها ؟

الطالب: السبب.

الشيخ: السببية .

الشيخ: هل تفهم من هذا أن الذنوب تكون سببا للذنوب ؟

الطالب: نعم؛

الشيخ: ما هو الذنب الأول والذنب الثاني ؟ ... التولي يوم التقى الجمعان؛

الشيخ: نعم, والأول ؟

الطالب: المخالفة .

الشيخ: أو ذنوب لم تذكر، ذنوب أذنبوها فاستزلهم الشيطان ببعض هذه الذنوب .

الطالب: ((**يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم إنما ذلكم الشيطان يخوف أوليائه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين**)) .

الشيخ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم؛ قال الله تبارك وتعالى: ((**يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين**)) وأخذناها, أليس كذلك ؟

الطالب: أخذناها؛

الشيخ: الفوائد من أين ؟

الطالب: ((**فرحين بما آتاهم الله من فضله**)) .

الشيخ: قال الله تعالى: ((**ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء**)) .

من فوائد هذه الآية الكريمة: أن الذين قتلوا في سبيل الله ليسوا أمواتا بل أحياء؛ ووجه الدلالة قوله: ((**لا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا**)) ولكن هل هذه الحياة كحياة الدنيا ؟ لا, بل هي حياة برزخية ليست كحياة الدنيا .

من فوائدها: أنه إذا ثبت هذا للشهداء فإنه يثبت للأنبياء من باب أولى؛ فالأنبياء أحياء؛ ويمتاز الأنبياء عن الشهداء بأن الله حرم على الأرض أن تأكل أجسادهم بخلاف الشهداء؛ فإن الأرض تأكلهم ولكن قد لا تأكل بعضهم إكراما لهم, وإلا فالأصل أنهم كغيره تأكلهم الأرض .

ومن فوائد الآية الكريمة: إثبات العندية لله عز وجل, أي أن يكون أحد من الخلق عند الله؛ لقوله: ((**بل أحياء عند ربهم**)) وهذه عندية خاصة كقوله تعالى: ((**إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون**)) .

ثم قال الله تعالى: ((**فرحين بما آتاهم الله من فضله**)) .

من فوائدها: أن هؤلاء الشهداء لهم شعور يفرحون؛ لأن الفرح من الشعور النفسي .

وهل يحزنون ؟ ذكر في بعض الآثار أن الميت تعرض عليه أعمال أقاربه, فإذا كانت سيئة حزن. وإن كانت حسنة فرح, لكنها آثار يشك الإنسان في صحتها .

ومن فوائد الآية الكريمة، قوله: ((**فرحين بما آتاهم الله من فضله**)) أن هذا الثواب الذي يناله هؤلاء الشهداء ثواب عظيم؛ وجه الدلالة: أنه من عند إله عظيم ذي إفضال؛ والثواب يعظم بعظم المثيب, لاسيما وهو قد قال: ((**من فضله**)) .

ومن فوائد الآية الكريمة: أن الفضل لله على عباده في الدنيا وفي الآخرة؛ لقوله: ((**بما آتاهم الله من فضلهم**)) فكما أن لله فضلا في الدنيا له فضل في الآخرة؛ فمن أمثلة فضله في الدنيا قوله تعالى: ((**ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنا إلى الله راغبون**)) فهذا فضل دنيوي .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن هؤلاء الشهداء يستبشرون, أي يبشر بعضهم بعضها بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم أي من بعدهم, يعني يستبشرون بأنه سيلحقهم أناس شهداء يكونون في منازلهم .

ومن فوائد الآية الكريمة: أن هؤلاء الشهداء ليس عليهم خوف ولا حزن، لا خوف يتعلق بالمستقبل, ولا حزن يتعلق بالماضي؛ أما كونهم لا خوف عليهم في المستقبل فلأنهم قد أحلهم الله الجنات, والجنة من يدخلها ينعم ولا يبأس, ويصح فلا يسقم, ويحيى فلا يموت, وفيها من النعيم ما لا عين رأت وأذن سمعت ولا خطر على قلب بشر؛ وأهل الجنة في الآخرة هم أهل الجنة في الدنيا؛ ولهذا لا تجد أحدا أنعم بالا وأسر حالا من المؤمن, إن أعطي شكر, وإن ابتلي صبر, وإن أذنب استغفر, ودائما مع الله عزوجل في حكمه الكوني وفي حكمه الشرعي، راض بقضاء الله؛ ولهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام: (**عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير, إن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له, وإن أصابته سراء شكر فكان خيرا له, وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن**).

وقد ذكر بعض العلماء أن قوله تعالى: ((**لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى ووقاهم عذاب الجحيم**)) ذكروا أنه قال: ((**إلا الموتة الأولى**)) مع أن الموتة الأولى قد خلصت, لأن نعيم أهل الجنة مستمر من الحياة الدنيا إلى دخول الجنة؛ وأما كونهم لا يحزنون على ما مضى أعني الشهداء, فلأنهم استكملوا عملا من أفضل الأعمال, وهو الجهاد في سبيل الله الذي أدى إلى الشهادة فلا يحزن؛ من خرج من الدنيا شهيدا فقد خرج أكمل خروج في الطبقة الثانية من طبقات الذين أنعم الله عليهم .

ثم قال الله عزوجل: ((**يستبشرون بنعمة من الله وفضل**))

من فوائد هذه الآية الكريمة: استبشار الشهداء مرة ثانية بما أنعم الله عليهم من الفضل؛ لأن الاستبشار الأول: فيما يكون لإخوانهم؛ والثاني: فيما أنعم الله عليهم؛ فهم لهم استبشارات متعددة حسب ما يجدون من نعيم .

ومن فوائدها: إسناد النعمة إلى مسديها وهو الله، لا يرون لأنفسهم فضلا, بل يرون الفضل والمنة لله عليهم؛ ولهذا قال: ((**بنعمة من الله وفضل**)) .

ومن فوائدها: عظم النعمة التي يعطونها؛ وجهه ؟ أن الله أضافها إليه؛ وإضافة العطاء إلى الله يدل على عظمته .

ومن فوائدها: أن كل مؤمن فلن يضيع الله أجره؛ لقوله: ((**وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين**)) أو على القراءة الثانية: ((**وإن الله**)) فالله عزوجل لا يضيع أجر المؤمنين، كل إنسان يعمل وهو مؤمن فإن أجره لن يضيع .

ومن فوائد الآية الكريمة: إثبات عدل الله عزوجل؛ وذلك بعدم إضاعته أجر المؤمنين؛ والآيات في هذا المعنى كثيرة .

ومن فوائدها: فضيلة الإيمان, وأنه سبب للحصول على الثواب والأجر .

قال الله تعالى: ((**الذين استجابوا لله والرسول**)) هذا مبتدأ درس الليلة أو الفوائد ؟

الطالب: هذا درس الليلة؛

الشيخ: ((**الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم**))

الذين: يحتمل أن تكون بدل مما سبق أو نعتا, ويحتمل أن تكون مبتدأ؛ فعلى الثاني يكون خبرها جملة: ((**للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم**)) .

يقول: ((**الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح**)) استجابوا: بمعنى أجابوا وانقادوا لله والرسول حينما دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى الغزوة مرة أخرى بعد أحد, لما قيل له إن المشركين أرادوا الكرة على المسلمين, لما عملوا بالجراح الذي أصاب المسلمين والوهن والضعف, وقفوا في حمراء الأسد وقالوا: لماذا لا نرجع ونقضي على محمد وأصحابه ؟ الآن هم في أقرب ما يكون للقضاء عليهم؛ فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يستعدوا للقتال فاستجابوا لله والرسول مع ما أصابهم من الجراح والتعب النفسي والتعب البدني, لأنه استشهد منهم سبعون من ثلاثمائة وثلاثين, جمع كبير؛ لا, قصدي من سبعمائة وستين تقريبا لأنهم كانوا حوالي ثلاثة آلاف، الذين خرجوا إلى أحد ورجعوا منهم ثلث العسكر، من ألفين. السبعون من الألفين لاشك أنهم عدد كبير؛ فهم أصيبوا بالقرح البدني والنفسي, والنبي صلى الله عليه وسلم أيضا جرح وكسرت رباعيته, وحصل ما حصل من الأمور التي لا نشعر بها الآن ونحن نصورها بأفكارنا, لكن لو كنا نشاهدها عين اليقين لكان الأمر فضيعا جدا؛ هؤلاء الذين أصابهم القرح وفي قراءة: ((**القُرح**)) هؤلاء الذين استجابوا لله والرسول قال: ((**للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم**)) الذين أحسنوا منهم بالإتباع, واتقوا بترك المخالفة: ((**لهم أجر عظيم**)) يعني كثير واسع، أجر عظيم كثير واسع.

ثم قال: ((**الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم**)) هذه أيضا بدل مما سبق أو عطف بيان أو صفة وهي الأقرب, وذلك لأن البدل لا يراد به البدل والمبدل منه؛ وإنما يراد به البدل الثاني, بخلاف

النعت فإنه يراد به المنعوت والنعت؛ ولهذا نقول: إن البدل هنا ضعيف لأنه لو كان المراد البدل لسقط الوصف السابق، كما قال ابن مالك في الألفية:

التابع المقصود بالحكم بلا واسطة هو المسمى بدلا؛

((**الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم**)) القائل رجل جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال له: إن أبا سفيان قد جمع لك يريد الكرة عليك, فاخشوهم: احذروهم, اتقوهم وما أشبه ذلك؛ فماذا قالوا ؟ ((**فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل**)) سبحان الله المؤمن عند المصائب يزداد إيمانا؛ لما أحاط الأحزاب بالمدينة قال المؤمنون: ((**هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله**)) فازدادوا إيمانا؛ هنا أيضا لما قيل لهم إن الناس قد جمعوا لكم زادهم إيمانا, أي إيمانا بالله واعتمادا عليه وتوكلا عليه وقالوا: ((**حسبنا الله ونعم الوكيل**)) حسبنا: يعني كافينا الله؛ الله جل جلاله؛ وهذه الجملة: ((**حسبنا الله**)) فيها مبتدأ وخبر, لكن الخبر فيها مقدم, والتقدير: الله حسبنا؛ ويجوز أن يكون حسبنا مبتدأ والله خبر, لكن المعروف أن المحكوم عليه هو المبتدأ, والمحكوم به هو الخبر؛ وعلى هذا فيكون حسبنا خبر مقدم والله مبتدأ مؤخر؛ ((**حسبنا الله**)) أي كافينا, ولو جمع لنا الناس فإننا لا نخشاهم وإنما نخشى الله عزوجل وهو كافينا .

((**ونعم الوكيل**)) نعم فعل إنشاء يقصد به المدح؛ وفاعله لابد أن يكون محلا بأل أو مضافا لما حلي بأل؛ ((**ولنعم دار المتقين**)) هذه مضافة لمحل بأل؛ وهنا ((**نعم الوكيل**)) الفاعل فيها محلا بأل؛ وتحتاج إلى فاعل وإلى مخصوص؛ والغالب أن المخصوص يكون محذوفا, والتقدير في هذه الآية: ونعم الوكيل هو.

الوكيل ليس المراد بالوكيل هنا المتوكل عن غيره؛ ولكن المراد المدافع عن غيره؛ لأن الله عزوجل لا يتوكل عن أحد بل بيده الأمر كله؛ فيكون المراد بالوكيل هنا من ؟ المدفع .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم؛ قال الله تبارك وتعالى: ((**الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح**)) هذا مبتداء الدرس أظن ؟

الطالب: شرحت؛

الشيخ: وأخذت فوائدها ؟

الطالب: لا,

الشيخ: من أين الفوائد ؟ نعم .

قال الله تعالى: ((**الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح** ...)) .

من فوائد هذه الآية الكريمة: بيان فضيلة الصحابة رضي الله عنهم؛ وأنهم بما معهم من الأعمال نالوا خيرية هذه الأمة لأنهم استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح؛ وقد بينا في التفسير أن أهل مكة المشركين لما انصرفوا من أحد ندموا على ما حصل, وقالوا: لماذا لا نرجع ونقضي على محمد ونسبي ذراريهم, ثم تركوا ذلك, عدلوا وقالوا: في العام القادم .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أمر لله؛ لقوله: ((**الذين استجابوا لله والرسول**)) ومعلوم أنه لم ينزل الوحي بأمرهم في الخروج إلى المشركين وإنما الذي أمرهم الرسول صلى الله عليه وسلم .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن المصائب محك لمعرفة الرجال؛ وذلك أن هذه المصيبة التي حصلت في أحد كانت محكا للصحابة رضي الله عنهم؛ لأنه لولا فضلهم وميزتهم على الخلق ما خرجوا بعد أن أصابهم القرح .

الشيخ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم؛ قال الله تبارك وتعالى: ((**الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح**)) هذا مبتداء الدرس أظن ؟

الطالب: شرحت؛

الشيخ: وأخذت فوائدها ؟

الطالب: لا,

الشيخ: من أين الفوائد ؟ نعم .

قال الله تعالى: ((**الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح** ...)) .

من فوائد هذه الآية الكريمة: بيان فضيلة الصحابة رضي الله عنهم؛ وأنهم بما معهم من الأعمال نالوا خيرية هذه الأمة لأنهم استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح؛ وقد بينا في التفسير أن أهل مكة المشركين لما انصرفوا من أحد ندموا على ما حصل, وقالوا: لماذا لا نرجع ونقضي على محمد ونسبي ذراريهم, ثم تركوا ذلك, عدلوا وقالوا: في العام القادم .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أمر لله؛ لقوله: ((**الذين استجابوا لله والرسول**)) ومعلوم أنه لم ينزل الوحي بأمرهم في الخروج إلى المشركين وإنما الذي أمرهم الرسول صلى الله عليه وسلم .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن المصائب محك لمعرفة الرجال؛ وذلك أن هذه المصيبة التي حصلت في أحد كانت محكا للصحابة رضي الله عنهم؛ لأنه لولا فضلهم وميزتهم على الخلق ما خرجوا بعد أن أصابهم القرح .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن ما عملوه فهو من الإحسان؛ لقوله: ((**للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم**)) ولم يقل: لهم أجبر؛ بل قال: ((**للذين أحسنوا منهم**)) ويحتمل أن يكون هذا القيد قيدا تخصيصا, يعني الذين استجابوا لله والرسول منهم من أحسن واتقى, ومنهم من حصل منهم بعض الخلاف, مثل الرماة الذين جعلهم النبي عليه الصلاة والسلام على الجبل, فإنهم عفا الله عنهم لم يحصل منهم إحسان كما ينبغي ولا تقوى .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: فضيلة الإحسان والتقوى؛ لقوله: ((**لهم أجر عظيم**)) وقد بين الله سبحانه وتعالى شيئا من أجر الإحسان والتقوى فقال: ((**إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون**)) .

ومن فوائد الآية الكريمة: أن الجزاء من جنس العمل؛ لأنه لاشك أن التقوى والإحسان من أعظم عمل العبد فكان ثوابها عظيما .

ثم قال الله تعالى: ((**الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم**)) الذين هذه عطف بيان؛

من فوائد هذه الآية الكريمة: بيان أن المؤمن كلما ضاقت عليه المصائب فإنه يلجأ إلى ربه, ويزداد إيمانا به؛ لقوله: ((**الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل**)) ونظير هذا قوله تعالى: ((**ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما**)) فالمؤمن كلما أصابت النكبات والمصائب ازداد إيمانا بالله ومعرفة به .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: جواز إرادة الخصوص بلفظ العموم، وأن هذا أسلوب لغوي لا يخرج به الإنسان عن قواعد اللغة العربية؛ لقوله: ((**الذين قال لهم الناس**)) والقائل واحد: ((**إن الناس قد جمعوا لكم**)) والجامع لهم بعض من الناس .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن المؤمن حقا لا يهمه أن يجمع له أعداء الله؛ لقوله تعالى: ((**فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل**)) .

ومن فوائدها: أن الحسب هو الله وحده ولا أحد معه؛ لقوله: ((**حسبنا الله**)) ولم يقولوا: حسبنا الله ورسوله, بل قالوا: حسبنا الله وحده؛ فالله وحده هو الحسب كما أنه وحده المتوكل عليه؛ وبهذا نعرف أن قوله تعالى: ((**يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين**)) أن من في قوله: ((**ومن اتبعك**)) معطوفة على الكاف في قوله: ((**حسبك**)) وليست معطوفة على لفظ الجلالة حسبك الله؛ لأنها لو عطفت على لفظ الجلالة لكان المعنى أن الله حسبك ومن اتبعك من المؤمنين حسبك؛ وليس الأمر كذلك, وإنما حسبه وحسب من اتبعه هو الله عزوجل .

ومن فوائدها: الثناء على الله عزوجل بكونه وكيلا لعباده أي حسيبا لهم, عمدة لهم؛ لقوله: ((**ونعم الوكيل**)) .

ومن فوائدها: إثبات اسم الوكيل لله؛ لأن تقدير الآية: ونعم الوكيل هو؛ وقد ذكر الله في آية أخرى: ((**أنه على كل شيء وكيل**)) فالوكيل من أسماء الله, ومعناه المتكفل بشؤون عباده, وليس المعنى القائم بالأمر نيابة عنهم؛ لا بل معناه المتكفل بشؤون العباد .

ثم قال الله تعالى: ((**فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء**)) قوله: ((**فانقلبوا**)) أي هؤلاء الذين استجابوا لله والرسول وخرجوا بأمر النبي صلى الله عليه وسلم لقتال هؤلاء الكفار الذين بلغهم عنهم أنهم مجمعون على الكرة على المسلمين خرجوا, فلما بلغوا ما بلغوا من الطريق، بلغوا حمراء الأسد, وجدوا المشركين قد ذهبوا؛ لأن المشركين صرفهم الله, وقالوا نرجع الآن القادم؛ يقول الله عزوجل: ((**فانقلبوا بنعمة من الله وفضل**)) انقلبوا يعني عائدين إلى المدينة بعد أن وصلوا إلى حمراء الأسد؛ ((**فانقلبوا بنعمة من الله**)) ما هذه النعمة ؟ النعمة أنهم سلموا من ملاقاة العدو, ولم يحصل حرب؛ لماذا ؟ لأن العدو مضى في سبيله ولم يرجع؛ وأما قوله: ((**وفضل**

)) ففسرت بأن المراد به فضل الجهاد، وأن الله كتب لهم بهذا الخروج أجر غزوة كاملة فسلموا من الحرب ونالوا ثواب المجاهدين.

وقوله: ((**لم يمسسهم سوء**)) أي لم يصبهم ما يسوءهم لا من جهة عدوهم ولا من جهة أحوالهم, بل كانوا على أحسن ما يرام ذهابا ورجوعا .

وقوله: ((**واتبعوا رضوان الله**)) فيها قراءتان: ((**رِضوان**)) **و** ((**رُضوان**)) بضم الراء وكسرها؛ ((**واتبعوا رضوان الله**)) أي اتبعوا ما يرضي الله عزوجل؛ بماذا ؟ بالاستجابة للرسول صلى الله عليه وسلم, بالاستجابة لله ورسوله؛ فإن الاستجابة لله ورسوله سبب لرضا الله عزوجل. أسأل الله أن يجعلني وإياكم ممن يرضى الله عنهم. .

((**والله ذو فضل عظيم**)) ذو فضل: بمعنى صاحب، فضل عظيم على العباد في الدنيا والآخرة, ومنه أن تفضل على هؤلاء بأن انقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء .

من فوائد هذه الآية الكريمة: فضيلة هؤلاء الذين استجابوا لله والرسول بما أصابهم من الثواب.

ومنها: أن الإنسان إذا عمل العمل وسعى فيه ولم يكمله كتب له أجره كاملا؛ ولهذا شواهد؛ منها قوله تعالى: ((**ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله**))؛ ومنها قول النبي صلى الله عليه وسلم: (**من مرض أو سافر كتب له ما كان يعمل صحيحا مقيما**) فالإنسان إذا سعى في العمل ولكنه لم يدركه فإنه يكتب له أجره كاملا, حتى طالب العلم لو مات قبل أن يدرك ما يريد من العلم فإنه يكتب له ما نوى لأنه شرع فيه وعمل ما يقدر عليه, فيناله الأجر .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: إثبات الرضى لله؛ من أين يؤخذ ؟ من قوله: ((**رضوان الله**)) والرضا صفة من صفات الله الحقيقية, وهي من الصفات الفعلية؛ لماذا ؟ لأن القاعدة عند السلف أن كل ما يتعلق بمشيئة الله من الصفات فهو صفة فعلية, والرضا يتعلق بمشيئته، كل صفة معلقة بسبب فإنها بلا شك تتعلق بالمشيئة؛ فرضوان الله معلق بأيش ؟ بفعل ما يرضيه؛ وعلى هذا فتكون هذه الصفة متعلقة بمشيئته .

أرأيتم ماذا يفسر أهل التعطيل رضا الله ؟ يفسرونه بالثواب, لأن الثواب شيء منفصل بائن عن الله, ما هو من صفات الله، مخلوق مفعول؛ أو يفسرونه بأيش ؟ بإرادة الثواب لأنهم يثبتون الإرادة؛ أما الرضا نفسه فإنهم لا يثبتونه؛ ولاشك أن هذا أعني تفسير الرضى بإرادة الثواب أو بالثواب نفسه لاشك أنه تحريف للكلم عن مواضعها؛ ويا سبحان الله كيف يثبت الله لنفسه أنه رضي ونحن نقول: لا؛ رضي يعني أثاب أو رضي يعني أراد أن يثيب؛ أنحن أعلم بالله من نفسه ؟ أبدا والله ما نحن أعلم؛ إذا نحن نثبت الرضا لله حقيقة وأنه صفة من صفاته الفعلية التي تتعلق بمشيته؛ ولكن هل رضاه كرضانا ؟ لا؛ كقوله تعالى: ((**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**

)) فكما أن سمعه وبصره وحياته وعلمه وقدرته لا تماثلها قدر المخلوقين, وكذلك هو لا يماثل المخلوقين, فكذلك الرضا والفرح والعجب وغيره .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: إثبات اتصاف الله عزوجل بالفضل العظيم، العظيم في كميته العظيم العظيم في كيفيته؛ أما في كميته فإن الله يقول: ((**وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها**)) وجعل جزاء الحسنة عشرا إلى سبعمائة إلى أضعاف كثيرة؛ وأما في كيفيته فقد قال الله عزوجل: ((**فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون**)) .

ثم قال الله تعالى: ((**إنما ذلكم الشيطان يخوف أوليائه**)) إنما أداة حصر, والحصر عند العلماء إثبات الحكم للمحصور فيه ونفيه عما سواه؛ إذا فهو بمنزلة نفي وإثبات, وله طرق، يعني الحصر ليس له طريق واحد فقط؛ له طرق منها إنما, ومنها تقديم ما حقه التأخير, ومنها النفي والإثبات مثل: لا قائم إلا زيد؛ ومنها إذا كانت الجملة اسمية معرف طرفاها، إذا كانت الجملة اسمية معرفا طرفاها؛ وهذا معروف في كتب البلاغة؛

((**إنما ذلكم الشيطان يخوف أوليائه**)) يعني ما الشيطان إلا مخوف أوليائه؛ وقوله: ((**ذلكم**)) تضمن إشارة, أي مشارا إليه, ومخاطبا، تضمن إشارة ومخاطبا؛ الإشارة ذا والخطاب الكاف؛ الإشارة بحسب المشار إليه والكاف بحسب المخاطب.

فإذا طلبنا من الأخ خالد أن يشير إلى جماعة مخاطبا جماعة من الذكور ؟ أن يشير إلى جماعة من الذكور مخاطبا جماعة من الذكور ؟

الطالب: أولئك ؟

الشيخ: لا؛

الطالب: أولئكم؛

الشيخ: أولئكم لأن المشار إليه جماعة أولاء؛ والمخاطب جماعة تأتي بالميم كذا ؟

الشيخ: وإذا طلبنا من خليل أن يشير إلى جماعة ذكور مخاطبا جماعة إناث ؟

الطالب: أولئكن،

الشيخ: أولئكن, هكذا يقولون صح ؟ نعم صحيح؛ أولاء مشار إليه جماعة ذكور؛ كن النون للنسوة، أولئكن؛ إذا معناها نأخذ تمارين مادام المسألة هكذا ؟

الشيخ: أشر إلى اثنين مخاطبا اثنتين ؟

الطالب: ذلكما ؛

الشيخ: أيش ؟ ذلكما خطأ؛

الطالب: ذانكما .

الشيخ: صح ؟ ذان هذه مثنى, والكاف وميم ألف مثنى مخاطب .

الشيخ: أشر يا خالد إلى جماعة نسوة مخاطبا جماعة نسوة ؟

الطالب: أولات؛

الشيخ: كيف أولات من أين جئت بها ؟، لا تستعجل؛ إيش المطلوب ؟

الطالب: نسوة مخاطبا جماعة نسوة؛

الشيخ: طيب, مشيرا إلى نسوة تخاطب جماعة نسوة ؟

الطالب: أولئكن؛

الشيخ: أيش تقولون ؟ صحيح أولئكن .

الشيخ: أشر إلى مثنى مؤنث مخاطبا جماعة ذكور ؟

الطالب: تينكم؛

الشيخ: أيش تينكم؛ لماذا نصبت تين ؟

الطالب: تان؛

الشيخ: تانكم صح ؟ صحيح، مثنى مؤنث تان, مخاطب جماعة ذكور صح؛

طيب على كل حال انتبهوا يا جماعة اسم الإشارة يراعى به أيش ؟ يراعى به المشار إليه, والكاف يراعى بها المخاطب؛ في اللغة العربية ثلاث لغات؛ اللغة الأولى: أن يراعى المخاطب إفرادا وتثنية وجمعا مذكرا ومؤنثا؛ فتقول: ذلك مخاطبا رجلا واحدا، ذلك امرأة واحدة، ذلكما مخاطبا اثنين ذكور أو إناث، ذلكن مخاطبا جماعة نسوة، ذلكم مخاطبا جماعة ذكور؛ فالكاف تتبع المخاطب؛ اسم الإشارة يتبع المشار إليه؛ أنا قلت في اللغة العربية بالنسبة للكاف ثلاث لغات؛ الأولى: أن يراعى المخاطب في الكاف, وتحول إلى حسب المخاطب؛ الثاني: أن تكون بالكاف المفردة مفتوحة في المذكر مكسورة في المؤنث؛ فتقول مخاطبا جماعة ذكور ذلك، مخاطبا اثنين ذلك، مخاطبا واحد ذلك؛ في النسوة كاف مفردة لكن مكسورة, تقول ذلك تخاطب امرأة واحدة، ذلك تخاطب امرأتين، ذلك تخاطب جماعة نسوة؛ هذه كم لغة ؟ لغتان؛ الثالثة: فتح الكاف مطلقا؛ فتقول لأي واحد تخاطب تقول: ذلك؛ وهذا باعتبار المبتدئين أسهل، افتح الكاف وإذا غلطك أحد فقل هذه اللغة .

يقول الله عزوجل: ((**إنما ذلكم**)) ويش راعى هنا ؟ راعى في اسم الإشارة المشار إليه وهو الشيطان واحد, وراعى في الكاف الجماعة المخاطبين فقال: ((**إنما ذلكم الشيطان يخوف أوليائه**)) الشيطان: يجوز في إعرابها وجهان؛ الوجه الأول: أن يكون خبرا للمبتدأ ذا؛ والثني: أن تكون بدلا منه أو عطف بيان؛ فعلى الأول يكون جملة: ((**يخوف**)) في موضع نصب على الحال؛ وعلى الثاني تكون جملة: ((**يخوف**)) خبر المبتدأ وكلاهما صحيح؛ فالشيطان يخوف أوليائه؛ وقوله: ((**يخوف**)) هي معروف أنها تنصب مفعولين، تنصب مفعولين بالتحويل؛ أين المفعول الأول ؟ المفعول الأول محذوف وتقديره: يخوفكم أوليائه؛ وأوليائه هنا هي المفعول الثاني, وليس المعنى أنه يخوف أوليائه، المعنى أنه يخوف الناس من أوليائه, فيكون المعنى يكون على هذا المفعول الأول محذوف, والثاني هو الموجود, والتقدير: يخوفكم أوليائه, أي يعظمهم في صدوركم حتى تخافوهم, وتتركوا الجهاد, وتتركوا الدعوة لأنكم تخافون منهم, بسبب تخويف الشيطان؛ وقوله: ((**أوليائه**)) من أوليائه ؟ أولياء الشيطان كل مجرم وفاسق وملحد وكافر, هؤلاء هم أولياء الشيطان، كما قال الله تعالى: ((**أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون**)) فكل كافر ملحد فاجر فهو من أولياء الشيطان؛ وقوله: ((**فلا تخافوهم**)) أي: لا يؤثر فيكم تخويفه فتخافون منهم: ((**وخافون إن كنتم مؤمنين**)) لا تخافوهم فيؤثروا عليكم هذا بترك الجهاد: ((**وخافون**)) فلا تتأثروا بهم وجاهدوا ولا يهمنكم .

((**إن كنتم مؤمنين**)) هذه إن شرطية وقد مر علينا أن لعلماء العربية فيها وجهان؛ الوجه الأول: أنها جملة شرطية لا تحتاج إلى جواب لأنه مفهوم مما سبق, وهذا اختيار ابن القيم رحمه الله؛ والثاني: أنها تحتاج إلى جواب, وأن جوابها محذوف معلوم مما سبق, أي فلا تخافوهم إن كنتم مؤمنين فلا تخافوهم.

في هذه الآية الكريمة: بيان شدة عداوة الشيطان لبني آدم، حيث يرعبهم ويخوفهم بأوليائه .

ومن فوائدها: أن الشيطان يدافع عن أوليائه؛ بل يهاجم بهم؛ لقوله: ((**يخوف أوليائه**)).

ومن فوائدها: أنه يجب على المؤمن ألا يخاف من أولياء الشيطان؛ لقوله: ((**فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين**)) .

فإن قال قائل: الخوف أمر طبيعي يعتري الإنسان عندما يرى ما يخاف أو يسمع به ولا يستطيع مدافعته ؟

فالجواب عن ذلك يقال: بل يستطيع مدافعته بأن يشق طريقته الذي أوجب الله عليه, ولا يهتم بأحد, وإلا فمن المعلوم أن طبيعة الإنسان الخوف مما يكره؛ لكن نقول: امض لسبيلك ولا تلتفت؛ فقوله: ((**فلا تخافوهم وخافون**)) أي لا يؤثر خوفهم فيكم شيئا: ((**وخافون**)) لأنكم إن تركتم الجهاد عذبتكم .

ومن فوائده هذه الآية الكريمة: أنه كلما قوي إيمان الإنسان بالله قوي خوفه منه؛ لقوله: ((**إن كنتم مؤمنين**)) .

ومن فوائدها أيضا: أنه كلما قوي الإيمان بالله قوي الخوف منه وضعف الخوف من أولياء الشيطان؛ لقوله: ((**فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين**)) .

ثم اعلم أن العلماء رحمهم الله قالوا: إن الخوف ينقسم إلى أقسام؛ الخوف الأول خوف العبادة: وهو خوف السر الذي يخاف الإنسان فيه شيئا خفيا, كخوفه من الولي الميت أو من الشيطان أو ما أشبه ذلك؛ وهذا عبادة ولا يجوز إلا لله عزوجل.

الثاني: خوف طبيعي يعتري الإنسان بسبب وجود ما يخاف منه؛ وهذا لا يلام عليه العبد إلا أن يكون سببا في ترك واجب أو وقوع في محرم, وإلا فإن العبد لا يلام عليه؛ وقد وقع من الأنبياء عليهم السلام، قال الله عن موسى: ((**فأصبح في المدينة خائفا يترقب**)) وقال سبحانه وتعالى يخاطب موسى حينما ألقى عصاه فإذا هي حية تسعى قال: ((**خذها ولا تخف**)) وقال عن موسى حينما اجتمع السحرة له قال: ((**فأوجس في نفسه خيفة موسى**)) وقال عن ابراهيم لما جاءته الملائكة ولم يأكلوا قال: ((**فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف**)) والآيات في هذا كثيرة؛ فالخوف الطبيعي من طبيعة الإنسان ولا يلام عليه العبد إلا إذا تضمن ترك واجب أو فعل محرم.

القسم الثالث: خوف الجبناء، خوف الجبناء وهذا هو المشكل؛ الجبان يخاف من كل شيء حتى لو حركت الريح سعفة لقال: هذا صوت مدافع؛ لماذا ؟ لأنه جبان؛ ولهذا لا يأتيه النوم كما قال تعالى فيما سبق: ((**ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا**)) هذا القسم الثالث يجب على المؤمن أن يطارده ما أمكن؛ لأن المؤمن ليس بجبان, المؤمن قوي, ومن أكبر أسباب دفعه أن يذكر الإنسان ربه عزوجل, فإن بذكر الله تطمئن القلوب, وتزول الكروب, وينشرح صدر المرء, ويزول عنه الخوف والرعب والذعر؛ فهذه أقسام الخوف؛ كم ؟ خوف عبادة، وخوف طبيعة، وخوف جبن .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن الخوف من مقتضيات الإيمان ومستلزماته؛ لقوله: ((**إن كنتم مؤمنين**)) .

ثم قال الله تعالى: ((**ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر**))

في قوله: ((**يحزنك**)) قراءتان؛ القراءة الأولى: ((**يحزُنك**)) من الثلاثي حزَنه يحزُنه؛ والقراءة الثانية: ((**يحزِنك**)) من الرباعي أحزنه؛ ((**ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر**)) أي يسارعون إليه, ولكنه عدى يسارع بفي إشارة إلى أن هؤلاء يسارعون إلى الكفر ويتوغلون فيه؛ وهذا من باب التضمين؛ وقد مر علينا أن علماء النحو اختلفوا فيما إذا عدي الفعل بغير الحرف المعتاد, فقال بعضهم: إن التجوز في الحرف؛ وقال بعضهم: إن التجوز

في الفعل؛ والفرق بين القولين أنه على القول الأول نحول معنى الحرف الموجود إلى الحرف المناسب للفعل؛ وعلى الثاني نحول الفعل إلى المعنى المناسب للحرف؛ فهمتم يا جماعة ؟

وأوضح مثال من ذلك قوله تعالى: ((**عينا يشرب بها عباد الله**)) المعروف أن ((**يشرب**)) تتعدى بمن, وهنا تعدت بالباء؛ فقال بعض النحويين: الباء بمعنى من, والتقدير: يشرب منها عباد الله؛ وقال بعض العلماء: يشرب بمعنى يروى؛ ومعلوم أن الري يستلزم الشرب؛ فتكون يشرب هنا دالة على معنى الشرب باللزوم وعلى الري؛ ويكون هذا أبلغ مما لو قلنا: يشرب منه؛ لأن الإنسان قد يشرب ولا يروى؛ وهذا الأخير هو مذهب نحاة البصرة, أي أنهم يحولون الفعل إلى معنى مناسب للحرف ليكون الفعل دالا على معناه اللفظي وعلى معناه اللزومي .

السائل: في قوله تعالى: ((**إنما ذلكم الشيطان**)) قلنا إن الشيطان يجوز في إعرابه وجهان, القاعدة هذه مطردة: أن كل ما صح أن يكون بدلا صح أن يكون عطف بيان ؟

الشيخ: أي نعم إلا ما استثني؛ قال ابن مالك:

وصالحا لبدلية يرى في غير نحو يا غلام يعمرى

ونحو بشر تابع البكري وليس أن يبدل بالمرضي؛

في هاتين المسألتين فقط .

السائل: من خاف قاطع طريق ولم يخرج إلى صلاة الجماعة فقد ترك واجبا فهل يلام على ذلك ؟ الشيخ: هل الخوف محقق ؟

السائل: محقق؛

الشيخ: طيب إذا كان محققا فإن الجماعة تسقط عنه, وحينئذ لا يكون ترك واجبا, مادام وجوب الجماعة يسقط بالخوف بقي الآن غير واجب عليه .

السائل: حديث الرسول عندما سئل هل يكون المؤمن جبانا ؟ قال: نعم فكيف هذا ؟

الشيخ: الجبن . بارك الله فيك . نوعان؛ جبن طبيعي وهو الأول، الخوف؛ أما الجبن الذي يؤدي إلى ترك الواجب, هذا ما يمكن للمؤمن .

السائل: كيف إن كان الكافر يلجأ إلى الله عند المصائب فهل يزيد إيمانه كالمؤمن ... ؟

الشيخ: لكن فرق بين هذا وهذا؛ زيادة إيمان المؤمن بالمصائب زيادة إيمان بالقدر, ورضا بما صنع الرب؛ أما إيمان الكافر فهذا إيمان ضرورة؛ ولهذا: ((**فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون**)) إيمان ضرورة ما هو بإيمان رضا

واقتناع وتسليم؛ المؤمن يرضى ويقتنع ويسلم, فتجده منشرح الصدر؛ أما ذاك لا؛ إنما يؤمن من أجل حصول غرضه الدنيوي فقط؛ ولهذا إذا حصل له الغرض الدنيوي عاد إلى ما كان عليه؛ واضح ؟ .

السائل: ما هو الراجح قول التضمن أو قول التناوب ؟

الشيخ: الذي أرى أن الأصح القول بالتضمن أو بالتضمين؛ لكن القول بالتضمين ما يستن لكل واحد, إنما يفهمه شخص طالب علم، يفهم التلازم بين المعنى المراد وبين المعنى الذي يدل عليه ظاهر اللفظ؛ وفيه صعوبة, ولهذا نقول إن عجزت عن التضمين فاجعل الحرف مؤولا بحرف يناسب المذكور .

السائل: كيف تضمن : ((**يسارعون في الكفر**)) ؟

الشيخ: يدخلون فيه, يدخلون في الكفر مسارعين, واضح ؟ نعم .

السائل: قوله: ((**وخافون**)) فيها قراءتان,

الشيخ: ما ذكرت؛ يعني حذف الياء أو بقائها؛ عندي ما ذكرت .

السائل: في قوله: ((**عينا يشرب بها المقربون**)) إذا استبدلنا حرف الباء بمن صح: عينا يشربون منها المقربون؛ إذا استبدلنا يشرب بمعنى يروى عينا يروى بها؛ ... ؟

الشيخ: لا يا أخي يعني يروى بسببها؛

السائل: ويشرب بسببه ؟

الشيخ: لا، يشرب منها بعضها من للتبعيض؛

السائل: والباء للسبب ؟

الشيخ: نعم .

السائل: في قوله تعالى: ((**ومن اتبعك من المؤمنين**)) هل يصح عطفه على الضمير في حسبك ؟ الشيخ: يصح يعني ومن اتبعك من المؤمنين حسبهم الله, يصح .

السائل: إذا كان معطوفا على الكاف, هل يجوز العطف على الضمير ؟

الشيخ: يجوز كيف ؟ يجوز مع الفاصل قولا واحدا، مع الفاصل يجوز قولا واحدا؛ أما مع عدم فاصل ففيه خلاف والصحيح جوازه، ((**واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام**)) ((**وكفر به والمسجد الحرام**)) .

الطالب: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم؛ بسم الله الرحمن الرحيم: ((**ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر إنهم لن يضروا الله شيئا يريد الله أن لا يجعل لهم حظا في الآخرة ولهم عذاب عظيم إن الذين اشتروا**

الكفر بالإيمان لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب أليم ولا يحسبن الذين كفروا أنما أملي لكم خير لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثما ولهم عذاب مهين)) .

الشيخ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم؛ قال الله تبارك وتعالى: ((**ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر**)) تكلمنا على هذه الجملة من الآية, وقلنا إن قوله تعالى: ((**في الكفر**)) خلاف ما يتوقعه السامع, إذ أن المسارعة تتعدى بإلى كما في قوله تعالى: ((**وسارعوا إلى مغفرة من ربكم**)) وهنا جاءت في في مكان إلى؛ واختلف العلماء في مثل هذا التركيب, هل التجوز بحرف الجر أو بالفعل الذي تعدى بحرف الجر ؟؛ على قولين؛ أحدهما: أن التجوز بحرف الجر, يعني أننا نقدر حرفا مناسبا للفعل؛ فنقول في بمعنى إلى؛ والثاني: أن التجوز في الفعل بمعنى أن نضمن الفعل معنى يتعدى بفي؛ وقلنا إن الثاني أولى وأدق وأعمق؛ فيضمن: ((**يسارعون فيه**)) أيش ؟ يدخلون فيه بسرعة؛ فإذا فسرنا يدخلون فيه بسرعة تضمن المسارعة والدخول في الشيء؛

وقوله: ((**في الكفر**)) أصل الكفر الستر, ومنه الكفراء وهو وعاء الطلع طلع النخل, وهو معروف لدى الجميع, ولكنه في الاصطلاح هو ما جحد ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم أو جحد بعضه, أو ترك ما يستلزم الكفر بتركه؛ هذا تعريف الكفر: جحد ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم أو جحد بعضه ولو حرفا واحدا من كتاب الله, أو ترك العمل الذي يستلزم تركه الكفر, يعني مثل الصلاة فتركها كفر وإن لم يجحد وجوبها .

((**إنهم لن يضروا الله شيئا**)) الجملة هنا محلها مما قبلها تعليل، محلها تعليل, أي مهما سارعوا في الكفر فإنهم لن يضروا الله شيئا؛ وقوله: ((**لن يضروا الله**)) أي لن يلحقوا الضرر به جل وعلا وتقدس أن ينال بضرر؛ وفي الحديث القدسي الذي أخرجه مسلم من حديث أبي ذر رضي الله عنه أن الله تعالى قال: (**يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني**) .

وقوله: ((**شيئا**)) ((**لن يضروا الله شيئا**)) هذا نكرة في سياق النفي, والنكرة في سياق النفي تفيد العموم, يعني لن يضروا الله أي شيء لا في ذاته, ولا في ملكه, ولا في أسمائه وصفاته, ولا في غير ذلك، لن يضروا الله شيئا أبدا؛ وقد قال الله تعالى في الحديث القدسي الذي أشرنا إليه آنفا: (**يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك في ملكي شيئا**) .

ثم قال الله تعالى: ((**يريد الله أن لا يجعل لهم حظا في الآخرة**)) أي يريد الله سبحانه وتعالى بكفرهم ألا يجعل لهم حظا أي نصيبا في الآخرة؛ والإرادة هنا إرادة كونية, أي يشاء الله أن لا يجعل له حظا في الآخرة, أي لا يصير لهم نصيبا في الآخرة لا قليلا ولا كثيرا.

الشيخ: ثم قال الله تعالى: ((**يريد الله أن لا يجعل لهم حظا في الآخرة**)) أي يريد الله سبحانه وتعالى بكفرهم ألا يجعل لهم حظا أي نصيبا في الآخرة؛ والإرادة هنا إرادة كونية, أي يشاء الله أن لا يجعل له حظا في الآخرة, أي لا يصير لهم نصيبا في الآخرة لا قليلا ولا كثيرا. وهكذا كل كافر ليس له نصيب في الآخرة؛ المؤمن له نصيب في الآخرة لكن قد يسبق بعذاب وقد لا يسبق .

ثم قال: ((**ولهم عذاب عظيم**)) لهم أي لهؤلاء الذين يسارعون في الكفر؛ ((**عذاب**)) أي عقوبة؛ ((**عظيم**)) أي ذو عظمة؛ وعظمة كل شيء بحسبه؛ ففي مقام المدح تكون العظمة مدحا؛ وفي مقام الذم تكون العظمة ذما؛ فقوله تعالى: هذا إفك عظيم؛ هكذا جاء في القرآن ؟ نعم؛ في أي آية؟ هذا بهتان عظيم: ((**سبحانك هذا بهتان عظيم**)) كلمة عظيم هنا من باب الذم؛ ((**ولها عرش عظيم**)) من باب المدح؛ المهم أن العظم في كل موضع بحسبه, قد يكون مدحا وقد يكون ذما؛ هنا العقوبة لاشك أنها مكروهة عند الإنسان أن يعاقب؛ فهي بالنسبة لعدل الله أو لفعل الله عدل, وبالنسبة للمخلوق المعذب قبح وذم .

في هذه الآية الكريمة من الفوائد: تهديد هؤلاء الذين يسارعون في الكفر؛ لقوله: ((**ولا يحزنك**)) ((**إنهم لن يضروا الله**)) أي لا يهمنك أمرهم فسوف يعذبون .

ومنها: حرص النبي صلى الله عليه وسلم على هداية الخلق؛ لأنه يحزنه هؤلاء الذين يسارعون في الكفر؛ ولولا حرصه عليه الصلاة والسلام ما حزن لكفرهم .

ومنها: بيان ما يلحق النبي صلى الله عليه وسلم من الهم أو من الحزن لعدم إسلام الأمة؛ وذلك لمحبته للخير عليه الصلاة والسلام حتى الذي يسارعون في الكفر يحزنه عملهم لأنه يود أن يسلموا .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: بيان ما يقع فيه سفهاء بني آدم من الخطأ والخطل؛ لكون هؤلاء يسارعون في الكفر مع أنه ضرر عليهم وهلاك .

من فوائد هذه الآية الكريمة: انتفاء الضرر عن الله وأنه لا تضره معصية العاصين كما لا تنفعه طاعة الطائعين؛ لقوله: ((**إنهم لن يضروا الله شيئا**)) .

فإن قيل: إن الله قد أثبت أن بعض عباده يؤذيه في قوله تعالى: ((**إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة**)) وفي قوله في الحديث القدسي: (**يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأن الدهر**) فكيف نجمع بين نفي الضرر وإثبات الأذية ؟

فالجواب أن يقال: لا يلزم من الأذية الضرر؛ فقد يتأذى الإنسان بالشيء ولا يتضرر به؛ أرأيت لو صلى إلى جانبك أو جلس إلى جانبك رجل قد أكل بصلا وثوما فإنك تتأذى بما معه أو برائحته ولكن لا تتضرر؛ فلا يلزم من الأذية أن يتضرر؛ وحينئذ لا معارضة بين نفي الضرر عن الله عزوجل وإثبات الأذية .

ومن فوائد هذه الآية: بيان غنى الله عزوجل عن كل من سواه؛ لقوله: ((**إنهم لن يضروا الله شيئا**)).

ومن فوائدها: إثبات الإرادة لله عزوجل؛ لقوله: ((**يريد أن لا يجعل لهم حظا في الآخرة**))؛

وقد قسم العلماء إرادة الله تعالى إلى قسمين: إرادة كونية وإرادة شرعية؛ فالكونية هي ما يتعلق بفعله؛ والشرعية ما يتعلق بشرعه؛ الكونية بمعنى المشيئة, والشرعية بمعنى المحبة؛ الكونية يلزم فيها وقوع المراد, والشرعية لا يلزم فيها وقوع المراد؛ أفهمتم ؟ فإذا الفروق كم ؟ ثلاثة؛ الأول: أن الإرادة الكونية تتعلق بفعله, والثانية بشرعه؛ ثانيا: الكونية بمعنى المشيئة, والشرعية بمعنى المحبة؛ الثالث: الكونية يلزم فيها وقوع المراد, والشرعية لا يلزم .

فإذا قال قائل: ما تقولون في إيمان أبي بكر أهو مراد بالإرادة الكونية أو الشرعية ؟ والجواب أنت يا أخ ؟ إرادة كونية وشرعية؛ صحيح ؟ صحيح, لأنه وقع بالإرادة الكونية؛ ولأنه متعلق بالشرع بما يحبه الله.

وما تقول في إيمان أبي لهب ؟ مراد شرعا لا كونا؛ لأن الله لو أراده كونا لكان .

وما تقولون في كفر المسلم ؟

الطالب: إرادة شرعية؛

الشيخ: هل هو مراد لله أو لا ؟

الطالب: هذا كونية؛

الشيخ: لا هو الآن مسلم ما تقول في كفره هو الآن مسلم؛ نعم .

الطالب: هذه إرادة شرعية ؛

الشيخ: يريد الله منه أن يكفر شرعا ؟

الطالب: لا يلزم أن يتحقق؛

الشيخ: المهم الآن هذا مسلم فما تقول بالنسبة لكفره, ... وهو الآن مسلم, هل هو مراد شرعا أو مراد كونا ؟

الطالب: كونا؛

الشيخ: كونا ؟

الشيخ: يا ابن داود ؟ ليس مرادا لا كونا ولا شرعا؛ واضح ؟ لأنه الآن مسلم ما كفر؛ لو أراد الله أن يكفر لكفر؛ وهل هو مراد شرعا كفره ؟ لا؛ إذا هذا انتفى فيه الإرادتان؛ وإيمان المؤمن اجتمعت فيه الإرادتان؛ صح ؟ طيب

إيمان الكافر ؟ إرادة شرعية؛ كفر الكافر ؟ الكونية, هو مراد كونا غير مراد شرعا؛ وإيمان الكافر مراد شرعا غير مراد كونا؛ وإسلام المسلم مراد كونا وشرعا؛ وكفر الكافر مراد كونا لا شرعا, واضح الآن ؟ إذا فيه ما تجتمع فيه الإرادتان وما تنتفي فيه الإرادتان؛ وما فيه الإرادة الشرعية فقط وما فيه الإرادة الكونية فقط؛ عرفتم ؟ وهذا التقسيم لا تظنوا أنه مجرد تزيين، التقسيم هذا مهم؛ لأن من الناس من قال إن المعاصي غير مرادة لله لا كونا ولا شرعا مع أنها واقعة؛ فيقولون: إن معصية العاصي غير مرادة لله لا كونا ولا شرعا؛ نوافقهم على أيش ؟ على شرعا، غير مرادة شرعا لكنها مرادة كونا؛ ولهذا يقولون: كل المعاصي فهي محبوبة لله؛ لأيش ؟ قال: لأن الله أرادها كونا؛ فإذا أرادها كونا لو أنه يحبها ما أرادها؛ وعلى هذا يتبين أن هذا التقسيم ليس مجرد وشي وتزيين للفظ, بل وراءه أمر معنوي.

من فوائد هذه الآية الكريمة: أنه لا حظ للكافر في الآخرة لأنه مخلد في النار؛ لقوله: ((**يريد الله أن لا يجعل لهم حظا في الآخرة**)) .

ومن فوائدها بالمفهوم: أن الكافر قد يكون له حظ في الدنيا, وكفره لا يمنعه من الحظ في الدنيا.

فإن قال قائل: إن الله قال في كتابه: ((**ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون**)) فهذا يدل على أن الكافر لا يحصل له نعيم في الدنيا ؟

قلنا: نعم الأصل أن لا يحصل له نعيم في الدنيا، هذا الأصل؛ لكنه قد ينعم استدراجا كما قال تعالى: ((**والذين كفروا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وأملي لهم إن كيدي متين**)) .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: إثبات الآخرة، وأنها حق، وأن الناس ينقسمون فيها إلى قسمين: منهم من له نصيب ومنهم من لا نصيب له؛ لقوله: ((**في الآخرة**)) .

ومن فوائدها: إثبات العقوبة لهؤلاء الكفار؛ فليس حظهم أن لا يجدوا حظا في الآخرة؛ بل لا يجدون حظا في الآخرة ومع ذلك يعذبون؛ ليت الأمر أن يحرموا من النعيم أو من الحظ والنصيب بل الأمر أشد؛ ولهذا يقولون: ((**يا مالك ليقض علينا ربك**)) نستريح؛ ((**وقال الذين كفروا في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب**)) . نسأل الله العافية ..

ثم قال الله تعالى: ((**إن الذين اشتروا الكفر بالإيمان لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب أليم**)) هذه الآية صلتها بما قبلها أنها كالتوكيد لها؛ قوله: ((**إن الذين اشتروا الكفر**)) أي اختاروا الكفر على الإيمان, وإلا فإن الكفر ليس سلعة يباع ويشترى؛ فالاشتراء هنا بمعنى الاختيار وترك الطرف الآخر.

وقوله: ((**اشتروا الكفر بالإيمان**)) إذا قال قائل: هم لم يؤمنوا ؟

قلنا لكن اختيارهم للكفر أخرجهم من الفطرة التي كانوا عليها وهي التوحيد؛ فهم اشتروا الكفر بعد الإيمان؛ وسبق معنى الكفر؛ وأما الإيمان فإنه في اللغة قيل: التصديق، واستدلوا لذلك بقوله تعالى: ((**وما أنت بمؤمن لنا**)) وقيل: الإقرار، والإقرار أخص من التصديق، واستدل هؤلاء بأن الكلمة إذا كانت بمعنى الكلمة فلابد أن تتعدى بما تتعدى به؛ ومن المعلوم أن الإيمان لا يتعدى كما يتعدى التصديق؛ فإنك تقول: صدقته ولا تقول آمنته، لا تقول آمنته؛ إذا فليس معناهما واحدة؛ بل معنى الإيمان الإقرار؛ وهذا في اللغة, أما في الشرع فهو الإقرار المستلزم للقبول والإذعان؛ ليس مجرد الإقرار الإيمان, بل لابد من أن يقبل ما جاء به الرسول ويذعن له؛ ولهذا لم يكن أبو طالب مؤمنا مع أنه مقر بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم لكنه لم يقبله ولم يذعن له فلم يكن مؤمنا؛ وإذا كان هذا هو الإيمان أي الإقرار المستلزم للقبول والإذعان فإنه يتضمن جميع شرائع الإسلام كما هو مذهب أهل السنة والجماعة، أن الإيمان شامل للاعتقاد وقول اللسان وعمل الجوارح وعمل القلب أيضا، عمل القلب والجوارح وقول اللسان واعتقاد القلب، أربعة أشياء كلها من الإيمان .

((**إن الذين اشتروا الكفر بالإيمان لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب أليم**)) ((**لن يضروا الله شيئا**)) كالآيات السابقة تماما؛ ((**ولهم عذاب أليم**)) هنا قال: إنه أليم, وهناك قال: إنه عظيم, فيجتمع في عذابهم . والعياذ بالله . العظم والألم؛ و ((**أليم**)) هنا بمعنى مؤلم، بمعنى مؤلم, وليست بمعنى شديد، فهي بمعنى اسم الفاعل من الرباعي من آلمه يؤلمه إيلاما فهو مؤلم .

وهل يأتي فعيل بمعنى مفعل ؟

الطلب: نعم؛

الشيخ: مثاله ؟

الطلب: سميع بمعنى مسمع؛

الشيخ: أي نعم صح, السميع بمعنى مسمع على حد قول الشاعر:

أمن ريحانة الداع السميع يؤرقني وأصحابي هجوع؛

الداعي السميع يعني المسمع .

في هذه الآية الكريمة: بيان شدة رغبة الكفار بالكفر؛ لأنهم اشتروه اشتراء، والمشتري طالب للسلعة؛ فهم يأخذونها . والعياذ بالله . عن رغبة، يأخذون الكفر عن رغبة .

ومن فوائد الآية الكريمة: بيان خسران هؤلاء حيث أخذوا الكفر بدلا عن الإيمان؛ وهذه أخسر صفقة على وجه الأرض أن يأخذ الإنسان الكفر بالإيمان, طائعا طيبة به نفسه . والعياذ بالله ..

ومن فوائدها: بيان كمال الله عزوجل وأنه لا تضره معصية العاصي ولا تنفعه طاعة الطائعين؛ لقوله: ((**إنهم لن يضروا الله شيئا**)) .

ومن فوائدها: كمال سلطان الله، حيث إن هؤلاء الذين اختاروا الكفر على الإيمان لم يضروا الله شيئا, مع أن المعروف أن الملك كلما قلت جنوده ضعفت قوته إلا الله عزوجل فإنه لا يضره شيء.

ومن فوائد الآية الكريمة: أن عذاب هؤلاء الذين اختاروا الكفر على الإيمان عذاب مؤلم؛ ولذلك قال الله تعالى: ((**وهم يصطرخون فيها**)) يصارخون: ((**ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل**)) فينادون توبيخا: ((**أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير**)) .

ثم قال الله تعالى: ((**ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثما ولهم عذاب مهين**)) ((**ولا يحسبن الذين كفروا**)) أي لا يظن الذين كفروا؛ وفيها قراءة ثانية سبعية: ((**ولا تحسبن الذين كفروا**)) وقوله: ((**أنما نملي لهم**)) أي نمهلهم عن الأخذ بالعقوبة؛ خيرا أو خير ؟ ((**خير لأنفسهم**)).

وهنا يقع تساؤل: لماذا كانت خير مع أنه قال: ((**نملي**)) والفعل المضارع ينصب المفعول به ؟ ... لكن أنما: هنا ما اسم موصول, أو أنما حرف حصر ؟

الطالب: أنما: اسم موصول من أسماء ... ؛

الشيخ: صح إذا يكون التقدير: أن الذي نملي لهم خير, مع أن عندي مرسومة متصلة بأن, فصورتها صورة الحصر, ولكن هذا لا يمنع من أن تكون اسما موصولا, لأن العلماء اتبعوا في رسم المصحف الرسم العثماني, وإلا لو مشينا على القاعدة الموجودة الآن لكتبت أن وحدها وما وحدها .

قال الله تعالى: ((**إنما نملي لهم**)) هذه إنما على الحصر ((**إنما نملي لهم**)) أي نمهلهم ((**ليزدادوا إثما ولهم عذاب مهين**)) قوله: ((**ليزدادوا إثما**)) اللام للتعليل باعتبار فعل الله, يعني أنه عزوجل يملي من أجل زيادة الإثم؛ وللعاقبة باعتبار حال المشركين أو الكافرين؛ لأنهم ما كفروا لأجل أن يزدادوا إثما ولكن كفرهم كان سببا لزيادة الإثم؛ وقوله: ((**ليزدادوا إثما**)) أي إلى إثمهم؛ لأن الرجل إذا كفر عشرة أيام وزاد يوما زاد كفرا، إذا زاد عشرة أيام أخرى زاد أكثر وهكذا؛ فهم . والعياذ بالله . لا يستفيدون من دنياهم بل يزدادون بذلك كفرا.

((**ولهم عذاب مهين**)) مهين: مذل من الإهانة؛ وذلك لأنهم إنما كفروا استكبارا وعلوا فعوقبوا بعذاب يذلهم ويهينهم .

يقول الله عزوجل: ((**ولا يحسبن الذين كفروا** ...))

من فوائد هذه الآية: أنه يجب على الإنسان أن لا يظن أن إمهال الله له خير له؛ من أين تؤخذ ؟ من النهي, والأصل في النهي التحريم؛ فلا يجوز للإنسان أن يغتر بإمهال الله له .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن الله عزوجل بحكمته قد يستدرج بعض الخلق فيعطيه النعم تترى وذاك متجاوز لحدوده, ليبلغ في الطغيان غايته حتى إذا أخذه لم يفلته، كما قال النبي عليه الصلاة والسلام: (**إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته وتلا قوله تعالى:** ((**وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد**)) .

فإن قال قائل: هل تقيسون العاصي على الكافر ؟ بمعنى أنه قد يمهل له وهو مقيم على المعصية ؟

قد نقول بالقياس بجامع أن كل واحد منهما أمهله الله ولم يعاقبه؛ وقد نقول بعدم القياس, وذلك لأن الكفر أعظم من الفسوق؛ ولكن من رجع إلى ظاهر القرآن تبين له أنه حتى الفاسق ربما يمهل له؛ في قوله تعالى: ((**ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون**)) .

من فوائد هذه الآية الكريمة: أنه يجب على الإنسان أن يعتبر في عمره؛ وهل هو قد أمضاه في طاعة الله فليبشر بالخير, وإن أمضاه في معصية الله والله تعالى يدر عليه النعم فليعلم أن هذا استدراج .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: الإشارة إلى أن الإنسان قد يغتر بظواهر الحال ولو كان من المتقين؛ لقوله: ((**ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثما**)) فالإنسان قد يغتر بظاهر الحال ويقول إن الله لم ينعم علي نعمة إلا لأنني أهل، كما قال قارون: ((**إنما أوتيته على علم عندي**)) .

من فوائد الآية الكريمة: إثبات زيادة الآثام؛ لقوله: ((**ليزدادوا إثما**)) فتدل بالمفهوم على زيادة الإيمان؛ كذا ؟ لأنه إذا زادوا إثما فما نقص عن الإثم كانت زيادة في الإيمان؛ ولهذا قال أهل السنة والجماعة: إن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: إثبات العقوبة المذلة لهؤلاء؛ لقوله: ((**ولهم عذاب مهين**)) .

ومن فوائدها أيضا: أن الجزاء من جنس العمل؛ فإن هؤلاء لما استكبروا على الخلق وعلوا عليهم أذلهم الله .

السائل: الإقرار هل هو أخص من التصديق في قوله تعالى: ((**والذي جاء بالصدق وصدق به**)) هنا نقول الله أقر ... ؟

الشيخ: لا يا أخي؛ أقره غير أقر به؛ أقره يعني لم ينكر عليه, وأقر به اعترف به؛ لكن أقر أخص ليس كل مصدق مقرا, يعني يصدق وفي نفسه شيء .

السائل: عدم المفارقة بين التصديق والإيمان هل هو مبرر لأن نقول بأن الإيمان هو الإقرار لا التصديق, وما الجواب على قوله تعالى : ((**وما أنت بمؤمن لنا**)) ؟

الشيخ: واضح لأنه مصدق، هنا مؤمن بمعنى مصدق؛ فالإيمان إذا تعدى باللام صار بمعنى التصديق؛ الإيمان المعدى بالباء كما هو الإيمان بالله وملائكته ... لا يطابق الإيمان بالتصديق؛ هذا البحث في الحقيقة ما رأيت أحدا بحثه وسدد فيه إلا شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب الإيمان, وأنكر على من قال إن الإيمان هو التصديق .

السائل: بالنسبة للكافر عندما تشاهده إذا كان قريبا تتأسف له وتتمنى له الهداية وهل تدعو له ؟ الشيخ: نعم, تقول: اللهم اهده؛ لاسيما إذا كان من الرؤساء لأن الرؤساء إذا هداهم الله اهتدى بهم أمة ...

الطالب: هل القراءات في: ((**ولا تحسبن**)) بكسر السين ؟

الشيخ: ما أعرف الذي عندي ما ذكر بكسر السين يقول: ((**تحسَبن**)) بس .

الطالب: قوله تعالى: ((**ولا يحسبن الذين كفروا إنما نملي لهم خير من أنفسهم**)) ...

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ((**ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فآمنوا بالله ورسله وإن تؤمنوا وتتقوا فلكم أجر عظيم ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة ولله ميراث السموات والأرض والله بما تعملون خبير لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد**)).

الشيخ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم؛ قال الله تبارك وتعالى: ((**ولا يحسبن الذين كفروا**)) هذا مبتدأ المناقشة ؟ قبلها .

الشيخ: قال الله تعالى: ((**ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر إنهم لن يضروا الله شيئا** ...)) الخطاب في هذه الآية لمن ؟

الطالب: للنبي صلى الله عليه وسلم.

الشيخ: ولا تصح لكل من يتأتى خطابه ؟

الطالب: لا؛

الشيخ: لا يصح طيب.

الشيخ: ما الذي يفيده هذا النهي ؟

الطالب: يفيده بيان ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم من حرصه وحزنه على عدم إيمان هؤلاء الكفار؛

الشيخ: أحسنت, يعني يفيد حزن النبي عليه الصلاة والسلام على عدم إسلام هؤلاء الكفار, وعلى مسارعتهم في الكفر .

الشيخ: قوله: ((**يسارعون في الكفر**)) لماذا عدى يسارعون بفي مع أن المعروف أنها تعدى بإلى ؟ معروف أن يسارع تتعدى بإلى مثل: ((**وسارعوا إلى مغفرة**)) فلماذا عديت هنا بفي ؟

الطالب: المعنى أنهم إذا وصلوا للكفر سارعوا فيه فازدادوا منه وهم كفار.

الشيخ: لكن كيف نخرج أنها عديت بفي مع أنها تعدى بإلى,

الطالب: مر معنا في الدرس أن في بمعنى إلى,

الشيخ: في بمعنى إلى أحسنت هذا وجه؛ الثاني ؟

الطالب: معنى يسارعون يقعون.

الطالب: المسارعة هو الدخول في الكفر؛

الشيخ: يعني إذا التضمين هنا بالفعل لا بالحرف؛ على المعنى الأول التضمين بالحرف ضمن معنى إلى؛ وعلى الثاني التضمين في الفعل.

الشيخ: أيهما أفصح يا خالد ؟

الطالب: في الفعل أفصح لأنه يتضمن معنى زائد .

الشيخ: يتضمن المعنى وزيادة؛ هل لك أن تأتي بمثال سوى هذا يوضح ؟

الطالب: قوله: ((**عينا يشرب بها عباد الله**))

الشيخ: يشرب تتعدى بأيش في الأصل ؟

الطالب: بمن ؟

الشيخ: وهنا عديت بالباء؛ خرجها على الوجهين ؟

الطالب: عين يشرب منها؛

الشيخ: هذا وجه يعني الباء ضمنت معنى من؛

الطالب: الثاني: ضمن الفعل يعني عين يروى بها ويشرب؛

الشيخ: عينا يروى بها وإذا قلنا يروى بها فيتضمن الشرب, لأنه لا ري إلا بعد الشرب .

الشيخ: كيف نجمع بين قوله تعالى: ((**إنهم لن يضروا الله شيئا**)) وبين قوله تعالى: ((**إن الذين يؤذون الله ورسوله**)) ؟ لا يستلزم من الأذية أن يكون فيها ضرر قد يتأذى الإنسان بشيء ولا يتضرر به؛ مثل؟

الطالب: الذي يستهزؤون بالنبي عليه الصلاة والسلام؛

الشيخ: لا، لا ما نريد مثال بالنسبة لله ورسوله، عادي طبيعي ؟

الطالب: قد يتكلم إنسان على الآخر ولكن لا يضره, يؤذيه ولا يضره؛

الشيخ: يؤذيه بكلامه ولا يضره؛ طيب هذا معنى؛ حسي ؟ جلس إلى جنبك رجل آكل ثوما, الطالب: أتأذى من الرائحة ولكن لا يضرني؛

الشيخ: صح ؟ إذا الآن عندنا مثالين؛ معنوي يتكلم علي إنسان ويؤذيني بكلامه ولكن ما يضرني؛ يجلس إلى جنبي وهو آكل ثوما أتأذى به ولكن لا أتضرر؛ إذا لا يلزم من الأذية الضرر, وبهذا لا يكون هناك تعارض بين هذه الآية وبين قوله: ((**إن الذين يؤذون الله ورسوله**)) .

الشيخ: ما معنى قوله: ((**ألا يجعل لهم حظا في الآخرة**)) ؟

الطالب: نصيبا؛

الشيخ: نصيبا, كلمة حظا هنا هل هي للعموم أو للخصوص ؟

الطالب: للعموم؛

الشيخ: بأي طريق كان العموم هنا ؟ العموم له مواضع وطرق, فما هو طريق العموم هنا, يعني ما هو التركيب الذي استفدنا منه العموم ؟

الطالب: لأن النكرة جاءت في سياق النفي؛

الشيخ: لأنها نكرة جاءت في سياق النفي؛ والقاعدة عبيد الله ؟ بأي طريق حصل العموم ؟ الطريق هو أنها نكرة جاءت في سياق النفي .

الشيخ: ما معنى قوله: ((**اشتروا الكفر بالإيمان**)) ؟

الطالب: استبدلوا الكفر بالإيمان؛

الشيخ: يعني أخذوا الكفر بديلا عن الإيمان .

الشيخ: يقول علماء البلاغة إن في هذه الجملة مجاز بالاستعارة التصريحية التبعية أو الاستعارة المكنية هل تعرف ذلك ؟

الطالب: يعني في قوله: ((**إن الذين اشتروا الكفر بالإيمان**))

الشيخ: أي نعم, يعني هذه يجوز أن تجعلها استعارة تبعية أو استعارة مكنية ؟

الطالب: أجتهد ؟

الشيخ: اجتهد إما أن تخطئ وإما أن تصيب ؟

الطالب: الكفر لا يشترى ومع ذلك قال الله عزوجل: ((**إن الذين اشتروا الكفر بالإيمان**)) فهذه استعارة, كأنه شبه الكفر بالسلعة تشترى؛

الشيخ: فاستعار الكفر من الإيمان؛ فحذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه؛ الظاهر ما عندكم علم بالبلاغة ؟ شبه الكفر بالسلعة التي تباع وتشترى وحذف المشبه به؛ لكن رمز إليه بشيء من لوازمه وهو الشراء؛

الشيخ: طيب هذا على أنها مكنية؛ على أنها تصريحية تبعية ؟ ... التصريحية التبعية معناه أنها تجرى الاستعارة بالفعل أو باسم الفاعل يعني بالشيء مشترك؛ فهنا اشتروا بمعنى اختاروا, فشبه الاختيار بالشراء ثم اشتق من لفظ الشراء اشتروا على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية؛ عرفتم ؟ اتركوها مادام أنا ظننت أن فيه دراسة سابقة .

الشيخ: في قوله تعالى: ((**ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم**)) إشكال نحوي ؟ الطالب: أنه رفع خير, ورفعت لأنها خبر أن

الشيخ: أين اسمها ؟

الطالب: الاسم الموصول

الشيخ: الاسم الموصول ما .

الشيخ: هل الكتابة هنا في المصحف جارية على القواعد المعروفة الآن ؟

الطالب: غير جار على القواعد؛

الشيخ: القاعدة المعروفة الآن أن نفصل أن عن ما, لأنها اسم موصول, وهنا كتابتها كأنها أداة حصر.

الشيخ: ما معنى الإملاء في قوله: ((**أنما نملي لهم**)) ويش معنى نملي لهم ؟

الطالب: نستدرجهم؛

الشيخ: أملى له نمهله؛ إنما نملي لهم نمهله .

الشيخ: اللام في قوله تعالى: ((**ليزدادوا إثما**)) هل هي للتعليل أو للعاقبة ؟

الطالب: للتعليل؛

الشيخ: التعليل يعني أن الله أمهلهم من أجل زيادة الإثم, فيكون الله تعالى قد أراد منهم شرا.

اللام للتعليل, الله سبحانه وتعالى أملى لهم حتى يزدادوا إثما أو أنها للعاقبة ... الوجهان؛

الشيخ: يعني باعتبار فعل الله يجوز أن نجعلها للتعليل؛ وباعتبار فعلهم هم ما هم عليه تكون للعاقبة ولابد, لأنهم هم لا يحبون أن تطول أعمارهم لأجل أن يزدادوا إثما, لكن الله عزوجل قد يحب ذلك لحكمة تقتضي هذا.

الشيخ: في قوله تعالى: ((**ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم**)) إشكال نحوي ؟

الطالب: أنه رفع خير, ورفعت لأنها خبر أن

الشيخ: أين اسمها ؟

الطالب: الاسم الموصول.

الشيخ: الاسم الموصول ما .

الشيخ: هل الكتابة هنا في المصحف جارية على القواعد المعروفة الآن ؟

الطالب: غير جار على القواعد؛

الشيخ: القاعدة المعروفة الآن أن نفصل أن عن ما, لأنها اسم موصول, وهنا كتابتها كأنها أداة حصر.

الشيخ: ما معنى الإملاء في قوله: ((**أنما نملي لهم**)) ويش معنى نملي لهم ؟

الطالب: نستدرجهم؛

الشيخ: أملى له نمهله؛ إنما نملي لهم نمهله .

الشيخ: اللام في قوله تعالى: ((**ليزدادوا إثما**)) هل هي للتعليل أو للعاقبة ؟

الطالب: للتعليل؛

الشيخ: التعليل يعني أن الله أمهلهم من أجل زيادة الإثم, فيكون الله تعالى قد أراد منهم شرا.

الطالب: اللام للتعليل, الله سبحانه وتعالى أملى لهم حتى يزدادوا إثما أو أنها للعاقبة ... الوجهان؛

الشيخ: يعني باعتبار فعل الله يجوز أن نجعلها للتعليل؛ وباعتبار فعلهم هم ما هم عليه تكون للعاقبة ولابد, لأنهم هم لا يحبون أن تطول أعمارهم لأجل أن يزدادوا إثما, لكن الله عزوجل قد يحب ذلك لحكمة تقتضي هذا. أظن انتهينا من الفوائد .

الشيخ: قال الله تبارك وتعالى: ((**ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه**)) ما كان الله ليذر: ما نافية وكان فعل ماضي ناقص؛ واللام يسمونها لام الجحود, يعني لام النفي, وهي التي تأتي بعد كون منفي إما ما كان وإما لم يكن، مثالها في المكان هذه الآية: ((**ما كان الله ليذر**)) ومثالها في لم يكن: ((**لم يكن الله ليغر لهم**))؛ وسميت لام الجحود والجحود هو النفي, لأنها واقعة في سياق النفي؛ أين النفي ؟ لم يكن أو ما كان؛ هذا وهي تنصب الفعل المضارع إما بنفسها كما هو اختيار الكوفي أو بأن مضمرة وجوبا كما هو اختيار البصري .

وقوله: ((**ما كان الله**)) يعني أن هذا ممتنع غاية الامتناع؛ إذا جاء مثل هذا التعبير في القرآن فإنه يعني الامتناع أنه ممتنع على الله عزوجل غاية الامتناع أن يفعل كذا؛ وهذا الامتناع ليس امتناعا لعدم القدرة عليه فهو قادر,

لكنه امتناع شرعي, أي يمتنع بحسب ما تقتضيه حكمته أن يترك المؤمنين على ما هم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب .

وقوله: ((**ليذر**)) أي ليترك؛ وقوله: ((**المؤمنين**)) يعني الذين آمنوا بالله؛ ((**على ما هم عليه**)) بدون تمييز بين الخبيث والطيب هذا مستحيل على الله؛ وقوله: ((**على ما أنتم عليه**)) أي من غير بيان؛ وذلك لأن المجتمع النبوي في عهد النبي صلى الله عليه وسلم خليط بين المؤمنين الخلص والكافرين الخلص والمنافقين؛ أما الكافرون الخلص فهم متميزون؛ بماذا ؟ بإعلانهم بالكفر وتصريحهم به, ولا تخفى حالهم على أحد؛ وأما المؤمنون الخلص فكذلك، أمرهم واضح ظاهر؛ يبقى الآن الاشتباه بين المؤمن الخالص وبين المنافق, لأن المنافقين يظهرون الإيمان وأنهم معهم: ((**إذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا**)) فإذا يحتاج أن يميز الله عزوجل بين الخبيث والطيب؛ ولهذا قال: ((**على ما أنتم عليه**)) يعني من الخفاء والإشكال؛ ((**حتى يميز الخبيث من الطيب**)) يميز بمعنى يفصل, يعني يفصل بين الخبيث والطيب بما يخبر به عزوجل؛ فإذا كان الأمر كذلك قال: ((**وما كان الله ليطلعكم على الغيب**)) يعني وما كان الله ليطلعكم على الغيب في تمييز الطيب من الخبيث؛ فأنتم لا تعلمون ما في صدورهم أي ما في صدور هؤلاء الخبثاء المنافقين لأنكم لا تعملون الغيب, والله عزوجل ما كان ليطلعكم على الغيب؛ وهذه الآية مقيدة بآية الجن: ((**عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا**)) هذه الآية تشبه تماما آية الجن؛ ولهذا قال: ((**ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء**)) هذا استدراك على قوله: ((**وما كان الله ليطلعكم على الغيب**)) فإن هذا الخطاب عام حتى النبي عليه الصلاة والسلام, ولكن يستدرك فقال: ((**ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء**)) يجتبي يعني يختار من رسله من يشاء فيطلعه على الغيب الذي يريد أن يطلعه عليه، كما قال: ((**عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول**)) ((**ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء**))؛ طيب الآن هذه القطعة والجملة من الآية تصور لنا حال المجتمع النبوي في عهد النبي صلى الله عليه وسلم أن فيهم أناسا يخفى أمرهم, فبين الله عزوجل أن هؤلاء الناس الذين يخفى أمرهم لابد أن يفصل الله بينهم وبين المؤمنين بالعلامات التي يظهرها؛ ولا يكون هذا بإطلاعكم على الغيب لأن الله عزوجل لا يطلع أحدا على الغيب إلا من ارتضى من رسوله؛ ويكون هذا عن طريق من ؟ اطلاعنا على ما هي قلوب هؤلاء عن طريق الوحي؛ ولهذا سمى النبي صلى الله عليه وسلم عددا من المنافقين لحذيفة بن اليمان الذي كان يلقب بصاحب السر سر النبي صلى الله عليه وسلم؛ شف الآن الرسول صلى الله عليه وسلم أسر إلى حذيفة بأسماء رجال من المنافقين ولم يسر إلى أبي بكر ولا إلى عمر ولا إلى من هو أفضل من حذيفة؛ وهذه تذكرنا بقاعدة ذكرها ابن القيم رحمه الله في النونية مرت علينا قريبا, ما هي ؟

أن الخصيصة بفضيلة معينة لا تستلزم الفضل المطلق؛ وأن الفضل نوعان: مطلق ومقيد؛ فهنا لاشك أن حذيفة رضي الله عنه امتاز عن الصحابة بما أخبره به النبي عليه الصلاة والسلام من هؤلاء المنافقين؛ لكنه لا يلزم من هذا أن يكون أفضل ممن له الفضل المطلق عليه كأبي بكر وعمر وما أشبههما؛ المهم أننا لا نعلم عما في قلوب هؤلاء, ولكن الله يميزهم بما يطلع عليه نبيه صلى الله عليه وسلم؛ ولهذا قال: ((**ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء**)) .

طيب, ومن الذي اجتباه من الرسل في عهد النبوة المحمدية ؟ محمد صلى الله عليه وسلم ولا نبي غيره.

ثم قال: ((**فآمنوا بالله ورسله**)) يعني حققوا إيمانكم بالله ورسله, وذلك بالتصديق التام والانقياد والإذعان بدون اعتراض لا على القضاء والقدر ولا على الحكم الشرعي، آمنوا بالله ورسوله؛ هكذا حال المؤمن حقا هو الذي ينقاد لأمر الله الكوني فيرضى به, وينقاد لأمر الله الشرعي فينفذه ويذعن له, مع أن الانقياد للحكم الكوني يعم كل أحد سواء طوعا أو كرها؛ ((**فآمنوا بالله ورسله**)) جمع رسول؛ ومن المعلوم أن الرسل هم الذين كلفهم الله سبحانه وتعالى بما أوحى إليهم أن يعملوا به ويدعوا إليه ويبلغه الناس؛ ولهذا كان أصل جمهور العلماء في الرسول أنه من أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه؛ والنبي من أوحي إليه بشرع يتعبد به ولم يكلف أن يبلغه الناس؛ فآدم عليه الصلاة والسلام نبي لكنه ليس رسولا ليس عنده أحد؛ نبئ وصار يعمل بحسب ما يوحى إليه واتبعه على ذلك ذريته, ولما طال الزمن واختلف الناس احتاجوا للرسالة فأرسل الله إليهم, وأول من أرسل إليهم نوح؛ وقوله: ((**آمنوا بالله ورسله**)) الإيمان بالله يتضمن أربعة أمور؛ الإيمان بوجوده؛ والإيمان بربوبيته؛ والإيمان بألوهيته؛ والإيمان بأسمائه وصفاته؛ لابد من هذا كله فمن نقص شيئا منها فإنه لم يؤمن بالله حقيقة؛ الإيمان بأيش ؟ بوجوده؛ بربوبيته؛ ألوهيته؛ أسمائه وصفاته؛

الإيمان بالرسل يتضمن تصديقهم فيما جاؤوا به من الوحي, ويتضمن التعبد لله بشريعتهم على من ألزموا باتباعهم؛ ومن المعلوم أنه بعد بعثة الرسول عليه الصلاة والسلام لم يلزم الخلق إلا باتباع النبي محمد صلى الله عليه وسلم؛ فإن شريعته نسخت جميع الأديان؛ إذا كيف نؤمن بعيسى عليه الصلاة والسلام ؟ نؤمن بأنه رسول الله حقا, وأن الله أنزل إليه الكتاب, وأنه صادق فيما جاء به من الرسالة؛ وأما شرعه فلسنا مأمورين باتباعه؛ نحن مأمورون بالإيمان به فقط .

قال: ((**وإن تؤمنوا وتتقوا فلكم أجر عظيم**)) إن تؤمنوا بقلوبكم وتتقوا بجوارحكم فلكم أجر عظيم؛ الإيمان بالقلب هو الإقرار المتضمن للقبول والإذعان؛ هذا الإيمان بالقلب؛ التقوى اتخاذ وقاية من عذاب الله عزوجل؛ وذلك بفعل أوامره واجتناب نواهيه؛ وهذا أجمع ما قيل في التقوى؛ ولكن ليعلم أن التقوى قد تقرن بالبر وقد تقرن

بالإحسان: ((**وإن تحسنوا وتتقوا**)) قد تقرن بالإصلاح؛ فإذا قرنت بمثل هذا تفسر بأن المراد بها تقوى المحارم, يعني اجتناب محارم الله؛ أما إذا أطلقت فإنها تشمل الأوامر والنواهي؛ وهذا كثير من الأسماء إذا قرن مع غيره صار له معنى, وإذا وحد صار له معنى؛ لكن أيهما أشمل وأعم إذا قرن أو إذا أفرد ؟ إذا أفرد؛ لأنه إذا قرن مع غيره فإن هذا الذي قرن معه سيأخذ جانبا كبيرا من المعنى .

قال: ((**وإن تؤمنوا وتتقوا فلكم أجر عظيم**)) الفاء هنا واقعة في جواب الشرط لربط الجملة الجوابية بالجملة الشرطية الفعلية؛ وإنما قرنت بالفاء لأن الجواب وقع جملة اسمية؛ وقد أنشدناكم بيتا في هذا الموضوع, فمن يحفظه ؟

اسمية طلبية وبجامد وبما وقد وبلن وبالتنفيس؛

يعني معناه هذه السبع الجمل إذا وقعت جوابا للشرط فيجب أن تقترن به الفاء .

وقوله: ((**أجر**)) يعني ثوابا؛ وسمى الله الثواب أجرا من باب التكرم والتفضل, كأننا نحن مستأجرين أدينا العمل فنطالب بالأجرة, مع أن الحق لله علينا, لكنه عزوجل أوجب على نفسه: ((**أنه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فأنه غفور رحيم**))؛ إذا نقول الأجر هنا أيش ؟ الثواب وسمى الله ذلك أجرا تفضلا منه, كأننا أجراء قمنا بالعمل فنطالب بالأجرة؛ وهذا كقوله تعالى: ((**من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له**)) فهل الله فقير حتى نقرضه ؟ كلا؛ ولكن هذا من باب إظهار التزام الله عزوجل بالوفاء لعبده إذا أوفى بعهده: ((**وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم**)) وقوله: ((**عظيم**)) هذا وصف من الله عزوجل لهذا الأجر؛ والوصف بالعظم من العظيم يدل على عظمه؛ ولهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام في الحديث، حديث الدعاء الذي علمه أبا بكر رضي الله عنه قال: (**فاغفر لي مغفرة من عندك**) أضافها إلى عندية الله عزوجل.

يقول الله عزوجل: ((**ما كان الله ليذر المؤمنين** ...)) يستفاد من هذه الآية الكريمة فوائد.

منها: أن الله عزوجل لابد أن يميز الخبيث من الطيب، أن يميز الخبيث من الطيب؛ لقوله: ((**ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه**)) .

فإن قال قائل: بماذا يحصل الميز ؟ قلنا يحصل بالوحي في عهد النبوة، يحصل بالقرائن في غير عهد النبوة وفي عهد النبوة أيضا؛ فإن القرائن قد تبين الخبيث من الطيب، بحيث نلاحظ أعماله وننظر كيف يسير وكيف يعمل فيتبين لنا خبثه من طيبه .

ومن فوائد هذه الآية: بيان رحمة الله عزوجل بعباده، حيث لا يتركهم هكذا يشتبه بعضهم ببعض بل لابد من ميز هذا من هذا .

ومن فوائدها: بيان الحكمة، حكمة الله عزوجل في أفعاله ومشروعاته أيضا؛ لقوله: ((**وما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب**)) .

ومن فوائدها: انقسام الناس إلى خبيث وطيب؛ لقوله: ((**حتى يميز الخبيث من الطيب**)) وهذا كقوله: ((**هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن**)) ولم يذكر قسما ثالثا؛ وقال تعالى في سورة هود: ((**فمنهم شقي وسعيد**)) ولم يذكر قسما ثالثا؛ ففي العمل قسم الله الناس إلى قسمين, وفي الجزاء أيضا قسمهم إلى قسمين .

فإذا قال قائل: أليس في هذا دليل على مذهب الخوارج الذين يقولون: إن الناس إما مؤمن أو كافر, ولا يمكن لأحد أن يجمع بين الإيمان والكفر ؟

فالجواب أن يقال: ليس فيه دليل لمذهبهم؛ لأن المؤمن إذا لم يفعل ما يخرج به من الإيمان فإنه لا يصدق عليه وصف الخبيث على سبيل الإطلاق, بل هو من قسم الطيب لكن فيه خبث، هو من قسم الطيب لكن فيه خبث, وهذا الطيب غلب على خبثه، كما أن الكافر أيضا، الكافر وإن فعل ما يحمد عليه كالبر والجود والشجاعة وطلاقة الوجه وما أشبه ذلك, هذه خصال الإيمان لكن خبثه أعظم من هذه الخصال فهو من قسم الخبثاء وليس من قسم الطيبين؛ إذا نقول: هؤلاء المؤمنون الذين عندهم صفات الكفر من أي قسمين ؟ من قسم الطيب الذي فيه خبثه لكن طيبه يغلب على الخبث؛ والكفار الذين فيهم خصال من الطيب من قسم الخبيث لكن الطيب الذي فيهم قد انغمر في جانب الخبث؛ وعلى هذا فلا تقسيم, فليس هناك قسم ثالث, بل هما قسمان لكن ما غلب عليه أحد الوصفين فهو منهم .

من فوائد هذه الآية الكريمة: أن من ادعى علم الغيب فهو كاذب؛ من أين نأخذها ؟ من قوله: ((**وما كان الله ليطلعكم على الغيب**)) فمن ادعى علم الغيب فهو كاذب؛ بل هو كافر؛ لقوله تعالى: ((**قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله**)) ولأنه إذا ادعى علم الغيب فقد كذب مضمون قوله: ((**وما كان الله ليطلعكم على الغيب**)).

ولكن ما المراد بالغيب ؟ المراد بالغيب ما غاب غيبا مطلقا؛ وذلك الذي يكون في المستقبل؛ أما الشيء الحاضر ولكنه غائب عن ناس دون أناس فهذا قد يطلع عليه الإنسان وإن لم يشاهده بخبر الجن، الجن يسيحون في الأرض يذهبون شمالا ويمينا وهم سريعو التصرف؛ فربما يسعون في الأرض ثم يخبرون أوليائهم بما شاهدوا في أراض بعيدة فيكون هذا غيبا؛ غيبا حقيقيا أو غيبا إضافيا ؟ إضافيا؛ ومعنى إضافي يعني بالإضافة إلى قوم دون قوم؛ فالذين شاهدوه ليس غيبا عندهم, والبعيدون عنه هو غيب؛ الآن الذي في الشارع هذا الذي في جنب المسجد ونحن هنا هو بالنسبة إلينا غيب لا نطلع عليه؛ لكن لو دخل علينا رجل وقال: رأيت في الشارع كذا وكذا؛ نقول:

نحن لم نعلم الغيب لكن أخبرنا عن أمر وقع شاهده من أخبرنا به؛ فالمراد بالغيب الذي لا يعلمه إلا الله هو الغيب المطلق وهو الذي يكون في المستقبل؛ فهذا لا يطلع عليه إلا الله .

فإن قال قائل: ألسنا إذا رأينا السماء مدلهمة والرعد قاصفا والبرق خاطفا ألسنا نتوقع المطر ؟ بلى؛ فإذا قلنا ستمطر فليس هذا من علم الغيب, بل هذا مبني على القرائن قد يخطئ ظننا؛ وقد يأمر الله هذه السحاب فيتمزق ولا يمطر, لكن هذا حسب ما نتوقع, ولسنا نقول: هذا علم بل هو ظن مبني على قرائن؛ المهم لئلا يلتبس عليكم الأمر: أن الغيب هو الغيب المطلق وهو الذي يكون في المستقبل؛ أما الغيب الإضافي النسبي فهذا قد يطلع الله عليه من شاء من عباده بواسطة كالجن مثلا، الجن يعلمون ما حصل في الأرض ويخبرون به أوليائهم، يخبرون به أوليائهم؛ لكن من أولياء الجن ؟ أولياء الجن قد يكونون متقين وقد يكونون مجرمين؛ فإن كانت ولاية الجن لهم بسبب الشرك فيهم كالذبائح للجن وما أشبه ذلك فهذه ولاية إجرام؛ لكن يقول شيخ الإسلام رحمه الله: إن الجن قد يتولون المؤمن لإيمانه يحبونه في الله ويخدمونه في أمره؛ قال: وهذا جائز بشرطين: ألا تكون وسيلة استخدامهم محرمة وألا يستخدمهم في محرم؛ انتبهوا أن لا تكون وسيلة استخدامهم محرمة وألا يستخدمهم في محرم؛ فمثلا إذا قالوا: لا نخدمك حتى تسجدوا لنا؛ هذا حرام شرك؛ لا نستخدمك حتى تدخل فلانا السجن؛ هذا حرام لكنه ليس بشيء, يعني خدموه بدون شرك بدون حرام لكن استخدمهم في شيء محرم فقال لهم مثلا: اذهبوا إلى فلان فأرجفوا بإبله حتى تهرب وتشرد؛ حرام ؟ نعم, اذهبوا إلى فلان فآذوه, روعوه في بيته روعوه في سوقه هذا أيضا حرام لا يجوز .

فلو قال قائل: إن استخدامهم حرام بكل حال لأن الله تعالى يقول: ((**ويوم نحشرهم جميعا يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس وقال أوليائهم من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله إن ربك حكيم عليم**)) وهذا يدل على أن استمتاع الإنسان بالجن محرم بكل حال ؟

فالجواب على ذلك أن نقول: اقرأ الآية التي بعدها حيث قال: ((**وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون**)) فهذا الاستمتاع استمتاع في ظلم ولاشك أنه حرام؛ أما إذا كان استمتاعا بما ينفع وخلا من المحرم في طريقه أو في استخدامه فإن هذا لا بأس به .

السائل: ما المراد بالأسباط في القرآن ؟

الشيخ: أين الأسباط ؟

السائل: نحن تكلمنا عن النبي والرسول الأسباط هل هو نبي أو رسول ؟

الشيخ: بعضهم قال أسباط يعني قبائل بني إسرائيل, وأن الأسباط يعني والأنبياء من الأسباط، وبعضهم قال هم أولاد يعقوب, فيها خلاف .

الطالب: ((**ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة ولله ميراث السموات والأرض والله بما تعملون خبير لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد**)).

الشيخ: ((**ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب**)) ماذا يسمي اللام نحاة العلماء ؟

الطالب: لام الجحود؛

الشيخ: وما هو الجحود ؟

الطالب: لام النفي؛

الشيخ: النفي، الجحود هنا بمعنى النفي؛ وضابطها ؟

الطالب: أن تأتي بعد كون منفي .

الشيخ: وما معناها خالد إذا كان ما كان الله لكذا ؟

الطالب: معناه أنه يمتنع غاية الامتناع أن يفعل الله هذا الشيء .

الشيخ: وقوله: ((**ليذر المؤمنين**)) معنى ليذر.

الطالب: أي ليترك المؤمنين على ما أنتم عليه؛

الشيخ: ويش معنى يتركهم على ما أنتم عليه ؟ يقول حتى ؟

الطالب: على اشتباه بين المنافق والمؤمن الخالص

الشيخ: حتى يبين الخبيث من الطيب.

الشيخ: قوله: ((**وما كان الله ليطلعكم على الغيب**)) ما صلتها لما قبلها ؟

الطالب: استدراك؛

الشيخ: المعنى ؟

الطالب: المعنى أن الله ما كان يخبركم بالغيب بأن تعلموا ما في قلوب الناس من المنافق أو المؤمن؛

الشيخ: أي نعم, يعني ليطلعكم على ما في قلوبهم من النفاق أو غيره .

الشيخ: إذا ما فيها استدراك ؟ ((**ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه**))، لا أنا أقصد: ((**ما كان الله ليطلعكم على الغيب**))

الطالب: فيه استدراك على أن الأمور هذه يعلمها الله عز وجل فقط .

الشيخ: لا.

الطالب: التعليل؛

الشيخ: يعني وما كان الله ليطلعكم على الغيب فيخبركم بما يتميز به هذا عن هذا.

الشيخ: قوله: ((**ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء**)) ؟

الطالب: هذا استثناء .

الشيخ: أو استدارك, لكن: للاستدراك؛ طيب والمعنى ؟

الطالب: المعنى: ولكن الله قد يخبر من رسله من يشاء؛

الشيخ: فيطلعكم على الغيب بواسطة الرسل.

الخلاصة أن الله عزوجل بين في هذه الآية أن الله لم يترك المجتمع الإسلامي في حيرة وشك, بل لابد أن يميز أي يفصل الخبيث من الطيب بذكر الأوصاف التي تنطبق على هذا وهذا, ولا يكون هذا بأن يطلعكم أن يطلع كل واحد منكم على الغيب ولكن عن طريق الرسل .

الشيخ: قوله: ((**وإن تطيعوا وتتقوا فلكم أجر عظيم**)) يقرن الله بين الإيمان والتقوى كثيرا, فبماذا يفسر الإيمان إذا قرن مع التقوى ؟

الطالب: يفسر الإيمان إذا قرن بالتقوى الإيمان عمل بالقلب والتقوى بأنها مقصودة عمل الجوارح؛

الشيخ: إذا يكون الإيمان بالقلب والتقوى بالجوارح .

ومن فوائد هذه الآية: أن الله قد يطلع الخلق على الغيب بواسطة الرسل؛ لقوله: ((**ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء**)) .

ومن فوائدها: أن الرسل ممن اجتباهم الله واصطفاهم على الخلق؛ وهذا موجود في القرآن بأن الأنبياء هم الصفوة كما قال الله تعالى: ((**وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار**)).

ومن فوائدها: إثبات المشيئة لله عزوجل؛ لقوله: ((**من يشاء**)) ولكننا نقول كل شيء علقه الله بالمشيئة فإنه لابد أن يكون مقرونا بالحكمة, ليست مشيئة مجردة بل لابد أن تكون مقرونة بالحكمة ودليل ذلك قوله تعالى: ((**وما**

تشاءون إلا أن يشاء الله إن الله كان عليما حكيما)) فقال: ((**إن الله كان عليما حكيما**)) إشارة إلى أن مشيئته تتبع علمه وحكمته .

ومن فوائد هذه الآية: وجوب الإيمان بالله ورسله عموما؛ لقوله: ((**فآمنوا بالله ورسله**)) وقد بينا في التفسير كيفية الإيمان بالرسل, وأنه يؤمن بأنهم حق وجاءوا من عند الله وهم صادقون, أما اتباعهم فهو خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم .

ومن فوائد هذه الآية: فضيلة الإيمان والتقوى وأنه يترتب عليهما الأجر العظيم .

ومن فوائد هذه الآية أيضا: بيان منة الله على العباد، حيث جعل كتابتهم على العمل بمنزلة الأجر المتقرر لهم, كأن شخصا استأجر أجراء وأعطاهم أجرهم فرضا؛ ولكن من الذي فرضه عليه ؟ الذي فرضه هو الله عزوجل .

من فوائد هذه الآية أيضا: إثبات الجزاء, وأنه من جنس العمل, فكما أن الإيمان والتقوى يعتبر أمرا عظيما ظاهرا وباطنا فكذلك الأجر كان أجرا عظيما .

ثم قال الله عزوجل: ((**ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم**)) يحسبن: فيها ثلاث قراءات؛ الأولى: ((**ولا يحسِبن**)) والثانية: ((**ولا يحسَبن**)) والثالثة: ((**ولا تحسَبن**)) بالخطاب؛ وكلها قراءات سبعية يسن للإنسان أن يقرأ بهذه أحيانا وبهذه أحيانا, إلا أنه لا ينبغي أن يقرأ بالقراءة الخارجة عن المصحف أمام العامة, لأن ذلك قد يوجب فتنة.

يقول الله عزوجل: ((**لا يحسبن**)) أي لا يظن الذين يبخلون بما آتاهم الله؛ والبخل هو المنع، البخل هو المنع مع شح؛ ولهذا عدي بالباء ولم يقل: يبخلون ما آتاهم. بل قال: يبخلون به, أي يمنعون مع شح, يشحون به.

وقوله: ((**بما آتاهم**)) أي أعطاهم الله من فضله؛ وفيه إشارة إلى أن هذا البخل في غير موضعه لأنهم بخلوا بشيء ليس من كسبهم ولا من كدهم بل هو من الله وبخلوا به أن يصرفوه فيما أمرهم الله به؛ وهذا غاية ما يكون من الحمق أن الذي أعطاك وقال: اصرفه في كذا تبخل؛ فإن هذا من الحمق البالغ إذ أن الأمر يقتضي أن الذي أعطاك إذا أمرك أن تصرفه في كذا أن تصرفه كما أمر لأنه فضله.

وقوله: ((**بما آتاهم الله من فضله**)) أي من خيره؛ لأن الفضل في الأصل هو الزيادة, فالإنسان قد يعمل أحيانا عملا يؤمل أنه يكسب فيه ألفا فيكسب ألفين أو أكثر من فضل الله عزوجل وقد يخسر.

وقوله: ((**هو خيرا لهم**)) خيرا: مفعول ثاني ليحسب, والمفعول الأول محذوف تقديره: بخلهم هو خيرا لهم، ولا يحسبن الذين يبخلون بخلهم خيرا لهم, بل هو شر لهم كما ذكر الله عزوجل .

وقوله: ((**خيرا لهم**)) خير هنا اسم تفضيل فلابد من مفضل ومفضل عليه؛ فما هو المفضل والمفضل عليه ؟ المفضل عليه هو البخل يعني: هو خيرا لهم من العطاء, يعني: لا يظنوا أن البخل خير من العطاء, فهم يظنون أن البخل أفضل من العطاء, وهذا الظن خطأ، هذا ظن خطأ, لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**ما نقصت صدقة من مال**) وكم من إنسان يزداد ماله بالصدقة, ولا تنقص الصدقة مالا مع الاحتساب لقوله تعالى: ((**وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه**)) ومعنى يخلفه: أي يأتي بخلفه.

يقول عزوجل: ((**بل هو شر لكم**)) شر لهم من أي شيء ؟ من العطاء, هو شر من العطاء, والعطاء ليس فيه شر؛ لكن الله خاطب هؤلاء بحسب اعتقادهم حيث يظنون أنهم إذا أنفقوا ضاق عليهم الرزق, فيقول القائل منهم: أنا عندي ألف إذا أنفقت منه مائة نقص وصار تسع مائة, فيظنون أن هذا شر؛ فيقول الله عزوجل إن المنع هو الشر؛ ولهذا قال: ((**بل هو شر لهم**)) شر لهم من أي شيء ؟ من العطاء؛ فالعطاء خير والمنع شر: ((**بل هو شر لهم**)) .

ثم قال: ((**سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة**)) السين يقول علماء النحو إنها للتنفيس وتفيد التحقيق.

الشيخ: وهذا الظن خطأ، هذا ظن خطأ, لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**ما نقصت صدقة من مال**) وكم من إنسان يزداد ماله بالصدقة, ولا تنقص الصدقة مالا مع الاحتساب لقوله تعالى: ((**وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه**)) ومعنى يخلفه: أي يأتي بخلفه.

يقول عزوجل: ((**بل هو شر لكم**)) شر لهم من أي شيء ؟ من العطاء, هو شر من العطاء, والعطاء ليس فيه شر؛ لكن الله خاطب هؤلاء بحسب اعتقادهم حيث يظنون أنهم إذا أنفقوا ضاق عليهم الرزق, فيقول القائل منهم: أنا عندي ألف إذا أنفقت منه مائة نقص وصار تسع مائة, فيظنون أن هذا شر؛ فيقول الله عزوجل إن المنع هو الشر؛ ولهذا قال: ((**بل هو شر لهم**)) شر لهم من أي شيء ؟ من العطاء؛ فالعطاء خير والمنع شر: ((**بل هو شر لهم**)) .

ثم قال: ((**سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة**)) السين يقول علماء النحو إنها للتنفيس وتفيد التحقيق. التنفيس معناه حصول الشيء عن قرب, والتحقيق واضح؛ يعني أن كلمة: ((**سيطوقون**)) أبلغ في التحقيق من كلمة: يطوقون؛ لأن السين تفيد التحقيق؛ وتفيد أيضا التنفيس وهو الشيء عن قرب؛ فتفيد سيطوقون: أن هؤلاء سوف يعاقبون هذه العقوبة حتما وعن قرب؛ من أين أخذنا الحتمية ؟ من السين الدالة على التحقق الوقوع؛ وأخذنا القرب لأن التنفيس الذي تدل عليه السين معناه القرب.

فإذا قال قائل: إن تحققه معلوم, لكن كيف يكون قريبا ؟

قلنا إن يوم القيمة قريب، قال الله تعالى: ((**وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا**)) وقال تعالى: ((**وما يدريك لعل الساعة قريبا**)) فيوم القيمة وإن كان بعيد في نظر الناس لكنه في الحقيقة قريبا؛ وانظر إلى الأيام كيف تنطوي بسرعة حتى تنتهي لتعرف أن يوم القيمة وإن بعد أمده فهو في الحقيقة قريب .

وقوله: ((**سيطوقون بما بخلوا به يوم القيمة**)) أي سيجعل ما بخلوا به طوقا في أعناقهم؛ والطوق معروف مثل طوق القميص يحيط بالعنق؛ وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم كيف يكون هذا التطويق فقال: (**من آتاه الله مالا فلم يؤدي زكاته مثل له يوم القيمة شجاعا أقرع له زبيبتان يأخذ بلهزمتيه فيقول أنا كنزك أنا مالك**) قال العلماء: الشجاع الأقرع هو الذكر من الحيات, والأقرع كثير السم, لأن رأسه من كثيرة سمه قد تمزق شعره فهو أقرع, وله زبيبتان أي غدتان تشبهان الزبيب؛ قد امتلأتا من السم, فيأخذ بلهزمتيه يعني شدقيه كما جاء مفصلا في الحديث, ويقول: أنا كنزك أنا مالك, يقول ذلك توبيخا له, فيزداد بذلك حسرة؛ هذا هو تفسير الآية الكريمة كما فسرها النبي عليه الصلاة والسلام .

وقوله: ((**سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة**)) يعبر الله سبحانه وتعالى عن الجزاء بالعمل نفسه, وهو كثير في القرآن، مثل: ((**سيجزون ما كانوا يعملون**)) وهنا: ((**سيطوقون ما بخلوا به**)) وذلك لأن الجزاء من جنس العمل, فكأنه هو العمل نفسه؛ فلهذا يعبر الله عنه كثيرا.

((**سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة**)) ويوم القيمة هو يوم يبعث الناس؛ وسمي يوم القيمة لوجوه أربعة؛ أو ثلاثة ؟ ثلاثة: يقوم الناس فيه لرب العالمين، ويقوم فيه الأشهاد، ويقوم فيه العدل؛ يقوم الناس لرب العالمين كما قال تعالى: ((**ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين**)) وكذلك يقام فيه القسط لقوله: ((**ونضع الموازين القسط ليوم القيمة**)) والثالث ؟ يقام فيه الأشهاد كما قال الله تعالى: ((**إنا للنصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد**)) فلهذا سمي يوم القيمة .

يقول: ((**ولله ميراث السموات والأرض**)) لله: اللام هذه للاختصاص, والجار والمجرور خبر مقدم, وتقديمه يفيد الحصر, أي: أنه له وحده لله وحده؛ والميراث انتقال المال من سابق إلى لاحق كانتقاله من الميت إلى الحي؛ فمن الذي يرث السموات والأرض ويبقى بعدها ؟ هو الله؛ ولهذا قال: ((**ولله ميراث السموات والأرض**)) لا يتحول ميراثها إلا إليه وحده عزوجل؛ ومناسبة هذه الجملة لما بعدها واضح, وذلك أن الذي يبخل بماله إنما يبخل به ليبقى له, فبين الله أنه لن يبقى لماله, لابد أن يموت ويرثه ورثته, ثم ورثته يموتون ويرثهم ورثهم ثم هكذا إلى أن ينتهي الإرث إلى من ؟ إلى الله عزوجل؛ فالمناسبة إذا بين هذه الآية وما قبلها ظاهرة جدا, يعني: امنع أو لا تمنع سوف تخلف مالك من بعدك ويرثه ورثتك ومن وراءهم ورثتهم إلى أن ينتهي الإرث إلى الله عزوجل, فتفارق أنت جميع مالك ويكون لمن بعده .

وقال: ((**والله بما تعملون خبير**)) فيها قراءتان: ((**تعملون**)) و ((**يعملون**)) وختم الآية بهذا الاسم وهو الخبير واضح المناسبة؛ لأن هؤلاء الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله قد لا يطلع عليهم الخلق, فالإنسان قد يكون عنده ملايين ولا يعلم الناس عنه ويبخل بزكاتها ولا يعلم عنه؛ فبين الله سبحانه وتعالى أن الله خبير بعملهم؛ والغالب أن من منع الحق في ماله سلط على هلكته في الباطل, يعني فتحت له أبواب من الباطل يصرف فيها ماله, فيكون مانعا لما جيب واقعا فيما يحرم؛ ولهذا هددهم الله بقوله: ((**والله خبير بما يعملون**)).

في هذه الآية من الفوائد الكثيرة: تهديد من بخل بما آتاه الله من فضله؛ وسبق لنا أن البخل هو منع الواجب في المال، منع الواجب في المال هذا هو البخل الذي يتهدد يتوعد عليه .

ومن فوائد هذه الآية: أن الشيطان قد يغر الإنسان، قد يغر فيقول: لا تنفق فيهلك مالك؛ لقوله: ((**ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم**)) ولاشك أن هذا هو الواقع, ودليل ذلك أن الله يحذرنا

دائما من هذا الشيطان فيقول: ((**لا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور**)) وأول من يغرنا بالله هو الشيطان .

ومن فوائد الآية الكريمة: إقامة اللوم والتوبيخ على هؤلاء الذين بخلوا؛ من أين يؤخذ ؟ من قوله: ((**بما آتاهم الله من فضله**)) أي كيف يبخلون بشيء ليس من كسبهم ولا من كدهم بل هو من فضل الله فيبخلون به في طاعة الله .

ومن فوائد الآية الكريمة: أن ما أوتيه الإنسان من علم أو مال أو ولد فإنه من الله عزوجل؛ فالولد لا يقول الإنسان: أوتيته بسبب أني تزوجت وأتيت أهلي؛ والعلم لا يقول: أوتيته بأني سعيت فيه؛ والمال كذلك لا يقول: أوتيته بأني سعيت فيه؛ لأن الكل من فضل الله؛ فتوفيقك للسعي في هذا الأمر من فضل الله، ثم حصول النتيجة التي كنت ترجوها من فضل الله؛ فكم من إنسان خذل فلم يسعى؛ وكم من إنسان سعى ولم يحصل عل ثمرة؛ فأصل السعي والثمرة كلها من الله؛ ولهذا قال: ((**بما آتاهم الله من فضله**)) .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: تحذير الباخلين من البخل؛ لقوله: ((**لا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم**)) .

ومن فوائدها: أن الإنسان قد يزين له سوء عمله فيظنه حسنا؛ فالبخل خلق سيء وعمل سيء, قد يزين للإنسان فيبخل مع أنه من الأعمال السيئة والأخلاق السيئة .

ومن فوائد هذه الآية: إثبات الجزاء بل إثبات العقوبة العظيمة على هؤلاء الباخلين؛ ما هي العقوبة ؟ أنهم يطوقون به يوم القيمة حين لا ينفعهم الندم ولا يمكنهم الخلاص .

ومن فوائدها: تحقق وقوع الجزاء؛ لقوله: ((**سيطوقون**)) وذلك بواسطة السين .

ومن فوائد هذه الآية أيضا: إقامة الحجة على أن هذا البخل ليس بنافع أصحابه؛ مأخوذ من قوله: ((**ولله ميراث السموات والأرض**)) فبخلهم لن يخلدهم في الدنيا, ولن يخلد المال لهم, بل هم سوف يجازون عليه, وسوف ينتقل المال منهم إلى ورثتهم ومن ورثتهم إلى الآخرين حتى ينتهي الأمر إلى الله عزوجل .

ومن فوائد هذه الآية: إثبات يوم القيمة؛ لقوله: ((**ما بخلوا به يوم القيمة**)) والإيمان بيوم القيمة أحد أركان الإيمان الستة كما هو معروف, ولا يتم إيمان عبد حتى يؤمن به؛ فإن وقع منه شك فيه فإنه لم يتم إيمانه .

ومن فوائدها: إثبات علم الله عزوجل؛ لقوله: ((**بما يعملون خبير**)) ((**بما يعملون**)) و ((**تعملون**)) قراءتان؛ لأن الخبرة كما قال العلماء: هي العلم ببواطن الأمور؛ ومن المعلوم أن العليم ببواطن الأمور عليم بظواهرها من باب أولى .

ومن فوائد هذه الآية: الإشارة إلى اسم الله الآخر فإن الله هو الأول والآخر؛ من أين تؤخذ ؟ من قوله: ((**ولله ميراث السموات والأرض**)) فإذا ثبت إرثه لهما لزم من ذلك أن يكون هو الآخر عزوجل .

السائل: قلنا في قوله تعالى: ((**ولا يحسبن**)) ثلاث قراءات فهل تتغير المعاني ؟

الشيخ: بس الخطاب والغيبة، ما فيه إلا الخطاب والغيبة, بس هذه للخطاب أو للغيبة, أما مسألة المعنى هو هو .

السائل: في قوله تعالى: ((**ولله ميراث السموات والأرض**)) قد يتوهم أحد أنها لم تكن له قبل موت العالمين فكيف الجواب ؟

الشيخ: هي لله, لكنها قبل ذلك بيد ملاكها يتصرفون فيها, والميراث الأخير هذا معناه أن أهلها لا يتصرفون فيها إطلاقا؛ فمثلا مادام المال بأيديهم فهم يتصرفون فيها حسب ما بين لهم فيه شرعا لكن إذا ماتوا لم يكن هناك تصرف إطلاقا .

السائل: هل يدخل في الآية: ((**ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله**)) البخل بالعلم ؟ الشيخ: أي نعم يدخل في هذا، البخل بالعلم لاشك أنه يدخل في هذا: (**من سئل عن علم يعلمه فكتمه ألجم بلجام من نار**).

الطالب: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ((**لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد الذين قالوا إن الله عهد إلينا أن لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين فإن كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاءوا بالبينات والزبر والكتاب المنير**)) .

الشيخ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم؛ قال الله تبارك وتعالى: ((**ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله**)) هذا مبتدأ المناقشة؛ في قوله: ((**ولا يحسبن**)) قراءتان ما هما ؟

الطالب: ((**ولا تحسَبن**)) ((**ولا يحسِبن**)) ((**ولا يحسَبن**)) .

الشيخ: نعم ((**ولا يحسَبن**)) ((**ولا يحسِبن**)) ((**ولا تحسبن**)) ... بالياء مفتوحة السين ومكسورة, بالياء مكسورة السين ومفتوحة، وبالتاء مفتوحة فقط ... المهم بالياء بفتح السين وكسره؛ بالتاء بالفتح .

الشيخ: على قراء التاء الخطاب لمن ؟

الطالب: للنبي صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين ؛

الشيخ: كيف للنبي وللمؤمنين ؟ لو كان للمؤمنين لقال: ولا تحسبُن ؟. للنبي واضح ((**تحسبن**))؛ لمن يصلح منه الخطاب لأن القرآن خطاب لجميع الناس.

الشيخ: أين مفعول تحسب الأول ؟

الطالب: مقدر؛

الشيخ: ويش التقدير ؟

الطالب: ولا يحسبن بخلهم خيرا لهم .

الشيخ: ما معنى البخل ؟

الطالب: منع ما يجب بذله مع الشح .

الشيخ: إذا ذكر البخل والشح جميعا ما المراد بالبخل ؟

الطالب: منع ما يجب والشح الطمع فيما ليس للإنسان.

الشيخ: من جملة ما يبخلون به, يعني من الأشياء التي يبخلون بها مثل ؟

الطالب: مثل المال الذي أعطاهم الله عز وجل، مثل منع الزكاة.

الشيخ: هل تحفظ في هذا حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم؟

الطالب: قوله صلى الله عليه وسلم: (**ما نقصت صدقة من المال**)؛

الشيخ: لا؛

الطالب: قول النبي صلى الله عليه وسلم: (**من آتاه الله مالا فلم يؤدي زكاته مثل له يوم القيمة شجاعا أقرع له زبيبتان يأخذ بلهزمتين**) يعني شدقيه (**ويقول: أنا كنزك أنا مالك**).

الشيخ: ما الفائدة من قوله: ((**ولله ميراث السموات والأرض**)) ؟

الطالب: ...

الشيخ: معناه البخل الذي هم يبخلونه من أجل أن يجمعون, فبين الله أنه ممتن به عليهم وسيرثه بعدهم لو أبقوه سيرحلون عنه.

الشيخ: ((**بما يعملون خبير**)) فيها قراءتان ؟ قراءة ((بما يعملون)) وقراءة : ((بما تعملون)) عرفت ؟ .

الشيخ: ما معنى خبير ؟

الطالب: بمعنى عليم؛

الشيخ: عليم بأيش ؟ لأن الخبرة أخص من العلم؛

الطالب: خبير ببواطن الأمور؛

الشيخ: الخبير هو العليم ببواطن الأمور .

الشيخ: هنا إشكال في قوله: ((**بما يعملون**)) أنا لم أذكره إلا في زمن مضى بعيدا, وهو أن المعروف أن تقديم المعمول يفيد الحصر, وهنا قدم بما يعملون على خبير مع أنها متعلقة بها, فهل يعني ذلك أنه لا يكون خبيرا إلا بما يعملون بناء على هذه القاعدة ؟ ... لكن ما الفائدة في تقديم ما حقه التأخير ؟ الطالب: فائدته الحصر؛

الشيخ: طيب حصر أيش ؟ التهديد بما يعملون، تهديدا لهم ومبالغة في التهديد, لئلا يقولوا إنه خبير بما يعمل الناس إلا ما نعمل نحن؛ ولهذا في القرآن يأتي: ((**والله خبير بما تعملون**)) في آية أخرى؛ عرفتم يا جماعة ؟ إذا فائدة تقديم المعمول هنا غير الحصر، فائدته تهديد هؤلاء, وأنه عليم بما يعملون بالأخص وبغيره من باب أولى .

الشيخ: بل في قوله: ((**بل هو شر لهم**)) ؟

الطالب: إضراب إبطالي؛

الشيخ: هل هناك إضراب غير إبطالي ؟

الطالب: نعم: ((**بل ادارك علم في الآخرة**))

الشيخ: يعني بعضهم؛ ((**بل هم في شك منها بل هم منها عمون**)) هذه ما هو الثاني يبطل الأول؛ الثاني يؤكد, ويسمى هذا عند النحويين إضرابا انتقاليا؛ وأما الآية التي معنا ففيها إضراب إبطالي .

الشيخ: ثم قال الله تعالى: ((**لقد سمع الله قول الذين قالوا**)) الفوائد أخذناها ؟

((**لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق**))

أولا نتكلم على ما في الآية من القراءات؛ يقول فيها قراءات: ((**سيُكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق ويقول**)) الذي عندنا الآن: ((**سنكتب**)) بالنون و ((**نقول**)) بالنون أيضا؛ وبناء على هذه القراءة تكون ما مفعولا به, وتكون: ((**قتل**)) معطوفة على المفعول به, والمعطوف على المنصوب منصوب؛ على القراءة الثانية: ((**سيكتب ما قالوا**)) تكون ما نائب فاعل مرفوعة مبني على السكون في محل الرفع؛ ويكون: ((**قتل**)) معطوف على مرفوع على نائب فاعل فيكون بالرفع؛ وعليه يكون قتلهم مبنيا على قراءة يكتب, ولا يجوز أن تقرأ: سنكتب ما قالوا وقتلُهم؛ لا؛ ((**قتل**)) ما يمكن يرفع إلا إذا قرأنا: ((**سيكتب**))؛ ((**والأنبياء بغير حق ويقول**)) هذه: ((**يقول**)) توافق أي قراءتين ؟ ((**سيكتب**)) أو ((**سنكتب**)) ؟ ((**سيكتب**)) ((**ونقول ذوقوا عذاب الحريق**)).

أما: ((**الأنبياء**)) ففيها قراءتان: ((**الأنبئاء**)) والثاني: ((**الأنبياء**)) بالياء كما في ((**النبيين**)) **و** ((**النبيئين**)) فعلى قراءة: ((**الأنبئاء**)) تكون من النبأ بالهمز وهو الخبر؛ وعلى قراءة الياء تكون من النبوة أو النبوة وهي الارتفاع .

يقول الله عزوجل: ((**لقد سمع الله قول الذين قالوا**)) أكد الله هذا الخبر بثلاثة مؤكدات؛ الأول: القسم المقدر, لأن اللام هنا واقعة في جواب القسم؛ والثاني: قد؛ والثالث: اللام في قوله: ((**لقد سمع**)) وإنما أكده سبحانه وتعالى للمبالغة في تهديد هؤلاء, وأما نحن المؤمنين فإننا نعلم أنه بمجرد ما يخبرنا عن شيء فهو مؤكد, لكن من أجل تهديد هؤلاء الذين قالوا هذه المقالة الشنيعة؛

((**لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير**)) ((**سمع**)) هنا بمعنى أدرك هذا القول, أي سمعه سماعا, ولا نقول بأذنه لأنه لا يلزم من السماع الأذن, بخلاف قولنا استوى على العرش فنقول بذاته, لأن الله أضاف الفعل إلى نفسه؛ أما هنا ما نقول سمع بأذنه لماذا ؟ لأنه لا يلزم من السماع ثبوت الأذن؛ فها هي الأرض يوم القيمة تحدث أخبارها أي تخبر عما فعل الناس عليها أو عما قالوا عليها, مع أنه ليس لها أذن؛ الجلود والأيدي والأرجل تشهد يوم القيمة على الإنسان بما عمل, وهي ليس لها آذان؛ إذا لا يجوز أن نقول إن الله له أذن بناء على أن الله أثبت له السمع؛ لماذا ؟ لأنه لا يلزم من السمع ثبوت الأذن.

إذا قال قائل: ألستم أثبتم لله عينا ؟

الطالب: نعم,

الشيخ: ما نقول: نعم؛ نقول: بلى؛ ألستم أثبتم لله عينا ؟ نقول بلى؛ إذا قلنا نعم معناه ما أثبتنا انتبه يا حجاج؛ بلى أثبتنا؛ طيب كيف أثبتنا ؟ من طريق أنه يرى أو من طريق أنه أثبت لنفسه عينين ؟ الثاني، لولا أن الله أثبت لنفسه عينين ما جاز لنا أن نثبت العين؛ ولهذا نحن نؤمن بأن الله يتكلم, لكن هل نقول بلسان ؟ أبدا لا نقوله, مع أن الله قال: ((**نزل به الروح الأمين على قلبك بلسان عربي مبين**)) لكننا لا نقول لله لسان, ولا نقل لله شفتين, لأن الله لم يثبت ذلك لنفسه، ولا يلزم من الكلام اللسان، لا يلزم من الكلام ثبوت اللسان, بدليل أن الأرض تحدث أخبارها, والجلود تشهد, ويقول صاحب الجلد لجلده لم شهدت علينا ؟ فيقول: ((**أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء**)) ولا يقول: لي لسان وشفتان؛ إذا لا يجوز أن نثبت لله لسانا ولا شفتين بمجرد ثبوت الكلام, كما أنه لا يجوز أن نثبت له أسنانا؛ لأن الأسنان إنما تكون لمن يحتاج إليها لمضغ الطعام ولا نثبت له أمعاء وما أشبه ذلك؛ لأن هذه تستلزم النقص, إذ أنها آلات للأكل, والأكل مستحيل على الله عزوجل.

طيب, نحن نقول يسمع وهل يلزم من سماعه ثبوت الأذن ؟ لا؛ ((**لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير**)) وهم أناس من اليهود, منهم رجل يسمى ... ولكن الله عزوجل في كتابه لا يذكر شيئا خاصا إلا لسبب لابد من تعيين الشخص, ولهذا لم يذكر الله عزوجل أحدا باسمه في القرآن إلا رجلا مؤمنا ورجلا كافرا فقط؛ من الرجل المؤمن ؟

الطالب: زيد،

الشيخ: زيد بن الحارثة: ((**فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها**)) والرجل كافر ؟

الطالب: فرعون؛

الشيخ: لا، من هذه الأمة ؟ أبو لهب، غيرهم ما ذكر؛ لأن الوصف انتبهوا يا إخوان هذا تعليم من الله لنا، لأن الوصف أفيد لعمومه؛ هذه من جهة؛ ومن جهة أخرى أنها قد تتغير حال المعين، قد تتغير حال المعين يكون بالأول فاسقا ماردا كافرا ثم يسلم ويتوب الله عليه؛ فإذا تاب ولم يكن له اسم أحسن؛ لكن لو ذكر اسمه بقي عارا عليه ولو تاب؛ واضح يا جماعة ؟ الثاني: أنه أعم, لأن تعليق الحكم بالوصف أعم من تعليقه بالشخص؛ ولهذا إذا علق الحكم بالشخص احتمل الخصوصية، وإذا قلنا بعمومه، بعموم الحكم المعلق بالشخص فإن ليس عموما شموليا ولكنه عموم تمثيلي، تمثيل يعني بالقياس؛ كلام واضح ؟ واضح, طيب لهذا إذا ينبغي لنا في مثل هذه الأمور أن لا نعين الشخص بعينه, حتى لو أردنا أن نتكلم على صحيفة خبيثة, فالأولى أن لا نعينها نقول مثلا قالت بعض الصحف؛ وإذا ذكرنا الكلام عرف, أولا: لأن الصحيفة قد تتغير؛ وثانيا: إذا حصرنا فقد يفهم السامع أنه لا يوجد سوى هذه؛ لكن إذا عممنا وجعلنا الحكم معلقا بالوصف شمل غيرها؛ أما إذا عيناها فقد يفهم السامع ولاسيما العامة الذي ما يعرف يقيس أن البلاء خاص بهذه الصحيفة مثلا, لا يعرف أن يقيس؛ فإذا جعلنا المسألة معلقة بالوصف صار هذا أنفع؛ وهذه مسألة القرآن يدل عليه وكذلك السنة، السنة أيضا تدل عليها، كان الرسول عليه الصلاة والسلام لا يقول: ما بال فلان يقول كذا، يقول: ما بال أقوام, من أجل الفائدتين اللتين أشرنا إليهما.

((**الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء**)) هؤلاء اليهود؛ وسبب قولهم هذا أن الله قال: ((**من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له**)) فرحت اليهود بهذا وجاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقالت: يا محمد إن ربك قد افتقر، إن ربك قد افتقر, لأنه يطلب القرض منا . نسأل الله العافية . ولم يعلم هؤلاء البلهاء إن كانوا صادقين في ما ادعوا, وهم كاذبون في ما ادعوا حتى قولهم: إن الله قد افتقر هم كاذبون ما يعتقدون هذا, لكن تنزلا معهم نقول: إن الله عزوجل جعل الإنفاق في سبيله له بمنزلة القرض إشعارا للمنفق بأنه سوف يجازى

عليه, كما أن المقترض يجب عليه أن يوفي قرضه؛ فهكذا جعل الله سبحانه وتعالى العمل له بمنزلة القرض تفضلا منه عزوجل وإحسان لعباده؛ واليهود لا يستغرب أن يصفوا الله بمثل هذا, فهم قالوا: يد الله مغلولة, فوصفوه بالبخل، يد الله مغلولة ما ينفق؛ وهم قالوا: إن الله خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم تعب واستراح يوم السبت؛ ولهذا يجعلون يوم السبت هو يوم الراحة عندهم, قاتلهم الله وهم كاذبون في هذا، قال الله تعالى: ((**ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب**)).

((**الذين قالوا إن الله فقير**)) وليتهم اقتصروا على هذا، أقول ليتهم بناء على ما بعده وإلا وصفهم الله بهذا الوصف منكر من أعظم المنكر، قالوا: ((ونحن أغنياء)) فجعلوهم أكمل من الله، جعلوا أنفسهم أكمل من الله؛ وهذا غاية من الوقاحة .

قال الله تعالى: ((**سنكتب ما قالوا**)) وإضافة الكتابة إليه لأن جنوده يكتبون ذلك, ودليل هذا قوله تعالى: ((**كلا بل تكذبون بالدين وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون**)) وقوله تعالى وهي أصرح : ((**أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى**)) نسمع ((**ورسلنا لديه يكتبون**)) إذا الكتابة هنا كتابة الله عزوجل بيده ؟ لا, ولكن بملائكته, الملائكة تكتب, وأضاف كتابة الملائكة إلى نفسه جل وعلا لأنهم يكتبون بأمره وهم جنده, كما يقول القائد: فعلت كذا والفاعل غيره، الفاعل هم الجنود؛ الملك والسلطان يتكلم بالشيء مضيفا إياه إلى نفسه لأنه حصل بأمره وسلطته؛ إذا: ((**سنكتب ما قالوا**)) بأيش ؟ بملائكتنا، والله عزوجل أحيانا يضيف الشيء لنفسه مريدا به الملائكة, مثل قوله تعالى: ((**فلو لا إذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون**)) أقرب إليه بأيش ؟ بملائكتنا؛ ولهذا قال: ((**ولكن لا تبصرون**)) مما يدل على أن القريب في نفس المكان, لكننا لا نبصرهم وهؤلاء هم الملائكة؛ ومن ذلك أيضا قوله تعالى: ((**ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد**)) الراجح فيها أن المراد أقرب إليه بملائكتنا بدليل قوله: ((**إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد**)) وهذا هو ما حققه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتابه, ذكره في مواضع من كلامه منها كلامه في شرح حديث النزول وهو مشهور متداول.

يقول: ((**سنكتب ما قالوا**)) لمجرد الإطلاع عليه أو للمجازاة ؟ للمجازاة بدليل ما يأتي في آخر الآية.

قال: ((**وقتلهم الأنبياء بغير حق**)) ذكر قتل الأنبياء بغير حق مع أنهم لم يقولوا: إنا قتلنا الأنبياء, لكن ليبين أن هؤلاء اعتدوا على حق الله وعلى حق رسله وأنبيائه, فقتلوا الأنبياء بغير حق, وهو شامل لقتل الأنبياء والرسل؛ لأن كل رسول نبي؛ وقوله: ((**قتلهم الأنبياء بغير حق**)) القيد هنا قيد احترازي أو قيد كاشف ؟ قيد كاشف,

يعني أن قتلهم للأنبياء بغير حق؛ وليس المعنى أن الأنبياء ينقسم قتلهم إلى حق وغير حق؛ كل قتل الأنبياء بغير حق, ومع ذلك لا يقتلون الأنبياء لشخصه, يقتلونه لما جاء به من الحق؛ أي واحد يأتي بهذه النبوة يقتل.

وقوله: ((**الأنبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق**)) متى ؟ يوم القيمة ؟ أو في القبر أيضا؛ والقول هنا: ((**ونقول ذوقوا عذاب الحريق**)) يقصد به الإهانة والإذلال, وإلا فإنهم سيذوقون عذاب الحريق قيل لهم ذلك أم لم يقال؛ لكن من باب الإهانة؛ وانظر إلى الإهانة العظيمة والتهكم في قوله تعالى: ((**ذق إنك أنت العزيز الكريم**)) يقال له وهو يعذب في النار: ((**ذق إنك أنت العزيز الكريم**)) إهانة له أي أن عزك وكرمك لم ينفعك: ((**ونقول ذوقوا عذاب الحريق**)) .

الشيخ: في هذه الآية من الفوائد أولا: إثبات سمع الله عزوجل؛ لقوله: ((**لقد سمع الله**)) والسمع هنا بمعنى إدراك الصوت وإن خف؛ والمراد به هنا التهديد .

وليعلم أن العلماء رحمه الله قسموا سمع الله إلى قسمين، قسموا سمع الله إلى قسمين؛ فالأول: بمعنى الاستجابة؛ والثاني: بمعنى إدراك الأصوات؛ أما السمع بمعنى الاستجابة فهو كثير في القرآن, ومنه قوله تعالى: ((**ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون**)) ((**سمعنا**)) يعني بآذانهم: ((**وهم لا يسمعون**)) أي لا يستجيبون؛ وقال تعالى: ((**فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا**)) اسمعوا يعني سمع استجابة؛ ومنه قوله تعالى عن ابراهيم: ((**إن ربي لسميع الدعاء**)) أي لمستجيب الدعاء؛ ومعلوم أن هذا النوع أو هذا القسم من السمع معلوم أنه من الصفات الفعلية؛ لأنه يتعلق بمشيئته .

والقسم الثاني من السمع: سمع الإدراك؛ قالوا: وينقسم إلى ثلاثة أقسام؛ يقول هذا النوع الذي هو القسم الثاني ينقسم إلى ثلاثة أقسام؛ قسم يراد به التهديد؛ وقسم يراد به التأييد؛ وقسم يراد به بيان الإحاطة والشمول لسمع الله؛ فأما الذي يراد به التأييد فكقوله تعالى لموسى: ((**قال لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى**)) المراد بالسمع هنا التأييد.

وقد يقول قائل: والتهديد أيضا بالنسبة إلى فرعون ؟ وأما الذي يراد به التهديد فمثل هذه الآية: ((**لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء**)) وأما الذي يراد به بيان شمول علم الله عزوجل وسعته فمثل قوله تعالى: ((**قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها**)) قالت عائشة: الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات, لقد كنت في طرف الحجرة وإنه ليخفى علي بعض حديثها . سبحان الله . والله عزوجل فوق عرشه فوق سبع سموات يسمع كلام هذه المرأة: ((**قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما**)) تحاور الرسول والمرأة يسمعه: ((**إن الله سميع عليم**)) .

السائل: في قوله تعالى: ((**ستكتب شهادتهم ويسألون**)) من الذي يسأل ؟

الشيخ: يحتمل أنه الملائكة أو أن الله يسأله؛ لأن السؤال ورد في آية أخرى أن الله نفسه يسأل .

السائل: ما المراد بالحديث: (**ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت أن يتغنى بالقرآن**) ؟

الشيخ: المعنى ما أذن: ما سمع، أذن بمعنى سمع هكذا قال العلماء؛ لا ما فيه تأويل أبدا ما فيه؛ ولهذا عداه باللام أذن له .

السائل: في قوله تعالى: ((**ويقتلون الأنبياء**)) قلنا يشمل الأنبياء والرسل لكن قلنا إن كل رسول نبي ولا عكس فيكف هذا ؟

الشيخ: أنا أعطيتكم قاعدة يا إخواني من قبل، أعطيتكم قاعدة: أن الأنبياء المذكورون في القرآن رسل، ما تجد نبي ذكر في القرآن إلا وهو رسول, وذكرت لكم دليلا من القرآن: ((**ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك**)) فإن استقام هذا فالأمر واضح وإن لم يستقم فنقول المقصود بالأنبياء الذين لم يوحى إليهم بشرع جديد يبلغونه الناس .

السائل: بالنسبة لسماع الأرض وتحديثها بالأخبار من غير أذن فهل الله كذلك ؟

الشيخ: صحيح؛ ما هو قصدنا القياس, قصدنا إن الشيء قد يسمع وإن لم يكن له أذن؛ وقد يرى وإن لم يكن له عين أيضا؛ لأن الأرض ستحدث ما فعل عليها أيضا .

السائل: في قوله تعالى: ((**ويقتلون الأنبياء**)) هل يدخل فيه الرسل ... ؟

الشيخ: الذي يقتل الرسول يقتل النبي, لأن النبي أدنى مرتبة من الرسول؛ لكن الذي يقتل الأنبياء لو قيل: يقتلون الأنبياء في غير القرآن؛ لقلنا إنه لا يشمل قتلهم الرسل لأن الرسول أخص .

السائل: هل إدريس عليه السلام نبي قبل نوح ؟

الشيخ: لا يا أخي, ما فيه أحد من الأنبياء قبل نوح أبدا؛ وإدريس من بني إسرائيل، الظاهر من سياق الآيات أنه من بني إسرائيل؛ ولهذا يوجد أنا أشوف شجرة للأنبياء مكتوب إدريس قبل نوح وهذا غلط، غلط لاشك فيه: ((**إنا أوحينا كما أوحينا إلى نوح و النبيين من بعده**)) وفي حديث الشفاعة يأتون إلى نوح ويقولون: (**أنت أول رسول أرسله الله إلى أهل الأرض**).

الطالب: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ((**ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد الذين قالوا إن الله عهد إلينا أن لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين فإن كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاءوا بالبينات والزبر والكتاب المنير**)) .

الشيخ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم؛ قال الله تبارك وتعالى: ((**لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق**)) وأظن أننا أخذنا الفوائد ؟

الطالب: فوائدة واحدة؛

الشيخ: بس وهي السمع وذكرنا أقسامه .

من فوائد هذه الآية: بيان ما عليه اليهود من الوقاحة والعدوان حيث اعتدوا على الرب عزوجل بوصفهم إياه بأنه فقير .

ومن فوائدها: أنهم لشدة عتوهم وبغيهم لم يقتصروا على أنهم وصفوا الله بأنه فقير, بل قالوا: نحن أغنياء, فأثبتوا الكمال لأنفسهم والنقص لله عزوجل .

ومن فوائد هذه الآية: إثبات الكتابة لله؛ لقوله: ((**سنكتب ما قالوا**)) ولكننا ذكرنا أن المراد بأمره والذي تكتب الملائكة؛ وذكرنا لهذا دليلا وهو قوله تعالى: ((**أم يحسبونا أنا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون**)) .

ومن فوائد هذه الآية: أن اليهود كما اعتدوا على الله اعتدوا على رسل الله؛ فقتلوا الأنبياء بغير حق؛ فصار منهم عدوان على مقام التوحيد ومقام الرسالة؛ فلم يحققوا شهادة أن لا إله إلا الله ولا أن رسل الله رسول لله .

ومن فوائد هذه الآية: إثبات القول لله عزوجل؛ في قوله: ((**ونقول ذوقوا عذاب الحريق**)) والله سبحانه وتعالى قد ثبت له القول بإجماع السلف, أنه يقول ويتكلم بكلام حقيقي بحرف وصوت مسموع؛ وهذا الكلام صفة، صفة من صفاته ليس بمخلوق؛ وقالت المعتزلة والجهمية إنه خلق من مخلوقاته، هو كلامه لكنه خلق من مخلوقاته؛ وقالت الأشاعرة ومن ضاهاهم إنه لا يتكلم بكلام يسمع, وكلامه هو الكلام القائم بنفسه, والذي يسمع عبارة عنه أو حكاية وهو مخلوق، المسموع مخلوق؛ وقد ذكر ابن القيم أن شيخ الإسلام رحمه الله أبطل هذا القول من تسعين وجها في رسالة تسمى " التسعينية " وأظنها موجودة في الفتاوى.

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن هؤلاء سوف يذوقون العذاب بالألم البدني والألم النفسي؛ لقوله: ((**وذوقوا عذاب الحريق**)) ففي الحريق ألم بدني وفي قوله: ((**ذوقوا**)) ألم نفسي, لأن هذا توبيخ وإهانة؛ فالأمر هنا للتوبيخ والإهانة .

ومن فوائدها: الرد على من قال إن أهل النار لا يذوقون العذاب لأن أجسامهم تأخذ على النار وتتكيف بها فيصبحون لا يذوقون ألما؛ ونرد عليهم بقوله: ((**ذوقوا عذاب الحريق**)) .

من فوائدها: بيان قدرة الله عزوجل، حيث يحترق هؤلاء وتنضج جلودهم, وكلما نضجت جلودهم بدلوا جلودا غيرها, ومع ذلك لا يموتون, مع أن مثل هذا الحريق لو أصاب أحدا من الدنيا لهلك ولكنهم لا يموتون كما قال الله تعالى: ((**لا يموت فيها ولا يحيى**)) فلا يموت ويستريح, ولا يحيى حياة هنيئة .

ثم قال الله تعالى وهو ابتداء درس الليلة: ((**ذلك بما قدمت أيديكم**)) هذا من تمام قوله: ((**وذوقوا عذاب الحريق**)) أي يقال لهم زيادة في التوبيخ والندم والحسرة ((**ذلك**)) أي ما أصابهم من العذاب والتوبيخ؛ فالمشار

إليه ما سبق من قوله: ((**وذوقوا عذاب الحريق**)) وهنا قال: ((**ذلك**)) مع أنه يتحدث عن جماعة وأتى بالكاف المفردة، كاف المخاطب المفردة, لأنه مر علينا قريبا أن اسم الإشارة بحسب المشار إليه, وأن الكاف بحسب المخاطب على اللغة الفصحى؛ أو هي بفتح الكاف مفردة للمذكر وبكسرها مفردة للمؤنث؛ أو هي بفتح الكاف مطلقا؛ وكلها لغات, لكن الأكثر أنها بحسب المخاطب؛ وأظن أنكم لم تدركوا تماما هذه المسألة، مسألة الفرق بين المشار إليه وبين المخاطب, ما أدري يا عبد الله بن عامر أدركتها تماما ؟ اسم الإشارة بحسب ؟

الطالب: بحسب المخاطب.

الشيخ: يراعى فيها المخاطب, فإذا خاطبت اثنين مشيرا إلى نساء, ماذا أقول ؟

الطالب: ذانكما؛

الشيخ: لا، خطأ؛ تلكما أي خاطبت اثنين مشيرا إلى النساء ؟ تلكما صح, على كل حال ما حاجة أن نكرر لأنها معروفة تحتاج إلى كتابة, واحد يكتب اسم الإشارة والكاف, وهو بنفسه يحولها من هذا إلى هذا .

قال: ((**ذلك بما قدمت أيديكم**)) أي بسبب؛ فالباء هنا سببية؛ وما: اسم موصول بمعنى الذي أي بالذي؛ وقوله: ((**قدمت أيديكم**)) أي في الدنيا؛ والمراد بالأيدي هنا أنفسهم, لكن أضيف العمل أو المقدم إلى الأيدي لأن الغالب أن الأيدي هي محل البطش والعمل, وإلا فمن المعلوم أنهم قد قدمت أيديهم وألسنتهم وأرجلهم كل قواهم كلها عملت بشيء .

قال: ((**وأن الله ليس بظلام للعبيد**)) وأن هنا بالفتح عطفا على ؟ على ما في قوله: ((**بما قدمت**)) أي وذلك بأن الله ليس بظلام للعبيد؛ وقوله تعالى: ((**وأن الله ليس بظلام**)) ظلام على صيغة المبالغة ولكنها في نفس الوقت على صيغة النسبة؛ والفرق بينهما أن صيغة المبالغة تدل على الكثرة, والنسبة تشمل الكثرة والقلة؛ فهل المراد هنا صيغة المبالغة أو النسبة ؟ المراد النسبة؛ لماذا ؟ لأننا لو قلنا المراد بذلك صيغة المبالغة لكان المنفي كثرة الظلم مع أن الله لا يظلم مثقال ذرة؛ وعلى هذا فنقول ظلام هنا نسبة, يعني ليس بذي ظلم، ليس بذي ظلم, كما تقول: فلان ليس نجارا, يعني ليس بذي نجارة أي ليس منسوبا إلى النجارين؛

وقوله: ((**للعبيد**)) جمع عبد, وعبد اسم مفرد وهو من أكثر المفردات جموعا, له جموع متعددة كثيرة, مثل شيخ اسم مفرد له جموع كثيرة تبلغ إلى عشرة جموع؛ والعبيد هنا المراد بهم العبيد كونا؛ فهو لا يظلم أحدا من العبيد كونا, وإنما قلنا كونا لندفع أن المراد بذلك العبيد شرعا, وهما متعبدون لله؛ وذلك لأن الله لا يظلم لا الكافر ولا المؤمن، كل يجازى بحسب عمله؛ فالعبودية في هذه الآية هي العبودية العامة الشاملة للكافر والمؤمن؛ فالله لا يظلم كافرا ولا يظلم مؤمنا؛ يجازي كل إنسان بعمله.

في هذه الآية من الفوائد؛ أولا: إثبات الأسباب؛ من أين تؤخذ ؟ من قوله: ((**بما قدمت أيديهم**)).

ومن فوائدها أيضا: نفي الظلم عن الله؛ لقوله: ((**وأن الله ليس بظلام للعبيد**)).

وهنا نقف لنبين أن الله سبحانه وتعالى موصوف بالإثبات وموصوف بالنفي؛ أما الإثبات فإن الله سبحانه وتعالى وصف نفسه بإثبات كل صفة كمال، كل صفة كمال فهي ثابتة لله؛ وما ميزان الكمال هل هو عقولنا القاصرة ؟ أو ميزان الكمال نصوص الكتاب والسنة ؟ الثاني، الثاني هو الميزان؛ ولهذا نحن لا نحكم على الله فنقول هذه صفة لائقة به وهذه الصفة غير لائقة؛ بل المرجع في هذا إلى الكتاب والسنة في التفصيل؛ أما في الإجمال فالعقل يدل على أن الرب لابد أن يكون كاملا؛ أما الصفات المنفية فإنه لا يراد بها مجرد النفي, بل المراد انتفاء هذه الصفة لثبوت كمال الضد؛ فإذا نفى أن يكون ظلاما للعبيد فذلك لكمال عدله، وإذا نفى أن تأخذه سنة ونوم فذاك لكمال حياته وقيوميته؛ وإذا نفى أن يصيبه لغوب فذلك لكمال قوته وهكذا؛ ويجب أن نعلم أنه لا يمكن أن يوجد في صفات الله نفي مجرد؛ انتبهوا يا جماعة للقاعدة ! لا يوجد في صفات الله نفي مجرد؛ الدليل ؟ قول الله تعالى: ((**ولله المثل الأعلى**)) والنفي المجرد ليس مثلا أعلى، المثل الأعلى يعني الوصف الأعلى الأكمل؛ والنفي المجرد عدم؛ والعدم ليس بشيء فضلا على أن يكون وصفا أعلى؛

ثانيا: أن نفي المحض قد يكون لعجز الموصوف عنه, وقد يكون لعدم قابليته لهذا المنفي، قد يكون لعجزه وقد يكون لعدم قابليته, يعني معناه نفينا عنه هذا الشيء لأنه عاجز ما يستطيع, لا يستطيع أن يفعل هذا الشيء الذين نفينا عنه؛ وقد يكون لعدم قابليته لهذا الشيء؛ فمثلا إذا قال قائل: فلان رجل حبيب، حبيب ما يظلم الناس ولا يعتدي عليهم؛ ويش نعرف من هذا الكلام لا يظلم الناس ولا يعتدي عليهم ؟ عجزه؛ ولهذا قلنا حبيب، حبيب عند الناس كلمة تصغير وتحقير؛ وهذا كقول الشاعر:

قبيلة لا يغدرون بذمة ولا يظلمون الناس حبة خردل؛

آدم إذا سمع مثل هذا الكلام ويش يقول ؟ مدح أو ذم ؟ ترى يقول لا يغدرون بذمة، ما يمكن يغدرون بالعهد أبدا, ولا يمكن يظلمون الناس أبدا ؟ ذم ؟ سبحان الله لو أقول لك: أنت لا تغدر بالعهود ولا تظلم أحدا, ويش يكون هذا ؟ مدح ؟ يعني لما كان لك صار مدحا, ولما كان للقبيلة صار ذما سبحان الله؛ من أين أخذت أنها للذم ؟

الطالب: أولا: التصغير, ثانيا: أنهم لعجزهم لا يظلمون؛

الشيخ: إنما فهمنا أنه ذم من التصغير, والتصغير في الأصل يدل على التحقير .

على كل حال لا يمكن يوجد في صفات الله نفي محض؛ وقد يكون النفي إذا لم يتضمن كمالا قد يكون لعدم القابلية, يعني أن ما نفي عنه هذا الوصف ليس لكماله لكنه لا يقدر؛ ومثل العلماء لذلك بأن تقول: إن جداري لا يظلم، الجدار لا يظلم هذا مدح ؟ لأيش ؟ أصلا ليس بقادر لو أراد أن يظلم ما يمكن؛ كذا ؟ طيب إذا خذوا هذه القاعدة: لا يوجد في صفات الله تعالى نفي محض بل كل ما نفى الله عن نفسه فهو متضمن لكمال؛ هذه القاعدة .

من فوائد هذه الآية: أن الله تعالى يخبر عما يخبر من صفاته لتطمين الخلق؛ لقوله: ((**وأن الله ليس بظلام للعبيد**)) حتى يطمئن الإنسان أنه لن يجازى إلا بعمله إن خيرا فخير وإن شرا فشر .

ومن فوائدها: جواز إطلاق البعض على الكل إذا وجدت قرينة تدل عليه؛ من أين نأخذها ؟ جواز إطلاق البعض على الكل إذا وجدت قرينة تدل عليه ؟ الآية التي معنا ؟ من قوله: ((**بما قدمت أيديكم**)) المراد بما قدمتم؛ واليد بعض من الإنسان, لكنه القرينة تدل على أن المراد الكل, يعني بما قدمتم؛ ونظيرها في صفات الله: ((**أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما**)) الإبل مثلا قال الله: ((**مما عملت أيدينا**)) هل نقول إن الله خلق الإبل بيده كما خلق آدم ؟ لا؛ نقول: ((**مما عملت أيدينا**)) مما عملنا؛ لأن الله لم يخلق الإبل مثلا بيده؛ فيكون المراد مما عملنا؛ لكن ليس معنى هذا أن الآية ليس فيها دلالة على ثبوت اليد لله, بل فيها دلالة على ثبوت اليد لله عزوجل .

السائل: في قوله تعالى: ((**ونقول ذوقوا عذاب الحريق**)) هل القائل هم الملائكة ؟

الشيخ: الدليل ؟

السائل: قوله تعالى: ((**وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء ربكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها**)) هذا تكلم الملائكة ؟

الشيخ: حتى من الله عزوجل، في سورة المؤمنون: ((**قال اخسئوا فيها ولا تكلمون**)) ...

الشيخ: هذه عندنا دليل: ((**سنكتب**)) عندنا دليل وهو قوله تعالى: ((**أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون**)) ((**كلا بل تكذبون بالدين وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين**)) على كل حال ابحث, أنا معك بأن فيه احتمال أن يكون المراد الملائكة، ((**ونقول ذوقوا عذاب الحريق**)) يعني ملائكة؛ إذا وجد دليل على العين والرأس .

السائل: قلنا اليهود اعتدوا على الرسل ثم اعتدوا على الله عزوجل ؟

الشيخ: لا، في حق الله، المراد على الله يعني في حقه .

السائل: هل هذا فيه دليل لمن يقول بالمجاز: ((**ذلك بما قدمت أيديكم**)) لغة ؟

الشيخ: يا أخ زكي المجاز . بارك الله فيك . قاله من قاله لأنهم يرون أن الكلمات لها معنى ذاتي؛ وأما من قال: إن الكلمات ليس لها معنى ذاتي وإنما معناها حسب السياق فليس عندهم مجاز؛ فيقولون مثلا ((**اخفض لهما جناح الذل**)) ليس فيه مجاز, لأن من المعلوم أن الذل ليس له جناح حقيقي لكن المراد لا تترفع؛ الطائر عادته أن يرتفع, لكن أنت ذل لهم حتى تنخفض؛ يكون الذي يعين هذا السياق ... نعم نقول: الغة العربية تعبر عن البعض بالكل وعن الكل بالبعض: ((**يجعلون أصابعهم**)) ما هو بكل الأصبع يدخل في الأذن .

اقترح علينا بعض الإخوان قال: لماذا لا نجعل القرآن كالفقه, يعني بمعنى إذا قرأنا خمس آيات أو شبهها أو خمسة أسطر نغيب؛ وأظن أن هذه قاعدتنا, إذا قرأنا ثمن سمعنا, أليس كذلك ...

الطالب: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ((**الذين قالوا إن الله عهد إلينا أن لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين فإن كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاءوا بالبينات والزبر والكتاب المنير كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيمة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور**)) .

الشيخ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم؛ قال الله تبارك وتعالى: ((**لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء** ...)). من هؤلاء القائلون ؟

الطالب: اليهود؛

الشيخ: وهل تحفظ لهم شيئا آخر مما وصفوا الله به من العيوب ؟

الطالب: نعم قالوا يد الله مغلولة؛

الشيخ: أي ؟

الطالب: بخيل .

الشيخ: أي بخيل وغير ؟

الطالب: قالوا إن الله لما خلق السموات والأرض استراح .

الشيخ: تعب فاستراح؛ طيب .

الشيخ: قوله: ((**سنكتب ما قالوا**)) ما المراد بالكتابة يا أخ هل يكتبها الله بيده ؟

الطالب: المراد بالكتابة هم الملائكة يكتبون؛

الشيخ: ما الدليل على أن المراد كتابة الملائكة ؟

الطالب: قوله تعالى: ((**أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون**)) .

الشيخ: أحسنت.

الشيخ: قال: ((**وقتلهم الأنبياء بغير حق**)) هل في قتل الأنبياء حق حتى يخرج بالقيد ؟ أقول قال: ((**وقتلهم الأنبياء بغير حق**)) فهل يكون قتل الأنبياء بحق حتى يخرج بقيد ؟ يعني كونه يقيد بغير حق هل معناه أن قتل الأنبياء يكون تارة بحق وتارة بغير حق ؟

الطالب: لا؛

الشيخ: إذا لماذا قال: بغير حق ؟ يعني لبيان الواقع ؟ نعم, صفة كاشفة، كاشفة يعني تبين الواقع؛ وأيضا فيها فائدة أخرى غير هذه ؟

الطالب: التوكيد؛

الشيخ: لا؛ يعني معناه المبالغة في الشناع عليهم أو في التشنيع عليهم لأنهم قتلوهم بغير حق .

الشيخ: قوله: ((**ذوقوا عذاب الحريق**)) الأمر هنا يراد به ؟

الطالب: التوبيخ.

الشيخ: والإهانة .

الشيخ: هل لك دليل على أن مثل هذا الأمر يراد به الإهانة ؟

الطالب: أي نعم قوله تعالى: ((**ذق إنك أنت العزيز الكريم**)).

الشيخ: قال بعض العلماء المعاصرين إن النار لا تحرق أهلها, ولهذا لا يموتون فيها ولا يحيون, فهل في الآية ما يرد عليهم ؟

الطالب: نعم، قوله: ((**ذوقوا عذاب الحريق**)) يستلزم منها أنهم مستمرين في أنهم يذوقوا العذاب ولا يموتون؛

الشيخ: ويحترقون ؟

الطالب: يحترقون وتمضي جلودهم ثم يبدلهم الله جلودا غيرها؛

الشيخ: ولا يموتون ؟ بخلافهم في الدنيا فإن الإنسان إذا احترق في الدنيا يموت .

الشيخ: ما معنى قوله: ((**بما قدمت أيديكم**)) ؟ لكن الباء هنا ؟

الطالب: الباء للسببية .

الشيخ: هل يستفاد من الآية بأن أفعال الله مقرونة بالحكمة ؟

الطالب: الباء للسببية

الشيخ: وكل شيء بالسببية فهو يفيد العلية والعلة هي الحكمة .

الشيخ: قوله: ((**ليس بظلام للعبيد**)) ظلام هنا صيغة مبالغة أو نسبة ؟

الطالب: مبالغة؛

الشيخ: مبالغة, يعني أن الله يظلم قليلا لكن كثيرا لا ؟

الطالب: الصيغة مبالغة؛

الشيخ: نعم الصيغة ظلام صيغة مبالغة صحيح, لكن هذه الصيغة تأتي للنسبة يقال: نجار وحداد وبناء؛ فهل هي هنا للنسبة أو للمبالغة ؟

الطالب: للنسبة؛

الشيخ: للنسبة تمام, لأننا لو قلنا للمبالغة لكان المنفي كثرة الظلم .

الشيخ: العبيد هنا هل هو بالمعنى الخاصة أو بالمعنى العام ؟

الطالب: بالمعنى العام؛

الشيخ: بالمعنى العام حتى الكافر لا يظلمه الله ؟

الطالب: نعم؛

الشيخ: صحيح ؟ طيب .

الشيخ: ثم قال الله عزوجل: ((**الذين قالوا**)) هذه صفة لقوله: ((**لقد سمع الله قول الذين قالوا**)) الطالب: بقيت فوائد شيخ ؟

الشيخ: فوائد أيش من أين ؟

الطالب: من قوله: ((**بما قدمت أيديهم**)).

الشيخ: إذا نكمل الفوائد .

من فوائد الآية الكريمة: ((**ذلك بما قدمت أيديكم**)) انتفاء الظلم عن الله؛ لقوله: ((**وأن الله ليس بظلام للعبيد**)) .

ومن فوائدها: إمكان الظلم من الله لولا أن الله نفاه عن نفسه؛ لقوله: ((**وأن الله ليس بظلام**)) لأنه لو كان الظلم غير ممكن في حقه لم يصح أن يتمدح به عزوجل؛ إذ لا يتمدح بشيء إلا إذا كان تركه اختيارا؛ أما لو كان مستحيلا في حقه لم يكن للتمدح به فائدة .

وبناء على هذه الفائدة: يكون فيها رد على من ؟ على الجهمية، الجهمية يقولون: إن الظلم محال على الله، محال لذاته لا لأن الله نفاه عن نفسه؛ لأنهم يقولون: إنه مهما تصرف فقد تصرف في ملكه, والمتصرف في ملكه يفعل ما يشاء؛ فالظلم عندهم المحال لذاته, كما قال ابن القيم في النونية:

والظلم عندهم المحال لذاته؛

ونحن نقول الظلم ليس محال لله، لو شاء الله أن يظلم لظلم؛ ولكنه نفاه عن نفسه تمدحا بذلك؛ ولهذا قال في الحديث القدسي: (**يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي**) وهذا يدل على إمكانه منه لكنه لا يفعل .

فإن قال قائل: قد جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (**إن الله لو عذب أهل سماواته وأرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم**) ؟

فالجواب أن نقول: لا معارضة بين هذا الحديث وبين الآية؛ لأن الله لو عذبهم لم يمكن أن يعذبهم وهو ظالم لهم؛ إذا لا يعذبهم إلا وهم مستحقون للعذاب؛ وعلى هذا فيكون الحديث مطابقا للآية؛ أو يقال وجه آخر: إن الله لو عذب أهل السموات والأرض لعذبهم وهو غير ظالم لهم؛ إذا أراد أن يناقش العباد, فإن من نوقش الحساب عذب؛ لأنه لو ناقشهم.

الشيخ: فالجواب أن نقول: لا معارضة بين هذا الحديث وبين الآية؛ لأن الله لو عذبهم لم يمكن أن يعذبهم وهو ظالم لهم؛ إذا لا يعذبهم إلا وهم مستحقون للعذاب؛ وعلى هذا فيكون الحديث مطابقا للآية؛ أو يقال وجه آخر: إن الله لو عذب أهل السموات والأرض لعذبهم وهو غير ظالم لهم؛ إذا أراد أن يناقش العباد, فإن من نوقش الحساب عذب؛ لأنه لو ناقشهم لكانت نعمة واحدة من نعمه تقابل جميع أعماله؛ وحينئذ يستحقون أن يعذبوا؛ فلنا في هذا الحديث مخرجان؛ المخرج الأول: أنه يعذبهم وهو غير ظالم لهم, أي لا يعذبهم إلا بذنب فيكون مطابقا للآية؛ والثاني: أن المراد بذلك المناقشة، مناقشة الحساب لأن الله لو ناقشهم سبحانه وتعالى لكان نعمة واحدة من نعمه تحيط بجميع أعماله, فيبقون وليس عنده رصيد .

فإذا قال قائل: هذه صفة سلبية كما يقولون, وهل توجد الصفات السلبية في صفات الله ؟

فالجواب: لا؛ لكن المراد بالصفات السلبية ثبوت كمال ضدها، فهو لا يظلم لا لعجزه عن الظلم ولكن لكمال عدله .

ثم قال الله تبارك وتعالى: ((**الذين قالوا إن الله عهد إلينا أن لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان** ...)) هذا أيضا من كذب هؤلاء اليهود أنهم قالوا: ((**إن الله عهد إلينا**)) أي وصانا وصية موثقة بالعهد؛ يقال: عهد إليه أي أوصى إليه وصية موثقة, ومنه العهد بالولاية أي ولاية الحاكم إلى من بعده, فإنه يوصي بالحكم إلى من بعده مثل عهد أبي بكر رضي الله عنه إلى عمر؛ فمعنى: ((**عهد إلينا**)) أي أوصانا وصية مثبتة بالعهد: ((**ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار**)) هكذا قالوا وهذا من كذبهم كما سيأتي.

يقول: ((**ألا نؤمن لرسول**)) يعني لرسول من عند الله: ((**حتى يأتينا بقربان تأكله النار**)) وذلك بأن نقرب قربانا من طعام أو بهائم أو لحم أو ثياب ثم تنزل نار من السماء فتأكل هذا القربان, يعني أنهم حصروا الآيات التي يطلبونها من الرسول بأن يأتي بنار تأكل هذا القربان؛ وكانوا فيما سبق إذا غنموا غنائم من الكفار جمعوها ثم نزلت نار من السماء فأكلتها حتى أحلت الغنائم لهذه الأمة؛ هؤلاء يقولون لا نؤمن لرسول إلا إذا أتانا بهذه الآية فقط, وهي أننا إذا قربنا قربانا أكلته النار؛ هكذا قالوا؛ قال الله تعالى لرسوله: ((**قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم**)) يعني قد جاءتكم رسل بأكثر مما تدعون الآن: ((**بالبينات**)) أي بالآيات البينات التي تبين صدق رسالتهم؛ والثاني: ((**بالذي قلتم**)) أي بالقربان الذي تأكله النار: ((**فلم قتلتموهم**)) يعني ومع ذلك كذبتموهم وقتلتموهم .

فإن قال قائل: لماذا عدل الله عزوجل عن المطالبة بصدق ما ادعوه ؟

قلنا هذا من باب التنزل مع الخصم يعني على فرض أن الأمر كما قلتم فقد اعتديتم حتى فيما جيء به من مطلوبكم اعتديتم على الرسل؛ وأرجوا أن ننتبه لهذا، أولا من ادعى دعوة فإننا نعامل بمراتب؛ المرتبة الأولى: صحة ما قال؛ المرتبة الثانية: مخالفته لما قال؛ فهنا لم يطالبهم الله عزوجل بصحة ما قالوا من باب موافقة الخصم، أقول من باب موافقة الخصم أحسن من التنزل لأن الذي معنا قرآن، أنا قلت بالأول تنزل بناء على العبارة المعروفة عند العلماء, ونحن نقول هنا موافقة الخصم؛ فهنا قد وافق الخصم قال: نعم هب أن الأمر كما قلتم وأنه عهد إليكم ألا تؤمنوا لرسول حتى يأتيكم بقربان تأكل النار, فقد جاءكم رسول بقربان تأكله النار ومع ذلك قتلتموه؛ إذا فطلبكم هذه الآية المعينة ليس عن صدق لأنها قد جاءتكم ومع ذلك كذبتم الرسل وقتلتموهم؛ فهنا عدل عن المطالبة بصحة الدعوى من باب موافقة الخصم, أي أنكم لا تريدون أن تصدقوا الرسل وإنما تريدون تكذيبهم .

السائل: في قوله تعالى: ((**حتى يأتينا بقربان تأكله النار**)) من الذي يأتي بقربان لأننا ذكرنا بالنار ؟ الشيخ: لا، بقربان، القربان هم يتقربون بقربانهم, يعني حتى يأتينا بمشروعية قربان نتقرب به وتأكله النار, ما هو الذي يأتي بقربان؛

السائل: أليس هذا ظاهر الآية ؟

الشيخ: أي لكن العلماء فسروها بذلك, أنهم هم يتقربون بالقربان فتأكله النار .

السائل: إذا كان القربان من البهائم فهل تأكله النار كالغنائم ؟

الشيخ: الظاهر إذا كان مشروعا تأكله النار؛ من البهائم وغيرها إذا كان مشروعا بالبهائم؛ أما إذا كان بغير البهائم فالأمر ما فيه إشكال؛

السائل: مثل الغنائم ؟

الشيخ: الغنائم هم قالوا عامة .

السائل: هل قسمت الغنائم في بدر ؟

الشيخ: لا هو المعروف في بدر أنه ما قسموها إلا بقسمة النبي عليه الصلاة والسلام, قسمها هو, ولم تكن موزعة كالتوزيع في الأخير؛ وقد اختلف العلماء في هذا هل إن الرسول عليه الصلاة والسلام أذن له في بدر خاصة بأن يقسم الغنائم على غير ما ذكر الله في سورة الأنفال, أو أنها لم تنزل سورة الأنفال إلا بعد بدر.

السائل: ما هو اختياركم ؟

الشيخ: والله ما عندي خيار الآن .

السائل: هل القربان من الغنائم أو من أي شيء ... ؟

الشيخ: الذين يريدون هؤلاء ؟ لا، من أي شيء, يعني واحد شخص يتقرب إلى الله يجعل الطعام ثم تنزل النار وتأكله.

السائل: لماذا أوردنا القربان من الغنم ؟

الشيخ: مناسبة الغنم فيما إذا كانت غنائم, كانت الغنائم في الأول إذا غنموها من الكفار لا تحل لهم, يجمعونها في مكان فتنزل عليها نار فتحرقها .

السائل: شيخ قلنا إن الجواب الثاني على بالحديث أن المراد هو مناقشة الحساب فكيف ... ؟

الشيخ: يعني مثلا لو عذبهم وهم يعملون عملا صالحا لعذبهم وهو غير ظالم لهم بالمناقشة؛ فمثلا إذا كانوا يصومون، يصلون ويتصدقون ويصومون ويحجون, لو نوقشوا الحساب لكانت نعم الله ما تقابل أو لا يقابلها الصلاة فاجتاحت الصلاة والصدقة والصيام وكل شيء؛ وإذا اجتاحتها ويش بقي عند الإنسان؟ ليس عنده عمل .

السائل: في قوله تعالى: ((**مما عملت أيدينا**)) كيف تدل على أن لله يدين ؟

الشيخ: وجه الدلالة أنه أثبت أيدينا، لولا أن له يدا ما صح أن يعبر بها عن نفسه؛ لكن لا يمكن أن يضيفها إلى اليد وهو لا يد له أبدا .

الطالب: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ((**الذين قالوا إن الله عهد إلينا أن لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين فإن كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاءوا بالبينات والزبر والكتاب المنير كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيمة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور**)) .

الشيخ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم؛ أظن نبدأ المناقشة: ((**الذين قالوا إن الله عهد إلينا** ...))

ما محل قوله: ((**الذين قالوا إن الله عهد إلينا**)) من الإعراب ؟

الطالب: بدل .

الشيخ: ما تصلح بدلا,

الطالب: صفة.

الشيخ: صفة للذين الأولى؛ البدل يا إخواني هو الذي يقوم مقام المبدل هو المقصود بالحكم، عرفتم فمثلا إذا قلت: أكلت الرغيف ثلثه، ثلث بدل إذا المأكول هو الثلث؛ خذ نبلا مدى هذا بدل الغلط أو النسيان، خذ نبلا

مدى، المدى يعني سكاكين؛ ما المقصود ؟ خذ السكاكين؛ فالبدل معناه أن يحل محل المبدل ليس معناه أن يكون زائدا عليه .

الشيخ: قوله: ((**عهد إلينا**)) ما معناه ؟

الطالب: أوصانا؛

الشيخ: كذا ؟ طيب .

الشيخ: قوله: ((**حتى يأتينا بقربان تأكله النار**)) ويش معناها خالد ؟

الطالب: لا يؤمنون حتى يأتيهم الرسول بقربان من ثياب أو أكل أو أي شيء تأكله, الله عز وجل يرسل عليها نارا تأكلها؛

الشيخ: طيب, هل قولهم هذا صحيح ؟

الطالب: غير صحيح؛ كذبوا على الله وعلى الرسول,

الشيخ: طيب, وهل أبطل الله ما ادعوه ؟

الطالب: لم يأت بإبطال ما ادعوه, بل أتى بشيء بأنه قد جاءهم رسل بما قالوا ولكنهم قتلوهم.

الشيخ: المهم هل إنهم صدقوا ؟

الطالب: هم كاذبون؛

الشيخ: أي لكن هل صدقوا أنه لو أتاهم رسول بقربان تأكله النار آمنوا ؟

الطالب: لا، لم يصدقوا؛

الشيخ: ما الدليل ؟

الطالب: الدليل قوله تعالى: ((**فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين**))؛

الشيخ: لا؛

الطالب: قوله: ((**ولقد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم**))؛

الشيخ: من أين تأخذ من أي الكلمات هذه ؟

الطالب: ...

الطالب: من قوله تعالى: ((**وبالذي قلتم**))

الشيخ: نعم, من قوله: ((**وبالذي قلتم**)), يعني أنهم جاءوا بالبينات وبالذي قلتم .

الشيخ: قوله: ((**إن كنتم صادقين**)) ما شرحنا ؟ طيب .

الشيخ: قال الله عزوجل: ((**قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات**)) أي بالآيات البينات الدالة على رسالتهم وصدقهم؛ ((**وبالذي قلتم**)) يعني والذي قلتم دون البينات التي جاءوا بها, بدليل أنه قدم قوله: ((**بالبينات**)) فدل هذا على أن ما قالوه وإن كان آية لكنه دون البينات التي جاءوا بها لأنهم جاءوا بأعظم من هذا؛ فمثلا موسى عليه الصلاة والسلام جاء ببينة أعظم من ذلك، كان يلقي العصا فتكون حية ويردها يحملها فتكون عصا؛ كان يدخل يده في جيبه فتخرج بيضاء لكن من غير عيب, من غير برص؛ كذلك أيضا عيسى عليه السلام كان يخرج الأموات من القبور أحياء أو يقف على الميت قبل أن يدفن فيحيا بإذن الله عزوجل: ((**يخلق من الطين كهيئة الطير بإذن الله فينفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله**)) فيها قراءتان: ((**فيكون طيرا**)) ((**فيكون طائرا**)) يعني: يكون طيرا طائرا أيضا بالفعل؛ أيهما أعظم هذا أو أن تنزل نار من السماء تأكل القربان ؟ الأولى أعظم؛ ولهذا قدمه.

((**وبالذي قلتم**)) وهو أن يأتي بقربان تأكله النار؛ ((**فلم قتلتموهم**)) قوله: ((**فلم**)) الفاء عاطفة, ولما: اللام حرف جر, وما استفهامية؛ ومن قواعد الإملاء أن ما الاستفهامية إذا دخل عليها حرف جر فإنها تحذف ألفها مثل: عم، بم، لم ؛ وغير ؟ مم، كيم؛ المهم على كل حال ما إذا دخل عليها حرف جر تحذف ألفها.

((**فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين**)) في أنكم تقبلون الرسل إذا جاءوا بهذه الآية؛ وقوله: ((**إن كنتم صادقين**)) الجملة شرطية كما رأيتم؛ وهل تحتاج إلى جواب ؟ ذهب بعض العلماء إلى أنها لا تحتاج إلى جواب, لأن المعنى مفهوم بدونه, والجواب إنما يؤتى به ليتمم المعنى؛ وقال بعضهم: بل جوابها محذوف دل عليه ما قبله؛ وعلى هذا الرأي يكون التقدير: إن كنتم صادقين فلم قتلتموهم؛ وإلى القول الأول ذهب ابن القيم رحمه الله في أن مثل هذا التركيب لا يحتاج إلى جواب .

يستفاد من هذه الآية: بيان تعنت هؤلاء اليهود الذين ردوا ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من البينات بناء على ما ادعوه من هذه القاعدة .

ومن فوائد هذه الآية: أنه ينبغي عند المخاصمة إفحام الخصم بما يدعيه ليكون ذلك أبلغ في دحض حجته؛ يؤخذ من قوله: ((**قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم**)) لأنه إذا خوصم بما يقوله لم يبق له حجة؛ ومن ذلك مخاصمة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله للرافضة وأهل التعطيل, حيث يخاصمهم بما يقرون به؛ فمثلا الأشاعرة أو المعتزلة أهل التعطيل عموما قالوا: إن المراد بآيات الصفات خلاف الظاهر, لأن العقل يمنع من الأخذ بظاهرها؛ فقالت الفلاسفة أهل التخييل: المراد بنصوص المعاد خلاف الظاهر، خلاف الظاهر لامتناع القول بظاهرها, لأنه ما فيه بعث ولا فيه رب ولا فيه جنة ولا فيه نار؛ فبماذا رد عليهم أهل التعطيل ؟ . أهل

التعطيل يقرون بالبعث واليوم الآخر . قالوا: إن كلامكم هذا غير مقبول, بل البعث حق وواقع, وذلك لأننا علمنا أن الرسل جاءت به, وأن الشبه المانعة منه فاسدة؛ الشبهة المانعة هي قول القائل: ((**من يحيي العظام وهي رميم**)) فلزم القول بثبوته؛ نحن نقول لهم: أيضا آيات الصفات علمنا بأن الرسل جاءوا بها, وقد علمنا فساد الشبهة المانعة منه فوجب إثباتها؛ بل قال شيخ الإسلام رحمه الله: إن نصوص الصفات في الكتاب والسنة أكثر بكثير من نصوص المعاد؛ لأنك لا تكاد تجد آية في كتاب الله إلا وجدت فيها اسما من أسماء الله أو صفة من صفاته؛ فالمهم أن إفحام الخصم بحجته أنكى وأقوى في خصمه, أي في أننا نخصمه ولا يستطيع أن يجادل بعد ذلك .

ومن فوائد هذه الآية: أن الرسل عليهم الصلاة والسلام جاءوا بالبينات الدالة على رسالتهم, ولابد من هذا عقلا كما هو واقع شرعا؛ لماذا يا جماعة ؟ لأنه لو جاء رسول من البشر يقول: أنا رسول الله إليكم أدعوكم إلى كذا وأمنعكم من كذا ومن خالفني قاتلته, هل يقبل منه ذلك ؟ لا يقبل إلا ببينة تشهد بما قال؛ ولهذا جاء في الحديث عن النبي عليه الصلاة والسلام: (**ما من نبي؛ أو قال: من رسول يرسله الله عزوجل إلا آتاه من الآيات ما يؤمن على مثله البشر, وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي, فأرجوا أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيمة**) فقال: (**ما من رسول إلا آتاه الله على مثله يؤمن البشر**)؛ وهذا لابد منه إذ لا يقبل أحد أن يأتي شخص ويقول: أنا رسول الله إليكم افعلوا كذا واتركوا كذا وإن لم تفعلوا فإني أقاتلكم إلا ببينة .

ومن فوائد الآية: إقامة الحجة على هؤلاء الذين ادعوا هذه الدعوى بأنهم قتلوا الأنبياء الذين جاءوا بما قالوه .

ثم قال الله تعالى مسليا لرسوله صلى الله عليه وسلم: ((**فإن كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاءوا بالبينات والزبر والكتاب المنير**)) فيها قراءة: ((**وبالزبر والكتاب المنير**)) أي زيادة الباء.

يقول الله عزوجل: ((**فإن كذبوك**)) الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم؛ والفاعل قريش وأهل الكتاب كل من كذب الرسول؛ ((**فقد كذب**)) هذه فقد: الفاء واقعة في جواب الشرط لأنه مقرون بقد؛ وقوله: ((**كذب رسل**)) وفي آية أخرى: ((**فقد كذبت رسل**)) فلماذا جاء التذكير والتأنيث ؟ نقول لأن الرسل جمع التكسير, وجمع التكسير يجوز فيه ثبوت التاء وحذفها؛ قال ابن مالك رحمه الله:

والتاء مع جمع سوى السالم من مذكر كالتاء مع إحدى اللبن؛

اللبن إحداها لبنة؛ فاللبنة تذكر وتؤنث, وجميع الجموع تذكر وتؤنث ما عدى جمع المذكر السالم على رأي ابن مالك؛ ويضاف إليها على رأي ابن هشام جمع المؤنث السالم؛ ويقابله من قال بأن جميع الجموع يجوز تذكيرها

وتأنيثها حتى السالم من مذكر أو مؤنث؛ ومنه قول الزمخشري يرد به على أعدائه يقول: لا أبالي بجمعهم كل جمع مؤنث؛

المؤنث لا يقابل الرجال؛ الشاهد قوله: كل جمع مؤنث؛ والذي يظهر والله أعلم أن الرأي الصحيح رأي ابن هشام, أن السالم من الجمع المذكر يجب تذكيره ومن الجمع المؤنث يجب تأنيثه أما جمع التكسير فيجوز فيها التذكير والتأنيث؛ هنا: ((**فقد كذب**)) وفي آية أخرى: ((**فقد كذبت**)) .

وقوله: ((**رسل من قبلك**)) الرسول كما مر علينا كثيرا هو الذي أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه؛ هؤلاء الرسل جاءوا بالبينات، جملة: ((**جاءوا بالبينات**)) يجوز أن تكون صفة لرسل ويجوز أن تكون حالا؛ أما جواز أن تكون صفة فظاهر, لأن رسل منكر فالذي يأتي من بعده يكون صفة؛ وأما جواز كونها حالا مع أن الذي قبلها منكر فلأن هذه النكرة وصفت, وإذا وصفت النكرة جاز وقوع الحال منها, لأنها إذا وصفت تخصصت .

((**جاءوا بالبينات**)) البينات هي الآيات، البينات الشرعية والكونية؛ فالآيات الشرعية هي الكتب التي جاءوا بها والآيات الكونية هي ما يسمى بالمعجزات الحسية .

((**والزبر**)) جمع زبور, والمراد به ما اشتمل على المواعظ والزواجر، هذا الزبر؛ ولهذا كان الزبور الذي أوتيه داود أكثره مواعظ وزواجر .

((**والكتاب المنير**)) الكتاب بمعنى المكتوب؛ والمنير بمعنى المنير للظلمات؛ وهذا العطف وهو: ((**والزبر والكتاب المنير**)) هذا من باب عطف الصفة على الصفة الأخرى؛ لأن الزبر تتضمن الكتاب المنير؛ وعطف الصفات بعضها على بعض موجود في القرآن ومنه قوله تعالى: ((**سبح اسم ربك الأعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى والذي أخرج المرعى**)) فقوله: ((**والذي قدر**)) هذا من باب عطف الصفات: ((**والذي أخرج**)) أيضا من باب عطف الصفات؛ فالتغاير هنا تغاير صفة وليس تغاير أداة .

في هذه الآية من الفوائد: تسلية الرسول عليه الصلاة والسلام .

ويتفرع عليها: أن يتسلى الإنسان بكل ما أصاب غيره؛ فمثلا الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر يؤذى فليتسلى, بأيش ؟ بأذية غيره؛ لأن الإنسان إذا علم أن غيره أصيب بمثل ما أصيب به لاشك أنه ينسى الحزن, كما قالت الخنساء ترثي أخاها صخرا تقول:

ولولا كثرة الباكين حولي على إخوانهم لقتلت نفسي

وما يبكون مثل أخي ولكن أسلي النفس عنه بالتأسي؛

الشاهد هنا قولها: أسلي النفس عنه بالتأسي؛ فالإنسان إذا نظر يمينا وشمالا وإذا هذا مصاب بعقله, وهذا مصاب ببدنه, وهذا مصاب بأهله, وهذا مصاب بماله يتسلى؛ كذلك الرسول عليه الصلاة والسلام إذا قال الله له: قد كذب رسل من قبلك, لاشك أنه تهون عليه المصيبة وأنه يتسلى بذلك, لأنه بشر يلحقه من أحكام البشرية ما يلحق غيره .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن الرسل عليهم الصلاة والسلام يؤذون بالتكذيب, ولا أظن أن شيئا أشق على النفس من التكذيب فيمن جاء بالصدق؛ أليس كذلك ؟ الإنسان يكاد يتقطع إذا أخبر بشيء صدق ثم قال له كذبت؛ فكيف وهم من عند الله عزوجل مؤيدون بآياته يكذبون؛ لاشك أنها شديدة عليهم, ولكنهم يصبرون عليهم الصلاة والسلام، كما قال الله تعالى: ((**ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا**)) يعني: وعلى ما أوذوا أو معطوفة على: ((**كذبت**)) أي وحصل لهم الأذية أيضا فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا.

من فوائد هذه الآية الكريمة: وانظروا هل يستفاد منها : أن الرسول عليه الصلاة والسلام آخر الرسل؟ هل يمكن أن يستفاد ؟

الطالب: يمكن؛

الشيخ: يمكن ولكنه ضعيف, لأنك لو قلت مثلا: زارني رجل قبلك أو من قبلك؛ هل معناه أنه لا يزورني أحد بعده ؟ لا؛ فالظاهر أنها لا تفيد .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن الرسل لابد أن يؤيدوا بالبينات؛ لقوله: ((**جاءوا بالبينات**)).

ومن فوائدها: أن الرسل السابقين كلهم جاؤوا بالكتاب، ما من رسول إلا ومعه كتاب؛ ويؤيد هذا قوله تعالى: ((**لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط**)) وذلك لأنه لابد لكل رسول من شريعة، والشريعة بماذا تكون ؟ تكون بما يكتب, سواء نزلت وحيا ثم كتبت أو نزلت مكتوبة كالتوراة, فإن الله كتبها بيده وأنزلها عزوجل .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن الكتب السابقة ككتابنا كلها تنير الطريق لمن أراد المسير, ولكن أعظمها إنارة هو هذا القرآن الكريم؛ ولهذا كان مهيمنا على ما سبقه من الكتب، كل الكتب التي سبقه منسوخة به .

ثم قال الله تعالى: ((**كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيمة** ...)) ((**كل نفس**)) كل: من صيغ العموم, والنفس قد يراد بها الروح وقد يراد بها البدن بالروح؛ وكلاهما صحيح؛ فالموت يذوقه البدن وتذوقه الروح .

وقوله: ((**ذائقة الموت**)) أي ذائقة طعمه, أي لابد أن تموت؛ ولكن الله عبر بالذوق لأنه أبلغ في الحصول, لأن الذوق يحصل به حق اليقين.

وقد قسم العلماء اليقين إلى ثلاثة درجات: علم؛ وعين؛ وحق؛ فالعلم بالخبر, والعين بالمشاهدة, والحق بالذوق؛ فإذا قال لك قائل: هذه تفاحة وقد أخفاها في كيس والقائل صدوق؛ فبماذا تسمي هذا ؟ تسميه بعلم اليقين؛ فإذا كشفها فهو عين اليقين؛ فإذا أكلها المخبر فهو حق اليقين؛ ولهذا عبر عزوجل بالذائقة لأن الموت حق لابد لكل حي من موت إلا الحي القيوم عزوجل .

وقوله: ((**كل نفس**)) هل المراد من بني آدم ومن الجن ممن على الأرض بحيث نقول: إن الملائكة لا يموتون ؟ الجواب لا؛ كل أحد يموتون: ((**ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله**)) ذكر العلماء أنه يستثنى من هذا ممن لا يموت وممن خلقوا للبقاء, يستثنى الولدان الذين في الجنة, والحور اللاتي في الجنة فإنهم خلقوا للبقاء فلا يموتون؛ أما الملائكة وجميع الخلق فإنهم يموتون .

وقوله: ((**وإنما توفون أجوركم يوم القيمة**)) هذه حصر, يعني لا توفون أجوركم إلا يوم القيمة؛ والمراد بالتوفية هنا توفية الكمال, وإلا فإن الإنسان قد يوفى أجره في الدنيا ويدخر له أيضا زيادة على ذلك, والكافر أيضا ربما يوفى أجره في الدنيا أي ما عمل من خير فإنه يطعم به في الدنيا لكن في الآخرة ليس له خلاق؛ وقوله: ((**وإنما توفون أجوركم يوم القيمة**)) بعد قوله: ((**كل نفس ذائقة الموت**)) قد يشعر بأن المراد بيوم القيمة هنا ما هو أعم من القيامة الكبرى, فيشمل القيامة الصغرى التي تكون لكل موجود من ذوات النفوس .

قال: ((**فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز**)) **زحزح**: أي دفع ببطء, وذلك لأن النار ـ أعاذني الله وإياكم منها ـ محفوفة بالشهوات, والشهوات تميل إليها النفوس فلا يكاد الإنسان ينصرف عن هذه الشهوات إلا بزحزحة لأنه مقبل عليها بقوة؛ ولهذا قال: ((**زحزح عن النار**)) أي: دفع عنها بمشقة وشدة ((**وأدخل الجنة فقد فاز**)) لأنه نجا من المرهوب وحصل على المطلوب؛ ((**وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور**)) ما هذه نافية ولم تعمل عمل ليس لأن النفي انتقض, وإذا انتقض النفي بطل عمله, كما قال ابن مالك: مع بقا النفي؛
فإن كان إن انتقض فهي مهملة .

وقوله: ((**الحياة الدنيا**)) وصفها بالدنيا لوجهين؛ الوجه الأول: لدنوها زمنا, والوجه الثاني: لدنوها قدرا؛ أما دنوها زمنا فظاهر لأنها قبل الآخرة؛ وأما دنوها قدرا فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (**لموضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها**) موضع السوط، السوط يمكن أن نقول إنه متر؛ خير من الدنيا وما فيها، من الدنيا ليست دنياك التي أنت فيها وليست دنياك الخاصة بك أنت؛ بل الدنيا من أولها إلى آخرها؛ إذا الحياة هذه

بالنسبة للآخرة دنيئة ودانية من الدنو وهو الانحطاط؛ وقوله: ((**إلا متاع الغرور**)) أي متعة تغر صاحبها وتخدعه؛ وكم من أناس زينت لهم الدنيا فانخدعوا بها, وكان مآلهم إلى السحيق . والعياذ بالله . لأنهم اغتروا بها .

في هذه الآية الكريمة عدة فوائد؛ أولا: الموت حق لابد منه؛ لقوله: ((**كل نفس ذائقة الموت**)).

ومن الفوائد: حث الإنسان على المبادرة في العمل الصالح لأنه إذا كان ميتا ولا محالة وهو لا يدر متى يموت, فإن العقل كالشرع يقتضي أن يبادر ولاسيما في قضاء الواجبات والتخلي عن المظالم, لا تؤخر فإن التأخير له آفات؛ كثيرا ما يقول الإنسان أنا سأفعل هذا غدا ولكن يتهاون ثم يأتي غد وما بعده ويضيع عليه الوقت .

ومن فوائد الآية الكريمة: أن كمال الأجر إنما يكون يوم القيمة؛ لقوله: ((**وإنما توفون أجوركم**)) والتوفية تقتضي أن هناك شيئا سابقا يزاد, وهو كذلك, فإن الإنسان قد يثاب في الدنيا على عمله ولاسيما الإحسان إلى الخلق وقضاء حوائجهم؛ لأنه ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (**والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه**) وقال: (**من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته**) .

ومن فوائد هذه الآية: إثبات يوم القيمة؛ لقوله: ((**يوم القيمة**)) وسمي يوم القيمة لماذا ؟ لأنه يقوم فيه الناس لرب العالمين هذا واحد ؟ ويقوم الأشهاد؛ يقام فيه القسط؛ وأدلة هذا معروف قال الله تعالى: ((**يوم يقوم الناس لرب العالمين**)) وقال تعالى: ((**إنا للنصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد**)) وقال سبحانه وتعالى: ((**ونضع موازين القسط ليوم القيمة**)) .

ومن فوائد هذه الآية: أنه لا يكمل الفوز إلا بأمرين: أن يزحزح الإنسان عن النار وأن يدخل الجنة؛ ومعلوم أن من زحزح عن النار فلا بد أن يدخل الجنة؛ لأنه ليس في الآخرة إلا داران فقط إما النار وإما الجنة؛ وقد بين النبي عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح ما يحصل به هذا الثواب العظيم الزحزحة عن النار وإدخال الجنة فقال: (**من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر وليأت إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه**) فذكر حق الله وحق العباد؛ فمن وجد من نفسه هذين الوصفين الإيمان بالله واليوم الآخر, وأنه يأتي إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه فليبشر بهذا .

ومن فوائد هذه الآية: أنها تدل على أن الله لا يرى في الجنة؛ صح ؟ ما فيها لا نفي ولا إثبات؛ ولكن الزمخشري في تفسيره قال: أي فوز أعظم من أن يزحزح الإنسان عن النار ويدخل الجنة، أي فوز أعظم؛ يريد بذلك نفي الرؤية؛ فنقول له: إذا دخل الإنسان الجنة فإنه سيرى ربه, ويكون رؤيته لله عزوجل أعظم النعيم؛ فليس في الآية ما يدل على نفي الرؤية إطلاقا, وإذا لم يكن فيها دليل على نفي الرؤية فإن هناك نصوصا من القرآن والسنة تدل على ثبوت الرؤية, والمؤمن هو الذي لا يتتبع المتشابه من القرآن يتتبع المحكم ويحمل عليه المتشابه .

ومن فوائد هذه الآية: التزهيد في الدنيا؛ لقوله: ((**وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور**)) .

ومن فوائدها: أنه يجب على الإنسان الحذر من مغبة الدنيا وغرورها؛ ولهذا ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (**والله ما الفقر أخشى عليكم وإنما أخشى أن تفتح الدنيا عليكم فتنافسوها كما تنافسها من قبلكم فتهلككم كما أهلكتهم**) وصدق الرسول عليه الصلاة والسلام أن هذا هو الخوف؛ وانظر الآن لما فتحت الدنيا على الناس ماذا حصل ؟ حصل الهلاك, حتى الذين لم تفتح عليهم إذا سمعوا من فتحت عليهم هلكوا.

الشيخ: ومن فوائدها: أنه يجب على الإنسان الحذر من مغبة الدنيا وغرورها؛ ولهذا ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (**والله ما الفقر أخشى عليكم وإنما أخشى أن تفتح الدنيا عليكم فتنافسوها كما تنافسها من قبلكم فتهلككم كما أهلكتهم**) وصدق الرسول عليه الصلاة والسلام أن هذا هو الخوف؛ وانظر الآن لما فتحت الدنيا على الناس ماذا حصل ؟ حصل الهلاك, حتى الذين لم تفتح عليهم إذا سمعوا من فتحت عليهم هلكوا. الآن نسمع في بعض بلاد الأرض أن هناك قتالا، قتالا على الخبز الطعام مع أنهم فقراء, لكنهم يتقاتلون عليه لأنهم يسمعون أن هناك من يشبع من الخبز لا في بلادهم بل في بلاد غيرهم؛ فإذا انصرف الإنسان إلى الدنيا . نسأل الله السلامة . وصارت همه فإنها ستغره وتخدع: ((**وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور**)).

وأظن أن للحريري في مقاماته قصيدة عظيمة في التحذير من الدنيا ومغبتها, وهي قصيدة عظيمة من جهة, ومن جهة أخرى أنها تصلح على بحرين على الطويل وعلى البحر الثاني دونه, أنا ما أعرف البحور لكن فيها البحر الطويل وفيها بحر دون هذا, يعني تقرأها على الوجهين, وهذا من قدرته رحمه الله على الكلام, كتابه هذا اسمه مقامات الحريري مشهور؛ أذكر بيتين في مدحه :

أقسم بالله وآياته ومشعر الحج وميقات أن الحريري حري بأن تكتب بالتبر مقامات؛

بالتبر أيش التبر ؟ التبر يعني الذهب؛ لكن هذان البيتان هل هما سليمان ؟ أقسم بالله وآياته ومشعر الحج وميقات؛ الثاني هذا شرك قسم بغير الله, لكن لعله من الذين يقول: والنبي ما أحلف بالنبي.

السائل: ما معنى حديث النبي صلى الله عليه وسلم: (**أرجوا أن أكون أكثرهم تبعا يوم القيمة**) ؟ الشيخ: معناها لما كان وحيا وسيبقى سيدرك هذه الآية جميع الناس إلى يوم القيمة فيكون أكثرهم تابعا؛ لكن مثل آيات الأنبياء الحسية انتهت بموته.

السائل: ما هو الضابط في تسلي المؤمن بمصيبة غيره مع أن النصوص تدل على أن المؤمنين كالجسد الواحد ؟

الشيخ: هو معلوم أنه إذا أصيب أحد من المسلمين بمصيبة فإن المؤمن سوف يكون مصابا بها, لكن أحيانا يصاب المؤمن بمصيبة مثلها فيتسلى بما أصابه, يعني بمعنى يتسلى يعني يهون عليه ما أصابه .

السائل: ما المعنى المحكم والمتشابه في القرآن ؟

الشيخ: المحكم والمتشابه في سورة آل عمران قصدك ؟ المحكم ما اتضح معناه, والمتشابه ما اشتبه معناه؛ المحكمات الآيات الواضحات مثلا: ((**شهر رمضان الذين أنزل فيه القرآن**)) هذا محكم؛ لأيش ؟ لأنه واضح, كل أحد يعرف شهر رمضان وكل أحد يعرف القرآن؛ فيه آيات متشابه مثلا: ((**فجزاءه مثل ما قتل من النعم يحكم به**

ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما)) عدل أيش ؟ عدل نفس الصيد أو عدل الجزاء ؟ يختلف فيه العلماء؛ الغالب أن كل مسائل الخلاف في القرآن تكون من المتشابه.

السائل: بعض الناس يقول إن آيات الصفات من المتشابه ؟

الشيخ: الذين يقولون إن الصفات من المتشابه نقول لهم: إن أردتم أنها من المتشابه معنى فهذا خطأ, لأن معناها ظاهر, وإن أردتم أنها من المتشابه حقيقة وأن حقيقتها لا تعلم فهذا حق؛ فإطلاقا أنها من المتشابه خطأ, ونفي أن تكون من المتشابه خطأ أيضا.

السائل: ما معنى حديث: (**من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته**) ؟

الشيخ: (**من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته**) يعني: أنك إذا اهتممت بحاجات إخوانك وأعنتهم على ذلك فإن الله يعينك على حاجاتك؛

السائل: وحديث : (**وليأت إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه**)

الشيخ: معناه أن تعامل الناس بما تحب أن يعاملوك به، تعامل الناس بما تحب أن يعاملوك به من الصدق والنصح والإخلاص والمعونة وغير ذلك .

الشيخ: ما المراد بالبينات ؟

الطالب: الآيات؛

الشيخ: الآيات البينة التي تشهد لهم بالصدق, كذا ؟ طيب .

الشيخ: هل تعرف حديثا يدل على سبب أو يدل على أن الإنسان إذا عمل به زحزح عن النار وأدخل الجنة ؟ ما ذكرناه لكم ؟ هو لا ينبغي أن ينسى لا حفظا ولا عملا لأنه مهم؛ نعم ؟

الطالب: قول صلى الله عليه وسلم: (**من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر وليأت إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه**).

الشيخ: هذا مهم جدا.

الشيخ: يقول الله عزوجل: ((**إنما ذلكم الشيطان يخوف أوليائه فلا تخافوهم**)) هل الخوف من غير الله ينافي الإيمان ؟

الطالب: الخوف ينقسم إلى أقسام؛

الشيخ: الخوف الطبيعي هل ينافي الإيمان أو لا ؟

الطالب: لا؛

الشيخ: طيب ما الدليل ؟

الطالب: قول الله تعالى لموسى: ((**لا تخف سنعيدها سيرتها الأولى**))

الشيخ: وقوله تعالى: ((**فخرج منها خائفا يترقب**)) .

الشيخ: قوله تعالى: ((**ولا يحزنك**)) فيها قراءتان قلها ؟ ((**يُحزنك**)) أو ((**يَحزنك**)) ؟

الطالب: ((**يَحزنُك**)).

الشيخ: لا، مجزومة لأن لا ناهية؛ ((**يُحزنْك**)) من الرباعي ؟

الشيخ: اقرأ ((**يستبشرون بنعمة من الله**)) ؟

الشيخ: قوله تعالى: ((**الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح**)) ما هو القرح الذي أصابهم ؟

الطالب: الحزن؛

الشيخ: الحزن ؟

الطالب: الهزيمة؛

الشيخ: متى ؟

الطالب: في أحد,

الشيخ: يعني أصابهم القرح الجراح والقتل الذي حصل في أحد .

الشيخ: هل كانت غزوة حينما ندبهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى أن يخرجوا أو لم تكن ؟ لما ندبهم بعد الرجوع من أحد وخرجوا هل حصلت غزوة ؟

الطالب: لا ما حصل؛

الشيخ: ما الدليل من الآية ؟

الطالب: ((**لم يمسسكم سوء**))

الشيخ: ولا ذكر أنهم انتصروا فدل على أنه لم يحصل قتال .

الطالب: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ((**لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق وذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد الذين قالوا إن الله عهد إلينا أن لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين**))

الشيخ: ((**لقد سمع الله قول الذين قالوا**)) ما المراد بهذا الخبر ؟

الطالب: المراد بهذا أنه كلم أحدا؛ وتعددت الروايات في هذا,

الشيخ: لا, لا قصدي ما المراد بهذا الخبر, لماذا أخبرنا الله بذلك ؟

الطالب: هذا رد على الذين قالوا بإن الله فقير؛

الشيخ: لكن لماذا أخبر الله بذلك ؟

الطالب: ليسلي الرسول صلى الله عليه وسلم؛

الشيخ: تهديد هؤلاء, وربما يتضمن أيضا تسلية الرسول عليه الصلاة والسلام بأن الله سوف يعاقبهم يوم القيمة .

الشيخ: قوله: ((**وسنكتب ما قالوا**)) هل الله يكتب أو الملائكة ؟

الطالب: الملائكة يكتبون .

الطالب: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ((**لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم ولله ملك السموات والأرض والله على كل شيء قدير**)) .

الشيخ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم؛ قال الله تعالى: ((**لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا**)) هذه الجملة: ((**لتبلون**)) مؤكدة كما هو معلوم بثلاثة مؤكدات ؟ هذه دائما تمر بنا ونبينها ؟

الطالب: نون التوكيد واللام والقسم المقدر؛

الشيخ: والقسم المقدر, لأن اللام هذه موطئة للقسم أي والله لتبلون؛ والابتلاء الاختبار, والله سبحانه تعالى أحيانا يختبر بالخير وأحيانا يختبر بالشر، كما قال الله تعالى: ((**ونبلوكم بالشر والخير فتنة**)) وكما قال الله تعالى عن سليمان: ((**هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر**)) وذلك أن الإنسان دائر بين حالين؛ إما شيء يسر به ويفرح به, فهذا وظيفته الشكر؛ وإما شيء يسوؤه ويحزنه فهذا وظيفته الصبر؛ ولهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام: (**عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير إن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له وإن أصابته سراء شكر فكان خيرا له ولا يكون ذلك إلا للمؤمن**).

هنا يقول عزوجل: ((**لتبلون في أموالكم وأنفسكم**)) في أموالكم إما من قبل الله عزوجل كالجوائح؛ وإما من قبل المخلوقين كتسلط المشركين على أموال المسلمين؛ وكل ذلك من البلوى، كل هذا من البلوى الذي يبتلي الله به العباد .

وقوله: ((**وأنفسكم**)) يشمل أيضا البلوى المتصلة والمنفصلة؛ البلوى المتصلة ما يحصل على الإنسان من بلوى من الله عزوجل في بدنه, مثل المرض والعجز وما أشبه ذلك؛ والبلوى المنفصلة ما تكون في الأولاد, لأن الأولاد من أنفسنا, يبتلى الإنسان في ولده في أهله في زوجته وغير ذلك, هذا أيضا من الابتلاء؛ ثم إن الابتلاء الذي يكون إما من الله عزوجل وإما من المخلوق، يبتلى الإنسان في نفسه من المخلوقين, يؤذونه أحيانا بالضرب, وأحيانا بالقول, وأحيانا بالقتل كما قتلوا الأنبياء بغير حق .

((**ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا**))

((**لتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم**)) وهم اليهود والنصارى؛ ((**ومن الذين أشركوا**)) وهم الوثنيون كقريش وغيرهم, تسمعون منهم: ((**أذى كثيرا**)) أذى بأيش ؟ بالقول لأنه هو الذي يسمع, مثل أن يعيروكم أو يسبوا دينكم أو يسبوا نبيكم؛ وقد قالوا عن النبي عليه الصلاة والسلام إنه ساحر كذاب: ((**أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب**)) وقالوا إنه مجنون: ((**أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون**)) وقالوا إنه كاهن, ووصفوه بكل عيب؛ ولاشك أن هذا يؤذي المؤمنين، يؤذي النبي صلى الله عليه وسلم؛ ولكن وظيفتنا نحو هذا الأمر الصبر؛ ولهذا قال: ((**وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور**)) .

وقوله: ((**أذى كثيرا**)) يعني وأذى قليلا؛ لكن الأذى الكثير أشد على الإنسان من الأذى القليل, ومع ذلك فإنه مأمور بالصبر؛ ولهذا قال: ((**وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور**)) وتأمل قوله: ((**لتسمعن أذى**)) ولم يقل ضررا؛ لأن هذا الذي نسمع يؤذينا ولكن لا يضرنا, قال تعالى: ((**وإن تتقوا وتصبروا لا يضركم كيدكم شيئا**)) وهنا فرق بين الأذية وبين الضرر, قد يتأذى الإنسان بالشيء ولا يتضرر منه؛ ولهذا أثبت الله سبحانه وتعالى أن عباده يؤذونه, أي من عباده من يؤذيه, ونفى أن يكون أحد يضره؛ فقال عزوجل في الحديث القدسي: (**يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني**) وقال: ((**إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا**)) فأثبت الأذية وقال تعالى في الحديث القدسي: (**يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر**) فأثبت الأذية أيضا؛ أما الضرر فلا؛ فهنا يسمع المؤمنون من أهل الكتاب ومن المشركين ما يؤذيهم ولكنه لا يضرهم.

ثم قال: ((**وإن تصبروا وتتقوا**)) تصبروا على ما سمعتم, وعلى ما ابتليتم به في أموالكم وأنفسكم؛ والصبر بمعنى الحبس, ومنه قولهم: قتل صبرا أي حبسا, يوقف ويحبس ويقتل؛ وهو في الشرع حبس القلب واللسان والجوارح عن ما يغضب الله عزوجل؛ قال أهل العلم: والصبر على ثلاثة أقسام: صبر على طاعة الله وهو أعلى الأنواع أعلى الأقسام؛ وصبر عن معصية الله وهو دونه؛ وصبر على أقدار الله المؤلمة وهو دون الاثنين؛ لأن الاثنين الأولين صبر على شرع الله, والثاني صبر على قدر الله, والصبر على قدر الله يكون من المؤمن والكفار ومن الناطق والبهيم, لكن الصبر على شرع الله لا يكون إلا من المؤمن, ثم الصبر على المأمور أعلى من الصبر عن المحظور, لأن الصبر على المحظور كف فقط, والصبر على المأمور فعل, فهو إيجاد وعمل, ففيه نوع من الكلفة, بخلاف الصبر عن فعل المحظور, فإنه ليس إلا مجرد كف؛ على أنه قد يكون أحيانا بالنسبة للنفس قد يكون الصبر عن المحظور أشد من الصبر على فعل المأمور، يسهل على بعض الناس مثلا أن يصلي, لكن يصعب عليه أن يدع ما حرم الله عليه من الأمور التي تحثه نفسه إليها حثا.

صبر الصائم على الصيام ؟ من الأول؛ وصبره على ألمه الذي يحصل بالجوع والعطش ؟ من الثالثة الصبر على أقدار الله المؤلمة؛ وصبره عن ما حرم عليه بالصوم من الثاني؛ ولهذا يسمى شهر رمضان شهر الصبر, لأن جميع أنوع الصبر الثلاثة تحصل للصائم؛ ففي الصيام صبر على الطاعة وصبر عن المعصية وصبر على الأقدار؛ صبر يوسف على إلقاء إخوته في البئر ؟ من الثالث؛ وصبره عن إجابة امرأة العزيز ؟ من الثاني صبر عن المعصية؛ وصبره على الدعوة إلى الله وهو في السجن ؟ من الأول .

يقول: ((**وإن تصبروا وتتقوا**)) تتقوا أيش ؟ تتقوا الله عزوجل لئلا تتجاوزا أو تعتدوا على غيركم, وذلك لأن النفس مجبولة على محبة الانتقام من الغير, وربما إذا سمعت أذى أن تأخذ أكثر من نصيبها؛ طيب أقول النفس مجبولة على حب الانتقام من الغير إذا حصلت منه أذية, فربما يعتدي الإنسان ويأخذ أكثر من حقه؛ ولهذا قال: ((**إن تصبروا وتتقوا**)) أي تتقوا الله عزوجل فلا تعتدوا على الذين أسمعوكم الأذى .

((**فإن ذلك من عزم الأمور**)) أي من معزومات الأمور؛ فعزم هنا مصدر بمعنى اسم المفعول, أي من الأمور المعزومة التي تحتاج إلى عزم وإلى همة وإلى مكابدة لأنها شاقة على النفس؛ والعزم في الأمور من الصفات الحميدة التي وصف بها الكمل من الخلق، قال الله تعالى: ((**فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل**)) فالعزم لاشك أنه خلق عال يهبه الله عزوجل لمن يشاء؛ فإذا كان الإنسان عنده عزم في أموره فهذا هو الموفق؛ أما الإنسان الذي ليس عنده عزم فتجده دائما في ملل وفي كسل وفي تهاون فإن هذا لاشك خاسر يخسر؛ فالإنسان العازم في أموره هو الرابح دنيا ودينا: ((**وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور**)) .

من فوائد هذه الآية أولا: أن من البلاغة تأكيد الشيء بما يوجب الاطمئنان فيه؛ لقوله: ((**لتبلون في أنفسكم**)) والتأكيد يقول علماء البلاغة: إنه قد يكون حسنا وقد يكون واجبا وقد يكون لغوا، يكون لغوا إذا لم تدع الحاجة إليه؛ وذلك لأن التأكيد لابد فيه من زيادة؛ ما هي الزيادة ؟ زيادة الحروف التي حصل بها التأكيد؛ فإذا لم يكن حاجة إليه صار لغوا؛ ثم إنه أيضا لغو من حيث المعنى, ولهذا لو أنك أكدت لشخص شيئا شاهده لعتب عليك وقال: أنا ما أشوف أنا علمت؛ لو قلت: والله لقد صليت ركعتين حين دخلت المسجد وهو يراك يشاهد, ماذا يقول لك ؟ يقول: كيف تقسم لي وأنا أشهد؛ هذا لغو من القول؛ ويكون حسنا, أي التوكيد يكون حسنا إذا كان عند الإنسان المخاطب شيء من التردد، إذا كان عند المخاطب شيء من التردد فيحسن أن تؤكد له الكلام ليطمئن؛ ويكون واجبا إذا كان المخاطب منكرا أو فاعلا فعل المنكر؛ متى يكون واجبا ؟ ... إذا كان المخاطب منكرا أو فاعلا فعل المنكر؛ المنكر هو الذي إذا ألقيت إليه الخبر قال: أبدا ما حصل؛ هنا يجب أن تؤكد له؛ والفاعل فعل المنكر هو الذي يفعل فعلا لو كان مصدقا ما فعله؛ ولهذا قال الله تعالى: ((**ثم إنكم بعد ذلك لميتون**)) هنا فيه تأكيد بإن وأيش ؟ واللام؛ هل الموت يحتاج إلى توكيد؟ كلنا يعرف أنه سيموت؛ لكن لما كان فعل أكثر بني إنسان فعل المنكر حسن التوكيد .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أنه ينبغي للإنسان أن يتفطن لما هو فيه من خير وشر, ليعلم أنه ابتلاء من الله؛ ففي الخير يبتلى لأيش ؟ ليشكر, وفي ضده يبتلى ليصبر .

ومن فوائد هذه الآية: التأكيد على الحذر من أهل الكتاب اليهود والنصارى والمشركين أيضا؛ وجهه؟ أن الله أكد لنا أننا سنسمع منهم ما يؤذينا؛ هذا بالقول, وهم يمكرون بنا بالقول وبالفعل؛ ولهذا يجب التحرز من اليهود والنصارى وألا نتخذهم أولياء, وأن نعلم أنهم لن يعطونا قرشا إلا في مقابلة درهم أو أكثر؛ ولن ينفعونا بشيء إلا وقد ضرونا بأكثر منه؛ لأن الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم بين عداوة هؤلاء, وأنه لا يجوز اتخاذهم أولياء, وأنهم اليهود والمشركين أشد الناس عداوة ؛ كذا ؟ أقربهم مودة الذين قالوا إنا نصارى والخطاب هنا في نصارى معينين وصفهم الله بقوله: ((**ذلك أن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق**)) فهل في نصارى اليوم من يكون هذا وصفهم ؟ أبدا بالعكس, هم يحاربون الدين الإسلام ربما أكثر من محاربة اليهود, لأنه صارت بينهم وبين المسلمين معارك أدمت قلوبهم وأيتمت أولادهم ولن ينسوه, المعارك الصليبية لن ينسوها أبدا؛ فهم في الحقيقة إذا سمعنا ما ينشرونه من دينهم المنسوخ الذي لا يقبل عند الله وحرصهم على ذلك, وكونهم يجمعون حتى من العجائز من الأموال ما يقضون به على الإسلام ليدخل الناس في النصرانية, عرفنا أنهم يسعون بكل وسيلة إلى القضاء على الإسلام؛

ولهذا هم يأملون أنهم في حدود الألفين ستكون أفريقيا كلها على زعمهم نصرانية, ولكن بحول الله إن الأمر سيكون منقلبا عليهم, ستكون إن شاء الله إسلامية وسيدحرهم الله عز وجل ويردهم على أعقابهم خائبين .

من فوائد هذه الآية الكريمة: وجوب الصبر أمام أذى الأعداء؛ أو نقول في هذه الآية الكريمة: الثناء على الصبر؛ الثاني أحسن, الثناء على الصبر أمام ما نسمعه من أذية الأعداء, وأن لا يردنا ذلك على أعقابنا وأن نحذر منهم.

وقد اختلف العلماء رحمهم الله هل هذه الآية منسوخة وأننا نصبر ونتقي إذا كنا عاجزين على الرد بالمثل أو هي محكمة ؟ والصحيح أنها محكمة, وأنها إنما تكون في حال يكون الصبر فيه على الأذى خيرا؛ أما إذا كان الأمر بالعكس فالخير مطلوب في جميع الأحوال .

ومن فوائد الآية الكريمة: التنبيه على فضيلة العزم في الأمور؛ لقوله: ((**فإن ذلك من عزم الأمور**)) وكلما كان الإنسان عازما في أموره كان ذلك أنجح له وأحسن .

ثم قال الله تعالى: ((**وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب**)) في الدرس القادم إن شاء الله .

... الشيخ: ما فيه شك؛ الذي لا يتأذى بسب الإسلام ولا يثأر له لاشك أنه ناقص الإيمان, بل يخشى عليه أنه قد نزع منه الإيمان بالكلية؛ لأن مبدأ الإنسان ولو كان من وضع البشر لا يرضى أن أحدا يسبه, فكيف وهو من شرع الله عزوجل .

... الشيخ: إذا كان فعله فعل المنكر؛ يعني يحسن, قد نقول المراد يعني حسن وجوب؛ لكن فرق بين المنكر صراحة والفاعل فعل المنكر هذاك أوجب من المنكر.

... الشيخ: أحيانا يكون الكلام بالتعلي وأحيانا يكون بالتدني؛ ((**إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات**)) أيهما أعلى ؟ الإيمان، أحيانا يكون من الأعلى إلى الأسفل, وأحيانا بالعكس؛ وهنا من الحكمة في هذا أن البلاء في النفس وإن كان أمس بالإنسان وألصق بالإنسان هو عند بعض الناس أهون من البلاء في المال؛ البخيل لما عثر ورأى أصبعه قد تدمى قال: الحمد لله شوي ولا في النعمة؛ وش صار الآن ؟ صار المال أغلى عليه من البدن.

... الشيخ: ((**من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم**)) هذا لبيان الواقع؛ وذلك لأن القيود أحيانا تكون لبيان الواقع لا للاحتراز, وهذا كثير مثل قوله تعالى: ((**يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم**)) فهنا لو قال قائل: هل لنا رب لم يخلقنا ؟ نقول: لا؛ لماذا قال: ((**الذي خلقكم**)) ؟ لبيان الواقع .

السائل: هل الصبر على أذية الكفار مطلقا ؟

الشيخ: الصبر عليهم مطلقا ما لم نكن أقوى منهم؛ فإن كنا أقوى منهم فإننا نرغمهم على أن يسلموا, أو يبذلوا الجزية, ونقاتلهم ...

الشيخ: ولكن إنها كلمة، كلمة تغني عن كل تهديداتهم: ((**إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون**)) نحن في الحقيقة ذللنا أو تسلط علينا هؤلاء الأعداء فهو من أنفسنا، والله عزوجل يقول: ((**ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز**))؛ ولهذا أنا أحب من إخواننا الشباب أن يحرصوا على تطبيق الإسلام وأن لا يعتمدوا على القوة المادية فقط؛ القوة المادية لو اعتمدنا عليها لكانوا هم أقوى منا وأكثر عددا وأقوى عددا؛ لكن القوة الإلهية المعنوية التي تصل الإنسان بربه هي التي لا تهزم؛ فنحن لا يهمنا هذا, الذي نخشى منه ليس من أسلحتهم نخشى من أسلحتنا نحن التي نصوبها إلى صدورنا وهي المعاصي والإعراض عن طاعة الله وصد الناس عن سبيل الله؛ هذا الذي نخشى منه, أما هم ليسوا إلا كبعوضة بالنسبة لقدرة الله عزوجل, وليسوا بشيء .

هم خائفين لكن يجب علينا نحن أيضا أن نخاف منهم لنستعد لهم, أن لا نتأثر بتهديدهم, وإلا هم يقولون: الشيوعية خلاص تحطمت وهي العدو الأول أما الآن فيخشى من الإسلام؛ ولكن هل نحن استغللنا هذه الفرصة ؟ أبدا ما استغللنا هذه الفرصة بل ضيعنا.

الشيخ: هم خائفين لكن يجب علينا نحن أيضا أن نخاف منهم لنستعد لهم, أن لا نتأثر بتهديدهم, وإلا هم يقولون: الشيوعية خلاص تحطمت وهي العدو الأول أما الآن فيخشى من الإسلام؛ ولكن هل نحن استغللنا هذه الفرصة ؟ أبدا ما استغللنا هذه الفرصة بل ضيعنا.

... الشيخ: لا لا، الصبر على الأعداء؛ نأخذ بالثأر منهم؛ في حال الضعف نعم نصبر؛ يحسن أن نصبر.

الطالب: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ((**لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم ولله ملك السموات والأرض والله على كل شيء قدير**)) .

الشيخ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم؛ قال الله تبارك وتعالى: ((**لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم** ...)) ما نوع البلاء ؟

... يعني يختبركم على هذا الوجه الأخير فيما يفرضه عليكم, طيب, الابتلاء في النفس ؟ ... ما يكون من قبل الله وما يكون من قبل الناس؛ مثاله من قبل الله ؟ ... ما اخترت إلا الصاعقة ؟ الطالب: الابتلاء في النفس من الله عزوجل مثل المرض وغيره,

الشيخ: المرض والضعف والعجز وفقد الأولاد أيضا لأن الأولاد من الأنفس .

الطالب: هذا من الابتلاء المنفصل, والابتلاء المتصل مثل مرض البدن.

الشيخ: أحسنت وكله من الله.

الشيخ: والقسم الثاني ؟

الطالب: الضرر من المخلوق, مثل أن يضربه بعضهم أو يشتمه .

الشيخ: قوله: ((**ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب**)) ما المراد بالذين أوتوا الكتاب ؟

الطالب: اليهود والنصارى؛ هذا الذي نسمع يكون ضارا أو غير ضار ؟

الطالب: غير ضار .

الشيخ: لكن قال: أذى كثيرا,

الطالب: لا يلوم من الأذية الضرر,

الشيخ: نريد مثالا على أنه لا يلزم من الأذية الضرر ؟ ... وهذا واضح, يتأذى الإنسان مثلا من رائحة كريهة ولا تضره.

الشيخ: قوله: ((**وإن تتقوا وتصبروا فإن ذلك من عزم الأمور**)) ويش معنى الآية ؟ ... فلا يعتدوا عليهم بأكثر من عدوانهم.

الشيخ: قوله: ((**من عزم الأمور**)) ما هي عزم الأمور ؟ ... يعني من الأمور المعزومة؛ ويش معنى العزم ؟ ... يعني تحتاج إلى عزم وقوة وصبر وجلد.

الشيخ: في الإعراب: ((**لتسمعن**)) فعل مضارع متصل بنون التوكيد ومع ذلك كان مرفوعا, والمعروف أن فعل المضارع إذا اتصل بنون التوكيد يبنى على الفتح ... إذا مباشرة لفظا لا تقديرا, ونون التوكيد إذا اتصلت بالمضارع إذا كان متصلة لفظا وتقديرا, وهذه متصلة لفظا لا تقديرا.

ثم قال الله عزوجل: ((**وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب**)) إذ: ظرف لما مضى, وتأتي في القرآن كثيرا محذوفة العامل, ويقدره العلماء بقولهم: اذكر إذ، واذكر إذ أخذ الله, يعني أذكر هذا للناس مبينا ما حصل؛ وقوله: ((**إذ أخذ الله ميثاق**)) الميثاق هو العهد الثقيل, وسمي العهد الثقيل ميثاقا من الوثاق وهو الحبل الذي يشد به الإنسان ويربط, كما في قوله تعالى: ((**فإذا لقيتم الذين كفروا فضربا الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق**)) يعني الحبل الذي تربطونهم به وتأسرونهم به؛ فالميثاق بمعنى العهد الثقيل وسمي العهد الثقيل ميثاقا لأنه كالرباط للمعاهد .

وقوله: ((**الذين أوتوا الكتاب**)) المراد بهم اليهود والنصارى؛ أخذ الله عليهم العهد والميثاق بما أعطاهم من الكتاب أن يبينوه للناس؛ ولهذا قال: لتبيننه, اللام موطئة للقسم, أي أخذ عليهم عهد بهذا: ((**لتبيننه للناس ولا تكتمونه**)) هنا قال: لتبينن ولا تكتمون؛ فكيف يصح قوله: ((**ولا تكتمونه**)) مع أنه قال: ((**لتبيننه**)) لأن البيان ضد الكتمان ؟ ولكن نقول: المعنى لتبيننه بيانا لا كتمان فيه؛ والكتمان نوعان؛ إما إخفاء بعض الآيات؛ وإما تحريف الآيات إلى معان أخرى, فإن هذا يعد كتما, لأن الذي يحرف الآيات إلى معاني أخرى لم يبين الآيات على ما هي عليه؛ بل كتم المعنى الحقيقي المراد إلى معنى آخر؛ فالكتم إذا نوعان: إخفاء لبعض الآيات كما قال الله تعالى: ((**تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا**)) وإما أن يكون الكتم كتم المعنى, أي لا يبين المعنى وإنما يحرف؛ فالكتم إذا نوعان؛ إخفاء الألفاظ والثاني: إخفاء المعاني بحيث لا يغير اللفظ لكن يغير المعنى فهذا كتمان, ومن ذلك مثلا أن النصارى قالوا: إن محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام ليس هو الذي بشر به عيسى, لأن الذي بشر به عيسى اسمه أحمد, وهذا اسمه محمد؛ هذا كتمان، كتمان معنى أو لفظ ؟ معنى.

((**لتبيننه للناس ولا تكتمونه**)) فإن قال قائل: هل يشعر العالم بهذا الميثاق, وأنه جرى بينه وبين الله عز وجل صفقة عهد ؟

الجواب: لا يشعر؛ لكن إيتاء الله العلم له يعتبر ميثاقا, يعني كون الله يهبه علما هذا ميثاق, ما أعطاك هذا العلم إلا من أجل أن تبينه, وإن كان الإنسان لا يستحضر أنه جرى بينه وبين ربه عهد كما يعاهد أهل الذمة مثلا, ولكن إيتاء الله عزوجل العلم له هذا عهد أن يبين .

قال: ((**فنبذوه وراء ظهورهم**)) ((**نبذوه**)) أي نبذوا العهد نبذوا الميثاق أي تركوه؛ ومع ذلك لم يطرحوه بين أيديهم بل طرحوه وراء ظهورهم, وهو كناية عن شدة إعراضهم عما آتاهم الله من الكتاب, حيث نبذوه نبذا, ولم ينبذوه أمامهم بل وراء ظهوره؛ فيكون هذا أشد في كراهية ما أنزل الله وفي الاستكبار عنه والإعراض عنه؛

((**فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا**)) اشتروا به أي استبدلوا به: ((**ثمنا قليلا**)) أي بهذا العهد والميثاق ثمنا قليلا؛ ما هو الثمن القليل الذي اشتروه ؟ إبقاء رئاستهم وجاههم وسلطانهم على قومهم؛ لأن هؤلاء الأحبار والقسيسين لو تبعوا محمدا زالت رئاستهم ووجاهتهم, وصاروا كعامة الناس؛ فقالوا: نكذب محمدا ونبقى على ما كنا عليه من الرئاسة والجاه والتقديم؛ إذا ما هو الثمن, ما هو المبيع وما هو الثمن ؟ المبيع العهد, والثمن الجاه والرئاسة وما أشبه ذلك؛ ووصف الله هذا بأنه قليل, وصدق الله, فإن جميع ما في الدنيا قليل, قال الله تعالى: ((**قل متاع الدنيا قليل الآخرة خير لمن اتقى**)) فهذا الذي استبدلوه هو ثمن قليل زهيد لا يدوم للإنسان ولا يدوم الإنسان له, بل لابد من زواله؛ إما زوال الإنسان وإما زوال الثمن الذي اشتراه .

يقول: ((**فبئس ما يشترون**)) بئس: فعل ماضي جامد، جامد ؟ يعني: لا يتصرف, النحويون يسمون الفعل الذي لا يتصرف جامدا لأنه باق على حال واحدة, والمتصرف يسمونه متصرفا لأنه يشبه المائع الذي يسير ويسيل, لكن هذا جامد لا يتصرف؛ وقوله: ((**بئس ما يشترون**)) كلمة بئس ونعم وما أشبههما تحتاجان إلى شيئين: إلى فاعل ومخصوص، بالذم أو بالمدح؛ فقوله: ((**ما يشترون**)) هذا هو الفاعل ما؛ والمخصوص محذوف والتقدير: فبئس ما يشترون هذا الثمن أو هذا الشراء.

في هذه الآية قراءات نسينا أن نبينها لكم؛ قوله: ((**لتبيننه للناس ولا تكتمونه**)) فيها قراءة: ((**ليبيننه للناس ولا يكتمونه**)) يعني بالياء بدلا عن التاء؛ فعلى القراءة الأولى بالتاء يكون في الكلام التفات؛ من أين ؟ من الغيبة إلى الخطاب؛ وعلى القراءة الثانية يكون الكلام نسقا واحد ليس فيه التفات.

والالتفات ذكرنا أن فيه فوائد ما هي ؟ سبحان الله ما هي ؟

الطالب: التنبيه،

الشيخ: نعم التنبيه على هذه الجملة, لأن الكلام إذا صار على نسق واحد شرد الذهن, فإذا جاء التفات كأنه يقول انتبه؛ هذا واحد نعم ؟

الطالب: تشويق السامع؛

الشيخ: أحيانا يكون فيه تشويق السامع صحيح, لكن شدة وقع هذا الشيء, لأن العدول عن الغيبة إلى الخطاب أشد وقعا من الغيبة, يعني أن المشافهة بالخطاب أشد وقعا من المشافهة بالغيب, ولهذا قال الله تعالى: ((**عبس وتولى أن جاءه الأعمى**)) ولم يقل: عبست, وهو يريد سبحانه وتعالى النبي صلى الله عليه وسلم, لكن أسلوب الغيبة أهون وقعا من أسلوب الخطاب؛ وتأملوها في قصة الخضر مع موسى في الأول في الجملة الأولى قال له: ((**ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا**)) ألم أقل إنك؛ في الثانية قال: ((**ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا**)) فكانت الثانية أشد من الأولى, أشد وقعا؛ طيب, وفيه أيضا قراءة في الآية التي بعدها .

من فوائد هذه الآية: أن الله عزوجل أخذ على أهل العلم العهد ببيان علمه وعدم كتمانه؛ لقوله: ((**وإذ أخذ الله** ...)) .

ومن فوائدها: التحذير من كتمان العلم؛ لأن الله ذكر ذلك على سبيل الذم لا على سبيل المدح؛ وقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أن: (**من سئل عن علم وهو يعلمه ثم كتمه ألجم بلجام من نار يوم القيمة**)؛ . نعوذ بالله . كما أنه كتم العلم ولم ينطق فإنه يجعل له يوم القيمة لجاما يلجم به على فمه لسكوته عن بيان العلم .

ومن فوائد هذه الآية: وجوب بيان العلم على أهل العلم، أنه يجب على أهل العلم أن يبينوه, أن يبينوا العلم الذي آتاهم الله؛ ولم يذكر الله عزوجل الوسيلة التي يحصل بها البيان, فتكون على هذا مطلقة راجعة إلى ما تقتضيه الحال؛ قد يكون البيان بالقول, وقد يكون بالكتابة, وقد يكون في المجالس العامة, وقد يكون في المجالس الخاصة على حسب الحال, لأن الله أطلق البيان ولم يفصل ولم يعين .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أنه في الأمور الهامة ينبغي أن يقرن النفي بالإثبات ليتحقق الكمال؛ لقوله: ((**لتبيننه ولا تكتمون**)) ووجه ذلك ما أشرنا إليه قبل أن البيان عدم الكتمان, لكن لما قال: ((**ولا تكتمونه**)) أكد البيان, وأن يكون بيانا كاملا ليس فيه كتمان .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: الذم القبيح لأهل الكتاب اليهود والنصارى؛ لقوله: ((**فنبذوه وراء ظهورهم**)) وأنتم تجدونه شدة الوقع في قوله: ((**نبذوه**)) ثم شدة الاستكبار بقوله: ((**وراء ظهورهم**)) .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن هؤلاء الذين نبذوا العهد والميثاق وراء ظهورهم أخذوا بدله ثمنا قليلا, يعني لم يأخذوا مقابلا ولا مماثلة ولا ما فوقه ولكنهم أخذوا بدله ثمنا قليلا مما يدل على خسة هممهم؛ وأن هممهم دنيئة حيث أخذوا الأدنى بدلا عن الأعلى .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: القدح في هذه الطريقة؛ لقوله: ((**فبئس ما يشترون**)) .

ويتفرع على هذه الفائدة: تحذير أولئك الذي يحابون الرؤساء والأمراء والوجهاء والأعيان في ترك بيان العلم؛ لأن الله تعالى أثنى بالقدح واللوم والتوبيخ على من كانت هذه حاله؛ والواجب البيان حتى عند الأمراء والوزراء والكبراء والرؤساء, بل إن بيان الحق عندهم يكون أوجب, وكلمة الحق عند سلطان جائر من أفضل الجهاد .

ثم قال الله عزوجل: ((**لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم**)) .

قوله: ((**ولا تحسبن**)) فيها قراءات: ((**لا تحسَبن**)) و ((**لا تحسِبن**)) بكسر السين؛ وفيها قراءة: ((**لا يحسَبن**)) بالياء بدل التاء؛ فالقراءة هي ثلاثة: ((**لا تحسَبن**)) ((**لا تحسِبن**)) ((**لا يحسَبن الذين يفرحون**)) فعلى قراءة التاء يكون الخطاب موجها إما للنبي صلى الله عليه وسلم وإما لكل من يصح أن يتوجه إليه الخطاب؛ والمعنى الثاني أعم وأشمل, يعني لا تحسبن أيها المخاطب.

وقوله: ((**الذين يفرحون بما أتوا**)) الذين: محلها من الإعراب أنها مفعول أول لـ ((**تحسبن**)) فأين المفعول الثاني ؟ المفعول الثاني إما أن نقول إنه محذوف قبل الجملة: ((**فلا تحسبن**)) ويكون المعنى: لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ناجين؛ ثم فرع عليه قوله: ((**فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب**)) ويحتمل أن قوله: ((**فلا تحسبنهم**)) جملة مؤكدة لقوله: ((**لا تحسبن**)) وعلى هذا فيكون قوله: ((**بمفازة**)) المفعول الثاني، والأول أقرب, أي لا تحسبنهم ناجين، فلا تحسبنهم بمفازة .

وقوله: ((**فلا تحسبنهم**)) فيها قراءتان أيضا, بل ثلاث قراءات: ((**فلا تحسِبنهم**)) و ((**فلا تحسَبنهم**)) و ((**فلا يحسبنهم**)) يعني لا يحسبون أنفسهم بمفازة من العذاب .

نرجع الآن إلى التفسير يقول الله عزوجل: ((**لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا**)) أي: يفرحون فرح أشر وبطر ومنة على الله وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم؛ ((**بما أتوا**)) أي بما أتوا من الأعمال التي يتقربون بها إلى الله على زعمهم, ولكنهم يفرحون بها منة على الله ورسوله .

وقوله: ((**ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا**)) أي يحبون أن الناس يحمدونهم على شيء لم يفعلوه؛ مثل أن يتظاهر للناس بالصلاح من أجل أن يثنى عليهم وهم لم يفعلوا الصلاح, ومثل ما فعل أهل الكتاب كتموا صفة

النبي صلى الله عليه وسلم ولم يبينوها, فقالوا: الآن غلبنا محمد حيث قلنا إنه ليس هو المبشر به, ففرحوا بما أتوا وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا.

كذلك المنافقون يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا؛ فأما المسلم إذا فرح بما أنعم الله عليه من العمل وأحب أن يحمد بما لم يفعل لا رياء, ولكن من طبيعة البشر أنه يحب أن يحمده الناس, فإن هذا لا يدخل في الآية؛ فالذي يدخل في الآية صنفان: الصنف الأول أهل الكتاب الذين فرحوا بما أتوا من كتمان صفة النبي صلى الله عليه وسلم وعدم الإيمان به, ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا حيث يتظاهرون للناس بأنه لو جاء الرسول الذي بشر به عيسى لآمنا به؛ والصنف الثاني من ؟ المنافقون؛ فإن المنافقين يفرحون بما أتوا, ويقولون: نحن أسلمنا أمام محمد وأصحابه, وهم على العكس من ذلك؛ ولهذا قال: ((**يحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا**)) من الإخلاص والمحبة لله ورسوله واتباع رسوله صلى الله عليه وسلم .

قال: ((**فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب**)) المفازة مكان الفوز, أي فلا تحسبنهم بمكان يفوزون به وينجون به من العذاب بل هم منغمسون في العذاب . والعياذ بالله . .

((**ولهم عذاب أليم**)) الجملة هذه استئنافية, لما بين أنهم ليسوا بمفازة من العذاب وليسوا ناجين أكد هذا بقوله: ((**ولهم عذاب أليم**)) أليم: بمعنى مؤلم, فهي فعيل بمعنى مفعل؛ وفعيل بمعنى مفعل تأتي في اللغة العربية كثيرا, ومنه قول الشاعر:

أمن ريحانة الداع السميع يؤرقني وأصحابي هجوع؛

السميع بمعنى المسمع .

في هذه الآية الكريمة فوائد وهي: تحذير من يفرح بما أتى فرح منة وإدلال على الله عزوجل, أو فرح غدر وخيانة كالمنافقين .

وفيها أيضا: التحذير من محبة الإنسان أن يحمد بما لم يفعل؛ وهذا يقع كثيرا؛ أحيانا يصرح الإنسان وهو كاذب, وأحيانا يوري فيظن السامع أنه فاعل وهو لم يفعل؛ أما الأول فأن يقول مثلا: صليت البارحة آخر الليل ودعوت الله وهو كاذب، لكن من أجل أن يحمد على ذلك؛ أو يقول: رأيت فقيرا فتصدقت عليه؛ أو يقول: طبعت كتابا أو أنقذت غريقا أو ما أشبه ذلك وهو كاذب؛ هذا قسم صرح بما لم يفعل؛ وأحيانا يوري يتظاهر أمام الناس أنه فعل وهو لم يفعل؛ فالذي يسمع كلامه يقول: هذا هو الفاعل وهو لم يفعل, وكلاهما مذموم؛ أما من أحب أن يحمد بما لم يفعل ولكنه لم يتظاهر أمام الناس بالشيء ليحمد عليه فهذا لا يضر, لأن كل واحد يحب أن يحمد، يحب أن يحمد وإن لم يفعل؛ ولكن إذا حمد أن يفعل وهو متظاهر للناس بأنه فاعل هذا هو المذموم.

ومن فوائد الآية الكريمة: أن من كان على هذا الحال فلن ينجوا من العذاب؛ لقوله: ((**فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب**)) .

ومن فوائدها: إثبات العذاب الأليم لم هذه حاله؛ وقد عرفتم أنها منطبقة على صنفين من الناس: أهل الكتاب الذين كتموا صفة الرسول عليه الصلاة والسلام ؛ والثاني: المنافقون .

ثم قال الله تعالى: ((**ولله ملك السموات والأرض والله على كل شيء قدير**)) .

قوله: ((**ولله**)) جار ومجرور خبر مقدم؛ ((**ملك**)) مبتدأ مؤخر؛ ((**والله على كل شيء قدير**)) جملة استئنافية.

قوله: ((**لله ملك السموات**)) ملك السموات أي ملك الأعيان وملك التصرف؛ فهو مالك لأعيانهم, وهو مالك للتصرف فيها, قال الله تعالى: ((**قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما لهم منه من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له**)) ((**لا يملكون مثقال ذرة**)) يعني على سبيل الاستقلال: ((**وما لهم فيهما من شرك**)) على سبيل المشاركة؛ ((**وما له**)) أي ما لله؛ ((**منهم**)) أي من هؤلاء الذين تدعون: ((**من ظهير**)) أي من معين؛ ((**ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له**)) أي: لا أحد يشفع عند الله إلا بإذنه؛ هذه الآية يقولون: إنها قطعت علائق المشركين الذين يعبدون الأصنام والأوثان؛ لأنه يقول: هذه الأصنام هل لها ملك مستقل في السموات والأرض ؟ هل شاركت الله ؟ هل أعانته، هل تنفع شفاعتها إلا بإذنه ؟ لا، كل جواب بالنفي, وعلى هذا فلا ينفعهم لا تنفعهم عبادة هذه الأصنام .

المهم أن قوله: ((**لله ملك السموات**)) يشمل الأعيان والتصرف؛ فالله تعالى مالك الأعيان ومالك التصرف؛ وقوله: ((**السموات**)) يعني: السبع؛ ((**والأرض**)) للجنس فتشمل الأراضين السبع؛

((**والله على كل شيء قدير**)) والقدرة هي التمكن من الفعل بلا عجز، التمكن من الفعل بلا عجز يسمى قدرة؛ والتمكن من الفعل بلا ضعف يسمى قوة، قال الله تعالى: ((**هو الذي خلقكم من ضعف ثم جعل لكم من بعد ضعف قوة**)) فقابل الضعف بالقوة، وقال: ((**وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض إنه كان عليما قديرا**)) فقابل القدرة بالعجز؛ فالقدرة ضدها العجز, والقوة ضدها لضعف .

وقوله: ((**على كل شيء قدير**)) عام في كل شيء؛ فما من موجود إلا والله قادر على إعدامه, وما من معدوم إلا والله قادر على إيجاده؛ وما من موجود إلا والله قادر على تضييعه وتحويله من شيء إلى آخر؛ إذا هو على كل شيء قدير، وهو قادر على أفعاله؛ أليس كذلك ؟ نعم, قادر على أفعاله, يفعل ما يشاء؛ وهو قادر على ذاته ؟

يقولون: إن ذات الله عزوجل إذا قصدت أن الله قادر على إعدامها مثلا حاشا وكلا, فإن هذا لا تتعلق به القدرة أصلا لأنه من المستحيل؛ ولهذا قال السفاريني رحمه الله في عقيدته قال:

له الحياة والكلام والبصر سمع إرادة وعلم واقتدر بقدرة تعلقت بممكن؛

ولكن مع ذلك نقول: من الأدب أن تقول: إن الله على كل شيء قدير وتسكت؛ لأن الآيات التي جاءت بهذا عامة, ولا تقل إن الله لا يقدر على الشيء المستحيل؛ لأن المستحيل أصلا لا يتعلق به الفعل, يعني مثلا: السكون والحركة هل يمكن أن يجتمعان ؟ لا يمكن, لأنه إن تحرك لم يكن ساكنا, وإن سكن لم يكن متحركا؛ إذا الله سبحانه وتعالى قادر على أن يجعل الساكن متحركا والمتحرك ساكنا, لكن تريد أن يكون ساكنا ومتحركا في آن واحد لا يمكن، ساكن يعني غير متحرك، متحرك يعني غير ساكن .

فإذا قال قائل: هل يمكن أن يجعل الله المتحرك ساكنا ؟ نعم, يحول المتحرك إلى ساكن؛ أو يجعل الساكن متحركا ؟ نعم, لكن يجعل الحركة والسكون في آن واحد لا يمكن أصلا؛ لأنه مادام حركة يعني أيش ؟ يساوي عدم سكون، سكون يساوي عدم الحركة؛ بمجرد أن يتحرك انتفى عنه السكون، بمجرد أن يسكن انتفى عنه الحركة؛ ولكن كما قلت لكم: من الأدب أن نقول: إن الله على كل شيء قدير ولا حاجة أن نفصل؛ إنما نحن نشعر بأنفسنا أن المستحيل لا يمكن, على اسمه مستحيل.

... الشيخ: هو أعم لاشك, لكن حتى لو فرضنا أن العموم اللفظي لا يشمل هذه الأمة في قوله: ((**الذين أوتوا الكتاب**)) فالعموم المعنوي يشمله, وإلا الظاهر من اللفظ أن المراد أهل الكتاب, كما قال في الأول: ((**ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب**)) لكن نقول: هو وإن لم يعم هذه الأمة من حيث اللفظ لكن يعم من حيث المعنى .

السائل: قول الله تعالى في الحديث: (**إني على ما أشاء قادر**) كيف علق القدرة بالمشيئة ؟

الشيخ: لأنه إذا تعلق بفعل خاص صح أن نقيد القدرة بالمشيئة؛ لأن هذا الرجل استغرب أن يدخل الجنة بعد ما حصل له فقال: (**إني على ما أشاء قادر**)؛ وهو كقوله تعالى: ((**وهو على جمعهم إذا يشاء قدير**)) يعني إذا شاء جمعهم فهو قدير عليهم؛ وهو قدير سواء شاء أم لم يشأ؛ لكن لما تعلق بفعل معين صح أن يقيد بالمشيئة، نظير ذلك في الإنسان مثلا: تقول: أنا على ما أشاء قادر؛ لو إنسان قال: كيف تفعل كذا وكذا هل تقدر عليه ؟ قال: نعم الذي أريده أقدر عليه, ليس المعنى أني ما أقدر إلا على ما أريد؛ أقدر على ما أريد وما لا أريد, ولكن لما كان يتعلق بفعل معين صح أن يقيد بالمشيئة, كأنه يقول: إذا شئت هذا الشيء فأنا قادر على هذا .

... الشيخ: والناس بحاجة إلى العلم, أحيانا تكون مقتضى الحال بحاجة إلى العلم, كما لو شاعت بدعة في الناس, فيجب عليك أن تبين, وأحيانا يسألك الإنسان سؤالا خاصا فيجب أن تبين؛ ولهذا نقول: سؤال بلسان المقال وسؤال بلسان الحال؛ السؤال بلسان المقال أن يأتي شخص إليك ويقول: ما تقول في كذا وكذا؛ هذا سؤال بلسان المقال, يجب أن تبين له الحق إلا إذا علمت أنه ذو هوى, وأنه يريد أن يأخذ ما عندك فقط دون أن يعمل به, فهنا قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: ((**فإن جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم**)) لأنهم لا يتحاكمون إلى الرسول يريدون الحق, لكن يريدون ما عنده, إن وافق أهوائهم أخذوا به وإلا تركوه؛ أما لسان الحال فأن يشيع في الناس عمل محرم أو بدعة أو ما أشبه ذلك, فيبينه للناس لأن الحال تقتضي البيان .

... الشيخ: نعم, لأنه قد يكون من المصلحة أن لا تُدرس كل ما علمت؛ قد يكون من المصلحة أن تركز على الفقه على التوحيد على التفسير, لكنك متهيئ ومستعد لبيان العلم بأي وسيلة .

السائل: قوله تعالى: ((**وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه**)) هل هو عام مخصوص بوقت النبي صلى الله عليه وسلم لأن كثيرا من أهل الكتاب ما كتموا ؟

الشيخ: كيف ما كتموا, الآن يعني ؟

السائل: لا في الأمم السابقة موسى وعيسى عليه الصلاة والسلام يعني حصل من الأحبار والرهبان عملوا بالكتاب ؟

الشيخ: هذا يعتبر نادر؛ ولهذا مثل عبد الله بن سلام رضي الله عنه أسلم وحسن إسلامه وهو من أحبارهم؛ لكن هذا يعتبر نادرا, العبرة بالعموم .

السائل: في قوله تعالى: ((**لتبيننه**)) الضمير يعود على العلم أو على الكتاب ؟

الشيخ: على الكتاب ((**وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه**)) الكتاب .

الطالب: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ((**إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته وما للظالمين من أنصار ربنا إننا سمعنا مناديا ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيآتنا وتوفنا مع الأبرار ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيمة إنك لا تخلف الميعاد**)) .

الشيخ: أعوذ بالله السميع العلم من الشيطان الرجيم؛ قال الله تبارك وتعالى: ((**إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب**))

قوله: ((**إن في خلق السموات**)) لا يخفى علينا أن هذه الجملة مؤكدة؛ بماذا ؟

الطالب: بأداة التوكيد؛

الشيخ: وما هي أداة التوكيد ؟

الطالب: إن؛

الشيخ: وأن فيها اختلافا في ترتيب الجزأين, أعني جزأي المبتدأ والخبر؛ فما هذا الاختلاف ؟

الطالب: تقديم الخبر,

الشيخ: ((**في خلق السموات**)) الهذا خبر؛ وأن فيها مؤكدا آخر غير إن ؟

الطالب: اللام في ((لآيات))

الشيخ: نعم .

يقول الله عزوجل مؤكدا مضمون هذه الجملة الخبرية: ((**إن في خلق السموات والأرض**)) خلق: الخلق هو الابتداع على غير مثال سبق, يعني إيجاد الشيء على غير مثال سبق يسمى خلقا.

وفي خلق السموات والأرض آيات من عدة أوجه؛ الوجه الأول: من جهة الكبر والسعة؛ والوجه الثاني: ما فيهما من الحسن والبهاء والجمال، قال الله تعالى: ((**ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح**)) والذي يطلع على ما صوره العلماء من هذه الآيات العظيمة يتبين له عظمة الله عزوجل في هذا الخلق.

كذلك في خلق السموات من جهة إتقانها وعدم تخلخلها، قال الله تعالى: ((**فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير**)).

في خلق السموات بما أودع الله فيه من المادة المواد المتعددة المختلفة الأنواع والأشكال والمنافع كما قال الله تعالى: ((**وفي الأرض قطع متجاورات**)) يعني متجاورات بعضها إلى جوار بعض ولكن بينها من الاختلاف ما لا يعلمه إلا الله .

فيهما أيضا ما فيهما من المنافع العظيمة للخلق؛ فالشمس فيها خير عظيم والقمر كذلك والأشجار وغيرها, كلها فيها خيرات عظيمة من آيات الله عزوجل؛ فأنت ترى النخيل على أرض واحدة, وتسقى بماء واحد, ويفضل الله بعضها على بعض في الحجم واللون والمذاق والادخار, وهي جنس واحد لكنها مختلفة؛ والآيات في هذا كثيرة, لو أن الإنسان جلس ويتأمل ويتدبر ويكتب كل ما يعن على خاطره لجمع آيات كثيرة في هذا؛ ونحن مأمورون أن نتدبر: ((**أولم يتفكروا في خلق السموات والأرض**)) مأمورون بأن نتدبر ما في السموات والأرض من الآيات لنستدل بها على كمال قدرة الله عزوجل؛ وما في ذلك من الحكم العظيمة والرحمة .

وقوله: ((**السموات والأرض**)) هذا التعبير القرآني غالبا أن الله يذكر السموات مجموعة إلى الأرض مفردة, ولم يأت في القرآن الكريم التصريح بعدد الأرض بخلاف السماء فقد جاء التصريح بأنها سبع سموات كما قال تعالى: ((**الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن**)) وقال: ((**قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم**)) أما الأرضون فجاءت مشار إليها بأنها سبع في قوله تعالى: ((**الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن**)) أي في العدد لا في الكيفية ولا في الماهية؛ وجاءت السنة صريحة في هذا في قول النبي عليه الصلاة والسلام: (**من اقتطع شبرا من الأرض طوقه الله به يوم القيمة من سبع أراضين**) .

وقوله: ((**واختلاف الليل والنهار**)) أيضا هذا فيه آيات اختلاف الليل والنهار؛ يعني أي وجه من الاختلاف يراد ؟ الجواب أنه يراد اختلافهما من وجوه شتى:

أولا: من جهة أن الليلة ظلمة والنهار نور, وهذا من آيات الله, قال الله تعالى: ((**قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيمة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيمة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون**)) فهذا من آيات الله: ((**وجعلنا الليل والنهار آيتين**)) .

كذلك أيضا اختلافهما من جهة الطول والقصر, أحيانا يطول الليل وأحيانا يطول النهار وأحيانا يتساويان, ولا أحد يستطيع أن يقوم بهذا؛ فهو من آيات الله؛ ولو أن أهل الأرض كلهم اجتمعوا على أن يدخلوا من الليل جزء في النهار ما استطاعوا ولا العكس؛ فهذا من آيات الله .

ويدخل في هذا اختلاف الليل والنهار: يدخل فيه اختلافهما حرا وبردا، أحيانا يكون هذا حارا وهذا باردا وأحيانا يتساويان .

ومن ذلك أيضا: اختلافهما في الرخاء والشدة؛ أحيانا تمر بك الأيام رخاء وأحيانا تمر بك الأيام شدة.

ومنها أيضا من هذه الآيات: اختلافهما في العز والذل والنصر والخذلان، ينصر أحيانا أقوام ويخذل هؤلاء الأقوام في آن آخر وهكذا؛ فإذا الليل والنهار فيهما آيات في اختلافهما، في ذاتهما وفيما يقع فيهما، قال الله تعالى: ((**وتلك الأيام نداولها بين الناس**)) ولو تأمل الإنسان لوجد أكثر مما ذكرنا من اختلاف الليل والنهار .

وقوله: ((**لآيات لأولي الألباب**)) آيات: جمع, الآيات هنا, لأنها متنوعة ومتعددة, ولكنها لا يفهمها ولا يتخذها آيات إلا أولو الألباب؛ ولهذا قال: ((**لآيات لأولي الألباب**)) أي لأصحاب العقول؛ وسمي العقل لبا لأنه خالص الإنسان كما أن اللب خالص الحبة مثلا؛ فالإنسان بعقله وليس بفكره؛ والعقل ليس هو الذكاء كما قد يتبادر بأذهان كثير من الناس؛ ولكن العقل هو الرشد في التصرف, كلما كان الإنسان أسد رشدا وتصرفا كان أعقل, وليس كل ما كان أذكى فهو أعقل لا, لا يمكن, لأنه قد يكون من الأذكياء من هو أبعد الناس عن العقل.

ولهذا يمكن أن نقول لصناديد الكفرة الممتلئين ذكاء نقول: إنهم غير عقلاء وإن كانوا أذكياء؛ قال الله لبني إسرائيل: ((**أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون**)) مع أنهم عندهم عقل؛ فأصحاب الألباب هم الذين يعرفون ما في هذه الأشياء الأربعة من الآيات العظيمة: خلق السموات، خلق الأرض، اختلاف الليل، اختلاف النهار .

ثم بين الله تعالى ما يتصف به هؤلاء فقال: ((**الذين يذكرون الله**)) وهذه صفة مبينة, يعني لنا أن نجعلها عطف بيان ولنا أن نجعلها صفة مبينة لحالهم: ((**الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم**)) يعني يذكرون الله على كل حال، ((**قياما**)) وهي أعلى ما يكون الجسد قائما,

((**وقعودا**)) وهي مرتبة بين القيام والاضطجاع؛ والثالثة: ((**على جنوبهم**)) يذكرون الله بأي شيء؟ يذكرون الله سبحانه وتعالى بالتأمل في هذه المخلوقات؛ كلما رأوا شيئا استدلوا به على كمال حكمة الله وقدرته وعلمه وهذا ذكر؛ يذكرون الله بألسنتهم بالتهليل والتسبيح والتكبير وقراءة القرآن وغير ذلك؛ يذكرون الله بجوارحهم بالقيام والركوع والسجود في الصلاة بالطواف بالبيت بالوقوف بمزدلفة بالوقوف بعرفة بالوقوف بمنى برمي الجمار, كل عبادة تتعبد لله تعالى وهي عبادة فعلية فهي من ذكر الله, لأنك تريد بها وجه الله, وبذلك تكون ذاكرا له؛ طيب وقوله: ((**وعلى جنوبهم**)) نعم يذكرون الله على جنوبهم بالقلوب والجوارح, لقول النبي صلى الله عليه وسلم لعمران بن حصين: (**صل قائما فإن لم تستطع فقاعدا فإن لم تستطع فعلى جنب**) .

((**ويتفكرون في خلق السموات والأرض**)) يتفكرون: التفكر إعمال الفكر, يعني إعمال المخ, كما يقولون: يفكر, ((**في خلق السموات والأرض**)) لأي شيء خلقت, وكيف خلقت, وكيف رفعت السماء, وكيف سطحت الأرض, وما أشبه ذلك؛ المهم أنهم يعملون أفكارهم, ثم يتفكرون هل هذه السموات والأرض خلقت نفسها أم كانت مخلوقة ؟ يستنتجون بهذا التفكير أن السموات والأرض كانتا مخلوقتان؛ لأنهم بالتفكير يطلعون على ما لا يطلع عليه غيرهم.

وقوله: ((**ربنا ما خلقت**)) هذه الجملة مقول لقول محذوف, يعني يقولون: ربنا ما خلقت هذا باطلا, يعني بعد أن يتفكروا في خلق السموات والأرض تحصل لهم هذه النتيجة المباركة: ((**ربنا ما خلقت هذا باطلا**)) قوله: ((**ما خلقت**)) هذه نافية؛ وقوله: ((**باطلا**)) حال لازمة لو حذفت لفسد الكلام؛ وعلى هذا فتكون لازمة؛ والقاعدة في الحال اللازمة هي التي لو حذفت لفسد الكلام؛ طيب لو حذفت: ((**باطلا**)) لكان اللفظ ؟ ربنا ما خلقت هذا, مع أنه خلقه؛ وكم من جملة حالية أو مفرد حال صار لابد منه في الكلام, وتسمى هذه حال اللازم.

وقوله: ((**ربنا ما خلقت هذا باطلا**)) يعني: يا ربنا, فهو منادى منصوب بياء نداء المحذوفة؛ ((**سبحانك**)) سبحان: اسم مصدر منصوب على المفعولية المطلقة وعامله محذوف؛ والتقدير من حيث المعنى: نسبحك تسبيحك أي ننزهك تنزيهك اللائق بك؛ وأصل التسبيح التنزيه والإبعاد عن السوء, ومنه قولهم: سبح فلان يعني أبعد؛ ونزل في الماء ليسبح؛

وقوله: ((**سبحانك**)) أي تنزيها لك أن تخلق هذه السموات والأرض باطلا؛ وقد بين الله في آية أخرى أن من ظن أن الله خلق شيئا باطلا فقد أخذ بظن من ؟ بظن الكفار؛ ما الدليل ؟ ((**وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار**)) ولهذا قال: ((**فقنا عذاب النار**)) الفاء هذه مفرعة للجملة الثانية عن الأولى.

وق: فعل أمر مكون من حرف واحد لأنه فعل ناقص وأوله حرف علة, والفعل الثلاثي الناقص الذي أوله حرف علة يكون عند الأمر أو الجزم على حرف واحد فتقول: ق: مأخوذة من وقى، ع: من وعى، د: من الدية من ودى؛ ولها أمثلة كثيرة ذكرها الخضري رحمه الله في حاشيته على شرح ابن عقيل على الألفية؛ وهذه الحاشية أعني شرح الخضري على شرح ابن عقيل من أحسن الحواشي التي كتب على شروح ألفية ابن مالك, لأنه متأخر, وجمع أقوال من سبقه, وله تحرير جيد في بعض الأشياء التي يحررها, فأشير بها على كل من أراد أن يقرأ ألفية ابن مالك وشرحها لابن عقيل, فإن هذه الحاشية مفيدة, وقد ذكر عدة أمثلة للفعل الثلاثي المبدوء بحرف علة المختوم بحرف علة بأنه تحذف منه العلتان؛ النحويون يقولون: ما أوله حرف علة فهو مثال, وما وسطه حرف علة فهو أجوف, وما آخره حرف علة فهو ناقص أو مقصور كذا ؟ نعم.

((**فقنا عذاب النار**)) قنا مأخوذ من الوقاية, أي قنا عذاب النار بما تشاء, إما بعدم إدخالها يعني أن لا ندخلها أصلا أو بإخراجنا منها بالشفاعة, لأن المؤمن الفاسق يستحق دخول النار على فسقه ثم بعد ذلك يخرج منها, وقد يعفو الله عنه؛ لقوله تعالى: ((**إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء**)) .

نذكر فوائد هاتين الآيتين ، من فوائد الآية الأولى: الحث على تدبر خلق السموات .

طيب فوائد الآية التي قبل هاتين؛ من فوائد قوله تعالى: ((**لله ملك السموات والأرض**)) أن ملك السموات والأرض خاص بالله عزوجل؛ ووجهه ؟ تقديم الخبر, والقاعدة أنه إذا قدم ما حقه التأخير كان ذلك دليلا على الحصر .

ومن فوائدها: أن الملك المطلق لله وحده؛ لأنه قدم الخبر على المبتدأ في قوله: ((**ولله ملك**)) وتقييدنا الملك بالمطلق ينفي توهم التعارض بين قوله تعالى: ((**ولله ملك السموات**)) حيث حصر الملك له وحده وقوله تعالى: ((**إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم**)) وقوله: ((**أو ما ملكتم مفاتحكم أو صديقكم**)) ووجهه أن الملك المضاف إلى المخلوق ملك مقيد ليس ملكا مطلقا, ودليل هذا أن هذا المالك من المخلوق لو أراد أن يتصرف بماله على خلاف ما جاءت به الشريعة كان ممنوعا من هذا ولا يملكه، والله جل وعلا يملك ملكا عاما شاملا يستغني به عن غيره .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: الإشارة إلى أنه لا يجوز للإنسان أن يتصرف في ملكه إلا على حسب إذن الشارع؛ لأن كون الملك لله يدل على أن تصرفنا فيه إنما يكون بطريق الوكالة, يتقيد بما أذن له؛ ولهذا لو وكلت شخصا على بيع بيت لم يملك أن يؤجره, لأنه إنما وكل على البيع فقط وهو المالك, والمالك الذي يملك البيت لم يأذن له في التأجير, إنما أذن له بالبيع؛ فنحن باعتبار ما ملكت أيماننا لا نملكها ملكا مطلقا نتصرف فيها كيف شئنا, وإنما تملكنا لها تملك مقيد .

ومن فوائد الآية الكريمة: أن الشيء العام للخلق ليس ملكا لأحد، الذي أخرجه الله عزوجل وليس من صنع إنسان فهو غير ملك لأحد إلا من سبق إليه بمقتضى النصوص الشرعية؛ ووجه ذلك أن الله جعل السموات والأرض ملكهما لمن ؟ له؛ فإذا كان له فإنك لا تملك شيئا من أرضه إلا على الوجه الذي أذن فيه .

ومن فوائد الآية الكريمة: عموم قدرة الله عزوجل؛ لقوله: ((**والله على كل شيء قدير**)) وأنت إذا قرأت هذه الآية وطبقتها على ما يورده بعض أهل الباطل من التشكيك في الشريعة فإنك تستريح، مثلا يقول بعض الملحدين الذين لا يؤمنون باليوم الآخر يقول: كيف يعود الإنسان إنسانا بعد أن كان ترابا ؟ وجوابنا على هذا سهل أن نقول: إن هذا من قدرة الله ((**والله على كل شيء قدير**)).

ومن فوائدها: أن من آمن بهذا أي بأن الله على كل شيء قدير فإنه يطرد عنه اليأس؛ كيف ذلك ؟ لأن الإنسان قد يصاب بمرض فييئس من برئه بعد العلاج فيقال له: لا تيئس ((**إن الله على كل شيء قدير**)) وأنت إذا أراد الله أن يبقى المرض بك فقد يكون خيرا لك, لأنك تكسب من وراءه الثواب من الله عزوجل: (**فإنه لا يصب المؤمن من هم ولا غم ولا أذى حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله له به**) يعني من ذنوبه, فأنت لا تيئس إذا أصابك مرض لا يرجى زواله مثلا, لا تيئس فإن الله على كل شيء قدير .

ومن فوائدها: أن ما أخبر الله عن نفسه من الأمور التي يستبعدها العقل فإنها حق؛ لأن الله على كل شيء قدير؛ واضح يا جماعة ؟ فمثلا لو قال: كيف ينزل إلى السماء الدنيا وهو على العرش ؟ فنقول له: الله على كل شيء قدير, وليس لك أن تعارض ما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ربه في أحاديث متواترة بمجرد وهم .

ثم قال: ((**إن في خلق السموات والأرض** ...))

من فوائد هذه الآية الكريمة: الحث على التأمل في خلق السموات والأرض؛ لأن الله ذكر أن فيهما آيات, والآيات هي العلامة, وكلما ازدادت الآيات وضوحا ازداد الإيمان قوة .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: النظر إلى خلق السموات والأرض على الوجوه التي ذكرناها في التفسير، من حيث ذواتهما ومنافعهما وما فيهما من الخير والمصالح حتى لا يذهب ذاهب إلى أنها خلقت عبثا.

ومن فوائد هذه الآية الكريمة أيضا: الإشارة إلى اختلاف الليل والنهار من رخاء إلى شدة وبالعكس؛ ومن حرب إلى سلم، ومن عز إلى ذل، ومن فقر إلى غنى, وبالعكس في هذه الأمور.

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: الثناء على أصحاب العقول؛ لأن الله جعل هذا الاختلاف آية لمن ؟ لذوي العقول؛ أما من لا عقل له فإنه لا ينتفع بهذه الآيات ولا يعتبر بها, وتمر عليه وكأنها مظاهر طبيعية لا علاقة لفعل الله تعالى بها؛ وهذا . والعياذ بالله . من الطمس على القلوب وعمى الأبصار؛ لأن هذا الكون المنظم على هذا النظام البديع لا يمكن أبدا أن يقع إلا من رب حكيم عزوجل, ولا يمكن أن يقع من فاعل على وجه السفه أبدا .

ومن فوائد الآية الكريمة: أن الرب عزوجل أظهر آياته لخلقه مع أن مجرد الإيمان بأن الله تعالى حي موجود يكفي, لكن كلما تعددت الأدلة والآيات ازداد الشيء يقينا؛ ودليل هذا أن ابراهيم قال لله عزوجل: ((**رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي**)) فالإنسان قد يكون مؤمنا ولا إشكال عنده في الأمر لكن يحتاج إلى من يطمئنه .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: الثناء على العقل؛ وهو عقل الرشد أو عقل التكليف ؟ عقل لرشد؛ لقوله عزوجل: ((**لآيات لأولي الألباب**)) .

ومن فوائدها: أنه كلما كان الإنسان أعقل كان بالله وآياته أعلم؛ لقوله: ((**إن في ذلك لآيات لأولي الألباب**)) والحكم المعلق على وصف يثبت بثبوته ويعدم بعدمه؛ فإذا كان أصحاب العقول هم الذين ينتفعون بهذه المخلوقات ويستدلون بها على الخالق عزوجل وعلى ما له من صفات الكمال فإن من عقله عقل بهيمي لا ينتفع بهذه الآيات لأنه ليس من ذوي الألباب .

فإن قال قائل: العقول هبة من الله عزوجل, فكيف يذم الإنسان على فقدها أو يمدح على وجودها ؟

فالجواب: أن عقل الرشد نوعان: عقل غريزي وعقل اكتسابي أو كسبي؛ فالعقل الغريزي لا يحتاج إلى التأمل والتفكر؛ وأما المكتسب فإنه يحتاج إلى تأمل ونظر وتفكر لأنه كلما ازداد تفكره ازداد إيمانه ويقينه ورشده .

هل يؤخذ من الآية الكريمة الثناء على ذوي العقول ؟ نعم؛ لأن الله جعل هذه الآيات نافعة لمن ؟ لهم لأولي العقول؛ وعلى هذا فينبغي لك أن تكرس جهودك على التأمل المبني على العقل حتى يكون عندك عقل غريزي وعقل مكتسب .

ثم قال الله عزوجل: ((**الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم** ...)) انتهى الوقت ؟ طيب.

السائل: شيخ قول لله عزوجل: ((**إن الله على كل شيء قدير**)) يقيد بعض العلماء القدرة بما يتعلق بالممكن فهل هذا الإمكان هو الإمكان العقلي أو الإمكان الواقعي ؟

الشيخ: لا، العقلي، الواقعي قد يكون الشيء غير ممكن وقوعا لوجود الموانع لكنه عقلا ممكن .

السائل: ما معنى قول النحاة: أن هذا فضلة ؟

الشيخ: المراد بالفضلة ما تستغني عنه أركان الجملة .

الطالب: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ((**إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته وما للظالمين من أنصار ربنا إننا سمعنا مناديا ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيآتنا وتوفنا مع الأبرار ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيمة إنك لا تخلف الميعاد**)) .

الشيخ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم؛ قال الله تعالى: ((**إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب**)) من هنا نبدأ درس جديد ؟

الطالب: مناقشة,

الشيخ: أي نعم مناقشة.

الشيخ: أين خبر إن في قوله: ((**إن في خلق السموات والأرض**)) ؟

الطالب: ((**لآيات**))؛

الشيخ: ((**لآيات**)) كيف تكون خبرها وهي بالكسرة ؟

الطالب: منصوب بإن ... ؛

الشيخ: صحيح ؟ سبحان الله, اسم إن مؤخر منصوب, كيف خبرا مؤخرا.

على كل حال هو أجاب بالصواب أن ((**آيات**)) اسم إن .

الشيخ: قوله: ((**الذين يذكرون الله قياما وقعودا**)) محله من الإعراب يا خالد ((**الذين**)) ؟ ... ولا تصح صفة ؟ تصح صفة .

الشيخ: قوله: ((**قياما**)) منصوبة على أي شيء يا يوسف ؟

الطالب: على الحال؛

الشيخ: من أين ؟

الطالب: يعني: هذا كونه قياما؛

الشيخ: أين صاحب الحال ؟، الحال تحتاج إلى صاحب أين صاحب الحال ؟

الشيخ: من واو الجماعة في: ((**يذكرون**))

الشيخ: تمام .

الشيخ: قوله: ((**ويتفكرون في خلق السموات**)) محل الجملة من الإعراب ؟

الطالب: معطوفة؛

الشيخ: على أي شيء ؟ على يذكرون,

الشيخ: ما محلها من الإعراب ؟

الطالب: لا محل لها من الإعراب صلة الموصول؛

الشيخ: هذه لا محل لها من الإعراب يا عبد الرحمن, لأنها معطوفة على صلة الموصول, وصلة الموصول ليس لها محل من الإعراب .

الشيخ: قوله: ((**ربنا ما خلقت هذا باطلا**)) ما محلها من الإعراب يا عبيد الله ؟ مقول القول محذوف .

قال الله سبحانه وتعالى: ((**لأولي الألباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا** ...))

يستفاد من الآية الكريمة: أن ذكر الله عزوجل من لوازم العقل ومقتضياته؛ لقوله: ((**لأولي الألباب الذين يذكرون الله**)) .

ومن فوائدها: فضيلة إدامة الذكر، ذكر الله عزوجل على كل حال؛ لقوله: ((**الذين يذكرون الله قياما وقعودا**)) وكان أبلغ من وفى بهذا حقه رسول الله صلى الله عليه وسلم، قالت عائشة رضي الله عنها: (**كان النبي صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل أحيانه**) .

ومن فوائدها: جواز ذكر الله تعالى للجنب، أي: أنه يجوز للجنب أن يذكر الله؛ لدخوله في العموم: ((**يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم**)) .

ومن فوائدها: أن ذكر الله في حال كون الإنسان على جنب لا يعد استهانة بالذكر, وكذلك قراءة القرآن إذا قرأتها على جنب؛ وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم: (**كان يقرأ القرآن متكئا في حجر عائشة وهي حائض رضي الله عنها**).

ومن فوائد الآية الكريمة: فضيلة التفكر في خلق السموات والأرض؛ لقوله: ((**ويتفكرون في خلق السموات والأرض**)) ولكن التفكر المقرون بقول: ((**ربنا ما خلقت هذا باطلا**))؛ لا التفكر الذي يراد به الاطلاع على العلم المادي فقط في خلق السموات, لأن هذا التفكر وإن كان يفيد الإنسان في الدنيا لكنه لا يفيده في الآخرة؛ لابد أن يكون التفكر هذا منتجا هذا القول والإقرار: ((**ربنا ما خلقت هذا باطلا**)).

ومن فوائد الآية الكريمة: أنه إذا أثني على المتفكرين في الخلق فالمتفكرين في الشرع من باب أولى؛ لأن الشرع ليس أمرا محسوسا؛ فالتفكر فيه أبلغ في الإيمان من التفكر في الخلق؛ الخلق أمر محسوس كل إنسان يدركه, لكن حكم وأسرار الشرائع ليس كل أحد يدركها .

ومن فوائد هذه الآية: التوسل إلى الله تعالى بالربوبية حال الدعاء؛ وأكثر ما يكون التوسل به من أسماء الله في الدعاء هو الربوبية؛ لأن الربوبية بها الخلق والملك والتدبير؛ فلهذا نجد أن أكثر ما يدعى به الربوبية، اسم الربوبية أو وصف الربوبية .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: انتفاء الباطل في خلق الله نفيا مطلقا؛ من أين يؤخذ ؟ من قوله: ((**ما خلقت هذا باطلا**)) وإذا انتفى الباطل نفيا مطلقا ثبت الحق، كما قال الله تعالى: ((**وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما إلا بالحق**)) .

ومن فوائدها: إثبات ما أثبته أهل السنة من أن من صفات الله ما هو منفي أو ما هو سلبي؛ لقوله: ((**ربنا ما خلقت هذا باطلا**))؛ والقاعدة عند أهل السنة أن الصفات المنفية لا يراد بها مجرد النفي, وإنما يراد بها النفي مع إثبات كمال الضد.

الشيخ: ومن فوائدها: إثبات ما أثبته أهل السنة من أن من صفات الله ما هو منفي أو ما هو سلبي؛ لقوله: ((**ربنا ما خلقت هذا باطلا**))؛ والقاعدة عند أهل السنة أن الصفات المنفية لا يراد بها مجرد النفي, وإنما يراد بها النفي مع إثبات كمال الضد, لأنه لثبوت الكمال الضد انتفى هذا الوصف.

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: الإقرار من هؤلاء العقلاء بأن الله هو الخالق: ((**ربنا ما خلقت هذا باطلا**)) وهو من تقرير توحيد الربوبية .

ومن فوائد الآية الكريمة: إثبات الحكمة في أفعال الله؛ لقوله: ((**ربنا ما خلقت هذا باطلا**)) لأنه لو خلقها باطلا لانتفت الحكمة, فإذا انتفى الباطل ثبتت الحكمة؛ وهذا هو الذي عليه أهل السنة والجماعة أن أفعال الله وشرائع الله كلها لحكمة, ليس فيها شيء عبثا إطلاقا؛ وما خفيت علينا حكمته فهو لقصور أفهامنا وليس لانتفاء الحكمة فيه؛ عرفتم هذا ؟ لأن الله قال: ((**وما أوتيتم من العلم إلا قليلا**)) ونحن نؤمن بأن الله عزوجل لا يحكم بشيء حكما كونيا ولا قدريا إلا لحكمة.

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: تنزيه الله عزوجل عن كل عيب ونقص؛ مأخوذة من قوله: ((**سبحانك**)) والذي ينزه الله عنه شيئان: النقص؛ والثاني ؟ النقص والعيب هو العيب؛ مماثلة المخلوقين حتى فيما هو كمال في المخلوقين فإن الله منزه عن مماثلتهم، قال الله تعالى: ((**ليس كمثله شيء**)) وقال تعالى: ((**وما مسنا من لغوب**)) فكل نقص قد تعالى الله عنه .

ومن فوائد الآية الكريمة: أن صفوة الخلق محتاجون إلى الدعاء للوقاية من النار؛ لقولهم: ((**سبحانك فقنا عذاب النار**)) .

ومن فوائدها: إثبات التوسل في الدعاء بصفات الله؛ من قوله: ((**فقنا**)) لأنه بنوا فقنا على قولهم: ((**سبحانك فقنا**)) يعني أننا نتوسل إلى الله عزوجل بتنزهه عن النقص أن يقينا عذاب النار لأننا نحن مؤمنون, يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ويقرون بأنها خلقت بالحق وللحق, وينزهون الله عزوجل عن كل نقص وعيب, وينبني على ذلك أنهم جعلوا ذلك وسيلة لوقاية الله تعالى إياهم من النار: ((**سبحانك فقنا**)) لأنه من المعروف في اللغة العربية أن الفاء تدل على أيش ؟ تفرع ما بعدها على ما قبلها .

ومن فوائد الآية الكريمة: إثبات النار، وهي دار المجرمين والعصاة والظالمين والكفرة؛ لقوله: ((**فقنا عذاب النار**)) .

في الآية كلمتان لا يجوز فصل إحداهما عن الأخرى أين هما ؟ كلمتان لا يجوز فصل إحداهما عن الأخرى ؟ ((**ما خلقت هذا باطلا**)) لو قلت: ((**ربنا ما خلقت هذا**)) وسكت أوهم معنى فاسدا؛ ولهذا يجب الوصل: ((

ربنا ما خلقت هذا باطلا)) مثل: ((**يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى**)) لابد أن تصل تقول: ((**لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى**)) لو قلت: ((**لا تقربوا الصلاة**)) فقط فسد المعنى؛ ومثل: ((**فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون**)) لابد أن تصل فتقول: ((**الذين عن صلاتهم ساهون**)) وذلك لأنك لو سكت لأوهم أن الوعيد لمن ؟ لمن يصلي .

نحن أعربنا: ((**باطلا**)) ؟

الطالب: نعم حال؛

الشيخ: حال من ؟ من ((**هذا**)) ؟ من هذا ((**هذا باطلا**)) ويجوز أن يكون صفة لمصدر محذوف أي: خلقا باطلا .

ثم قال الله عزوجل: ((**ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته وما للظالمين من أنصار**)) هذه الآية كالتعليل للدعاء السابق: ((**فقنا عذاب النار**)) لأن من أدخلته النار فقد أخزيته؛ ((**ربنا**)) هذه منادى حذفت منها ياء النداء والتقدير: يا ربنا؛ ((**إنك من تدخل النار**)) إن واسمها في: ((**إنك**)) والجملة شرطية: ((**من تدخل النار فقد أخزيته**)) في محل رفع خبر إن؛ ((**وما للظالمين من أنصار**)) مبتدأ وخبر، الخبر مقدم والأنصار مؤخر, وهو مجرور بمن الزائدة: ((**من أنصار**)) والتقدير: وما للظالمين أنصار؛ هذا إعراب الآية .

يقول هؤلاء السادة العقلاء: ((**ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته**)) من يشمل العصاة والكفار؛ فالعصاة مستحقون لدخول النار, وإذا أدخلوا النار فإنهم غير مظلومين لأنهم مستحقون لذلك؛ والكفار مستحقون لدخولها على وجه التأبيد والتخليد؛ وكل منهم إذا أدخل النار فقد أخزاه الله أمام العالم, أي فضحه وهتك سره .

وقوله: ((**وما للظالمين من أنصار**)) هنا إظهار في موضع الإضمار, إذ مقتضى السياق أن يقول: وما لهم من أنصار؛ ولكنه أظهر في موضع الإضمار لفائدتين؛ الفائدة الأولى: أن هؤلاء مستحقون لهذا الوصف, أعني الذين يدخلوا النار مستحقون لهذا الوصف, أي وصفهم بالظلم؛ والثاني: العموم أن كل ظالم حتى وإن لم يدخل النار, إذا أراد الله أن يعاقبه فإنه لن يجد من ينصره؛ وفيه فائدة ثالثة وهي: إثبات العلة في الحكم؛ لو قال: وما لهم من أنصار ما تبين لم يتبين لنا أن السبب بأنهم ظلموا أنفسهم؛ فإذا وصفهم بهذا فكأنه بين الحكم بعلته؛ وقوله: ((**من أنصار**)) يعني من أعوان, لأن ناصر بمعنى المعين؛ وسواء كان العون في دفعهم أو في تخليصهم؛ فلا أحد ينصرهم عند إدخالهم فيمنعهم ولا أحد ينصرهم إذا سقطوا فيها فيخرجهم، قال الله تعالى: ((**من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه**)) .

من فوائد هذه الآية الكريمة أولا: فقه هؤلاء السادة من أولي الألباب، حيث بينوا سبب دعائهم أن يقيهم الله من النار، وأن سبب ذلك هو أن النار دار الخزي . والعياذ بالله . ((**ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته**)) .

ومن فوائدها: إثبات النار؛ لقوله: ((**من تدخل النار**)) .

ومن فوائدها: أنه لا نصير للظالم؛ وذلك في الآخرة؛ أما في الدنيا فقد ينصر الظالم ولكن تدور عليه الدوائر؛ لكن في الآخرة لا أحد ينصره .

ومن فوائد هذه الآية: أن الظلم سبب لدخول النار؛ لقوله: ((**وما للظالمين من أنصار**)) بعد قولهم: ((**ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته**)) .

ثم قال: ((**ربنا إننا سمعنا مناديا ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا** ...))

نقول في: ((**ربنا إننا سمعنا**)) مثل ما قلنا في: ((**ربنا إنك من تدخل النار**)) أو: ((**ربنا ما خلقت هذا باطلا**)) أي: أنها منادى حذفت منها ياء النداء؛ ((**إننا سمعنا مناديا ينادي للإيمان**)) جملة: ((**ينادي للإيمان**)) صفة لقوله: ((**مناديا**)) لكن فائدتها أنها بينت ماذا ينادي له؛ وذلك أن المنادي قد يكون ينادي لكذا ولكذا فبينت ماذا ينادي له؛ فهي إذا صفة لـ ((**مناديا**)).

وقوله: ((**أن آمنوا بربكم**)) أن هذه تفسيرية لأنها جاءت بعد الجملة تتضمن القول دون حروفه, وكل أن تقع بعد جملة تتضمن معنى القول دون حروفه فإنها تسمى تفسيرية أي بمعنى أي؛ ومنه قوله تعالى: ((**وأوحينا إليه أن اصنع الفلك**)) يعني أي: اصنع الفلك, فأن هنا تفسيرية .

وقوله: ((**ربنا فاغفر لنا**)) الفاء هذه عاطفة ولكنها تفيد السببية لأنها عطفت جملة على جملة؛ وقوله: ((**سيئاتنا**)) بالكسر مع أنها مفعول به لأنها جمع مؤنث سالم .

وقوله: ((**مع الأبرار**)) ظرف ولكن هنا المراد بالظرف أو المراد بالمعية المعية الحكمية لا الزمنية, لأن أموات الأبرار تختلف أو ميتات الأبرار تختلف .

يقول: ((**ربنا إننا سمعنا مناديا**)) قالوا ذلك تحدثا بنعمة الله على ما أنعم به من إرسال هذا المنادي؛ وقولهم: ((**سمعنا مناديا ينادي للإيمان**)) هذا المنادي يراد المنادي أصله المصوت, معناها اللفظي المصوت لأن النداء هو رفع الصوت؛ ولكن المراد به محمد صلى الله عليه وسلم؛ وسماعهم له يقع على وجهين؛ أحدهما: أن يسمعوا صوته مباشرة بدون واسطة؛ والثاني: أن يسمعوا من غيره ما جاء به، يسمعوه من ورثته وهم العلماء، هم العلماء؛ وكل هذا داخل في الآية يعني السماع المباشر الذين سمعوا من صوته, والسماع غير المباشر والذي سمعوه بالواسطة من ورثته وهم العلماء .

وقوله: ((**ينادي للإيمان**)) قد يقول قائل: أن المتوقع أن يقال: إلى الإيمان ؟ أن يقال: ينادي إليه, ولكنه أتى باللام لأن اللام ألصق من إلى؛ إذ أن إلى تفيد الغاية, والغاية لابد لها من مغيا, والمغيا طرف فهو مؤذن بالبعد؛ أما للإيمان فهي للإلصاق, ألصق من إلى .

وقوله: ((**للإيمان أن آمنوا بربكم**)) هذا بيان للإيمان الذي دعا إليه الرسول صلى الله عليه وسلم، ((**أن آمنوا بربكم فآمنا**)) الإيمان بالله عزوجل هو: الإقرار المتضمن للقبول والإذعان, وليس مجرد الإقرار؛ لو كان الإيمان مجرد الإقرار لكان أبو طالب مؤمنا لأنه مقر؛ ولكنه لا يكون إيمانا حتى يتضمن القبول والإذعان يعني الانقياد؛ فأما إذا لم يقبل أو قبل ولم يذعن فإنه ليس بمؤمن .

وقوله هنا: ((**أن آمنوا بربكم**)) قد يقول قائل: هل الإيمان يقتصر على ركن واحد وهو الإيمان بالله ؟ فالجواب: أن من آمن بالله آمن بكل ما أخبر الله به؛ ومنه بقية الأصول الستة: ملائكة الله، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره؛ فعلى هذا يكون الإيمان بالله متضمنا للإيمان ببقية أركان الإيمان, ويكون ذكرها أحيانا مفصلة من باب التفصيل والبيان, وليس من باب التخصيص, فإن الإيمان بالله يتضمن هذا كله، ((**أن آمنوا بربكم فآمنا**)) يعني أقررنا بذلك مع الانقياد, مع القبول والإذعان .

((**ربنا فاغفر لنا**)) أي بسبب إيماننا اغفر لنا ذنوبنا؛ والمغفرة هي ستر الذنب والتجاوز عنه؛ وإنما نقول: إنها ستر وتجاوز لأنها مأخوذة من المغفر وهو ما يلبس على الرأس من الحديد الذي يقي السهام؛ ومعلوم أن هذا المغفر فيه ستر وفيه وقاية؛ فمن قال من العلماء: المغفرة الستر فإن تفسيره لها ناقص؛ بل لابد أن يقال: الستر مع الوقاية.

وقوله: ((**اغفر لنا ذنوبنا**)) الذنوب هي المعاصي, وأصلها النصيب كما قال تعالى: ((**فإن للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب أصحابهم**)) أي نصيبا مثل نصيب أصحابهم, ولكنها خصت بالنصيب من الآثام . والعياذ بالله . .

وقوله: ((**وكفر عنا سيئاتنا**)) السيئات طلبوا تكفيرها والذنوب طلبوا مغفرتها؛ لأن السيئات هي الصغائر تكفر بماذا ؟ بالأعمال الصالحة بالطاعات؛ ولا يمكن أن تكفر بالطاعات إلا بعد أن تكون الطاعات على الوجه الأكمل؛ لأن الطاعات إذا نقصت لم تقوى على تكفير السيئات, إذ أن الإنسان قد يفعل الطاعة ولا يحصل له منها إلا إبراء الذمة فقط, لكن لا تقوى على التكفير حتى تكون تامة بقدر المستطاع؛ ولهذا قالوا: كفر عنا سيئاتنا بما نفعله من الأعمال الصالحة.

ثم اعلم أن تكفير السيئات قد يكون معينا من قبل الشرع, أي ما يكفر به قد يكون معينا من قبل الشرع مثل كفارة الظهار، كفارة القتل، كفارة الجماع في نهار رمضان, هذا مقيد في الشرع؛ وقد يكون عاما كتكفير السيئات

عموما بالصلاة، بالوضوء، بالجمعة إلى الجمعة، برمضان إلى رمضان، العمرة إلى العمرة؛ فالتكفير إما مقيد وإما مطلق عام .

((**وتوفنا مع الأبرار**)) توفنا: يعني اقبضنا إليك, والتوفية بمعنى القبض, ومنه قولهم: توفى فلان حقه أي قبضه وافيا, وقولهم: ((**مع الأبرار**)) المعية هنا ليست معية زمنية لتعذر اجتماع وفات الأبرار في آن واحد؛ لكنها معية حكمية، مصاحبة حكمية, يعني أن نكون معهم أي في جملتهم ولو كنا بعدهم, وليست معية مصاحبة, لا, لاختلاف الأزمان بين موت الأبرار بعضهم مع بعض؛ والأبرار جمع بر, والبر هو كثير الخيرات، قال الله تعالى: ((**إنا كنا من قبل ندعوه إنه هو البر الرحيم**)) وأهل الحق والأعمال الصالحة لاشك أنهم كثيرو فعل الخير وأنهم أبرار .

من فوائد هذه الآية الكريمة: أنه ينبغي للإنسان أن يعترف بنعمة الله عليه غير مان بها على ربه؛ لقولهم: ((**ربنا إننا سمعنا مناديا ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا**)) .

ومن فوائدها: أن دعوة النبي صلى الله عليه وسلم دعوة إلى الإيمان: ((**ينادي للإيمان**)).

ومن فوائدها: بيان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بذل الجهد في دعوة الخلق إلى الحق؛ لأن النداء يكون برفع الصوت, فكأن الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو الناس بأعلى صوته يناديهم للإيمان .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن الكلمات قد يستغنى بمضمونها عن تفصيلها؛ لقوله: ((**ربنا إننا آمنا**)) أي بكل شيء يجب الإيمان به؛ فكل ما أخبر الله به فإذا صدقنا به وأقررنا به فهو داخل في الإيمان بالله عزوجل .

ومن فوائد الآية الكريمة: الإشارة إلى بيان العلة؛ لقوله: ((**أن آمنوا بربكم**)) فالرب أهل لأن يؤمن به الإنسان لأنه رب خالق مالك مدبر, فهو جدير بأن يؤمن به العبد .

ومن فوائد الآية الكريمة: أن ذكر الإنسان لعمله الصالح لا يحبطه؛ فإذا قال: أمرني ربي بالصلاة فصليت أو بالزكاة فزكيت أو بالحج فحججت فإن هذا لا يبطل العمل؛ لأنهم قالوا: ((**أن آمنوا بربكم فآمنا**)).

ومن فوائد الآية الكريمة: جواز التوسل في الدعاء بالأعمال الصالحة؛ لقولهم: ((**فاغفر لنا ذنوبنا**)) عطفا على قولهم: ((**ربنا إننا آمنا**)) والتوسل بالأعمال الصالحة مما ثبت بالسنة أيضا، في قصة الثلاثة الذين انطبق عليهم الغار بصخرة عظيمة لم يستطيعوا زحزحتها، فقال بعضهم لبعض: إنه لا ينجيكم من ذلك إلا أن تتوسلوا إلى الله بصالح أعمالكم؛ فتوسل كل منهم بصالح عمله؛ فلما دعى الأول وتوسل بصالح العمل انفرجت الصخرة قليلا, ثم الثاني قليلا لكن لا يستطيعون الخروج, ثم الثالث فانفرجت كلها فخرجوا يمشون .

السائل: استدل بعض العلماء في هذه الآية: ((**الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم**)) بأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يذكر الله على كل أحيانه على جواز الذكر في حال الخلاء، استدلالهم متوجه أو فيه نظر ؟

الشيخ: أما من أخذ بالعموم فهو متوجه إلا أن يقوم الدليل على كراهة ذكر الله في الخلاء, وأنا لا أعلم في هذا دليل إلا التعليل فقط، ما فيه إلا التعليل فقط, لأن هذا مكان قذر فينبغي للإنسان أن يتجنب فيه ذكر الله .

السائل: في قوله تعالى: ((**ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته**)) الخوارج يستدلون بهذه الآية بأن من دخل النار فهو منزوع الإيمان لقوله تعالى: ((**يوم لا يخزي الله النبي والذين أمنوا**)) ؟

الشيخ: ليس في هذا دليل؛ لأننا نقول الخزي قد يكون عاما دائما وهذا لأهل النار الذي يستحقونها على الدوام؛ وقد يكون خزيا جزئيا يفضحه ثم بعد ذلك يزول عنه هذا الفضيحة .

السائل: ما المقصود بالظالمين في قوله: ((**وما للظالمين من نصير**)) ؟

الشيخ: المقصود بالظالمين كل ظالم، لا يمكن أن يجد من ينصره في ظلمه، كل ظالم حتى في الدنيا لا يجد من ينصره بظلمه إلا من كان ظالما مثله؛ ... عام, لأننا إذا قلنا: ((**من تدخل النار فقد أخزيته**)) يشمل العصاة والكفار صار: ((**وما للظالمين من نصير**)) صار مثله .

السائل: ما هو حد الكبيرة والصغيرة ؟

الشيخ: ما مرت علينا ؟ قلنا إن الكبيرة أحسن ما قيل فيها هي: ما رتب عليه عقوبة خاصة, سواء كانت العقوبة دنيوية أو دينية، في الدنيا أو في الآخرة؛ هذا أحسن ما قيل فيها وهو الذي ذكره شيخ الإسلام رحمه الله؛ وقال بعضهم: إن الكبيرة ما رتب عليه حد في الدنيا أو وعيد في الآخرة أو لعنة أو غضب أو نفي إيمان أو التبرؤ منه وصاروا يعدون مثل هذا؛ فإذا قلنا: ما رتب عليه عقوبة خاصة صار أشمل؛ ومن المعلوم أن الكبائر بعضها أهون من بعض أو أعظم من بعض؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث أبي بكرة: (**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر**).

... الشيخ: أي نعم يكون هذا من الصغائر, لكنه عند العلماء أن الإصرار على الصغيرة يعتبر كبيرة .

السائل: الدعاء في قوله تعالى: ((**وتوفنا مع الأبرار**)) هل فيه جواز الدعاء بالموت ؟

الشيخ: يعني كأنك تقول في هذا دليل على جواز الدعاء بالموت ؟ لا، ليس كذلك؛ معلوم أن الله سبحانه وتعالى لن يتوفاهم إلا إذا جاء أجلهم, وليس فيه أنهم يتمنون تقديم الوفاة, وهذا نظير قول يوسف عليه الصلاة والسلام: ((**أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين**)) ليس المعنى أنه يسأل الله أن

يتوفاه الآن, بل أن يتوفاه على الإسلام متى جاء أجله؛ وكذلك قول مريم: ((**يا ليتني مت قبل هذا**)) ليس معناه أنها تمنت الموت, بل تمنت أن هذا لم يقع, يعني تقول: يا ليتني مت وأنا ما رأيته هذا معناه .

السائل: في قوله تعالى: ((**وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين**)) هل الإيمان يأتي بمعنى التصديق ؟ الشيخ: الإيمان هنا عدي باللام، عدي باللام لا بالباء؛ فاختلف عن الإيمان المعدى بالباء .

السائل: ما هو الفرق بين تكفير السيئات والمغفرة في قوله: ((**اغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا**)) ؟ الشيخ: المغفرة تكون بفضل الله فقط، بفضل الله مجردا، بمجرد فضل الله أن الله تعالى يغفر للإنسان؛ والتكفير يكون عمل الصالح يكفر السيئات . طلبوا هذا وهذا, لأن الكبائر لا تكفر, تحتاج إلى مغفرة من الله عزوجل, إما مجرد فضل منه سبحانه وتعالى, وإما بعمل أسباب: كالاستغفار والتوبة ترفع حكم هذه الكبائر .

السائل: ما الفرق بين المغفرة والتكفير في اللغة ؟

الشيخ: الشرع بين الفرق بينهما, ويكفي فرق الشرع، وإلا حتى المغفرة في الأصل الستر والكفرة أيضا في الأصل الستر.

السائل: استدل أهل السنة على إثبات الصوت لله سبحانه وتعالى بقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (**ينادي الله بصوت يوم القيمة**) وقالوا: إن المناداة أصلا لا تكون إلا بصوت, وهنا: ((**سمعنا مناديا**)) وكمل تفضلتم أن المناداة تكون بصوت مباشرة وبواسطة أيضا, لاسيما وقد جاء في بعض الروايات أن ملكا هو الذي ينادي, ألا يمكن أن يكون في هذا حجة على أهل السنة ؟

الشيخ: أبدا ولا شيء؛ لأن: ((**سمعنا مناديا ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم**)) يبينه الواقع؛ وإلا لو لم يقل بذلك لم تكن الآية شاملة للأمة كلها لكانت خاصة بالصحابة فقط، وهي شاملة لكل الأمة, فهنا وجدت قرينة تمنع من تخصيصه بالصوت المسموع من الرسول صلى الله عليه وسلم؛ لكن ينادي بصوت الله عزوجل واضح: ((**إن الله يأمركم**)) بهذا اللفظ؛ هل أحد يقول من الخلق: إن الله يأمرك وهو يعني نفسه ؟.

السائل: هل أهل العلم يتحملون بيان الرسالة وهل يثابون عليها ؟

الشيخ: أي نعم لاشك، العالم يعطى من ثواب الرسالة بقدر ما حصل من تبليغها والدعوة إليها .

الطالب: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ((**فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب**)) .

الشيخ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم؛ قال الله تبارك وتعالى: ((**ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار**)) .

موقع قوله: ((**سبحانك**)) مما قبلها في المعنى ؟ لأنه منزه, يعني لم نفوا أن يكون باطلا عقبوه بتنزيهه عما لا يليق به لأنه لو كان خلقها باطلا لكان منافيا لتنزيهه عما لا يليق به .

الشيخ: قوله: ((**ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته**)) في كسر اللام إشكال: ((**من تدخل النار**)) كيف كسر وهو فعل مضارع ؟

الطالب: بسبب التقاء الساكنين .

الشيخ: ما معنى قوله: ((**فقد أخزيته**)) ؟

الطالب: أي فضحته.

الشيخ: فضحته وأذللته .

الشيخ: قوله: ((**وما للظالمين من أنصار**)) في هذا أيش من البلاغة ؟

الطالب: الإظهار في موضع الإضمار؛

الشيخ: طيب ما فائدته هنا ؟

الطالب: التأكيد؛

الشيخ: الإشارة إلى أن من دخل النار فإنه دخلها بظلم نفسه .

الشيخ: من المراد بالمنادي الذي ينادي للإيمان ؟

الطالب: محمد رسول صلى الله عليه وسلم؛

الشيخ: وهل سماعهم إياه بواسطة أو بلا واسطة ؟

الطالب: بواسطة وبلا واسطة؛

الشيخ: فالذين أدركوا عهده بواسطة ؟

الطالب: الذين أدركوا عهده هؤلاء سمعوه بواسطة؛

الشيخ: توافقونه ؟

الطالب: بنفسه؛

الشيخ: أسألك الآن هل هو بواسطة أو بغير واسطة ؟

الطالب: بغير واسطة ونحن بواسطة؛ أحسنت تمام .

الشيخ: قوله: ((أن آمنوا)) أن هذه ؟

الطالب: تفسيرية .

الشيخ: هل للتفسيرية علامة ؟

الطالب: أن تقع في جملة فيها معنى القول دون حروفه

الشيخ: أو بعد جملة فيها معنى القول دون حروف. هل تستطيع أن تأتي بمثال آخر ؟

الطالب: قول الله لموسى: ((**أن اصنع الفلك**))

الشيخ: موسى ما هو الذي صنع الفلك؛ صحيح أنه نوح لكن الآية ليس هكذا؛ ((وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه)) .

الشيخ: قوله: ((**واغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا**)) ما الفرق ؟

الطالب: المغفرة للكبائر والتكفير للصغائر.

الشيخ: دليل هذا ؟ دليل ما ذكرنا أن المغفرة للكبائر والتكفير للصغائر ؟

الطالب: بالنسبة لتكفير السيئات قوله تعالى: ((**إن الحسنات يذهبن السيئات**))

الشيخ: ((**إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه يكفر عنكم سيئاتكم**))؛ طيب, وقفنا على هذا أظن ؟

قال الله عزوجل في جملة دعاء هؤلاء الموفقين أولي الألباب؛ ((**وتوفنا مع الأبرار**)) هل فسرنا هذه الآية ؟ بقيت الفوائد .

هنا يحسن أن نذكر أنواع التوسل؛ التوسل ينقسم إلى قسمين: ممنوع؛ وجائز؛ فالممنوع ما لم يرد به الشرع، ممنوع ما لم يرد به الشرع؛ والجائز ما ورد به الشرع؛ هذا هو الضابط؛ فما لم يدر به الشرع من أنواع التوسل فهو ممنوع مثل: التوسل بجاه الرسول صلى الله عليه وسلم، وهذا يقع كثيرا عند بعض العلماء يقول: أتوسل إليك بجاه نبيك؛ فالتوسل هنا غير مشروع فيكون ممنوعا لأن التوسل جعل الشيء وسيلة, وكون الشيء وسيلة لا يثبت إلا بدليل، لا يثبت إلا بدليل من الشرع؛ وجاه النبي صلى الله عليه وسلم ليس سببا لقبول دعائنا, لأن جاهه عليه الصلاة والسلام مما يختص هو نفسه بفضله؛ أما نحن فليس لنا تعلق فيه. إذا ما هو ضابط الممنوع ؟ ما لم يرد به الشرع؛ ووجه منعه أن من توسل بشيء فقد جعله سببا, والسبب يتوقف ثبوته على دلالة الشرع.

أما الجائز فهو ما جاء به الشرع, وهو أنواع؛ منها التوسل بأسماء الله بأن تقول: اللهم إني أسألك بأسمائك الحسنى؛ ودليله حديث ابن مسعود رضي الله عنه في دعاء الكرب والغم: (**أسألك بكل اسم هو لك سميت به**

نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ...) فهذا توسل بأيش ؟ بأسماء الله, بكل اسم هو لك.

الثاني: التوسل بصفات الله عزوجل؛ ومن ذلك قول النبي عليه الصلاة والسلام: (**اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحييني ما علمت الحياة خيرا لي**) فقوله: بعلمك الغيب هذا توسل لله بصفته؛ ومن ذلك: (**اللهم برحمتك أستغيث**) فإن هذا ليس استغاثة بالرحمة ولكن استغاثة بالله لصفته وهي الرحمة, فإن الرحيم يغيث .

الثالث: التوسل إلى الله بأفعاله؛ والفعل وإن كان من الصفات لكن هو صفة ليست أزلية أبدية؛ ومنه قولنا في التشهد: (**اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد**) فقوله: (**كما صليت على إبراهيم**) المراد بذلك التوسل إلى الله, يعني مثل ما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم فصل على محمد؛ وإذا قلنا بهذا صارت الكاف للتعليل، صارت الكاف للتعليل, وبهذا التقرير يرتفع الإشكال الذي أورده بعض العلماء وقالوا: من المعلوم أن محمدا صلى الله عليه وسلم أفضل من إبراهيم, والقاعدة أن المشبه دون مرتبة المشبه به، وهنا قال: (**صل على محمد كما صليت**)؛ وإذا قلنا بأن الكاف ليست للتشبيه ولكنها للتعليل, وأن هذا من باب التوسل, يعني أننا لا نسألك أمرا غريبا نسألك أمرا فعلته من قبل؛ فإن الإشكال هنا يرتفع ولا يبقى فيها الإشكال . التوسل إلى الله بأسمائه؛ التوسل إلى الله بصفاته؛ التوسل إلى الله بأفعاله.

رابعا: التوسل إلى الله تعالى بالإيمان، بالإيمان به وبرسله؛ ومنه هذه الآية: ((**ربنا إننا سمعنا مناديا ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا**))؛ فجعلوا إيمانهم بذلك وسيلة لسؤال المغفرة: ((**ربنا فاغفر لنا ذنوبنا**)) .

الخامس: التوسل إلى الله عز و جل بالأعمال الصالحة.

الشيخ: والقاعدة أن المشبه دون مرتبة المشبه به، وهنا قال: (**صل على محمد كما صليت**)؛ وإذا قلنا بأن الكاف ليست للتشبيه ولكنها للتعليل, وأن هذا من باب التوسل, يعني أننا لا نسألك أمرا غريبا نسألك أمرا فعلته من قبل؛ فإن الإشكال هنا يرتفع ولا يبقى فيها الإشكال . التوسل إلى الله بأسمائه؛ التوسل إلى الله بصفاته؛ التوسل إلى الله بأفعاله.

رابعا: التوسل إلى الله تعالى بالإيمان، بالإيمان به وبرسله؛ ومنه هذه الآية: ((**ربنا إننا سمعنا مناديا ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا**))؛ فجعلوا إيمانهم بذلك وسيلة لسؤال المغفرة: ((**ربنا فاغفر لنا ذنوبنا**)) .

الخامس: التوسل إلى الله عزوجل بالأعمال الصالحة, ليس بالإيمان بالإعمال الصالحة؛ ومن ذلك قصة أصحاب الغار الثلاثة حين انطبقت عليهم صخرة فسدت فم الغار ولا يستطيعون زحزحتها فقالوا: توسلوا إلى الله بصالح أعمالكم؛ فتوسل أحدهم بكمال بره لوالديه؛ وتوسل الثاني بكمال عفته؛ وتوسل الثالث بكمال أمانته؛ ففرج الله عنهم؛ واضح يا جماعة ؟ نعم .

فإذا قال قائل: التوسل بهذا والذي قبله فيه إشكال, لأنه قد يقول قائل: أليس هذا إدلالا على الله عزوجل وإعجابا وفخرا بالعمل ؟ كأنه يقول: يا رب إني فعلت كذا وفعلت كذا فاغفر لي مثلا.

الجواب: لا؛ بل هذا من باب التذلل لله عزوجل، من باب التذلل له, وأنني يا رب قد ذللت لك وعلمت أنك الملجأ فعبدتك وآمنت بك فأسألك أن تغفر لي مثلا .

السادس: التوسل إلى الله بذكر حال الداعي، التوسل إلى الله بذكر حاله, أن تذكر حالك فتقول: اللهم إني ظلمت نفسي فاغفر لي؛ الأول توسل بعمل صالح وهنا على العكس بالحال؛ ومن ذلك قول موسى: ((**رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير**)) ما ذكر إلا هذا؛ وهذا توسل إلى الله بذكر الحال؛ لأن الإنسان إذا ذكر حاله وأنه مفتقر إلى الله أوجب ذلك له أن يلجأ إلى ربه عزوجل فيكون هذا من أسباب إجابة الدعاء.

السابع: التوسل إلى الله تعالى بدعاء الرجل الصالح؛ ومنه قول عكاشة بن محصن للنبي صلى الله عليه وسلم لما قال: (**إن من أمتي سبعين ألفا يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب**) **قال: ادع الله أن يجعلني منهم؛ فقال:** (**أنت منهم**)؛ ومنه قول الأعرابي: **يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل فادع الله أن يغيثنا فدعا**, ومنه قول عمر للعباس: قم فادع الله؛ فقال: اللهم إنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا.

وهذا النوع السابع ينبغي أن يلاحظ الطالب ما أشار إليه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، يلاحظ أنه إذا طلب منه أن يدعوا له فإنما يقصد بهذا منفعة الداعي وأجره؛ لأن الداعي يؤجر إذا دعا لأخيه؛ وإنما قال ذلك احترازا مما إذا أراد الطالب نفع نفسه فقط، قال: فإن هذا من المسألة المذمومة أن تقول ادع الله لي قصدك منفعة نفسك, لا، قل: أدع الله لي وأن تقصد أن ينتفع هو أيضا بدعائه لك لأنه يؤجر على الإحسان إليك؛ ولأنه إذا دعى لك بظهر الغيب قال الملك: آمين ولك مثله أو ولك بمثله؛ هذا إذا أردت أن تطلب من شخص أن يدعوا لك أنت خاصة؛ أما إذا طلبت منه أن يدعوا للمسلمين عموما فهذا ليس من المسألة المذمومة حتى وإن لم تلاحظ نفعه هو؛ ونظيره لو أنك سألت رجلا درهما لنفسك أو قلت أعطني درهما لفلان الفقير؛ كان الأول ؟ من السؤال المذموم, والثاني ؟ من الإحسان إلى المعطي وإلى المعطى, لأنك تنفع المعطي في الآخرة وتنفع المعطى في الدنيا.

فهذه سبعة أنواع من التوسل كلها جاءت بها السنة، كلها جاءت بها السنة, وهي جائزة لأنها حقيقة سبب من الأسباب, والوسيلة هي أصلا تشبه الوصيلة؛ والسين والصاد يتناوبان كثيرا كما في قوله: ((**اهدنا السراط المستقيم**)) و ((**اهدنا الصراط المستقيم**)) كلاهما قراءتان سبعيتان؛ إذا نأخذ من هذه الآية ((**ربنا اغفر لنا ذنوبنا**)) جواز التوسل بأيش ؟ بالإيمان, واستطردنا بذكر أقسام التوسل .

هل شرك المشركين بآلهتهم من باب التوسل الممنوع أم ماذا ؟

الطالب: شيء آخر,

الشيخ: شيء آخر, نعم ليس من التوسل بل هو عبادة لأنهم يقولون: ((**ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى**)) فهم يقصدون العبادة، يدعون هذه الأصنام ويركعون لها ويسجدون لها وينذرون لها ويذبحون لها, فهو ليس من باب التوسل بل من باب القصد والغاية أن هذه الأصنام تعبد .

من فوائد الآية الكريمة: أن كل أحد محتاج لمغفرة الذنوب؛ لقولهم: ((**فاغفر لنا ذنوبنا**)) فلا تغرنك كثرة الطاعات, فالإنسان كلما كثرت طاعاته فينبغي أن يكون أخوف على نفسه من أن ترد هذه الطاعات ويذهب عمله سدى .

ومن فوائد هذه الآية: التفريق بين المعاصي بعضها ذنوب وبعضها سيئات؛ وهو كقولنا: إنها تنقسم إلى كبائر وصغائر، والكبائر والصغائر تختلف في ذاتها وتختلف فيما بينها, فالكبائر منها كبرى ومنها صغرى، والصغائر منها ما يقرب من الكبائر ومنها ما هو دون ذلك .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: جواز سؤال الموت على طريق أهل الخير؛ لقولهم: ((**وتوفنا مع الأبرار**)) وقد ذكرنا في الدرس الماضي أن هذا ليس من باب الدعاء بالموت العاجل, وإنما هو من باب الدعاء بالموت على صفة مطلوبة, وهي أن يموت على ما مات عليه الأبرار؛ وذكرنا لهذا نظائر, من يستحضر ؟

الطالب: قول مريم: ((**يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا**))

الشيخ: المعنى يا ليتني مت قبل أن أصاب؛

الطالب: وقول يوسف: ((**أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين**))

الشيخ: تمام .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: الثناء على أهل البر والإحسان؛ لقوله: ((**وتوفنا مع الأبرار**)) .

ثم قال: ((**ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيمة**)) انظر إلى التكرار في قوله: ((**ربنا**)) لأنهم يتلذذون بهذا التعبير أن يكون الله ربهم, وإذا كان الله ربهم فهم عبيده؛ وتلذذ الإنسان بعبوديته لله عزوجل دليل على كمال إيمانه؛ لأنه كلما كان الإنسان أذل لله كان أكمل إيمانا؛ ولهذا يكررون ربنا ربنا تلذذا بهذا الاسم الكريم .

وقوله: ((**ربنا وآتنا ما وعدتنا**)) آتنا بمعنى أعطنا بخلاف ائتنا فهي بمعنى جئنا؛ آتى بمعنى أعطى، أتى بمعنى جاء؛ ما المصدر من آتى ؟ إيتاء, قال الله تعالى: ((**وإيتاء ذي القربى**))؛ والمصدر من أتى إتيان.

يقول: ((**وآتنا ما وعدتنا على رسلك**)) ما: هذه موصولة ومحلها من الإعراب مفعول ثاني لآت؛ لأن آت تنصب مفعولين؛ أصلهما ؟

الطالب: من أخوات أعطى,

الشيخ: يعني ليس أصلهما المبتدأ والخبر؛ فالذي ينصب مفعولين إن كان أصلهما المبتدأ والخبر فهو من أخوات ظن، وإن لم يكن أصلهما المبتدأ والخبر فهما من أخوات أعطى وكسا؛ فهذه من أخوات أعطى وكسا .

((**ما وعدتنا على رسلك**)) أي عهدت به إلينا من الثواب الجزيل على أعمالنا؛ وقوله: ((**على رسلك**)) تحتمل معنيين؛ أحدهما: على الإيمان برسلك؛ والثاني: على أيدي رسلك؛ فعبر بالرسل عن أيدي الرسل؛ لأن الذي وعدهم هم الرسل أنفسهم, وعدوا المؤمنين بما وعدهم الله به, ووعدوا المخالفين بما توعدهم الله به .

((**ولا تخزنا يوم القيمة**)) تخزنا: أي تفضحنا وتذلنا؛ ((**يوم القيمة**)) أي يوم يقوم الناس من قبورهم لله عزوجل، وسمي هذا اليوم يوم القيمة لأمور ثلاثة؛ الأول: أنه يقوم الناس فيه من قبورهم لله؛ والثاني: أنه يقام فيه العدل؛ والثالث: أنه يقوم فيه الأشهاد .

وقوله: ((**إنك لا تخلف الميعاد**)) تعليل لسؤالهم, يعني سألناك يا ربنا أن تعطينا هذا لأنك لا تخلف الميعاد يعني الوعد, وإنما انتفى عنه إخلاف الوعد لكمال صدقه وكمال قدرته؛ انتفى عنه خلاف الميعاد لكمال صدقه وكمال قدرته؛ لأن إخلاف الوعد إما أن يكون لكذب الواعد, كميعاد أهل النفاق؛ وإنما أن يكون لعجز الواعد, أي أنه يفي لكن عجز؛ والله عزوجل قد انتفى في حقه الأمران: أعني الكذب والعجز؛ فهو لكمال صدقه وكمال قدرته لا يخلف الميعاد؛ وهذه الصفة من الصفات السلبية، السلبي يعنى بمعنى النفي، من الصفات السلبية.

وقد قررنا غير مرة أن صفات السلبية يراد بها شيئان؛ الأول: انتفاء الصفة التي نفيت؛ والثاني: إثبات كمال ضدها؛ يعني انتفى عنه هذا لكمال ضده هذا معنى؛ فإذا قلت: فلان لا يكذب, فالمعنى أنه كامل الصدق لا يوجد في كلامه كذب؛ ولهذا نقول: إن الصفات المنفية عن الله عزوجل لا يراد بها مجرد النفي وإنما يراد بها إثبات كمال الضد .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أنه ينبغي للداعي أن يكثر من الثناء على الله تعالى بأسمائه وصفاته لأن هذا من وسائل إجابة الدعاء .

ومن فوائد الآية الكريمة: كمال إيمان هؤلاء بوعد الله؛ لقولهم: ((**وآتنا ما وعدتنا**)) إذ لو كان عندهم شك ما سألوا هذا السؤال .

ومن فوائدها: أن الرسل هم الواسطة بين الله وبين خلقه؛ لقوله: ((**على رسلك**)) ولا شك أن الرسل هم الواسطة بين الله وبين الخلق؛ ومن حكمة الله أن جعلهم من البشر, لأنه لا يمكن التلاؤم بينهم وبين البشر إذا لم يكنوا من جنسهم؛ ولهذا قال الله تعالى رادا على الكفار الذين قالوا: لو كان محمدا ملكا لآمنا به قال الله سبحانه وتعالى: ((**وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر ثم لا ينظرون ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا**)) وحينئذ تعود المشكلة على زعمهم ((**وللبسنا عليهم ما يلبسون**)) .

ومن فوائد هذه الآية: إثبات أن الخلق لهم أكثر من رسول؛ لقوله: ((**على رسلك**)) لأن رسل جمع رسول وهذا أمر معلوم، معلوم باليقين القطعي, فالقرآن كله مملوء من قصص الأنبياء.

فإذا قال قائل: قد ورد الجمع يراد به واحد كقوله تعالى: ((**كذبت قوم نوح المرسلين**)) ومعلوم أن قوم نوح لم يكذبوا إلا نوحا ؟

فالجواب عن ذلك أن نقول: إن هذه الآية قد دلت على أن المرسل إليهم كم ؟ واحد, ولكن لما كان تكذيب الرسول الواحد تكذيبا لجميع الرسل قال: ((**كذبت قوم نوح المرسلين**)) لأن المقصود هو التكذيب بالجنس

لا بالواحد؛ فكأنهم كذبوا بجنس الرسالة وقالوا: لا يمكن أن الله يبعث الرسل كما قال تعالى في بيان تكذيب الأمم أنهم يقولون لرسلهم: أنتم بشر مثلنا: ((**ما أنتم إلا بشر مثلنا**)) .

من فوائد الآية الكريمة أيضا: أن هؤلاء الأبرار يؤمنون بيوم القيمة وبما يلحق الناس به من الذل والخزي؛ لقوله: ((**ولا تخزنا يوم القيمة**)) .

ومن فوائدها: أن الخوف من عذاب الله لا ينافي البر؛ لقولهم: ((**ولا تخزنا يوم القيمة**)) بل إن الخوف من عذاب الله يزيد البر؛ لأنه يزيد تصديقه بما أخبر الله به.

ومن فوائد الآية الكريمة: كمال صدق الله وقدرته؛ من أين تؤخذ ؟ من قوله: ((**إنك لا تخلف الميعاد**)) .

ومن فوائدها: أن الله تعالى لا يخلف الميعاد أبدا .

فإن قال قائل: يرد على هذا قوله: ((**إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء**)) وقد توعد الله سبحانه تعالى العصاة بما يستحقون من الذنوب مثل: (**لا يدخل الجنة قتات**) أي: نمام؟

فالجواب: أننا متى قلنا إن هذا النفي يراد به بيان كمال الله في الصدق والقدرة فإن عفوه عمن استحق العقاب لا يعد إخلافا للوعد يعني هو قادر؛ ولكنه كمال فوق كمال؛ فإن العفو عن الانتقام مع القدرة كمال، قال الله تعالى: ((**إن تبدوا خيرا أو تخفوه أو تعفوا عن سوء فإن الله كان عفوا قديرا**)) .

قال الله تعالى: ((**فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم** ...)) استجاب بمعنى أجاب، كما قال تعالى: ((**والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة**)) فهي بمعنى الإجابة, أي أجابهم الله؛ وقوله: ((**فاستجاب لهم ربهم**)) انظر إلى هذا التلطف بهم, لم يقل: فاستجاب لهم الله، بل قال: ((**فاستجاب لهم ربهم**)) لأنهم كانوا يدعون بربنا, يعني فهذا الرب الذي ما زالوا يدعونه استجاب لهم.

((**أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى**)) أني لا أضيع: أي لا أهدر ولا أفوت: ((**عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض**)) بل أوفي كل عامل ما يستحق؛ وقوله: ((**من ذكر أو أنثى**)) هذه بيان لعامل؛ ولهذا نقول: إن معنى من, أيش ؟ أن من بيانية.

وقوله: ((**بعضكم من بعض**)) يعني بعضكم من بعض في العمل والثواب؛ فأنتم جنس واحد, ما ثبت للذكر ثبت للأنثى, وما ثبت للأنثى ثبت للذكر؛ وتأمل كيف قال هنا: ((**بعضكم من بعض**)) وقال في سورة التوبة: ((**والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض**)) لأن المراد بالآية في النصرة؛ فكل مؤمن فهو ولي لأخيه ناصر له؛ وقد قال في مقابلها في المنافقين: ((**المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض**)) وليسوا أولياء بعضهم لبعض, لأنهم أعني المنافقين لا يتولى بعضهم الآخر بخلاف المؤمنين.

... الشيخ: هي خمس مرات هذه ؟ على كل حال قد يستجيب الله عزوجل ولو بأقل من هذا؛ قد يستجاب لهم بأقل من هذا, وقد يقول: ربنا ربنا, لكن تحتاج إلى تأمل في الواقع.

السائل: الوعيد هل يخلف ؟

الشيخ: أي نعم, وهذا الذي يخلف لكن الوعد لا يخلف.

السائل: لكن أحسن الله إليك قول الله تعالى في سورة ق: ((**ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد**)) بعد أن وعدهم بالنار وهددهم ؟

الشيخ: لأن هؤلاء مستحقون للنار لكفرهم, والكافر لا يخلف الله وعيده؛ العاصي يخلفه كرما؛

السائل: ما هو الدليل على التفريق يا شيخ ؟

الشيخ: واضح: ((**إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء**)) .

السائل: إذا كان التوسل بالأعمال الصالحة جائز كأصحاب الصخرة وكذلك التوسل بدعاء الرجل الصالح, فهل يجوز أن يتوسل بعمل رجل صالح ... ؟

الشيخ: هو يتوسل إلى الله سبحانه وتعالى بعمله الصالح عمل الداعي لا المدعو له, لو توسل بالعمل الصالح من المدعو له لم يصح, يعني لو قلت مثلا عند ... : اللهم إن هذا عبدك ابن عبدك ابن أمتك قد قام بأمرك أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فاغفر لي، هذا لا بأس به, لكن لو أقول: إن هذا عبدك ابن عبدك ابن أمتك قام بطاعتك أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فاغفر لي؛ فجعل عمله الصالح الميت وسيلة لمغفرة الله له أي للداعي, هل يصح ؟ هذا لا يصح .

... الشيخ: هذا لا بأس به مثل ما نقول: تصدق على العلماء أو طلبة علم أو ما أشبه ذلك .

السائل: الوسائل الكونية ما هو الضابط فيها ؟

الشيخ: نفس الشيء، الوسائل الكونية ما ثبت بالشرع أو بالتجارب بأنه وسيلة يتوسل به؛ فمثلا الاستشفاء بالعسل, وسيلة أو لا ؟ شرعية أو غير شرعية ؟ شرعية؛ والاستشفاء بالحبة السوداء ؟ وسيلة شرعية؛ والاستشفاء بالأدوية التي نحن نجربها ولم ينص عليه الشرع ولكن نعرف أنها أفادت؛ هذا من باب التوسل بالأمور الكوني .

السائل: السين في: ((**فاستجاب**)) هل تدل على الطب ؟

الشيخ: أحيانا تدل على الطلب وأحيانا ما تدل على الطب بحسب السياق, كما استغفر تدل على الطلب, استكبر ما تدل على الطلب, ليس معنى استكبر يعني طلب الاستكبار .

السائل: الذي يتوسل بجاه الرسول الذي يقصد منه أنه يؤمن بجاهه أو بمنزلته فما حكمه ؟

الشيخ: لماذا لم يقل: اللهم إني أسألك بإيماني بمنزلة نبيك عندك ؟

السائل: اختصارا,

الشيخ: لا يختصره لأن فيه إيهاما, ولكن أكثر الذي يتوسلون بالجاه تراهم لا يريدون ما قلت, يريدون جاه الرسول, يرون مادام له وجاهة فهو يشفع لك؛ كما تقول: هذا الرجل له جاه عند الملك أتوسل به, أذهب إليه وأقول له: يا فلان لك جاه عند الملك أريد منك كذا وكذا ... نقول إذا كانت نيتك صحيحة ففيما بينك وبين ربك صحيح, لكن لا تظهرها للناس الناس ما يفهمون هذا الشيء .

السائل: ما السبب الذي جعل عمر يتوسل بدعاء العباس مع أنه أفضل من العباس ؟

الشيخ: ما الجواب ؟ قال: بعم نبينا, وضح .

السائل: أليس الأعمال الصالحة تدخل في مسمى الإيمان .

الشيخ: إلا تدخل في مسمى الإيمان, لكن عند التفصيل يكون الإيمان بالقلب والأعمال الصالحة بالجوارح.

السائل: فغما وجه التفرقة بين التوسل بالإيمان والتوسل بالأعمال الصالحة

الشيخ: وبالعمل الصالح, لأن أصحاب الغار لم يتوسلوا بالإيمان توسلوا بالعمل الصالح.

السائل: التوسل بنعمة الله على الإنسان ...

الشيخ: أليس من أفعال الله هذا.

... الشيخ: أي معلوم لو أحد يقول: يا رسول الله أغثنا كفر هذا .

الطالب: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ((**فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نزلا من عند الله وما عند الله خير للأبرار**)) .

الشيخ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم؛ قال الله تباك وتعالى: ((**فاستجاب لهم ربهم**)) أظن ما سبق لا يحتاج إلى إعادة, يعني أخذنا فوائدها ؟

الشيخ: ولنناقش في قوله: ((**ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك**)) معنى: ((**آتنا**)) ؟

الطالب: أعطنا؛

الشيخ: واتنا ؟

الطالب: جئنا

الشيخ: طيب.

الشيخ: أتى يقولون إنها تنصب مفعولين ؟ في هذه الآية وغير الآية هي تنصب مفعولين, في هذه الآية ما هما ؟

الطالب: الأول: ما الموصولة؛ هذا أي مفعولين ؟

الطالب: الأول؛

الشيخ: والثاني ؟

الطالب: محذوف،

الشيخ: الثاني محذوف؟.

الطالب: المفعول الأول نا في: آتنا؛

الشيخ: والثاني ؟

الطالب: ما الموصولة،

الشيخ: تمام .

الشيخ: هل هذان المفعولان أصلهما المبتدأ والخبر ؟

الطالب: ليس أصلهما المبتدأ والخبر

الشيخ: طيب, إذا متى يكون أصلهما المبتدأ والخبر ؟ ما الذي ينصب مفعولين أصلهما المبتدأ والخبر

الطالب: ظن.

الشيخ: ظن وأخواتها. تمام.

الشيخ: قوله تعالى: ((**على رسلك**)) ما معنى ((**على رسلك**)) ؟

الطالب: يعني على لسانهم

الشيخ: على ألسنة الرسل وأيدي الرسل .

الشيخ: ما هو الذي وعدهم على لسان رسلهم ؟ ...

الشيخ: قوله تعالى: ((**ولا تخزنا يوم القيمة**)) ما معنى الخزي ؟ يعني إذا قيل: أخزاه الله ويش معناها؟

الطالب: فضحهم ،

الشيخ: فضحه وأذله, الخزي الفضيحة والذل .

الشيخ: قوله: ((**إنك لا تخلف الميعاد**)) هذه من الصفات ؟

الطالب: السلبية؛

الشيخ: نعم. تتضمن؟

الطالب: تتضمن شيئان: الأول: نفي إخلاف الميعاد عن الله عزوجل؛ الثاني: كمال الضد؛

الشيخ: ما هو الضد

الطالب: الصدق والوعد

الشيخ: كمال الصدق, وغير ؟

الطالب: القدرة .

الشيخ: صح, كمال الصدق والقدرة. لماذا قلنا إنها تتضمن كمال الصدق والقدرة ؟ ...

الشيخ: قال الله تعالى: ((**فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع**)) استجاب: بمعنى أجاب كقوله تعالى: ((**والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة**)) أي أجابوا له؛ وقوله: ((**ربهم**)) ولم يقل: الله؛ لأن الموقع هنا يقتضي الربوبية وهي هنا ربوبية خاصة؛ لأن ربوبية الله تنقسم إلى قسمين: عامة وخاصة؛ وقد اجتمع القسمان في قوله تعالى: ((**قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون**)) ومقتضى الربوبية العامة مطلق التصرف؛ ومقتضى الربوبية الخاصة النصر والتأييد واللطف وغير ذلك مما يقتضي عناية خاصة؛ الربوبية هنا من أي القسمين ؟ من الخاصة .

((**استجاب لهم ربهم أني لا أضيع**)) هذا بيان المستجاب، ما الذي استجاب ؟ قال: ((**أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض**)) لا أضيع: يعني لا أهدره بل أحتسب؛ وقوله: ((**عمل عامل**)) عمل هنا مضاف فيقتضي العموم, يعني أي عمل قل أو كثر فإن الله تعالى لا يضيعه؛ وهذا كقوله تعالى: ((**فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره**)) وكقوله: ((**وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين**)) .

وقوله: ((**من ذكر أو أنثى**)) هذه بيان لعامل؛ فمن هنا بيانية بيان للعامل, يعني سواء كان العامل ذكرا أو أنثى .

ثم قال: ((**بعضكم من بعض**)) يعني في الدعاء واستجابته؛ أما في المناصرة فقد قال الله تعالى: ((**والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض**)) لكن في باب العمل والاستجابة لهم والثواب بعضهم من بعض لا فرق بين الذكر والأنثى .

ثم قال: ((**فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا**)) هذه خمسة أوصاف؛ ((**هاجروا**)) يعني هجروا بلادهم وخرجوا منها إلى بلاد الإسلام؛ ((**وأخرجوا من ديارهم**)) أخرجوا من ديارهم إما مباشرة بأن طردوا من البلاد أو بالتضييق عليهم حتى يخرجوا؛ لأن الإخراج من البلاد قد يكون مباشرة يطرد, وقد يكون بالتضييق عليه حتى يخرج؛ وأيهما أشد ؟ لا, الأول، الأول أشد؛ لأن الثاني يمكنه أن يصبر ويتحمل ولا يخرج, يختفي أحيانا, ويهرب أحيانا, ويبقى في بلده؛ لكن الطرد يمسك ويطرد هذا أشد؛ ولهذا قال أهل العلم خصوصا الحنابلة فيمن فعل ما يوجب الحد من زنا أو غيره ثم لجأ إلى مكة إلى الحرم, فإنه لا يخرج من الحرم ولا يقام عليه الحد في الحرم لأنه لجأ إليه: ((**ومن دخله كان آمنا**)) ولكنه يضيق عليه فلا يؤاكل ولا يشارب ولا يبايع ولا يكلم حتى تضيق عليه الأرض ويخرج؛ أما أن يخرج بالقوة ويقال: اخرج لنقيم عليك الحد فلا؛ إذا هناك فرق بين من أخرجوا بالفعل يعني بالقوة والمباشرة أو من أخرجوا بواسطة التضييق عليهم .

وقوله: ((**أخرجوا من ديارهم**)) ديارهم يعني التي يسكنونها سواء بأجرة أو بغير أجرة, فإن الدار المستأجرة مثلا تسمى دارا للإنسان .

((**وأوذوا في سبيلي**)) يعني مع أنهم أخرجوا حصل لهم أذية في سبيل الله أي في دين الله, كما حصل للنبي صلى الله عليه وسلم حين كان ساجدا تحت الكعبة فذهب قوم من قريش وأتوا بسلى الجزور ووضعوه على ظهره؛ هذا إيذاء, هو لم يضره لكنه أذية له؛ وفعل أيضا في كثير من الصحابة من الأذى ما هو معروف بالسيرة .

((**وقاتلوا وقتِلوا**)) في عندي: ((**وقاتلوا وقتِّلوا**)) قراءة، قراءة الثانية: ((**وقتلوا وقاتلوا**)) فالقراءات إذا ثلاث: ((**وقاتلوا وقتلوا**)) الثانية: ((**وقاتلوا وقتِّلوا**)) والثالثة: ((**وقتلوا وقاتلوا**)) والمعنى لا يختلف اختلافا كبيرا؛ أما قوله: ((**قاتلوا**)) فهذا يعني الجهاد, هم قاتلوا الكفار؛ وأما قوله: ((**قتلوا**)) فهذا يعني الاستشهاد, قتلهم الكفار في سبيل الله؛ وأما قوله: ((**قتلوا وقاتلوا**)) فهي هي لكنها تقديم وتأخير؛ وأما قوله: ((**قاتلوا وقتِّلوا**)) فهي أشد كما قال تعالى: ((**قتلوا تقتيلا**)) فالتقتيل أشد من مجرد القتل .

((**لأكفرن عنهم سيئاتهم** ...)) الجملة في قوله: ((**لأكفرن**)) خبر مبتدأ في قوله: ((**فالذين هاجروا**)) ولكنها جملة مؤكدة بثلاثة مؤكدات ؟

الطالب: اللام والقسم ونون التوكيد؛

الشيخ: ((**لأكفرن عنهم سيئاتهم**)) أي بما حصل لهم من هذه الأشياء.

الشيخ: ((**لأكفرن عنهم سيئاتهم** ...)) الجملة في قوله: ((**لأكفرن**)) خبر مبتدأ في قوله: ((**فالذين هاجروا**)) ولكنها جملة مؤكدة بثلاثة مؤكدات ؟

الطالب: اللام والقسم ونون التوكيد.

الشيخ: ((**لأكفرن عنهم سيئاتهم**)) أي بما حصل لهم من هذه الأشياء بالهجرة والإخراج من الديار والإيذاء في سبيل الله والمقاتلة في سبيل الله والقتل؛ ((**يكفر عنهم سيئاتهم**)) وقد مر علينا أن الفرق بين مغفرة الذنوب وتكفير السيئات عند الجمع بينهما أن المغفرة في الكبائر والتكفير في الصغائر, تكفرها الأعمال الصالحة ويكفرها المصائب؛ ((**لأكفرن عنهم سيئاتهم**)) يعني أيش ؟ صغائر ذنوبهم؛ ويجوز أن يراد بالسيئات هنا ما هو أعم؛ لأنها لم تقرن بالذنوب حتى نقول كل واحدة لها معنى؛ وهذا له نظائر كثيرة تجد بعض الكلمات يكون لها معنى وحدها ولهذا معنى إذا اقترنت بغيرها .

وقوله: ((**ولأدخلنهم**)) الجملة أيضا فيها تأكيد باللام والقسم والنون؛ فهي معطوفة على قوله: ((**لأكفرن**)) فمحلها الرفع على أنها خبر المبتدأ كالأولى .

((**ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار**)) جنات بالجمع وأحيانا يقال بالإفراد, فإذا كانت بالإفراد فالمراد بها مطلق الجنس, وإذا قيلت بالجمع فالمراد بها أنواع الجنات؛ وفي القرآن في سورة الرحمن أن أنواع الجنات كم ؟ أربعة، وربما يكون هناك أنواع أخرى لا نعلم بها؛ المهم أن الجمع باعتبار الأنواع والإفراد باعتبار الجنس؛ فما هذه الجنات ؟ أصل الجنة البستان الكثير الأشجار, وسمي بذلك لأنه يجن من فيه أي يستره, والمادة هذه الجيم والنون كلها دالة على الستر والخفاء, ومنه الجنة للمقاتل يأخذها ويستتر بها عن السهام؛ ومنها الجنان يعني القلب لاختفائها؛ ومنه الجنة الجن لاستتارهم.

يقول عزوجل: ((**تجري من تحتها الأنهار**)) الجريان معروف, والأنهار جمع نهر, وجمعت لأنها أربعة أنواع مذكورة في سورة القتال: ((**فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى**)) وهذه الأنهار لا تنضب ولا تنقص ولا تحتاج إلى حفر ولا إلى إقامة جدر، قال ابن القيم في النونية:

أنهارها في غير أخدود جرت سبحان ممسكها عن الفيضان؛

وقوله: ((**تجري من تحتها**)) هل المراد من تحت الأرض أو من تحت الأشجار الساترة ؟ الثاني هو المراد, من تحت الأشجار والقصور أنهار مطردة لكنها لا تؤذي لأنها تنقاد لأمر مالكها، تنقاد له إذا أمر هذا النهر أن ينصرف يمينا أو شمالا فعل بأمر الله عزوجل؛ إذا أمره أن يقف وقف.

وقوله: ((**ثوابا من عند الله**)) أحب أن أعرف ما الذي نصب ثوابا ؟

الطالب: حال؛

الشيخ: حال؟ حال من أين ؟ ... مصدر ؟ طيب ما الذي نصبه ؟ المصدر لابد له من عامل ... والتقدير ؟ ... مفعول مطلق, لكن ما الذي عمل فيه ؟ حال من أين ؟ جنات ثوابا ؟ لا؛ ولا حال .

الطالب: مصدر فعله محذوف؛

الشيخ: والتقدير ؟

الطالب: أثيبهم ثوابا؛

الشيخ: أثيبهم ثوابا, هذا هو أقرب شيء .

الطالب: ...

الشيخ: يعني إما على حال أو على المصدر, لكن المصدر غريب يقول إن العامل فيه: لأكفرن ولأدخلن على اعتبار أن التكفير والإدخال ثواب، في النفس من هذا شيء؛ فالظاهر أنه مصدر لعامل محذوف؛ هذا هو الأقرب.

وقوله: ((**ثوابا من عند الله**)) الثواب يطلق على العطاء الذي يعطاه الإنسان, كما في قوله تعالى: ((**هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون**)) أي هل أعطي؛ ويطلق على الإثابة التي هي فعل المثيب؛ والأصل الأول أو الثاني ؟ الأصل الأول, أن الثواب اسم لما يثاب به كالعطاء اسم لما يعطى؛ وقد يراد به الإثابة .

وقوله: ((**من عند الله**)) العندية هنا تقتضي تعظيم هذا الثواب, لأن الثواب من العظيم يكون عظيما، كقول النبي عليه الصلاة والسلام في الدعاء الذي علمه أبا بكر قال: (**اغفر لي مغفرة من عندك وارحمني**) .

وقوله: ((**والله عنده حسن الثواب**)) الجملة هذه مؤكدة لما سبق, أي أن الله سبحانه تعالى يثيبهم الثواب الحسن لأن هذا هو الذي عند الله, ولهذا يجازي المحسن بحسنته عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة .

نأخذ من فوائد هذه الآية: بيان فضل الله عزوجل بإجابة هؤلاء الذين دعوا بما سبق؛ لقوله: ((**فاستجاب لهم**)) .

ونأخذ منها: ثبوت سمع الله؛ لأنه لم يثبهم إلا حين سمع دعاءهم .

ونأخذ منها أيضا: أن تكرار الدعاء من أسباب الإجابة .

ونأخذ منها بناء على ما سبق: أن الدعاء باسم الربوبية أقرب إلى الإجابة من الدعاء باسم آخر، لأن أكثر الأدعية الواردة في القرآن جاءت باسم الربوبية .

ومن فوائد هذه الآية: عناية الله عزوجل بهؤلاء الأبرار؛ لقوله: ((**فاستجاب لهم ربهم**)) لأن هذه الربوبية قلنا إنها ربوبية خاصة .

ومن فوائدها: أن الله يكمل الأجر كاملا أو يعطي الأجر كاملا؛ لقوله: ((**أني لا أضيع عمل عامل**)) وهذا النفي يتضمن إثباتا؛ فإذا كان لا يضيع عمل عامل فمقتضاه أنه يعطي العامل كل ما عمل, أي أجر كل ما عمل .

ومن فوائد الآية أيضا: استواء الذكر والأنثى في الجزاء على الحسنات؛ لقوله: ((**من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض**)) .

فإن قال قائل: أليس النبي صلى الله عليه وسلم قد قال: (**ما رأيتم من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن**) وذكر من نقصان دينها أنها إذا حاضت لم تصل ولم تصم ؟

قلنا: بلى؛ لكنها إذا صلت في الوقت الذي تطالب بالصلاة فيه فإن أجرها وأجر الرجل سواء؛ فإذا صلت امرأة صلاة الظهر وصلى الرجل صلاة الظهر فهما في الأجر سواء .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: فضيلة الهجرة؛ لقوله: ((**فالذين هاجروا**)) وقد قال العلماء إن الهجرة تنقسم إلى أقسام:

القسم الأول: هجر ما حرم الله؛ فإن المهاجر من هجر ما نهى الله عنه؛ وهذا يعني أن المهاجر هو الذي قام بفعل الواجبات وترك المحرمات.

الثاني: الهجرة من بلد الكفر إلى بلد الإسلام، كما فعل المهاجرون من مكة إلى المدينة؛ وهذه هي التي يكون فيها المدح الذي جاء في القرآن.

والثالث: الهجرة من بلد الفسق إلى بلد الاستقامة؛ فإن بعض البلاد تكون بلادا إسلامية, تقام فيها الشعائر الإسلامية, ينادى فيها بالأذان وتقام الجماعات وتقام الجمعات فهي بلاد إسلام, ولكنها بلاد فسق من جهة أخرى لكثرة المعاصي والفواحش وغيرها في هذا البلد, فيهاجر الإنسان منها إلى بلد الاستقامة.

فلننظر ما هو الواجب من هذه الأنواع الثلاثة؛ نقول أما الأول وهو ؟ هجر ما حرم الله فهو واجب على كل إنسان, حتى في بلاد الإسلام المستقيمة يجب عليه أن يهجر ما حرم الله؛ وأما الثاني وهو ؟ المهاجرة من بلد الكفر إلى بلد الإسلام؛ فإن العلماء رحمهم الله يقولون: إن كان قادرا على إظهار دينه لم تجب الهجرة, وإن كان

عاجزا وجبت عليه الهجرة؛ فإذا كان في بلاد يحبسون الحريات, ويمنعون المسلمين من إقامة شعائر دينهم كالصلوات في الجماعة مثلا فالهجرة هنا واجبة، واجبة؛ لأن المسلم لا يقدر على إظهار دينه؛ وإن كان في بلد تعتبر نفسها بلد حرية فإن الهجرة ليست بواجبة, ولكن مع هذا نقول هي أكمل وأحسن مما لو بقي؛ كذا ؟ إذا كانت تمنع من إظهار الدين وجب عليه الهجرة حتى لو كان من أهلها، لو كان من أهل البلد أصلا يجب عليه الهجرة.

... فلا تجب الهجرة لكن الهجرة أكمل خوفا من الفتنة؛ الثالث: الهجرة من بلد الفسق إلى بلد الاستقامة, هذه فيها تفصيل أيضا إن كان يخشى على نفسه من الفتنة وجبت عليه الهجرة, وإن كان لا يخشى لم تجب عليه الهجرة وربما يكون بقاؤه أحسن, إذا كان يدعوا إلى الله قد يكون في هذه البلاد بلاد الفسق بقاؤه أحسن وأنفع إذا كان يدعوا إلى دين الله عزوجل .

ومن فوائد هذه الآية: أن الإخراج من الديار سبب لتكفير السيئات؛ لقوله: ((**وأخرجوا من ديارهم**)) وكذلك أيضا قوله: ((**وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا**)).

لكن لو قال قائل: إن التكفير مرتب على كل الأوصاف الخمسة ؟

فالجواب عن ذلك أن نقول: إن تعليق التكفير بهذه الأوصاف الخمسة دليل على أن لكل وصف منها تأثيرا في الحكم؛ ولولا التأثير لكل واحد منها ما صح أن تكون تكفيرا للسيئات؛ وهذه فائدة مهمة؛ لأن بعض المجادلين قد يقولون: إن الحكم مرتب على أسباب خمسة أو أكثر؛ فنقول: نعم إذا رتب على أسباب أكثر من واحد فإن هذه الأسباب يدل على أن لكل واحد منها تأثيرا, ولولا أن له تأثيرا ما ترتب الحكم أصلا؛ لأننا إذا قلنا رقم واحد ما فيه تأثير, ورقم اثنين ما فيه تأثير, رقم ثلاثة ما فيه تأثير, رقم أربعة ما فيه تأثير, لم يثبت الحكم؛ فإذا قلنا كل واحد له تأثير لكن قد يقوى على حصول الحكم وقد لا يقوى إلا على حصول بعضه .

السائل: شيخ أحسن الله إليك ! قلنا في قوله تعالى: ((**تجري من تحتها الأنهار**)) تجري من تحت أشجارها وقصورها لماذا لم نقل إنها من تحتها حقيقة ؟

الشيخ: لأنها لو كانت تحت الأرض ما انتفعوا بها؛

السائل: هي تحت الأرض في أماكن ثم تظهر فوق الأرض في أماكن

الشيخ: يعني يحفرون بئرا ؟

السائل: لا ما يحفرون يجري الله عزوجل هكذا النهر في مناطق يكون فيها تحت الأرض وفي أماكن يكون مكشوفا وهذا واقع ؟

الشيخ: هذا واقع في الدنيا, لكن في الجنة أنهارها على سطح الأرض؛ وهذا مثل قوله أحيانا يقول: من تحتهم الأنهار: ((**تجري من تحتهم الأنهار**)) أي من تحت أقدامهم لكنها على سطح الجنة .

السائل: في قوله تعالى: ((**فالذين هاجروا** ...)) هل المهاجرة اسم مفاعلة ؟

الشيخ: نعم، كلمة فاعل لا تكون دائما من باب الاشتراك، أرأيت سافر ؟ ما فيه اشتراك, يعني كلمة فاعل لا تدل على أنه لابد من اشتراك شيئين فصاعدا، صحيح أن الأصل في المفاعلة أن تكون من شيئين، من فاعلين فأكثر, لكن ما هو لازم .

السائل: قوله الله تعالى بعد الأعمال أنهم أوذوا في سبيل الله وهاجروا وقتلوا قال: ((**لأكفرن عنهم سيئاتهم**)) فهل المراد بالسيئات هنا الصغائر ... ؟

الشيخ: ربما, نحن قلنا في نفس الشرح, قلنا هذه لا نجزم بها أنها صغائر لأنها لم تقرن بالذنوب، الآية السابقة: ((**فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا**)) هنا يتعين أن تكون السيئات هنا الصغائر؛ لكن في الآية هذه ما ذكر الذنوب فيحتمل أن تكون عامة .

السائل: على قراءة: ((**قتلوا وقاتلوا**)) ما هو المعنى ؟

الشيخ: أفهمتم ؟ يقول أما: ((**قاتلوا وقتلوا**)) فلا إشكال فيها قاتلوا هم ثم قتلوا لكن: ((**قتلوا وقاتلوا**)) هل إذا قتلوا يقاتلون بعد أن قتلوا ؟ لا تستلزم الترتيب هذه من جهة، من جهة أخرى أن توزع يعني بعضهم قتل وبعضهم قاتلوا ولم يقتل .

السائل: بالنسبة للهجرة هل تكون من البلدة أو البلاد كلها ؟

الشيخ: الأصل أن العبرة بالبلد الذي يسكنه فقط؛ لكن لو فرضنا أن البلد الذي يسكنه مساو له ما قاربه من البلاد صار لابد أن يخرج عن المنطقة .

السائل: بعض العلماء يقولون البلد الذي لا يوجد فيه ولو عالم واحد وبلد إسلامي يهجر, ما صحة هذه المقولة ؟

الشيخ: يعني تجب الهجرة من بلد ليس فيه عالم إسلامي ؟ ويش تقولون ؟ يقول: بعض العلماء يرى وجوب الهجرة من بلد ليس فيه عالم إسلامي ؟ ما هو لازم, هذا ما هو صحيح؛ قد لا يكون فيها عالم لكن يعرفون الأحكام التي تلزمهم .

السائل: هل يتعين في قوله تعالى: ((**فالذين هاجروا**)) هي هجران الذنوب والمعاصي لأنه خص بعد ذلك يقول: ((**وأخرجوا من ديارهم**)) ؟

الشيخ: الفرق بينهما أن المهاجر خرج باختياره, والذي أخرج خرج بغير اختياره .

السائل: هل لو فعل عملا واحدا يترتب عليه الجزاء: ((**لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم** ...)) ؟ الشيخ: لا، يكفر عنه بقدر ما عمل.

السائل: نفس قوله عزوجل: ((**فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراءون ويمنعون الماعون**)) يعني لو عمل عملا واحدا له ويل ؟

الشيخ: بقدره, له ويل بقدره؛ يعني إذا رتب الحكم على أوصف, فهذه أوصاف لها تأثير فيه مجتمعا؛ إذا كانت مجتمعة ثبت الحكم كله, وإن كانت غير مجتمعة ثبت من الحكم بقدر ما حصل .

السائل: قوله: ((**بعضكم من بعض**)) في العمل أو في الاستجابة ؟

الشيخ: يعني معناه أنهم إذا دعوا الله عزوجل استجاب للذكر وللأنثى, يعني لا يستجيب للذكر فقط بل للذكر والأنثى, وأيضا قلنا إنه حتى العمل الأعمال الصالحة المطلوبة من كل منهما يشتركان فيها في الثواب, ما يفضل الذكر على الأنثى في الثواب في عمل عملاه ... ليس بلازم أن نقول إنها مثله, بعضكم من بعض يعني أنكم شيء واحد .

السائل: من قام به مانع من موانع إجابة الدعاء فهل ... ؟

الشيخ: إذا كان به مانع من موانع إجابة الدعاء فالواجب أن يزيل هذا المانع؛

ا لسائل: أحيانا يصر عليه ؟

الشيخ: أقول يخشى أن لا يستجاب له؛

السائل: يقول أنا لا يعلم أنه واقع في هذا المحرم كأكل الربا ؟

الشيخ: طيب, إذا كنت تعلم امتنع عنه, إذا كنت تريد أن تكون مجاب الدعوة فامتنع عنه؛

السائل: ما نقول له امتنع عن الدعاء لأن فيه استهزاء بالله,

الشيخ: لا، نقول: امتنع أنت عن هذا المحرم ليستجاب لك .

... كلها سبب لتكفير السيئات وإدخال الجنات؛ لقوله تعالى: ((**فالذين هاجروا** ...)) وقد بسطنا القول في الفرق بين هذه الأوصاف وأن بعضها يختلف عن بعض وإن كان بعضها يلزم من بعض.

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن الإيذاء في سبيل الله يزداد الإنسان به أجرا، يزداد الإنسان به أجرا .

ويتفرع على هذه القاعدة: أنه ينبغي للإنسان أن يصبر على الإيذاء في سبيل الله مادام ينتظر الأجر به؛ لأن الإنسان كلما علم أنه ينال أجرا وثوابا بإيذائه فإنه لابد أن يصبر عليه .

من فوائد الآية الكريمة: فضيلة القتال في سبيل الله؛ لقوله: ((**وقاتلوا**)) .

ومن فوائدها أيضا: فضيلة القتل في سبيل الله إذا قتل إنسان؛ ومعلوم أن القتل في سبيل الله من الشهادة في سبيل الله .

من فوائد الآية الكريمة: أن الأعمال الصالحة تكفر بها السيئات أي تستر؛ لأن الكفر مأخوذ من الستر, ومنه الكفراء لوعاء طلع النخل, ويسمى باللغة العامية الكافور الغلاف الذي يكون على طلع النخل لأنه يستره, فلهذا سمي الستر السيئات بالحسنات سمي تكفيرا .

ومن فوائد الآية الكريمة: أن الله سبحانه وتعالى ضمن ضمانا مؤكدا لهؤلاء الذين اتصفوا بهذه الصفات الخمس ضمنهم ضمانين؛ الضمان الأول: تكفير السيئات؛ والضمان الثاني: إدخال الجنات؛ وهذا الضمان مؤكد بثلاثة مؤكدات؛ الأول يا عبد الله ؟ ((**لأكفرن**)) ولأدخلن, والثالث: نون التوكيد نعم .

ومن فوائد الآية الكريمة: التشويق إلى الجنة ليزداد الإنسان قوة في العمل لها؛ لقوله: ((**ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار**)) والجنات في الأصل في اللغة العربية هي البساتين الكثيرة الأشجار, لأنها أي البساتين الكثيرة الأشجار تجن من فيها, أي تستره وتغطيه؛ فيستفاد منها التشويق إلى هذا الثواب العظيم .

ومن فوائد الآية الكريمة: أن في الجنة قصورا؛ لقوله: ((**من تحتها**)) والتحت لا يكون إلا بمقابل الفوق العالي وهو كذلك .

ومن فوائد الآية الكريمة: أن الجنة فيها عدة أنهار؛ وهي مجملة هنا مفصلة في سورة القتال؛ فهي في سورة القتال مفصلة على أنها أربعة: ((**أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى**)) .

ومن فوائد الآية الكريمة: أن هذا الجزاء مثوبة لهم من الله؛ فلله فيه المنة عليهم, وليس لهم المنة على الله بعملهم؛ لقوله تعالى: ((**ثوابا من عند الله**)) ولو شاء الله لم يثبهم، ولو شاء الله لأثابهم دون ذلك, ولكنه بفضله جعل الثواب لهم هذا الثواب العظيم: ((**ثوابا من عند الله**)) .

ومن فوائد الآية الكريمة: الإشارة إلى عظم هذا الثواب؛ من أين تؤخذ يا صالح ؟ الإشارة إلى عظم هذا الثواب ؟ من قوله: ((**من عند الله**)) وذلك لأن العطية تعظم بحسب معطيها, والهبة تعظم بحسب واهبها؛ فإذا كان ذلك من عند الله كان هذا دليلا على أنه ثواب عظيم؛ لأن الثواب من العظيم عظيم .

ومن فوائد الآية الكريمة: أنه لا يتلقى حسن الثواب إلا من الله؛ لقوله: ((**والله عنده**)) وحده: ((**حسن الثواب**)) فلا تذهب تتلقى الثواب من عنده, لأنه مهما أتاك من ثواب الخلق فإنه لن يكون مثل ثواب الله؛ فحسن الثواب إنما هو عند الله وحده,

وفي هذه الجملة تأكيد لعظم هذا الثواب؛ لأنه لما قال: ((**من عند الله**)) استفدنا منه عظم الثواب فإذا قال: ((**والله عنده حسن الثواب**)) استفدنا أيضا فائدة أخرى تأكيد ما سبق, أن هذا الثواب ثواب عظيم وأنه أحسن مثوبة يثاب بها الإنسان: ((**والله عنده حسن الثواب**)) .

هل يستفاد من هذه الآية الكريمة: علو الله ؟ نعم, ذهب بعض العلماء أنه كلما جاءت العندية فهي دليل على العلو؛ ولكنها في بعض المواضع ليست واضحة، في بعض المواضع واضحة مثل قوله: ((**إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته**)) ومثل قوله: ((**ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته**)) فهنا الفوقية واضحة, لكن في مثل هذه الآية ليست ظاهرة جدا .

ثم قال: ((**لا يغرنك**)) هذه شرحناها أو لا ؟ قال الله تعالى: ((**لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد**)) والوقت قد انتهى الآن ؟ نأخذ درس جديد ؟

((**لا يغرنك**)) لا يخفى أن لا في قوله: ((**لا يغرنك**)) ناهية؛ ولكن سيقول قائل: كيف تكون ناهية والفعل مفتوح: ((**لا يغرنك**)) لأن النون هي آخر الفعل ؟ والجواب على هذا أنه إذا اتصلت نون التوكيد بالفعل المضارع صار مبنيا على الفتح، إذا اتصلت به لفظا وتقديرا صار مبنيا على الفتح؛ فإن اتصلت به لفظا لا تقديرا لم يكن مبنيا مثل: ((**ثم لتسألن يومئذ عن النعيم**)) فهنا نون التوكيد متصلة بالمضارع لكن لفظا لا تقديرا؛ وإذا لم تتصل به لم يبن إلا إذا اتصلت به نون النسوة؛ فالمضارع يبنى في حالين: إذا اتصلت به نون النسوة أو نون التوكيد لفظا وتقديرا؛

وقوله: ((**لا يغرنك**)) الخطاب هنا يحتمل أن يكون للرسول صلى الله عليه وسلم ويحتمل أن يكون لكل من يتأتى خطابه؛ والقاعدة عندنا في التفسير أنه إذا كانت الآية تحتمل معنيين متباينين لكن لا يتناقضان حملت عليهما جميعا, وإذا احتملت معنيين أحدهما أعم حملت على الأعم, لأن الأخص يدخل في الأعم ولا عكس؛ فهنا إذا قلنا إن الخطاب خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم أخرجنا عنه بقية الأمة, وإذا قلنا إن الخطاب عام لكل من يتأتى خطابه صار شاملا للرسول صلى الله عليه وسلم ولغيره؛ وعلى هذا فيكون الخطاب هنا عاما, يعني لا يغرنك أيها الرائي الذي ترى تقلب الكفار في البلاد لا يغرك هذا.

وقوله: ((**تقلب الذين كفروا**)) التقلب يعني التردد, يعني ترددهم في البلاد وتقلبهم من بلد إلى آخر, وتقلبهم في التجارات وفي أنواع الصناعات وفي غيرها مما فتح الله عليهم, فهذا لا يغرنك؛ ووجه الغرور الذي قد يحصل هو أن الإنسان قد يغتر بهذا الذي أعطاهم الله عزوجل فيصنع مثل صنيعهم, أو يظن أن إعطاء الله إياهم هذا الشيء دال على أنه لا ينكر ما هم عليه, ولو أنكر ما عليه لم يمكنهم من التقلب في البلاد؛ وعلى هذا فيكون وجه الغرور من وجهين، فيكون الغرور من وجهين؛ الوجه الأول: ظن أن ما هم عليه حق, لأنه يقول: لو كان باطلا ما مكنه الله تعالى من هذا التقلب، الثاني: أن يفعل مثل فعلهم؛ كما انخدع كثير من الناس اليوم، حيث ظنوا أن الكفار وصلوا إلى ما وصلوا إليه من أجل تحللهم من دينهم . والعياذ بالله . فصار يرى أن الالتزام بالدين سبب للتأخر والتقهقر؛ إذا وجه الغرور يتجه أو له وجهان؛ وجهه ؟ أن الله مكنهم من هذا التقلب ولو كان ما هم عليه باطلا لم يمكنهم؛ الثاني: أن يفعل مثل فعلهم ظنا منه أن ما فعلوه سبب لهذا التقلب والاتساع في التجارات وغيرها؛ والحقيقة أن هذا لا يغر المؤمن لأن الله قال في كتابه: ((**ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثما ولهم عذاب مهين**)) ويقول الله تعالى: ((**والذين كفروا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وأملي لهم إن كيدي متين**)) فلا تغتر, هذا ليس إلا زيادة حسرة في ما عليهم.

وقوله: ((**تقلب الذين كفروا في البلاد**)) البلاد مفرد أو جمع ؟

الطالب: جمع؛

الشيخ: والمفرد ؟ بلد؛ إذا البلاد جمع, والمفرد بلد, ويجمع البلد على بلدان .

كيف التقلب في البلاد ؟ يذهبون من هذا البلد إلى هذا البلد يتنقلون في أمن وطمأنينة, يتجرون ويربحون كلما حملت التجارة من بلد إلى آخر, فيغتر الإنسان بذلك .

قال: ((**متاع قليل**)) متاع: خبر مبتدأ محذوف والتقدير: هو متاع، هو أي تقلبهم متاع قليل؛ والمتاع ما تكون به المتعة سواء كانت متعة نفسية أو متعة جسدية؛ وكل متعة أضيفت إلى الدنيا أو إلى الكفار فهي متعة جسدية، كما قال الله تعالى: ((**والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم**))؛ فقوله: ((**متاع قليل**)) خبر مبتدأ المحذوف؛ والمتاع ما تحصل به المتعة, والمتعة نوعان: متعة قلبية روحية وهذه لا تكون إلا للمؤمن, يتمتع بذكر الله وبما أنعم الله عليه من الإيمان؛ ومتعة جسدية يشترك فيها الإنسان والبهائم وهي ما يحصل للجسد من اللذة والنعيم وغير ذلك؛ يقول: ((**متاع قليل**)) قليل في زمنه أو قليل في كميته أو في كيفيته ؟ في كل شيء؛ الزمن قليل محدود, وهو عمر الإنسان ذلك العمر المجهول الذي لا يدري الإنسان متى ينتهي؛

قليل أيضا في الكمية لأن الإنسان لا يملك كل شيء؛ قليل في الكيفية لأن الإنسان قد يحرم التمتع في هذه الدنيا بأمراض تعتريه ولا يتمتع بها, قد يحرم بفقد بعض الأشياء والله أعلم .

الطالب: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ((**لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نزلا من عند الله وما عند الله خير للأبرار وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا أولئك لهم أجر عند ربهم إن الله سريع الحساب يا أيها الذين آمنوا اصبروا و صابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون**))

الشيخ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم؛ قال الله تعالى: ((**لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد**)) لا هنا ما إعرابها ؟

الطالب: نافية؛

الشيخ: طيب كيف نصب الفعل معها وهي ناهية, والناهية تجزم ؟

الطالب: اتصلت بالفعل المضارع نون التوكيد الثقيلة فهو مبني؛

الشيخ: فهو مبني لا معرب, ولهذا نقول: يغرن فعل مضارع مبني على الفتح في محل جزم؛

الشيخ: الخطاب في قوله: ((**لا يغرنك**)) ؟

الطالب: للنبي والناس أجمعين؛

الشيخ: لو قال قائل: الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم لأنه هو الذي نزل عليه القرآن ؟

الطالب: هو يصح أيضا أن الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ؛

الشيخ: لكنه قال قائل: الثاني ؟

الطالب: نقول هذا خاص والعام مقدم على الخاص؛

الشيخ: نقول هذا محتمل لكن حمله على العموم أولى لدخول الخصوص فيه .

الشيخ: قوله: ((**متاع قليل**)) ما هو المتاع القليل الذي ذكر ؟

الطالب: المتاع ما يكون به المتعة؛

الشيخ: والمراد بالمتاع القليل تقلبهم في البلاد, تقلبهم في البلاد متاع قليل.

الشيخ: نحن قلنا إنه قليل في ؟ السؤال: قليل في أيش ؟

الطالب: قليل في الكمية والكيفية؛

الشيخ: وغير ؟ لا، غير فيه, نحن ذكرنا غيرها ؟

الطالب: في المدة؛

الشيخ: قليل في زمنها، كميتها، في كيفيتها .

الشيخ: ما معنى قوله: ((**مأواهم جهنم**)) ؟

الطالب: ما درسنا؛

الشيخ: بس ؟ نعم .

الشيخ: قال الله تعالى: ((**ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد**)) يعني ثم بعد هذه المتاع القليل مأواهم جهنم، وأتى بثم وإن كانت دالة على التراخي للإشارة إلى أنه مهما طالت بهم المدة في هذه الحياة فإن مآلهم هذا المآل الخبيث . والعياذ بالله . والمأوى: بمعنى ما يأوي إليه الإنسان فهو اسم مكان، اسم مكان أي المصير الذي يصيرون إليه هي جهنم؛ وجهنم اسم من أسماء النار . أعاذنا الله وإياكم منها . وسميت بذلك قيل: لأنها مشتقة من التهجم أو من الجهمة وهو السواد؛ وقيل: إنه اسم أعجمي وأصله كهنام لكن عرب إلى جهنم وهو اسم من أسماء النار فهو غير مشتق؛ وأيا كان فهو اسم من أسماء النار .

((**وبئس المهاد**)) بئس فعل من أفعال الذم يرفع الفاعل, وله فاعل وله مخصوص؛ فالفاعل هو المهاد والمخصوص محذوف, والتقدير: وبئس المهاد هي؛ وإنما احتاج النحويون إلى هذا التقدير لأن المهاد غير النار، المهاد غير النار, والذم لأي شيء للنار, فكان لابد من ذكر مخصوص بالذم غير فاعل الفعل، والمخصوص بالذم هو الضمير المحذوف, أي وبئس المهاد هي؛ هذا ما قدره أهل العلم؛ والمهاد ما يكون مهدا للإنسان أي مقرا له، ومنه قوله تعالى: ((**الذي جعل الأرض مهدا**)) مهدا: أي مقرا تستقرون فيه .

في هذه الآية الكريمة من الفوائد أولا: نهي الإنسان أن يغتر بما أوتي الكفار من النعم والرفاهية؛ لقوله: ((**لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد**)) .

ومن فوائدها أيضا: أن ما يعطيه الله العبد من الرخاء وسعة الرزق والانطلاق في الأرض يمينا وشمالا ليس دليلا على رضاه عن العبد, وإنما المقياس برضا الله عن عبد هو اتباع العبد لشرع الله .

ومن فوائد الآية الكريمة: أن الله عزوجل قد يستدرج المرء بإغداق النعم عليه فتنة له؛ كما قال تعالى: ((**ونبلوكم بالشر والخير فتنة**)) ووجه ذلك أن الله مكن هؤلاء الكفار من التقلب في البلاد كما يشاؤون فتنة لهم ليستمروا على ما هم عليه, فيكون ذلك شر . والعياذ بالله . كما قال تعالى: ((**ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثما**)) .

ومن فوائد الآية الكريمة: أن المؤمن يضيق الله عليه في الرزق أحيانا ليرجع إليه بخلاف الكافر؛ وإنما قلت ذلك لئلا يقول قائل: أفليس قد قال الله: ((**ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون**)) ؟ نقول: إن المؤمنين هم الذين يبتلون بالضراء من أجل أن يرجعوا

إلى الله عزوجل، ((**ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون**)) أما الكفار فقد تمهد لهم الدنيا ويعطون ما يريدون لتكون جنتهم دنياهم بخلاف المؤمنين .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن الدنيا مهما أعطي الإنسان فيها من نعيم فإنها متاع قليل، قليل في زمنه في كميته في كيفيته؛ لكن الآخرة، الآخرة بالعكس، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (**لموضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها**) الله أكبر, موضع السوط, السوط متر أو متر وقليل، (**خير من الدنيا وما فيها**) ليست الدنيا الحاضرة عندك فقط، خير من كل الدنيا من أولها إلى آخرها وما فيها وهو موضع السوط؛ وإلى هذا يشر قوله تعالى: ((**بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى**)) .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: الحذر من لعب أعداء المسلمين بالمسلمين، حيث يغرونهم بوسائل الترفيه, ويفتحون لهم وسائل الترفيه ليلهوهم عما خلقوا له من عبادة الله, وعما ينبغي أن يكونوا عليه من العزة والكرامة؛ فإن هذه الوسائل الترفيه هي في الحقيقة حب مسموم للدجاج, والحب المسموم للدجاج تغتر به, تجد حبا منتفخا لينا فتفرح به وتأخذه بطرف زقومها وتبتلعه بسرعة ولكنه يقطع أمعاءها؛ فهكذا أعداؤنا فتحوا علينا أبواب الترفيه من كل ناحية من أجل أن ننغمس في هذه الرفاهية ونقول: ليس لنا هم إلا الرفاهية, وننسى ما خلقنا له من عبادة الله, وليس ما ينبغي لنا أن نكون عليه من العزة والكرامة والمصالح؛ تؤخذ من هذه الآية: ((**لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل**)) .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أنه لا يمكن للكافر أن يدخل الجنة؛ لقوله: ((**ثم مأواهم جهنم**)) لا يمكن أن تكون مأواهم الجنة أبدا؛ لأنهم كفار .

ومن فوائد الآية الكريمة: إشارة إلى أن هذا النعيم الذي يدركونه في الدنيا سوف ينسى؛ بماذا ينسى ؟ بهذا المأوى السيئ؛ إذا كان المأوى هو النار نسوا كل شيء، كما جاء في الحديث: (**أنه يؤتى بالرجل يوم القيمة بأنعم أهل الدنيا . يعني أكثرهم نعمة ورفاهية . فيغمس بالنار غمسة واحدة فيقال: هل رأيت خيرا قط ؟ فيقول: لا ما رأيت خيرا قط**)؛ لماذا ؟ لأنه تنسيه هذه الغمسة الواحدة, تنسيه كل ما حصل له في الدنيا من نعيم, لأنه يأتى بأنعم أهل الدنيا؛ (**ويؤتى بأبأس أهل الدنيا . أي أشدهم بأسا . فيغمس في الجنة غمسة فيقال: هل رأيت شرا قط ؟ فيقول: ما رأيت شرا**)؛ لأنه نسيه بهذا النعيم الذي هو لحظة كل ما حصل له في الدنيا من بئس وفقر وأذى؛ وهذه الحقائق نحن نؤمن به لكن الغفلة تستولي علينا وكأنها لم تأت، كأنها لم تأت، نكون في سكرة . نسأل الله العافية . نكون في سكرة وإلا لو رجعنا إلى هذه الحقائق وتمشينا على مقتضاها لحصل لنا خير كثير،

السكرة بمحبة الدنيا وإيثارها على الآخرة تنسينا هذا؛ الصحابة رضي الله عنهم بالصدمة التي حصلت لهم بموت النبي عليه الصلاة والسلام نسوا آيات من القرآن، نسوا قوله تعالى: ((**وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم**)) حتى جاء صديق هذه الأمة وأثبتها جأشا عند الصدمات أبو بكر وتلاها على المنبر, وكأنها لم تكن نزلت؛ فأقول إننا في الحقيقة ننسى هذه الحقائق ولا نشعر بها ولكن سيأتي الوقت الذي يشعر الإنسان بها، إذا حل الأجل تمنى الإنسان أنه استغل وقته بطاعة الله, ولكن أنى له ذلك لا يمكن أن يؤخر لحظة واحدة عن الوقت المقدر . فنسأل الله تعالى أن يبارك لنا ولكم في أعمالنا . .

يقول الله عزوجل: ((**ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد**)) من فوائد الآية الكريمة: قبح أو بيان قبح هذا المأوى لأن الله أثنى عليه بأسوأ الثناء فقال: ((**وبئس المهاد**)) وهذا يدل على قبح مأوى أهل النار, نسأل الله لنا ولكم السلامة منها .

ثم قال: ((**لكن اتقوا ربهم** ...)) هنا قد يقول قائل: ما وجه مجيء الاستدراك في هذه الآية: ((**لكن الذين اتقوا**)) لأن الاستدراك إنما يكون فيما يتوقع دخوله فيما سبق؛ فأنت مثلا تقول: قام القوم لكن فلان لم يقم، ممن يتوقع أن يكون فيهم قائم؛ فهنا: ((**لكن الذين اتقوا ربهم**)) ما وجه الاستدراك ؟ وجه الاستدراك أن الذين اتقوا ربهم لو حصل لهم من الدنيا مثل ما حصل لهؤلاء الكفار لم يكن ذلك حائلا بينهم وبين ما عند الله؛ يعني قد يحصل تقلب المؤمنين في البلاد كتقلب الكفار؛ أليس كذلك ؟ فهل يكون مأوى المتقين كمأوى الكافرين ؟ لا؛ ولهذا قال: ((**لكن الذين اتقوا ربهم**)) فالاستدراك هنا من ألطف ما يكون لئلا يظن الظان أن الله لو مكن للمؤمنين أن يتقلبوا في البلاد تقلب الكفار لفاتهم ما عند الله, فبين أنه لن يفوتهم، قال: ((**لكن الذين اتقوا ربهم**)) .

((**الذين اتقوا ربهم**)) والتقوى تمر بنا كثيرا وأحسن ما فسرت به أنها: اتخاذ ما يقي من عذاب الله بفعل أوامره واجتناب نواهيه، هذا أجمع ما قيل في التقوى، اتخاذ وقاية من عذاب الله بفعل أوامره واجتناب نواهيه؛ وقوله: ((**الذين اتقوا ربهم**)) ولم يقل: اتقوا الله، إشارة إلى أن ربوبية الله لهم ربوبية خاصة أعانهم فيها على التقوى ووفقهم لها فكانت ربوبيته لهم ربوبية خاصة بهم، كربوبيته لبعض الأنبياء مثل: ((**رب موسى وهارون**)) فهي ربوبية خاصة لا يشركهم فيها أحد.

((**اتقوا ربهم لهم جنات** ...)) إذا رجعنا إلى الإعراب بعد معرفة المعنى نقول: لكن حرف استدراك؛ عاملة أو غير عاملة ؟ غير عاملة ؛ ((**الذين**)) مبتدأ ((**لهم جنات**)) مبتدأ وخبر, والمبتدأ والخبر خبر المبتدأ الأول.

((**لهم جنات تجري من تحتها الأنهار**)) جنات جمع جنة وأصلها ؟ البستان الكثير الأشجار؛ سمي بذلك لأنه يجن من كان فيه أي يستره؛ ولكننا لا نفسر جنات أو جنة التي في القرآن والتي يريد الله بها جنة الخلد لا نفسرها بهذا التفسير عند العامة, لأنك لو فسرتها هذا التفسير عند العامة لنزلت رغبتهم في الجنة نزولا كثيرا، لقالوا: البستان الفلاني أحسن منها, فيه أشجار وفيه نخيل وفيه كذا وفيه كذا؛ لكننا نقول عند العامة الجنة هي الدار التي أعدها الله تعالى للمتقين, فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر؛ وأعتقد أنك لو فسرتها عند عجوز من عجائزنا فقلت: الجنة البستان الكثير الأشجار والنخيل لقالت: مالك عقل؛ هذه ؟ ما هي الجنة هكذا؛ لأنها تتصور الجنة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر؛ وإذا قلت هي البستان الكثير الأشجار والنخيل ويش تتصور ؟ كل رآها كل يعرفها؛ ولهذا أنا أقول: ينبغي لطالب العلم أن يفسر القرآن بمعناه, ولكن إذا خاف فتنة فنفسره بما يوافق العقول ولا يخالف النصوص؛ فإذا قلت عند العامة: الجنة هي الدار التي أعدها الله تعالى للمتقين وفيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر, فالتفسير هذا صحيح؛ لكن عندما تتكلم مع طالب العلم يقول: ما معنى الجنة, ولماذا سميت بهذا؟ نأتي إلى المادة الجيم والنون نجد أنها كلها تدل على الاستتار, فتقول: هي في الأصل البستان الكثير الأشجار, ولنا أن نقول إن الجنة في الأصل هي هذا المعنى لكن نقلت شرعا إلى الدار التي أعدها الله للمتقين, كما نقلت الصلاة والزكاة والحج والعمرة إلى معناها الشرعي.

((**لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها**)) سبق لنا أن قوله: ((**من تحتها**)) يدل على علو قصورها وأشجارها، وأن الأنهار أربعة, وأنها تجري بلا أخدود وبلا شق ساق, تجري حيث شاء صاحبها، ... خليج منه أو إلى ساق منه يتجه حيث يشاء، وفي ذلك يقول ابن القيم في النونية:

أنهارها من غير أخدود جرت سبحان ممسكها عن الفيضان؛

أسأل الله أن يجعلني وإياكم من أهلها؛

يقول: ((**من تحتها الأنهار خالدين فيها**)) الخلود هو البقاء أي باقون فيها؛ إلى متى ؟ أبدا، كما قال الله تعالى في آيات أخرى متعددة: ((**خالدين فيها أبدا**)).

((**نزلا من عند الله**)) نزلا: هذه منصوبة على الحال, أي: حال كون هذه الجنات نزلا.

فإذا قال قائل: كيف تكون حالا وصاحبها نكرة, لأن جنات نكرة والحال لا تأتي من نكرة لابد أن يكون صاحبها معرفة ؟

فالجواب على ذلك أن نقول: صاحبها نكرة لكنه خصص بالنعت: ((**تجري من تحتها الأنهار**)) والنكرة المخصصة تأتي من الحال كما تأتي من النعت.

ثانيا قد يقول قائل: إن الحال يكون مشتقا لا جامدا, والنزل وهو اسم لما يقدم للضيف من الطعام جامد وليس بمشتق ؟

فالجواب: أنه قد تأت الحال جامدة لكنها مؤولة بالمشتق, يعني أنهم مكرمين بهذا النزل.

وقوله: ((**من عند الله**)) أي أن هذا النزل ليس من فلان أو فلان؛ بل من عند أكرم الأكرمين وأجود الأجودين وهو الله، والنزل من الأكرم يكون عظيما وكريما وكثيرا.

قال: ((**وما عند الله خير للأبرار**)) ما: اسم موصول, ولا يمكن أن تكون نافية؛ لأن المعنى يفسد كثيرا؛ لو قلت ما نافية صار المعنى: ليس عند الله خير للأبرار؛ وهذا كذب؛ فهي ما الموصولة, يعني والذين عند الله خير؛ فتكون مبتدأ وخير خبره, يعني وما عند الله خير مما ذكر من وصف الجنات؛ وهذا كقوله تعالى: ((**لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد**)) ففي الجنة أكثر مما يتمناه الإنسان وأكثر مما يتصوره, وهو النظر إلى وجه الله عزوجل؛ فإن النظر إلى وجه الله عز وجل أعظم ما يكون من النعيم, ولهذا سماه الله زيادة في قوله تعالى: ((**للذين أحسنوا الحسنى وزيادة**)) فقد فسر أعلم الخلق بكلام الله وهو النبي صلى الله عليه وسلم الزيادة بأنها النظر إلى وجه الله؛

((**وما عند الله خير للأبرار**)) والأبرار جمع بر, والبر كثير الخير ومنه قوله تعالى: ((**إنا كنا ندعوه من قبل إنه هو البر الرحيم**)) أي كثير الخيرات؛ فالأبرار جمع بر وهم كثيرو الخيرات وذلك بفعلهم ما أمر الله به وتركهم ما نهى الله عنه؛ ويأتي إن شاء الله ذكر فوائد هذه الآية .

السائل: هل قوله تعالى: ((**نزلا من عند الله**)) هو من الإنزال ؟

الشيخ: لا؛ لأنه: ((**نزلا**)) لما يقدم للضيف, ما هو من الإنزال؛

السائل: هو يشتق منه

الشيخ: لا ما يستقيم .

السائل: هل قوله تعالى: ((**نزلا من عند الله**)) مثل النزل في الدنيا فهو لا يستمر ؟

الشيخ: ما تقولون في الجواب على هذا ؟ يقول: المعروف أن النزل أول ما يقدم للضيف لا يستمر ؟ فالجواب على هذا أن نقول: إن الله جعل الجنة كلها ومعروف أن النزل الذي يقدم للضيف أول ما يقدم يكون من أطيب شيء وأكرم شيء, فكأن الجنة كلها بمنزلة النزل, يعني لا يختلف آخرها عن أولها, بخلاف نزل الضيافة في الدنيا,

الضيف أول ما يأتي أول يوم تجعل عنده طعاما طيبا, وثاني يوم أقل شوي، هذا الواقع، ثالث يوم أقل, ورابع يوم نقول: في أمان الله؛ فالنزل معروف أنه أول يوم أحسن شيء, فجعل الله هذه الجنة كلها نزلا فلا يختلف آخرها عن أولها .

... الشيخ: يصح هذا, لكن لما ذكر الجنات ذكر أن ما عند الله خير من ذلك؛ فإذا كانت الجنات خير من الدنيا وما فيها, فالذي خير من الجنات يكون أشد ... لكن ما هو الخير الذي هو خير من الجنات ؟ قلنا رؤية الله, بينها الله في آيات أخرى.

الشيخ: قال الله تعالى: ((**لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نزلا من عند الله وما عند الله خير للأبرا**)). ما فائدة هذا الاستدراك ؟

الطالب: لئلا يظن الظان إذا حصل له مثل الذي يحصل للكفار من التقلب في البلاد؛ أن يكون مآله مثل مآلهم .

الشيخ: أن يكون ما للمتقين مثل مآل الكفار.

الشيخ: قوله: ((**وما عند الله خير للأبرار**)) ماذا تعرب: ((**ما عند الله**)) ؟

الطالب: اسم موصول؛

الشيخ: هي مبتدأ أين خبرها ؟ خير طيب.

الشيخ: من الأبرار ؟ جمع أيش ؟

الطالب: بر,

الشيخ: وهو كثير الخير .

الشيخ: هل من أسماء الله البر ؟

الطالب: نعم ؛

الشيخ: الدليل ؟

الطالب: ((**إنا كنا من قبل ندعوه إنه هو البر الرحيم**)).

الشيخ: قوله تعالى: ((**لكن الذين اتقوا ربهم** ...)) فيها فوائد؛

منها: أن المتقين وإن تقلبوا في البلاد فليس مآلهم كمآل الكافرين؛ لقوله: ((**لكن الذين اتقوا ربهم**)).

ومنها: فوائد التقوى، وأن من فوائدها ما حصل لهؤلاء المتقين من النزل العظيم عند الله عزوجل, وهي هذه الجنات التي تجري من تحتها الأنهار .

ومنها: أن هؤلاء المتقين ثوابهم عند الله عزوجل أكثر بكثير مما يعطى هؤلاء الذين يتقلبون في البلاد؛ لأن الله قال في المتقلبين: ((**متاع قليل**)) أما هؤلاء فقال: ((**لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها**)) دائما وأبدا .

ومنها: عظم هذا الجزاء والثواب الذي يحصل لهم لأنه نزل من عند أكرم الأكرمين وهو الله عزوجل؛ لقوله تعالى: ((**نزلا من عند الله**)) .

ومنها: ما استنبطه بعض أهل العلم من أن قوله: ((**وما عند الله**)) يفيد العلو, وذلك لأنه لا يمكن أن يفيد السفل, لأن ذلك نقص ينزه الله عنه, فتعين أن يكون ذلك في العلو: ((**وما عند الله خير للأبرار**)) .

ومنها: أن الجزاء من جنس العمل؛ فإن هؤلاء لما كانوا بررة كثيري الخيرات كان لهم عند الله عزوجل هذا النزل العظيم .

ومن فوائدها: أن في الجنات أنهار، أنهار عظيمة تجري من تحت غرفها وأشجارها؛ لقوله تعالى: ((**تجري من تحتها الأنهار**)) .

ومن فوائدها: أن من منَّ الله عليه بالتقوى فإن ذلك من مقتضى ربوبية الله تعالى الخاصة، حيث قال: ((**اتقوا ربهم**)) فتخصيص الربوبية هنا بهؤلاء المتقين هو من باب الربوبية الخاصة, وقد مر علينا كثيرا أن ربوبية الله عزوجل لخلقه نوعان: عامة، وخاصة؛ فالعامة هي الشاملة لجميع الخلق؛ والخاصة هي الخاصة بالمؤمنين؛ كما أن العبودية أيضا نوعان: عامة وهي التي لجميع الخلق، كما في قوله تعالى: ((**إن كل ما في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا**)) وخاصة وهي عبودية الله عزوجل للمؤمنين، كما قال الله تعالى: ((**وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا**)) وهذه الخاصة منها ما هو أخص كما في عبودية الرسل؛ فهي أخص من العبودية العامة للمؤمنين المتقين، قال الله تعالى: ((**تبارك الذين نزل الفرقان على عبده**)) وعلى هذا ففي العبودية عموم مطلق وعموم نسبي؛ فالعموم المطلق هو الذي يشمل جميع من في السموات والأرض؛ والنسبي هو عموم عبودية المؤمنين؛ فإنه عام بالنسبة لعبودية الرسل خاص بالنسبة للعبودية المطلقة .

ومن فوائد الآية الكريمة: هذه الجنات التي تجري من تحتها الأنهار إذا كانت نزلا وهو ما يقدم للضيف من الكرامة فما بالك بما يكون بعد هذا, سيكون خيرا كثيرا .

ثم قال: ((**وإن من أهل الكتاب لم يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم** ...)) وهذا بدأ درس الليلة .

((**وإن من أهل الكتاب لمن**)) إن للتوكيد واللام أيضا للتوكيد؛ ففي الآية مؤكدان: إن واللام؛ وهنا لا يخفى أن في الجملة تقديما وتأخيرا: ((**وإن من أهل الكتاب**)) خبر مقدم؛ ((**لمن يؤمن**)) مبتدأ مؤخر: ((**لمن يؤمن بالله**)) أي: للذي يؤمن بالله: ((**وما أنزل إليكم**)) .

وقوله: ((**وإن من أهل الكتاب**)) هم اليهود والنصارى؛ ((**لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم** ...)) وهؤلاء كثير في النصارى فإنه آمن منهم كثير بمحمد صلى الله عليه وسلم؛ أما في اليهود فلم يبلغوا العشرة الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم في حياته؛ فمن اليهود الذين أسلموا عبد الله بن سلام رضي الله عنه فإنه كان حبرا من أحبارهم فأسلم؛ ومن النصارى كثير مثل النجاشي ملك الحبشة .

وقوله: ((**لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم**)) ومن جملة ما أنزل إلينا أن يؤمنوا بعموم الرسالة، رسالة النبي صلى الله عليه وسلم وأنه مرسل إليهم كما أنه مرسل إلى العرب؛ فأما من قال أنا أؤمن برسالة محمد صلى الله عليه وسلم لكن للعرب خاصة فإنه لم يؤمن بما أنزل إلينا؛ لا يمكن أن يتم إيمان بما أنزل إلينا حتى يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم على أنه رسول لجميع الخلق وأنه رسول إليهم يجب عليهم أن يتبعوه؛ ولهذا أقسم النبي عليه الصلاة والسلام أنه: لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يعني أمة الدعوة يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بما جاء به إلا كان من أصحاب النار، إذا ماتوا وهو لم يؤمن بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم كان من أصحاب النار .

وقوله: ((**وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم**)) أما ما أنزل إليهم فظاهر أنهم سيؤمنون به, اليهود يؤمنون بالتوراة والنصارى بالإنجيل, ولكن إذا لم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم فإنهم لم يؤمنوا بالتوراة ولا بالإنجيل؛ لأن عيسى عليه الصلاة والسلام قد بشرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى: ((**وإذ قال عيسى بن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين**)) فقوله: ((**لما جاءهم**)) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم، فهو بعد أن جاءهم بالبينات وأنه الرسول بشر الذي بشر به عيسى قالوا: هذا سحر مبين, ولم يؤمنوا به ولم يتبعوه؛

طيب, إذا الذي يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم يقول: لا يتم إيمانه بأن محمدا أرسل إلى العرب وأن القرآن كلام الله مثلا؛ بل لا يتم إيمانه حتى يؤمن بمن ؟ بمحمد صلى الله عليه وسلم على أنه رسول الله إلى جميع البشر, وأنه ملزم باتباعه, ويتبعه كما يتبعه غيره؛

((**وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله**)) قوله: ((**خاشعين**)) يحتمل أن تكون حالا من: (**من**) ((**لمن يؤمن**)) وبناء على ذلك يكون مراعا بها المعنى, لأن (**من**) لفظها مفرد ومعناها الجمع, لأن اسم الموصول

وإن كان مفردا يصح للعموم, مع أن (**من**) من الأسماء الموصولة التي للمفرد وللجماعة؛ أقول: إن ((**خاشعين**)) يحتمل أن تكون حالا من (**من**) للذي يؤمن حال كونه خاشعا؛ أو من فاعل: ((**يؤمن**)) لمن يؤمن حال كونه خاشعا؛ والمعنى لا يتغير؛ والخشوع هو الذل أي متذللا لله عزوجل، يؤمن بالله متذللا له خاشعا له.

((**لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا**)) لا يشترون: أي لا يأخذون ويطلبون بآيات الله ثمنا قليلا؛ فالشراء هنا بمعنى الأخذ؛ لأنه ليس هناك عقد بيع وشراء؛ لكن لما كان المشتري يأخذ السلعة طالبا لها حريصا عليها صار الذين يأخذون الحياة الدنيا بالآخرة بمنزلة المشتري؛ ولهذا قال: ((**لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا**)) وهي الدنيا برئاستها أو بمالها أو بجاهها أو بغير ذلك؛ وفيه إشارة إلى أن من أهل الكتاب وغير أهل الكتاب من يبقي على رئاسته وعلى جاهه وماله ليكفر بالرسل؛

فمثلا أبو جهل وغيره من زعماء العرب وقريش, ما الذي صدهم عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم إلا الكبر والإبقاء على الجاه وعلى الرئاسة؛ ولهذا يقولون: ((**لو لا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم**)) يعني: هلا أنزل على رجل عظيم حتى نتبعه؛ وهم يقولون ذلك ويعلمون أن محمدا صلى الله عليه وسلم من خيرهم, بل هو خيرهم نسبا, وأنه أعظمهم وأشرفهم, وهم يسمونه قبل الرسالة الأمين والصادق؛ لكن لما جاءت الرسالة شرقوا بها . والعياذ بالله . وأنكروها, وقالوا هذه من رجل مهين كما قال فرعون لموسى: ((**أم أنا هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين**)) فهؤلاء قالوا: ((**لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم**)) .

((**لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا**)) والمراد بآيات الله هنا الآيات الشرعية؛ لأن من الناس من يشتري ثمنا قليلا بالآيات الشرعية، ومعنى: ((**يشتري ثمنا قليلا**)) أي يأخذ الجاه والرئاسة والمال وغير ذلك بدلا عن آيات الله الشرعية وتباعها؛ ووصف الله ذلك بأنه قليل لأنه بالنسبة لما في الآخرة ليس بشيء، كما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (**لموضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها**) .

((**أولئك لهم أجرهم عند ربهم**)) أولئك الذين عدلوا عن الدنيا ولم يأخذوها بدلا عن طاعة الله والإيمان به: ((**لهم أجرهم عند ربهم**)) أجر أي ثواب؛ وإضافته إلى الله: ((**عند ربهم**)) يدل على عظمه, وأنه عظيم جدا؛ فإن الشيء من العظيم عظيم, ومن الكريم كثير؛ ولهذا قال: ((**أجره عند ربهم**)) .

الشيخ: ((**أولئك لهم أجرهم عند ربهم**)) أولئك الذين عدلوا عن الدنيا ولم يأخذوها بدلا عن طاعة الله والإيمان به: ((**لهم أجرهم عند ربهم**)) أجر أي ثواب؛ وإضافته إلى الله: ((**عند ربهم**)) يدل على عظمه, وأنه عظيم جدا؛ فإن الشيء من العظيم عظيم, ومن الكريم كثير؛ ولهذا قال: ((**لهم أجرهم عند ربهم**)) .

وقوله: ((**لهم أجرهم عند ربهم**)) فيه إشارة كما سيأتي إن شاء الله في الفوائد أنه باق, لأن ما عند الله يبقى؛ ولهذا يخلد أهل الجنة فيها أبدا . نسأل الله أن يجعلني وإياكم منهم . .

((**أولئك لهم أجرهم عند ربهم إن الله سريع الحساب**)) سريع الحساب: السرعة هي عدم التباطؤ في الشيء، والله تعالى سريع الحساب من وجهين؛ الوجه الأول: أن الدنيا قليلة؛ وفانية وسريعة وما هي إلا لحظات ثم تنقضي بسرعة؛ فاليوم الجمعة مثلا أو السبت أو الأحد أو أحد أيام الأسبوع, ما تأخذ إلا شيئا قليلا ثم يأتي, بسرعة حتى يصل الإنسان إلى نهايته ويموت فيجد الحساب أمامه؛ هذا سرعة؛

السرعة الثاني: يوم القيمة, فإن الله تعالى يحاسب الخلائق كلها في نصف اليوم؛ لقوله تعالى: ((**أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا**)) والقيلولة إنما تكون في نصف النهار، هكذا تكون في نصف النهار؛ ويلزم من هذا أن الله يحاسب الخلائق كلهم في نصف يوم, حتى إن كل واحدا منهم يقيل في منزله ومستقره: ((**إن الله سريع الحساب**)) .

في هذه الآية فوائد منها: الثناء على بعض أهل الكتاب؛ لقوله: ((**وإن من أهل الكتاب**)) ومن هنا للتبعيض, وهم قليل .

ومن فوائدها: عدل الله عزوجل بإسناد الفضل إلى أهله؛ فإن الله عزوجل لما ذكر عقاب الكافرين وثواب المؤمنين قال: ((**وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن**)) فأسند الفضل إلى أهله عزوجل .

ومن فوائدها: أن هؤلاء الذين يؤمنون بما أنزل الله على رسوله عليه الصلاة والسلام مع إيمانهم بكتبهم إنما يفعلون ذلك تعظيما لله وذلا له, لا طلبا للدنيا أو المدح أو ما أشبه ذلك؛ لقوله تعالى: ((**خاشعين لله**)) .

ومن فوائدها: بيان إخلاص هؤلاء حيث لم يؤمنوا بالله وما أنزل إلينا من أجل الدنيا؛ فهم لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا؛ والآية كما فسرناها أولا يفهم منها أن الذين كفروا للدنيا ... بهذه الجملة, ولكن ينبغي أن نقول: يراد بها الذين كفروا من أجل الدنيا والذين أسلموا من أجل الدنيا؛ ويؤيد المعنى الثاني قوله: ((**خاشعين لله**)) فإنه يدل على أنهم مخلصون في إيمانهم بالله وما أنزل إليهم, يعني لا يقصدون شيئا من الدنيا أو جاه أو رئاسة أو رياء .

ومن فوائد الآية الكريمة: أن هؤلاء الذين آمنوا من أهل الكتاب عن إخلاص سوف يكون لهم الأجر يعني الثواب في الآخرة, وإن فاتهم ما يفوتهم من الدنيا بسبب إسلامهم؛ لقوله: ((**أولئك لهم أجرهم عند ربهم**)) .

ومن فوائدها: بيان قدرة الله عزوجل في سرعة حسابه، حيث قال: ((**إن الله سريع الحساب**)) وقد أورد بعض الصحابة على النبي صلى الله عليه وسلم إشكالا في هذا المعنى, وقال: كيف يحاسبنا في ساعة ونحن جمع, يعني كثير ؟ فقال: (**ألا أخبرك بشيء من آلاء الله**) أي: من آياته (**يقرب لك هذا، وذكر له القمر**) القمر مخلوق من مخلوقات الله, وكل الناس يرونه في ساعة واحدة لا يضامون في رؤيته؛ فإذا كان هذا في مخلوق من مخلوقات الله يضيء نوره على كل من رآه, ويشترك فيه من العالم ما لا يحصيه إلا الله, فما بالك بالخالق جل وعلا .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: إثبات الحساب، وأن الإنسان سوف يحاسب على عمله إن خيرا فخير وإن شرا فشر؛ لقوله: ((**إن الله سريع الحساب**)).

وليعلم أن الحقوق نوعان: حق لله عزوجل فهو مبني على المسامحة وعلى العفو والإحسان؛ وحق للخلق بالاعتداء عليهم وعلى أعراضهم فهذا لا يغفره الله عزوجل؛ بل قد قال النبي عليه الصلاة والسلام حين بعث معاذ إلى اليمن قال: (**إياك وكرائم أموالهم, واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب**) فالمظلوم إلى من يلجأ ؟ إلى الله عزوجل؛ فإذا رجع إلى ربه وهو سيلجأ بصدق لأنه قد ضيم من الخلق, فإذا رجع إلى الله عزوجل بهذا الصدق فإن الله عزوجل يجيب دعوته, ويقول عزوجل: (**وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين**) فلذلك يجب على الإنسان أن يحذر من ظلم نفسه, وبحق الله عزوجل, ومن ظلم غيره بالعدوان عليه بالقول أو الفعل؛ فإن الدنيا لن تدوم لابد من زوال, ولابد من رجوعه إلى الله عزوجل .

ثم قال الله تعالى: ((**يا أيها الذين آمنوا اصبروا و صابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون**)) دائما نتكلم على قوله تعالى: ((**يا أيها الذين آمنوا**)) ونستشهد بقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: " **إذا سمعت الله يقول: يا أيها الذين آمنوا فأرعها سمعك . يعني استمع لها . فإما خير تؤمر به وإما شر تنهى عنه** " وقلنا إن الله تعالى إذا صدر الخطاب بهذا فهو دليل على العناية به؛ وجهه ؟ أنه صدره بالنداء الذي يفيد تنبيه المخاطب: ((**يا أيها الذين آمنوا**))، ثم إذا كان النداء بوصف الإيمان كان دليلا على أن ما يأتي بعده من مقتضى الإيمان، أن ما يأتي بعده من مقتضى الإيمان لأنه لولا أنه من مقتضاه ما صدر الخطاب لمن يوجه إليه بلفظ الإيمان؛ فكأنه قال: يا أيها الذين آمنوا بإيمانكم افعلوا كذا وكذا، أو لإيمانكم لا تفعلوا كذا وكذا.

ثانيا: يدل على أن مخالفة ذلك من نواقض الإيمان أو من نواقص الإيمان؛ إن كان الشيء من أصول الدين مثل: ((**يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله**)) فإن مخالفته من نواقض الإيمان؛ وإن كان في فرع من فروع الدين فإن مخالفته من نواقص الإيمان مثل قوله تعالى: ((**يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم**)) لو لم يتفسح الإنسان ما قلنا إنه كافر, بل نقول: هو مخالف للأمر وإيمانه ناقص, لأن مقتضى الإيمان أن يفعل ما أمر الله به، حيث وجه الله له هذا الأمر بوصف الإيمان .

ثالثا: أنه يفيد الإغراء، يعني إغراء الإنسان وحثه على أن يفعل ما وجه إليه من الأمر أو النعمة؛ لأن الإنسان إذا وصف بوصف فإنه يغريه هذا الوصف؛ فإذا قيل لشخص: يا أيها الكريم جد على هذا؛ معناه أنك تغريه وأنه لكرمه لابد أن يجود؛ ولهذا لما قيل للمتنبي, قيل له . في مجال القتال . إنك قلت:

الخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم؛

قال: الآن قتلتني, ثم أقدم حتى قتل؛ وذلك لأن الوصف الذي يتصف به الإنسان ويفخر به إذا لم يطبقه فعلا فإنه كاذب في دعواه؛ فكأن الله يقول: يا أيها الذين آمنوا لإيمانكم افعلوا كذا .

((**اصبروا وصابروا ورابطوا**)) اصبروا على أي شيء ؟ على كل ما يحتاج إلى صبر، كل ما يحتاج إلى صبر اصبر عليه؛ ومعلوم أن الذي يحتاج إلى الصبر هو الذي يخالف هوى النفس، الذي يخالف هواك هو الذي يحتاج إلى الصبر؛ لأنه يشق عليك تحمله؛ فطاعة الله عزوجل ثقيلة على النفوس فاصبر عليها، المعاصي ثقيل تركها على النفوس اصبر على الترك؛ الآلام والمصائب التي تصيب الإنسان ثقيلة على النفس اصبر عليها؛ فالمصائب التي تصيب الإنسان هي بنفسها مكفرة للذنوب, فإذا احتسب الإنسان أجرها على الله وانتظر بذلك ثواب الله كانت مع التكفير زيادة حسنات؛ والإنسان في الدنيا لابد أن يبتلى, كما قال الشاعر:

فيوم لنا ويوم علينا ويوم نساء ويوم نسر؛

لم تبق الدنيا لأحد زاهية مطلقا أبدا؛ وهذه من حكمة الله عزوجل يبتلي الإنسان بالنعم ويبتليه بالمصائب، قال الله تعالى: ((**ونبلوكم بالخير والشر فتنة وإلينا ترجعون**)) فعلى الإنسان أن يصبر على كل ما يخالف هواه؛ والصبر ثقيل على النفس متعب لها؛ ولكن الإنسان ينظر إذا صبر إلى ما أمامه, ويش النتيجة ؟ النتيجة خير: ((**إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب**)) إذا صبر فليبشر بالخير، وفي المثل: من صبر ظفر ؛ وفي الشعر:

والصبر مثل اسمه مر مذاقته لكن عواقبه أحلى من العسل؛

وهذا شيء مجرب، دائما إذا صبر الإنسان ظفر ولاسيما إذا قرن صبره باحتساب الأجر على الله عزوجل فإنه يكون في ذلك الثواب والعاقبة الحميدة .

وقوله: ((**صابروا**)) المصابرة تكون من اثنين؛ ولهذا جاءت على وزن فاعل، فاعل كقاتل وجاهد صابر, أيضا لابد من شخص آخر يضادك فصابره، الصبر الأول ما فيه أحد يضاده إنما هو شيء بينك وبين نفسك تصبر؛ الشيء الثاني: إنسان يضادك ويثيرك ويعتدي عليك صابره, يعني بمعنى غالبه بالصبر، غالبه بالصبر؛ وهذا يكون في ملاقات الأعداء؛ فالعدو يصابرك وأنت تصابره, ولكن الله تعالى قد سلى عباده المؤمنون في قوله تعالى: ((**ولا تهنوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون**)) أنت إذا جرحت تتألم, وهو إذا جرح يتألم لاشك: ((**وترجون من الله ما لا يرجون**)) فرق عظيم؛ فالذي يرجوا من الله عز وجل الثواب على ما حصل له يهون عليه هذا الشيء, حتى إنه أحيانا لا يشعر به من شدة احتسابه الأجر على الله عزوجل؛ إذا الصبر حبس النفس مع غير مصابر, وتكون على ما لا يلائم الإنسان وما يشق عليه, والمصابرة مع شخص مضاد يصابرك ويصبر عليك, على معاندتك وعلى مضادتك فأنت اصبر اصبر، وقد قال الله عزوجل: ((**ولمن صبر وغفر إن ذلك من عزم الأمور**)).

أما قوله: ((**ورابطوا**)) المرابطة أخص من المصابرة, يعني رابطوا على الطاعات؛ ومن ذلك ما بينه النبي عليه الصلاة والسلام حيث قال: (**إسباغ الوضوء على المكاره، كثرة الخطا إلى المساجد, وانتظار الصلاة بعد الصلاة, فذلكم الرباط فذلكم الرباط**) إسباغ الوضوء على المكاره: يعني في أيام السبرات والبرودة فإن الإنسان إذا أسبغ الوضوء يعني أتمه وأكمله دل هذا على إيمانه بالله عزوجل, وعلى شدة تصديقه ورجائه لثواب الله؛ والثاني: كثيرة الخطا إلى المساجد, فإن الإنسان إذا ذهب إلى المسجد البعيد الذي يحتاج إلى كثرة الخطا, دل هذا على أيش ؟ على مرابطته في الخير ومثابرته عليه وصدق الإيمان في قلبه؛ ولهذا يذهب إلى المسجد ولو كان بعيدا ويتردد إليه ولو كان كثيرا، يتردد إليه على الأقل في اليوم والليلة خمس مرات ولو كان كثيرا؛ هذا أيضا يدل على المرابطة على الخير.

((**اصبروا وصابروا ورابطوا**)) ومن المرابطة المرابطة في الثغور, لكنها غير موجودة في عهد النبي عليه الصلاة والسلام؛ لأنه في عهد النبي عليه الصلاة والسلام ما فيه مرابطة يخرج النبي عليه الصلاة والسلام إلى العدو ويغزوا ويرجع, لكن بعد ذلك لما فتحت الفتوحات وانتشر الإسلام في أقطار الأرض صارت المرابطة, واحتاج المسلمون إلى مرابطة؛ ولهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام: (**إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة إلى الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط فذلكم الرباط**) ثلاثا؛ لأن الرباط على الحدود الإسلامية غير موجود في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام.

ثم قال: ((**لعلكم تفلحون**)) أي: من أجل أن تفلحوا ؛ نعم: ((**واتقوا الله**)) واتقوا الله هذا أمر بتقوى الله عزوجل؛ وسبق لنا مرات كثيرة أن المراد بالتقوى اتخاذ وقاية من عذاب الله بفعل أوامره واجتناب نواهيه؛ هذه التقوى، هذا أحسن ما قيل في التقوى: اتخاذ وقاية من عذاب الله عزوجل بفعل أوامره واجتناب نواهيه؛ هذه هي التقوى, وعطفها على ما سبق إما أن يقال: من باب عطف العام على الخاص, وهو كثير في القرآن, وإما أن يقال: إن ما سبق أوامر والتقوى للنواهي, كما نقول في قوله تعالى: ((**وتعاونوا على البر والتقوى**)) أن البر فعل الخير والتقوى اجتناب الشر؛ وإذا ذكرت التقوى وحدها شملت فعل الخير وترك الشر؛ والمعنيان لا يتنافيان؛ فهذه الأوصاف أو الأوامر الأربعة: ((**اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله**)) كلها مؤداها تشتمل على شيء واحد, وهي فعل الأوامر واجتناب النواهي .

ثم قال: ((**لعلكم تفلحون**)) لعل: هنا للتعليل وليست للرجاء, لأن كلام الله عز وجل ليس فيه رجاء, فإنه على كل شيء قدير, ولا يصعب عليه شيء ولا يعسره شيء؛ لكنها للتعليل, أي: لأجل أن تفلحوا؛ والفلاح قالوا إنها كلمة جامعة، كلمة جامعة للفوز بالمطلوب والنجاة من المرهوب، هذا الفلاح، الفلاح أن يفوز الإنسان بمطلوبه وأن ينجوا من مرهوبه, ولاشك أن كل واحد من الخلق يتمنى هذا، يتمنى أن يفوز بمطلوبه وأن ينجوا من مرهوبه .

في هذه الآية الكريمة: يوجه الله النداء إلى المؤمنين فيستفاد منه: فضيلة الإيمان, وأن أهل الإيمان هم الأجدر، هم أجدر الناس بتوجيه الخطاب إليهم؛ لقوله: ((**يا أيها الذين آمنوا**)).

ومن فوائدها: أنه ينبغي للإنسان أن يأتي في أسلوبه بما يحمل الإنسان على فعل ما طلب منه أو ترك ما نهي عنه؛ لقوله: ((**يا أيها الذين آمنوا اصبروا**)) .

ومن فوائدها: الحث على الصبر؛ بل الأمر بالصبر؛ لقوله: ((**اصبروا**)) وهو في الحقيقة مشترك قد يكون واجبا وهو الصبر على الواجب وعلى ترك المحرم وعلى الآلام المؤلمة؛ وقد يكون مستحبا وهو الصبر على المستحبات أو على ترك المكروهات, فإن الصبر هنا ليس بواجب لكنه أكمل وأفضل .

ومن فوائدها: الأمر بالمصابرة؛ وأن الإنسان يصابر من يضاده ويمد له؛ فإن العاقبة ستكون له عليه إذا صابره امتثالا لأمر الله عزوجل ورجاء لثوابه وتحسبا للعاقبة الحميدة التي تكون فيها الدائرة على من ضاده .

ومن فوائد الآية أيضا: الأمر بالمرابطة، الأمر بالمرابطة؛ والمرابطة إن كانت على واجب فهي واجبة وإن كانت على مستحب فهي مستحبة حسب الأمر المرابط عليه .

ومن فوائدها: الأمر بالتقوى؛ والتقوى واجبة, يعني اتقاء الوقوع في المحرم إما بترك الواجب وإما بفعل المحرم .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: النتائج الحميدة لمن قام بأوامر الله من الصبر والمصابرة والمرابطة والتقوى, وهي أي: العاقبة الحميدة, هي الفلاح؛ لقول الله تعالى: ((**لعلكم تفلحون**)) .

السائل: في قوله تعالى: ((**وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم**)) مع أن الرسالة المحمدية تقتضي الإيمان بالرسالات السابقة: ((**قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى...**)) ؟

الشيخ: وآمنوا بما أنزل إليهم قبل بعثة الرسول, يعني جمعوا بين الإيمانين: إيمان بما أنزل عليهم وإيمان بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم.

السائل: قوله: ((**ورابطوا**)) هل المقصود به قول النبي صلى الله عليه وسلم ؟

الشيخ: المرابطة أعم, ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم فسرها بما يعرفه الناس في ذلك الوقت .

السائل: قوله: ((**نزلا من عند الله**)) هذه الآية إذا جاء ضيف يكرم عند نزوله, هل نستطيع أن نقول أن في الجنة جنتين ؟

الشيخ: لا, أبدا, هي كلها نزل, كلها على خير ما يرام من أولها إلى آخرها.

... الشيخ: هم ما سألوا عن الكيفية، سألوا عن مقدار، هذا المقدار كيف يشمل أو كيف يتسع لحساب جميع الخلق؛ ما فيه شيء, نعم ما كانوا يسألون, لكن هذا يسألون عن المقدار, كيف نصف يوم يحاسب الله جميع الخلائق, فبين لهم الرسول أن هذا غير ممتنع .

... الشيخ: ((**وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله**)) فيكون ذكر الإيمان هنا بلفظ المضارع لاستمرارهم عليه.

... الشيخ: كيف من المؤمنين ؟ مؤمنين وهو يحكم بغير ما أنزل الله ! النجاشي يحكم بما أنزل الله بما بلغه, أقول هو سيحكم بما بلغه؛ ما بلغه الحكم بالقرآن آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وآمن بعيسى وآمن بالرسل, وهذا الذي بلغه .

... الشيخ: هذه خصائص, يختص برحمته من يشاء: ((**الله يختص برحمته من يشاء**)) فالخاشعون ليست ثقيلة عليهم .

... الشيخ: يقولون: ادهن بالزيت وفيه قرنفل وفلفل أسود وزنجبيل وتغطى هذا طبنا نحن, وقال أن الأطباء يقولون: البرودة زينة, قلت: طيب البرودة صحيح، الحديث جاء بها: (**الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء**) كما أني سمعت من إنسان سوى عملية في رجله في ركبته وقالوا له: كلما أحسست بألم فضع عليها الثلج؛ فأنا قلت له: كيف ؟ بالعادة نحن عليها مثلا شيئا حار.

الزيت، والفلفل الأسود، الحب الأسود هذا, وكذلك قرنفل ومعه زنجبيل. زيت الزيتون أحسن شيء, أولا نحن بالدهن .

الشيخ: هل من الابتلاء إلزامنا بالزكاة والنفقات ؟ نعم, من الابتلاء الشرعي, إذا هنا ابتلاء شرعي وذلك بتكليفنا أن نؤدي الزكاة, لأن في الناس من لا يؤدي الزكاة, فيكون في هذا ضرر عليهم .

الشيخ: قوله: ((**أذى كثيرا**)) أذى كثيرا: من القول أو من الفعل ؟ في قوله: ((**ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا**)) ؟

الطالب: من القول؛

الشيخ: ما الدليل على تخصيصه بالقول ؟ ما الدليل على أنه خاص بالأذى القولي لأنه قد يكون بأذى فعلي كضربهم ؟ أنا أريد دليلا على أنها خاصة بالأذى القولي ؟

الطالب: قوله تعالى: ((**ولتسمعن**))

الشيخ: والذي يسمع هو القول؛ هذا هو الظاهر مع أنه يمكن أن يكون أذى بالفعل وأسمع أنا أن هذا الرجل أوذي؛ فيكون أسمع عن خبر الإيذاء الفعلي .

الشيخ: قال الله تعالى: ((**إن في خلق السموات والأرض**)) أين اسم إن ؟ ... هل يكون الجار والمجرور اسما لإن ؟ ... محذوف ويش التقدير ؟

الطالب: ((**لآيات**)) مؤخر.

الشيخ: هذا اسم إن: ((**لآيات**)) ويش تقولون يا جماعة ؟ صحيح .

الشيخ: ما معنى: ((**أولوا الألباب**)) ؟

الطالب: أصحاب العقول؛

الشيخ: هل يؤخذ من هذه الآية أن العقل يؤيد الشرع, وأن الشرع ينمي العقل ؟

الطالب: نعم؛

الشيخ: كيف ذلك ؟ لكن كيف تفهم من الآية أن العقل يؤيد الشرع ؟

الطالب: لا يفكر في الآيات السابقة إلا أصحاب العقول,

الشيخ: إذا فالعقول تؤيد ما جاء به الشرع, كما أن الشرع ينمي العقل ويزيده .

الشيخ: قوله: ((**يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم**)) هل هذا للتنوير أو للاستغراق ؟ بمعنى هل هم يذكرون الله مرة وهم قعود ومرة وهم قيام ومرة على الجنوب أو المراد استيعاب جميع الأحوال ؟

الطالب: الثاني .

الشيخ: يعني يذكرون الله دائما .

الشيخ: قوله: ((**ربنا ما خلقت هذا باطلا**)) هل له نظير في القرآن يؤيد ما قالوه ؟

الطالب: ((**وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا**)).

الشيخ: ما هو الباطل ؟ ويش معنى كلمة باطل ؟

الطالب: كل شيء لا يوافق الشرع فهو باطل

الشيخ: لا لا، أريد الكلمة فقط, ما أريد ما المراد أريد معنى الباطل ؟ أصل الباطل في اللغة الضائع سدى, الضائع الذي لا يلتفت له ولا يؤبه به .

الشيخ: قوله: ((**وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن**)) أين اسم إن ؟

الطالب: جملة: ((**لمن يؤمن**))

الشيخ: من فقط؛ إذا الخبر جملة أو مفرد ؟

الطالب: مفرد .

الشيخ: ما هو التقدير: ((**وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن**)) فسر (من) فتقول ؟ أي: للذي يؤمن؟ هل يمكن أن تمثل لأحد بذلك ؟ من اليهود ؟

الطالب: عبد الله بن سلام؛

الشيخ: ومن النصارى ؟

الطالب: النجاشي .

الشيخ: لو آمن الكتابي بما أنزل على محمد لكن قال: إنه للعرب خاصة لقوله: ((**هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم**)) السؤال: لو قال الكتابي: أنا أؤمن بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم لكنه للعرب خاصا لا لبني إسرائيل؛ لقوله تعالى: ((**هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم**)) ؟ الطالب: نقول هذا لم يؤمن

الشيخ: لماذا ؟

الطالب: لأنه أرسل إلى الناس كافة أما الآية خبرية, الطالب: نقول له إن عيسى عليه السلام بشر بمحمد صلى الله عليه وسلم وكما ذكر أيضا في الإنجيل وقال الله تعالى في القرآن عن عيسى: ((**ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد**)).

الشيخ: قصدي إنه لم يؤمن لا بالذي أنزل إليهم ولا بالذي أنزل إلينا، لا بالذي أنزل إليهم لأنه لم يقبل بشارة عيسى, ولا بالذي أنزل إلينا لأن الذي أنزل إلينا أنزل على أنه للناس كافة؛ فإذا قال: أنا لا أؤمن أنه أرسل للعرب نقول: ما آمنت .

السائل: كيف نوجه الآية ؟

الشيخ: أي نعم في الأميين، توجيه الآية أنه بعثه أي منهم، بعثه منهم؛ لأن أول بعثته كانت في الأميين؛ قالوا: وهذا إشارة إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم لن يباشر أحدا من غير الأميين, لأنه الفتحات في عهده صلى الله عليه وسلم ما عدت الجزية كلها في الجزيرة وما حولها لم تتعد إلى فارس ولا إلى الروم .

... الشيخ: هو الذي بعث من الأميين رسولا منهم، على سبيل التوكيد, أو نقول في الأميين في أول الرسالة كما شرحناها, يعني أول رسالته كانت فيهم ثم انتشرت .

الشيخ: ((**يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا**)) ما الفرق بين الصبر والمصابرة ؟

الطالب: الصبر هو الصبر على نفسه يعني يتعلق بنفسه؛ والمصابرة إنما تكون بين اثنين، ...

الشيخ: يعني صابر من يضادك في أمرك, لأن الإنسان ربما يصبر إذا لم يصابره أحد, لكن إذا صابره وجادله وناظره ربما لا يصبر.

الشيخ: ((**لعل**)) ويش معناها ؟

الطالب: تعليلية؛

الشيخ: ولا يصح أن تكون للرجاء ؟

الطالب: لا؛

الشيخ: لماذا ؟

الطالب: لأن الرجاء لا يتأتى في حق لله.

الشيخ: وما هو الفلاح ؟

الطالب: هو الفوز والمرغوب والنجاة من المرهوب .

الشيخ: أحسنت تمام.

الشيخ: قوله تعالى: ((**فاستجاب لهم ربهم**)) معنى الاستجابة ؟

الطالب: أي: أجاب .

الشيخ: ولماذا قال: ((**ربهم**)) .

الطالب: لأن هذه ربوبية خاصة .

الشيخ: ربوبية خاصة حيث وفقهم للإيمان ولهذا الدعاء فهذه ربوبية خاصة .

الشيخ: هل تعرف أن هناك ربوبية خاصة وعامة ؟

الطالب: الربوبية العامة تشمل جميع الخلق والربوبية الخاصة قد تختص بفرد كالرسول ...

الشيخ: ما هي الآية التي اجتمعت فيها الربوبيتان العامة والخاصة ؟

الطالب: ((**قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون**)) .

الشيخ: في هذه الآية نكتة حيث قدم موسى على هارون ؟

الطالب: موسى أفضل من هارون ؛ نعم تمام .

الطالب: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ((**يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم إلى أمولكم إنه كان حوبا كبيرا**)).

الشيخ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم؛ قال الله تبارك وتعالى: ((**بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها الناس اتقوا ربكم**))

هذه السورة هي سورة النساء وهي مدنية, والمدني عند الجمهور ما نزل بعد الهجرة, والمكي ما نزل قبل الهجرة؛ فالمدني ما نزل بعد الهجرة ولو في غير المدينة؛ والمكي ما نزل قبل الهجرة ولو في غير مكة؛ وعلى هذا فالمدار في تعيين المكي والمدني إلى الزمن لا إلى المكان؛

وقد ذكر العلماء رحمهم الله ضوابط للمكي والمدني, وذكروا مميزات للمكي والمدني معروفة في علم أصول التفسير؛ من ذلك أن الغالب في الآيات المكية الغالب فيها القصر والقوة، قوة الأسلوب، وموضوعها في الغالب التوحيد وما يتعلق بها .